

التفسير الوحي

عاشق

القرآن العظيم

ومنه أسباب النزول وقواعد الترتيل

الأستاذ الدكتور وهبت الزحيلي

دار الفکر
دمشق - سورية

سبب النزول

التفسير الوحي

دار الفکر
دمشق - سورية

التفسير الوجيز

على هامش

القرآن العظيم

ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل

تأليف

الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

رئيس قسم اللغة الإسلامي ودراسه في جامعة دمشق

دار الفكر

دمشق - سورية

الرقم الاصطلاحي : 1001, 011

الرقم الموضوعي : 220

الرقم الدولي : ISBN: 1-54547-238-4

الموضوع : القرآن وعلومه

العنوان : التفسير السجيز على هامش القرآن العظيم

ومعه أسباب النزول وقواعد الترتيل

التأليف : الأستاذ الدكتور وهبة الزحيلي

خطوط المصحف : أحمد الباري

زخارف المصحف : هيثم قسومة

التنفيذ الطباعي : مطابع دار المستقبل - بيروت

التجليد الفني : علي الحمصي - بيروت

عدد الصفحات : ٦٤٠

قياس الصفحة : ١٧ × ٢٥ سم

عدد النسخ : ٣٠٠٠

وقد وافق على نسخة المصحف وإصداره كل من :

١ - إدارة الإفتاء العام والتدريس الديني في سورية برقم ٦٦١ وتاريخ ١٤٠٣/٩/٤ هـ الموافق ١٩٨٢/٦/١٤ م

٢ - دار الفتوى في لبنان برقم ٣٦/٤٦٦ وتاريخ ١٤١٤/١٠/١٤ هـ الموافق ١٩٩٤/٣/٢٦ م .

٣ - المجلس الإسلامي الأعلى تونس بموجب الكتاب رقم ٥٠٧ الصادر بتاريخ ١٩٩٠/٢/٢٩ م .

الطبعة الثانية ١٤١٦ هـ = ١٩٩٦ م ط ١ ١٤١٥ هـ = ١٩٩٤ م

جميع الحقوق لكافة الطبعات محفوظة

لدار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر بدمشق

التي تشرف بإصدار ونشر هذا القرآن العظيم وتحتفظ لديها بجميع أصوله الخطية والزخرفية ملكاً تجارياً

وفنياً مسلجاً مع التنويه بأن جميع حقوق الطبع والنشر والنقل والانتباس في كافة البلاد العربية وأقطار

العالم محصورة بـ :

دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر

سورية - دمشق - برامكة مقابل مركز الانطلاق للوحد - ص . ب (٩٦٢)

برقياً : فكر - هاتف ٢٢٣٩٧١٧ - ٢٢٣١١٦٦ فاكس : ٢٢٣٩٧١٦ (٠٠٩٦٣١١)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، والصلاة والسلام على النبي محمد الذي أرسله ربه رحمة للعالمين.

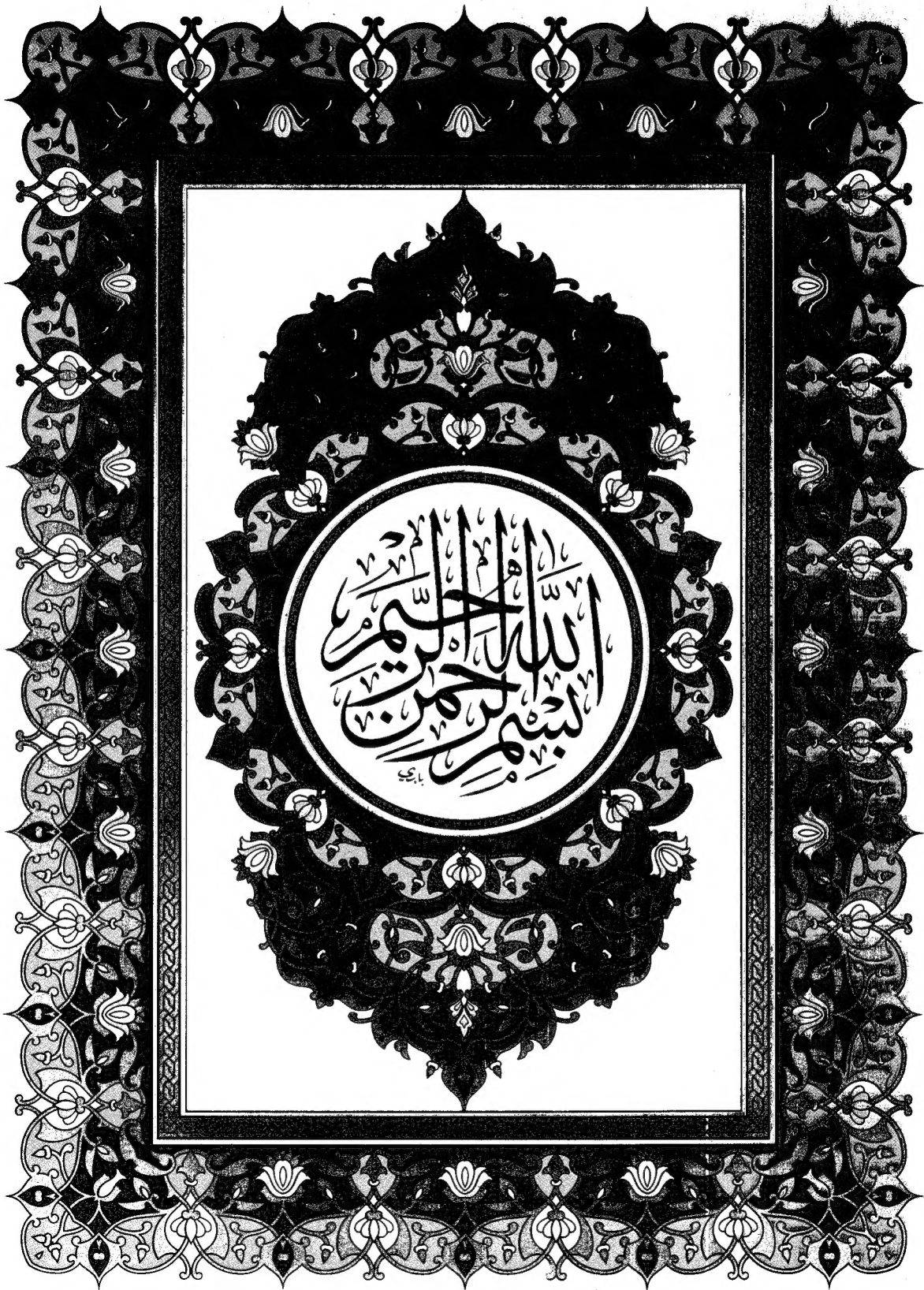
وبعد: فإن الهدف الأول من إنزال القرآن الكريم هو العمل بآياته والتأديب بأدابه، والالتزام بأحكامه وشرايعه، ليكون العاملون به خير أمة أخرجت للناس. - وتحقيق هذه الغاية إنما يكون بتلاوة القرآن، وتدبر آياته، وفهمها فهماً دقيقاً، وسليماً، وواعياً، ولا يتم ذلك إلا ببيان واضح، وقلب واعٍ، وإدراك شامل لمقاصد القرآن وأحكامه.

- والسبيل الأمثل في البيان: تلاوة الآية، وفهمها فهماً إجمالياً، ثم العمل على توسيع المدارك تدريجياً بتفسير أشمل، مثل كتابي (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) ١٦ مجلداً، من منشورات دار الفكر العامرة، والذي منحت عليه جائزة أفضل كتاب في العالم الإسلامي لعام ١٩٩٤م من جمهورية إيران الإسلامية.

- و (التفسير الوجيز) هذا يقتصر على بيان الآية إجمالاً، وعلى سبب نزولها الصحيح إن وجد، مع تجنب الإسرائيليات، والتزام أدق ما توصلت إليه كتب التفسير، القديمة منها والحديثة، وما أحاطت به من التفسير بالمأثور والمعقول المنسجم مع أصول البيان في اللغة العربية، ومقاصد الشريعة، واتباع منهج السلف الصالح في الاعتقاد.

- ومن المعلوم أن ترتيب القرآن العظيم واجب، فيحتاج إلى تعلم علم التجويد ومعرفة قواعده على يد أستاذ متقن، إذ لا بد من معرفة أصول التجويد نظرياً وعملياً، كما جاء في ختام هذا المصنّف.

- أسأل الله سبحانه أن يلهم المسلمين قاطبة حكماً ومحكمين العمل التام لتحقيق السعادة في الدارين، فإنه الكتاب الإلهي الحكيم، كما قال الله تعالى: ﴿... وَإِنَّ لِكِتَابٍ عَزِيزٍ. لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ، مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ، تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت: ٤١/٤٢-٤٣].



سورة الفاتحة

«أعوذ بالله من الشيطان الرجيم» أي التجمي إلى الله مستجيراً به من الشيطان المطرود من رحمة الله والخير، لئلا يضرني في شيء.

١- ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ أي أبتدئ تلاوتي مستعيناً باسم الله وذاته، المتصف بالرحمة والإحسان وموصلهما إلى المنعم عليه، والرحمن أشد مبالغة من الرحيم، واسم الله يطلق على الذات والحقيقة والوجود.

٢- الثناء باللسان والقلب على جميل نعم الله، المعبود بحق، مربي العوالم كلها من الإنس والجن والملائكة والشياطين، ومالكهم ومدبر أمرهم، فهو المستحق لجميع المحامد بالقلب واللسان.

٣- واسع الرحمة ودائم الرحمة في الدنيا والآخرة.

٤- مالك الأمر كله في يوم الحساب والجزاء، والمتصرف فيه وحده.

٥- نخصك يا الله بالعبادة، وبالاستعانة، فلا نعبد غيرك، ولا نستعين إلا بك.

٦- وقفنا إلى الطريق القويم الواضح غير المعوج، وهو الإسلام والإيمان.

٧- طريق الذين أنعمت عليهم من الملائكة والنبیین والصدیقین والشهداء والصالحین، غیر أولئك الذین غضبت عليهم، الحائذين كبراً عن طريق الحق والاستقامة، البعيدين جهلاً عن جادة الصواب، من أتباع المذاهب والملل الأخرى غير الإسلام، وأهل الفسق والنفاق.

- «أمين» اللهم استجب لنا.

فضل الفاتحة: أخرج البخاري في صحيحه عن أبي سعيد بن المعلی رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ: «ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن تخرج من المسجد؟ فأخذ بيدي، فلما أردنا أن نخرج قلت: يا رسول الله، إنك قلت: لأعلمتك أعظم سورة في القرآن، قال: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة ٢/١] هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته».

وأخرج ابن حبان في صحيحه، والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في مسير، فنزل ونزل رجل إلى جانبه، فالتفت النبي ﷺ، فقال: «ألا أخبرك بأفضل القرآن؟» قال: بلى، فتلا: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾ [الفاتحة ٢/١].

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ
 الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ
 إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ
 اقْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ
 صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ
 غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا الضَّالِّينَ

سورة البقرة

فضل السورة: أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تجعلوا بيوتكم مقابر، إن الشيطان ينفر من البيت الذي تقرأ فيه سورة البقرة». وأخرج مسلم عن أبي أمامة الباهلي رضي الله عنه أيضاً: أن رسول الله ﷺ قال: «اقرأوا سورة البقرة، فإن أخذها بركة، وتركها حسرة، ولا تستطيعها البطلة» أي السحرة.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اللَّهُمَّ ذَلِكِ الْكِتَابِ لَارْتِيَابٍ فِيهِ هُدًى
 لِلْمُتَّقِينَ ۝ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ
 وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝
 وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ
 مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝ أُولَئِكَ
 عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝

١- الم: هذه الأحرف وأمثالها من أوائل السور
 جيء بها بياناً لإعجاز القرآن، وإثبات كونه كلام

الله، بتحدي العرب للإتيان بمثله أو بمثل أقصر سورة منه، وبيان عجزهم عن مجاراته، علماً بأنه مركب من الحروف العربية التي ينطقون بها، وينظمون بها كلامهم.

٢- هذا هو القرآن العظيم، الذي لا شك في أنه من عند الله تعالى، وأنه هداية وإرشاد للخير، يرشد الذين اتقوا ربهم بامتنثال الأوامر الإلهية واجتناب النواهي وترك المعاصي، فهم المتفجعون به، وهي أوصاف ثلاثة للقرآن.

٣- أوصاف المتقين ستة: يصدقون تصديقاً جازماً كاملاً بكل الغيبات، كالملائكة والجن والبعث والنشور والحساب وغير ذلك من أهوال القيامة، ويؤدون الصلاة كاملة بأركانها وشرائطها، والخشوع فيها لله ويدومون عليها في أوقاتها، ويؤتون مما رزقهم الله حلالاً طيباً الزكاة المفروضة، والصدقات المندوبة في سبيل الله، والنفقات الواجبة على الأقارب وغيرهم.

٤- ويوقنون بما أوحى إليك أيها النبي من القرآن، وبما أوحى إلى الرسل من قبلك، من الكتب السابقة، ويصدقون بالدار الآخرة وما فيها من بعث وجنة ونار وحساب وصراف وميزان، ويؤمنون بكل ذلك إيماناً لا شك فيه.

٥- أولئك المتصفون بالصفات المذكورة، وهم المتقون، المؤمنون بالغيب، المؤدون الفرائض، هم أهل الهداية والإرشاد، الفائزون بسعادة الدارين، الناجون من النار.

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ خَتَمَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَعَلَى سَمْعِهِمْ وَعَلَى أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةً وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ ءَأَمَّنَّا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَمَا يُخَادِعُونَ اللَّهَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ كَمَا كَانُوا يُكْفَرُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ﴿١١﴾ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِن لَّا يَشْعُرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا كَمَا ءَامَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا ءَامَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِن لَّا يَعْلَمُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ءَامِنُوا قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُسْلِمُونَ وَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَعْرُوفٍ وَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَعْرُوفٍ وَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَعْرُوفٍ وَإِنَّمَا نَحْنُ بِمَعْرُوفٍ فِي طَعْنِهِمْ يَمْحُومُونَ ﴿١٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَوْلَا إِتْرَافُهُمْ لَمُنَّكَرٌ مَّا فَارِجٌ تَجْرَلْتُمْ بِهَا وَكُنْتُمْ مُخْلِجُونَ ﴿١٥﴾

٦- إن الذين أصروا على كفرهم وجحودهم وحادانية الله وإنكار رسالتك يا محمد، لا يفيدهم شيئاً إنذارك، فسواء أهدرتهم وأخفتهم أم لم تحذرهم، لا يصدقون برسالتك، لاتباعهم أهواءهم.

٧- طبع الله على قلوبهم بكفرهم، فلا ينفذ إليها الإيمان، ولا يسمعون الحق، ولا يبصرون الهدى، ولا يعقلون، ولهم عذاب شديد مؤلم. وسبب نزول هاتين الآيتين - كما أخرج الطبري عن ابن عباس والكلبي - أنهما نزلتا في رؤساء اليهود، منهم حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ونظراؤهما.

٨- بعد أن ذكر الله صفات المؤمنين وصفات الكافرين، ذكر صفات المنافقين: وهم الذين يظهرون الإسلام، ويبطنون الكفر، فهم غير مؤمنين، في الدرك الأسفل من النار.

٩- يخادعون من لا يخدع بإظهار غير ما في النفس للتمويه، فهم في الواقع خادعون لأنفسهم، والله يعلم بواطنهم.

١٠- في قلوبهم فساد الاعتقاد، إما شكاً ونفاقاً، أو جحوداً وتكديباً، فزادهم الله مرضاً آخر هو الحسد والحقد، بسبب إعلاء كلمة الله وتثبيت قواعد الإسلام، ونصر المؤمنين، ولهم عذاب موجه بسبب كذبهم وادعائهم الإيمان في الظاهر.

١١- وإذا قيل لهم: لا تفسدوا في الأرض بالنفاق وموالاته الكفار، وتفريق المؤمنين، ادعوا أنهم مصلحون.

١٢- إنهم هم المفسدون حقاً، لمخالفتهم أوامر الله ولعاصيهم، ولكنهم لا يدركون أنهم مفسدون حقيقة، لتمكن الفساد في قلوبهم.

١٣- وإذا طلب منهم الإيمان، أبوا التشبه بالمؤمنين، ووصفهم بالسفة: وهو الطيش وخفة العقل، وهم السفهاء في الواقع: الجهال السخفاء، من غير أن يعلموا حقيقة أمرهم.

١٤- وإذا قابلوا المؤمنين أظهروا إيمانهم، وإذا خلوا إلى رؤسائهم في الكفر، قالوا: نحن ثابتون على الكفر، مستهزئون بالمسلمين بإظهار الموافقة لهم.

١٥- الله يجازيهم على استهزائهم ويستخف بهم، ويملي لهم ويزيدهم في ضلالهم، ويترددون بين الكفر والإيمان تحيراً وقلقاً.

١٦- أولئك الذين استبدلوا الضلالة بالهدى، واختاروا الكفر وتركوا الهداية، فما ربحوا في تجارتهم باتباعهم الكفر بدل الإيمان، وما كانوا مهتدين إلى الحق والصواب في شرائهم الكفر بالإيمان.

١٧- مثل هؤلاء المنافقين في إصابتهم الإسلام، كمن أوقد ناراً ينتفع بها مع رفاقه، فلما أضاءت بهم النار، انطفأت، وأظلم ما حولهم، وأذهب الله نورهم، وتركهم يتخبطون في ظلمات الشك والفساق، لا يبصرون طريق الحق، ولا يعرفون الخير من الشر.

١٨- إنهم صُمُّ عن الحق، لا يسمعون منادياً، حُرْسٌ لا يتكلمون، عُمي عن طريق الهدى لا يرونه، فلا يرجعون عن غيهم وضلالهم.

١٩- ومثل هؤلاء المنافقين في تشبيهه آخر كمثل أصحاب مطر غزير، تخلله رعد شديد ويرق خاطف، يتقون الصواعق: وهي الأصوات الشديدة المهلكة بما فيها من نار حارقة، خشية الموت، بما لا يقيةهم منه، والله محيط بالكافرين في قبضته، لا يفلتون من قدرته وعقابه. وسبب نزول هذه الآيات - كما ذكر الطبري عن ابن مسعود وابن عباس وغيرهما - أن ناساً دخلوا في الإسلام بعد الهجرة، ثم نافقوا، فكان مثلهم كمثل رجل كان في ظلمة، فأوقد ناراً، ثم انطفأت، وكمثل من تعرض لمطر شديد مصحوب بالرعد والصواعق والبرق فحاول اتقاءها من الخوف، ثم تركها وعاد لكفره، فصار لا يعرف الحلال من الحرام، ولا الخير من الشر،

وهكذا مثل المنافق كان في ظلمة الشرك، فأسلم، ثم عاد تائهاً. والمثل الأول لسرعة انكشاف أمرهم، والمثل الثاني لخيرتهم وقلقهم.

٢٠- المنافقون في انتهازيتهم كمثل المعرض للبرق، يمشون في النور، ويقفون في الظلام، فإذا صلحت أحوالهم المادية واستفادوا من النعم، أعلنوا إيمانهم واستقاموا على الإسلام، وإذا أصابهم البلاء، توفسوا عن السير، وسخطوا وارتدوا كفاراً وأظهروا نفاقهم، والله قادر لا يعجزه شيء، فلو شاء لأذهب أسماعهم وأبصارهم.

٢١- أيها الناس جميعاً أعبدوا الله وحده الذي أوجدكم، وأوجد من قبلكم من الأمم السابقة، لتتقوا عقابه، وتفوزوا برضائه.

٢٢- والله هو الذي جعل لكم الأرض وطاء للاستقرار عليها والحياة فيها، وجعل السماء محكمة البناء والنظام كالقبة أو السقف، فلا تقع على الأرض، وأنزل الماء من السحاب، فأخرج به مختلف الثمار وأنواع النبات للتمتع والطعام، فلا تتخذوا شركاء لله تعبدونهم كعبادته، وأنتم تعلمون أن الأنداد (الأمثال) لم يخلقوكم ولم يرزقوكم، وأن الله هو الخالق الرازق.

٢٣- وإن كنتم في شك من إنزال القرآن على محمد ﷺ فأتوا بمثل أي سورة منه مهما صغرت، وأدعوا أناساً يشهدون لكم أنكم على حق، إن كنتم صادقين في ادعائكم، وهذا تحدٍ مسافر من الله.

٢٤- فلإن لم تستطيعوا، وعجزتم عن الإتيان بسورة من مثله، فاحذروا نار جهنم بالإيمان وأداء الفرائض واجتنب النواهي، تلك النار التي حطبها الذي توقده به: الناس الكفار، والحجارة الأصنام المعبودة، وهيئت للجاحدين الكفرة.

مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾ صُمُّ بَعْضُهُمْ عَمَىٰ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿١٨﴾ أَوْ كَصَيْبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصْغَبًا مِّنْ أَضْوَانِهِمْ مِّنَ الصُّورِ حَذَرِ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ يَكَادُ اللَّذْقُ يَخْطِفُ أَبْصَرَهُمْ كُلًّا أَضَاءَتْ لَهُمْ مَنَاسِقُ فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَذَهَبَ بِسَمْعِهِمْ وَأَبْصَرِهِمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يَسْأَلُهَا النَّاسُ عِبْدًا وَأَرْجَبًا مِّمَّنْ الَّذِي خَلَقَهُم وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِمَّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْزَنُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٤﴾

٢٥- وبشر أيها النبي المؤمنين الذين عملوا بالأعمال الصالحة المفروضة عليهم والندوبة باليساتين الخضراء، التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومساكنها، كلما رزقوا من ثمراتها اليانعة، قالوا: هذا مثل أرزاق الدنيا في الجودة والحسن، ولقد قدم لهم في وضع يشبه بعضه بعضاً في اللون والحجم والمنظر والطعم والرائحة، فإذا أكلوا وجدوه مخالفاً لطعم سابقه، ولهم في الجنة أزواج مطهرون من سائر الأذناس الحسية، والمعنوية كالفواحش، وهم مقيمون في نعيم دائم لا ينقطع.

٢٦- إن الله لا يترك ضرب المثل بالبعوضة ونحوها صغيراً وكبيراً للعلظة والعبرة، فالمؤمنون يعلمون أنه المثل الحق الثابت غير الباطل المنزل من الله، والكافرون يسخرون من هذا المثل ويستخفون بفائدته، والله يريد بهذا المثل إضلال قوم وهداية آخرين، ولكن الإضلال للفاستقين، أي الخارجين عن طاعة الله، إنهم فسقوا فأصلهم الله بفسقهم. نزلت هذه الآية - كما ذكر الطبري - لما طعن الكفار في كون القرآن من كلام الله قائلين: إن الله يستحي أن يضرب المثل بالشيء الحقيقير كالذباب والنمل والنحل والعنكبوت، فذلك لا يليق بكلام الفصحاء.

وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَنُؤُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥﴾

﴿٢٦﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَبْعُوضَةً فَآفَرُقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا بِيضُلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ ﴿٢٦﴾ الَّذِينَ يَفْضُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٢٧﴾ كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنْتُمْ أَمْوَانًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ نُؤِ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ كُلِّ شَيْءٍ عَالِمٌ ﴿٢٩﴾

٢٧- الفاسقون: هم ناقضو العهد الذين يخالفون ما أمر الله به وعاهدهم عليه من الإيمان به، من بعد توثيق العهد وتأكيده على ألسنة الرسل جميعاً، ويقطعون الرحم والقرابة وموالات المؤمنين، ويعملون في الأرض بالمعاصي وإعاققة الناس عن الإيمان برسالة محمد ﷺ، وأولئك هم أهل النار.

٢٨- كيف تجحدون وجود الله وقدرته ونعمه وتعبدون غيره؟ والله هو الذي أحياكم وخلقكم بعد أن كنتم معدومين، ثم يميتكم في الدنيا عند انتهاء آجالكم، ثم يحييكم بالبعث يوم القيامة، ثم تحشرون إلى الموقف بين يدي الله، فيجازيكم بأعمالكم.

٢٩- والله وحده هو الذي خلق لكم جميع ما في الأرض للانتفاع به من حيوان ونبات وجماد وغيرها، ثم استوى استواء يليق به، والاستواء: الارتفاع والعلو على الشيء، فعدّل وأنقن خلق سماوات سبع على أحسن وجه، فلا اعوجاج فيها، والسماوات: هي المرتفعات الشاهقات ذات الطبيعة المخالفة لطبيعة الأرض، والسماوات: ما يقابل الأرض، والله عالم بجميع أموركم وأحوالكم، وبما خلق في الأرض وفي السماء. والآيات تدرجت من ذكر المبدأ والمنتهى، إلى بيان البرهان على البعث، إلى توجيه النفوس نحو الإيمان بسبب تفرّد الله بالقدرة على الخلق والإعادة.

٣٠- واذكر أيها النبي لقومك حين قال ربك للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة هو آدم، استخلفته في عمارة الأرض وفي تنفيذ أحكامي، فقال للملائكة في نفوسهم: أتجعل فيها من يفسد فيها بالشرك وفعل المعاصي؟ وقد علموا ذلك بتعليم الله بوجه ما، والمعنى أتجعل فيها من يريق الدماء المحرمة بالقتل والأذى والعدوان، ونحن شاكرون حامدون لك، ونزهك عما لا يليق بك؟ قال: أعلم ما لا تعلمون أنه سيكون من الخليفة أنبياء وصالحون.

٣١- وعلم الله تعالى آدم أسماء المسميات والمخلوقات كلها، ثم سأل الملائكة عن تلك الأسماء التي تعلمها آدم- معبراً عنها بضمير العقلاء- فقال: أخبروني عنها إن كنتم صادقين في ادعائكم أنكم أحق بالخلافة من غيركم، فعجزوا.

٣٢- قالت الملائكة بعد إعلان عجزهم وقصورهم: يارب، تنزيهاً لك، لا يعلم الغيب سواك، ولا علم لنا إلا بتعليمك، إنك أنت العليم بكل شيء، الحكيم بكل صنع.

٣٣- أمر الله آدم بإخبار الملائكة بأسماء المخلوقات التي عجزوا عن معرفة أسمائها، فلما أخبرهم بها، قال الله تعالى للملائكة: ألم أخبركم بأني أعلم ما غاب في السموات والأرض عنكم، وما هو مشاهد لكم أيضاً، وأعلم ما تظهرون من أقوالكم، وما تخفون في نفوسكم.

٣٤- واذكر أيضاً أيها الرسول لقومك حين أمرنا الملائكة بالسجود لآدم سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة وتعظيم، فسجدوا جميعاً إلا إبليس الذي كان من الجن، فرفض السجود وتعاضم في نفسه، وكان في علم الله كافراً، لمخالفته أمر الله تعالى وتكبره عن السجود لآدم.

٣٥- واذكر كذلك أيها الرسول حين قلنا لآدم: اتخذ الجنة مسكناً مع زوجتك حواء، وكُلَا منها أكلاً هيناً لا عناء فيه، من أي مكان ومن أي ثمرة، ولا تقربا هذه الشجرة: الكرمة أو التين أو الخنطة أو غيرها، فلا تأكل منها، فتكونا من الظالمين لأنفسكم بالمعصية.

٣٦- فأوقعهما الشيطان في الزكة وهي الخطيئة، وأبعدهما عن الجنة، وأخرجهما مما كانا فيه من نعيم الجنة، بسبب إغوائه وسوسته وادعائه أنها شجرة الخلد، فقلنا لآدم وحواء وإبليس: انزلوا إلى الأرض، يعادي بعضكم بعضاً من ذرية آدم وإبليس، عداوة إيمان وكفر إلى يوم القيامة، ولكم في الأرض منزل استقرار، ومنفعة ومعاش وتمتع إلى أجل هو الموت في الدنيا.

٣٧- فآلهم الله آدم كلمات قالها، هي ﴿ربنا ظلمنا أنفسنا وإن لم تغفر لنا وترحمنا لنكونن من الخاسرين﴾ [الأعراف ٧/ ٢٣] فقبل الله توبتهما، إنه سبحانه كثير القبول للتوبة، الرحيم بعباده التائبين.

وَإِذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٣٢﴾ قَالَ يَا آدَمُ أَنْبِئْهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ فَلَمَّا أَنْبَأَهُمْ بِأَسْمَائِهِمْ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ الْغَيْبُ السَّمْعَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَعْلَمُ مَا تُدْرُونَ وَمَا كُنْتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٤﴾ وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٥﴾ فَأَزَلَّهُمَا الشَّيْطَانُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ وَقُلْنَا اهْبِطُوا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَى حِينٍ ﴿٣٦﴾ فَتَلَقَى آدَمُ مِنْ رَبِّهِ كَلِمَاتٍ فَتَابَ عَلَيْهِ إِنَّهُ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿٣٧﴾

قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٩﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِنِّي فَازِهُونٌ ﴿٤٠﴾ وَإِنَّمَا أَنزَلْتُ الْمَصِيدَ لِقَابِكُمْ مَعَكُمْ وَلَا تَتُكْرَرُوا أَوْلَٰكُمْ بِمِثْلِهِ وَلَا تَشْتَرُوا بِآيَاتِي ثَمَنًا قَلِيلًا وَإِنِّي فَاتِقُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا تَلْسَبُوا الْحَقَّ بِالْبُاطِلِ وَكُفُّوا الْحَقَّ وَأَنشُرْ تَعْلُونَ ﴿٤٢﴾ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَمَرْنَا النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَسْوَأِ أَنفُسِكُمْ وَأَنَّا نُفَسِّسُ لَكُمْ فِي الْكِتَابِ لَقَوْلَ فَلَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ وَأَسْتَسِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ ﴿٤٥﴾ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلْقَاوَاتِهِمْ وَإِنَّهُمْ إِلَّا الْيَوْمَ يَحْزَنُونَ ﴿٤٦﴾ يٰٓبَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ وَأَتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٨﴾

٣٨ - قال تعالى للمخالفين أوامره: اهبطوا من الجنة، فإن أتاكم مني هدى: وهو كتاب الله، فمن قبل به وعمل، فلا خوف عليهم من العذاب في الآخرة، ولا هم يحزنون عما فاتهم في الدنيا.

٣٩ - وأما الذين كفروا بالله، وجحدوا وحدانيته، وأعرضوا عن هدايته وكتبه المنزلة، وكذبوا بالقرآن، فأولئك هم أهل النار، مقيمون فيها، لا يخرجون منها إلى الأبد.

٤٠ - يا أولاد يعقوب، اذكروا نعمتي عليكم وعلى آبائكم بإنقاذكم من الغرق ومن ظلم فرعون، وتظليل الغمام، وإنزال الكتاب، واصطفاء الرسل منكم وغير ذلك، وأوفوا بعهدي إليكم في التوراة باتباع محمد ﷺ، أحقق لكم ما ضمنتم لكم من الجزاء الحسن والثواب الجزيل على الطاعة، وخافوني ولا تخافوا أحدا سواي.

٤١ - وصدقوا بالقرآن الذي أنزلته على محمد ﷺ المصدق للتوراة في التوحيد وأصول الاعتقاد والفضائل، ولا تكونوا أول من كفر، ولا تستبدلوا بآياتي الأمرة والنهي آيات أخرى محرقة، ولا تبيعوها بعرض قليل ورياسة زائفة، وثمن بخس من حطام الدنيا، وخافوني واحذروا عقابي، ولا تخافوا أحدا غيري.

٤٢ - ولا تخلطوا الحق من الدين بالباطل من عندكم، والصدق بالكذب، ولا تخفوا حجج الله التي أوجب عليكم تبليغها، ومنها البشارة المدونة في كتابكم ببعثة النبي محمد ﷺ وصفاته، وأنتم تعلمون أنه رسولي، والقرآن كتابي وكلامي.

٤٣ - وأقيموا الصلاة المفروضة على المسلمين، وأدوا الزكاة الواجبة للمستحقين، واخضعوا لأوامر الله، وصلوا جماعة مع المصلين، وأتموا الركوع معهم؛ لأن اليهود لا ركوع في صلاتهم.

٤٤ - يا أحبار اليهود، كيف تأمرون الناس بطاعة الله وكل ما فيه خير؛ وتتركون أنفسكم فلا تأمرونها بالبر والطاعة، وأنتم تقرؤون التوراة التي تحرم القول من غير فعل، أفلا تدركون تناقضكم وسوء فعلكم؟! وسبب النزول: قال السدي: كان بنو إسرائيل يأمرون الناس بطاعة الله ويتقواه وبالبر، ويخالفون، فعيرهم الله عز وجل.

٤٥ - واستعينوا بالصبر على الطاعات ومنع النفس من الشهوات، وبالصلاة في أوقاتها مع الخشوع، لما فيهما من ضبط النفس وتحمل المشاق ونبذ الشر وفعل الخير، وإن كانت الصلاة لشاقة ثقيلة إلا على الخاضعين الذين ذلت نفوسهم لعظمة الله وخافت من عذابه.

٤٦ - الذين يوقنون أنهم يلقون ربهم، فيجزئهم أجورهم ويزيدهم من فضله، وأنهم عائدون إلى الله للحساب والجزاء.

٤٧ - يا بني يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم تذكروا نعمتي عليكم، فقوموا بحقها، وآمنوا برسولي، وتذكروا نبي فضلتكم على العالمين في زمانكم.

٤٨ - واتقوا عذاب يوم القيامة، الذي لا تغني فيه نفس عن نفس شيئا، ولا تقبل فيه شفاعة الشفعاء عند الله لمن مات على كفره، ولا يقبل منها فدية بدل العذاب، ولا يجدون أحدا يعينهم ويمنع عنهم عذاب الله تعالى.



٤٩- واذكروا وقت أن أنجينا آباءكم - وذلك فضل على الأبناء - من جماعة فرعون : وهو لقب لمن ملك مصر قديماً قبل البطالسة ، يذيقونكم أشد العذاب ، يقومون بذبح أبناءكم ، وترك نسائكم أحياء للخدمة والمهنة ، لقول بعض الكهنة لفرعون : إن مولوداً من بني إسرائيل ، يكون هلاكك وذهاب ملكك على يده ، وفي ذلك المذكور من الشر والعذاب ، والإنجاء من آل فرعون شديد لترحوا إلى ربكم .

٥٠- واذكروا أيضاً نعمتنا عليكم حين شققنا لكم البحر الأحمر حتى صار يابساً تمشون على أرضه ، فأنجيناكم من البحر ، وأغرقنا فرعون وقومه ، وأنتم تنظرون إليهم وهم يفرحون .

٥١- واذكروا مواعيدنا لموسى ، وهي وعد من الله وقبول من موسى ، بأن يأتي إلى الطور بعد أربعين ليلة ، ليكلمه الله ويوحى إليه ، ويعطيه التوراة لتعملوا بها ، ثم اتخذتم أيها الإسرائيليون العجل لها ، صاغة لكم السامري ، فعبدموه في غيبة موسى وذهابه إلى الطور لتلقي التوراة ، وأنتم ظالمون لأنفسكم بعبادتكم العجل من دون الله تعالى .

٥٢- ثم محونا ذنوبكم وعفونا عنكم ، من بعد عبادتكم العجل ، لكي تشكروا فضل ربكم وعفوه عنكم .

٥٣- واذكروا حين آتينا موسى التوراة ، وهو الكتاب الفارق بين الحق والباطل والحلال والحرام ، لكي تهتدوا به ، وتعملوا بما جاء فيه .

٥٤- واذكروا حين قال موسى لقومه عبدة العجل : إنكم ظلمتم أنفسكم بعبادة العجل ، فتوبوا إلى خالقكم ، بقتل بعضكم بعضاً ، فذلك خير لكم عند خالقكم للنجاة من عذاب الآخرة ، فقتلوا حتى قتل منهم سبعون ألفاً ، ثم أوقف القتال بأمر الله لموسى ، وغفر الله لمن قتل ، وتاب على من بقي ، إن الله كثير القبول للتوبة ، رحيم بعباده التائبين .

٥٥- واذكروا حين قال السبعون الذين اختارهم موسى لشاهدة الوحي وتلقي التوراة في الطور : لن نصدقك بما جئتنا به ، حتى نرى الله عياناً بأبصارنا ، فنزلت عليهم نار من السماء فأهلكتهم ، وأنتم ترون ذلك معاينة . وسبب ذلك : طلبهم ما لم يأذن به الله من رؤيته في الدنيا ، أما في الآخرة فإن العباد يرون ربهم ، بدليل الأحاديث المتواترة القطعية الدلالة .

٥٦- ثم أحبيتكم بعد إيمانكم بالصاعقة ، لكي تشكروني على نعمتي عليكم بإحيائكم .

٥٧- وفي مدة التيه في الصحراء بين مصر والشام جعلنا عليكم الغمام (السحاب) كالمظلة يقيكم حر الشمس ، لما امتنعوا من دخول مدينة الجبارين ، وأنزلنا عليكم المن : مادة حلوة كالعسل تشكل مع الندى (الظل) على الشجر ، والسلوى : هو الطير السمائي ، يذبحونه ويأكلونه ، كلوا من لذات الطعام في هذه الصحراء المقفرة ، وما ظلمونا بعصيانهم أمرنا ، وكفرهم نعمنا ، ولكن ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب .

وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ابْنِ مَرْيَمَ عَهْدَ رَبِّهِمْ فَكُفُّوا عَنْهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّهُمْ قَوْمٌ مُّسْرِقُونَ ﴿١٧٠﴾
وَإِذْ نَادَىٰ مُوسَىٰ رَبَّهُ فَأَجَابَ اللَّهُ صَوْتَهُ بِآيَاتِهِ الْكُبْرَىٰ ﴿١٧١﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ جِبْرِيلُ نَفْسَهُ وَقَالَ بَلِّغْ رِسَالَاتِ اللَّهِ هَذِهِ آيَاتُ اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُحَدِّثُهَا وَأَنْتَ حَكِيمٌ ﴿١٧٢﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ زَكَرِيَّا إِيمَانَهُ هَتَأْتُهُم بَعْضَ آلِهَتِنَا لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذْهَبْتُمْ آلِهَتَكُمْ وَذَرَبْتُمْ عَنْهَا ظُهُورَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٣﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ آدَمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ الشَّيْطَانَ مَقْصَدَ آلِهَتِهِمْ فَاقْتَدَاهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧٤﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ زَكَرِيَّا إِيمَانَهُ هَتَأْتُهُم بَعْضَ آلِهَتِنَا لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذْهَبْتُمْ آلِهَتَكُمْ وَذَرَبْتُمْ عَنْهَا ظُهُورَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٥﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ زَكَرِيَّا إِيمَانَهُ هَتَأْتُهُم بَعْضَ آلِهَتِنَا لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذْهَبْتُمْ آلِهَتَكُمْ وَذَرَبْتُمْ عَنْهَا ظُهُورَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٦﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ زَكَرِيَّا إِيمَانَهُ هَتَأْتُهُم بَعْضَ آلِهَتِنَا لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذْهَبْتُمْ آلِهَتَكُمْ وَذَرَبْتُمْ عَنْهَا ظُهُورَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٧﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ زَكَرِيَّا إِيمَانَهُ هَتَأْتُهُم بَعْضَ آلِهَتِنَا لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذْهَبْتُمْ آلِهَتَكُمْ وَذَرَبْتُمْ عَنْهَا ظُهُورَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٨﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ زَكَرِيَّا إِيمَانَهُ هَتَأْتُهُم بَعْضَ آلِهَتِنَا لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذْهَبْتُمْ آلِهَتَكُمْ وَذَرَبْتُمْ عَنْهَا ظُهُورَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧٩﴾
وَإِذْ أَخَذْنَا مِنْ آلِ إِبْرَاهِيمَ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَرَأَىٰ زَكَرِيَّا إِيمَانَهُ هَتَأْتُهُم بَعْضَ آلِهَتِنَا لِئَلَّا يَكْفُرُوا بِنِعْمَتِ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَذْهَبْتُمْ آلِهَتَكُمْ وَذَرَبْتُمْ عَنْهَا ظُهُورَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٠﴾

٥٨. واذكروا أيضاً نعمتنا عليكم حين قلنا لآبائكم بعد خروجهم من التيه: ادخلوا بيت المقدس، واكلوا منها حيث اردتم اكلأ هنيئاً كثيراً واسعاً، وادخلوا باب بيت المقدس منحنيين خاشعين تواضعاً لله تعالى، وهو نوع من سجدة الشكر، وقولوا: حطة، أي نطلب منك يا رب إسقاط خطايانا وغفرانها، وستزيد المحسنين منكم بالشكر وطلب المغفرة إحساناً وثواباً وفضلاً.

٥٩. فبدل الظالمون منهم كلامهم المقول لهم، وقالوا: «حنطة» أو «حبة في شعرة» بدل «حطة» [البقرة ٥٨/٢ والأعراف ١٦١/٧] ودخلوا يزحفون على أستاههم، فأنزلنا على الظالمين أنفسهم بما خالفتهم أمرنا عذاباً من السماء بسبب عصيانهم وخروجهم عن الطاعة.

٦٠. واذكروا كذلك حين عطش آباؤكم في صحراء التيه، فطلب موسى لهم السقيا، فقلنا له: اضرب الحجر بعصاك، فاضربه بها، فأخرج الله الماء من الصخر، آية من الله، ونعمة عليهم، حينما فقدوا الماء، وخرج اثنتا عشرة عيناً من الماء بعدد الأسباط، لكل سبط عين لا يتعدها إلى غيرها، والأسباط: ذرية الاثني عشر من أولاد يعقوب، وقلنا لهم: كلوا المن والسلوى، واشربوا الماء المتفجر من الحجر، ولا تكثروا الفساد في الأرض.

وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَداً وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّداً وَقُولُوا حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَيِّدُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ قَبْلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَنْزَلْنَا عَلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ اسْتَسْقَى مُوسَى لِقَوْمِهِ فَقُلْنَا اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْفَجَرَتْ مِنْهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنثَىٰ مِنْهُمْ كَيْفَ كَلَّمُوا وَاسْمُرُوا مِنَ رَبِّهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى إِذْ جَاءَكَ الْمَاءُ فَانفجر من تحت الحجر اثنتا عشرة عيناً فقالوا ليس لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وعشباؤها فويل لها وعدسها وبصلها قال أئن ما لتبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير أهبطوا مبصرًا فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباءه بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴿٦١﴾

٦١. واذكروا أيها اليهود حين قال أسلافكم: يا موسى، لن نستطيع الصبر على طعام واحد من المن والسلوى، لتكررهما كل يوم، فاسأل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من خضارها ويقولها كالنعناع والكرفس والخيار، وقمحها أو ثومها، وعدسها وبصلها المعروفين، قال: أتطلبون ما هو أحسن وأحقق بدلاً مما هو أحسن وأفضل، وهو المن والسلوى اللذان هما ألد وأطيب، ومن عند الله بغير واسطة أحد، ادخلوا بلاداً زراعياً، ففيها تجدون ما طلبتم من البقل والثوم وغيرهما، وأصبحوا في ذل وفقر وحاجة، وإن كانوا أغنياء، ورجعوا مستحقين غضب الله، وذلك كله بسبب كفرهم بالله، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً بغير حق، كشعيب وذكريا ويحيى، وهم يعلمون أنهم ظالمون يقتلهم، وذلك العقاب بسبب عصيانهم وأمر الله، واعتدائهم على أنبيائه.

٦٢. واذكروا أيها اليهود حين قال أسلافكم: يا موسى، لن نستطيع الصبر على طعام واحد من المن والسلوى، لتكررهما كل يوم، فاسأل لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من خضارها ويقولها كالنعناع والكرفس والخيار، وقمحها أو ثومها، وعدسها وبصلها المعروفين، قال: أتطلبون ما هو أحسن وأحقق بدلاً مما هو أحسن وأفضل، وهو المن والسلوى اللذان هما ألد وأطيب، ومن عند الله بغير واسطة أحد، ادخلوا بلاداً زراعياً، ففيها تجدون ما طلبتم من البقل والثوم وغيرهما، وأصبحوا في ذل وفقر وحاجة، وإن كانوا أغنياء، ورجعوا مستحقين غضب الله، وذلك كله بسبب كفرهم بالله، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً بغير حق، كشعيب وذكريا ويحيى، وهم يعلمون أنهم ظالمون يقتلهم، وذلك العقاب بسبب عصيانهم وأمر الله، واعتدائهم على أنبيائه.



٦٢- إن الذين صدقوا النبي ﷺ وصاروا من أتباعه، والذين صاروا يهودا، والنصارى الذين نصرروا المسيح عليه السلام، والصابئين: وهم الذين تركوا اليهودية والنصرانية وعبدوا الملائكة والنجوم، ومنهم جماعة في العراق، من آمن من هؤلاء الطوائف الأربع، إيمانا حقا بالله واليوم الآخر، وعمل صالح الأعمال التي أمر الله بها، فلهم ثواب عملهم الصالح عند ربهم يوم القيامة، ولا خوف عليهم من أهوال القيامة، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا. نزلت هذه الآية في أصحاب سلمان الفارسي، أخرج الواحدي عن مجاهد قال: لما قص سلمان على رسول الله ﷺ قصة أصحابه، قال: هم في النار، قال سلمان: فأظلمت علي الأرض، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ...﴾ قال: فكأنما كشف عني جبل.

٦٣- واذكروا يا بني إسرائيل حين أخذنا عليكم العهد المؤكد بالعمل بما في التوراة، ورفعنا فوقكم جبل الطور الذي ناجى موسى ربه عليه، وقلنا لكم: خذوا ما أمرناكم به في التوراة، بجد واهتمام، وادرسوا ما جاء في التوراة واعملوا به، لكي تتقوا عذابي، وتفوزوا برضائي.

٦٤- ثم عرضتم عن الميثاق المأخوذ عليكم، وتركتم العمل بما أمرتم، من بعد قبول الميثاق ورفع الجبل فوق رؤوسكم كأنه ظلة عليكم، فلو لا تدارككم بلطف الله ورحمته بكم، بتوفيقكم للتوبة وإعلانها، لكتتم من الهالكين في العذاب الأليم المهين.

٦٥- ولقد علمتم أيها اليهود شأن آبائكم وهم يهود إيلات الذين خالفوا أمر الله، فاصطادوا السمك يوم السبت، وكان محرما فيه، لقصره على العبادة بتشريع موسى عليه السلام، محتالين على ذلك بإقامة الأحواض يوم الجمعة، لتقع الأسماك فيها بعملية المد البحري والجزر، فمسخوا قردة وصيروا أذلاء صاغرين مبعدين مطرودين.

٦٦- فجعلنا عقوبة قرية إيلات في العقبة المخالفة عبرة مائعة من ارتكاب مثلها، للقرى الموجودة أمامها وفي عصرها، ولما يأتي بعدها، وتذكرة للمؤمنين الأتقياء الذين يأتون بعدهم إلى يوم القيامة.

٦٧- واذكروا يا بني إسرائيل حين قال موسى لقومه: إن الله يأمركم بذيح بقرة، لمعرفة قاتل شخص غني عقيم ليس له إلا وارث وحيد، وهو ابن أخيه، قتله ليرثه، ثم ألقاه على باب رجل من اليهود، ثم أصبح يدعيه عليهم، كما روى ابن أبي حاتم عن عبيدة السلماني، فقالوا للموسى: أتتهأ بنا، وتسخر منا؟ فقال لهم: أستجير بالله أن أكون من السفهاء أهل الجهل الذين يكذبون على الله، فكيف أنسب إليه أمر لم يأمر به؟!

٦٨- قالوا: أسأل ربك أن يبين لنا صفة هذه البقرة، قال: إنه يقول: إنها بقرة، لا مسنة ولا بكر صغيرة، متوسطة بين الاثنتين، فافعلوا ما تؤمرون لمعرفة القاتل، ولا تشددوا.

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِئِينَ
مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ
أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ
يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا
فَوْقَكُمْ الطُّورَ خُذُوا مَاءَ آيَاتِنَا كَقَوْمِ يَثْرِبَ
مَا فِيهِ لَكُمْ يُتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ فَرَأَوْهُمُ كَكُفْرٍ مِنَ الْعَدُوِّ
فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ
﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ الَّذِينَ اعْتَدُوا مِنْكُمْ فِي السَّبْتِ
فَقَالُوا لَهُمْ كُفُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿٦٥﴾ فَعَلَّمْنَاهَا
تَكْوِيلًا لَمَّا بَيْنَ يَدَيْهَا وَمَا خَلَقْنَا وَسُوعَةَ لِيُنْذِرَ
بِقُرَّةٍ قَالُوا اتَّخَذْنَا مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا
بِقُرَّةٍ قَالُوا اتَّخَذْنَا مُوسَىٰ هَرُوتًا قَالُوا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذْنَا مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ إِذْ قَالَ لِلَّهِ يُأْمُرُكُمْ أَنْ تَذْبَحُوا
بِقُرَّةٍ قَالُوا اتَّخَذْنَا مُوسَىٰ هَرُوتًا قَالُوا أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ
مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٦٨﴾

قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا لَوْثُهَا قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَاءٌ فَاقِعٌ لَوْنُهَا تَسُرُّ النَّاظِرِينَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا ادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّنْ لَنَا مَا هِيَ إِنْ الْأَبَقَرُ تَشَبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّا إِن شَاءَ اللَّهُ لَمُهتدون ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا ذَلُولَ تُشِيرُ الْإِمْرُؤْنَ وَلَا تَسْقِي الْحَرْثَ مُسَلِّمَةً وَلَا أَلْسِنَةَ فَيْهٍ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧١﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٢﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٤﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٥﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٧﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٨﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٧٩﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٠﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٢﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٣﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٤﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٥﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٦﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٧﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٨﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩١﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٢﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٣﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٤﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٥﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٧﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٨﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٩٩﴾ قَالُوا أَتَى النَّاسَ حَيْثُ وَجَدَهَا وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿١٠٠﴾

٦٩- قالوا للموسى مرة أخرى: اسأل ربك يبين لنا ما لونها؟ قال موسى: يقول الله تعالى: إنها بقرة صفراء اللون، شديدة الصفرة، تبهج الناظرين وتعجبهم في حسن منظرها ولونها.

٧٠- قالوا للموسى أخيراً: اسأل ربك يبين لنا حالة هذه البقرة، أسائمة أم عاملة؟ لأن جنس البقر تشابه علينا، لكثرة الأبقار الصفرة المتوسطة السن، فلا ندري أي بقرة يريدها الله، ونحن مهتدون بمشيئة الله إلى البقرة المطلوبة إذا أخبرتنا.

٧١- قال لهم موسى: إن الله تعالى يقول لكم: إنها بقرة غير مذللة بالعمل، فلا تحرث الأرض، ولا تستخدم في سقي الزرع، كالدواب النواضح الأخرى المستعملة لإخراج المياه من الآبار، بريشة من العيوب، خالصة الصفرة لا يخالطها لمعة أو بقعة من لون آخر، قالوا: الآن نظقت بالبيان أو الوصف التام، فوجدوها عندفتى بارئاً، فشرورها بضمن غال جداً، وذبحوها وما كادوا يفعلون، لغلاء ثمنها، ولو ذبحوا أي بقرة كانت قبل هذه الأسئلة، لأجزأتهم، ولكن شدوا، فشد الله عليهم، كما روى أبو هريرة.

٧٢- واذكروا حين قتل بعضكم نفساً، فتخاصمتم وتنازعتن فيمن هو القاتل؟ والله مظهر ما كتمتم من أمر القتل، لإخفائه على الحاكم.

٧٣- فقلنا: اضربوا القليل بأحد أعضاء البقرة المذبوحة، فضرهه، فأحياءه الله، فأخبرهم عن القاتل، وهكذا يحيى الله الأموات يوم القيامة كمثل هذا الإحياء، ويربكم علاماته الدالة على كمال قدرته، لكي تذكروا قدرة الله تعالى، وتندبروا في أمر البعث.

٧٤- ثم صلبت قلوبكم عن قبول الحق، ولم تدعن لآيات الله من بعد رؤية هذه الحادثة، فهي كالحجارة فسوة وصلابة، أو أشد فسوة منها، بل إن من الحجارة لألين من قلوبكم، فينع من بعضها ماء الأنهار، وبعضها يتصدع، فتخرج منه العيون الصغيرة، وبعضها يهوي من خوف الله كسقوط الجبل أمام موسى، وقلوبكم لا تلين، والله حافظ لأعمالكم ومجازيكم عليها يوم القيامة.

٧٥- أنظموا أيها المؤمنون أن يصدق اليهود برسالة نبيكم محمد ﷺ؟ وقد كان بعض أحيارهم يقرؤون كلام الله في التوراة، ثم يحرفونه بالزيادة أو النقص أو تبديل شيء بغيره، لتحريم الحلال، وتحليل الحرام بحسب أهوائهم، كتحريفهم صفة رسول الله ﷺ بجعله طويلاً أسمر بدلاً من «متوسط الطول أبيض» وإسقاط الحدود عن أشرافهم، يحرقونه من بعد ما فهموه بعقولهم، وهم يعلمون أنهم مبطلون كاذبون. ونزلت هذه الآية في الذين غيروا آية الرجم وصفة محمد ﷺ، كما ذكر الواحدي.



٧٦- وإذا لقي منافقو اليهود الذين آمنوا، قالوا: آمنا بأن محمداً رسول الله، وإذا اختلوا مع بعضهم، قالوا لبعضهم الذي أفشى للمسلمين ما في التوراة من صفات رسول الله ﷺ وكل ما يدل على صدقه، وأخبر بما عذّب به أبائهم: كيف تحدثون أتباع محمد بما علمكم الله في كتابكم، وبما أنزل الله عليكم في التوراة يدلالات صدقه، فيكون ذلك حجة لهم عليكم؟ أفلا تدركون أن ما تخبرون به هو حجة عليكم؟! قال ابن عباس: كانوا إذا لقوا الذين آمنوا قالوا: آمنا أن صاحبكم رسول الله، ولكنه ليكم خاصة.

٧٧- أو لا يعلم هؤلاء اليهود أن الله يعلم ما يخفون من الكفر والتكذيب، وما يظهرون من النفاق، فسواء أعلمتم أم أسرتم، فإن الله سيجازيكم على أعمالكم.

٧٨- ومن اليهود أميون لا يقرؤون ولا يكتبون، لا يعرفون من التوراة إلا أنبياء وأكاذيب تلقوها عن أحبارهم، وما هم في هذه الادعاءات والأكاذيب إلا أصحاب ظنون موهومة، لا حقيقة لها ولا علم لهم بها.

٧٩- هلاك ودمار وعذاب للذين يحرقون التوراة بأيديهم الأثيمة، فهم يعلمون أنه من عند أنفسهم، وهم يزعمون في المحافل أنه من عند الله، ويوهمون أنه من التوراة، ليقبضوا قيمة التحريف شيئاً خسيساً

من الدنيا، فعذاب لهم على التحريف والتزوير، وعذاب لهم على الأموال المكتسبة ثمن التحريف لكلام الله. نزلت الآية كما قال العباس في أحبار اليهود الذين غيروا صفة النبي ﷺ وبدلوا نعته.

٨٠- وقالت اليهود: لن تصيبنا النار إلا أياماً قليلة أربعين يوماً مدة عبادة آبائهم العجل، قل لهم أيها النبي: هل أخذتم من الله وعداً ألا يعذبكم إلا هذه المدة، وحيث لا يخلف الله وعده؟ بل في الواقع تفترون على الله الكذب. روى الطبري عن ابن عباس: أن اليهود قالوا: لن ندخل النار إلا نحلة القس، الأيام التي عبدنا فيها العجل أربعين ليلة، فإذا انقضت، انقطع عنا العذاب، فنزلت الآية.

٨١- ليس الأمر كما زعمتم أيها اليهود، بل سيدخل النار كل من كفر بالله وكذب رسوله، وكل من أشرك وارتكب خطيئة ولم يتب منها، وأحاطت به سيئته ومات على كفره، فهم أهل النار، ما كوثن فيها إلى الأبد.

٨٢- والذين آمنوا بالله وصدقوا برسالة رسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، هم أهل الجنة، مقيمون فيها على الدوام.

٨٣- واذكر أيها الرسول مضمون الميثاق المأخوذ على بني إسرائيل: وهو إفراد الله بالعبادة، والإحسان إلى الوالدين بالمعاشرة بالمعروف والتواضع لهما وامتثال أمرهما، والإحسان إلى القرابة بصلة الرحم وأداء الحقوق، والإحسان إلى الأيتام الذين فقدوا آباءهم في الصغر قبل البلوغ، وإلى المساكين الذين ليس لديهم ما ينفقون على حوائجهم، والقول الحسن للناس بالكلمة الطيبة والمعاملة الحسنة، وإقامة الصلاة في أوقاتها، وإيتاء الزكاة للمستحقين، ثم عرضتم أيها اليهود عن هذا الميثاق، فلم تعملوا به إلا العدد القليل منكم كعبد الله بن سلام وأصحابه الذين نفذوا الميثاق، وأنتم معرضون عن تنفيذه كفرًا وعنادًا.

وَإِذْ لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنُوا وَإِخْلًا بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُمْ بِمَا فَخَّرَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِتَأْخُذَكُمْ بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ أَوْ لَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ وَمِنْهُمْ أُمِّيُونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ الْأَمَانَةَ وَإِنْ هُمْ إِلَّا ظُنُونٌ ﴿٧٨﴾ قَوْلِ الَّذِينَ يُكْتَبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ وَيَقُولُونَ هَذَا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ لِيُسْرَؤْا بِهِ عِنَّا قَلِيلًا فَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَهُمْ مِمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارُ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً قُلْ أَخَذْتُمْ عِنْدَ اللَّهِ عَهْدًا فَلَنْ تُخْلَفَ اللَّهُ عَهْدَهُ وَأَمْ يَكْتُمُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ مِنْ كَسْبِ سَيِّئَةٍ وَأَحْطَتْ بِهَا حَيْضَتُهُمْ فَاتَّوَكَّلُوا عَلَيْكَ النَّارَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٨٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ إِحْسَانًا وَذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّنْكُمْ وَأَنْتُمْ مُّعْرِضُونَ ﴿٨٣﴾

٨٤- واذكروا يا معشر اليهود حين أخذنا العهد المؤكد عليكم في كتابكم التوراة ألا يقتل بعضكم بعضاً، وألا يخرجوه أو يطرده من داره كرهاً أو ظلماً، ثم اعترفتم وقبلتم بالميثاق المأخوذ عليكم، وأنتم تشهدون على أنفسكم بذلك، وتقرون بهذا العهد، وتعلمون أنه عهد الله في التوراة.

٨٥- ثم أنتم هؤلاء المشاهدون الحاضرون في عهد النبي ﷺ تخالفون ما أخذه الله عليكم في التوراة، فيقتل بعضكم بعضاً، وتعينون المشركين على أبناء دينكم، بتعريضهم للقتل وطردهم من منازلهم، بلا سبب يحل به ذلك، وإنما بالمعصية والظلم، وإن أسر الأعداء أحداً منكم، وجاءكم يطلب الفداء لنفسه، أنفذتموه من الأسر بدفع الفدية، إيماناً بما في التوراة، أي لا تنفذون من تعاليم التوراة إلا فداء الأسرى فقط، علماً بأنه محرم عليكم إخراجهم من ديارهم، وهذا توبيخ على تناقضهم؛ لأن الأسر نتيجة الإخراج من الديار، فكيف تفعلون الشيء وتبطلون نتيجته؟! وكيف تصدقون ببعض التوراة الذي يوجب المفاداة، وتكفرون ببعضه الآخر الذي يحرم القتل

وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَآتِفُونَ دِمَاءَكُمْ وَلَا تَخْرُجُونَ
أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ ﴿٨٤﴾
ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلَاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ
مِنْ دِيَارِهِمْ تَظْهَرُونَ عَلَيْهِم بِالْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن
يَأْتُوكُمْ أُسْرَى تَقْتُلُوهُمْ وَهُمْ مَحْرُومُونَ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ
أَفْوَجُؤُنَّ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ
مَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ
الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا
تَعْمَلُونَ ﴿٨٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ
فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَقَدْ
آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَفَقَّيْنَا مِنْ بَعْدِهِ بِالرِّسَالِ
وَمَا آتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ أَفَكُلَّمَا
جَاءَهُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى أَنْفُسُهُمْ اسْتَكْبَرُوا ثُمَّ فَخَرْنَا
كَذِبَتْ أَلْسِنُهُمْ وَفَتَرُوا كَذِبًا وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ
لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَأْوَاهُ سُورَةُ ﴿٨٧﴾

والإخراج؟! وذلك بسبب تحالف بني قينقاع مع الخزرج، والنضير وقريظة مع الأوس، وإعانة كل فريق حلفاء على إخوانه. فالجزء على هذا التناقض خزي وذل في الدنيا، وأشد العذاب في الآخرة بسبب التلاعب بآيات الله، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها.

٨٦- أولئك اليهود الذين استحبوا قليل الدنيا على كثير الآخرة، وباعوا نعيم الآخرة الدائم بمتاع الدنيا الزائل، فلا يخفف عنهم عذاب القيامة، ولا ينصرهم أحد فيمنع عنهم العذاب.

٨٧- ولقد آتينا موسى التوراة، وأتبعناه ببعثة أنبياء بني إسرائيل من بعده، وآتينا عيسى ابن مريم المعجزات الدالة على صدقه في آية (٤٩) من سورة آل عمران (٣) وهي إحياء الموتى وخلق الطير بإذن الله، وإبراء الأكمه والأبرص بإذن الله، والإخبار بالمغيبات، وإنزال المائدة من السماء، وإنزال الإنجيل عليه، وقويناه بروح القدس أي الطاهر وهو جبريل، أفكلما جاءكم أيها اليهود رسول بغير ما يوافق ويلاتكم أنفسكم، استكبرتم عن إجابته، احتقاراً للرسل، فريقاً كذبتم كعيسى ومحمد، وفريقاً قتلتم كزكريا ويحيى؟!!

٨٨- وقال اليهود للنبي ﷺ لما دعاهم للإسلام: قلوبنا مغلقة ومغظة بأغظية تمنعها من الاستجابة لدعوتك، وهذا دليل على أن الكفر عناد ومكابرة، لذا أبعدهم الله من رحمته بسبب كفرهم وعدم مبادرتهم إلى الإيمان، فلا يؤمنون إلا قليلاً، وهو الإيمان ببعض الكتاب، ولا يؤمن منهم إلا قليل.

٨٩- ولما جاء اليهود القرآن، مؤيداً لما معهم من التوراة والإنجيل، وكانوا قبل مجيئه يطلبون من الله النصر على أعدائهم بالنبي المبعوث آخر الزمان، الموصوف عندهم في التوراة، فلما جاءهم الرسول الذي عرفوا وصفه، كفروا به حسداً؛ لأنه ليس منهم، فاللعة على الكافرين، أي الطرد من رحمة الله. وسبب النزول: ما أخرج ابن إسحاق وابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن يهود كانوا يستفتحون على الأوس والخزرج برسول الله ﷺ قبل مبعثه، فلما بعثه الله من العرب، كفروا به، وجحدوا ما كانوا يقولون فيه، فنزلت الآية.

٩٠- بش الشيء الذي باعوا به أنفسهم، فأويقوا أنفسهم في نار جهنم، بسبب الكفر بما أنزل الله على رسوله من القرآن حسداً ومنافسة، على أن ينزل الله وحياً على نبي من غير بني إسرائيل؛ لأن محمداً ﷺ كان من العرب، وليس منهم، فرجع اليهود بسخط عليهم من الله لكفرهم برسالة محمد، على سخط سابق لتحريفهم أحكام التوراة وكفرهم بعباسي، وللكفار عذاب ذو إهانة.

٩١- وإذا قيل لليهود: صدقوا بالقرآن، قالوا: نصدق بالتوراة المنزلة علينا، ويكفرون بما سواه من الكتب الأخرى، فوراءه أي غيره، والقرآن حق مؤيد للتوراة؛ لأن كتب الله يؤيد بعضها بعضاً، قل لهم أيها النبي: إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، فكيف تقتلون أنبياء الله الذين حرم الله عليكم قتلهم؟ والخطاب وإن كان للحاضرين زمن النبي ﷺ فالمراد به أسلافهم، وصح خطابهم لرضاهم بما فعل أسلافهم، فكانوا مثلهم.

٩٢- ولقد جاءكم موسى بالمعجزات الدالة على صدقه، كقرب البحر وتظليل الغمام، وهي الآيات التسع [الإسراء ١٧/ ١٠١] ثم عبدتم العجل الذي صنعه السامري، واتخذتموه إلهاً من بعد مجيء موسى بالبيئات، وأنتم كافرون لعبادتكم ما لا يستحق العبادة.

٩٣- واذكروا أيها اليهود حين أخذنا عليكم العهد المؤكد على العمل بالتوراة، ورفعنا فوقكم جبل الطور (في الآية السابقة ٦٣) وقلنا لكم: اعملوا بالتوراة بجد واجتهاد، وأطيعوا وأقبلوا ما تؤمرون به، فقلتم: سمعنا قولك وعصينا أمرك، أي لا نقبل أمرك، وتمكن في قلوبكم أو امتزج حب عبادة العجل بسبب كفركم، قل لهم أيها الرسول: يتسما يأمركم به إيمانكم الذي زعمتم، إن كنتم مؤمنين بما أنزل عليكم، وتكفرون بما وراه.

وَلَمَّا جَاءَهُمْ كِتَابٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
وَكَانُوا مِنْ قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَمَّا جَاءَهُمْ
مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ فَلَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾ بِسْمِ
آسْرُوا بِهِ ۚ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
بَعِيثًا أَنْ يَنْزِلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
فَبَاءَ وَبِعَضِبَ عَلَى غَضَبٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿٩٠﴾
وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَوْفِينَا بِمَا
أَنْزَلَ عَلَيْنَا وَيكْفُرُونَ يَا وَيْلَتَاهُمْ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَهُمْ
قُلْ قَلِمٌ يَقْتُلونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾ وَلَقَدْ جَاءَكُمْ مُوسَى
بِالْبَيِّنَاتِ ثُمَّ أَخَذْتُمْ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ
﴿٩٢﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ وَرَفَعْنَا فَوْقَكُمُ الطُّورَ
خُذُوا مَاءً وَاتَّبِعُوا أَمْرَكُمْ وَاسْمَعُوا قَوْلَ اللَّهِ سَمِعْنَا
وَعَصَيْنَا وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْعِجْلَ بِكُفْرِهِمْ
قُلْ بِسْمِ اللَّهِ مَا يُكْرِمُهُ ۚ إِنَّكُمْ أَنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٣﴾



قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِّنْ دُونِ
النَّاسِ فَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٤﴾ وَلَنْ يَسْمَوْهُ
أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٩٥﴾
وَلَيَجْزِيَنَّ أَمْحَرَصَ النَّاسِ عَلَى حَيَاتِهِمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا
يَوْمَ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سَنَةٍ وَمَا هُوَ بِمُرْحَبَةٍ
مِّنَ الْعَذَابِ أَنْ يَتَّبِعْتُمُ اللَّهَ وَتُؤْتُوا بِالْحَقِّ كَمَا
كُنْتُمْ تُحِبُّونَ ﴿٩٦﴾ قُلْ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ لَعْنٌ إِنَّ اللَّهَ
كَانَ عَدُوًّا لِّلْجِبْرِيلِ فَأَنزَلَهُ عَلَيِّكَ قَلْبًا بِإِذْنِ اللَّهِ
مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾
مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ
وَمِيكَالَ فَإِنَّ اللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَافِرِينَ ﴿٩٨﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ ﴿٩٩﴾
أَوْ كَلَّمَا عَهْدًا وَعَهْدًا تَبَدَّلَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ بَلْ أَكْثَرُهُمْ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَلَمَّا جَاءَ هَمْرٌ رَسُولٌ مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ
مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ تَبَدَّلَ فَرِيقٌ مِّنَ الَّذِينَ آوَوْا إِلَيْكَ
كُتُبَ اللَّهِ وَرَأَى ظُهُورَهُمْ كَأَنَّهَمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

٩٤- قل لهم أيها النبي: إن كانت لكم الجنة، خاصة بكم، من دون جميع الناس كما زعمتم، فتمنوا الموت لتفوزوا بالجنة؛ لأن من كان موثقاً أنه من أهل الجنة، كان الموت أحب إليه من الحياة، إن كنتم صادقين في زعمكم. وسبب النزول: ما أخرج الطبري عن أبي العالية قال: قالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً، فنزلت الآية.

٩٥- ولن يتمنى اليهود الموت، بسبب ما فعلوه من الذنوب والآثام، كالتحريف والتكذيب؛ فهم غير آمنين من العذاب، بل ولا طامعين في دخول الجنة، والله عليم بالكافرين ومجازيهم.

٩٦- ولتجدن اليهود يا محمد أشد الناس حرصاً على حياة الدنيا، وأحرص من الذين أشركوا الذين لا يؤمنون بالبعث ولا بالآخرة والجزاء، يتمنى اليهودي، لو يطول عمره ألف سنة، وما التعمير بمزحزحه أو مبعده من عذاب الله، فمهما عاش، فلا بد له من الموت، والله بصير بعملهم في الدنيا، وسيجازيهم في الآخرة.

٩٧- قل أيها الرسول لليهود الذين عادوا جبريل لنزوله بالعذاب وإخبارهم بتحريب بيت المقدس على

يد بختنصر أو غيره: من كان عدواً لجبريل، فإن جبريل نزل القرآن على قلبك بأمر الله، لا بأمر نفسه، موافقاً للكتب السماوية السابقة كالتوراة والإنجيل، وهدى للناس من الضلال، وبشرى للمؤمنين بحسن العاقبة. قال الطبري: أجمع أهل العلم بالتأويل جميعاً أن هذه الآية نزلت جواباً لليهود من بني إسرائيل، إذ زعموا أن جبريل عدو لهم، وأن ميكائيل ولي لهم.

٩٨- من كان عدواً لله وملائكته، وجبريل وميكائيل، فقد كفر، والله عدو للكافرين، فمن عادى أولياء الله، فقد عادى الله تعالى، والله يعاديه ويؤاخذهم. وخص جبريل وميكائيل بالذكر؛ لأنهما أشرف من بقية الملائكة.

٩٩- ولقد أنزلنا إليك أيها النبي علامات واضحات على نبوتك، ولشدة وضوحها لا يكفر بها إلا الفسقة الخارجون عن أمر الله. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن عبد الله بن سوريا قال للنبي ﷺ: يا محمد، ما جئتنا بشيء نعرفه، وما أنزل الله عليك من آية بينة، فنزلت هذه الآية.

١٠٠- أو كلما أعطى اليهود عهداً مؤكداً على العمل بالتوراة، طرحه وتقضه فريق (طائفة) منهم، بل أكثر هؤلاء اليهود لا يؤمنون بالله ورسله، فكيف يحترمون عهده؟! وسبب النزول: أن مالك بن الصيف بعد البعثة النبوية قال: والله ما عهد إلينا في محمد، ولا أخذ علينا ميثاقاً، فنزلت الآية.

١٠١- ولما جاء اليهود رسول من عند الله هو محمد ﷺ تتفق أوصافه بما جاء في كتبهم، موافقاً للتوراة، طرح ورفض فريق منهم وهم أحبار اليهود التوراة، ولم يعملوا بما جاء فيها، كأنهم لا يعلمون شيئاً من التوراة، فعملوا عمل من لا يعلم.

وَاتَّبَعُوا مَا تَتْلُوا الشَّيْطَانُ عَلَىٰ مَلِكِ سُلَيْمَانَ وَمَا كَفَرَ
 سُلَيْمَانُ وَلَا كَانِ الشَّيْطَانُ كَافِرًا يُعَلِّمُونَ النَّاسَ
 السِّحْرَ وَمَا أُنزِلَ عَلَى الْمَلَكِ بْنِ بَابِلَ هُرُوتَ وَمَرُوتَ
 وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّى يَقُولَا إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ
 فَيَعْلَمُونَ مِنْهُمَا مَا يَفْتَرُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ
 وَمَا هُمْ بِضَارِينَ بِهِ مِنَ أَحَدٍ إِلَّا بَإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْلَمُونَ
 مَا يَصْرِفُهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَلَقَدْ عَلِمُوا لَمَنِ اشْتَرَاهُ
 مَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ
 أَنفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ آمَنُوا وَاتَّقَوْا
 لَمَثُوبَةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ خَيْرٌ لَّو كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٠٢﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا
 وَاسْمَعُوا وَاللَّكْفِيرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٣﴾ مَا يُوَدُّ
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَلَا الْمُشْرِكِينَ
 أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْكُمْ مِنْ خَيْرٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَاللَّهُ يَخْتَصُّ
 بِرَحْمَتِهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿١٠٤﴾

١٠٢- واتبع اليهود ما تروي وتقول شياطين أو
 خبثاء الإنس المشعوذون السحرة على عهد ملك
 سليمان، ظانين أنه ما سخر الريح والجن إلا بالسحر،
 وأنه كان يستجيزه، ولم يكفر سليمان بفعل السحر
 وتعلمه ولم يكن ساحراً؛ لأن السحر كفر، ولكن
 الشياطين المذكورين هم الذين كفروا بتعليم الناس
 السحر وفعله، بقصد إغوائهم وإضلالهم،
 ويعلمونهم أيضاً ما أنزل على الملكين: هاروت
 وماروت الموجودين ببابل: بلد بالعراق، وكان هذان
 الملكان يعلمان الناس السحر ليجتنبوه، وكانا في
 الأصل من الملائكة، وأهبطا إلى الأرض بطلبهما. وما
 يعلمان أحداً إلا قال له: لا تفعلوا كذا ولا تكفروا،
 ونحن فتنة، أي ابتلاء واختبار من الله لعباده،
 ويتعلم الناس منهما ما يسبب التفريق بين الزوجين
 بزرع الكراهية والبغضاء بينهما، وللسحر حقيقة ثابتة
 عند الجمهور غير المعتزلة وأبي حنيفة، وله تأثير في
 القلوب في هذا المجال، ولكنه لا يضر إلا بما يأذن الله
 به، ويتعلم الناس السحر الذي يضر في الدين، ولا
 ينفع في الدنيا، لأنه ضرر محض، ولقد علم اليهود
 أن من اختار السحر بدلاً عن كتاب الله، ليس له نصيب
 من الجنة، ولبئس ما باعوا به أنفسهم بالسحر عوضاً

عن دينهم، وتركهم العمل بما علموا، لو علموا ما ينتظرهم من العذاب.

وسبب النزول: ما أخرجه محمد بن إسحاق والطبري وغيرهما: قال بعض أئمة اليهود: ألا
 تعجبون من محمد، يزعم أن سليمان كان نبياً؟ والله ما كان إلا ساحراً، فنزلت الآية.
 ١٠٣- ولو أن متعلمي السحر آمنوا بالله ورسوله، واتقوا الله، فعملوا بأوامره، واجتنبوا نواهيه، وما وقعوا فيه
 من السحر والكفر، لكان لهم ثواب هو خير لهم من السحر ومكاسبه، ولو علموا ذلك لما أخذوا بالسحر، ولا
 تركوا الإيمان والتقوى.

١٠٤- أيها المؤمنون، لا تقولوا: ﴿راعنا﴾ من المراعاة والاهتمام؛ لأن هذه كلمة سب قبيح عند اليهود، من
 الرعونة، وقولوا: ﴿انظرننا﴾ أي انظر لنا وأقبل علينا لفهم قولك، واسمعوا سماع قبول وطاعة للشرع
 والرسول. ولللكفار الذين يؤذون الرسول عذاب مؤلم يوم القيامة. وسبب النزول: ما ذكره ابن عباس: أن
 اليهود استعملوا كلمة ﴿راعنا﴾ لسب النبي ﷺ، ففطن لذلك سعد بن معاذ، فهدد القائل بالقتل،
 فقالوا: ألسنتم تقولونها؟ فنزلت الآية.

١٠٥- ما يتمنى كفار أهل الكتاب من اليهود وعبدة الأوثان، لشدة عداوتهم وبغضهم المسلمين أن ينزل أي خير
 من الوحي أو غيره على المؤمنين، ومنه القرآن، والله يختص بالنبوة والهداية من يشاء من العباد، والله صاحب
 الفضل العظيم الذي لا يتناهى. وسبب النزول: أن المسلمين كانوا إذا قالوا لخلفائهم من اليهود: آمنوا
 بمحمد ﷺ قالوا: هذا الذي تدعوننا إليه، ليس بخير مما نحن عليه، ولوددنا لو كان خيراً، فأنزل الله
 تعالى تكذيباً لهم.

١٠٦- ما تبديل أو تغيير حكم آية، أو منحها من الذمارة فتسماها حتى لا تُقرأ، إلا أننا بما هو أنفع للناس منها عاجلاً أو آجلاً، أو بمثيل لها في النفع، سواء أكان الناسخ أخف أم أثقل وهو ذو ثواب أكثر، ألم تعلم أيها النبي أن الله قادر على كل شيء، ومنه نسخ الأحكام تحقيقاً لصلحة العباد. وسبب النزول: أن المشركين حينما سمعوا بالنسخ، قالوا: ما في هذا القرآن إلا كلام محمد، يقوله من تلقاء نفسه، وهو كلام يناقض بعضه بعضاً، فنزلت الآية وآية النحل ١٦/١٠١.

١٠٧- ألم تعلم أيها النبي أن الله مالك السموات والأرض، والمتصرف فيهما بالإيجاد والإعدام ونفوذ الأمر بمقتضى مصالح العباد، وليس لكم أيها الناس غير الله يتولى أموركم وينصركم على أعدائكم. نزلت هذه الآية في قريش حين قالوا: يا محمد، اجعل لنا الصفا ذهباً، ووسع لنا أرض مكة، وفجر الأنهار خلالها تفجيراً، نؤمن بك، فأنزل الله تعالى هذه الآية. وقال المفسرون: نزلت رداً على اليهود والمشركين المطالبين بهذه المطالب، وهو الأولي.

١٠٨- بل أتريدون سؤال رسولكم محمد ﷺ أسئلة تمجيزية كالإتيان بالله والملائكة قبيلاً، مثلما سئل موسى من قبل أن يريهم الله جهرة؟ فضلوا كما ضلوا، ومن يفضل الكفر على الإيمان، فقد حاد عن الطريق المستقيم أي طريق طاعة الله. أخرج الطبري عن مجاهد قال: سألت قريش محمداً أن يجعل لهم الصفا ذهباً، قال: نعم، وهو لكم كالمائدة لبني إسرائيل، إن كفرتم، فأبوا ورجعوا، فنزلت الآية.

١٠٩- تمنى وأحب الكثير من اليهود لو يرجعونكم إلى الكفر، حسداً منهم على توفيق الله لكم وإرشادكم، من بعد تبينهم الحق أن محمداً رسول الله، فتجاوزوا عن سيئاتهم واصفحوا عما بدر منهم من عداوة، والعفو: ترك المؤاخذه بالذنب، والصفح: محو أثر الذنب، حتى يأذن الله بقتالهم أو إجلائهم أو فرض الجزية عليهم، والله تام القدرة على كل شيء. قال ابن عباس: نزلت في نفر من اليهود قالوا للمسلمين بعد وقعة أحد: ألم تروا إلى ما أصابكم ولو كنتم على الحق، ما هزمتم، فارجعوا إلى ديننا، فهو خير لكم.

مَا نَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ إِنَّهَا أَوْشَرٌ
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٦﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ
لَهُ مَلِكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَمْ تَرِيدُونَ أَنْ نَسْأَلَكُمْ
كَمَا سَأَلْنَا سُبْحَانَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَبْدُلُ الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ
فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٠٨﴾ وَذَكَرْنَا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَوْ يَرُدُّكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كَفَّارًا حَسَدًا مِنْ عِنْدِ
أَنْفُسِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَفُوا وَاصْفَحُوا
حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾ وَأَيُّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا الزُّكُورَ وَمَا قَدَّمْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ حَيْرٍ
يَحْدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٠﴾ وَقَالُوا
لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا الْآمِنُونَ كَانَ هُودًا أَوْ نَصْرَانِيًّا
تِلْكَ أُمَّاتٌ نَهَتْ قُلُوبَهُمْ أَثَرُ بُرْهَانِكُمْ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ
﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرٌ
عِنْدَ رَبِّهِ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١١٢﴾

١١٠- وأدوا الصلاة كاملة الأركان والشروط، وادفعوا الزكاة المفروضة للمستحقين، وما تقدموا من أعمال الخير والطاعة في الدنيا، تجددوا ثوابه عند الله في الآخرة، والله لا يخفى عليه شيء قليل أو كثير.

١١١- وقالت اليهود: لن يدخل الجنة إلا اليهودي، وقالت النصارى: لن يدخلها إلا النصراني، تلك مجرد تمنيات وشهوات يتمنونها بغير حق، قل لهم أيها النبي: أحضروا دليلكم وحجتكم على زعمكم، إن صدقتم في مزاعمكم وأمانيتكم ودعاويكم الباطلة.

١١٢- ليس الأمر كما تقولون، بل يدخل الجنة من أسلم ذاته لله، وأخلص دينه وعبادته لربه، وهو محسن عمله، فله ثواب إيمانه وعمله عند ربه يوم القيامة، ولا خوف عليهم من العذاب، ولا يحزنون على ما فاتهم في الدنيا، بل هم في طمأنينة ونعيم.

١١٣- اتهمت كل طائفة من اليهود والنصارى الأخرى بأنها ليست على شيء معتبر من الحق، مع أن كلاً يتلو في كتابه أنه مصدق للأخر، وكذلك قال الجاهلاء من المشركين الذين لا علم عندهم ولا كتاب مثل هذا القول، فإنهم قالوا: ليس مدعو الأديان على شيء والله يحكم يوم القيامة بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، وسيجازيهم بما هو مستحق عليهم. ونزلت الآية في يهود المدينة ونصارى نجران حين تناظروا، فقالت اليهود: ما أنتم على شيء من الدين، وكفروا بعمسى والإنجيل، وقالت لهم النصارى: ما أنتم على شيء من الدين، فكفروا بموسى والتوراة، فنزلت الآية.

١١٤- لا أحد أظلم ممن منع عبادة الله في المساجد، وسعى في هدمها، أولئك الآثمون ما كان ينبغي لهم أن يدخلوا المساجد إلا خائفين من عقاب الله، ولهم في الدنيا ذل وهوان، وفي الآخرة عذاب شديد في النار. قال ابن عباس: نزلت في مشركي أهل مكة الذين منعوا المسلمين من ذكر الله تعالى في المسجد الحرام، ومنعوا النبي ﷺ من الصلاة عند الكعبة في المسجد الحرام.

١١٥- لله ملك المشرق والمغرب وما بينهما، فأى جهة تتجهون فيها في صلاتكم، فهناك الجهة أو القبلة التي يرضى بها الله، إن الله واسع الرحمة بعباده، عليم بما يصلحهم. نزلت كما ذكر الطبري قبل الأمر بالتوجه إلى استقبال الكعبة في الصلاة، وفيها إبطال ما كان يعتقد أرباب الملل السابقة من أن العبادة لا تصح إلا في الهياكل والمعابد.

١١٦- وقال الكفار: اتخذ الله ولداً، فقالت اليهود: عزيز ابن الله، وقالت النصارى: المسيح ابن الله، تنزه الله تعالى عن اتخاذ الولد، بل الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، الكل عباد الله، وكلهم خاضعون لسلطانه، فكيف يكون أحدهم ولداً لله؟ نزلت الآية في اليهود حين قالوا: عزيز ابن الله، وفي نصارى نجران حيث قالوا: المسيح ابن الله، وفي مشركي العرب الذين قالوا: الملائكة بنات الله.

١١٧- الله مبدع السموات والأرض، أي خالقهما على غير مثال سبق، وإذا أراد شيئاً خلقاً أو أمراً أو تدبيراً، قال للشيء الذي يريد: كن فيكون، أي فيوجد فوراً، لكمال قدرته.

١١٨- قال مشركو العرب للنبى: هلا يكلمنا الله كما كلم ملائكته ورسله، فيخبرنا بأنك رسوله، أو تأتينا معجزة أو علامة مادية مما اقترحوه في الآيات (٩٠) وما بعدها من سورة الإسراء، تدل على صدق نبوتك، قال مثل ذلك كفار الأمم السابقة، انفتقت قلوب وأقوال المشركين مع من سبقهم على الكفر والتعمد والتكذيب، قد بين الله الدلالات على نبوة محمد ﷺ لقوم يعترفون بالحق. قال ابن عباس فيما أخرج الطبري: قال رافع بن خزيمة لرسول الله: إن كنت رسولاً من الله كما تقول، فقل لله: فليكلمنا حتى نسمع كلامه، فنزلت الآية.

١١٩- يؤكد الله أنه أرسل نبيه بالدين الحق مبشراً للمؤمنين بالجنة، ومنذراً للكافرين بالنار، ولست مسؤولاً يا محمد عن من مات كافراً ولم يؤمن برسالتك. قال الإمام السيوطي: والذي يقطع به أن الآية في كفار أهل الكتاب كما لآيات السابقة عليها والتالية لها، لافي أبيه ﷺ.

وَقَالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتْ الْنَصْرَانِيَّةُ عَلَى شَيْءٍ وَقَالَتِ الْنَصْرَانِيَّةُ لَيْسَتْ الْيَهُودُ عَلَى شَيْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ الْكِتَابَ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ مَنَعَ مَسْجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسُئِلَ فِي حُرَابِهَا أَوْلِيكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ يَدْخُلُوهَا الْخَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَاللَّهُ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ فَأَيْسَمَا تَوَلَّوْا فَوَجْهَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ إِذَا لَمْ يَسْأَلْ عِبْدَهُ ﴿١١٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَ اللَّهِ بَلْ لَمْ يَلَمَّْا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَمْ يَلْمِزُوهُ ﴿١١٦﴾ بَدِيعَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿١١٧﴾ وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ لَوْلَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ كَذَلِكَ قَالَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِثْلَ قَوْلِهِمْ تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ قَدْ بَيَّنَّا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿١١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ بِأَحْسَنِ بُشَيْرٍ وَذُبُرًا وَلَا تَسْتَعْلِمُ عَنْ أَصْحَابِ الْحَجِيمِ ﴿١١٩﴾

١٢٠- ولن ترضى عنك أيها النبي اليهود والنصارى حتى تسبع عقيدتهم، وتنصرف عن دينك إلى دينهم، وتتبع أهواءهم، قل أيها الرسول: إن الهدى القرآني هو الدين الحق والهدى الحقيقي، لا ما هم عليه من الشريعة المنسوخة، ولئن اتبعت أيها الرسول أهواء اليهود والنصارى والموجودة في كتبهم المحرفة، بعدما جاءك من وحي القرآن، مالك ولي غير الله يتولى أمرك ويحفظك، ولا ناصر ينصرك ويمنعك من عقابه. وسبب النزول: أن اليهود كانوا يسألون النبي ﷺ الهدنة، ويظعمونه أنهم إذا هادنهم وأمهلهم، اتبعوه ووافقوه، فنزلت هذه الآية.

١٢١- الذين أنزلنا عليهم القرآن يتبعونه حق الاتباع، ويعملون بما فيه، فيحلون حلاله، ويحرمون حرامه، أولئك يصدقون تصديقاً تاماً بالكتاب المنزل، ومن يكفر بالقرآن، فهم الخاسرون لاستبدالهم الكفر بالإيمان.

١٢٢- يا معشر بني إسرائيل، تذكروا النعم التي أنعمت بها عليكم وعلى أسلافكم بشكري وطاعتي، وأني فضلت أصولكم على عالمي زمانهم. أعاد هذا التذكير بالنعم والتحذير من التقم لبيان الهدف الحقيقي من القصة.

١٢٣- وخافوا عذاب يوم لا تتوب فيه نفس عن نفس أخرى في المسؤولية، ولا يقبل منها فدية تنجو بها من النار، ولا تفيدها شفاعة شافع، ولا نصرة ناصر، يمنع عنها العذاب.

١٢٤- واذكر يا محمد حين اختبر الله إبراهيم بأوامر ونواه، فقام بحق التكليف تماماً، وقال الله له: إني مصيرك إماماً (قدوة) في الدين وأعمال الخير، قال إبراهيم: واجعل من ذريتي أيضاً أئمة، فأعلمه الله أن عهده بالإمامة والنبوة لا يشمل الظالمين والعصاة من ذريتك، فإنهم لا يصلحون قدوة للناس، لأن الإمام لا بد أن يكون عادلاً عاملاً بالشرع، وإلا كان ظالماً.

١٢٥- واذكر أننا جعلنا البيت الحرام (الكعبة) مرجعاً لعبادة الله وأداء المناسك فيه، والصلاة نحوه بعد التفرق عنه، ومأمناً من الظلم والمخاوف، واتخذوا أيها المسلمون من مقام إبراهيم حول الكعبة (وهو الحجر المعروف) مكاناً للصلاة والعبادة تكرة لإبراهيم، ووصينا وأمرنا إبراهيم وإسماعيل أن يطهرا البيت الحرام من الأوثان والكفار والنجاسات والخبائث، من أجل طواف الطائفين به، والمقيمين في المسجد للعبادة، والمصلين فيه راكعين ساجدين. قال عمر رضي الله عنه: قال النبي ﷺ: هذا مقام إبراهيم، فقلت: يا رسول الله، أفلا نتخذة مصلي؟ فنزلت هذه الآية.

١٢٦- واذكر حين قال إبراهيم: رب اجعل مكة بلداً آمناً يأمن الناس فيه، وارزق أهله المؤمنين بالله واليوم الآخر من الثمار التي تجبي إليه من كل مكان، قال تعالى: وارزق أيضاً من كفر، لامتعه بالرزق قليلاً في الدنيا، ثم ألجته وأدفعه إلى عذاب النار، فلا يجد عنه مخلصاً، ويشس المرجع الذي يصير إليه في جهنم.

وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَسْبَحَ مِنْهُمْ قُلْ إِنْ هَدَى اللَّهُ هُوَ الْهُدَىٰ وَإِن تَابَعْتَ أَهْوَاءَهُمْ بَعْدَ الَّذِي جَاءَكَ مِنْ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٢٠﴾ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ أُوْلَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِن يَكْفُرْ بِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفٰسِقُونَ ﴿١٢١﴾ بَلَىٰ أَسْرَىٰ لِمَا أَذْكُرُوا بَعْثُوا لِيَّ الْوَيْلَ لِيَأْتِيَهُمْ الْوَيْلُ الَّذِي كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿١٢٢﴾ وَأَنَّىٰ فَضَلْتُمْ عَلَى الْعٰلَمِينَ ﴿١٢٣﴾ وَأَتَقُوا تُومًا لَا حِجْرَ لِنَفْسٍ عَن نَّفْسٍ شَيْئًا وَلَا يَقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَإِذْ ابْتَلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّٰلِمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِن مَّقَامِ إِبْرٰهِيْمَ مُصَلًّىٰ وَعَهِدْنَا إِلَىٰ إِبْرٰهِيْمَ وَإِسْمٰعِيْلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِيَ لِلطَّٰئِفِينَ وَالْمَعْكُومِينَ وَارْكُعَا بِلِلْحِمَامِ ﴿١٢٦﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرٰهِيْمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا بَلَدًا آمِنًا وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ ءَامَنَ مِنهُ فَإِنَّ اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ قَالَ وَمَنْ كَفَرَ فَأُمْتِمَّهِ قَلِيلًا قَدْ أَضْطَرُّنَا إِلَىٰ عَذَابِ النَّارِ وَلِئِن لَّمْ يَئْتِ بِبَيِّنَاتٍ



١٢٧- واذكر أيها الرسول أيضاً حين كان إبراهيم وإسماعيل يرفعان أسس أو جدران البيت الحرام، قائلين: ربنا تقبل منا هذا العمل الحسن، إنك تسمع دعاءنا وتعلم نياتنا.

١٢٨- ربنا اجعلنا ثابتين على الإسلام، خاضعين لطاعتك، واجعل من ذريتنا: أولادنا وأحفادنا جماعة مخلصه لك بالطاعة، وعرفنا مناسك الحج ومواقع الذبح، وتجاوز عن خطايانا، إنك أنت كثير التوبة على عبادك، رحيم بالتائبين تعفو وتغفر لهم. قال مجاهد: قال إبراهيم: رب أرنا مناسكنا، فأناه جبريل، فأتى به البيت، فقال: ارفع القواعد، ثم دله على مواضع رمي الجمرات في منى، وعلى المشعر الحرام، وعلى عرفات، وأمره أن يؤذن فيه بالحج، فقال: يا أيها الناس أجيئوا ربكم، فأجاب العباد: لبيك اللهم لبيك، فمن أجاب إبراهيم حينئذ فهو حاج.

١٢٩- ربنا وابعث في العرب - وهم ذرية إبراهيم وإسماعيل - رسولا من العرب، وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم آياتك المنزلة، ويعلمهم القرآن، وأحكام الشريعة والفقه والفهم في الدين، وأسرار الأشياء، ويظهرهم من الشرك والمعاصي وسوء

وَأذِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّا إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾ رَبَّنَا وَاجْعَلْنَا مُسْلِمَيْنِ لَكَ وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أُمَّةً مُّسْلِمَةً لَكَ وَأَرِنَا مَنَاسِكَنَا وَتُبْ عَلَيْنَا إِنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٨﴾ رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ وَمَنْ يَرْغَبْ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ الْأَمْنِ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٣٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْمِ مَا لَكَ أَنِ اسْمُ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٣١﴾ وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَيْنَهُ وَيَعْقُوبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الَّذِينَ فَلَاحُونَ ﴿١٣٢﴾ إِلَّا وَآلَهُمْ مَّسَلُونَ ﴿١٣٣﴾ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ النَّوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُوا نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَاللَّهُ أَبَاكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ الْيَاقُوبَ وَهُنَّ أُمَّةٌ لَّكَ أُمَّةٌ قَدْ حَلَّتْهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٤﴾

الأخلاق، إنك يا رب القوي الغالب، الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة والمصلحة.

١٣٠- ولا يعدل عن شريعة إبراهيم وعقيدته التوحيدية إلا من جهل أمر نفسه، فلم يفكر فيها، واستخف بها وامتنعها، ولقد اخترناه رسولا في الدنيا، وإنه في الآخرين لمن الفائزين برضوان الله. ونزلت الآية في شأن ابني أخي عبد الله بن سلام حين دعاهما إلى الإيمان، فأمن سلمة وأبني مهاجر.

١٣١- واذكر أيها الرسول حين قال لإبراهيم ربه: تمسك بالإسلام ديناً، فقال: أخلصت العبادة والدين لرب العوالم كلها.

١٣٢- ووصى إبراهيم بوصية الله بالتمسك بالإسلام أبناءه، وأوصى يعقوب (إسرائيل) بنيه بذلك، كما أوصى إبراهيم، قائلًا لهم: يا أبنائي، إن الله اختار لكم الملة التي يجيء بها محمد ﷺ فهي صفوة الأديان، فالزموا الإسلام، ولا يأتاكم الموت إلا وأنتم على الإسلام.

١٣٣- أبطل الله دعاوى اليهود والنصارى أن إبراهيم يهودي أو نصراني، قائلًا: بل أشهدتكم أو حضرتم يعقوب؟ وعلمتم وصيته لأبنائه، حين حضره الموت، إذ قال لهم: ماذا تعبدون من بعد وفاتي؟ فقالوا: نعبد الإله الواحد إلهك وإله آبائك إبراهيم وإسحاق، وإسماعيل الذي كان عمًا ليعقوب، وتسمي العرب العم أباً، ونحن له مخلصون العبادة، فأقروا بذلك، وشهد على إسلامهم. نزلت في اليهود حين قالوا للنبي ﷺ: ألسنت تعلم أن يعقوب يوم مات أوصى بنيه باليهودية.

١٣٤- تلك أمة - وهي إبراهيم ويعقوب وأبناؤهما - جماعة مضت، لها ما عملت من العبادة والخير، ولكم ما عملتم من خير أو شر، ولا تؤاخذون بسيائتهم، ولا تستفيدون من حسناتهم.

وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ يَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ
 حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٣٥﴾ قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
 إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ
 مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾
 فَإِنَّمَا أُمُومًا يُسَلِّمُونَ مَاءً آمِنًا بِيَدِ قَدِيرٍ هَدَدُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا
 هُم فِي سِقَاقٍ مُّسَبِّحِينَ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾
 صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عٰبِدُونَ ﴿١٣٨﴾
 قُلْ أَتُحَاجُّونَنَا فِي اللَّهِ وَهُوَ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ وَإِنَّا عَمَلْنَا أَكْثَرَ
 عَمَلًا لَّكُمْ وَنَحْنُ لَهُمْ مُخْلِصُونَ ﴿١٣٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ إِنَّا
 إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ
 كَانُوا هُودًا أَوْ نَصْرَىٰ قُلْ إِنَّمَا أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ وَمَنْ أَظْلَمُ
 مِمَّنْ كَتَمَ شَهَادَةَ عِنْدِ اللَّهِ وَمِنَ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ
 عَمَّا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٠﴾ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ
 وَلَكُمْ مَا كَسَبْتُمْ وَلَا تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤١﴾

١٣٥- وقالت اليهود والنصارى للمسلمين: كونوا يهوداً أو نصارى، واتركوا الإسلام، تكونوا على الحق والرشاد، قل لهم أيها النبي: لم تكن اليهودية ولا النصرانية طريق الهداية، بل تكون على ملة إبراهيم الحنيفية المائلة عن الأديان الباطلة إلى دين الحق، والحنيفية: هي دين الإسلام، ولم يكن إبراهيم من عبدة الأوثان أو مشركاً بالله، وهذا تعريض بهم، فكيف تدعون أنه كان يهودياً أو نصرانياً؟! أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قال ابن صوريا للنبي ﷺ: ما الهدى إلا ما نحن عليه، فاتبعنا يا محمد تهتد، وقالت النصارى مثل ذلك، فنزلت الآية.

١٣٦- قولوا أيها المسلمون: آمنا بالله وحده لا شريك له وبالقرآن وبما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط: أولاد يعقوب وهم اثنا عشر ولداً، وبالنبوة المنزلة على موسى، وبالإنجيل المنزل على عيسى، وبكل ما أنزل على الأنبياء من ربهم من الكتب، لا نفرق بين أحد منهم، وإنما نؤمن بهم جميعاً، ونحن لله تعالى مفادون خاضعون.

١٣٧- فإن آمن أهل الكتاب وغيرهم بجميع ما آمن به المسلمون من كتب الله ورسله، وصدقوا مثل تصديقهم، فقد اهتدوا إلى الحق والصواب، وإن أعرضوا عن هذا الإيمان، فهم في مخالفة ومعادة لدعوة الإسلام، ويكفيك الله أيها الرسول شر من عاند وخالف، وينصرك عليهم، والله هو السميع لأقوالهم، العليم بخفايا نفوسهم.

١٣٨- الزموا أيها الناس دين الله الذي فطركم عليه وهو الإسلام، فلا هداية أفضل من هدايته، ونحن مطيعون لله تعالى. قال ابن عباس: إن النصارى كان إذا ولد لأحدهم ولد، فأتى عليه سبعة أيام، صبغوه في ماء لهم، يقال له: المعمود، ليظهره بذلك، ويقولون: هذا طهور، مكان الختان، فإذا فعلوا ذلك، صار نصرانياً حقاً، فأنزل الله هذه الآية.

١٣٩- قل أيها النبي لأهل الكتاب: اتجادوننا في شأن الله، ونحن وأنتم سواء في ربيته لنا، وعبوديتنا له، فكيف تدعون أو تريدون ألا يختار رسولاً إلا منكم؟ وسبجزي كل فريق منا بعمله، فلستم بأولي بالله منا، ونحن له مخلصون في طاعتنا وعبادتنا دونكم.

١٤٠- بل اتقولون: إن هؤلاء الأنبياء على دينكم؟ وإنهم مع أولاد يعقوب (الأسباط) كانوا يهوداً أو نصارى، مع أنهم وجدوا قبل موسى وعيسى، وقل لهم أيها النبي: هل أنتم أعلم بدينهم أم الله الذي برأ إبراهيم من اليهودية والنصرانية، ومن أشد ظلماً ممن كتم شهادة عنده من الله بأن هؤلاء الأنبياء ما كانوا يهوداً ولا نصارى، بل كانوا مسلمين، والله لا يترك عقوبة هؤلاء المدّعين بسبب ظلمهم وتكذيبهم الرسل وكتمان الشهادة.

١٤١- تلك جماعة مضت، لها ثواب أعمالها ولكم ثواب أعمالكم الطيبة وجزاء أعمالكم السيئة، فلا ينفعكم انتسابكم إليهم إذا لم تفعلوا الخير، وأنتم مسؤولون عن أعمالكم يوم القيامة، لا عن أعمال غيركم من سبقكم أو يأتي بعدكم.



١٤٢- سيقول الجهال ضعفاء العقول من اليهود والمشركين والمنافقين: ما سبب تحولهم وانصرافهم عن قبلة بيت المقدس التي كانوا يستقبلونها في صلاتهم، قل لهم أيها النبي: لله الجهات كلها مشرقها ومغربها، فله أن يأمر بالتوجه إلى أي جهة شاء، يهدي من يريد من عباده إلى سلوك الطريق القويم في العبادة، فيكون التحول إلى الكعبة هداية. روى البخاري عن البراء قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة، فصلّى نحو بيت المقدس ستة عشر شهراً أو سبعة عشر شهراً، وكان رسول الله ﷺ يحب أن يتوجه نحو الكعبة، فأنزل الله: ﴿قد نرى تقلب وجهك لوجهك﴾ [البقرة ١٤٤/٢] فقال السفهاء، وهم اليهود: ﴿ما ولاهم عن قبلتهم التي كانوا عليها﴾ فقال الله تعالى: ﴿قل: لله المشرق والمغرب﴾.

١٤٣- وكما هديناكم إلى الإسلام وإلى قبلة إبراهيم عليه السلام، جعلناكم أمة خياراً عدولاً وسطاء، لتشهدوا على الناس يوم القيامة أن أنبياءهم قد بلغوهم رسالة الله، ويكون الرسول محمد ﷺ شاهداً يشهد عليكم بالتبليغ لكم وبالوسطية، وما جعلنا قبلة بيت المقدس التي كنت تصلي باتجاهها إلا امتحاناً لنعلم علم ظهور وتحقق فعلي المؤمن والمرتد عن دينه والمنافق، وإن كانت حادثة تحويل القبلة صعبة شاقة، يصعب الإيمان بها، إلا على الذين هداهم الله للحق، وما كان الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس، بل يتقبلها منكم، إن الله كثير الرأفة (وهي أشد الرحمة) بعباده، كثير الرحمة بهم. وقد نزلت فيمن مات وهو يصلي إلى بيت المقدس، جاء في الصحيحين عن البراء: مات على القبلة قبل أن تحول رجال، فلم ندر ما نقول فيهم، فنزلت: ﴿وما كان الله ليضيع إيمانكم﴾.

١٤٤- قد رأينا أيها النبي تطلعك إلى جهة السماء وترديد بصرك ورفع، راجياً نزول الأمر بتحول القبلة نحو الكعبة، فلنوجهك نحو قبلة تمجها وتشوق إليها، فتوجه في صلاتك نحو المسجد الحرام، وأينما كنتم، فتوجهوا إلى الكعبة، وإن أهل الكتاب يعلمون أن توجهكم إلى الكعبة حق بأمر الله فرضه الله على عباده، وأنه موجود في كتبهم أن النبي المبشر به يصلي إلى قبلة أبيه إبراهيم، وما الله بغافل عن أعمالهم بإثارة الشبهات وترويح الفتن، وسيجازيهم على ذلك.

١٤٥- ولئن آتيت أيها النبي أهل الكتاب بكل حجة وبرهان على أن تحويل القبلة حق بأمر الله، ما تبعوا قبلك كفراً وعناداً، ولا تتبع أنت قبلتهم، وكل فريق يتبع قبلته، فاليهود تستقبل بيت المقدس، والنصارى تستقبل مطلع الشمس، ولئن وافقت أهواءهم بالتوجه إلى قبلتهم التي يدعونك إليها، من بعد العلم الذي جاءك من طريق الوحي، تكن من الظالمين لأنفسهم.

سَيَقُولُ السُّفَهَاءُ مِنَ النَّاسِ مَا وَلَّاهُمْ عَنْ قِبَلِهِمُ الَّذِي كَانُوا عَلَيْهَا قُلْ لِلَّهِ الْمَشْرِقُ وَالْمَغْرِبُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٤٢﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا كَرَامَةً وَسَطًا لِنَتَّكِرَ بِهِ أَشْهُدَاءُ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعِ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ ۗ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ عَمَلَكُمْ ۗ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٣﴾ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لِيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ ۗ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٤٤﴾ وَلَئِنْ آتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَتَّبِعُوا قِبَلَتَكَ وَمَا أَنْتَ بِتَابِعٍ قِبَلَهُمْ ۗ وَمَا بَعْضُهُمْ بِقِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنْ آتَيْتَ أَهْوَاءَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٥﴾

الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤٦﴾ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١٤٧﴾ وَلِكُلِّ وُجْهٍ هُومٌ مَوْلَاهُمْ فَأَسْتَفِوا الْخَيْرَاتِ أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ كِبْرُ اللَّهِ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٤٨﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَإِنَّهُ لَلْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَمَا اللَّهُ بِمُغْفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٤٩﴾ وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ قَوْلٍ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ فَلَا تَحْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنِي وَلَا تَتَّبِعُوا تِلْكَ أَعْيُنُكُمْ وَأَنْظُرُكُمْ فَتَهْتَدُونَ ﴿١٥٠﴾ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِنْكُمْ يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَادْكُرُوا فِي أذْكَرِكُمْ وَأَشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٣﴾

١٤٦- يعرف اليهود نبوة محمد ﷺ بأوصافه المذكورة في التوراة، كمعرفة أبنائهم تماماً، وإن فريقاً منهم ممن لم يسلموا، وهم علماءهم الذين عرفوا تلك الصفات، ليخفون الحق الثابت الذي أرسلت به حسداً وعناداً، وهم يعلمون أن الله أوضحه في كتابهم.

١٤٧- الحق الأبدى: ما أخبرك به ربك، لا ما يخبرك به أهل الكتاب، فلا تكن أيها السامع من الشاكين فيه.

١٤٨- ولكل جماعة من أتباع الأديان قبيلة هو مستقبلها في الصلاة، فتسابقوا في فعل الطاعات وعمل الخيرات واستقبال الكعبة، وأيضا تكونوا في أي مكان في الأرض، يجمعكم الله للجزاء يوم القيامة، إن الله تام القدرة على بعثكم وجمعكم.

١٤٩- وأيضا اتجهت أيها المسلم في بر أو بحر، وفي أي جهة كنت شرقاً أو غرباً، فتوجه في صلاتك جهة المسجد الحرام، وهذا التوجه هو الحق الثابت من الله الذي لا ريب فيه، وسيكافئك على اتباعه، ولا يغفل الله عما عملت من عمل، ولا يترك شيئاً.

١٥٠- وأيضا حللت، فتوجه نحو الكعبة،

وأيضا كتتم معشر المسلمين في أي مكان في العالم، فتوجهوا نحو الكعبة المشرفة، وتكرر الأمر بذلك ثلاث مرات لتأكيد الأمر بتحويل القبلة، لتلا يبقى لأحد من الناس محاجة أو مجال في المجادلة والمخاصمة حول التولي إلى غير القبلة، فتبطل حجة اليهود القائلين: ترك محمد ديننا واتبع قبلتنا، وحجة المشركين القائلين: إن محمداً يدعي اتباع إبراهيم ويترك قبلته (الكعبة) فاتجاهكم نحو المسجد الحرام ينهي هذه الأقاويل، أما الظالمون أنفسهم منهم بالعناد والمكابرة، وهم مشركو العرب، فلا تخافوا مطاعتهم أو جدالهم بالباطل، وخافوا عقابي إن خالفتهم أو امرني، ولكي أتم عليكم نعمتي عرفتكم قبلتي، وستفتحون مكة، وتدخلون البيت الحرام آمنين مطمئنين، ولكي تهتدوا إلى الحق والصواب والثبات عليه.

١٥١- وإتمام النعمة كإتمام الرسالة بإرسال محمد ﷺ لتلاوة آيات القرآن الكريم، وتطهير نفوسكم من الشرك والوثنية وسوء الأخلاق، ولتعليم القرآن والكتابة ومحو الأمية، وفهم أحكام الشريعة ومعرفة أسرارها، وتعليمكم أمور الدنيا والآخرة، وما لم تعلموا به من قبل.

١٥٢- فاذكروني أيها الناس بالطاعة، أذكركم بالثواب والمغفرة، واشكروا لي نعمي عليكم، والشكر: معرفة الإحسان والتحدث به، ولا تمجدوا نعمي عليكم فتستروها، والكفر هنا: ستر النعمة، فأسلبها منكم.

١٥٣- يا أيها المؤمنون استعينوا بالصبر على تحمل التكليف المشروعة كالصلاة والصيام والجهاد، وبالصلاة التي توثق الصلة مع الله، وتفرج الكروب، وتزيل الهموم، إن الله يعين الصابرين وينصرهم.

١٥٤ - ولا تصفوا شهداء القتال في سبيل الله بأنهم أموات، بل هم في الحقيقة أحياء في البرزخ، ولكن لا تعرفون بهذه الحياة عند مشاهدة أجسادهم وسلب أرواحهم. نزلت في قتلى بدر، وكانوا بضعة عشر رجلاً، ثمانية من الأنصار، وستة من المهاجرين، وكان الناس يقولون للرجل يقتل في سبيل الله: مات فلان، وذهب عنه نعيم الدنيا ولذتها، فأنزل الله هذه الآية.

١٥٥ - ولنعاملنكم معاملة المختبر لمعرفة قوي الإيمان وضعيفه بتسليط شيء من الخوف (الضرر من عدو أو غيره) أو الجوع (المجاعة والقحط) أو نقص الأموال التي تملكونها كالأنعام، وفقد الأنفس بالموت والقتل في الجهاد والمرض، ونقص الثمار بالأفات والجوائح، وبشرأبها الرسول الصابرين بالفوز بالجنة والمغفرة والرحمة.

١٥٦ - والصابرون: هم الذين إذا تعرضوا لنكبة تؤدي الإنسان قالوا: إننا لله وإن إليه راجعون، أي إنا عبيد لله، وصائرون إليه بعد الموت.

١٥٧ - وعلى الصابرين مغفرة وثناء حسن من الله، ورحمة بعد رحمة، وإحسان، وأولئك هم المهتدون إلى الحق والصراب ورضوان الله تعالى.

١٥٨ - إن الصفا والمروة للذنان يتكوثان من صخور

مرتفعة في بداية المسعى ونهايته، من أعلام مناسك الحج

أو مواضع العبادة التي خصصها الله لأعلاماً للناس كالمرقف والمسعى والمنحر، فمن قصد البيت الحرام حاجاً للفریضة، أو اعتمر بزيارته البيت الحرام، فلا إثم عليه أن يطوف بهما (يتطوف) بالسعي بينهما في الحج والعمرة، وهو فرض ونسك، بالرغم من أنه كان عليهما في الجاهلية صنمان: «إساف» على الصفا، و«نائلة» على المروة، ومن أكثر من الطاعة بالعمرة النافلة، فالله شاكرك لطاعته. أخرج البخاري عن أنس رضي الله عنه: أنه سئل عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى أنهما من أمر الجاهلية، فلما جاء الإسلام، أمسكنا عنهما، فأنزل الله: ﴿إِن الصفا﴾.

١٥٩ - إن الذين يخفون عن الناس، وهم علماء اليهود ورجال النصارى، ما أنزل الله من الآيات البيّنات الدالة على صدق رسالة محمد ﷺ، ومن بعد بيانه في التوراة، أولئك يطردهم الله من رحمته، ويلعنهم الملائكة والمؤمنون. نزلت في علماء أهل الكتاب وكتماهم آية الرجم ونعت محمد ﷺ.

١٦٠ - لكن يستثنى التائبون من الكتمان، المصلحون لما أقسدوا، الميئون للناس ما بيّنه الله في كتبه، فلا يستحقون اللعنة، ويقبل الله توبتهم، فهو كثير القبول لتوبة التائبين، الرحيم بهم.

١٦١ - إن الذين ماتوا على كفرهم، وعليهم لعنة الله (الطرد من الرحمة) والملائكة وجميع الناس يوم القيامة، أما في الدنيا فلا يلعن كافر معين ولا عاص معين.

١٦٢ - وهم خالون (مقيمون على الدوام) في النار أو في اللعنة ولا يُمهلون، ولا أمل في تخفيف العذاب عنهم.

١٦٣ - والإله الحق إله واحد لا شريك له، ولا مثل له في ذاته وصفاته وأفعاله، هو مصدر الرحمة الدائمة، الكثير الرحمة على العباد بالنعم المستمرة.

وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أحيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿١٥٤﴾ وَلَيَبْشُرَنَّ كَيْفَ أَنْتُمْ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصِ تِلْكَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالْمَرْبَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿١٥٧﴾ إِنْ الصَّفَا وَالْمَرْوَةُ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ وَأَعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا وَمَنْ تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ اللَّهَ شَاكِرٌ عَلَيْهِمْ ﴿١٥٨﴾ إِنْ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْكِتَابِ وَالْهَدْيِ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّنَا لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَكْفُرُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّعِينُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَبَدَّوْا فَاُولَئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٠﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْمَنُوا وَكُفَرُوا فَرَّأُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٦١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿١٦٢﴾ وَاللَّهُ كَذَّابٌ أَثِيمٌ ﴿١٦٣﴾

إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَآخِزَتِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ
 وَاللَّيْلِ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَا يَشْعُرُ النَّاسُ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ
 مِنَ السَّمَاءِ مِنْ مَاءٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَبَيَّتَ
 فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ وَالسَّحَابِ الْمُحْسَرِينَ
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ قَوْلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَإِنَّ النَّاسَ
 مِنْ يَتَّخِذُونَ دُونَ اللَّهِ أَنْدَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ اللَّهِ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَشَدُّ حُبًّا لِلَّهِ وَلَوْ يَرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا إِذْ يُرَوْنَ الْعَذَابَ
 أَنَّ الْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا وَأَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعَذَابِ ﴿١٦٥﴾ إِذْ
 تَبَرَّأَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ آتَوْا وَأُتُوا بِالْعَذَابِ وَنَبَطَتْ
 بِهِمُ الْأَسْبَابُ ﴿١٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا كُنَّا نَسْكُرُهُ
 فَتَبَرَّأْنَا مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ
 حَسْرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِمُخْرِجِينَ مِنَ النَّارِ ﴿١٦٧﴾ يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا وَلَا تَتَّبِعُوا
 حُطُوتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٦٨﴾ إِنَّمَا يَأْمُرُكُمْ
 بِالشُّؤْمِ وَالْفَحْشَاءِ وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿١٦٩﴾

١٦٤- إن في إيجاد السموات والأرض وما بينهما
 من عجائب المخلوقات، واختلاف الليل والنهار
 بالإضاءة والإظلام، والحرارة والبرودة، والطول
 والقصر، وتعاقبهما إثر بعضهما بعضاً، والسفن التي
 تسير في البحر لنفع الناس بالركوب وحمل البضائع
 ونحوهما، وما أنزل الله من السحاب من مطر وبرد
 ونحوهما، فأحيا به الأرض بالنبات، بعد جفافها،
 ونشر وفرق في أنحاء الأرض، من مختلف أنواع
 الحيوان، وتسيير الرياح في جميع الأنحاء،
 والسحاب المذلل بأمره تعالى، إن في جميع ذلك
 لدلالات على وجود الله تعالى ووحدانيته، لقوم
 يتفكرون، فيستدلون على قدرة الله سبحانه
 وتوحيده. قال عطاء: نزل على النبي ﷺ
 بالمدينة: ﴿والهكم إله واحد..﴾ فقال كفار
 قريش بمكة: كيف يسع الناس إله واحد؟ فأنزل
 الله: ﴿إن في خلق السموات والأرض..﴾
 الآية.

١٦٥- أما حال الذين لا يعقلون هذه الأدلة، فهم
 المشركون الذين يتخذون من غير الله للعبادة أمثالا
 ونظراء من أصنام وجمادات وأشخاص، يحبون
 أوثانهم، كحب المؤمنين الله، والمؤمنون أشد حبا لله،
 من حب المشركين لأوثانهم وأندادهم، ولو يرى الذين ظلموا أنفسهم بالكفر ومحبة الأنداد حالهم عند رؤية
 العذاب يوم القيامة، لما أحبوا تلك الأنداد، ولأقروا أن القوة الشاملة لله، ولا قوة لأحد سواه، وأن الله ذو عذاب
 شديد لهم.

١٦٦- واذكر حين يتبرأ يوم القيامة السادة وقادة الكفر عن اتبعهم، ورأى الفريقان التابعون المقلدون والمتبعون
 العذاب المحيط بهم، عند المسائلة في الآخرة، وزالت الروابط والعلاقات التي كانت قائمة بينهم في الدنيا من الرحم
 وغيره.

١٦٧- وقال الأتباع: لو أن لنا رجعة وعودة إلى الدنيا حتى نعمل صالحاً، ونتبرأ من زعماء الكفر الذين غررونا
 هناك، كما تبرؤوا منا وتخلوا عنا هنا، مثل ذلك الذي رأوه من العذاب، يريهم الله أعمالهم الفاسدة التي ارتكبوها
 في الدنيا، فتكون عليهم ندامات، ولن يخرجوا من النار، لخلودهم فيها بسبب الشرك وحب الأنداد.

١٦٨- يا أيها الناس، كلوا مما أوجده الله لكم في الأرض مباحاً مستلذاً لكم، ولا تتبعوا طرق الشيطان وأساليبه
 في الدعوة إلى المعاصي وفي تحليل الحرام وتحريم الحلال، إن الشيطان لكم ظاهر العداوة. قال الكلبي: نزلت في
 ثقيف وخزاعة وعامر بن صعصعة، حرّموا على أنفسهم أشياء من الحرث والأنعام، وحرّموا البحيرة
 والسائبة والوصيلة والحامي.

١٦٩- إن الشيطان يأمركم بالبيح وكل معصية تسوء عاقبتها، وبالفحشاء: أقيح أنواع المعاصي كالزنا والقتل
 وغيرهما من الكبائر، وأن تحللوا الحرام، وتحرموا الحلال من البحيرة والسائبة ونحوهما مما جعلتموه شرعاً لكم.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا أَلْفَيْتَنَا عَلَيْهِ ءَأَجْتَهُنَّ أَوْلَادُكَ إِنَّ بآبَائِهِمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾ وَمِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمِثْلِ الَّذِي يَعْبُوقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ الْإِدْعَاءَ وَنِدَاءَ ضُرْعَيْكَ عُمِّي فَمَنْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٧١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنَّ كُشْرًا مِّنْهُ تَعْبُدُونَ ﴿١٧٢﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ بِهِ لَعَنَ اللَّهُ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ ذَلِكَ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٧٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ الْكِتَابِ وَيَسْتُرُونَ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَئِكَ مَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ إِلَّا النَّارَ وَلَا يَكَلِمُهُمُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَهُمْ فِي عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٧٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدْيِ وَالْعَذَابَ بِالْمَغْفِرَةِ فَمَا أَضْبَرْتُمْ عَلَى النَّارِ ﴿١٧٥﴾ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ نَزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ الَّذِينَ آخَذُوا فِي الْكِتَابِ لَوِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿١٧٦﴾

١٧٠- وإذا قيل للكنفار: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن والحكمة والإيمان بالله ورسوله قالوا: لا نتبع دينكم، بل نتبع ما وجدنا عليه آباءنا في عبادتهم، فرد الله عليهم: أولو كان آباؤهم الذين يقلدونهم لا يعقلون شيئاً من حقائق الدين وأسراره، ولا يهتدون إلى ما فيه السداد والرشاد والخير والسعادة.

١٧١- وصفة تشبيهه واعظ الكافرين المقلدين لأبائهم وداعيتهم إلى الإيمان، وهو النبي ﷺ، مثل الراعي الذي يصيح بالابل أو الغنم، فلا تسمع إلا صياحاً على القريب منها لتأتي أو تسير أو تنزجر مثلاً، ونداء على البعيد منها، تنقاد للأصوات فقط، ولا تفهم ما يقول، صُم عن سماع الحق، بُكْم لا ينطقون بخير، عُمي البصائر لا يميزون الأشياء تمييزاً واضحاً، بل ينقادون لغيرهم كما هو شأن الحيوان، فكيف يعقلون ما يقال لهم، أو يتفهمون دعوة الحق والإيمان؟!

١٧٢- يا أيها المؤمنون كلوا من الحلال الطيب، والخيرات الوفرة، ولا تحرموا شيئاً مما لم يحرمه الله، واحمدوا الله على ما أنعم عليكم من النعم والطيبات، إن كنتم لا تعبدون غيره، وإنما تخصصونه بالعبادة، فكلوا من الطيبات، ولا تحرموا غير الحرام.

١٧٣- إنما المأكَل التي حرّمها الله فقط هي الميتة التي تموت حتف أنفها من غير ذبح شرعي، وهي ميتة البر، لا ميتة البحر من السمك والجراد، والدم المسفوح، فيحل الدم الجامد وهو الكبد والطحال، وجميع أجزاء الخنزير، وما ذبح وذكر عليه اسم غير الله، كاللات والعزى، فمن اضطر إلى شيء من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد، ولم يجد شيئاً من الحلال، فأكل غير طالب للشيء المحرم ذاته، وغير متجاوز قدر الضرورة الشرعية، فلا إثم عليه فيما أكل منها، إن الله غفور لمن أكل الحرام مضطراً، رحيم بعباده حيث أحل لهم الحرام للضرورة.

١٧٤- إن علماء اليهود الذين يخفون ما أنزل الله في التوراة من صفة محمد ﷺ ووصحة رسالته، وكل من كتم ما شرعه الله، وأخذ عليه الرشوة، ويستبدلون بما كتموه عوضاً قليلاً من متاع الدنيا وهو ما يأخذونه من أتباعهم، وهو قليل- وإن كثر- أمام عذاب الآخرة، أو تلك ما يأكلون إلا ما يدخلهم النار، ويوجب عليهم العذاب، ولا يكلمهم الله كلام معبودة ورضا وتحقيق التمنيات، ولا يطهرهم من دنس الذنوب أو الأعمال الخبيثة، ولهم عذاب مؤلم إذا ماتوا مصرين على كفرهم. أخرج الطبري عن ابن عباس قال: نزلت هذه الآية والتي في آل عمران [٣ / ٧٧]: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ﴾ نزلنا جميعاً في يهود.

١٧٥- إن الذين يكتمون ما أنزل الله هم الذين يستبدلون الضلالة بالهدى في الدنيا، والعذاب بالمغفرة في الآخرة، فما أجرهم على عذاب النار بسبب كتمانهم الحق وكفرهم برسالة محمد ﷺ.

١٧٦- ذلك العذاب بسبب أن الله أنزل ما أنزل من الكتاب (التوراة) بالحق الثابت والحجة القاطعة، فكتموه وحرفوه، وإن الذين اختلفوا في الكتاب، فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه، أو وصفوه بالسحر أو بالأساطير، لفي خلاف بعيد عن الحق والصواب والهداية.



﴿ لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُوَلُّوا وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ
وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ
وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّائِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ
وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُوا
وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاءِ وَالضَّرَّاءِ وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ
الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿١٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ
آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتْلَةُ حَرْبًا وَالْحَرْبُ وَالْعَبْدُ
بِالْعَدْوِ وَالْأَنْثَىٰ بِالْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتَّبِعْ بِالْمَعْرُوفِ
وَأَدِّ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ مِّن
رَّبِّكُمْ يَعْتَدِي بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٨﴾ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ
حَيَوةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧٩﴾ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا
حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ
بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿١٨٠﴾ فَمَنْ بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ
فَأَمَّا إِنَّمَا عَلَى الَّذِينَ يَبْدُلُونَهُ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٨١﴾

١٧٧ - ليس الخير الكثير في مجرد التوجه جهة المشرق والمغرب، ولكن الخير الجامع هو إيمان من آمن بالأصول الستة للإيمان، وأصول الأعمال الصالحة - والمراد بالكتاب هنا جنس الكتاب، أي كتب الله، وأعطى المال وهو يحبه لأقاربه، فإن دُفع المال إليهم صدقة وصله إذا كانوا فقراء - وآتى اليتامى الفقراء (الذين فقدوا والدهم في سن الصغر) والمساكين الذين لا يجدون ما يكفيهم لحاجاتهم، والمسافر المنقطع في الطريق عن بلده، والسائلين: الطالبين للمال لعوزهم واضطرابهم إليه، ولشراء المالك وإعتاقها وفك الأسارى، وأقام الصلاة بأركانها وشروطها، وآتى الزكاة المفروضة للمستحقين مع صدقة التطوع، والموفون لعهود الله والناس، وأخص بالمدح الصابرين في الشدة والفقر، وفي المرض والضرر بفقد الأهل والمال والولد، أولئك الذين صدقوا في إيمانهم، وأولئك الذين اتقوا ربهم بالتزام أوامره واجتنب نواهيه واتقوا النار. روى عبد الرزاق عن قتادة قال: كانت اليهود تصلي قبل المغرب، والنصارى قبل المشرق، فنزلت الآية: ﴿ ليس البر... ﴾.

١٧٨ - يا أيها المؤمنون فرض عليكم القصاص من القاتل عمداً دون غيره، يقوم به ولي الأمر، على أساس قاعدة المائلة، الحر يقتل بالحر، والعبد يقتل بالعبد، ولا يقتل الحر بالعبد، ولا يقتل عند الجمهور غير الخنفة

المسلم بالكافر عملاً بالسنة الثابتة، وتقتل الأنثى بقتلها أنثى، ويقتلها الرجل بالأولى، ويقتل الرجل بالمرأة عملاً بالحديث: «وإن الرجل يقتل بالمرأة» فإذا عفي للقاتل عن القصاص من جهة المجني عليه أو وليه مجاناً أو بالدية، ففي حال قبول الدية على المستحق مطالبة القاتل بالمعروف، فلا يلزمه بدفع الدية مرة واحدة، وينظر إن كان معسراً، وعلى القاتل أداء الدية إلى ولي الدم بإحسان دون معاملة أو جحود أو إساءة في القول، ذلك الحكم المقرر بالعرف أو الدية تخفيف عليكم أيها المؤمنون من المشرع بتشريع القصاص، والعفو بدلاً عنه مجاناً أو بعرض، إذا قورن بحكم التوراة المقتصر على القصاص فقط، وهو رحمة بكم، فمن اعتدى بعد العفو أو الدية بالثأر من القاتل، فله عذاب مؤلم في الآخرة، وقصاص في عالم الدنيا. نزلت هذه الآية - كما ذكر قتادة والشعبي وغيرهما - للرد على تجاوزات الجاهلية وبغيتهم بقتل الحر مكان العبد، والرجل مكان المرأة، وقتل غير القاتل.

١٧٩ - ولكم في عقاب القصاص القائم على المائلة لفعال الجاني قتلاً أو جرحاً، حياة أمانة يا ذوي العقول، بدلاً من عادة الأخذ بالثأر؛ لأن القاتل إذا علم أنه سيقتل ارتدع، ولكي تتقوا إراقة الدماء مخافة القصاص وعذاب الآخرة.

١٨٠ - فرض عليكم أيها المؤمنون حين ظهور أمارات الموت، الإيصال للوالدين والأقارب غير الورثة بالعدل الذي لا يتجاوز فيه عن مقدار الثلث، حقاً واجباً على المتقين. وقد نسخ الإيجاب بأية الموارث في سورة النساء [الآية ١١] وأصبحت الوصية سنة.

١٨١ - فمن بدّل الإيصال بعدما سمعه من الموصي، وكان شاهداً أو وصياً، فإنم تبديله على المبدّل ما جاء في الوصية، ولا إثم على الموصي الميت، إن الله سميع لأقوال الموصين والمبدّلين، علم بنواياهم ومقاصدهم.

فَمَنْ خَافَ مِنْ مَوْصٍ جَنًّا أَوْ إِثْمًا فَأَصْلَحَ بِنَهْمِهِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٨٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾ أَيُّهَا تَعَدُّوَاتٍ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهَا فِدْيَةٌ طَعَامُ مَسْكِينٍ مَنِ قَطَّعَ خَيْرًا فَهِيَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصُومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٨٤﴾ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَنْ كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أَيَّامٍ أُخَرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٨٥﴾ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أَحِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَا فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾

١٨٢ - فمن علم من الموصي ميلاً عن الحق خطأ أو عمداً، فأصلح بين الورثة والموصى له ما وقع من الشقاق والخلاف بسبب الوصية، بإبطال ما فيه ضرر ومخالفة للشرع، وإثبات ما هو حق، فلا ذنب عليه في هذا التعديل، إن الله كثير الغفران والرحمة للمصلحين.

١٨٣ - يا أيها المؤمنون فرض الله عليكم الصيام بالإمساك عن شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية خالصة، كما فرض على الأم السابقة، لتتقوا النار وتفوزوا بالرضوان الإلهي، وتزكوا النفس من مساوي الأخلاق.

١٨٤ - كتب عليكم أن تصوموا أياماً محدداً بعدد معلوم، وهي أيام رمضان، فمن كان من المكلفين مريضاً: لا يطبق الصوم أو يطيقه مع الضرر والمشقة، أو مسافراً سفر قصر (٨٩ كم) أو أكثر، فله أن يفطر، وعليه صيام الأيام التي أفطرها بعد الشفاء أو السفر، وعلى الذين يتحملون الصيام بمشقة شديدة، ولم يصوموا كالشيخ الكبير الفاني والحامل والمرضع، فعليهم فدية، وقدرها طعام مسكين واحد عن كل يوم، ومقداره نصف صاع من بر أو صاعاً من تمر ونحوهما، فمن أطمع أكثر من مسكين واحد، أو زاد على قدر الفدية، فهو أفضل وأكثر ثواباً، والصيام خير لهم من الإفطار مع الفدية، إن كنتم تعلمون مدى ثواب الصيام عند الله تعالى. أخرج ابن سعد في الطبقات عن مجاهد قال: هذه الآية نزلت في مولاي قيس بن السائب: ﴿وعلى الذين يطيقونه...﴾ فأفطر، وأطعم لكل يوم مسكيناً.

١٨٥ - تميز شهر رمضان بيده نزول القرآن فيه في ليلة القدر، أو بنزوله جملة من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا، هادياً للناس من الضلالة، وآيات محكمات واضحات، من الهدى الإلهي القوي البيان الواضح للعقول، وهو واضح الفرق بين الحق والباطل، فمن حضر الشهر مقيماً غير مسافر، بأن رأى الهلال أو بلغه ذلك، فعليه صيامه، ومن كان مريضاً يشق عليه الصيام أو مسافراً بعض الشهر أو كله، فله أن يفطر، ويقضي بدلاً عن الأيام التي أفطرها بعد رمضان، يريد الله التيسير عليكم بالترخيص للمسافر والمريض في الإفطار، ولا يريد التشديد والمشقة، ويكون القضاء لمن أفطر بعد إتمام عدد الأيام التي أفطرها، وإكمال الأجر، ولتعظيم الله وشكره على نعمه كلها بالصوم والذكر المعروف، بدءاً من رؤية هلال شوال إلى صلاة العيد.

١٨٦ - وإذا سألك أيها الرسول عبادي عني، فقل لهم: إن الله قريب منكم لا حجاب بينه وبينكم، يجيب دعاء الداعين إذا دعوه، فليجيبوا ما أطلبه منهم مخلصين، وليعملوا بما أمرهم به من الإيمان والعمل الصالح، وليصدقوا بقراب الله منهم وإجابته دعاءهم مع دوام التصديق، لكي يهدوا لما فيه خير الدنيا والآخرة. وسبب النزول فيما ذكره الطبري عن معاوية بن حيدة قال: جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: أقریب ربنا، فنناجیه، أم بعید فننادیه؟ فسکت عنه، فنزلت الآية.

١٨٧- أبيض لكم في ليالي الصيام لا في النهار مباشرة الزوجات بالجماع وغيره، فكل من الزوجين ستر للآخر من الحرام، بسبب مخالطة كل واحد منهما بالآخر، كامتزاج الثوب ولايسه، فلهدائم الترخيص والتيسير، علم الله أنكم تخونون أنفسكم بالمباشرة في ليالي الصوم، حينما كان الصوم يبدأ بمجرد نوم الصائم بعد الإفطار، فتاب عليكم بأن قبل التوبة من تلك الحياة، وغفر لكم، فالآن بعد نسخ حكم تحريم المقدرات بعد النوم، يجوز لكم مباشرة نسائكم، واطلبوا ما أباحه الله لكم من الاستمتاع للإنجاب الذرية أو الولد، وبياح لكم الأكل والشرب أثناء الليل كله، إلى أن يطلع الفجر الصادق، بيده ظهور ضوء النهار وانحسار ظلمة الليل، وذلك هو المراد بالخيطة الأبيض، أي ضوء الفجر المعترض في الأفق الذي يظهر كالخيطة الممدود بجوار سواد الليل، وشبهه الفجر والليل بخرطين: أبيض وأسود لامتدادهما. ثم أمّوا الصيام إلى غروب الشمس. ولا تجوز مباشرة النساء أثناء الإقامة في المساجد للعبادة (وهو الاعتكاف) وتلك الأحكام المذكورة للصيام والاعتكاف حدود الله، أي محظوراته ومنوعاته، فلا تقربوها بالمخالفة، وبمثل هذا التوضيح بين الله أحكام دينه للناس ليشقوا ربهم، ويبتعدوا عن المحرمات. أخرج أحمد وغيره عن معاذ بن جبل قال: كانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء، ما لم يتاموا، فإذا ناموا، امتنعوا، فخالف ذلك قيس بن الصرمة وعمر، فنزلت الآية.

أحل لكم ليلة الصيام الرفق إلى نسائكم هن لباسكم وأنتر لباسهن من الله أنكم كنتم مخافون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فأئن شروهن وأبتعوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخط الأبيض من الخط الأسود من ليل لئلا تنسوا الصيام إلى الليل ولا تبشروهن وأنتنه عاكفون في المسجد تلك حدود الله فلا تقربوها كذلك بين الله بينه للناس لعلهم يتقون ﴿١٨٧﴾ ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل وتدلوا بها إلى الحكام لتأكلوا فريقاً من أموال الناس بالإثم وأنتم تعلمون ﴿١٨٨﴾ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج وليس البر أن تأتوا البيوت من ظهورها ولكن البر من اتقى وأتوا البيوت من أبوابها واتقوا الله لعلكم تفلحون ﴿١٨٩﴾ وقلوا في سبيل الله الذين يقبلوكم ولا تعتدوا إن الله لا يحب المعتدين ﴿١٩٠﴾ وأقلوا حيث يقصروهم وأخرجوهم من حيث أخرجوهم والفتنة أشد من القتل ولا تقبلوهم عند المسجد الحرام حتى يبتلوكم فيه فإن قتلوكم فاقتلوهم كذلك جراه الكافرين ﴿١٩١﴾

١٨٨- ولا تأكلوا أموال غيركم بالباطل: وهو ما لم يبع الشرع أخذه من مالكه، كمره البغي، وحلوان الكاهن، وثمان الخمر، وتخصموا بشأنها (أي الأموال) إلى القضاة، وتلتمسوا الأحكام الجائرة بالرشوة وغيرها، فحكم الحاكم لا يحل الحرام، ولا يحرم الحلال، وأنتم تعلمون أنكم ظالمون غيركم بأخذ تلك الأموال. نزلت في امرئ القيس بن عباس وعبدان بن أشرع الحضرمي، اللذين اختصما في أرض، وأراد الأول أن يحلف، ففيه نزلت: ﴿ولا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل﴾.

١٨٩- يسألونك أيها النبي عن أحوال الأهلة كل شهر بالزيادة والنقصان، فقل لهم: إنها مواقيت للناس في أعمالهم الدينية والدنيوية، يحددون بها أوقات زرعهم وأعمالهم وشروطهم المؤجلة، وأمور دينهم في الصوم والقطر وعبد النساء ومناسك الحج، وليس عمل الخير بأن تأتوا البيوت من ظهورها، حيث كان العرب في الجاهلية إذا حجوا لا يدخلون من أبواب بيوتهم، ولكن من ظهورها، ولكن الخير في تقوى الله بالزمام أو امره وتجنب محارمه، وبياح لكم دخول البيوت من أبوابها في سائر الأحوال، وعبدوا الله حق عبادته، لكي تفوزوا برضوانه. نزلت آية ﴿يسألونك﴾ في معاذ بن جبل وثلعبنة بن غنم الأنصاريين اللذين سألا عن تقلبات الهلال صغراً وكبيراً. ونزلت آية ﴿وليس البر﴾ في رجل خالف ما كان يفعل الأنصار في الجاهلية بعد حجهم بالدخول إلى البيوت من ظهورها، فكانه غير بذلك، فنزلت هذه الآية.

١٩٠- قاتلوا أيها المؤمنون لإعلاء كلمة الله الذين يقاتلونكم من الكفار، ولا تعتدوا على غير المحاربين، إن الله يعاقب المعتدين. نزلت هذه الآية في الإذن بقتل قريش بعد صلح الحديبية إذا صدوهم عن المسجد الحرام وقاتلوهم في الشهر الحرام.

١٩١- واقتلوا المشركين المعتدين حيثما وجدتموهم، وأخرجوهم من ديارهم مثلما أخرجوكم من مكة، وفتنة المؤمنين عن دينهم بالتعذيب ومحاولة الإرجاع إلى الكفر أشد سوءاً من القتل، ولا تبتدئوا المشركين بالقتال في حرم مكة وما حولها حتى يقاتلوكم فيه، فإن بدؤوكم بالقتال في الحرم، فقاتلوهم فيه؛ لأن سنة الله أن يجازي الكافرون مثل هذا الجزاء لبدنهم بالعدوان.



فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ وَعَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٩٢﴾ وَقَدْ لُؤْمَرُ
 حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ لِلَّهِ فَإِنْ أَنْتَهَوْا فَلَا عُدْوَانَ
 إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾ الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ
 وَالْحُرُمَتُ قِصَاصٌ مَن آغْتَدَى عَلَيْكُمْ فَآغْتَدُوا
 عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا آغْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
 مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩٤﴾ وَأَنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ
 إِلَى التَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٩٥﴾
 وَأَتَمُّوا الْحَجَّ وَالْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُخْضِرْتُمْ فَمَا اسْتَيْسَرَ
 مِنَ الْهُدَى وَلَا تَخْلُقُوا زُرًّا وَسَكْرًا حَتَّى يَبْلُغَ الْهُدَى
 مَحَلَّهُ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضًا أَوْ بِهِ آذَى مِنْ رَأْسِهِ فَعِدَّةٌ
 مِنْ صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ فَإِذَا أَمِنْتُمْ فَمَنْ تَمَتَّعَ
 بِالْعُمْرَةِ إِلَى الْحَجِّ فَمَا اسْتَيْسَرَ مِنَ الْهُدَى فَمَنْ لَزِمَ الْحَدَّ
 فِصْيَامًا لِنِسَاءِ الْحَجِّ وَسَبْعَةٌ إِذَا رَجَعْتُمْ مِنْ ذَلِكَ عَشْرَةٌ
 كَامِلَةٌ ذَلِكَ لِمَنْ لَزِمَ الْحَدَّ وَأَهْلُهُمْ حَاضِرِينَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ
 وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٩٦﴾

١٩٢- فإن انتهوا عن قتالكم أو أسلموا، فإن الله غفور لما سلف منهم، رحيم بقبول توبتهم، فإن الإسلام يجب ما قبله من الآثام.

١٩٣- وقاتلوا المشركين حتى لا يعودوا التعذيب المؤمنين وفتتتهم عن دينهم، ويكون الدين خالصاً لله وحده، فإن انتهوا عن القتال، فلا اعتداء إلا على الظالمين أنفسهم المصيرين على شرهم.

١٩٤- انتهاك حرمة الشهر الحرام تقابل بالمثل، فمن قاتلكم فيه، قاتل جزاءً وفاقاً، والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب، والحرمات (وهي كل ما يجب احترامه وحفظه ويمنع الشرع من انتهاكه) يقابل انتهاكها بمثله، والجزاء من جنس العمل، فمن استباحها بقتال أبيح دمه وماله، وللمعتدى عليه رد العدوان بمثله في مال أو بدن دون ظلم أو ارتكاب حرام، ويكون الجزاء بمثل فعل المعتدى، واعلموا أن الله مع المتقين بالعون والنصر.

ذكر فتادة فيما أخرجه الطبري: أن الآية نزلت للرد على المشركين في الحديبية، حين صدوا النبي ﷺ وأصحابه عن دخول مكة في ذي القعدة، فأقصه الله تعالى منهم في العام المقبل، وأنزل هذه الآية.

١٩٥- وأنفقوا في سبيل الله وهو الجهاد، ولا تعرضوا أنفسكم للهلاك بسبب البخل في إنفاق المال، وترك الجهاد، والاكتفاء بإصلاح الأموال، وأحسنوا إنفاق المال في طاعة الله، إن الله يثيب المحسنين ببذل أموالهم في طاعته. قال الشعبي: نزلت في الأنصار، أمسكوا عن النفقة في سبيل الله تعالى، فنزلت هذه الآية.

١٩٦- وأدوا الحج والعمرة، وأتموا مناسكهما، فإن منعتهم من الدخول إلى مكة بمرض أو عدو أو نحوهما، فأنحروا للتحلل من الإحرام ما تيسر من الهدى: وهو ما يهدى إلى البيت الحرام من إبل أو بقرة أو غنم ليذبح في مكة تقريباً إلى الله تعالى، ولا تحلقوا رؤوسكم للإحلال من الإحرام حتى يذبح الهدى في المكان الذي شرع فيه ذبحه، إن كان مع المحرم هدي، بأن يصل إلى محل نحره بنية التحلل. فمن كان مريضاً أو برأسه علة تستوجب الحلق، فيجب عليه فدية بخير فيها بين إطعام ستة مساكين، أو إهداء شاة، أو صوم ثلاثة أيام، فإذا أمنتهم من خوفكم أو شفيتهم من مرضكم، فعلى المتمتع بالعمرة (وهو أن يحرم بعمرة في أشهر الحج، ثم يقيم حلالاً بمكة إلى أن يحرم بالحج) المنتظر إلى ميقات الحج ليحرم به من جديد: هدي يذبحه جبراً لتقص الإتمام بالتمتع، واستفادته من المباحات في غير حالة الإحرام، فمن عجز عن الهدى لفقدانه أو لعدم استطاعته شراءه (أي عدم المال أو عدم الحيوان) صام ثلاثة أيام قبل الوقوف بعرفة في أيام الحج، بدءاً من الإحرام به إلى يوم النحر، وصام سبعة أيام إذا رجع إلى الوطن، فتصبح العدة عشرة أيام، ذلك الحكم من إيجاب الهدى أو الصيام على المتمتع، لغير أهل الحرم المقيمين في مكة، بأن يبعدوا عنها مسافة القصر، واعلموا أن الله يعاقب كل من يتهك حرمة. نزلت كما أخرج ابن أبي حاتم فيمن أساء عمرته بالظهور والثياب، فقال النبي له: ألق عنك ثيابك، ثم اغتسل واستنشق ما استطعت، ثم ماكنت صانعاً في حجك، فاصنع في عمرتك.

أَلْحَجَّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ فَمَنْ وُضِعَ فِيهِمْ أَلْحَجٌّ فَلَا رَفَثَ
وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي أَلْحَجِّ وَمَا تَفَعَّلُوا مِنْ خَيْرٍ
يَعْلَمُهُ اللَّهُ وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى
وَأَتَّقُوا يَأْتِي أُولَى الْأَلْبَابِ ﴿١٩٧﴾ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ
أَنْ تَسْعَوْا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ فَإِذَا أَقَضْتُمْ مِنْ عَرَفَاتٍ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ عِنْدَ الْمَشْعَرِ الْحَرَامِ وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ
وَإِنْ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الضَّالِّينَ ﴿١٩٨﴾ ثُمَّ أَقْبِسُوا
مِنْ حَيْثُ أَقْبَسَ النَّاسُ وَأَسْتَغْفِرُوا إِنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٩٩﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمْ مِنْ مَنَاسِكَكُمْ
فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ
أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا
فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِنْ خَلْقٍ ﴿٢٠٠﴾ وَمِنْهُمْ
مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الآخِرَةِ
حَسَنَةً وَقَدْ عَدَّابَ النَّارَ ﴿٢٠١﴾ أُولَئِكَ لَهُمْ
نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٢٠٢﴾

١٩٧- وقت الحج : أشهر معلومات : وهي شوال، وذو القعدة، وذو الحجة (العشر الأوائل منه) فمن أحرم قبلها أهل بعمرة، ومن أوجب على نفسه الحج في هذه الأشهر، وأحرم به، فلا رث (جماع أو فحش في الكلام) ولا فسوق (ارتكاب معاص أو خروج عن حدود الشرع) ولا جدال (مجادلة تورث الخصومة والمشاجرة) وما تفعلوا في الحج من خير كإطعام وصدقة، يعلمه الله، ثم شيب عليه، وتزودوا للحج بزاد الطعام والنفقة حتى لا تحتاجوا غيركم، وللآخرة بالعمل الصالح، فإن خير زاد نافع يوم القيامة هو تقوى الله، وخافوا الله يا أصحاب العقول .

١٩٨- ليس عليكم إثم من التجارة وطلب الرزق في الحج، فإذا اندفعتكم إلى المزدلفة من عرفات بعد الوقوف فيها، فاذكروا الله وادعوه وصلوا عند المشعر الحرام بالمزدلفة : وهو جبل مُزَح الذي يقف عليه الإمام في المزدلفة، واذكروه ذكراً حسناً بالتلبية والتهيل والدعاء والحمد والثناء، وإن كنتم من قبل هذا الهدى لمن الجاهلين البعيدين عن الحق في العقيدة والعبادة . روى البخاري عن ابن عباس قال : كانت عكاظ ومجنة وذو المجاز أسواقاً في الجاهلية، فتأثموا أن يتجروا في المواسم،

فسألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت : ﴿ ليس عليكم جناح ﴾ .

١٩٩- ثم اندفعوا إليها الحاج من المزدلفة صباح يوم العيد، من حيث يفيض الناس من عرفة، واطلبوا المغفرة في مواطن الإجابة والقبول، إن الله كثير المغفرة، واسع الرحمة بالتائبين . أخرج الطبري عن ابن عباس قال : كانت العرب تقف بعرفة، وكانت قريش تقف دون ذلك بالمزدلفة، فأنزل الله : ﴿ ثم أقبسوا .. ﴾ .

٢٠٠- فإذا فرغتم من أعمال الحج يوم النحر، وهي الرمي والذبح والحلق وطواف الإفاضة، فاذكروا الله ذكراً حسناً بالحمد والثناء والتهيل والتكبير، كافتخاركم بأسلافكم ويطولاتكم، بل أكثر ذكراً واهتماماً وتضرعاً، فمن الناس من يطلب في الدنيا الرزق والمنصب والنصر، وما له في الآخرة من نصيب . أخرج الطبري عن مجاهد قال : كانوا إذا قضوا مناسكهم، وقفوا عند الجمرة، وذكروا آباءهم في الجاهلية، وفعال آبائهم، فنزلت هذه الآية .

٢٠١- ومنهم من يطلب في الدنيا سعة الرزق والعافية والأمن، والزوجة والولد الصالحين، وفي الآخرة الجنة والرضوان والوقاية من عذاب النار . قال ابن عباس : كان قوم من الأعراب يجيئون إلى الموقف، فيقولون : اللهم اجعله عام غيث، وعام خصب، وعام ولاء وحسن، لا يذكرون من أمر الآخرة شيئاً، فنزلت الآية (٢٠٠) ويحيى آخرون من المؤمنين فيقولون : ﴿ ربنا آتانا في الدنيا حسنة .. ﴾ .

٢٠٢- أولئك الذين طلبوا خيري الدنيا والآخرة لهم حظ وافر من الثواب والقبول بسبب عملهم، والله سريع الحساب، يحاسب الخلق كلهم في قدر نصف يوم، لا يشغله شأن عن شأن .



٢٠٣- واذكروا الله أيها المسلمون الحجاج وغيرهم في أيام منى أيام رمي الجمرات، وهي أيام التشريق الثلاثة بعد العيد، بالتكبير عقب الصلوات، ووقته لغير الحجاج من صبح يوم عرفة إلى عصر آخر أيام النحر، فمن استعجل بالنفرة من منى في اليوم الثاني بعد الرمي، فلا حرج، ومن تأخر إلى الثالث، فلا حرج عليه أيضاً، وإباحة ذلك لمن اتقى الله في حجه، وخافوا الله في جميع أموركم، واعلموا أنكم مجموعون إلى الله في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم.

٢٠٤- بعض الناس وهم المنافقون يعجبك أيها النبي قوله في الدنيا: إنه مؤمن بالله ورسوله، ويحلف على صدق ما في قلبه من محبة الرسول أو الإسلام، وهو أشد الناس خصومة. روى الطبري عن السدي أن الآيات (٢٠٤-٢٠٦) نزلت في الأخنس بن شريق، أتى النبي ﷺ، وأظهر له الإسلام، ثم خرج، فمر بزرع لقوم من المسلمين وحُمُر، فأحرق الزرع، وعقر الحُمُر، فأنزل الله هذه الآية.

٢٠٥- وإذا ذهب وانصرف عنك، بذل جهده ليفسد في الأرض بالتخريب والاحتياك والقتل والظلم، وبهلك النبات والحيوان ونسله، والله لا يرضى عن الفساد مطلقاً في الدين والدنيا، بل يعاقب عليه.

٢٠٦- وإذا طلب منه اتقاء الله في فعله وترك الإفساد، أخذته الحمية والكبرياء عن قبول النصيحة، بسبب غبه وضلاله، فيكفيه عذاب جهنم عقاباً، ويثس الموضع الذي يستقر فيه.

٢٠٧- وبعض الناس يبيع نفسه في مرضاة الله، كالجهاد، والله ذو رحمة واسعة بعباده. نزلت بسبب تخلي صهيب بن سنان الرومي عن ماله بمكة، ليمكثوه من الهجرة إلى المدينة، فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: «ريح البيع أبا يحيى صهيب، ريح البيع» ونزلت الآية.

٢٠٨- يا أيها المؤمنون، ادخلوا في الإسلام بكلية دون تجزئة أو سالموا، واعملوا بجميع أحكامه، فلا تناقروا، واحذروا وساوس الشيطان، ولا تطيعوا ما يأمركم به، إنه عدو ظاهر العداوة لكم. أخرج الطبري أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه من اليهود، لما عظموا السبت، وكرهوا الإبل بعد قبول الإسلام، فأنكر ذلك عليهم المسلمون.

٢٠٩- فإن انحرفتم عن طريق الحق، من بعد مجيء الآيات الواضحات الدالة على أن الدخول في الإسلام هو الحق، فاعلموا أن الله غالب لا يعجزه شيء، قادر على الانتقام منكم، حكيم فيما يفعل بكم.

٢١٠- هل ينتظر التاركون للدخول في الإسلام إلا أن يأتيهم الله للحساب والعذاب، وتأتيهم الملائكة لتنفيذ أمر الله فيهم، في مظلة من السحاب الأبيض الرقيق، وتُمرغ من أمر إهلاكهم، وإلى الله مرجع الأمور كلها في الدنيا والآخرة.

٢١١- أسأل يا محمد بني إسرائيل سؤال توبيخ عن العدد الكثير من براهين أنبيائهم الدالة على صدقهم وصدقك، فبدلوها، ومن يغير هداية الله ودينه بالكفر بها والتحريف، فإن الله شديد العقاب والترهيب لمن خالف أوامره وأساء لشرعه وأنبيائه.

وَأَذْكُرُوا اللَّهَ فِي آيَاتِهِ وَمَقْعَدِ وَدَائِهِ مَنْ لَعَلَّ فِي يَوْمٍ
فَلَا اسْمَ عَلَيْهِ وَمَنْ تَأَخَّرَ فَلَا اسْمَ عَلَيْهِ لِمَنِ اتَّقَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ
وَأَعْلَمُوا أَنَّهُ إِلَهُ خَشْرَتِكُمْ ۗ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُعْجِبُ قَوْلَهُ
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهَدُ اللَّهُ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ
وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ
وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفُسَادَ ۗ وَإِذَا قِيلَ لَهُ اتَّقِ اللَّهَ
أَخَذَنَّهُ الْعِصْرَ ۗ الْأَيْمُ حَسْبُهُ ۗ وَجِئْتُمُ الْمَهَادِ ۗ
وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
رَءُوفٌ بِالْعِبَادِ ۗ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ الَّذِينَ آمَنُوا أَخْلَوْا فِي النِّسْرِ
كَافَّةً وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ
فَإِن زَلَلْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْكُمْ الْبَيِّنَاتُ فَأَعْمُوا أَبْصَارَ اللَّهِ
عَن رِّجَالِكُمْ ۗ هَلْ تَطُورُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلُلٍ مِّنَ السَّمَاءِ
وَاللَّيْلِ تَكَوَّفُصَى الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۗ سَلَّ
بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَّةً أَنْتَلَّهُمْ مِنْ عَائِبَةٍ بَعَثَهُ وَمَنْ يُبَدِّلْ نِعْمَةَ
اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ۗ

زِينَ الَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ
يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢١٢﴾ كَانَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً
فَبَعَثَ اللَّهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الْكِتَابَ
بِالْحَقِّ لِيُحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ فِي مَا اخْتَلَفُوا فِيهِ وَمَا اخْتَلَفَ
فِيهِ إِلَّا الَّذِينَ أُوتُوهُ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ بَيِّنَاتٌ
بَعِيًا بَيْنَهُمْ فَهَدَى اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا لِمَا اخْتَلَفُوا فِيهِ
مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ هُدًى مِّنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ
مُّسْتَقِيمٍ ﴿٢١٣﴾ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنَّ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ
وَمَا يَأْكُمُ مِثْلَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسْتَكِيمًا الْبَاسَاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَرَزَقُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا
مَعَهُ مَتَى نَصُرَ اللَّهُ الْآلَاءُ أَنْ نَصُرَ اللَّهُ قَرِيبٌ ﴿٢١٤﴾
يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ مَا أَنْفَقْتُ مِنْ خَيْرٍ فَلِلَّهِ
وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ
وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢١٥﴾

٢١٢- حُسِّنَت الدنيا للكفار والمشركين حتى
افتتنوا بهذا التزيين وأعرضوا عن الآخرة، على
عكس المسلم، ويستهزئون من المؤمنين لفقيرهم
واهتمامهم بالآخرة، والمؤمنون المتقون ربهم
ومنهم الفقراء أعلى رتبة ومقاماً عند ربهم يوم
القيامة، لأنهم في الجنة، والكفار في النار، والله
يمنح الرزق الواسع للمستحقين بغير حساب، أي
بغير تقدير ولا حصر أو تعداد.

٢١٣- كان الناس بين آدم ونوح على دين
واحد، فاختلَفوا، فبعث الله الأنبياء لهداية البشر،
مبشرين من أطاع بالجنة، ومنذرين من عصى
بالنار، وأنزل معهم الكتب السماوية بالحق الثابت
ليبين شريعة الله، ليكون الكتاب السماوي حكماً
بين الناس فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، وما
اختلف في الكتب السماوية إلا اليهود والنصارى
الذين أتوا الكتاب بعد مجيء الأدلة الدالة على
صدق الكتاب ونيبه، حسداً وحرصاً على الدنيا أو
ظلاماً، فهدى الله المؤمنين أمة النبي ﷺ إلى الحق
فيما اختلف فيه من كان قبلهم بإرادته ومشيتته
وأمره، والله يوفق من يشاء من عباده إلى الطريق
القوم.

٢١٤- بل أو هل تظنون أيها المؤمنون أنكم تدخلون الجنة بمجرد الإيمان وحده، ولم تتعرضوا لمثل ما تعرض
له من كان قبلكم من الشدائد والمحن، أصابهم الخوف والفقر، المرض والجوع، واضطربت نفوسهم من
الخوف والرعب، وأزعجوا بأنواع البلايا، حتى وصل الأمر إلى أن يقول النبي والمؤمنون به عند شدة البلاء:
متى يأتي نصر الله الذي وعدنا به؟ ونصر الله قريب من المؤمنين. نزلت هذه الآية يوم الخندق، حين أصاب
المسلمين ما أصابهم من الجهد والشدّة، والحر والبرد، وسوء العيش، وأنواع الأذى، كما قال
تعالى: ﴿هنالك ابتلي المؤمنون، وزلزلوا زلزلاً شديداً﴾ [الأحزاب ٣٣ / ١١].

٢١٥- يسألونك أيها النبي عن الشيء الذي ينفقونه ما هو؟ فأجيبوا عما هو الأولى بالقصد، وهو بيان
المصرف، فما أردتم إنفاقه من الأموال، فادفعوه للوالدين والأقارب واليتامى والمساكين، والمسافر المنقطع في
سفره، وما تقدموا من خير لهؤلاء أو غيرهم، فالله عالم به، ومجاز عليه. أخرج الطبري عن ابن جريج
قال: سأل المؤمنون رسول الله ﷺ: أين يضعون أموالهم، فنزلت: ﴿يسألونك ماذا ينفقون...﴾.

٢١٦- فرض عليكم القتال وهو كرهٌ وعسى أن
تكرهها نفوس، لما فيه من إخراج المال، ومفارقة الأهل
والوطن، والتعرض للموت، وربما كرهتم الجهاد وهو
خير لكم، لما فيه من الغلبة وإعلاء الدين والشواب
الجزيل، وربما أحببتم ترك القتال، وهو شر لكم،
لاستيلاء العدو على بلادكم، والله يعلم ما فيه
صلاحيكم، وأنتم لا تعلمون ذلك، ففخذوا ما أمرت به.
قال ابن عباس: لما فرض الله الجهاد على المسلمين،
شق عليهم وكرهوا، فنزلت هذه الآية.

٢١٧- يسألك الناس أيها النبي عن القتال في الشهر
الحرام: شهر رجب، قل: القتال فيه ذنب كبير، ولكن
منعكم فيه عن الدخول في الإسلام، وعن المسجد
الحرام، وإخراج أهله: النبي والمؤمنين منه أعظم إثماً عند
الله من القتال في الشهر الحرام، وفتنة المستضعفين
المسلمين عن دينهم بالتعذيب والإخراج أكبر إثماً من
القتل، ولا يزال الكفار يقاتلونكم أيها المؤمنون، حتى
يردوكم عن دينكم إلى الكفر، إن تمكثوا من ذلك، ومن
يرتد عن دينه الإسلام، ثم يموت كافراً، فأولئك بطلت
أعمالهم الصالحة في الدنيا، فلا يعامل معاملة المسلمين،
وفي الآخرة، فيضيع ثوابه، ويكون من أصحاب النار،
المقيمين فيها على الدوام، وهذا جزاء المرتد، أخرج
الطبري وغيره: أن رسول الله ﷺ بعث رهطاً أو

سرية، فلقوا عمرو بن الحضرمي، مقبلاً من الطائف، في أول ليلة من رجب الحرام، فقتله رجل منهم، وأخذوا
ما كان معه، ولم يشعروا بدخول رجب، فغيرهم المشركون بذلك، فنزلت الآية.

٢١٨- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله، أولئك
لهم رحمة الله كرمًا وفضلًا، والله واسع المغفرة، عظيم الرحمة بعباده. نزلت في سرية عبد الله بن جحش في رجب
قبل بدر حين قتلوا الحضرمي، فإنيهم قالوا: يا رسول الله، هل نطمع أن تكون لنا هذه غزوة نعطى فيها أجر
المجاهدين؟ فأخبرهم الله تعالى أنهم على رجاء في الأجر، لإيمانهم وهجرتهم وجهادهم.

٢١٩- يسألونك عن حكم الخمر: (وهو ماء العنب المتخمّر)، وعن القمار (قمار العرب بالأزلام): وهي قطع من
الخشب يتقمارون بها بطريقة معينة على لحم البعير) قل لهم أيها النبي: في تعاطيهما ذنب كبير ومفسدة عظيمة بضیاع
العقول وذهاب الأموال، وفيهما أيضاً منافع اقتصادية ضئيلة، فتفح الخمر: ربح التجارة فيها، ونفع الميسر: نفع الفقراء،
وإثمهما أكبر من نفعهما؛ لأنه لا خير يساوي فساد العقل بالخمر، وفساد الميسر بالمخاطرة بالمال والعداوة والتعرض
للفقر، ويسألونك عما ينفقون من أموالهم في سبيل الله، قل: أنفقوا العفو: وهو ما زاد عن الحاجة ونفقة العيال، ومثل
هذا البيان بين لكم الآيات لتتأملوا في مصالحكم الدنيوية والأخروية. نزلت آية السؤال عن الخمر والميسر في عمر
ومعاد ونفر من الأنصار، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: أفتنا في الخمر والميسر، فإنهما مذهبة للعقل، مسلبة
للسال، فنزلت. ونزلت آية السؤال عن النفقة في نفر من الأنصار المؤمنين حين أمروا بالنفقة في سبيل الله،
فسألوا عما ينفقون من أموالهم، فنزلت، وهي في رأي الجمهور في نفقة التطوع.

كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ
تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ
لَكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الشَّهْرِ
الْحَرَامِ قَالِ فِيهِ قُلْ قَاتَل فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَنْ سَبِيلِ
اللَّهِ وَكَفْرٌ بِهِ وَالْمَسْجِدَ الْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِ مِنْهُ
أَكْبَرُ عِنْدَ اللَّهِ وَالْفِئْتَةُ أَكْبَرُ مِنَ الْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ
يَقْتُلُونَكُمْ حَتَّى يَرْدُوكُمْ عَنْ دِينِكُمْ إِنْ أَسْأَلْتُمُوهُمْ
يَرْدُدْكُمْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِمْ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢١٧﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا
وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ
غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١٨﴾ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ
قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ
نَفْعِهِمَا أَوْ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلْ أَمْفُوكَ ذَلِكَ
يَبْتُنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٢١٩﴾



فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْبَيْتِ قُلْ إِصْلَاحٌ لَّهُمْ
خَيْرٌ وَإِنْ عَظَمُوا هُمْ فَاحْرَبْ إِنَّكَ وَرَبُّكَ يَعْلَمُ الْمُنْفِسِدَ
مِنَ الْمُصْلِحِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَعْتَمَكُمُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٠﴾
وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمَشْرِكِ حَتَّى يُؤْمِنَ وَلَا أُمَّةَ مُؤْمِنَةٍ حَرَّمَ
مِن شُرَكَائِكُمْ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلَا تَكْفُرُوا بِالْمَشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا
وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن شُرَكَائِكُمْ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ
يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ
بِإِذْنِهِ وَيَسْتَأْذِنُ لِّلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٢١﴾
وَسَأَلُونَكَ عَنِ الْخَيْضِ قُلْ هُوَ ذِي فَاعْتَرَفُوا لِلنِّسَاءِ فِي
الْخَيْضِ وَلَا تَقْرُبُوهُنَّ حَتَّى يَطْهَرْنَ فَإِذَا تَطَهَّرْنَ فَأْتُوهُنَّ مِنْ
حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُطَهِّرِينَ ﴿٢٢٢﴾
نِسَاءُكُمْ حَرَّمَ لَكُمْ فَا تَوَاحَرَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدْ جَاءَكُمْ
لَا نَفْسِكُمْ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مَلَائِقَةٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٢٣﴾
وَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ عُرْضَةً لِأَيْمَانِكُمْ أَنْ تَبَرُّوا وَتَتَّقُوا
وَتُصَلِّحُوا بَيْنَ النَّاسِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٤﴾

٢٢٠- أي تفكرون في أمور الدنيا والآخرة، فتتفكرون من أموالكم على معاش الدنيا، والباقي في قربات الآخرة، ويسألونك أيها النبي عن مخالطة البيتامى والإشراف على شؤونهم، قل لهم: الإصلاح لهم خير من الترك، وتنمية أموالهم أفضل من تعطيلها، وإن تخلطوا أموالكم بأموالهم، وطعامكم بطعامهم، فهم إخوانكم في الدين، وذلك جازم، والله يعلم الفساد لأموالهم يأكلها من المصلح لها باستثمارها وتشغيلها، ولو أراد الله لأوقعكم في الحرج والمشقة، ولكنه يسر لكم، وأذن لكم بمخالطتهم، إن الله قوي لا يغالب، يضع الأمور في موضعها بمقتضى الحكمة، فلا يكلف فوق الطاقة. قال الضحاک والسدي: سبب نزولها أنهم كانوا في الجاهلية يتحرجون من مخالطة البيتامى في مآكل ومشرب وغيرهما.

٢٢١- ولا تزوجوا المشركات الوثنيات والكافرات غير أهل الكتاب، حتى يؤمن بالله ورسوله، والتزوج بمملوكة مسلمة خير من حرة كافرة، ولو أعجبتكم المشركه بسبب جمال أو مال أو شرف، ولا تزوجوا المشركين بالمؤمنات، حتى يؤمنوا بالله ورسوله، وتزوج عبد مملوك مؤمن خير من حرة مشرك، ولو أعجبتكم بجماله وماله وحسبه، فالنكاح والمشركات يدعوكم إلى الأعمال الموجبة للنار، فكان في مصاهرتهم ضرر ديني، والله يدعوكم للعمل بما يدخل الجنة، ونيل المغفرة الإلهية بإرادة الله وفضله، والتزواج

بين المؤمنين والمؤمنات يحقق ذلك، ويوضح الله وأمره ونواهيته للناس لكي يتعظوا ويعتبروا. قال مقاتل: نزلت هذه الآية في ابن أبي مرثد الغنوي استأذن النبي ﷺ في (عناق) أن يتزوجها وهي مشركة، وكانت ذات حظ من جمال، فنزلت.

٢٢٢- ويسألونك عن جماع النساء وقت الحيض، قل لهم: الجماع في الحيض أذى، أي قدر ضرر، فاجتنبوهن في زمن الحيض، والمراد ترك المجامعة، لا ترك المجالسة أو الاستمتاع بما عدا الفرج أو بما دون الإزار، ولا تقربوهن بالجماع حتى يطهرن من الحيض بانقطاعه، فإذا اغتسلن بالماء، فأتوهن في المأثى الذي أباحه الله، وهو القبل موضع الإنجاب، إن الله يرضى عن التائبين من الذنوب، وعن المتطهرين من الجنابة والأحداث والفواحش. قال أنس بن مالك: كان اليهود إذا حاضت المرأة منهم، لم يؤاكلوها ولم يجامعوها في البيوت، فسأل الأصحاب رسول الله ﷺ عن ذلك، فنزلت الآية، فقال: (اصنعوا كل شيء إلا النكاح).

٢٢٣- زواجكم موضع الإنجاب وزرع النطف، فأتوهن على أي كيفية تريدون قائمة قاعلة، جالسة نائمة، باركة مضطجعة، إذا كان ذلك في موضع النسل، وقدموا عملاً صالحاً تجودونه عند الله، وخافوا الله بالوقوع في الحرمات، واعلموا أنكم ملاقوا الله يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم، وبشر المؤمنين بالجنة. قال جابر: كانت اليهود تقول إذا جامعها في القبل من ورائها: إن الولد يكون أحول، فنزلت الآية.

٢٢٤- لا تجعلوا الخلف بالله على قطعة الرحم أو ترك الصدقة سبباً مانعاً لكم من فعل الخير، بل كفروا عن أيمانكم واصنعوا الخير، فتحسنوا إلى المحتاج، وتتقوا ما حرم الله، وتصلحوا بين الناس، والله سميع لأقوالكم، عليم بنياتكم، قال ابن جريج: نزلت الآية بسبب أبي بكر الصديق إذ حلف ألا يتفق على مسطح، حين خاض مع المنافقين في حديث الإفك، وتكلم في عائشة رضي الله عنها، وفيه نزل: ﴿ولا يأتل أولوا الفضل...﴾ [النور ٢٤ / ٢٢].

٢٢٥- لا كفارة بالحنث في يمين اللغو: وهي ما يسبق إليه اللسان من غير قصد الخلف، ولكن الكفارة على الأيمان المنقذة، أي التي قصدتموها وعزتم عليها، والله كثير المغفرة حيث لم يواخذكم بيمين اللغو، حلیم لا يعاجل بالعقوبة.

٢٢٦- للذين يحلفون ألا يطؤوا نساءهم انتظار أربعة أشهر، فإن رجعوا عن يمين الإيلاء المذكورة، والفيء: الجماع لمن لا عذر له، فإن الله كثير المغفرة للزوج عما حلف بقصد الإضرار، رحيم بالتائين. روى مسلم: أن النبي ﷺ آلى وطلق، وسبب إيلائه: سؤال نسائه إياه من النفقة ما ليس عنده. وقال ابن عباس: كان إيلاء أهل الجاهلية السنة والمستئين وأكثر من ذلك، فوفت الله أربعة أشهر.

٢٢٧- وإن قصدوا الطلاق وصمموا عليه، فإله سميع لأقوالهم، عليم بمقاصدهم.

٢٢٨- وعدة المطلقات: انتظار من غير زواج بأخر ثلاث حيضات، أو ثلاثة أطهار، ويحرم عليهن كتمان وجود الحمل أو الحيض في أرحامهن، استعجالاً لإعلان انتهاء العدة، ومنع الزوج من الرجعة، إن كن يصدقن بالله واليوم الآخر، فيه وعيد شديد للكفآت، وأزواجهن أحق بردهن إلى الزوجية السابقة، في مدة العدة، إن أرادوا إصلاحاً بالرجعة، وللزوجات على الرجال من الحقوق مثل ما عليهن من الواجبات، بالمعروف شرعاً، من حسن العشرة، وترك الإضرار، من كلا الطرفين، وللرجال على النساء

درجة، أي منزلة زائدة، هي درجة القوامه، بسبب قيامهم بالإنفاق عليهن، وكونهم أشد قوة وتمقلاً، فعليهم عبء الجهاد ومسؤوليات الحياة، والله قوي في ملكه لا يُخَلَّب ولا يعارض، حكيم فيما دبره خلقه. قالت أسماء بنت يزيد: طُلِّقت على عهد رسول الله ﷺ ولم يكن للمطلقة عدة، فأنزل الله العدة للطلاق: ﴿والمطلقات...﴾.

٢٢٩- الطلاق الذي تجوز بعده الرجعة مرتان، أي الطلقة الأولى والثانية، فلا رجعة بعد الثالثة، ويكون مرة بعد مرة، لا دفعة واحدة، وبعد كل مرة إما إمساك أي رجعة بمعروف بحسن العشرة وأداء الحقوق، أو تفريق بإحسان بترك مراجعتها إلى انتهاء عدتها، وذهابها إلى بيت أهلها بطيب القول، وتقديم الشعة: وهي هدية أو مال، ولا يحل لكم أيها الأزواج أخذ شيء مما أعطيتموه من المهر أو غيره، إذا كان الفراق برغبتكم، ولا دخل لها فيه، فإن خفتم أيها الحكام، أو الوسطاء بين الزوجين، أو الزوجان، ألا يقيما حدود الله في بقائهما في الزوجية بحسن عشرة وطاعة، فلا إثم على الطرفين أن تبذل المرأة شيئاً من المال عوضاً عن فراقها، وهذا هو الخُلْع، تلك هي أحكام الله في الزواج والفراق التي أمرتم بامتثالها، فلا تتجاوزوها بالمخالفة لها، ومن يخالفها فهم الظالمون لأنفسهم. قالت عائشة: نزلت حينما قال رجل لامرأته: والله لا أطلقك فتسيني مني، ولا أويك أبداً، قالت: وكيف ذلك؟ قال: أطلقك، فكلما همت عدتلك أن تنقضي، واجعتك، فنزل القرآن: ﴿الطلاق مرتان...﴾.

٢٣٠- فإن طلقها الزوج طلقة ثالثة، فلا تحل له رجعتها، حتى تتزوج زوجاً آخر غيره زوجاً دائماً غير مؤقت، ويجماعها، فإن قصد التحليل للأول، فذلك حرام، فإن طلقها الزوج الثاني، فلا حرج على الزوج الأول أن يتزوجها بعقد جديد بعد انقضاء العدة، إن علما أنهما ينفذان حقوق الزوجية الواجبة على الطرفين، وتلك أحكام الله بينهن لقوم يتدبرون. نزلت هذه الآية في عائشة بنت عبد الرحمن بن عتيك، تزوجت بعد البيئونة الكبرى بزواج، ثم طلقها قبل أن يمس، وأرادت الرجوع للأول، فقال لها النبي ﷺ: لا، حتى يمس، ونزل فيها هذا الحكم.

لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبْتُمْ قُلُوبَكُمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَلِيمٌ ﴿٢٢٥﴾ الَّذِينَ يُؤْتُونَ مِنْ نِسَائِهِمْ نَهْشًا أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ فَإِنْ فَاءَ وَإِنْ اللَّهُ عَمُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٢٦﴾ وَإِنْ عَمُومًا أَطْلَقْتُمْ فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٢٧﴾ وَالْمُطَلَّاتُ يَرْتَضْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ تِلْكَ فُرُوعٌ وَلَا يَحِلُّ لِمَنْ أَنْ يَكُنْ مِنْ مَخْلُوقِ اللَّهِ فِي أَزْوَاجِهِمْ إِنْ كُنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيُعْلَمُ أَنَّ أَحَقَّ بِرَدِّهِمْ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا وَلَهُمْ مِمَّا أَلَدِي عَلَيْهِمْ بِالْمَعْرُوفِ وَالرِّجَالُ عَلَيْهِمْ دَرَجَةٌ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٢٨﴾ أَطْلَقْتُمْ مَرَّاتٍ فَأَمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ وَلَا يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَاءٍ يَتَوَمَّنُ سَيْتًا إِلَّا أَنْ يَخَافَ الْأَيْمَانُ حُدُودَ اللَّهِ فَإِنْ حَفِظْتُمْ لَا يَجْمَعُ اللَّهُ فَلَإِجْحَاحٍ عَلَيْهَا فَاِئْتَدَتْ بِهِنَّ تِلْكَ حُدُودَ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٢٩﴾ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا يَحِلُّ لَهُ مِنْ بَدْحِي نَسْجِ زَوْجًا غَيْرَهُ فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلِإِجْحَاحٍ عَلَيْهَا أَنْ يَرْتَجِعَ إِنْ طَلَّقَ أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ يُبَيِّنُهَا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٢٣٠﴾

وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَلَعْنُ أَجَاهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
 أَوْ سِرِّهِنَّ بِمَعْرُوفٍ وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ ضِرَارًا لِعْتِدَائِهِنَّ وَمَنْ يَفْعَلْ
 ذَلِكَ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ وَلَا تَحْتَدِ وَأَيُّ لَيْتَ اللَّهُ هُرًّا وَأَذْكُرُوا نِعْمَتَ
 اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَا أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنَ الْكِتَابِ وَالْحِكْمَةِ لِيُبْطِئَكُمْ وَتَقْتُلُوا
 اللَّهَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٣١﴾ وَإِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ
 فَلَعْنُ أَجَاهُنَّ فَلَا تَتَّصِلُوهُنَّ أَنْ يَكُنَّ أَرْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَصُوا
 بَيْنَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ ذَلِكَ يُوعِظُ بِهِ مَنْ كَانَ مِنْكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ
 الْآخِرِ ذَلِكَ لَكُمْ وَأَنْتُمْ وَاللَّهُ بِعَمَلِكُمْ لَاعْتَمِدُونَ ﴿٢٣٢﴾
 ﴿٢٣٣﴾ وَالْوَالِدَاتُ يُرْضَعْنَ أَوْلَادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ إِنْ أَرَادَ أَنْ يُنْفِخَ
 الرِّضَاعَ وَعَلَى الْمَوْلُودِ لَهُ رِزْقُهُنَّ وَكِسْوَتُهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ
 لَا تُكَلِّفُ نَفْسٌ الْاُئْسَمَهَا لِأَنْصَارِ وَالِدَاتِهِ بَوْلَهُمَا
 وَلَا مَوْلُودٌ لَهُ بَوْلُهُمْ وَعَلَى الْوَارِثِ مِثْلُ ذَلِكَ فَإِنْ أَرَادَ فِصَالًا
 عَنْ رِضَاعِ نِسَاءٍ وَتَسَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ
 أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ أَمَّا
 بِالْمَعْرُوفِ وَتَقْوَا اللَّهِ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٤﴾

٢٣١ - وإذا طلقتم النساء طلاقاً رجعياً مرة أو مرتين، فقاربن انقضاء عدتهن، فراجعوهن قبل انتهاء العدة، من غير قصد الإضرار وعاملوهن بالحسنى، أو اتركوهن حتى تنقضي عدتهن من غير مراجعة ضرراً، ولا تراجعوهن إضراراً وإيذاء بتطويل العدة، لتعتدوا عليهن بإجائتهن إلى الفداء بالمال (الخلع) ومن يفعل ذلك فقد عرض نفسه في الآخرة للعذاب، ولا تتخذوا أحكام الطلاق والرجعة ونحوهما طريقاً للهزء واللعب بمخالفتها، فمن طلق هازلاً لزمه الطلاق، ومن تلاعب عنده الله، واذكروا نعمة الإسلام وشرائعه بعد أن كنتم في جاهلية، واذكروا ما أنزل الله من القرآن والسنة أو أسرار الشريعة، يذكركم ويعلمكم بما أنزل عليكم لتعملوا به، وخافوا الله في جميع أموركم، واعلموا أن الله عالم بكل أعمالكم ومجازيكم عليها. قال ابن عباس: كان الرجل يطلق امرأته، ثم يراجعها قبل انقضاء عدتها، ثم يطلقها، يفعل ذلك، يضارها ويعضلها، فأنزل الله هذه الآية.

٢٣٢ - وإذا طلقتم زوجاتكم طلاقاً رجعياً، وانتهت عدتهن، فلا تمتعوهن أيها الأولياء من

نكاح أزواجهن الذين طلقوهن أو غيرهم بعد انقضاء العدة، إذا رضي كل منهما بالآخر، بما هو معروف شرعاً، ذلك النهي عن المنع (العضل) يتعظ به المؤمن بالله والآخرة، لقبوله إياه وتركه هوى النفس، وذلك الحكم المقرر بالرجعة بعقد جديد أربك وأنفع لكم، وأطهر للسمعة من الأذناس والأثام، والله يعلم ما فيه الصلاح والخير، وأنتم لا تعلمون ذلك. نزلت في معقل بن يسار حينما أراد زوج أخته أن يراجع زوجته بعد انقضاء العدة، فمنعها، وعلم الله حاجة كل من الطرفين للآخر، فأنزل الله ﴿٢٣٢﴾ وإذا طلقتم ﴿٢٣٢﴾.

٢٣٣ - على الوالدات المطلقات أو غير المطلقات إرضاع أولادهن سنتين كاملتين لمن أراد إرضاع هذه المدة، ويجوز ما دونها برضا الوالدين، وعلى والد الطفل نفقة المطلقة من طعام وكسوة بقدر طاقته، وغير المطلقة تجب نفقتها ولو من غير إرضاع الأولاد، لا تطالب نفس بنفقة الرضاع إلا بقدر طاقتها أو استطاعتها، ولا يجوز إضرار الوالدة بسبب ولدها، كالتضييق عليها بالنفقة، أو بتزج الولد منها إذا رضيت بإرضاعه أو بإكراهها على إرجاعه إذا امتنعت، وعلى وارث الأب الوصي على المولود مثل الواجب الذي كان على أبيه من نفقة المرضعة وكسوتها، فإن أراد الوالدان فطام الولد عن الرضاع، قبل الحولين، باتفاق بينهما، وتشاور فيما يحقق مصلحة الطفل، فلا إثم عليهما في هذا الاتفاق، وإن أردتم أيها الآباء أن تطلبوا مرضعة من النساء غير الأم، فلا إثم ولا حرج عليكم إذا أديتم حقوق الأمهات أو المرضعات، من الأجر، دون ماطلة أو نقص، وبالقدر المتعارف عليه بين الناس؛ لأن نقص الأجر يبعث على التساهل بأمر الولد، وبشرط ألا تتضرر الأم باسترضاع غيرها، وخافوا الله، واعلموا أن الله خير، بصير بأعمالكم، ومجازيكم عليها.



٢٣٤- والذين يموتون من الأزواج، ويتركون زوجات، فعليهن عدة أربعة أشهر وعشرة أيام بلياليها، فلا يتزوجن ولا يتزين ولا يخطبهن أحد، وقدرت هذه المدة؛ لأن الجنين يتحرك في الغالب في نهاية الأربعة أشهر، وتزاد العشرة احتياطاً لاحتتمال ضعف الحركة، فإذا انتهت عدتهن، فلا إثم عليكم إن عُدن للتزين والتعرض للخطاب والتزوج إن اردن ذلك، بحسب المتعارف عليه شرعاً ومقتضى العادة الحسننة عند ذوي المروءات، والله مطلع على أموركم، لا يخفى عليه شيء. وهذه هي عدة الوفاة بعد بيان عدة الطلاق، والإحداد واجب على المرأة المتوفى عنها زوجها، والإحداد: ترك الزينة من الطيب ولبس الثياب المزركشة والحلي.

٢٣٥- ولا ذنب عليكم في التعريض دون التصريح بخطبة النساء المعتدات المتوفى عنهن أزواجهن، أو المطلقات طلاقاً باتناً، كان يقول: إنك امرأة صالحة، أو يمدح نفسه أو يشير إشارة لطيفة بقول أو فعل، ولا يجوز ذلك للمطلقة الرجعية، ولا ذنب أيضاً فيما أضمرتم في أنفسكم بالرغبة في زواجهن، علم الله أنكم ستذكروهن بالخطبة في العدة، ولا تصيرون عنهن، فأباح لكم التعريض دون التصريح، ولا تواعدوهن سراً في العدة بالزواج، كالمقول: تزوجيني؟ إلا إذا قلتم قولاً معروفاً شرعاً: وهو ما أبيح من التعريض، مثل: إنك جميلة، أو إنني بحاجة إلى النساء الصالحات، أو إظهار الاهتمام بمصالحها وشؤونها، ولا تعقدوا عقد الزواج حتى تنتهي العدة، وتحريم العقد في العدة مجمع عليه، ولا تحمل به المرأة، واعلموا أن الله يعلم ما في أنفسكم من الرغبة والعزم وغيره، فاحذروا العقاب إذا عزمتم على الزواج قبل انتهاء العدة، واعلموا أن الله كثير المغفرة لحديث النفس، حلیم لا يعاجل بالعقوبة، صفوح عن الأخطاء.

٢٣٦- لا إثم ولا تبعة عليكم ولا مهر مثل إن طلقتن النساء قبل الدخول بهن وقبل تسمية المهر، وإنما يجب كامل المهر المسمى أو مهر المثل بالجماع، والواجب في حال عدم تسمية المهر وقبل الدخول إعطاء المطلقة المتعة: وهي هدية أو كسوة أو مال عوضاً عن المهر، وتقدر المتعة بحسب حال الزوج يساراً أو إعساراً، فعلى الغني الموسر قدر استطاعته، وعلى الفقير بقدر إمكانه، تمتعاً بالمعروف: وهو ما عُرِف في الشرع والعادة الموافقة له، و تمتعاً واجباً على الذين يحسنون معاملة المطلقات، ويخشون الله، ويخافون الظلم. نزلت الآية في رجل من الأنصار تزوج امرأة، ولم يسم لها صداقاً، ثم طلقها قبل أن يمسه، فقال له ﷺ: «أمتعها ولو بقلنسوتك».

٢٣٧- وإن طلقتن النساء قبل الدخول بهن، وقد حددتم لهن مقدار الصداق، فالواجب عليكم نصف المهر المسمى، إلا أن تعفو المطلقة وتسازل عن المهر كله أو بعضه، أو يعفو الزوج، فيعطيه المهر كله، أو لا يسترد منه شيئاً بعد الطلاق، والعفو من الرجال أو النساء أحب إلى الله تعالى، ولا تسوا أن يتفضل بعضكم على بعض بتسامحه عن بعض حقوقه للأخر، إن الله مطلع على أعمالكم، فيجازيكم عليها.

وَالَّذِينَ يَمُوتُونَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَرَبِّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِنِ بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٣٤﴾ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا عَرَّضْتُم بِهِ مِنْ خُطْبَةِ النِّسَاءِ أَوْ أَكْنَيْتُمْ فِي أَنْفُسِكُمْ عَلِيمٌ اللَّهُ أَنْتُمْ سَتَدْرُوهُنَّ وَلَٰكِن لَّا تَوَاعِدُوهُنَّ سِرًّا إِلَّا أَنْ تَقُولُوا قَوْلًا مَّعْرُوفًا وَلَا تَعْرِضُوا عُقْدَةً الِّنِكَاحِ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَإِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي أَنْفُسِكُمْ فَاحْذَرُوهُ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَافٍ عَن حَيْلِهِ ﴿٢٣٥﴾ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ مَا لَمْ تَمْسُوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا لَهُنَّ فَرِيضَةً وَمَتَّعُوهُنَّ عَلَىٰ الْمَوْسِمِ قَدَرُهُ وَعَلَىٰ الْمُقْتَرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَىٰ الْحُسْنَيْنِ ﴿٢٣٦﴾ وَإِن طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَوَضَعْنَهَا فَمَا فَرَضْتُمْ إِلَّا أَنْ يَعْفُونَ أَوْ بِعُوا الَّذِي يَسُدُّهُ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَنْ تَعْفُوا أَوْبٌ لِّلْعَفْوِ وَلَا تَنسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّا اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾

حَفِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الَّتِي تَطَّلِعُ بِهَا وَالصَّلَاةَ الَّتِي تَطَّلِعُ بِهَا وَالصَّلَاةَ الَّتِي تَطَّلِعُ بِهَا وَالصَّلَاةَ الَّتِي تَطَّلِعُ بِهَا
 قَتِيلِينَ ﴿٢٣٨﴾ فَإِنْ حِفْظُهُمْ فَرِحَ إِلَى أَوْ رَبِّكَ فَإِنَّا أَنشُرُهُمْ
 فَادْكُرُوا اللَّهَ مَا عَلَّمَكُمْ مَا تَلَكَّرْتُمْ أَن تَكُونُوا نَعْمَةً ﴿٢٣٩﴾
 وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً
 لِأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْخُلُوفِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَبُنَّ
 فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنْفُسِهِنَّ مِنْ مَعْرُوفٍ
 وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٤٠﴾ وَاللَّطْفَتِ بِمَنْعِ الْمَعْرُوفِ
 حَقًّا عَلَى الْمُتَّقِينَ ﴿٢٤١﴾ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ
 آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٤٢﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
 خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ
 مُوتُوا ثُمَّ أُنحِتُهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنْ أَكْثَرَ
 النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَعَلِمُوا
 أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٤﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يقرضُ اللَّهَ قَرْضًا
 حَسَنًا فَيُضْعِفُهُ لَهُ أَعْصَافًا كَثِيرَةً
 وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْضِطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٤٥﴾

٢٣٨- واطبوا على إقامة الصلوات، وعلى صلاة العصر، فهي الوسطى على الراجح لتوسطها بين الصلوات الخمس، وقوموا في صلاتكم خشعين. قال مجاهد- فيما رواه الطبري -: كانوا يتكلمون في الصلاة، وكان الرجل يأمر أخاه بالحاجة، فأنزل الله: ﴿ وقوموا لله قانتين ﴾.

٢٣٩- هذه صلاة الخوف، فإن خفت من عدو أو حيوان مفترس مثلاً، فصلوا مشاة، أو راكبين، مستقبلي القبلة أو غير مستقبلين، مع الحركة أو بدونها، فإذا زال الخوف، فصلوا صلاة الأمتين، باستقبال القبلة والقيام، وغير عن ذلك بالذكر: وهو التحميد والتسبيح والتشهد والقراءة؛ لأن كل ذلك ركن في الصلاة، واذكروا الله كما علمكم من الشرائع والأركان والشرائط، ما لم تكونوا تعلمون ما يرضيه من أنواع العبادات وكيفيةاتها المشروعة.

٢٤٠- والذين يموتون ويتركون زوجات، فليوصوا وصية لأزواجهم، بأن يتعن بعدهم بالفقعة والسكنى سنة كاملة، من غير إخراج من بيتوتهن- بيوت الأزواج- فإن خرجن باختيارهن قبل انتهاء السنة، فلا إثم على الولي وغيره فيما فعلن بالخروج وترك الحداد على أزواجهن، واتباع المعروف في الشرع، مما يدل على تخيير النساء في سكنى الحول، والله قوي غالب في ملكه، حكيم في صنعه وتدبير مصالحي خلقه. وهذا الحكم منسوخ بآيات الموارث،

ويوجب عدة الوفاة أربعة أشهر وعشرة أيام. نزلت في رجل من أهل الطائف قدم المدينة، فمات فيها، فأعطى النبي ﷺ ميراثه لوالديه وأولاده بالمعروف، وأمرهم بأن ينفقوا على المرأة من تركه زوجها إلى الحول.

٢٤١- وللمطلقات عموماً المدخول بهن وغير المدخول بهن منعمة واجبة أو مستحبة، وقيل: المراد نفقة العدة، بالقدر المستطاع للأزواج، حقاً مقررراً على الأتقاء. قال ابن زيد: لما نزلت: ﴿ ومتعوهن .. ﴾ [البقرة ٢/ ٢٣٦] قال رجل: إن أحسنت فعلت، وإن لم أزد ذلك لم أفعل، فأنزل الله: ﴿ وللمطلقات متاع .. ﴾.

٢٤٢- مثل ذلك البيان بين الله لكم أحكام شريعته في العبادات والمعاملات لكي تدركوها بحكمة التشريع وتعملوا بما أمرتم.

٢٤٣- ألم ينته إلى علمك أيها النبي خير أولئك القوم، وهم الؤف مؤلفة جنه، فرؤا من عدوهم مع كثرتهم، خوفاً من أسباب الموت، فأماتهم الله، ثم أحياهم، إن الله صاحب الفضل الكبير على الناس جميعاً، حيث أرشدهم إلى طريق العزة والنصر، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يشكرون الله على نعمه. والهدف: هو تشجيع المسلمين على الجهاد. قال ابن عباس: كانوا أربعة آلاف، خرجوا فراراً من الطاعون، وقالوا: تأتي أرضاً ليس بها موت، حتى إذا كانوا بموضع كذا وكذا، قال لهم الله: موتوا، فماتوا، فمر عليهم نبي من الأنبياء، فدعاهم أن يحييهم حتى يعبدوه، فأحياهم. ورأي بعض المعاصرين: أنه لما انقرض الجيل الجبان، ظهر منهم جيل عزيز، نار وهزم عدوه.

٢٤٤- وقاتلوا أيها المسلمون في سبيل إعلاء كلمة الله، واعلموا أن الله سميع لدعاكم، عليم بشؤونكم وأحوالكم.

٢٤٥- الجهاد يتطلب الإنفاق، فالذي ينفق نفقة طيبة بها نفسه من مال حلال، ينمي الله ماله في الدنيا، وينمحه في الآخرة الثواب مراراً كثيرة، والله يقلل الرزق على من يشاء، ويوسعه على من يشاء، وإليه ترجعون يوم القيامة، فيجازيكم بما قدمت من الأعمال. قال ابن عمر: لما نزلت: ﴿ مثل الذين ينفقون .. ﴾ [البقرة ٢/ ٢٦١] قال رسول الله ﷺ: رب، زد أمتي، فنزلت: ﴿ من ذا الذي يقرض .. ﴾.



٢٤٦- ألم ينته إلى علمك قصة أشرف الناس من بني إسرائيل الذين جاؤوا من بعد وفاة موسى، إذ قالوا للنبي لهم هو شمويل أو صمويل: عين أو اختر لنا ملكاً أو قائداً نعمل برأيه في الحرب، نقاتل معه الطغاة في سبيل الله، قال لهم نبيهم في ذلك الزمان: لعلمكم أو أتوقع منكم الجبن والتخاذل إن فرض عليكم القتال؟ قالوا: وما لنا ألا نقاتل، وكيف لا نكون شجعاناً، نقاتل في سبيل الله، وقد طردنا من ديارنا، وحررنا من أبنائنا بسبب أخذهم أسرى أو قتلهم؟ فلما فرض عليهم القتال، تخلفوا عن الجهاد إلا قليلاً منهم ثبتوا على العهد، والله عالم بمن نقض العهد، وظلم نفسه فأخلف الوعد.

٢٤٧- وقال لهم نبيهم صمويل: إن الله أرسل لكم طالوت ملكاً، فعليكم بطاعته، والقتال معه، فاعترضوا قائلين: كيف يكون ملكاً علينا، وهو فقير، ليس من أسرة الملوك، ونحن أصحاب السلطة والسيادة أحق بالملك منه، وهو فقير لم يؤت رزقاً واسعاً ومالاً وفيراً يستعين به على إقامة الملك؟ فقال نبيهم: إن الله اختاره لكم ملكاً، وزاده سعة في العلم، وقوة في الجسم، فكان قوياً في دينه وتدييره الأمور، وبدنه ليقاوم الأعداء في الحروب، والله واسع الفضل، عليم بمن هو أهل للملك وأصلح له والله يهب الملك لمن يختاره هو.

٢٤٨- وقال لهم نبيهم صمويل: إن علامة ملك طالوت أن يأتيكم التابوت، وهو صندوق التوراة، الذي سلب منكم وأخذكم الفلستينيون، فيه سكينته: وقار وطمانينة وسكون للنفس، أي سبب سكون قلوبكم فيما اختلفتم فيه من أمر طالوت، وفيه بقية، أي قطع من ألواح التوراة، ومخلقات وآثار آل موسى وآل هارون، كعصا موسى، تحمله الملائكة حتى تضعه في بيت طالوت، إن في ذلك علامة على ملكه، إن كنتم أمتمم بالله حقاً، فاسمعوا لطالوت وأطيعوه. قال ابن عباس: «كانت العماليق قد سبوا التابوت من بني إسرائيل، فجاءت الملائكة بالتابوت تحمله بين السماء والأرض، وهم ينظرون إليه، حتى وضعته عند طالوت، فلما رأوا ذلك قالوا: نعم، فسلموا له وملكوه، وكان الأنبياء إذا حضروا قتالاً، قدموا التابوت بين أيديهم».

أَرْسَلْنَا إِلَى الْمَلَائِكَةِ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى إِذْ قَالُوا لِنَبِيِّهِمْ أَيُّهَا اللَّهُ إِنَّا مَرَدُّوا عَلَىٰ أَعْقَابِنَا وَكَانَ سَبِيلُ اللَّهِ لَئِيْلًا غَافِلِينَ قَالَ هَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ كَتَبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ أَلَّا تُقَاتِلُوا قَالُوا وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا وَأَبْنَاءِنَا فَلَمَّا كَتَبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ تَوَلَّوْا إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٢٤٦﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدَ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِّنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٤٧﴾ وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَن يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَبَقِيَّةٌ مِّمَّا تَرَكَ آلُ مُوسَىٰ وَآلُ هَارُونَ تَحْمِلُهُ الْمَلَائِكَةُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّكُلِّ مُؤْمِنٍ ﴿٢٤٨﴾

فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ
 بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ
 مِنِّي إِلَّا مَنِ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ فَشَرَبُوا
 مِنْهُ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ فَلَمَّا جَاوَزَهُ هُوَ وَالَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ قَالُوا لَا طَاقَةَ لَنَا الْيَوْمَ بِجَالُوتَ
 وَجُنُودِهِ قَالَ الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَئُوا اللَّهَ
 كُفْرًا مِنْ فِتْنَةٍ قَلِيلًا عَلِمْتُ إِنَّهُ وَابِرٌ
 بِاللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٢٤٩﴾ وَكَتَابَ رَبُّكَ بِالْجَالُوتِ
 وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ
 أَرْضِنَا وَأَصْرَبْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥٠﴾
 فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ وَءَاتَاهُ
 اللَّهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ
 اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ
 وَلَٰكِنَّا لَنُدَوِّنُكَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ بِرَبِّكَ
 إِنَّكَ لَنَسْتُلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٥٢﴾

٢٤٩- فلما خرج طالوت عن بلده بيت المقدس مع جنوده إلى قتال العمالقة، قال لهم طالوت: إن الله مختبركم بنهر: هو نهر الأردن، فمن شرب منه، فليس من جنودي أو أصحابي الطيبين، ومن لم يذقه أو لم يشرب منه، فإنه من أتباعي وجنودي، إلا من أخذ منه بمقدار ملاء الكف بالاعتراف غرفة واحدة، فشربوا منه وعصوا أمر ملكهم إلا عدداً قليلاً منهم بعدد أصحاب بدر، ثلاثمائة وبضعة عشر، كما في صحيح البخاري، فلما اجتاز طالوت النهر هو وجماعته المؤمنون القلة الطائعون، قال ضعفاء الإيمان منهم: لا قدرة لنا على قتال جالوت: أكبر طاغية وثني كان قد احتل مع أتباعه فلسطين، ولا قتال جنوده لكثرتهم وقلة عددنا، قال الذين يتيقنون أنهم ملاقور بهم في الآخرة: قد تغلب الجماعة القليلة الجماعة الكثيرة بإرادة الله ونصره وتأيدته، والله مع الصابرين بالعون، وإن النصر مع الصبر، وليس بكثرة العدد.

٢٥٠- ولما ظهروا لقتال جالوت (أمير العمالقة)

وجنوده، قالوا: ربنا صبرنا كثيراً، وثبتنا وقوتنا على الجهاد وعدم الفرار، وانصرنا على أعدائنا الكفار: جالوت وجنوده، ومدنا بالعون حتى نتغلب عليهم.

٢٥١- فأجاب الله دعاءهم، وهزموا العمالقة بأمر الله وإرادته، وقتل داود بن إيشا، أحد جنود عسكر طالوت، جالوت الجبار الكافر، وأعطى الله داود النبوة (الحكمة) وجعله ملكاً على بني إسرائيل أثناء حياة طالوت، بعد أن كان راعياً، وعلمه ربه من علومه، كصناعة الدروع، ومعرفة منقح الطير، ولولا مدافعة بعض الناس بالبعض الآخر، ومقاومة الأشرار، لتغلب أهل الفساد على الأرض، وقتلوا المؤمنين، وأهلكوا الحرث والنسل والسكان، ولكن الله صاحب فضل على العالمين، يتولى رعايتهم وحفظهم، ودفع بعضهم ببعض.

٢٥٢- هذه آيات الله في هذه القصة، نتلوها عليك أيها النبي، بالحق: الخبر الصحيح من غير زيادة ولا نقصان ولا تحريف، وإنك يا محمد من جملة رسل الله، يأتيك وحى الله تعالى، وتخبر به الناس. وفي هذا تقوية لقلبه وتثبيت شأنه.



٢٥٣- أولئك الرسل الذين قص الله عليك أيها الرسول أخبارهم في القرآن، فضل الله بعضهم على بعض بخصائص أو مآثر، وميز بعضهم على الآخرين ببعض المناقب، منهم من كلم الله مباشرة، وهو موسى ونبينا عليهما السلام، ورفع بعضهم درجات كإدريس، وإبراهيم ومحمد عليهم الصلاة والسلام، وأتى الله عيسى المعجزات الدالة على نبوته، وهي المذكورة في الآية [٤٩] من سورة آل عمران [٣]، كإحياء الموتى وإبراء المرضى بإذن الله، وأيده الله بروح القدس: جبريل عليه السلام، ولو شاء الله ما اقتتل الذين جاؤوا من بعد هؤلاء الرسل، ومن بعد مجيء الأدلة الواضحة على صدق رسلهم، ولكن اختلف أم الأنبياء بعد إقامة الحججة عليهم، حتى اقتتلوا، فمنهم من آمن بالله ورسله، ومنهم من كفر بالله ورسله، ولو شاء الله عدم اقتتالهم بعد هذا الاختلاف، ما اقتتلوا، ولكن الله يفعل ما يريد، لحكمة اقتضاها، ولا راد لحكمه، يفعل ما يشاء.

٢٥٤- يا أيها المؤمنون أنفقوا في سبيل الله، عما رزقكم الله، بقدر الاستطاعة، لتنالوا الثواب في الآخرة، من قبل مجيء يوم القيامة، الذي لا يبيع ولا شراء فيه حتى تشتروا أنفسكم من العذاب، وما فيه النجاة، ولا توجد فيه صداقة ومودة تنفع، والكافرون هم الظالمون لأنفسهم بتكذيب الرسل، وعصيان أوامر الله تعالى.

٢٥٥- الله الذي لا معبود بحق سواه، المتفرد بالألوهية، الحي الباقي الدائم الحياة، القائم بتدبير الخلق وحفظهم ورعايتهم، لا يتعرض لنعاس ولا يقبله، ولا يتام، له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، ليس لأحد أن يشفع عنده إلا بإذنه، يحيط علمه بكل ما في الدنيا والآخرة، أحاط كرسية بجميع السموات والأرض، والكرسي: شيء عظيم لا تدركه عقولنا، وبعضهم أوكه بقوله: أحاط علمه أو شمل سلطانه كل شيء، ولا يشقله ولا يشق عليه حفظ السموات والأرض، وهو الرفيع الشأن والمقام، القاهر الغالب، وهو ذو العزة والكبرياء والجلال الذي لا شيء أعظم منه. روى مسلم في صحيحه عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ قال عن آية الكرسي فيما معناه: إنها أعظم آية من كتاب الله تعالى.

٢٥٦- لا إجبار على الدخول في الإسلام، قد ظهر طريق الرشد (أي الإيمان والهدى) وسبيل الضلال والجهل الناشئ عن الاعتقاد الفاسد، فمن صدق بوجود الله ووحديته ورسالة محمد ﷺ، فقد تمسك بوسيلة النجاة المحكمة هي الإسلام، لا انحلال لها ولا انقطاع، بل مضمونة النجاة، وقد شبه الدين بالعروة القوية الربط التي لا تنفصم، والله سميع لإقرار من آمن وصدق، عليم بصدقه وإخلاصه. قال ابن عباس: نزلت في أنصاري هو الحصين أراد إكراه ابنين نصرانيين له على الإسلام، فأبيا إلا النصرانية، فأنزل الله الآية.

تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ مِنْهُمْ مَنْ كَلَّمَ اللَّهُ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَاتٍ وَآتَيْنَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ الْبَيْتَ وَأَيَّدْنَاهُ بِرُوحِ الْقُدُسِ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا آلَ مَرْيَمَ بِمَا فِي بطنِهَا مِنْ بَنِيهَا مَا جَاءَ نَهُمُ الْبَيْتَ وَلَكِنْ اخْتَلَفُوا فِيهِمْ مَنْ أَسْرَمَ وَمِنْهُمْ مَنْ كَفَرَ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا اقْتُلُوا وَلَكِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿٢٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمْ يَوْمَ لَا تَبِيعُ فِيهِ وَالْأَخْلَافُ وَلَا شَفَعَةُ وَالْكَافِرُونَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٥٤﴾ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَّةٌ وَلَا نَوْمٌ لِمَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَنْ ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ
وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الظُّلُمَاتُ يُخْرِجُهُم مِّنَ النُّورِ
إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ
فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٥٧﴾ أَلزَّسَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ فِي
رَبِّهِ أَنْ ءَاتَهُ اللَّهُ الْمَلَكَ إِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّىَ الَّذِى
يُنَجِّىءُ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أَنجِىءُ وَأُمِيتُ قَالَ إِبْرَاهِيمُ
فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِى بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ
فَبُهِتَ الَّذِى كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥٨﴾
أَوْكَالَ الَّذِى مَرَّ عَلَى قَرْبَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرْسِهَا قَالَ
أَتَى نَجْحِيءَ هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ
ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ
يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِائَةَ عَامٍ فَانظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ
لَمْ يَسْسَهُ وَأَنْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ
وَأَنْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نَشْرُهَا ثُمَّ كَسَّوْهَا لَحْمًا
فَلَا تَبِينَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾

٢٥٧- الله نصير ومعين المؤمنين، يرعاهم
ويوفقهم ويمدهم بتأييده، يخرجهم من ظلمات
الكفر والشك والجهل إلى نور الهداية والإيمان
والعلم، والكفار: نصراؤهم قادة الضلال وكل ما
عبد من دون الله والشياطين، يخرجونهم من نور
الإيمان الذي هو فطرة الله إلى ظلمات الكفر
والعصيان والجهل، أولئك الكفار هم أصحاب
النار الماكثون فيها أبداً. أخرج الطبري عن عبدة
بن أبي لُبابة في قوله: ﴿اللَّهُ وليي...﴾ قال:
هم الذين كانوا آمنوا بعبسى، فلما جاء
محمد ﷺ آمنوا به، وأنزلت فيهم هذه الآية.

٢٥٨- ألم تعلم بالذي جادل إبراهيم في وجود
ربه، وهو ثمود بن كنعان من جبابرة كفار بابل في
العراق، بسبب إتياء الله له الملك الذي أورثه الكبر
والعتو، فكفر بأنعم الله، حين قال: من ربك يا
إبراهيم؟ فقال: ربي هو الذي يحيي الناس
 ويميتهم، قال ثمود: أنا أيضاً أحبي وأميت، قال
ابن عباس: أتى برجلين، فقتل أحدهما وعفاه عن
الأخر، وادعى أنه أحيا وأمات. وذلك مغالطة؛

لأن إبراهيم أراد أن الله هو الذي يخلق الحياة والموت في الأشياء، قال له إبراهيم: إن الله يُطلع الشمس من
المشرق، فأطلعها من المغرب، وتلك حجة لا تقبل المغالطة، فتحير ودُهِش الكافر، والله لا يوفق الكفار إلى
طريق الهداية، لا بتعادهم عنه.

٢٥٩- أو هل رأيت أيها النبي مثل العزير من بني إسرائيل، حين مرَّ على قرية من أرض بيت المقدس بعد
تخريب بُخْتَصَّرَ لها، فهي خاوية من السكان، والبيوت قائمة، أو أن السقوف والحيطان سقطت منها،
فقال: كيف يحيي الله أهل هذه القرية، أو كيف تعود فيها الحياة بالبناء والعمارة والسكان؟ فأماتته الله بنفسه،
ثم بعثه حياً بعد موته، فقال له: كم مكثت هنا ميتاً؟ قال بحسب ظنه: مكثت يوماً أو بعض يوم،
معتقداً أنه نام وأفاق، قال له ربه: بل مكثت ميتاً مئة سنة، فانظر إلى ما كان معك من طعام وشراب لم يتغير
مع طول المدة بقدرة الله، وانظر إلى حمارك الذي مات كيف نحياه بعد تفرق أجزائه، ولنجعلك مثلاً على
البعث بعد الموت، ودليلاً على قدرتنا، وانظر إلى العظام، كيف نرفع بعضها من الأرض، ونضم أجزاءها،
ثم نردها إلى أمكانها، ثم نسترها باللحم، فلما اتضح له ذلك عياناً، بعد أن أنكر أو استغرب كيفية قدرة الله،
قال: أعلم، أي اطمأن قلبي إلى أن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الأرض ولا في السماء.

٢٦٠- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم الخليل: رب أرني رؤية عين لا رؤية قلب، ليطمئن قلبي، كيف تعيد الموتى أحياء؟ قال له الله تعالى: أو لم تصدق بقدرتي على الإحياء حتى ترى؟ قال: بلى يا رب علمت وأمنت بقدرتك، ولكن سألت ذلك ليزداد يقيني باجتماع المعاينة إلى الاستدلال على الإيمان، قال: فخذ أربعة طيور، وضمنهن واجمعهن إليك، ثم قطعهن، واجعل على كل جبل من كل واحد منهن جزءاً، ثم نادهن، يجشن إليك مسرعات في الطيران، واعلم يا إبراهيم أن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، حكيم في صنعه وتديبه.

٢٦١- صفة حال المنفقين أموالهم في سبيل الله في الجهاد وغيره بقصد مرضاته، كصفة زارع حبة أنبت سبع سنابل في ساق واحدة، في كل سنبله مئة حبة، والله يضاعف عطاء لمن يشاء من عباده، والله كثير الفضل والعطاء، عليم بأحوال المنفق: نيته ومقدار نفقته. نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمن ابن عوف، حيث جهز الأول

جيش تبوك، وجاء الثاني بأربعة آلاف درهم صدقة، وأبقى أربعة آلاف لعياله، فقال النبي ﷺ: يا رب، إن عثمان بن عفان رضيت عنه، فارض عنه، وقال لعبد الرحمن: (بارك الله لك فيما أمسكت وفيما أعطيت).

٢٦٢- الذين ينفقون أموالهم فيما يؤدي لمرضاة الله، ثم لا يتبعون صدقاتهم مئاً، أي تحدثاً بما أعطى أو تعداد الإحسان على المحسن إليه، ولا أذى (وهو أعم من المن)، أي سيئاً وإساءة وتطاولاً، لهم ثوابهم عند ربهم على ما أنفقوا، ولا خوف عليهم في الدارين، ولا يحزنون على شيء في الدنيا.

٢٦٣- كلام حسن ورد جميل على السائل، وستر لسوء حاله وتجاوز وعفو عن إلحاحه في السؤال خير من الصدقة المعطاة له، المصحوبة بالمن عليه بها، وإيدائه بالقول أو بالفعل، والله غني عن مثل هذه الصدقة، حلیم على عباده، فلا يعاجل بالعقوبة، وإنما يوخرها.

٢٦٤- يا أيها المؤمنون لا تبطلوا ثواب صدقاتكم بالمن والأذى (بمعناها المتقدم) متشبهين بحال المنافق الذي ينفق ماله مرثياً للناس ليحمدوه، ولا يقصد وجهه الله وثواب الآخرة، ولا يصدق بالله والآخرة، ومثله كمثل حجر أملس، عليه تراب، فأصابه مطر غزير، فجرف عنه التراب، وبقي مجرد نقيلاً لا يثبت شيئاً، فكذلك تكون نفقة هذا المرثي لا تنفعه ولا ثواب له، فلا يحصل المنان والمؤذي والمرثي على شيء من الثواب يوم القيامة، على ما عملوا أو أنفقوا في الدنيا، كما لا شيء على الحجر من التراب الذي كان عليه، والله لا يوفق الكافرين لما فيه الخير والرشاد.

وَاذْكَرَ الْبَقَرَةِ رَبِّ أَرْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أُولَئِكَ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّكَ لَئِن لَّمْ يَكُن لِّبَطْنِمْ لِيُظْمَرٍ فَلَمَّا نَفَا زَرْبَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُمْ إِلَيْكَ ثُمَّ أَجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ أَدْعُهُنَّ يَا بَيْنِكَ سَعِيًّا وَأَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦٠﴾
مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلٍ فِي كُلِّ سَبِيلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَسِعَ عَلَيْهِمُ ﴿٢٦١﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَئِنْ لَّا يُنْفِقُوا مَا أَفْئَقُوا أَمْوَالَهُمْ وَلَا أَذَىٰ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٦٢﴾ قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَعْفُورٌ حَيْرٌ مِّنْ صَدَقَةٍ تُبْعَثَ أَدَّىٰ وَاللَّهُ عَنِّي حَلِيمٌ ﴿٢٦٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَبْطُلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَىٰ كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِيسَاءً النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ ثَمَرَاتٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَكَرَّهَ صَالِدًا لَا يَصَدُوكَ عَلَىٰ شَيْءٍ مِّمَّا كَسَبُوا وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٦٤﴾



وَمَثَلُ الَّذِينَ يُبْغُونَ أَمْوَالَهُمْ آتِنَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ وَتُبَيْتًا
 مِنْ أَنْفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَثَقَلَتِ
 أَكْطَافُهَا ضِعْفَيْنِ فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلَّ وَاللَّهُ
 بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٦٥﴾ أَيُّذْ أَحَاكُمْ أَن تَكُونَ
 لَهُ جَنَّةٌ مِّنْ نَّجِيلٍ وَأَعْنَابٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُ
 فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَأَصَابَهُ الْكِبَرُ وَلَهُ ذُرِّيَةٌ
 ضِعْفَاءُ فَأَصَابَهَا إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَاحْتَرَقَتْ كَذَلِكَ
 يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٦٦﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْفِقُوا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا كَسَبْتُمْ وَمِمَّا أَخْرَجْنَا
 لَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَلَا تَكْتُمُوا الصَّدَقَاتِ مِنْهُ تَسْفِكُونَ
 وَلَسْتُمْ بِتَأَخُّذِهِ إِلَّا أَنْ تَكْفُرُوا فِيهِ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٢٦٧﴾ أَلَسْطُنَّ يَعِدُكُمْ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ
 بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ
 ﴿٢٦٨﴾ أَوْيَ الْحِكْمَةَ مِنْ نَبَأٍ وَمِنْ يَأْتِيكُمْ فَتَدَّ
 أَوْيَ حَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَدَّكُمْ إِلَّا أَوْلَا الْأَيْبِ ﴿٢٦٩﴾

٢٦٥- ومثل أو صفة المتفقين أموالهم بقصد إرضاء الله، وتيقناً من ثوابه تعالى وتوطيئاً على الطاعة والإيمان، كصفة بستان بأرض مرتفعة ارتفاعاً يسيراً (هضبة) لحسن نباتها، أصابها مطر شديد، فأعطت ثمرها مثلي ما كانت تثمر، بسبب الوابل، فإن لم يصبها وابل، فمطر خفيف يكفيها، لطيب منبتها، والمراد أنها لجودة أرضها يكفيها الطل، والله مطلع على أعمالكم، لا يخفى عليه شيء منها.

٢٦٦- هل يجب أحدهم أن يكون له بستان فيه أشجار النخيل والعناب، تجري من تحت أشجارها الأنهار، وله من كل أنواع الثمار، وأدرسته الشيخوخة أو كبر السن الذي هو مظنة شدة الحاجة، بسبب العجز عن العمل، وله ذرية صغار عاجزون عن الكسب، والجمع بين الكبر وضعف الذرية، لبيان شدة الحاجة، فأصاب بستانه ريح سُموم عاصفة شديدة الحرارة، ثم ترتفع حاملة غباراً كهيئة العمود، وهي الزوينة، فاحترق، وهذا تمثيل لتفقة المرابي، تضع يوم القيامة، عند شدة الحاجة إليها، مثل ذلك، يبين الله الآيات عن طريق ضرب الأمثال والعبر، لكي تتفكروا في زوال الدنيا، وبقاء الآخرة.

٢٦٧- يا أيها المؤمنون أدوا زكاة أموالكم، من جيد وأفضل ما كسبتم ومن حاله، ومن مختلف أنواع الأموال التي تجب فيها الزكاة، وأنفقوا مما أخرج الله لكم من الأرض من زروع وثمار ومعادن، ولا تقصدوا رديء المال، تخرجون منه الزكاة، والحال أنكم لا تأخذونه إذا دفع إليكم في معاملاتكم، إلا أن تتساهلوا وتغضوا النظر عنه كراهة وحياء، وترضوا ببعض حقكم، فكيف تؤدون حق الله منه؟ واعلموا أن الله غني عن زكواتكم ونفقاتكم، مستحق للحمد في كل حال على نعمه الكثيرة، محمود الأفعال. قال سهل بن حنيف: كان الناس يتييمون شرّ ثمارهم، يخرجونها من الصدقة، فنزلت الآية: ﴿ولا تيمموا الخبيث...﴾

٢٦٨- الشيطان يخوفكم الفقر إذا أنفقتم، بوسوسته أن الإنفاق يذهب المال، ويأمركم بالمعاصي والبخل ومنع الزكاة وكل خير فيه ثواب في الآخرة، والفاحش عند العرب: البخل، والله يعدكم إذا أنفقتم مغفرة لذنوبكم وستراً في الدنيا والآخرة، ورزقاً واسعاً في الدني، وثواباً جزيلاً في الآخرة، والله كثير الفضل، عليم بالمنفق في سبيل الله تعالى.

٢٦٩- يعطي الله العلم ومعرفة أسرار القرآن، وفهم الأمور، وإصابة القول والعمل، ووضع الشيء في محله، من يشاء من عباده، ومن يؤت الحكمة (العلم النافع) فقد فاز بخيري الدنيا والآخرة، وما يتعظ بأحكام القرآن والوحي إلا أصحاب العقول السليمة.



٢٧٠- ما من نفقة تنفقونها بقصد مرضاة الله،
فالله يعلمها ويجازيكم عليها، ويعلم ما نذرتم،
والنذر: التزام قرينة لم يلزم الله بها، فيجب على
الناذر الوفاء بالطاعة واجتناب المعصية، وليس
للظالمين الذين لا يودون الزكاة والنفقات الواجبة
وإنما ينفقون أموالهم في المعاصي، أنصار يدفون
عنهم العذاب، بسبب الإثم ومخالفة الأمر
بالإنفاق ووفاء النذر.

٢٧١- إن تظهروا الصدقات المتطوع بها، فهو
حسن ليقتدى بكم، ونعم ما فعلتم، أي نعم
إظهارها، وإن تخرجوها سرا أو تعطوها الفقراء في
السر، فهو خير لكم من إظهارها، للبعد عن
الرياء، ويمحو الله عنكم من ذنوبكم بقدر ما
أنفقتم، والله مطلع على ما تعملون من إظهار
الصدقة أو إخفائها. أما الزكاة المفروضة فالأفضل
إظهارها ليقتدى بالزكي. قال الكلبي: لما نزل
قوله تعالى: ﴿وما أنفقتم من نفقة﴾ قالوا:
يا رسول الله، صدقة السر أفضل أم صدقة
العلانية؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢٧٢- ليس عليك أيها الرسول أن تجعل
المشركين مهديين بوسيلة التضييق أو المنع أو
الإكراه، ولكن الله يهدي إلى الإسلام بتوفيقه من يشاء من عباده، ما على الداعية إلا التبليغ، وأمر الهداية
إلى الله وحده، وما تنفقوا من مال، فلأنفسكم ثوابه المدخر يوم القيامة، وما تنفقون إلا طلبا لرضاء الله
وثوابه، لا رياء ونحوه، فتلك هي النفقة المقبولة، وما تنفقوا من مال فثوابه يكون أضعافاً مضاعفة لكم،
وأنتم لا تنقصون منه شيئا. قال ابن عباس: كان النبي ﷺ يأمر أن لا يتصدق إلا على أهل الإسلام،
فنزلت: ﴿ليس عليكم هداهم﴾ فأمر بالتصدق على كل من سأل من كل دين.

٢٧٣- ادفعوا الصدقات للفقراء الذين منعوا من الكسب وحبسوا في طاعة الله لجهاد أو تعلم علم،
والذين لا يستطيعون التكسب بتجارة أو زراعة لتفرغهم للجهاد أو طلب العلم، وهم الذين يظنهم الجاهل
بأحوالهم أغنياء موسرين، بما يظهرون من التعفف عن المسألة، وإظهار المسكنة، والقناعة، تعرفهم فقراء
محتاجين بعلاماتهم، وبما يظهر عليهم من الحاجة والفقر، لا يطلبون المعونة كغيرهم بالإلحاح لعفتهم، بل لا
يسألون الناس أصلا، وما تنفقوا من مال، فالله عليم به يجازيكم عليه. نزلت في أهل الصفة (الذين
يعيشون في صفة المسجد) وهم أربعمائة من المهاجرين، أرسدوا لتعلم القرآن، والخروج مع
السرايا.

٢٧٤- الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله، كل وقت ليلاً أو نهاراً، خفية أو جهاراً، عند نزول الحاجة
بالناس، من غير إسراف ولا تقتير، لهم ثوابهم عند ربهم، ولا خوف عليهم من عذاب القيامة، ولا يحزنون
على ما فاتهم في الدنيا. نزلت في أصحاب الخيل: وهم الذين يرتبطون الخيل في سبيل الله تعالى، ينفقون

وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ نَفَقَةٍ أَوْ نَذَرْتُمْ مِنْ نَذْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ
يَعْلَمُهَا وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٢٧٠﴾ إِنْ تَبَدُّوا
أَنْصَدَقْتَ فِعْمًا هِيَ وَإِنْ خُفُّوا وَتَوَتُّوا كَا
الْفُقَرَاءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَيَكْفُرْ عَنْكُمْ مِنْ
سَيِّئَاتِكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٧١﴾ لَيْسَ
عَلَيْكَ هُدَاهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا
تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَلَا نُنْفِقُكُمْ وَمَا تُنْفِقُونَ إِلَّا ابْتِغَاءَ
وَجْهِ اللَّهِ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ يُوَفِّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ
لَا تظْلُمُونَ ﴿٢٧٢﴾ لِلْفُقَرَاءِ الَّذِينَ أَحْضَرُوا فِي سَبِيلِ
اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمْ
أَجْمَاهُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ سَبِيحَهُمْ لَا يَسْأَلُونَ
النَّاسَ الْخَافِ أَوْ مَا تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ
اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٢٧٣﴾ الَّذِينَ يَنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
بِالْئِيلِ وَالنَّهَارِ سِرًّا وَعَلَانِيَةً فَهُمْ أَجْرُهُمْ
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٤﴾

الَّذِينَ يَكُونُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَخْبَئُهُ
الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا إِنَّمَا الْبَيْعُ مِثْلُ
الرِّبَا وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ
مِّن رَّبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ وَمَنْ عَادَ
فَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧٥﴾ يَحْتَجُّ اللَّهُ الرِّبَا
وَيُرِي الصَّدَقَاتِ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴿٢٧٦﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ
وَأَتَوْا الزَّكَاةَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ
وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٢٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٢٧٨﴾ فَإِن لَّمْ
تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن لَّبِئْسَ فَلَاحِكُمْ
رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلُمُونَ وَلَا تَظْلَمُونَ ﴿٢٧٩﴾ وَإِن كَانَ
ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَن يَصَدَّقَ خَيْرٌ لَّكُمْ
إِن كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٨٠﴾ وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ
تُشْرَفُونَ ﴿٢٨١﴾ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٨٢﴾

٢٧٥- الذين يأخذون الربا- وهو الزائد عن مقدار القرض أو في البيع الربوي- لا يقومون من قبورهم يوم القيامة، بسبب الذهول من شدة الهول، إلا كما يقوم الذي يصرعه الشيطان من الجنون أي كالمصروع، عقوبة له، ذلك بسبب قولهم: إنما البيع مثل الربا، كلاهما شيء واحد يحقق ربحاً، فرد الله عليهم بالفرق بينهما، وهو أن الله أحل البيع القائم على المعاوضة التجارية بحسب الحاجة، وحرّم الربا القائم على أخذ مال الغير بغير عوض، فمن انتعظ بالنتهي عن الربا، فلا يؤاخذ بما سلف؛ لأنه فعله قبل التحريم، ولا يسترد منه ما أخذ من الربا، وله ما مضى من الربا قبل التحريم، وأمره إلى الله بالعضو عنه أو خذلانه، ومن عاد إلى التعامل بالربا بعد التحريم، فأولئك أهل النار ماكون فيها على الدوام. كان غالب ما فعله العرب في الجاهلية أنه إذا حل أجل الدين، قال الدائن للمدين: أتقضي أم تربي؟ فإذا لم يقض زاد في الفائدة، وأخّر له الأجل إلى حين آخر، وهذا حرام بالاتفاق.

٢٧٦- يذهب الله بركة الربا وما خالطه من المال في الدنيا، وإن كان كثيراً، ويُسمي الصدقات ويزيد في المال الذي أخرجت صدقته، ويضاعف الثواب للمتصدق، والله يعاقب كل شديد الكفر، كثير الإثم.

٢٧٧- إن المؤمنين بالله، العاملين الأعمال الصالحات، ومنها ترك الربا، وأدوا الصلاة المفروضة بأركانها وشرائطها، ودفَعوا الزكاة الواجبة، لهم ثواب أعمالهم عند ربهم في الآخرة، ولا خوف عليهم من عذاب القيامة، ولا يحزنون على ما تركوا في الدنيا.

٢٧٨- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، واتركوا ما بقي لكم من الربا بما لم يقبض، إن كنتم مؤمنين حقيقة، فالإيمان يدفع إلى احترام شريعة الله. نزلت هذه الآية والتي بعدها في بني عمرو بن عوف بن ثقيف وبني المغيرة من بني مخزوم الذين أرادوا بعد وضع الربا كله عقب فتح مكة مصالحة والي مكة عتاب بن أسيد على أن لهم رباهم عند ثقيف، فكتب عتاب في ذلك إلى رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية والتي بعدها.

٢٧٩- فإن لم تتركوا الربا، صرتم أعداء الله ورسوله، وتعاقبون في الدنيا والآخرة، وإن تبتم من أخذ الربا، فلکم رؤوس أموالكم التي أقرضتموها، من غير زيادة ولا نقصان في رؤوس الأموال. أي أن أكل الربا من الكيثر.

٢٨٠- وإن كان المدين معسراً لا يستطيع وفاء دينه، فعليكم تأخيره إلى وقت اليسر، وأن تصدقوا برؤوس أموالكم أو ببعضها على غرماكم المدينين المعسرين بالإبراء خير وأفضل لكم عند ربكم، إن علمتم فضل الصدقة وثوابها على المعسر. نزلت حينما طالب بنو عمرو بن عمير بني المغيرة بالديون وتركوا الربا، فقال بنو المغيرة: نحن اليوم أهل عسرة، فأخرونا إلى أن تدرك الثمرة، فأبوا أن يؤخروهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وإن كان ذو عسرة..﴾.

٢٨١- وخافوا يوم القيامة الذي ترجعون فيه إلى الله، ثم تجد كل نفس ما عملت من خير أو شر، وهم لا يظلمون بنقص حسنة أو زيادة سيئة. قال ابن جرير: نزلت قبل موت النبي ﷺ بتسع ليال، ثم لم ينزل بعدها شيء. وقال ابن عباس: آخر آية نزلت من القرآن على النبي ﷺ: ﴿واتقوا يوماً..﴾ وكان بين نزولها وبين موت النبي ﷺ واحد وثلاثون يوماً.

٢٨٢- يا أيها المؤمنون إذا أقرض بعضكم بعضاً، ونشأت علاقة مدينية، والدين عند العرب: ما كان غائباً، ويقابله العين: وهي ما كان حاضراً، وكان القرض إلى أجل معين، غير مجهول؛ لأن الجهالة تفسد العقد، فاكتبوا الدين بأجله منعاً للمنازعة والخلاف، وليكتب عقد القرض بين الدائن والمدين كاتب بالعدل أي بالحق من غير زيادة ولا نقصان، ولا يتمتع كاتب من الكتابة، ويكتب كما شرع الله بالعدل والضيبط، ويكتب ما يلى عليه من غير زيادة ولا نقصان، ويملي من عليه الحق على الكاتب، مبيئاً جميع الشروط والأجل منعاً من الظلم أو الغبن، وليستق الله ربه في الإملاء، ولا ينقص من الحق شيئاً، والبخس: النقص.

فإن كان الذي عليه الحق وهو المدين سفيهاً، أي سميء التصرف أو محجوراً عليه لتبذير، أو ضعيفاً عن الإملاء لصغر أو كبر أو عجز أو مرض، أو عاجزاً عن الإملاء بأن كان جاهلاً أو أخرس أو عيى اللسان ونحو ذلك، فيملي عنه وليه أو وصيه أو القيم القائم على أمره أمام الكاتب ما عليه من الدين، بالعدل أي بالصدق.

وأشهدوا شاهدين رجلين مسلمين على كتاب

الدين، فإن لم يكن الشاهدان رجلين، فليشهد رجل وامرأتان، وهذا أقل نصاب في الشهادة على المعاملات، ممن ترضون دينهم وعدلتهم من الشهود، خشية أن تخطف أو تنسى امرأة جزءاً من الشهادة، وتذكر جزءاً، فتذكر الذاكرة الناسية، لما يلحقهما من الضعف أو قلة الاهتمام بالأمر، ولا يتمتع الشهداء (الشهود) عن أداء الشهادة التي تحملوها من قبل، إذا ما دعوا لأداء الشهادة أو تحملها. والشهادة على الدين أو البيع وكتابة الدين مندوبان بقريته الآية التالية بعدئذ.

ولا تملأوا أن تكتبوا الدين الذي تداينتم به مهما كان صغيراً (قليلاً) أو كبيراً (كثيراً) إلى الأجل المتفق عليه، وكتابة الدين والإشهاد عليه أعدل، أي أصح وأحفظ، وأعون على إقامة الشهادة على وجهها الحق وأثبت لها، فالكتابة أو الإشهاد توثق للدين، وأقرب إلى عدم الشك في قدر الدين وأجله، لتدوين العقد في صلح مكتوب، إلا إذا كانت المدينية في تجارة حاضرة بحضور البديلين: الثمن والمبيع، وتدير ونها بينكم أي تتبادلون العوضين أو تقبضونهما يداً بيد من غير أجل، والمعنى أن التبايع ناجز، فلا إثم عليكم ألا تكتبوها أي تتركوا الكتابة، لتقباض البديلين في الحال قبل التفرق، وأشهدوا على التبايع مهما كان، حاضراً أو ديناً، منعاً من الاختلاف، ولا يجوز للدائن والمدين إلحاق الضرر بالكاتب والشاهد، بالتحريف والتبديل، والزيادة والنقص في الكتابة، أو الامتناع من الشهادة، وليس لصاحب الحق تكليفهما ما لا يليق من الضرر أو الغبن، أو يشق فعله كالسفر الطويل من أجل الكتابة والشهادة، وإن فعلوا ما نهيتهم عنه من المضارة، ففعلكم هذا فسوق، أي خروج عن الطاعة إلى العصيان. واتقوا الله في أمره ونهيه، ويعلمكم الله مصالح أموركم في الدين والدنيا، والله عالم بكل أعمالكم، وسيجازيكم عليها.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَسْتُمْ بِدِينٍ إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوا وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلَا يَأْب كَاتِبٌ أَنْ يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيَمْلِكِ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا يَبْخَسَ مِنْهُ شَيْئًا فَإِنْ كَانَ الَّذِي عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْطِيعُ أَنْ يُمِلَّ هُوَ فَلْيَمْلِكْ وَلْيَكْتُب بِالْعَدْلِ وَأَسْشْهَدُوا شَهِيدَيْنِ مِنْ رِجَالِكُمْ فَإِنْ لَمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّنْ تَرْضَوْنَ مِنَ الشَّاهِدَاتِ أَنْ تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الْأُخْرَى وَلَا يَأْبُ الشَّاهِدَاتُ إِذَا مَا دَعُوا وَلَا تَسْمُوا أَنْ تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَى أَجَلٍ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّاهِدَةِ وَأَذَىٰ لِّالَّذِينَ لَا تَرْضَوْنَ الْآلَ أَنْ يَكُونَ بَعْضُهُمْ حَاضِرًا وَبَعْضُهُمْ غَائِبًا فَيَتَدِيرُوا فِي بَيْنِكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلَّا تَكْتُبُوهُمَا وَأَشْهَدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلَا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلَا شَهِيدٌ وَإِنْ تَفَعَّلُوا فَاِنَّهُ فُسُوقٌ بِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ

وَإِنْ كُنْتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهْنَ مَقْبُوضَةً فَإِنْ
 مِنْ بَعْضِكُمْ بَعْضًا فليؤدِّ الَّذِي أُوْتِمِنَ أَمْتُهُ
 وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلَا تَكْفُرُوا الشَّهَادَةَ وَمَنْ يَكْفُرْ فَإِنَّهُ
 إِشْرَاقٌ قَلْبُهُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٢٨٣﴾ اللَّهُ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنْ تُدُّوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ
 أَوْ تُخْفَوْنَ بِمَا سَبَّحُوا بِهِ اللَّهَ فَيَعْرِضْ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ
 يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ ءَأَمْرٌ أَرْسَلْنَا بِمَا
 أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَأَمْرٌ بِاللَّهِ وَتِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ
 وَرُسُلِهِ لَا تُفْرِقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا
 وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يَكْفُرُ اللَّهُ
 نَفْسًا إِلَّا أَوْسَعَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ
 رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا
 إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا
 مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ
 أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾

٢٨٣- وإن كنتم معشر المتعاملين بالدين مسافرين، ويلحق بالسفر كل عذر مثله، ولم تجدوا كاتباً لعقد المداينة، فليقدم المدين رهناً يقبضه الدائن، والرهان جمع رهن، والقبض شرط لتمام الرهن عند الجمهور غير المالكية الذين يكتفون بالإيجاب والقبول لصحة الرهن، فإن وثق بعضكم ببعض، فلم يأخذ الدائن رهناً بالدين، فليدفع المدين المؤمن دينه المستحق عليه، ولا يخن الأمانة، ولا يجحد شيئاً من الحق، ولا تكتموا الشهادة أيها الشهود إذا طلب منكم أداؤها، ومن يكتم الشهادة، فإنه فاجر القلب، مرتكب للمعصية، فيعاقب على ذلك لتضييعه حق الدائن، والله لا يخفي عليه شيء من أعمالكم.

٢٨٤- الله ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وإن تظهروا ما في قلوبكم من شرٍّ أو سوء أو تكتموا عن الناس، يحاسبكم به الله ويجازكم عليه، فيغفر لمن يشاء الغفران له، ويعذب من يشاء تعذيبه، والله قادر على كل شيء. والحساب لا يكون على مجرد النية ما لم تقترن بعزم أو كلام أو تنفيذ، إلا على بعض الأمور التي محلها القلب المحض كالشك في الله أو الدين أو النفاق أو التكذيب أو الرياء أو كتمان الشهادة، فهذه يحاسب الإنسان عليها.

٢٨٥- صدق النبي ﷺ بما أنزل إليه من القرآن، وصدق به أيضاً المؤمنون، كل واحد منهم آمن بالله وحده، وبالملائكة والكتب المنزلة والرسل الكرام المبعثين ما نزل إليهم، يقولون: لا نفرق معشر المؤمنين بين أحد من الرسل وآخر، بل نؤمن بهم جميعاً، وقال النبي والمؤمنون: سمعنا سماع قبول وأطعنا الأمر، فاغفر لنا يا ربنا، وإليك المرجع والمآب بالبعث. نزلت بعد آية ﴿لله ما في السموات وما في الأرض﴾ حين ظن الصحابة أنهم مؤخذون على مجرد النيات، فقال لهم الرسول ﷺ: أتريدون أن تقولوا كما قال أهل الكتاب: سمعنا وعصينا؟ بل قولوا: سمعنا وأطعنا.. إلخ.

٢٨٦- لا يكلف الله نفساً إلا بقدر استطاعتها، لها ثواب ما كسبت من خير، وعليها وزر ما اكتسبت من شر، ويقول المؤمنون: ربنا لا تعاقبنا على النسيان الحاصل عفواً من غير إرادة، وعلى الخطأ في الفعل من غير قصد، ربنا ولا تحمّلنا التكالييف الشاقة، والإصر: التكليف الشاق والأمر الصعب، كما حملته على الأم السابقة، ربنا ولا تحمّلنا ما لا قدرة لنا عليه من التكالييف، مما فيه مشقة زائدة غير معتادة، واستر علينا ذنوبنا وخطايانا، وارحمنا رحمة واسعة بفضلك وكرمك، أنت ولينا (متولي أمورنا) وناصرنا، فانصرتنا على القوم الجاحدين نعمتك، الذين عبدوا غيرك. جاء في الصحيح عن النبي ﷺ: أن الله تعالى قال عقب كل دعوة من هذه الدعوات: «قد فعلت». وقال جبريل للنبي ﷺ: أبشر بنورين، قد أوتيتهما، لم يؤتتهما نبي قبلك: فاتحة الكتاب، وخواتيم سورة البقرة، لن تقرأ حرفاً منهما إلا أوتيته.

سورة آل عمران

فضلها: أخرج مسلم عن النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ يَقُولُ: «يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالْقُرْآنِ وَأَهْلُهُ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ، تَقْدِمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ وَأَلْ عِمْرَانَ».

١- ﴿الم﴾: هذه الأحرف المقطعة للتنبيه والتحدي للإتيان بمثل أقصر سورة من القرآن، كما ذكرنا في أول البقرة.

٢- الله لا معبود بحق في الوجود سواه، الدائم الحياة والقائم على كل شيء في السموات والأرض بحفظه ورعايته. نزلت هذه الآية إلى بضع وثمانين آية من صدر آل عمران في وفد نصارى نجران الذين وفدوا على رسول الله ﷺ وخاصموه في عيسى عليه السلام، وقالوا له: من أبوه؟ ثم وصفوه مرة بأنه إله، ومرة بأنه ابن الله، ومرة بأنه ثالث ثلاثة.

٣، ٤- نزل الله عليك أيها الرسول القرآن، بالصدق وبالحجة البالغة، موافقاً للكتب السماوية السابقة، وأنزل التوراة والإنجيل قبل القرآن على موسى وعيسى عليهما السلام، لأجل هداية البشر، وأنزل الفرقان أي الفارق بين الحق والباطل وهو القرآن وغيره من الكتب والصحف، وهذا من قبيل عطف العام على بعض

أفراده. إن الذين كفروا بآيات الله في القرآن وغيره الدالة على وحدانيته وتزويه عما لا يليق، لهم عذاب شديد يوم القيامة، والله قوي غالب على أمره، ينتقم من كذب آياته وخالف رسله الكرام، والانتقام: العقاب بسبب ذنب تقدم.

٥- إن الله لا يخفى عليه شيء صغير أم كبير، ظاهر أم باطن في الأرض والسماء.

٦- هو الذي يخلقكم في الأرحام كما يشاء، ذكراً أو أنثى، حسناً أو قبيحاً وغير ذلك، لا إله غيره، هو القوي في سلطانه، الحكيم في صنعه وتدبيره.

٧- الله هو الذي أنزل عليك يا محمد القرآن، منه آيات واضحات محكمات: لا تختمل إلا وجهاً واحداً من التفسير، مثل ﴿ولا تقربوا الزنا﴾ [الإسراء ١٧/ ٣٢] هن أصل الكتاب الذي يعتمد عليه. ومنه آيات متشابهات: محتملات أوجه كثيرة من المعاني، مثل ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ [طه ٢٠/ ٥] وآية ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ [الفتح ٤٨/ ١٠] وموعده قيام الساعة وحقيقة الروح ونحو ذلك. فأما الذين في قلوبهم ميل عن الحق إلى الباطل، فيتعلقون بالمتشابه من الكتاب، يفسرونه بما يوقع في الشك، بقصد فتنة الناس عن الدين الحق، وطلباً لتأويله بما يوافق أغراضهم، ولا يعلم تفسير المتشابه وحقيقته إلا الله، والعلماء المتضلعون في العلم يقولون: أمنا به جميعاً، كل من المحكم والمتشابه من عند ربنا، لا يخالف بعضه بعضاً، فترد آيات الصفات إلى آيات التنزيه المطلق، وآيات أوصاف عيسى بالكلمة والروح إلى آيات التوحيد المطلق. وما يتعظ بهذه الآيات إلا أصحاب العقول السليمة.

٨- ويدعو الراسخون في العلم بقولهم: ربنا لا نعلم قلوبنا عن الحق والإيمان، كما مالت قلوب الذين يتبعون المتشابه، بعد أن هديتنا إلى الحق والصواب، وامنحنا رحمة عظيمة كائنة من عندك، إنك كثير العطاء لمن تشاء، تعطي التوفيق والسداد.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الرَّحْمَنُ ۝ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ۝ نَزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابُ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَأَنزَلَ التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ ۝ مِنْ قَبْلِ هَذَا لِلنَّاسِ وَأَنزَلَ الْقُرْآنَ إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۝ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ۝ إِنَّا اللَّهُ لَا يَمُوتُ عَلَيْهِ سَخِرَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۝ هُوَ الَّذِي يُصَوِّرُكُمْ فِي الْأَرْحَامِ كَيْفَ يَشَاءُ ۝ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخْرَى مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَأَمَّنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ ۝ رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ۝

رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ
الْعَهْدَ ﴿١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ أَمْوَالُهُمْ وَلَا
أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٢﴾ كَذَّبَ آلُ
فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاحْذَرُوا اللَّهَ بِذُنُوبِهِمْ
وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٣﴾ قُلِ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُغْنِي عَنْهُمْ
وَأَمْوَالَهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأُولَئِكَ هُمْ وَقُودُ النَّارِ ﴿٤﴾
وَتَحْشُرُونَ إِلَى الْجَهَنَّمَ وَبِئْسَ الْمَهَادِ ﴿٥﴾ قَدْ كَانَتْ لَكُمْ
آيَةٌ فِي فِتْنَةِ الْقِتَابِ فَقَدْ نَقَلْنَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَآيَةٌ
بَرُّوهُمْ فَثَلَمُوا رَأَى الْعَيْنُ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بَصِيرَةَ مَنْ يَشَاءُ
إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ ﴿٦﴾ زَيْنَ لِلنَّاسِ حُبُّ
الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنْطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ
وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْخَرْبِ ذَلِكَ
مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الْمَاثِبِ ﴿٧﴾ قُلْ
أَوَلَمْ تَكُنْ مِنْ حَاجِرِينَ ذَلِكُمْ الَّذِينَ اتَّقَوْا عِنْدَ رَبِّهِمْ
جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ
مُطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٨﴾

٩- ربنا إنك تحشر وتبعث الناس وتحييهم للجزاء في يوم لا شك فيه، هو يوم القيامة، إن الله لا يخلف وعده للبعث والحساب.

١٠- إن الذين كفروا بالله ورسوله ومنهم نبيينا محمد ﷺ لن تنفعهم شيئاً أموالهم وأولادهم، من عذاب الله، وهم حطب جهنم توقده به.

١١- حال أو شأن وعادة هؤلاء الكفار، كحال آل فرعون مع موسى ومن قبلهم من الأمم الكافرة كعاد وقوم لوط، لا تنفيدهم الأموال والأولاد شيئاً؛ لأنهم كذبوا آيات الله التي جاءت بها الرسل، فعاقبهم الله بسبب ذنوبهم ومنها تكذيبهم، والله شديد العقاب لكل من كفر وكذب.

١٢- قل أيها النبي للكفار من اليهود ومشركي مكة وغيرهم ستنقلبون في الدنيا، وتجمعون يوم القيامة إلى جهنم، وبئس الفراش أو المستقر الذي يأوون إليه. نزلت وما بعدها في اليهود بعد بدر حينما قالوا: يا محمد، لا يغرركم بعد نفسك أن قتلت نفرًا من قريش، كانوا أعمارا لا يعرفون القتال، إنك والله لو قاتلتنا لعرفت أننا نحن الناس، وأنك لم تلق مثلنا.

١٣- قد كان لكم أيها اليهود علامة على صدق ما أقول بنصر المؤمنين وهزيمتكم في جماعتين التقنا للقتال يوم بدر، هم المسلمون والمشركون، جماعة تقاتل في سبيل إعلاء كلمة الله، وهم المؤمنون، وجماعة أخرى كافرة بالله ورسوله وهم المشركون، يرى المسلمون الكفار ضعفيهم في العدد، رؤية حقيقية ظاهرة من غير لبس، بالعين المجردة، وكانوا في الواقع ثلاثة أمثالهم، فأراهم الله مثلي عددهم لتقوى أنفسهم، وهذا مدد معنوي، والله يقوي ويعزز من يشاء تقويته، إن في هذه الرؤية ونصر الفئة القليلة على الكثيرة لموعظة لأهل البصائر الواعية والعقول المدركة.

١٤- حُبُّ للناس المشتبهات المفرحة للقلوب من النساء للمتعة والتناسل، والأولاد الذكور، والأموال الكثيرة المجمعّة أو المضاعفة البالغة حدًّا واسعاً، من الذهب والفضة، والخيول الأصيلة المُعلّمة المميّزة ببعض العلامات، والأنعام (الإبل والبقر والغنم) والزرع، ذلك المذكور مما يتمتع به في الدنيا ثم يزول، والله عنده حسن المرجح لأهل التقوى.

١٥- قل أيها النبي: هل أخبركم بما هو خير من تلك المشتبهات: وهو ما أعده الله للمتقين الطائعين القائمين بأوامر الله والمجتنبين نواهيه، من الجنات التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومنازلها، وهم ما كشون فيها أبداً، ولهم زوجات مطهرات من عيوب نساء الدنيا كالحيض والنفاس، ورضا دائم من الله سبحانه لا غضب بعده، والله مطلع على شؤون العباد، ولا يخفى عليه شيء، فيجازي كلًّا بما يستحق.



١٦- أوصاف المتقين: هم الذين يصدقون بالله ورسله، ويطلبون المغفرة عن السيئات، والوقاية من عذاب النار.

١٧- وخص الله بالمدح الصابرين على طاعة الله وعن محارمه، والصادقين في إيمانهم وأقوالهم وأفعالهم وتعاملهم مع الناس، والمداومين على طاعة الله، الخاشعة قلوبهم، والمنفقين أموالهم في سبيل الله، والمستغفرين بالأسحار، أي السائلين المغفرة في أواخر الليل قبل الفجر، وهو ثلث الليل الأخير؛ لأن الدعاء فيه مجاب.

١٨- أخبر الله خبراً مقروناً بالعلم والبيان وإقامة الأدلة القاطعة والمعجزات، أنه لا إله معبوداً بحق في الوجود سواه، وشهدت الملائكة بالإقرار بأنه لا إله إلا الله، وشهد أولو العلم من الأنبياء والعلماء والمؤمنين بالإيمان والإقرار اللفظي بوحداية الله، وشهد الكل بأن الله مقيم للعدل بين خلقه وفي جميع أموره، لا إله بحق إلا هو، الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في صنعه وتدبيره وأعماله. نزلت حينما قال حبران من أحبار أهل الشام للنبي بعد الهجرة: أخبرنا عن أعظم شهادة في كتاب الله؟ فأنزل الله تعالى: ﴿شهادة الله...﴾

الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّنَا مَعَاذُكَ أَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٦﴾ الصَّابِرِينَ وَالصَّادِقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُتَّقِينَ وَالْمُسْتَغْفِرِينَ بِالْأَسْحَارِ ﴿١٧﴾ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَاللَّهُ كُفُوًا فَلَا يَلْبَسُ لَإِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ اللَّهِ لَأَسْلَمُوا وَمَا أَخْتَلَفَ الَّذِينَ أُولَئِكَ إِلَّا مَن بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًّا بَيْنَهُمْ وَمَن يَكْفُرْ يَكْفُرْ بِمَا كَفَرَ سَكِرَاتٍ لِّمَسَابِكٍ ﴿١٩﴾ فَإِن حَاجَّكَ فَقُلْ أَسْلَمْتُ وَجْهِيَ لِلَّهِ وَمَنِ آمَنَ فَقُلْ لِلَّذِينَ أُولَئِكَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَابُ فَمَا أَشْهَدُوا أَنَّهُمْ كَفَرُوا وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ﴿٢٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِمَا كَانَتْ يَكَايَةُ اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّينَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ الَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ مِنَ النَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ حَقِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَالُهُمْ مُّزْنُوزِينَ ﴿٢٢﴾

١٩- إن الدين المقبول عند الله هو الإسلام الذي يشمل الإيمان، وما اختلف اليهود والنصارى إلا بعد أن جاءهم العلم في التوراة والإنجيل بوجوب توحيد الله وعبادته وطاعته، وكان اختلافهم تعدياً، وتجاوزاً للحق والإنصاف، وحسداً، أي لمجرد البغي، ومن يكفر بدلائل الله على توحيده، فإن الله سريع الجزاء له على ما يستحقه.

٢٠- فإن جادلوك بالباطل والقول المحرف والشبه الواهية في التوحيد والدين، فقل لهم أيها النبي: أخلصت ديني وعبادتي لله، وخضعت له بكليتي، لا أشرك به غيره، وأخلص القصد معي أيضاً أتباعي المسلمون، وقل لأهل الكتاب من اليهود والنصارى، والأمة (مشركي العرب): هل قبلتم الإسلام، وعملمت بموجبه، أم ما زلتُم كفاراً؟ فإن دخلوا في الإسلام، فقد اهتدوا إلى الصواب وتركوا الضلال، وإن أعرضوا عن الإسلام ويقروا في الكفر، فإنما عليك أن تبلغهم ما أنزل إليك، وليس عليك إلا تبليغ الرسالة، والله مطلع على أحوال العباد كلها، وسيجازيهم على أعمالهم.

٢١- إن الذين يكفرون بالآيات الدالة على وحداية الله وصدق أنبيائه، ويقتلون الأنبياء ظلماً بغير حق، وهم اليهود، ويقتلون الأمرين بالعدل، وهم الأمرون بالمعروف والناهون عن المنكر، فأنذرهم بعذاب مؤلم موجه. قال المبرد: كان ناس من بني إسرائيل، جاءهم النبيون يدعونهم إلى الله عز وجل، فقام أناس من بعدهم من المؤمنين، فأمرهم بالإسلام، فقتلواهم، ففيهم نزلت هذه الآية.

٢٢- أولئك قتلة الأنبياء وقتلة الأمرين بالعدل بطلت حسناتهم، في الدنيا والآخرة، فلم تقبل منهم، وليس لهم ناصر يتقدمهم من العذاب.

الرَّزَّازِ إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يُدْعُونَ إِلَى
 كِتَابِ اللَّهِ لِيُقَرَّبَهُمْ ثُمَّ تَتَوَلَّى فَوَيْقٌ مِنْهُمْ وَهُمْ مُعْرِضُونَ
 ﴿٢٣﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَنْ نَمَسَّنَا النَّارَ إِلَّا أَيَّامًا مَعْدُودَةً
 وَعَرَّضُوا فِي دِينِهِمْ مَا كَانُوا يَفْرُقُونَ ﴿٢٤﴾ فَكَيْفَ إِذَا جُمِعْتَهُمْ
 لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ وَهُمْ
 لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكُ الْمَلِكِ تُؤْتِي الْمَلِكَ مَن تَشَاءُ
 وَتَقْرَعُ الْمَلِكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَن تَشَاءُ وَتُزِيلُ مَن تَشَاءُ
 بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَّامٌ لِّسِرِّ قَلْبٍ ﴿٢٦﴾ تَوَلَّى الْآيِلَ
 فِي النَّهَارِ وَتَوَلَّى الْآيِلَ فِي النَّهَارِ فِي الْآيِلِ وَتَخْرُجُ الْحَيِّ مِنَ
 الْمَيِّتِ وَتَخْرُجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ وَتَزُرُّكُ مَن تَشَاءُ بِعَدْرِ
 حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ لَا يَخْفَى الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ
 دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ
 إِلَّا أَن تَقُولُوا مَن تَعْلَمُ وَيُحَدِّثُكَ اللَّهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللَّهِ
 الْمَصِيرُ ﴿٢٨﴾ قُلْ إِن تَحْقُقُوا مَا فِي صُدُورِكُمْ أَوْ تُبْدُوهُ يَعْلَمُ اللَّهُ
 وَيَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾

٢٣ - ألم تنظر أيها النبي إلى الذين أوتوا حظاً من التوراة، وهم أحبار اليهود، ويدعون إلى تطبيق التوراة، للحكم بينهم فيما اختلفوا فيه مع خصومهم، وكان ما في التوراة لصالح خصمهم، ثم ينصرف فريق منهم عن الإجابة إلى ما دُعوا إليه، مع علمهم به، وهم معرضون عن سماعه، إنهم أخطؤوا اعتماداً على أن النار لن تمسهم إلا قليلاً. نزلت حينما ادعى اليهود أن إبراهيم كان يهودياً، فقال الرسول ﷺ: (فهلماً إلى التوراة، فهي بيننا وبينكم، فأبى عليه، فأنزل الله: ﴿الم تر...﴾ إلى آخر الآية التالية.

٢٤ - ذلك التولي عن القبول بحكم الله تعالى كان بسبب قولهم افتراء: لن تمسنا النار إلا أياماً قلائل، وهي أربعون يوماً، مقدار عبادتهم العجل، وخذعهم في دينهم ما كانوا يفترون من الأكاذيب، ومنها قولهم: نحن أبناء الله وأحباؤه، فلا نعذب إلا يسيراً.

٢٥ - فكيف يصنعون، أو كيف يكون حالهم إذا جمعناهم ليوم الجزاء الذي لا شك في وقوعه، وهو يوم القيامة، وجوزيت كل نفس بما عملت، وهم لا يُظلمون بزيادة العذاب على سيئاتهم، ولا نقص من حسناتهم، وحيث يدركون أنه لن ينفعهم شيء.

٢٦ - قل أيها النبي: يا مالك جنس الملك في الدنيا والآخرة، أنت تعطي الملك من تشاء إعطاءه من عبادك، وتسلب الملك عن تريد نزع منه، وترفع من تشاء وتخفض من تشاء بيدك الخير لا يبد غيرك، إنك القادر على كل شيء. قال قتادة: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله: ﴿قل اللهم...﴾

٢٧ - تدخل بعض الليل في النهار، فيقصّر الليل ويطول النهار، وتدخل بعض النهار في الليل، فيطول الليل ويقصر النهار، ويظل الأمر كذلك بحسب الفصول والمواقع، ضمن مدة كليهما وهي ٢٤ ساعة، وتخرج الحي من الميت كالنبات أو الحيوان من التراب أو الشجرة من التوأة أو العالم من الجاهل أو المؤمن من الكافر، وتخرج الميت من الحي، كالنواة من الشجرة، واللبن من الحيوان، والجاهل من العالم أو الكافر من المؤمن، وترزق من تشاء من العباد بغير تعداد ولا تقتير.

٢٨ - لا يتخذ المؤمنون الكافرين نصراء، يحبونهم ويطلعونهم على أسرار المؤمنين الخاصة، ومن يتخذهم أنصاراً، فليس من دين الله في شيء، أي فهو بعيد عن رحمة الله، إلا في حال خوفكم من ضررهم كالقتل مثلاً، فلكم حيثئذ موالاتهم في الظاهر بقدر دفع الضرر عنكم، ويخوفكم الله من عقابه إن اتخذتموهم أولياء ظاهراً وباطناً، وإلى الله مرجعكم، فيجازيكم على أعمالكم. نزلت في عبادة بن الصامت الذي أراد يوم الأحزاب الاستعانة بخمسمائة رجل من اليهود على الأعداء، فأنزل الله تعالى: ﴿لا يتخذ...﴾

٢٩ - قل لهم أيها الرسول: إن تخفوا موالات الأعداء أو تظهروها، يعلمه الله، فيجازيكم به، ولا يخفى عليه شيء في السموات والأرض، والله تام القدرة على عقوبتكم وجميع أحوالكم.



٣٠- يوم تجدد كل نفس في الآخرة ثواب ما عملت في الدنيا من العمل الصالح أو الخير، حاضراً- أي ثوابه- مهما قل، وتجدد أيضاً جزاء ما عملت من سوء حاضراً، تتمنى أن يكون بينها وبين عمل السوء بُعد طويل أو مسافة بعيدة، لتتخلص من عاقبته، ويحذركم الله عقابه، أكدته للتذكير، والله شديد الرأفة والرحمة بالعباد، فلا يعاجلهم العقوبة، وإنما يعيّلهم لتدارك الأمر والتوبة وتجديد العمل الصالح. واقتران التحذير بالرأفة لطف من الله بالناس.

٣١- قل أيها النبي لليهود: إن كنتم كما تزعمون تحبون الله، فاتبعوني على الإسلام، يرض الله عنكم؛ لأن المحبة تقتضي اتباع النبي ﷺ وطاعة الله ورسوله، والله يستر لكم ذنوبكم الماضية، والله كثير المغفرة للذنوب عباده، رحيم بهم. قال الحسن البصري: قال أقوام على عهد نبينا: والله يا محمد، إنا لنحب ربنا، فأنزل الله: ﴿ قل: إن كنتم... ﴾

٣٢- قل لهم يا محمد: أطيعوا الله ورسوله في جميع الأوامر والنواهي، فإن تعرضوا عن طاعة الله ورسوله، فالله يسخط عليكم ويغضب على الكفار الجاحدين للحق.

٣٣- إن الله اختار للنبوة آدم أباً للبشر، ونوحاً أول

مرسل برسالة يبلغها، وهو آدم الثاني، واختار وفضل آل إبراهيم لكون النبي ﷺ منهم، وآل عمران (وهم موسى وهارون وعيسى وأمه) لكون عيسى عليه السلام منهم، وفضلهم على عالمي زمانهم.

٣٤- والحال أنها ذرية منسجمة متفقة في الصلاح والتدين، يشبه بعضها بعضاً في النسب والخير والعمل الصالح والنية والتوحيد، والله سميع لأقوال عباده، عليم بنياتهم وضمائرهم وأفعالهم.

٣٥- واذكر أيها النبي حين قالت امرأة عمران (حنة أم مريم) لما أحست بالحمل: رب إنني نذرت أن أجعل ما في بطني لعبادتك غلاماً عتيقاً خالصاً لله، متفرغاً لخدمة بيتك المقدس (المسجد) فتقبل مني نذري، إنك سميع الدعاء، عالم بالمقاصد والنيات.

٣٦- فلما ولدت امرأة عمران ابنتها مريم، قالت متحسرة محزونة معتذرة: رب إنني وضعتها أنثى، وهي لا تصلح لخدمة المسجد، وكنت أرجو أن يكون الولد ذكراً لأوفي بندرك، والله عالم بما وضعت. أورد الله تعالى هذه الجملة لدفع توهم أنها تريد إخباره تعالى- ثم قالت: ليس الذكر الذي نذرته لخدمة المسجد كالأنثى التي وضعتها والتي لا تصلح للخدمة في بيوت العبادة، فاجعلها عابدة قانتة، وإنني سميتها مريم (أي خادمة الرب) وإنني أجبرها وأحفظها بحفظك، هي وذريتها، من الشيطان المطرود من رحمة الله.

٣٧- فرضي الله بمرم لوفاء النذر، ورباها تربية حسنة تصلح جميع أحوالها، وجعل زكريا (زوج خالتها) كافلاً لها قائماً بمصالحها، وكلما دخل عليها المحراب: أشرف المجالس، والمصلّي، وجد عندها طعاماً وفاكهة من غير فواكه الموسم المعتاد، قال لها: من أين لك هذا يا مريم؟ قالت: هو من عند الله، ساقه الله إليّ، إن الله يرزق من يشاء من عباده بغير إحصاء ولا حدود.

يَوْمَ تَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ خَيْرٍ مُّحْضَرًا وَمَا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ تُوَدِّعُ لَوْ أَنَّ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ أَمَدًا بَعِيدًا وَتَجِدُ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ مِنْ سُوءٍ زَوْفًا بِأَعْيَادِهِ ﴿٣٠﴾ قُلْ إِنَّ كَثِيرًا مِّنْ نَّجْوَاهِمْ فِي سَمْعِكَ اللَّهُ وَيَعْلَمُ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٣﴾ ذُرِّيَّتَهُ نَحْنُ بِبَعْضِهَا مَصْفُوفَةٌ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ إِذْ قَالَتْ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَىٰ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَىٰ وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهُمَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَ هَارِزَاتٍ قَالِ يَرَزِقُ إِنِّي لَكَ هَدًى قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾

٣٨. في ذلك المكان عند مريم في المحراب، دعا زكريا ربه طالباً أن يمنحه ذرية طيبة أي نسلاً صالحاً، إنك يا الله تسمع دعاء من دعاك، وتلبي من نضرع إليك.

٣٩. فنادته الملائكة والمنادي وحده هو جبريل كما ذكر الطبري عن ابن مسعود، وهو قائم يصلي ويدعو في محرابه: أن الله يشرك بولادة يحيى (وفي الإنجيل يوحنا) مصداقاً بالكلمة وهو عيسى عليه السلام، ويشتر ببعثته، وبعث في زمانه، وكان ابن خالته، وسمي عيسى كلمة الله؛ لأنه وجد بقوله سبحانه: ﴿كن﴾ وسيكون يحيى سيداً يسود قومه بالعلم والحلم والفضل، وحضوراً، أي لا يأتي النساء زهداً، ونبياً صالحاً يؤدي حقوق الله والناس، ومعصوماً من الذنوب.

٤٠. قال زكريا: رب كيف يوجد لي ولد؟ وقد صرت شيخاً كبيراً هرمياً، وامرأتي عقيم لا تلد، مستبعداً ذلك بحسب العادة، لا على قدرة الله تعالى، فأجابه الله تعالى: مثل ذلك الخلق غير المعتاد، يفعل الله ما يشاء من الأفعال العجيبة، لا يعجزه شيء، فلا تتعجب من ذلك.

٤١. قال زكريا داعياً: رب اجعل لي علامة أعرف بها وجود الحمل لأشكرك، فقال سبحانه:

فَمَا لَكَ دَعَا رَكِيظًا رَبَّهُ قَالَ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ ذُرِّيَّةً طَيِّبَةً إِنَّكَ سَمِيعُ الدُّعَاءِ ﴿٣٨﴾ فَادَّأته الْمَلَكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنْ رَبِّكَ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣٩﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي كُنْتُ لِي غَلًّا وَقَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ كَرِيمٌ وَأَمْرًا قَاطِرًا قَالَ كَذَلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ ﴿٤٠﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ آيَتُكَ الْأَنْتَاسُ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ إِلَّا رَمْرًا وَأَذْكُرُ ذَبِكَ كَثِيرًا وَسَبِّحْ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٤١﴾ وَإِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاكِ وَطَهَّرَكِ وَأَصْطَفَاكِ عَلَى نِسَاءِ الْعَالَمِينَ ﴿٤٢﴾ يَمْزِرُ اقْتِيبًا لِرَبِّكِ وَأَسْجُدِي وَأَزْكُرِي مَعَ الرَّاكِعِينَ ﴿٤٣﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَقُولُونَ أَقْلَمُهُمْ أَنْهَرِيكُمْ فُلْ مَرْيَمُ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُخَصِّمُونَ ﴿٤٤﴾ إِذْ قَالَتِ الْمَلَكَةُ يَا مَرْيَمُ إِنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِنْهُ اسْمُهُ الْمَسِيحُ عَلَى ابْنٍ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾

علامتك أنك تعجز عن خطاب الناس إلا بالإشارة مدة ثلاثة أيام، فتصبح محبوس اللسان، وسمى الرمز كلاماً؛ لأنه يحقق المراد من الكلام، واذكر الله ذكراً كثيراً، ونزهه الله في الصباح والمساء. والعشي: من الظهر إلى الغروب. والإبكار: من طلوع الفجر إلى الضحى.

٤٢. واذكر أيها الرسول حين قالت الملائكة: يا مريم إن الله اختارك وتقبلك لخدمة بيت المقدس، وطهرك من العيوب (الأدناس) المعنوية والحسية، وفضلك على جميع نساء العالمين في زمانك، وقيل: إلى يوم القيامة، بولادتك نبياً من غير مساس رجل.

٤٣. يا مريم اخشعي لله، وصلي وأطيعي ربك، وتذلي لله، وصلي الصلاة مع الجماعة، وكل ذلك يراد به التواضع والخشوع في العبادة.

٤٤. ذلك المذكور من هذه القصة، نقصه عليك أيها النبي من أخبار الغيب التي كنت غائبا عنها، وهو ما نوحيه إليك في هذا القرآن، وما كنت موجوداً مع المتنازعين في تربية مريم، بل الله أوحى بخبرهم إليك، حين اقترعوا على حضانة مريم وتربيتها، جاعلين أقلامهم التي كتبوا بها التوراة، في الماء الجاري، فمن وقف قلمه فهو الكافل، فوقف قلم زكريا، ولم تكن يا محمد عندهم حين تنافسوا على الكفالة والتربية.

٤٥. واذكر يا محمد حين قالت الملائكة: يا مريم، يشرك الله بولود منك من غير أب هو الكلمة، وسمى عيسى بالكلمة؛ لأنه وجد بكلمة «كن» فيكون من عند الله، اسمه المسيح عيسى ابن مريم، فهو منسوب إليك، ولقب بالمسيح لمسحه بالبركة أو بالدهن الذي يسح به الأنبياء، وهو ذو جاه في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالشفاعة وعلو الدرجة، ومن المقربين إلى الله يوم القيامة.

٤٦- ويكلم الناس في المهذب وكهلاً ومن الصّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾ قَالَتْ رَبِّ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي وَلَدٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ قَالَ كَذٰلِكَ قَالَ اللَّهُ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٧﴾ وَتَعْلَمُ الْكِتٰبَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ ﴿٤٨﴾ وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِي إِسْرٰءِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِن رَّبِّكُمْ أَنِّي خَلَقْتُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخِي الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدْخُرُونَ فِي بُيُوتِكُمْ إِنِّي فِي ذٰلِكَ لَآيَةٌ لِّكُمْ إِن كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿٤٩﴾ وَصَدَقْنَا لَمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ مِنَ التَّوْرَةِ وَإِلٰهَ لَكُمْ بَعْضَ الَّذِي خَرَعْنَا عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُمْ بِآيَاتٍ مِن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٥٠﴾ إِنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هٰذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٥١﴾ فَلَمَّا أَحْسَسَ عِيسَىٰ مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنْصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْخَوَارِثُونَ نَحْنُ أَنْصَارُ اللَّهِ ءَأَمْنَا بِآلِهِ وَآشْهَدُ بِأَنَّا مُّسْلِمُونَ ﴿٥٢﴾

٤٧- قالت مريم مستبعدة الأمر بحكم العادة: كيف يكون لي ولد، ولم يقربني رجل؟ فأجابها الوحي: مثل ذلك يخلق الله ما يشاء من العدم بمقتضى قدرته وحكمته، إذا أراد أمراً أو شيئاً، أوجده بكلمة ﴿كن﴾ فيكون كما أراد.

٤٨- ويعلم الله عيسى الكتابة والخط، والعلم النافع وفهم أسرار الأشياء، والتوراة التي أنزلها على موسى، والإنجيل الكتاب الذي سيوحى به إليه بعد ذلك.

٤٩- ويرسله الله رسولاً إلى بني إسرائيل: أني آيتكم بعلامة دالة على صدق نبوتي ورسالتي، وهي اني اصور لكم من الطين شيئاً كههيئة الطير، فأنفخ فيه، فيصير حياً كسائر الطيور، بإرادة الله،

فالخلق الحقيقي من الله، وأشفي الأكمه: الذي ولد أعمى، والأبرص الذي به البرص: وهو يياض يظهر في الجلد، وخص هذان المرضان؛ لاستحالة الشفاء منهما في العادة الغالبة، وأحيي الموتى، وكل ذلك بإرادة الله، وأخبركم بما تأكلون وتدخرون في بيوتكم، وذلك مما لا يطلع عليه الناس عادة، إن في جميع ما ذكر لدليلاً قاطعاً وحجة ظاهرة على صدق رسالتي، إن كنتم مصدقين بالرسالات الإلهية.

٥٠- وجئتكم مصدقاً لما سبقتني من التوراة، عاملاً بها، مخففاً بعض أحكامها، أحل من الطيبات بعض المحرم في التوراة، كلحوم كل ذي ظفر وشحوم الأنعام، وجئتكم بحجة شاهدة على صدقي من الله، فخافوا عذابه، وأطيعوني فيما دعوتكم إليه، وتابعوني في ديني.

٥١- إن الله ربي وربكم، لا إله غيره ولا رب سواه، وأنا عبده، فاعبدوه وحده لا شريك له، هذا هو الطريق القويم الواضح الذي لا عوجاج فيه.

٥٢- فلما لمس عيسى الكفر والضلال من بني إسرائيل، قال لهم: من أعوانني في الدعوة إلى الله، وتبليغ رسالته للناس؟ قال الخواريون- أصحابه وتلاميذه- الاثنا عشر رجلاً: نحن أنصار دين الله ورسله، أمنا بالله، واشهد يا عيسى بأننا مخلصون في إيماننا، متقادون لرسالتك.



رَبِّسَاءَ أَمَنَّا بِمَا أَنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنَا الرَّسُولَ فَاكُنْ مَعَ
 الشَّاهِدِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَكْرُؤًا وَمَكْرًا اللَّهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ الْمَكْرِينَ
 ﴿٥٤﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَرَافِعَكَ إِلَى مَطَرِكِ
 مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَجَاعِلِ الَّذِينَ اشْعُرُكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا
 كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَأَعْدِبْهُمْ
 عَذَابًا شَدِيدًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ
 ﴿٥٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ
 وَاللَّهُ لَا يَجِبُ الظَّالِمِينَ ﴿٥٧﴾ ذَلِكَ نَسَلُهُ عَلَيْكَ مِنَ
 الْآيَاتِ وَالذِّكْرِ الْحَكِيمِ ﴿٥٨﴾ إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ
 كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾
 الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٦٠﴾ فَمَنْ حَاكَمَكَ
 فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ آبَاءَنَا
 وَإِبْنَاءَنَا وَنِسَاءَنَا وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْهَلْ
 فَتَعْمَلْ لَعْنَتُ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٦١﴾

٥٣- ربنا إننا صدقنا بما أنزلت من الوحي على نبيك، وامتثلنا أوامر رسولك، فاجعلنا من الشاهدين يوم القيامة لك بالوحدانية، ولرسولك بالصدق.

٥٤- ومكر كفسار بني إسرائيل، أي دبروات تدبيراً خفياً لقتل عيسى، وأبطل الله مكرهم، بإلقاء شبه عيسى على أحد الحواريين، ورفع عيسى إلى السماء، والله خير وأنفذ وأقوى المدبرين.

٥٥- واذكر يا محمد حين قال الله: يا عيسى، إني مستوفي أجلك في الدنيا، وقابضك، ورافعك إلي بروحك وبدنك بجعلك في منزلة رفيعة كإدريس والصالحين، ومخلصك من خبث الكافرين ومكرهم، ومبعدك عن سوء عملهم، وجاعل أتباعك الذين آمنوا برسالتك فوق الذين كفروا أو جحدوا برسالتك إلى يوم القيامة، وهي فوقية وعلو فضائل وقوة حجة، ومن هؤلاء: المسلمون الذين آمنوا بعيسى رسولاً وبما يستحقه من دون غلو، ثم يكون إلي رجوعكم جميعاً، فأحكم بين المؤمنين الأتباع وبين الكفار به، فيما تختلفون من شأن المسيح وصلبه وأمور الدين كلها.

٥٦- فأما الكفار فلهم عذاب شديد في الدنيا بأنواع العقاب، وفي الآخرة بنار جهنم والغضب الإلهي، وليس لهم أنصار ينصرونهم ويمنعون عنهم العذاب.

٥٧- وأما المؤمنون والذين يعملون الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، فيعطيهم الله ثواب أعمالهم كاملاً وافرأً، والله يعاقب الظالمين أنفسهم، الذين كفروا بالله ورسله، وعصوا أوامر ربه.

٥٨- ذلك المذكور من أخبار عيسى ومريم نقصه عليك يا نبي الله، من جملة الآيات العلامات الدالة على صدق نبوتك، ومن القرآن المحكم الذي لا خلل فيه. قال الحسن البصري: أتى راهبا نجران، فقال أحدهما: من أبو عيسى؟ وكان رسول الله ﷺ لا يعجل، حتى يؤمر ربه، فنزل عليه: ﴿ذلك نسلوه عليك...﴾ إلى آخر الآية (٦٠).

٥٩- إن شأن عيسى الغريب كشأن آدم الذي خلقه الله من التراب، ثم أوجده بقوله: كن بشراً، فكان، بل أمر آدم أغرب، فإنه لا أب له ولا أم، لخلقه من التراب. قال وفد نجران للنبي ﷺ: ما لك تشتم صاحبنا؟ قال: وما أقول؟ قالوا: تقول: إنه عبد، قال: أجل، إنه عبد الله ورسوله وكلمته ألقاها إلى العذراء البتول، فغضبوا وقالوا: هل رأيت إنساناً قط من غير أب؟ فإن كنت صادقاً فأرنا مثله، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠- هذا الذي أوحى إليك أيها النبي هو الحق الثابت من ربك، فلا تكن من الشاكرين فيه، والنهي للرسول لزيادة التثبيت والتأكيد، ومثله كل سامع بمعن النظر.

٦١- فمن جادلك في شأن عيسى بغير حق، من بعد ما جاءك من الوحي والخبر بحقيقة الأمر، فقل لهم: هلموا لنجتمع جميعاً مع الأولاد والنساء، ثم ندعو الله خاشعين، ونقول: اللهم العن الكاذب في شأن عيسى.

إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْقَصَصُ الْحَقُّ وَمَنْ إِلَهٌ إِلَّا اللَّهُ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ
 الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِالْمُفْسِدِينَ
 ﴿٦٢﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ
 بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا
 بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٣﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَخْرُجْتُمْ فِي
 آيَاتِهِمْ وَمَا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ إِلَّا مِنْ بَعْدِهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٤﴾ هَذَا نَمُوهٌ لَكُمْ فِي كُتُبِكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّهُ
 تَخْرُجُونَ فِيهَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٥﴾
 مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا
 وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لِلَّذِينَ
 اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٦٧﴾ وَذَاتَ ظُلُمَةٍ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَضُّوكُمْ
 وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٨﴾ يَا أَهْلَ
 الْكِتَابِ لِمَ تَكْفُرُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأَنْتُمْ تَسْهَدُونَ ﴿٦٩﴾

٦٢- إن هذا المذكور من قصة عيسى لهو القصة الواقعية لولادة عيسى عليه السلام ونشأته ومنهجه في دعوته، ولا يوجد إله يعبد بحق غير الله تعالى وحده، خالق كل شيء، وإن الله هو القوي الغالب في هذا الكون، الحكيم في صنعه وتبنيه.

٦٣- فلما أعرضوا عن هذا الحق المبين واتباع عقيدة التوحيد التي دعا إليها جميع الأنبياء، فهذا هو الفساد بعينه؛ لأنه شرك وكفر، والله عليم بالمفسدين، وسيعاقبهم على إفسادهم.

٦٤- قل أيها الرسول: يا أهل الكتاب تعالوا نتفق على كلام مفيد، وسط عادل موجود فيما أنزل إلينا وإليكم، تتساوى في طلبه جميع الكتب الصحيحة، وهي صحف إبراهيم والتوراة والإنجيل والقرآن، ألا تكون عبادتنا إلا لله وحده، ولا نجعل غيره شريكاً له في خلق أو ملك أو رزق أو استحقاق للعبادة، ولا نتخذ أرباباً أخرى من غير الله، كاعتقاد ربوبية عزيز المسيح وجعلهم كالرب تعالى في التحليل والتحریم، ولا نسجد لرب غير الله، فلما أعرضوا عما دعوا إليه، فقولوا: اشهدوا بأننا مسلمون متقادون لله ولاحكامه.

٦٥- يا أهل الكتاب من اليهود والنصارى، لم تجادلون في ملة إبراهيم، وتصفه اليهود بأنه كان يهودياً، والنصارى بأنه كان نصرانياً، علماً بأن اليهودية بعد موسى، والنصرانية

بعد عيسى، وكان إبراهيم قبل ذلك بدهر طويل، والتوراة أنزلت على موسى، والإنجيل على عيسى بعد إبراهيم، فكيف يكون يهودياً أو نصرانياً؟ أفلا تدركون فساد قولكم وبطلانته؟ قال ابن عباس: اجتمعت نصارى نجران وأخبار يهود عند رسول الله ﷺ، فتنازعوا عنده، فقالت الأخبار: ما كان إبراهيم إلا يهودياً، وقالت النصارى: ما كان إلا نصرانياً، فأنزل الله: ﴿يا أهل الكتاب لم تجادلون﴾ إلى آخر الآية [٦٧].

٦٦- أيها اليهود والنصارى، لقد جادلتم فيما لكم به علم من أمر دينكم الموجود في كتابكم التوراة، من الحلال والحرام وأنواع العبادة، فلم تجادلون فيما ليس لكم به علم؟ وهو الزعم بأن إبراهيم كان على دينكم، والله يعلم الحقائق، وأنتم لا تعلمون ذلك.

٦٧- ما كان إبراهيم يهودياً ولا نصرانياً؛ لأنه كان متقدماً على ديانة الفريقين، وكان مائلاً عن الأديان كلها إلى التوحيد والحق، مطيعاً لله عابداً له، ولم يكن مشركاً يعبد مع الله إلهاً آخر.

٦٨- إن أحق الناس بالانتماء لإبراهيم هم الذين آمنوا به واتبعوا ملته الحنيفية، وهذا النبي محمد ﷺ لكونه من ذريته، واتفقه مع ملته القائمة على التوحيد، والله ناصر المؤمنين. سأل اليهود قائلين: والله يا محمد، لقد علمت أننا أولى بدين إبراهيم منك ومن غيرك، وإنه - في اعتقادنا - كان يهودياً، وما بك إلا الحسد، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٩- تمثنت طائفة من الكتابيين لو يردونكم عن دينكم، وما يُضِلُّونَ بدعوتهم هذه إلا أنفسهم، بسبب ثبات المؤمنين على الإيمان، ومضاغفة العذاب على الكافرين، وما يشعرون بذلك. نزلت هذه الآية في طوائف اليهود في المدينة حين دعوا جماعة من المسلمين إلى دينهم.

٧٠- يا أهل الكتاب لم تكفروا بآيات الله المنزلة على نبيه محمد ﷺ والمنزلة في كتبكم للدالة على صدق نبوته، وأنتم تشهدون أنها حق وصدق، وأن محمداً رسول، والقرآن حق.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَوْ تَلَسْتُمْ الْحَقَّ بِالْبَاطِلِ وَتَكْمُرُونَ لَعْنًا
وَأَنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ وَقَالَتْ طَائِفَةٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ ءَامِنُوا
بِالَّذِي أُنزِلَ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَرَجَعِ النَّهَارُ وَكُفُّوا ۗ وَآخِرُهُ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَا تَوَسَّوْا الْإِلَٰهَ تَبِعَ دِينَكُمْ قُلْ
إِن لَّهْدَىٰ اللَّهُ فِرْعَوْنَ لَمْ يَكُن لَّهُ إِتِّفَاقٌ مِّنَّا أَن نُّنَزِّلَ عَلَيْهِ الْغَمَامَ
عِندَ نَجْمِكَ ۚ قُلْ إِنَّا نَفَعُ لِقَوْمٍ مِّنْ نِّسَاءِ اللَّهِ وَاسْمُ
عَلِيٍّ ﴿٧٣﴾ يَخْتَصُّ بِرَحْمَتِهِ مَن يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ
الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ وَمِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مَن إِنْ ءَامَنَهُ يَقْنَطُ بِرِ
يُؤَدُّهُ إِلَىٰكَ وَمِنْهُم مَّنْ إِنْ ءَامَنَهُ بِدِينَارٍ لَّا يُؤَدُّهُ إِلَىٰكَ
إِلَّا مَا دُمَّتْ عَلَيْهِ فَمَا يَمَازُكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لَيْسَ عَلَيْنَا فِي
الْأَمْثَلِ سَبِيلٌ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْرُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾
بَلَىٰ مَن أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ وَءَاتَىٰ فَإِنَ اللَّهُ يَحْكُمُ لِمَن يَشَاءُ ۗ إِن
الَّذِينَ يَسْتُرُونَ عَهْدَ اللَّهِ وَأَعْتَمَتْهُم مِّنْ قَائِلًا أُولَٰئِكَ
لَا خَلْقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٦﴾

٧١- يا أهل الكتاب لم تخلصون الحق بالمنزل على الأنبياء وفي الكتب السماوية بالباطل الذي هو التحريف القائم على الهوى، وتكتمون الحق الثابت في كتبكم من نعت محمد ﷺ وصدق رسالته، وأنتم توتقون بذلك في قلوبكم.

٧٢- وقال جماعة من اليهود هم الرؤساء لأتباعهم: صدقوا بالقرآن الذي أنزل على المسلمين في بداية النهار، واكفروا به آخر النهار، أي بالردة في وقت قريب، ليرتد المؤمنون عن دينهم بما تلقون عليهم من الشكوك والشبهات. وهي مؤامرة فاشلة لعلمهم بثبات المؤمنين على عقيدتهم. قال نفر من اليهود بعضهم لبعض: تسالوا تؤمن بما أنزل الله على محمد وأصحابه غدوة، ونكفر به عشية، حتى نلبس عليهم دينهم، لعلمهم يصنعون كما نضع، فيرجعوا عن دينهم، فأنزل الله فيهم هذه الآية.

٧٣- وقال رؤساء اليهود أيضاً لأتباعهم: لا تصدقوا إلا لمن تبع دينكم من أهل الملة التي أنتم عليها، قل لهم أيها النبي: الهداية بيد الله- ثم قالوا: ولا تصدقوا أن يعطي الله أحداً من غير اليهود مثلما أعطيتهم من الكتاب والنبوة، ولا تصدقوا أن أحداً يقيم عليكم حجة عند ربكم يوم القيامة على أنه محق وأنتم مبطلون- قل أيها النبي: إن الفضل بيد الله، ومن فضله النبوة والإسلام، يؤتية من يشاء من عباده، والله كثير الفضل، واسع العلم

من هو أهل له- وقد شاء الله اختصاص محمد ﷺ وأمة بالقرآن. كانت أخبار اليهود تقول للذين من دونهم: ﴿ لا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾، فأنزل الله: ﴿ قل: إن الهدى هدى الله ﴾.

٧٤- يختص الله برحمته، أي بالنبوة من شاء من عباده، ويختص المؤمنين بالفضل بما يريد، والله ذو الفضل الواسع.

٧٥- بعض أهل الكتاب إن تأمته على قنطار أو مال كثير، يرده إليك، وبعضهم إن اتتمته على دينار واحد أو أقل، لا يرده إليك لطمعه، إلا ما دمت ملازماً له بالمطالبة والتقاضى، ذلك جحد الأمانة لأنهم قالوا: لا حرج علينا في ظلم الأميين: العرب وغيرهم من الأمم غير أهل الكتاب، ولا ذنب في أكل أموالهم، لمخالفتهم لنا في الدين، وقد أحل الله لنا أموالهم، ويفترون على الله الكذب بقولهم هذا، فهو مجرد اختلاق، وهم يعلمون يقيناً أن الله لم يحل لهم ذلك.

٧٦- بلى عليهم سبيل، أي مؤاخذه وذنب، لكذبهم واستحلال أموال العرب وغيرهم، وأكلها بالباطل، ومن وفى بعهده الذي التزمه، وأدى الأمانة التي أوتمن عليها، وخاف الله، فلم يكذب ولم يستحل ما حرم عليه، استحق رضوان الله، والله يرضى عن المتقين الذين يطيعون الأوامر، ويجتنبون النواهي.

٧٧- إن الذين يستبدلون بعهد الله: وهو ما أنزله في كتابه من الإيمان بالنبي وأداء الأمانة، وبإيمانهم الكاذبة، بدلاً حقيراً يأخذونه من الدنيا، أو رشوة، وهو قليل وإن كثر، لعدم البركة فيه، أولئك لا نصيب لهم في نعيم الآخرة، ولا يكلمهم الله كلام مودة، وإنما يخضب عليهم، ولا ينظر إليهم نظرة رحمة، ولا يطهرهم من الذنوب، ولهم عذاب مؤلم. روى الشيخان وغيرهما أن الأشعث قال: كان بيني وبين رجل من اليهود أرض، فجحدي، فقدمته إلى النبي ﷺ، فقال: ألك بيعة؟ قلت: لا، فقال لليهودي: احلف، فقلت: يا رسول الله، إذن يحلف، فيذهب مالي، فأنزل الله: ﴿ إن الذين يشترون... ﴾.



٧٨- وإن فريقاً من اليهود يميلون ألستهم، ويحرقون التوراة، ويوجهونها إلى ما يريدون، لتظنوا أن الكلام المحرف من التوراة، وما هو في الحقيقة من الكتاب المتزل من الله، ويقولون عن هذا الكلام المحرف: هو من عند الله، وليس هو من عنده، وإنما هو كذب وافتراء، ويقولون على الله الكذب، وهم يعلمون أنهم كاذبون، وذلك من أعظم الآثام، قال ابن عباس عن هؤلاء المفتريين: هم اليهود الذين قدموا على كعب بن الأشرف، غيروا التوراة، وكتبوا كتاباً بدلوها فيه صفة رسول الله ﷺ ثم أخذت بنو قريظة ما كتبوه، فخلطوه بالكتاب الذي عندهم.

٧٩- لا ينبغي لبشر ينزل الله عليه الكتاب، ويعلمه الحكمة (فقه الشريعة والعلم النافع) ويؤتاه النبوة والرسالة، ثم يأمر الناس بعبادة نفسه من دون الله، ولكن يقول النبي لأتباعه: كونوا علماء فقهاء عاملين بما أمر الله، مطيعين لله طاعة تامة، بسبب تعليمكم كتاب الله للناس، ودراساتكم ما جاء في التشريع من الأحكام والمواعظ. نزلت

الآية في النصارى، افتروا على عيسى عليه السلام ما لم يصح عنه، ولا ينبغي أن يقوله هو، ولا أحد من إخوانه النبيين.

٨٠- وليس لني أن يأمر باتخاذ الملائكة والنبيين أرباباً آلهة من دون الله، وإنما ينهى عنه، وهل يعقل أن يأمركم النبي بالكفر بعد أن صرتم مسلمين متقادين لله؟!

٨١- واذكروا معشر أهل الكتاب حين أخذ الله العهد المؤكد على الأنبياء، لئن آتيتكم شيئاً من الكتاب والحكمة (فهم أسرار الشريعة) ثم جاءكم رسول مؤيد لما معكم، لتؤمنن به ولتنصرنه نصرأ مؤزرأ، وأخلتم على ذلكم عهدي المؤكد الذي يحمل صاحبه على الوفاء بما التزمه، وقال الأنبياء: أقررنا، قال الله: فليشهد بعضكم على بعض وبينوه للناس، وأنا شاهد على إقراركم وشهادتكم.

٨٢- فمن أعرض عن الإيمان بعد ذلك الميثاق والعهد المأخوذ على جميع الأمم، فأولئك هم الخارجون عن طاعة الله وحدوده.

٨٣- أيطلبون ديناً غير دين الله الخالق؟ وله أسلم طوعاً أو كرهاً، اختياراً أو جبراً، جميع من في السموات والأرض، من الملائكة والجن والإنس، وإليه يعودون يوم القيامة، فيجازي كل امرئ بما كسب.

وَأَن مِّنْهُمْ لَفَرِيقًا يَلُونُ أَلْسِنَتَهُم بِأَلْكِبِّ لِيَحْسَبُوهُ
مِنَ الْكِبِّ وَمَا هُوَ مِنَ الْكِبِّ وَيَقُولُونَ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
وَمَا هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَيَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ الْكِبْ وَهُوَ
يَعْلَمُونَ ﴿٧٨﴾ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكْتُمَ أَنَّ تَوْبَتَهُ اللَّهُ الْكِبْ
وَالْحُكْمُ وَالشُّبُهَاتُ ثُمَّ يَقُولُ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّيَ
مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا يَكُنْ كُونُوا رَبِّينِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ
الْكِبْ وَمَا كُنْتُمْ تَدْرُسُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَا يَأْمُرُكُمْ أَنْ تَتَّخِذُوا
الْمَلَائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُمْ بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْتُمْ
مُسْلِمُونَ ﴿٨٠﴾ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ أَنبَأْتُمْ مِنْ
كِبِّ وَحِكْمَةٍ فَوَجَاءَ كُرْسُومٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ
لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
إِيْرِي قَالُوا أَأَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَن مَّعَكُمْ مِنْ
السَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَنْ تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ ﴿٨٢﴾ أَفَعَيَّرْتُمْ دِينَ اللَّهِ يَبْعُوثُ لَهٗ- أَسْلَمَ مِنْ
فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

٨٤- قل أيها النبي لجميع الأمم: آمنا بالله وحده لا شريك له، وما أنزل علينا من القرآن، وما أنزل على إبراهيم من الصحف، وما أنزل الله من الآيات البينات على إسماعيل وإسحاق ولدي إبراهيم، ويعقوب بن إسحاق، والأسباط: أولاد يعقوب الاثني عشر، لا نفرق بين أحد من هؤلاء، كما فرقت اليهود والنصارى، بل نؤمن بهم جميعاً، ونحن له تعالى خاضعون، منقادون، مخلصون له العبادة.

٨٥- ومن يطلب ديناً غير الإسلام، فلن يقبل منه، وهو في عالم الآخرة من الذين خسروا أنفسهم واستحقوا العذاب. نزلت هذه الآية في الحارث بن سويد الأنصاري، ارتد عن الإسلام، هو واثنا عشر معه، ولحقوا بمكة كفاراً، فنزلت هذه الآية، ثم أرسل إلى أخيه يطلب التوبة، وأسلم بعد نزول الآيات.

٨٦- لا يهدي الله قوماً كفروا بعد إيمانهم، وهم اليهود والنصارى، كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بأنه صاحب الأوصاف المذكورة في التوراة، وشهدوا أن الرسول حق أرسله الله، وجاءهم الحجج الظاهرات الدالة على صدق النبي، والله لا يوفق القوم الكافرين الذين آثروا الكفر على الإيمان. نزلت هذه الآية في

قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطَ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨٥﴾ كَيْفَ يَهْدِي اللَّهُ قَوْمًا كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ وَشَهِدُوا أَنَّ الرَّسُولَ حَقٌّ وَجَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٦﴾ أَوَلَيْكَ جَزَاءُ مَا كَفَرْنَا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿٨٧﴾ خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بَعْدَ إِيمَانِهِمْ ثُمَّ أَزَادُوا كُفْرًا لَنْ نُقْبَلَ تَوْبَتَهُمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الضَّالُّونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفْرًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْ أَحَدِهِمْ مِثْلُ الْأَرْضِ ذَهَبًا وَلَوْ أُفْتُدَىٰ بِهِ ۚ أُولَٰئِكَ هُمُ الْعَذَابُ الَّذِي رَمَوْهُمُ مِنْ نَصْرِنَ ﴿٩١﴾

أهل الكتاب من اليهود والنصارى رأوا نعت النبي ﷺ في كتابهم، وأقروا بذلك، وشهدوا أنه حق، وكانوا يستفتحون به على المشركين، فلما بعث من غيرهم، حسدوا العرب على ذلك، وأنكروه، وكفروا به بعد إيمان سابق.

٨٧- أولئك الذين كفروا بعد إيمانهم جزاؤهم الطرد من رحمة الله، ولعنة الملائكة والناس جميعاً، وهذا عقاب المرتدين.

٨٨- وهم ماكثون في النار على الدوام، ولا يخفف عنهم العذاب، ولا هم يمهلون ويؤخرون لتوبة أو اعتذار، ثم استثنى التائبين في الآية التالية.

٨٩- إلا الذين تابوا من بعد الارتداد، وأمنوا، وأصلحوا العمل، وصدقوا التوبة، فالله كثير الغفران لمن تاب وأناب، رحيم بالتائبين.

٩٠- إن الذين كفروا بمحمد ﷺ بعد إيمانهم بصفاته، كما أبانت الآيات السابقة، ثم ازدادوا كفراً بمحاربهته وإيدائه والصد عن دينه والكيد للإسلام وأهله، لن تقبل توبتهم عن ذنب ما داموا كفراً، أو ماتوا كفاراً، وأولئك هم الضالون الحائدون عن طريق الإيمان والحق وسبيل النجاة.

٩١- إن الذين ماتوا كفاراً أصلياً أو بعد الردة، لن يقبل من أحدهم فدية ولو كانت ملء الأرض ذهباً، للنجاة من العذاب في النار، حتى ولو أمكنه أن يملك في ذلك اليوم ذهباً، أولئك لهم عذاب مؤلم يوم القيامة، وليس لهم أنصار ينجونهم من نار الله، جاء في الحديث الصحيح عند الشيخين: «يجاء بالكافر يوم القيامة، فيقال له: أرايت لو كان لك ملء الأرض ذهباً، أكنت تفتدي به؟ فيقول: نعم، فيقال له: قد كنت سئلت ما هو أسير من ذلك».



لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ
 اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ ﴿٩٢﴾ كُلُّ الظَّالِمِ كَانَ حِلًّا لِنَبِيِّ إِسْرَائِيلَ
 إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَائِيلُ عَلَى نَفْسِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُنَزَّلَ التَّوْرَةُ فَمَنْ
 قَاتَلُوا بِالتَّوْرَةِ فَاتَّوَلَوْهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ
 أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ
 الظَّالِمُونَ ﴿٩٤﴾ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا
 وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي
 بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِلْعَالَمِينَ ﴿٩٦﴾ فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَقَامُ
 إِبْرَاهِيمَ وَمَنْ دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حُجُّ الْبَيْتِ
 مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ
 الْعَالَمِينَ ﴿٩٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَوْ كَفَرْتُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ
 شَهِيدٌ عَلَى مَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٨﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لِمَ تَصَدُّونَ عَنِ
 سَبِيلِ اللَّهِ مِنْ أُمَّةٍ تَبِيعُوا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ وَكُنْتُمْ مِنْ قَبْلِهِ
 عُمَّالِينَ ﴿٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْطِبِعُوا قَرِيبًا مِنَ
 الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كُفْرِينَ ﴿١٠٠﴾

٩٢- لن تصيبوا ثواب البر وهو الجنة، حتى
 تصدقوا بما تحبون من خيار أموالكم، وأفضل النفقة:
 ما كان على الأهل والقرابة، وما تصدقوا بشيء،
 فإله عليم به، يجازيكم عليه.

٩٣- كل الطعومات كانت حلالاً لبني إسرائيل،
 إلا ما حرم إسرائيل (وهو يعقوب بن إسحاق) على
 نفسه، حين مرض، فنذر إن عافاه الله ألا يأكل لحوم
 الإبل، ولا يشرب البانها، من قبل نزول التوراة على
 موسى، قل أيها النبي: فاتوا بالتوراة فاقروا بها إن
 كنتم صادقين في ادعائكم تحريم لحوم الإبل والبانها في
 شرعكم.

٩٤- فمن كذب على الله بعد تلاوة التوراة والنظر
 فيها، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم؛ لأنهم يجادلون
 بالباطل.

٩٥- قل أيها النبي: صدق الله فيما أخبر به، فاتبعوا
 ما يدعوكم إليه خاتم النبيين من اتباع ملة إبراهيم
 الحنيفة، فإن إبراهيم كان حنيفاً، أي مائلاً عن الباطل
 إلى الحق، وعن عقيدة الشرك إلى التوحيد.

٩٦- إن أول بيت وضع لعبادة الله في الأرض لكذي
 بناه إبراهيم في بكة (مكة)، وهو الكعبة المشرفة، كثير
 الخير والنفع، لكونه قبلة، ومركز توحيد الله وحده.

٩٧- في البيت الحرام علامات واضحات على تعظيمه واحترامه، منها مقام إبراهيم (الحجر الذي كان يقوم عليه
 أثناء بناء البيت) والحجر الأسود، والصفاء والمروة، وزمزم والحطيم، ومن دخله خائفاً صار آمناً على نفسه، وإليه
 يحج الناس، ومن كفر بهذه الآيات البيئات، وأنكر فريضة الحج، فإله غني عن العالمين وعبادتهم، لا تنفعه طاعة،
 ولا تضره معصية، وإنما الناس بحاجة إليه. لما نزلت: ﴿ومن يبتغ غير الإسلام ديناً﴾ [آل عمران ٣ / ٨٥]
 قالت اليهود: فنحن مسلمون، فقال لهم النبي ص: ﴿فرض الله على المسلمين حج البيت، فقالوا: لم
 يكتب علينا، وأبوا أن يحجوا، فأنزل الله: ﴿ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾.

٩٨- قل أيها اليهود والنصارى: لم تحجدون بآيات الله الدالة على إثبات نبوة محمد ﷺ، والله مطلع عليكم
 حينما تصرون على الكفر بالقرآن وبدلائل الحق. نزلت حينما حرّض اليهود نفرأ من الأوس والخزرج في
 مجلس لهم على الاقتتال فيما بينهم.

٩٩- يا معشر اليهود والنصارى لم تمنعون الناس عن دين الله، وتلقون الشبهات في سبيل الإيمان بالله، وتكيدون
 للمسلمين بإلقاء الفتنة بينهم؟ تريدون لسبيل الله اعوجاجاً وميلاً عن الحق والاستقامة، لتنفروا الناس منها، والحال
 أنكم تشهدون أنها دين الله الحق، كما في كتبكم، وما الله بغافل عن أعمالكم الكيدية، وسيجازيكم عليها.

١٠٠- يا أيها المؤمنون إن تطيعوا فريقاً من اليهود بالإصغاء لأقوالهم، يردوكم كفاراً بعد إيمانكم.
 نزلت كسابقها حينما حاول اليهود إثارة الفتنة بين الأوس والخزرج.

وَكَيْفَ نَكْفُرُونَ وَأَنْتُمْ تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ آيَاتُ اللَّهِ وَفِيكُمْ رَسُولُهُ
 وَمَنْ يَعْتَصِرِ بِاللَّهِ فَقَدْ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٠١﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا
 وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٢﴾ وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا
 وَادْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ
 قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ
 مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ
 لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠٣﴾ وَلَنْ كُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَنْهَوْنَ إِلَى
 الْحَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَٰئِكَ
 هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ وَلَا تَكْفُرُوا كَمَا كَفَرُوا الَّذِينَ تَصْرَفُوا
 مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَ هُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿١٠٥﴾ يَوْمَ يَبْيَضُ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ فَأَمَّا
 الَّذِينَ اسْوَدَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكْفَرْتُمْ بَعْدَ عِلْمِكُمْ
 فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ كَافِرُونَ ﴿١٠٦﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
 أَبْيَضَتْ وُجُوهُهُمْ فَبِإِذْنِ اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١٠٧﴾

١٠١- وكيف يتأني الكفر أو الجحود منكم أيها
 المؤمنون، وتعودون إلى ضلال الجاهلية، وأنتم
 تتلى عليكم آيات الله الأمرة بوحدة الصف
 والتوادة والبعد عن الخلاف، وفيكم رسول الله
 يرشدكم إلى الحق، ويخلصكم من ضلال
 الجاهلية وتاراتها وأحقادها؟ فارجعوا إليه، وإلى
 القرآن بعده، ومن يعتصم ويتمسك بكتاب الله
 ودينه، فقد هدي إلى طريق قويم واضح هو
 الإسلام.

١٠٢- يا أيها المؤمنون خافوا الله أشد الخوف بأن
 يطاع فلا يعصى، ويشكر فلا يكفر بنعمته، ويذكر
 فلا ينسى، واحرصوا على الإسلام قبل مفاجأة
 الموت. ذكر المفسرون أنه لما نزلت هذه الآية،
 قالوا: يا رسول الله، من يقوى على هذا؟
 وشق عليهم، فأنزل الله عز وجل: ﴿ فاتقوا
 الله ما استطعتم ﴾ [التغابن ١٦/٦٤].

١٠٣- وتمسكوا جميعاً بالقرآن وبدين الإسلام،
 ولا تفرقوا كما كنتم في الجاهلية، يحارب بعضهم
 بعضاً، ولا تختلفوا في الدين، وتذكروا أيها
 الأوس والخزرج نعمة الله عليكم بالاتلاف
 والاجتماع، والجمع على كلمة الإسلام، بعد أن

كنتم أعداء في الجاهلية، يقتل بعضهم بعضاً، وينهب بعضهم بعضاً، فأصبحتم بنعمة الله إخواناً متحابين في
 الله، مجتمعين على عبادته وطاعته، وكنتم على طرف حفرة من حفر جهنم، يوشك أن تقعوا فيها إذا متم
 كفاراً، فأنقذكم الله من النار وهذه الحفرة بالإيمان أو الإسلام وبعثة محمد ﷺ، ويمثل ذلك البيان الناصع
 يوضح الله لكم آياته الدالة على الخير والاتحاد، والتحذير من مكائد اليهود، لتتهتدوا إلى طريق الرشاد على
 الدوام، ولا تعودوا إلى أوضاع الجاهلية من التفرق والوثنية والعداوة.

١٠٤- ولتكن يا جماعة المؤمنين طائفة أوفية منكم، يقومون بواجب الدعوة بالتعليم والإرشاد إلى عمل
 الخير: وهو كل ما فيه صلاح الدنيا والآخرة، ويأمرون بالمعروف: وهو ما استحسنة الشرع والعقل السليم،
 وينهون عن المنكر: وهو كل ما استقبحة الشرع والعقل الصحيح، وتلك الطائفة القائمة بتلك المهمة: هم
 المختصون بالفوز برضا الله ورجته.

١٠٥- ولا تكونوا يا مسلمون متفرقين عن الحق، كتفرق اليهود والنصارى، ولا تختلفوا كاختلافهم في
 دينهم، من بعد مجيء الآيات الواضحة المبينة للحق، والموجبة للاتفاق والبعد عن الاختلاف، وأولئك
 الذين تفرقوا واختلفوا، لهم عذاب شديد كبير يوم القيامة.

١٠٦- لهم عذاب عظيم يوم القيامة حين تكون وجوه المؤمنين مشرقة بالسورور، ووجوه الكافرين مسودة
 بالكآبة والحزن، فأما الذين اسودت وجوههم، فيقال لهم على سبيل التوبيخ: أكفرتم بالرسول محمد بعد
 إيمانكم به، وعلمكم ببعثته، ولديكم أوصافه والبشارة به؟ فذوقوا العذاب بسبب كفركم في الدنيا.

١٠٧- وأما الذين أشرقت وجوههم بالإيمان، ففي الجنة ودار الكرامة (أثر الرحمة) هم فيها ما كانوا أبدأ.

١٠٨- تلك آيات القرآن نقصها عليك أيها النبي متلبسة بالحق وهو العدل، مقررة ما هو حق، ولا يريد الله ظلماً لأحد من العالمين: الإنس والجن، بتعذيبهم من غير ذنب.

١٠٩- والله حق التصرف في ملكه في السموات والأرض كما يشاء، فكل شيء في قبضته، وإلى الله ترجع جميع الأمور، لمجازاة المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته.

١١٠- أوجدكم الله خير أمة، وكنتم في علم الله على هذه الخيرية، فالأمة الإسلامية خير الأمم على الإطلاق، وخيريتهم بسبب الأمر بالمعروف: وهو ما استحسنته الشرع وأمر به، والنهي عن المنكر: وهو ما استتكره الشرع من قول أو خلق أو عمل، وبسبب الإيمان بالله وحده لا شريك له، ولو آمن اليهود والنصارى برسالة النبي ﷺ لكان إيمانهم خيراً وأنفع لهم عند ربهم، ولكنهم لم يفعلوا، وكان بعضهم مؤمناً، وأكثرهم خارجون عن طريق الحق وطاعة الله ورسوله. نزلت في يهوديين قالوا لجماعة من المؤمنين: إن ديننا خير مما تدعوننا إليه، ونحن خير وأفضل منكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١١١- لن يلحقنكم الفاسقون يا جماعة

المؤمنين ضرراً من أي نوع إلا بأذى اللسان من هجاء وطمع في الدين وإلقاء شبهات، وإن قاتلوكم فرؤاً منهزمين، ثم لا يتصرون عليكم ما دتم مؤمنين حق الإيمان. نزلت حينما عمد رؤوس اليهود إلى مؤمنهم عبد الله بن سلام وأصحابه، فأذوهم لإسلامهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١١٢- أحاطت بهم الذلة من كل جانب، في أي مكان وجدوا، إلا إذا عصموا بمجاهدة ذمة أو أمان أو عقدوا عهداً مع غيرهم على عدم الإضرار، ولزمهم غضب من الله، وأحاطت بهم المهانة والاستكانة من جميع الجوانب، ذلك الغضب وغيره بسبب كفرهم بآيات الله في التوراة والقرآن، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً، وذلك العقاب الذي ينزل بهم بسبب عصيانهم أوامر الله واعتدائهم.

١١٣- ليس أهل الكتاب متساوين في تلك الصفات، بل فيهم جماعة مؤمنة، يقرؤون آيات القرآن في ساعات الليل أثناء الصلاة، وهم يصلون لله تعالى. عبر بالسجود عن مجموع الصلاة، لما فيه من الخضوع والتذلل. نزلت حينما آمن عبد الله بن سلام وصحابه، فقالت أحبار اليهود: ما آمن بمحمد واتبعه إلا شرارنا، ولو كانوا خيارنا ما تركوا دين آبائهم، وذهبوا إلى غيره، فأنزل الله في ذلك هذه الآية.

١١٤- يؤمنون بالله وبالأخرة ويأمرون بالمعروف: وهو اتباع أوامر الله، وينهون عن المنكر: وهو ما أنكروه الشرع من قول أو عمل، ويبادرون إلى فعل الخيرات، وأولئك مع الصالحين وهم الصحابة.

١١٥- وما تفعل هذه الأمة من خير، فلن يضع ثوابه، بل يجازون عليه، والله عليم بأهل التقوى، وتلك بشارة لهم بالقبول وحسن الثواب.

تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَسْلُوهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ وَمَا اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا
لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ وَبَلِّغْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿١٠٩﴾ كُتِبَ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ
بِالمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ ءَمِنَ أَهْلُ
الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ مِمَّنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الفَاسِقُونَ
﴿١١٠﴾ لَنْ يَضُرُّوكُمْ إِلَّا أَذًى وَإِنْ يُقَالُوا لَكُمْ الِاذْبَارَ
تُؤَلَّا يَضُرُّوكُمْ ﴿١١١﴾ ضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ الذَّلَّةُ أَيْنَ مَا نَشِئُوا
الِاجْتِهَادِ مِنَ اللَّهِ وَجَبَلَ مِنَ النَّاسِ وَبَاءَ وَبَعْضٌ مِنَ اللَّهِ
وَضَرَبَتْ عَلَيْهِمُ المَسْكَنَةَ ذَاكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ
بِآيَاتِ اللَّهِ وَيَقْسُونَ الِأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ ذَاكَ بِمَا عَصَوْا
وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿١١٢﴾ لَيْسُوا سَوَاءً مِمَّنْ أَهْلُ الْكِتَابِ أُمَّةٌ
قَائِمَةٌ يَتَّبِعُونَ آيَاتِ اللَّهِ أَنَاءَ اللَّيْلِ وَهُمْ يَسْجُدُونَ ﴿١١٣﴾ يُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ المُنْكَرِ
وَيُسْرِعُونَ فِي الخَيْرَاتِ وَأُولَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٤﴾
وَمَا يَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ لَنْ يُكْفَرُوا وَاللَّهُ عَالِمُ الْمُتَّقِينَ ﴿١١٥﴾



إِنَّا الَّذِينَ كَفَرُوا لَمْ نَكُنْ عَنْهُمْ آمِنًا لَهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ مِنَ اللَّهِ
 سَيِّئًا وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١٦﴾ مَثَلُ
 مَا يُبْفِقُونَ فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ
 أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتْهُ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ
 وَلَكِنْ أَنفُسُهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَا يَتَّخِذُوا بَطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا بِالْأُولَى كَجِلاؤُنَا وَمَا عَشِمْ
 قَد بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَوْهَاهِمُ وَمَا نَحْنِي صُدُّوهُمْ أَكْبَرُ
 قَد يَتَّبِعُونَ الْآيَاتِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَكَأَنْتُمْ
 أَوْلَاءُ مُجْرِمِيهِمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ وَتُؤْمِنُونَ بِالْكِتَابِ
 كُلِّهِ وَإِنَّا لَفُكْرٌ قَالُوا آمَنَّا وَإِنَّا خَلَقْنَا عَصَاؤُكُمْ عَلِيمٌ الْآمِلِ
 مِنَ الْعَيْطِ قُلْ مَوْتُوا بِعَيْطِكُمْ إِنْ أَلَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ بَدَاتِ
 الصَّدُورِ ﴿١١٩﴾ إِنْ تَمَسَّكُمْ حَسَنَةٌ سَوْفَ هُمْ وَإِنْ نُصِبَكُمْ
 سَيِّئَةٌ نَفِرُوا بِهَا وَإِنْ نَصَرُوا وَتَقَوَّا لِيَصْرُوكُمْ كَيْدُهُمْ
 سَيِّئًا إِنْ أَلَّ اللَّهُ بِمَا يَعْلَمُونَ مُحِيطٌ ﴿١٢٠﴾ وَإِذْ عَدَّتْ مِنْ
 أَهْلِكَ تَبَوَّأَ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدًا لِلْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٢١﴾

١١٦- إن الذين كفروا لن تنفعهم أموالهم ولا أولادهم، ولن تدفع عنهم شيئاً من عذاب الله الذي يريد إيقاعه بهم، وهم أصحاب النار ما تكون فيها على الدوام.

١١٧- حال ما ينفق هؤلاء الكفار من الصدقات والخيرات في محاربة الرسول، في الدنيا، في ذهابها وبطلان أثرها وزوالها كمثل أو حال ربيع باردة أصابت زرع قوم ظلموا أنفسهم بالكفر، فأحرقته أو أهلكته، وما ظلمهم الله بتبديد ثواب أعمالهم، ولكن ظلموا أنفسهم بإضاعة أموالهم في مقاومة دين الله الذي لا يغلب. وهذا تشبيه مركب.

١١٨- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا أمناء الأسرار من غير المسلمين، لا يقصرون في خديعتكم وإفساد أمركم والمكر بكم، والخبيل: فساد العقل والبدن والفعل، بل يجتهدون في إلحاق الأذى بكم، تمنوا إيقاعكم في المشقة والضرة، ظهرت شدة البغضاء والعداوة لكم في كلامهم وإنشاء أسراركم، لما تضمنه قلوبهم من الحسد والحقد، وما تخفي صدورهم من العداوة أشد مما يظهره، قد أوضحنا لكم دلائل شدة عداوتهم لكم، إن عقلتم وميزتم ما أوضحناه، واتعظتم به. قال ابن عباس: كان رجال من المسلمين يواصلون رجالاً من يهود، لما كان

بينهم من الجوار والخلف في الجاهلية، فأنزل الله فيهم، ينهاهم عن مبايحتهم، بسبب تخوف الفتنة عليهم: ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا بطانة من دُونِكُمْ ۖ ﴾

١١٩- أيها المؤمنون الذين اتخذتم غيركم بطانة لكم، أنتم تودونهم وتحبونهم، وهم لا يودونكم ولا يحبونكم، بل يبطنون لكم العداوة، والحال أنكم تؤمنون بجميع ما أنزل الله من الكتب على أنبيائه، ومنها كتابهم، وهم يكفرون بكتابكم، وإذا قابلوكم قالوا لكم نفاقاً وتقيّة: صدقنا برسالة نبيكم، وإذا فارقوكم واختلى بعضهم مع بعض، عضواً أطراف الأصابع، كناية عن شدة غيظهم من قوة المؤمنين واتلافهم، وتأسفاً وتحسراً، حيث لم يتمكنوا من الانتقام منكم، قل لهم يا نبي الله، موتوا بغيظكم أي ابقوا عليه إلى الموت، فإن الله مظهر دينه وامت نعمته على المؤمنين، والله عليم بما في القلوب والخواطر القائمة بها، ومنها ما يضررونه من الشر.

١٢٠- إن تصيبكم أيها المؤمنون نعمة كنصر أو غنيمة أو قوة مثلاً، تحزنهم وتضايقهم، وإن تصيبكم نقمة كهزيمة وقحط، يفرحوا بها، لشماتتهم وكرهيتهم، وإن تصبروا على أذاهم وعداوتهم، وتوقوا الله وتركوا موالاتهم، لا يضرهم تدبيرهم الماكر لكم؛ لأنكم في رعاية الله، إن الله مطلع على أعمالهم، قادر على إحباطها.

١٢١- واذكر يا نبي الله حين خرجت في الصباح، من المنزل الذي فيه أهلك، تنزل وترتب المؤمنين في أماكن أو مراكز مناسبة للقتال، في معركة أحد، والله سميع لكل شيء من الأقوال والأصوات، عليم بالأحوال والشؤون. وهذا انتقال لذكريات الحرب في بدر وأحد، ليتعظ اليهود، ويدركوا مصيرهم إذا حاربهم المسلمون. نزلت في قصة المؤمنين يوم أحد، هي وما بعدها بمقدار ستين آية.

١٢٢- اذكر حين همت طافتان كانتا جناحي العسكر يوم أحد وهما بنو سلمة من الخزرج وبنو حارثة من الأوس أن ترجعا عن القتال مع النبي ﷺ، والله حافظهما من التراجع، وإلى الله وحده، فليفوض المؤمنون أمورهم إليه .

١٢٣- ولقد نصركم الله أيها المؤمنون بيدر: موضع بين المدينة وجدة، وأنتم قليلون ضعفاء لقلّة عددكم وعتادكم أمام عدوكم، فآخشوا الله واثبتوا مع رسوله، لتشكروا الله على نعمة النصر. هذا تذكير بموقعة بدر للإعلام بأن النصر مع الصبر .

١٢٤- اذكر أيها النبي حين قلتَ للمؤمنين، وهم يتضرعون إلى الله لينصرهم على عدوهم: ألا يكفيكم لتطمئنون أن يدرككم الله بثلاثة آلاف من الملائكة منزلين من السماء لمساعدتكم .

١٢٥- نعم يكفيكم ذلك، إن صبرتم على لقاء العدو، واثقيتم الله والمعاصي، وأتاكم المشركون لقتالكم فجأة من ساعتهم، يدرككم ربكم بخمسة آلاف من الملائكة معلّمين أنفسهم أو خيلهم بعلامات، كما يُعلّم الشجعان أنفسهم بعصابة حمراء، ليعرف مكانهم .

١٢٦- وما جعل الله وعده بالإمداد إلا بشرى لكم

بالنصر، ولتسكن قلوبكم بذلك، فلا تضطرب، والنصر من عند الله وحده، لا من عند غيره، فهو القوي الغالب المنتقم من الأعداء، الحكيم في صنعه وتدييره .

١٢٧- وكان النصر بيدر ليهلك طائفة من الكفار، وهم الذين قتلوا بيدر، أو يحزنهم بالهزيمة، فيرجعوا غير ظافرين بمطلبهم .

١٢٨- ليس لك أيها النبي من الأمر شيء، بل أمرهم بيد الله، يصنع بهم ما يشاء من الإهلاك أو الهزيمة، أو التوبة عليهم بإسلامهم، أو تعذيبهم على كفرهم، فإنهم يستحقون العقاب إن لم يؤمنوا، وفيه تلميح بإيمان قريش . قال أنس: إن النبي ﷺ يوم أحد كسرت ربا عيته، وشج رأسه، حتى سال الدم على وجهه، فقال: كيف يفلح قوم فعلوا هذا بنبيهم، وهو يدعوهم إلى ربهم؟ فأنزل الله الآية .

١٢٩- ثم أبان الله سعة ملكه، فذكر أن له ملك جميع ما في السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، يغفر لمن يشاء المغفرة له بفضلته، ويعذب من يشاء عذابه بعدله، والله كثير الغفران، رحيم بالمستغفرين . وفيه إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه .

١٣٠- ثم ذكر في قصة أحد أمر الربا ليركوا ذلك، ويدلوا أموالهم في سبيل الله، فقال الله: لا تتعاملوا بالربا، ولا تأكلوا الربا أضعافاً مضاعفة كما كنتم في الجاهلية، وخافوا عقاب الله بأكل الربا، لتفوزوا في الدنيا والآخرة . كانوا يتعاضون إلى الأجل، فإذا حلّ الأجل، زادوا عليهم، وزادوا في الأجل، فنزلت الآية .

١٣١- وخافوا أيها المؤمنون نار جهنم التي هياها الله للكفار، أي إن أكل الربا شأن الكفار، لا شأن المؤمنين .

١٣٢- وأطيعوا الله ورسوله فيما جاء به الأمر والنهي الصريحان لكي تكونوا بالطاعة أهلاً لرحمة الله .

إِذْ هَمَّتْ طَافَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا وَاللَّهُ وَلِيُّهُمَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٢٢﴾ وَلَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ بِبَدْرِ وَأَنْتُمْ أَذِلَّةٌ فَأَقْبَرْنَا اللَّهُ أَعْمَاءَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمَدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُتَرَلِّينَ ﴿١٢٤﴾ بَلَى إِنْ نَصَرُوا وَتَقَوْنَا يَا أُولِي بَأْسٍ فَقَدِ هُنَا هَذَا يُمَدَّدُكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١٢٦﴾ لِيَقْطَعَ طَرَفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَوْ يَكْبِتَهُمْ فَيَنْقَلِبُوا خَاسِبِينَ ﴿١٢٧﴾ لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٢٨﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ يَعْرِضُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُّضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ وَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴿١٣١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تَرْحَمُونَ ﴿١٣٢﴾

﴿١٣٣﴾ وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ
وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٤﴾ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ
وَالضَّرَّاءِ وَالْكُلُوبِ الْعَظِيمِ وَالْعَافِينَ عَنِ النَّاسِ وَاللَّهُ
مُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣٥﴾ وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرِ اللَّهُ
إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يَتَّخِذُوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٦﴾ أُولَئِكَ
جَزَاءُ مَا كَفَرُوا مِنْ رَبِّهِمْ وَجَنَّتْ تَحْرِيءُهَا مِنَ النَّهْرِ
الْحُلَيْبِ فِيهَا وَيَعْرَجُ الْعَمِيلِينَ ﴿١٣٧﴾ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ
سُنُنٌ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
الْمُكذِّبِينَ ﴿١٣٨﴾ هَذَا آيَاتُ النَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ
لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٣٩﴾ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ
مُؤْمِنِينَ ﴿١٤٠﴾ إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ
وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا
وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴿١٤١﴾ وَلِيُخَصِّصَ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَيُخَيِّطَ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٢﴾

١٣٣- ويادروا إلى أسباب المغفرة من التوبة والطاعة، والقبول من ربكم، وإلى ما يوصل إلى جنة واسعة، عرضها السموات والأرض أوسع مخلوقات الله، وقد أعدت للمتقين: المتبعدين عن المعاصي، ومن أكبرها أكل الربا.

١٣٤- ومن صفات المتقين: الذين ينفقون أموالهم في مرضاة الله، والذين يكتمون غضبيهم بالصبر، مع قدرتهم على إظهاره، فلا يظلمون أحداً، والله يرضى عن المحسنين في أعمالهم.

١٣٥- والذين إذا ارتكبوا فعلة فاحشة: وهي كل معصية كبيرة كالزنا والقتل، أو ظلموا أنفسهم باقتراف الذنب الصغير، استحضروا عظمة الله، وتذكروا وعيد الله وعقابه بألستهم وعقولهم، فطلبوا المغفرة لها من الله، ولا يغفر الذنوب إلا الله، ولم يبقوا على ذنوبهم - والإصرار: العزم على معاودة الذنب والاستمرار عليه - وهم يعلمون خطورة الذنب، وأن الإصرار عليه من الكبائر. نزلت في نهبان التمار أبي مقبل، أتمه امرأة حسناء، باع منها تمراً، فضمها إلى نفسه وقبلها، ثم ندم على ذلك، فأتى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فنزلت هذه الآية.

١٣٦- أولئك المتقون بالأوصاف المذكورة ثوابهم:

مغفرة على ذنوبهم من ربهم، والظفر بجنت (ساتين)

تجري من تحت أشجارها ومسكنها الأنهار، وهم مقيمون فيها أبداً، ونعم ثواب المطيعين: وهو الجنة.

١٣٧- قد مضت من قبل وجودكم معشر البشر سنن (طرائق) الله في عقاب الظالمين بإهلاكهم لتكذيبهم أنبياءهم، ونصر المؤمنين، فإن شككتهم فسيروا في الأرض بقصد الاعتبار، فانظروا مصير المكذبين رسلكم، وأثار الأمم البائدة.

١٣٨- هذا المذكور في القرآن من التأمل في قصص الظلمة: بيان للمكذبين وغيرهم، وهداية من الضلالة، وإرشاد للخير، وعظة وعبرة للمتقين وحدهم؛ لانفعالهم بالموعظة دون غيرهم.

١٣٩- ولا تضعفوا عن قتال الكفار، ولا تحزنوا على ما نالكم يوم أحد من القتل والجراح، وأنتم الأعلون منزلة، المنصورون على أعدائكم، إن كنتم مؤمنين حق الإيمان بالله ورسوله. نزلت لمواساة النبي ﷺ والمؤمنين فيما أصابهم يوم أحد.

١٤٠- إن أصابكم أيها المؤمنون جراح وقتل يوم أحد، فقد أصاب الكفار مثله يوم بدر، أي إن نالوا منكم في أحد، فقد نلتهم منهم في بدر، وتلك أيام الدنيا من نصر وهزيمة نداولها بين الناس، فيكون النصر يوماً لهؤلاء، ويوماً لأولئك، وليظهر الله علمه في المؤمنين، ويختبر مدى إيمانهم وصبرهم على الشدائد، ويكرم بعضهم بالشهادة في سبيله، وسموا شهداء لشهادتهم على من قتلهم ظلماً وعدواناً، والله يعاقب الظالمين الكافرين. نزلت حينما قالت امرأة لرجلين بعد أحداث أحد: ما فعل رسول الله؟ قالوا: حي، قالت: فلا أبالي، يتخذ الله من عباده الشهداء، ونزل القرآن على ما قالت: ﴿ ويتخذ منكم شهداء ﴾.

١٤١- وليطهر ويخلص المؤمنين من ذنوبهم، ويهلك ويستأصل الكافرين بسبب عنادهم.

١٤٢- أظنتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين صبروا؟! ولما يتبين في حياتكم الذين جاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم، ويعلم الصابرين الذين يثبتون في القتال.

١٤٣- ولقد كنتم أيها المؤمنون تتمنون الشهادة في سبيل الله قبل موقعة أحد، من قبل مشاهدة القتال وأهواله، فقد رأيتم أسباب الموت قريباً منكم، وأنتم تتأملون الحال كيف هي، فلم انهزمت؟ عن ابن عباس: أن رجلاً من الصحابة كانوا يقولون: ليتنا نقتل كما قُتل أصحاب بدر، فاشهدهم الله أحداً، فلم يلبثوا إلا من شاء منهم، فأنزل الله الآية.

١٤٤- وما محمد إلا رسول كسائر الرسل من البشر، قد مضت من قبله الرسل وماتوا عند انتهاء آجالهم، أفإن مات أو قتل كثيره من الناس، رجعت كفاراً بعد إيمانكم؟! ومن يرتدد منكم عن دينه، فلن يضرك الله شيئاً، وإنما يضرك الله وسيجزي الله الشاكرين جزاء حسناً لثباتهم على دينهم، نزلت لما هزم المسلمون في أحد، وأشيع أن النبي ﷺ قُتل، فقال قاتل: قد

أصيب محمد فأعطوا بأيديكم، فإنما هم إخوانكم، ورأى عمر الناس يتراجعون، فنزلت هذه الآية: ﴿وما محمد إلا رسول﴾.

١٤٥- ليس لنفس أن تموت إلا بقضاء الله وقدره، وكتب الله الموت على كل نفس كتاباً ذا أجل محدود، ومن يرد بعمله ثواب الدنيا كالغنيمة ونحوها، نعطه من ثوابها المقدر له، ومن يرد بعمله ثواب الآخرة، وهو الجنة، نعطه من ثوابها ونضاعف حسنته، وسنجزي جزاء وافر الشاكرين، أي الثابتين على دينهم، المطيعين وأوامرهم كالقتال والصبر.

١٤٦- وكثير من الأنبياء قاتلوا أعداء الله، وقاتل معهم العلماء والعبيد الربانيون المنسوبون إلى الرب، لشدة تمسكهم بطاعة الله، فما جبنوا عن القتال لما أصابهم من القتل والجراح في سبيل إعلاء كلمة الله، أو لقتل قائدهم، وما ضحفوا عن ملاقاته عدوهم، وما خضعوا وذلوا له، بل ثبتوا وصبروا، والله يثيب الصابرين في الجهاد وغيره. والفرق بين الألفاظ الثلاثة: أن الوهن في القلب، والضعف في الجسد، والاستكانة: الاستسلام للعدو.

١٤٧- وما كان قول أولئك الربانيين الذين كانوا مع الأنبياء عند لقاء عدوهم، إلا أن قالوا: ربنا اغفر لنا ذنوبنا الصغائر، وخطايانا الكبائر التي تجاوزنا بها حدودك، ورسخ أقدامنا في القتال بتقوية قلوبنا على الجهاد حتى لا نفرأو نهزم، وانصربنا على الكافرين، نصرأ مؤزرأ ينتصر به دينك.

أَوْحَيْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٢﴾ وَلَقَدْ كُنْتُمْ تَمَنَّوْنَ الْمَوْتَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَلْقَوْهُ فَقَدْ رَأَيْتُمُوهُ وَأَنْتُمْ سَاطِرُونَ ﴿١٤٣﴾ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْقَلَبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ وَمَنْ يَنْقَلِبْ عَلَى عَقْبَيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ مَيِّتَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ كَذَبُوا بَعْدَ مَا بُعِثُوا بِرَدِّ ثَوَابِ الْآخِرَةِ مِنْهَا وَمَنْ يَرِدْ ثَوَابِ الْآخِرَةِ مِنْهَا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٥﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قُتِلَ مَعَهُ رِيثُونَ كَثِيرًا وَهُوَ مَلِكٌ أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ ﴿١٤٦﴾ وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَن قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿١٤٧﴾

فَأَسْأَلُهُمُ اللَّهُ ثَوَابَ الدُّنْيَا وَحَسَنَ ثَوَابِ الْآخِرَةِ وَاللَّهُ
 يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَطِيعُوا
 الَّذِينَ كَفَرُوا يُرِيدُوا أَنْ يَغْلِبُوكُمْ فَتَقْلِبُوا
 خَيْرِينَ ﴿١٤٩﴾ بَلِ اللَّهُ مَوْلَاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ
 ﴿١٥٠﴾ سَنَلِقُوا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ بِمَا أَشْرَكُوا
 بِاللَّهِ مَا لَمْ يَنْزَلْ بِهِ سُلْطَانًا وَمَأْوَهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ
 مَثْوًى لِلظَّالِمِينَ ﴿١٥١﴾ وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ
 اتَّخَذْتُمْ بِأَذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَزَّعْتُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَعَصَيْتُمْ مِمَّا أُرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ
 مِنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الدُّنْيَا وَمَنْكُمْ مَنْ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ثُمَّ
 صَرَّفَكُمْ عَنْهُمْ لِيَبْتَلِيَكُمْ وَلَقَدْ عَفَا عَنْكُمْ وَاللَّهُ
 ذُو فَضْلٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٥٢﴾ إِذْ تَضَعُوكَ
 وَلَا تَلُونَ عَلَى أَحَدٍ وَالرُّسُولُ يَدْعُوكَ فِي أَرْحَامِكُمْ
 فَأَتَيْتُمْ عَمَّا بَيْنَكُمْ أَنْ يَكُونَ لِأَنْفُسِكُمْ أَفَاءٌ لَكُمْ
 وَلَا مَا أَصَابَكُمْ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٥٣﴾

١٤٨ - فأعطاهم الله بسبب جهادهم وصبرهم ثواب الدنيا من النصر والغنيمة، والثواب الحسن في الآخرة، وهو الجنة ونعيمها، والله يرضى عن المحسنين الذين يخلصون في أعمالهم لله تعالى.

١٤٩ - يا أيها المؤمنون إن تطيعوا الذين كفروا في ترك الجهاد والاستسلام للعدو، يرجعوكم إلى الكفر بعد الإسلام، فتصبحوا مغبونين أذلاء في الدنيا، معذيين في الآخرة. قال علي رضي الله عنه: نزلت في قول المنافقين للمؤمنين عند الهزيمة في أحد: ارجعوا إلى إخوانكم، وادخلوا في دينهم.

١٥٠ - بل الله متولي أموركم وناصركم، لا حاجة لنصرة أحد، فلا ترجعوا إلى المشركين، ولا تتولوهم، واعتصموا بالله، وهو خير من نصر وأقدر من غلب.

١٥١ - سنملا قلوب الكفار خوفاً بالرغم من انتصارهم، بسبب إشراكهم بالله شركاً لا برهان ولا حجة عليه، ومسكنهم في الآخرة نار جهنم، وقبح مقام الكفار النار. نزلت لما عزم المشركون بقيادة أبي سفيان بعد أحد على العودة لاستئصال المسلمين، فلما عزموا على ذلك،

ألقى الله تعالى في قلوبهم الرعب، حتى رجعوا عما هموا به، وأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٥٢ - ولقد صدقكم الله وعده بالنصر يوم أحد، حين بدأت تقتلونهم وتستأصلونهم بتيسيره تعالى وإرادته، حتى إذا جبتكم وضعفتكم عن القتال واختلقتم أيها الرماة فوق الجبل في شأن البقاء في أماكنكم، أو اللحاق بالغانم، وعصيتهم أمر نبيكم بترك مركزكم على الجبل لطلب الغنيمة، من بعد رؤية ما تحبون من النصر على المشركين، وسبب التنازع: أن منكم من يريد الغنيمة، ومنكم من يريد الآخرة بالثبات في مراكزهم فاستشهدوا، ثم ردكم عنهم منهزمين بعد أن استوليت عليهم، ليمتحنكم ويختبر إيمانكم، أي يعاملكم معاملة من يختبركم، ليظهر للناس الصادق والمنافق، ولقد عفا الله عنكم حيث ندمتم على مخالفة أمر النبي ﷺ، والله صاحب الفضل على المؤمنين، بالعفو عنهم، وعدم استئصالهم. نزلت لما قال بعض المسلمين يوم أحد: من أين أصابنا هذا، وقد وعدنا الله النصر؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية. وذلك أنهم انتصروا في الابتداء، ثم انهزموا لما اشتغلوا بالغنيمة، وترك الرماة مراكزهم على الجبل طلباً للغنيمة.

١٥٣ - اذكروا إذ تذهبون بعيداً في الوادي فارين من القتال، هارين، ولا يلتفت بعضكم إلى بعض خوفاً وذعراً، والرسول من خلف ظهوركم يناديكم: هلموا إلي عباد الله، يناديكم لترجعوا، فلم تستجيبوا، فجازاكم الله غماً (كرباً شديداً) بهزيمتكم، بسبب غم النبي ﷺ بمخالفة أمره وعصيانكم، لأجل ألا تمزقوا بعد هذا الدرس البليغ على ما فاتكم من النصر والغنيمة، ولا على ما أصابكم من الجراح والقتل والانهازم، والله مطلع على أعمالكم، فيجازيكم جزاء وفاقاً.



١٥٤- ثم أنزل الله عليكم أيها المؤمنون من بعد الكرب والهم أمناء، فأزال الخوف، وألقى عليكم النعاس (الفتور قبل النوم) للتشيط والقوة والثبات، رحمة بكم، يغطي النعاس فشة منكم، هم الصادقون الذين خرجوا للقتال بقصد الثواب، والفشة الأخرى، وهم المنافقون لا هم لهم إلا نجاة أنفسهم، يظنون ظنا باطلاً أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ وأصحابه، كظن الجاهليين المشركين، حين يقول المنافقون للنبي ﷺ: هل لنا من النصر وقهر العدو شيء من الغنيمة؟ قل لهم أيها الرسول: إن النصر بيد الله، يكتُمون في أنفسهم من النفاق والكفر، ما لا يظهرون لك من أقوالهم ونواياهم، يقولون في أنفسهم: لو كان لنا من أمر الخروج لقتال المشركين شيء من الحرية والاختيار ما خرجنا ولا قتل بعضنا هنا، ولكننا أخرجنا كرهاً، قل لهم أيها النبي: لو كتبت في منازلكم لخرج المكتوب عليهم القتل من بينكم إلى مصارعهم التي يموتون فيها ويصرعون؛ لأن قضاء الله لا يرد، والأجل محتوم، وليختبر الله ما في صدوركم من الإخلاص ويكشفه أمام الناس، ويميز ما في قلوبكم من الإيمان أو النفاق، والله عليم بما في القلوب أي خفايا النفوس، لا يخفى عليه شيء.

نزلت حينما اشتد الخوف على المؤمنين يوم أحد، وناموا، وقال بعض المنافقين: لو كان لنا من الأمر شيء، ما قتلناها هنا، فأنزل الله في ذلك: ﴿ثم أنزل عليكم من بعد الغم...﴾ إلى آخر الآية.

١٥٥- إن الذين انهزموا يوم أحد يوم التقاء الجمع من المؤمنين والمشركين، إنما أوقعهم الشيطان في الزلة أو الخطيئة وهي الانهزام، بسبب ذنبهم، وهو مخالفة أمر النبي ﷺ، ولقد صفح الله عنهم لتوبتهم واعتذارهم، إن الله كثير المغفرة لمن تاب، حلیم لا يعجل بعقوبة أهل الذنب.

١٥٦- يا أيها المؤمنون لا تكونوا كالمنافقين بزعامة عبد الله بن أبي الذين كفروا بالله، وقالوا عن إخوانهم في الكفر والمودة، إذا سافروا للتجارة مثلاً، أو كانوا غزاة خارجين للقتال، فماتوا في السفر أو قتلوا في الحرب: لو كانوا باقين في ديارهم ولم يخرجوا: ما ماتوا ولا قتلوا، بسبب عدم إيمانهم بالقضاء والقدر، ليجعل الله ذلك القول في عاقبة أمرهم تحسراً أو ندامة في قلوبهم، والله هو المحيي والمميت في السفر أو في القتال أو في غيرهما، فلا تحسروا أيها المؤمنون على من استشهد منكم، واصبروا، فإن الموت بيد الله وقدره، والله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها.

١٥٧- ولئن قتلتم أيها المؤمنون في الجهاد أو متم في سفر أو غيره، فإن مغفرة الله لذنوبكم، ورحمته بكم بدخول الجنة خير مما تجمعون من حطام الدنيا ومنافعها ومتاعها.

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نَاعَسًا يَغْشَى طَآئِفَةً مِنْكُمْ
وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ
الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَلْ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ مِنْ شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الْأَمْرَ
كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ مَا لَا بَيِّنَاتٍ لَكَ
يَقُولُونَ لَوْ كَان لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هُنَا قُلْ لَوْ كُنْتُمْ فِي
بُيُوتِكُمْ لَبَرَأَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَى مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْلِغَ
اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَيُلْخِصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ
الصُّدُورِ ﴿١٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنْكُمْ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ إِنَّمَا
اسْتَرَفْتُمُ الشَّيْطَانَ بَعْضٌ مَا كَسَبُوا وَلَقَدْ عَفَا اللَّهُ عَنْهُمْ
إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا
كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي
الْأَرْضِ أَوْ كَانُوا غَزَى لَوْ كَانُوا عِدَدًا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا
لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُخَيِّرُ وَيُمِيتُ
وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِنْ قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ
اللَّهِ أَوْ مُتِمِّعْتُمْ مِنْ اللَّهِ وَرَحْمَةً حَيْرَانًا تَجْمَعُونَ ﴿١٥٨﴾

وَلَيْنَ مُتَمِّمٌ أَوْ قَاتِلٌ لِيَالِي اللَّهِ خُشِرُونَ ﴿١٥٨﴾ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَأَنْفَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَسَاءَ لِرِجَالٍ لَمَزُوا إِيَّاكَ عَرِيفٌ فَمَا تَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِلَّا اللَّهُ حَيْثُ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿١٥٩﴾ إِنْ يَصْرَحُوا بِاللَّهِ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَجِدْكُمْ مِنْ ذَا الَّذِي يَصْرَحُكُمْ مِنْ بَعْدِكُمْ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١٦٠﴾ وَمَا كَانَ لِنَبِيِّ أَنْ يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِكُمْ شَيْئًا وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ رَضِيَ اللَّهُ تَعَالَىٰ بِمِثْلِ مَا كُنْتُمْ تَفْعَلُونَ ﴿١٦١﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَأَعِزَّهُمْ عَلَىٰ قَوْمٍ لَدِيحَةٍ فَمَرْبُوعٌ لَهُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿١٦٢﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْرِجْ رِجَالَهُ أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَهُمْ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴿١٦٣﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْرِجْ رِجَالَهُ أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَهُمْ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴿١٦٤﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْرِجْ رِجَالَهُ أَنْ يَقْتُلُوا رَسُولَهُمْ وَيَكْفُرُوا بِاللَّهِ فَأُولَٰئِكَ يَفْعَلُ اللَّهُ بِكُمْ مَا يَشَاءُ ﴿١٦٥﴾

١٥٨ - ولئن متمم أو قاتلتم في أي مكان بالسفر أو بالجهاد وغيرهما، لتحشرون أي تجمعون إلى الله وحده في الآخرة للحساب والجزاء، أي أن موت بعض إخوانكم يعقبه لقاء في الآخرة.

١٥٩ - أيها الرسول إن اللين (السهولة وسعة الصدر) في معاملة قومك ما كان إلا بسبب رحمة وضمها الله في قلبك، لتأليف القلوب ونشر الدين، ولو كنت فظاً (سبى الخلق شرس الطباع) قاسي القلب لا شفقة عنك، لانصرف قومك من حولك وتفرقوا عنك، فتجاوز عما أتوه من زلات، واطلب المغفرة لهم من الله، واستشرهم في أمور الدين والدنيا، مما لم يرد به الشرع أو لم ينزل فيه وحى، فإذا صممت على تنفيذ أمر بعد المشاورة، فامض على ما عزمت عليه مفوضاً أمرك إلى الله واثقاً به، إن الله يرضى عن المتوكلين الذين يفوضون أمورهم إليه. والتوكل: الاعتماد على الله في كل أمر.

١٦٠ - إن أيديكم الله ينصره كما في بدر، فلا غالب لكم من أحد، فاتكلوا عليه وثقوا به، وإن يترك إعانتكم أو يخذلكم كما في أحد، فلن تجددوا أحداً ينصركم من بعد الله أبداً، وعلى الله فليتوكل المؤمنون أي ليفوضوا أمورهم إليه، فهو مصدر النصر بعد اتخاذ الأسباب والإعداد والكفاح اللازم.

١٦١ - ما صحح وما تأتى لنبي أن يغفل، أي يخون في الغنيمة بأخذ شيء منها قبل قسمتها، ومن يخن، يأت بما أخذه خيانة يوم القيامة للحساب عليه، ثم تجرد تعطى كل نفس جزاء عملها وأفياً تاماً، وهم لا يظلمون شيئاً من نقص ثواب أو زيادة عقاب. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في قطيفة حمراء، افتقدت يوم بدر، فقال بعض الناس: لعن رسول الله ﷺ أخذها، فأنزل الله: ﴿وما كان لنبي أن يغفل﴾.

١٦٢ - ليس من اتبع رضوان الله في أوامره ونواهيه وعمل بطاعة الله كالأنبياء، كغيرهم ممن غل أو عصى ورجع بسخط (غضب شديد) من الله، ومقره جهنم، ويش المرجع الذي ينتظره.

١٦٣ - الناس درجات عند الله في الآخرة بحسب أعمالهم، فدرجات أهل الرضوان ليست كدرجات أهل السخط الإلهي، والله مطلع على أعمالكم، فمجاز عليها من خير أو شر.

١٦٤ - لقد أنعم الله وتفضل على المؤمنين، حين أرسل فيهم رسلاً بشراً عربياً من جنسهم، يقرأ عليهم آيات القرآن بعد أن كانوا في جاهلية لا يعرفون الشرائع، ويظهرهم من دنس الكفر والآثام، ويعلمهم القرآن والسنة، وإن كانوا من قبل بعثة هذا الرسول لفي انحراف واضح، وجهل ظاهر.

١٦٥ - أو حين أصابكم مصيبة يوم أحد، يقتل سبعين منكم، وكنتم قد أصبتم يوم بدر مثلي ذلك، فقتلتم سبعين وأسرتم سبعين، قتلتم: من أين أصابنا هذا الانهزام والقتل؟ ونحن مسلمون، نقاتل في سبيل الله، وفينا رسول الله؟! قل لهم أيها النبي: أصابكم ذلك بسبب من أنفسكم: وهو ترك الطاعة أو مخالفة الأمر، إن الله قادر على كل شيء وحال. نزلت عقاباً للمسلمين بما صنعوا يوم أحد، من ترك الرماة الجبل، ومخالفة أمر القائد النبي ﷺ.

١٦٦- وما أصابكم من قتل وجراح وهزيمة يوم التقاء جمعي المؤمنين والمشركين في أحد، فبقضاء الله وقدره، وليظهر لكم شأن المؤمنين الصادقين الصابرين.

١٦٧- ومن فوائد ذلك المصاب: أن يميز الله المنافقين: عبد الله بن أبي وأصحابه، والذين قيل لهم: تعالوا قاتلوا من أجل إعلاء كلمة الله إن كنتم مؤمنين، أو دافعوا عن أنفسكم وأموالكم ودياركم إن لم تقاتلوا في سبيل الله ولم تؤمنوا بالله واليوم الآخر، قالوا: لو نعلم أنه سيكون قتال، لذهبنا معكم وقاتلنا معكم، ولكننا نعلم أنكم لا تقاتلون لعدم التكافؤ بين الفريقين، إنهم يوم قالوا هذا أقرب للكفر منهم للإيمان، والله أعلم بما يكتمونه من النفاق. قال الزهري وغيره: خرج رسول الله ﷺ إلى أحد في ألف رجل من أصحابه، فلما كانوا بالشوط بين أحد والمدينة، انخزل (مشى في ثناقل) عنهم عبد الله بن أبي بثلك الناس، وقال: أطاعهم وعصاني، والله ما ندري علام نقتل أنفسنا ها هنا؟ فرجع بمن تبعه.

١٦٨- المنافقون الذين لم يخرجوا مع المؤمنين لقتال المشركين في أحد قالوا لإخوانهم في النفاق: لو أطاعنا قتلى أحد في عدم الخروج من المدينة، ما قتلوا يومئذ، قل لهم أيها النبي: فادفعوا عن أنفسكم الموت إذا جاء الأجل، إن صدقتم في أن التخلف أو القعود ينجي من الموت، أي لا ينفع الحذر

من القدر، فإن القتل يموت بأجله.

١٦٩- ولا تظنن أيها النبي وكل سامع أن الذين يستشهدون في أحد وغير ذلك من المعارك هم أموات، بل هم أحياء حياة برزخية خاصة، لا يعلم حقيقتها إلا الله تعالى. جاء في الحديث الثابت: أن أرواح الشهداء في أجواف طير خضر، وأنهم في الجنة يرزقون ويأكلون، وأخبر النبي بذلك عن شهداء أحد، فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَلَا تَحْسِنَ الَّذِينَ قَتَلُوا﴾.

١٧٠- أولئك الشهداء هم عند ربهم مسرورون بما أعطاهم الله من الثواب والتكريم، ويستبشرون خيراً ويفرحون بما سيلاقه إخوانهم المجاهدون الذين تركوهم أحياء بعدهم، بأنهم لا تخوف عليهم من مكروه، ولا يحزنون لفوات محبوب في الدنيا.

١٧١- يسرون بما أنعم الله عليهم وكرمهم، ويفرحون لإخوانهم المؤمنين للمجاهدين بما وجدوه من الجنة والرضوان، وأن الله لا يضيع أجر مؤمن عمل صالحاً، بل يزيدهم من فضله.

١٧٢- الذين أطاعوا الله ورسوله في خروجهم للقتال، من بعد تعرضهم في أحد لإصابات الجراح، لهؤلاء الذين أحسنوا العمل بالطاعة والجهاد، ثواب جزيل. نزلت حينما نذب النبي ﷺ أصحابه للخروج معه لمطاردة جيش أبي سفيان بعد أحد، ونزلوا في بدر الصغرى وكان عددهم سبعين رجلاً، ساروا في طلب أبي سفيان، حتى بلغوا الصفراء، فأنزل الله: ﴿الَّذِينَ اسْتَجَابُوا﴾.

١٧٣- الذين قال لهم الناس (أعرابي أرسله أبو سفيان) في غزوة حمراء الأسد بعد غزوة أحد: إن الناس (مشركي مكة) قد حشدوا لكم الجموع الكثيرة لقتالكم، فاحذروهم، فزادهم ذلك القول تصديقاً بالله، وقالوا: كافينا الله أمرهم، ونعم المفروض إليه الأمر، وخرجوا حتى أتوا سوق بدر، وألقى الله الرعب في قلب أبي سفيان وأصحابه، فلم يأتوا، وكان النبي ﷺ قد قال: والذي نفسي بيده لا أخرجن ولو لم يخرج معي أحد.



فَاتَّخَذُوا بِنِعْمَةِ مَن لَّهٗ وَفَضْلِ لِّمَسْسَتِهِمْ سُوءًا وَاتَّبَعُوا
رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ ﴿١٧٤﴾ إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ
يُخَوِّفُ أَوْلِيَاءَهُ فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ
﴿١٧٥﴾ وَلَا يَحْزَنكَ الَّذِينَ يَسْتَرْعُونَ فِي الكُفْرِ إِنَّمَا أَن يَمْضُ رَأْيُ
اللَّهِ شَيْئًا يَرِيدُ اللَّهُ الْأَلْحِقَ لَكُمْ حِطًّا فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ
عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٦﴾ إِنْ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَكْثَرَ الْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا
اللَّهَ شَيْئًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٧٧﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
أَنَّمَا لَمْ يَلْمَسْهُمُ جُنْحٌ لَّنَفْسِهِمْ إِنَّمَا لَمْ يَلْمَسْهُمُ لَبِذًا وَإِنَّمَا وَلَّهُمُ
عَذَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٧٨﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ لِيَذَرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى مَا أَنْتُمْ
عَلَيْهِ حَتَّىٰ يَخْرُجَ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيْبِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ لِيُطْلِعَكُمُ
عَلَى الْغَيْبِ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَجْتَسِي بِمَنْ يُرْسِلُهُ مِن شَيْءٍ فَمَا تَمُونَا
بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَإِنْ تُؤْمِنُوا وَتَتَّقُوا فَلَكُمْ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٧٩﴾
وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَخْلُونِ بِنَاءِ أَنَّهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرٌ
مِّمَّنْ بَلْ هُمْ شَرٌّ مِّمَّنْ سَيُطَوِّفُونَ مَا يَجْلُونَ بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ
مِيرَاتُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٨٠﴾

١٧٤- فرجع هؤلاء الخارجون للقتال بعد معركة أحد خلف جيش قريش بسلامة وعافية من عدوهم، وأجر عظيم تفضل الله به عليهم، لم يتعرضوا لأذى أو مكروه من قتل أو جرح، لترك العدو المواجهة، وسلخوا في عملهم هذا طريق رضوان الله عنهم أي الرضا الكثير، والله صاحب الفضل العظيم على عباده الطائعين.

١٧٥- إن ذلك المشط لكم أيها المؤمنون القائل: «إن الناس» هو الشيطان الذي يخوف المؤمنين من أنصاره المشركين لترهبوهم أي يخوفكم من أوليائه، فلا تخافوا الكفار، فهم أولياء الشيطان الذي لا يشير إلا بالباطل، ولكن خافوني بفعل أمري ولا تخالفوه، واركعوا ما أنهاكم عنه، إن كتتم مؤمنين حقاً.

١٧٦- ولا يحزنك ولا يكدرك أيها النبي الذين ارتدوا عن الإسلام بعد أحد، وهم المنافقون، إنهم لن يضرروا الله شيئاً بكفرهم، فلا ينقص كفرهم من ملك الله شيئاً، يريد الله ألا يجعل لهم حظاً من الثواب أو الجنة أو الرحمة، ولهم عذاب كبير بسبب مسارعتهم في الكفر وردتهم.

١٧٧- إن الذين اختاروا الكفر أو استبدلوه بدل الإيمان، لن يضرروا الله شيئاً بردتهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

١٧٨- ولا يظنن الذين كفروا أنما لم يلمسوا شيئاً، بل إنما غمهم ونؤخر أجالهم، ليزدادوا عقاباً بكثرة المعاصي، ولهم عذاب ذو ذل وإهانة يوم القيامة.

١٧٩- ما كان الله ليترك المؤمنين على ما هم عليه من الاختلاط بالمنافقين، حتى يميز ويفصل بالحنة يوم أحد الخبيث (المنافق والعاصي) من الطيب (المؤمن الزكي) ولا يطلعكم الله أيها المؤمنون على الغيب، فتعرفوا المنافق بمجرد رؤيته، ولكن الله يختار أحد رسله، فيطلع على شيء من غيبه، فيميز بينكم، فأمنوا بالله ورسله بصدق وإخلاص، وإن تؤمنوا حقاً وتتقوا ما يغضب الله من النفاق وغيره، فلکم ثواب عظيم يوم القيامة. نزلت حينما قال المنافقون: يزعم محمد أنه يعلم من يؤمن به ومن يكفر، ونحن معه ولا يعرفنا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٨٠- ولا يظنن الذين يخلون بما أعطاهم الله من فضله، فيمتنعون عن الإنفاق في سبيل الله وعن دفع الزكاة، هو خيراً لهم في الآخرة، بل هو شر مستطير، سيكون ما بخلوا به من المال طوقاً من نار في أعناقهم يوم القيامة يعذبون به، والله جميع ما يتوارثه أهل السموات والأرض من مال وغيره، فما بالهم يخلون به؟ والله عالم خبير بما تعملون، ويجازيكم خيراً للمحسن، وشرراً للمسيء. نزلت في مانعي الزكاة في رأي جمهور المفسرين.

١٨١- لقد سمع الله قول اليهود القائلين: إن الله فقير ونحن أغنياء، سنكتب قولهم هذا في صحف أعمالهم لنجازيهم عليه، ونكتب أيضاً قتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً، والجمع بين الأمرين تنبيه على الشناعة، ونقول لهم وهم في النار: تذوقوا عذاب جهنم المحرق المؤلم. والحريق: النار الملتهبة، نزلت في يهودي اسمه فنحاص قال لأبي بكر: ما بنا إلى الله من حاجة، وإنه إلينا لفقير، ما نتضرع إليه كما يتضرع إلينا، وإنا نحن الأغنياء، ولو كان غنياً ما استقرض منا، كما يزعم صاحبكم. وذلك حين نزلت آية: ﴿من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً، فيضاعفه له أضعافاً كثيرة﴾ [البقرة ٢/٢٤٥].

١٨٢- ذلك العذاب الذي تُعَذِّبُونَهُ فِي الآخِرَةِ بسبب ما اقترنتم من الآثام، - معبراً باليد عن الإنسان - والله ليس بظالم أحداً، وإنما عذابه بما يرتكب الإنسان من الذنب، فهو جزاء على فعل.

١٨٣- إن اليهود هم الذين قالوا: إن الله أمرنا في التوراة ألا نصدق رسولاً حتى يأتينا بقريناً تحرقه النار: وهو ما يتقرب به إلى الله، فتنزل نار من السماء فتحرقه. قل لهم أيها الرسول: قد جاء أسلافكم

رسل من قبلي بالمعجزات والأدلة الدالة على صدق رسالتهم، مثل زكريا ويحيى وأشعياء عليهم السلام، وجاؤوكم بما طلبتم من القرابين، فلم تقتلتموهم، إن كنتم صادقين ادعائكم؟!

١٨٤- فإن كذبوك يا محمد، فلك أمثال، لقد كُذِّبَ رسل سابقون، جاؤوا بمثل ما جئت به من الأدلة والمعجزات والكتب السماوية (الزُّبُر) كصحف إبراهيم، والكتاب المنير كالتوراة والإنجيل. والزبور: الكتاب المشتمل على المواعظ، وهو كتاب داود عليه السلام. والمنير: الموضح لطريق الحق.

١٨٥- وهذه آية فيها الوعد والوعيد للمصدق والكذب، ومضمونها أن كل نفس ستموت، وإنما تعطون أجوركم كاملة يوم القيامة على الأعمال الحيرة والشريرة، فمن أبعده عن النار وأدخل الجنة، فقد نجى من الخوف وفاز بما أراد، وما الحياة الدنيا إلا اغترار بالأماني. والمتاع: ما يتمتع به الإنسان، ويتفجع به، ثم يزول ويفنى، والغرور: الخديعة، أي أنها تخدع المشغول بها، فلا يتنبه للمخاطر.

١٨٦- لتختبرن أيها المؤمنون بالمصائب في الأموال والأنفس، بأن تعاملوا معاملة المختبر، لتظهر حالتكم على حقيقتها، والاختبار في الأموال بالزكاة والنفقات والتكاليف المتعلقة بالأموال، وفي الأنفس بالموت والمرض وفقد الولد والأحبة والقتل في سبيل الله، ولتسمعن أذى كثيراً كالسب والشتم والطعن في العرض والدين، من اليهود والنصارى ومن سائر المشركين غير الكتابيين، وإن تصبروا على الأذى، وتيقنوا الله بفعل ما أمر وترك ما نهى عنه، فالصبر والتقوى من عزائم الأمور، أي مما يجب عليكم أن تعزموا عليه. نزلت في فنحاص اليهودي القائل: ﴿إن الله فقير ونحن أغنياء﴾ [آل عمران ٣/١٨١] وفي كعب بن الأشرف الذي كان يهجو النبي

ﷺ بالشعر، ويحرض عليه كفار قريش في شعره.

لَقَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُوا وَقَتْلَهُمُ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلُكَ دُورًا عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿١٨١﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٨٢﴾ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ عٰهَدَ إِلَيْنَا الْبَيْتَ الْأَثَمَ مِن لِّرَسُولٍ حَتَّىٰ يَأْتِنَا بِقُرْبَانٍ تَأْكُلُهُ النَّارُ قُلْ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّن قَبْلِ يَأْتِيَنَّكَ قَلْبِي بِالْبَيْتِ وَالَّذِي قُلْتُمْ فَلِمَ قَتَلْتُمُوهُمَ إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٨٣﴾ فَإِن كَذَّبْتُمْ فَسَقَدْتُمْ مِّن قَبْلِ جَاءِ وَأَلْبَيْتِكُمْ وَالزُّبُرِ وَالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿١٨٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِعَةٌ لِّلْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُونَ لِأَجْرِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَن زُجِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ ﴿١٨٥﴾ لَتَسْلُوْنَ فِي أُمُورِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ وَلَتَسْمَعُنَّ مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِمَّن قَبْلَكُم مِّنَ الَّذِينَ أُسْرِكُوا أَدَىٰ كِبِيرًا وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَلِكَ مِّنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿١٨٦﴾



وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكُونُ فِتْنَةً وَأَسْرَأَ بِهِ مِمَّا كَلِمَاتُ مَا يَنْشُرُونَ ﴿١٨٧﴾ لَاتُحْسِبَنَّ الَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَا آتَوْا وَيَفْرَحُونَ أَنَّ يَبْعُدُوا عَنَّا أَن يُبْعَدُوا فَلَاحْسِبَتَهُمْ بِمَعَارَةِ مَنَ الْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٨٨﴾ وَلِلَّهِ مَلَكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَخْلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿١٩٠﴾ الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قَلِيلًا وَقَعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا تُشِجُّنَا فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَن ذَخَلَ النَّارَ فَمَا دُخِرْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَّصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُبَادِي لِلْإِيمَانِ أَن آءِمْسُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَقَّعْ الْآجِرَ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآءِتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَىٰ رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١٩٤﴾

١٨٧- واذكر أيها النبي حين أخذ الله الميثاق (العهد المؤكد) على اليهود والنصارى من طريق أنبيائهم أن يُظهروا جميع ما في كتابهم من أحكام وأخبار للناس، ولا يخفون شيئاً مما ورد فيه، فطرحوا العهد وراء ظهورهم، واستبدلوا به شيئاً حقيراً يسيراً من متاع الدنيا، فبئس ما اشتروا وبدلوا، وبئس شراؤهم هذا.

١٨٨- لا تظنن أيها النبي الذين يفرحون بما فعلوا من تضليل الناس ومحاولة صرفهم عن الإسلام، ويحبون أن يحمدهم الناس بما لم يفعلوا من التمسك بالحق، وهم على ضلال، فلا تظننهم بنجاة من العذاب في جهنم، ولهم عذاب مؤلم فيها. أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن عباس، مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس، فقل: لئن كان كل امرئ منا فرح بما أتى وأحب أن يحمده بما لم يفعل معذباً، لنعذبن أجمعون؟ فقال ابن عباس: ما لكم وهذه الآية؟ إنما أنزلت في أهل الكتاب، سألهم النبي ﷺ عن شيء، فكتموه إياه، وأخبروه بغيره، فخرجوا قد أروه أنهم قد أخبروه بما سألهم عنه، واستحمدوا بذلك إليه، وفرحوا بما أتوا من كتمان ما سألهم عنه.

١٨٩- والله ملك جميع السموات والأرض، يتصرف فيه حسبما يشاء، والله قادر على كل شيء.

١٩٠- إن في إيجاد وإبداع السموات والأرض، وتعاقب الليل والنهار بدقة، وتفاوتهما طولاً وقصرًا، وحرًا وبردًا وغير ذلك، للدلالات واضحات على وجود الله وقدرته ووحدانيته، لأصحاب العقول السليمة. نزلت هذه الآية لما طلبت قريش من النبي ﷺ قائلين: ادع لنا ربك يجعل لنا الصفا ذهباً، فدعا ربه، فنزلت هذه الآية: ﴿إِن فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ﴾ فليتفكروا فيها.

١٩١- الذين يتذكرون الله دائماً في جميع أحوالهم، قاتمين في صلاتهم، وقاعدين في مجالسهم، ومضطجعين على جنوبهم، ويتفكرون في بديع صنع السموات والأرض وإتقانها، يقولون: ربنا ما خلقت هذا عبثاً ولهاً، بل خلقته دليلاً على قدرتك وحكمتك، ننزهك عما لا يليق بك وعن العبث، فاجعل لنا من طاعتك وقاية لنا من النار.

١٩٢- ربنا إنك من تدخله النار من عبادك، فقد أهنته وأذلته، وليس للظالمين أنفسهم أنصار ينصرونهم من عذابك.

١٩٣- ربنا إننا سمعنا منادياً وهو النبي والقرآن ينادي أن تؤمن بك، فأنا بك إلهاً واحداً لا شريك لك، ربنا استر معاصيتنا، وأمتنا مع الأخيار المحسنين أعمالهم، وهم الأنبياء الصالحون. والذنوب: ما ينشأ من التقصير في العبادة، والسيئات: ما يتعلق بحقوق العباد.

١٩٤- ربنا وأعطنا ما وعدتنا به على السنة رسلك من الرحمة والفضل، ولا تفضحنا بذنوبنا يوم القيامة، فنذل ونهان، إنك لا تخلف الوعد الذي وعدت به عبادك، من المغفرة للمستحقين، واللفظ بالمسيئين.

١٩٥- فأجاب الله دعاءهم أني لا أترك إثابة العاملين ذكورا وإنائاً، الجنسان متساويان لا تفاضل بينهما في ثواب الطاعة وعقاب المعصية، ولا يتميزان إلا بالعمل الصالح، فالذين هاجروا من بلادهم لنصرة دينهم، وأخرجهم الكفار المشركون من أوطانهم، وأوذوا في سبيل الله، بسبب إيمانهم به، ليردوهم عن دينهم، وقتلوا الأعداء لإعلاء كلمة الله، وقتلوا أو استشهدوا في سبيله، لأمحون عنهم ذنوبهم وسيئاتهم بالمغفرة، ولأدخلهم الجنان التي تجري الأنهار من تحت أشجارها ومسكنها، جزاء لهم من ربهم على حسن أعمالهم، والله عنده حسن الجزاء: وهو ما يرجع إلى العامل من عمله. قالت أم سلمة: يا رسول الله، لا أسمع الله ذكر النساء في الهجرة بشيء، فأنزل الله: ﴿فاستجاب لهم﴾.

١٩٦، ١٩٧- لا يخدعك أيها النبي تنقل الكفار بالأسفار للتجارة والكسب، وما لديهم من الثروات، فهو شيء قليل يتمتع به صاحبه تمتعا يسيراً في الدنيا، ثم مصيرهم إلى جهنم، وبئس المكان الذي يأوون إليه. نزلت في مشركي

مكة، فإنهم كانوا في رخاء ولين من العيش، وكانوا يتجرون ويتنعمون، فقال بعض المؤمنين: إن أعداء الله فيما نرى من الخير، وقد هلكنا من الجوع والجهد، فنزلت الآية.

١٩٨- هذا حال الكفار، وأما حال المؤمنين المتقين بالالتزام بالأوامر واجتناب النواهي، فلهم جنات النعيم بالوصف السابق، وهم ماكثون فيها أبداً، تكريماً وإنزالاً طيباً من عند الله، وما عند الله من الثواب والفضل والرضوان خير للمحسنين البررة الطامعين، مما يوجد لدى الكفار في الدنيا من أرباح ومكاسب وثروات.

١٩٩- وإن بعض أهل الكتاب يؤمنون بالله إلهاً واحداً إيماناً صادقاً، وبالقرآن، وبالتوراة والإنجيل، ويخضعون لله بالطاعة، ولا يستبدلون بآيات الله شيئاً من متاع الدنيا، طمعاً في مال أو منصب أو جاه، وإنما يحافظون على الوحي كما هو، دون أن يكتموا شيئاً منه كالبشارة بمحمد ﷺ، ودون تحريف ولا تبديل، فهؤلاء لهم ثوابهم عند ربهم مرتين على عملهم وطاعتهم، إن الله سريع الحساب، يحاسب الناس جميعاً في وقت قصير. نزلت بمناسبة أمر النبي ﷺ بالصلاة على النجاشي حين مات.

٢٠٠- يا أيها المؤمنون اصبروا على الطاعات وعن الشهوات، وصابروا، أي غالبوا الأعداء في الصبر على شدائد الحرب، وكونوا أشد صبراً منهم، وأقيموا في ثغور البلاد التي يتسرب منها الأعداء، رابطين خيلكم فيها، مستعدين للجهاد، والتزموا تقوى الله في السر والعلن، لتفوزوا برضوان الله وجنته. ومن الرباط: انتظار الصلاة في المساجد، قال أبو سلمة بن عبد الرحمن: لم يكن في زمان النبي ﷺ ثغر يرباط فيه، ولكن الآية نزلت في انتظار الصلاة خلف الصلاة.

فَأَسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ
أَوْ أُنْتِجَ مِنْكُمْ مِنْ بَعْضِ قَالِدِينَ هَاجِرُوا وَأُخْرَجُوا مِنْ
دِيَارِهِمْ وَأَوْذُوا فِي سَبِيلِي وَقُتِلُوا وَقُتِلُوا لَأَكْفُرَنَّ عَنْهُمْ
سَيِّئَاتِهِمْ وَلَا أَدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا
مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ لَأَعْرِضَنَّاكَ تَقَلُّبُ
الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١٩٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَا لَهُمْ جَهَنَّمَ وَيُسَّ
الْمِهَادِ ﴿١٩٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ أَتَقَوَّأْتَهُمْ لَمْ تُجِنَّاكَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَلِدِينَ فِيهَا تِلْكَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ
لِلْآبْرَارِ ﴿١٩٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ
إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْكُرُونَ
بَيَّاتٍ اللَّهُ ثَمَّناً قَلِيلاً أُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ
إِنِ اتَّبَعُوا سَرِيعَ الْحِسَابِ ﴿١٩٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾

سُورَةُ النَّسَاءِ ﴿١١﴾

سورة النساء

فضلها: روى الحاكم وغيره عن ابن مسعود قال: إن في سورة النساء لحسن آيات، ما يسرني أن لي بها الدنيا وما فيها: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [٤٠] و﴿إِنَّ تَحْتَبِتُوا كِبَائِرَ مَا تَهْتُونَ عَنْهُ﴾ [٣١] و﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ﴾ [٤٨، ٤٩] و﴿لَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاؤُوكَ﴾ [٦٤].

١- يا أيها الناس اتقوا الله بالتزام أوامره واجتناب نواهيه، الذي أوجدكم من نفس واحدة، خلقها أولاً من تراب هي آدم عليه السلام، فكنتم نوعاً واحداً، وخلق حواء زوجها من نوعها، ليسجما وتجمعهما المودة والرحمة، ونشر منهما في الأرض رجالاً كثيرين ونساء كثيرات، وخافوا الله الذي يسأل بعضكم بعضاً به قاتلاً: سألتك بالله أن تفعل كذا، واتقوا الله في الأرحام، فلا تقطعوا، فإن الله أمر بوصلها، والأرحام: جميع القرابات من الرجال والنساء، من جهة الأب أو الأم، إن الله رقيب على أعمالكم.

٢- وأعطوا أيها الأولياء والأوصياء اليتامى أموالهم إذا بلغوا سن الرشد، واليتيم: من فقد أباه دون البلوغ، ولا تأخذوا الطيب من أموال اليتامى، وتضعوا مكانه الخبيث من الأموال، ولا تأخذوا أموالهم لتضموها إلى أموالكم، إن ذلك الفعل إثم عظيم. نزلت في رجل من غطفان كان

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْفُورًا رَكْمًا الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَأَقْرَبَ اللَّهُ الَّذِي سَاءَ لَوْ أَنَّ يَدِي وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾ وَأَتُوا الْيَتَامَى أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَلْدِنُوهُمْ أُنْحِتُوا بِأُظْفَارِكُمْ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَى أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُورًا كَبِيرًا ﴿٢﴾ وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا فِي الْيَتَامَى فَاجْنَبُوا أُمَّتَابَ لَكُمْ مِنَ النِّسَاءِ مِثْنَى وَثَلَاثَ وَرَبْعَ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ذَلِكَ آذَانُكُمْ فَلْيَسَّمُوا فَعَلْتُمْ وَإَتُوا النِّسَاءَ صِدْقَهُنَّ كَيْفَ تَخَذُوا فَإِنْ طَبَنَ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ فَكُفُّوا عَنْهُ حَتَّى طَبَّيْتُمْ ﴿٣﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا السَّفَهَاءَ بِأَمْوَالِكُمْ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ﴿٤﴾ وَأَتُوا الْيَتَامَى حَتَّى إِذَا بَلَغُوا النِّكَاحَ فَإِنْ آنَسْتُمْ مِنْهُمْ رُشْدًا فَادْفَعُوا إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَأْكُلُوهَا إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا وَمَنْ كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْعَفْ وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ فَأَشْهَدُوا عَلَيْهِمْ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٥﴾

عنده مال كثير لابن أخ له يتيم، فلما بلغ اليتيم، طلب المال، فمنعه عمه، فترافعا إلى النبي ﷺ فنزلت هذه الآية.

٣- وإن خفتهم ألا تعدلوا في شؤون اليتامى، كالتزوج بهن بمهر قليل، فخافوا أيضاً ظمناً من نوع آخر، هو عدم العدل بين النساء اللاتي تزوجن بهن، ومن أجل دفع الظلم حدد الله أقصى عدد للزوجات، فانكحوا ما حل لكم نكاحهن بفئات مختلفة: الزواج بالثنتين اثنتين، أو ثلاثاً ثلاثاً، أو أربعاً أربعاً فقط، فإن خفتهم ألا تعدلوا بينهن، فتزوجوا واحدة فقط، أو تسروا بالإماء مهما كثر عددهن، من غير شرط القسمة (العدل في البيت) في المملوكات، والاقصا على واحدة من الحرائر أقرب إلى عدم الجور بينهن. نزلت من أجل النهي عن الزواج باليتيمة من غير أن يقسط في صداقها، فلا يعطيها مثملاً يعطى أترابها من الصداق، وأمروا بالاقصا على أربع زوجات فقط.

٤- وأعطوا النساء مهورهن عطية عن طيب نفس، من غير أن تأخذوا أنتم وأولياؤهن شيئاً من المهور، فإن طابت نفوسهن بالتنازل عن شيء من المهر، فخذوه حلالاً طيباً. نزلت في الرجل كان إذا زوج ابنته، أخذ صداقها دونها، فنهاهم الله عن ذلك.

٥- ولا تعطوا من لا يحسن التصرف في ماله أموالهم، لصغر أو تبذير أو ضعف في الإدراك العقلي، تلك الأموال التي تكون قوام معاشهم، وقدموها لهم جزءاً من أموالهم رزقاً للإتفاق على أنفسهم، وقولوا لهم كلاماً طيباً، وعدوهم وعداً حسناً بدفعها إليهم عند الرشد.

٦- واختبروا اليتامى في حسن التصرف بأموالهم قبل البلوغ، فإذا بلغوا سن الرشد، ووجدتم فيهم رشداً وهو صلاح المال وحسن التصرف، فسلموا إليهم أموالهم من غير تأخير، ولا تعجلوا بأكلها قبل أن يكبروا، ومن كان من الأوصياء غنياً، فلا يأخذ شيئاً من مال اليتيم، ومن كان محتاجاً فليأكل بالقدر المعروف، فإذا دفعتم إليهم أموالهم بعد الرشد، فأشهدوا عليهم أنهم قد تسلموها منكم، لئلا ينكروا قبضها، وكفى بالله محاسباً ومجازياً لأعمالكم. نزلت في عم قابت بن رفاعة الذي سأل النبي عما يحل له من مال يتيم هو ابن أخيه، ومتى يدفع إليه ماله؟

لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ
مِّمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانُ وَالْأَقْرَبُونَ مِمَّا قَلَّ مِنْهُ أَوْ كَثُرَ نَصِيبًا
مَّمَّا رُزِيَ ۗ وَإِذَا حَضَرَ الْقِسْمَةَ أُولُو الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينُ فَأَزْذِقُوهُمْ مِنْهُ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَعْرُوفًا ۝٨
وَلْيَحْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعْفًا خَافُوا عَلَيْهِمْ
فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ۝٩ إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ
أَمْوَالَ آلِهِمْ ظُلْمًا إِنَّهَا يَا كَلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَارًا وَسَيَصْلُونَ
سَعِيرًا ۝١٠ يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمُ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ
الْأُنثَىٰ إِنَّ كُنْزَ نِسَاءٍ فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلَاثًا مِمَّا تَرَكَ
وَأَنَّ كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ
مِنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِنْ لَمْ يَكُنْ
لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَتْهُ أَبَوَاهُ فَلِلْأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِنْ كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ
فَلِلْأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ زَيْنٍ
عَاقِلًا وَذَكَرَ وَأَنْتَ وَذَكَرَ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمُ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعًا
فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝١١

٧- للذكور الأقرباء صغاراً وكباراً حظ أو حصة مما ترك المتوفون، وللنساء صغيرات أو كبيرات حصة مما ترك المتوفون، أي كان جنسه من الميراث، وبأي مقدار منه قليلاً أو كثيراً، جعله الله حقاً ثابتاً، ونصيباً محدداً. كان أهل الجاهلية لا يورثون البنات ولا الصغار الذكور حتى يدركوا، ويوزعون التركة على الرجال فقط، فنزلت هذه الآية.

٨- وإذا حضر قسمة الميراث الأقارب غير الوارثين، واليتامى والمساكين، فأعطوهم نديباً أيها الكبار مما ترك الميت قبل القسمة، فإن كان هناك صغار فأعطوهم من نصيبكم فقط، وقولوا لهم قولاً جميلاً ليس فيه من ولا أذى، كالدعاء بالرزق، أما القرابة، فيعتذر لهم بسبب الصغار مثلاً، وأما المحتاجون فتراعى عزة نفوسهم.

٩- وليخف الأوصياء من ظلم اليتامى، كما يخافون على صغارهم من الظلم من بعد موتهم، ويعاملوهم بالشفقة والرحمة التي يحبونها لأبنائهم، وليتقوا الله فيهم بالحفاظ على أموالهم وتمييزها، وليقولوا لهم قولاً موافقاً للحق والعدل ولين الخطاب، مثل يا ابني أو يا ولدي، حتى

يواسوهم.

١٠- إن الذين يتفنون بمال اليتامى ظالمين لهم من غير حق، إنما يأخذون شيئاً موداه إلى النار، وسيحرقون بالنار. نزلت في رجل من غطفان يقال له: مرثد بن زيد، ولي مال ابن أخيه، وهو يتيم صغير، فأكله، فأنزل الله فيه هذه الآية.

١١- يأمركم الله ويفرض عليكم في شأن ميراث أولادكم أن يقسم للذكر ضعف الأنثى، إذا توافر النوعان، فإن كان الأولاد إناثاً فقط فوق اثنتين، فلهن ثلثا التركة كالأختين المذكور حكمهما في الآية الأخيرة من السورة، وإن كانت بنتاً واحدة فقط، فلها نصف التركة ولكل واحد من أبوي الميت (الأب أو الأم) السدس إن كان للميت ولد: ذكر أو أنثى، فإن لم يكن للميت ولد، وليس هناك وارث آخر، فللأم الثلث، والباقي للأب المنفرد بالتركة، فإن كان للميت إخوة ذكور أو إناث، فللأم السدس، والباقي للأب تصيباً إن لم يوجد للميت ولد، لأن الأب يحجب الإخوة، وتوزيع التركة لا يكون إلا بعد سداد الديون الموجودة، وتنفيذ الوصايا التي أوصى بها الميت، ولا يدري أحد أي الأصول أو الفروع أنفع للميت في الدنيا والآخرة بالدعاء والصدقة، وهذه الأحكام مفروضة من الله، والله عليم بخلقه، حكيم فيما وزع وقدر. قال جابر: عادني رسول الله ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئاً، فدعا بماء فتوضأ، ثم رش علي، فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ...﴾ وهذه الآية في ميراث الوالدين والأولاد.

﴿ وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُن لهنَّ وُلْدٌ فَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ زَيْنٍ وَلهنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُن لهنَّ وُلْدٌ وَإِنْ كَانَ لهنَّ وَلَدٌ فَإِنْ كَانَ لهنَّ الثَّمَنُ مِنَ الثَّمَنِ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصُونَ بِهَا أَوْ زَيْنٍ وَإِنْ كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَّةً أَوْ امْرَأَةٌ وَلَهُنَّ أَوْلَادٌ فَأُولَئِكَ لَهُ مِنَ الثَّمَنِ نِصْفٌ وَإِنْ لَمْ يَكُن لهنَّ أَوْلَادٌ فَالْثَّمَنُ لهنَّ وَإِنْ كَانَ لهنَّ ثَمَنٌ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَنَّ بِهَا أَوْ زَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ خَلِيمٌ ﴿١١٣﴾ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٤﴾ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَعْتَدِ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ ﴿١١٥﴾

١٢- وهذه الآية في ميراث الزوجين والإخوة والكلالة. لكم أيها الأزواج نصف ميراث ما تركت الزوجات، إذا لم يكن لهن ولد ذكر أو أنثى، ولكم الربع مما تركن إن كان لهن ولد منكم أو من زوج آخر، بعد أداء الديون وتنفيذ الوصايا. وللزوجات الربع من الميراث إن لم يكن للأزواج ولد، فإن كان لهم ولد فللزوجات الثمن، واحدة أو أكثر، من بعد الدين والوصية، كما تقدم. وإن كان المتوفى رجلاً أو امرأة كلالة: وهو من لا ولد له ولا ولد، وكان له أخ أو أخت من أمه فقط، فلكل واحد منهما السدس من التركة ذكراً كان أو أنثى، فإن كان الإخوة أكثر من واحد، ذكوراً أو إناثاً، فلهم الثلث بالتساوي بين الذكر والأنثى، من بعد الدين والوصية إن وجدنا، وتلك وصية الله الواجبة، من غير إضرار المورث لورثته بدين أو وصية، كالإقرار بدين ليس عليه، أو الإيضاء بأكثر من الثلث، والإضرار حرام وهو من الكبائر، والله عليم بما يصلح الخلق وبأهل الميراث، حليم لا يعجل بالعقوبة، ويحلم بأهل الجهل. قال ابن عباس: «الإضرار في الوصية من الكبائر».

١٣- تلك الأحكام المتقدمة في اليتامى والوصايا والموارث شرائع الله التي وضعها الله لعباده للعمل بها دون تعد أو تجاوز، وفصل فيها بين الحق والباطل، ومن يطع الله ورسوله في قسمة الموارث وغيرها من الأوامر والنواهي، يدخله الله جنات الخلد (الخلود الأبدي) وذلك الفوز العظيم الذي لا مثيل له.

١٤- ومن يخالف أوامر الله ورسوله، ويتجاوز نظام الميراث وغيره، فيترك العمل بها، أو يغير هذه الأحكام، يدخله الله ناراً خالداً فيها أبداً، وله عذاب كله خزي وذل وهوان. والحدود: هنا شرائع الله وأحكامه التي حدّها لعباده، ليعملوا بها ولا يتعدوها، وقد تطلق الحدود على المحارم التي منعها الله، ومنها الحدود الشرعية، أي العقوبات المقدرة.

وَالَّذِي يَأْتِيَنَّ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا
عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ
فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّيَهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ
سَبِيلًا ﴿١٥﴾ وَالذَّانِبُ بِأُيْبَتِهِ مِنْكُمْ فَتَأْذُوهُمَا
فَإِنْ تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا
رَجِيمًا ﴿١٦﴾ إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ
بِجَهْلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ
وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧﴾ وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ
إِنِّي تُبْتُ أَقْنِ وَلَا الَّذِينَ يُمُوتُونَ وَهُمْ كَفَارًا أُولَئِكَ
أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا
لَا يَجْعَلْ لَكُمْ أَنْ تَرْتُوا النِّسَاءَ كَرِهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ
لِيَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَاءٍ يَتَغَوَّهْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بِفَاحِشَةٍ
مُتَبَيِّنَةٍ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِنْ كَرِهْتُمُوهُنَّ
فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾

١٥- واللاتي يرتكنن فاحشة الزنا، فاطلبوا لإثبات
الجريمة أربعة شهود يشهدون على وقوع الفاحشة، فإن
شهدوا، فاحبسوهن في البيوت حتى الموت،
وامنعوهن من مخالطة الناس حتى يتوفاهن ملك
الموت، أو يجعل الله لهن طريقاً إلى الخروج من هذا
الجزء، بأن ينزل في شأنهن حكماً آخر، وقد نسخ
هذا الحكم، وجعل لهن سبيلاً بأية حد الزنا بالجلد
مائة جلدة، قال ابن عباس: كانت المرأة إذا زنت
حبست في البيت حتى تموت، ثم أنزل الله تعالى بعد
ذلك: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ [النور ٢٤ / ٢] .
فإن كانا محصنين رجماً، فهذا سبيلهما الذي جعل الله
لهما.

١٦- واللذان يأتين الفاحشة من الرجال فأذوهما
أيها الحكم بالتوبيخ والتعبير والجفاء والضرب، يفعل
الإمام ما يكون فيه زجر لغيرهما، فإن تابا من الزنا قبل
إقامة الحد، وأصلحا أحوالهما، وندما على فعل
الفاحشة، فتركوهما ولا تؤذوهما، إن الله كان وما
يزال كثير التوبة، رحماً بالعباد. وذكر الصاوي أن في
الآية دلالة على تحريم اللواط. وهذا العقاب في هذه
الآية وما قبلها منسوخ بأية حد الزنا في سورة النور إن
أريد بها الزنا، وكذا إن أريد بها اللواط عند الشافعي .

١٧- إنما قبول التوبة من الله تفضلاً وإحساناً من العصاة الذين يعملون المعاصي جاهلين طاشين عند ثورة
الشهوة، ثم يتوبون من عملهم السيئ في وقت قريب، بعد الذنب مباشرة، أو ما قبل الغرغرة، والجهالة: اللحمق
والسفاهة، فأولئك يقبل الله توبتهم، وكان الله عليماً بضعف الإنسان أمام الشهوة، وبصدقه في التوبة، حكيماً في
صنعه وقبول توبة الضعيف .

١٨- وليس قبول التوبة من أرباب المعاصي إذا تابوا عند الغرغرة، بحيث يعلم الإنسان أنه ميت حتماً، أو كان
الشخص مصراً على المعصية، فإذا صار في حال الاحتضار، أعلن توبته قائلاً: إني تبت الآن، وهو وقت لا تنفعه
التوبة. وكذلك لا تقبل التوبة ممن اتوا على الكفر، وأولئك هيأنا أو أعدنا لهم عذاباً مؤلماً موجعاً يوم القيامة .

١٩- لا يباح لكم أيها الرجال أن تأخذوا بطريق الإرث نساء الأقارب بعد الموت، زاعمين أنكم أحق بهن من
غيركم، فتتزوجوهن بلا صداق، أو تزوجهن وتأخذوا صداقهن، ولا يباح لكم أن تعضلوهن، أي تمنعهن من
الزواج لتأخذوا ميراثهن بعد الموت، أو صداقهن إذا أنتم لهن بالزواج، أو تمسكوهن في زواجكم مع الإعراض
عنهن، وإظهار الكراهة لهن، لتأخذوا بعض ما أتيتموهن من المهر، إلا إذا ارتكنن الفاحشة بينة ظاهرة واضحة،
فيحل لكم أن تضاروهن، حتى يفتدين منكم بالخلع، وعاشروهن بما هو معروف في هذه الشريعة معاشرة حسنة
كرمية في القول والفعل، فإن كرهتموهن لسبب آخر غير الفاحشة، فاصبروا، فربما كرهتم شيئاً، ويجعل الله فيه
ثواباً جزيلاً، أو يرزقكم منهن ولدًا صالحاً. قال ابن عباس: كانوا إذا مات الرجل، كان أولياؤه أحق بامرأته،
إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاؤوا زوجهها، فهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية .

وَإِنْ أَرَدْتُمْ تَبْدِيلَ الزَّوْجَاتِ بِطَلِيقِ امْرَأَةٍ
وَتَزْوِجِ أُخْرَى، وَأْتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ مَالًا كَثِيرًا فَمَا
الصَّدَاقُ، كَقَنْطَارٍ مِنَ الذَّهَبِ، أَيْ الْمَالِ الْكَثِيرِ فَلَا
يَحِلُّ لَكُمْ أَنْ تَأْخُذُوا بِمَا دَفَعْتُمْ شَيْئًا، أَوْ تَأْخُذُوهُ
ظُلْمًا وَذَنْبًا ظَاهِرًا، أَيْ بِغَيْرِ حَقِّ .

٢١- وكيف يجوز لكم استرداد شيء من المهر،
وقد وصل بعضكم إلى بعض بالجماع والخلوة
والعشرة، وأخذت النساء منكم عهداً ملزماً في
عقد الزواج على الإمساك بمعروف أو التسريح
ياحسان، فيحرم أخذ شيء من المهر إلا في حال
إتيانها بفاحشة الزنى، أو صارت ناشزة في مذهب
الإمام مالك وغيره. ذكر ذلك ابن عطية في تفسيره
(٣/ ٥٤٤).

٢٢- ولا تتزوجوا أيها الأبناء زوجات الآباء
(الأرامل) كما كان عليه حال الجاهلية، إلا ما قد
مضى فعله قبل التحريم، فهو معفو عنه، إن هذا
الزواج شديد القبح، وسبب مقت (أشد البغض)
من الله والمؤمنين، وكانت الجاهلية تسميه نكاح
المقت: وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها
أو مات عنها، ويش هذا الزواج طريقاً أو عملاً.

قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، فأنزل الله
هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا... ﴾ وآية ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ إلا ما قد سلف ﴿ الآية التالية.

٢٣- حرم عليكم التزوج بالأمهات والجدات من جهة الأب أو الأم وإن علون، والبنات وبنات الأولاد
وإن نزلن، والأخوات الشقيقات أو لأب أو لأم، والعمات: أخوات الآباء أو الأجداد، والحالات:
أخوات الأمهات أو الجدات من جهة الأب أو الأم، وبنات الأخ وبنات الأخت وبناتهن مهما نزلن،
والأمهات المرضعات في سن الحولين بخمس رضعات معلومات، وأخوات الرضاعة: وهي التي رضعت
أنت وإياها من امرأة واحدة، وأمهات الزوجات وكل جداتها، والربائب اللاتي تربين في رعيتكم، ودخلتم
بأمهاتهن، والربيبية: بنت الزوجة من زوج سابق، وإن كانت تعيش في بيت آخر غير بيت زوج أمها الجديد،
ولا إثم في الزواج بالربائب إذا فسخ الزواج قبل الدخول، أما سائر المحرمات بالصهر: وهن زوجة الأب
وزوجة الابن وأم الزوجة، فيحرم من بمجرد العقد على الزوجة. وتحرم زوجات الأبناء بمجرد العقد ولو لم
يكن دخول، إذا كان الأبناء صلبين، أما أولاد التبني فيحل التزوج بزوجاتهن خلافاً لما كان عليه أهل
الجاهلية، ولا يباح الجمع في الزواج بين الأختين ولو من رضاع، ومثلهما سائر المحارم كالعمة والحالة، إلا ما
مضى قبل نزول التحريم، فلا مؤاخذة فيه، إن الله كثير المغفرة لما سلف من آثار الأعمال السيئة، رحيم بتسريح
أحكام الزواج التي فيها الخير والمصلحة لكم.

٢١- وكيف يجوز لكم استرداد شيء من المهر،
وقد وصل بعضكم إلى بعض بالجماع والخلوة
والعشرة، وأخذت النساء منكم عهداً ملزماً في
عقد الزواج على الإمساك بمعروف أو التسريح
ياحسان، فيحرم أخذ شيء من المهر إلا في حال
إتيانها بفاحشة الزنى، أو صارت ناشزة في مذهب
الإمام مالك وغيره. ذكر ذلك ابن عطية في تفسيره
(٣/ ٥٤٤).

٢٢- ولا تتزوجوا أيها الأبناء زوجات الآباء
(الأرامل) كما كان عليه حال الجاهلية، إلا ما قد
مضى فعله قبل التحريم، فهو معفو عنه، إن هذا
الزواج شديد القبح، وسبب مقت (أشد البغض)
من الله والمؤمنين، وكانت الجاهلية تسميه نكاح
المقت: وهو أن يتزوج الرجل امرأة أبيه إذا طلقها
أو مات عنها، ويش هذا الزواج طريقاً أو عملاً.

قال ابن عباس: كان أهل الجاهلية يحرمون ما يحرم إلا امرأة الأب والجمع بين الأختين، فأنزل الله
هذه الآية: ﴿ وَلَا تَنْكِحُوا... ﴾ وآية ﴿ وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأُخْتَيْنِ ﴾ إلا ما قد سلف ﴿ الآية التالية.

٢٣- حرم عليكم التزوج بالأمهات والجدات من جهة الأب أو الأم وإن علون، والبنات وبنات الأولاد
وإن نزلن، والأخوات الشقيقات أو لأب أو لأم، والعمات: أخوات الآباء أو الأجداد، والحالات:
أخوات الأمهات أو الجدات من جهة الأب أو الأم، وبنات الأخ وبنات الأخت وبناتهن مهما نزلن،
والأمهات المرضعات في سن الحولين بخمس رضعات معلومات، وأخوات الرضاعة: وهي التي رضعت
أنت وإياها من امرأة واحدة، وأمهات الزوجات وكل جداتها، والربائب اللاتي تربين في رعيتكم، ودخلتم
بأمهاتهن، والربيبية: بنت الزوجة من زوج سابق، وإن كانت تعيش في بيت آخر غير بيت زوج أمها الجديد،
ولا إثم في الزواج بالربائب إذا فسخ الزواج قبل الدخول، أما سائر المحرمات بالصهر: وهن زوجة الأب
وزوجة الابن وأم الزوجة، فيحرم من بمجرد العقد على الزوجة. وتحرم زوجات الأبناء بمجرد العقد ولو لم
يكن دخول، إذا كان الأبناء صلبين، أما أولاد التبني فيحل التزوج بزوجاتهن خلافاً لما كان عليه أهل
الجاهلية، ولا يباح الجمع في الزواج بين الأختين ولو من رضاع، ومثلهما سائر المحارم كالعمة والحالة، إلا ما
مضى قبل نزول التحريم، فلا مؤاخذة فيه، إن الله كثير المغفرة لما سلف من آثار الأعمال السيئة، رحيم بتسريح
أحكام الزواج التي فيها الخير والمصلحة لكم.



٢٤- وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ النِّسَاءَ الْمُتَزَوِّجَاتِ،
المسلّمات وغير المسلّمات إلا بعد انقضاء العدة من
موت أو طلاق، إلا السبايا في حرب مشروعة بعد
الاستبراء بحيضة، وأبيح لكم الزواج من غير
هؤلاء المحرّمات، بأن تطلبوا الزواج بالمهور من
النساء اللاتي أحلهن الله لكم، متعافين عن الحرام
بالزواج الشرعي، غير زانين، فما تمتعتم به من
النساء بالنكاح الشرعي، فأتوهن مهورهن التي
تراضيتم عليها، والمهور مفروضة للزوجات من الله
تعالى، ولا إثم عليكم في الزيادة أو نقصان المهر أو
التنازل عن المهر كله أو بعضه، إن الله عليم بما
يصلح خلقه، حكيم في صنعه وتدبيره وتشريعه
هذه الأحكام. نزلت في سبايا أوطاس اللاتي
لهن أزواج، حين سأل الصحابة النبي ﷺ
عنهن، فنزلت: ﴿وَإِخْصَانَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا
مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ﴾. وأما قوله تعالى: ﴿وَلَا
جُنَاحَ عَلَيْكُمْ...﴾ الآية، فنزلت بسبب رجال
كانوا يفرضون المهر، ثم قد تدرك أحدهم
العسرة..

﴿وَإِخْصَانَاتٍ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كَتَبَ
اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا
بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسْفِحِينَ فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ
بِهِ مِنْهُنَّ فَأْتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ فَرِيضَةً وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا
تَرَضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا
حَكِيمًا ﴿٢٤﴾ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكَحِ
الْمُؤْمِنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمَنْ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فِتْيَانِكُمْ
الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ
فَأَنْكِحُوهُنَّ بِأَذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أَجْرَهُنَّ
بِالْمَعْرُوفِ مُحْصِنَاتٍ غَيْرِ مُسْفِحَاتٍ وَلَا تَخْذَلْنَ أَخْدَانًا
فَإِذَا إِخْصِنَ فَإِنَّ أَتَيْنَ بِفَلْحَسَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى
الْمُحْصِنَاتِ مِنَ الْعَدَاتِ ذَلِكَ لِمَنْ حَسَبِيَ الْعَنْتُ مِنْكُمْ
وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٥﴾
يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّسَالَةَ مِنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ
وَيُثَبِّتَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾

٢٥- ومن لم يجد منكم غنى وسعة في ماله للزوج بحرة مسلمة مؤمنة، فيحل له أن يتزوج أمة مؤمنة غير
مشركة ولا كتابية، والله أعلم بحقيقة إيمانكم، فلا تابوا الزواج بالإماء عند الضرورة؛ لأنكم جميعاً
مخلوقون من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، وأنكم سواء في الدين، وتزوجوا الإماء بإذن أوليائهن،
وأدوا إليهن مهورهن بالمعروف شرعاً وعادة بحسب التراضي، حال كونهن عفيفات، غير زانيات علناً، ولا
متخذات أصحاب يزنون بهن سراً، وذات الخدن: التي تزني بواحد سراً، وكانت العرب تعيب الإعلان
بالزنا دون السر، وإذا صارت الإماء محصنات بالزواج، فعليهن بالزنى نصف عقوبة الحرائر، أي خمسين
جلدة فقط؛ لأن حد الحرة مائة جلدة، أما الزانية غير المحصنة من الإماء، فلا تحدد، وإنما تضرب تأديباً
(تعزيراً). ذلك الترخيص بالزواج من الإماء لمن خاف منكم الوقوع في الزنا- والعنت: المشقة والضرر
وخشية الوقوع في الإثم- وأن تصبروا عن نكاح الإماء خير لكم، حرصاً على حرية النسل، والله غفور
لذنوب عباده التائبين، رحيم بهم حين يسر لهم ذلك. لكن يلاحظ أن الدول الحديثة تعاهدت فيما بينها من
عام ١٩٥٢ على إنهاء الرق في العالم، والإسلام يقر ذلك.

٢٦- يريد الله أن يبين لكم ما خفي عليكم من أفضل الأعمال، ويرشدكم إلى طرق الأنبياء السابقين لتقتدوا
بهم، ويتوب عما سلف منكم، والله عليم بشؤونكم فرخص لكم، حكيم فيما سنّه أو شرعه لكم.

وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
الشَّهْوَاتِ أَنْ غَمَلُوا مِثْلًا عَظِيمًا ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ
أَنْ يُخَفِّفَ عَنْكُمْ وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا ﴿٢٨﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بِالْبَطْلِ إِلَّا
أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ
إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عَدُوًّا وَظُلْمًا
فَسَوْفَ نُصَلِّيه نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
﴿٣٠﴾ إِنْ تَجَنَّبُواكَ أَبْرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نَكَفَرْنَا عَنْكُمْ
سَيِّئًا كَبِيرًا وَنَدْخُلُكُمْ فِي مَدْخَلِ كَرِيمًا ﴿٣١﴾ وَلَا تَتَّبِعُوا
مَا فَضَّلَ اللَّهُ بِهِ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ لِلرِّجَالِ نَصِيبٌ
مِمَّا اكْتَسَبُوا وَلِلنِّسَاءِ نَصِيبٌ مِمَّا كَسَبْنَ وَسَأَلُوا
اللَّهَ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا
﴿٣٢﴾ وَلِكُلِّ جَعَلْنَا مَوَالِي مِمَّا تَرَكَ الْوَالِدَانِ
وَالْأَقْرَبُونَ وَالَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَانُكُمْ فَآتَوْهُمْ
نَصِيبَهُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا ﴿٣٣﴾

٢٧ - والله يريد أن يتوب عليكم بإرجاعكم إلى طاعته عن معصيته، ويريد متبعو شهوات أنفسهم أن تميلوا عن طريق الحق، ميلاً عظيماً بارتكاب الحرام دون تقييد بشرع، ولا نظر في العواقب والحلال والحرام. والشهوات هنا: ما حرمة الشرع دون ما أحله.

٢٨ - يريد الله التخفيف عنكم بإباحة الزواج بالإماء، وخلق الإنسان عاجزاً عن مقاومة الشهوات الجامحة، أو عن مقاومة نفسه وهواه.

٢٩ - يا أيها المؤمنون لا تأخذوا أموال غيركم بالحرام في الشرع، كالربا والقمار والغصب والغش، لكن يجوز لكم أخذ الأموال بالتجارة الصادرة عن تراض أو طيب نفس بين الطرفين، وضمن قيود الشرع، والتجارة: التكتسب بالبيع والشراء، والتراضي: الاتفاق المتبادل بين المتبايعين دون غش ولا كتمان عيب ولا مقامرة ولا مراباة. ولا يقتل بعضكم بعضاً ظلماً وعدواناً بغير حق أثبتته الشرع، ولا يقتل الإنسان نفسه حقيقة، إن الله رحيم بكم في تحريم تلك الأمور أو منعه لكم من ذلك.

٣٠ - ومن يأخذ أموال الناس متعمداً اعتداء بغير حق وظلماً لهم، كالنهب والغصب، أو يقتل أحداً عمداً عدواناً في غير قصاص ولا حد ولا ردة، فسوف ندخله ناراً عظيمة في الآخرة، وكان ذلك العقاب هيئاً على الله، فلا يعجزه شيء. والعدوان: التعدي على غيره مع القصد، والظلم: تجاوز الحق بالفعل.

٣١ - إن تتركوا أيها المؤمنون كباثر الذنوب المنهي عنها: وهي التي ورد عليها وعيد أوحد في الشرع، كالشرك بالله والقتل والزنى والسرقة، تتجاوز عن ذنوبكم الصغائر، وتدخلكم الجنة مدخلاً حسناً مرضياً.

٣٢ - ولا تتمنوا أخذ ما لدى الآخرين، وارضوا بما قسم الله لكم، والتمني: طلب حصول الشيء المرغوب المستبعد تحقيقه، ويجوز تمني مثل ما لدى صاحبه، من دون تمني زواله عن غيره، للرجال حظ مما اكتسبوا بسبب مشروع كالجهاد والعمل والتجارة، وللنساء حظ مما اكتسبن من طاعة أزواجهن وحفظ فروجهن، والكل متساوون في الجزاء في الآخرة، واطلبوا من الله الإحسان والخير، والتوفيق على ما يرضيه، والرزق الحلال، بدل الاشتغال بالتمني، إن الله عالم بما يصلح عباده وبما قسم لهم من الأرزاق. قالت أم سلمة: يغزو الرجال ولا تغزو النساء، وإنما لها نصف الميراث، فأنزل الله: ﴿وَلَا تَتَمَنَّوْا...﴾ وأنزل فيها: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ﴾ [الأحزاب ٣٣ / ٣٥].

٣٣ - ولكل واحد من الرجال والنساء جعلنا ورثة من أقاربه يرثونه، والذين تحالفتم معهم في الجاهلية على النصره والإرث، وهم موالي الموالات، حيث كان الرجل يعاقد الرجل، فيقول له: ترثني وأرثك، فآتوهم نصيبهم من الميراث، وهو السدس، ثم نسخ بقوله تعالى: ﴿وَأُولَئِكَ مَعْرُوفًا﴾ [الأحزاب ٣٣ / ٦] إن الله شاهد على أفعالكم ومجازيكم عليها. نزلت في أبي بكر وابنه حين أبي الإسلام، فحلف أبو بكر ألا يورثه، فلما أسلم، أمر أن يؤتبه نصيبه.

٣٤- الرجال يقومون بأمر النساء ويحافظون عليهن
 (لسبيين: ١) خصائص الرجولة ومقوماتها الجسدية،
 وزيادة الخبرة. ٢) الإنفاق على الأسرة كلها ودفع
 الصداق، فالصالحات من النساء مطيعات لله
 ولأزواجهن، ويحفظن غيبة أزواجهن في نفوسهن
 وأولادهن، وأموال الزوج من غير تمييز، يحفظ الله لهن
 ومعونته، وبأمر الله بالحفظ، وبإداء الأزواج حقوقهن
 كالعدل والإحسان إليهن. واللاتي تخافون نشوزهن:
 وهو عصيان أوامر الزوج، ومنع نفسها بلا عذر،
 والخروج من بيتها بغير إذنه، فذكروهن بما أوجب الله
 عليهن من الطاعة وحسن العشرة، ورجوهن بشواب
 الله، ورجونهن عقاب الله في الآخرة، واهجرهن في
 المضاجع بالنوم في فراش آخر، إن لم يتعظن بالكلام،
 واضربوهن ضرباً خفيفاً للتأديب والإصلاح إن لم
 يصلحن بالهجر، فإن أظعنكم في أي أمر من هذه
 الأمور، فلا تتعدوا عليهن بقول أو فعل؛ لأن الظلم
 حرام، ولا تكلفوهن الحب لكم، فذلك غير مستطاع ولا
 يدخل في اختيارهن، إن الله علي قاهر، كبير قادر.
 نزلت حينما جاءت امرأة إلى النبي ﷺ تستعدي
 على زوجها أنه لطمها، فأمر الرسول بالقصاص،
 فأنزل الله: ﴿الرجال قوامون...﴾ فرجعت بغير
 قصاص.

الرجال قوامون على النساء بما فضل الله بعضهم على بعض
 وبما أنفقوا من أموالهم فأصلحت فنتك حفظت للغيب
 بما حفظ الله والتي تخافون نشوزهن فظوهن وأهروهن
 في المضاجع واضربوهن فإن أظعنكم فلا تغوا عليهن
 سبيلاً إن الله كان علياً كبيراً ﴿٣٤﴾ وإن خفتن شقاق بينهما
 فابعثوا حكماً من أهله وحكماً من أهلها إن يريدوا إصلاحاً
 يوفق الله بينهما إن الله كان عليماً خبيراً ﴿٣٥﴾ وأعدوا
 الله ولا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً وبذي
 القربى واليتيم والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب
 والصاحب بالجنب وآتين السبيل وما ملكت أيمانكم
 إن الله لا ينجب من كان تحت لأخواراً ﴿٣٦﴾ الذين يتخلون
 وأمرؤن للناس بالخل ويكفون ماء أنهم الله من فضله
 وأعدنا للكافرين عذاباً مبيناً ﴿٣٧﴾ والذين يعفون
 أموالهم رياءً للناس ولا يؤمنون بالله ولا باليوم
 الآخر ومن يكن الشيطان له قريناً فساء قريناً ﴿٣٨﴾

٣٥- وإن خفتم استمرار الخلاف بين الزوجين، فابعثوا إليهما حكماً من أهله وحكماً من أهلها، ممن يصلح لذلك
 عقلاً ودينياً، إن يرد الحكمان أو الزوجان إصلاحاً، يوفق الله الحكيم والزوجين، حتى يعودا إلى الألفة وحسن العشرة أو
 الوفاق، وإلا فالفراق، وإذا اختلف الحكمان لم ينفذ حكمهما، إن الله واسع العلم بكل شيء، خبير بأمور عباده.
 ٣٦- واعدوا الله حق العباد، ولا تجعلوا معه شريكاً آخر، وعليكم بطاعة الوالدين والإحسان إليهما، وإلى ذوي
 القرابة، واليتامى الذين فقدوا آباءهم في الصغر، والمحتاجين، والجار القريب الدار أو النسب، ولو كان غير مسلم،
 والجار البعيد أو الغريب غير القريب، والرفيق الملازم في العمل أو السفر، والمسافر المنقطع في أثناء سفره- والسبيل:
 الطريق- والأرقاء من العبيد والإماء، إن الله يجازي المتكبر على الناس، المتعالي عليهم.
 ٣٧- أولئك المتكبرون الذين يضنون بأموالهم عن أداء الواجبات والحقوق، ويطلبون من الناس عدم الإنفاق في سبيل
 الله، ويكفون نعم الله عليهم من العلم والمال، ويتظاهرون بالمسكنة، لئلا يطعم بهم أحد، وأعدنا للكفار عذاباً فيه ذل
 وإهانة. قال سعيد بن جبير: كان علماء بني إسرائيل يتخلون بما عندهم من العلم، فأنزل الله: ﴿الذين
 يتخلون...﴾ وقال أكثر المفسرين: نزلت في اليهود كتموا صفة محمد ﷺ ولم يبينوها للناس، وهم
 يجدونها مكتوبة عندهم في كتبهم.
 ٣٨- والذين أيضاً يتفقون أموالهم رياءً وسمعة، ولا يؤمنون بالله وحده، ولا بالآخرة، كالمنافقين وأهل مكة؛ لأنهم
 أعوان الشيطان، ومن يكن الشيطان له صاحباً، فبئس هذا الصاحب قريناً له في النار؛ لأنه يورده المهالك، كالفخر والبخل
 والرياء.

وَمَا ذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَانْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا ﴿٣٩﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَلُوكُمْ حَسَنَةٌ يَضَعَهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٤٠﴾ فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾ يَوْمَ يَدْعُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا الرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّى بِهِمُ الْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴿٤٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَرَىٰ حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ وَلَا جُنُبًا إِلَّا عَابِرِي سَبِيلٍ حَتَّى تَغْتَسِلُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَىٰ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا ﴿٤٣﴾ أَلَمْ تَرَوْا إِلَى الَّذِينَ أَوْتُوا نَصِيبًا مِنَ الْكِتَابِ يَسْتُرُونَ الضَّلَالَاتِ وَيُرِيدُونَ أَنْ يُضِلُّوا السَّبِيلَ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِأَعْدَائِكُمْ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَلِيًّا وَكَفَىٰ بِاللَّهِ نَصِيرًا ﴿٤٥﴾

٣٩- أي ضرر عليهم في الإيمان والإنفاق مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته، وكان الله وما يزال عالماً بما هم عليه في الإنفاق وغيره، وسيجازيهم عليه.

٤٠- إن الله لا يظلم أحداً ولا ينقص ثواب عمله وزن ذرة: وهي الواحدة من أجزاء الهباء المتناثر في الجو، ولا يزيد في عقابه مقدار ذرة أيضاً فما فوقها، وإن تكن هذه الذرة حسنة يضاعفها أضعافاً كثيرة، ولا يضاعف السيئة، ويعطى من فضله على العمل الصالح ثواباً غير محدود.

٤١- كيف يكون حال هؤلاء الكفار إذا جئنا من كل أمة يوم القيامة بشاهد يشهد على قومه بما حصل عند تبليغهم الرسالة من رسولهم، هل آمنوا أم كفروا، والشاهد هو نبيهم، ثم جئنا بك أيها الرسول شاهداً على أمتك؟!

٤٢- في يوم القيامة يتمنى الكفار، لو سواهم الله بالأرض، فصاروا تراباً، أو ساخوا في الأرض ثم طمرهم التراب، أي يتمنون أن يكونوا تراباً، ولا يتمكنون من إخفاء شيء من أعمالهم عن الله تعالى، فأمرهم وأحاديثهم كلها معلومة لديه، وجوارحهم تشهد عليهم.

٤٣- يا أيها المؤمنون، لا تُصَلُّوا حال السكر، حتى تدركوا معاني ما تقولون في صلاتكم، وهذه

إحدى مراحل تحريم الخمر، ولا تدخلوا المساجد وأنتم في حال الجنابة: وهي أثر كل جماع أو إنزال باحتلام وغيره، إلا أن تكونوا مجتازين فيها من جانب إلى آخر، حتى تغتسلوا من الجنابة، وإن كنتم في حال مرض بحيث يلحقكم الضرر باستعمال الماء، أو كنتم مسافرين ولم تجدوا ماء، أو قضيتم حاجتكم ببول أو غائط (وهو الحدث الأصغر) أو جامعتم النساء (وهو الحدث الأكبر) ولم تتمكنوا من استعمال الماء لفقده أو إلحاق ضرر باستعماله، أو لم تجدوا في أثناء السفر ما يسخن به الماء، فاقصدوا وجه الأرض من تراب أو حجر، طاهراً، فامسحوا من ذلك الصعيد وجوهكم وأيديكم إلى المرافق، في الحدث الأصغر أو الأكبر، إن الله كان كثير العفو بالترخيص والتوسعة عليكم، كثير المغفرة عن التقصير أو الخطأ. نزل مطلع الآية في أناس من أصحاب رسول الله ﷺ كانوا يشربون الخمر ويحضرون الصلاة، وهم نشاوى (سكارى) فلا يدرون كم يصلون، ولا ما يقولون في صلاتهم. وأنزل الله على رسوله قصة التطهر بالصعيد الطيب، حينما استيقظ النبي في بعض أسفاره ومعه عائشة، والمسلمون، وليس معهم ماء، فأنزل الله تعالى آية التيمم، فتيمموا.

٤٤- ألم تنظر أيها النبي إلى هؤلاء اليهود الذين أعطوا حظاً من التوراة يستبدلون الضلالة بالهدى، بالبقاء على اليهودية، بعد قيام الأدلة على صحة نبوة محمد ﷺ، ويريدون إضلال المؤمنين بترك دينهم الحق وصيورتهم مثلهم.

٤٥- والله أعلم بأعدائكم أيها المؤمنون وما يريدونه منكم من الإضلال، ويحذركم الله منهم، وكفى بالله متولياً أموركم، وناصركم في الحروب، فاكفوا بولايتهم ونصره دون غيره.

٤٦- بعض اليهود يحرفون كلام التوراة بتأويله على غير وجهه الذي نزل ويفسرونه بغير المقصود منه، ويقولون للنبي: سمعنا قولك، أي يتظاهرون بتصديقه، وعصينا أمرك، أي يقولون ذلك همساً فيما بينهم، واسمع قولنا لا سمعت خيراً، أي أصبت بالصمم وهم يوهمون: لا سمعت مكروهاً، وراعنا (من الرعونة) يوهمون أنهم يقولون: ارقبنا وانتظرنا، لا وين الستهتم عن الحق إلى معنى خبيث وإلى ما في قلوبهم، وطعنا في النبوة والدين بالاستهزاء ويقولهم: لو كان نبياً لعلم أننا نسبه، فاطلعه الله على خباثت مقاصدهم. ولو أنهم قالوا للنبي: سمعنا قولك واطعنا أمرك، واسمع ما نقول، وانتظرنا نظرة إشفاق ورحمة لفهم ما تلوه علينا، بدل قولهم: «راعنا» لكان خيراً لهم عما قالوه، وأصوب واليق، ولكنهم لم يفعلوا، فطردهم الله من رحمته ولعنهم بسبب كفرهم بالنبي والقرآن، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً أي جزئياً: وهو الإيمان ببعض الكتب والرسول دون بعض.

٤٧- يا أيها الكفايون معشر اليهود: آمنوا بما أنزلنا من القرآن، مصداقاً (مؤيداً) لما معكم من التوراة- وهذا إنذار إلهي بالغضب منه عليهم- من قبل طمس الوجوه (إزالة معالمها ومحوها) وردها على أديارها يجعلها كالقفا، وهذا هو الرد الحسي، والمقصود هنا هو الرد المعنوي: وهو إبطال المقاصد من الكيد للإسلام، فتقتلكم الحسرة، أو تطردكم من رحمتنا ولنلنكم كما لعنا أصحاب السبت بمسخهم قرده وخنازير، وكان أمر الله نافذاً لا محالة.

٤٨- إن الله لا يغفر لمن مات مشركاً، لم يتب من شركه، ويغفر ما عدا ذلك من سائر الذنوب، لمن يشاء من عبادته المغفرة له، كعصاة المؤمنين، ومن يشرك بالله إلهاً آخر، فقد ارتكب إثماً عظيماً، وكذب كذباً خطيراً يستحق به العذاب.

٤٩- ألم تنظر إلى الذين يمدحون أنفسهم بالباطل، بادعاء فضائل ليست لهم، كقول اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، وقول بعض الناس: لا ذنوب لنا ونحن كالأطفال، قل لهم أيها النبي: لا تمدحوا أنفسكم، بل الله العالم بمن يستحق التزكية (الطهارة من الذنوب) ولا يظلمون بالزيادة على ما يستحقون ولو بقدر الفئيل (الخييط الذي في نواة التمر) ولا يتقصون من الثواب شيئاً. نزلت في رجال من اليهود أتوا رسول الله ﷺ بأطفالهم، وحلفوا بأنهم مظلوم، تكفر عنهم ذنوبهم.

٥٠- انظر أيها الرسول كيف يختلقون الكذب بزعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، أو أنهم أبرياء من الذنب، وكفى بهذا الكذب ذنباً واضحاً.

٥١- ألم تنظر إلى هؤلاء علماء اليهود الذين أتوا حظاً من العلم بالتوراة يصدقون بالجيت (كل ما خضع له الناس من دون الله من شيطان أو ساحر أو كاهن) والطاغوت (كل معبود من دون الله وهو راض) ويقولون لمشركي قريش: إنهم أهدى سبيلاً من المؤمنين بمحمد. نزلت في حبي بن أخطب وكعب بن الأشرف اللذين قالوا لأهل مكة الذين ذكروا فضائلهم من الضيافة وسقاية الحجيج وفك الأسرى: بل أنتم خير منه- من محمد- وأهدى سبيلاً.

٥٢- أولئك القائلون هذا القول: طردهم الله من رحمته وأذلهم، ومن يلعن الله فلا ناصر له يدفع عنه عذاب الله وسخطه. نزلت في اليهوديين المذكورين في الآية السابقة اللذين حملهما على ذلك القول حسد محمد وأصحابه، فلما أنزل الله هذه الآية قالوا: والله ما حملنا على ذلك إلا بغضه وحسده.

مَنْ الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَأَسْمَعُ غَيْرَ مُسْمِعٍ وَرَاعَيْنَا بِالْبَسِطِهِمْ وَطَعْنَا فِي الَّذِينَ وَلُوا أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَسْمَعُ وَأَنْظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ وَلَكِنْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ كُفْرِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٤٦﴾ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَالَّذِينَ آخَذْنَا مِنَ النَّسَبِ وَكَانَ آمُرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٧﴾ إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَنْ يُشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ افْتَرَى إِثْمًا عَظِيمًا ﴿٤٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُونَ أَنَّهُمْ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَالَّذِينَ آخَذْنَا مِنَ النَّسَبِ وَكَانَ آمُرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٤٩﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَفَرُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَالَّذِينَ آخَذْنَا مِنَ النَّسَبِ وَكَانَ آمُرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَفَرُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَالَّذِينَ آخَذْنَا مِنَ النَّسَبِ وَكَانَ آمُرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥١﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ كَفَرُوا بِمَا نَزَّلْنَا مُصَدِّقًا لِمَا مَعَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَطْمِسَ وُجُوهَ فِرْدَوْهَا عَلَى أَدْبَارِهَا أَوْ نَلْعَنَهُمْ كَالَّذِينَ آخَذْنَا مِنَ النَّسَبِ وَكَانَ آمُرُ اللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٥٢﴾

أَمْ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنَ الْمَلِكِ فَإِذَا لَا يُوَفُّونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴿٥٣﴾
 أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ
 آتَيْنَاهُ آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا ﴿٥٤﴾
 فَسُبْحَانَ مَنْ أَمَّنَ بِهِ وَمِنْهُمْ مَنْ صَدَّ عَنْهُ وَكُنِيَ بِجَهَنَّمَ
 سَعِيرًا ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصَلِّبُهُمْ نَارًا
 كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
 فِيهَا أَبَدًا لَمْ يَمُوتْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَوُجِدَ جَاهَنَّمُ ظِلًّا
 ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ الَّذِينَ تَوَدَّوْا الْأَمْثَلُ إِلَىٰ أَهْلِهَا
 وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ إِنَّ اللَّهَ
 نِعِمَّا يَعِظُكُمْ بِهِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ سَمِيعًا نَصِيرًا ﴿٥٨﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ
 فَإِن تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِن كُنتُمْ
 تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾

٥٣- أم هنا: بمعنى «بل» مع ألف الاستفهام الإنكاري، أي ألهم ملك؟ والمعنى ليس لهم نصيب من الملك، ولو كان لهم شيء من الملك لا يعطون الناس نقيراً (وهو النقرة في ظهر نواة التمر) لشدة بخلهم وحسدكم.

٥٤- أم هنا على بابها؛ إذ لم يتقدما استفهام كالتي قبلها، والمعنى أم يحسد اليهود النبي ﷺ وأصحابه على النبوة والنصر، فقد أعطينا آل إبراهيم كداود وسليمان عليهما السلام التوراة، ومعرفة أسرار الشرائع، والنبوة، وآتيناهم الملك العظيم كملك يوسف في مصر، وداود وسليمان في الشام، والمعنى: لم يبخسون النبي بالחסد، ولا يحسدون آل إبراهيم، أي داود وسليمان في أنهما أعطيا النبوة والكتاب والملك العظيم؟! نزلت حينما قالت اليهود لكفار العرب: انظروا إلى هذا الذي يقول: إنه بعث بالتواضع، وإنه لا يميل بطنه طعاماً، ليس همه إلا في النساء، ونحو هذا، فنزلت الآية.

٥٥- فمن اليهود من آمن بالنبي ﷺ ومنهم من أعرض عنه، فلم يؤمن به، وكفى بنا رجساً سعيراً لمن كفر بالله تعالى.

٥٦- إن الذين كفروا بالقرآن، سوف ندخلهم ناراً يصلونها، كلما احترقت جلودهم، بدلناهم جلوداً أخرى بدلاً عنها، فذلك أبلغ في العذاب، ليدوقوا العذاب المستمر، بتجدد الجلد، إن الله قوي غالب في ملكه، حكيم في صنعه.

٥٧- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، سندخلهم جنات الخلد الممتعة، ماكثين فيها على الدوام، لهم فيها أزواج مطهرون من العيوب التي تكون في أزواج الدنيا، وندخلهم ظللاً دائماً لا حرقه ولا سموم، أي جواً لا شمس فيه ولا برد.

٥٨- إن الله يأمركم يا جميع الناس أن تردوا الأمانات إلى أهلها (وهي كل ما يؤتمن الإنسان عليه من حقوق الآخرين، سواء أكانت لله أم للعباد) وإذا حكمتم بين الناس أيها الحكام أو الولاة، فعليكم أن تحكموا بالعدل (وهو الأصيل الوالي أو القاضي إلى أحد الخصمين، وإنما عليه القضاء بالحق المبين في القرآن والسنة) نعم الشيء الذي يعظكم (يأمركم) الله به، وهو أداء الأمانة، والحكم بالعدل، إن الله سميع لأقوالكم، بصير بأعمالكم. نزلت يوم فتح مكة في عثمان بن طلحة الحبشي من بني عبد الدار، حينما أخذ علي مفتاح الكعبة منه قهراً وفتح الباب، فأراد العباس أن يأخذه، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فأمر رسول الله ﷺ علياً أن يرد المفتاح إلى عثمان ويعتذر إليه، ثم أسلم عثمان، لَمَّا علم أن الله أنزل في حقه هذه الآية.

٥٩- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله فيما أنزل في القرآن، وأطيعوا الرسول فيما ثبت في السنة صراحة، وأطيعوا العلماء الذين يأمرون بالحق، والرؤساء والخبراء فيما يأمرون به من طاعة الله وما فيه من المصالح العامة في مجال الدنيا، فإن اختلفتم في شيء من أمور الدين والدنيا، فردوه إلى الكتاب العزيز والسنة المطهرة، إن أتمتم بالله واليوم الآخر، أي إن ذلك من شأن أهل الإيمان، ذلك الرجوع عند التنازع إلى القرآن والسنة، خير لكم عند ربكم، وأحسن مرجعاً من رجوعكم لأهوائكم. نزلت في عبد الله بن حذافة، بعثه رسول الله ﷺ في سرية.



٦٠- ألم تر أيها النبي إلى الذين يزعمون أنهم آمنوا بالقرآن وبالكتب السماوية السابقة، كبعث اليهود والمنافقين يريدون أن يتحاكموا إلى الطاغوت: الكهان وكل من يحكم بغير ما أنزل الله، فكيف يصح منهم ذلك؟ وقد أمروا أن يكفروا بكل من لم يحكم بأمر الله، ويريد الشيطان أن يوقعهم في الضلال البعيد عن الحق. نزلت في خصومة بين منافق ويهودي، فأراد اليهودي الاحتكام إلى النبي ﷺ لأنه لا يقبل الرشوة، وأراد المنافق الاحتكام إلى زعماء اليهود لأنهم يأخذون الرشوة في أحكامهم، فلما اختلفا اتفقا على أن يحكما كاهناً في جهينة، فأنزل الله هذه الآية.

٦١- وإذا قيل لهؤلاء اليهود الذين نافقوا: تعالوا إلى حكم الله في كتابه، وإلى حكم رسوله، رأيت المنافقين يعرضون عنك إعراضاً، نفوراً من التحاكم إلى القرآن والنبي ﷺ.

٦٢- فكيف صنعهم إذا تعرضوا لعقوبة من الله على ذنوبهم، أو فضيحة تكشف نفاقهم بسبب ارتكابهم المعاصي، ومنها التحاكم إلى الطاغوت، ثم جاؤوك يحلفون كذباً: ما أردنا بتحاكمنا إلى

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِمَا نُزِّلَ إِلَيْكَ وَمَا نُزِّلَ مِنْ قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَنْ يَتَحَكَّمُوا إِلَيَّ أَطَّاغُوتٍ وَقَدَّمُوا أَنْ يُكْفَرُوا بِهِ وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُضِلَّهُمْ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُم تَعَالَوْا إِلَى مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ رَأَيْتَ الْمُنَافِقِينَ يُصَدُّونَ عَنْكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾ فَكَيْفَ إِذَا أَصَابَهُمْ مُصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ جَاءُوكَ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا إِحْسَانًا وَتَوْفِيقًا ﴿٦٢﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَعِظْهُمْ وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا ﴿٦٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِيُطَاعَ بِإِذْنِ اللَّهِ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا ﴿٦٤﴾ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِي مَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيَسْأَلُوكَ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾

غيرك إلا الإحسان (الصلح) والتوفيق بين الخصمين، لا مخالفة حكمك.

٦٣- كذبهم الله بقوله: أولئك يعلم الله نفاقهم وعداوتهم للحق، فأعرض عن قبول اعتذارهم، وخوفهم من النفاق، وعظهم، والوعظ: الكلام الرقيق المؤثر في النفوس، وقل لهم في حق أنفسهم قولاً مؤثراً فيهم، بأن توعدهم بسفك دمايهم وسلب أموالهم.

٦٤- لم ترسل رسولاً إلا ليطاع أمره ونهيه، بأمر الله بطاعته، فلا يعصى، ويعلمه سبحانه، ولو أنهم حين ظلموا أنفسهم بترك طاعتك واحتكامهم إلى غيرك، جاؤوك معتذرين، فاستغفروا الله لذنوبهم، وتضرعوا إليه فاستغفرت لهم أيها الرسول، لوجدوا الله كثير القبول للتوبة الصادقة، واسع الرحمة بالتائبين المصلحين أعمالهم.

٦٥- قسماً بربك ليسوا كما يزعمون أنهم مؤمنون حقاً، حتى يحكموك في جميع أمورهم، ولا يحكموا أحداً غيرك، فيما نشأ بينهم من منازعات أو خصومات، ويقبلوا بحكمك من صميم القلب واطمئنان النفس، ويدعونا إذعانا كاملاً، ويرضوا بحكمك رضاً تاماً بما حكمت بينهم، دون ضيق أو شك، أو رد أو مخالفة. نزلت في الزبير بن العوام وخصمه وهو رجل من الأنصار من أهل بدر، اختلفا في شراج الحرة (مسيل ماء) فقال النبي ﷺ للزبير: «اسق»، ثم أرسل إلى جارك، فغضب الأنصاري، وقال: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه الرسول، ثم قال للزبير: «اسق»، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، (الخواجز التي تحبس الماء) قال الزبير: والله ما أحسب هذه الآية أنزلت إلا في ذلك: ﴿فلا وربك﴾.

وَلَوْ أَنَّا كَذَّبْنَا عَلَيْهِمْ أَنْ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوْ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إِلَّا قَلِيلٌ مِنْهُمْ وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَبِيئًا ﴿٦٦﴾ وَإِذْ آلُ بَيْتِهِمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٦٧﴾ وَلَهَدَيْتَهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٦٨﴾ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَالرَّسُولَ فَأُولَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رِيفًا ﴿٦٩﴾ ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا ﴿٧٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا خُذُوا حِذْرَكُمْ فَانفِرُوا ثُبَاتٍ أَوْ بَعَادٍ مُجْمِعِينَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ مِنْكُمْ مَنْ لَيْسَ بِمُتَحَرِّمًا فَإِنْ أَصَبْتُمْ مَعْصِيَةَ اللَّهِ فَادْعُوا اللَّهَ عَلَىٰ إِذْنِهِ إِنْ كُنْتُمْ مُعْتَمِدِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ مِنْكُمْ مَن لِيُحْذِرْ فَرَاغَ النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي الْأَرْضِ وَالَّذِينَ فِي الدِّيَارِ الْمُبْتَغَىٰ وَالْمُبْتَغَىٰ وَالْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ لَا يُحِلُّونَ لِلْغَابِ الْمُبَاتَلَةَ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٧٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا لِغَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَوَاقِسَ مِنَ اللَّهِ فَيَفْتِكِرْ أَوْ يَعْلَمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَمَلًا فَلَمْ يَعْمَلْ فَإِنَّمَا يَحْتَسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا لِغَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَوَاقِسَ مِنَ اللَّهِ فَيَفْتِكِرْ أَوْ يَعْلَمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَمَلًا فَلَمْ يَعْمَلْ فَإِنَّمَا يَحْتَسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا لِغَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَوَاقِسَ مِنَ اللَّهِ فَيَفْتِكِرْ أَوْ يَعْلَمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَمَلًا فَلَمْ يَعْمَلْ فَإِنَّمَا يَحْتَسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا لِغَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَوَاقِسَ مِنَ اللَّهِ فَيَفْتِكِرْ أَوْ يَعْلَمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَمَلًا فَلَمْ يَعْمَلْ فَإِنَّمَا يَحْتَسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا لِغَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَوَاقِسَ مِنَ اللَّهِ فَيَفْتِكِرْ أَوْ يَعْلَمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَمَلًا فَلَمْ يَعْمَلْ فَإِنَّمَا يَحْتَسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا لِغَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَوَاقِسَ مِنَ اللَّهِ فَيَفْتِكِرْ أَوْ يَعْلَمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَمَلًا فَلَمْ يَعْمَلْ فَإِنَّمَا يَحْتَسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا هَوْلًا لِغَايَةِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ وَمَنْ يُضِلَّهُ فَوَاقِسَ مِنَ اللَّهِ فَيَفْتِكِرْ أَوْ يَعْلَمْ مِنْ ثَوَابِ اللَّهِ عَمَلًا فَلَمْ يَعْمَلْ فَإِنَّمَا يَحْتَسِبُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَأُولَئِكَ يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَعْلَمُ اللَّهُ تَوْبَتَهُمْ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُ اللَّهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٨٠﴾

٦٦- ولو فرضنا على بعض الناس الذين يريدون التوبة كما فرضنا على بني إسرائيل: أن يقتلوا أنفسهم، بأن يقتل الرجل نفسه، أو يقتل الناس بعضهم بعضاً، أو امرئناهم بترك مساكنهم وديارهم، ما نفذ هذا الأمر إلا قليل منهم، ولو أنهم فعلوا ما يطلب منهم واتعظوا وأتابوا، لكان ذلك خيراً لهم في الدنيا والآخرة، وأشد يقيناً وتصديقاً، وأشد تبيناً لأقدامهم على الحق والإيمان، أي يثبتهم الله تعالى، والطاعات تثبت الإيمان. نزلت هذه الآية معلمة حال أولئك المنافقين، وأنه لو كتب ذلك على الأمة لم يفعلوه، وما كان يفعله إلا قليل مؤمنون محققون، كثابت بن قيس وعمار وابن مسعود.

٦٧- وإذا نفذوا الأمر، لأعطيناهم من عندنا ثواباً عظيماً في الآخرة.

٦٨- ولأرشدناهم طريقاً مستقيماً، يحققون به مصالح الدنيا والآخرة.

٦٩- ومن يطع أوامر الله والرسول، فأولئك يكونون مع النعم عليهم بدخول الجنة والوصول إلى رضوان الله والدرجات العلا، من النبيين الذين يوحي الله إليهم بشرع، والمبالغين في التصديق بدين الله وكتبه ورسله، وأهل الأعمال الصالحة، ونعم هؤلاء رفقاء في الجنة. نزلت في ثوبان مولى رسول الله

ﷺ، وكان شديد الحب له، قليل الصبر عنه، وتذكر الآخرة، وخاف إن دخل الجنة ألا يرى فيها رسول الله؛ لأنه مع النبيين، وإن لم يدخل الجنة، فذاك أحرى ألا يراه أبداً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٠- ذلك النعيم في الجنة من الله المفضل على عباده، وكفى بالله علماً بمن يستحق إتياءه هذا الفضل.

٧١- يا أيها المؤمنون احذروا مباغرة الأعداء، أعداء الدين، فأعدوا لهم العدة الملائمة، وانفضوا القتال العدو جماعات متميزة متفرقة جماعة بعد جماعة بمقتضى نظام الحرب، أو مجتمعين جيشاً واحداً، إذا دخل العدو دياركم، فالجهاد يكون بحسب الحاجة أو المصلحة، لقمع شر العدو، وأمن مكره وعدوانه.

٧٢- وإن بعضكم وهم المنافقون الذين قعدوا عن القتال ليتشاكل ويتأخر عن الجهاد، ويثبط غيره عنه، فإن أصابكم مصيبة من قتل أو هزيمة أو فقد مال، قال هذا المنافق المتخلف: قد أنعم الله علي حيث لم أكن حاضراً معهم، فيصيني ما أصابهم.

٧٣- ولئن أصابكم خير من نصر أو غنيمة، قال هذا المنافق نادماً، كأنه بعيد عنكم، لا مودة بينه وبينكم، ولا محبة ولا عون، لِمَ لا تشاركونني في الغنيمة؟ يا ليتني كنت مع المجاهدين في هذه المعركة، فأفوز بحظ وافر من الغنيمة.

٧٤- إن لم يقاتل هؤلاء المنافقون البطون المبتلون، فليقاتل المؤمنون المخلصون الذين يبذلون أو يبيعون الحياة الدنيا بالآخرة، أي من أجل الحصول على نعيم الآخرة، ومن يقاتل من أجل إعلاء دين الله ونصر شريعته، فيقتل شهيداً، أو يغلب عدوه ويظفر، فله الثواب الوافر (أي الجنة) في كلا الحالين، مع مجد الدنيا والغنيمة.



٧٥- وما لكم لا تقتاتون في سبيل الله وسبيل المستضعفين، لتخلصوهم من أسر الكفار، والمستضعفون في عصر النبوة: هم من كان بمكة من المؤمنين، وقد حبسهم المشركون عن الهجرة إلى المدينة، وأذوهم في أنفسهم وأموالهم، وكان النبي ﷺ يدعو لهم فيقول: اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن ربيعة، والمستضعفين من المؤمنين. وهم كانوا يقولون: ربنا أخرجنا من هذه القرية (أي مكة) الظالم أهلها، فإنهم ظلمونا وأضروا بنا، واجعل لنا من عنك ولياً يتولى أمرنا، وناصراً ينصرنا عليهم.

٧٦- المؤمنون يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله: كلمة الحق والعدل والتوحيد ونصرة الدين والشريعة، والكفار يقاتلون في سبيل الشيطان وأتباعه لطلب الفخر والغلبة بالباطل، فقاتلوا أيها المؤمنون أنصار الشيطان، إن مكر الشيطان بالمؤمنين ضعيف هزيل، فيبده عزم المؤمنين وحزمهم. وفي هذا تقوية لقلوب المؤمنين.

٧٧- ألم تر يا نبي الله إلى بعض الصحابة المؤمنين الذين قيل لهم في مكة: كفوا أيديكم عن قتال المشركين، وأدوا الصلاة المفروضة، وأعطوا الزكاة لمستحقها، فلما فرض عليهم في المدينة الجهاد الذي

طلبوه، خاف بعضهم من قتال المشركين كخوفهم من عذاب الله، أو أشد خوفاً من عذابه، من غير شك في الدين، بل خوفاً من الموت وأهوال القتال، وقالوا: لم فرضت علينا القتال؟ هلا أمهلتنا لنتمتع بحياتنا مدة أخرى؟! قل لهم أيها النبي: متاع الدنيا كله سريع الزوال، وثواب الآخرة خير لكم من المتاع القليل في الدنيا، لمن اتقى الله منكم ورغب في الخلود والثواب الدائم، ولا تظلمون (لا تنقصون) شيئاً حقيراً بعقد الفتيقيل: وهو الخيط الذي في شق النواة. نزلت في نفر من الصحابة، كانوا يلقون من المشركين أذى كثيراً، ويقولون: يا رسول الله، ائذن لنا في قتال هؤلاء؟ فيقول لهم: (كفوا أيديكم عنهم، فإنني لم أؤمر بقتالهم، فلما أمر الله بعد الهجرة بقتال المشركين كرهه بعضهم وشق عليهم، فأنزل الله هذه الآية).

٧٨- أنتم صائرون إلى الموت لا محالة، ويصيبكم الموت في أي مكان، ولو كنتم في حصون منيعة، وإن تصب المنافقين نعمة كخصب أو غنمة، نسبوها إلى الله تعالى لما علم فيهم من الخير، وإن تصبهم نقمة كجذب ومرض، نسبوها إلى الرسول ﷺ وأنها حصلت بسببه، فكذبهم الله بقوله: قل لهم أيها النبي: كل من الحسنة والسيئة من عند الله، وليس كما تزعمون، فما شأن هؤلاء القوم لا يكادون يفهمون قولاً، ولا يدركون أن كل شيء بقضاء الله وقدره. قال ابن عباس: لما استشهد من المسلمين من استشهاد يوم أحد، قال المنافقون الذين تخلفوا عن الجهاد: لو كان إخواننا الذين قتلوا عندنا، ما ماتوا وما قتلوا، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٩- ما أصابك أيها الإنسان من حسنة (خير أو نعمة) فمن فضل الله وإحسانه الذي يسر لك أسبابها، وما أصابك من سيئة (شر أو نقمة) فبسبب ذنب من نفسك أتته فعوقبت عليه، وما أنت أيها النبي إلا مبلغ رسالة ربك، وليس بيدك مقادير الخلائق، حتى يكون منك الضرر والنفع، وكفى بالله شاهداً على ذلك.

وَمَا لَكُمْ لَا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَوْلَاهَا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا وَاجْعَلْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ نَصِيرًا ﴿٧٥﴾ الَّذِينَ آمَنُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا ﴿٧٦﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كَبِّ عَلَيْهِمُ الْغَتَالُ إِذَا فِرْقٌ مِنْهُمْ يَمَشُونَ النَّاسَ خَشْيَةَ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كُتِبَ عَلَيْنَا الْقِتَالُ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَى أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَى الْقِتَالُ الَّذِي تَلْتَمِشُونَ فَيَلَا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِكُكُمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي بُرُوجٍ مُشْتَدَّةٍ وَإِنْ تُبْصِرُوا حَسَنَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَإِنْ تُبْصِرُوا سَيِّئَةً يَقُولُوا هَذِهِ مِنْ عِنْدِكَ قُلْ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ فَإِنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمَ لَا يَكَادُونَ يَعْقَهُونَ حُدُودَنَا ﴿٧٨﴾ مَا أَصَابَكَ مِنْ حَسَنَةٍ فَمِنَ اللَّهِ وَمَا أَصَابَكَ مِنْ سَيِّئَةٍ فَمِنَ نَفْسِكَ وَأَرْسَلْنَاكَ رَسُولًا وَكَفَى بِاللَّهِ سَعِيدًا ﴿٧٩﴾

مَنْ طُوعَ الرَّسُولَ فَقَدْ اطَّاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّىٰ فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ﴿٨٠﴾ وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِنَّا بَكْرُؤٌ مِّنْ عِنْدِكَ بَيِّنٌ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ الَّذِي تَقُولُ وَاللَّهُ كُنْتُ مَا يَبْتُونَ فَأَعْرَضَ عَنْهُمْ وَوَكَّلَ عَلَى اللَّهِ وَكُنِيَ بِاللَّهِ وَكِبَلًا ﴿٨١﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوْ أَلْحَافٍ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَرْحَامِ مِنْهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنْتَظِمُونَ مِنْهُمْ وَلَوْ أَفْضَلَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَحْمَتَهُ لَاتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ الْإِقْبِلَا ﴿٨٣﴾ فَمَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُكَلِّفُونَ الْأَنْفُسَ وَحَرَضَ الْمُؤْمِنِينَ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَكْفِيَ بَأْسَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَاللَّهُ أَشَدُّ بَأْسًا وَأَشَدُّ تَنكِيلًا ﴿٨٤﴾ مَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً حَسَنَةً يَكُنْ لَهُ نَصِيبٌ مِنْهَا وَمَنْ يَشْفَعْ شَفْعَةً سَيِّئَةً يَكُنْ لَهُ كِفْلٌ مِنْهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْبِلًا ﴿٨٥﴾ وَإِذَا حُيِّبْتُمْ فَحَبِّبُوا أَحْسَنَ مِنْهَا أَوْ رُدُّوهَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَسِيبًا ﴿٨٦﴾

٨٠- من يطع رسول الله فقد اطاع الله فقد عصى الله؛ لأنه رسول له، ومن أعرض عن طاعته وعصاه فقد عصى الله، ولست أيها الرسول حافظاً لأعمالهم أو مهيمناً ومسيطرًا عليهم، تجبرهم على الخير والإيمان، وتحاسبهم عليه، إنما عليك البلاغ.

٨١- ويقول المنافقون إذا كانوا عندك وأمرتهم بشيء: أمرك طاعة، أي مطاع، فإذا خرجوا من عندك، زورت أو غيرت أو دبرت طائفة منهم في الظلام غير ما تقول لهم وتأمرهم به، والله يُثبت في صحائف أعمالهم ما يدبرون ويזורون، ليجازيهم عليه، فأعرض عن هؤلاء المنافقين، وفوض أمرك إلى الله، وحسبك الله معيناً وناصرًا.

٨٢- أفلا يتفهمون القرآن ويتأملون معانيه وأحكامه وعظاته؟! لو تدبروه لوجدوه منسجماً مع بعضه، ولو كان من كلام البشر، لوجدوا تفاوتاً وتناقضاً كثيراً.

٨٣- وإذا جاء بعض ضعاف المسلمين أمرًا، فسمعوا شيئاً فيه الأمن كالاتصار، أو الخوف كالهزيمة والقتل، أذاعوه للناس، وروجوا الإشاعات الباطلة وقد يضر ذلك بالجيش، ولو

ردوا ذلك الخبر إلى الرسول، وإلى أهل العلم والعقل من القادة والرؤساء، لعلم حقيقة الخبر الذين يستخرجون خفاياه بتدبيرهم واتزان عقولهم من ولاة الأمر، فيتحققون من صحته، وما ينبغي أن يعلن أو يكتم، أي لو تركوا إذاعة الأخبار للرسول أو لأولي الأمر، لفعلوا ما يحقق المصلحة من الإعلان أو الكتمان. ولولا توفيق الله وفضله وإنعامه عليكم بالإيمان، لاتبعتم طريق الشيطان، كما اتبعه المنافقون، وقوله: ﴿إلا قليلاً﴾ استثناء من الإذاعة أو الاستنباط، والظاهر أنه من الاتباع، أي لاتبعتم الشيطان إلا قليلاً منكم كالراشدين الذين ثبتوا على الحق، لما وهبهم الله من عقل صاف، وإرادة قوية لا تخضع للشيطان.

٨٤- فقاتل أيها النبي في سبيل الله، ولو كنت وحلك، لست مسؤولاً إلا عن نفسك، ولا تسأل عن أصحابك، وحض المؤمنين على القتال، لعل الله يدفع بجهادكم بطش الكفار وشدتهم، علماً بأن البأس في الأصل الحرب، والله أشد عذاباً، وأعظم قوة وسلطاناً، وأشد تعذيباً.

٨٥- من يشفع شفاعته حسنة، يكن له حظ من ثوابها، والشفاعة الحسنة: هي التي تكون في حق مسلم، أو دفع شر أو ضرر عنه، ومن يشفع شفاعته سيئة: وهي التي تجلب ضرراً أو أذى أو تمنع حقاً لآخر، يكن له نصيب من وزرها، وكان الله على كل شيء مهيمناً ورقيباً، وحافظاً للأعمال، فيجازيكم عليها.

٨٦- وإذا حبيبت أيها المؤمنون بتحية، أي سلام، فحيوا بأحسن منها، أي بأن تردوا بأفضل منها، أو تردوا بثلاثها على الأقل، إن الله محاسب على كل شيء، ومجاز عليه.

٨٧- الله الإله الواحد القادر هو الذي يحشركم إلى الحساب والجزاء، ويبعثكم من القبور يوم القيامة الذي لا شك في وجوده عند المدركين حجج الله وبيئاته، ولا أحد أصدق من الله في قوله وخبره، لقدرتة وغناه.

٨٨- لا يصح الاختلاف في الحكم على المنافقين، ولا بد من معاداتهم والاتفاق على كفرهم، فما لكم أيها المؤمنون اختلفتم في شأن المنافقين وانقسمتم فرقتين: فرقة تواليهم لجهلها بحالهم، وفرقة تعاديبهم، وهو ما أيده الله، فالله ردهم- وهو رد معنوي - إلى الكفر ونكسهم بسبب كسبهم وهو لحوقهم بركب الكفر وعودتهم إلى الغدر، أتريدون هداية من أضله الله بكفره؟ وهذا للتقريع، ومن أضله الله لا تنفع فيه هداية أحد، ولن يجد طريقاً للإيمان. نزلت في قوم خرجوا مع رسول الله ﷺ إلى أحد، فرجعوا، فاختلف فيهم المسلمون، فقالت فرقة: نقلهم، وقالت فرقة: لا نقلهم، فنزلت هذه الآية.

٨٩- غنى هؤلاء المنافقون إمعاناً في الكفر والضلال أن يكفر المؤمنون كما كفروا، فتكونون متساوين معهم في الكفر، فلا توألوهم ولا تتخذوا منهم أنصاراً وأحباء، حتى يهاجروا إلى المدينة مع المؤمنين، فإن أعرضوا عن الهجرة والإيمان الصادق، فخذوهم إذا قدرتم عليه، أي اتسروهم، واقتلوهم في أي مكان وجدتموهم فيه، ولا تتخذوا منهم صديقاً توألوهم، ولا معينا يتصرمكم. وهذا في قوم ادعوا الإسلام، ثم لحقوا بدار الحرب في مكة، وليس ذلك في منافقي المدينة.

٩٠- لكن لا تقتلوا الذين يتصلون بقوم بينكم وبينهم ميثاق، بالجوار والخلف، فإن العهد يشملهم، كما لا تقتلوا الذين جاؤوكم، وقد ضاقت صدورهم عن القتال، ووقفوا على الحياد، فلم يقاتلوكم ولم يقاتلوا معكم، ولو شاء الله لسأطهم عليكم اختباراً منه لكم، وقاتلوكم مع الأعداء المشركين، ولكن الله كف أذاهم عنكم بفضل ورحمته. فإن اعتزلوكم ولم يعرضوا لقتالكم، ورجعوا في مسالمتكم، فلا يحل لكم قتلهم ولا أسرهم ولا أخذ أموالهم. نزلت كسابقتها في قوم جاؤوا إلى المدينة زاعمين أنهم مهاجرون، ثم ارتدوا بعد ذلك، وعادوا إلى مكة ببضائع لهم يتجرون فيها، ونزلوا عند هلال بن عويمر الأسلمي حليف النبي ﷺ، وهو الذي حصر صدره أن يقاتل المؤمنين، فرفع عنهم القتل بهذه الآية: ﴿إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ﴾.

٩١- ستجدون فريقاً آخر من المنافقين، يظهرن لكم الإسلام، ويظهرون لقومهم الكفر، كلما دعاهم قومهم إلى الشرك وقاتل المسلمين، انقلبوا فيه ورجعوا إلى قومهم، ووقفوا في فتنة الكفر أشنع وقرع، فإن لم يتركوا قتالكم، ولم يسألوكم، ولم يمنعوا أيديهم عن قتالكم، فخذوهم أيها المؤمنون، واقتلوهم حيث لقيتموهم أو وجدتموهم، وأولئك المنافقون جعلنا لكم حجة بينة واضحة في قتلهم والتسلط عليهم، وإباحة قتالهم.

اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُجَمِّعُكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّ فِيهِ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا ﴿٨٧﴾ ﴿٨٧﴾ قَالَ كُفْرًا فِي الْمُنَافِقِينَ فَتَيْنَ وَاللَّهُ أَرْكَسَهُمَا كَسْبُوا أَتْرِيدُونَ أَنْ تَهْدُوا مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿٨٨﴾ وَذُو الْوَكْرُونَ كَمَا كَفَرُوا فَكُونُوا سَوَاءً فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّى يَهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَعُدُّوهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ وُليَاءَ وَلَا نَصِيرًا ﴿٨٩﴾ إِلَّا الَّذِينَ يَصِلُونَ إِلَى قَوْمِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ وَأَجَاءَ وَكَرَّ حَصْرَتْ صُدُورُهُمْ أَنْ يُقَاتِلُوكُمْ أَوْ يَقَاتِلُوا قَوْمَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَسَأَطْنَاهُمْ عَلَيْكُمْ فَلَقَاتِلُوكُمْ فَإِنْ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمَّ يَمُوتُوا وَالْقَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا ﴿٩٠﴾ سَتَجِدُونَ آخَرِينَ يُرِيدُونَ أَنْ يَأْمَنُوكُمْ وَيَأْمَنُوا قَوْمَهُمْ كُلِّ مَا رُدُّوْا إِلَى الْفِتْنَةِ أُرْكَسُوا فِيهَا فَإِنْ تَوَيْعْتُمْ لَكُمْ وَيَقْتُلُوا أَلْيَوْمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَيْدِيَهُمْ حُذُودُهُمْ وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ تَقِفْتُمُوهُمْ وَأُولَئِكَ جَعَلْنَا لَكُمْ عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا مُبِينًا ﴿٩١﴾



وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَاً وَمَنْ قَتَلَ
 مُؤْمِنًا خَطَاً فَحَرِيرٌ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ وَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ إِلَّا أَنْ يَصَدَّقُوا فَإِنْ كَانَ مِنْ قَوْمٍ عَدُوٍّ
 لَكُمْ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَحَرِيرٌ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ وَإِنْ
 كَانَ مِنْ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ قَدِيَةٌ مُسَلَّمَةٌ
 إِلَىٰ أَهْلِهِ وَحَرِيرٌ رَقَبَةٌ مُؤْمِنَةٌ فَمَنْ لَوْ جِدَّ فِصِيَامٌ
 شَهْرَيْنِ مُتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٩٢﴾ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا
 فَجَزَاءُ مِّمَّا جَهَنَّمَ خَلِيدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ
 وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَيَّنُّوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ
 آتَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَاطُ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ
 عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمٌ كَثِيرَةٌ
 كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ
 فَبَيَّنُّوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٩٤﴾

٩٢- ما كان ينبغي لمؤمن أن يقتل مؤمناً إلا خطأ من غير قصد، ومن قتل مؤمناً خطأ كأن يرمي صيداً أو شيئاً فيصيب إنساناً، فعليه تحرير رقبة مؤمنة من الرقيق، بأن يعتقها كفارة له عن خطئه، وعليه دفع دية تسلّم إلى أهله (ورثته) يقتسمونها كالإيراث، والدية: مال يعطى عوضاً عن دم المقتول إلى ورثته، إلا أن يتصدق (يعفو) أهل المقتول على أهل القاتل بالدية أو ببعضها. فإن كان القاتل من الأعداء أي الكفار الحربيين، وهو مؤمن، بأن يكون قد أسلم ولم يهاجر، فلا دية له على قاتله، ويجب على القاتل فقط عتق رقبة مؤمنة؛ لأن حرمة قليلة ولثلاث يتقوى الكفار بالدية علينا. وإن كان المقتول من قوم كفار بينكم وبينهم عهد على المسالمة، وهو مؤمن، فتجب له دية تدفع إلى ورثته، ويجب أيضاً على القاتل تحرير (عتق) رقبة مؤمنة، فمن لم يجد رقبة يعتقها، أو مالا يتسع لشراؤها، فعليه صيام شهرين متتابعين دون انقطاع بدلاً عن العتق، فلو أفطر لغير عذر استأنف، والعذر كالخض ونحوه، شرخ ذلك تيسيراً وتسهيلاً وقبولاً لتوبة القاتل خطأ، وكان الله عليماً بمصالح خلقه، حكيماً في صنعه وتدييره وتشريعه. قال أبو زيد: نزلت في رجل قتله

أبو الدرداء، كان يرعى غنماً، وهو يتشهد، فقتله وساق غنمه إلى رسول الله ﷺ، وقال القاسم: نزلت حينما قتل عياش بن أبي ربيعة الخزومي الحارث بن زيد الذي كان شديداً على النبي ﷺ، فجاء وهو يريد الإسلام، وعياش لا يشعر، فقتله.

٩٣- ومن يقتل مؤمناً متعمداً، أي قاصداً قتله، فجزاؤه الخلود في جهنم إلا أن يتوب، وغضب الله عليه، وطرده من رحمته، وهياً له عذاباً عظيماً في النار. نزلت في مقيس بن ضبابة الكناني الذي قتل رجلاً من بني فهد، بالرغم من أخذه مئة من الإبل دية أخيه هشام بن ضبابة، من بني النجار، ورجع بها إلى مكة كافراً.

٩٤- يا أيها المؤمنون، إذا سافرتُم للجهاد أو القتال في سبيل الله، فثبّتوا ولا تتسرعوا أثناء الضرب حتى لا تقتلوا مسلماً، ولا تقولوا لمن أعلن إسلامه بالنطق بالشهادتين والتحية بتحية الإسلام: لست مؤمناً، ثم تورطوا بقتله، تريدون متاع الدنيا، أي طالين الغنيمة، وهي حطام الدنيا الزائل، فعند الله مغانم وخيرات كثيرة خير مما رغبتُم فيه، وهي حلال لكم دون ارتكاب محظور، أي فلا تتهافتوا، وهذه عدة بما يأتي به الله على وجهه، ولقد كنتم مثل هؤلاء كافريناً، فهذاكم الله للإيمان، وحُققت دماؤكم بكلمة الإسلام أو الشهادة، فثبّتوا ولا تتعجلوا بالقتل، إن الله مطلع على أعمالكم. قال ابن عباس: لحق المسلمون رجلاً في غنيمة له، فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته، فنزلت هذه الآية: ﴿ولا تقولوا لمن ألقى﴾.



لَا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِّ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً وَلَا وَعَدَ اللَّهُ الْخَسِيئَةَ وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿٩٥﴾ دَرَجَاتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٩٦﴾ إِنَّ الَّذِينَ نَفَقُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى ظُلْمٍ أَنفُسِهِمْ فَأَلَوْا فَبِمَا كَسَبَتْ أَلْوَانًا مَّا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ فَأَلَوْا لَئِن كُنَّا أَرْضًا لَّوَسَّعْنَا فِيهَا جُورًا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٩٧﴾ إِلَّا الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ﴿٩٨﴾ فَأُولَئِكَ عَسَى اللَّهُ أَن يَعْفُو عَنْهُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَفُورًا غَفُورًا ﴿٩٩﴾ وَمَنْ يَهَاجِرْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدْ فِي الْأَرْضِ مُرْتًا كَثِيرًا وَسَعَةً وَمَنْ يَخْرُجْ مِنْ بَيْتِهِ مُهَاجِرًا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأُولَئِكَ أُولُو الْأَرْحَامِ وَالَّذِينَ هَجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ يَجِدُوا فِي الْأَرْضِ حَفِيفًا وَأُولَئِكَ هُمُ الَّذِينَ هَرَجُوا وَإِنِ الْكُفْرِينَ كَانُوا أَعْدَاءُ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٠﴾

٩٥ - لا يستوي في الدرجة والثواب المتخلفون عن الجهاد، من المؤمنين، غير أهل الأعداء، من مرض أو عمى أو عجز، والمقاتلون في سبيل إعلاء كلمة الله، المجاهدون بالأموال والأنفس، فضل الله المجاهدين على القاعدين المتخلفين بدرجة، حيث جعل لهم سمعة عالية، ومرتبة زائدة في الآخرة، وكلام من الفريقين: المجاهدين والقاعدين، وعده الله الحسنی، أي المنزلة الحسنی أو المثوبة وهي الجنة، بسبب وجود الإيمان والنيات الطيبة عند القاعدين، وفضل الله المجاهدين على المتخلفين عن الجهاد بغير عذر بشواب عظيم. وهذا مبالغة وتأکید، ومثله الآية التالية. قال زيد بن ثابت: كنت عند النبي ﷺ حين نزلت عليه ﴿ لا يستوي القاعدون من المؤمنين... والمجاهدون في سبيل الله ﴾ ولم يذكر ﴿ أولي الضرر ﴾ فقال ابن أم مكتوم: كيف وأنا أعمى لا أبصر؟ فنزل ﴿ غير أولي الضرر ﴾.

٩٦ - أعد الله للمجاهدين درجات رفيعة في الجنة بحسب مراتب أعمالهم، ومغفرة لذنوبهم، ورحمة منتزلة عليهم، وكان الله غفوراً لذنوب عباده، رحيماً بالثائبين منهم.

٩٧ - إن الذين تسوفاهم الملائكة بإذن الله، ظالمي

أنفسهم؛ لأنهم لم يهاجروا من ديار الكفر، مثلما كان في صدر الإسلام من مكة إلى المدينة، ويقوا بين الكفار يخفون إسلامهم، قالت الملائكة لهم توبيحاً: في أي الفريقين كنتم، أكنتم مع المسلمين أم مع المشركين؟ قالوا معتلدين: كنا عاجزين لا نقدر على إظهار ديننا، فتقول الملائكة لهم مكذبين وموبخين: ألم تكن أرض الله واسعة فنهاجروا فيها من بلاد الكفر إلى ديار الإيمان؟ فأولئك المستضعفون الذين رضوا البقاء في دار الكفر مأواهم جهنم، وبئست النار مرجعاً لهم. نزلت هذه الآية في ناس من أهل مكة، تكلموا بالإسلام ولم يهاجروا، وأظهروا الإيمان وأسروا النفاق، فلما كان يوم بدر، خرجوا مع المشركين إلى حرب المسلمين، فقتلوا، فضربت الملائكة وجوههم وأديبارهم، وقالوا لهم ما ذكر الله سبحانه.

٩٨ - إلا المستضعفين العاجزين حقيقة، كالشيوخ والعجزة والزمنى الذين لا يجدون وسيلة للتخلص.

٩٩ - فأولئك المعذورون المذكورون لعل الله يعفو عنهم بفضلهم وإحسانه، وكان الله كثير العفو والغفران.

١٠٠ - ومن يهاجر في سبيل الله بقصد حسن لا يبتغي إلا رضوان الله، يجد في الأرض أمكنة كثيرة وخيراً وفيراً على رغم أنف عدوه، ويجد سعة في الرزق والبلاد، ومن هاجر قاصداً وجه الله، ثم مات في الطريق، فقد ثبت ثوابه عند الله، وكان الله كثير المغفرة للمستغفرين، رحيماً بالثائبين. نزلت في حبيب بن ضمرة الليثي، الذي كان شيخاً كبيراً، وهاجر إلى المدينة، فمات في التنعيم حميداً، فأنزل الله تعالى فيه هذه الآية.

١٠١ - وإذا سافرت في الأرض، فلا حرج ولا إثم عليكم أن تقصروا الصلاة الرباعية في السفر ركعتين فقط، إن خفتهم أذى الكفار وقتنتهم بمكروه من قتل أو جرح، وكذلك يجوز القصير حال الأمن، إن الكفار ظاهروا العداوة لكم.

وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلَأْتُمْ طَآئِفَةٌ مِنْهُمْ
مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَأَيْسُرْ لَهُمْ فَاتَّبِعُوهُمْ
وَلْيَأْخُذُوا بِحُلِيِّهِمْ وَأَسْلِحَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا
لَوْ قَفَلْتُمْ عَنْ سَلْحِكُمْ وَأَمْنَتُمْ فِيهِمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ
وَإِذْ جَاءَ عَسَاكِرُ الْيَهُودِ مِنْ ذِي طَيْبِ الْأَرْضِ
مُرْسَلِينَ أَنْ تَضَعُوا أَسْلِحَكُمْ وَخَذُوا حِذْرًا إِنَّ اللَّهَ أَغْدَى
لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُهِمًّا ﴿١٠٢﴾ فَإِذَا قَضَيْتُمُ الصَّلَاةَ
فَادْكُرُوا لِلَّهِ فِيمَا قَعُدُوا وَعَلَى الْجُنُودِ فَإِذَا اطْمَأْنَنْتُمْ
فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا
مُتَوَقِّفًا ﴿١٠٣﴾ وَلَا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ
فَاتَّهَمُوا الْمُؤْمِنِينَ كَمَا تَأْتُمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لَا
يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٠٤﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا
إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا
أَرَاكَ اللَّهُ وَلَا تَكُنْ لِلْكَافِرِينَ حَكِيمًا ﴿١٠٥﴾

١٠٢- وإذا كنت أيها الرسول فيهم، ومثلك إمام الجيش، فأقمت الصلاة بالجند من أصحابك، فاجعلهم طائفتين: إحداهما تصلي معك، وأخرى تراقب العدو، ولتأخذ الطائفة التي تصلي معك أسلحتهم في الصلاة، للاستعداد في كل لحظة، فإذا سجد المسلمون معك، فلتحرسهم الطائفة الأخرى في مقابلة العدو التي لم تصل، حتى تنتهي الطائفة الأولى من نصف الصلاة معك، ثم تكمل وحدها، ثم يسلموا وينصرفوا لحراسة العدو، وتأتي الطائفة الثانية، فتصلي معك نصف الصلاة، ثم تسلم وتكمل وحدها بقية الصلاة، فتصلي كل طائفة صلاة الجماعة، ولتأخذ هذه الطائفة الأخرى حذرهم وأسلحتهم أثناء الصلاة، غنى الكفار لو تغفلون عن أسلحتكم وأمتعتكم، فيهجمون عليكم هجمة واحدة، للاستيلاء عليكم. ولا إثم عليكم حال التأذي بمطر أو مرض أن تضعوا أسلحتكم للضرورة، فلا تحملوها، وخذوا حذرهم من العدو في أي حالة، لا سيما حينما يتعدون عن أسلحتكم حتى لا يأخذكم العدو على غرة، إن الله أعد للكافرين عذاباً مقترناً بالذل والإهانة. نزلت هذه الآية حينما صلى المؤمنون مع رسول الله ﷺ الظهر، فقال المشركون: قد كانوا على حال لو كنا أصبنا

منهم غرة، قالوا: تأتي عليهم صلاة هي أحب إليهم من آباتهم، وهي العصر، فنزل جبريل بهذه الآية بين الظهر والعصر، وهم بعسفان، وعلى المشركين خالد بن الوليد، وهم بينهم وبين القبلة.

١٠٣- فإذا فرغتم من الصلاة، فداوموا على ذكر الله في جميع الأحوال حتى في القتال، فإذا أمتم فاتموا الصلاة على الصفة المشروعة الكاملة، إن الصلاة كانت على المؤمنين مفروضة عليهم في أوقات محددة معينة، لكل منها بدء ونهاية، لا يصح تقديمها ولا تأخيرها.

١٠٤- ولا تضعوا في طلب أعدائكم الكفار وقتالهم، إن تألمت من القتال والجراح، فإنهم يتألمون منه مثلكم، وهم لا يجبنون عن قتالكم، فأنتم أولى بالصبر منهم، وترجون أيها المؤمنون من الله النصر والثواب ما لا يرجون بسبب كفرهم وجحودهم، فأنتم أحق بالصبر منهم، وكان الله عليماً بأعمالكم، حكيماً في أمركم ونهيكم.

١٠٥- إنا أنزلنا إليك القرآن إنزلاً مقروناً بالحق، لتحكم بين الناس بما أوحى إليك من الأحكام، وبما عرّفك الله من الأسرار، ولا تكن للخائنين مدافعاً ومخاصماً عنهم، مجادلاً للمحققين بسببهم. نزلت هذه الآية وما بعدها إلى الآية [١١٦] في رجل من المنافقين هو طعمة بن أبيرق، سرق درعاً من جارية له هو قتادة بن النعمان، في جراب دقيق، ثم خباها عند رجل من اليهود هو زيد بن السمين، فلما أتبعوا أثر الدقيق إلى منزل اليهودي، وجدوها عنده، فقال: دفعها إلي طعمة، فحاول قومه بنو ظفر أن يجادل النبي عن صاحبهم، فهم الرسول أن يفعل، وأن يعاقب اليهودي، فأنزل الله تعالى: ﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق..﴾ الآيات.

وَأَسْتَغْفِرُ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٠٦﴾ وَلَا تَجِدَلْ
عَنِ الَّذِينَ يَخْتَفُونَ أَنفُسَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ
خَوَّاتًا بُيُوتَهُمْ ﴿١٠٧﴾ يَسْتَحْفُونَ مِنَ النَّاسِ وَلَا يَسْتَحْفُونَ
مِنَ اللَّهِ وَهُوَ مَعَهُمْ إِذْ يُبَيِّتُونَ مَا لَا يَرْضَىٰ مِنَ الْقَوْلِ
وَكَانَ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطًا ﴿١٠٨﴾ هَٰذَا نُوْحُوْلَاءُ جَدَلْتُمْ
عَنَّهُمْ فِي الْخَيْزَةِ الذَّنْبِ فَإِنَّ يَجِدَلُ اللَّهُ عَنْهُمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَمْ مَن يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ﴿١٠٩﴾ وَمَن يَعْمَلْ
سُوءًا أَوْ يظلم نفسه ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا
﴿١١٠﴾ وَمَن يَكْسِبْ إِثْمًا فَإِنَّمَا يَكْسِبُهُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَكَانَ اللَّهُ
عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَكْسِبْ خَطِيئَةً أَوْ إِثْمًا ثُمَّ يَرَأُ
بِهِ بَرِيئًا فَقَدْ أَحْتَمَلَ بُهْتَانًا وَإِثْمًا مُّبِينًا ﴿١١٢﴾ وَلَوْلَا فَضْلُ
اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ هَمَّتْ تَطَافِعُ مِنْهُمَ أَنْ يُضِلُّوكَ
وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّوكَ مِن شَيْءٍ
وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ
مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾

(محامياً) عنهم؟

١٠٦- واطلب أيها النبي المغفرة مما عزمت عليه،
إن الله غفور لمن استغفره، رحيم بمن تاب وأناب.

١٠٧- ولا تحاجج أو تدافع عن الذين يخونون
أنفسهم بالسرقة أو غيرها من المظالم، أو يبالغون
في خيانتها بالمعاصي الضارة، إن الله لا يحب أي
يعاقب الكثير الخيانة، الكثير الإثم أو الذنب
وارتكاب المعاصي.

١٠٨- يستتر المنافقون من الناس حذراً من
الفضيحة، ولا يستتروا عند فعل المعصية من الله؛
لأن الله عالم بكل شيء، فإن فعلوا شيئاً لم يخف
عليه تعالى، والله عالم بهم ويجمع أعمالهم
السرية والجهرية، حين يدبرون ليليل، ويخططون
لما لا يرضاه الله من الرأي الذي اتفقوا عليه، وكان
الله مطلعاً على أعمالهم ومجازيهم عليها.

١٠٩- أيها القوم الذين جادلوا بالباطل عن
صاحبهم السارق وهو طعمة ومن ساعده، دافعتم
عن الخائنين في الدنيا، فمن يحاجج الله، ويدافع
عنهم عند تعذيبهم بذنوبهم، لإنتقادهم من العذاب
يوم القيامة، أم من يكون عليهم وكيلاً بالخصومة

١١٠- ومن يعمل فعلاً قبيحاً يسوء غيره، أو يظلم نفسه بمعصية شخصية كشرب خمر، ثم يطلب من الله
ستر الذنب ومحوه عنه، بقوله: أستغفر الله، يجد الله غفوراً ساتراً للذنوبه، رحيماً به بقبول توبته.

١١١- ومن يفعل معصية متمعداً، فلئما يتحمل جزاءه بنفسه، وكان الله عليماً بخلقه، حكيماً في صنعه،
لا يعاقب غير العاصي.

١١٢- ومن يرتكب معصية مطلقاً، أو معصية عمدية، والخطيئة: تكون عن عمد وعن خطأ، والإثم لا
يكون إلا عن عمد، ثم يتهم به بريئاً، فقد ارتكب ذنباً كبيراً أفتراء- والبهتان: الكذب على البريء بما لم يصدر
منه ويحيره- وجزماً واضحاً عظيماً.

١١٣- ولولا فضل الله عليك أيها النبي ورحمته بك بتحذيرك وتنبهيك على الحق في قصة طعمة، لهمت
جماعة هم بنو أبيرق أن يضلوك أو يبعدوك عن الحق بالشهادة الباطلة، وما يُضِلُّونَ بفعلهم هذا إلا
أنفسهم؛ لأن ويا له عليهم، وما يضررونك بشيء، لأنك قضيت بما تسمع من الشهادة الظاهرة، وأنزل الله
عليك القرآن، والعلم النافع وفهم أسرار الشريعة والقدرة على تحري الحق والصواب، وعلمك ما كنت
جاهله من أمور الدين وأحكام الشرع، وكان الفضل الإلهي عليك عظيماً بإرسالك للناس كافة، ولا فضل
أعظم من النبوة ونزول الوحي.

لَا حَرِيصَ فِي كَثِيرٍ مِّنْ حُجُوهُمْ إِلَّا مَن مَّرَّ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ
 أَوْ أَصْلَحَ بَيْنَ النَّاسِ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ
 اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١١٤﴾ وَمَن يَشَاقِقِ الرَّسُولَ
 مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُ الْهُدَىٰ وَيَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ
 نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصَلِّهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿١١٥﴾
 إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ لِمَن يَشْرِكْ بِهِ وَيَغْفِرُ مَادُونَ
 ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ وَمَن يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا
 بَعِيدًا ﴿١١٦﴾ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنثًا وَإِن يَدْعُونَ
 إِلَّا شَيْطَانًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَعَنَهُ اللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ
 مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَا أَصْلَنَّهُمْ وَلَا تُبَيِّنْهُمْ
 وَلَا مَرِّئَهُمْ فَلْيُبَيِّنَنَّ لَهُ أَذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَا مَرِّئَهُمْ
 فَلْيَعْبُرْنَ خَلْقَ اللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ الشَّيْطَانَ وَلِيًّا مِّن دُونِ
 اللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ
 وَيُمِيتُهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾
 أُولَئِكَ مَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ لَا يَجِدُونَ عَنْهَا مَحَصًا ﴿١٢١﴾

١١٤- لا خير ولا نفع في كثير من التجوى:
 السريين الاثنين أو الجماعة إذا تحدثوا به، إلا في
 أمور ثلاثة: الأمر بأداء الصدقة، أو عمل
 المعروف: وهو يشمل جميع أنواع البر كإنقاذ
 ملهوف، ونهي عن منكر، أو الإصلاح بين الناس
 في الدماء والأعراض والأموال ومختلف
 الخصومات، ومن يفعل هذه الأمور بقصد إرضاء
 الله، لا لغرض دنيوي، فسوف نعطيه ثواباً عظيماً
 واسعاً.

١١٥- ومن يخالف الرسول ويعارضه، من بعد
 ظهور الحق له، وأنه رسول الله بالبراهين الدالة
 على ذلك، ويتبع غير طريق المؤمنين: وهو ما هم
 عليه من الإسلام والتزام أحكامه، بأن يناصر أهل
 الكفر والضلال، تنكره وما اختاره لنفسه من
 الضلالة، وندخله جهنم، وبش ذلك مرجعاً
 ومالاً.

١١٦- إن الله لا يغفر أبداً الشرك بأن يعبد معه
 إله آخر، ومثله الكفر بالرسول أو باليوم الآخر،
 وقد يغفر كل الذنوب لمن شاء من عباده، ومن
 يشرك بربه، فقد ابتعد عن الحق ابتعاداً شديداً.

١١٧- ما يعبد المشركون من غير الله من

الأصنام إلا معبودات ضعيفة، كالإناث أو بأسماء مؤنثة مثل اللات والعزرى ومناة ونحوها، والعرب تصف
 الضعيف بالأنثى، وما يعبدون إلا شيطاناً هو إبليس، متمرداً على طاعة الله عاتياً، أي شديد التمرد والعتو.

١١٨- لعنه الله وأبعده عن رحمته، وقال حين اللعنة: لأجعلن مقداراً معلوماً من عبادك غواة كفرة،
 أخرجهم من طاعة الله إلى الكفر والعصيان.

١١٩- ولأصرفنهم عن الهداية، وأزرع في نفوسهم الأمانى الباطلة كطول العمر وتحقيق الأمل، والمضي
 في المعصية، ولأمرنهم فليقطعن أذان الأنعام (الإبل والبقر والغنم)، كشق أذان الحائث والسواحب، وتحريم
 الانتفاع بها، ولأمرنهم بتغيير الفطرة التي فطروا عليها، تغييراً مادياً كخضاء الأدميين، أو معنوياً كالانغماس
 في الشر، ومن يتخذ الشيطان معلماً يتولى أمره من دون الله، باتباع أمره وإطاعته، فقد خسر خسراً واضحاً
 في الدنيا والآخرة.

١٢٠- يعدد الشيطان أولياءه بإيجاز وعوده لهم إن اتبعوه، ويميتهم الأمانى الكاذبة بالتفوق والجاه والمال في
 الدنيا، والنجاة في الآخرة فلا يبعث ولا جزاء، وما يعدهم من الوعود الباطلة بالسواوس الفارغة إلا باطلاً
 يغرهم به ويظهر لهم فيه النفع، وهو شر محض.

١٢١- أولئك المستحسنون لما وعدهم الشيطان، مصيرهم جهنم يوم القيامة، ولا يجدون عنها مهرباً
 يفرون إليه.

١٢٢- والذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة من فرائض وتطوعات، سندخلهم في الآخرة جنات تجري من تحت أشجارها ومسكنها الأنهار، ماكثين فيها إلى الأبد، وعدمهم الله ذلك وعداً صادقاً، ولا أحد أصدق قولاً أو خبراً من الله تعالى.

١٢٣- ليس الدين بالتحلي ولا بالتمني، وليست الجنة والقرب من الله بمجرد التمني، لا أنتم أيها المشركون ولا أهل الكتاب الذين قالوا: نحن أبناء الله وأحباؤه، ولن نمسنا النار إلا أياماً معدودة، بل من يقترف سيئة صغيرة أو كبيرة، يجازاه الله بفعله في الدنيا والآخرة، ولا يجده من غير الله من يتولى حفظه، أو يدفع عنه العذاب. نزلت للرد على أتباع الديانات الثلاث: اليهود والنصارى الذين زعموا النجاة، والمسلمين الذين ردوا عليهم قائلين: لن يدخلها إلا نحن، فلفظ الآية عام، والكافر والمؤمن مجازى بالسوء يعمله، فجزاء الكافر النار دائماً، وجزاء المؤمن نكبات الدنيا ومصائبها، كالحزن والمرض والأواء (الشدة والمحنة) والنار مؤقتاً. قال أبو صالح: جلس أهل الكتاب (أهل التوراة وأهل الإنجيل) وأهل الأديان، كل صنف يقول لصاحبه: نحن خير منكم، فنزلت هذه الآية.

وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا ﴿١٢٢﴾ لَيْسَ بِأَمَانِيكُمْ وَلَا أَمَانِي أَهْلِ الْكِتَابِ مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَى بِهِ وَلَا يَجِدْ لَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظَلَّمُونَ فِيهَا شَيْئًا ﴿١٢٤﴾ وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا تَمَنَّىٰ أَسْمًا وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَاتَّخَذَ اللَّهُ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا ﴿١٢٥﴾ وَاللَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُحِيطًا ﴿١٢٦﴾ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي النِّسَاءِ قُلِ اللَّهُ يُفَيِّدُكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُسْأَلُ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ فِي نِسَاءِ النَّسَاءِ الَّتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الْوُلْدَانِ وَأَنْ تَقُومُوا لِلنِّسَاءِ بِالْقِسْطِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِهِ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾

١٢٤- ومن يعمل الأعمال الصالحة، ذكراً أو أنثى، وهو مؤمن حق الإيمان، فأولئك يدخلون الجنة، ولا ينقصون شيئاً من الثواب ولو شيئاً حقيراً مقدار النقيير: وهو النقرة التي في ظهر نواة التمر.

١٢٥- ولا أحد أصح ديناً عن أخلص مقصده وتوجهه لله، وأحسن في أعماله، واتبع دين إبراهيم الخليل عليه السلام، حال كونه مثلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهو الإسلام، واتخذ الله إبراهيم صفوة له، لإخلاصه في عبادته واجتهاده فيما يرضى الله به.

١٢٦- والله ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، وهذا إشارة إلى أنه اتخذ إبراهيم خليلاً لطاقته، لا للتكثير به، وكان الله محيطاً بعلمه بكل شيء.

١٢٧- ويطلبون منك أيها النبي الفتيا في أمور النساء: واجباتهن وحقوقهن، قل: الله يبين لكم حكم بعض أحوالهن، وهو الآيات الثلاث التالية، والذي نزل من القرآن، وهو أول سورة النساء: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَقْسُطُوا...﴾ [الآية ٣] في يتامى النساء اللاتي لا تعطونهن ما فرض لهن من الميراث والمهر وغيرهما، وترغبون في نكاحهن لجمالهن، وتعزلوهن أن يتزوجن طمعاً في الميراث، فلا تفعلوا ذلك إلا أن تعطوهن صدقاتهن كاملاً ولا تمنعهن من الزواج، ويفتيكم في المستضعفين (الصغار اليتامى) من الولدان بأن تورثوهن، وكانوا في الجاهلية لا يورثون النساء والأولاد الصغار، وإنما يورثون الكبار، ويأمركم الله برعاية اليتامى في القوامة أو الوصاية عليهم، بأن تعاملوهم بالعدل في الميراث والمهر وتنمية الأموال، وما تفعلوا من خير في هؤلاء من الإكرام والإحسان، فالله عليم به، يحصيه ويجازي عليه. روى مسلم عن عائشة رضي الله عنها بيان الاستفتاء وجوابه، كما أوضحت في تفسير الآية هنا.

١٢٨- وإن خافت امرأة من زوجها نشوزاً (أي تباعداً عنها) أو إعراضاً عن مكانتها، فلا إثم عليهما من إجراء الصلح بينهما صلحاً يمنع من الفراق أو سوء العشرة، كإسقاط النوبة أو بعض النفقة أو بعض المهر، وترضى المرأة بالبقاء عند زوجها على هذه الحال، وكل صلح يحقق التفاهم والتوادد خير من الفرقة أو الخصومة، وجبلت النفوس على الشح (وهو البخل الشديد مع الحرص) فيشح الرجل في إحسان العشرة والنفقة، وتشح المرأة في أداء حقوق الزوج، وإن تحسنوا عشرة النساء، وتتقوا الله فيما لا يجوز من الجور عليهن، والنشوز والإعراض، فالله مطلع على نياتكم وأعمالكم ويجازيكم عليها. قالت عائشة في هذه الآية: نزلت في المرأة تكون عند الرجل، فلا يستكثر منها، ويريد فراقها، ولعلها أن تكون لها صحبة، ويكون لها ولد، فيكره فراقها، وتقول له: لا تطلقني، وأمسكني وأنت في حل من شائي، فأنزلت هذه الآية.

١٢٩- لن تتمكنوا من العدل التام على الإطلاق بين النساء في المحبة والمتعة، ولو حرصتم عليه، لما جبلت عليه النفوس البشرية من ميل النفس لواحدة أكثر من الأخرى، فلا تميلوا كل الميل لواحدة وتتركوا الأخرى، فتجعلوها كالمعلقة، التي لا هي زوجة ولا هي مطلقة،

وإن امرأة خافت من بعلها نشوزاً أو إعراضاً فلا جناح عليهما أن يصلحا بينهما صلحاً أو الصلح خير وأحضرت الأنفس الشح وإن تحسنوا وتتقوا فإن الله كان بما تعملون خبيراً ﴿١٢٨﴾ ولن تستطيعوا أن تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة وإن تصلحوا وتتقوا فإن الله كان عفواً رحيماً ﴿١٢٩﴾ وإن يتقرا فإن الله كئيلٌ من سعته وكان الله واسعاً حكيماً ﴿١٣٠﴾ والله ما في السموات وما في الأرض ولقد وصينا الذين أوتوا الكتاب من قبلكم وإياكم أن اتقوا الله وإن تكفروا فإن لله ما في السموات وما في الأرض وكان الله غنياً حميداً ﴿١٣١﴾ والله ما في السموات وما في الأرض وكفى بالله وكيلاً ﴿١٣٢﴾ إن يشأ يذهبكم أيها الناس ويأت بآخرين وكان الله على ذلك قديراً ﴿١٣٣﴾ من كان يريد ثواب الدنيا فعند الله ثواب الدنيا والآخرة وكان الله سميعاً بصيراً ﴿١٣٤﴾

فتضرر بذلك ضرراً كبيراً، أي لا تميزوا زوجة على غيرها بما هو مقدر لكم التسوية فيه، وهو العدل المادي في النفقة ونحوها، أما الميل القلبي فلا قدرة لكم عليه ولا مواخذة فيه، وإن أصلحتكم ما أفسدتم ما بالميل لواحدة في العشرة والعدل، دون الأخرى، واتفقت على حسن المعاملة وترك ما يكره، فالله غفور رحيم لما سبق، لا يؤاخذكم فيما فرطتم فيه، وتبتم عنه. نزلت إما في النبي ﷺ وسودة بنت زمعة التي تنازلت عن قسمتها لكبر سنها، أو في رافع بن خديج وخولة بنت محمد بن مسلمة لكبرها، أو في أبي السنابل بن يعكك وامراته.

١٣٠- وإن يتفرق الزوجان بعد تعذر الصلح، يغن الله كلا منهما عن الآخر، ويرزقهما من فضله رزقاً يستغني به عن الحاجة، وكان الله واسع الفضل، حكيماً في تدبيره وتشريعه الأحكام.

١٣١- ثم نبه الله على موضع الرجاء لهذين المشرقين، وهو أن الله جميع ما في السموات والأرض، وهو القادر والرازق، ولقد أمرنا أهل الكتاب، وأمرناكم أيضاً بالتقوى بالتزام الأوامر واجتناب النواهي، وإن تكفروا بما شرع الله لكم، فالله مالك السموات والأرض، لا يضره كفركم، كثر ذلك للتأكيد وتبنيه العباد على سعة ملك الله وحقه أن يطاع فلا يعصى، وكان الله غنياً عن خلقه، محموداً على كل حال، وفي جميع أفعاله، وقادراً عليهم.

١٣٢- والله مالك السموات والأرض وما بينهما، تأكيد بعد تأكيد على استغناء الخالق، واحتياج المخلوقات له، وكفى بالله وكيلاً يتكل عليه الخلق، ويفوضون أمورهم إليه.

١٣٣- إن يشأ الله يمتكم أيها الناس جميعاً، ويأت بآخرين غيركم يقومون مقامكم، وكان الله قادراً على كل شيء.

١٣٤- من كان يريد بعمله شيئاً من ثواب الدنيا كالغنيمة، دون الأجر، فعند الله ثواب الدنيا والآخرة، فلم يطلب أدنى الأمرين، ويترك ما عند الله من حسنة الدنيا وأجر الآخرة، فيعطيه الثوابين، وكان الله سميعاً لأقوالكم، بصيراً بأعمالكم.



١٣٥- يا أيها المؤمنون كونوا مداومين على القيام بالعدل بين الناس في جميع أموركم في الأسرة والقضاء والإمارة والمجتمع، شهداء بالحق لوجه الله تعالى، بإقامة الشهادة على وجهها، ولو كانت الشهادة على أنفسكم بالإقرار بالحق، أو على الوالدين بالشهادة عليهما بحق للغير- وذكرنا لأنهما أحب الناس للولد- أو على الأقرين مثل ذلك؛ لأنهم مظنة المودة والمجاملة، فاصدقوا في الشهادة، ولا تمتنعوا عن أدائها، وإن يكن المشهود عليه غنياً أو فقيراً، فالله أولى بكل واحد منهما، فلا يراعى الغني لغناه، والفقير لفقره، فترك الشهادة عليهما، فلا تميلوا مع الهوى لجلب النفع لهم أو دفع الضرر عنهم، كراهة أن تعدلوا، أي لا يكن اتباع الأهواء سبباً في الجور بالشهادة، وإن تكلوا الستمكم في الشهادة، بأن تأتوا بها على غير وجهها أو بتحريفها، أو تمتنعوا عن أداء الشهادة، فإن الله مطلع على أعمالكم ومجازيكم عليها. قال السدي: نزلت في النبي ﷺ، اختصم إليه غني وفقير، وكان ضلعه (ميله) مع الفقير، رأى أن الفقير لا يظلم الغني، فأبى الله تعالى إلا أن يقوم بالقسط في الغني والفقير، فقال: ﴿يا أيها الذين آمنوا كونوا...﴾

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ أَوِ الْوَالِدِينَ وَالْأَقْرَبِينَ إِن يَكُنْ غَنِيًّا أَوْ فَقِيرًا فَاللَّهُ أَوْلَىٰ بِهِمَا فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىٰ أَن تَعْدِلُوا وَإِن تَلَوْتُمْ أَوْ نَعَسْتُمْ فَاِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١٣٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَالْحَبْلِ الَّذِي أَنْزَلَ مِن قَبْلُ وَمَن يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا ﴿١٣٦﴾ إِن الَّذِينَ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ آمَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا ثُمَّ أَرَادُوا كُفْرًا لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ لِيُغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ سَبِيلًا ﴿١٣٧﴾ بَشِّرِ الْمُنَافِقِينَ بِأَنَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٣٨﴾ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ يُبْتَلُونَ عِنْدَ اللَّهِ عِزَّةً فَإِنِ الْعِزَّةُ لِلَّهِ جَمِيعًا ﴿١٣٩﴾ وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَن إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتَ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَعْدُوا مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخْرُجُوا فِي حَدِيثِ غَيْرِهِ وَإِنَّمَا إِنَّمَا هُمْ إِذَ اللَّهُ جَامِعَ الْمُتَّقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا ﴿١٤٠﴾

١٣٦- يا أيها المؤمنون اثبتوا على الإيمان بالله ورسوله، وهذا مثل قوله: ﴿يا أيها النبي اتق الله﴾ [الأحزاب ١/٣٣] وعلى القرآن المنزل على الرسول محمد ﷺ، وعلى الكتب المنزلة على الرسل السابقين، ومن يكفر، أي يجهل بشيء من عناصر الإيمان بذلك وبالملائكة وباليوم الآخر، فقد انحرف عن الهداية والحق والصواب انحرفاً شديداً، فليرجع إلى طريق الهداية. نزلت في جماعة من مؤمني أهل الكتاب، قالوا: يا رسول الله، إنا نؤمن بك وبكتابتك، وبموسى والتوراة وعزير، ونكفر بما سواه من الكتب والرسل، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٣٧- إن بعض المنافقين الذين ترددوا بين الكفر والإيمان، ثم ازدادوا كفراً بحاربة الرسول، وماتوا على الكفر، لن يغفر الله ذنوبهم، ولن يهديهم الطريق إلى الجنة، لإمعانهم في الكفر.

١٣٨- بشر على سبيل التهكم والتقريع، بمعنى أنذر المنافقين بأن لهم في الآخرة عذاباً مؤلماً في نار جهنم.

١٣٩- الذين يتخذون الكفار أصدقاء وأصفياء وأنصاراً، ولا يتخذون المؤمنين أولياء، هل يطلبون عند الكفار قوة وغلبة؟ هذا خطأ، فإن العزة كلها لله في الدنيا والآخرة، فهو الذي يمنح العزة بفضه وفضله لمن يشاء من عباده.

١٤٠- وقد نزل الله عليكم أيها الذين أظهرتم الإيمان في القرآن: أن إذا سمعتم الكفر بآيات الله والاستهزاء بها، فلا تعدوا مع الكافرين والمستهزئين ما داموا على ذلك، حتى يدخلوا أو يشعروا في حديث آخر غير حديث الكفر والاستهزاء بالآيات، إنكم إن فعلتم ذلك بالعودة معهم، فأنتم مثلهم في الكفر والإثم، والله جامع الكافرين والمنافقين جميعاً في نار جهنم. والذي أنزل في القرآن آية الأنعام [٦/٦٨]: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ...﴾

الَّذِينَ يَرَبُّونَ بَنِيكَ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِنْ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُنْ
 مَعَكُمْ وَإِنْ كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْخُوحُوا
 عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ فَسَاءَ مَا يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ وَلَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا
 ﴿١٤١﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ وَإِذَا قَامُوا
 إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كَسَالَى إِبْرَاهِيمَ إِذْ نَادَى النَّاسَ وَلَا يَذْكُرُونَ
 اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٤٢﴾ مُذَبْذَبِينَ بَيْنَ ذَلِكَ لَا إِلَى هَؤُلَاءِ وَلَا
 إِلَى هَؤُلَاءِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَلَنْ يَجِدَ لَهُ سَبِيلًا ﴿١٤٣﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ
 الْمُؤْمِنِينَ أَتْرِيدُونَ أَنْ تَجْعَلُوا لِلَّهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا مُبِينًا
 ﴿١٤٤﴾ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرَكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ يَجِدَهُمْ
 نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ
 وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُولَئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِي
 اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٤٦﴾ مَا يَفْعَلُ اللَّهُ بِعَذَابِكُمْ
 إِنْ شَكَرْتُمْ وَآمَنْتُمْ وَكَانَ اللَّهُ شَاكِرًا عَلِيمًا ﴿١٤٧﴾

١٤١ - الذين يتربصون بكم ما يحدث لكم من خير أو شر، أو يحل بكم من العذاب، فإن كان لكم فتح من الله كنصر أو غنيمة، قالوا لكم: ألم نكن أنصاراً لكم في الإسلام، فأعطونا من الغنيمة، وإن كان للكفار حظ من النصر والغلبة، كما حدث في معركة أحد، قالوا الأعدائكم الكفار: ألم نستول عليكم ونحافظ عليكم، ولكننا لم نفعل إخلاصاً لكم، وكانت مهمتنا تشبيط المؤمنين عنكم، ومنعهم عنكم وتخديبهم حتى ضعفوا عن مقاومتكم، والمراد أنهم يميلون دائماً مع الغالب المنتصر، والله يحكم بالحق والعدل يوم القيامة بين المؤمنين والمنافقين، فتكشف الحقائق، ولن يجعل الله للكافرين طريقاً للتغلب على المؤمنين، ما داموا صادقي الإيمان، عاملين بالحق والشرع، غير راضين بالباطل، فترفع درجة المؤمنين على درجات الكفار والمنافقين.

١٤٢ - إن المنافقين يخادعون الله بإظهار الإيمان وإبطان الكفر، وهو خادعهم، أي يجازيهم على خداعهم، مؤخراً عقوبتهم إلى الآخرة، وإن كان يجعلهم كالمسلمين في الدنيا، بعصمة دعاتهم وأمورهم، وإذا صلوا أدوا الصلاة متكاسلين متشاقلين، يراؤون الناس، أي يظهرون الشيء الحسن ليراه الناس، لا بقصد اتباع الدين، ليظنوه مؤمنين، ولا يذكرون الله في الصلاة وغيرها إلا ذكراً قليلاً، حين الاضطرار لذلك.

١٤٣ - إنهم يترددون بين الكفر والإيمان، لا هم مع الكفار فيصرحوا بكفرهم، ولا مع المؤمنين، فيخلصوا إيمانهم، ومن لم يوفقه الله، فلا طريق له إلى الحق والهدى.

١٤٤ - يا أيها المؤمنون، لا تتخذوا الكفار بطانة وأصدقاء وأنصاراً تصدقونهم المودة، بدلاً من المؤمنين، كما فعل المنافقون، أتريدون أن تجعلوا لله عليكم حجة واضحة على ضعف إيمانكم، واستحقاق العذاب بسبب موالاته الكفار؟!

١٤٥ - إن المنافقين يوم القيامة في الطبقة السفلى من النار، وهي الهاوية، لشدة الكفر وكثرة أضراره، ولن تجد لهم ناصرًا يخلصهم من العذاب في ذلك الدرك الأسفل.

١٤٦ - لكن الذين تابوا من النفاق، وأصلحوا ما فسد من أحوالهم، وتمسكوا بشرع الله ووثقوا بوعده، وأخلصوا العمل بترك الرياء والنفاق وطاعة غير الله، فهم مع المؤمنين في أحكام الدنيا والآخرة، وللمؤمنين في الآخرة ثواب عظيم، يكون مثله للثابتين من النفاق.

١٤٧ - أي منفعته لله بعبادكم؟ إن شكرتم نعمته، وأمتتم بما أنزل على رسوله، وكان الله شاكراً طاعة عباده، يقبل القليل، ويعطي الكثير من الأجر، عليمًا بأفعالهم ومجازيهم عليها.



١٤٨- لا يحب الله الجهر بسوء القول كالسب والشتم، وإنما يعاقب عليه، لكن من ظلم فله أن يقول في الادعاء أمام المحاكم ونحوها لدى أصحاب السلطة: ظلمني فلان، ليتمكن من دفع الظلم أو الضرر واستيفاء حقه، وكان الله سمياً لشكوى المظلوم، عليمًا بظلم الظالم، ومعاقباً عليه. قال مجاهد: إن ضيفاً تصييف قوماً، فأساؤوا قراه، فاشتكاهم، فنزلت هذه الآية رخصة في أن يشكو.

١٤٩- إن تطهروا أيها المؤمنون عملاً خيراً، أو تعملوه سراً، أو تصفحوا عن الإساءة إليكم، فالله كثير العفو عن عباده المذنبين، تام القدرة على الانتقام منهم بما كسبت أيديهم، فاقتدوا بالله بالعفو عند المقدرة.

١٥٠- إن الذين يكفرون بالله ورسله، ويؤمنون بالله ورسله، ويقولون: نؤمن ببعض الرسل، ونكفر ببعض، وهم اليهود الذين آمنوا بموسى، وكفروا بعباسى ومحمد، والنصارى الذين آمنوا بعباسى وكفروا بمحمد، ويريدون أن يتخذوا بين الإيمان والكفر طريقاً أو ديناً وسطاً بينهما.

١٥١- أولئك هم الكفار الكاملون في الكفر، والكفر ثابت فيهم لا شك فيه، فهو كفر حقيقي، وأعدنا

وهيأتنا للكافرين عذاباً فيه ذل وخزي وإهانة.

١٥٢- والذين صدقوا بالله ورسله جميعاً، ولم يفرقوا بين واحد وآخر، بل آمنوا بهم جميعاً، فهم الذين يعطيهم الله ثواب أعمالهم الكامل، وكان الله كثير المغفرة لذنوبهم، رحيماً بهم.

١٥٣- يسألك يا رسول الله أحبار اليهود، سؤال تعنت وعتاد أن تنزل عليهم كتاباً جملة، خاصاً بهم، من السماء، لإثبات ادعائك النبوة، ولقد طلب أسلافهم من موسى عليه السلام أعظم من ذلك، فقالوا له: أرنا الله عياناً، فأخذتهم الصاعقة: نار نزلت عليهم من السماء، فأهلكتهم، بسبب ظلمهم، أي تعنتهم في السؤال برؤية الله عياناً في الدنيا، ثم اتخذوا العجل إلهاً، وعبده من دون الله، والعطف به ثم للتطاول في الجريئة، لا للترتيب الزمني؛ لأن اتخاذ العجل كان من قبل طلب الرؤية، وكان كل ذلك من بعد مجيء المعجزات والأدلة الواضحة على وحدانية الله ونبوة موسى كاليد والعصا وقلع البحر، فعفونا عما بدر منهم من طلب الرؤية وعبادة العجل، وقبلنا توبتهم، وأعطينا موسى حجة بيته، وسلطة ظاهرة قوية، فأخضعناهم له مع شدة تمردهم، وسميت الحجة سلطاناً؛ لأن من جاء بها قهر خصمه. نزلت في اليهود، قالوا للنبي ﷺ: إن كنت نبياً، فأتنا بكتاب جملة من السماء، كما أتى به موسى، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٥٤- ولما امتنع اليهود من شريعة موسى، رفع الله فوق رؤوسهم جبل الطور مثل المظلة، وأمرناهم بدخول باب مدينة بيت المقدس ساجدين خاشعين، حين أذن الله لهم بافتتاحها بعد موسى عليه السلام، وقلنا لهم: لا تعتدوا على حرمة العبادة يوم السبت، بالصيد أو بأخذ ما أمرتم بتركه من الأسماك، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً على العمل بالنبوة.

لَآتَىٰ اللَّهُ أَجْرَهُم بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَن ظَلَمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيحًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾ إِنَّ تَبْدُؤَ خَيْرًا أَوْ تُخَفُّوهُ أَوْ تَعْفُوا عَنْ سُوءِهِ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ عَفُوًّا قَدِيرًا ﴿١٤٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيُرِيدُونَ أَن يُفَرِّقُوا بَيْنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَيَقُولُونَ نُؤْمِنُ بِبَعْضٍ وَنُكْفِرُ بِبَعْضٍ وَيُرِيدُونَ أَن نَّتَّخِذَ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١٥٠﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكٰفِرُونَ حَقًّا وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿١٥١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ وَلَمْ يُفَرِّقُوا بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ أُولَٰئِكَ سَوْفَ يُؤْتِيهِمْ أَجْرَهُمُ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٥٢﴾ يَسْأَلُكَ أَهْلُ الْكِتَابِ أَن تَنزِلَ عَلَيْهِمْ كِتَابًا مِّنَ السَّمَاءِ فَقَدْ سَأَلُوا مُوسَىٰ أَكْبَرَ مِنْ ذَلِكَ فَقَالُوا أَرَأَىٰ اللَّهُ حُمْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ الصَّاعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ثُمَّ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ مِن بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَاتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ وَآتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ وَرَفَعْنَا فَوْقَهُمُ الطُّورَ بِمِثْقَلِهِمْ وَقَلْنَا لَهُمُ آدِخُوا أَبْوَابَ سَجْدَاتِكُمْ وَظَلُّوا سُبُلًا وَلَا تُعْتَدُوا فِي السَّبْتِ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِّيثَاقًا غَلِيظًا ﴿١٥٤﴾

فَمَا نَقِضَهُمْ مِّيْقَتَهُمْ وَكُفِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ وَقَلْبُهُمُ الْآلِيَاءَ
بِعَزِيْحٍ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌ بَلْ طَبَعَ اللَّهُ عَلَيْهَا بِخُرْفٍ فَلَا
يُؤْمِنُونَ إِلَّا قَلِيلاً ﴿١٥٥﴾ وَكُفِّرْهُمْ وَقُولِهِمْ عَلَى زُرْمٍ هَسْتَأْ
عَظِيْمًا ﴿١٥٦﴾ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَاتَلْنَا الْمَسِيْحَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ رَسُوْلَ
اللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَكِنْ سُبُّهُ لَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ لَنِي شَكٍّ مِّنْهُ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظُّلُمِ
وَمَا قَتَلُوهُ يَقِيْنًا ﴿١٥٧﴾ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيْزًا حَكِيْمًا
﴿١٥٨﴾ وَإِنْ مِنْ هَلِكٍ لِّكُتُبٍ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ
يَكُوْنُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا ﴿١٥٩﴾ فَيُظَلِّمُنَا لَذِيْنَ هَادُوا وَآخَرْنَا عَلَيْهِمْ
طَبِيْعَاتٍ أَحَلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَنْ سَبِيْلِ اللَّهِ كَثِيْرًا ﴿١٦٠﴾
وَأَخَذَهُمُ الرِّبَا وَقَدَّحُوْهُمُ عَنْهُ وَأَكَلَهُمْ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ
وَأَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِيْنَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيْمًا ﴿١٦١﴾ لَكِنِ الرَّاسِخُوْنَ
فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُوْنَ وَالْمُؤْمِنَاتُ مِمَّا أَنْزَلَ إِلَيْكَ وَمَا
أَنْزَلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيْمِيْنَ الصَّلَاةِ وَالْمُؤْتُوْنَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُوْنَ
بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيْمًا ﴿١٦٢﴾

١٥٥ - فبسبب نقضهم العهد مع الله للعمل بما في التوراة لعناهم، وكذا بسبب كفرهم بآيات الله المنزلة، وقتلهم الأنبياء ظلماً وعدواناً كيحسى وذكربيا وغيرهما، وقولهم للأنبياء: قلوبنا مغطاة بالغلاف، أي بالأغشية والأغطية، فلا تفقه ما تقول، والواقع ليس الأمر أو عدم قبولهم للحق كما يقولون: إن قلوبهم مغلقة، بل بسبب ختم الله على قلوبهم، فأصبحت محجوبة عن قبول الإيمان عقاباً لهم، فلا يؤمنون إلا إيماناً قليلاً بسبب عدم استجابتهم لأمر الله، وإصرارهم على الكفر.

١٥٦ - وبسبب كفر اليهود بعبسى عليه السلام، واتهامهم السيدة مريم بالزنا مع يوسف النجار زوراً وبهتاناً، أي كذباً يبهت العقول أي يحيرها.

١٥٧ - وبسبب قولهم كذباً: إنا قتلنا المسيح رسول الله، افتخاراً بقتله، وذكروا وصف الرسالة استهزاء، والواقع أنهم لم يقتلوه ولم يصلبوه، كما زعموا، ولكن النبي شبهه على رجل آخر، فظنوا أنهم قتلوه. وإن الذين اختلفوا في شأن قتله في تردد وشك من قتله، فقال بعضهم: هو، ونفى غيرهم ذلك، ليس لهم علم متيقن أنه هو أم غيره، لكنهم يتبعون الظن فهم مترددون، وما قتلوه ييقين، أي أن القتل متف يقيناً.

١٥٨ - بل أكرمه الله وتوفاه، ورفع منزلته إلى السماء كما فعل بإدريس، وكان الله قوياً في ملكه، حكيماً في صنعه وتدييره.

١٥٩ - وما (أي ليس) من أحد من أهل الكتاب يهودي أو نصراني إلا ليؤمنن عبسى على الوجه الصحيح، وهو أنه رسول بشر لا إله، قبل الإشراف على الموت، ويوم القيامة يكون عبسى شاهداً على من صدقه ومن كذبه، يشهد على اليهود بالكذب له، وعلى النصارى بالمغالاة فيه، حتى قالوا: إنه إله أو ابن الله.

١٦٠ - بسبب ظلم عظيم وكفر بالله وبموسى من اليهود، وارتكاب الذنوب المذكورة في الآيات السابقة، حرماً عليهم طبيعات أحلت لهم، ذكرت في سورة الأنعام [١٤٦/٦]: ﴿هو على الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر﴾. ويمنعهم عن الإيمان برسالة محمد ﷺ كثيراً من الناس، وتحريفهم وقتلهم الأنبياء.

١٦١ - وأخذهم الربا في معاملاتهم، وقد حرمه الله عليهم في التوراة، وأكلهم بالباطل (بغير حق مشروع) أموال الناس، كالرشوة ونهب أموال المصريين، وأعدنا وهياتنا للكفار منهم عذاباً مؤلماً في نار جهنم.

١٦٢ - لكن المتصلعون الثابتون في العلم بالكتاب منهم (أي من اليهود) والمؤمنون من أهل الكتاب أو من المسلمين، يؤمنون بما أنزل إليك من القرآن، وما أنزل سابقاً من الكتب السماوية، والمقيم الصلاة في أوقاتها، والدافعو الزكاة لمستحقيها، والمؤمنون بالله إلهاً واحداً وبالأخرة (وهم مؤمنو أهل الكتاب والمسلمون الأولون) أولئك سنعطيهم ثواباً عظيماً وهو الجنة، على إيمانهم وطاعتهم لله تعالى.



﴿ إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ
 وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ
 وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُدَ
 زَبُورًا ﴿١٦٦﴾ وَرُسُلًا قَدْ قَصَصْنَاهُمْ عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَرُسُلًا
 لَوْ نَقُصُّهُمْ عَلَيْكَ وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَى تَكْلِيمًا ﴿١٦٧﴾ رُسُلًا
 مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ
 بَعْدَ أَرْسَالِنَا كَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٦٨﴾ لَكِنَّ اللَّهَ يَشْهَدُ
 بِمَا أَنْزَلَ إِلَيْكَ أَنْزَلَهُ بِعِلْمِهِ وَالْمَلَائِكَةُ يَشْهَدُونَ
 وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿١٦٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا ضَلَالًا عَظِيمًا ﴿١٧٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَظَلَمُوا
 لَئِنْ كُنَّ لِلَّهِ بَغْفِرَةٌ لَمْ يَغْفِرْ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٧١﴾ إِلَّا
 طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا
 ﴿١٧٢﴾ تَبَاتُهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمُ الرَّسُولُ بِالْحَقِّ مِنْ رَبِّكُمْ
 فَتَأْمَنُوا خَيْرًا لَكُمْ وَإِن تَكْفُرُوا فَإِنَّ لِلَّهِ مَا فِي
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١٧٣﴾

١٦٣- إنا أوحينا إليك القرآن أيها الرسول، كما
 أوحينا إلى نوح، لكونه أول رسول صاحب تشريع،
 والأنبياء بعده، وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل
 وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) والأسباط (ذرية أو
 أولاد يعقوب الاثني عشر) الأنبياء، وعيسى وأيوب
 ويونس وهارون وسليمان، وآتيناه والده داود الزبور:
 وهو كتاب إلهي يشتمل على مواظ وحكم.

١٦٤- وأرسلنا رسلاً آخرين، قصصنا أخبارهم
 عليك أيها الرسول؛ من قبل نزول هذه الآيات،
 ورسلاً لم نخبرك عنهم، وكلم الله موسى تكليماً
 خاصاً به، بلا وساطة ملك الوحي: وهو جبريل عليه
 السلام. والأنبياء كما روى أبو ذر: مئة ألف وأربعة
 وعشرون ألفاً، والرسول: ثلاث مئة وثلاثة عشر،
 كلمهم الله تعالى عن طريق جبريل.

١٦٥- وأرسلنا رسلاً مبشرين بالشواب لمن أطاع،
 ومنذرين بالعقاب لمن عصى، لئلا يحتج الناس على
 ترك الإيمان والطاعة بعدم إرسال الرسل، وكان الله
 قوياً قاهراً منتقماً من كفره، حكيماً في إرسال
 الرسل. قال ابن مسعود في حديث: «... ولا أحد
 أحب إليه العذر من الله، من أجل ذلك بعث الله النبيين
 مبشرين ومنذرين» .

١٦٦- لكن الله يشهد بما أنزل إليك من القرآن،
 أنزله يعلم منه لا يعلمه غيره، من كونك أهلاً للنبوة والقرآن، والملائكة يشهدون بأنك رسول الله، وكفى بالله شاهداً
 على ذلك، فشهادته وحده تكفي. نزلت حينما قال المشركون: نحن لا نشهد لك بالوحي إليك، وقال
 بعض اليهود: ما نعلم يا محمد أن الله أرسل إليك، ولا أنزل عليك شيئاً. وحكى القرآن قول اليهود:
 ﴿ ما أنزل الله على بشر من شيء ﴾ [الأنعام ٦ / ٩١]. قال الكلبي: إن رؤساء أهل مكة أتوا رسول الله
 ﷺ فقالوا: سألنا عنك اليهود، فزعموا أنهم لا يعرفونك، فأتنا بمن يشهد لك أن الله بعثك إلينا رسلاً،
 فنزلت هذه الآية: ﴿ لكن الله يشهد ﴾ .

١٦٧- إن الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا عن الدخول في الإسلام، قد انحرفوا بشدة عن طريق الحق
 والهدى؛ لأنهم مع كفرهم منعوا غيرهم عن الحق.

١٦٨- إن الذين كفروا بالله، وظلموا أنفسهم بكفرهم وغيرهم بصددهم عن السبيل، لا يغفر الله ذنوبهم ما داموا
 كفاراً، ولا يهديهم طريقاً رشيداً ينجيهم من العذاب، أي لا يوصلهم إلا إلى جهنم.

١٦٩- إلا طريق جهنم لسوء اختيارهم، خالدين فيها مخلوداً دائماً لا نهاية له، وكان تخليدهم وعذابهم يسيراً
 هيناً على الله تعالى.

١٧٠- يا أيها الناس قاطبة قد جاءكم الرسول محمد ﷺ بالدين الحق المنزَّل إليه من ربكم، فأمنوا برسالته، يكن
 الإيمان خيراً لكم من الكفر، وإن تبقوا على الكفر بالله ورسوله، فإله جميع ما في السموات والأرض ملكاً
 وخالقاً، لا يضره كفركم، وهو قادر على جزائكم بسوء أفعالكم، وكان الله عليماً بخلقه، حكيماً في صنعه
 وتدبيره.

١٧١- يا أهل الكتاب لا تتجاوزوا الحدود في التدين فيظعن بعضكم ببعضى، ويؤلهه آخرون، ولا تقولوا على الله إلا القول الحق، فلا تقولوا: عزيز ابن الله، والمسيح ابن الله، وإنما المسيح هو كلمة الله، أي وجد وكون بكلمة ﴿كن﴾ وجهها إلى مريم بوساطة جبريل، وروح منه أي سر من الله، كسائر الأرواح التي خلقها الله، وإنما أضافه إلى نفسه لتفضيل والتكريم، فأمنوا بأن الله إله واحد لا شريك له، وبأن رسله صادقون، فلا تكذبوهم ولا تتغالوا فيهم، ولا تقولوا: الألهة ثلاثة، يقول النصارى: ثلاثة أقانيم: أي اقنوم الوجود، واقنوم الحياة، واقنوم العلم، ويعبر عن الأقانيم بالأب والابن وروح القدس، انتهوا عن هذا القول بالتثليث، يكن انتهاؤكم خيراً لكم من بقائكم على الكفر، وإنما الله إله واحد لا شريك له، هو منزّه تنزيهاً عن أن يكون له ولد، له جميع السموات والأرض، وما جعلتموه ولداً أو شريكاً هو من مملوكات الله، والمملوك لا يرقى أن يكون شريكاً أو ولداً، وكفى بالله وكليلاً قائماً بجميع أمور خلقه. نزلت في طوائف من النصارى حين

قالوا: عيسى ابن الله، فأنزل الله تعالى: ﴿ لا تغلوا في دينكم .. ﴾.

١٧٢- لن يأنف المسيح عن عبوديته لله، ولن يرى ذلك عيباً، ولن يستكبر الملائكة المقربون كمجبريل وميكائيل عن أن يكونوا عباداً لله، ومن يترفع عن عبادة الله، ويأنف تكبراً من الخضوع لله، فالله سيحشر الجميع إليه في الآخرة، ويجازيهم على أعمالهم.

١٧٣- فأما الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، فيوفيهم الله ثواب أعمالهم، ويزيدهم من فضله وعطائه الذي لا حدود له، وأما الذين استكفوا وتكبروا عن عبادته، فيعذبهم ربهم عذاباً مؤلماً جزاء تكبرهم، ولا يجدون لهم أحداً من غير الله، يدفع عنهم العذاب، ولا ناصرأ ينجيهم من العقاب.

١٧٤- يا أيها الناس جميعاً قد أتاكم برهان، أي معجزات وأدلة توحيد، من الله ربكم، بما أنزله عليكم من الكتب وبما أرسله إليكم من الرسل، وأنزلنا إليكم نوراً مبيناً هو القرآن، يهتدي به الناس في ظلمات الضلال.

١٧٥- فأما الذين آمنوا بالله، واعتصموا بالله، وتمسكوا بالقرآن، فسيدخلهم الله تعالى في جنته، ويزيدهم من إحسانه على الأجر والثواب، ويوفقههم لسلوك الطريق المستقيم الذي لا عوج فيه، وهو دين الإسلام.

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
 إِنَّمَا الْمَسِيحُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ اللَّهِ وَكَلِمَتُهُ أَلْقَاهَا
 إِلَى مَرْيَمَ وَدُخِّنَتْهُ فَأَمْنُوا بِاللهِ وَرُسُلِهِ وَلَا تَقُولُوا
 ثَلَاثَةٌ سُبْحَانَ اللَّهِ إِلَهُ وَاحِدٌ سُبْحَانَ أَنْ يَكُونَ
 لَهُ وِلْدٌ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَكفى بالله وكيلاً ﴿١٧١﴾
 لَنْ يَسْتَكْبِرَ الْمَسِيحُ أَنْ يَكُونَ عَبْدَ اللهِ وَلَا الْمَلَائِكَةُ
 الْمَفْرُوعُونَ وَمَنْ يَسْتَكْبِرْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ
 فَسَحْشُرُهُ إِلَى جَمِيعَا ﴿١٧٢﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَأَمَّا
 الَّذِينَ اسْتَكْفَرُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَاباً أَلِيماً
 وَلَا يُجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللهِ وَلِيّاً وَلَا نَصِيراً ﴿١٧٣﴾
 يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ نُورٌ مِنْ رَبِّكُمْ
 وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُوراً مُبِيناً ﴿١٧٤﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا
 بِاللهِ وَاعْتَصَمُوا بِهِ فَسَيُدْخِلُهُمْ فِي رَحْمَةٍ مِنْهُ
 وَفَضْلٍ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيماً ﴿١٧٥﴾

١٧٦- يطلبون منك أيها الرسول الفتيا فيمن مات ولا والد له ولا ولد، قل الله يفتيكم في الكلالة: الورثة الحواشي غير الأصول والفروع، إن امرؤ مات ليس له ولد: ذكر أو أنثى، وليس له أيضاً والد، وهذا مفهوم ظاهر، وله أخت شقيقة أو لأب- أما الأخت لأم فإن فرضها السدس كما تقدم- فلها نصف الميراث- والأخوات مع البنات عصبية- وأخوها يرثها في جميع التركة، إذا لم يكن لها ولد، فإن كان لها ولد ذكر فلا شيء للأخ، وإن كان ولدها بنتاً فلها النصف، والباقي للأخ تعصيباً. فإن كانت الأخوات اثنتين فأكثر، فلهما ثلثا تركة الأخ، وإن كان الورثة إخوة وأخوات، ذكوراً وإناثاً، فللذكر منهم ضعف الأنثى فيما يأخذونه تعصيباً، يبين الله لكم حكم الكلالة لثلاثاً تفضلوا عن الحق، والله عليم بكل شيء فيه الخير لعباده. قال جابر: نزلت آية الكلالة في، حينما مرضت، وعندى سبع أخوات، فأنزل الله: ﴿يستفتونك قل: الله يفتيكم في الكلالة﴾ فقال لي النبي ﷺ: «يا جابر، إني لا أراك تموت في وجعك هذا، إن الله قد أنزل، فبسن الذي لأخواتك: الثلثين».

سورة المائدة

فضلها: روى أحمد وغيره عن عائشة قالت عن

المائدة: «إنها آخر سورة نزلت، فما وجدتم فيها من حلال فاستحلوه، وما وجدتم من حرام فحرموه». ومنها ما نزل في حجة الوداع وهي آية ﴿اليوم أكملت لكم دينكم...﴾ [٣]. ومنها ما نزل عام فتح مكة وهو قوله تعالى: ﴿ولا يجزئكم شأن قوم...﴾ [٢].

١- يا أيها المؤمنون أوفوا بالعقود المؤكدة التي أخذها الله على عباده، أو أخذها العباد بعضهم على بعض في عقود المعاملات الجائزة شرعاً. أحلت لكم الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم المذبوحة شرعاً) إلا ما نص الله على تحريمه في الآية التالية من الميتة ونحوها، وغير مبيحي الصيد البري، وأنتم محرمون بحج أو عمرة، أو صيد حرم مكة مطلقاً في الإحرام وغيره، إن الله يحكم ما يريد من الأحكام، لا يعترض عليه.

٢- يا أيها المؤمنون لا تبيحوا جميع مناسك الحج كالصفا والروة وغيرهما، بالإخلال بشيء منها، وهو كل ما أشعر، أي جعل علامة على الحج أو العمرة من إحرام وطواف وسعي، ولا تُحِلُّوا القتال بالشهر الحرام، والأشهر الحرم أربعة: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب، ولا تستحلوا الهدي: وهو ما يهدى إلى بيت الله تقريباً إليه من ناقة أو بقرة أو شاة، بأن تأخذوه أو تمتعوه من الوصول إلى البيت الحرام، ولا الأنعام المقلدة بالقلائد عند إهدائها لفقراء البيت، بأن تقتصبوها، وتقليدها بالقلايد لتعرف فلا يتعرض لها، ولا تمتعوا قاصدي البيت الحرام، يتتبعون الفضل (الرزق) والربح في التجارة، ورضوان الله بالعبادة، وإذا حللت من إحرامكم أبيع لكم الصيد من غير الحرم، ولا يحملنكم بغض قوم وعداوتهم، من أجل منعكم عن الحرم، عام الحديدية أن تعتدوا عليهم، وتعاونوا على فعل الخيرات وترك المنكرات، ولا تعاونوا على معصية الله وظلم الناس، وخافوا عذاب الله، إن الله شديد العقاب لمن كفر وعصى ولم يتب. نزلت حينما حاول بعض الصحابة عام الحديدية أن يصدوا بعض المشركين عن العمرة، وقالوا: نصد هؤلاء كما صدنا أصحابهم.

يَسْتَفْتُونَكَ قُلْ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنَّ أَمْرًا هَاهُنَا لَبَسَ لَكُمْ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِيحُكُمْ إِن كَانَ وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَيْنِ فَلَهُمَا الثَّلَاثَانِ بِمَا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثَيَيْنِ بَيْنَ اللَّهِ كَوْنٌ أَنَّ تَصَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٧٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أَحَلَّتْ لَكُمْ بَيْعَةَ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُبْتِغَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرِ بِحُلِيِّ الصَّيْدِ وَأَنْتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يُحْكُمُ مَا يُرِيدُ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَحْلُوا سَعَتِ بَرِّ اللَّهِ وَلَا أَلْسَهْرَ الْحَرَامِ وَلَا الْهَدْيَ وَلَا الْقَلَائِدَ وَلَا آئِينَ الْأَيْدِي الْحَرَامِ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّن رَّبِّهِمْ وَرِضْوَانًا وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا وَلَا يَجْرِمُكُمْ سِنَانُ قَوْمٍ أَن صَدَّوْكُمْ عَنِ اتِّبَاعِ الْحَرَامِ إِن تَعْتَدُوا وَنَعَاؤُهُمْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا نَعَاؤُهُمْ عَلَى الْإِسْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢﴾



حُرِّمَتْ عَلَيْكَ الْمَيْتَةُ وَالذَّمِيرُ وَالْحَتِيرُ وَمَا أَمَلَ لِقَاءِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْحَنَةُ وَالْمُؤَفَّذَةُ وَالْمُرْدِيَةُ وَالطَّلِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّحَابُ إِلَّا مَا ذَكَّبَهُ وَمَا دُبِحَ عَلَى النَّسَبِ وَأَنْ تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَمِ ذَكَرْتُمْ يَوْمَ يَسْأَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَاخْشَوْنَ الْيَوْمَ أَدَّبْتُمْ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَّتْ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمْ الْإِسْلَامَ دِينًا فَمَنْ اضْطُرَّ فِي مَخْصَصَةٍ غَيْرِ مَبْنِيَةٍ لِإِسْمٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٠٠﴾ يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أَحَلَّ لَكُمْ قُلْ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ يَعْلَمُونَهَا فَمَا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ فَاكُلُوا مِمَّا أَسْكَنَ عَلَيْكُمْ وَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٠١﴾ الْيَوْمَ أَحَلَّ لَكُمْ الطَّيْبَ وَطَعَامَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكَلْبَ حَلَّ لَكُمْ وَطَعَامَ كَلْبِكُمْ حَلَّ لَكُمْ وَالْمُخَصَّنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُخَصَّنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكَلْبَ مِنْ قَبْلِكُمْ إِذَاءَ اتَّبَعْتُمْ مِنْ أَجْرِهِمْ مِنْ مَحْصِنِينَ غَيْرِ مُسْلِمِينَ وَلَا تَخْذِلُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾ فَكُلُوا مِمَّا حَلَّلَ اللَّهُ لَكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٠٣﴾

٣- حُرِّمَ عَلَيْكُمْ تناول لحم الميتة (وهي كل حيوان مات حتف أنفه من غير ذبوح شرعي) والدم المسفوح ولحم الخنزير بجميع أجزائه، وما ذكر عليه اسم غير الله تعالى، والميتة خنقاً بنفسها أو بفعل غيرها، والميتة ضرباً بشيء ثقيل كعصا أو حجر، والساقطة من مكان عال إلى أسفل فماتت، والتي نطحها أخرى فماتت، وما افترس بعضه حيوان مفترس كذئب وغمر وضبع، إلا ما ذبحت من هذه الأشياء وهو حي لم يمض بان تحرك بعد ذبحه، وما ذبح على الحجارة التي نصبها المشركون حول الكعبة، تعظيماً لأصنامهم، وحرّم عليكم الامتقسام بالأزلام، أي طلب القسّم والنصيب، بالسهام التي توضع في جراب، ثم يقترب بها بإخراج واحد منها، والأزلام كانت ثلاثة عند العرب: كتب على أحدها: افعل، وعلى الآخر: لا تفعل، والثالث: مهمل لا شيء عليه، فيطلب معرفة الحظ في زواج أو سفر مثلاً، ويسحب سهم منها يعمل بما فيه، فإن خرج الثالث، أعيد الضرب حتى يخرج واحد من الأولين، وتحريم ذلك للدعاء بمعرفة الغيب كالكهانة. ذلك المذكور من المحرمات فسق، أي خروج عن طاعة الله، وهو أشد الكفر، اليوم يسأل الكفار من إبطال دينكم، فلا تخافوهم وخافوني ولا تخالفوا أمري، ونهبي، اليوم أكملت لكم أحكام دينكم من الحلال والحرام وأتممت عليكم نعمتي بالنصر وقهر الكفار، واخترت لكم الإسلام ديناً، فمن أجهته الضرورة لتناول شيء من هذه المحرمات، في مجاعة، غير مائل للذنب، ولا قاصد لمعضية، فالله كثير المغفرة له، رحيم به، لا يؤاخذة. نزلت آية ﴿اليوم أكملت...﴾ يوم الجمعة، وكان يوم عرفة، بعد العصر، في حجة الوداع، سنة عشر، والنبي ﷺ بعرفات على ناقته العضباء (أي اسم ناقته). قال يهودي: لو نزلت هذه علينا في يوم لاتخذناه عيداً، فقال ابن عباس: فإنها نزلت في عيدين اتفاقاً في يوم واحد: يوم الجمعة، وافق ذلك يوم عرفة.

٤- يسألونك أيها النبي: ماذا أحل لهم من المأكول؟ قل: أحل لكم كل ما تستطيعه النفس ولم يحرمه الشرع، وصيد ما علمتم من جوارح الطير، كالصقر والعقاب، والسباع، كالكلاب والفهود، معلّمي الكلاب وسائر الجوارح كيفية الاضطهاد بأن تمسك الصيد أو تجرحه دون أن تأكل منه ثلاث مرات، تدريونهن على ما علمكم الله من آداب الصيد وحيله، فكلوا مما أمسكت عليكم من الصيد، بأن لم تأكل منه شيئاً، فإن أكلت منه، فإنما أمسكتك على نفسها، فلا يحل، واذكروا اسم الله على الجراح عند إرساله للصيد، واتقوا الله بالالتزام ما أمر به، واجتنب ما نهى عنه، إن الله سريع الحساب، أي سريع إتيانه، إذ يوم القيامة قريب. قال أبو وافع: أمرني رسول الله ﷺ بقتل الكلاب، فقال الناس: يا رسول الله، ما أحل لنا من هذه الأمة التي أمرت بقتلها؟ فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٥- اليوم أحل لكم أيها المؤمنون كل ما تستطيعه النفس ولا يحرمه الشرع من المأكول، وذبائح اليهود والنصارى إذا لم نسمعهم يذكرون اسم غير الله، وطعام المسلمين حلال لأهل الكتاب، ومن الحلال: النساء الحرائر العفاف المومنات والكتابات، قاصدين إحصان أنفسكم بالزواج منهن، غير مجاهرين بالزنى، ولا متخذين صدقات للزنى بهن سراً، ومن يكفر بالله ويرساله نبيه محمد، فقد بطل عمله الصالح، وكان من الخاسرين في الآخرة إذا مات كافراً.

٦- يا أيها المؤمنون إذا أردتم القيام للصلاة فتوضؤوا حال الحدث، فاغسلوا وجوهكم بالماء، والوجه: من أعلى متابت الشعر إلى أسفل الذقن طولاً، وما بين الأذنين عرضاً، واغسلوا أيديكم إلى المرافق، والمرق: المفصل الذي بين الساعد والعضد، وامسحوا رؤوسكم أو بعضها بالماء، واغسلوا أقدامكم مع الكعبين: وهما العظمان الناتان في أسفل عظم الساق، وإن كنتم جنباً بسبب الجماع أو إنزال النبي، فاغتسلوا بالماء، وإن كنتم مرضى بمرض يمنع من استعمال الماء، أو مسافرين، أو قضيتم حاجتكم بالبول أو الغائط، أو جامعتم النساء، أو لمستم النساء عند الشافعية، فلم تجدوا ماء، فاقصدوا ما على وجه الأرض من تراب وغيره، حال كونه طاهراً غير نجس، فامسحوا بالتراب الوجه واليدين بضربتين: إحداهما للوجه والأخرى للذراعين، أو للكفين عند المالكية والحنابلة، ما يريد الله بطهارة الماء أو التراب إيقاعكم في المشقة، ولكن يريد تطهيركم من الذنوب، وإتمام نعمته عليكم بتشريع أحكام الإسلام، ومنها رخصة التيمم عند فقد الماء، لكي

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ وَإِنْ كُنْتُمْ جُنُبًا فَاطَّهَّرُوا وَإِنْ كُنْتُمْ مَرْضَى أَوْ عَلَى سَفَرٍ أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ الْغَائِطِ أَوْ لَمَسْتُمُ النِّسَاءَ فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَرَجٍ وَلَكِنْ يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُنِيعَ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٦﴾ وَأَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمِيقَاتِ الَّذِي أَنْفَقْتُمْ بِهِ إِذْ قُلْتُمْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأَتَقْنَا اللَّهَ إِنْ اللَّهُ عَلَيْهِ بَدَاتِ الصُّدُورِ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا قَوَّامِينَ لِلَّهِ هَذِهِ بِالْقِسْطِ وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَاانُ قَوْمٍ عَلَىٰ الْآلِ عَدِلُوا أُعَدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنْ اللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾ وَعَدَلُوهُ الَّذِي آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٩﴾

تشكروا نعمة الله عليكم، ويشيكم على الشكر.

٧- واذكروا نعمة الله عليكم بالهداية للإسلام، وتذكروا عهده الذي عاهدكم عليه، أي أمركم به، بوساطة رسوله ﷺ حين قلتم للنبي في البيعة على الإسلام: سمعنا قولك وأطعنا أمرك، واتقوا الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، إن الله عليم بخفيات الصدور كالنيات والأحقاد.

٨- يا أيها المؤمنون كونوا قائمين أتم قيام بكل ما عوهدتم عليه، معظمين الله ومخلصين له في ذلك، وكونوا شهوداً بالعدل من غير محاباة لأحد، ولا يحملنكم بغض قوم على ترك العدل فيهم، وكنتم الشهادة التي تنفعهم، اعدلوا مع جميع الناس، فالعدل أقرب لأن تتقوا الله، أو لأن تتقوا النار، واتقوا الله بالتزام شرائعه، إن الله مطلع على جميع أعمالكم ومجازيكم عليها.

٩- وعد الله وعداً جازماً حسناً المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال بالتزام الفرائض والطاعات، بستر ذنوبهم، وبالثواب العظيم وهو الجنة. ثم عقب تعالى في الآية بعدها بذكر حال الكفار ليين الفرق.

١٠- والذين جحدوا وجود الله ووجدانيته، وكذبوا بالآيات المنزلة على الرسل الكرام، أولئك لا غيرهم أصحاب النار خالدين فيها.

١١- يا أيها المؤمنون تذكروا نعمة الله عليكم حين عزم قوم: هم كفار قريش ويهود بني النضير على قتل النبي ﷺ ومن معه من أصحابه، غدرا، فأحبط مكيدتهم ودفع أذاهم عنكم، وخافوا الله بامتثال تشريعاته، وليفوض المؤمنون أمورهم إلى الله، فهو حافظهم من سوء. قال ابن عباس: إن بني النضير هموا أن يطرحوا حجرا على النبي ﷺ ومن معه، فجاء جبريل، فأخبره بما هموا به، فقام ومن معه، فنزلت هذه الآية. وهذا رأي الجمهور. وقال جماعة فيما رواه جابر: سبب الآية فعل الأعرابي (غوث بن الحارث) في غزوة ذات الرقاع لبني محارب، وذلك أن النبي ﷺ نزل منزلا، فتفرق الناس في العضاء (الشجر البري) يستظلون تحتها، فعلق النبي ﷺ سلاحه بشجرة، فجاء أعرابي إلى سيفه، فأخذه فسأله، ثم أقبل على رسول الله ﷺ فقال: من يمنعك مني؟ قال: الله،

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ
الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَتَ
اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ هُمْ قَوْمٌ يَعْتَدُونَ لِيُكْفِرُوا بَأْيْدِهِمُ
فَكَفَّتْ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ
الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ اثْنَيْ عَشَرَ نَقِيبًا وَقَالَ اللَّهُ إِنِّي مَعَكُمْ
لَئِنْ أَقَمْتُمُ الصَّلَاةَ وَآتَيْتُمُ الزَّكَاةَ وَآمَنْتُمْ بِرُسُلِي
وَعَضَرْتُمْ وُعُوهُمْ وَأَفْرَضْتُمُ اللَّهَ فَرَضًا خَسِرًا لَّا كُفْرًا
عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَلَا دَخَلْتُمْكُمْ جَنَّتْ تَجْرِي
مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ مِنكُمْ فَقَدْ
ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴿١٢﴾ فَمَا نَقِضَهُمْ مِيثَاقَهُمْ
لَعْنَتُهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَلَسِيَةً يُخْرِفُونَ كَلِمًا
عَن مَوَاضِعِهِمْ وَنَسُوا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ وَلَا تَزَالُ
تَطَّلُعُ عَلَى حَايَتِهِنَّ مِنَ الْآيَاتِ لَمْ يُنْهَرْ فَأَعْفُ
عَنْهُنَّ وَأَصْفَحْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣﴾

وقال الأعرابي قوله مرتين أو ثلاثاً، والنبي يقول: الله، فشام (أغمد) الأعرابي السيف، فدعا النبي ﷺ أصحابه، فأخبرهم بصنيع الأعرابي، وهو جالس إلى جنبه لم يعاقبه.

١٢- لقد أخذ الله العهد المؤكد على بني إسرائيل بالوفاء فيما أمرهم به في هذه الآية، وأرسلنا منهم اثني عشر نقيباً ليعلموهم الوفاء بالعهد، وهم زعماء أسباطهم أو قاداتهم، وقال الله لهم: إنني معكم بالنصر والتأييد، لئن أدبتم الصلاة على الوجه الأكمل، وآتيتم الزكاة المفروضة عليكم، وصدقتم برسلي جميعاً، ونصرتموهم وحميتموهم من عدوهم، وأنفقتم في سبيل الله ووجوه الخير ابتغاء رضوانه، لأمحون عنكم ذنوبكم، ولأدخلنكم في الآخرة جنات الخلد، فمن كفر بعد ذلك منكم بعد هذا الميثاق، فقد أخطأ، وخرج عن الطريق الموصل إلى رضوان الله والنجاة. وهكذا فعل النبي ﷺ مع الأوس والخزرج في بيعة العقبة قبل الهجرة إلى المدينة، عاهدهم بمثل ذلك وجعل عليهم اثني عشر نقيباً، والنقيب: كبير القوم.

١٣- فيسبب نقضهم ميثاقهم، طردناهم من رحمتنا، وجعلنا قلوبهم صلبة لا تلين لموعظة، ولا تعي خيراً، يتأولون ويبدلون التوراة على غير ما أنزلت، وتركوا نصيباً أو بعضاً مما ذكروا به من الميثاق والأوامر الدينية، ولا تزال أيها الرسول تتعرف على خيانتهم وكذبهم، إلا نفرأ قليلاً منهم ممن آمنوا برسالتك، فتجاوز عن سيئاتهم، واصفح عن أخطائهم وأترك قتالهم، إن الله يحب، أي ييبس من أحسن وعفا وغفر. ثم نسخ ذلك بآية التوبة [٢٩/٩]: ﴿قاتلوا الذين...﴾.



١٤- وأخذنا أيضاً العهد المؤكد على النصارى بطاعة الله واتباع رسله، كميثاق بني إسرائيل، فتركوا أو أهملوا نصيباً أو جزءاً وافراً من الميثاق المأخوذ عليهم، والأحكام الشرعية، فهي جنا وأوقنا العداوة والبغضاء بين اليهود والنصارى، أو بين النصارى خاصة، فصاروا فرقاً وطوائف متناحرة، ومذاهب متنافرة، وكفر بعضهم بعضاً، ولا يزالون منقسمين متعادين إلى يوم القيامة، وسوف يخبرهم الله بسوء صنيعهم، وسيلقون جزاء نقض الميثاق.

١٥- يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يوضح لكم كثيراً مما تخفون من الكتاب المنزل عليكم، وهو التوراة والإنجيل، ويعفو عن كثير مما نكتمونه، كآية الرجم، ومسخ أصحاب السبت قردة، قد جاءكم من الله نور هو القرآن أو الإسلام أو محمد ﷺ ينير لكم طريق الحق والهداية، وقرآن مبين (عطف تفسير).

١٦- يهدي الله بهذا القرآن، من اتبع في عمله ما يرضي الله، طرق السلامة والنجاة من مخاوف الدنيا والآخرة، ويخرجهم من ظلمات الكفر والجهل إلى نور الإيمان والعلم، بإرادته وتوفيقه، ويُرشدهم إلى طريق قويم، هو الإسلام. ذكر ذلك ثانياً لبيان أن طريق السلام أو الإسلام مستقيم.

١٧- لقد صاروا كفاراً الذين قالوا: إن الله هو المسيح ابن مريم، قل لهم أيها الرسول: فمن يقدر أن يرد من أمر الله شيئاً، إن أراد إهلاك المسيح وأمه وجميع من في الأرض، ولو كان المسيح إلهاً، كما يزعم النصارى، لقد ر على أن يدفع عن نفسه الهلاك أو الموت عند نزوله به أو بأمه، فإذا عجز عن ذلك، فهو أعجز عن أن يدفع عنكم شيئاً من أمر الله، والله ملك جميع السموات والأرض وما بينهما، يخلق (يبدع) ما يشاء، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر من الأمور.

١٨- وقالت اليهود والنصارى: نحن أبناء الله وأحباؤه، كما قالت اليهود عن عزيز: إنه ابن الله، والنصارى عن المسيح: إنه ابن الله، فلا يعذبنا، وتلك دعاوى باطلة، قل لهم أيها الرسول: إن صدقتم في ادعائكم: فلم يعذبكم في الدنيا بذنوبكم بالقتل والمسخ، وبالتالي في الآخرة، كما تعترفون بذلك؟! فإن الحبيب لا يعذب محبوبه، وأنتم تعذبون، بل أنتم بشر من جنس خلقه كسائر عباده، يغفر لمن يشاء ذنبه بفضله، ويعذب من يشاء تعذيبه بعدله، والله ملك السموات والأرض وما بينهما، يتصرف في ملكه كيفما يشاء، وإليه المرجع والمآب يوم القيامة، يجازي كل واحد بحسب عمله.

وَمِنَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَرْنَا أَخَذْنَا مِنْهُمْ فَيْسُوًا حَظًّا مِمَّا ذُكِّرُوا بِهِ فَأَعْرَبْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَسَوْفَ يَنْتَهُمُ اللَّهُ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٤﴾ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١٦﴾ لَقَدْ ذَكَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ قُلْ فَمَن يَمْلِكُ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ أَنْ يُهْلِكَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ مِن فِى الْأَرْضِ جَمِيعًا وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ وَالنَّصَارَى نَحْنُ أَبْنَاءُ اللَّهِ وَأَحِبُّونَهُمْ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُمْ بِذُنُوبِكُمْ بَلْ أَنْتُمْ بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ يَغْفِر لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَى قُرَّةِ عَيْنٍ أَن تَقُولُوا مَا جَاءَنَا مِن بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ١٩ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ يُقَوْمِ بَعَثُوا لِي آيَاتٍ فَتَعْلَمُونَ أَنِّي أَخَذْتُ مِنَ اللَّهِ مِيثَاقَ الَّذِينَ نَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ التَّوْرَةَ أَن تَحْمِلُوا فِي يَوْمِ الْكَلْبِ ثِقَاتٍ ثَلَاثِينَ رَجُلًا وَمِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَبَدَّلَ لَكُمْ مِنْ قَوْمٍ آخَرِينَ فَآتَاكُمْ أُخْرَىٰ وَأَن لَّا يَتَّخِذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا آيَاتِنَا مَثَلًا عِندَ رَبِّكَ فَتَعْلَمُونَ ٢٠

١٩- يا أيها اليهود والنصارى قد جاءكم رسولنا محمد ﷺ يوضح لكم الدين الحق على انقطاع وجود أحد من الرسل، وكانت المدة الزمنية بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام ٦١١ سنة حيث بعث محمد، كيلا تقولوا يوم الحساب معتذرين عن نفي ربكم: ما جاءنا مبشر بالجنة ومنذر من النار، فلا تعتذروا، فقد جاءكم بشير ونذير، وهو محمد ﷺ الذي ولد سنة ٥٧١ م عام الفيل، والله قادر على كل شيء وعلى بعثة رسول وقت الحاجة إليه، فهو المتقد، لا رب غيره.

٢٠- واذكر أيها النبي حين قال موسى لقومه: تذكروا واشكروا نعمه الله عليكم، حين بعث فيكم أنبياء كثيرين، وجعلكم كالمملوك مستقلين عن الغير في الحرية، بعد أن كنتم مملوكين مستعبدين لفرعون، أو جعل منكم ملوكاً، أي لكم بيوت وزوجات وخدم، وأعطاكم ما لم يعط غيركم من النعم الكثيرة كالمال والسلوى وتظليل الغمام وانفجار الماء من الحجر، وكثرة الأنبياء.

٢١- وقال موسى أيضاً: يا قوم ادخلوا فلسطين الأرض المطهرة من الوثنية، لكثرة ما بعث فيها من الأنبياء، التي قدر الله لكم دخولها في سابق علمه، ما دمتم صالحين بالإيمان والطاعة، فإذا فسدتم طردتم منها، ولا ترجعوا -مدبرين منهزمين- عن أمري وطاعتي بقتال الجبارين، فتعودوا خاسرين لخير الدنيا وثواب الآخرة.

٢٢- قال الإسرائيليون: يا موسى، إن في هذه الأرض المقدسة قوماً أشداء البطش والقوة، وهم الكنعانيون أو العماليق، والجبار: العاتي الذي يجبر الناس على ما يريد، ولن ندخلها حتى يخرجوا منها، ويسلموها لنا صلحاً من غير قتال، فإن خرجوا منها فإننا داخلون إليها.

٢٣- قال لهم رجلان يخافان الله تعالى، هما يوشع وكالب بن يوفنا من التقياء الاثني عشر، أنعم الله عليهما بالإيمان والثقة بوعده الله لهم بالنصر: ادخلوا عليهم باب المدينة (بلد الجبارين) وأرهبوه، فإذا دخلتموه بغتة (أو على حين غرة) فأنتم منتصرون بإذن الله، قالا ذلك ثقة بوعده تعالى.

٢٤- قال الإسرائيليون: يا موسى، إننا لن ندخل مدينة الجبارين أبداً، ما داموا مقيمين فيها، وكان هذا القول منهم فشلاً وجبناً، فذهب أنت وربك وخدمك، فقاتلا الأعداء، إننا هنا قاعدون، لا نبرح المكان. وكان هذا القول جهلاً بالله وبصافته، وكفراً به وبرسوله.

٢٥- قال موسى حيثئذ: رب لا أملك إلا نفسي وأخي هارون، لنصرة دينك، فاحكم بيننا وبين الفسقة، أي الخارجين عن طاعتك.



٢٦- قال الله تعالى: فإن الأرض المقدسة محرمة على هؤلاء الإسرائيليين العصاة، بسبب امتناعهم من قتال الجبارين، أن يدخلوها مدة أربعين سنة، يتيهون في صحراء التيه: أرض سيناء، يتحiron ولا يهتدون إلى طريق الخروج منها، وكان معهما موسى وهارون اللذان ماتا في التيه، ولما مضت الأربعون سنة نهض بهم يوشع بن نون، ودخل بالجيل الجديد فلسطين، فلا تحزن يا موسى على تعذيب القوم الخارجين عن طاعة الله تعالى.

٢٧- واقتصر أيها النبي على قومك خبير قاييل وهاييل، كما حصل حقيقة، حين قرب كل منهما قربانا: وهو ما يتقرب إلى الله تعالى من ذبائح وصدقات وغيرها، فتقبل الله قربان هاييل، وكان كبشاً لأنه كان راعي غنم، واختارها من أجود غنمه، ولم يتقبل الله قربان قاييل، وكان حزمة سنبل؛ لأنه كان مزارعاً، واختارها من أردأ زرعه، فغضب على أخيه، وقال له غيره وحسداً: لأقتلك، لأنه تقبل الله قربانه، قال هاييل: إنما يتقبل الله من أهل التقوى الذين يخشون الله ويلتزمون بأوامره، كأنه قال: بسبب عدم تقواك.

٢٨- لئن قصدت قتلي ظلماً وعدواناً، فلن أقصد قتلك، وهذا إشار وتضحية بالنفس منعاً من ظلم الآخرين، إني أخاف عقاب الله بالاعتداء عليك.

وهذا في شريعة آدم، أما في شرعنا فيجوز الدفاع عن النفس، بل أوجه بعضهم؛ لأنه نهي عن المنكر. والأولى في حال الفتنة والشبهة ترك الدفع.

٢٩- إني أريد أن ترجع إلى ربك، حاملاً إثم (ذنب) قتلي وذنبك الأصلي الذي هو السبب في عدم قبول قربانك.

٣٠- فزيتت أو سهلت له نفسه قتل أخيه هاييل، فقتله ظلماً وحسداً، فأصبح قاييل من الخاسرين في الآخرة، لقتله أخاه، فيعذب بشطر عذاب أهل النار، وبالشطر الآخر لتحمله جزءاً من جرائم القتل الواقعة على الناس؛ لأنه أول من سن القتل.

٣١- حار قاييل فيما يفعل بجثة أخيه، وكيف يواريه، لكونه أول ميت مات من بني آدم، فأرسل الله غرابين فاقتتلا، وقتل أحدهما الآخر، فحفر له ثم حثا عليه التراب، ليعلمه الله كيف يستر جثة أخيه التي يسوؤه أن يراها بارزة، فقال قاييل: يا وليتي، وهي كلمة تحسر عند وقوع ما يؤلم، أعجزت عن أن أكون مثل هذا الغراب، فأواري جثة أخي، فواراه بدفته في التراب، وأصبح نادماً على قتله.

٣٢- من أجل وقوع هذه الجريمة العدوانية، حكمتنا على بني إسرائيل أي والناس كافة: أنه من قتل نفساً عمداً عدواناً، بغير قتل نفس يوجب قصاصاً، أو قتلها بغير فساد في الأرض، كالردة وقطع الطريق وسفك الدماء ظلماً، فكأنما قتل جميع الناس، فاستحق جهنم وغضب الله ولعنته، ومن أنقذها من غرق أو حرق أو هدم أو عفا عمن وجب قتله، فكأنما أحيى جميع الناس وأنقذهم من الهلاك، فاستحق شكرهم، ولقد جاءتهم رسلنا ببيئات الشرائع والأحكام، ثم إن كثيراً من بين إسرائيل بعد ذلك لمسرفون في الأرض، بارتكاب المعاصي ومخالفة أوامر الله، وقتل الأنبياء.

قَالَ فَإِنَّا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ وَأَلْعَلِّمْ نَبِيَّ أَنْبَىٰ آدَمَ بِالْحَيٰةِ إِذْ قَرَّبْنَا قُرْبٰنًا فَتَقَبَّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَوْ يُتَقَبَّلُ مِنَ الْآخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللَّهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِن بَسَطْتَ إِلَيْنَا يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي مَا أَنَا بِبَاسِطِ يَدَيْ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَبْرِأَ بِأَيِّهِ وَإِثْمِكَ فَكُونْ مِنَ أَصْحَابِ النَّارِ وَذٰلِكَ جَزَاؤُ الظَّالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَتَتَلَّهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ فَبَعَثَ اللَّهُ غُرَابًا يَبْحِثُ فِي الْأَرْضِ لِيَبْرُكَيْفَ يُؤَرِّى سَوْءَةَ أَخِيهِ قَالَ يُؤَلِّقُهَا لِي فَأَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هٰذَا الْغُرَابِ فَأُوَرِّى سَوْءَةَ أَحِيٍّ فَأَصْبَحَ مِنَ اللَّتٰدِيَةِ ﴿٣١﴾ مِنْ أَجْلِ ذٰلِكَ كَتَبْنَا عَلَىٰ نَبِيِّ إِسْرٰءِيلَ أَنْ قَتِلْ نَفْسًا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِي الْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ النَّاسَ جَمِيعًا وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا وَلَقَدْ جَاءَهُمْ نَهْيٌ رَّسَلْنَا بِآلِئِنَّبِئَتْ سُمْ إِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ بَعْدَ ذٰلِكَ فِي الْأَرْضِ لَمُسْرِفُونَ ﴿٣٢﴾

إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا
أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خَلْفٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ
الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ جَزَاءُ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ
فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾ إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا
مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ فَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ
عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٣٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجِدْهُدُوا فِي سَبِيلِهِ
لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ
أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ
لَيَسْتَدُوا بِهِ مِنْ عَذَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَا تَقْبَلُ
مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣٦﴾ يُرِيدُونَ أَنْ يُخْرِجُوكَ
مِنَ النَّارِ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُبِينٌ
﴿٣٧﴾ وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً
بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾

٣٣- إنما جزاء الذين يحاربون أولياء الله
ورسوله، أي عباد الله، ويفسدون في الأرض
بقطع الطريق وإثارة الفتن والإخلال بالأمن
والاعتداء على الأنفس والأموال: أن يقتلوا إن
قتلوا، أو يصلبوا إن قتلوا وأخذوا المال، أو تقطع
أيديهم وأرجلهم من خلاف، بقطع اليد اليمنى من
الرسغ والرجل اليسرى من الكعب فقط، إن
أخذوا المال ولم يقتلوا، أو ينفوا من الأرض، أي
يبعدوا إلى بلد آخر إن أخافوا الناس، ولم يقتلوا
ولم يأخذوا مالاً، ذلك الجزاء لهم ذل في الدنيا،
ولهم في الآخرة عذاب شديد في النار. قال ابن
عباس والضحاك: إنها نزلت بسبب قوم من
أهل الكتاب نقضوا العهد مع الرسول ﷺ
وقطعوا الطريق، وأفسدوا في الأرض. وقال
الجمهور: نزلت في قوم من عكّل وعربنة
(وهما قبيلتان) قتلوا رعاء إبل المسلمين
واستاقوا الإبل، فبعث رسول الله ﷺ في
آثارهم، فأتى بهم، وأمر أن يفعل بهم مثلما
فعلوا بالرعاة، معاملة بالمثل. والآية هي في
الحارب المؤمن.

٣٤- إلا الذين تابوا عن المحاربة قبل القدرة عليهم، فلا يعاقبون بشيء من العقوبات المذكورة، والله يقبل
التوبة عن عباده التائبين فيما يتعلق بحقوق الله، ويجب رد حقوق العباد كالأموال إلى أصحابها.

٣٥- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بالتزام شرائعه وأحكامه، واطلبوا ما يتوصل به إلى رضاه تعالى، وهو العمل
الصالح، والوسيلة: القربة، واجهدوا لإعلاء كلمة الدين، لتفوزوا بالنجاة والجنة.

٣٦- لو يفندي الكفار بجميع ممتلكات الدنيا، وضعفها، من العذاب الأخروي، لم يقبل منهم الفداء،
ولهم عذاب مؤلم موجه.

٣٧- يريد الكفار الخروج من النار بمختلف الوسائل، فلا يخرجون منها أبداً، ولهم عذاب دائم. وهذا لا
يشمل عصاة المؤمنين.

٣٨- وحكم أي سارق: وهو أخذ أموال الآخرين خفية من حرز المثل بمقدار النصاب الشرعي وهو ربع
دينار: قطع اليد من الرسغ، ردعاً له بما ارتكب من جريمة السرقة، وعقوبة له من الله، وتعذيب شديد يكون به
عبرة لغيره، والله قوي لا يغالب، حكيم في صنعه وتدبيره. قال الكلبي: نزلت في طعمة بن أبيرق
سارق الدرغ، كما تقدم في قصته في سورة النساء [١٠٥].



٣٩- فمن تاب من السرقة، وندم على ما مضى، من بعد ارتكابها، وقبل رفعها إلى الحاكم، وأصلح عمله برد الشيء المسروق إلى صاحبه، وأصلح سائر أعماله، فإن الله يقبل توبته، إن الله كثير المغفرة لمن استغفر، رحيم بمن تاب وأناب.

٤٠- ثم نبه الله تعالى إلى علة أحكام المحاربين والصلوص بقوله: ألم تعلم أيها الرسول أن الله مالك السموات والأرض والمتصرف فيها بحكمته وعدله، يعذب من يشاء تعذيبه، ويغفر لمن يشاء المغفرة له، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء في الدنيا والآخرة.

٤١- يا أيها الرسول لا يحزنك الذين يسارعون في الوقوع في أسباب الكفر وفي الكفر عندما تسنح لهم الفرصة، من المنافقين الذين أظهروا الإيمان بالستهم، ولم تؤمن قلوبهم، فأخفوا كفرهم، ومن اليهود قوم سماعون لكذب أخبارهم المحرفين للتوراة، ويستمعون لأقوال أقوام آخرين لم يحضروا مجلسك تكبراً وعمداً، أو ينقلون

الكلام لهم، فهم جواسيس، والسماعون: كثيرو التسمع للكذب والافتراء، يبدلون كلام التوراة أو يتأولونه على وجه غير صحيح أو يخفونه، وما بدلوه: رجم الزناة، جعلوا بدله تسويد الوجه، يقولون: إن أوتيتهم من جهة محمد هذا الحكم المخالف للتوراة، وهو الجلد والتحميم مكان الرجم، فاقبلوه منه، وإن لم تؤتوه بل جاءكم بغيره، وهو الرجم، فاحذروا من قبوله والعمل به، ومن يرد الله ضلالتة بسبب انحرافه وكفره، لا تستطيع إنقاذه من الضلال، أولئك الضالون، لم يرد الله تطهير قلوبهم من الكفر والنفاق، كما طهر قلوب المؤمنين، لهم في الدنيا ذل وهوان بظهور نفاقهم وتحريفهم وكتهمهم لما أنزل الله في التوراة، ولهم في الآخرة عذاب شديد في النار. نزلت في رجل وامرأة يهوديين زنيا، وكانت اليهود جعلت تسويد الوجه بدلاً عن الرجم، فأتوا النبي ﷺ ليحكم لهم بما كانوا يحكمون، ليحتجوا بذلك عند الله، فأمر برجمهما.

٤٢- سماعون لكذب أخبارهم سماع قبول، أكلون للمال الحرام كالرشوة والربا وأجر الزنا، فإن احتكموا إليك أيها الرسول، فلك الخيار بين الحكم فيهم أو الإعراض عنهم، ثم نسخ التخيير بقوله تعالى: ﴿وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ [المائدة ٥/٤٩] وإن تعرض عن الحكم بينهم، فلا سبيل لهم عليك، ولن يقبلوا على الإضرار بك، وإن حكمت بينهم فاحكم بالعدل، إن الله يحب العادلين في الحكم ويرضى عنهم.

فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّ اللَّهَ يَتُوبُ عَلَيْهِ
 إِنَّ اللَّهَ عَفُودٌ رَحِيمٌ ﴿٣٩﴾ أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ
 وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ لَا يَحْزَنْكَ
 الَّذِينَ يَسْرِعُونَ فِي الْكُفْرِ مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا
 بِأَفْرَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِنْ قُلُوبُهُمْ وَمِنَ الَّذِينَ هَادُوا سَمَّاعُونَ
 لِلْكَذِبِ سَمَّاعُونَ لِقَوْمٍ آخَرِينَ لَوْ يَا تُوكُّمُ الْكَافِرِينَ
 مِنَ بَعْدِ مَوَاضِعِهِ يَقُولُونَ إِنْ أُوتِينَا هَذَا فَذُوهُ
 وَإِنْ لَمْ نُؤْتُوهُ فَأَحَدُوا وَمَنْ يَرِدِ اللَّهُ فِتْنَتُهُ فَلَنْ تَمْلِكَ
 لَهُمْ مِنَ اللَّهِ سَيْئًا أُولَئِكَ الَّذِينَ لَوْ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُطَهِّرَهُ
 قُلُوبَهُمْ لَمْ يَفْعَلْ فِي الدُّنْيَا آخِزُوا لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
 عَظِيمٌ ﴿٤١﴾ سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكْثَرُونَ لِلسُّخْتِ
 فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرَضْ عَنْهُمْ وَإِنْ
 تُعْرَضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرَّوْكَ سَيِّئًا وَإِنْ حَكَمْتَ
 فَاحْكُم بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٤٢﴾

وَكَيْفَ يَحْكُمُكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَةُ فِيهَا حُكْمٌ
 اللَّهُ ثُمَّ يَقُولُونَ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَمَا أَوْلَتْكَ بِالمُؤْمِنِينَ
 ﴿٤٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَا التَّوْرَةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَجْعَلُهَا
 التَّيْمُونُ الَّذِينَ اسْلَمُوا لِلَّذِينَ هَادُوا وَالرَّبَّيُّونَ
 وَالْأَجْبَارُ بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ وَكَانُوا
 عَلَيْهِ شُهَدَاءَ فَلَا تَخْشَوُا النَّاسَ وَآخَشَوْا رَبَّ وَلَا
 تَسْرُوا بِمَا يَأْتِيكُمْ قَلِيلًا وَمَنْ لَوْ يَخْتَكِمُ بِمَا أَنْزَلَ
 اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَكُنَّا عَلَيْهِمْ
 فِيهَا أَنْ النَّفْسَ بِالنَّفْسِ وَالْعَيْنَ بِالْعَيْنِ وَالْأَنْفَ بِالْأَنْفِ
 وَالْأُذُنَ بِالْأُذُنِ وَالسِّنَّ بِالسِّنِّ وَالْجُرُوحَ قِصَاصٌ مَنْ
 نَصَّدَقَ بِهِ فَمُهْرٌ كَفَّارَةٌ لَهُ وَمَنْ لَوْ يَخْتَكِمُ بِمَا
 أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٥﴾ وَقَفَّيْنَا عَلَى
 آثَرِ مَرْيَمَ بَعَثْنَا فِي نَفْسِهَا إِذْ وَجَدَتْهَا بِالْجَانِي
 وَءَايَةَ الْإِنجِيلِ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
 يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٦﴾

٤٣- وكيف يحكمونك أيها الرسول، وعندهم حكم الله الواضح في التوراة كالرجم ونحوه، ولكنهم يطمعون بفعلهم هذا مرافقة أهوائهم وتعريفاتهم، فإذا لم يوافق الحكم هواهم، أعرضوا عن حكمك بعد التحكيم، وهم في الواقع ليسوا بالمؤمنين برسالتك ولا بكتابهم.

٤٤- إنا أنزلنا التوراة على موسى فيها هدى ونور ببيان الشرائع، والإرشاد إلى سعادة الآخرة والدنيا، يحكم بالتوراة لليهود الأنبياء من بني إسرائيل كموسى ومن بعده، الذين انقادوا لأوامر الله تعالى، ويحكم بها العلماء الربانيون: أهل الورع والحكمة، والأخبار: علماء اليهود، بما جعلهم الله حفظه عليه من التوراة والعمل بها، وكانوا رقباء على التوراة يحمونها من التغيير والتبديل، فلا تخشوا الناس يا علماء اليهود، وخافوا مني، ولا تتركوا العمل بآياتي في التوراة لتأخذوا بدل ذلك عوضاً حقيراً أزالاً من متاع الدنيا مقابل كتمانها، ومن لم يحكم بما أنزل الله وحكم

يحكم آخر، فهم الكافرون، وهذا موجه لكل من ولي الحكم. نزلت في قصة رجل من اليهود وامرأة زنيا، وذهب إلى النبي ﷺ بقصد التخفيف، فسألهم عن حكم الزنى في التوراة فقالوا: التحميم (التسويد) والجلد، والتجبيه، أي التطواف بالزاني والزانية على حمار بجلسة مقلوبة، ثم أقروا بالرجم، فحكم به، وأمر بهما فرجما.

٤٥- وفرضنا على اليهود في التوراة القصاص بقتل النفس بالنفس، وفتق العين بالعين، وجدع الأنف بالأنف، وقطع الأذن بالأذن، وقلع السن بالسن، والقصاص في الجروح بأن يقتص من الجاني بمثل فعله، عند إمكان المماثلة، وإلا حكم بالتعويض، فمن عفا عن حق القصاص من الجاني، كان العفو كفاً له، يكفر الله عنه به ذنوبه، ومن لم يحكم بما أنزل الله في القصاص وغيره، فهم الظالمون ظلماً عظيماً لأنفسهم، فيعاقبون في الآخرة.

٤٦- ثم بعثنا عيسى رسولاً، متبعاً آثار أنبياء بني إسرائيل، مصدقاً لما سبقه من التوراة، وأنزلنا عليه الإنجيل مشتملاً على الهدى من الضلال، والنور من عمى الجهالة، ومصدقاً لما سبقه من التوراة وأحكامها، وهداية وموعظة للمتقين الذين يخافون الله وعذابه، وخص المتقون بالذكر؛ لأنهم المقصودون في علم الله، وإن كان الجميع يُدعى ويُوعظ. والهدى: الإرشاد لتوحيد الله وأحكامه، والنور: ما فيه مما يستضاء به.

٤٧- وليحكم أهل الإنجيل النصراني بما أنزل الله فيه من الأحكام، فإنه قبل البعثة النبوية حق، وأما بعدها فعليهم العمل بالقرآن؛ لأنه ناسخ لجميع الكتب المنزلة السابقة في فروعها، ومن لم يحكم بما أنزل الله فهم الخارجون عن طاعة الله تعالى.

٤٨- وأنزلنا إليك أيها النبي القرآن متضمناً حقائق الأمور وأنه حق في نفسه لإصلاح العباد، ومصداقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية، ورقياً مؤتمناً عليها، يقر الحق ويظهر خطأ ما حرفوه، فاحكم أيها النبي بين أهل الكتاب إذا ترفعوا إليك بما أنزل الله في القرآن، ولا تتبع في حكمك أهواء أهل الملل السابقة، فتتحرف عما جاءك من الحق الذي أنزل الله عليك؛ لأن كل ملة تهوى ما هم عليه وإن كان محرفاً، كما حدث في الرجم ونحوه مما حرفوه من التوراة، لكل أمة جعلنا شريعة تتبعها، ومنهاجاً: طريقاً واضحاً في الدين تسلكه، وهذا قبل نسخ الشرائع السابقة بالقرآن، وأما بعده فلا شرع إلا ما جاء في القرآن، فيجب على أهل الكتاب وغيرهم العمل بشريعة القرآن، ولو شاء الله لجعلكم أيها الناس أمة واحدة متفقة على شريعة واحدة، ولكن لم يشأ الله ذلك، بل أراد تنوع الشرائع في العصور والأزمان، ليختبركم باختلاف

وَلِيَحْكُمَ أَهْلَ الْإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فِيهِ وَمَنْ لَمْ يَحْكَمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيِّبًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمِثْجَالًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِي مَا آتَاكُمْ فَأَسْبَغُوا إِلْفِيَاتٍ إِلَى اللَّهِ مِنْ حُكْمِكُمْ جَمِيعًا فَبَيِّنْهُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٨﴾ وَأَنْ أَحْكَمْ بَيْنَهُمْ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ هُمْ وَأَخَذَ زَهْرَانُ بِنُصْرَتِكَ عَنْ حُضْرٍ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَأَعْلَاهُ أَسْمَاءُ يُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُصِيبَهُمْ بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنْ كَثُرَ تَرَاثُومًا لَيْسَ لِقَائِهِمْ فَسَقُونَ ﴿٤٩﴾ لَقَدْ كُنْتُمْ أَجْهَلِيَةً بِغُورِكُمْ وَمِنْ أَحْسَنٍ مِنْ اللَّهِ حُكْمًا لِقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ فَمِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥١﴾

الشرائع، وهذه هي العلة، لا اختلاف المصالح باختلاف الأزمان، فسارعوا إلى أعمال الخير والصلاح، لتفوزوا برضوان الله، إلى الله مرجعكم جميعاً أيها البشر، فيخبركم باختلافاتكم في أمور الدين، ويحاسبكم على ذلك. ٤٩- ثم كرر الأمر تحذيراً من التضليل، فقال تعالى: وأن احكم أيها النبي بين أهل الكتاب وغيرهم بما أنزل الله، ولا تتبع أهواءهم وتحريفاتهم إحقاقاً للحق وإبطالاً للباطل، واحذرهم أن يضلوك عن بعض ما أنزل الله إليك، فترك العمل به، فإن أعرضوا عن قبول حكمك بما أنزل الله عليك، فذلك لمجازاتهم ببعض ذنوبهم، وهو الإعراض عما جئت به، وإن كثيراً من الناس لخارجون عن طاعة الله تعالى. قال ابن عباس: جاء بعض علماء اليهود فقالوا: يا محمد نحن أحبار اليهود، ولو اتبعناك لاتبعت اليهود كلهم، وإن بيننا وبين أناس من قومنا خصومة، ونريد أن نتحاكم إليك، فإن قضيت لنا، أعلننا صدقك، فأبى ذلك رسول الله ﷺ، فأنزل الله تعالى فيهم: ﴿ واحذرهم ﴾.

٥٠- أيتغنون حكم الجاهلية القائم على الجور والتسلط والشهوات، ولا يقبلون بحكم الله، ولا أحسن من حكم الله لقوم يوقنون بصدق التنزيل للمحكم في القرآن، وأما غيره فهو حكم أهل الجهل والأهواء.

٥١- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا اليهود والنصارى أصدقاء تطلعونهم على أسراركم، فإنهم أعداء لكم، بعضهم أنصار بعض، تخوفاً من قوتكم واتحادكم، ومن يتخذهم أنصاراً، فقد صار منهم، لرضاه بموالاته أعداء الله، إن الله لا يوفق الظالمين لأنفسهم بموالاتهم أعداءه. نزلت في عبد الله بن أبي حينما قال: إني رجل أخاف الدوائر، ولا أبرأ من ولاية اليهود، وأما عبادة بن الصامت فقد تبرأ من ولاية اليهود، وأوى إلى الله ورسوله، فنزلت فيهما الآية.



فَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يُسْرِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَحْشَى
 أَنْ نُصِيبَنا بِأَمْرٍ يُعْسى اللهُ أَنْ يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِنْ عِنْدِهِ
 فَيُصِيبُوا عَلَيَّ ما أَسْرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ لَدِينٍ ﴿٥٢﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا أَهْلُوا الَّذِينَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ إِنَّهُمْ لَمَعَكُمْ حَبِطَتْ
 أَعْمَالُهُمْ فَأَصْبَحُوا خَاسِرِينَ ﴿٥٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ
 مِنْكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِيَ اللهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٌ عَلَى
 الْمُؤْمِنِينَ أَعْرَضَ عَلَى الْكُفْرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَخَافُونَ
 لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾
 إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ
 يُعْمَلُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴿٥٥﴾ وَمَنْ
 يَتَوَلَّ اللهُ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فَإِنَّ حَرْبَ اللهِ هُمُ الْعَالِبُونَ
 ﴿٥٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَكُمْ هُزُوعًا
 وَلِعِبَائِنَ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْكُفْبَ مِنْ قَبْلِكُمْ وَالْكَفَّارَ أَوْلِيَاءَ
 وَاتَّقُوا اللهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ وَإِذَا نَادَيْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ
 اتَّخَذُوا هُزُوعًا وَلِعِبَاءَ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٥٨﴾

٥٢- فترى الذين في قلوبهم مرض الشك والتناق في الدين، يسارعون في مودة اليهود والنصارى يقولون: نخشى أن تصيبنا مصيبة، بأن تظهر الكفار بمحمد ﷺ فتكون الدولة لهم، ولا تنتصر دعوته، فنخسر ولا هم ويصيبنا مكروه، فرد الله عليهم بأنه ربما يجيء النصر من الله لرسوله والمؤمنين على أعدائهم، أو يأتي أمر من الله بقتل أعداء الإسلام وفضيحة المنافقين وكسر شوكة اليهود، فيصبح المنافقون على ما أسروا من النفاق الباعث على الموالاة نادمين على ذلك.

٥٣- ويقول المؤمنون لليهود مشيرين إلى المنافقين بعد فضيحتهم: أهؤلاء الذين أكدوا أيمانهم تأكيداً شديداً، إنهم لمعكم بالمناصرة في القتال، بطلت أعمالهم الصالحة بنفاقهم، فأصبحوا خاسرين في الدنيا بالفضيحة والأخرة بالعقاب الأليم.

٥٤- ثم شرع الله تعالى في بيان أحكام المرتدين بعد بيان حكم موالاة الكفار، فإياها المؤمنون من يرجع منكم عن دينه الإسلام إلى الكفر، فسوف يأتي الله بقوم آخرين هم خير منكم يرضى عنهم، ويخلصون الله العمل ويطيعونه في كل أمر ونهي، متواضعين لإخوانهم المؤمنين، أشداء على الكفار، يقاتلون لإعلاء كلمة الله، ولا يخافون لومة لائم في نصرة دينهم، بل هم في غاية

الصلابة، ذلك فضل الله يعطيه من يشاء من عباده، والله واسع الفضل، عليم بمن يستحق الإنعام.

٥٥- لا ناصر لكم أيها المؤمنون إلا الله ورسوله وأهل الإيمان الذين يؤدون الصلاة كاملة الأوصاف في أوقاتها، ويؤتون الزكاة المفروضة لمستحقها، وهم خاضعون لأمر ربهم، فلا يترفعون على فقير. والولي: من تجب موالاته، والركوع هنا: الخشوع والخضوع. نزلت هذه الآيات فيمن ارتد من القبائل في عهد النبي ﷺ وهم بنو مدلج وبنو حنيفة وبنو أسد. وقال جابر: نزلت في عبد الله بن سلام وأصحابه الذين شكوا إلى النبي هجر بني قريظة والنضير لهم، وأقسموا ألا يجالسوهم، فقال ابن سلام: رضينا بالله وبرسوله وبالمؤمنين وأوليائه.

٥٦- ومن يستنصر بالله ورسوله والمؤمنين الصادقين القائمين بنصر شرع الله، فإن أنصار دين الله هم الغالبون، لتأييد الله لهم بنصره. وسبب النزول: ما تقدم من تمسك عبد الله بن أبي جهلفه مع بني قينقاع، وتبرؤ عبادة من حلفهم.

٥٧- يا أيها المؤمنون لا توالوا المتخذين للدين هزواً ولعباً، من المشركين والكتابين، فلا تتخذوهم أنصاراً تودونهم، وإن أظهروا لكم الود والمحبة، وخافوا عذاب الله بموالاتهم، إن كنتم مؤمنين، فالؤمن يخاف الله، ولا يوالي أعداء الله. نزلت في رجال من المسلمين كانوا يوادون رجلين أظهرا الإسلام، ثم نافقا.

٥٨- وإذا أذن مؤذنكم للصلاة، سخروا واستهزؤوا من دعوتكم، بسبب أنهم قوم جاهلون طائشون، لا يعقلون حقيقة العبادة. كان بعض اليهود إذا سمع الأذان سخروا به، وقالوا: لعن الله الكاذب، فإذا صلى المسلمون ضحكوا منهم وسخروا بهم، وقالوا: قوموا صلوا، اركعوا على طريق الاستهزاء والضحك، فنزلت هذه الآية.

٥٩- قل أيها النبي: يا معشر اليهود والنصارى، هل تكفرون منا وتعيبون علينا إلا إيماننا بالله وبالقرآن والكتب المنزلة على جميع الأنبياء، وأن أكثركم خارجون عن طاعة الله، بترك الإيمان وامتنال أوامر الله تعالى؟!

٦٠- قل أيها الرسول: هل أخبركم بما هو أولى من العيب الذي عبتونا به بالإيمان، وهو ما أنتم عليه من الكفر الموجب للعنة الله وغضبه، جزاء ثابتاً عند الله، إنه عمل من طرده الله من رحمته، وغضب عليه، فأخزاه في الدنيا وهم اليهود قتل الأنبياء وعبدة العجل، ومسخ بعضهم قردة، وبعضهم خنازير، وهم اليهود أصحاب السبت، ومسخ من النصارى خنازير كفار مائدة عيسى، وعبد الطاغوت: الشيطان أو الكهنة، والمراد: الخضوع لكل طاغية جبار، أولئك الموصوفون بما ذكر شر منزهة يوم القيامة من غيرهم، وأبعد عن طريق الرشاد. نزلت في نفر من اليهود سألوا النبي ﷺ عن من يؤمن به من الرسل، فأجاب بالمدكور في الآية [١٣٦] من البقرة، ولما ذكر عيسى جحدوا نبوته، وقالوا: والله ما نعلم أهل دين أقل حظاً في الدنيا والآخرة منكم، ولا ديناً شراً من دينكم، فنزلت الآية.

٦١- وإذا جاءكم منافقوا اليهود أظهروا الإيمان

بدينكم كذباً، ودخلوا عليكم كفاراً وخرجوا كفاراً كما دخلوا، لم يؤثر فيهم ما سمعوا من النبي ولم يفارقهم الكفر لحظة، والله أعلم بما يضمرونه عندك من الكفر.

٦٢- وترى أيها الرسول كثيراً من هؤلاء اليهود يسارعون في الوقوع في الإثم، وهو الكذب، والاعتداء على أموال الناس، والظلم، وأكلهم المال الحرام كالربا والرشوة، لبس ما يعملون من القبائح.

٦٣- هلا ينهاهم الرانيون (أهل الورع من اليهود) والأخبار (علماء اليهود) عن قول الكذب، وأكل المال الحرام، لبس ما يصنعون من السكوت عن إنكار المنكر، وترك الأمر بالمعروف.

٦٤- وقالت اليهود إذا حصل جذب وطلب منهم الإنفاق في الخير: يد الله مغلولة عن الإمداد بالرزق، أي أن الله بخيل، قيّدت أيديهم بالأغلال عن فعل الخير، وهو دعاء عليهم بالبخل، وطردهوا من رحمة الله بسبب قولهم هذا: يد الله مغلولة، بل يدا الله مسبوتان: كتابة عن العطاء الواسع الكثير، فهو في غاية الجود، يتفق كيف يشاء بحسب علمه وحكمته، وليزيد المنزل إليك من القرآن عن أحوالهم وأخبارهم وشرع الله كثيراً من اليهود والنصارى طغياناً وكفراً (أي تغالياً في التكذيب وإمعاناً في الجحود) على كفرهم وغلوهم، بسبب الحسد والكفر بالقرآن، وألقينا بين اليهود والنصارى العداوة والبغضاء إلى يوم القيامة، كلما أشعلوا نار الحرب والفتنة والكيد على النبي والمؤمنين، ردهم الله خائبين، فلم يحققوا فائدة، ويجتهدون في الإفساد، وإثارة الفتن والكيد للمسلمين، والله يجازي الفاسدين في الأرض. قال ابن عباس: قال رجل من اليهود يقال له: النباش بن قيس، إن ربك بخيل لا يتفق، فأنزل الله: ﴿وقالت اليهود: يد الله مغلولة...﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ نَعْمُونَ مَا لَا آءَاءَ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّا كُفْرُكُمْ فَيَسْأَلُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنبِئُكُمْ بِشَرِّ مِمَّن ذَاكَ مُشْرِكِي اللَّهِ مِن لَعْنَةِ اللَّهِ وَعُذِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلْ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَالْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ الطَّاغُوتِ أُولَئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٦٠﴾ وَإِذَا جَاءَهُمْ قَوْلُوا ءَأَمَنَّا وَقَدْ خَلَوْنَا بِالْكَفْرِ وَهُمْ قَدْ خَرَجُوا بِهِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا كَانُوا يَكْمُونَ ﴿٦١﴾ وَتَرَى كَثِيرًا مِّنْهُمْ يُسَبِّحُونَ فِي الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَأَكْلِهِمُ الشَّمْعَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٦٢﴾ لَوْلَا نَهْنَهُمُ الرَّبُّ لَآتَيْنُوا فِي قَوْلِهِمُ الْإِثْمَ وَأَكْلِهِمُ الشَّمْعَ لَيْسَ مَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿٦٣﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ غَلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدُهُ مَبْسُوتَةٌ بِرُبُّكَ كَيْفَ يَشَاءُ وَلَنُزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَانًا وَكُفْرًا وَأَلْقَيْنَا بَيْنَهُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ كُلَّمَا أَوْقَدُوا نَارًا لِلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا اللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا وَاللَّهُ لَا يُغْنِي عَنِ الْمُسْهِدِينَ ﴿٦٤﴾

٦٥- ولو أن الكفايين : اليهود والنصارى آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ كما أمرت كتبهم المنزلة عليهم، واتقوا المعاصي كالشرك بالله وجحود رسالة رسول الله، لكفّرنا ذنوبهم التي اقترفوها، ولأدخلناهم الجنان مع المسلمين.

٦٦- ولو أنهم عملوا بأحكام التوراة والإنجيل التي منها الإيمان برسالة محمد ﷺ، واتبعوا المنزل إليهم من ربهم في سائر كتب الله، لتمتعوا بالرزق الواسع والعيش الهنيئ من كل جانب، منهم جماعة معتدلة في التدين، وهم المؤمنون الذين دخلوا في الإسلام، وكثير منهم قبحت أعمالهم وهم المصرون على الكفر، المنكرون لرسالة محمد ﷺ.

٦٧- يا أيها الرسول بلغ جميع ما أنزل إليك من القرآن، لا تكتم منه شيئاً، ولا تخشى مكروهاً، وإن لم تبلغ وكتمت بعض ذلك، فما بلغت رسالة ربك، وقد بلغ الرسول فعلاً لأمته ما نزل إليهم، والله يحفظك ويحميك من أذى الناس وإساءاتهم، فلا يوجد أي مانع يمنعك من تبليغ جميع ما أوحى الله به إليك، إن الله لا يوفق الكفار للخير والصلاح. قال رسول الله ﷺ فيما ذكر الحسن البصري: إن الله يعثني برسالة، فضقت بها ذرعاً، وعرفت أن

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْكِتَابِ آمَنُوا وَاتَّقَوْا لَكَفَرْنَا عَنْهُمْ سَتْرَانَهُمْ
وَلَا دَخَلْنَا فِيهِمْ سَبِيلًا ۖ وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ
وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكْبَرُوا مِنْ تَوْفِيقِهِمْ
وَمَنْ تَحْتَ أَزْجُلِهِمْ مِنْهُمْ أُمَّةٌ مُقْتَصِدَةٌ وَكثيرٌ مِنْهُمْ سَاءَ
مَا يَعْمَلُونَ ﴿٦٦﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَلِّغْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ
مِنْ رَبِّكَ وَإِنْ لَوْ تَفَعَّلَ فَمَا تَلَقْتَ رَسُولًا تُوِّفَى وَأَلَّهَ بِصَمِّكَ مِنْ
النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٦٧﴾ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ
لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُبَيِّنُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ
مِنْ رَبِّكُمْ وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِنْهُمْ مَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
طُغْيَانًا وَكُفْرًا فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٦٨﴾
إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّابِقُونَ وَالنَّصَارَى
مِنْ أُمَّةٍ أُولِي بَالٍ فِي الْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَلَى صُلْحِهِمْ أَفْخَافُ
عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يُجْرَبُونَ ﴿٦٩﴾ لَقَدْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
وَأَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ رَسُولًا قُلْنَا جَاءَ هُمْ رَسُولٌ بِمَا لَا تَهْوَى
أَنْفُسُهُمْ فَرِيقًا كَذَّبُوا وَفَرِيقًا يَقْتُلُونَ ﴿٧٠﴾

الناس مكذبي، فوعدني لأبلغن أو ليعذبني، فنزلت: ﴿يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك...﴾. وقال النبي ذات ليلة: ألا رجل صالح يحرسنا الليلة، فأرسل الله سعداً وحذيفة لحراسته، ثم نام فنزلت هذه الآية: ﴿والله يعصمك من الناس﴾ فقال: «انصرفوا أيها الناس، فقد عصمني الله».

٦٨- قل أيها الرسول: يا معشر الكفايين، لستم على شيء من الدين الحقيقي يعتد به، حتى تعملوا بجميع ما في التوراة والإنجيل ومنه اتباع محمد ﷺ، وبما أنزل إليكم من ربكم وهو القرآن، وليزيدن كثيراً من أهل الكتاب ما أنزل إليكم من ربك في القرآن غلوأفي التكذيب، وإمعاناً في الكفر، إلى كفرهم وطغيانهم، فلا تحزن على عدم إيمان القوم الكافرين برسالتك، ففي المؤمنين بك كفاية. نزلت في جماعة من اليهود قالوا للنبي ﷺ: فإننا نأخذ بما في أيدينا، فإننا على الحق والهدى، ولا نؤمن بك، ولا نتبعك، فأنزل الله: ﴿قل: يا أهل الكتاب بما﴾.

٦٩- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وهم المسلمون، واليهود، والنصارى، والصابئون عبدة الكواكب والنجوم، من آمن منهم بالله واليوم الآخر إيماناً حقاً، وعمل صالح الأعمال كما أمر الله، فلا خوف عليهم أبداً من عذاب يوم القيامة، ولا يحزنون على لذات الدنيا ونعيمها.

٧٠- لقد أخذنا العهد المؤكد على بني إسرائيل بأن يعملوا بالتوراة، وأرسلنا إليهم رسلاً ليعرفوهم بالشرائع والأحكام وينذروهم، لكن كلما جاءهم رسول بما يعارض أهواءهم، كذبوا بعض الرسل كعيسى وأمثاله، وقتلوا البعض الآخر كزكريا ويحيى عليهم السلام.



٧١- وظن اليهود ألا يتعرضوا للبلاء والاختبار والعذاب العظيم بقتل الأنبياء وتكذيب الرسل اعتماداً على زعمهم أنهم أبناء الله وأحباؤه، فعموا عن إبطار الهدى، وسموا أذانهم عن استماع الحق من أنبيائهم، فخالفوا أحكام التوراة وقتلوا أشعياء، ثم تاب الله عليهم حين تابوا، فكشف عنهم القحط ونجاههم من إذلال البابليين، ثم عمي كثير منهم وسموا بعد تبين الحق بنبوته محمد ﷺ وقبل ذلك بقتل زكريا ومحاولة قتل عيسى، والله مطلع على أعمالهم ومجازيهم في الآخرة، وقليل منهم مقصد.

٧٢- لقد كفر القائلون: إن الله هو المسيح، وهم اليعقوبية أو الملكانية، قالوا: إن الله حل في ذات عيسى، فرد الله عليهم بأن المسيح قال لبني إسرائيل: اعبدوا الله ربي وربكم، خالقي وخالقكم، فكيف يكون العبد العابد إلهاً؟! إنه من يتخذ شريكاً لله، فقد منعه الله الجنة أبداً، ومسكنه النار أبداً، وليس لظالمي أنفسهم عبادة غير الله أعوان يتقدونهم من العذاب الأخرى.

٧٣- لقد كفر القائلون: إن الله ثالث ثلاثة:

الأب والابن وروح القدس، وهم الطائفة الثانية غير المذكورة في الآية السابقة القائلون هم ثلاثة وهم واحد، والثالثة هي المذكورة في الآية الآتية [١١٦] ولا إله بحق في الوجود إلا الله سبحانه، فهو المستحق للعبادة، وإن لم يكفوا عما يقولون من هذه الأباطيل وترك الكفر، ليتعرض الكفار منهم إلى عذاب مؤلم في النار.

٧٤- هلا يتوبون إلى الله مما قالوا، ويطلبون المغفرة عما اقترفوا من أعظم جريمة وهي الشرك، والله كثير المغفرة للذنوب التائين، رحيم بهم.

٧٥- ما المسيح إلا رسول بشر كسائر الرسل الذين مضوا من قبله، ومعجزاته مثل بقية الرسل لا توجب كونه إلهاً، مثل خلق آدم من غير أب، وعصا موسى، وأم عيسى مبالغة في الصدق فيما تقوله، وهي وابنها عيسى بشران يأكلان الطعام كسائر البشر، ومن احتاج إلى الطعام لا يكون رباً أو إلهاً، لأنه لو ترك الأكل هلك، والرب لا يموت، انظر أيها الرسول كيف نوضح لهم الأدلة الدالة على وحدانيتنا، وانظر كيف يصر فهم الشيطان عن التأمل في البراهين وعن الحق إلى الباطل بعد هذا البيان.

٧٦- قل أيها الرسول لهم: أتعبدون من غير الله من لا يضر ولا ينفع - والمراد هنا المسيح وأمه - وتتركون عبادة الله القادر على كل شيء؟! والله هو السميع للأقوال، العليم بكل شيء خفي أو علني، ومن كان كذلك فهو الإله الحق.

وَحَسِبُوا الْأَلْتَنُونَ فَئِنَّةً فَعَمُوا وَصَمُوا ثُمَّ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الثُّمُورَ وَصَمُوا كَثِيرٌ مِنْهُمْ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ﴿٧١﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ وَقَالَ الْمَسِيحُ بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿٧٢﴾ لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ وَمِنَ اللَّهِ إِلَهٌ آخَرٌ وَجِدْ إِنْ تَوَيْبُهُمْ عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾ أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لَهُ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٤﴾ مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأَمْ صَدِيقَهُ كَانَا بِأُكُلَانِ الطَّعَامِ أَنْظِرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ الْآيَاتِ ثُمَّ أَنْظِرْ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَكُمْ لَكُمْ ضُرًّا وَلَا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٧٦﴾

قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ غَيْرَ الْحَقِّ
وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِنْ قَبْلُ وَأَصْلُوا
كَثِيرًا وَضَلُّوا عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ ﴿٧٧﴾ لَعْنُ الَّذِينَ
كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى
ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٧٨﴾
كَانُوا لَا يَتَنَبَّهُونَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا
يَفْعَلُونَ ﴿٧٩﴾ تَرَى كَثِيرًا مِنْهُمْ يَتَوَلَّوْنَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنفُسُهُمْ أَنْ سَخِطَ اللَّهُ
عَلَيْهِمْ فِي الْعَذَابِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿٨٠﴾ وَلَوْ كَانُوا
يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ مَا آخَذُوا مِنْهُمْ
أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِنْ كَثِيرًا مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨١﴾
﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ
وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ
آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرُكَ ذَٰلِكَ بِأَن مِّنْهُمْ
قَيْسِيَّةٌ وَرَهَبَانَةٌ وَأَنَّهُمْ لَا يَتَسَكَّرُونَ﴾ ﴿٨٢﴾

٧٧. قل أيها الرسول: يا معشر النصارى، لا تتجاوزوا حد المعقول، ولا تتغالوا في المسيح بادعاء الوهيته أو بنوته لله، فتركوا الحق إلى الباطل، ولا تتبعوا أهواء أسلافكم من اليهود والنصارى قبل البعثة المحمدية، فإنهم انحرفوا عن الحق، وأضلوا كثيراً من الناس بنشر الكفر والضلال قديماً، وضلوا بعد البعثة عن السير في الطريق القويم.

٧٨. طرد من رحمة الله كفار بني إسرائيل في الزبور على لسان داود، وفي الإنجيل على لسان عيسى بسبب العصيان والاعتداء، مثل كفرهم بعيسى، واعتدائهم في السبت وقتل الأنبياء، وما ذكر فيما يأتي.

٧٩. كانوا لا ينهي بعضهم بعضاً عن معصية تفعل، أو يهياً لفعلها، بل يرضون بها، لبئس ما فعلوا من معاصر، وتركوا من إنكار المنكر.

٨٠. ترى كثيراً من اليهود يصادقون المشركين ويوالونهم، ويتحالفون معهم لمحاربة النبي ﷺ والمسلمين، لبئس ما قدموا لأنفسهم في الآخرة، غضب الله عليهم، وهم خالدون في نار جهنم، يمحون فيها أبداً.

٨١. ولو كان اليهود يؤمنون حقاً بالله وبالنبي موسى وبما أنزل عليه في التوراة، ما اتخذوا المشركين أولياء وأنصاراً لهم من دون المؤمنين، ولكن كثيراً منهم خارجون عن ولاية الله وطاعته.

٨٢. لتجدن أيها الرسول وكل من يصلح للخطاب أشد جميع الناس معاداة للمؤمنين برسالتك: اليهود والمشركين في مكة، ولتجدن النصارى أتباع عيسى أقرب الناس مودة للمؤمنين؛ لأن في النصارى قسماً (علماء) في التوراة والإنجيل ورهباناً (زهاداً عباداً) في الصوامع يعلمون الناس التواضع لله ونفع الناس والتماس الحق، ولا يستكبرون عن قول الحق واتباعه، خلافاً لليهود. نزلت في وفد النجاشي - وكانوا ثلاثة وثلاثين رجلاً - الذين قدموا من الحبشة على الرسول ﷺ وآمنوا به، وبكوا لما قرأ عليهم سورة يس، وقالوا: ما أشبه هذا بما كان ينزل على عيسى عليه السلام. وقال آخرون: نزلت في وفد الرسول ﷺ من المهاجرين الذين حملوا كتاباً من النبي للنجاشي، فلما قرؤوا عليهم سورة مريم، آمنوا بالقرآن، وفاضت أعينهم من الدمع.



٨٣- وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكُنْ مَعَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨٣﴾ وَمَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ ﴿٨٤﴾ فَأُنَبِّئُهُمُ اللَّهُ بِمَا كَفَرُوا أَوْ جَنَّبْتِ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿٨٦﴾ يَتَأْتُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَاتُحَرِّمُوا طَيِّبَاتِ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾ وَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَتَقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا عَقَّدْتُمُ الْأَيْمَانَ فَكَفَرْتُمْ بِهِ إِطْعَامَ عَشْرَةِ مَسْكِينٍ مِنْ أَوْسَطِ مَا نَطَعُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَبَّةٍ فَمَنْ لَمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ذَلِكَ كَفْرَةُ أَيْمَانِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَاحْفَظُوا أَيْمَانَكُمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٤- وقالوا ردأ على اليهود: وما لنا لا نؤمن بالله وحده وبما جاءنا من الحق على لسان رسوله ﷺ، ونرجوا أن يدخلنا ربنا في جنته مع القوم الصالحين من الأنبياء وأتباعهم الأوفياء المؤمنين.

٨٥- فأنابهم (جازاهم) الله بسبب هذا القول المقول بصدق وإخلاص، وأعلنوا به عن اعتقادهم، جنات تجري الأنهار من تحت أشجارها ومسكنها، ماكين فيها إلى الأبد، وذلك الثواب جزاء المحسنين الذين أحسنوا في اتباعهم الحق، وأحسنوا القول والعمل.

٨٦- والذين جحدوا الدين الحق، وكذبوا بآيات القرآن، أولئك أصحاب الجحيم: سكان جهنم.

٨٧- يا أيها المؤمنون لا تحرموا الطيبات (المستلذات) التي أحلها الله لكم، بقصد الزهد، أو

التقرب إلى الله، ولا تتجاوزوا حدود الحلال والحرام، فتحلوا ما حرم الله عليكم، إن الله يعاقب أو يجازي الذين تخطوا حدود الله وشريعته.

٨٨- وأببح لكم أيها المؤمنون أن تأكلوا من رزق الله الذي رزقكم إياه، حلالاً: غير محرّم، طيباً: غير مستقذر، من المطامع والمشارب، وخافوا الله بالتزام شريعته، الذي تؤمنون به، فإن الإيمان الحق بالله خير يبعث على التقوي والعمل الصالح. نزلت فيمن حرم اللحم على نفسه، وفي جماعة لازموا الصلاة ليلاً، والصوم نهاراً، وتركوا النساء، وكانوا عشرة.

٨٩- لا يؤاخذكم الله في أيمان اللغو، ولا تجب فيها الكفارة، وهي ما يجري على اللسان من غير قصد الخلف، مثل قول الشخص: لا والله، وبلى والله، في كلامه غير معتقد لليمين، ولكن يؤاخذكم بأيمانكم المعقودة (الموثقة) بالقصد والنية، إذا حثتم فيها، وكفارة اليمين المعقودة عند الحنث: إطعام عشرة مساكين، من المتوسط الذي تطعمون منه أهليكم، وهو ما جرت العادة أن تأكلوه، من غير إسراف ولا تقتير، غداء وعشاء، بمقدار نصف صاع من بُر أو تمر (والصاع ٢٧٥١ غم) أو قيمة ذلك، أو كسوة كل مسكين ثوباً واحداً يستر البدن، أو إعتاق مملوك من الرقيق، والحالف الموسر الحانث مخير بين هذه الخصال الثلاث، فمن لم يجد هذه الخصال بأن كان فقيراً معسراً، فيكفيه صيام ثلاثة أيام متتابعات أو متفرقات، واحفظوا أيمانكم، فلا تحلفوا بدون سبب قوي، وبروا بها ولا تحثوا إذا كانت في طاعة غير معصية، ومثل ذلك البيان، بين الله لكم أحكام شريعته، لتشكروا ما أنعم الله به عليكم من بيان الشرائع والأحكام. نزلت في القوم الذين كانوا حرموا النساء واللحم على أنفسهم، بأيمان حلفوا بها، لبيان كيفية ما يصنعون بأيمانهم الخلوقة.

يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَمُ
 رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاحْتَبِرُوهُ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا
 يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ
 وَالْمَيْسِرِ وَيُضِدَّكُمْ عَنِ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ
 ﴿٩١﴾ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأَحْذَرُوا فِئْتَانًا مِّنَ الَّذِينَ
 فَاعَلَمُوا أَنَّمَا عَلَى رَسُولِنَا الْبَلِيغُ الْمُبِينُ ﴿٩٢﴾ لَيْسَ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوا إِذَا مَا اتَّقَوْا وَآمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنُوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأَحْسَنُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ
 الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٣﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَلْعَنُوا اللَّهَ يَشْتَرُونَ
 الصِّيدَ تَأْلَهُ أَيُّدِيكُمْ وَمَا حَكَمَ لِعِبَادِ اللَّهِ مِنْ خِطَابِهِ بِالْقَيْبِ فَمَنْ
 اعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٤﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَانْتَقِلُوا
 الصِّيدَ وَاتَّخَرُوا حُرْمًا مِنْهُ فَهَلْ مِنْكُمْ شُعْبَةٌ مِّنَ الْخَمْرِ مِثْلَ مَا قُتِلَ مِنْ نَّفْسِكُمْ
 يَحْكُمُ بِرَدِّهِ وَأَعْدَلُ مِنْكُمْ هَذَا بَالِغُ الْكُفَّةِ أَوْ هَذِهِ طَعَامُ مَسْكِينٍ
 أَوْ عَدْلٌ ذَلِكَ صِيَامًا لِيَذُوقَ وَبِالْأَمْرِ عَمَّا سَلَفَ
 وَمَنْ عَادَ فَيَنْقِمِ اللَّهُ مِنْهُ وَاللَّهُ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٩٥﴾

٩٠- يا أيها المؤمنون إنما الشراب المسكر، وأنواع القمار، والأصنام المنصوبة للعبادة، والأزلام (قداح الميسر) شيء نجس مستقذر، والرجس والرجز يشمل المستقذر حساً كالميتة، والخمر هنا، والمستقذر معنى كالميسر وما ذكر هنا بعده، فاتركوه وابتعدوا عنه أشد البعد، وهذا يدل على التحريم وزيادة وهي التنفير منه، مثل الأمر القرآني باجتناب الشرك والوثنية وشهادة الزور، لتفوزوا في الدنيا بالسعادة والطمأنينة، وفي الآخرة بالجنة ونعيمها. نزلت بسبب سعد بن أبي وقاص الذي شرب خمراً قبل تحريم الخمر، وخاصم رجلاً على شراب لهما، أو لقوله: المهاجرون خير من الأنصار، فضربه صاحبه بلخي رأس جمل، فجدع أنفه أو جرحه، فنزلت فيها.

٩١- إنما يريد الشيطان بوسوسته لارتكاب هذه المنكرات أن يقع بينكم العداوة والبغضاء بشرب الخمر، ولعب الميسر؛ لأنهما مصدر الشرور في الدنيا، وفيهما مفساد دينية وهي الصد عن ذكر الله وعن الصلاة المفروضة لإضاعة دينكم ودنياكم، فهل أنتم تاركون لها نهائياً؟ فقال عمر وبقية الصحابة: انتهينا يا رب انتهينا، وأراقوا ما لديهم من الخمر.

٩٢- وأطيعوا الله ورسوله في الأمر باجتناب الخمر والميسر وبقية المحرمات، واحذروا مخالفة الله ورسوله، فإن أعرضتم عن الطاعة، فإن مهمة النبي تنتهي بالتبليغ الواضح.

٩٣- ليس على المؤمنين الذين عملوا الصالحات كالجهاد في سبيل الله ثم فيما تناولوا من المطاعم التي يشتهونها، فأكلوا أو شربوا، أو شربوا الخمر قبل التحريم، إذا اتقوا الشرك والمحرمات بعد التحريم كالخمر وغيرها، وآمنوا بالله ورسوله وقرآنه، وعملوا صالح الأعمال التي ترضي الله، ثم اتقوا ما حرم بعد التحريم واستمروا على التقوى، وصدقوا بالتحريم وازدادوا إيماناً بالله، ثم اتقوا المحرمات من الصغائر وغيرها، وأحسنوا العمل وأتقنوه، والله يرضى عن المحسنين أعمالهم ويشيهم ثواباً كريماً. قال البراء بن عازب: مات بعض الصحابة، وهم يشربون الخمر، فلما حرمت قال أناس: كيف لأصحابنا، ماتوا وهم يشربونها؟ فنزلت هذه الآية: ﴿ليس على الذين آمنوا﴾.

٩٤- يا أيها المؤمنون ليختبرنكم الله بتحريم الصيد البري في حرم مكة أو أنتم محرمون بحج أو عمرة، تتمكنون من الصيد بالأيدي والرماح من غير مشقة، ليظهر ما يعلمه الله من أحوال الخائفين منه سراً، كما يخافونه جهراً، فمن اعتدى بعد النهي بالصيد في حال الإحرام، فله عذاب مؤلم في نار جهنم. وهذا مثل ابتلاء بني إسرائيل بعدم الاعتداء في السبت.

٩٥- يا أيها المؤمنون لا تقتلوا الصيد في حال الإحرام بحج أو عمرة أو في حرم مكة، ومن قتله متعمداً غير مخطئ فعليته جزاء مماثل لما قتله من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) يحكم بالجزاء المثل رجلان عدلان مسلمان، ويفعل بالجزاء مثلما يفعل بالهدي، فیرسل إلى حرم مكة ويذبح هنالك، ويوزع لحمه على مساكين الحرم، أو يدفع طعاماً للمساكين وهو مدغم أو بر لكل مسكين مماثل لقيمة الجزاء، أو يصوم يوماً عن طعام كل مسكين، وهذا تخيير بين الأصناف المذكورة، ليذوق عقوبة فعله، عفا الله عما سلف من قتل الصيد قبل التحريم والكفارة، ومن عاد إلى قتل الصيد عمداً وهو محرم، فيعذبه الله في الآخرة بذنبه، والله قوي لا يغلب، منتقم من العصاة المخالفين.



أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مِمَّا مَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَالسَّيَّارَةُ وَحُرْمَةٌ
عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ
تُحْشَرُونَ ﴿١٦﴾ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَمًا
لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلْبَدَ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَعْلَمُونَ
أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ
عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ وَأَنَّ اللَّهَ غَفُورٌ
رَحِيمٌ ﴿١٨﴾ مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ
وَمَا تَكْمُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لَا يَسْتَوِي الْحَيْدُ وَالطَّيْبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ
كَثْرَةُ الْحَيْدِ فَأَتَقُوا اللَّهَ يَأْتِي الْآلِبُ إِلَى آلِبٍ لَعَلَّكُمْ
تَقْلُونَ ﴿٢٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَن شَيْءٍ إِنْ بُدِيَ
لَكُمْ تَسْوَأٌ وَإِنْ سَأَلُوا عَنْهَا حِينَ يُنزَلُ الْقُرْآنُ أَنْ تُبَدَّ
لَكُمْ عَفَا اللَّهُ عَنْهَا وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢١﴾ قَدْ سَأَلَهَا
قَوْمٌ مِنْ قَبْلِكُمْ ثُمَّ أَصْحَبُوهَا كُفْرِينَ ﴿٢٢﴾ مَا جَعَلَ
اللَّهُ مِنْ بَحِيرَةٍ وَلَا سَائِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ وَلَكِنَّ الَّذِينَ
كَفَرُوا يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَكَذُّهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٣﴾

٩٦- أبيع لكم صيد البحر والنهر ولو أثناء الإحرام، وما لقاء البحر أو طفا عليه تميمياً ومنفعة للمقيمين وللمسافرين، وحرم عليكم صيد البر ما دمتم محرمين أو صاده لأجلكم غير محرم، وخافوا عذاب الله الذي تُجمعون إليه يوم القيامة للحساب والجزاء.

٩٧- جعل الله الكعبة وما حولها وهي البيت الحرام مقراً لقيام الناس بأمر دينهم بالحج، وديناهم بالأمن فيه ونصر الضعيف وريح التجارة فيه، وكذلك الأشهر الحرم (وهي ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب) مأمناً من القتال وطلب حق الدم من القاتل، وكذلك الهدى (ما يهدى للحرم من الأنعام) وذو القعدة من الهدى، فإذا أعلمه صاحبه بقلاة ونحوها، فلا يتعرض له أحد، لتعلموا أن الله عالم بكل ما فيه الصلاح والخير في الدنيا والآخرة، وأن الله لا يخفى عليه شيء في الأرض ولا في السماء.

٩٨- واعلموا أن الله شديد العقاب لمن يخالف أمره، وأنه غفور لمن تاب، رحيم به.

٩٩- ليس على الرسول هداية الناس، وإنما عليه فقط تبليغهم الوحي الإلهي، فإن لم يستجيبوا للدعوة، لم يضرُوا إلا أنفسهم، والله يعلم ما تظهرون من الأقوال والأفعال، وما تخفون من النيات والمقاصد.

١٠٠- قل أيها الرسول: لا يتساوى الحرام والحلال، والكافر والمؤمن، والعاصي والطائع، ولو أعجبك كثرة المفسدين، فاتقوا الله باجتناب الحرام والتزام الحلال، لتفوزوا في الدنيا والآخرة. نزلت في رجل جمع من بيع الخمر قبل تحريمها مالا، ويريد أن يعمل فيه بطاعة الله، فأخبره النبي ﷺ بأنه لا ثواب له في إنفاقه في حج أو جهاد أو صدقة، إن الله لا يقبل إلا الطيب، فأنزل الله تعالى تصديقاً له هذه الآية.

١٠١- يا أيها المؤمنون لا تسألوا في فترة نزول الوحي عن أشياء لا تعنيكم في أمر دينكم، إن ظهرت ساءتكم، لأن السؤال في ذلك قد يكون سبباً للإيجاب، وإن تسألوا عنها حين نزول الوحي تظهر لكم، عفا الله عن تلك الأشياء التي سكت عنها القرآن، والله غفور لمن استغفر، حلیم لا يعاجل بالعقوبة. نزلت في سؤال قوم أسئلة استهزاء، مثل أين ناقته الضالة، ومن أبوه، وفي الأقرع بن حابس حين سأل عن الحج كل عام، فقال النبي ﷺ: لو قلت: نعم، لوجبت، ولما استطعتم.

١٠٢- قد سأل قوم من السابقين عن مثلها مما لا حاجة إليه، فلما أجيبوا عن أحكامها، لم يعملوا بها لمشقتها، ثم صاروا بها كفاراً لتركهم العمل بها. والقوم: من بني إسرائيل، سألوا إما بلسان المقال، أو بلسان الحال مثل الرهبانية التي لم يصرحوا بطلبها وإنما فعلوها.

١٠٣- ما شرع الله على أهل الجاهلية تحريم البحيرة (وهي الناقة التي تشق أذنها ويجعل درها للطواغيت أي الأصنام، لولا دنتها خمسة أبطن إناث آخرها ذكر) والسائبة (التي تسيب لأهلهم بنذر إن شفي أحدهم من مرض أو بلغ منزله) والوصيلة (وهي الشاة التي تلد ذكراً وأنثى، فيقال: وصلت أخاها) والحام (الفحل من الإبل الذي يخرج من صلبه عشرة أبطن، فيحمي ظهره من الركوب والحمل) ولكن المشركين من العرب يفترون على الله الكذب بتحريم هذه الأشياء وأكثرهم لا يعقلون أن ذلك افتراء على الله وتعطيل للعقل والفكر.

وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ تَعَالَوْا إِلَى اللَّهِ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ وَإِلَى الرَّسُولِ قَالُوا حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوْ لَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لَا يَبْلُغُونَ شَيْئًا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا تَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فِيمَنْكُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٥﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا شَهِدْ بَيْنَكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ حِينَ الْوَصِيَّةِ اثْنَانِ ذَوَا عَدْلٍ مِمَّنْكُمْ أَوْ آخَرَانِ مِنْ غَيْرِكُمْ إِنْ أَنْتُمْ صَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَأَصْلَحْكُمْ مُصِيبَةُ الْمَوْتِ تَحْسَبُوهُمَا مِنْ بَعْدِ الْوَصِيَّةِ فَيَسْئَلُنِ الْبِاللَّهِ إِنْ آتَيْنَا لَنَا شِرْكَى بَرِّئْنَا وَلَوْ كَانُوا ذُرِّيَّتِي لَوْ كُنْتُمْ شَهِدَاءَ اللَّهِ إِيَّائِي لِلَّذِينَ آمَنُوا ﴿١٠٦﴾ فَإِنْ عَشَرَ عَلَىٰ آيَاتِهِمَا اسْتَحْمًا إِثْمًا فَآخَرَانِ يَقُومَانِ مَقَامَهُمَا مِنَ الَّذِينَ اسْتَحَقَّ عَلَيْهِمُ الْأَوْلَادِ فَيَسْئَلُنِ الْبِاللَّهِ لَشَهَدَتُنَا أَحَقُّ مِنْ شَهِدَتَيْهِمَا وَمَا اعْتَدَيْنَا إِنَّا إِذَا لِمَنِ الظَّالِمِينَ ﴿١٠٧﴾ ذَلِكَ أَذْفَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ عَلَىٰ وَجْهِهَا أَوْ يَحْفَرُوا أَنْ سَرَدُوا بِمَنْ بَعْدَ أَيْدِيهِمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْمِعُوا لِلَّهِ لِغُفُورٍ اللَّطِيفِينَ ﴿١٠٨﴾

١٠٤- وإذا قيل للمشركين: تعالوا إلى تطبيق ما أنزل الله من أحكام القرآن، وإلى الرسول المبلغ لها، قالوا: لن نؤمن بالقرآن ولا بالرسول، وكافينا دين آبائنا، فرد الله عليهم: هل يبقون على دين آبائهم ولو كانوا جهلة ضالين، لا يعلمون حقيقة الحلال والحرام، ولا يهتدون إلى طريق الحق؟!

١٠٥- يا أيها المؤمنون الزموا إصلاح أنفسكم بمراقبة الله تعالى، وإرشاد الجاهل، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، فإن فعلتم ذلك لا يضركم من ضل إذا اهتديتم، إلى الله مرجعكم جميعاً يوم القيامة، فيخيركم بأعمالكم ويجازيكم عليها. نزلت حينما قبل النبي ﷺ الجزية من أهل الكتاب والنجوس، فقال منافقو العرب، عجباً من محمد، يزعم أن الله بعثه ليقاتل الناس كافة حتى يسلموا، ولا يقبل الجزية إلا من أهل الكتاب، فلا نراه إلا قبل من مشركي أهل هجر ما رد على مشركي العرب، فنزلت.

١٠٦- يا أيها المؤمنون إذا حضرت علامات الموت يكون الإشهاد على الوصية شهادة اثنين عدلين عارفين مسلمين على الموصى به، أو شهادة اثنين آخرين من غير المسلمين في السفر على الوصايا، تحجزونهما

لأداء اليمين بعد صلاة العصر، إن كانا مسلمين وإلا فبعد صلاتهما في دينهما، وهو الوقت الذي يخاف فيه من الكذب، فإن شككتم في صدقهما، فيحلفان بالله، لا ينبع حظنا من الله تعالى بعوض حقير من الدنيا، أي لا نستبدل بصدق القسم عرضاً دنيوياً، فلا نكذب لأجل المال المدعى به، ولو كان المشهود له قريباً، ولا نكتم شهادة الله الحقة المأمور بها، فإننا إن فعلنا ذلك، فتحن إذن من العصيين. نزلت في رجلين نصرانيين كانا يترددان بالتجارة إلى مكة، فصحبهما قرشي من بني سهم، فمات في الطريق، وأوصاهما بتركته، فدفعاهما إلى أهله، وكتما جاماً (كاساً) فضياً منقوشاً بالذهب، ثم وجد عند قوم من أهل مكة، مع أنهما حلفا أمام النبي ﷺ: ما كتما ولا اطلعا، فأخذه أقارب السهمي، وحلف رجلان منهم بالله: إن هذا الجام جام صاحبنا، وشهادتنا أحق من شهادتهما، وما اعتدنا، فنزلت.

١٠٧- فإن أطلع بعد التحليف على أن الشاهدين فعلا ما يوجب الإثم من خيانة أو كذب في الشهادة أو اليمين، فيشهد أو يحلف على ما هو الحق اثنان آخران يقومان مقام الأولين، من الورثة الذين استحق عليهم الوصية، ويكون الشاهدان من أقرب الناس للميت، فيحلفان بالله ليمينتا أصدق من يمينهما، وما تجاوزنا الحق في اليمين، فإننا إن اعتدنا بنسبتهما إلى الخيانة أو الكذب، أي كذبنا، نكن من الظالمين لأنفسهم.

١٠٨- ذلك الحكم وهو رد اليمين على الورثة أقرب إلى أن يأتي الشهود على الوصية بالشهادة على وجهها الصحيح من غير خيانة ولا تحريف، أو يخافوا أن ترد أيمانهم بعد أيمانهم على الورثة المدعين، فيحلفوا على خيانتهم وكذبهم، فيفتضح أمرهم، واتقوا الله بترك الخيانة والكذب، واسمعوا المأمور به سماع قبول، والله لا يوفق القوم الخارجين عن طاعته، ولا يهديهم إلى سبيل الخير.



١٠٩- اذكر أيها الرسول يوم يجمع الله الرسل وهو يوم القيامة، فيقول الله: ماذا أجابتمكم به أقوامكم الذين بعثكم الله إليهم؟ قالوا إظهاراً للعجز والتفويض إلى الله: لا علم لنا أمام علمك المحيط بكل شيء، إنك تعلم جوابهم، وتعلم ما غاب عن الناس وما خفي منهم وما ظهر.

١١٠- اذكر أيها الرسول حين قال الله: يا عيسى اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك التي اصطفيتها بقصد تعريف الأم بما لهما من ميزة وكرامة، وتوبيخ من اتخذهما إلهين، حين قويتك بروح القدس: جبريل عليه السلام، تُكلم الناس في عهد الطفولة، والكهولة بعد بلوغ الثلاثين لتبليغ رسالة ربك، وحين علمتكم الكتابة أو الخط الذي يكتب به، والعلم النافع وفهم المعاني، وعلمتكم التوراة المنزلة على موسى، والإنجيل المنزل عليك، وإذ توجد وتصوّر من الطين شيئاً كههيئة أو كصورة الطير بإرادتي، فتفتخ في تلك الهيئة المصورة، فتكون طيراً حياً متحركاً بأمرى، وتبرئ الأكمة

يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَا أُجِبْتُمْ قَالُوا لَا عِلْمَ لَنَا إِنَّكَ أَنْتَ عَلَّمَهُ الْغُيُوبَ ﴿١٠٩﴾ إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أُتِدَّتْكَ رُوحٌ الْقُدُسِ بِكَلِمَاتٍ النَّاسِ فِي الْمَهْدِ وَكَهْلًا وَإِذْ عَلَّمْنَاكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَةَ وَالْإِنْجِيلَ وَإِذْ تَخَلَّقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفَخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِي وَتُبْرِئُ الْأَكْمَةَ وَالأَبْرَصَ بِإِذْنِي وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِعَنْكَ إِذْ جُنِّدَهُمْ بِالْبَيْتِ فَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْحَرُوسٌ ﴿١١٠﴾ وَإِذْ أُوحِيَ إِلَى الْخَوَارِجِ أَنَّ إِمْرَأَتِي وَبِرَسُولِي قَالُوا أَمْنَا وَأَشْهَدُ بِأَنَّنا مُسْلِمُونَ ﴿١١١﴾ إِذْ قَالَ الْخَوَارِجُونَ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ هَلْ سَيَطْمِئِنُّ رَبُّكَ أَنْ يُنَزَّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ قَالَ اتَّقُوا اللَّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَنَطْمِئِنَّ قُلُوبُنَا وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَّقْتَ وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿١١٣﴾

(الذي ولد أعمى) والأبرص (المصاب بالبرص): وهو بياض في الجسد يورث الحكمة الشديدة) بإذني وأمرى، وإذ تخرج الموتى من قبورهم أحياء بأمرى، فالفعل الحقيقي لله، وعيسى مجرد وسيلة، واذكر نعمتي عليك حين صرفت ومنعت عنك بني إسرائيل حين هموا بقتلك، بعد أن جثتهم بالبراهين والمعجزات الواضحة الدالة على نبوتك، فقال الكافرون منهم: ما هذا الذي أتيتنا به إلا سحر واضح.

١١١- وحين ألهمت الخواريين (وهم خالصاء عيسى وصحبه الأصفياء) أن يؤمنوا بي إلهاً واحداً، وبرسالة رسولي، فقالوا: آمنا بالله وبرسوله إيماناً حقاً، واشهد يا رب أننا صادقون مخلصون في إيماننا.

١١٢- واذكر حين قال الخواريون (تلاميذ عيسى) على سبيل طلب الطمأنينة مثلما طلب إبراهيم عليه السلام إحياء الموتى: هل يعطيك ربك ويجيب طلبك أن ينزل علينا مائدة من السماء (وهي الخوان الذي يوضع عليه الطعام، وهو شيء مرتفع عن الأرض) والمراد هنا الطعام نفسه، قال لهم عيسى: خافوا الله، ودعواكم من هذا السؤال ونحوه، إن كنتم صادقين في إيمانكم.

١١٣- قال الخواريون: نريد أن نأكل من هذه المائدة، وتطمئن قلوبنا بكمال قدرة الله، ونعلم علماء يقينياً بأنك صدقتنا في نبوتك، ونكون على هذه الآية من الشاهدين على بني إسرائيل الذين لم يحضروها.

قَالَ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ رَحِمَهُ اللَّهُ رَبَّنَا أُنزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا
عِيدًا لَأُولَئِكَ وَأَهْلِآرِبَاءِ وَإِيَّاتِنَا وَرِزْقًا وَنَأْتِ خَيْرَ الرِّزْقِينَ
﴿١١٤﴾ قَالَ اللَّهُ إِنِّي مَنِّتُ عَلَيْكُمْ فَخَرُّوا سُجَّدًا وَسَبِّحُوا بِحَمْدِ رَبِّكُمْ
لِيَسْبِحَنَّهُ أَكْثَرَ مِنْ أَهْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالسُّبْحَانَ لِلَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
وَإِذْ قَالَ اللَّهُ لِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ
مَآءَنْتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأَهْلِي أَهْلِينَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالِ
سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحُجَّةٍ إِنْ كُنْتُ فَاعِيًا فَقَدْ
عَلِمْتُ بِمَا عَلَّمْتَنِي وَلَا أَغْنِي عَنِّي وَلَا أَغْنِي عَنِّي أَنْتَ عَلَّمْتَ
الْعُيُوبَ ﴿١١٥﴾ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَا أَمَرْتَنِي بِهِ أَنْ أَعْبُدُوا اللَّهَ رَبِّي
وَرَبَّكُمْ وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ
أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنْتَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿١١٦﴾
إِنْ تُعَذِّبُهُمْ فَإِنَّهُمْ عَبَادُكَ وَإِنْ تُعْفِ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿١١٧﴾ قَالَ اللَّهُ هَذَا يَوْمُ نَسْفَعُ الصَّادِقِينَ صِدْقَهُمْ لَهُمْ
جَنَّاتُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا رَضِيَ اللَّهُ
عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١٨﴾ اللَّهُ مَالِكُ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١١٩﴾

١١٤ - قال عيسى داعياً، لما رأى إصرار
الحواريين وقصدتهم بإنزال المائدة: اللهم ربنا أنزل
علينا مائدة من السماء يكون لنا يوم نزولها يوم عيد
وسرور لمن عاصرنا ولمن يأتي بعدنا، وتكون دليلاً
واضحاً علي قدرتك وصحة رسالة رسولك،
وارزقنا رزقاً نستعين به على شكرك وعبادتك،
وأنت أفضل الرازقين، وخير من أعطى، بل لا
رازق في الحقيقة غيرك.

١١٥ - قال الله تعالى مجيباً سؤال عيسى عليه
السلام: إني منزل عليكم هذه المائدة، فمن يكفر
منكم بعد نزولها، فإني أعذبه تعذيباً لا أعذب مثله
أحدًا من العالمين: عالمي زمانهم؛ لأنه كفر بعد
مشاهدة دليل حسي طلبه، قال ابن عباس: نزلت
المائدة على عيسى ابن مريم والحواريين: خوان
عليه سمك وخبز، يأكلون منه أينما تولوا إذا
شاؤوا.

١١٦ - اذكر يا محمد يوم القيامة الذي يقول الله
سبحانه فيه لعيسى: أنت قلت للناس: اتخذوني
مع أمي إلهين من دون الله؟ قال عيسى: أنزهك
تنزيهاً، ما ينبغي لي أن أقول ما لا يحق لي قوله، إن
كنت قلت هذا القول، فقد علمته سابقاً قبل

السؤال، تعلم ما أكتمه في صدري من أسرار، ولا أعلم ما تخفيه من علومك الذاتية في نفسك، إنك أنت
وحكك العليم المحيط بالغيبات: وهو كل ما غاب عن الحواس والإدراكات البشرية.

١١٧ - ما أمرتهم في العقيدة والعبادة إلا ما أمرتني، وكنت المراقب الشاهد على أعمالهم وأحوالهم أمنهم
عن مخالفة أمرك، فلما قبضتني إليك، ورفعتني إلى السماء، كنت أنت المراقب الشاهد عليهم، وأنت شاهد
على كل شيء، لا تخفى عليك خافية، وتشهد لي حين كنت فيهم. والوفاء هنا عند الأغلب: وفاة الرفع إلى
السماء، وليس الموت.

١١٨ - إن تعذب هؤلاء على ضلالهم، فإنهم عبادك تملك أن تفعل فيهم ما تشاء، وذلك عدل، وإن تغفر
لهم، فأنت القوي القادر على ذلك، الحكيم في أفعاله. والمقصود من قول عيسى الاستعطف وتفويض
الأمر كلها إلى الله؛ لأن عيسى يعلم أن الله لا يغفر الشرك.

١١٩ - قال الله: هذا يوم القيامة الذي يتنفع فيه صدق الصادقين في إيمانهم في الدنيا، ولهؤلاء الصادقين
جنتا تجري من تحت غرفها وأشجارها الأنهار، ما كثرن فيها أبداً، رضي الله عنهم بما عملوا من الطاعات
المخالصة له، ورضوا عنه بهذا الثواب الذي جازاهم به، ذلك هو الظفر المطلوب على أتم الأحوال.

١٢٠ - الله تعالى مالك السموات والأرض وما فيهن من الخلائق كلهم، دون عيسى وسائر المخلوقات،
فلا والده ولا ولد، والله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، ولا يحتاج إلى نصير ينصره.

سورة الأنعام

فضلها: وهي مكية إلا ست آيات منها، نزلت جملة واحدة، قال ابن عباس: نزلت سورة الأنعام بمكة ليلاً جملة واحدة، حولها سبعون ألف ملك يجارون بالتسبيح. أولهم زجل بالتسبيح والتحميد.

١- الثناء والشكر بالجميل على فعل الله الحسن، وبدأ به، لأن الحمد كله لله، وللرد على الجاعلين معه إليها آخر، فهو موجد السموات والأرض عن تقدير وحكمة، لا على مثال سابق، وهو جاعل ظلمة الليل ونور النهار، وبالرغم من هذا الخلق والإبداع، ترى الكفار يجعلون له شريكاً في العبادة. والجعل: إيجاد شيء له تعلق بشيء آخر.

٢- الله الذي خلق أصلكم آدم من طين، ثم قدر أجلاً محدداً لكل مخلوق وهو الموت، وعنده أجل مسمى معين وهو القيامة، ثم أيها المشركون تشكّون في البعث وقدرة الله عليه.

٣- وهو الله المعبود بحق، المتصرف في السموات والأرض، يعلم سركم: وهو ما تخفونه في صدوركم، وجهركم: وهو ما تعلنونه من أقوالكم وأفعالكم، ويعلم ما تعملون من خير أو شر، ويجازيكم عليه.

٤- وما يأتي المشركين من معجزات الأنبياء الدالة على قدرة الله ووحدانيته إلا أعرضوا عنها.

٥- وكذبوا بأعظم من تلك الآيات (المعجزات) وهو القرآن الحق لما جاءهم من عند الله، فسوف يأتيهم أخبار ما كانوا به يستهزئون، أي سيجدون العقاب المناسب لهم في الدنيا والآخرة عند إرساله إليهم.

٦- ألم يعلم هؤلاء المكذبون بالقرآن كم أهلكنا من قبلهم من الأمم السابقة، والقرن: أهل كل عصر، والمتوسط نحو مئة عام، وأعطيناهم من القوة وطول العمر، ما لم نعطكم يا أهل مكة، وأهلكناهم جميعاً، فأنتم أهون، وأرسلنا عليهم المطر مدراراً: غزيراً مستتابعاً، وجعلنا الأنهار تجري من تحت مساكنهم وأشجارهم، فأهلكناهم بذنوبهم، وأوجدنا من بعدهم جماعة آخرين.

٧- ولو نزلنا عليك أيها النبي كتاباً سماوياً في صحيفة مكتوبة، فلمسوه بأيديهم بعد أن رأوه بأعينهم، لقال الكافرون منهم عناداً: ما هذا الذي نزل عليك إلا سحر واضح، وإذا كان هذا حالهم في المرئي المحسوس، فكيف فيما هو مجرد وحي وإخبار إلى الرسول؟! نزلت لما طلب المشركون من النبي ﷺ إنزال كتاب من عند الله، ومعه أربعة ملائكة يشهدون بذلك.

٨- وقال مشركو مكة: هلا أنزل على محمد مَلَكٌ نراه يشهد بأنه نبي مرسل، حتى نؤمن به ونتبعه؟ ولو أنزلنا ملكاً، لقضي الأمر بإهلاكهم، ثم لا يمهلون ليؤمنوا.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ
 ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ
 قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ يُسَمَّىٰ عِنْدَهُمُ الْأُجُورُ ﴿٢﴾ وَهُوَ اللَّهُ فِي
 السَّمَوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَمَا تَكْسِبُونَ ﴿٣﴾
 وَمَنَّا أَنبِئُكُمْ مِنَ الَّذِينَ نَزَّلْنَا آيَاتِنَا فِيهِمْ لَا كَانُوا عَمَّا نُعِظُونَ ﴿٤﴾ فَذُكِّرُوا
 بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَا نَبُوتَآءُ كَانُوا يُسْتَهزَءُونَ ﴿٥﴾
 أَمْ لِيُبَدِّلَ لَكُمْ مَنَاسِكَكُمْ مِمَّا جَاءَكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ وَتُؤْتَوْنَ مَا لَمْ
 تَكُنْ لَكُمْ وَأُرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرْآنًا آخَرَ ﴿٦﴾
 وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَابٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالُوا
 الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّا هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ
 مَلَكٌ وَلَوْ أَنزَلْنَا مَلَكَ لَقُضِيَ الْأَمْرُ لِمَا نَبْطِرُونَ ﴿٨﴾

وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِ م
 مَا يَلْبَسُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ بِرُسُلٍ مِن قَبْلِكَ
 فَخَافَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١٠﴾
 قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْمُكذِبِينَ ﴿١١﴾ قُلْ لِيَن قَافِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لَلَّهِ كُتُبٌ
 عَلَىٰ نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ لِيَجْمَعَ كُتُبَهُ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لِأَنَّهُ لَا رَيْبَ فِيهِ
 الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ وَلَمْ
 مَاسَكْنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣﴾ قُلْ
 أَغْيَا اللَّهُ أَخَذَ مِنَّا فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُهُ
 وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٤﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ
 يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ مَنْ يُصِرِّفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْنَاهُ
 وَذَلِكَ الْقُورَ الَّذِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ يَمَسُّكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا
 كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمَسُّكَ خَيْرٌ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١٨﴾

٩- ولو جعلنا الرسول ملكاً كما طلبوا، لجعلناه رجلاً ليستطيعوا رؤيته؛ لأنهم لا يتمكنون من رؤية الملك على صورته الأصلية ويخافون منه، وخلقنا الأمر عليهم إذا تجسم بصورة إنسان ليقدرُوا على رؤيته، كما يخلطون على أنفسهم، فيقولون: هذا إنسان وليس بملك.

١٠- ولقد استهزأ الناس بالرسول السابقين، كما استهزأ قومك بك أيها الرسول، فتزل بالساحرين ما كانوا به يستهزئون من العذاب.

١١- قل أيها الرسول للمستهزئين: سافروا في الأرض، وانظروا آثار الأمم السابقة لتعرفوا ما حل بهم من العقوبات، وانظروا كيف كان مصير الكاذبين لرسولهم، فأنتم هالكون إن كذبتم مثلهم.

١٢- اسألهم: من الذي له ملك السموات والأرض، وله حق التصرف فيهما؟ وقل: هي لله، سواء اعترفوا أو أقيمت عليهم الحجة، فإله قادر على عقابهم، ولكنه سبحانه أوجب على نفسه الرحمة، فلا يتعجل بالعقوبة، بل يتقبل منهم التوبة، ثم أقسم الله بأنه ليجمع الناس أو يحشرهم من القبور إلى يوم القيامة لا شك في أنه آت، والذين كفروا بالله ولم يؤمنوا برسوله هم الذين خسروا وجودهم.

١٣- وملك الله شامل لكل ساكن ومتحرك، فإله تعالى في الآية السابقة أبان أنه مالك لكل ما في الأمكنة من سموات وأرض، وهنا أوضح أنه مالك لكل ما في الأزمنة، والساكن يشمل الجمادات، والحيوانات التي تسكن في الليل أو في النهار، والله هو السميع لجميع الأقوال، العليم بكل ما تخفيه النفوس. نزلت حينما عرض كفار مكة على النبي ﷺ نصيباً من أموالهم، حتى يصير أغناهم رجلاً، ويرجع عما هو عليه من الدعوة.

١٤- قل أيها الرسول لأهل مكة الذين دعوك إلى عبادة الأصنام: كيف أتخذ غير الله ناصرًا ومعبوداً، وهو مبدع السموات والأرض، وهو يرزق الناس ما يحتاجون، ولا يرزق من أحد، فهو غني عن الناس والطعام وغيره، قل: إني أمرت أن أكون أول من خضع لربه بالعبادة، وقيل لي: إياك أن تكون من المشركين الذين اتخذوا لله شريكاً من خلقه.

١٥- قل لهم: إني أخاف إن عصيت ربي بعبادة غيره عذاب يوم شديد هو يوم القيامة.

١٦- من يصرف عنه العذاب يوم القيامة، فقد رحمه الله ونجاه من النار، وذلك هو الفوز الواضح الباهر.

١٧- وإن تعرض أيها الإنسان لضر من فقر أو مرض، فلا قادر على رفع الضرر الواقع أحد غير الله، وإن يصبك خير من رخاء أو عافية، فإله قادر على كل شيء من إيصال الخير والشر وغيرهما.

١٨- والله هو الغالب المستعلي فوق عبادة استعلاء قهر وغلبة، وهو الحكيم في أفعاله، الخبير بما يصلح عبادة.

١٩- قل أيها الرسول لمن يطلب شهادة على نبوتك وصدقك: أي شاهد أعظم شهادة وأولى بالتصديق؟ قل: الله شاهدي، وهو أعظم شاهد لرسوله تجاه خلقه، وأوحى الله إلي هذا القرآن لأنذر بالعذاب من عصى ولم يؤمن، وأنذر به من بلغ إليه من الناس جميعاً إلى يوم القيامة، أتكم معشر المشركين لتشهدون من غير حجة أن مع الله إلهاً آخر؟ قل لهم: أنا لا أشهد بوجود آلهة أخرى مع الله، فتلك أبطل الشهادات، وإنني بريء عما تقولون وتشركون من الأصنام. قال رؤساء مكة: يا محمد، ما نرى أحداً يصدقك بما تقول من أمر الرسالة، فأرنا من يشهد لك أنك رسول كما تزعم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٢٠- إن أهل التوراة والإنجيل يعرفون النبي ﷺ وأنه صادق في رسالته بنعته في كتابهم معرفة حقة، كما يعرفون أبناءهم، الذين خسروا أنفسهم بعنادهم وتمردهم وتعريضها للعذاب في الآخرة: هم الذين لا يؤمنون بما بعث الله به نبيه محمد ﷺ.

٢١- لا أحد أظلم ممن اختلق على الله الكذب، فزعم أن له الولد أو الشريك، أو كذب بآيات القرآن، إنه لا يفلح الكافرون الظالمون لأنفسهم بالتكذيب

قُلْ أَى شَىْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلْ اللهُ شَهِيدُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَى هَذَا الْقُرْآنِ أَنْ لَا يُذَكَّرَ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَيْسَكُمْ لِلشَّهَادَةِ أَنْ مَعَ اللهُ آلِهَةٌ أُخْرَى قُلْ لَا أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ اللهُ وَحْدَهُ وَإِنِّى بَرِيءٌ مِمَّا تُشْرِكُونَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يَعْرِفُونِ أَبْنَاءَهُمْ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْ الظَّالِمِينَ قَوْلُهُمْ وَيَوْمَ تُنْفَخُ الصُّرُورُ أَنتُمْ نَجْمٌ فَتَقُولُونَ الَّذِينَ اشْرَكُوا مِمَّنْ شَرَكَاؤُكُمْ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُزْعَمُونَ ﴿٢١﴾ ثُمَّ لَوْ كُنْتُمْ فَتَنَّهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كَانُوا مِنَّا كَاشِرِينَ ﴿٢٢﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ كَذَّبُوا عَلَى أَنفُسِهِمْ وَصَلَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يُقْتَرُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُؤْمِنُوهَا حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ كَذِبٌ لَو أَنَّهُمْ يَقُولُونَ الْذِينَ كَفَرُوا وَإِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولَى ﴿٢٤﴾ وَهُمْ يَسْتَهْوُونَ عَنْهُ وَيَتَنَوَّنَ عَنْهُ وَإِنْ يَهْلِكُونَ إِلَّا أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَا لَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبُ بِآيَاتِ رَبِّنَا وَكُنَّا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٦﴾

والكفر.

٢٢- واذكر لهم خبر يوم القيامة يوم يجمع الله العابدين والمعبودين، ثم نقول للمشركين: أين شركاؤكم من الأصنام التي عبدتموها من دون الله، والتي تزعمونها شركاء وشفعاء لكم عند الله؟

٢٣- ثم لم تكن عاقبة كفرهم وجرأتهم على الكذب وجوابهم لما رأوا العذاب إلا التبري من الشرك.

٢٤- انظر وتأمل في كذبهم الصريح بإنكار الشرك، وكيف تلاشى افتراؤهم، وتبدد زعمهم أن الشركاء يقربونهم إلى الله.

٢٥- ومن المشركين من يستمع إلى تلاوتك القرآن، لا للاهتداء وإنما للجدل، وجعلنا على قلوبهم أغطية كراهة أن يفقهوا (أو يفهموا) القرآن، وجعلنا في آذانهم صمماً لئلا يدركوه، بسبب عنادهم، وإن يروا كل آية تدل على وحدانية الله لا يؤمنوا بها، حتى إذا جأؤك يجادلونك، قال الكفار: ما هذا القرآن إلا خرافات الماضين. نزلت في النصر بن الحارث حينما سئل عما يقول محمد، فقال: والذي جعلها بيته، ما أدري ما يقول، إلا أنني أراه يحرك شفتيه يتكلم بشيء، وما يقول إلا أساطير الأولين، مثلما كنت أحدثكم عن القرون الماضية.

٢٦- والمشركون يهون الناس عن سماع القرآن، ويتعدونهم بأنفسهم عنه، وما يهلكون بابتعادهم عن الدين الحق إلا أنفسهم بتعريضها للعذاب، وما يشعرون بضرر كفرهم على أنفسهم. نزلت في عمومة النبي ﷺ وكانوا عشرة، كانوا أشد الناس معه في العلانية، وأشد الناس عليه في السر.

٢٧- ولو ترى حال المشركين حين حسبوا قرب النار معينين لها، لرأيت حالاً عجيبة هائلة، فقالوا: ليتنا نرد إلى الدنيا لنتوب فيها، ولا نكذب بآيات ربنا، ونصدق بالله ورسوله، وكل ذلك كذب ومراوغة.

بَلْ يَدَاهُم مَّا كَانُوا يَحْفُونَ مِنْ قَبْلِ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ
وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٢٨﴾ وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا
وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ
السِّرُّ هَذَا الْحَقُّ قَالُوا بَلَى وَرَبِّنَا قَالَ فَذُقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ
تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾ فَذَخِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا لِقَاءَ اللَّهِ فِي آثَانِهِمْ
السَّاعَةَ بَعَثَ قَالُوا يَا خَسِرْنَا عَلَى مَا فُوتْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ
عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلْسَاءً مَا يَرْوُونَ ﴿٣١﴾ وَمَا أَحْيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَعِبٌ
وَلَهْوٌ وَلَلْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٣٢﴾ قَدْ عَلِمَ
إِنَّهُ لِيَحْزُنَكَ الَّذِي يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يَكْذِبُونَكَ وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ
بِعَايَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ
فَصَبْرًا وَعَلَى مَا كَذَّبُوا وَأُودُوا وَاحْتِئِبُّوا أَنَّهُمْ نَصَرُوا وَلَا مَسَدَلٌ
لَكَ مِنَ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبِيِّ الرُّسُلِ الَّذِينَ
وَإِنْ كَانَ كِبْرُ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَنْجُو
نَفَقًا فِي الْأَرْضِ أَوْ سَلْمًا فِي السَّمَاءِ فَاتَّبِعْهُمْ رُفُوعًا وَنُزُولًا
اللَّهُ يَجْمَعُهُمْ عَلَى الْهَدْيِ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٣٤﴾

٢٨ - بل ظهر للمشركين ما كانوا يخفونه من الكفر وسوء الأعمال في الدنيا، ولو رُدوا إلى الدنيا كما تمنوا، لعادوا إلى قبح الاعتقاد من الشرك والمعصية، وغلبهم طبعهم، وإنهم لكاذبون في وعدهم أو قولهم، أي أن تمنيتهم العودة ليس نابعا من رغبة صادقة في الإيمان.

٢٩ - وقال هؤلاء المشركون منكرو البعث: ما هذه الحياة إلا حياتنا الدنيا التي نحياها، وما نحن بمبعوثين بعد الموت، ولا آخرة.

٣٠ - ولو ترى حال هؤلاء المنكرين للبعث حين حُسبوا لانتظار أمر ربهم وعرضوا للحساب، لشاهدت العجب، قال الله تعالى لهم: اليس هذا البعث الذي أنكروه في الدنيا حقا أي كائنا موجودا؟ قالوا: بلى والله إنه لحق، قال الله: فذوقوا عذاب جهنم بسبب كفركم به.

٣١ - قد خسر في الآخرة الذين أنكروا البعث والجزاء، حتى إذا جاءتهم القيامة فجأة، قالوا: يا ندامتنا الشديدة على نفيطنا في الإعداد لها من التصديق والعمل الصالح، وهم يحملون ذنوبهم

على ظهورهم، أي فتلزمهم أثامهم، وتثاقلوا بها وأحسوا بوطأتها، ألا تبس ما يحملون، وما يلقون من سوء العذاب.

٣٢ - رد الله على قول الكفار: ما هي إلا حياتنا الدنيا، بأن هذه الحياة مجرد لعب لا يحقق نفعاً ولا يدفع ضرراً، وكهو يشغل عما يعني وبهم، فهي سراب خادع، والدار الآخرة والإعداد لها خير للذين يتقون الله والشرك والعصيان، أفلا تعقلون ذلك يا من أنكروتم الآخرة؟

٣٣ - نعلم بالتأكيد أنه ليحزنك أيها الرسول ما يقوله المشركون من التكذيب لك، فلا تحزن، فإنهم لا يكذبونك في السر والحقيقة، لعلمهم أنك صادق، ولكن الظالمين لأنفسهم إنما يكذبون في الحقيقة آيات الله ويكفرون بها. قال أبو جهل للنبي ﷺ: إنا لا نكذبك، ولكن نكذب ما جئت به، فنزلت هذه الآية.

٣٤ - ولقد كذبت الرسل السابقون كما كذبت قومك، فصبروا على التكذيب والإيذاء، فاصبر مثلهم، حتى يأتيك نصرنا كما أتاهم بالإهلاك، ولا مبدل لوعده الله بنصره رسله، ووعيده أعداءهم بالخذلان، ولقد أتاك بعض أخبار الرسل المرسلين من إنجائهم وتدمير أعدائهم.

٣٥ - وإن كان عظم وشق عليك إعراض المشركين عن رسالتك، فهذا كائن في علم الله السابق، وإن استطعت أن تتخذ سرياً في الأرض، أو سلماً تصعد عليه إلى السماء، فتأتيهم بأية خارقة تضطرهم إلى الإيمان، فافعل، ولكنهم مع ذلك لا يؤمنون، ولو شاء الله هدايتهم لهداهم جميعاً، ولكنه لم يشأ ذلك، فلا تكونن من الجاهلين بذلك وبحكمة الله في الأمر.



٣٦- إنما يجيب دعوتك أيها النبي إلى الإيمان الذي يسمعون سماع تفهم وتدبر، وموتى القلوب وهم الكفار يبعثهم الله في الآخرة، ويردون إلى الله، فيجازيهم بأعمالهم.

٣٧- وقال مشركو مكة: هلا أنزلت عليه من ربه معجزة مما اقترحناه، تشهد على صدقه، مثل تنق الجبل ونزول الملائكة عياناً، قل لهم أيها الرسول: إن الله قادر على إنزال آية تلجى إلى الإيمان، لكن لو أنزل الله آية كما طلبوا، عوجلوا بالعقوبة إذا لم يؤمنوا، وأكثرهم لا يعلمون ما يحل بهم من العذاب إذا لم يؤمنوا. نزلت هذه الآية بعد وقعة حمراء الأسد بعد وقعة أحد.

٣٨- ما من دابة تدب على الأرض أو طائر يطير في الهواء إلا أصناف وجماعات أمثالكم أيها الناس، خلقها الله، ورزقها، وأحاط علمه بها، ما تركنا في اللوح المحفوظ شيئاً من شؤونها لم نكتبه، ثم تحشر تلك الأصناف إلى ربها يوم القيامة، كما يحشر بنو آدم، ثم يقتص لبعضها من بعض، ثم تصير تراباً بأمر الله تعالى.

٣٩- والذين كذبوا بآياتنا القرآنية لا يسمعون ما ينفعهم سماع تفهم وتدبر، ولا ينطقون بالحق، غارقون في ظلمات الكفر والجهل، لا يهتدون لشيء فيه خيرهم وصلاحهم، من يشأ الله إضلاله يضلله، ومن يشأ هدايته يجعله على طريق مستقيم، وهو دين الإسلام، والإضلال والهداية بحسب علم الله أولاً بالمخلوقات، فمن أضله فلا عراضه عن دعوة الله الحق، ومن هداه فلائه نظر وتأمل واستقل بفكره دون تأثر بالتقليد الأعمى.

٤٠- قل أيها الرسول لأهل مكة: أخبروني عن حالكم إن جاءكم عذاب الله في الدنيا، أو جاءكم القيامة بأهلها، أتدعون أحداً غير الله لكشف الضر عنكم، أم تدعون الله؟ إن كنتم صادقين في ادعائكم أن الأصنام تضر وتنتفع، وأنها تقربكم إلى الله تعالى.

٤١- بل إنكم تدعون الله، لا غيره عند الشدائد، فيرفع عنكم ما نزل بكم إن شاء، وتتركون ما تشركون به من الأصنام ونحوها قبل نزول العذاب.

٤٢- ولقد أرسلنا رسلاً إلى أم سابقة من قبلك أيها النبي، فكتبوهم، فعاقبتناهم بالمصائب في الأمور، والأمراض في الأجسام، لعلهم يتدلون ويخشعون لربهم بالتوبة.

٤٣- فهلا إذ جاءهم عذابنا تضرعوا بالتوبة، ولكن اشتدت وصلبت قلوبهم فلم تبادر إلى الإيمان، وحسن لهم الشيطان سوء أعمالهم، وأغواهم بالبقاء على الكفر، أي كان ينبغي لهم أن يتضرعوا، ولكنهم لم يفعلوا.

٤٤- فلما تركوا الاتعاظ بالشدائد، والعمل بما أمرهم به رسلهم، فتحتنا عليهم أبواب النعم والخيرات، استدراجاً لهم، حتى إذا فرحوا بما أوتوا فرح بطر وأشر، عاقبتناهم بالعذاب فجأة، فإذا هم آيسون من النجاة، حزينون على ما نزل بهم من الكوارث.

﴿ إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نَزَّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنْ اللَّهُ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَنْزِلَ آيَةٌ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحِهِ إِلَّا أُمَّةٌ أَمْثَلُكُمْ مَا فَطَرْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَيْهِمْ يُحْشَرُونَ ﴾ ﴿ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بآيَاتِنَا صُمُّهُمْ فِي الظُّلُمَاتِ مِنْ نَبَأِ اللَّهِ يُضَلُّهُ وَمَنْ يَشَأْ يُجْعَلْهُ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾ ﴿ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ أَنْزَلْتُمْ السَّاعَةَ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ وَتَنْسَوْنَ مَا أَنْشَرَكُمُ ﴾ ﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى أُمَمٍ مِنْ قَبْلِكَ فَأَخَذْنَاهُمْ بِالْأَسْأَةِ الَّتِي أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ يَتَضَرَّعُونَ ﴿ ١٥ ﴾ فَلَوْلَا إِذْ جَاءَهُمْ نَسْأَةُ تَضَرَّعُوا وَلَكِنْ قَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ ﴿ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَابَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّى إِذَا فَرِحُوا بِأُوْتُوا أَحَدَهُمْ بَغْتَةً فَإِذَا هُمْ مُبْلِسُونَ ﴾ ﴿ ١٦ ﴾

فَقَطَّعَ ذَابِرًا لِقَوْمٍ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَلْحَدَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَخَذَ اللَّهُ سَمْعَكُمْ وَأَبْصَرَكُمْ وَخَسَعَهُ عَلَى قُلُوبِكُمْ
 مَنِ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ يَا أَيُّكُمْ بِهِ أَنْظَرَ كَيْفَ نَصْرَفَ الْآيَاتِ ثُمَّ هُمْ
 يَصْدُقُونَ ﴿٤٦﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابَ اللَّهِ بَغْتَةً
 أَوْ جَهْرَةً هَلْ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمُ الظَّالِمُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرْسِلُ
 الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ
 فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
 يَمْسُهُمُ الْعَذَابُ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٤٩﴾ قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ
 عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ
 إِنْ أَتَيْتُمْ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ
 أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ ﴿٥٠﴾ وَأَنْذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْ يُحْشَرُوا إِلَىٰ
 رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُمْ مِنْ دُونِهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ
 ﴿٥١﴾ وَلَا تَنْظُرْ بِالَّذِينَ تَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْعُدْوَةِ وَالْقِسِيِّ
 يُرِيدُونَ وَجْهَ مَا عَلَيْكَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَمَا مِنْ
 حِسَابِكُمْ عَلَيْهِمْ مِنْ شَيْءٍ فَظَنُّهُمْ فَتَكُونُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٢﴾

٤٥ - استوصل جميع القوم الظلمة الكفرة حتى آخرهم، فلم يبق منهم أحد، والحمد لله على إهلاكهم؛ لأن في ذلك تخليصاً للبشر من مفسدهم. وهذا تنبيه للعباد على حمده تعالى على نصر المصلحين، وإهلاك المفسدين.

٤٦ - قل أيها النبي لمن كذب برسالتك:

أخبروني إن أصمكم الله وأعماكم، وحجب عنكم العقل والفكر والإدراك، من إله غير الله يأتيكم بما أخذه منكم، انظر أيها النبي كيف نبين وننوع الحجج الدالة على الخير والرشاد، من ترغيب وترهيب، ثم هم يعرضون عنها، فلا يؤمنون.

٤٧ - قل لهم أيها النبي: أخبروني عما تفعلون إن أتاكم عذاب الله فجأة من غير مقدمات أو أمارات تنذره، كما حصل لقوم لوط، أو أتاكم ظاهراً علانية بعد تقديم مقدمات دالة عليه، كما حصل لقوم نوح وفرعون، ما يهلك ويُعذب إلا القوم الظالمون لأنفسهم وهم الكفار المُصِرُّون على الكفر.

٤٨ - وما نرسل الرسل إلا مبشرين لمن أطاعهم

بالجنة، ومنذرين لمن عصاهم بالنار، فمن آمن بالله ورسله وكتبه، وأصلح عمله، فلا خوف عليهم

من عذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما فاتهم في الدنيا.

٤٩ - والذين كذبوا بآيات الله التي أرسل بها الرسل، يصيبهم العذاب في الآخرة بسبب كفرهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

٥٠ - قل أيها النبي: لا أقول لكم أيها الجاحدون الكافرون عندي خزائن قدرة الله ورزقه، فأعطيكم منها وأتيكم بما تقترحون من الآيات، ولا أقول لكم: إني ملك يأتي بالأفعال الخارقة، ما أتبع إلا ما يوحى إلي من الله، فأبلغكم إياه.

٥١ - وخوف أيها الرسول بهذا القرآن المؤمنين الذين يخافون من الحشر وأهواله يوم القيامة، ويعتقدون بأنه ليس لهم من غير الله ولي ناصر يواليهم وينصرهم، ولا شفيع يشفع لهم عند الله لينجيهم من عذابه، أنذرهم ليتقوا الله في الدنيا، فيأتمروا بالأوامر، ويتهوا عن الكفر والمعاصي.

٥٢ - ولا تطرد الفقراء أو الضعفاء من مجلسك أيها الرسول، الذين يذكرون الله، ويصلون له صباحاً ومساءً، وهم مخلصون في عبادتهم، لا يريدون بذلك إلا وجه الله تعالى، ويتغنون مرضاته، حسابهم مستقل بهم، لا تحاسبهم على شيء، ولا يحاسبونك على شيء، فكل إنسان مسؤول عن عمله، لا تطردهم من مجلسك إرضاء لمن ليس مثلهم في الدين والفضل، فتكون من الظالمين إن طردتهم. نزلت في سعد بن أبي وقاص وعبد الله بن مسعود وأربعة، قالوا لرسول الله ﷺ: اطردهم، فإننا نستحي أن نكون تبعاً لك كهؤلاء. هذه رواية ابن حبان والحاكم جعلت ابن مسعود مع أئمة قريش، والصحيح رواية مسلم التي جعلت هؤلاء الستة من المطلوب طردهم.

٥٣- إن مقال المشركين في الضعفاء اختبار، وهكذا ابتلى الله بعض الناس ببعض، ليعلم هل يشكر الأولون فيعطفون على الآخرين، وهل يرضى الآخرون ولا يسخطون؟ وليقول التكبرون منهم ساخرين: أهولاء الضعفاء الذين من الله عليهم بالهداية، وأكرمهم بإصابة الحق من دوننا؟ فرد الله عليهم: اليس الله بأعلم بالذين يشكرونه ويعبدونه بإخلاص، فيمن عليهم بالهداية والتوفيق؟! ١

٥٤- وإذا جاءك أيها الرسول المؤمنون بآيات الله المنزلة في القرآن، وهم المستضعفون من المؤمنين الذين نهيت عن طردهم، فقل لهم تطيباً لحواظهم: سلام عليكم، أوجب ربكم على نفسه الرحمة إيجاب تفضل وإحسان، أنه من ارتكب ذنباً بسبب جهالة، لا بتعمد وإصرار، ثم تاب إلى الله من بعد عمله، وأصلح عمله وما أفسده بالمعصية، فرجع إلى الصواب، فإن الله غفور للمستغفرين رحيم بالتائبين. قال عكرمة: نزلت في الذين نهى الله تعالى نبيه عن طردهم، فكان إذا رآهم النبي ﷺ بدأهم بالسلام.

٥٥- ومثل ذلك التفصيل، بين الحجج والأدلة، لتظهر طريقة الكفار، ويتضح سبيل ضلالهم.

٥٦- قل أيها النبي للمشركين: إن الله نهاني أن أعبد الأصنام التي تعبدون من غير الله، وأمرني ألا أتبع أهواءكم الفاسدة التي توقع في الضلال، من عبادة معبوداتكم، وطردهم من المؤمنين، فإن اتبعت أهواءكم فأنا ضال.

٥٧- قل لهم: إني فيما أخالفكم فيه على بصيرة من شريعة الله، والحال أنكم كذبتم بالحق والقرآن الذي جاءني من عند الله، فجعلتم الله شركاء، ليس عندي ما تعجلون به من العذاب استهزاء، ما الحكم في تأخير العذاب أو تعجيله وفي كل شيء إلا الله وحده، يقضي القضاء الحق، ويقص على رسوله القصص الحق في وعده ووعيدته، وهو سبحانه خير الحاكمين الذين يفصلون بين الحق والباطل في قضايا العباد. قال الكلبي: نزلت في النضر بن الحارث ورؤساء قريش: كانوا يقولون: يا محمد، اتتنا بالعذاب الذي تعدنا به استهزاء منهم، فنزلت هذه الآية.

٥٨- قل لهم: لو أن عندي القدرة على إنزال ما تطلبون تعجيله، لأنزلته بكم، ويقضي الله بيني وبينكم، والله أعلم بالظالمين أنفسهم بما هم عليه من الشرك.

٥٩- وعنده تعالى خزائن الغيب، لا يعلم بها أحد سواه سبحانه، وبهذا يطل ادعاء الكهان والمنجمين وغيرهم، ويعلم ما يحدث في البر والبحر، ويعلم ما يسقط من أوراق الشجر، ويعلم بكل حبة كائنة في باطن الأرض وأعماقها، ويعلم بكل رطب ويابس من نبات وجماد وجميع الموجودات، كل ذلك في اللوح المحفوظ، في علم الله تعالى.

وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِيَقُولُوا أَهَؤُلَاءِ مِثْلُ اللَّهِ
عَلَيْهِمْ مِنْ بَنَاتِ اللَّهِ الَّذِينَ يَعْلَمُونَ بِاللَّسِكِرِينَ ﴿٥٣﴾ وَإِذَا
جَاءَكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا آتَيْنَا فَقُلْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ
كَبَّرَكُمْ عَلَى نَفْسِهِ الرَّحْمَةُ أَنَّهُمْ مِنْ عَمَلٍ مِنْكُمْ سُوءًا
يَجْهَلُونَ ثُمَّ تَابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ فَإِنَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٥٤﴾
وَكَذَلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ وَلِتَسْتَسِينَ سَبِيلَ الْمُجْرِمِينَ
﴿٥٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أُعْبَدَ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
قُلْ لَا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ
الْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ قُلْ إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَكَذَّبْتُمْ بِي مَا عِنْدِي
مَا تَسْتَحِيلُونَ بِي إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَفْضُلُ الْحَقُّ وَهُوَ خَيْرُ
الْفَاصِلِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ لَوْ أَنَّ عِنْدِي مَا تَسْتَحِيلُونَ بِهِ لَقَضَى
الْأَمْرَ لِنَبِيِّي وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ﴿٥٨﴾ وَعِنْدَهُ
مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا هُوَ وَعَلَّمَ مَا فِي الْإِنْبِرِ
وَالْيَحْرُ وَمَا تَسْقُطُ مِنَ رِزْقِهِ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ
فِي ظِلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَابِسٌ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٥٩﴾



وَهُوَ الَّذِي يُتَوَقَّعُ بِالنَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى إِلَيْهِ فَتُحْجَمُ ثُمَّ يُنْبِتُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٦٠﴾ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَرُوقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمْ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفِرُّونَ ﴿٦١﴾ ثُمَّ رُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُ الْحَقُّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ﴿٦٢﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٣﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٤﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٥﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٧﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٨﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٩﴾ قُلْ مَنْ يَبْغِيكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ فَلْيَصْرَعُوا فِيهِمْ إِنَّهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٧٠﴾

٦٠- وهو الله تعالى الذي يلقي النوم عليكم بالليل، فيمتنع التمييز والتصرف الاختياري، وتوقف الحواس عن أعمالها، وهذا هو المراد بالتوفي هنا، ويعلم ما كسبتم بجوارحكم (أعضائكم) بالنهار، من الخير والشر، ثم يوقظكم في النهار من نومكم، لينفذ الأجل المعين للحياة، ثم ترجعون إلى الله بالبعث بعد المات، ثم يخبركم بأعمالكم في الدنيا، ويجازيكم عليها، بالخير والشر.

٦١- وهو سبحانه الغالب الذي قهر كل شيء، وخضع لجلاله وعظمته كل شيء، ويرسل عليكم ملائكة حفظة تحفظكم من الآفات، وتحفظ أعمالكم، حتى إذا حان أجل الوفاة توفته الملائكة المولكون بقبض الأرواح أعوان ملك الموت، وهم لا يقصرون فيما أمروا به من الإكرام أو الإهانة.

٦٢- ثم تردُّ الخلائق التي توفتها الرسل، إلى الله المالك الوالي الذي يحكم بالحق، ألا الله وحده لا لغيره القضاء الحق، وهو المحاسب لجميع الخلائق في أسرع وقت، لا يحتاج إلى تأمل وتفكر.

٦٣- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: من ينقذكم من شدائد البر والبحر إذا تعرضتم لها؟ تدعونه جهراً وسراً متضرعين: متذللين خاضعين، قائلين: لنن

أنجيتنا من هذه الشدة التي نزلت بنا، لنكونن من الشاكرين لك على نعمتك علينا.

٦٤- قل لهم أيها النبي: الله وحده هو الذي ينجيكم من هذه الأهوال (الظلمات) ومن كل هم وغم، ثم أنتم بعد ذلك تشركون بالله في العبادة آلهة أخرى، بعد أن أحسن إليكم، مع أن تلك الآلهة المزعومة لا تضر ولا تنفع.

٦٥- قل لهم أيضاً: إن الله هو القادر على إنزال العذاب بكم من كل جانب، من السماء بالمطر والصواعق، ومن تحتكم بالخسف والغرق والزلازل مثلاً، أو يجعلكم فرقاً مختلفة الأهواء مختلطة الآراء، يقاتل بعضهم بعضاً، ويذيق بعضهم بأس (شدة) بعض، من قتل وجرح وتشريد ونهب، انظر كيف نبين لهم الدلالات على قدرتنا، ليدركوا ويفهموا الحقائق، ويرجعوا عما هم عليه من الباطل. ومن المعلوم أن النبي ﷺ سأل ربه ثلاثاً، فأعطي اثنتين وهما ألا يهلك الله أمته بالفرق، والسنة، ومنع الثالثة وهي ألا يجعل بأسهم بينهم.

٦٦- وكذب بالقرآن قومك قريش، والحال أن القرآن حق لا شك فيه، قل لهم أيها النبي: لست بحفيظ ولا رقيب على أعمالكم، فأجازيكم عليها، إنما أنا منذر.

٦٧- لكل خبر في القرآن وقت معين يقع فيه ويستقر، وسوف تعلمون ما يقع وما أخبرتكم به.

٦٨- وإذا رأيت أيها النبي الذين يخوضون في آياتنا بالكذب والاستهزاء، فاتركهم ولا تجالسهم، حتى يتحدثوا في حديث آخر، وإن أنساك الشيطان أن تقوم عنهم، فلا تقعد بعد التذکر مع القوم الظالمين لأنفسهم، وقم في الحال، عن ابن عباس: أن الآية في مجالسة الذين يتجادلون في آيات الله، ويتخاصمون فيها، وهم أهل الأهواء والبدع. وعن السدي: أنها في المشركين المستهزئين بالقرآن والنبي.

٦٩- ليس على المتقين ريبهم حساب الخافضين في آيات الله، وليس عليهم أي شيء من الإثم إذا أعرضوا عنهم، أو جالسوهم وهم يخوضون في حديث آخر، ولكن اجتنابهم أو القيام عنهم تذكير بعظمة الإثم الذي وقعوا فيه بسبب هذا الخوض، لعلهم يتركونه، ويتقوا الله، فيمسكوا عن الكلام الباطل.

٧٠- وارك الذين اتخذوا الدين الحق مجالاً للعبث، والاستهزاء أو التسلية، وخذعتهم الحياة الدنيا بزيتها، فأنكروا البعث ونسوا الآخرة، وعظ بالقرآن، لئلا تهلك نفس أو تحبس في جهنم، بسبب ما عملت من المعاصي في الدنيا، والمراد: ذكر بالقرآن لتنجو النفس من العذاب قبل الإحاطة به، وليس لتلك النفس ناصر يتصرها وينجيها من عذاب الله، ولا شفيع يشفع لها، حتى وإن بذلت النفس التي أسلمت للهلاك كل فدية، ولو ملء الأرض ذهباً، فلا يقبل منها، أولئك الذين أسلموا للعذاب الإلهي بسبب عملهم السيء، لهم في جهنم شراب من ماء شديد الحرارة، وعذاب شديد مؤلم بسبب كفرهم واستهزائهم بآيات الله تعالى.

٧١- قل أيها النبي للمشركين: أنعبد من دون الله أصناماً لا تنفع ولا تضر، وترك عبادة الله الذي بيده النفع والضرر، ونرجع إلى الضلالة والشرك، بعد أن هدانا الله إلى الإسلام، كالذي أضلته مردة الجن وحملته على اتباع هوى نفسه، وجعلته تائهاً متحيراً في الأرض، لا يهتدي لجهة، له أصحاب (رفقة) يدعونه إلى طريق الهداية ويحاولون إنقاذه من الضلالة، قائلين له: اسلك طريقنا ووافقنا على الدين الحق، فلا يجيبهم فيهلك، قل أيها النبي: إن دين الله الذي ارتضاه لعباده وهو الإسلام هو الهدى وغيره باطل، وأمرنا جميعاً كي نخلص العبادة لله رب الإنس والجن. قال السدي: قال المشركون للمسلمين: اتبعوا سبيلنا واركوا دين محمد، فأنزل الله: ﴿ قل: أندعوا من دون الله... ﴾.

٧٢- وأمرنا أيضاً بأن نقيم الصلاة تامة في أوقاتها، وبأن نتقي الله ونتجنب معصيته ونخشى عذابه، فهذا هو الهدى، والله هو الذي نجمع إليه وحده في الآخرة للحساب، وله الحكم وحده يوم القيامة، ولا ينفعكم فيه إلا العلم الصالح من تقوى وصلاة ونحوهما.

٧٣- والله هو الذي خلق السموات والأرض خلقاً متلبساً بالحق، لا عبثاً ولا باطلاً، ويوم يقول لشيء أراد إيجاده: كن فيكون موجوداً، قوله الصدق الواقع لا محالة، وله المُلْكُ والسلطان التام الذي لا ينازعه فيه شيء، يوم ينفخ في قرن النفخة الأولى للفناء، والثانية للحياة، وهو العالم بما غاب وما حضر من كل شيء، وهو الحكيم في جميع أفعاله وما يصدر عنه، الخبير بكل شيء ظاهر أو باطن.

وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِمْ مِنْ شَيْءٍ وَلَكِنْ ذَكَرْتُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٦٩﴾ وَذَرِ الَّذِينَ أَخَذُوا دِينَهُمْ لَغِيًا وَأَنهَوْا وَعَزَّزْتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكَرَ بِهِمْ أَن نُّبْسِلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعَدَّلْ كُلُّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذُ مِنْهَا أُولَئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ مَّا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾ قُلْ أَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ وَلَا يَضُرُّكُمْ أَتُؤَدُّ عَلَى أَعْقَابِكُمْ إِذْ هَدَيْتَنَا اللَّهُ كَالَّذِي آسَتهُوهُ الشَّيْطَانُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانٌ لَهُ وَأَصْحَابٌ يُدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى أُوَيْسَتْ لَهُمْ قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأَمْرًا لِنُسَلِّمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَهُوَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ الْيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ ۚ وَقَوْلُهُ أَهْىَ ۖ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ عِلْمُ الْعَالَمِينَ ۚ وَاللَّهُ هَادٍ لِلصَّالِحِينَ ﴿٧٣﴾

٧٤- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه أزر أو تاريخ: أتتخذ أصناماً الهة لك تعبدها من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع، إني أراك وقومك الموافقين لك في عبادة الأصنام في حال عدول واضح عن الحق.

٧٥- وكما أرينا إبراهيم ضلال أبيه وقومه في عبادة الأصنام، أريناه أيضاً ملكوت (الملك العظيم) السموات والأرض وعجائبهما وما فيهما من الإبداع، ليستدل بها على وحدانيتنا وقدرتنا، ليكون نبياً عالمًا بيقين، من غير أي شك في عظمة الله وقدرته.

٧٦- فلما أظلم عليه الليل وستره بظلمته، رأى نجماً مضيقاً هو المشتري أو الزهرة، فقال لقومه: هذا ربي، فهو بنوره وارتفاعه أجدر من الأصنام أن يكون إلهاً، مريداً بذلك إقامة الحججة على قومه، على طريق الافتراض، ثم نقضه بالحس والعقل، فلما غرب، قال إبراهيم: لا أحب الألهة التي تغرب، فهي تتغير ظهوراً وخفاءً.

٧٧- فلما رأى القمر طالعاً، قال لقومه: هذا ربي، فلما غاب قال لقومه: لئن لم يهتدي ربي إلى الحق، لأكونن من القوم التائهين الذين لا يهتدون إلى الحق.

وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ أَسْمَاءُ إِلَهَةٌ ۖ إِنِّي أَتُكِّدُكُمْ فِي ضَلَالٍ مَّبِينٍ ﴿٧٤﴾ وَكَذَلِكَ نُرِي إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ اللَّيْلُ رَأَى الْكَوْكَبَ قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَا أَحِبُّ الْآلِهِينَ ﴿٧٦﴾ فَلَمَّا رَأَى الْقَمَرَ بَازِعًا قَالَ هَذَا رَبِّي فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْقَوْمِ الضَّالِّينَ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا رَأَى الشَّمْسَ بَازِعَةً قَالَ هَذَا رَبِّي هَذَا أَكْبَرُ فَلَمَّا أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِي رَبِّي لَأَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٧٨﴾ وَإِنِّي وَجَّهْتُ وَجْهِيَ لِلَّذِي فَطَرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٧٩﴾ وَحَاجَّهُ قَوْمُهُ قَالَ أَتُحَادِثُونَ فِي اللَّهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلَا أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلَّا أَن يَشَاءَ رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٨٠﴾ وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا خَافُونَ أَنكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَوْ يُدْرِكُ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾

٧٨- فلما رأى الشمس طالعة مشرقة، قال: هذا ربي، هذا أكبر من غيره من الكواكب والقمر، فلما غابت، قال إبراهيم: يا قوم، إني بريء من الأشياء التي تجعلونها شركاء لله وتعبدونها. أثبت إبراهيم ألوهية الله بأقول هذه الكواكب، وأنها لا تضر ولا تنفع.

٧٩- إني وجهت كل ذاتي وعبادتي وقلبي وعقلي لله الذي أبدع خلق السموات والأرض، من غير مثال سبق، ماثلاً إلى الدين الحق، ولست من الذين أشركوا في العبادة مع الله إلهاً آخر.

٨٠- وجداله قومه في التوحيد، وخوقوه من غضب آلهتهم، قال لهم: أتجادلونني في وحدانية الله وقدرته، وقد هداني للإيمان به (وجوده وتوحيده) فلا أكون مثلكم في الضلالة، ولا أخاف مما تخوفونني به من آلهتكم، فهي مخلوقات لله لا تضر ولا تنفع، إلا بمشيئة ربي أن يصيبني بمكروه بسبب ذنب فعلته، فالأمر إليه، أحاط علمه بكل شيء، أفلا تتذكرون هذا وما بيئته لكم فتؤمنوا؟!

٨١- وكيف أهرب آلهتكم التي عبدتموها من دون الله، وهي لا تضر ولا تنفع؟ ولا ترهبون أنتم ما جعلتم الله من شركاء، ما لم ينزل عبادة عليكم حجة قاطعة وبرهاناً، فأى الفريقين (فريق المؤمنين بالله وفريق الكافرين بالله) أجدر بالأمن من العذاب، إن كنتم تعرفون الحقائق والبراهين الصحيحة وموازين التمييز بين الحق والباطل.

الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ
 مُهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾ وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ
 نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٨٣﴾ وَوَهَبْنَا
 لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ
 وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى
 وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْحَسَنِينَ ﴿٨٤﴾ وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى
 وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٥﴾ وَإِسْمَاعِيلَ
 وَإِسْحَاقَ وَيُوسُفَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٨٦﴾
 وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ
 إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٨٧﴾ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ
 مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَلَيْهِمْ مَا كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْبَأْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا
 هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ﴿٨٩﴾
 أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاتِهِمْ أَقْتَدُ قُلْ
 لَا أَشْكُرُ عَلَيْكُمْ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- الذين يستحقون الأمن هم المؤمنون الذين لم يخلطوا بإيمانهم بشرك، أولئك لا غيرهم لهم الأمن من العذاب في الآخرة، وهم مهتدون إلى الحق والرشاد. نزلت في رجل من الأعداء قتل اثنين من المسلمين، ثم قال: أينفعني الإسلام؟ فقال النبي ﷺ: نعم، ثم قتل ثلاثة من الأعداء من أصحابه، ثم قتل، فنزلت فيه.

٨٣- وتلك حجتنا التي وردت على لسان إبراهيم آتيناهم إبراهيم، أي ألهمناه إياها، ليحتج بها على قومه ويغلبهم ليقنعوا عن شركهم، نرفع من شتنا من عبادنا درجات في الدنيا في النبوة والعلم والحكمة، والهداية ومعرفة الحق، إن ربك حكيم في صنعه، عليم بخلقه.

٨٤- وهبتنا لإبراهيم إسحاق، وهبتنا له يعقوب بن إسحاق، كل واحد منهما هديناه أي وفقناه إلى الحق وجعلنا كلامهما نبياً، وهدينا نوحاً من قبل ذلك، فجعلناه أول رسول إلى الناس، ومن ذرية نوح جعلنا أنبياء، وهدينا داود وسليمان، وأيوب، ويوسف، وموسى وهارون، وتلك نعم عدها الله على إبراهيم؛ لأن شرف الأبناء متصل بالآباء، وكما جزينا هؤلاء الأنبياء الذين أحسنوا أعمالهم بالجهاد والدعوة، كذلك نجزي كل محسن بالجمع بين هداية الدين وإرشاد الناس.

٨٥- وهدينا أيضاً زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، والصحيح أنه ليس إدرس الذي كان قبل نوح، وإلياس من ذرية نوح كما تدل هذه الآيات، وكل هؤلاء من الصالحين الذين امتازوا بالزهد في الدنيا.

٨٦- وهدينا أيضاً إسماعيل واليسع، قيل: هو صاحب إلياس، ويونس ولوطاً وهما ليسا من ذرية إبراهيم، وإنما من ذرية نوح؛ لأن لوطاً هو ابن أخي إبراهيم، وكل واحد من هؤلاء الأنبياء فضلكناه بالنبوة على غيره من الناس، مما يدل على أن الأنبياء أفضل الناس.

٨٧- وهدينا بعض آبائهم وذرياتهم وإخوانهم، واصطفيناهم لرسالتنا، وهديناهم إلى طريق قويم هو الإيمان والدين الحق.

٨٨- ذلك الهدى والتفضيل والاجتباء (الاختيار) يهدي به الله من يشاء هدايته من عباده، وهم الموفقون للخير واتباع الحق، ولو أشرك هؤلاء المذكورون، لبطل كل ما عملوه من أعمال الخير والصلاح، وذهبت حسناتهم.

٨٩- أولئك الأنبياء الثمانية عشر وأتباعهم الذين آتيناهم جنس الكتاب، أي الكتب السماوية، والعلم، والرسالة، فإن يكفر بالرسالة كفار قريش المشركون، فقد وكلنا برعاياهم وبالإيمان قوماً ليسوا بكفار، وهم المهاجرون والأنصار، وفقناهم لحمل رسالة الإيمان، كأنهم وكلاء بها.

٩٠- أولئك الذين هداهم الله، فاقتد أيها الرسول بهديهم، واتبع سبيلهم في الدعوة إلى توحيد الله والأخلاق السامية، قل أيها الرسول لقومك: لا أطلب منكم أجراً على القرآن وتبليغ الرسالة، ما هذا القرآن إلا موعظة لجميع المخلوقات من الإنس والجن.

وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ
قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى
لِّلنَّاسِ يَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ يُبَدُّونَهَا وَيُخْفُونَ كِتَابًا وَعُلَمْتُمْ
مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلْ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ
يَلْعَبُونَ ﴿٩١﴾ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكٌ مُّصَدِّقٌ لِّذِي بَيْنَ
يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ
يُؤْمِنُونَ بِالْبَرِّ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ﴿٩٢﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
أَفْرَىٰ عَلَىٰ اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ
وَمَنْ قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ
فِي عَمْرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةَ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أخرجوا أنفسهم
أَيُّومَ يُنْزَلُونَ عَذَابَ الْهَوْنِ بِمَا كَفَرُوا عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ
وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٩٣﴾ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ
كَمَا خَلَقْتُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَا خَوَّلْتُمْ وَلَا تَنْهَوْنَ عَمَّا
وَمَا تَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ
لَقَدْ نَقَطْنَا بِئْنَكُمْ وَضَلَّ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٩٤﴾

٩١ - ثم رد الله على من ينكر أن يرسل الله بشراً بأن هؤلاء الناس ما عرفوا الله تمام المعرفة، حيث أنكروا إرساله للرسول، وإنزاله للكتب، وقالوا للنبي ﷺ: ما أنزل الله على بشر شيئاً من الآيات والكتب، قل أيها النبي لهم: من الذي أنزل التوراة على موسى ضياءً وبيانا للحق من الباطل؟ تعجلون أيها اليهود التوراة صحفاً متفرقة تظهرون بعضها، وتخفون كثيراً منها، أي إنهم جعلوا كل قرطاس (صحيفة) وحده، ليظهروا ما شاؤوا بحسب مصلحتهم، ويكتموا ما أرادوا، وعلمت ما لم تعلموا بالوحي من أمور الدين والدنيا، قل: الله هو الذي أنزل التوراة والقرآن، ثم دعهم في باطلهم يعبتون. نزلت للرد على يهودي اسمه مالك بن الصيف أو فنحاص، قال للنبي ﷺ: لم ينزل الله كتاباً من السماء.

٩٢ - وهذا القرآن كتاب كثير البركة والنفع، أنزلناه عليك أيها الرسول، موافق لما أنزل قبله من الكتب على الأنبياء كالتوراة والإنجيل، ولتنزيه أهل مكة أعظم القرى شأنًا وعاصمة لها، فيها الكعبة المشرفة أول بيت وضع للناس، وهي قبلة الأمة، وتندر من حولها من الناس جميعاً، والذين يصدقون بالدار الآخرة يصدقون بهذا القرآن؛ لأن

من صدق بالآخرة، قبل ما يؤدي خيرها ويدفع ضررها، وهم على صلاتهم يداومون خوفاً من عقاب الآخرة. ٩٣ - لا أحد أظلم ممن اختلق على الله كذباً، فادعى النبوة أو كذب على الله في شيء، أو قال: أنزل الله علي وحياً، وهو كاذب في ادعائه، أو ادعى أنه قادر على إنزال مثل القرآن، ولو ترى حين يكون هؤلاء الظالمون (الكافرون) في شدائد النزع وسكرات الموت، والملائكة باسطو أيديهم لانتزاع أرواحهم، قائلين لهم: أخرجوا أنفسكم من أيدينا، وخلصوها من العذاب إن استطعتم، وهذا دليل العنف في إزهاق الروح، اليوم تلقون العذاب المهين المذل جداً، حتى لكأنه هو الذل نفسه، بسبب افتراءكم على الله الباطل غير الحق، كادعاء شريك لله، أو ادعاء الوحي والنبوة، وكنتم تكبرون عن التصديق بآيات الله والعمل بها. ذكر عكرمة أن آية ﴿ومن أظلم..﴾ نزلت في مسيلمة، وآية ﴿سأنزل مثل..﴾ نزلت في عبد الله بن أبي سرح الذي كان يكتب الوحي، فيبدل فيه، ثم ارتد عن الإسلام ولحق بقريش، ثم أسلم يوم الفتح.

٩٤ - ويقال لهؤلاء في الآخرة: ولقد جئتمونا للحساب منفردين عن الأهل والمال والولد، كما خلقناكم في المرة الأولى عند ولادتكم حفاة عراة، وتركتكم خلفكم ما أعطيناكم من الأموال وغيرها في الدنيا، ولا نجد معكم شفعاءكم الأصنام الذين زعمتهم أنهم في استحقاق عبادتكم شركاء لله، لقد تشئت جمعكم، وتقطع الوصل وما كان من الروابط بينكم، أنتم وشركاؤكم، وغاب وذهب عنكم ما كنتم تزعمون من الشرك والشركاء.



﴿٩٥﴾ إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْغَيْبِ وَالنَّوْمِ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ
 الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ ذَٰلِكُمْ اللَّهُ فَآيٌ تَوْفِيقٌ ﴿٩٦﴾ فَالِقُ الْإِصْبَاحِ
 وَجَعَلَ آيَاتٍ لِّلْسَكَّانِ وَالشَّمْسِ وَالْقَمَرِ حَسْبًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ
 الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٩٧﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ النُّجُومَ لِتَهْتَدُوا بِهَا فِي
 ظُلُمَاتِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٩٨﴾ وَهُوَ
 الَّذِي أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ فَمُسْتَوْعِدٌ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ
 فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ﴿٩٩﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ
 مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ
 وَجَنَّاتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالزَّرَّانُ مَسْتَشَبَهَا وَعَيْبَرٌ
 مُّشْتَبِهَةٌ أَنْظُرْ إِلَى إِلَهِكُمْ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكُمْ
 لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٠﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ الْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ
 وَخَرَقُوا لَهُ بَنِينَ وَبَنَاتٍ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَانَ اللَّهِ وَعَلَىٰ عِزِّهِ
 يُصِفُونَ ﴿١٠١﴾ يَدْبَعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَن يَكُونَ لَهُ وَلَدٌ وَلَمْ
 تَكُنْ لَهُ صَاحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٠٢﴾

٩٥- إن الله فالق الغيب (شاق) الحب فيخرج منه
 النبات، وفالق النوى فيخرج منه الشجر، يخرج
 النبات الحي من الحب اليابس، والحيوان من
 البيضة، ويخرج الحب اليابس من النبات الحي
 والبيضة من الحيوان، ويخرج أيضاً المؤمن من
 الكافر بالولادة، ويخرج الكافر من المؤمن أيضاً،
 ذلكم الصانع لهذا الصنع العجيب هو الله وحده،
 فكيف تصرفون عن الحق بعبادة الله خالق كل
 شيء، وتعبدون ما لا يضر ولا ينفع؟!

٩٦- الله أيضاً شاق ظلمة الإصباح وهي الغيب
 بضياء النهار، وجعل الليل سكناً للراحة، يسكن
 فيه الناس عن الحركة والتعب، وجعل الشمس
 والقمر محل (أو وسيلة) حساب للأوقات، تتعلق
 به مصالح العباد، ذلك النظام المذكور هو تقدير
 القوي في ملكه، العليم بخلقه، فيفعل هذا التدبير
 المحكم.

٩٧- وهو الذي جعل أو خلق لكم النجوم،
 للاهتداء بها في أسفاركم في ظلمات الليل، وفي
 عبور البحر، عند اشتباه طرقهما، قد بينا الآيات
 الدالة على تمام قدرتنا، لقوم يعلمون سر عظمتها،
 ويدركون حقيقتها، ويستدلون بها على وجود الله
 وتوحيده وعلمه وقدرته.

٩٨- تلك آيات الأرض والسماء، وأما آيات النفس فالله خلقكم في الأصل من نفس واحدة هي آدم عليه
 السلام، ثم تكاثرت، فلكم مستقر على ظهر الأرض، ومستودع لكم بعد الموت في باطن الأرض، قد بينا
 الآيات الدالة على كمال قدرتنا وإرادتنا، لقوم يفهمون ما يتلى عليهم، فيؤمنون به.

٩٩- والله هو الذي أنزل من السحاب مطراً، فأخرج به من الأرض أصناف النباتات المختلفة، وأخرج من
 النبات زرعاً أخضر طرياً، يخرج من بعضه حباً مركباً بعضه على بعض كالسنابل، ويخرج من طلع النخل
 (أول ما يخرج منه) عناقيد قريبة للتناول للقائم والقاعد، وينشئ بساتين من العنب والزيتون والرمان، متشابهها
 في الحجم واللون، وغير متشابه في الطعم والمذاق، انظروا نظرة تأمل واعتبار إلى ثمره إذا أثمر، ونضجه
 وإدراكه حين ينضج، حيث يكون ملائماً للأبدان، إن فيما تقدم ذكره لدلالات على كمال قدرة الخالق، لقوم
 يصدقون بوجود الله وقدرته، فهؤلاء هم المتشغون بالإرشاد.

١٠٠- وجعل بعض المشركين الجن شركاء لله، فعبدوهم وعظموهم، والله هو الذي خلقهم، وهم
 يعلمون ذلك، فكيف يكون المخلوق شريكاً لله الخالق؟ واختلفوا كذباً واخترعوا له بنين كعزير وعيسى،
 وبنات كالملائكة حين زعموا أنهم بنات الله، جهلاً خالصاً منهم بالله وعظمته، تنزيهاً له وتقديساً، وتباعداً عما
 يصفه به هؤلاء من الإفك والباطل.

١٠١- الله مبدع ومنشئ السموات والأرض من العدم على غير مثال سابق، فكيف يكون لهذا الخالق المبدع
 ولد، وكيف يتخذ ما يخلقه ولداً وليس له زوجة حتى يأتي منها الولد؟ وخلق كل شيء ومنهم الملائكة
 والمسيح وعزير، فيكون غنياً عن كل شيء، وهو عليم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَفَاعْبُدُوهُ وَهُوَ
عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٠٢﴾ لَا تَدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ
الْأَبْصَارَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٠٣﴾ قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ
رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ
بِحَفِيفٍ ﴿١٠٤﴾ وَكَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ وَلِيَقُولُوا دَرَسْتَ
وَلَيْتَنَاهُ لِقَوْلِهِمْ يُعْلَمُونَ ﴿١٠٥﴾ اتَّبِعْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٦﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ
مَا أَشْرَكُوا وَمَا جَعَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيفًا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
﴿١٠٧﴾ وَلَا تَسْتَوِ الْأَئِمَّةُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَمَسْئُورٌ اللَّهُ عَدُوًّا
بَعِيرٍ عَلَيْهِمْ كَذَلِكَ زَيْنًا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلُهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ
فَيُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٠٨﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ
أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ نَهْرٌ مَاءٌ لَيُتْرَكَنَ يَمِينًا وَالآيَاتُ عِنْدَ
اللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَا إِذَا جَاءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٠٩﴾
وَنَقَلَبْ أَفْئِدَهُمْ وَابْصُرْهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَا
أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١١٠﴾

١٠٢- إن المتصف بالأوصاف السابقة هو الله
ريكم المتفرد بالألوهية والوحدانية، لارب لكم
غيره، هو خالق كل شيء، فهو المستحق وحده
للعبادة فاعبدوه، وهو رقيب على كل شيء.

١٠٣- لا تراه الأبصار في الدنيا، ولا يحيطون
به في الآخرة، والمؤمنون يرون ربهم في الآخرة
لقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ ناضرة، إلى ربها
ناظرة﴾ [القيامة ٧٥/٢٢-٢٣] وأكدت الرؤية
الأحاديث المتواترة، والله وحده يحيط بالأبصار
وغيرها، وهو الرقيق بعباده، الخبير بشؤون خلقه.

١٠٤- قد جاءكم أيها الناس مبصرات وبراہین
واضحة من ربكم، دالة على ألوهيته ووحدانيته،
وذلك في القرآن، من عقلها عرف الحق، فمن
أبصر الحق وتعقل الحجة وأمن، فقد قدم الخير
لنفسه، ومن تعامى عن الحجة ولم يتعقلها، فقد
ألحق الضرر بنفسه، وما أنا الرسول برفيق أحصي
عليكم أعمالكم، وإنما أنا نذير.

١٠٥- كما بينا ما ذكر، نبين الآيات على وجوه
مختلفة بما يناسب المقام من الوعد والوعيد،
ليعتبروا، وليقول الكفار في عاقبة الأمر: إنك يا
محمد درست علوم أهل الكتاب وتعلمت منهم،

فجئت بهذا القرآن، ولنبين القرآن لقوم يعلمون الحق، فيتبعونه.

١٠٦- اتبع أيها النبي ما أوحى الله إليك، واشهد بأنه لا إله إلا هو، وأعرض عن جدال المشركين
ومقاومتهم.

١٠٧- إن الله قادر أن يجعل الناس كلهم مؤمنين غير مشركين، فلو شاء الله هداية المشركين ما أشركوا بعبادة
غيره أحداً، وما جعلناك أيها النبي رقيباً عليهم، فتجازيهم بأعمالهم، وما أنت بموكل مفوض في أمرهم،
فتجعلهم مؤمنين.

١٠٨- ولا تستوا أيها المؤمنون آلهة (أصنام) المشركين لثلاث سببوا الله عدواناً وظلماً، وجهلاً منهم بالله، وبما
يجب له من التعظيم والتقدیس، وكما زينا لهؤلاء المشركين ما هم عليه من الوثنية وعبادة الأصنام، زينا لكل
أمة عملهم من الخير والشر، فأتوه، ثم يكون مرجعهم جميعاً إلى الله في الآخرة، فيخبرهم بما كانوا يعملون
في الدنيا، ويجازيهم به.

١٠٩- وأقسم كفار مكة أشد الأيمان وأوكدها عندهم، لئن جاءتهم معجزة بما اقترحوا في سورة [النحل
١٦/٩٠] وما بعدها، ليصدقن بها، وبأنك رسول الله، قل لهم أيها النبي: إنما مرجع هذه الآيات إلى الله،
وهو القادر عليها، إن شاء جاءكم بها، وإن شاء ألا ينزلها، وما يدريكم أيها المؤمنون بأنهم يؤمنون إذا
جاءتهم، إنهم لن يؤمنوا في الواقع.

١١٠- وما يشعركم أن الآيات إذا جاءت أيضاً تقلب قلوبهم بالخواطر الباطلة، وتقلب أبصارهم في توهم
التخيلات، فلا يؤمنون بها، كما لم يؤمنوا بالقرآن حين دعاهم الرسول للإيمان به، وتركهم في ضلالهم



١١١- ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة، فرأوهم عياناً وشهدوا بصدق رسالتك، وأحيينا لهم الموتى وشهدوا بأنك نبي صادق مرسل من عند الله، وجمعنا وعرضنا عليهم مواجهة ومعاناة، كل شيء مما اقترحوا من المعجزات المادية، لم يؤمنوا إلا بمشيئة الله إيماناً اختيارياً لا جبرياً، فلا تهتم لعدم إيمانهم، ولكن أكثر هؤلاء المشركين يجهلون أن الإيمان والكفر باختيارهم وإرادتهم. ذكر ابن عباس أن جماعة من كفار مكة وزعمائها قالوا للنبي ﷺ: أرنا الملائكة يشهدون بأنك رسول الله، أو ابعث لنا بعض موتانا حتى نسألهم، أحق ما تقول أم باطل، أو اثنا بالله والملائكة قبيلاً؟ فنزلت الآية.

١١٢- وكما جعلنا لك أيها النبي أعداء يعارضونك، جعلنا لكل نبي من قبلك أعداء من شياطين الإنس كالكهان والسحرة وزعماء الكفر، وشياطين الجن أولاد إبليس يُضِلُّون الجن والإنس، ويوسوس بعضهم لبعض القول المزخرف ظاهراً، الفاسد باطناً، لتزيين الباطل، وتغريبهم وخداعهم ومحاولة صرفهم عن جادة الحق، ولو شاء ربك ما فعلوا هذا التفسير

﴿وَلَوْ أَنزَلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَالْمَوْتُ وَحَسَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِلْيُؤْمِنِ إِلَّا أُنسَاءً اللَّهُ وَلَكِنْ أَكْفَرْتَهُمْ بِجَهْلُونَ ﴿١١١﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَاطِئِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَوْ أَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَالَّذِينَ صَبَّؤُوا مَا هُم مَّقْتَرُونَ ﴿١١٣﴾ أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَبْغِي حِكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ الْمُقْتَصِلًا وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْكِتَابِ يُعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿١١٤﴾ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١١٥﴾ وَإِنْ تَطَّعَ أَكْثَرُ مَنْ فِي الْأَرْضِ ضَلُّوكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١١٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَنْ يَضِلُّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١١٧﴾ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِّرْتُمْ اللَّهُ عَلَيْهِ إِنْ كُنْتُمْ بِآيَاتِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾

والموسواس، فاتركهم أيها النبي وما يكذبون ويزورون.

١١٣- يوحى (يوسوس) هؤلاء الشياطين إلى بعضهم زخرف القول، ليغروا المؤمنين، ولتميل إلى الباطل والزخرفة قلوب الكفار المتعلقين بالدنيا وحدها، الذين لا يؤمنون بالآخرة، وليرضوه لأنفسهم، وليكتسبوا ما هم مكتسبون من المعاصي والآثام.

١١٤- يا معشر المشركين، أطلب قاضياً حكماً بيني وبينكم أعدل من الله؟! والله هو الذي أنزل إليكم القرآن مبيناً واضحاً، ظهر فيه الحق والباطل، وإن علماء أهل الكتاب يعلمون يقيناً أن القرآن منزّل من عند الله، بالحق الذي لا شك فيه، من طريق كتبهم المتزكّة كالنوراة والإنجيل، فلا تكونن من الشاكين.

١١٥- وتمّ كلام الله وهو القرآن، واكتمل شرعه، وتمّ الكلام الذي وعد الله فيه نبيه بالنصر، صدقاً في الإخبار، وعدلاً في الأوامر والأحكام، لا تغيير لما حكم به الله، وهو السميع لأقوال عباده، العليم بشؤونهم، يجازي كل عامل بما عمل.

١١٦- وإن تطع أيها النبي الكفار (أكثر الناس)، يضلوك أو يبعدوك عن الدين الحق، ما يتبعون في دينهم ومجادلتهم إلا الظن الذي لا أصل له، وما هم إلا يخمّون ويقدرّون من غير بيّنة وعلم.

١١٧- إن ربك أيها النبي عالم بمن يسير في طريق الضلال، وعالم بمن هو على طريق الاستقامة.

١١٨- كلوا أيها المؤمنون من المذبح الذي ذكر اسم الله عليه، ولا تحرموا منه شيئاً، فكل مذبوح غير محرم الأكل حلال إن كنتم مصدقين بأحكام الله تعالى. نزلت حينما قال ناس: يا رسول الله، أنا نأكل ما نقتل ولا نأكل ما يقتل الله؟ فأنزل الله: ﴿فكلوا مما ذكر..﴾

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ
 مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُّونَ
 بِأَهْوَاءِهِمْ يَعْبُرُونَ أَنَّ رِبْكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ ﴿١١٩﴾ وَذَرُوا
 ظَهْرَ الْإِثْمِ وَوَاطِئَتَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيَجْزَوْنَ
 بِمَا كَانُوا يَفْعُرُونَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يَذْكُرِ اسْمُ اللَّهِ
 عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفُسْقٌ وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيُوحِيَ إِلَى أُولِيَ الْأَهْمِ
 لِيَجِدُوا لَهُمْ مَا أَلْفَطْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمَشْرُكُونَ ﴿١٢١﴾ أَوْ مَن
 كَانَ مِنَّا فَأَحْسَبْتَهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ
 كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَلِكَ
 زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢٢﴾ وَكَذَلِكَ
 جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكْبَرًا مِّمَّا لِيَكْرَهُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ
 إِلَّا بِأَنْفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا
 لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ
 حَيْثُ يُجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ
 عِنْدَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩- ما المانع أن تأكلوا مما أذن الله لكم فيه، وذكر اسم الله عليه؟ وقد بين الله لكم ما حرم عليكم أكله بياناً مفصلاً في الآية الثالثة من سورة المائدة، إلا في حال الضرورة لتناول شيء مما حرم عليكم، فإن الضرورات تبيح المحظورات، وإن كثيراً من الناس وهم الكفار ليضلون غيرهم بأهوائهم، فيحللون الحرام، ويحرمون الحلال، بغير حجة ولا دليل، إن ريك أيها الرسول عالم بمن تجاوزوا الحدود، فأحلوا ما حرم الله، وحرموا ما أحل الله، كاهل الجاهلية الذين أحلوا أكل الميتة، واتخذوا البحائر والسواحب.

١٢٠- ثم أمر الله تعالى بترك جميع الأثام والمعاصي، ظاهرة كالضرب والسب والسرقة والزنا، أو باطنة كالخسد والحقد والبغضاء، إن الذين يرتكبون الذنب في الدنيا، سيجازون في الآخرة بقدر ما ارتكبوا من الذنوب.

١٢١- ولا تأكلوا من الذبائح ما ذبح على اسم غير الله، لأنه خروج عن طاعة الله، أم ما متروك التسمية عمداً من المسلم، فيحرم أكله عند الجمهور، ويباح أكله عند الشافعي، وإن الشياطين

ليوسوسون إلى أعوانهم من المشركين ليجادلوكم

في أكل الميتة، كما ذكر في سبب نزول الآية السابقة [١١٨] وإن أظعنتموهم في إباحة الميتة، كتتم مشركين أمثالهم. قال المشركون: تزعم يا محمد أن ما قتلت أنت وأصحابك حلال، وما قتل الكلب والصقر حلال، وما قتله الله حرام، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

١٢٢- ثم ضرب الله مثلاً للمؤمن والكافر، وهو: أفمن كان ميتاً بالكفر والجهل، فأحييناه بالإيمان، وجعلنا له نوراً وهو الهداية، يضيء له طريقه بين الناس، كمن هو واقع في ظلمات الكفر، وهو غارق فيها لا يتخلص منها؟ وكما زين الله الإيمان للمؤمنين، زين للكافرين ما يعملونه من المنكرات. نزلت في عمر بن الخطاب وأبي جهل بن هشام، كانا ميتين في الضلالة، فأحيا الله عمر بالإسلام، وأبقى أبا جهل في ضلالته. وقال ابن عباس: يراد بهذه الآية حمزة بن عبد المطلب وأبو جهل.

١٢٣- كما جعلنا فساق مكة أكابرها (رؤساءها) المحاربين لدعوتك، كذلك جعلنا في كل قرية أي مدينة أكابر مجرميها، ليمكروا فيها بالصد عن الإيمان، ويحتالوا في العصيان ومخالفة الاستقامة، وما يدبرون تدبيراً خفياً للسوء إلا على أنفسهم، وما يشعرون بالعاقبة لفرط جهلهم واتباعهم أهواءهم.

١٢٤- وإذا جاءت أهل مكة ونحوهم من أكابر المجرمين حجة دالة على صدقه ﷺ، قالوا: لن نصدق برسالتك حتى نكون مثلك أنبياء، فرد الله عليهم: الله أعلم بمن هو أهل للرسالة، سيصيب المجرمين بقولهم ذلك ذل وهوان عند الله، وعذاب شديد يوم القيامة هو عذاب النار. نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة قال: لو كانت النبوة حقاً، لكنت أولى بها من محمد؛ لأنني أكبر منه سناً، وأكثر منه مالاً وولداً.



فَن يُرِدُ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ فَيَبْسُخِرْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ
وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا
يَصْعَدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٢٥﴾ وَهَذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا
الْآيَةَ لِقَوْمٍ يَعْرِفُونَ ﴿١٢٦﴾ هَلْ هُوَ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ
رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُم بِمَا كَانُوا يَكْمُلُونَ ﴿١٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ
جَهَنَّمَ بِنِعْمَتِ الرَّحْمَنِ قَدْ اسْتَكْبَرُوا مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ
أُولَئِكَ أَهْلُهَا وَمَنْ مِنَ الْإِنْسِ رَبًّا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَّغْنَا
أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْنَا لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ
فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٢٨﴾ وَكَذَلِكَ
نُؤَلِّي بِبَعْضِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٢٩﴾
يَمْعَشِرَ الرَّحْمَنُ وَالْإِنْسَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا مِّنْكُمْ
يَقْضُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَادُكُمْ لِقَاءَ هَذَا قَالُوا
سَهْدًا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّبْنَاهُمْ نَحْوَهُ الدُّنْيَا
وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿١٣٠﴾

١٢٥- فمن يرد الله هدايته يوسع صدره للإسلام، وينور قلبه حتى يقبله، ومن يرد إضلاله يضيق صدره أشد الضيق، كأنما يتكلف الصعود في السماء فلا يستطيع، ويمتنع نفوذ الإيمان لقلبه، كذلك يسلط الله العذاب على غير المؤمنين بسبب عنادهم وإصرارهم على الكفر.

١٢٦- وهذا الطريق الذي عليه النبي ﷺ والمؤمنون: هو الدين القويم الذي لا اعوجاج فيه، قد بينا الآيات القرآنية ووضحناها لقوم يتذكرون ويتفكرون ويتدبرون، فيستفنون.

١٢٧- لهؤلاء المتذكرين المتدبرين الجنة دار السلامة من كل مكروه، يوم القيامة والله متولي أمورهم وانصارهم ومعينهم بسبب أعمالهم الطيبة.

١٢٨- واذكر أيها النبي ما يحدث يوم القيامة يوم يجمع الله الإنس والجن جميعاً، ثم يقول الله: يا جماعة الجن، قد استكبرتم من إغواء الإنس وإضلالهم، حتى صاروا في حكم الأتباع لكم، فحشروناهم معكم، وقال أنصارهم من الإنس:

ربنا انتفع كل منا بالآخر، انتفع الجن بالإنس حيث اتبعوهم وأطاعوهم، وانتفع الإنس بالشياطين حيث دلّوهم على الشهوات وزيتوا لهم المحرمات، واستفاد الكهان من معلومات الجن، وبلغنا الأجل الذي حددته لنا وهو الموت وما يتبعه وهو يوم القيامة، ووصلنا إلى ما وعدتنا به، مما كذبنا به في الدنيا، قال الله: النار موضع مقامكم (إقامتكم) خالدين فيها إلى الأبد، إلا ما شاء الله من الخروج خارج النار، تسقون شراب الحميم الذي يقطع الأمعاء، إن ربك حكيم في صنعه وجزائه، عليم بما يستحقه كل فريق. قال ابن عباس: في هذه الآية، لا ينبغي لأحد أن يحكم على الله في خلقه، لا يتزلهم جنة ولا ناراً.

١٢٩- كما متعنا عصاة الإنس والجن بعضهم ببعض، نسلط ظلمة الجن على ظلمة الإنس، ونسلط بعض الظلمة على بعض، فيهلكهم، جزاء لهم، بسبب كسبهم للذنوب وكفرهم وعصيانهم.

١٣٠- في يوم الحشر يقول الله: يا معشر الجن والإنس، ألم يأتكم رسل من جملةكم أو مجموعكم يدعونكم إلى الإيمان؛ لأن جميع الرسل من بني آدم، يتلون عليكم آياتي المنزل عليكم، ويخوفونكم عذاب يوم القيامة، قالوا: أقررنا بأن الرسل قد بلغونا رسالاتك، وأنذرونا لقاءك، وإن هذا اليوم كائن لا محالة، ولكن خدعتهم الحياة الدنيا بزيتها وشهواتها، فصرفتهم عن الإيمان بالرسل، وأنستهم الحساب والجزاء، وأقروا أيضاً على أنفسهم أنهم كانوا كافرين في الدنيا بالله ورسله وكتبه وآياته.

ذَلِكَ أَنْ لَوْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهَيْبًا لَفَرَّتْ سُرُطُومٌ وَأَهْلُهَا
 غَاطِلُونَ ﴿١٣١﴾ وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ عَمَلٌ وَأَمَّا رَبُّكَ
 بِعَلْفِ عَمَلٍ يُعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ وَرَبُّكَ الرَّحِيمُ ذُو الرَّحْمَةِ
 إِنْ يَشَاءُ يُدْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِنْ بَعْدِكُمْ مَا يَشَاءُ كَمَا
 أَنْشَأَكُمْ مِنْ ذُرِّيَةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ﴿١٣٣﴾ إِنْ مَا تُوْعَدُونَ
 لَأَتِيَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿١٣٤﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى
 مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ تَكُونُ
 لَهُ عَقِيبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣٥﴾ وَجَعَلُوا لِلَّهِ
 مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَذَا لِلَّهِ
 بِرِغْمِهِ وَهَذَا لِلشُّرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا
 يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَى شُرَكَائِهِمْ
 سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٣٦﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنٌ لِكَثِيرٍ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ قَتَلَ أَوْلَادَهُمْ شُرَكَاءَ وَهُوَ
 لِيُرِدُوهُمْ وَلَا يَلْبَسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ
 اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾

١٣١ - ذلك الإرسال للرسول وإنزال الكتب بسبب أن الله لا يهلك أهل القرى والمدن بظلم منه، وأهلها غافلون، أي لم يرسل إليهم الرسول الذي يبين لهم، فتزول الغفلة بإرسال الأنبياء.

١٣٢ - ولكل من الجن والإنس المكلفين، سواء العامل في الطاعة أو العصية: درجات متفاوتة في الآخرة، في الجنة والنار، بحسب أعمالهم، والله مطلع على كل الأعمال، لا تخفى عليه خافية، ليجازيهم عليها في يوم المعاد.

١٣٣ - وربك أيها النبي هو المستغني عن جميع خلقه، وعن عبادتهم وأعمالهم، لا ينفعه إيمانهم، ولا يضره كفرهم، ومع غناه عنهم هو ذورحمة واسعة بهم، وذلك غاية الكرم والفضل، إن يشأ يهلككم ويستأصلكم بالعذاب معشر العصاة، ويستخلف من بعد إهلاككم ما يشاء من خلقه، ممن هو أفضل منكم وأطوع، كما قدر على إنشائكم من ذرية قوم آخرين، كأهل سفينة نوح، أي إنه قادر على الإهلاك والإنشاء معاً.

١٣٤ - إن ما توعدون به من البعث والجزاء كائن لا محالة، ولن تغفلوا من العذاب؛ لأن وعد الله منجز، ولا يعجزه شيء.

١٣٥ - قل أيها النبي: يا قوم ابقوا واستمروا على ما أنتم عليه من الطريقة والكفر، وعلى أقصى ما يمكنكم، فلست بمبال بكم، واني عامل بطريقتي ودعوتي وإسلامي، فسوف تعلمون من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة، والعاقبة الحسنى في الدنيا من النصر ووراثة الأرض وبقاء الآثار الطيبة في العالم، إنه لا يفوز الظالمون أنفسهم بسبب كفرهم بالله تعالى وبنعمه، واتخاذ الشركاء آلهة.

١٣٦ - وجعل كفار مكة في الجاهلية نصيباً لله، يصرف إلى الضيوف والمساكين، مما خلق وبث من الزروع والثمار ونتاج الأنعام (الإبل والبقر والغنم) فقالوا: هذا لله بزعمهم (تقولهم) يتقربون به إليه، وهذا نصيب آخر لشركاء الله من الأصنام والأوثان يصرف للسدنة والخدم، فما كان لشركائهم الأصنام، فلا يصل منه شيء ولا يصرف للوجوه التي شرعها الله، كصلة الرحم وقرى الضيف والصدقة على المحتاجين، بل جعله للسدنة وذبح القرابين، وما جعله الله يجعلونه لألهتهم، لا للمحتاجين، قائلين: إن الله غني عنه، قبح أو بسس الحكم الذي يحكمون بإيثار آلهتهم العاجزة، على الله الخالق القادر على كل شيء.

١٣٧ - ومثل ذلك التزيين أو التحسين بقسمة الزروع والأنعام بين الله والأوثان، زين أو حسن الشياطين أو خدمة الأوثان أو شركاء المشركين في الكفر لأهل الجاهلية قتل الأولاد مخافة الفقر أو العار، ليهلكوهم وليخطوا عليهم أمر دينهم الذي يدعون، وهو دين إسماعيل وإبراهيم، فلا يعلموا المشروع من غيره، ولو شاء الله ما فعلوا هذا أبداً، وإتمامت بإرادة الله الكونية لحكمة يعلمها، فتركهم وتقولهم على الله بالكذب، فذلك لا يضرهم، وما عليك إلا التبليغ.

١٣٨- وقال المشركون: هذه الأشياء التي جعلناها للكلمة من الأنعام والزرع محجور، أي ممنوع الانتفاع بها لأحد، ومخصصة للمعبودات والأوثان، لا يأكل منها إلا من نشاء وهم خدام الأوثان، والرجال دون النساء، بزعمهم، أي زعمنا منهم أن الله أذن لهم به، وهذه مواش محرمة الظهور، أي لا تتركب ولا يحمل عليها، وهي السواحب والبحائر والحوامي، ومواش لا يذكر اسم الله عليها عند الذبح، وإنما تذكر أسماء الأصنام عند ذبحها، وذلك مجرد كذب واختلاق على الله، حيث قالوا: إن الله أذن لهم بهذا، سيجزبهم الله الجزاء المستحق بسبب افتراءهم وكذبهم على الله تعالى.

١٣٩- وقال المشركون أيضاً: إن أجنة وألبان هذه البحائر والسواحب المسيبة للآلهة حلال فقط لرجالنا دون النساء، فهي محرمة على النساء من بنات وأخوات ونحوهن، وإن يكن الموجود في بطون الأنعام ميتة، فيشترك في الأكل منه الذكور والإناث، سيجازبهم الله بما يستحقون، بقولهم هذا الكذب الظاهر والافتراء بتحريم ما لم يحرمه الله، إن الله حكيم في صنعه وتشريعته، عليم بأحوال خلقه. قال ابن عباس: كانت الشاة إذا ولدت ذكراً ذبحوه، فكان للرجال دون النساء، وإن كانت أنثى تركوها فلم تذبح، وإن كانت ميتة كانوا فيها شركاء.

١٤٠- قد خسر الذين قتلوا أولادهم خسراناً ميبئاً، خوفاً من العار أو الفقر، وجهلاً أي خفة وطيشاً، من غير حجة مقبولة، وحرّموا ما رزقهم الله من الأنعام ومن الطيبات، كذباً على الله، فإن الله لم يحرم شيئاً من هذا، قد ضلوا عن طريق الحق والمصلحة، وما كانوا مهتدين إلى الصواب والشرع الحكيم، أي لم يحصل منهم اعتداء قط.

١٤١- الله الذي خلق بساتين وكروماً مشجرة مرفوعة على الأعمدة كهيئة العريشة، وغير مرفوعة وإنما تترك على الأرض من غير تعريش، وأوجد النخل والزرع مختلفاً أكّله، أي ثمره في الطعم والرائحة، وخلق الزيتون والرمان، متشابهاً في المنظر، وغير متشابه في الطعم والأكل، مع أن التربة واحدة ويسقى بماء واحد، كلوا من ثمره إذا أثمر ولو لم ينضج، وأخرجوا زكاته المفروضة فيه يوم حصاده (قطعه وجمعه) ولا تسرفوا في الأكل أو الإنفاق، إن الله يؤاخذ المسرفين المتجاوزين حدود الشرع.

١٤٢- وخلق الله لكم من الأنعام (وهي الأصناف الثمانية الآتية) حمولة يحمل عليها الناس والمتاع وهي الإبل، وقرشاً، أي يتخذ الإنسان من الوبر والصوف والشعر فراشاً يفترشه، كلوا مما رزقكم الله وأحلّه من لحومها وألبانها، ولا تتبعوا طرائق الشيطان بالتحليل والتحرير، إنه لكم عدو بين العداوة.

وَقَالُوا هَذِهِ أَنْعَامٌ وَرَحَتٌ حِجْرٌ لَا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَنْ نَشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَمٌ حَرِمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَمٌ لَا يَذْكُرُونَ أَسَدَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءٌ عَلَيْهِمْ سَجَزَ بِهِمُكَاءُ أَنْعَامٍ يَقْتُلُونَ ﴿١٣٨﴾ وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِلذَّكَورِ وَالْمُحَرَّمِ عَلَىٰ أَرْوَاحِنَا وَإِنْ يَكُن مِيتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوا أَوْلَادَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَاءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿١٤٠﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ جَنَّاتٍ مَعْرُوسَاتٍ وَعِجْرٍ مَعْرُوسَاتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أَكْلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرَّمَانَ مُتَشَابِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ كُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٤١﴾ وَمَنْ لَا يُعْلَمِ حِمْلَهُ وَقَرَشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿١٤٢﴾



١٤٣- وخلق الله لكم من الأنعام ثمانية أصناف مزدوجة: ذكر وأنثى، من الضأن (الغنم) اثنين: ذكر وأنثى، ومن المعز اثنين، قل أيها النبي لمن حرم ذكور الأنعام تارة وإناتها أخرى، زاعمين ذلك من الله: أحرّم الله الذكـرين (الكبش والتيس) من الضأن والمعز، أم حرم الأنثيين (النعجة والعنز) منهما؟ أم حرم ما اشتملت عليه البطون وهي الأجنة؟ أخبروني بدليل علمي موثوق به عن مصدر التحريم، إن كنتم صادقين في دعواكم، فمن أين جاء التحريم؟ فإن كان من قبل الذكورة، فجميع الذكور حرام، وإن كان من قبل الأنوثة، فجميع الإناث حرام، وإن كان مما اشتملت عليه الأرحام فهي تشتمل على الصنفين: الذكر والأنثى، فمن أين جاء التخصيص؟

١٤٤- وخلق لكم من الإبل اثنين: الجمل والناقة، ومن البقر والجاموس اثنين: الثور والبقرة، قل أيها النبي: هل حرم الله الذكـرين من الإبل والبقر، أم حرم الأنثيين منهما؟ وإذا لم يكن لكم مستند على التحريم والتحليل، هل كنتم شهوداً حاضرين حين أمركم الله أو وصاكم بهذا التحريم؟ فمن أشد ظلماً ممن اختلق الكذب على

مَلِيَّةَ أَرْوَجٍ مِنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ يُشَوْنِي بِعِلْمٍ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٤٣﴾ وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ الذَّكْرَيْنِ حَرَّمَ أَمَ الْأُنثِيَيْنِ أَمَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثِيَيْنِ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَلَكُمُ اللَّهُ بِهَذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا يُضِلُّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنْ اللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٤٤﴾ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُرْحَى إِلَى مُحْرَمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِيتَةً أَوْ دَمًا مَسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خنزير فَإِنَّهُ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهْلَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ أَضْطَرَّ بِغَيْرِ رِجْسٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمًا كُلَّ ذِي طُفْرٍ وَمِنَ الْبَقَرِ وَالْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَا إِلَّا مَا حَمَلَتْ طُهُورُهُمَا أَوِ الْحَوَايَا أَوْ مَا اخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِبِغْيِهِمْ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿١٤٦﴾

الله، فنسب إليه ما لم يحكم به افتراء عليه، كما فعل كبراء المشركين، لإضلال الناس عن الدين الحق بغير دليل موثوق، وإنما عن جهل تام، إن الله لا يوفق للرشاد الظالمين أنفسهم، ولا يهديهم إلى الحق والعدل والصواب.

١٤٥- قل أيها النبي: لا أجد طعاماً محرماً على أحد يأكله فيما أوحى الله إلي في القرآن إلا تناول الميتة (غير المذكاة) والدم السائل، ولحم الخنزير فإنه نجس، أو المذبوح على الأصنام، على غير اسم الله وسمي فسقاً، أي سبب فسق أي خروج عن الطاعة بذبحه لغير الله، فمن اضطر إلى تناول شيء مما ذكر لجوع شديد أو عطش شديد، غير قاصد أو متعمد الحرام، ولا متجاوز قدر الضرورة، فإن ربك كثير الغفران له ما أكل، رحيم به، لا يؤاخذة على ما فعل؛ لأنه مضطر. ولا تعارض بين هذه الآية وآية المائة الثالثة؛ لأن كل الأشياء من المتخنة والموقودة والتردية والنطيحة وما افترس السبع من أنواع الميتة. قال طائوس: إن أهل الجاهلية كانوا يحرمون أشياء، ويستحلون أشياء، فنزلت: ﴿قل: لا أجد...﴾

١٤٦- ليس لأهل الجاهلية تحريم ما حرموا، وليس ذلك في التوراة ولا في القرآن، فلقد حرمنا على اليهود في التوراة ذوات الأظفار التي لم تنفجر أو لم تنفجر أصابعها كالإبل والنعمة، والبط والإوز، ويباح لهم ما انفرجت أصابعه كاللدجاج والعصافير، وحرمنا عليهم أيضاً ما يكون من الشحم الرقيق (الدهن) على الكرش والغلى، ولم نحرم من الشحوم ما علق بالظهر، والحوايا (المصارين) والمختلط بالعظم وهو شحم الآلية، ذلك التحريم جزاء ظلمهم وعدوانهم، وإنا لصادقون في الوعد والوعد.

١٤٧- فإن كذبك أيها النبي اليهود والمشركون فيما أوحينا إليك، فقل لهم: ربكم ذو رحمة واسعة حيث لم يعاجلكم بالعقاب ويحلم عليكم، وفيه لطف بدعوتهم إلى الإيمان وترغيبهم به، ولا يرد عذابه إذا جاء عن القوم المجرمين.

١٤٨- سيقول مشركو قريش وغيرهم: إن إشراكنا وتحرينا أشياء على أنفسنا بمشيئة الله، فهو راض به، محتجين بالقدر، زاعمين أن ما فعلوه حق، وهذا منهم كذب وتضليل، وكما كذب هؤلاء المشركون، كذب الكفار السابقون رسلهم، حتى ذاقوا عذابنا الذي أنزلناه بهم، قل لهم أيها النبي: هل عندكم من دليل يدل على أن الله راض بما أشركتم وبما حللتم وحرمتهم، فتظهروه لنا؟ أي لا علم ولا دليل عندكم، ومجرد وقوع الفساد منكم لا يدل على رضا الله عنكم، ما تتبعون في قولكم هذا إلا الظن القائم على الخطأ والجهل، وما أنتم إلا تمحرون وتخمنون وتوهمون.

فَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ رَبِّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَاسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُ عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٤٧﴾ سَيَقُولُ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ حَتَّى ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِنْدَكُمْ مِنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنْتُمْ إِلَّا تُخْرِصُونَ ﴿١٤٨﴾ قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَيْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٤٩﴾ قُلْ هَلْ مِنْكُمْ مَنْ يَمُنُّ بِمَا شَاءَ وَيَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَذَا فَإِنْ شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدُوا مَعَهُ وَلَا تَتَّبِعِ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُمْ يَرِيدُونَ بِدِينِكُمْ كُفْرًا قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبِّيَ عَلَيْكُمْ أَنْ تَشْرَكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ مِنْ إِمْلَاقٍ نَحْنُ نَنْزِقُهُمْ وَيَا هُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَلَا تَنَفَّسُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَلِكُمْ وَصَلَّى بِرِءْصِكُمْ بَعْقُولُونَ ﴿١٥١﴾

١٤٩- قل: فله الحجة البالغة، أي الدليل التام

الذي يبين الحق، بإرسال الرسل لهداية الناس، وتصحيح الاعتقاد، وتشريع الأحكام، فلو شاء الله هدايتكم لهداكم أجمعين، فلا يكون لكم اختيار وإرادة، ويكون وضع مخالفيتكم أيضاً بمشيئة الله تعالى.

١٥٠- قل لهم: هاتوا واحضروا شهودكم على أن الله حرّم تلك الأشياء، كالبحيرة والسائبة وغيرهما، فإن قدموا شهوداً، فلا تصدقهم أيها النبي ولا تقبل لهم شهادة، فإنها شهادة زور، ولا تتبع أهواء المكذبين بآياتنا وبالآخرة، وهم يجعلون لربهم عديلاً (أي شريكاً مائلاً) أو ندماً من مخلوقاته، كالأوثان، فيعبدونها ويشركونها مع الله تعالى.

١٥١- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين وأمثالهم: أقبّلوا أقرأ وأقص عليكم الآيات التي تبين ما حرّم ربكم عليكم حقاً: ألا تشركوا بالله شيئاً في العبادة، وأوصاكم بالإحسان إلى الوالدين، ببرهما وإطاعتهما، وألا تقتلوا أولادكم خوفاً من الفقر بقتل الذكور، وخوفاً من العار بواد البنات، كما كان يفعل بعض عرب الجاهلية، ولا تقربوا الفواحش: كباثر الذنوب والمعاصي، كالزنا، في العلن والسر، ولا تقتلوا عمداً النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق، كالقتل قصاصاً، ورجم الزاني المحصن، وقتل المرتد، ذلكم المذكور أمركم الله به وأوجبه عليكم، لتعلموا وتفهموا عن الله وأمره ونواهيهِ الدالة على الخير، والمنفرة من الشر.



وَلَا تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ
 وَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا تَكْلِفُوا نَفْسًا إِلَّا
 وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ
 أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٦﴾ وَأَنَّ
 هَٰذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ
 بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٧﴾ ثُمَّ
 ءَأَيْنَأُ مُوسَىٰ الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَىٰ الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ
 شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٨﴾
 وَهَٰذَا كِتَابُنَا أَنزَلْنَاهُ مَبَارَكًا فَاتَّبِعُوهُ وَأَتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ
 ﴿١٥٩﴾ أَن تَقُولُوا إِنَّمَا أُنزِلَ الْكِتَابُ عَلَىٰ طَائِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا
 وَإِن كُنَّا عَن دَرَسَتِهِمْ لَلغَافِلِينَ ﴿١٦٠﴾ أَوْ تَقُولُوا
 لَوْ أَنَّا أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَابُ لَكُنَّا أَهْدَىٰ مِنْهُمُ
 فَقَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن
 كَذَّبَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَجَذَى الَّذِينَ
 يَصْدَفُونَ عَن ءَأَيْنَأُ سُورَةُ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدَفُونَ ﴿١٦١﴾

١٥٦- ولا تقربوا شيئاً من أموال اليتامى بالأخذ أو الإتلاف ونحوهما، إلا بما فيه المصلحة والنفع باستثمار المال وتنميته والإنفاق منه لصالح اليتيم بحسب الحاجة، والنهي عن الاقتراب من الشيء أبلغ من النهي عن الشيء نفسه، ويستمر الإشراف على مال اليتيم حتى يبلغ رشده، وهو التمكن من التصرف السليم بالمال، وأوفوا الكيل والميزان بالعدل في الأخذ والإعطاء، من غير نقص ولا زيادة، لا يكلف الله نفساً إلا قدر طاقتها واحتمالها في سائر التكاليف، وإذا قلتم أو حكمتم فاعدلوا في الشهادة والحكم، ولو كان المقول له أو المحكوم عليه صاحب قسربة لكم، وإذا عاهدتم الله أو الناس، فأوفوا بمقتضى العهد، ذلكم المذكور في هذه الآية، أمركم الله به أمراً مؤكداً، لكي تتذكروا وتعظوا وتتنهوا عما كنتم فيه قبل هذا، وتعملوا بأوامر الله تعالى، وتحذروا عذابه.

١٥٣- وأن هذا المذكور من الرصايا العشر: هو دين الله القويم الذي ارتضاه لعباده، لا اعوجاج فيه، فاتبعوه ولا تتبعوا الطرق المخالفة له والأديان المباينة له، فتميل بكم عن سبيل الله المستقيم ودينه الذي ارتضاه لكم، ذلكم أمركم به بركم، لتتقوا الله، فتلتموا بأوامره وتجتنبوا نواهيه، وتحذروا عقابه.

١٥٤- ثم قل: أعطينا موسى عليه السلام التوراة قبل إنزال القرآن على محمد ﷺ، تاماً على أحسن الأمور، وإتماماً للنعمة على الذي أحسن في اتباعه والاهتداء به، وهو موسى وكل من أحسن عمله، وتبيناً لأحكام كل شيء في زمانهم، فيصبح مجموع التوراة والقرآن حجة دامغة على المشركين الذين قالوا: ما أنزل الله من شيء.

١٥٥- وهذا القرآن كثير البركة والنفع، عظيم الشأن، لاشتماله على منافع الدين والدنيا، فاعملوا بما جاء فيه، واحذروا مخالفته وتكذيبه، لترحموا برحمة الله ورضوانه وجنته.

١٥٦- ولثلاثاً تقولوا يا أهل مكة: إنما أنزل التوراة والإنجيل على من قبلنا من اليهود والنصارى، ولم ينزل علينا كتاب، وقد كنا عن دراسة كتبهم والتأمل فيها وفهمها غافلين، أي لا ندري ما فيها، لجهلنا بلغتهم.

١٥٧- أو تقولوا أيضاً: لو أنزل علينا الكتاب السماوي بلغتنا، كما أنزل على من قبلنا من اليهود والنصارى، لكننا أهدى منهم إلى الحق؛ لأننا أكثر ذكاء وفهماً، فرد الله عليهم بأنه قد جاءكم حجة واضحة، وهو القرآن المنزل على نبيكم من عروبتكم، وهداية من الضلالة، ورحمة لمن اتبعوه، فلا أحد أشد ظلاماً ممن كذب بآيات الله في قرآنه، وأعرض عنها، سنجزى المعرضين عن آياتنا أشد العذاب بسبب إعراضهم عنها وتكذيبهم بها.

١٥٨- ما ينتظر المكذبون إلا أن تأتيهم الملائكة لقبض أرواحهم، أو يأتي أمر ربك بعذابهم، أو تأتي أمارات الساعة، يوم تأتي بعض علامات القيامة، كطلوع الشمس من مغربها والدجال، لا ينفع النفس إيمانها في ذلك اليوم، لأنه إيمان اضطراري، ولا ارتفاع التكليف، إذالم تكن آمنت من قبل مجيء بعض الآيات، في دار التكليف وهي دار الدنيا، أو كانت مؤمنة، ولكن لم تعمل خيراً، من الأعمال الصالحة المطلوبة منها، أو كسبت خيراً ولم تؤمن، فإن إيمانها وتوبتها وعملها حيثذ غير نافع في منع العذاب، قل أيها النبي: انتظروا عذاب ربكم إنا منتظرون ثواب ربنا وفضلته ونصره على الأعداء.

١٥٩- إن الذين جعلوا دينهم أجزاء متفرقة، فأخذوا بعضه وتركوا بعضه، وهم اليهود والنصارى والمشركون والبيدعة، وصاروا فرقا وأحزاباً، لا تعرض لهم، وأنت بريء من تفرقهم، وإنما أمر حسابهم وجزائهم إلى الله، ثم ينبئهم (يخبرهم) يوم القيامة بما فعلوا في الدنيا، فيجازيهم على أفعالهم.

١٦٠- القانون العام للمؤمنين: أن من عمل خصلة حسنة، فله عشر أمثالها، وقد يزيد إلى سبعمائة ضعف، وقد يجازى الفاعل بغير حساب، ومن

ارتكب فعلة سيئة فلا يجزى إلا سيئة واحدة مثلها، من غير زيادة عليها، ولا يظلم المحسن بنقص ثواب؛ ولا المسيء بزيادة عقاب.

١٦١- قل أيها النبي: لقد أرشدني ربي إلى الطريق المستقيم، وهو ملة إبراهيم عليه السلام، ديناً مستقيماً لا عوج فيه، وكان إبراهيم مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، وهو دين الإسلام، ولم يكن من المشركين الذين يجعلون مع الله إلهاً آخر.

١٦٢- قل أيها الرسول: إن صلاتي بأنواعها، وعبادتي وقرباتي، وما أعمله في حياتي من الطاعة والخير، وما أموت عليه من الإيمان والعمل الصالح، كله خالصاً لله رب العالمين من إنس وجن.

١٦٣- لا شريك لله في عبادتي وعملي، وقد أمرني ربي بذلك فأطعت، وأنا أول المسلمين المتقادين لله من أمتي.

١٦٤- قل أيها النبي رداً على المشركين الداعين إلى عبادة الأصنام: أغير الله أطلب رباً؟ كيف أعبد غير الله وأترك عبادة الله؟ والله خالق ومدبر كل شيء ومالكه، ولا تكسب كل نفس ذنباً إلا كان عليها إثمه وعقابه، ولا تحمّل نفس بريئة ذنب نفس أخرى، فلا يؤخذ أحد بجريرة غيره، ثم إلى ربكم مصيركم يوم القيامة، فيخبركم بما اختلافتم فيه في العقيدة والعمل، ويجازيكم على أعمالكم.

١٦٥- وهو الذي جعلكم خلفاء في عمران الأرض، يخلف بعضكم بعضاً فيها، ورفع بعضكم فوق بعض درجات في العلم والمال والجاه وغير ذلك، ليختبركم فيما آتاكم من هذه الأمور، إن ربك سريع العقاب لمن عصاه، وإنه لغفور لذنوب المؤمنين بالله ورسوله وكتبه، رحيم بهم.

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ الْمَلَايِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لِذِكْرِكُمْ آتَتْ مِنْ قَبْلِ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيْمَانِهَا خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ ﴿١٥٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِعْبًا كُنْتُمْ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَا أُمِرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٥٩﴾ مِنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرَ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِيهِ إِلَّا أَلِيمُهَا وَهُوَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١٦٠﴾ قُلْ إِنِّي هَدَيْتُ رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَامًا لَمَلَأَ بِتَرْجِيهِمْ حَنِيمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٦١﴾ قُلْ إِنْ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهِ وَلِيَدِّكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوْلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ قُلْ أَغَيَّرَ اللَّهُ أَنْبِيَ رَبِّي وَهُوَ رُبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِدُ وَارِدُهُ وَزُدَّ أُخْرَى ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْفَلُونَ ﴿١٦٤﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ حُلُوفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَسْأَلُوكُمْ فِي مَاءِ آتَاكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٦٥﴾

سورة الأعراف

هي مكية إلا ثمان آيات، وهي قوله تعالى: ﴿وَأَسْأَلُهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ﴾ إلى ما قبل قوله: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظِلَّةٌ﴾ [١٦٣-١٧٠].

١- ﴿المص﴾: تقرأ هكذا: ألف، لام، ميم، صاد، وهي كأول البقرة وآل عمران لتحتدي العرب بالآيتين بمثل القرآن، مادام مركباً من حروف لغتهم العربية، وهم فرسان البلاغة والفصاحة.

٢- هذا القرآن كتاب أنزل إليك أيها النبي، فلا يكن في صدرك ضيق من إيلاغه إلى الناس، حتى ولو كذبوك وأذوك، فإن الله عاصمك وناصرك وحافظك، أنزلناه إليك لتخوف به من عقاب الله من عصاه، وتذكيراً بفضلِهِ سبحانه على المؤمنين.

٣- اتبعوا أيها الناس المنزل إليكم من ربكم في القرآن العظيم والسنة النبوية التي تبينه وتفسره، ولا تتبعوا من دون كتاب الله أنصاراً كأنفسكم أو الشياطين، تقلدوهم في الدين، ولكنكم تذكرون الحق في شأن الإيمان تذكراً قليلاً جداً، وتتسبون الواجب عليكم نحو ربكم.

٤- وكثير من القرى المكذبة بالحق وأهلها أردنا

إهلاكهم، فأتاهم عذابنا ليلاً وهم نائمون، أو مستريحون وقت القيلولة: هي نوم نصف النهار.

٥- فما كان دعاؤهم واستغاثتهم حين أتاهم عذابنا إلا اعترافهم بظلم أنفسهم بالإشراك بالله وتكذيب رسله.

٦- وأؤكد لكم أنه لنسألن الأمم السالفة عن مدى إجابتهم الرسل، ولنسألن الأنبياء المرسلين عما أجاب به أقوامهم، وعمن أطاع منهم وعصى.

٧- ولنخبرن الرسل والمرسلين عن علم تام ويقين بما وقع بينهم عند الدعوة إلى الإيمان، وما كنا غائبين عنهم حتى يخفى علينا شيء مما حدث بينهم.

٨- ووزن الأعمال يوم القيامة هو الوزن الحق الدقيق العدل الذي لا ظلم فيه، فمن رجحت حسناته على سيئاته، فهم الفائزون بالرضوان والجنة.

٩- ومن رجحت سيئاته على حسناته، فهم الخاسرون أنفسهم بتصويرها إلى النار أو تعريضها للعذاب، بسبب جحودهم آيات الله تعالى.

١٠- يا بني آدم لقد جعلنا لكم في الأرض مكاناً وقراراً، وهيأنا لكم فيها أسباب المعاش، من السكنى والطعام والشراب والملبس، تشكرون قليلاً جداً تلك النعم.

١١- ولقد أوجدنا أصلكم أو أباكم آدم من تراب، ثم صورناكم بشراً، وأمرنا الملائكة بالسجود لآدم تكريماً، فامتلوا وسجدوا سجود تحية وتعظيم لا سجود عبادة، إلا إبليس لم يسجد تكبراً.

سورة الأعراف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَعْصُومِ ﴿١﴾ كَتَبْنَا أَنْزِلَ إِلَيْكَ فَإِن كُن فِي صَدْرِكَ

حَرَجٌ مِّنْهُ لِنُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُم

مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَمَك

مِّن فِرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا نَيَّانًا أَوْ تَمَّ قَوْلُونَ ﴿٤﴾ فَأَكَا

ذَعَوْهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِذْ أَنْ قَالُوا إِنَّا كَاظِمِينَ ﴿٥﴾

فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦﴾ فَلَنَقْصُصَنَّ

عَلَيْهِمْ بِعِلْمٍ وَمَا كَانُوا عَايِدِينَ ﴿٧﴾ وَالْوَزْنَ لِيُوزَنَ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ

مُوزَانُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُظْلِمُونَ ﴿٨﴾ وَمَن خَفَّتْ مَوَازِينُهُ

فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ كَانُوا يَئِسُوا مِنَّا إِنَّا ظَالِمُونَ ﴿٩﴾

وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمُوهَا مَعِيشًا قَلِيلًا

مَّا تَشْكُرُونَ ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ

اسْجُدُوا لِلآدَمِ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَوْ كُن مِّن السَّاجِدِينَ ﴿١١﴾



١٢- قال الله تعالى له لإقامة الحجاة والتوبيخ؛ لأن الله عالم بذلك؛ ما الذي منعك من السجود لآدم حين أمرتك بالسجود؟ قال إبليس: أنا أفضل من آدم، خلقتني من نار، وخلقته من طين، وعنصر النار بما فيها من الارتفاع والنور خير من الطين الذي فيه الخمود والركود.

١٣- قال الله له: فاهبط من الجنة التي خلقت فيها، فما ينبغي ولا يصح لك أن تتكبر فيها وتعصي أمري، فأخرج منها، إنك من الأذلاء المحقرين المهانين، جزاء استكبارك.

١٤- قال إبليس: رب أمهلني ولا تعجل بموتي إلى يوم البعث الذي يبعث فيه آدم وذريته، من قبورهم عند النفخة الثانية.

١٥- قال الله تعالى: إنك من المهملين المؤجلين إلى وقت الصعق والفناء بالنفخة الأولى، وهي نفخة الفزع، لا إلى يوم البعث، والحكمة من ذلك ابتلاء العباد ليعرف الطائع من العاصي.

١٦- قال إبليس: فسبب اغوائك وإضلالك إياي، أقسم لأجهدن أن أصدبني آدم عن طريق الإيمان والحق والهداية، ولأغوينهم حتى يفسدوا بسبي، ولا يعبدوك ولا يوحدوك.

قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أُمِرْتَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ قَالَ فَأَهْبِطْ مِنْهَا فَمَا كُنْ لَكَ أَنْ تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴿١٣﴾ قَالَ أَظُنُّقِي إِلَى يَوْمِ يَبْعَثُونَ ﴿١٤﴾ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿١٥﴾ قَالَ فَمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ لَآتِيهِمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَخْرَجَ مِنْهَا مَذْمُومًا وَمَأْمُومًا لِيَبْعَثَ عَلَيْهِمْ لِأَمَلَانَ جَهَنَّمَ مِنْكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّمَا آسَأْتُمْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ فَكَلَّمَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ فَوَسَّوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْءِ أَيْمَانِهِمَا وَقَالَ مَا مَنَعَكَ رَبِّكَ عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِذَا أَنْتَ كُنَّا مَلَائِكَةً أَوْ تَكُونَ مِنَ الْخَالِدِينَ ﴿٢٠﴾ وَقَامَ سَهُمَا إِنِّي لَكُمَا مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢١﴾ فَذَلَّلَهُمَا بِعُرْوَةٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَاتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الشَّجَرَةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكَ الشَّجَرَةِ وَأَقُلَّ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٢٢﴾

١٧- ثم لآتينهم من كل جهة من الجهات الأربع لإغوائهم وتشكيكهم في الآخرة، ولا تجد أكثر الناس شاكرين لك نعمتك، ولا مطيعين أو أمرك. وهذا ظن منه وتوهم.

١٨- قال الله سبحانه لإبليس مؤكداً اللعنة والطرده من الملأ الأعلى: أخرج من الجنة مذموماً ممقوتاً، مطروداً من رحمتي، وأقسم لمن ترك طاعتي واتبعتك، لأملأن جهنم منك ومن ذريتك ومن أتباعك أجمعين.

١٩- وقلنا بعد إخراج إبليس من الجنة: يا آدم اسكن أنت وزوجك حواء الجنة، فكلا من ثمارها من أي نوع كان أردتما، ولا تقربا هذه الشجرة الواحدة بالأكل منها، فهي محرمة عليكم، فتكونا من الظالمين أنفسهم بمخالفة أمر الله تعالى. ولم يصح تعيين الشجرة، وقيل: إنها الخنطة.

٢٠- فحسدما الشيطان، وحدثهما بصوت خفي من الأرض إلى السماء، وزين لهما الأكل من تلك الشجرة، ليكشف لهما ويسيء إليهما بإظهار ما ستر وعطى من عوراتهما، فلا يريانها ولا يراها أحد، وقال إبليس لهما: ما نهاكما ربكما عن الأكل من هذه الشجرة، إلا لأجل ألا تكونا ملكين مقربين أو تكونا من الخالدين الذين لا يموتون أبداً.

٢١- وحلف لهما: إني ناصح لكما فيما أقول، وأعلم بهذا المكان.

٢٢- وما زال يخدعهما ويغير بهما بالحلف والترغيب في الأكل من الشجرة وتزيين الباطل، حتى أوقعهما في المعصية، فلما أكلا من ثمر الشجرة، ظهرت لهما عوراتهما، وشرعا يقطعان ورق الجنة، ويستتران به عورتها، وناداهما ربهما معاتباً لهما وموبخاً: ألم أنهكما عن الأكل من ثمر تلك الشجرة، وأقل لكما: إن الشيطان لكما عدو ظاهر العداوة. والتدلية والإدلاء: إنزال الشيء إلى أسفل شيئاً فشيئاً، والمعنى أهبطهما من رتبة الطاعة والكرامة، وهي الرتبة العالية، إلى رتبة دنيا وهي المعصية.

فَلَا رِبَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِن لَّوَعَدْنَاكَ لَنَكُونَنَّ
 مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ أَهبطوا بعضكم لبعض عدوؤكم وفيما
 الأرض مستقر ومنع إلى حين ﴿٢٤﴾ قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا
 تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ ﴿٢٥﴾ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا
 يُؤَدِّي سَوَاءَ دِينِكُمْ وَرَبَّاسًا لِّبَاسِ التَّقْوَى ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ
 اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا بَنِي آدَمَ لَا يَفْبِتْكُمْ الشَّيْطَانُ
 كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكَ مِنَ الْجَنَّةِ يَتَزَعُّ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا
 سَوَاءَ مَا يَنْزِعُكُمْ عَنْ قَبِيلِهِ مِنْ جَنَّتِ لَا تَرَوْهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا
 الشَّيْطَانَ أَوْلِيَاءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَعَلُوا خِيْسَةً
 قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّا لَأَنَّهُ
 لَا يَأْتُرُ بِالْفِتْنَاءِ أَتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾
 قُلْ أَعْرَبِي بِالْقِسْطِ وَأَقْبُوا وَجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ
 وَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ﴿٢٩﴾
 فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ الضَّلَالَةُ إِنَّهُمْ اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ
 أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنََّّهُم مُّتَدَوِّنٌ ﴿٣٠﴾

٢٣- قالوا: ربنا إننا ظلمنا أنفسنا بالمخالفة وطاعة
 الشيطان، وإن لم تغفر لنا ذنباً، وتشملنا
 برحمتك، لنكونن من الهالكين.

٢٤- قال الله تعالى لأدم وحواء وإيليس: انزلوا
 جميعاً من هذه الجنة إلى الأرض، بعضكم عدو
 بعض، وهذا نوع من العقوبة، ولكم في الأرض
 مكان استقرار، وتمتع وارتفاع بخيرات الأرض إلى
 وقت موتكم، وهذا دليل على أن الأجل معلومة
 ومقدرة أزلاً.

٢٥- قال الله تعالى: في الأرض تحيون، وفيها
 تموتون وتدفنون، ومنها تخرجون من قبوركم إلى
 دار الآخرة.

٢٦- يا بني آدم قد خلقنا لكم لباساً يستر
 عورتكم، وريشاً للجمال، وهو لباس الزينة،
 ولباس التقوى المعنوي: وهو لباس الإيمان والعمل
 الصالح خير لباس وأفضل من اللباس المادي، ذلك
 اللباس بنوعيه (المادي والمعنوي) من آيات الله
 الدالة على قدرته وفضله ورحمته، ليتذكروا
 ذلك، فيشكروا نعمته ويؤمنوا به سبحانه.

٢٧- يا بني آدم لا يضلنكم الشيطان، فيصرفكم
 عن الإيمان وطاعة الله، كما فتن أبويكم آدم وحواء، وأخرجهما من الجنة بخداعه ووسوسته، وتسبب في نزح
 لباسهما وإظهار عورتهما، إن الشيطان يراكم هو وجنوده وأعوانه، من حيث لا ترونهم، فاحفظوا أنفسكم
 من رؤيته إياكم في حال العري، إنا جعلنا الشياطين أعواناً وأنصاراً للغير المؤمنين بالله ورسله.

٢٨- وإذا فعل المشركون معصية كبيرة، كالطواف حول الكعبة عراً، وعبادة الأصنام، اقتداءً بأبائهم،
 قالوا: وجدنا عليها آباءنا، والله أمرنا بتلك الفاحشة، قل لهم أيها النبي: إن الله أمر بمحاسن الأخلاق
 ومكارمها، ولم يأمر بالفحشاء والمنكر، أتقولون على الله ما لا تعلمون صحته ولا ثبت بدليل مقبول؟!
 نزلت في طواف المشركين بالبيت عراً.

٢٩- قل أيها النبي: أمر ربي بالعدل والاستقامة، لا بالفحشاء كما زعموا، واتجهوا إلى الله وحده في
 صلاتكم إلى القبلة، وعبده مخلصين له الدعاء والعبادة والطاعة، كما أنشأكم أول مرة من العدم، يعيدكم
 أحياء يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

٣٠- وتعودون حين البعث فريقين: فريق سعداء وفقهم الله للإيمان والعبادة، وهم الذين أسلموا، وفريق
 أشقياء وجبت عليهم بسوء اختيارهم الضلالة، وهم الكفار، إن هؤلاء الكفار اتخذوا الشياطين أنصاراً
 وأعواناً من دون الله، فأطاعوهم في المعاصي وقبلوا ما دعوهم إليه، ويظنون أنهم مهتدون إلى الحق
 والصواب.



٣١- يا بني آدم تزينوا واستروا العورة عند كل صلاة وطواف، ويباح لكم الأكل والشرب من غير إسراف: وهو تجاوز الحد في كل شيء، إن الله يؤاخذ المسرفين، ويرضى عمن يحل الحلال، ويحرم الحرام.

٣٢- قل أيها النبي للناس قاطبة: من الذي حرم الزينة؟ وهي ما يتزين به الإنسان من ثياب وغيرها من المباحات كالمعادن والجواهر ونحوها، تلك الزينة المودعة في الأرض من نبات ومعادن وحيوان، ومن الذي حرم طيبات الرزق: وهي المستلذات من المأكول والمشرب غير المحرمة شرعاً؟ فإن الله يحب أن يرى أثر نعمته على عبده، كما جاء في الحديث الصحيح، إن تلك الزينة والطيبات للمؤمنين أصالة ولغيرهم تبعاً، ما داموا في الحياة الدنيا، وهي خاصة بالمؤمنين في الآخرة، ومثل هذا التفصيل أو البيان التام لحكم الزينة والطيبات، نين الآيات الدالة على كمال الشرع والدين وأحكام الحلال والحرام لقوم يعلمون متطلبات الحياة ونهضتها، فيتدبرون ويتعظون، لا لقوم يجهلون علوم المدنية والحضارة. قال ابن عباس: كانت المرأة تطوف بالبيت في الجاهلية، وهي عريانة، وعلى فرجها خرقة، فنزلت

يٰٓبَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا حَالِصَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَذَلِكَ نَفْصِلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣٢﴾ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَّنَ وَالْإِثْمَ وَالنَّبِيَّ بَعْدَ الْحَقِّ وَأَنْ تُشْرِكُوا بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ سُلْطَانًا وَأَنْ تَقُولُوا عَلَى اللَّهِ مَا لَا نَعْلَمُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْذِنُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٣٤﴾ يٰٓبَنِي آدَمَ إِنَّا جَاءْنَاكُمْ بِرُسُلٍ لِّنُحْكِمَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي فَهِيَ اتَّقَى وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفَ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٣٦﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِنَا ۗ أُولَٰئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُمْ مِنَ الْعَذَابِ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ نُهُمْ زُسُلًا يَقُولُونَ هُمُ قَالُوا أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَهُمْ بَدَّلُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ ﴿٣٧﴾

الآياتان: ﴿ خذوا زينتكم... ﴾ و ﴿ قل: من حرم... ﴾.

٣٣- قل أيها النبي للمشركين وغيرهم: إنما حرم ربي الفواحش الظاهرة والباطنة، الجهرية والسرية: المعاصي الكبيرة الشنيعة، وما يوجب الوقوع في الإثم والذنب: وهي المعاصي الصغيرة، وظلم الناس والاعتداء الذي يجاوز الحد، وأن تجعلوا لله شركاء من غير حجة عقلية ولا برهان علمي، وأن تقولوا على الله جهلاً بغير علم ولا حجة، كافتراء الكذب في تحليل الحرام وتحريم الحلال.

٣٤- ولكل أمة وإنسان وقت محدد في الحياة، فإذا حان أجلهم الذي يموتون فيه لا يتأخرون ساعة أو لحظة عنه ولا يتقدمون ساعة عليه، ويقع المقدر عليهم حتماً.

٣٥- يا بني آدم إن أناكم رسل من جنسكم يخبرونكم بما شرعته لكم من الأحكام، فأطيعوهم وصدقوهم، فمن اتقى المعاصي وأصلح عمله وحاله باتباع الرسل، فلا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا هم يحزنون على ما أصابهم أو فاتهم في الدنيا.

٣٦- والذين كذبوا بآياتنا المنزلة على الرسل، المتضمنة الأحكام والشرائع، وتكبروا عن قبولها والإيمان بها، فأولئك أهل النار خالدون فيها على الدوام.

٣٧- لا أحد أظلم من افترى على الله الكذب، بأن شرع ما لم يشرع الله، أو نسب الله ولداً أو شريكاً، أو كذب بآيات الله فأنكر القرآن أو جحد برسالة النبي محمد ﷺ، أولئك ينالهم نصيب مما قُدِّرَ لهم من خير أو شر، ورزق وعمر، حتى إذا أتتهم رسل الموت يتوفونهم قالوا لهم: أين الشركاء الذين كنتم تدعونهم من دون الله وتعبدونهم؟ قالوا: ذهبوا عنا وغابوا، فلا ندري مكانهم، ولا نرجو منهم النفع ودفع الضرر، وأفروا على أنفسهم بالكفر والضلال.

٣٨- قال الله تعالى أو عن طريق الملائكة للمشركين في الآخرة: ادخلوا النار في جملة الأمم الكافرة الماضية من قبلكم، سواء من الجن والإنس، كلما دخلت جماعة منهم النار لعنت الأخرى في الملة التي ضلت بالاعتداء بها، والتي سبقتها إلى النار، حتى إذا تداركوا (أدرك بعضهم بعضاً) وتباعوا وتلاحقوا في النار، قالت أحرامهم دخولاً أو منزلة، وهم الأتباع والسفلة لأولاهم دخولاً أو منزلة وهم الرؤساء والكبار أو القادة: ربنا هؤلاء أضلونا عن سبيل الحق وصرفونا عنه، فاتهم عذاباً مضاعفاً مثلين أو أكثر، من النار، قال الله: لكل منكم عذاب مضاعف، طائفة الأتباع بسبب التقليد وزيادة ضلال الرؤساء، وطائفة القادة بسبب الإضلال، ولكن لا تعلمون مقدار ونوع هذا العذاب.

٣٩- وقال أولاهم لأحرامهم: المتبوعون للأتباع: ليس لكم فضل أو مزية علينا، تقتضي تخفيف العذاب، فقد ضللتكم كما ضللنا، فدوقوا العذاب جميعاً بسبب ما اكتسبتم وتسببتم من العصيان والكفر والضلال.

قَالَا ادْخُلُوا فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ فِي النَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَعْنَتْ أَخْبَهَا حَتَّىٰ إِذَا فَكَّرُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرِبُهُمْ وَلَا لَنَهُمُ رَبِّنَا هَؤُلَاءِ أَضَلُّونَا فَكَانَتْ لَهُمْ عَذَابًا مُّضَاعَفًا ۚ لَنْ تَجِدَ لِكُلِّ ضِعْفٍ وَلَكِنْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ وَقَالَتْ أُولَاهُمُ لِأَخْرِبُهُمْ فَكَانَ لِكُلِّ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلِ قَدُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلَا يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَبْلُغَ الْجَهْلُ فِي سَمِّ الْحَيَاطِ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾ لَمْ يَنْجَسْتُمْ مَاءً وَبِئْسَ فَوْقَهُمْ عَوَاشِينَ وَكَذَلِكَ نُجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلٍّ فَخَيَّرَ مِنْ تَحْتِهِمْ الْأَنْهَارَ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنَّ هَدَانَا اللَّهُ لَغَدَجَاءَتْ رُسُلٌ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تَبْلُغُوا الْجَنَّةَ أَوْرِثُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾

٤٠- إن الذين كذبوا بآياتنا الدالة على أصول الدين وأحكام الشرع في العقيدة والعبادة والمعاملة، المنزلة على رسلنا، وتكبروا عنها فلم يؤمنوا بها، لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا، ولا يصعد لهم عمل صالح ولا دعاء، لحبث أعمالهم، ويستحيل عليهم دخول الجنة، كاستحالة أن يدخل الجمل (البعير) في ثقب الإبرة، وكذلك الجزاء، نجزي المجرمين بالكفر. والسهم: الثقب، والحياط: الإبرة، وذكر ذلك لكونه غاية في الضيق.

٤١- لهم من جهنم فُرُش من نار، ومن فوقهم لحف أو أعطية من نار، أي تغشاهم النار من فوقهم كالأعطية، ومثل هذا الجزاء نجزي الظالمين أنفسهم وغيرهم من الناس، وهم الكافرون.

٤٢- والذين آمنوا بالله ورسله جميعاً، وعملوا صالح الأعمال قدر استطاعتهم، بامتثال الأوامر واجتناب النواهي، لا تكلف نفساً عبادة أو طاعة إلا بقدر طاقتها، أولئك أهل الجنة وحدهم دون سواهم، ماكتون فيها أبداً.

٤٣- وأخرجنا ما في صدور أهل الجنة من حقد كامن في الدنيا، حتى تصفو النفوس، ويزول تنغيص نعيم الجنة، نجري من تحتهم أنهار الجنة، وقالوا: الشكر والحمد التام لله الذي هدانا في الدنيا لما يوجب هذا الجزاء العظيم من الإيمان والعمل الصالح، وما كنا لنهتدي إليه بأنفسنا، لولا هداية الله وإرشاده وتوفيقه لنا، لقد جاءت رسل الله بالحق، فاتبعناهم، ونادتهم الملائكة قائلين: تلكم الجنة أورثكم الله إياها بعملكم الصالح.



وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿٤٤﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ اللَّهِ وَيُبْغِفُونَ عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ﴿٤٥﴾ وَبَيْنَهُمْ أَجْرَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادُوا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلِّمُوا عَلَيْنَا لَمْ يَدْخُلُوها وَهُمْ يَطْمَعُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْفَاءً أَصْحَابُ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لِأَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٨﴾ أَهْوَالًا الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ أَدْخَلُوا الْجَنَّةَ لَا يَخُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا أَنْسٌ تَحْزَنُونَ ﴿٤٩﴾ وَنَادَى أَصْحَابُ النَّارِ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ أَيُّضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ يَمَارِزْكُمُ اللَّهُ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَ مَا عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرِبَتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا قَالَتِ نِسْوَةٌ كَثِيرَةٌ لِقَاءَ يُومِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٥١﴾

٤٤- ونادى أصحاب الجنة أهل النار بعد استقرار كل من الفريقين في منزله: أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا على السنة الرسل من النعيم والتكريم حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم من النعم فأذن مؤذّن بينهم أن لعنة الله على الظالمين ﴿٤٤﴾ الذين يصدّون عن سبيل الله ويبغفون عوجاً وهم بالآخرة كافرون ﴿٤٥﴾ وبينهم أجرابٌ وعلى الأعراف رجال يعرفون كلًّا بسيماهم ونادوا أصحاب الجنة أن سلّموا علينا لم يدخلوها وهم يطمعون ﴿٤٦﴾ وإذا صُرِفَتْ أبصارهم تلفاءً أصحاب النار قالوا ربنا لا تجعلنا مع القوم الظالمين ﴿٤٧﴾ ونادى أصحاب الأعراف رجالاً يعرفونهم بسيماهم قالوا ما أغنى عنكم جمعكم وما كنتم تستكبرون ﴿٤٨﴾ أهوالاً الذين أقسمتم لا ينالهم الله برحمة أدخلوا الجنة لا خوف عليهم ولا أنس تحزنون ﴿٤٩﴾ ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أيضوا علينا من الماء أو يمارزكم الله قالوا إن الله حرم ما على الكافرين ﴿٥٠﴾ الذين اتخذوا دينهم لهواً ولعباً وغربتهم الحياة الدنيا قالن نساءٌ كثيرٌ لِقَاءَ يومِهِمْ هَذَا وما كانوا بآياتنا يجحدون ﴿٥١﴾

٤٥- الذين يمنعون الناس عن اتباع سبيل الله وشرعه والدخول في الإسلام، ويطلبون أن تكون السبيل معوجة غير مستقيمة، زاعمين أنها خطأ وباطل، وأنهم على الحق والصواب، وهم بلقاء الله في الدار الآخرة جاحدون مكذبون.

٤٦- وبين أهل الجنة وأهل النار حاجز أو سور مانع من وصول أهل النار، وعلى الأعراف: أعالي السور رجال تساوت حسناتهم وسيئاتهم، يعرفون كلا من أهل الجنة وأهل النار بعلاماتهم، من بياض وجوه المؤمنين، وسواد وجوه الكافرين، ونادى أهل الأعراف أصحاب الجنة حين رأوهم قائلين لهم: سلام عليكم أي تحية لكم وتكريم، ولكنهم يطمعون في دخول الجنة، لما يرون من فضل الله ورحمته، وأن رحمته تغلب غضبه.

٤٧- وإذا حوِّلت أبصار أهل الأعراف نحو أو جهة أهل النار، ورأوا ما هم فيه من العذاب، قالوا متضرعين: ربنا لا تجعلنا مع هؤلاء القوم الظالمين أنفسهم.

٤٨- ونادى أصحاب الأعراف رجالاً من أهل النار يعرفونهم بعلامتهم المميزة لهم عن غيرهم، قالوا لهم: ما أغنى عنكم من النار ما جمعتم من الأموال، ولا اجتماعكم للصدع عن سبيل الله، ولا استكباركم عن الإيمان.

٤٩- قالوا للكفار كأبي جهل والوليد بن المغيرة: هؤلاء المؤمنون المستضعفون المضطهدون كليل وعمار بن ياسر الذين حلفتم في الدنيا: ألا ينالهم الله برحمة لفقركم وضعفهم وقلة أتباعهم؟ وقال أهل الأعراف للمسلمين: ادخلوا الجنة، لا خوف عليكم من العذاب، ولا أنتم تحزنون على ما فاتكم أو أصابكم في الدنيا.

٥٠- وطلب أصحاب النار من أهل الجنة أن يوافقهم بشيء من الماء أو الطعام أو النعمة أو مما رزقهم الله من الطيبات، فقال لهم أهل الجنة: إن الله منعهما، أي الماء وما رزقهم الله عن الكافرين، فلا نواسيكم ولا نعطيك شيئاً منعه الله عنكم.

٥١- والكافرون: هم الذين اتخذوا دينهم ملهاةً وعبثاً، وسخريةً وهزءاً، وخدعتهم الحياة الدنيا بزيتها وشهوراتها، فيوم القيامة تتركهم في النار والعذاب، كما تركوا العمل للآخرة، وبسبب ما كانوا يتكرونها آيات الله وما جاءت به الرسل.

وَلَقَدْ جِئْتَهُمْ بِكِتَابٍ فَصَّلْنَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً
لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّمَاءَ وَابِلَهُ يَوْمَ بَارِقٍ
ثُمَّ يُرْسِلُ سَحَابًا مِّنْ سَمَاءٍ قَدِ جَاءَتْ رُسُلًا مِنَّا
بِالْحَقِّ فَمَهَلِّ لَنَا مِن شَفْعَاءَ فَنَسْفَعُومَا لَنَا أَوْ نُرْسِدُ فَنَعْمَلْ غَيْرَ
الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿٥٣﴾ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ
يَطْلُبُهُ حِينًا وَالسَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسَخَّرَاتٌ بِأَمْرِهِ
إِنَّ اللَّهَ الْخَلَّاقَ وَالْأَمْرُ بَارِكُ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٥٤﴾ اذْعُوا
رَبَّكُمْ تَضَرَّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ وَلَا تُفْسِدُوا
فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا
إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ
الرِّيحَ بُشْرًا لِّبَنِي يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا
نُّقَالَ سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيْمَنَةٍ فَيَنْزِلُ بِهِ الْمَاءَ فَاخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ
الشَّجَرِ كَذَلِكَ نُفْرِجُ الْمُتَوَكِّلِينَ ﴿٥٧﴾

٥٢- ولقد جئنا أهل مكة وغيرهم بقرآن بيناه أتم بيان، عاملين بما نبين فيه، هادياً الناس إلى الحق، منقاداً من الضلالة، ورحمة لمن يؤمن به ويتبع أحكامه.

٥٣- هل ينتظرون، أي هؤلاء المكذوبون إلا ما وعدوا به في الكتاب من العذاب الذي يؤول الأمر إليه، يوم يتحقق العقاب وهو يوم القيامة ويظهر صدق ما أخبر به، يقول الذين تركوا العمل بما جاء فيه، من قبل في الدنيا: قد جاءت رسل ربنا بما هو الحق، ونصدق بما قالوا، فهل لنا من شفعاء يخلصوننا من العذاب، أو يشفعون لنا لتعود مرة ثانية إلى الدنيا؟ فنعمل عملاً صالحاً غير الذي كنا نعمل من المعاصي، قد غبنوا أنفسهم وضيعوها بدخولهم النار وخلودهم فيها، وذهب عنهم ما كانوا يكذبون في الدنيا قائلين: إن الأصنام ونحوها تشفع لنا عند الله تعالى.

٥٤- إن المرابي والمدير هو الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما، في ستة أيام ثم استوى: اعتلى واستقر على العرش- والعرش مخلوق عظيم- استواء يليق بجلاله وعظمته، لا

نعرف حقيقته، يجعل الليل كالغشاء للنهار، أي يأتي بالظلمة بعد النور، حال كون الليل طالباً النهار، طلباً سريعاً بانتظام لا يتأخر عنه دون وجود فاصل، والشمس والقمر والنجوم جعلها مذلات مسيرات بأمره وقدرته، إلا له تعالى وحده الخلق كله، والأمر والتصرف كله، وله شأن المخلوقات وأحوالها، تعظم الله رب العالمين من إنس وجن، واتسع فضله وعز سلطانه، وتزايدت خيراته وبركاته.

٥٥- ادعوا ربكم أيها المؤمنون بضراعة وتذلل وخضوع، وفي السر والإخفاء، لبعده عن الرياء، إنه سبحانه يكره المتجاوزين الحدود في الدعاء وغيره، برفع الصوت والصراخ، أو الدعاء بما لا يجوز أو ما لا ينبغي.

٥٦- ولا تفسدوا في الأرض بالشرك والمعاصي، بعد إصلاحها ببعثة الرسل، وإنزال الكتب، وتقرير الشرائع، وادعوه تعالى خوفاً من عقابه، وطمعاً في رحمته وفضله، إن رحمة الله وعفوه وإجابته الدعاء أمر قريب من المحسنين أعمالهم، الذين يتبعون أوامره، ويتركون زواجره.

٥٧- والله تعالى الذي يرسل الرياح العاصفة المبشرة بالخير وهطول الأمطار، حتى إذا حملت الرياح سحاباً مثقلاً بالماء، سقنا السحاب لإحياء أرض مجدبة لانيات فيها، فأنزلنا الماء بالبلد، فأخرجنا به جميع أنواع الثمار، ومثل إخراج الثمرات والنباتات، نخرج الموتى أحياء من القبور يوم البعث والنشور، لتتذكروا، فتعلموا قدرة الله على البعث وكل شيء، وتؤمنوا بالله وحده لا شريك له.

٥٨- البلد الطيب التربة، الوفير النماء والخصوبة، يخرج نباته حسناً تاماً نضراً، والذي خُبث ترابه كالأرض السبخة أو المالحلة لا يخرج نباته إلا عسراً بمشقة، لا خير فيه، وهذا مثل حسي للذي يستجيب لنداء الإيمان، والكافر المعرض عن الإيمان، مثل ذلك البيان والإيضاح، نبين الآيات الدالة على القدرة الباهرة والتشريع الأمثل، لقوم يشكرون الله ويعترفون بنعمته.

٥٩- لقد أرسلنا نوحاً عليه السلام أول الرسل في الأرض لهداية قومه، فقال: يا قوم اعبدوا الله وحده دون سواه، لا إله لكم غيره، إني أخاف عليكم بسبب الشرك عذاب يوم عظيم شديد، يوم القيامة أو يوم الطوفان.

٦٠- قال أشرف القوم وسادتهم: إنا نجدك يا نوح في خطأ واضح وعدول عن الحق.

٦١- قال: يا قوم: ليس بي انحراف عن جادة الحق والصواب، ولكني رسول إليكم من رب العالمين: الإنس والجن، لهدايتكم وإرشادكم، وجلب الخير إليكم، ودفع الشر عنكم.

٦٢- أبلغكم ما أرسلني به ربي من الدعوة إلى التوحيد الخالص، ونبذ الشرك، وأريد صلاح أموركم، والدلالة على ما فيه خيركم ونجاتكم، وأعلم من جلال الله وقدرته وعقابه الشديد لمن عصى أو امره ما لا تعلمون، بالإخبار الموحى به حقاً وصدقاً.

٦٣- أكذبتم وأنكرتم وعجبتم أن أتاكم وحي وعظة من ربكم على يد رجل منكم تعرفونه، ومن جنسكم تأنسون به، ليخوفكم العذاب إن عصيتم، ولتنتقوا ربكم بامثال أوامره واجتناب نواهيه، ولتظفروا برحمته ورضوانه إن أطعتم وسمعتم.

٦٤- فتمادوا في تكذيبه ومعارضته، فأنجيناه والمؤمنين القلائل الذين اتبعوه، في السفينة التي أمرناه ببنائها، وأغرقنا بالطوفان والدمار الشامل الذين كفروا وتمادوا في ضلالهم واستمروا في تكذيبهم، إنهم كانوا قوماً عمي البصائر والقلوب عن إدراك الحقائق، لا تنفع فيهم الموعظة والتذكير.

٦٥- وأرسلنا إلى قبيلة عاد الأولى (الذين كانوا في الأحقاف بحضرموت اليمن) واحداً من قبيلتهم أو جنسهم، هو هود عليه السلام، قال: يا قوم اعبدوا بحق الله وحده، لا إله لكم غيره، أفلا تخافون عذاب الله؟

٦٦- قال له الرؤساء والأشراف الكفرة من قومه: إنا لنراك يا هود في خفة عقل وحمق، وإنا نعتقد أنك من الكاذبين في ادعاء النبوة والرسالة.

٦٧- قال هود لهم: يا قوم ليس بي سفاهة كما تتصورون، ولكني رسول مبعوث إليكم من رب العالمين لهدايتكم وإرشادكم لما فيه سعادتكم.

وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِثًا ۚ كَذَلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ ﴿٥٨﴾
لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥٩﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٦٠﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦١﴾ أَبْلَغُكُمْ رَسُولًا لِّبَنِي إِسْرَائِيلَ وَأَنْصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ أَوْعَجِبْتُمْ أَنْ جَاءَ كُمْ ذِكْرُنَ مِن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٦٣﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ ﴿٦٤﴾ وَإِنَّا لَعَادِي حَادٍ أَعَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ ۖ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٦٥﴾ قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ ۖ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٦٦﴾ قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَكِنِّي رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٧﴾



أَتَلْعَبُكُمْ رَسُولَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ أَوْعَجِبْتُمْ
 أَنْ جَاءَ كُذِّبَتْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ عَلَى رِجُلٍ مِنْكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَأَذْكُرُوا
 إِذْ جَعَلْنَاكُمْ خَلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ
 فِي الْخَلْقِ بَصِطَةً فَأَذْكُرُوا آيَةَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تَقْلِقُونَ
 ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنُعْبَدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ
 يُعْبَدُ آبَاؤُنَا فَأَنبَأَنَا عِبَادًا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧٠﴾
 قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ رِجْسٌ وَعَصَبٌ فَأَنْجِبُوا نِي
 فِي أَسْمَاءٍ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا نَزَّلَ اللَّهُ بِهَا
 مِنْ سُلْطَانٍ فَأَنْظِرُوا إِنِّي مَعََكُمْ مِنَ الْمُنظِرِينَ ﴿٧١﴾
 فَأَنْجِبْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ
 الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَمَا كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٧٢﴾
 وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ
 مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَ شِكْرَ بَيْتَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ
 هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي
 أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابُ آيِسٍ ﴿٧٣﴾

٦٨- أبلغكم ما أرسلت به من التكاليف الإلهية (الأوامر والمواظع والنواهي) وأنا لكم ناصح فيما أدعوكم إليه، أمين مخلص فيما أبلغكم إياه، فلا أكذب على الله تعالى.

٦٩- أكذبتهم واستبعدتم وتعجبتم أن جاءكم وحي ومسوعة من ربكم، على يد رجل منكم تعرفونه، ليخوفكم عذاب الله إن عصيتم، وتذكروا نعمة الله عليكم حين جعلكم خلفاء أو سكان الأرض بعد هلاك قوم نوح، وزادكم على غيركم طولاً في القامة، وضخامة وقوة في الأجسام، فاذكروا نعم الله الكثيرة عليكم، لتفوزوا برضوان الله وجنته.

٧٠- قالوا له: أجئنا لأجل أن نعبد الله وحده، ونترك ما كان عليه آبائنا من عبادة الأصنام، فأتنا بالعذاب الذي أوعدتنا به، إن كنت صادقاً في تهديتك ووعيدك.

٧١- قال هود عليه السلام: قد حق ووجب عليكم عذاب وسخط، أتجاجونني في أصنام

سميتموها آلهة، أنتم وآبائكم، ما نزل الله بها من حجة ولا برهان على عبادتها، فانتظروا نزول العذاب الشديد، إني معكم أحد المنتظرين له، وهو واقع بكم لا محالة. وجعلها أسماء: كناية عن أنها لا حقيقة لها.

٧٢- فأنجينا هوداً وأتباعه المؤمنين من العذاب برحمة منا بأهل الإيمان، وأهلكنا واستأصلنا القوم الذين كذبوا بآياتنا المنزلة على الرسل، فلم نبق منهم أحداً، بسبب عدم إيمانهم وتكذيبهم رسولهم.

٧٣- وأرسلنا صالحاً عليه السلام إلى قبيلة ثمود (التي كانت تسكن الحِجْر شمال المدينة قرب تبوك) يدعوهم إلى الإيمان، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ليس لكم إله يستحق العبادة سواه، قد جاءكم معجزة ظاهرة من الله تدل على صدق رسالتي، وهي الناقة العظيمة من عند الله تعالى، فاتركوها تأكل في أرض الله، وليس عليكم إطعامها، ولا تتعرضوا لها بشيء من الأذى، فياخذكم عذاب مؤلم بالاعتداء عليها.

٧٤- وتذكروا نعمة الله وفضله حين استخلفكم في الأرض من بعد قوم عاد، وأنزلكم المساكن في الأرض، وتتخذون من سهولها قصوراً شامخة عالية، وتنتحون الجبال فتتخذون منها بيوتاً وكهوفاً، فتذكروا هذه النعم الكثيرة العظيمة، ولا تكثروا الفساد في الأرض، بما يدل على إمعان الفساد والمداومة عليه.

٧٥- قال الزعماء المتكبرون عن الإيمان من قوم صالح للمستضعفين المؤمنين، على طريق الهزاء والسخرية: أتعلمون أن صالحاً رسول مرسل من ربه؟ قال المستضعفون: إننا مصدقون برسالته ونتبع أوامره، فضلاً عن أننا نعلم صدقه يقيناً.

٧٦- قال الرؤساء المتكبرون عن الإيمان برسالة صالح عليه السلام: إننا جاحدون منكرون لما أمتمم به.

٧٧- فقتلوا الناقة بنحراها أو بقطع عرقوبها، ونسب القتل للجميع لرضاهم بما فعل أحدهم،

ومردوا عن اتباع رسالة صالح وتكبروا، وقالوا متحدين مستهزئين: يا صالح اثنتا بما تعدنا من العذاب، إن كنت حقاً نبياً مرسلًا.

٧٨- فأخذتهم الزلزلة الشديدة، فأصبحوا في بلادهم ومساكنهم صرعى ميتين دون حراك.

٧٩- فأعرض صالح عنهم وترك ديارهم بعد عقرهم الناقة، وقال لهم: يا قوم لقد بلغتكم رسالة ربي، وجهدت في نصيحتكم وإرشادكم، ولكن لا تحببون الناصحين المخلصين، وأيستم نصحي، فحق عليكم العذاب.

٨٠- وأرسلنا لوطاً، وهو ابن أخي إبراهيم، واذكر أيها النبي حين قال لوط لقومه موبخاً: أتفعلون الفعلة الفاحشة الشديدة الشناعة، وهي اللواط، لم يفعلها أحد قبلكم في أي زمان، بل هي مبتدعة منكم، ولم تركبها أمة من الأمم.

٨١- إنكم تأتون الرجال لمجرد قضاء الشهوة، لا بمقتضى عقل وفطرة سليمة، وتتركون النساء اللاتي هن محل الشهوة بحسب الفطرة، بل أنتم قوم متجاوزون الحدود في العصيان، وخارجون عن حد الاعتدال.

وَأَذْكُرُوا أَنْجَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِنْ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي الْأَرْضِ تَحَدُّونَ مِنْ سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَحْجُونَ تَلِيَّالَ يَبُوتًا فَأَذْكُرُوا لآءَ اللَّهِ وَلَا تَعْتُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ الَّذِينَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِمَنْ أَمِنْهُمْ لَتَمَلُونَ أَنْ صَلِحًا مَرْسَلًا مِنْ رَبِّهِمْ قَالُوا إِنَّمَا أَنْزَلَ بِهَذَا مَوْتًا ﴿٧٥﴾ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا بِالَّذِي آمَنْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٧٦﴾ فَعَقَرُوا وَالنَّاقَةَ وَعَتَا عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا يُصَلِحُ آتِنَا إِنَّمَا قَدَّمْنَا وَإِنْ كُنْتُمْ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧٧﴾ فَأَخَذْتُمُ الرِّجْفَ فَأَصْحَوْا فِي دَارِهِمْ جَثِيئًا ﴿٧٨﴾ فَنُؤِنِّي عَنْهُمْ وَقَالَ يَ قَوْمٍ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَتِي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَكِنْ لَا تُحِبُّونَ النَّاصِحِينَ ﴿٧٩﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ إِنِّي أَنْتُونَ الْفَحْشَاءَ مَا سَفَعْتُكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٨٠﴾ إِنَّكُمْ لَأَنْتُونَ الرِّجَالَ سَهْوَةً مُنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ ﴿٨١﴾

٨٢- وما كان جواب قومه حين تويخه لهم عن هذا الإنكار الشديد إلا أن قال بعضهم لبعض: أخرجوا لوطاً وأتباعه المؤمنين به من بلدكم: سدوم عاصمة قرى قوم لوط، في شرق الأردن في الغور، إنهم أناس ينتزهون عن عملنا هذا، فلا بقاء لهم معنا، قالوا ذلك استهزاء وسخرية منهم.

٨٣- فأجينا لوطاً وأهله والمؤمنين معه إلا امرأته الكافرة، كانت من جماعة الهالكين الباقين مع قومها في مكان العذاب.

٨٤- وأمطرنا عليهم مطراً كثيراً عجيباً وهو الحجارة المحماة بالنار، فانظر كيف كان مصير المجرمين الذين كذبوا لوطاً عليه السلام، وانغمسوا في الفاحشة.

٨٥- وأرسلنا إلى قبيلة مدين من ولد إبراهيم (وكانت أرضهم ما بين طور سينا والفرات) رسولا من جنسهم ونسبهم هو شعيب عليه السلام، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله ليس لكم إله غيره، فهو

وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنَاسٌ يَبْطِئُونَ ﴿٨٢﴾ فَأَجَبْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا نَظِيرًا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ ﴿٨٤﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَكُمْ بَيِّنَاتٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا بِالْكَيْلِ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تفسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿٨٥﴾ وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَاطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ مَنِ آمَنَ بِهِ وَبِعُوذَتِهَا عِوَجًا وَأَدْكِرُوا إِذْ كُنْتُمْ قَلِيلًا فَكَرَّهْتُمْ وَأَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨٦﴾ وَإِنْ كَانَ ظَاقِفَةٌ مِّنكُمْ آمَنُوا بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ وَظَاقِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ نَخْرُجَهُمُ اللَّهُ يَبْنِي أَمْثَالَ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٧﴾

المعبود بحق، وهذا جوهر دعوة الرسل، قد جاءكم واضحة من ربكم تدل على صدق رسالتي، فأتموا الكيل والميزان إذا بعتم، ولا تنقصوا البائع والمشتري وغيرهما من الناس حقوقهم، بتعييب السلعة، أو التزهد فيها، أو الاحتيال على صاحبها، فكل ذلك أكل لأموال الناس بالباطل، ولا تفسدوا في الأرض بالكفر والمعاصي بعد إصلاح أهلها من طريق الأنبياء والرسل، هذا الذي أمرتكم به أحسن وأفضل عند الله لكم مما أنتم عليه من الكفر والظلم، إن كنتم مصدقين برسالتي وبوحدانية الله وشرعه؛ لأن الإيمان يقتضي الامتثال.

٨٦- ولا تقطعوا الطرق، تتوعدون وتهددون بالعذاب الناس الذين يريدون المجيء إليكم، وتمنعون الناس عن الإيمان بدين الله، والوصول إلى شعيب عليه السلام، وتطلبون لشريعة الله أن تكون معوجة غير مستقيمة، واذكروا حين كنتم قليلي العدد، فكثرت جمعكم بالنسل، وأمدكم بالقوة والغنى، وتأملوا كيف كان مصير المفسدين البغاة من الأمم الماضية، حيث أهلكهم الله بكفرهم وذنوبهم.

٨٧- وإن كان آمن جماعة منكم بما أرسلت به من عند الله، وجماعة أخرى لم يؤمنوا برسالتي، فاصبروا حتى يقضي الله بالحق والعدل بيننا وبينكم، ويتحقق نصرنا عليكم، والله خير الحاكمين؛ لأن حكمه حق وعدل، لا مجال فيه للظلم أو المحاباة.



٨٨- قال الأشراف المتكبرون عن الإيمان بالله ورسوله: لنظردنك يا شعيب والمؤمنين معك من بلدتنا، أو لترجعن أيها الأتباع إلى ديننا كما كنتم، أي لا خيار لكم إلا أحد أمرين: الطرد أو العود للملة السابقة، قال لهم شعيب: أتعيدوننا في ملتكم، ولو كنا كارهين تلك العودة أو الإخراج؟!!

٨٩- وأضاف شعيب قائلاً: قد اختلقتنا على الله كذباً إن عدنا في ملتكم التي هي الشرك والظلم، بعد إذ نجّانا (خلصنا) الله منها؛ لأن العود أعظم ذنباً، ومن ارتد عن الإيمان أعظم كفراً، وما ينبغي لنا ولا يصح أن نعود في ملتكم أبداً، إلا أن يشاء الله ربنا ذلك، أحاط علم الله بكل شيء من الموجودات، فوضنا أمرنا إلى الله واعتمدنا عليه في التثبيت على الإيمان وإتمام النعمة والعصمة من الكفر والتقصمة، احكم ياربنا بيننا وبين قومنا بالحكم العادل، بما يستحقه كل منا من نصر أو هزيمة، وأنت أعدل وخير الحاكمين.

٩٠- وقال أشراف القوم الكافرون لجماعة منهم: لنن أمتتم بشعيب واتبعتموه، إنكم إذا لخاسرون في تجارتكم بترك التطفيف للكيل والميزان، وهالكون في النهاية.

٩١- فأبيدوا وأهلكوا بالزلزلة الشديدة بسبب عصيانهم وإصرارهم على الكفر، فأصبحوا صرعى هامدين موتى.

٩٢- الذين كذبوا برسالة شعيب، أصبحوا كأن لم يقيموا في دارهم زمناً طويلاً، لاستئصالهم بالعذاب، الذين كذبوا شعيباً كانوا خاسرين لأنفسهم وأملآكهم، فالخسران لهم لا للمؤمنين، في الدنيا والآخرة.

٩٣- فأعرض عنهم شعيب حينما شاهد وقوع العذاب بهم، وقال لهم: يا قوم لقد أديت ما علي، وبلغتكم ما أرسلت به من الأوامر والنواهي، فكيف أتأسف أو أحزن على قوم مصرّين على الكفر؟!!

٩٤- وما أرسلنا في بلد من البلاد من نبي من الأنبياء، فكذب أهلها إلا أخذناهم بالبؤس والفقر، والضر والمرض، ليتضرعوا ويتذلّلوا، فيؤمنوا ويتوبوا.

٩٥- ثم أعطيناهم مكان الابتلاء والشدة: الغنى والسعة والقوة والصحة، حتى كثروا وغنوا، وكفروا ولم يشكروا النعم، وقالوا: هذه عادة الدهر، وليس ذلك عقاباً من الله، قد أصيب أبأؤنا بالبؤس ثم الرخاء، فلنكن على ما كانوا عليه، ولم يدركوا أن ذلك ابتلاء أو اختبار من الله وغفلوا عنه، فأخذناهم بالعذاب فجأة دون تراخ، وهم لا يشعرون بوقت مجيئه.

قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَمَن جِئْتِكَ بِشُعَيْبٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِنْ قَوْمِنَا أَوْ لَنَعُودَنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أُولَؤُ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدْ أَفْرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُمْ بَعْدَ إِذْ جِئْنَا اللَّهَ مِنْهُمَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَعُودَ فِيهَا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا أَفَجْعَلُ يَتَسَاءُؤِينَ قَوْمِي سَاءَ مَا نَحْنُ بِأَعْيُنِنَا خَيْرَ الْفِتْنِينَ ﴿٨٩﴾ وَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ لَمَنِ اتَّبَعَ شُعَيْبًا بِإِذْنِكُمْ إِذَا لَخْسِرُونَ ﴿٩٠﴾ فَأَخَذْتُمُ الرِّجْعَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جِثْمِينَ ﴿٩١﴾ الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأَنْ لَوِ بَعَثُوا فِيهَا الَّذِينَ كَذَبُوا شُعَيْبًا كَأُولَؤُ الرِّجْسِ الَّذِينَ لَبِئُوا فِيهَا وَالَّذِينَ نَكُفَّرُوا عَنْهُمْ كَذِبًا لَوْ أَنَّهُمْ لَأَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّجْمٍ إِلَّا أَخَذْنَا أَهْلَهَا بِالْأَسَاءِ وَالضَّرَّاءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ ﴿٩٢﴾ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ السَّيِّئَةِ الْحَسَنَةَ حَتَّى عَفَوْا وَقَالُوا قَدْ مَسَّ رَبُّنَا الضَّرَّاءَ وَالسَّرَّاءَ فَأَخَذْنَاهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩٣﴾

وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَىٰ آمَنُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ لَكُنَّا عَنْهُمْ بِرَبِّكَ مِن
 السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُوا
 يَكْسِبُونَ ﴿٩٦﴾ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيِّنًا
 وَهُمْ يَأْمِنُونَ ﴿٩٧﴾ أَوْ أَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا
 ضُجْحًا وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿٩٨﴾ أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يُؤْمِنُ
 أَهْلُ الْقُرَىٰ إِلَّا الْفُقَرَاءُ الْحَسِرُونَ ﴿٩٩﴾ أَوْ لَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ
 الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْنَسَاءُ أَصَابَتْهُم بِذُنُوبِهِمْ وَمَن
 عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ قَهْرٌ فَلَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقِصُ عَلَيْكَ
 مِنْ أَنبِيَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
 لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْمَعُ اللَّهُ عَلَىٰ
 قُلُوبِ الْكَافِرِينَ ﴿١٠١﴾ وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِمْ مِنْ عَهْدٍ
 وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ ﴿١٠٢﴾ ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم
 مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا
 فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٠٣﴾ وَقَالَ
 مُّوسَىٰ يَفِرُّ فِرْعَوْنُ بِئِي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾

٩٦- ولو أن أهل القرى (المدن الجامعة) التي أرسلنا إليها الرسل آمنوا بالله ورسوله، واتقوا الكفر والقبايح وابتعدوا عنها، لو سعتنا عليهم الخير من السماء بالمطر، والأرض، بالنبات والثروات المعدنية، ولكن كذبوا بالآيات الدالة على الإيمان وبالرسل، ولم يؤمنوا، فأخذناهم بالعذاب وعاقبناهم، بسبب كفرهم وذنوبهم.

٩٧- أفأمن أهل القرى الذين كذبوا رسلهم أن يأتيهم عذابنا في الليل، وهم نائمون.

٩٨- أو أمن أهل القرى المذكورة أن يأتيهم عذابنا في ضحوة النهار، وهم يلعبون، أي يعملون بما لا فائدة فيه.

٩٩- أفأمنوا ما يبدره الله لهم من العقوبة، واستدرجهم لهم بالنعمة والصحة من غير أن يشعروا، فلا يأمن تديبر الله وبأسه إلا القوم الذين خسروا أنفسهم.

١٠٠- أولم يتبين لورثة الأرض ومكانها بعد هلاك أهلها السابقين، أن الله لو شاء أهلكتهم وعاقبهم بذنوبهم، كما عاقبنا من قبلهم، ونختم على قلوبهم، فلا ينفذ إليها شيء من المعظة، ولا يسمعون المواعظ سماع تدبر وتفهم، حتى يموتوا.

١٠١- تلك القرى المذكورة التي أهلكتها وهي قرى الأقوام الخمسة: وهم قوم نوح وهود وصالح ولوط وشعيب، نذكر لك شيئاً من أخبارها كيف أهلكت، ولقد جاءتهم رسلهم بالمعجزات والبراهين الواضحة الدالة على صدق رسالتهم، فما كانوا ليؤمنوا عند مجيء الرسل بهذه المعجزات، بسبب تكذيبهم بها قبل مجيئهم، بل استمروا على الكفر، ومثل ذلك الطبع على قلوب كفار الأمم الخالية، يطبع الله على قلوب الكافرين من قومك وغيرهم، فلا ينفذ فيهم وعظ ولا تذكير.

١٠٢- وما وجدنا لأكثر الناس من وفاء بعهدهم أو وصية بالإيمان والفضائل، وما وجدنا أكثرهم إلا خارجين عن الطاعة خروجا شديداً.

١٠٣- ثم بعثنا من بعد الرسل المتقدمين كنوح وهود وصالح ولوط وشعيب: موسى بالمعجزات الدالة على صدق نبوته، إلى فرعون الطاغية وأشرف قومه، فكفروا بالمعجزات، وكذبوا بها وظلموا أنفسهم، والتكذيب ظلم عظيم، فتأمل أيها النبي كيف كان مصير المكذبين الكافرين.

١٠٤- وقال موسى عند تبليغ رسالته: يا فرعون إني رسول إليك من الله رب الإنس والجن، فهو حقيق بالإيمان به وحده.

١٠٥- جدير بي على ألا أقول على الله إلا القول الحق الذي أمرني أن أخبركم به كما هو، قد جتكم بحجة واضحة من ريكتم تبين صدقي، فأرسل معي بني إسرائيل وأطلقهم من أسرك واستعبادك، ليرجعوا معي إلى الأرض المقدسة؛ فإنهم كانوا ممنوعين من الرجوع إلى موطن آبائهم.

١٠٦- قال له فرعون: إن كنت مؤيداً بمعجزة من عند الله دالة على صدق رسالتك، فأظهرها لئراها، إن كنت صادقاً في ادعائك.

١٠٧- فألقى موسى عصاه من يده، فإذا هي حية عظيمة ظاهرة الحياة، وكانت من ذكور الحيات.

١٠٨- وأخرج يده من جيب قميصه، فإذا هي بيضاء تلالاً نورا، من غير برص ولا مرض، تظهر للناظرين المبصرين إليها من غير لبس.

١٠٩- قال أشرف القوم الزعماء من قوم فرعون لما شاهدوا ذلك: إن موسى لساحر كبير، عليم خبير بأنواع السحر وفتونه.

١١٠- يريد أن يخرجكم من أرض مصر، وقال فرعون لهم: فماذا تشيرون به علي؟!

حَقِيقٌ عَلَىٰ أَنْ لَا أَقُولَ عَلَىٰ اللَّهِ إِلَّا الْحَقُّ فَدَجَلْتُمْ بَيْنَهُ
مِنْ رَبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٠٥﴾ قَالَ إِنْ كُنْتَ جِئْتَ
بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٠٦﴾ فَأَلْقَى
عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثَعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ
لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٠٨﴾ قَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ
﴿١٠٩﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ فَإِذَا تَأَمَّرُونَ ﴿١١٠﴾ فَأَلْوُوا
أَرْجُلَهُ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿١١١﴾ يَا تُوكُ
كَيْلَ سِحْرِ عَلِيمٍ ﴿١١٢﴾ وَجَاءَ السَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ فَأَلْوُوا إِنَّ
لَنَا الْآخِرِينَ ﴿١١٣﴾ قَالُوا يَلْمُزُوكَ إِنَّمَا أَنْتَ مُنْقِبٌ وَإِنَّمَا أَنْ تَكُونَ
مِنْ الْمُنْقِبِينَ ﴿١١٤﴾ قَالَ أَلْقُوا قُلْتَ الْقَوْلَ سِحْرًا وَأَعْيَتِ
النَّاسِ وَأَسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَاءُوا بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ﴿١١٥﴾
﴿١١٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ
مَا يَأْكُرُونَ ﴿١١٧﴾ فَرَفَعَ الْحُجُبَ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَغَلَبُوا
هُنَالِكَ وَالْقَوْمُ أَصْغَرُونَ ﴿١١٩﴾ وَالْقَوْمُ لَشَرٍّ مُّجْتَمِعِينَ ﴿١٢٠﴾

١١١- قال للملأ لفرعون: آخره وأمهله وأخاه هارون إلى وقت آخر، واطلب من حكام الأقاليم ومدائن المملكة في مصر أن يجمعوا لك السحرة، ويرسلوهم إليك. وقوله: ﴿حاشرين﴾ أي رجالاً يجمعون السحرة.

١١٢- يأتوك بكل ساحر ماهر بفتون السحر.

١١٣- وجاء السحرة إلى فرعون، فقالوا: هل لنا أجر أو نجعل على عملنا، إن غلبنا موسى بسحرنا؟!

١١٤- فأجابهم فرعون: نعم لكم ذلك الأجر، وإنكم أيضاً من المقرين لدينا.

١١٥- خبير السحرة موسى بين الابتداء باللقاء ما يريد، أو ابتدائهم هم بذلك.

١١٦- قال لهم موسى: ألقوا أنتم أولاً، فلما ألقوا حبالهم وعصيهم، سحروا أعين الناس، وصرفوها عن إدراك حقيقة ما فعلوا من التمجيد والخذاع، وأوقعوا الرهبة والخوف الشديد في نفوسهم، وجاء السحرة بسحر متفوق، عظيم في أعين الناظرين، وإن كان لا حقيقة له في الواقع.

١١٧- ثم أوحينا إلى موسى وأمرناه باللقاء عصاه، فإذا هي تبشع بسرعة حبالهم وعصيهم التي يوهون بها كذباً، وسميت إلكاً؛ لأنه لا حقيقة للسحر في الواقع.

١١٨- فثبت وتبين الحق، وهو صدق موسى، وبطل ما عملوا من السحر.

١١٩- فغلب السحرة في المكان الذي اجتمعوا فيه، ورجعوا من ذلك الموقف أذلاء مقهورين.

١٢٠- وخر السحرة ساجدين لله، أي أن معرفتهم للحق أخضعتهم له في الحال.



قَالُوا أَمْ آتَيْنَا آلَ الْكَافِرِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾ قَالَ
 فِرْعَوْنُ أَنَا مُسْمِعٌ بِهِ قَبْلَ أَنْ آذَنَ لَكَ إِنَّ هَذَا لَكَرْمُكَ مَكْرَمُوهُ
 فِي الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجُوا مِنْهَا أَهْلَهَا فَأُتُوهُ فَتَعَلَّمُونَ ﴿١٢٣﴾
 لَا تَقْطَعْنَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ لِأُصْلَبْتُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿١٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا مُنْقَلِبُونَ ﴿١٢٥﴾ وَمَا نَعْمُ مَا آتَىٰ آلَ آدَمَ
 بِبَاتِلَاتٍ رَبِّنَا لِمَا جَاءَ تَأْنِيهِ تَأْنِيَةً أَوْ فَرَحَ عَلَيْنَا صِدْقًا وَتَوْفِقًا مُسْلِمِينَ
 ﴿١٢٦﴾ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَدْرُسُونَنَا وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا
 فِي الْأَرْضِ وَيَذُرْكُمُوعًا الْهَيْكَلُ قَالَ سَنَقْتُلُنَّ أَبْنَاءَهُمْ
 وَنَسَخُنَّ عِيسَاءَهُمْ هُرُودًا أَوْ فَهْمًا فَهْمُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ
 اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ
 مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿١٢٨﴾ قَالُوا أَوْ ذِيْنَا
 مِنْ قَبْلِ أَنْ نَأْتِيَنَا وَمِنْ تَعْدِنَا مَا جِئْنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَنْ يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِي الْأَرْضِ
 فَيَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٢٩﴾ وَلَقَدْ آخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ
 بِالسِّبْيِ وَنَقَصْنَا مِنَ اللَّحْمِ لِعَالِهِمْ يَلْكُرُونَ ﴿١٣٠﴾

١٢١، ١٢٢- قالوا: آتانا بالله وحده لا شريك له، رب الإنس والجن، ورب موسى وهارون، حتى لا يتوهم أحد أن السجود لفرعون.

١٢٣- قال فرعون للسحرة: كيف أمتم بموسى ورسالته، قبل أن آذن لكم في الإيمان، إن هذا الفعل لتدبير خفي وحيلة احتلتموها في مدينة مصر قبل المبارزة، لتخرجوا منها أهلها، فسوف تعلمون ما ينالكم مني على هذه المؤامرة.

١٢٤- لا تقطعن اليد اليمنى والرجل اليسرى من كل إنسان منكم وبالعكس، ثم لأصلبكنم في جذوع النخل بعد التقطيع حتى الموت.

١٢٥- قال السحرة جواباً لتهديد فرعون: إنا إلى ربنا راجعون جميعاً في الآخرة، ويجازيك على ما تصنع بنا، ويغفر لنا خطايانا.

١٢٦- وما تعيب منا وتكر علينا إلا بسبب إيماننا بآيات ربنا التي جاءتنا على يد موسى، وهذا شرف عظيم، ربنا أفض علينا صبراً يغمرنا عند التعذيب، أي ألهمنا صبراً كثيراً، لئلا نرجع كفاراً، وتوفنا ثابتين على الإسلام، خاضعين لجنابك، غير محرفين ولا مبدلين.

١٢٧- وقال زعماء قوم فرعون له: أتسرك

موسى وقومه أحياء: ليفسدوا في أرض مصر بالدعوة إلى معارضتك، وإدخال الناس في دينهم، ويترك ويترك عبادة الهتك: وهي الأصنام التي جعلها فرعون لقومه يعبدونها تقرباً بها إليه، وهو أعلى معبودات الأرض، وإله العالم السفلي، والكواكب آلهة العالم العلوي، قال فرعون: سنقتل أولادهم الذكور، ونستبقي الإناث أحياء لخدمتنا، وإنا فوقهم قادرين، متسلطون ومسيطرون عليهم بالقهر والغلبة، وهم تحت قهرنا.

١٢٨- قال موسى لقومه حين سمع تهديد فرعون وخوف بني إسرائيل: استعينوا بالله على فرعون وقومه، واصبروا على البلاء والمحنة، إن الأرض لله يعطيها من يشاء من عباده، وهو وعد من موسى بالنصر على فرعون وقومه، والخاصة المحمودة أو النهاية في الدنيا والآخرة للمتقين الله من عباده، وهم موسى ومن معه، في ذلك الزمان.

١٢٩- قال بنو إسرائيل لموسى: لقد أوذينا إيذاء شديداً بقتل أبنائنا وإذلالنا من قبل أن تأتينا رسولا، ومن بعد ما جثتنا رسولا، بقتل الأبناء ونشر الرعب، قال موسى: لعل ربكم أن يهلك عدوكم فرعون وقومه، ويجعلكم خلفاء الأرض بعدهم، ويكون الأمر والملك لكم، فينظر كيف تعملون بعدئذ، في حال طاعة أو عصيان؟

١٣٠- ولقد عاقبنا آل فرعون بالقحط والجذب والجوائح المتتالية، ونقص الثمار بالعاهات وإتلاف الغلات بالآفات، بسبب عدم نزول المطر، لعلهم يتعظون، ويرجعون عن كفرهم.

١٣١- فإذا جاءتهم مواسم الخير الحسنة بالخصب ووفرة الثمار والرخاء، قالوا: لنا هذه نستحقها، وإن يتعرضوا لمواسم سيئة من الجذب والقحط والبلايا والأمراض، يتشاءموا بموسى والمؤمنين معه، إلا إن شؤمهم يأتيهم من عند الله على عملهم، لا من عند موسى ومن معه، فجميع ما ينالهم من خير أو شر هو من عند الله، وهذا على نمط ما يعتقدونه، لذا عبر بالطائر عن الخير والشر، لا إثبات التطير، ولكن أكثرهم لا يعلمون بهذا، بل ينسبون الخير والشر إلى غير الله خطأ وجهلاً.

١٣٢- وقال أتباع فرعون لموسى: مهما تأتينا من معجزة، لتصرفنا بلطف وحيمة عما نحن عليه من ديننا، كما يفعل السحرة بسحرمهم، رددناها، ولا تؤمن بك ولا تصدق برسالتك. قاصدين بذلك إعلان اليأس من إيمانهم.

١٣٣- فأرسلنا عليهم الطوفان (الأمطار الكثيرة المتلفة للزرع) والجراد الذي يأكل الزرع، والقمل: حشرات صغيرة تلتف الزرع والنبات، غير القمل المعروف، والضفادع المعروفة التي تكاثرت، فملاّت البيوت، والدم أي الرعاف من الأنوف أو تحول المياه إلى دم، آيات مبيّنة دالة على قدرة الله تعالى وصدق

موسى، فتكبروا عن الإيمان بالله، وكانوا قوماً عصاة مجرمين. هذه آيات خمس، يضاف لها آياتان من الآية السابقة [١٣٠] وهي القحط ونقص الثمار، وآيتان من سورة يونس [٨٨] وهما الطمس على الأموال أي هلاكها ومحقتها، وتشديد الوطأة على القلوب، أي الطبع عليها، فتصير الآيات تسعاً.

١٣٤- ولما وقع عليهم العذاب بهذه الأمور، قالوا: يا موسى ادع لنا ربك أن يكشف عنا البلاء، متوسلاً بما اختصك به وأكرمك من الرسالة والنبوة وهو العهد، لئن كشفت عنا العذاب لنصدقن بنبوتك وبما تخبر به عن ربك، ولنرسلن معك بني إسرائيل، بإعطائهم حرية الانتقال والمغادرة من البلاد بعد منع السفر.

١٣٥- فلما رفعنا عنهم العذاب المتقدم من القحط وغيره، إلى أجل محدد من الزمان لإهلاكهم بالغرق، هم بالغوه حتماً، إذا هم ينقضون العهد الذي عقده على أنفسهم.

١٣٦- فانتقمنا منهم لما نقضوا العهد، فأغرقناهم في البحر، بسبب تكذيبهم بآياتنا وإعراضهم عنها، حتى صاروا كالغافلين عنها.

١٣٧- وأورثنا قوم بني إسرائيل الذين كانوا مستنلين بالخدمة لقوم فرعون، أرض مصر والشام، التي باركنا فيها بإخراج الزرع والثمار الوفيرة، وتم إنجاز وعد الله لبني إسرائيل بإهلاك فرعون وقومه، بسبب صبرهم على أذى فرعون وملته، وتحملهم الشدائد، وأهلكنا وخربنا ما كان يصنع فرعون وقومه من العمائر والمزارع، وما كانوا يعرشون من عرائش الكروم والأشجار. وليس ميراث الأراضي المذكورة على الدوام، وإنما كان ذلك لفترة زمنية في وقتهم ما داموا مستقيمين على أمر الله، ثم سلبهم الله ذلك بظلمهم، فلم يبق لهم أصل تاريخي بما يسمونه أرض الميعاد.

فَإِجَاءَهُمْ الْحَسَنَةَ قَالُوا لَنَا هَذِهِ وَإِنْ نَصَبْنَاهُمْ سِيبَةً
تَطِيرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ إِلَّا إِنَّمَا نَطِيرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ
أَكْذَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٣١﴾ وَقَالُوا إِنَّمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ آيَةِ
نَسَحْرَتِنَا بِهَا فَأْمَخِ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ
الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالذَّمَءَ آيَةً
مُعَصَلَكَ فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾ وَلَمَّا وَقَعَ
عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا لِمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ
لَئِنْ كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِي
إِسْرَائِيلَ ﴿١٣٤﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ الرِّجْزَ إِلَى أَجَلٍ
مُهِينٍ قَالُوا إِنَّا هُمْ رَبُّكَ نَكُفِّرُ بِنَحْنِمْ قَالُوا إِنَّمَا تَكْفُرُ
بِفَالِقِ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٣٥﴾
وَأُورَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشْرِقَ
الْأَرْضِ وَمَغْرِبِهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ
الْحُسْنَى عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ
يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ﴿١٣٦﴾

١٣٨- ومكانهم من عبور بحر السويس بسلام وأمان، فمروا على قوم يلازمون عبادة الأصنام، وقيمون عليها، فقالوا: يا موسى، اجعل لنا إلهاً، أي صنماً نعبد، كما لهؤلاء القوم آلهة من الأصنام، قال موسى: إنكم قوم تجهلون حقيقة الألوهية وعظمة الله، واستحقاقه وحده العبادة دون سواه، وقد شاهدتم من آيات الله ما يزرع عن عبادة غير الله تعالى.

١٣٩- إن عبدة الأصنام هؤلاء مدمرٌ ومهلك ما هم فيه من عبادة الأصنام وزائل وذهب جميع ما كانوا يعملون من الأعمال والعبادة للأصنام.

١٤٠- قال موسى لقومه: كيف أطلب لكم إلهاً غير الله تعبدونه؟ وقد أقام لكم الأدلة القاطعة على وحدانيته، وفضلكم على عالمي زمانكم، بإهلاك عدوكم، وتحريركم، وتكبيركم في الأرض واستخلافكم فيها.

١٤١- وتذكروا معشر الإسرائيليين لتشكروا الله

وَجَوْرًا بَيْنَ إِسْرَائِيلَ فَانظُرْ فَأَلْهَمْنَاهُ عَلَىٰ قَوْمٍ بَعْدَكَ فُؤَادًا عَظِيمًا
أَصْنَاءَ لَهُمْ قَالُوا يَا مَوْسَى اجْعَلْ لَنَا آلِهَةً كَالَّذِينَ كَانُوا آلِهَةً لِّكَ
قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَؤُلَاءِ مَثَرَاتُهُمْ فِيهِ ذُرَّابُ
مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغْبَرُ اللَّهُ أَتَبِعُكُمْ إِلِهَاتِهَا
وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَإِذْ اجْتَبَيْتُم مِّنَ آلِ
فِرْعَوْنَ يَتُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُقْتُلُونَ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَهُمْ وَإِذَا لِمَمَّ لَهُم مِّن ذُرِّيَةٍ يُكْفَرُونَ ﴿١٤١﴾ وَوَعَدْنَا
مُوسَىٰ ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَا بِعَشْرِ فَنَاءٍ
مِّمَّكَتِ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَارُونَ
اخْلُقْ فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤٢﴾
وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ
أَرِنِي أَنْظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن نَرِيكَ وَلَكِن نُنظُرْ إِلَى
الْجِبَلِ فَإِنِ اسْتَفْرَقَ كَانَ فِئَافُ فَسُوفَ نَرِيكَ فَلَمَّا تَهَلَّلَ رَبُّهُ
لِلْجِبَلِ جَعَلَهُ دُكَّاءً وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَمَا أَفَاقَ
قَالَ سُبْحَانَكَ ثَبَّتْ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٤٣﴾

عليه حين خلصناكم من آل فرعون يذيقونكم أشد العذاب، يقتلون أطفالكم الذكور، ويقنون نساءكم أحياء للخدمة، وفي ذلكم الإنجاء من الأضرار امتحان واختبار عظيم من ربكم، لتشكروا نعمه وأفضاله.

١٤٢- ووعدنا موسى بتكليمه ومناجاتنا بعد انتهاء ثلاثين ليلة، قائماً الليل، صائماً النهار، ثم زدناه عشرين بعد مجيئه إلى الميقات (الوقت المحدد لعمل من الأعمال)، فتم وقت المناجاة أربعين ليلة، وقال موسى لأخيه هارون حين انجحه للمناجاة: كن خليفتي فيهم، وأصلح أمر بني إسرائيل بالرفق بهم وتفقد أحوالهم، ولا تسلك سبيل العاصين بموافقتهم على المعاصي وإعانة الظالمين.

١٤٣- ولما حضر موسى في الوقت المحدد لكلام الله، وكلمه ربه مباشرة من وراء حجاب ولا واسطة، قال موسى: رب أرني أنظر إليك شوقاً وشرفاً، فأجابه الله تعالى: ليس لبشر أن يراني في الدنيا، ولكن انظر إلى الجبل، فإن ثبت مكانه، فسوف تراني، أي لا تثبت لرؤيتي، ما دام الأعظم منك صلابة وقوة وهو الجبل لم يثبت حين تجلّى الرب عليه، فلما ظهر نور الله على الجبل، جعله مذكوكاً تراباً مفتتاً، وسقط موسى مغشياً عليه، فلما أفاق من غشيته، قال: أنزهك يارب تنزيهاً، تبت إليك من سؤالي رؤيتك، وأنا أول المؤمنين بك من قومي.



١٤٤- قال الله تعالى: يا موسى إني اخترتك على الناس أهل زمانك، وفضلتكم وخصصتكم بالرسالة والنبوة وتبليغ أوامري، وبالتكليم من غير واسطة، فخذ ما أعطيتك من الفضل، وكن شاكراً لأنعمي وعطائي الجليل.

١٤٥- وكتبنا لموسى في ألواح التوراة (وهي ما يكتب فيها) من كل ما يحتاج إليه الإسرائيليون من أمور الدين والدنيا، لمن يتعظ بها، وتبيانا لكل شيء من الأحكام، فخذها بجد وعزيمة قوية واعمل بها، واطلب من قومك أن يأخذوا بأحسن وأفضل مما فيها وأكثرها أجراً، كالعفو بدل القصاص، والصبر على الغير، وإبراء المعسر، وفعل المأمور به، وترك المنهي عنه، سأريكم دار الفاسقين: فرعون وأتباعه، وهي مصر، لتعتبروا بها، وقيل: هي منازل الكفار من الجبابة والعمالقة، وثمود وأصحاب الأيكة.

١٤٦- سامع عن فهم آياتي (دلالي على الإيمان) وكتابي وشريعتي الذين يتكبرون على الناس بغير حق كفرعون وقومه، وإن يروا كل آية

دالة على قدرة الله وعظمته لا يصدقوا بها، وإن يروا سبيل (طريق) الهدى الذي جاء من عند الله والصلاح والاستقامة، لا يتخذوه منهجاً أو طريقاً، وإن يروا سبيل الغواية والضلالة يتخذوه طريقاً ومنهاجاً، ذلك الصرف بسبب التكذيب بالآيات المنزلة من عندنا المشتملة على الهدى وتركية النفوس، وبسبب تغافلهم عنها وإعراضهم عناداً، لا سهواً.

١٤٧- والذين كذبوا بآياتنا التي جاءت بها رسلنا، وبالبعث والحساب، بطلت أعمالهم الحسنة التي عملوها في الدنيا كصلة رحم وصدقة، فلا ثواب لها في الآخرة، لعدم الإيمان، ما يجوزون إلا جزاء عملهم من التكذيب والمعاصي.

١٤٨- واتخذ قوم موسى من بعد خروجه إلى جبل الطور للمناجاة، مما معهم من حلي القبط الذي استعاروه لعرس، فبقي عندهم، اتخذوا عجلاً إلهاً مجسماً، أي تمثالاً لعجل لا روح فيه، له خوار (صوت البقر) صنعه السامري بطريقة تجعل مرور الريح فيه محدثاً صوتاً، ألم يروا أن هذا التمثال أحرص لا يكلمهم، ولا يقدر على هدايتهم للحق والصواب وطريق الخير، اتخذوه إلهاً، وكانوا ظالمين لأنفسهم في اتخاذه.

١٤٩- ولما ندموا وتحيروا، وأدركوا أنهم قد أخطؤوا وضلوا عن الإيمان باتخاذهم العجل إلهاً، لجؤوا إلى التوبة والاستغاة، وقالوا: إذا لم يرحمنا ربنا بقبول توبتنا وغفران ذنوبنا، لنكونن من الخاسرين أنفسهم أو الهالكين.

قَالَ يٰمُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلِمَتِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٤٤﴾ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَّقَظَّةً وَتَفْصِيلاً لِّكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُورِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ ﴿١٤٥﴾ سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنْ يَرَوْا كَلِمَةً آيَةً لَا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوْا سَبِيلَ الْعُنَى يَتَّخِذُوهُ سَبِيلاً ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَافِلِينَ ﴿١٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِغَاءِ الْأَخْرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤٧﴾ وَاتَّخَذَ قَوْمٌ مِّنْ بَعْدِهِمْ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلاً جَسَداً لَهُ خَوَارٌ أَلْوَسَوْا أَنَّهُ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَالِمِينَ ﴿١٤٨﴾ وَلَمَّا سَقِطَ فِي أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١٤٩﴾

وَمَا رَجَعَ مُوسَىٰ إِلَىٰ قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي
 مِنْ بَعْدِي أَتَعْلَمُونَ أَمْرًا بِكُمْ وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ
 أَخِيهِ يُجْرَهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أَمْرِ إِنْ الْقَوْمَ اسْتَصْحَفُونِي
 وَكَادُوا يَقْتُلُونِي فَلَا تُشْمِتْ بِي الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٥٠﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي
 رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿١٥١﴾ إِنَّ الَّذِينَ أَخَذُوا
 الْكِتَابَ سَيِّئًا لَمْ يَغُصُّوا مِنْ رَبِّهِمْ وَذَلُّوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَكَذَلِكَ نُجَذِّبُ الْمُفْتَرِينَ ﴿١٥٢﴾ وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ
 ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَآمَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿١٥٣﴾ وَمَا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبَ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ
 وَفِي نُحُوتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هَرَبُوا مِنْ رَبِّهِمْ رَبُّهُمْ
 وَأَخْتَارَ مُوسَىٰ قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا مِمَّنْ ظَنَّنَا أَنَا أَخَذْنَا مِنْ الرَّحْمَةِ
 قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبْلُغُوا أَهْلَكْنَا بِنَا أَمَلٌ
 السُّفَهَاءِ مِمَّا أَنْ هِيَ إِلَّا مُنْذِرُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي
 مَنْ يَشَاءُ أَنْتَ وَابْنُكَ فَاعْفِرْنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الْغَافِرِينَ ﴿١٥٤﴾

١٥٠- ولما رجع موسى إلى قومه من ميقات المناجاة، غضبان حزينا، بسبب عبادة العجل، قال: بئس الفعل الذي فعلتموه من بعد غيابي عنكم، هل استعجلتم أمر ربكم وميعاده، فلم تصبروا له، وهو ما وعدكم من الأربعين، فلما لم أرجع مسرعاً، عبدتم غيره، وألقى الواح التوراة من شدة غضبه وأسفه لعبادة العجل، وأخذ بشعر رأس أخيه يجره إليه، على وجه المعاتبة على لينة، لا الإهانة، قال له هارون: يا ابن أُمي - وهي كلمة استعطف وترفق - إن القوم الذين عبدوا العجل وجدوني ضعيفاً فريداً، وهموا بقتلي، فلا تفرح الأعداء بإهانتك إياي، ولا تجعلني أحد القوم الظالمين الذين عبدوا العجل، فلست منهم ولم أفعل مثلهم، ولا أؤاخذ على فعلهم.

١٥١- قال موسى: رب اغفر لي هذا الفعل بأخي، واغفر لأخي هارون إن كان فرطاً أو قصر في نهيهم عن فعلهم، وأدخلنا في جنتك ورحمتك الواسعة، وأنت أرحم الرحماء في الدنيا والآخرة.

١٥٢- إن الذين اتخذوا العجل إلهاً ولم يتوبوا، سينالهم عذاب من ربهم في الآخرة، وعقاب في الدنيا يقتل بعضهم بعضاً، وذل ومهانة واحتقار الناس لهم، وكما جزيناها من مجزي المفتريين على الله بالإشراك وغيره، ومنهم عبدة العجل.

١٥٣- والذين ارتكبوا السيئات أو المعاصي، ثم تابوا من بعد ما عملوها، وآمنوا بالله ورسوله، إن ربك من بعد هذه التوبة، لغفور لهم، رحيم بهم، أي كثير المغفرة والرحمة.

١٥٤- ولما ذهب الغضب عن موسى، وسكن وهدأ، أخذ الألواح التوراتية التي ألقاها عند غضبه، وفيما نسخ أو كتب فيها إرشاد للضالين وهداية للأحكام، ورحمة واسعة، للذين يخافون من ربهم.

١٥٥- واختار موسى من قومه سبعين رجلاً ليكونوا معه في الوقت الذي وعدناه بإتيانهم فيه، وليكون سماعهم مناجاة موسى ربه دليلاً على صدقه، وفي رأي آخر: اختارهم للاعتذار عن عبادة العجل، فطلبوا رؤية الله جهراً، فأخذتهم الزلزلة الشديدة وصعقوا، قال موسى تحسراً: رب لو شئت إهلكنا لأهلكتنا بذنوبنا، قبل أن تأتي إليك في الميقات، أنهلكنا يا رب بما فعل الطائشون منا، ما هي إلا فتنتك، أي اختبارك وابتلاؤك، تُضِلُّ بها من تشاء من عبادك، وتهدي من تشاء هدايته، أنت ناصرنا ومتولي أمورنا، فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا برحمتك الواسعة، وأنت خير الغافرين للذنوب، تغفر لمحض الفضل والجود، لا للمصلحة.



١٥٦- واكتب لنا في هذه الدنيا حسنة وفي الآخرة إننا
 حسناً: بالصحة والغنى والعمل الصالح، وارضقنا
 الجنة والرضوان في الآخرة، إنا تبنا إليك ورجعنا
 عن الغواية، قال الله تعالى لموسى عليه السلام:
 عذابي أصيب به من أشاء تعذيبه وهو هنا الرجفة،
 ورحمتي شملت كل شيء من المكلفين وغيرهم،
 وسبقت غضبي، فسأحكم بها في الآخرة للذين
 يتقون الله بامثال الأوامر واجتناب النواهي، ومن
 أهمها الشرك وعظائم الذنوب، ويؤدون الزكاة
 المفروضة عليهم لأهلها المستحقين، والذين هم
 يصدقون بآياتنا، ولا يكفرون بشيء منها.

١٥٧- الذين يتبعون الرسول محمداً ﷺ النبي
 الذي لا يقرأ ولا يكتب، وليس من أهل الكتاب،
 الذي يجد اليهود والنصارى اسمه ونعته وصفته
 مدوناً عندهم في التوراة والإنجيل، يأمر بما يقره
 الشرع والعقول السليمة من الإيمان بالله ومكارم
 الأخلاق، وينهى عن الكفر والشرك وما ينكره
 الشرع والعقل الصحيح من مساوئ الأخلاق،

ويحل لهم المستلذات التي تستطيعها النفوس والطباع السليمة من الأطعمة، ويحرم عليهم ما تستخسه الطباع
 السليمة وتنفّر منه، كالميتة والدم المسفوح والختزير والمذبح وغير الله، ويضع عنهم الشغل الذي يضايق
 الإنسان، وما يشق حسيّاً على النفس، والتكاليف الشاقة الثقيلة، كقتل النفس في التوبة، وقطع موضع
 النجاسة من الثوب، فالذين آمنوا بمحمد ﷺ وعظموه ووقروه، ومنعوه من عدوه، ونصروه على من يعاديه،
 واتبعوا القرآن الذي أنزل معه، أولئك هم الفاترون في الدنيا والآخرة، بالهداية والاستقامة، والجنة
 والرضوان.

١٥٨- قل أيها الرسول: يا أيها الناس إني رسول الله إلى أهل الأرض جميعاً، فرسالي للناس عامة،
 رسول من الله الذي يتصرف في السموات والأرض كيف يشاء، ويملكهما ملكاً تاماً، لا إله غيره ولا رب
 سواه، يحيي الخلق ويفنيهم، فهو المستحق للربوبية ونفي الشركاء عنه، فأمنوا بالله وما تضمنته كتبه من
 التوراة والإنجيل والقرآن من أحكام وإرشادات، واتبعوا ما جاء به، لتتهتدوا وترشدوا.

١٥٩- ومن قوم موسى وهم بعض بني إسرائيل جماعة عظيمة، يدعون الناس إلى الرشاد والهدى
 متلبسين بالحق ويلتزمون الحق الذي جاء به نبيهم، وبالحق يعدلون في أحكامهم.

﴿وَكَتَبْنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ إِنَّا
 هُنَا أَلَيْكُ قَالَ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ
 كُلَّ شَيْءٍ وَمَسْأَلُكُمْ بِنَا لَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ
 وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٥٦﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ
 الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي
 التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ
 عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ
 وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ
 فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ
 الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٥٧﴾ قُلْ يَا أَيُّهَا
 النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ
 وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾ وَمِنْ
 قَوْمِ مُوسَى إِذِ اتَّبَعُوا نَبِيَّهُمْ بِحَقِّ الدِّينِ وَقَالُوا
 لِمَ يُعَذِّبُنَا يَا نَبِيَّ اللَّهِ إِنَّا بِلِقَائِكَ فَحَفِيظُونَ ﴿١٥٩﴾﴾

١٦٠- ميزنا وفرقنا قوم موسى بعضهم من بعض، حتى صاروا اثنتي عشرة قبيلة، كل سبط (قبيلة) معروف على حدة، والأسباط: أولاد الأولاد، وهو عندهم كالقبيلة في ولد إسماعيل، وجعلناهم أمماً، أي كل سبط قبيلة من أب واحد من أولاد يعقوب. وأوحينا إلى موسى حين طلب قومه السقيا، لما أصابهم العطش في صحراء التيه: أن اضرب بعصاك الحجر، فانفجرت منه اثنتا عشرة عينا بعدد الأسباط، قد علم كل سبط منهم مكان شربهم، وجعلنا السحاب يظلمهم في التيه، يقيهم حر الشمس، وأنزلنا على ورق الشجر وغيره المن (مادة بيضاء حلوة) والسلوى (وهو طير يشبه السُّماني) وقلنا لهم: كلوا من مستلذات ما رزقناكم، وما ظلمونا بكفرانهم هذه النعم، ولكن ظلموا أنفسهم، حيث عرضوها للعقاب.

١٦١- واذكر أيها النبي حين قيل لأبنا بني إسرائيل بعد الخروج من التيه: اسكنوا أرض بيت المقدس، وقولوا: حطة، أي أمرنا حطة،

وَقَطَعْنَا لِنِيبِ عَشْرَةَ آسَابِطًا أُمَّمًا وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ إِذِ اسْتَسْقَاهُ قَوْمُهُ أَنْ يَضْرِبَ بِعَصَاكَ الْحَجَرَ فَانْبَجَسَتْ مِنْهُ اثْنَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرِبَهُمْ وَظَلَلْنَا عَلَيْهِمُ الْعَقَبَ وَأَنْزَلْنَا عَلَيْهِمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَىٰ كُلًّا مِنْ طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١٦٠﴾ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ اسْكُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ سَيَزِيدُ الْحَسَنِينَ ﴿١٦١﴾ فَكَذَّلَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ﴿١٦٢﴾ وَسَأَلَهُمْ عَنِ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ الْبَحْرِ إِذْ يَعْتَدُونَ فِي السَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِينًا نَهْمُ يَوْمٍ سَيَتِيهِمْ سُبْحًا وَنَوْمًا يَاسْتَبِقُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَلِكَ نَبْلُوهُمْ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِرِجَالِهِمْ قَوْمًا اللَّهُ مَهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعذِرَةٌ إِيَّاكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَسْتَفْهَمُونَ ﴿١٦٤﴾

والمعنى: حطّنا خطايانا، وادخلوا باب القرية (بيت المقدس) ساجدين لله شكراً على نعمه، وهو نوع من سجدة الشكر، نغفر لكم ذنوبكم، متى دخلتم على هذه الحال بيت المقدس منتصرين، سيزيد المحسنين أعمالهم إحساناً وثواباً وإدراك نعم.

١٦٢- فبدّل الظالمون منهم أقوالهم، فأنزلنا عليهم عذاباً من السماء، بسبب ظلمهم.

١٦٣- وسأل أيها النبي عما وقع لأهل القرية (أيلات) بجوار العقبة على ساحل البحر الأحمر، التي كانت قريبة مجاورة للبحر الأحمر، حين يعتدون ويتجاوزون حدود الله بالصيد يوم السبت، وقد نهوا عنه، حين تأتيتهم أسماكهم يوم السبت الذي حرّم العمل عليهم فيه، ظاهرة على الماء، وفي غير يوم السبت لا تأتيتهم الحيتان (الأسماك)، مثل ذلك البلاء الشديد، نبلوهم بسبب فسقهم وظهوره فيهم، وفي ذلك امتحان لمعرفة مدى قدرتهم على الصبر عن المحارم.

١٦٤- واذكر أيها النبي حين قالت جماعة من أهل القرية، لم تصيد ولم تنه عن الصيد للصلحاء الواعظين: لِمَ تَعْطُونَ قَوْمًا، الله مهلكهم في الدنيا، أو معذبهم عذاباً شديداً في الآخرة؟ قال الواعظون: موعدتنا معذرة نعتذر بها إلى الله، لثلاثا تنسب إلى التقصير في ترك النهي، أي لتعذر عند الله بأداء واجبنا، ولكي يتقوا الله، فيقلعوا عن المعصية التي لازمها، ويتركوا الصيد.

١٦٥- فلما ترك عصاة أهل القرية العمل بما وعظوا به، فلم يرجعوا عن المخالفة، أنجينا الذين يتهنون عن المعصية أو العمل الذي تسوء عاقبته؛ وهما الطائفتان الأخريان: التي نهت ثم يثست، والتي استمرت على النهي، أهلكتنا الظالمين العصاة المستدين في يوم السبت بعذاب شديد بسبب عصيانهم وخروجهم عن طاعة الله تعالى.

١٦٦- فلما تجبروا وتجاوزوا الحد في معصية الله تكبراً، وأبوا ترك ما نهوا عنه، مسخناهم قردة، أذلاء مطرودين مبعدين عن كل خير، أي تحولوا فعلاً قردة، أو صاروا كالقردة في الاحتقار.

١٦٧- واذكر أيها النبي حين أعلم ربك إعلاماً ظاهراً، ليسلطن على اليهود إلى يوم القيامة من يذيقهم أسوأ أنواع العذاب بسبب ظلمهم، إن ربك لسريع العقاب لمن عصاه، وإنه لغفور لأهل طاعته، رحيم بهم.

١٦٨- وفرقتاهم في الأرض جماعات وفرقاً،

فلا يوجد قطر إلا وفيه منهم طائفة، منهم الصالحون: وهم الذين آمنوا واستقاموا، ومنهم أناس دون من قبلهم في الاستقامة، وهم الكفار والفساق، واختبرناهم بالخير والشر، بالنعم والأمن والرخاء تارة، وبالنقم والخوف والضيق تارة، ليرجعوا عما هم فيه من العصيان والضلال والكفر.

١٦٩- فجاء من بعدهم أولاد وذرية، وهم خلف السوء، ورثوا التوراة من أسلافهم، يأخذون الرشوة ويأكلون السحت مقابل تحريفهم آيات الله، وتهوينهم العمل بأحكام التوراة، ويزعمون أنه سيغفر لهم، متمنين الأمانى الباطلة، وإن يأتيهم مال آخر غير مشروع يأخذوه، ويزعمون المغفرة أيضاً، والعرض: المتاع الزائل. ألم يؤخذ عليهم ميثاق التوراة ألا يقولوا على الله إلا الحق الثابت، وقد درسوا وقرؤوا ما في التوراة وفهموا وعلموا، فكان ترك العمل منهم عن علم، لا عن جهل، وكيف يزعمون المغفرة مع المخالفة؟! والأخرة خير من الدنيا وما فيها من عرض أو متاع، للذين يتقون الله ويحذرون عقابه، أفلا تعقلون ذلك وتدركونه؟

١٧٠- والذين يتمسكون ويعملون بما جاء في التوراة، وداوموا على الصلاة في أوقاتها، فلا نضيع أجر المصلحين أعمالهم، ونجازيهم على طاعتهم.

فَلَمَّا تَسَاءَلُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَجَبْنَا الَّذِينَ يَتَهَنُونَ عَنِ السُّوءِ
وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا
يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَنْ مَا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا
قِرَدَةً خَاسِئِينَ ﴿١٦٦﴾ وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ لَبِيعْنَا
عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْفَيْسَمَةِ مِنْ يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ
إِنَّ ذَيْكَ لَسَرِيعٌ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٧﴾
وَوَضَعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَسْمَاءً لِّمَنَّهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ
دُونَ ذَلِكَ وَبَلَّوْنَهُمْ بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ
لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿١٦٨﴾ خَلَفَ مِنْ بَعدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا
الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ
لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِثْلَهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ
عَلَيْهِمْ مِيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ
وَدَرَّسُوا مَا فِيهِ وَاللَّذَّارِ الْأُخْرَىٰ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ
أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦٩﴾ وَالَّذِينَ يَتَمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ
وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٧٠﴾

﴿ وَإِذْ نُنزِّلُ الْغَيْثَ فَنُوحِهِمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَاءَ آيَاتِنَا بِقُوَّةٍ وَادْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٧١﴾
 وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِن بَنِي آدَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَن نَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَذَا غَافِلِينَ ﴿١٧٢﴾ أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُنكِلُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ ﴿١٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَفْصِلُ الْأَبْنَءَ لِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿١٧٤﴾ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ آيَاتِنَا ءَأَنذَرْتَهُ فَاسْتَعْصَمَ فَكُنَّا مِنَ الْغَاوِينَ ﴿١٧٥﴾ وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْآرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثَ أَوْ تَتْرُكهُ يَلْهَثَ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَاقْصُصْ الْقِصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ سَاءَ مَثَلًا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَأَنفُسُهُمْ كَانُوا بِظُلْمٍ ﴿١٧٧﴾ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضِلِلْ فَلَا تَأْتِيكُ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٧٨﴾

١٧١- واذكر أيها الرسول حين رفعنا جبل الطور من جذوره، كأنه مظلة سحاب فوقهم، وأيقنوا أنه ساقط عليهم، بإنذار الله لهم بوقوعه إن لم يقبلوا أحكام التوراة، وقلنا لهم: خذوا ما آتيناكم في التوراة بجد وعزيمة، واذكروا ما فيه من الأحكام بالعمل به، لتتقوا الله وتأمروا عذابه.

١٧٢- واذكر أيضاً حين أخرج ربك من أصلاب بني آدم ذريتهم، وهم في عالم الذر، وأخذ عليهم العهد بالإقرار بوجود الله ووحدانيته، والمراد أن الله تعالى خلق الإنسان مستعداً بفطرته وبالآلة الكونية للتوصل إلى الحق والاعتراف بخالقي الكون، وأشهد كل واحد منهم على نفسه قاتلاً لهم قول إرادة وتكوين لا بالوحي: ألسنت بربكم؟ قالوا بلسان الحال: بلى شهدنا على أنفسنا بأنك أنت ربنا المستحق للعبادة، منعاً لهم من أن يقولوا يوم القيامة أو لكلا يقولوا: لم ينبهنا أحد إلى التوحيد، ولا علم لنا بأنك أنت ربنا وحلك لا شريك لك.

١٧٣- أو تقولوا: إنما أشرك آبائنا من قبلنا، وكنا ورثتهم فاعتدنا بهم، واستمر العمل بما عليه أوائلنا، ولم نهتد إلى الحق والصواب، فاعتدنا بما فعل المبطلون من آياتنا بتأسيس الشرك، ولا ذنب لنا لجهلنا وعجزنا عن النظر؟

١٧٤- مثل ذلك البيان للميثاق، نيين الآيات ليتدبروها، وليرجعوا عن الشرك، ويعودوا إلى الحق، ويؤمنوا بالله وحده، ويتركوا ما عليه الأسلاف.

١٧٥- وائل أو اقرأ أيها النبي على قومك خير الشخص الذي مكناه من علم آياتنا المنزلة على رسولنا، وهو بلعم بن باعوراء من علماء بني إسرائيل، فانخلع منها، أي أهملها وتبرأ منها، فلحقه الشيطان فصار قرينه، فكان من الراسخين في الغواية والضلالة، أي من الكفار الفاسدين المفسدين.

١٧٦- ولو شئنا له المنزلة العالية، لأكرمناه ورفعنا قدره إلى منازل الأبرار بتلك الآيات، ولكنه مال إلى المنزلة الدنية، ورجب فيها، وأثر الدنيا على الآخرة، واتبع أهواءه النفسية، فمثل أو صفة هذا الرجل كمثل الكلب، إن تطارده وتزجره يلهث وإن تركه يلهث، والمراد أنه مكروب دائماً، يركض وراء الدنيا، ذلك المثل الخسيس مثل القوم المكذبين بآياتنا من اليهود والمشركين وغيرهم، بعد أن علموا بها، فاقصص أيها النبي القصص الحق على هؤلاء المكذبين، ليتفكروا بها ويتعظوا.

١٧٧- بش وبقح وصف القوم الذين كذبوا بآياتنا المنزلة على رسلنا بقبح أفعالهم، وإنهم يظلمون أنفسهم بالتكذيب.

١٧٨- من يوفق الله للإيمان والخير واتباع القرآن، فهو المهتدي حقاً، ومن يخذله ولا يوفقه للخير، فأولئك هم الخاسرون خسارة كاملة.

١٧٩- ولقد خلقنا جنهم كثيراً من الجن والإنس، ونحن نعلم مصيرهم سابقاً؛ لأنهم يعمل أهل النار يعملون، لهم قلوب لا يفهمون بها الحق، ولهم أعين لا يبصرون بها أدلة قدرة الله ووحدانيته، ولهم آذان لا يسمعون بها الآيات والمواعظ سماع تدبر واتعاظ، أولئك الموصوفون بما ذكر كالبهائم في تعطيل الطاقات المدركة والحواس، بل هم أضل من البهائم؛ لأنها تعرف ما ينفعها وما يضرها، فتقدم أو تتحجم، والكفار لا يميزون بين النافع والضار كما كلفهم به الله، أولئك هم الغافلون.

١٨٠- والله الأسماء الحسنى الدالة على أكمل الصفات وأشرفها، كالغفور الرحيم العليم القدير، فاذكروه ونادوه بها قائلين: يا رحمن يا رحيم يا حليم يا غفور... الخ فإنه إذا دعي بها، كان ذلك أقرب للإجابة، واتركوا المشركين الذين يميلون عن الحق بتحريف هذه الألفاظ، كالنطق بلفظ الجلالة «أه» أو تحريف معانيها بالتشبيه بال مخلوقات، أو منافاة الكمال المطلق كتفسير علم الله تعالى وسمعه وبصره بصفات المخلوقين، أو بالتغيير واشتقاق أسماء منها لآلهتهم، كما فعل المشركون، حيث اشتقوا اسم اللات من «الله» والعزى من العزيز، ومناة من المنان، أو بالزيادة عليها أو

وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لَا يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْعُقَلُوبُونَ ﴿١٧٩﴾
 وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا وَذُرُوا الَّذِينَ يُجَادُونَ فِي أَسْمَائِهِمْ سَبُّهُنَّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٨٠﴾ وَعَمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةً يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ ﴿١٨١﴾ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٢﴾ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴿١٨٣﴾ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِمْ مِنْ حِفْظٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لِّبَشَرٍ ﴿١٨٤﴾ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَنْ يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حُدُودٍ بَعْدَهُ يُدْعَوْنَ لِيُؤْمِنُوا ﴿١٨٥﴾ مَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَلاَ هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٨٦﴾ يَسْتَأْذِنُكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّامًا مَّرْسُومًا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي لِأَجْلِهَا لَوْ قُبِلَ الْأَمْوَالُ مَكْتَنَةً فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ لَأَنبَأَكُمْ بِهَا لَآبَعْتُهُمْ يَسْتَأْذِنُكَ كَأَنَّكَ حَتَّىٰ عَنَّا قُلْ إِنَّمَا عَلَّمَهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾

النقصان منها. نزلت في رجل من المسلمين، فقال في صلته: يا رحمن، يا رحيم، فقال المشركون: محمد وأصحابه يزعمون أنهم يعبدون رباً واحداً، فما بال هذا يدعو اثنين؟ فنزلت الآية.

١٨١- ومن خلقنا جماعة يرشدون الناس بالحق وإلى الحق والخير، وبالحق يحكمون في أحكامهم.

١٨٢- والذين كذبوا بآياتنا أي القرآن، من أهل مكة وغيرهم، سنأخذهم قليلاً قليلاً إلى الهلاك، من حيث لا يعلمون مصيرهم. والاستدراج: الأخذ بالتدرج درجة بعد درجة إلى مهاوي الهلاك، بإمداد النعم وإهمال الشكر عليها.

١٨٣، ١٨٤- وأمهلهم وأوخر عنهم العقوبة، إن تديري الخفي شديد محكم، قوي لا يطاق. أو لم يتفكروا بعين العقل أو يتأملوا في شأن رسول الله ﷺ صاحبهم أن ليس فيه شيء مما يدعونه من الجنون، ما هو إلا منذر عقاب الله.

١٨٥- إن هؤلاء لم يتفكروا في الملك العظيم للسموات والأرض وما خلق فيهما من كواكب ونبات وحيوان وغيرها، حتى يهتدوا بذلك إلى الإيمان بالله، وأنه ربما اقترب أجلهم، فيموتوا على الكفر قريباً، فبأي كلام غير القرآن يؤمنون إن لم يؤمنوا به؟!

١٨٦- من لم يوفقه الله إلى الإيمان، فلا هادي له أبداً، ويتركهم في ضلالهم وكفرهم يترددون تائهين.

١٨٧- يسألك اليهود أو قريش عن القيامة متى وقوعها ورسموها (تثبيتها)؟ قل: إنما علمها عند الله لا يعلمها غيره، لا يظهرها لوقتها إلا هو سبحانه وحده، نقل علمها على أهل السموات والأرض، فلا يتوصلون إليه، لا تأتيكم إلا فجأة، يسألونك أيها النبي كأنك مبالغ في السؤال عنها حتى تعلمها، قل لهم مؤكداً: إنما علمها خاص بالله تعالى، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله هو المختص بالعلم بها. نزلت حينما قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فأخبرنا عن الساعة متى تقوم؟

١٨٨- قل لهم أيها النبي مؤكداً عدم العلم بالقيامة: لا أملك لنفسي نفعاً، ولا أقدر منع الضرر عني إلا بمشيئة الله والهامة وتوفيقه إياي، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من جلب الخير لنفسي، وتوقيت السوء، وما أصابني شيء من الشر، ما أنا إلا منذر من عصاني بالنار، ومبشر من أطاعني بالجنة، وهم المؤمنون بالله وحده، فليس من مهامي الإعلام بالغيب. قال أهل مكة: ألا يخبرك ربك بالرخص والغلاء حتى نشترى فنربح، وبالأرض التي تجذب لنترحل إلى الأرض الخصبة، فنزلت هذه الآية.

١٨٩- الله الذي خلقكم من نفس واحدة: آدم عليه السلام، ثم خلق حواء زوجه من جنسه وشكله، ليأنس إليها ويطمئن بها، فلما جامعها، حملت منه حملاً خفيفاً هو النطفة، فاستمرت بذلك الحمل دون مشقة أو ثقل، فلما صارت ثقيلة الحمل لكبر الجنين في بطنها، دعا آدم وحواء ربهما، لئن آتيتنا ولداً سليماً صالحاً للحياة من غير نقص، لنكونن من الشاكرين نعمتك.

١٩٠- فلما رزقهما الله ولداً صالحاً سليماً، جعل الزوجان من جنس بني آدم - وليس آدم وحواء

الله شركاء، فيما أعطاهما، فتعاضم الله وتنزه عما يشركون به، بنسبة الولد أو الشريك له.

١٩١- أيشركون بالله الأصنام في العبادة؟ علماً بأنها لا تخلق شيئاً من المخلوقات، حتى تستحق العبادة، وهؤلاء الذين جعلوا شركاء من الأصنام أو الشياطين مخلوقون.

١٩٢- ولا تملك هذه الأصنام لعباديتها نصراً إن طلبوه منهم، ويعجزون عن نصر أنفسهم بدفع المكروه والأذى.

١٩٣- وإن تطلبوا من الأصنام الهداية والرشاد لأنفسهم أو لكم، لا يجيبوا طلبكم، وإذا لم تصلح الأصنام تبعاً، فلا تصلح بالأولى أن تكون متبوعة، وحالهم واحدة، سواء في عدم الإفادة عند ندايتكم أو سكوتكم؛ لأنهم مجرد أحجار جامدة.

١٩٤- إن هذه الأصنام التي تعبدونها من غير الله، وتجعلونها آلهة: مخلوقات أمثالكم، خاضعون لقدرة الله، ومملوكون لله، فادعوهم لنفع أو دفع ضرر، فليردوا عليكم الجواب إن كانوا أحياء، إن كنتم صادقين في جعلهم آلهة، وما تدعون لهم من قدرة على النفع والضرر.

١٩٥- الهؤلاء الأصنام المعبودة شيء مما لكم من الآلات والأعضاء؟ هل لهم أرجل للمشي، أو أيدي للبطش والعمل بها، أو أعين للبصر بها أو أذان للسمع بها، لا، ليس لهم شيء من الحواس المدركة التي لكم، فكيف تعبدونهم وأنتم أتم خلقاً منهم؟ قل لهم أيها النبي: ادعوا شركاءكم أي الأصنام واستعينوا بهم، ثم افعلوا ما شئتم من وجوه الكيد (التدبير الخفي) علي، فلا تمهلوني ولا تتأخروا في إضراروا في كيدي إن استطعتم. وهذا تحدُّ لإظهار عجز آلهتهم عن كل شيء.

قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ
أَعْلَمُ الْغَيْبِ لَا سَأَلْتُكُمْ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَخِيَ السُّوءُ
إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴿١٨٩﴾ مَوْلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا
مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا فَلَمَّا
فَتَشَّهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلتْ دَعَا اللَّهَ
رَبَّهَا لَئِن آتَيْتَنِي صَالِحًا لَتَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٩٠﴾ فَلَمَّا
ءَاتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَفَعَلَهُ اللَّهُ عَمَّا
يُشْرِكُونَ ﴿١٩١﴾ أَتَشْرِكُونَ مَا لَمْ يَخْلُقْ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلِقُونَ ﴿١٩٢﴾
وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسُهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٣﴾
وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءَ عَابَيْتُمْ
أَدْعُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صٰمِتُونَ ﴿١٩٤﴾ إِنْ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ
اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَلُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْمِعُوا كَمَا إِنْ كُنْتُمْ
صٰدِقِينَ ﴿١٩٥﴾ أَلَمْ تَرَ أَنزَلْنَا مِنْهَا آيَةً لِّلَّذِينَ يَدْعُبُونَ
بِهَآءِ أَمْ لَهُمْ آعِينٌ يَبْصُرُونَ بِهَا أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ
بِهَآءِ قُلْ ادْعُوا شُرَكَاءَ كُومُ كِيدُونِ فَلَا تُنظَرُونَ ﴿١٩٦﴾



١٩٦- إن ناصري ومتولي أموري الله الذي نزل القرآن، وهو يحفظ الصالحين وينصرهم، فكيف أخاف هذه الأصنام؟

١٩٧- والذين تعبدون من غير الله عاجزون عن نصركم ونصر أنفسهم.

١٩٨- وإن دعوتهم الأصنام إلى الهداية والرشاد، لا يسمعون دعاءكم، وترى الأصنام أيها النبي يقابلونك كالناظر إليك، وهم لا يبصرون في أعينهم، لفقد الحياة فيها، فكيف يرجى منهم النصر والعون والخير؟!

١٩٩- خذ أيها النبي اليسر من أخلاق الناس، ولا تكلفهم ما يشق عليهم، وأمر بالمعروف، وهو المستحسن عقلاً وشرعاً من الأقوال والأفعال، وأعرض عن أفعال الجاهلين: السفهاء الحمقى، فلا تعاملهم بمثل عملهم من السفاهة والجدال بالباطل.

٢٠٠- وإما يصيبك إصابة من الشيطان، أي يوسوس لك بشيء من الفساد وتخريب الأخلاق، فاستجر بالله والجأ إليه من وساوسه، لدفعها عنك، إنه سميع للدعاء، عليم بالخال.

٢٠١- إن الذين اتقوا ربهم وخافوا عقابه

وأطاعوا أوامره وتركوا ما زجر عنه إذا أصابهم شيء ألم بهم، أي وسوسة ما، تذكروا عقاب الله وثوابه، فإذا هم مبصرون الحق من غيره، ومدركون ببصائرهم الأخطاء ومكائد الشيطان، فيرجعون عن الفساد.

٢٠٢- وإخوان الشياطين من الكفار والمشركين يعاونونهم في الضلال، ثم لا يكفون عن إغوائهم ولا يتباطون. ويقصرون بمعنى يقصرون.

٢٠٣- وإذا لم تأت أيها النبي المشركين المكيين بمعجزة مما اقترحوا، أو بآية من القرآن قالوا: هلا اخترعتها من تلقاء نفسك؟ قل لهم: إنما أنا متبع الوحي من ربي، ولست بمخترق للآيات من عندي، هذا القرآن مبصر للقلوب وبرهان من ربكم يغني عن غيره من المعجزات، فيه يعرف الحق والصواب، وهو حجج وبيانات، وهو هداية للناس إلى الإيمان، ونعمة من الله لقوم يؤمنون به ويعملون بأحكامه.

٢٠٤- وإذا قرئ القرآن في الصلاة وغيرها، فاستمعوا له بقصد ونية لتفهموا معانيه، واسكتوا عن الشواغل والكلام للاستماع عند تلاوته، لتظفروا برحمة الله عند امتثال أوامره، وسماع آيات كتابه. نزلت في رفع الأصوات في الصلاة خلف النبي ﷺ.

٢٠٥- واتجه إلى ربك بالذكر والدعاء، تذلاً وخوفاً، تسمع نفسك، وتتوسط في الذكر، دون الجهر، فلا ترفع صوتك كثيراً، ولا تسر به بمجرد تحريك اللسان، بالصباح والمساء، ولا تكن غافلاً عن ذكر الله. والغدو: وقت الغدوة أي الصباح، والأصالي: ما بين العصر والغروب.

٢٠٦- إن الملائكة الأبرار عند ربك لا يتكبرون عن عبادة الله، ويتزهون عما لا يليق به، وله يصلون ويخصونه بالعبادة والخضوع، فتشبهوا بهم.

إِنَّ وَرَثَةَ اللَّهِ الَّذِينَ نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴿١٩٦﴾
وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْمَعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَا
أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ﴿١٩٧﴾ وَإِنْ تَدْعُهُمْ إِلَى التَّهْدَىٰ لَا يَسْمَعُوا
وَرَبَّهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴿١٩٨﴾ خذ الْعَفْوَ
وَأْمُرَ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِنَّمَا يَرْتَدُّكَ
مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْعٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾ إِنَّ
الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِيفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِنَّا
مُهْتَمِبُونَ ﴿٢٠١﴾ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّوهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ
لَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠٢﴾ وَإِذَا لَمْ يَأْتِهِمْ بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا آجِنِيَّتَاهَا
قُلْ إِنَّمَا آتَيْتُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِنْ رَبِّي هَذَا بَصَائِرٌ مِنْ رَبِّكُمْ
وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٠٣﴾ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ
فَأَسْمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ وَأَذْكُرْ بِكَ
فِي نَفْسِكَ نَصْرَ مَا يُوْحَىٰ وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ
وَالْأَصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
لَا يَتَّكِبُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْجُدُونَ لَهُ سَجْدًا تَمْتَدُّونَ



سورة الأنفال

وهي مدنية تتحدث عن أحكام الجهاد والغنائم، نزلت عقب غزوة بدر.

١- يسألونك أيها النبي عن كيفية قسمة الغنائم الحربية، قل: حكمها مختص بالله والرسول، يقسمها الرسول ﷺ بأمر الله تعالى على وفق المصلحة العامة، فاتقوا الله بامثال أوامره، واجتنب نواهيه، وأصلحوا الحالة الناشئة عن تفرقكم، وأطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، إن كنتم مؤمنين حقاً بالله ورسوله، فإن الإيمان لا يتم إلا بالتقوى وإصلاح ذات البين وطاعة الله ورسوله. نزلت في غنائم بدر وفي قسمتها، كيف تقسم، ولن الحكم فيها، أهي للمهاجرين أم للأَنْصَار أم لهما جميعاً.

٢- إنما كاملو الإيمان الذين تخاف قلوبهم عند ذكر الله تهيأً لجلاله وعظمته، وإذا تليت عليهم آيات القرآن، زادتهم تصديقاً، ويفوضون الأمور لربهم، ويثقون به، لا بغيره.

٣- الذين يؤدون الصلاة كاملة بأوقاتها وحقوقها، وينفقون في طاعة الله مما أعطيناهم من الرزق والمال.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنْفَالِ قُلِ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلَيَّتْ

عَلَيْهِمْ آيَاتُ اللَّهِ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴿٣﴾ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لَكَرِهُونَ ﴿٥﴾ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ

إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَرْظَهُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمُ وَالْوَدُونَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشُّوْكَ لَكُمُ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّطَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّطَ الْحَقَّ وَيُسِطِلَ الْبَطْلَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَرْظَهُونَ ﴿٦﴾ وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهُمَا لَكُمُ وَالْوَدُونَ أَنْ غَيَّرَ ذَاتَ الشُّوْكَ لَكُمُ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُخَيِّطَ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ ﴿٧﴾ لِيُخَيِّطَ الْحَقَّ وَيُسِطِلَ الْبَطْلَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾

٤- أولئك الموصوفون بما ذكر: هم المؤمنون حقاً وصدقاً بلا شك، لهم عند ربهم منازل عالية رفيعة في الجنة، ومغفرة لذنوبهم، ورزق حسن لا كدر فيه في الجنة.

٥- إن كره الصحابة في كيفية قسمة غنائم بدر مثل كرههم الخروج لموقعة بدر، كانت المصلحة في الحالين على غير ما يتوقعون، كان إخراجك لغزوة بدر من بيتك أي من المدينة المنورة إخراجاً بالحق، متلبساً بالحكمة والصواب، وكان فريق من المؤمنين كارهين الخروج للقتال لقلّة عددهم وسلاحهم.

٦- يجادل ذلك أيها النبي المؤمنون في الحق والرأي السديد وهو القتال، بعدما ظهر لهم أنهم ينصرون، كأنما يساقون إلى الموت المحقق، وهو مشاهد أسبابه، ناظر إليها، وكان الموت واقع بهم، لشدة خوفهم وكرهاتهم للقتال.

٧- واذكروا أيها المؤمنون حين يعدكم الله إحدى الطائفتين: العير (قافلة قريش من الشام) أو النضير (جيش قريش) أنها ملك لكم، وتتمنون أن طائفة العير غير ذات السلاح تكون لكم، ويريد الله لكم بوعده المؤمنين بالنصر غير هذا وهو نصر الإسلام والمؤمنين لتأييد آياته المنزلة على رسوله، في محاربة المشركين ذوي الشوكة، وأن يستأصل المشركين جميعاً. و﴿دابِر الكافرين﴾ أي آخرهم الذي يأتي من ورائهم، وهو كناية عن استئصالهم بالهلاك.

٨- ليعز الإسلام ويثبتته ويعليه؛ لأنه الحق، ويمحق الكفر والشرك ويزيله من الوجود، ولو كره ذلك المشركون من قريش وغيرهم من سائر الكفار.

٩- واذكروا كما علمتم أنه لا بد من قتال النفير (جيش قريش) حين تطلبون من ربكم الإغاثة والنصر على عدوكم، فأجاب دعاءكم واستغاثتكم بأني معيبتكم بألف من الملائكة يقاتلون المشركين متتابعين يتبع بعضهم بعضاً، ومتقدمين على صفوف الجيش. نزلت حينما دعا النبي ﷺ ربه قائلاً: اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة (الجماعة) من أهل الإسلام، لا تعبد في الأرض.

١٠- وما جعل الله الإمداد بالملائكة إلا بشارة لكم بالنصر، ولتسكن بالإمداد قلوبكم من الاضطراب والخوف الذي عرض لكم، وما النصر في النهاية والحقيقة إلا من عند الله، لا من عند غيره، فلا بد من إرادة الله مع الأخذ بالأسباب، إن الله قوي غالب على أمره، حكيم في كل أفعاله، يضع الشيء في موضعه.

١١- واذكروا حين يلقي الله النعاس عليكم، في الليلة السابقة ليوم القتال، أنما منه تعالى ليذهب عنكم الاضطراب والخوف، وينزل عليكم من السحاب مطراً ليظهركم بالماء من الحدث والجنابة،

فقد أنزل الله على جيش المسلمين مطراً حتى سال الوادي، ومن أجل إذهاب وسوسة الشيطان عنكم بالخوف، ولتقوية قلوبكم بجعلها صابرة قوية، وتثبيت الأقدام في مواطن الحرب بالمطر الذي اشتد به رخو الأرض.

١٢- واذكر أيها النبي حين يوحى ربك لكتائب إمدادات الملائكة أني معكم بالنصر والعون، فثبثوا المؤمنين في القتال وبشروهم بالنصر، سألتني الرعب في قلوب الكفار، حتى ينهزموا، فاضربوا الرؤوس، واضربوا أطراف الأصابع من اليدين والرجلين، فإنه إذا ضربت البنان، تعطلت اليد عن القتال.

١٣- ذلك القتل للمشركين بسبب معاداة دين الله ومحاربتهم، بإخراج المؤمنين من ديارهم واضطهادهم، ومن يعادي الله ورسوله بمخالفة أمرهما، فالله شديد العذاب.

١٤- ذلك العقاب العاجل في الدنيا للمشركين، فتذوقوه وتحملوا آلامه مغشراً الكفار، وللكافرين عذاب النار في الآخرة.

١٥- يا أيها المؤمنون إذا قابلتم الكفار زاحفين كثيرين مجتمعين، فلا تنهزموا أمامهم، ولا تعطوهم ظهوركم أي لا تفروا ولا تهربوا.

١٦- ومن ينهزم أمامهم يوم الزحف أو القتال إلا إذا كان قاصداً الانحراف إلى جانب آخر، أي متحايلاً ليغلب عدوه بمكيدة، أو منضمماً إلى جماعة أخرى من إخوانه ليقاتل العدو معها، فقد رجع بغضب من الله، والملجأ الذي يأوي إليه أو مسكنه في الآخرة هو جهنم، وبئس المرجع هي، وما آل إليه من عذاب النار.

إِذْ تَسْتَفِيئُونَ رَبِّكُمْ فَأَسْجَابَ لَكُمْ أُنِي مُدِّكُمْ بِالْفِ
 تِنِ الْمَلَكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرًا
 وَنُظْمًا بِهٖ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ
 إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يَبْعَثُكُمْ اللَّهُ اسْمَاءَ مَتْنَهُ
 وَيُنزِلُ عَلَيْكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنْكُمْ
 رِجْسَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ ﴿١١﴾
 إِذْ يُوحَىٰ رَبُّكَ إِلَى الْمَلَكَةِ أَنْ مَعَكُمْ قَبَائِلَ الَّذِينَ ءَامَنُوا
 سَأَلْتِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرَّعْبَ فَأَضْرِبُوا فُوقَ
 الْأَعْنَاقِ وَأَضْرِبُوا مِنْهُنَّ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ
 سَأَفَوْا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ
 شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَلِكَمُ قَدْوَةٌ لَهُمْ وَأَنَّ لِلْكَافِرِينَ
 عَذَابَ النَّارِ ﴿١٤﴾ بِنَائِمًا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا لَقِيَهُ الَّذِينَ
 كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَانَ ﴿١٥﴾ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يُوَلِّدْ
 ذُرِّيَّهُمْ لِلْإِمْتِحَانِ فَالْقِتَالِ أَوْ يُنحِتُوا إِلَيْهِ فَمِنْهُ فَقَدْ بَاءَ
 بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٦﴾

فَلَوْ تَشَاءُونَ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ
 وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا
 إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنٌ كَرِيمٌ
 الْكَافِرِينَ ﴿١٨﴾ إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ
 تَنَبَّأُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِنْ تَعُدُّوا نَعْدَٰكُمْ لَنْ نُفَعِّيَنَّ عَنْكُمْ
 وَنُكَلِّمَنَّ سَيِّئًا وَلَوْ كَذَّبْتُمْ أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٩﴾ يَا أَيُّهَا
 الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَوَلَّوْا عَنَّهُ وَأنْتُمْ
 تَسْمَعُونَ ﴿٢٠﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُوَ
 لَا يَسْمَعُونَ ﴿٢١﴾ إِنْ سَأَلْتَهُمْ لَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ
 الْبُكْرَةَ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا
 لَآسْمَعْتَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعْتَهُمْ لَتَوْلَّوْا وَهُمْ مَرْضُونَ ﴿٢٣﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ
 لِمَا حَيِّبُكُمْ وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَٰهٌ
 مُّخْتَصِرٌ ﴿٢٤﴾ وَأَتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبُ الَّذِينَ ظَلَمُوا
 مِنْكُمْ حَآصَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ سَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٢٥﴾

١٧- فلم تقتلوهم بيد بقرتكم، ولكن الله قتلهم بتأييده وتهيته أسباب النصر، وما رميت أيها النبي في الحقيقة وجوه المشركين، حين رميت بالخصى، ولكن الله رمى وجوههم فأثرت الرمية فيهم وأوصلها إليهم، وليختبر المؤمنين بالنصر اختباراً حسناً بالنعمة العظيمة، لا بالنقم، ليشكروه، إن الله سميع لأقوالهم ودعائهم، عليم بأحوالهم. نزلت في رمي النبي ﷺ يوم بدر قبضة من حصباء الوادي، حين قال للمشركين: شاهدت الوجوه، ورماهم بتلك القبضة، فلم يبق عين مشرك إلا دخلها منه شيء.

١٨- ذلكم الحادث في بدر لاختبار المؤمنين وإضعاف تدابير الكافرين ومؤامراتهم.

١٩- إن تستفتحوا أيها الكفار بأن تطلبوا الفتح والنصر في الحرب، فإنهم حين خرجوا من مكة سألو الله أن ينصر أحق الطائفتين بالنصر، فقد جاءكم حكم الله بنصر الحق، ودحر الباطل، وهلاك المبطلين، وإن تنهبوا عن الكفر وحرب الرسول، فهو خير لكم في الدنيا والآخرة، وإن تعردوا الحرب المسلمين وقتالهم، نعد لنصرتهم عليكم وتأييدهم، ولن تدفع عنكم جماعتكم شيئاً من الهزيمة، مهما كثرت، وأن الله مع المؤمنين بالنصر والتأييد، ومن كان الله معه فهو المنتصر. نزلت

حينما قال أبو جهل: اللهم انصر أعز الفئتين، وأكرم الفرقتين. وقال المشركون مثل ذلك.

٢٠- يا أيها المؤمنون أطيعوا الله ورسوله فيما يأمركم به وينهاكم عنه، ولا تعرضوا عنه إذا ناداكم بمخالفة أمره، وأنتم تسمعون القرآن والمواظع.

٢١- ولا تكونوا كالمنافقين والمشركين واليهود الذين تظاهروا بالسمع، وسمعوا بأذانهم من غير فهم ولا عمل، وهم في الواقع لا يسمعون أبداً سماع تدبر وفهم.

٢٢- إن شراً ما دب على الأرض في حكم الله: الصم عن سماع الحق، الخرس عن النطق بالحق، الذين لا يعقلون ولا يدركون ما فيه النفع والضرر.

٢٣- ولو علم الله في نفوس هؤلاء المعرضين ميلاً إلى الخير، واستعداداً للإيمان والاهتداء بنور الإسلام، لأسمعهم سماع تفهم وانتفاع. ولو أسمعهم ذلك. على سبيل الافتراض. لأعرضوا عنه، وهم معرضون عن قبول الإيمان عناداً وجحوداً.

٢٤- يا أيها المؤمنون أجيئوا الله والرسول بالطاعة والالتقياد وتنفيذ الأوامر، إذا دعاكم لما فيه حياتكم وصلاحكم وعزتكم، من علوم الشريعة أو الدين، واعلموا يقيناً أن الله يحول بين المرء وبين ما يتمناه قلبه من طول الحياة، بأن يمته فجأة، فلا يستطيع الإيمان والعمل، أي لا تأخروا عن فعل الخير، فقد يعاجلكم الموت، ثم تجتمعون إلى الله وترجعون إليه، يوم القيامة، فيجازيكم على أعمالكم.

٢٥- واحذروا أيها المؤمنون الوقوع في محنة وبلاء، وصراع على متاع الدنيا، فيصيب الضرر الجميع، ولا يقتصر على الظالمين فقط، واعلموا أن الله شديد العذاب لمن خالفه وعصاه. والمراد التحذير من الفتن ومقاومة المعتدين.



٢٦- واذكروا أيها المهاجرون حين كنتم قلة مستضعفين في أرض مكة، تخشون أن يأخذكم بسرعة كفار مكة، أو غيرهم، فيقتلوكم أو يعذبوكم، فجعل لكم مأوى تحصنون به في المدينة، وأعانكم بالنصر في المعارك التي منها يوم بدر، وأزركم بالأصهار، ووزقكم من مستلذات الدنيا، ومنها الغنائم، لتشكروا الله على هذه النعم التي أنعم بها عليكم. روى الطبري عن قتادة ما يدل على أن الآية نزلت في العرب حين كانوا أذلاء، يتحكم فيهم الفرس والروم، ثم أعزهم الله بالإسلام وتوسع البلاد، مما يوجب الشكر على نعم الله تعالى.

٢٧- يا أيها الذين آمنوا لا تخونوا عهد الله والرسول بتعطيل الفرائض وتعدي الحدود والمحارم، وإفشاء الأسرار للمشركين، ولا تخونوا أماناتكم: كل ما ائتمتم عليه من الديون والحقوق، وأتمت تعلمون كون ذلك الفعل خيانة، أي عن عمد لا عن نسيان، وتعلمون عقوبة الخيانة. نزلت الآية في أبي لبابة: مروان ابن عبد المنذر حين أخبر حلفاءه بني قريظة بما عزم عليه النبي ﷺ من قتلهم بعد حصارهم إحدى وعشرين ليلة.

٢٨- واعلموا أنما أموالكم وأولادكم سبب فتنة

واختبار، لمعرفة تغليب جانب الله وشرعه أو التقصير فيه بالحرص على المال ومحابة الأولاد، والله عنده ثواب عظيم، فعضاؤه خير لكم من الأموال والبنين، فلا تضيعوا حق الله بمراعاة مصالح الأموال والأولاد.

٢٩- يا أيها المؤمنون إن تتقوا الله بطاعته وتجنب معصيته، يجعل لكم نوراً تفرقون به بين الحق والباطل، وعلماً نافعاً، ونصراً على الأعداء، ويمحو عنكم ذنوبكم، والله صاحب الفضل العظيم، يعطي الثواب الجزيل.

٣٠- واذكر أيها النبي حين يتأمر عليك المشركون في دار الندوة بمكة ليحبسوك، أو يقتلوك أو يخرجوك من مكة مقهوراً، ويتأمر عليك في الخفاء، والله يرد كيدهم ويطل مكرهم، والله خير المجازين على المكر. نزلت في تأمر المشركين في مكة في دار الندوة على قتل النبي ﷺ بمشاركة القبائل.

٣١- وإذا تتلى على المشركين آياتنا في القرآن، قالوا: قد سمعنا ما تلوه علينا، لو أردنا أن نقول مثل هذا لفلنا، ما هذا القرآن إلا أكاذيب السابقين وأخبارهم غير الموثوقة.

٣٢- واذكر أيها النبي حين قال المشركون: اللهم إن كان الذي يقرؤه محمد، هو الحق المنزل من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء تهلكنا بها كما فعلت بقوم لوط، أو اتنا بنوع آخر من العذاب الشديد. نزلت في النصير ابن الحارث لما قال: إن هذا إلا أساطير الأولين، ثم دعا بما ذكر، عناداً وجحوداً واستهزاء.

٣٣- وما كان الله ليعذب قومك عذاب استئصال كما سألوا، وأنت موجود فيهم، إكراماً لك، وما كان الله معذبهم بمكة، وهم يستغفرون الله، قائلين في طوافهم حول الكعبة: غفرانك، أو فيهم مسلمون مستضعفون يستغفرون الله. نزلت حين قال أبو جهل بن هشام: ﴿اللهم إن كان...﴾. وآخر الآية نزلت حين كان المشركون يطوفون بالبيت ويقولون: غفرانك غفرانك.

وَأَذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَخطفَكُمُ النَّاسُ فَتَأْتِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ بَصِيرَةٌ وَذَرَفْتُمْ مِمَّنْ لَطَمَتِ لَعْنَتَكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخَافُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَخَوَّفُوا أَمْتِيكُمْ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فَتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُخْرِجْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ وَإِذْ يَخْتَرِكُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِغِيظِكُمْ أَوْ يَمْلِكُونَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِيينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تَتَلَّى عَلَيْهِمُ الْآيَاتُ قَالَُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالَُوا اللَّهُ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَابًا مِنَ السَّمَاءِ أَوْ آتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾

وَمَا لَهُمْ آلَا يُعَذِّبُهُمُ اللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ
 الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُنْفِقُونَ
 وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
 عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصَدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ
 بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا يَنْفِقُونَ
 أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنْفِقُونَهَا ثُمَّ
 تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا
 إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ﴿٣٦﴾ لِيَمِزَ اللَّهُ الَّذِينَ هَدَىٰ
 اللَّهُ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكَبُ جَمِيعًا
 فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلِ الَّذِينَ
 كَفَرُوا إِنْ يَنْهَوُا عَنْ فَعْلِهِمْ مَا قدَّسَلَفُوا إِنْ يَعُودُوا
 فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٨﴾ وَقَلْبُهُمْ خَائِبٌ
 لَا يَكُونُ فِتْنَةً وَيَكُونُ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّهِ فَإِنْ انْتَهَوْا
 فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاَعْلَمُوا
 أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٤٠﴾

٣٤- ولم لا يعذبهم الله دون عذاب الاستئصال أو الهلاك العام، بقتل بعضهم أو أسره، لما فعلوا من القبائح، فهم يمنعون المؤمنين عن دخول المسجد الحرام وأداء المناسك، وما صح أن يكونوا أصحاب الولاية على الحرم مع إشراكهم وعداوتهم الرسول، ما أوياؤه إلا المؤمنون الأتقياء الذين يتقون الشرك والمعاصي، ولكن أكثر المشركين لا يعلمون ألا ولاية لهم عليه.

٣٥- وما كان أداء صلاتهم عند الكعبة إلا تصفيراً وتصفيقاً، وليس عبادة صحيحة فيها تعظيم الله على النحو المشروع، فذوقوا أيها المشركون عذاب الدنيا كما حدث لكم يوم بدر، وعذاب الآخرة بسبب كفركم بالله وتكذيبكم رسوله. قال ابن عمر: كانوا يطوفون بالبيت ويصفقون ويصفقون، فنزلت هذه الآية.

٣٦- إن الكفار المشركين ينفقون أموالهم لنزع الناس عن الدخول في الإسلام، إنهم ينفقون أموالهم، ثم تصير العاقبة أن يكون إنفاقهم ندامة والماء، ثم يغلبون في الدنيا، ويساق الكفار الذين ماتوا على الكفر إلى نار جهنم، ليجازوا بعملهم. نزلت حينما بدأ كفار قريش بعد موقعة بدر بجمع المال لحرب النبي ﷺ والثأر منه.

٣٧- فعل الله سبحانه ذلك ليفصل الفريق الكافر عن الفريق المؤمن، ويجمع الفريق الكافر بعضهم إلى بعض متراكماً أو متراكباً بعضه على بعض، ثم يلقيه في جهنم، أولئك الكافرون هم الخاسرون في الدنيا والآخرة.

٣٨- قل أيها النبي لكفار أهل مكة: إن يتتهوا عن شركهم ومعاداتهم المؤمنين وقتالهم بالدخول في الإسلام، يغفر لهم ما قد مضى من العداوة والكفر والمعاصي، ترغيباً في الإسلام، وإن يعودوا إلى قتالكم، فقد تقررت سنة (طريقة) الله في عقاب الماضين بالتدمير والهلاك، فليتوقعوا مثله.

٣٩- وقتلوا أيها المؤمنون المشركين حتى لا يبقى شرك وتعذيب للمسلمين بمكة وغيرها، ويكون الدين كله لله وحده، ولا يعبد غيره، فإن انتهوا عن الكفر، فإن الله بصير بأعمالهم، فيجازيهم على إسلامهم وترك كفرهم.

٤٠- وإن أعرضوا عن الإيمان، ويقوا على الكفر، فاعلموا معشر المؤمنين أن الله متولي أموركم وناصركم عليهم، نعم المتولي المعين، ونعم الناصر، فلا يتخلى عن نصره.



﴿٤١﴾ وَأَعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ حُمْسَهُ وَالرَّسُولِ
وَالَّذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ
إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ
يَوْمَ التَّفَاقُحِ أَتَجْمَعُونَ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٢﴾ إِذْ أَنْتُمْ
بِالْعُدُوَّةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدُوَّةِ الْقُصُوفَىٰ وَالرَّكْبُ
أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدْتُمْ لِأَخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ
وَلَكِنْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِيَهْلِكَ مَنْ
هَلَكَ عَنِ بَيْتِهِ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنِ بَيْتِهِ وَإِنَّ اللَّهَ
لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٤٣﴾ إِذْ يُرِيكُمُ اللَّهُ فِي مَنَاوِكَ قَلِيلًا
وَلَوْ أَرَادَكُمُ كَثِيرًا لَقَسَّيْتُمْ وَلَسْتُمْ عَنْهُ فِي الْأَمْرِ
وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٤٤﴾ وَإِذْ
يُرِيكُمُوهُ إِذْ أَخْتَلَفْتُمْ فِي آعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَالُ لَكُمْ
فِي آعْيُنِهِمْ لِيَقْضَىٰ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى اللَّهِ
تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٤٥﴾ بَيِّنَاتٍ لِّلَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً
فَاتَّبَعُوا وَادَّكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٤٦﴾

٤١- واعلموا أيها المسلمون أن الغنيمة: وهي مال الكفار إذا ظفر به المسلمون عنوة على وجه الغلبة والقهر تخمس، فأربعة أحماسها للغنائم القتالين، والخمس يقسم خمسة أسهم، سهم الله والرسول يصرف في مصالح المؤمنين العامة، وسهم لقربابة النبي ﷺ من بني هاشم وبني المطلب، وسهم للأطفال الأيتام الذين مات آباؤهم قبل البلوغ، وهم فقراء، وسهم للمساكين المحتاجين، وسهم للمسافر المنقطع في سفره عن بلده، من المسلمين، إن كنتم مصدقين بالله وبالقرآن المنزل على نبيه محمد ﷺ يوم بدر، يوم الفرقان الذي فرق الله فيه بين الحق والباطل، وأهل كل منهما، يوم التقى جمعا المسلمين والمشركين، والله قادر على كل شيء، ومنه نصركم مع قتلكم وكثرة أعدائكم.

٤٢- واذكروا يوم الفرقان حين كنتم معسكرين بالجانب الأدنى من الوادي القريبة من المدينة، وأعداؤكم معسكرون في الطرف المقابل بناحية الوادي البعيدة عن المدينة، وقافلة أبي سفيان (العمير) في مكان أسفل مما أنتم فيه، وهو ساحل البحر، ولو تواعدتم أنتم وجيش قريش (النضير)

على اللقاء والقتال في هذا الموضع، لاختلفتم ولما اجتمعتم في ترتيب هذا الموعد على هذا النحو، ولكن جمع الله بينكم بغير ميعاد، ليحقق الله أمرا كان مقدرًا له في علمه أن يتم، وهو نصر المؤمنين وخذلان الكافرين. فعل الله ذلك ليكفر من كفر بعد حجة ظاهرة قامت عليه، ويؤمن من يؤمن من بعد حجة واضحة لا شبهة فيها، وإن الله لسامع لأقوالكم، عليم بأحوالكم. ويلاحظ أن المراد بالهلاك في الآية: الكفر لأنه سببه، والمراد بالحياة: الإيمان؛ لأنه سببها، فالإيمان حياة، والكفر موت.

٤٣- واذكر أيها النبي حين أراك الله في المنام المشركين قبل المعركة أنهم عدد قليل، فأخبرت أصحابك، فتحمسوا وبتتوا، ولو أراك إياهم عددا كثيرا لجنبتم أيها المؤمنون، ولاختلفتم في أمر القتال، والواقع أن جيش قريش كان فوق الألف، وجيش المسلمين ٣١٤ فقط، ولكن الله سلّم وعصم من الجبن (أو الفشل) والتنازع، فقللهم في عين النبي ﷺ، إنه سبحانه عليم بما في القلوب.

٤٤- واذكروا أيها المؤمنون حين يريكم الله أعداءكم قليلا نحو سبعين أو مئة كيلا تهابوهم، ويجعلكم قليلا أقل من ٣٠٠ في أعين المشركين، كيلا يستعدوا كثيرا لقتالكم، ويتجرأ كل فريق على القتال، ليحقق وينفذ الله قضاءه في التمهيد للحرب، ونصر المؤمنين، وإذلال الكافرين، وإلى الله تصير أمور المخلوقات، فيجازي كل واحد بما صنع. وهذا كله قبل بدء المعركة، أما بعد بدئها، فإن الله أرى المسلمين لأعدائهم مثلي عددهم لتنهار قواهم، كما في آل عمران [١٣/٣].

٤٥- يا أيها الذين آمنوا إذا حاربتهم جماعة كافرة مقاتلة، فاثبتوا لقتالهم ولا تنهزموا، وادعوا الله كثيرا بالعون والنصر، لتفوزوا بالخير في الدنيا والآخرة.

وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا تَسْزِعُوا فَتَنَسَلُوا وَتَذْهَبَ
 رِيحُكُمْ وَأَصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُوا
 كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِيقَاءَ النَّاسِ وَصَدُّوا
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذْ زَيَّنَّا
 لَهُمُ الشَّيْطَانَ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ
 مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ فَمَا تَسْرَعُونَ الْيَوْمَ نَكْصَ
 عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّنْ كُفِرْتُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا
 تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذْ يَقُولُ
 الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ
 وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٩﴾ وَلَوْ تَرَى
 إِذْ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَلَمْ يَكُنَّا عِبَادًا لَّغَيْرِهِمْ
 وَأُدْبُرُهُمْ وُجُوهُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَذَابُ الْخَرِيبِ ﴿٥٠﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتُمْ
 أَيْدِيَكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلِيمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٥١﴾ كَذَّابِ
 ءَالِ فِرْعَوْنَ وَآلِ الْأَيْمَانِ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ
 اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٥٢﴾

٤٦ - وأطيعوا الله ورسوله في الأمر والنهي على
 السواء، ولا تختلفوا فيما بينكم، فتجنوا وتذهب
 قوتكم وبأسكم ويفوت النصر، واصبروا على
 الشدائد ومكاره الحرب، إن الله مع الصابرين
 بالنصر والعون.

٤٧ - ولا تكونوا أيها المسلمون كالمشركين الذين
 خرجوا من ديارهم يوم بدر بزعامة أبي جهل،
 متفاخرين بقوتهم ومنعتهم، ومرعاة للناس
 ليمدحهم بأنهم أقوياء ويمنعون الناس عن الهداية
 والدخول في الإسلام، والله محيط علمه بما
 يعملون، فلا تخفى عليه خافية.

٤٨ - واذكروا حين حسن الشيطان للمشركين
 الخروج لقتال المسلمين، وأوهمهم أنهم على حق
 في هذا القتال، وألقى في قلوبهم بوسوسته أنه لن
 يغلبكم أحد لقوتكم وكثرتكم ووفرة سلاحكم،
 وإني مجير لكم من كل عدو، وناصركم، فلما
 التقت الجماعة المؤمنة والكافرة في ساحة المعركة
 ورأت كل منهما الأخرى، تراجع هارباً، أي رجع
 القهقري، وقال لهم: إني بريء من جواركم، إني
 أرى ما لا ترون من الملائكة الذين جاؤوا لنصرة
 المؤمنين، إني أخاف الله أن يهلكني، والله شديد

العقاب لمن عصاه وتمرد على أوامره. لقد جاء الشيطان لقريش في صورة سراقه بن مالك، من بني بكر بن
 كنانة، وكانت قريش تخاف من بني بكر أن يأتوهم من ورائهم.

٤٩ - واذكروا حين يقول المنافقون (الذين أظهروا الإيمان وأبطنوا الكفر) والذين في قلوبهم ضعف إيمان
 (وهم الشاكون من غير نفاق، لحداثة عهدهم بالإسلام): اغتر هؤلاء المسلمون بدِينهم، وتوهموا أنهم
 سيستصرون من أجل دينهم، ولو كانوا قلة ضعافاً، قل لهم أيها الرسول: ومن يفوض أموره إلى الله ويعتمد
 عليه ويتق به، يغلب عدوه، لأن الله قوي لا يغلب، حكيم في صنعه وتدييره، فسيهزم الأعداء.

٥٠ - ولو ترى أيها الرسول حال الكفار، حين تتوفاهم الملائكة، لرأيت أمراً عظيماً مخيفاً، فهم يضربون
 وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، وينزعون أرواحهم بشدة وعنف، ويقولون لهم: تدو قوا عذاب النار
 الشديد الإحراق.

٥١ - ذلك التعذيب لمشركي قريش في بدر واقع بسبب ما كسبتم من الكفر وظلم المؤمنين والمعاصي،
 وبسبب أن الله لا يظلم العباد إطلاقاً، فقد أنزل الكتب وأرسل الرسل لهدايتهم، فأعرضوا عن ذلك.

٥٢ - العادة في عذاب هؤلاء المشركين، كالعادة الدائمة الماضية لله في تعذيب قوم فرعون ومن قبلهم من
 طوائف الكفر، إنهم كفروا بآيات الله المنزلة الدالة على وحدانية الله وتفرده بالعبادة، وكذبوا الرسل،
 فأهلكهم الله بسبب معاصيهم من الكفر والتكذيب، إن الله قوي بأسه، شديد عقابه لمن كفر به وعصاه.

ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ تَوَكَّلَ عَلَيْكَ فَمَا أَتَاكَ مِنْ شَيْءٍ فَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٣﴾ كَذَابُ
 آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ
 فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا
 ظَالِمِينَ ﴿٥٤﴾ إِنَّ سَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ
 لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾ الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ
 فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِنَّمَا تَتَّقِ الَّذِينَ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ
 بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ بَدَّ كُرُونٌ ﴿٥٧﴾ وَإِنَّمَا تَحَافَنَ مِنْ قَوْمٍ
 جِيَانَهُ فَأَيُّدِ الْيَهُودَ عَلَى سَوَاءٍ إِنْ أَلَّ اللَّهُ لِيُخَيِّبَ الْخَائِبِينَ
 ﴿٥٨﴾ وَلَا يَخَافُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سُبُوحًا عَلَيْهِمْ لِأَنْ يُضْرَبُوا
 وَأَعْدُوهُمُ الْهَرَمَ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ
 بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَوَدَّ الْآخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ
 اللَّهُ يَسْمِعُهُمْ وَيَعْنِيهِمْ وَمَا يُنْفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفِّ
 إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تظَلُمُونَ ﴿٥٩﴾ وَإِنْ جَحَدُوا لَكُمْ فَاجْتَنِبْ
 لَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٠﴾

٥٣- ذلك التعذيب للكفرة بسبب أن سنة الله هي الأيديل نعمة بنعمة، أو يسلب نعمة أنعمها على قوم، حتى يبدلوا نعمتهم كفرًا، فيكفروا بنعم الله، ويهملوا أو امره ونواهيته، وأن الله سميع للأقوال، عليم بالأفعال والنيات.

٥٤- حال كفار قريش بما تسببوا به لعذاب الله بالكفر والظلم وتكذيب آيات الله ورسله، كحال وعادة قوم فرعون ومن سبقهم من الأمم الكافرة، كذبوا بآيات ربهم الذي رباهم بنعمه وأفضاله، فأهلكناهم بمعاصيهم، وأغرقنا قوم فرعون معه، وكل من الأم المكذبة كانوا ظالمين أنفسهم بالجحود والتكذيب. وكررت الجملة للإشارة إلى أن الآية الأولى في كفر العقيدة والوحدانية، والثانية في كفر النعمة والتربية، لذا عبر هنا بلفظ «الرب» لأنه المربي والمنعم، وفي الأولى بلفظ «الله».

٥٥، ٥٦- إن شر ما يبد على الأرض من المخلوقات عند الله في حكمه وعلمه: الذين كفروا، فهم لا يؤمنون بوحدانية الله وكمال قدرته. الذين عاهدتهم ألا يعينوا المشركين، وهم يهود بني قريظة، ثم ينقضون عهدهم المؤكد مرارا، وهم لا يتقون الله في غدرهم، ولا يخافون عاقبة نقض

العهود. نزلت في بني قريظة نقضوا عهد رسول الله ﷺ وأعانوا عليه بالسلاح في بدر، ثم قالوا: نسينا وأخطانا، فعاهدهم الثانية، فنقضوا العهد يوم الخندق.

٥٧- فإن تصادفتهم في الحرب، فحقوق بهم ونكل بهم تنكيلا شديداً، وأرهب من وراءهم من الكفار المشركين، حتى يهابوا جانبك، ولا يجترئوا على محاربتك، لكي يتعظروا بهم، فلا ينقضوا العهود.

٥٨- وإن ظننت أو علمت بظهور أمارات الخيانة، فاطرح إليهم عهدهم وحاربهم، حتى تصير أنت وهم متساوين في العلم بنقض العهد، لئلا يتهموك بالغدر، إن الله يعذب الغادرين ويكرههم.

٥٩- ولا يظن الذين نجوا يوم بدر من القتل أنهم فاتوا وخلصوا أو أفلتوا من الظفر بهم وتعذيبهم، إنهم لا يعجزون الله في إدراكهم، ولا يفلتون من العذاب، بل سيجازيهم الله على كفرهم في الوقت المناسب. نزلت في يهود المدينة، وكان زعيمهم الطاغوت كعب بن الأشرف، وهو فيهم كأبي جهل في مشركي مكة.

٦٠- وأعدوا وهينوا أيها المسلمون لأعدائكم كل ما استطعتم من أسباب القوة المادية والمعنوية، التي تحقق النصر، ومن الخيل المعدة للجهاد في سبيل الله، تخوفون بهذا الإعداد كل أعداء الله والمسلمين في كل عصر، وغيرهم من المنافقين واليهود وكل من لا تعرف عداوته، وما تنفقوا من مال قليل أو كثير في الجهاد، تعطوا جزاءه وعوضه في الدنيا والآخرة، ولا تنقصون منه شيئاً.

٦١- وإن مالوا للصالح والمسألة، فمل إلى ذلك، وثق بالله وفوض أمرك إليه فيما تعاهدتهم به، إن الله سميع للأقوال، عليم بالأفعال والنيات.



وَأَنْ يُرِيدُوا أَنْ يُخَدَعُوا فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي يَأْتِيكَ
بِصُرِّهِ وَالْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٦﴾ وَأَلْفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقَتْ مَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّا آَلَتْ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلْفَ بَيْنَهُمْ
إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٦٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنْ اتَّبَعَكَ
مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا حَرِّضَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ
إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عَشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتِينَ وَإِنْ
يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَنْ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا
فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ
مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ
﴿٧٠﴾ مَا كَانَ لِشَيْءٍ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُبَيِّنَ فِي الْأَرْضِ
تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ لَوْلَا كَتَبْنَا مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَسْتُمْ فِي مِمَّا
أَخَذْتُمْ عَذَابَ عَظِيمٍ ﴿٧٢﴾ فَكُلُوا مِنْ مِمَّا عَمِلْتُمْ حَلَالًا
طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٣﴾

٦٦- وإن يريدوا بالعهد أو الصلح أن يخدعوك بإضمار الغدر والمكر والاستعداد للحرب، فإن الله كافيك ما تخافه من شرهم بالغدر، هو الذي قواك عليهم بالنصر، وقواك بالمؤمنين الصادقين.

٦٣- وألف الله بين قلوب العرب المتنافرة بالإيمان والإسلام، كما كان الحال بين الأوس والخزرج من الأنصار، من العصية والافتتال، لو أنفقت أيها النبي ما في الأرض جميعاً من الأموال، ما ألفت بين قلوبهم بسبب العداوة والعصية المستحكمة، ولكن الله ألفت وجمع بينهم على الهدى، إنه سبحانه قوي لا يغلب، حكيم في صنعه، يفعل ما فيه الخير والمصلحة.

٦٤- يا أيها النبي كافيك شرهم الله وأتباع المؤمنون في المحن والأزمات، وناصرك عليهم. قال الكلبي: هذه الآية نزلت بالبلاء في غزوة بدر قبل القتال.

٦٥- يا أيها النبي حث المؤمنين حثاً شديداً وحضهم على قتال الأعداء من المشركين وغيرهم، إن يكن منكم معشر المؤمنين عشرون صابرون في المعركة، يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم مئة صابرة مقاتلة، يغلبوا ألفاً من الكفار، ذلك بسبب أنهم

أي الكفار قوم لا يدركون حكمة الحرب، ويقاتلون على غير بصيرة.

٦٦- ولما شق ذلك عليهم، رخص الله لهم وخفف عنهم، لما علم من وجود ضعف عن قتال الواحد عشرة أمثاله، وصار الواجب الصمود أمام اثنين فقط، فإن يكن منكم أيها المؤمنون مئة صابرة، يغلبوا مئتين، وإن يكن منكم ألف يغلبوا ألفين من الكفار الأعداء بإرادة الله ومشيته، والله يعين الصابرين. قال ابن عباس: لما افترض الله عليهم أن يقاتل الواحد عشرة، ثقل ذلك عليهم وشق، فوضع الله ذلك عنهم إلى أن يقاتل الواحد رجلين، فأنزل الله هاتين الآيتين.

٦٧- ما كان يصح وينبغي لشيء أن يكون له أسرى يقبل منهم الفداء، حتى يبلغ في القتل في الحرب، ويستقر له الأمر ويعلو سلطانه، تريدون أيها المؤمنون حطام الدنيا ونفعها بأخذ الفداء من الأسرى، والله يريد لكم ثواب الآخرة في الإنحان بالقتل، والله قوي لا يُقهر ولا يُغلب، حكيم في صنعه وتدبيره. نزلت حينما أخذ النبي ﷺ برأي أبي بكر في العفو عن أسرى بدر وقبول الفداء منهم، ولم يأخذ برأي عمر في قتلهم.

٦٨- لولا حكم من الله سبق إثباته في اللوح المحفوظ: ألا يعذب المخطئ في اجتهاده، لأصابكم فيما أخذتم من الفداء عن أسرى بدر عذاب كبير شديد. وفسر الكتاب أيضاً بالأ تعذب أمة محمد عذاب إفتاء، أو بمغفرة الله لأهل بدر.

٦٩- فكلوا من الفداء الذي أخذتموه فهو من جملة الغنائم، جعله الله حلالاً طيباً لكم، لا حرمة فيه، واتقوا الله بامتثال أمره، إن الله كثير المغفرة لذنوب عباده المؤمنين، رحيم بهم.

٧٠- يا أيها النبي قل لأسرى بدر الذين هم في أيديكم وأخذتم منهم الفداء، إن يعلم الله في قلوبكم استعداداً للإيمان، وإخلاصاً ونية طيبة، يعوضكم رزقاً أفضل مما أخذ منكم من الفداء، وثواباً جزيلاً في الآخرة، ويغفر لكم ذنوبكم، والله كثير المغفرة لذنوبكم، رحيم بالتائبين .

٧١- وإن يرد الأسرى بعد فدايتهم خيانتك بما أظهروا من القول، فقد خانوا عهد الله من قبل بدر بالكفر والمكر، فمكتنكم منهم بيدبر قتلاً وأمسراً، ونصركم عليهم، والله عليم بخلقه، حكيم في صنعته .

٧٢- إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من بلادهم لنصرة الإسلام، وجاهدوا بالمال والنفس، وهم المهاجرون، والذين آووا المهاجرين في المدينة المنورة، وهم الأنصار، أولئك بعضهم أولياء (أعوان) بعض في النصر والإرث، والذين آمنوا ويقوا في ديار الكفر ولم يهاجروا منها، ليس عليكم نصرتهم وإعانتهم ولا توارث بينهم وبينهم، ولا نصيب لهم في الغنيمة، حتى يهاجروا إلى دار الإسلام، وإن طلبوا نصرتكم لدفع أذى الكفار والمحافظة على دينهم ومنع اضطهادهم،

فواجب عليكم النصر، إلا إذا استنصروكم على قوم معاهدين؛ لأن الميثاق لا بد من احترامه ورعايته، فلا تناصروهم على المعاهدين، والله مطلع على أعمالكم، خبير بكل شيء . والتوارث بالهجرة كان في بادئ الأمر، ثم نسخ وصار التوارث بقرابة الرحم .

٧٣- والذين كفروا بعضهم أنصار بعض، فلا يناصروهم مؤمن، إن لم تفعلوا ما أمرتكم به، تحدث فتنة عظيمة بقوة الكفر وضعف الإسلام، ومفسدة كبيرة في الدين والدنيا . قال رجل: نورث أرحامنا المشركين؟ فنزلت هذه الآية .

٧٤- والذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من بلادهم للنجاة بدينهم، وجاهدوا لإعلاء كلمة الله والدين، والذين آووا المهاجرين في المدينة، ونصروا الإسلام والمسلمين، وهم الأنصار، أولئك هم الكاملون في الإيمان، لهم عند الله مغفرة لذنوبهم، ورزق كريم طيب خالص من الكدر في الجنة .

٧٥- والذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من ديار الكفر بعد صلح الحديبية سنة ست، وجاهدوا مع المسلمين في سبيل الله، فأولئك من جملة المؤمنين في الموالاة والمنصرة، وذوو القربى من المؤمنين، بعضهم أولى ببعض في الإرث من التوارث بسبب الهجرة، في حكم الله وشرعه، إن الله عليم بكل شيء، ومنه الانتقال بالتوارث بالهجرة إلى التوارث بالرحم، إلى التوارث بشدة القرابة في سورة النساء . كان الرجل يعاقد الرجل: ترثني وأرثك - أي بالحلف - فنزلت: ﴿ وأولوا الأرحام ﴾ . وقد نسخت هذه الآية التوارث بالهجرة والمؤاخاة .

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَشْرِكِ إِنْ عَلِمَ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ حَيْرًا يَوْمًا أَخَذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٧٠﴾ وَإِنْ يَرِيدُوا حَيَاتِنَا فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يهاجِرُوا مِمَّا كُفِرُوا مِنْ لَدُنْهُمْ قَدْ حَقَّتْ بِهَا حَرْبُهُمْ وَإِنْ اسْتَنْصَرُوا مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَنْصُرُوا إِلَّا عُلَى قَوْمٍ يَنْفِرُ بَيْنَهُمْ مَيْتٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٧٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَتَمَلَّوهُ نَكُنْ فِتْنَةً فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَأُوا وَنَصَرُوا أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدِ وَهَجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنْكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧٥﴾

سورة التوبة

سورة التوبة

براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ﴿١﴾
 فيسحروا في الأرض أربعة أشهر واعلموا أنكم غير مبريئين من الله وأن الله
 مخبري الكافرين ﴿٢﴾ وأذن من الله ورسوله إلى الناس يوم
 الحج الأكبر أن الله بريء من المشركين ورسوله فإن تبنته فهو
 خير لكم وإن توليتم فاعلموا أنكم غير مبريئين من الله وبشر الذين
 كفروا بعذاب أليم ﴿٣﴾ إلا الذين عاهدتم من المشركين ثم
 لم ينقصوا شيئاً ولم يظهروا عليكم أحداً فأوفوا لهم عهدهم
 إلى مدتهم إن الله يحب المتقين ﴿٤﴾ فإذا انسحبت الأصهار
 انحروا فاقبلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم وأحصروهم
 واقعدوا لهم كل مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا
 الزكاة فخلوا سبيلهم إن الله غفور رحيم ﴿٥﴾
 وإن أحد من المشركين استجارك فآخذه حتى يسمع كلمة
 الله ثم أبليه مأمناً ذلك إنهم قوم لا يعلمون ﴿٦﴾

نزلت في المدينة بعد فتح مكة بعام، في السنة التاسعة من الهجرة، في سنة غزوة تبوك، ولم تبدأ بالبسملة، لافتتاحها ببراءة الله ورسوله من المشركين، والأمر بقتالهم، وإخراجهم من جزيرة العرب.

١- تبرؤ من الله ورسوله من عهد المشركين، وإسقاط لشروط المعاهدة بين المسلمين والمشركين، بسبب نقض الكفار عهدهم.

٢- قولوا للمشركين: أنتم أحرار وسيروا في أنحاء الأرض أربعة أشهر، تبدأ يوم الحج الأكبر في العشر (١٠) من ذي الحجة سنة تسع، يوم إبلاغ هذه السورة، إلى عشر من ربيع الآخر سنة عشر، واعلموا أنكم لا تعجزون الله أو تقوتونه بالهرب منه إذا أراد عقابكم على شرككم، وأن الله مذل الكافرين، ومعذبهم في الدنيا والآخرة.

٣- وإعلام عام من الله ورسوله إلى الناس كافة، يوم الأضحى (الحج الأكبر الذي فيه تمام أعمال الحج) بالبراءة من عهود المشركين الناقضين للعهد،

فهي هدنة لمدة أربعة أشهر، يباح قتال المشركين بعدئذ حيث وجدوا، فإن تبتم من الكفر، فهو خير لكم من البقاء على الشرك والكفر، وإن عرضتم عن الإيمان والتوبة ويقتم على الكفر، فاعلموا أنكم لن تفلتوا من عذاب الله، بل هو لاحق بكم، وأخبر أيها النبي الذين كفروا فلم يؤمنوا برسالتك، بعذاب مؤلم في الآخرة.

٤- ويستثنى من مدة التأجيل بأربعة أشهر المعاهدون المشركون الذين لم ينقصوا المسلمين شيئاً من شروط العهد، ولم يعاونوا عليكم أحداً من الأعداء، كبنى ضمرة وبنو كنانة، فأكملوا مدة عهدهم التي عاهدتموهم إليها، إن الله يرضى عن المتقين الموفين بالعهد.

٥- فإذا انقضت الأربعة الأشهر التي أمهلهم الله إليها، وهي التي سميت حرماً لتحریم التعرض لدماء المشركين، فقاتلوا المشركين الناقضين للعهد حتى تقتلهم، حيث وجدتموهم في أي مكان، في الحل أو الحرم، وأسروهم، وامنعوهم من التنقل في بلاد الإسلام إلا بإذن، وراقبوا تحركاتهم حتى لا يفلتوا، وترصدوهم في كل مكان حتى تقبضوا عليهم، فإن تابوا من الكفر، وأقاموا الصلاة المفروضة، وأدوا الزكاة الواجبة، فاتركوهم وشأنهم ولا تؤذوهم، فإنهم صاروا مسلمين، إن الله غفور لمن تاب، رحيم بمن أناب.

٦- وإن طلب الجوار أو الأمان أحد من المشركين، فأمته، حتى يسمع القرآن ويتفهمه، ثم أبليه المكان الذي يأمن فيه بين أهله، ذلك الأمان المذكور بسبب أنهم قوم لا يعلمون الإسلام أو دين الله وحقيقته، ولا يميزون بين الخير والشر.

٧- كيف يكون: أي لا يكون للمشركين الغادرين عهد عند الله ورسوله، وهم نقضوا العهود، إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام يوم الحديبية، وهم كما تقدم بنو ضَمْرَةَ وبنو كنانة، فما داموا مقيمين على العهد ولم ينقضوه، فاستقيموا لهم على الوفاء بالعهد، إن الله يرضى عن المتقين المحافظين على أحكام الله، الموفين بالعهد.

٨- كيف يكون للمشركين عهد محترم واجب الوفاء به، وإن يغلبوكم ويتمكنوا منكم، لا يراعوا فيكم حلفاً أو قرابة، ولا عهداً، يرضونكم بالستهم بكلام معسول، وتأبى قلوبهم الوفاء بالعهد، وتضممر السوء والأذى، وأكثرهم خارجون عن الحق ناقضون للعهد والميثاق.

٩- استبدلوا آيات القرآن عوضاً حقيراً من أعراض الدنيا، فمنعوا الناس عن الإسلام وسبيل الحق، بش هذا العمل الذي عملوه.

١٠- لا يراعون ولا يحافظون على حقوق

المؤمنين، ولا يحترمون حلفاً أو قرابة، ولا عهداً، وأولئك هم المجاوزون الحدود، المتبدثون بالعهد. وهذه الآية ليست تكراراً؛ لأن الآية السابقة لجميع المشركين، وهذه لليهود خاصة.

١١- فإن تابوا عن الشرك، وأدوا الصلاة المفروضة، والزكاة الواجبة، فهم إخوانكم في الدين، مسلمون أمثالكم، لا يحل لكم قتالهم، ونبين الآيات لقوم يدركون الحقائق، ويتفهمون مراد الشرع، ويعلمون أنه تشريع من عند الله تعالى.

١٢- وإن نقضوا عهودهم المؤكدة، من بعد ما عاهدوكم على الوفاء بالعهد، وعابوا دينكم، فقاتلوا زعماء أو صناديد الكفر، إنهم لا عهود لهم، ليتهاوا عن الكفر، وعن مقاتلة المسلمين. وهاتان الآيتان تخيير للمشركين بين أمرين: التوبة أو القتال.

١٣- حض الله تعالى على قتال كفار مكة الذين نقضوا العهد لأسباب ثلاثة وهي: ١- فهلا تقاتلون هؤلاء الناكثين عهودهم، والطاعين في دينكم، ٢- الذين عزموا على إخراج الرسول من مكة، ٣- وهم بدؤوكم بالقتال في المرة الأولى يوم بدر وأحد والخندق وغيرها، أتخافونهم معشر المسلمين؟ فالله وحده أجدر وأولى بالخوف من عقابه، إن كنتم مصدقين بوعد الله ووعيده.

كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ رَسُولِهِ
إِلَّا الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقْتَمُوا
لَكُمْ فَمَا اسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴿٧﴾ كَيْفَ
وَإِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا تَرْقُبُوا فِيهِمْ إِلَّا وِلَادَةَ
يَرْضُوهُمْ كَمَا بِأَنْفُسِهِمْ وَأَنْبِيَاءِ قُلُوبِهِمْ وَأَكْثَرُهُمْ
فَاسِقُونَ ﴿٨﴾ اسْتَرَوْا بِآيَاتِ اللَّهِ تَمَنَّا قَلْبًا لَا فِصْدُ
عَنْ سَبِيلِهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩﴾ لَا تَرْقُبُونَ
فِي مُؤْمِنٍ إِلَّا وِلَادَةَ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ ﴿١٠﴾
فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَإِخْوَانُكُمْ
فِي الدِّينِ وَنَقَصْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ كَافِرِينَ ﴿١١﴾ وَإِنْ
كَفَرُوا أَتَيْنَهُمْ مِنَ بَدِّ عَاهِدِهِمْ وَطَعَنُوا فِي دِينِكَ فَقَتِلُوا أَيْتَةَ
الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَا أَيْسَرَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَنَهَوْنَ
﴿١٢﴾ أَلَا تَقْتُلُونَ قَوْمًا نَكَحُوا آبَاءَهُمْ وَهَمُّوا
بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُمْ بَدَّءُوا بِكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ
أَتَخَشَوْنَهُمْ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَوْهُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾

قَاتِلُوهُمْ بَعْدَ تَبَهُؤِ اللَّهِ بِأَيْدِيكُمْ وَتُخْرِمُوهُمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ
وَيَسْفِئْ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيَذْهَبْ عَيْظُ قُلُوبِهِمْ
وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿١٥﴾
أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُتْرَكُوا أَنْ تَقُولُوا مَا لَمْ يَعْلَمْ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ
وَلَمْ يَجِدُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولَهُ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِجَبَّةٍ
وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَنْ يَعْمُرُوا
مَسْجِدَ اللَّهِ شَاهِدِينَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِم بِالْكَفْرِ أُولَٰئِكَ حِطَّتْ
أَعْمَالُهُمْ فِي النَّارِ هُمْ خَالِدُونَ ﴿١٧﴾ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسْجِدَ
اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَاةَ وَآتَى
الزَّكَاةَ وَلَمْ يَجْشِ إِلَّا بِاللَّهِ فَصَلَّىٰ أُولَٰئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ
﴿١٨﴾ أَجْعَلُهُمْ سِقَايَةَ الْحَاجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ
آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَاهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوِينَ
عِنْدَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَكْثَرُ
دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٢٠﴾

١٤ - قاتلوا معشر المؤمنين أعداءكم بغيرهم الله بأيديكم، ويذللهم بالأسر والانهزام والهوان، وينصركم عليهم نصرًا مبينًا، ويشفي بالقتال صدور قوم مؤمنين لم يشهدوا القتال. قال قتادة: ذكر لنا أن هذه الآية نزلت في خزاعة حين جعلوا يقتلون بني بكر بمكة.

١٥ - في الآية السابقة أربعة فوائد لقتال الأعداء، وهنا فائدة خامسة: هي إذهاب كرب أو غم قلوب المؤمنين الذين تأذوا بنقض المشركين العهد، ويتوب الله على من يشاء من عباده الذين أسلموا وحسن إسلامهم بمكة يوم الفتح، والله عليم بما يصلح عباده وسرايرهم، حكيم في صنعه وأفعاله.

١٦ - أم حسبتم أيها المؤمنون أن تتركوا، فلا تمتحنوا بالجهاد، لتمييز المؤمن من المنافق، ولم يعلم علم ظهور لا وجود، أي لم يظهر الجاهدون المخلصون منكم في الجهاد من غير المخلصين، والذين لم يتخذوا بطانة من المشركين يفشون إليهم أسرارهم، حال كون البطانة من غير الله ورسوله والمؤمنين، والله عالم بكل شيء، مطلع على كل شيء من أعمالهم.

١٧ - ما صح وما ينبغي للمشركين أن يعمرُوا

مساجد الله معنويًا بالعبادة والملازمة والزيارة، وماديًا بالبناء والترميم وأداء الخدمات، شاهدين بلسان حالهم على أنفسهم بالكفر، حيث عبدوا الأصنام، وأظهروا نُصْب الأوثان، أولئك الذين ماتوا على الشرك، بطلت أعمالهم الخيرية التي عملوها وافتخروا بها، وهم ماكثون في النار على الدوام. قال العباس حين أسر يوم بدر: إن كنتم سبقتمونا بالإسلام والهجرة والجهاد، لقد كنا نعمر المسجد الحرام، ونسقي الحجاج، ونفك العاني - الأسير - فنزلت هذه الآية. يعني أن ذلك كان في الشرك وهو غير مقبول.

١٨ - إنما يعمر مساجد الله بالعبادة والخدمة من آمن بالله واليوم الآخر، وأقام الصلاة المفروضة في أوقاتها، وأدى الزكاة للمستحقين، ولم يخف أحدًا إلا الله، فهؤلاء هم الجديرون بعمارة المساجد، ويرجى أن يكون أولئك فقط لا الكفار من المهتدين إلى الحق والصواب، والخير، ومرضاة الله تعالى.

١٩ - أجعلتم أيها المشركون سقاية الحجيج وعمارة البيت الحرام بالخدمة مساويًا لإيمان من آمن بالله واليوم الآخر وجاهد في سبيل الله؟ لا تساوي عند الله بين الفتيان: الكافرة والمؤمنة، فكيف تدعون أيها المشركون أنكم أفضل عملاً ومكانة من المؤمنين؟! فلا فضل لعمل من غير إيمان، والله لا يوفق الكافرين للخير، ولا تنفعهم شيئًا عمارة المسجد الحرام. نزلت للرد على المشركين الذين كانوا يفتخرون بالسقاية والحجاجة (خدمة البيت الحرام) ويعدون ذلك أفضل مآثر قریش، ويفضلونهما على عمل المسلمين. وكان العباس قبل إسلامه يرى ذلك.

٢٠ - إن الفريق المفضل: الذين آمنوا بالله ورسوله، وهاجروا من دار الكفر إلى دار الإسلام، وجاهدوا في سبيل الله بالأموال والأنفس، أولئك أعظم رتبة عند الله، وأولئك هم الظافرون بالخير والرضوان وحسن الثواب.



يُشْرِكُوا بِهِمْ بِرَحْمَةِ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ لَمْ يَكُنْ فِيهَا نَمِيمٌ
 مُقَدِّمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ
 ﴿٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا آبَاءَكُمْ وَإِخْوَانَكُمْ
 أَوْلِيَاءَ إِنْ اسْتَحْبَبْتُمْ إِلَيْكُمْ عَلَى الْإِيمَانِ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنكُمْ
 فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ إِنْ كَانَ آبَاؤُكُمْ
 وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ
 وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَبُيُوتٌ تَبْنَوْنَ كَادَهَا وَمَسَاكِنُ
 تَرْضَوْنَ فَأَحِبِّ إِلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَرُسُلِهِ وَجِهَادٍ فِي
 سَبِيلِهِ فَتَرْتَبِّصُوا حَتَّى يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرٍ فَرِيدٍ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي
 الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٤﴾ لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي مَوَاطِنَ
 كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كُنُوزِكُمْ فَأَوْرَثْنَا
 نَعْمَ عَنْكُمْ مَدْيَنًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ
 بِمَا رَحَبَتْ ثُمَّ وَابَسْنَا مَدْيَنَ وَجَدْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ
 عَلَى رُسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنْزَلْنَا جُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا
 وَعَذَّبْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا وَأَذَلْنَا كَثْرًا مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٢٥﴾

٢١- يشر الله رب هؤلاء بالرحمة السابعة منه، وبالرضوان: وهو الرضا التام الكامل من كل وجه، فهو فوق نعيم الجنة كله، ويجنات لهم فيها نعيم خالد دائم لا يفارق صاحبه.

٢٢- خالدين في تلك الجنات أبداً من غير انقطاع ولا زوال، إن عند الله ثواباً عظيماً لأهل طاعته، كل ما دونه فهو حقير.

٢٣- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أعماماً أو آلوا لونهم وتطلعونهم على أسراركم، إن فضلوا الكفر على الإيمان بالله ورسوله، ومن يتولهم منكم يجعلهم أمناء سر، ويرضى بهم دون المؤمنين، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم؛ لأنهم أضروا بأنفسهم، ورضوا بأهل الشرك. نزلت فيمن يؤثر زوجته وعياله وولده، ويجلس معهم، ويدع الهجرة من مكة إلى المدينة، وذلك عتاباً لهم.

٢٤- قل أيها النبي لمن ترك الهجرة وأثر البقاء مع

أهله: إن كان آباؤكم وأبناؤكم وأزواجكم وأقرباؤكم الأعدون (ذوو القرابة القريبة) وأموال اكتسبتموها، وتجارة تخافون كسادها (عدم رواجها) ومسكن تعجبكم وتميل إليها أنفسكم، أحب إليكم من الهجرة لإعلاء دين الله، وطاعة الله ورسوله، وجهاد من أجل إعلاء كلمة الله، فانتظروا حتى يأتي الله بعقوبته، والله لا يوفق الخارجين عن طاعته. نزلت مع الآية السابقة فيمن ترك الهجرة إلى المدينة لأجل أهله وتجارته.

٢٥- لقد نصركم الله معشر المؤمنين في مواطن عديدة بالرغم من ضعفكم وقوة عدوكم، واذكروا يوم وقعة حنين: وهو وادي بين الطائف ومكة، حين أعجبتكم كثرتكم، فكتم اثني عشر ألفاً، وعدوكم أربعة آلاف، وقتلتم: لن تغلب اليوم من قلة، وضاق عليكم الأرض مع سعتها، ثم تركتم الرسول مع قلة مؤمنة، هارين منهزمين. قال رجل يوم حنين: لن نغلب من قلة، وكانوا اثني عشر ألفاً، فشق ذلك على النبي ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

٢٦- ثم أنزل الله طمأنينة على رسوله وعلى المؤمنين، فثبتت القلوب وعادوا إلى القتال، لما ناداهم العباس، وأنزل جنوداً لم تروها، وهم الملائكة، لتقوية أرواح المؤمنين، وعذب الكفار بالقتل والأسر وأخذ المال، وذلك جزاء الذين كفروا بالله ورسوله.

سُئِبُوا بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ
 حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ يَأْتِيهِمُ الَّذِينَ آمَنُوا إِتِمَامَ الشِّرْكِ
 لِيُحْسِبُوا أَنَّ الشِّرْكَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَدَّاهُمْ هَدًى
 وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ
 إِنَّ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢٨﴾ قَاتِلُوا الَّذِينَ
 لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ
 مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ
 أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ
 صَاغِرُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عِزْيَرُ بْنُ اللَّهِ
 وَالنَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَلِكَ قَوْلُهُمْ
 بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهَوْنَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَبْلُ
 قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّى يُؤْفَكُونَ ﴿٣٠﴾ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ
 وَرُهَيْبَهُمْ أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَالنَّصَارَى
 مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَهًُا
 وَاحِدًا لَإِلَٰهًا إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣١﴾

٢٧- ثم بعد هذا التعذيب للكفار في الحرب، يتوب الله على من يشاء من عباده الذين تابوا، وأسلموا، والله كثير المغفرة لذنوب التائبين، رحيم بهم.

٢٨- يا أيها المؤمنون إنما المشركون أنجاس الاعتقاد، شريرون خبيثاء، بسبب الشرك والظلم وقبح الأخلاق، لا أنجاس الذوات المادية، فلا يدخلوا الحرم المكي والبيت الحرام، ولو بحج أو عمرة، بعد العام التاسع الهجري، الذي حج فيه أبو بكر قائداً للموسم، أي لا تمكنوهم من الدخول، وإن خفتهم فقرأ بانقطاع تجارتهم عنكم، فالله يعوضكم من عطائه وتفضله بالإحسان، إن شاء لكم الغنى، وقد أغناهم بالفتوح بالنبي، والحزبية، والأمطار والنباتات والمعادن، إن الله عليم بما يصلح الحال، حكيم فيما يصنع ويدبر. قال ابن عباس: كان المشركون يجيئون إلى البيت، ويجيئون معهم بالطعام يتجرون فيه، فلما منعوا عن أن يأتوا البيت، قال المسلمون: من أين لنا الطعام؟ فأنزل الله: ﴿وإن خفتهم عيلة...﴾

٢٩- قاتلوا أيها المؤمنون الذين لا يصدقون بالله،

ولا بالأخرة وما فيها من الحساب والجزاء والحياة المادية، وليست روحية فقط كما كانوا يقولون، ولا يحرمون الحرام الذي حرّمه الله ورسوله كالخمر والربا، ولا يعتقدون بالإسلام الذي هو الدين الحق، من اليهود والنصارى، حتى يلتزموا أداء الجزية: وهي ضريبة مفروضة على الأشخاص القادرين الذين يقيمون في دار الإسلام، وهم عن سعة وقدرة وطاعة من غير امتناع، وهم خاضعون للحكم الإسلامي، ملتزمون أحكام الإسلام وسيادة الدولة الإسلامية. نزلت في أهل الكتاب، فكان أول من أعطى الجزية أهل مجران قبل وفاته ﷺ.

٣٠- قالت اليهود: عزير ابن الله، وقالت النصارى: المسيح عيسى ابن الله، وهو مجرد قول لا برهان لهم عليه، يشابهون بقولهم هذا في الكفر والشناعة قول الكفار من قبلهم كعبدة الأوثان الذين قالوا: اللات والعزى ومناة بنات الله، والملائكة بنات الله، لعنهم الله وأهلكهم كيف يُصرفون عن الحق إلى غيره مع قيام الدليل على وحدانية الله؟ نزلت في نفر من اليهود قالوا للنبي ﷺ: كيف نتبعك وقد تركت قبلتنا؟ وأنت لا تزعم أن عزيراً ابن الله، فنزلت الآية.

٣١- اتخذ اليهود أحبارهم علماءهم، والنصارى رهبانهم: عبّادهم المنقطعين للعبادة، اتخذوهم أرباباً من دون الله؛ إذ يطيعونهم فيما أحلوا لهم أو حرموا عليهم، واتخذ النصارى المسيح ابناً لله ورَباً معبوداً، ولم يؤمروا في التوراة والإنجيل إلا بعبادة الإله الواحد الذي لا إله غيره، تنزيهاً لله عما يشركون باتخاذ شركاء لله في الطاعة والعبادة.



٣٢- يقصد أهل الكتاب بأقوالهم الباطلة ومجادلاتهم الزائفة واقتراءاتهم أن يطفثوا القرآن وهدايته، والإسلام وشرعه، بأقوالهم، ويأبى الله إلا أن يظهر ويعلي دينه القويم، وينصر رسوله، ولو كره الكافرون ذلك.

٣٣- الله الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالهدى الشامل القائم على البرهان والأحكام الصائبة، ودين الإسلام الحق الذي هو الاعتقاد الصواب والتوحيد الخالص، يُعليه ويغلبه على جميع الأديان المخالفة له بالحجة والبرهان ومسانة التشريع، ولو كره المشركون ذلك.

٣٤- يا أيها المؤمنون إن كثيراً من علماء اليهود، وعلماء النصرى، ليأكلون أموال الناس بالباطل كالرشاوى وأثمان الأحكام الباطلة، ويمنعون الناس عن الدخول في الإسلام، والذين يدخرون الذهب والفضة ويتخذون ذلك كنزاً، أي مجموعاً بعضه إلى بعض من غير أداء زكاته، ولا ينفقون الكنوز في مرضاة الله، فبشروهم على سبيل التهكم، وأخبرهم وأنذروهم بعذاب شديد الألم. نزلت

مقدمة الآية في العلماء والقراء من أهل الكتاب، كانوا يأخذون الرشا من سفلتهم، وهي المأكول الذي كانوا يصيبونه من عوامهم. ونزلت مؤخرة الآية في أهل الكتاب والمسلمين الكانزين أموالهم.

٣٥- يوم يوقد على الأموال التي جمعوها في نار جهنم الشديدة الحر، فتحرق بها جباههم وجنوبهم وظهورهم، ويقال لهم تهكماً وتوبيخاً: هذا ما كنتم لتتفجوا به، فذوقوا عذاب ووبال ما كنتم تكتزون من الأموال التي لم تؤدوا زكاتها، فكل مال أدبت زكاته ليس بكنز.

٣٦- إن عدد شهور السنة القمرية في حكم الله وقضائه اثنا عشر شهراً محددة فيما أثبتته الله في كتابه: اللوح المحفوظ وثبت علمه بها في أول ما خلق الله العالم، من هذه الشهور أربعة محرمة معظمة كان يحرم القتال فيها، ثم نسخ التحريم، وهي ذو القعدة، وذو الحجة، ومحرم، ورجب، ثلاثة سرد، وواحد فرد، ذلك التقسيم للأشهر وتحريم الأربعة منها هو الدين المستقيم، والحساب الصحيح، فلا تظلموا أنفسكم في هذه الأشهر الحرم بيده القتال فيها، وتتهكوا حرمتها بالمعاصي، فإن الله عظمها، وقاتلوا المشركين جميعاً في المعارك المشروعة، كما يقاتلونكم جميعاً، واعلموا أن الله ينصر الثقلين ويعينهم، ومن كان الله معه بالنصر والتأييد، فهو الفائز. وظاهر آية هو قاتلوا المشركين... إياحة قتالهم في جميع الأشهر، حتى الأشهر الحرم. وآيات تحريم القتال في الأشهر الحرم في سورة البقرة [١٩٤، ٢١٧] وآية المائدة [٢] منسوخة آيات التوبة، لنزولها بعد سورة البقرة بستين.

يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَسَاءُ لِلَّذِينَ لَا
أَنْ يُنِيرَ نُورَهُمْ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ هُوَ
الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾
﴿بِتَأْيِيدِهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْأَخْبَارِ
وَالرَّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَطْلِ
وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ
وَالْفِضَّةَ وَلَا ينفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ
أَلِيمٍ ﴿٣٤﴾ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا
جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كُنْتُمْ لَا تَنْفِكُونَ
فَذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْنِزُونَ ﴿٣٥﴾ إِنَّ عَذَابَ الشُّهُورِ عِنْدَ
اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَدِيمُ فَلَا تَظْلِمُوا
فِيهَا أَنْفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا
بُقِيلُوا تَكْفُوكَ وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾

٣٧- إنما تأخير حرمة شهر إلى شهر آخر زيادة لكفرهم بحكم الله فيه بعد كفرهم بالله وكتبه ورسله واليوم الآخر، وإضلال لهم عن سن لهم ذلك، يحلون النسيء أو الشهر عاماً من الأعوام ويحرمونه عاماً آخر، ليوافقوا بهذا التبديل عددا ما حرم الله من الأشهر الأربعة، فيحلوا ما حرم الله من الأشهر الحرم التي بدلوها بغيرها، فيبقى التحريم لأربعة أشهر في العام، زين لهم الشيطان أعمالهم السيئة، فعدوها حسنة، والله لا يوفق المصرين على كفرهم. قال أبو مالك: كانوا يجعلون السنة ثلاثة عشر شهراً، فيجعلون الحرم صفر، فيستحلون فيه الحرمات، فأنزل الله: ﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ...﴾.

٣٨- يا أيها المؤمنون ما لكم إذا طلب منكم النفير: الخروج للقتال، تباقتم: تباطأتم عن الجهاد في سبيل الله، وأثرتم البقاء في دياركم؟ أرضيتم بنعيم الدنيا بدلاً من الآخرة ونعيمها الدائم، فما المتمتع به من لذائذ الدنيا في جنب متاع الآخرة، إلا حقير تافه. قال مجاهد: هذا حين أمروا بغزوة

إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحَلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُوَاطِّئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيَحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَّهُمْ سُوءٌ أَعْمَلْتُمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِنَّا قَبَلْ لَكُمْ أَنْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَتَأْتُونَ آلَ الْأَرْضِ وَأَرْضُهُمْ وَأَنْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعْتُ الْآخِرَةَ إِلَّا لَأَخْرَجَهُنَّ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣٨﴾ أَلَا تَنْفِرُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبَدِلُ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ أَلَا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيًا أَتَنْتَبِهُونَ إِذْ هُمْ فِي الْعَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَخْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾

تبوك بعد الفتح وحين، في الصيف حين طابت الثمار، واشتهوا الظلال، وشق عليهم المخرج، فأنزل الله هذه الآية.

٣٩- إن لم تنفروا وتخرجوا للجهاد يعذبكم الله عذاباً مؤلماً في الدنيا بالإذلال، ويأت بقوم آخرين بدلکم يطيعون الله وينصرون دينه ودولته، ولا تضروا الله ولا نبيه شيئاً بترك الامتثال والنصرة، والله مقتدر على كل شيء، ومنه نصر دينه ونبيه. قال ابن عباس: استنفر رسول الله ﷺ أحياء من العرب، فتأقلموا عنه، فأنزل الله: ﴿إِلَّا تَنْفِرُوا يَعْذِبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ فأمسك عليهم المطر، فكان عذابهم.

٤٠- إن لم تنصروا نبي الله، فالله ناصره ومتكفل به، كما فعل حين أخرجه الكفار من مكة، أي تسبوا في إخراجه وهو أحد اثنين: الرسول وأبو بكر، حين كانا في الغار: أي فجوة في جبل ثور قرب مكة مسافة ساعة، حين يقول الرسول لصاحبه أبي بكر: لا تستسلم للحزن وجاهد نفسك، إن الله معنا بنصره وتأييده، فأنزل الله الطمأنينة والأمان على نفس رسوله، وأعمى أعين المشركين عنه، وأيده بجنود من الملائكة لم تروها كما حدث في بدر، وجعل دعوة الكفار إلى الشرك والكفر وقتل النبي هي المغلوبة المهزومة، وكلمة التوحيد ودعوة الإسلام هي الغالبة، والله غالب قوي في ملكه، حكيم في صنعه، لا يفعل إلا ما فيه حكمة وصواب.

٤١- اخرجوا معشر المؤمنين جميعاً للجهاد في سبيل الله، نشاطاً وغير نشاط، فرساناً ورجالاً، مشاة وركباناً، وجاهدوا حق الجهاد بالمال والنفس من أجل نصره دين الله، ذلكم الأمر بالخير العام والجهاد خير عظيم لكم في حد ذاته في الدنيا والآخرة، إن علمتم أنه خير، وأن في الجهاد عز الدنيا وسعادة الآخرة. نزلت الآية في الذين اعتذروا بالضيعة والشغل، فأبى الله أن يعذرهم، دون أن ينفروا على ما كان منهم.

٤٢- لو كان الأمر الذي تدعو إليه أيها الرسول متاعاً دنيوياً سهل التناول، وسفراً سهلاً متوسطاً معتدلاً، لمشوا معك، أي هؤلاء المتخلفون، ولكنهم استبعدوا السفر إلى غزوة تبوك، وشق عليهم الخروج في زمن الحر، وسيحلفون بالله إذا رجعتم إليه، قائلين: لو أمكننا الخروج إلى لقاء العدو، لخرجنا معكم، يهلكون أنفسهم بالخلف الكاذب، والله يعلم إنهم لكاذبون في أيمانهم.

٤٣- عفا الله عنك أيها الرسول، لم أذنت لهم في التخلف عن الجهاد في غزوة تبوك، وكان عليك التريث لتعلم الصادقين في اعتذارهم والكاذبين منهم الذين لا عذر لهم. نزلت هذه الآية في الإذن للمنافقين من غير وحي سابق، وكان ذلك تركاً للأولى، فقدم الله العفو على العتاب.

٤٤- لا يستأذنك عادة المؤمنون في الجهاد، وإنما يبادرون إليه امتثالاً للأمر المتقدم، والله مطلع على أحوال المتقين الذين يخافون الله، فيطيعون أوامره، وهم الذين لم يستأذنوا في التخلف.

٤٥- إنما يستأذنك في التخلف عن الجهاد الذين لا يؤمنون بالله وآخرفته، وهم المنافقون، والإيمان خير باعث على الجهاد، وإنما هؤلاء شككت قلوبهم في الدين، فهم في شكهم يتحيدون، ويترددون بين الكفر والإيمان.

٤٦- ولو أرادوا بحق وصدق الخروج معك للجهاد، لأعدوا له العدة المناسبة، من السلاح والعتاد والزاد والراحلة، ولكن كره الله خروجهم معك وتوجههم بنشاط، فحبسهم وعوقبهم عن الخروج بالجن والكسل، وقيل لهم: أعدوا في منازلكم مع أصحاب الأعداء وأولي الضرر، من العميان والعجزة والمرضى والنساء والصبيان، وفي هذا غاية الذم والازدراء بهم.

٤٧- لو خرج هؤلاء المنافقون للجهاد معكم، ما زادوكم إلا فساداً وشرّاً وفتنة ونغمة وإضراراً، ولأسرعوا بالمشي أو الدخول فيما بينكم بالنميمة، يريدون أن يفتنوكم بزور الخلافات وإلقاء الرعب في صفوفكم وذات بينكم، وفيكم قوم ضعاف يستمع إلى كذبيهم وأراجيفهم، والله عليم بالظالمين أنفسهم وبأحوالهم الظاهرة والباطنة، فالحكمة ألا يخرجوا.

أَنْفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَكِنْ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّكَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِآلِهِ لَوَاسَطْنَا لَنُخْرِجَنَّكَ مَعَكُمْ يَهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لِمَنْ هُوَ حَتَّىٰ يَتَّبِعَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَعَلَى الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ عَلَيْهِمُ الْمَنَعِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَآرَاءُ بَاتِ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ لِيَأْجُزَ بِكُمْ بَيْطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مَآزَادُكُمْ وَأَجْبَالًا وَلَا تَوَعُّبًا لِّكُلِّكُم مِّنْ يَّغْوِيكُمْ أَلْقِنَهُمْ فِيكُمْ سَاعُونَ لَهُمُ وَاللَّهُ عَلَيْهِمُ الْظَالِمِينَ ﴿٤٧﴾



لَقَدْ ابْتِغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى
جَاءَ الْحَىُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُم كَارِهُونَ ﴿٤٨﴾
وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَسْأَلُكَ لِي وَلَا تَقْسِمْ إِلَّا فِي الْفِتْنَةِ
سَقَطُوا وَإِنْ جَهَنَّمَ لَحِيطَةً بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ
تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِنْ تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ
أَخَذْنَا أَمْرًا مِنْ قَبْلُ وَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ
يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ
فَلْتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا
إِحْدَى الْحَسَنَيْنِ وَإِحْدَى الشَّرَّيْنِ لَنْ نَرْتَبِصَ بَكُمُ أَنْ يُصِيبَكُمْ
اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ
مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾ قُلْ أَسْمِعُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَنْ يُتَقَبَلَ
مِنْكُمْ إِلَّا أَنْتُمْ مَنَافِقِينَ ﴿٥٣﴾ وَمَا
نَمْنَعُهُمْ أَنْ تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا
بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ
كُسَالَى وَلَا يُنْفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ ﴿٥٤﴾

٤٨ - لقد أراد المنافقون التخويف من العدو، وطلبوا الفساد، وإيقاع الخلافات بين المؤمنين من قبل غزوة تبوك، وفكروا في تديير المكائد والحيل لك أيها النبي، وقلبوا آراءهم ليختاروا ما يضرركم، ونظروا في إبطال دعوتك ودينك، حتى أتى النصر والتأييد الإلهي لك، وعلا دين الله وشرعه بالرغم منهم، وهم كارهون انتصار هذا الدين، على رغم منهم.

٤٩ - ومن المنافقين من يقول لك أيها الرسول: ائذن لي في التخلف عن الجهاد، ولا توقعني في الفتنة: وهي الإثم، بأن لا تأذن لي، لأنني إن تخلفت بخير إذنك وقعت في الإثم، ألا إنهم وقعوا في الفتنة بالتخلف عن الجهاد والنفاق والاعتذار الكاذب، وإن جهنم محيطه بجميع الكافرين، فلا مفر لهم عنها. قال ابن عباس: لما أراد النبي ﷺ أن يخرج إلى غزوة تبوك قال لجد بن قيس: يا جد، ما تقول في مجاهدة بني الأصفر، أي الروم؟ فقال: يا رسول الله، إني امرؤ صاحب نساء، ومتى أرى نساء بني الأصفر أفتتن، فأذن لي، ولا تفتني، فنزلت هذه الآية.

٥٠ - إن تصبب أيها النبي حسنة من نصر

وغنيمة، تُحزن المنافقين، وإن تصبب مصيبة من نكبة أو شدة، قالوا: احتطنا لأنفسنا وابتعدنا عن الخطر وأخذنا بالحرزم، من قبل ذلك، وُعرضوا وهم فرحون بسلامتهم وبما أصابك مع المؤمنين من هزيمة. وسبب النزول: أن المنافقين الذين تخلفوا في المدينة جعلوا يخبرون عن النبي ﷺ أخبار السوء، زاعمين أنه هلك مع أصحابه، فلما بلغهم سلامة النبي وصحبه، ساءهم ذلك.

٥١ - قل لهم أيها النبي: لن يصيبنا شيء إلا ما قدره الله علينا، فنرضى به، هو ناصرنا ومتولي أمورنا، وليفوض المؤمنون أمورهم إلى الله لا إلى غيره.

٥٢ - قل أيها النبي للمنافقين: هل تنتظرون أن يقع بنا إلا إحدى العاقبتين: النصر أو الشهادة، ونحن نتنظر أحد أمرين بكم: أن يعذبكم الله بقارة من السماء، أو يعذبكم بأيدينا بقتالكم وأسركم، فانتظروا بنا عاقبتنا، ونحن نتنظر عاقبتكم.

٥٣ - قل أيها النبي للمنافقين: مهما أنفقتم في سبيل الله طائعين أو مكريين، لن تقبل نفقاتكم عند الله ولا ثواب لكم، إنكم كنتم قوماً خارجين عن الطاعة، عتاة متمردين. نزلت في الجد بن قيس حين تخلف عن غزوة تبوك، وقال لرسول الله ﷺ: هذا ما لي أعينك به، فاتركني.

٥٤ - لا مانع من قبول نفقاتهم إلا لأمر ثلاثة: الكفر بالله وبرسوله حقيقة، ولا يصلون إلا وهم كسالى متشاقلون؛ لأنهم لا يرجون ثواباً ولا يخافون عقاباً، فهم يصلون رياء، ولا ينفقون شيئاً من أموالهم في الجهاد وغيره إلا وهم كارهون غير طائعين؛ لأنهم يعدون النفقة مكرماً.

٥٥- فلا تستحسن ما تجده عند المنافقين من أموال وأولاد، فإنما هي سبب المحنة، وسبب التعذيب في الدنيا بالهم والقلق والحزن ومكابدة المشاق، لتركهم الشكر عليها، وترك ما يجب على الأموال من زكاة وصدقات، وتكون نهايتهم زهوق أرواحهم أو موتهم بآلم حال كفرهم، فيعذبون في الآخرة، ويخسرون الدنيا والآخرة. وهذا استدراج لهم.

٥٦- ويحلفون بالله كذباً إنهم لمن المؤمنين، وما هم في الحقيقة من المؤمنين، فإسلامهم ظاهري، ولا إيمان في قلوبهم، وهم قوم يخافون خوفاً شديداً أن يعاملوا كالمشركين، فيحلفون تقية وتسترأ.

٥٧- لو يجدون حصناً يلتجئون إليه للاعتصام به، أو كهوفاً وسرديب للاستتار فيها عنكم، لثلا تخرجوهم إلى القتال، أو موضعاً يدخلون فيه، لانصرفوا إليه، وهم يسرعون في دخوله باضطراب إسراعاً لا يقاوم كالفرس الجامحة.

٥٨- وبعض المنافقين يعيبك أيها النبي في قسمة الصدقات وتوزيعها، فإن أعطيتهم منها بقدر ما يرغبون، رضوا عنك في القسمة، وإن لم يعطوا منها ما يريدون، غضبوا وعبأوا وطعنوا في عدلك وقسمتك. نزلت في ذي الحليفة التميمي حين قال: عدل يا رسول الله، فقال: ويلك ومن يعدل إذا لم أعدل؟

٥٩- ولو أن هؤلاء المنافقين رضوا بما أعطاهم رسول الله ﷺ من الغنيمة، وقالوا: الله كافينا، سيعطينا الله من فضله شيئاً كثيراً، وسيعطينا رسوله أكثر مما أعطانا سابقاً، إننا راغبون في أن يعطينا الله من فضله، لكان ذلك خيراً لهم.

٦٠- إنما تصرف الزكوات المفروضة لثمانية أصناف: الفقراء الذين لا يملكون شيئاً، والمساكين: الذين لهم مال لا يكفيهم، والجابة المخصصين لجباية الزكاة وتحصيلها، والكفار الذين يتألفهم الإمام ليسلموا، أو الذين أسلموا وهم ضعفاء في الإسلام، أو لشراء الممالك وإعتاقهم أو لفك عبودية المكاتبين وتحريرهم، والمديونين الذين استدانوا لأنفسهم، وعجزوا عن وفاء ديونهم، والمجاهدين والمرابطين في سبيل الله، والمنقطع في سفره عن بلده، وإن كان غنياً في وطنه، فرض الله هذه القسمة فريضة وحكماً لازماً، والله عليم بمصالح خلقه، حكيم في تدبير شؤونهم.

٦١- وبعض هؤلاء المنافقين يعيبون النبي ﷺ أنه يسمع مقال كل أحد ويصدقه، قل: نعم يستمع لكل واحد، ولكنه يسمع الخير لا الشر، ويصدق بالله ويصدق المؤمنين فيما أخبروه به، وهو رحمة لمن آمن منكم، والذين يؤذون رسول الله بالقول أو الفعل، لهم عذاب مؤلم موجه في نار جهنم. نزلت في نبتل بن الحارث الذي كان يجلس إلى رسول الله ﷺ فيسمع منه، وينقل حديثه إلى المنافقين.

فَلَا تَحْبِكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَكُفْرُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمُتَّكِمُونَ وَمَا هُمْ بِمُتَّكِمِينَ قَوْمٌ يَمْرُقُونَ ﴿٥٦﴾ لِيُجَادُوا مَطِبَاءَ أَوْ مَعْرَاتٍ أَوْ مَخَلَّاءَ لَوْ لَوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْحَدُونَ ﴿٥٧﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ لِيُزَلَّكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِنْ لَمْ يُعْطُوا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْتَفْزِفُونَ ﴿٥٨﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ ﴿٥٩﴾ إِنَّمَا أَصْبَحْتُمُ الْفُقَرَاءَ وَالْمَسْكِينُ وَالْعَمَلِينَ عَلَيْهَا وَاللَّوْثَةَ فَلَوْبَهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْفُرْدِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأَبْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنْ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ ذُنُوبٌ قُلْ أُذُنُ حَرِيرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦١﴾



يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُلِّ لِرِضْوَانِكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحْسَنُ
 أَنْ يُرِضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ أَلَيْسَ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ
 مَنْ يُجَادِدُ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَأَنْ لَمْ تَأْرَجِحْتُمْ خَلِيدًا فِيهَا
 ذَلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ ﴿٦٨﴾ يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَنْ تُنَزَّلَ
 عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُمْ بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَخِرْهُمْ وَأَنْ
 إِنْ أَلَّفَهُمُ مَخْرَجٌ مَا يَحْذَرُونَ ﴿٦٩﴾ وَلَكِنْ سَأَلْتَهُمْ
 لِيَقُولُوا إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلِ أَبِ اللَّهِ وَآيَاتِهِ
 وَرَسُولِهِ كُنْتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ ﴿٧٠﴾ لَا تَقْتُزِرُوا
 قَدْ كَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِنْ نَعَفَ عَنْ طَائِفَةٍ مِنْكُمْ
 نَعَذَّبَ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٧١﴾ الْمُنَافِقُونَ
 وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُمْ مِنْ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَنكِرِ وَيَنْهَوْنَ
 عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ سَأَلَا اللَّهَ فَسَيَسْأَلُهُمْ
 إِنْ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٧٢﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
 وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَاتِ رَجِمَتْ خَلِيدِينَ فِيهَا
 هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعْنَةُ اللَّهِ وَاللَّهُ عَذَابٌ مُعِيمٌ ﴿٧٣﴾

٦٢- إذا بلغ المؤمنين طعن المنافقين بالنبي ﷺ
 جاؤوا إليهم يحلفون بالله لكم معشر المؤمنين أنهم
 ما قالوا ما نقل إليكم؛ لإرضائكم بظاهر أيمانهم،
 والله ورسوله أحق بالإرضاء إن كانوا مؤمنين حقاً.
 نزلت في شأن ناس من المنافقين امتدحوا
 المتخلفين في غزوة تبوك، وقالوا: لئن كان ما
 يقوله محمد حقاً على إخواننا الذين هم
 سادتنا وخيارنا لنحن أشد من الحمير، فلما
 سألهم النبي ﷺ أنكروا، فنزلت فيهم.
 ٦٣- ألم يعلم المنافقون أنه من يعادي الله
 والرسول، فله نار جهنم خالداً فيها على الدوام،
 ذلك العذاب هو الذل العظيم والهوان الشديد.
 ٦٤- يخشى المنافقون ويتحزرون أن ينزل الله
 فيهم سورة تخبر المؤمنين بما في قلوبهم من النفاق،
 وتطلعهم على ما في نفوسهم، قل أيها الرسول
 لهم على سبيل التهديد: استهزئوا بما تريدون، إن
 الله مظهر ما تخافون إظهاره من النفاق. قال
 السدي: قال بعض المنافقين: والله لوددت أنني
 قد مت فجلدت مئة، ولا ينزل فينا شيء
 يفضحنا، فأنزل الله هذه الآية. وهذا دليل على
 إيمانهم بأن الرسول حق يتلقى عن الله الوحي.

٦٥- ولئن سألت أيها الرسول المنافقين عن استهزائهم بالدين والقرآن وبك، في طريقهم إلى تبوك، لقالوا
 معتذرين: إنما كنا نخوض في الحديث للتسلية، ومزح لنقطع به الطريق، قل لهم: استهزئوا بالله وآياته
 ورسوله؟ أليس لكم مجال آخر للحديث غير ذلك؟ وهذا تكذيب لإنكارهم، وانتزاع الاعتراف بوقوع ذلك
 منهم. نزلت في ناس من المنافقين في غزوة تبوك إذ قالوا: يرجو هذا الرجل أن يفتح قصور الشام
 وحصونها؟ هيهات له ذلك، فأطلع الله نبيه على ذلك، فسألهم، فقالوا: يا رسول الله، إنما كنا
 نخوض ونلعب، فنزلت.

٦٦- لا تعتذروا أيها المنافقون، فعذركم غير مقبول، قد كفرتم بالاستهزاء المذكور بعد إظهار الإيمان، إن
 نفع عن جماعة منكم تابوا وتركوا النفاق- وهذا ترغيب في التوبة- نعذب جماعة آخرين بسبب إجرامهم
 وإصرارهم على النفاق ولم يتوبوا.

٦٧- المنافقون والمنافقات متشابهون في صفة النفاق والبعد عن الإيمان، ويمسكون أيديهم عن الإنفاق في
 سبيل الله كالجهد وصله الرحم والصدقة، تركوا طاعة الله، فأهملهم من رحمته وثوابه، إن المنافقين هم
 المتمردون الخارجون عن الطاعة.

٦٨- أوعد الله أهل النفاق والكفر نار جهنم، مخلدين فيها، هي كفاتيمهم عقاباً وجزاء، وطردهم الله من
 رحمته، ولهم عذاب دائم ثابت لا يتقطع.

٦٩- إن فعلكم أيها المنافقون كفعل من كان قبلكم من الكفار الذين كانوا أقوى منكم، وأكثر أموالاً وأولاداً، فتمتعوا تمتعاً زائداً بنصيبهم من ملاذ الدنيا، فتمتعتم بنصيبكم المقدر لكم من الملاذ والشهوات وحظوظ الدنيا، كما تمتع الذين من قبلكم بنصيبهم بمتع الدنيا وشهواتها، ودخلتم في الباطل والطعن بالنبي ﷺ كخوضهم في متع الدنيا وملاهيها والعابها وتكذيب آيات الله، أولئك بطلت أعمالهم في الدنيا والآخرة ولا ثواب عليها، وأولئك الذين خسروا الدنيا والآخرة، فصار عزهم ذلاً في الدنيا، وعذبوا بعذاب النار في الآخرة.

٧٠- ألم يصل إلى المنافقين خبر الذين كانوا من قبلهم، مثل قوم نوح الذين أغرقوا بالطوفان، وعاد قوم هود الذين أهلكوا بالريح الصرصر العاتية، وثمود قوم صالح الذين أهلكوا بالرجفة أو الصيحة، وقوم إبراهيم وملكهم ثمود الذين أهلكوا بالبعوض وسلب النعمة، وأصحاب مدين قوم شعيب الذين أهلكوا بعذاب يوم الظلة أو الرجفة، والمؤتفكات: قرى قوم لوط الذين اتفكت أي انقلبت بهم مداثهم وخسفت، حتى صار عاليها سافلها، جاءتهم رسل هؤلاء الطوائف الست بالمعجزات والأدلة الدالة على وحدانية الله، فكذبوهم، فما كان الله ليعذبهم من غير ذنب، ولكنهم ظلموا أنفسهم بارتكاب الذنب والكفر بالله وتكذيب الرسل.

٧١- والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أنصار بعض، يتعاضدون بسبب اتحاد الدين والاشتراك في الإيمان بالله، يأمرون بالمعروف: وهو كل ما أمر به الشرع من صالح الأعمال، كالتوحيد والعبادة، وينهون عن المنكر: وهو كل ما نهى عنه الشرع من قول أو فعل، كالظلم والفواحش، ويؤدون الصلاة المفروضة في أوقاتها، ويدفعون الزكاة الواجبة، ويطيعون الله ورسوله في الأوامر والنواهي، أولئك الموصوفون بما ذكر، سيرحمهم الله بإنجاز وعده بنعيم الجنان، إن الله قوي لا يعجزه شيء، حكيم في صنعه وتدييره، لا يضع شيئاً إلا في محله.

٧٢- وعد الله المؤمنين والمؤمنات بدخول الجنات التي تجري الأنهار من تحت أشجارها وغرفها، وبالمساكن حسنة البناء طيبة القرار والعيش، في جنات الخلد والإقامة الدائمة غير المنقطعة، وبرزوان الله الذي هو أكبر وأعظم من ذلك كله؛ لأنه سبب كل فوز وسعادة، ذلك الموعود به من الجنات والمساكن والرضوان هو الفوز العظيم وحده الذي لا يعادله فوز آخر.

كَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ كَأَوْ أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ
أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِمَخْلَقَتِهِ فِئْتِمَةً فَمَنْ تَبَخَّشْتُمْ بِأَمْوَالِكُمْ
أَنْ تَسْمَعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ يُخْلِفُهُمْ وَخَصَّمُ كَالَّذِي
خَاصُّوا أَوْلِيكَ حِطَّتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ
وَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٦٩﴾ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ
وَالْمُؤْتَفِكَةَ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا
أَلَّهُ لِيُظَاهِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٧٠﴾
وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ
بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ
وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ
سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٧١﴾ وَعَدَّ اللَّهُ
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ
خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسْكَنٌ طَيِّبَةٌ فِي جَنَّاتٍ عَدْنٍ
وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾

يَسْأَلُهَا الَّذِي جَاهَدَ الْكُفْرَ وَالْمُنَافِقِينَ وَأَغْلَظَ عَلَيْهِمْ
 وَأَوْهَنَهُمْ حَمْسَةً وَيُسْأَلُ الْمُنَافِقِينَ ٧٣ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا
 وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهُمْ
 بِمَا كَفَرُوا وَما تَقْتَضُوا إِلَّا أَنْ تُغْنِيَهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ
 فَضْلِهِ فَإِنْ يُتُوبُوا لَكُمْ خَيْرًا لَكُمْ وَإِنْ يَتُوبُوا بَعْدَ ذَلِكَ
 إِنَّهُ عَذَابُ الْإِيمَانِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمَا لَهُمْ فِي الْأَرْضِ
 مِنْ وَكِيلٍ وَلَا تَنْصِيرٍ ٧٤ وَمَنْ هُوَ مِنْ عَهْدٍ لِلَّهِ لِيَنْ
 تَهِنُوا مِنْ فَضْلِهِ لِيَتَصَدَّقُوا وَلَنْ كُونَ مِنَ الصَّالِحِينَ ٧٥
 فَلَمَّا أَتَاهُمْ مِنْ فَضْلِهِ تَبَخَّرُوا بِهٖ وَقَالُوا أَهْمَ مُرْتَضُونَ
 ٧٦ فَأَعْقَبَهُمْ نِفَاقًا فِي قُلُوبِهِمْ إِلَى يَوْمِ لِقَائِهِ يَمَا أَخْلَفُوا
 اللَّهُ مَا وَعَدُوهُ وَبِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ ٧٧ الرَّبِيعِيُّ
 أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ وَأَنْ اللَّهَ عَلِيمٌ
 الْغُيُوبِ ٧٨ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ الْمُطَّوِّعِينَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 فِي الصَّدَقَاتِ وَالَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ فَيَسْخَرُونَ
 مِنْهُمْ يَسْحَارًا لَهُمْ مِنْهُمْ وَهُمْ لَمْ يَكْفُرُوا بِاللَّهِ ٧٩

٧٣- يا أيها النبي جاهد الكفار بمختلف وسائل
 الجهاد من المال والنفس واللسان، أي بالقتال أو
 الحوار، وجاهد المنافقين بالحوار والإقناع وإقامة
 الحججة وحدود الله، واغلظ عليهم بالقول
 والفعل، على نحو شديد وخشن، ومسكنهم
 جهنم، ويسأل المرجع الذي يصيرون إليه.

٧٤- يحلف المنافقون بالله كذباً ما قالوا: وهو ما
 بلغك عنهم من السب والطعن، ولقد نظقوا بكلمة
 الكفر: وهي سب النبي ﷺ والطعن في الدين،
 وأظهروا الكفر بعد إظهار الإسلام، وعزموا على
 ما لم يصلوا إليه وهو قتل النبي ﷺ ليلة العقبة،
 عند عودته من تبوك، وهم بضعة عشر رجلاً،
 وهموا بطرد المؤمنين من المدينة، وما عابوا وكرهوا
 وأنكروا إلا ما يستوجب الشكر والثناء، وهو إغناء
 الله لهم من فضله بالغانم، بعد أن كانوا في ضيق
 من العيش، فإن يتوبوا ويؤمنوا يكن الإيمان خيراً
 لهم، وإن يعرضوا عن الإيمان والتوبة، يعذبهم الله
 عذاباً مؤلماً في الدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة
 بعذاب النار، وما لهم في الأرض من ولي يوليهم
 ويحفظهم، ولا نصير يتصرهم ويمنعهم من
 العذاب. نزلت في المنافقين أثناء سيرهم إلى
 تبوك، حينما سبوا رسول الله ﷺ وأصحابه،

وطعنوا في الدين، فأبلغ حذيفة ما قالوا رسول الله، فقال لهم: يا أهل النفاق، ما هذا الذي بلغني عنكم؟
 فحلفوا ما قالوا شيئاً من ذلك، فنزلت الآية إكذاباً لهم.

٧٥- ومن المنافقين من عاهد الله لئن أعطانا الله من فضله وكرمه، لنخرجن زكاة المال، ولنعملن عمل
 الصالحين بإخراج كل مال يجب إخراجاً مطلقاً. نزلت في رجال من المنافقين: نبتل بن الحارث، وجد
 بن قيس، ومعتب بن قشير.

٧٦- فلما أعطاهم الله من فضله مالاً، بخلوا به فلم ينفقوا منه شيئاً كما حلفوا، وتولوا عن طاعة الله،
 وهم مدبرون معرضون عما قالوا وعاهدوا، ولم يوفوا بعهدهم.

٧٧- فأورثهم البخل نفاقاً ثابتاً متمكناً في قلوبهم إلى أن يموتوا بسبب إخلاف ما وعدوا الله من التصدق
 والصلاح، أو زادهم نفاقاً إلى يوم القيامة يوم يلقون ربهم، بسبب إخلاف الوعد وكذبهم: وهو نقض العهد
 وترك الوفاء بالتزامهم ذلك.

٧٨- ألم يعلم المنافقون أن الله يعلم ما تنطوي عليه صدورهم من الكفر والنيات السيئة، وبما يتحدثون به
 سرّاً فيما بينهم من الطعن في الإسلام والنبي ﷺ والمؤمنين، وأن الله لا يخفى عليه شيء.

٧٩- الذين يعيبون المتطوعين المؤمنين في دفع الصدقات، فإن تطوعوا بشيء يسير، قالوا: ما أغنى الله عن
 هذا! وإن تصدقوا بشيء كثير قالوا: ما فعلوا هذا إلا رياء، ويعيبون الذين لا يجدون إلا شيئاً قليلاً يتصدقون
 به هو مقدار طاقتهم، فيسخرون منهم قائلين: إن الله غني عن صدقاتهم، جازاهم الله على سخريتهم وعذبهم
 وأهانهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.



٨٠- استغفر لهم أيها الرسول أو لا تستغفر لهم، فهم ليسوا أهلاً للاستغفار ولا للمغفرة من الله، إن تستغفر لهم سبعين مرة أو أكثر، فإن الله لن يغفر لهم، بل سيعاقبهم، ذلك أي عدم قبول الاستغفار والدعاء لهم، بسبب كفرهم بالله ورسوله، وموتهم على الكفر، والله لا يوفق للخير والهداية القوم المتمردين في الكفر، الخارجين عن الطاعة.

٨١- طرب المتخلفون عن غزوة تبوك بقعودهم بعد رسول الله ﷺ عن الجهاد، وكرهوا الجهاد بالأموال والأنفس في سبيل إعلاء كلمة الله، وقال المنافقون لإخوانهم: لا تخرجوا للجهاد في وقت الحر صيفاً، قل لهم أيها الرسول: نار جهنم أشد حرّاً من حر تبوك، فإن فررتم من هذا الحر اليسير، فنار جهنم التي تدخلونها أشد حرارة مما فررتم منه من الحر، لو كانوا يدركون ويفهمون أسرار أوامر الله تعالى.

٨٢- وعاقبة أمر هؤلاء المنافقين أنهم سيضحكون ويفرحون قليلاً في الدنيا بتخلفهم عن الجهاد، ويكون كثير أفي الآخرة، لتلاعيبهم

واستهزائهم بدين الله، جزاء بما اقترفوا من الآثام والمعاصي.

٨٣- فإن ردك الله أيها النبي من تبوك إلى جماعة من المنافقين وهم الذين لم يتوبوا من نفاقهم، وتخلفوا بالمدينة عن الجهاد، فاستأذنونك للخروج معك في غزوة أخرى، فقل لهم: لن تخرجوا معي أبداً للجهاد، ولن تقاتلوا معي أبداً عدواً بأي وضع كان، عقوبة لهم وتمحراً من مفاسدهم، إنكم رضيتم بالعودة في المرة الأولى في غزوة تبوك، فاقعدوا مع المتخلفين عن الخروج من الضعفاء والنساء والأولاد.

٨٤- ولا تصل أيها النبي على أحد من المنافقين مات أبداً، وهي صلاة الجنائز، ولا تقف على قبره للدعاء له، إنهم كفروا بالله ورسوله، وكانوا خارجين عن جادة العدالة والاستقامة، وماتوا على تلك الحال. نزلت بسبب صلاة النبي ﷺ على زعيم المنافقين عبد الله بن أبي، فترك الصلاة على المنافقين بعدئذ.

٨٥- لا تستحسن ما أنعمنا به عليهم من الأموال والأولاد، إنما يريد الله أن تكون سبباً لتعذيبهم في الدنيا بالمصائب والقلق والمتاعب، وتخرج أرواحهم، ويموتوا على الكفر دون التأمل في عواقب الأمور، فيلقون في جهنم، وهؤلاء نوع آخر من المنافقين.

٨٦- وإذا أنزلت سورة من القرآن أو بعض سورة تأمرهم بالإيمان بالله والجهاد مع رسول الله، استأذنتك ذور الفضل والسعة والمقدرة على الجهاد بالنفس والمال في التخلف عن الجهاد، وقالوا: دعنا نكن مع العاجزين عن القتال المعذورين، كالضعفاء والأولاد والنساء. وهذا دليل على الجبن والذل والهوان.

أَسْتَغْفِرُكُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرُكُمْ إِنْ تَسْتَغْفِرَ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٨٠﴾ فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خَلْفَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَنْ يَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَكُونُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ إِنْ رَجَعَكَ اللَّهُ إِلَى طَائِفَةٍ مِنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُلْ لَنْ يَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَنْ يُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُمْ بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ ﴿٨٣﴾ وَلَا تَصِلْ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ مَاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَى قَبْرِهِ إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَسِقُونَ ﴿٨٤﴾ وَلَا تَجْعَلْ أَمْوَالَهُمْ وَأَوْلَادَهُمْ أَيْمَانِيذًا لِلَّهِ أَنْ يَعْذِبَهُمْ بِهَا فِي الدُّنْيَا وَتَزَمَنَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿٨٥﴾ وَإِذَا نَزَلَتْ سُورَةٌ أَنْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَجَاهَدُوا مَعَ رَسُولِهِ اسْتَأْذَنَكَ أُولُوا الطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا ذَرْنَا نَحْنُ مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٨٦﴾

رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٨٧﴾ لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَأُولَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٨٩﴾ وَجَاءَ الْمُعَذَّبُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ فَعَسَىٰ أَلَّيْكَ كَذَبُؤُا اللَّهُ وَرَسُولُهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٩٠﴾ لَيْسَ عَلَى الضَّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يَنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩١﴾ وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أُحْمِلُهُمَ أَخْلِكْكُمْ عَلَيْهِمْ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يَنْفِقُونَ ﴿٩٢﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُوكَ وَهُمْ غَائِبٌ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٩٣﴾

٨٧- رضوا بأن يبقوا مع النساء اللاتي تخلفن في البيوت، وختم الله على قلوبهم بالكفر، فلم تعد قابلة لتنفيذ الخير إليها، فهم لا يعقلون ولا يعلمون ما في الجهاد من الفضائل، وما في التخلف من النقص والمعايب.

٨٨- لكن الرسول والمؤمنون برسالته جاهدوا بأموالهم وأنفسهم، فاستحقوا الثناء والثواب العظيم، وأولئك لهم الخيرات والمنافع الجسام في الدنيا والآخرة، بالنصر والغنيمة، وجنات الفردوس الأعلى.

٨٩- أعد الله للمؤمنين المجاهدين جنات تجري الأنهار من تحت بساطينها وغرفها، ذلك هو الفوز العظيم الذي لا فوز بعده، وهو الدرجة العالية.

٩٠- وجاء المعتذرون أي بعذر صحيح من الأعراب إلى النبي ﷺ ليأذن لهم في التخلف عن غزوة تبوك، وقعد منافقوا الأعراب عن القتال من غير اعتذار، وهم الذين لم يؤمنوا ولم يصدقوا بالله ورسوله، وإنما كانوا كاذبين في ادعاء الإيمان، سيصيب الذين كفروا من الأعراب الذين اعتذروا بالأعداء الباطلة والذين لم يعتذروا عذاب مؤلم في الدنيا والآخرة. قال مجاهد: هم نفر من غفار أو من غطفان اعتذروا، فلم يعذرهم الله تعالى.

٩١- ليس هناك إثم بترك الجهاد على الضعفاء (وهم الشيوخ العجزة والنساء والصبيان) ولا على المرضى كالزمنى والعمى، ولا على الفقراء الذين لا يجدون نفقة على أنفسهم، إذا أخلصوا لله في إيمانهم به وأقروا بوحدانيته، وبالرسول نبياً فصدقوا بنبوته، وأطاعوهما في الأمر والنهي، ولم يكونوا منافقين، ليس على هؤلاء المحسنين في النصح لله ولرسوله، وهم المعذورون، من إثم ولا مؤاخذه ولا عتاب في التخلف عن الجهاد، والله غفور لهم، رحيم بهم في التوسعة عليهم وعدم تكليفهم ما لا يطيقون. نزلت الآية في أعمى جاء يسأل الرسول ﷺ عن حكم القتال في حقه، فنزلت: ﴿ليس على الضعفاء﴾.

٩٢- ولا إثم على جماعة من الأنصار طلبوا من النبي ص ما يركبونه من الدواب للمشاركة في الجهاد، فلما قلت لهم: لا أجد ما أحملكم عليه من الإبل أو غيرها، انصرفوا ليكون حزننا؛ لأنهم لم يجدوا ما ينفقون على أنفسهم في الجهاد لفقركم، لا عندهم ولا عند غيرهم. نزلت في جماعة البكائين سبعة من الأنصار، قالوا للرسول: أحملنا، فقال: والله ما أجد ما أحملكم عليه، فتولوا ولهم بكاء، وعز عليهم أن يحبسوا عن الجهاد، ولا يجدوا نفقة ولا محملاً، فأنزل الله عذرهم.

٩٣- وإنما طريق العقوبة والمؤاخذه على الذين يستأذنونك في التخلف عن الجهاد، وهم يملكون المال والقدرة على القتال، رضوا بأن يكونوا مع المتخلفين لعذر كالنساء، وأعيد هذا لزيادة توبيخهم، ووصفهم بأنهم كالنساء، وفي هذا مهانة شديدة عند العرب، وختم الله على قلوبهم فلم يبصروا الحق، وهم لا يعلمون فضائل الجهاد ومخازي التخلف عن لقاء العدو، ولا يدركون المنافع لتقدم على الخسائر.



٩٤- هؤلاء المنافقون المتخلفون سوف يعتذرون إلى المؤمنين في التخلف بعد عودتهم من غزوة تبوك، قل لهم أيها النبي: لا تعتذروا بأبي عذر، فلن نصدقكم؛ لأنه قد أعلمنا الله بالوحي حقيقة أمركم وحالكم، وسيرى الله ورسوله فيما بعد عملكم، أنتوبون من النفاق أم تبقون عليه؟! وهذه فرصة للتوبة، ثم ترجعون بعد الموت والبعث إلى الله عالم الغيبيات والحسيات، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها بالتوبيخ والعقاب. نزلت في ثمانين رجلاً من المنافقين، أمر النبي ﷺ المؤمنين لما رجعوا إلى المدينة بالأبلا يجالسوهم ولا يكلموهم.

٩٥- سيحلفون بالله لكم لتأكيد أذارهم الباطلة إذا رجعتم إليهم ووصلتم من تبوك، لتتركوهم وتصفحوا عنهم، ولا توبخوهم ولتظهروا الرضا عنهم، فاتركوهم واهجروهم من غير توبيخ، ولا تجالسوهم، إنهم خيلاء قذرون، وأعمالهم نجسة قبيحة، ومصيرهم ومكان ابوتهم النار، جزاء بما اترفوا من الآثام والخطايا.

٩٦- يحلف هؤلاء المنافقون لكم أيها المؤمنون أيماناً كاذبة لاسترضانكم واستدامة معاملتهم، فإن رضيتم عنهم وعذرتموهم، فإن الله ساخط على القديم المتمردين الخارجين عن طاعته، ولا ينفعهم رضاكم.

٩٧- أهل البادية أو البدو العرب أشد كفراً ونفاقاً من كفر ونفاق غيرهم، لقسوة قلوبهم، وغلظ طبائعهم، وجهلهم وبعدهم عن العلم والمدينة، فمن استوطن القرى العربية فهو عربي، ومن سكن البادية فهو أعرابي، وهم أولى أو أخرى بالأبلا يعرفوا حدود الله من الشرائع والأحكام، لغربتهم عن تعاليم ومواطن الأنبياء، والله عليم بأحوالهم، حكيم في تديير أمور خلقه. نزلت في أعراب من أسد وغطفان، وفي أعراب حاضري المدينة.

٩٨- وبعض الأعراب المنافقين يعدُّ إنفاقه في سبيل الله غرامة وخسراناً؛ لأنه لا يعتقد بالثواب عليه، وإنما يدفعه رياء وتقية، ويتنظر بكم ما يدور به الزمان من المصائب، فيتخلص من الإنفاق، عليهم مصائب الدهر من الهزيمة والبلاء وما يسوء الإنسان، وهو دعاء مماثل لما ترقبوه بالمسلمين، والله سميع لأقوالهم، عليم بأفعالهم ونواياهم الخبيثة.

٩٩- وهناك نوع ثان من الأعراب مثل جهينة ومزينة، يصدقون بالله وبآخרתه، ويجعل ما ينفقه من ماله في سبيل الله قُربات يتقرب بها إلى الله تعالى، وللوصول إلى استغفار الرسول ودعائه بالخير له، ألا إن نفقاتهم ودعوات الرسول قرابة لهم مقبولة عند الله تعالى، سيدخلهم الله فسيح جنانه، إن الله غفور للظالمين، رحيم بهم. نزلت في بني مقرر الذين نزلت فيهم: ﴿ولا على الذين إذا ما أتوك لتحملهم﴾ [التوبة

يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُلْ لَآتَمْتَدِرُوا
لَنْ تُؤْمِنُوا لَكُمْ قَدْ نَبَأَ اللَّهُ مِنْ أخبارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ
عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ يُنْمِزُوكُمْ وَإِنَّ عَلِيمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فِيئْتِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٤﴾ سَيَحْلِفُونَ بِالله لَكُمْ إِذَا
أَنْقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لَنُعْضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رَجِسٌ
وَمَا أُنْهَى عَنْهُمْ مِنْ جَزَاءِ بَمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾ يَحْلِفُونَ
لَكُمْ لَنُرْضُوا عَنْهُمْ فَإِنْ تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ الله لَا يَرْضَى
عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٩٦﴾ الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا
وَأَجْدَرُ الْأَيْمَانُ أَوْ حُدُودُ مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى رَسُولِهِ
وَاللهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٩٧﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يَتَّخِذُ
مَا يَنْفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمْ الدَّوَابِرَ عَلَيْهِمْ كَذِبرَةٌ
السَّوءِ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٩٨﴾ وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَنْ يُؤْمِنُ
بِاللهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَرَضِيَ وَاللَّيْفُ قُرْبَتٌ عِنْدَ اللهِ
وَصَلَوَاتُ الرُّسُلِ إِلَّا إِنهَا قُرْبَةٌ لَهُمْ
سَيَدْخُلُوهَا اللهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٩٩﴾

١٠٠- والسابقون الأولون إلى الإيمان والهجرة والنصرة والإنفاق من الصحابة المهاجرين والأنصار والتابعون لهم الذين اتبعوا السابقين الأولين في الإيمان ونصرة الدين والطاعة، قبل الله طاعتهم وارتضى أعمالهم ولم يسخط عليهم، ورضوا عن الله بما أفاض عليهم من نعمه وفضله، وأعد لهم جنات تجري من تحت بسائحتها وغرفها الأنهار، ماكين فيها على الدوام، ذلك الرضا هو الفوز العظيم الذي لا يعادله فوز آخر. وهذه شهادة من الله للصحابة والتابعين ويشري لهم بالجنة.

١٠١- وبعض الأعراب حول أهل المدينة منافقون: أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، وكذلك بعض أهل المدينة قوم مرونا على النفاق، حتى خفي أمرهم على النبي ﷺ، لا تعلمهم أنت أيها النبي لمهارتهم في النفاق، نحن نعلمهم وسنعرفك بهم، سنعذبهم عذاباً مضاعفاً مرتين: بالفضيحة وكشف نفاقهم وتراكم المصائب، وتعذيبهم عند الموت وفي القبر، ثم يردون في الآخرة إلى عذاب شديد هو عذاب النار في الدرك الأسفل. نزلت في عبد الله بن أبي، وجد بن قيس، ومعتب بن قشير، والنجلاس بن سويد، وأبي عامر الراهب، من قبائل جهينة ومزينة وأشجع وأسلم وغفار من أهل المدينة وما حولها.

وَالسَّادِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٠١﴾ وَعَمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مَنْفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُّوا عَلَىٰ النَّفَاقِ لَا يَتْلُمُونَكُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَاعِدٌ مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يَرُدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٢﴾ وَآخَرُونَ اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَسَاتًا عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠٣﴾ خُذْ مِنْ مَّا مَلَكَتْ يَدَاكَ مِن صَدَقَاتِهِ وَتَرْكِبْهَا وَصَلِّ عَلَيْهَا إِنَّ صَلَاتَكَ سَكَنٌ لَّهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُ هُوَ قَبِلَ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَأَخَذَ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٥﴾ وَقُلْ أَعْمَلُوا سِرِّي اللَّهُ عَسَاكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَلِيِّ وَالشَّهَادَةِ فَبَيِّنْكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٠٦﴾ وَآخَرُونَ مُّرْجُونَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِنَّمَا يَعْزُبُ عَنْهُ مَّا آتَا تَوْبَةً عَلَيْهِمْ وَأَنَّهُ عَلَيْهِ حَكِيمٌ ﴿١٠٧﴾

١٠٢- وجماعة آخرون من أهل المدينة تخلفوا عن الجهاد لغير عذر، وأفروا بجمعهم، وخلطوا عملاً صالحاً لهم: وهو التزام شرائع الإسلام، بعمل سيء: وهو التخلف عن غزوة تبوك، ثم تابوا من هذا الفعل، لعل الله أن يقبل توبتهم، فهم تحت عفوه الله، إن الله غفور لمن تاب، رحيم بمن أحسن وأتاب. نزلت في أبي لبابة وخمسة معه، أو فقوا أنفسهم بسواري المسجد، حتى يطلقهم رسول الله ويعذرهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، فاطلقهم النبي ﷺ وعذرهم، فقالوا: يا رسول الله، هذه أموالنا فتصدق بها عنا واستغفر لنا، فقال: «ما أمرت أن أخذ من أموالكم شيئاً، فأنزل الله تعالى: ﴿خذ من أموالهم صدقة﴾ الآية التالية.

١٠٣- خذ أيها النبي من أموال المسلمين صدقة الفرض، تكون سبباً في تطهيرهم من أثر الذنوب، وتُتمي في نفوسهم فعل الخير، وادع لهم واستغفر، إن دعاءك واستغفارك سبب لتسكين نفوسهم، والله سميع لاعترافهم ودعائك لهم. والآية وإن كانت لسبب خاص، فهي عامة لجميع الأموال والناس؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

١٠٤- ألم يعلم هؤلاء التائبون وجميع المؤمنين أن الله يقبل التوبة الصادقة لعباده التائبين، لاستغفاته عن الطاعة وعدم مبالاته بالمعصية، ويتقبل الله الصدقات منهم ويضاعف ثوابها، وأن الله هو كثير القبول للتوبة، كثير الرحمة بالتائبين.

١٠٥- وقل أيها الرسول للتائبين وغيرهم: اعملوا الخير وأخلصوا العمل لله، فسرى الله عملكم خيراً أو شراً، وسرى ذلك أيضاً الرسول والمؤمنون، وسترجعون بعد الموت لعالم كل ما غاب وما حضر، فيخبركم بأعمالكم ويجازيكم عليها.

١٠٦- وجماعة آخرون من المتخلفين مؤجلون لحكم الله فيهم، وهم ثلاثة أجزوا توبتهم، إما أن يعذبهم الله إن بقوا على ما هم عليه، وإما أن يتوب عليهم إن تابوا وأصلحوا وأخلصوا، والله عليم بما في قلوبهم، حكيم في قضائه عليهم. نزلت في كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومرارة بن الربيع، من الأنصار، تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً نفاقاً.

١٠٧- ومن منافقي أهل المدينة وهم اثنا عشر بنوا مسجد الضرار أي الإصرار بمسجد قباء، في ضواحي المدينة، لكيد المؤمنين والتأمر عليهم، ولإيجاد الفرقة والاختلاف بين المؤمنين، وانتظاراً لقدم من حارب الله ورسوله من قبل بناء هذا المسجد، وهو أبو عامر الراهب الذي طلب من قيصر الروم مساعدته لقتال المسلمين، وأمر ببناء هذا المسجد، وليلحقن هؤلاء المنافقون أنهم ما أرادوا ببناء المسجد إلا فعل الخير وتسهيل أداء الصلاة على الضعفاء والعجزة ومن يمنعه المطر والحرق، والله يشهد على كذبهم فيما حلفوا. نزلت في بني غنم بن عوف من الخنزرج الذين بنوا مسجد الضرار بأمر أبي عامر الراهب، حسداً لما فعله بنو عمرو بن عوف من الأوس من بناء مسجد قباء، وطلبوا من الرسول ﷺ أن يصلي فيه كما صلى في مسجد قباء، فاعتذر حتى يعود من تبوك، فنزل عليه القرآن بخبر مسجد الضرار، فأمر بهدمه وإحراقه.

١٠٨- لا تصل أبداً أيها الرسول في مسجد المنافقين، إن مسجد قباء الذي أسس على التقوى من أول يوم دخل فيه النبي المدينة مهاجراً، أولى بأن تقوم فيه مصلياً من مسجد الضرار، فيه رجال من الأنصار يحبون أن يتطهروا بالطهارتين الحسية (بالوضوء

ونحوه) والمعنوية بإزالة آثار الذنوب، والله يرضى عن المتطهرين المبالغين في الطهارة ويشيهم. نزلت هذه الآية في أهل قباء: ﴿فيه رجال﴾ كانوا يستنجون بالماء، رجالاً ونساء.

١٠٩- لا يستوي من أسس بنيانه على قاعدة متينة، وهي تقوى الله ورضوانه، ومن بنى مسجداً ضراراً وكفراً، معرضاً للانهدام، على جانب الوادي الذي ينحفر بالماء، المشرف على السقوط، فإذا انهار أو سقط فإنما ينهار بيانه في قعر جهنم، والله لا يوفق الكافرين المفسدين إلى طريق الحق والسعادة.

١١٠- لا يزال بناء المنافقين مسجد الضرار وهدمه سبباً للشك والخيرة وتزايد النفاق، فإن البناء يجسد طبيعة النفاق والكفر، والهدم يؤدي للتصميم على الكفر ومقت الإسلام وحسرة صدورهم على الدوام، إلى أن يموتوا أو يقتلوا غماً وحزناً، والله عليهم بأفعال عباده، حكيم في تدبير خلقه وجزائهم على أعمالهم خيراً أو شراً.

١١١- بعد بيان فضائح المنافقين، أبان الله فضيلة الجهاد، فهو مبادلة على النفوس والأموال بالجنة، فإن الله جعل ثواب المجاهدين هو الجنة، فهم يقاتلون من أجل إعلاء كلمة الله ودينه، فيقتلون الكفار في الحرب أو يستشهدون، وعدهم الله بالجنة وعداً حقاً ثابتاً في كتبه المنزلة: التوراة، والإنجيل، والقرآن، ولا أحد أوفى بالعهد وإنجاز الوعد الصادق من الله الذي لا يخلف الميعاد، فأظهروا السرور أيها المجاهدون بهذا البيع أو المبادلة، فإنه صفقة رابحة، وذلك الفوز بالجنة هو الفوز العظيم الذي لا فوز أعظم منه. نزلت لما بايع سبعون رجلاً من الأنصار رسول الله ص في بيعة العقبة الثانية الكبرى على عبادة الله وحده وترك الشرك به، والدفاع عنه كما يدافعون عن أنفسهم وأموالهم، وكان الثمن هو الجنة، فقالوا: ربح البيع لا نقيل ولا نستقيل، أي لا ننقض العهد ولا نطلب التراجع عنه.

وَالَّذِينَ آخَذُوا مِيثَاقًا مَعَنَا وَكَفَرُوا وَقَفَّيْنَا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ
وَالضَّالِّينَ حَارِبًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ
إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحِسْبَةَ وَاللَّهُ يَشْهَدُ أَنَّهُمْ كَاذِبُونَ
﴿١٠٧﴾ لَا تَقْرَأُ فِيهِ أَبَدًا مَشْحُودًا سَسَّ عَلَى التَّقْوَى مِنْ أَوْلَى
يَوْمٍ أُخِرَ أَنْ تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَنْ يَتَّخِذُوا
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُطَهَّرِينَ ﴿١٠٨﴾ أَفَمَنْ أَسَّسَ بَيْتَهُ عَلَى تَقْوَى
مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرًا مِمَّنْ أَسَّسَ بَيْتَهُ عَلَى شَفَا جُرُفٍ
كَارٍ فَاتَّهَارَ بِهِ فِي نَارِ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الضَّالِّينَ ﴿١٠٩﴾ لَا يَزَالُ بَيْنُهُمُ الَّذِي بَنُوا رِيضَةً فِي قُلُوبِهِمْ
إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١١٠﴾ إِنْ اللَّهُ
أَشَاءَ لَيَمَسَّنَّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ
لَهُمُ الْجَنَّةَ يَنْتَسِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ
وَيُقْتَلُونَ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ وَالْقُرْآنِ
وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمْ
الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١١١﴾



التَّائِبُونَ الْعَادِمُونَ الْحَامِدُونَ أَلَسْتَبْحِرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَلَسْتَبْحِرُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ
 الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿١١٢﴾ مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا
 لِلشُّرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمْ أَنَّهُمْ
 أَصْحَابُ الْحَيْبَةِ ﴿١١٣﴾ وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَاهِيمَ لِأَبِيهِ
 إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَا إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ
 تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ ﴿١١٤﴾ وَمَا كَانَ لِلَّهِ
 أَنْ يُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَاهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُمْ مَا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ
 بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١٥﴾ إِنَّ اللَّهَ لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ
 وَالْأَرْضِ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ
 وَلَا نَصِيرٍ ﴿١١٦﴾ لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ
 وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ
 مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ
 سُوْرَتَابِ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾

١١٢- هؤلاء المؤمنون المجاهدون الموعدون
 بالجنة هم التائبون من المعاصي، المخلصون العبادة
 لله تعالى، الحامدون الله على كل حال في السراء
 والضراء، المجاهدون أو الصائمون والمفكرون في
 آيات الله، والراكون الساجدون، الأمرين بما أمر
 به الشرع من الإيمان والطاعة والخلق الكريم،
 الناهون عما أنكره الشرع من الكفر والعصيان
 والفواحش، القائمون بحفظ الشرائع والتزام
 الأحكام، وبشر أيها النبي المؤمنين بالجنة، قال ابن
 عباس: من مات على هذه التسع فهو في سبيل الله
 تعالى.

١١٣- ما كان ينبغي للنبي والمؤمنين أن يطلبوا
 المغفرة للمشركين ولو كانوا أقرباء لهم، من بعد ما
 ظهر لهم أنهم أصحاب النار بموتهم على الكفر.
 نزلت في رجل يستغفر لأبويه، وهما
 مشركان. وهي تتضمن تحريم الاستغفار
 للكفار والدعاء لهم بالنجاة والرحمة.

١١٤- لم يكن استغفار إبراهيم عليه السلام
 لأبيه الكافر إلا بناء على وعد سابق وعد به أباه قبل
 أن يتبين أنه من أهل النار ومن أعداء الله، في قوله تعالى: ﴿لَا اسْتَغْفِرَنَّ لَكَ﴾ [المتحنة ٦٠/٤] فلما ظهر
 لإبراهيم أن أباه عدو لله بإصراره على الكفر، تبرأ منه وترك الاستغفار له، إن إبراهيم كثير التآؤد والتضرع
 والخضوع لله، صفوح عن الذنوب، صبور على الأذى.

١١٥- وما كان في حكم الله ليعامل قوماً معاملة الضالين ويؤاخذهم ويعاقبهم، بعد أن هداهم للإيمان،
 حتى يبين لهم ما يجب عليهم اتقاؤه من المحرمات، إن الله عليم بكل شيء مما يحدث من استقامة وعصيان،
 ومغفرة وعقاب، فإذا لم يتق الناس ربهم، حكم عليهم بالضلال، واستحقوا الإضلال، ولا إثم ولا مؤاخذة
 عليهم قبل البيان.

١١٦- إن لله ملك السموات والأرض وما بينهما، وله السلطان المطلق عليهما، وليس لكم أيها البشر من
 غير الله أحد يحفظكم ويتولى أموركم، وينصركم في وقت المحنة، ويمنع عنكم الضرر.

١١٧- لقد تاب الله على النبي في الإذن لبعض المنافقين بالتخلف عن الجهاد، وفي الاستغفار لبعض
 المشركين، وتاب أيضاً على المهاجرين والأنصار الذين جاهدوا مع النبي ولم يتخلفوا عنه في وقت الشدة في
 غزوة تبوك، فيما وقعوا فيه من أخطاء وذنوب، من بعد ما كاد يزيغ قلوب بعضهم، إذ هموا بالتخلف عن
 الجهاد في وقت الحر الشديد وقلة الزاد والماء، حتى تقاسم الرجال التمرة، وتعاقب الرجال العشرة على بعير
 واحد، ثم تاب الله عليهم إذ تبتهم على الإيمان الحق، بعد توبتهم الصادقة، إن الله رؤوف رحيم بالتائين.

١١٨- وتاب الله على الثلاثة الذين تخلفوا عن غزوة تبوك كسلاً، لا نفاقاً، وهم كعب بن مالك، وهلال بن أمية، ومُرارة بن الربيع، ولم تكن قد قبلت توبتهم في الحال كما قبلت توبة المتخلفين المعذورين، حتى إذا ضاقت عليهم الأرض مع سعتها ورحابتها، وضاقت صدورهم من شدة الهم والغم والجفوة، وعلموا أن لا نجاة ولا ملجأ لهم من عذاب الله إلا بالتوبة والاستغفار، ثم وفقهم للتوبة ليكونوا في عداد التائبين المستقيمين، وليداوموا على التوبة، إن الله كثير القبول للتوبة كثير الرحمة بالتائبين. نزلت في شأن هؤلاء الثلاثة، وفيها عبرة وعظة للمؤمنين حيث صدقوا العهد مع الله، وترجعوا عن خطئهم، وأقروا بأن تخلفهم من غير عذر.

١١٩- يا أيها المؤمنون، خافوا الله باتباع أوامره واجتتاب نواهيه، والزموا الصدق في الإيمان قولاً وعملاً.

١٢٠- ما جاز ولا صح لأهل المدينة ومن حولهم من المجاورين من أعراب البادية، كمزينة وجهينة وأشجع أن يتخلفوا عن رسول الله في غزوة تبوك وغيرها، ولا يؤثروا أنفسهم ويحبوا لها الدعة والراحة والمحافظة عليها، ويقدموها على حفظ نفس النبي ﷺ، ذلك النهي عن التخلف بسبب أنهم لا يتعرضون لشيء من العطش والتعب والجوع من أجل رضوان الله وإعلاء دينه وجهاد أعدائه، ولا يدوسون بأقدامهم أو خيولهم مكاناً من أمكنة الكفار التي تغضبهم، ولا ينالون من عدو شيئاً من المال أو القتل أو الأسر، إلا دون لهم في صحائف أعمالهم عملاً حسناً مقبولاً ذا ثواب جزيل، إن الله يحفظ ولا يضيع ثواب المحسنين أعمالهم.

١٢١- ولا ينفقون في سبيل الله نفقة قليلة أو كثيرة، ولا يجتازون وادياً بين جبلين في طريقهم إلا كتب لهم ثوابه الحسن، ليجزيهم الله به أحسن الجزاء.

١٢٢- لا ينبغي للمؤمنين أن ينفروا جميعاً للقتال (وقيل: أن ينفروا لطلب العلم)، ويتركوا المدينة خالية، بل تنفر جماعة من كل قبيلة، وتبقى جماعة أخرى للتفتح في الدين وتعلم علوم الشريعة، وإنذار قومهم إذا عادوا إليهم بتعليمهم ما تعلموه من أحكام الحلال والحرام، ليحذروا عقاب الله، بامتنال أمره ونهيهِ. نزلت حين كان المؤمنون، لحرصهم على الجهاد، إذا بعث رسول الله ﷺ سرية، خرجوا فيها، وتركوا النبي ﷺ بالمدينة في عدد قليل من الناس.

وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ
الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَن
لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ
الْقَوَّامُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾ يٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ
وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ
حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَخْلَفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا
بِأَنفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَٰلِكُمْ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا
نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا
يَغِيبُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نِيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ
عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْحَسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلَا يَتَّقُونَ
نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا
كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٢١﴾
﴿١٢٢﴾ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَآفَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِنْ كُلِّ
فِرْقَةٍ مِنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا
قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٣﴾



يَتَّيَبُهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلِجِدُوا فِيكُمْ غِلظَةً وَعَلِمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿١٢٣﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيْكُمُ زَادَتْهُ هَذِهِ آيَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَرَأَدَتُهُم آيَاتٌ وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ﴿١٢٥﴾ أُولَئِكَ يَفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَكَّرُونَ ﴿١٢٦﴾ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَى لَكُمْ مِنْ أَحَدٍ شَيْءًا فَصَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بَأْتَهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٢٧﴾ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿١٢٩﴾



١٢٣- يا أيها المؤمنون إذا توافرت شروط القتال ومقتضياته، فابدؤوا بقتال الأقرب فالأقرب إلى ديار الإسلام، من الكفار، وليجدوا في قتالهم شدة وخشونة، وجرأة وصبراً على القتال، واعلموا أن الله مع المتقين بالنصر والحراسة والإعانة.

١٢٤- وإذا أنزلت عليك أيها الرسول سورة قرآنية، فمن المنافقين من يقول لصحبه استهزاء: أيكم زادته هذه السورة إيماناً بالله؟ فأما المؤمنون فزادتهم السورة تصديقاً بالله وبكتابه، وهم يفرحون بتزولها وما اشتملت عليه من المنافع.

١٢٥- وأما المنافقون، فزادتهم السورة المتزلة شكاً وكفراً ونفاقاً إلى نفاقهم، وخبثاً إلى خبثهم، وماتوا على الكفر.

١٢٦- أو لا يرى المنافقون أن الله يختبرهم بالجهاد مع النبي ﷺ كل عام مرة أو مرتين؟ ثم لا يتوبون من نفاقهم، ولا يتعظون من افتضح أمرهم، ومعاينة انتصار الرسول ﷺ.

١٢٧- وإذا أنزلت سورة تبين مخازي المنافقين وعيوبهم، نظر بعضهم إلى بعض للتأمر على الهروب من مجلسه ﷺ، قائلين: هل يراكم أحد المؤمنين إن هربتم أو تسلتم؟ ثم انصرفوا من المجلس متسللين إلى منازلهم خوف الفضيحة، صرف الله قلوبهم عن الخير والرشد والهداية والإيمان، بسبب أنهم قوم لا يفهمون القرآن فهماً واعياً ومقبولاً، ولا يدركون الحق لعدم تدبرهم.

١٢٨- لقد جاءكم أيها العرب رسول من جنسكم ومنكم، شديد وشاق على نفسه عنتكم، أي تعيبكم ومشقتكم بعذاب الدنيا أو بعذاب الآخرة، حريص على إيمانكم وإبعادكم من النار، كثير الرأفة والرحمة بالمؤمنين، والرأفة أخص من الرحمة، فهي تكون مع الضعف والرقه، تزيل سبب البلاء، والرحمة فيها إحسان وعطاء.

١٢٩- فإن أعرضوا عن الإيمان برسالتك، فقل أيها الرسول: يكفيني الله ناصرًا ومعينًا، فهو المتفرد بالألوهية، فوُضعت أموري إليه، وهو رب الكرسي الذي هو أعظم المخلوقات، فالعرش مخلوق لا يدري عظمته وحقيقته سوى الله تعالى، تؤمن به على ما جاء في القرآن من غير تشبيه بشيء معروف. وتأوله بعضهم بأنه صاحب الملك والسلطان الذي يُحكّم به على كل شيء، ويُدبّر به كل أمر.

سورة يونس

١- ﴿الر﴾: تنطق ساكنة الآخر كما تنطق سائر الحروف الأبجدية، ألف، لام، را، وهي للتحمدي والتنبيه على إعجاز القرآن الكريم ما دام مكون الألفاظ من أحرف اللغة التي ينطق بها العرب ويكتبون. تلك الآيات الموحى بها آيات القرآن المحكم فيما تضمنه من حلال وحرام وحدود وأحكام.

٢- أكان إبحاؤنا إليك القرآن مدعاة لعجب مشركي العرب خاصة؟ وليس في ذلك عجب، فهو إبحاء إلى رجل من جنسهم من البشر، وكأنهم يريدون رسولا من غير جنسهم، ولو كان من الملائكة أو الجن لما تحقق المقصود من الإرسال؛ لأنهم لا يأتسون إليه، وقلنا لهذا الرجل الذي يعرفون صدقه: أن أنذر الناس العصاة بالنار، ويشر المؤمنين بهذا القرآن بأن لهم منزلة رفيعة عند ربهم، ولما سمع الكفار بعض آيات القرآن، قالوا: إن هذا الرجل- أي محمد ﷺ- ساحر واضح ظاهر، قال ابن عباس: لما بعث الله تعالى محمدا ﷺ رسولا، أنكرت العرب ذلك، أو من أنكروا منهم، فقالوا: الله أعظم من أن يكون رسوله بشرا مثل محمد، فأنزل الله عز وجل: ﴿أكان للناس عجباً؟﴾.

٣- أخبرهم أيها النبي بأن ربكم هو الله، الذي أوجد السموات والأرض في أيام ستة، ثم استوى على العرش استواء يليق بعظمته وجلاله، والعرش: مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا ندري حقيقته، يدبر أمر الخلاق وحده، ليس لأحد يوم القيامة أن يشفع لأخر إلا بشرطين: إذنه تعالى للشافع، ولا يأذن إلا لمن رضيه، بمقتضى حكمته، وهذا دليل على استقلال الله بالأمر كلها، ذلكم الله وحده ربكم، الذي لا يشاركه أحد في الألوهية والربوبية والتدبير، فاعبدوه وحده، أفلا تفكرون في أن هذا الخالق المدبر هو الذي يعبد وحده؟!.

٤- إلى الله تعالى مصيركم جميعاً أيها الناس يوم القيامة، وإرجاعكم بالبعث والحساب: وَعُدُّنَا تَعَالَى، صادق لن يخلفه، إنه سبحانه يبدأ الخلق (المخلوقات) من التراب، ثم يعيده إلى الحياة بعد الموت للجزاء يوم القيامة، فيثيب المؤمنين الذين عملوا صالح الأعمال بالعدل الذي لا جور فيه، ويكون للكافرين في جهنم شراب شديد الحرارة، وعذاب شديد الألم.

٥- الله جعل الشمس مضيئة، والقمر منوراً، والفضياء: ما كان من ذات الشيء، والنور: ما كان حادثاً من غير الذات، ونور القمر مستفاد من ضوء الشمس، وقدّر مسير القمر في منازل هي ثمان وعشرون منزلة، والمنزلة: المسافة التي يقطعها بحركته في يوم وليلة، لتعلموا بذلك حساب الأوقات، فبالشمس تعرف الأيام، وبالقمر تعرف الشهور والأعوام، ما خلق الله السماء والأرض وما بينهما إلا خلقاً ملبساً بالحق، لحكمة، لا عبثاً، يبين الآيات الدالة على وحدانيته وقدرته لقوم يتأملون ويتدبرون.

٦- إن في تبدل الليل والنهار طولاً وقصراً، وتعاقبهما بدقة، وما خلق الله في السموات والأرض من مخلوقات لعلامات دالة على وجود الله وقدرته و وحدانيته، لقوم يتقون مخالفة سنن الله التكوينية والتشريعية.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّبِّكَ أَيُّدُ الْكِبْرِ الْحَكِيمِ ١ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ رَجُلٍ مِنْهُمْ أَنْ أَنْذِرِ النَّاسَ وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْ لَهُمْ قَدَمٌ صَدَقَ عِنْدَ رَبِّهِمْ قَالَ الْكَافِرُونَ إِنَّ هَذَا لَسَعْرٌ مُّبِينٌ ٢ إِنَّ رَبَّكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُدِيرُ الْأَمْرَ مَا مِنْ شَيْءٍ إِلَّا أَمِنْ عِنْدَ رَبِّهِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ٣ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ٤ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا أَنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يَعِيدُكُمْ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ٥ هُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ سَيِّئًا وَالنَّهَارَ نورا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدْدَ اللَّيْلِينَ وَالْحَسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا لِتَحْسَبُوا لآيَاتِ لِقَوْمٍ يُعْلَمُونَ ٦ إِنَّ فِي خَلْقِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ٧

٧- إن الذين لا يتوقعون لقاءنا خوفاً أو طمعاً لإنكارهم البعث، ورضوا بالمقام في الحياة الدنيا عن الآخرة، وسكنت أنفسهم إليها، وإلى لذائذها، والذين هم تاركو النظر في آياتنا الدالة على وحدانيتنا وقدرتنا، لا يتفكرون فيها.

٨- أولئك مقرّ إقامتهم النار بسبب ما اكتسبوا من الكفر والمعاصي والتكذيب بالآخرة.

٩- إن الذين صدّقوا بالله، وعملوا صالح الأعمال يرشدهم ربهم بسبب إيمانهم إلى الجنة، تجري الأنهار من تحت بساتينهم وغرفهم، في جنات النعيم المطلق والخلود. وهذا مثل التنعم والسعادة في ذلك المقام.

١٠- دعاؤهم في مناجاة ربهم في الجنة: هو تسبيح الله (أي تنزيهه عما لا يليق بعظمته) وتقديسه، وتحييتهم في الجنة من ربهم وملائكته: سلام، وخاتمة دعائهم الذي هو التسبيح قولهم: الحمد لله رب العالمين الذي أنعم علينا بهذه الخاتمة الحميدة من الرضوان والجنة.

إِنَّا الَّذِينَ لَآرْجُونَ لِقَاءَ نَاوَرِضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنَّنُوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلَتِنَا غَافِلُونَ ﴿٧﴾ أُولَٰئِكَ مَا لَهُمْ مِنَ النَّارِ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨﴾ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بَهْدِهِمْ رَبُّهُمْ بِإِعْلَافَتِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتٍ لِّتَمِيهِمْ دَعْوَاهُمْ فِيهَا سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَامٌ وَأَخْرَجْنَاهُمْ أَنْ آمَنُوا رَبَّنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ وَلَوْ يَحِثُّ اللَّهُ لِلنَّاسِ لَسَرَّ أَنْ يَسْتَجِيبَهُمْ بِالْخَيْرِ لَقَضَىٰ إِلَيْهِمْ أَجْلَهُمْ فَذَرْنَا الَّذِينَ لَآرْجُونَ لِقَاءَ نَاوَرِضُوا فِي طَعْنِهِمْ يَمْمُحُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ الضُّرُّ دَعَا الْغَافِلِينَ ﴿١١﴾ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَائِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ صُورَهُ مَرَّ كَأَنْ لَوِ دُعِيَ إِلَىٰ صُرْمَتِهِ كَذَلِكَ نُزِّنُ لِلْمُؤْمِنِينَ مَا كَانُوا يَمْنُونُ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ أَهَلَكْنَا الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَاءَهُمْ نَهْرٌ مِّنْ سُلَيْمٍ وَأَلْبَتُّ وَمَا كَانُوا يُؤْمِنُونَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْغَافِلِينَ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ مِنْ بَعْدِهِمْ لِنَنْظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾

١١- ولو يعجل الله للناس الشر أو العقوبة كما يطلبون، كاستعجالهم بالخير والثواب، لهلكوا وماتوا، فترك الذين لا يتوقعون لقاءنا وكفروا بالبعث والحساب يتحIRON ويرددون في تمردهم وكفرهم وتكبرهم ورفضهم الحق، ولا يهتدون إلى صواب.

١٢- وإذا أصاب الكافر الشدة من مرض أو فقر أو خطر، دعانا لإزالة الضر عنه في كل حال من أحواله، مضطجعا لجنبه، أو قاعداً في بيته، أو قائماً على قدمه- وهذا يدل على شدة حيرته وقلقه- فلما أزلنا عنه الضر والجهد الذي نزل به، مضى على طريقته التي كان عليها من الكفر، ونسي حالة الجهد والبلاء، وكأنه لم يدعنا لكشف الضر الذي أصابه، وكما نُزِّنُ له الإعراض عند الرخاء، نُزِّنُ للمشركين والكفار المتجاوزين الحد الإعراض عن الدعاء، والانشغال بأعمال المعاصي والشهوات.

١٣- ولقد أهلنا الأمم الماضية من قبلكم يا أهل مكة حينما ظلموا أنفسهم بتكذيب الرسل والانغماس في المعاصي، وجاءتهم رسلهم المرسلون إليهم بالمعجزات والآيات الواضحات الدالة على صدقهم، وما كانوا يؤمنون حقاً برسلهم، مثل ذلك الجزاء وهو إهلاكهم بسبب الكفر وتكذيب الرسل، نجزي القوم الكافرين. وهذا وعيد شديد لكفار مكة وأمثالهم.

١٤- ثم جعلناكم معشر الناس خلفاء من هلكوا لإفسادهم، لننظر كيف تعملون حيثئذ من خير أو شر، فنجازيكم على أعمالكم.



١٥- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن المشبهة للتوحيد والمبجلة للمشرك، قال الذين لا يتوقعون لقاءنا المنكرون للمعاد: ائت بغير هذا القرآن جميعه الذي يعيب آلهتنا ويذم الأوثان، أو بدله بنفسك بحيث يتلاءم مع أهدافنا ولا يعيب آلهتنا، قل لهم أيها الرسول: ما يصح وما يحل لي أن أبدله من تلقاء نفسي ويبرادتي؛ لأنه كلام الله ووحيه المنزل، فالله هو الذي يأمر بتبديله، وليس لي إلا تبليغ الوحي به، إني أخاف إن بدلت أمر ربي أو بدلت وحيه عذاب يوم القيامة. وهذا هو الرد الأول على طلب تعديل القرآن أو تبديله، مبتدئاً بأقرب المذكور، ولقصر الرد. قال مجاهد: نزلت في مشركي مكة. وقال الكلبي: نزلت في المستهزئين، قالوا: يا محمد، ائت بقرآن غير هذا، فيه ما نسألك.

١٦- والرد الثاني على طلب الإتيان بغيره، قل لهم أيها الرسول: لو أراد الله ألا أتلهو عليكم ولا أبلغه لكم، لفعلت، ولو شاء الله ما أعلمكم بالقرآن عن طريقي، فقد مكثت فيكم زماناً طويلاً من قبل نزوله، وهو أربعون سنة، لم تجربوا علي كذباً، ولم تكن عندي قدرة على كلام كهذا، لعدم قراءتي الكتب المنزلة على الرسل، ثم أوحى الله علي هذا الكتاب

الذي عجزتم عن معارضته والإتيان بسورة منه، وأنتم أهل الفصاحة والبلاغة، مما يدل على أنه كلام الله، أفلا تدركون بقولكم أن هذا القرآن من عند الله، لا من عندي؟!

١٧- لا أحد أشد ظلماً ممن افترى (اختلق) كذباً على الله، وادعى ما لم يقله الله، أو كذب بآياته المنزلة على رسله، إنه لا يفوز المجرمون المفترون على الله بشيء.

١٨- ويعبد المشركون من غير الله الأصنام والأوثان، مما لا يضرهم إن لم يعبدوها، ولا ينفعهم إن عبدوها؛ لأنها جمادات لا تضر ولا تنفع، والحق والعقل يقضيان أن يكون المعبود ذا قدرة على النفع والضرر، ولا فائدة لعبادته إن كان عاجزاً، ويزعمون أن هذه الأصنام والأوثان تشفع لهم عند الله في الآخرة، قل لهم أيها الرسول: أتخبرون الله بما لا يعلم في السماء والأرض؟ لا يعلم الله لنفسه شريكاً ولا شفيعاً، تنزه الله وتعظم عن أن يكون له شريك في ملكه.

١٩- لم يكن الناس بحسب الفطرة إلا أمة واحدة موحدة الله، مؤمنة به، كلهم على الدين الحق، فاختلفوا، فصار بعضهم مؤمناً وبعضهم كافراً، ولولا وعد سابق من الله بتأخير العذاب ليوم القيامة، لقصي بينهم في الدنيا، فيما اختلفوا فيه، وأهلك المبطون وتُجِّي المؤمنون.

٢٠- ويقول أهل مكة المشركون الذين كأنهم لم يقتنعوا بالآيات المنزلة على رسوله: هلا أنزل على محمد معجزة مادية محسوسة غير القرآن كإحياء الموتى وجعل الجبال ذهباً، وناقاة صالح، وعصا موسى ويده، ومائدة عيسى؟ فقل لهم أيها الرسول: إن نزول الآية غيب، ولا يعلم الغيب إلا الله، فانتظروا نزول ما اقترحتموه، أو العذاب إن لم تؤمنوا، وإظهار الحق على الباطل، إني منتظر معكم القضاء الفصل.

وَإِذَا تُلِيٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا بِتِلْكَ قَالِ الَّذِينَ لَا يَسْرُبُونَ لِقَاءَنَا أَنْتِ بَقِيَّةٌ إِن غَيْرِ هَذَا أَوْ يَدْبُ لَهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَدْبُلَهُ مِن تِلْقَائِي نَفْسِي إِن تَتَّبِعِ إِلَّا مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِن عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٥﴾ قُلْ لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلَا أَدْرِكُمْ بِهِ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٦﴾ فَمَن ظَلَم مِّن مِّن فِرْعَوْنَ عَلَىٰ لَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُغْنِي عَنْهُ كُفْرُهُمْ ﴿١٧﴾ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنْفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَؤُلَاءِ شَفَعَلُونَا عِنْدَ اللَّهِ قُلْ أَتَسْتَأْذِنُ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِيمَانِ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَعَلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٨﴾ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّي لَقَضَىٰ بِهِمْ فِي مَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانظُرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنظَرِينَ ﴿٢٠﴾

وَإِذَا غَمِرْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِنْ بَعْدِ صَرَاحِهِمْ سَسَرْنَا لَهُمْ مَكْرَهُمْ
 ءآيَاتِنَا قُلْ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا نَكُرُونَ ﴿٢١﴾
 هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ فِي الْفُلِكِ
 وَرَبِّينَ بِهِمْ يَبْرِجُ طَيْبَةً وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا جَاءَتْ تَهَارُجٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ
 الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
 لَهُمُ الدِّينَ لَئِنِ أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ﴿٢٢﴾
 فَلَمَّا أَخْرَجْنَاهُمُ إِذَا هُمْ يَبْعَثُونَ فِي الْأَرْضِ بِعَرَا حَتَّىٰ يَأْتِيَ النَّاسَ
 إِنَّمَا يَبْعَثُكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَنَعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا نَفْسًا مَرَجِعُكُمْ
 فَتَنْتَهُمُ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ
 أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ
 وَالْأَنْعَامُ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازْبَهَّتْ
 وَظَنَّ أَهْلُهَا أَنَّهُمْ قَدِرُونَ عَلَيْهَا أَنهَذَا أَمْرٌ بَلَاءٌ
 أَوْ تَهَارُجٌ لَجْعَلْنَاهَا حَبِيبًا كَانَ لَنْ تَعْنَىٰ بِالْأَمْسِ كَذَلِكَ
 نَقُصُّ عَلَيْكَ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢٤﴾ وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ
 دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٥﴾

٢١- وإذا غمرنا الناس وهم الكفار برحمة، أي
 مطر وخصب وسعة، من بعد قحط وجوع إذا لهم
 تدبير خفي وهو الطعن بآياتنا المنزلة للهداية، ولم
 يشكروا النعمة، قل لهم أيها الرسول: الله أعجل
 عقوبة، يجازيكم قبل أن تكيّدوا لكتابه، إن
 الحفظة الملائكة الكاتبين الموكلين بكم يدوتون في
 صحفكم ما تدبرونه في الخفاء، وتجاوزون عليه.

٢٢- الله الذي يهسي لكم ويمكنكم من الانتقال
 في وسائل السفر في البر والبحر، حتى إذا كنتم في
 السفن وجرت بين فيها بريح لينة غير عاصفة توافق
 اتجاه السير، وفرحوا بتلك الريح، جاءتها ريح
 شديدة العصف أو الهبوب والتدمير، وأتاهم الموج
 من كل مكان، وغلب على ظنهم الهلاك وأحاط
 بهم، توجهوا إلى الله بالدعاء لإجرائهم، مخلصين
 المناجاة لله وحده- وهذا دليل على التوجه القطري
 إلى الله، وأن دعاء المضطر ولو كان كافراً مجاب-
 وقالوا في دعائهم: لئن أنجيتنا من هذه الشدائد
 والأخطار والمحنة، لنكونن شاكرين نعمتك
 بالإيمان والتوحيد والطاعة.

٢٣- فلما أنجاهم الله من مسحتهم، إذا هم
 يسارعون إلى الكفر والفساد والمعصية، وينسون ما عاهدوا الله عليه، بغير حق، أي مبطلين فيه وتمردين، يا
 أيها الناس الذين لم يوفوا بالعهد، إنما وبال بغيكم وفسادكم على أنفسكم، تتمتعون بالبغي زمن الحياة الدنيا
 فقط، ثم ترجعون بعد الموت ومتاع الدنيا إلى الله يوم القيامة، فنخبركم بعملكم في الدنيا ويجازيكم عليه. قال
 مكحول: ثلاث من كن فيه كن عليه: المكر والبغي والنكث.

٢٤- إنما حال الدنيا في سرعة انقضائها وذهاب نعيمها وزوالها مثل ما على الأرض من أنواع النبات، حيث
 ينزل المطر من السماء، فيختلط النبات بعضه ببعض بسبب الماء، من الحبوب والثمار التي تأكلها الناس،
 والكلأ والأعشاب التي تأكلها الأنعام، فإذا أخذت الأرض لونها الحسن ونضارتها، وتزيّنت بالأزهار الجميلة
 المتنوعة، وظن أصحابها أنهم قادرون على حصادها وجني ثمارها والتمتع بها، أتاهم أمرنا بالهلاك في الليل أو
 النهار، فجعلنا زرعها كالحصود أو المقطوع بالمنجل، كأن لم تكن قائمة بالأمس فيها، مثل ذلك التفصيل
 والبيان، نبين ونوع الآيات الدالة على التوحيد والقدرة وغيرهما، لقوم يتفكرون في تلك الآيات، فيتفكرون
 بها.

٢٥- وبعد بيان سرعة زوال الدنيا، رغب الله في الآخرة، حيث ذكر أن الله يدعو إلى الإيمان الموصل إلى
 الجنة، فهي دار السلامة من الآفات، ويوفق من يريد إلى سلوك طريق مستقيم، هو الإقرار بوجود الله
 وتوحيده وطاعة أحكامه وتنفيذ أوامره.



٢٦. للذين أحسنوا بالإيمان والعبادة والأعمال المشوية الحسنى وهي الجنة، وزيادة عليها من النعيم الروحي وهو النظر إلى وجه الله الكريم، ولا يفشى وجوههم غيرة فيها سواد، ولا مذلة، مما يتعرض له أهل النار، أولئك هم أصحاب الجنة، هم فيها مقيمون على الدوام.

٢٧. والذين اقتصروا المعاصي وكفروا بالله، لهم جزاء السيئة بمثلها فقط، فتجازى السيئة الواحدة بسيئة واحدة، لا زيادة عليها، وتغشاهم المذلة والخزي والهوان، ليس لهم مانع يعصمهم من سخط الله وعذابه، كأنما ألبست وجوههم جزءاً مظلماً من الليل، أولئك الكفار هم أصحاب النار، هم فيها مُخَلَّدُونَ أبداً لا يخرجون منها.

٢٨. ويوم نجمع جميع المخلوقين المحسنين والمسيئين، ثم نقول للمشركين تقریباً وتوبيخاً: الزموا مكانكم أتم ومعبوداتكم الآلهة، ففرقنا بين المشركين وشركاتهم، المعبودين والعابدين، فتخاصموا، وقال المعبودون الشركاء للعابدين المشركين: كم تكونوا عابدين لنا حقيقة، وإنما عبدتم أهواءكم وشياطينكم الأمرة بالإشراك، وهذا يتضمن إنكار أمرهم لهم بالعبادة.

الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَدَرٌ وَلَا ذَلَّةٌ أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٦﴾ وَالَّذِينَ كَسَبُوا السَّيِّئَاتِ جَزَاءُ سَيِّئَةٍ بِمِثْلِهَا وَزَهْقَ نَفْسِهِمْ ذَلَّةٌ مَّا لَهُمْ مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ طَمَأَنَّنَا غَشِيَّتْ وُجُوهُهُمْ قِطْعًا مِنْ زَلِيلٍ ظِلْمًا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٧﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جِجَامًا تُمْقُونَ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ قَالُوا لَيْسَ بِنَهْمِهِمْ قَوْلُ شُرَكَائِهِمْ تَمَتَّنَا وَإِنَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٨﴾ فَكُنْ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِن كُنتُمْ عَنْ عِبَادَتِكُمْ لِغَيْرِ اللَّهِ فَكُلُّ نَفْسٍ مَّا أَسْلَفَتْ وَرُدُّوْا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمْ الْحَيُّ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَعْتَدُونَ ﴿٢٩﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَمَنْ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَمَنْ يُدَبِّرُ الْأَمْرَ فَسَيَقُولُونَ اللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٣٠﴾ فَذَلِكُمُ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَتَدَابَعُوا قُلْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي الْقُدْرَةِ الْكَلِيمِ ﴿٣١﴾ قُلْ أَلَيْسَ اللَّهُ بِذِي الْقُدْرَةِ الْكَلِيمِ ﴿٣٢﴾ فَكَيْفَ تَصِفُونَ ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ حَقَّتْ لِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمٌ عَلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ فَسَوْفَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٤﴾

٢٩. فكفى الله شاهداً بيننا وبينكم: أننا ما أمرناكم بالعبادة، ولا رضينا بها منكم، إننا كنا غير عالين بعبادتكم، ولم نشعر بها، ولا طلبناها منكم.

٣٠. هنالك في ذلك الموقف الأخروي في مكان الحشر تختبر كل نفس ما قدمت، أي تجد نتيجة عملها من خير أو شر، وأرجع المشركون إلى جزاء ربهم، دون المعبودات الباطلة، وهو المتولي أمورهم حقيقة، والثابت الدائم الصادق الربوبية، وغاب واختفى وبطل ما كانوا يدعون ويفترون عليه من الآلهة المزيفة، فلا تنفع ولا تشفع.

٣١. قل أيها النبي للمشركين: من يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والثمر والمعادن؟ ومن الذي أوجد لكم السمع والأبصار وغيرهما من الحواس، فيملك خلقها وتسويتها على نحو يحصنها ويحفظها من الأفات؟ ومن الذي يخرج الحي من الميت كالنبات من الأرض، والطير من البيضة، والإنسان من النطفة، ويخرج الميت من الحي، كعكس ما ذكر، فيجعل الحي رماداً ميتاً؟ ومن يلي تدبير أمر السماء والأرض بتقديره وقضائه؟ فسيقولون لك: الله هو الفاعل لهذه الأمور، فقل لهم أيها الرسول: أفلا تتقون الله وتخشون فاعل هذه الأفعال، فتؤمنوا به وحده وتخصوه بالعبادة. ويلاحظ أنه أفرد السمع وجمع الأبصار؛ لأن السمع أداة تحصيل العلم من كل جهة للسمع، بخلاف البصر فإن المعلومات لا تحصل إلا بتعدد جهة النظر.

٣٢. فذلكم الفاعل لهذه الأشياء هو الله الرب الحقيقي، الثابت الربوبية، لا ما أشركتم معه، فليس بعد عبادة الله التي هي الحق إلا الضلال والانحراف، والكفر والشرك، فكيف تصرفون عن الحق الظاهر وهو الإيمان إلى الضلال مع قيام البرهان؟!

٣٣. كما صرف هؤلاء عن الإيمان بضلالهم، ثبت حكم الله وقضاؤه على الذين خرجوا عن الحق والإيمان إلى الباطل والكفر: أنهم لا يؤمنون أبداً، لإصرارهم على الإعراض عن التأمل في الأدلة والبراهين والمخلوقات.

قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ يَدْعُوُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعْبِدُوهُ قُلْ اللَّهُ يَبْدَأُ
 الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ فَأَنْتُمْ تَوَكُّونَ ﴿٣٤﴾ قُلْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَنْ
 يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ قُلْ اللَّهُ يَهْدِي لِلْحَقِّ أَفَمَنْ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ أَحَقُّ
 أَنْ يُتَّبَعَ أَمْ مَنْ لَا يَهْدِي إِلَّا أَنْ يَهْدِيَهُ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾
 وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ
 عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى مِنْ
 دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ تَصْدِيقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلٌ لِكِتَابِ
 الَّذِي فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا
 بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَعْتَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ
 ﴿٣٨﴾ بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِطُوا بِعَلَمِهِ وَكَمَا يَأْتِيهِمْ تَأْوِيلُهُ
 كَذَلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣٩﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ وَمَنْهُمْ مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهِ وَرَبُّكَ
 أَعْلَمُ بِالْمُفْسِدِينَ ﴿٤٠﴾ وَإِنْ كَذَّبُوكَ فَقُلْ لِي عَمَلٌ وَلَكُمْ عَمَلٌ كُفُّوا
 أَلْسِنَتَكُمْ لِيَنْتَبِهُوا إِنَّا نَحْنُ الْمُحْسِنُونَ ﴿٤١﴾ وَأَنَا بَسْرِيءٌ بِمَا تُعْمَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ
 يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ فَإِن تَسْمِعُ الصَّمَّ وَلَوْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ ﴿٤٣﴾

٣٤- قل أيها الرسول للمشركين: هل من معبوداتكم الأصنام والأوثان وغيرها من يقدر على خلق العالم، ثم يعيده مرة أخرى بالبعث بعد الموت، قل جوابا لا غيره: الله هو المبدئ والمعيد، لا الشركاء، فكيف تصرفون عن الحق إلى الباطل وعن عبادة الله إلى غيره مع قيام الدليل؟

٣٥- قل أيضاً: هل من شركائكم المعبودة والآلهة المزعومة من يرشد إلى الحق والإسلام؟ وإذ لم يجيبوا فقل: الله وحده هو الذي يهدي للحق بما أنزله من الآيات، وإرساله الرسل، وإنزاله الكتب، وخلق الموجودات، أفمن يرشد إلى الحق، وهو الله تعالى أحق أن يقتدى به أم الأحق بالاتباع من لا يهتدي بنفسه إلا أن يهديه غيره؟ فما لكم كيف تحكمون باتخاذ الأصنام ونحوها شركاء لله؟ وأصل «يهدي» يهتدي، فأدغمت التاء في الدال وفتحت الهاء بحركة التاء، أو كسرت لالتقاء الساكنين لاتباع ما بعدها.

٣٦- وما يتبع أكثر المشركين في عبادة الأصنام إلا ظناً مجرد خيال، ووهماً فاسداً، وهو تقليد الآباء، إن هذا الظن الفاسد لا يفيد شيئاً في طلب العلم، ولا يغني عن الحق الأبلج والاعتقاد الصائب، إن الله عليم بأفعالهم، فيجازيهم عليها.

٣٧- وما كان من شأن هذا القرآن وما صح لعاقل أن يكون مكذوباً، وليس من عند الله، ولكن هذا القرآن مصدق لكل ما تقدمه من رسالات الرسل كدعوة إبراهيم وصحفه، والكتب الإلهية كالأنجيل والزيور، ومبين ما جاء فيه من الأحكام وغيرها، لا شك فيه أنه من رب العالمين. والمراد بالكتاب: جنسه.

٣٨- بل يقولون: اختلقه محمد، قل أيها النبي: إن كان من فعلي، فأتوا بسورة مماثلة له في البلاغة والفصاحة، فأنتم عرب مثلي، واطلبوا المساعدة على الإتيان بمثله من أي شخص كان أو من ألهتكم شركاء الله، إن كنتم صادقين في ادعائكم أن هذا القرآن مفترى مني.

٣٩- بل إنهم كذبوا بالقرآن قبل أن يفهموا معانيه ويعلموا ما فيه، ولم يطلعوا على تأويله، ولم تتحقق عاقبة ما فيه من الوعيد، كذلك التكذيب بالقرآن، كذب من قبلهم من الأمم رسلهم، فانظر أيها المتأمل كيف كان مصير المكذبين رسلهم، كيف أهلكوا بكفرهم؟

٤٠- ومن أهل مكة المكذبين من يصدق بالقرآن، ومنهم من لا يصدق به في نفسه لفرط غيبائه، أو في المستقبل بموته على الكفر، وربك أعلم بالمعاندنين المصيرين على الكفر.

٤١- وإن أصروا على تكذيبك، فقل لهم: لي جزء عملي ولكم جزء عملكم، لا تؤاخذوني بعملتي، ولا تؤاخذكم بعملكم، فلا يؤاخذ أحد بذنوب غيره.

٤٢- ومن هؤلاء المشركين أو الكفار أناس يستمعون إليك أيها النبي إذا قرأت القرآن، وعلمت الشرائع، ولكنهم لا يقبلون كالأصم الذي لا يسمع أصلاً، أستطيع إسماع الصم ولو كانوا لا يعقلون شيئاً؟ كلا.

وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ إِلَيْكَ أَأَنْتَ تَهْدِي الْعُمْيَ وَلَوْ كَانُوا لَا يَبْصُرُونَ
 ٤٣ إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسُهُمْ
 يَظْلِمُونَ ٤٤ وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَحْسَبُوا إِلَى السَّاعَةِ مِنَ النَّهَارِ
 يَنْعَارُونَ بِبَنِيهِمْ فَدَحْخَسُوا الَّذِينَ كَذَبُوا لِبَلَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا
 مُهْتَدِينَ ٤٥ وَإِنَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ
 فَإِنَّمَا مَرْجِعُهُمْ إِلَى اللَّهِ شَهِيدٌ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ ٤٦ وَلِكُلِّ
 أُمَّةٍ رَّسُولٌ فَإِذَا جَاءَ رَسُولُهُمْ قَضِيَ بِهِمْ الْقِسْطُ وَفِيهِ
 لَا يَظْلَمُونَ ٤٧ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ
 ٤٨ قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنَفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أُمَّةٍ
 أَجَلٌ فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَحْزِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْتِدُونَ ٤٩
 قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُمْ عِدَابِيهِمْ يَبِلًا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْتِلُونَ مِنَ الْحُجُومِ
 ٥٠ أَمْ إِذَا مَا وَقَعَ أَمْسَمْتُمْ بِهِ أَكُنَّ وَذَكَرْتُمْ بِهِ سَتَجِدُونَ
 ٥١ ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ هَلْ تُجْزَوْنَ
 إِلَّا بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٥٢ وَيَسْتَدْبِرُونَكَ أَهْلُ
 هُوَ قَوْلِي وَإِي وَرَدَّتْ إِنَّمَا لِحَقِّ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ ٥٣

٤٣- ومن المشركين من يشاهد فيك دلائل النبوة، ولكن لا يصدقونك، فهل تستطيع أن تهدي العمي، ولو انضم إلى عدم البصر فقد البصيرة؟ والآية كالتعليل بالتبري والإعراض عنهم، لعدم وجود الاستعداد للفهم والهداية.

٤٤- إن الله لا يعاقب أحداً من غير جرم، ولكن الناس يظلمون أنفسهم بتعطيل وسائل المعرفة، والتعصب وكرهية الحق.

٤٥- واذكر أيها الرسول يوم يجمع الله الخلائق في موقف واحد يوم القيامة، كأنهم من شدة الهول لم يكتفوا في الدنيا إلا لحظة بمقدار التعارف فيما بينهم، قد خسروا الذين كذبوا بالبعث، وما كانوا مهتدين إلى طريق الرشاد والنجاة من العذاب.

٤٦- وإن نبصرتك أيها النبي بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك بالقتل والأسر، أو نميتك قبل تعذيبهم، فريك عذابهم في الآخرة، وإلينا مصيرهم يوم القيامة، ثم الله مطلع على أفعالهم من الكفر والعناد والتكذيب، ويجازيهم عليها. والمراد: إخبارهم بأنه لا فائدة لهم من موت النبي ﷺ، ولا يأمنون من كل شر يموت كما يظنون.

٤٧- ولكل أمة من الأمم الماضية رسول يبين لهم أحكام العقيدة والشريعة، ويشهد عليهم، فإذا حضر رسولهم إلى الموقف ليشهد عليهم، قضي بين الأمة ورسولها بالعدل، وهم لا يظلمون في مجازاتهم على أعمالهم.

٤٨- ويقول المشركون للنبي والمؤمنين: متى هذا الوعد بالعذاب الذي تتوعدنا به إن كنتم صادقين في التوعد؟ يريدون بذلك استبعاد العذاب والاستهزاء به.

٤٩- قل لهم أيها النبي: لا أملك لنفسي تحقيق نفع أو دفع ضرر، فكيف أملك ذلك لغيري؟ ولكن ما شاء الله من ذلك كان، فهو بمشيئته يمكنني من أمر، فكيف أملك لكم إيقاع العذاب؟ لكل أمة وقت محدد للهلاك، فإذا جاء وقت انقضاء آجالهم، فلا يتأخرون عن ذلك الأجل المعين ساعة، ولا يتقدمون عليه ساعة.

٥٠- قل لهم: أخبروني، إن أتاكم عذاب الله الذي تستعجلون به ليلاً أو نهاراً بغتة، فأى فائدة في استعجاله، وما مقتضي للاستعجال، وما نوع العذاب الذي يستعجلونه؟ وهو واقع بهم حتماً، وكله شديد الأكم، لا يلائم الاستعجال.

٥١- هل تستعجلون بالعذاب، ثم إذا وقع أمتمت به؟ أفي هذا الوقت تؤمنون حين لا ينفعكم الإيمان، وقد كنتم قبل نزوله تستعجلون العذاب تكديباً منكم واستهزاء؟!

٥٢- ثم يقال للذين ظلموا أنفسهم بالكذب: ذوقوا العذاب، لا تجزوا إلا ما كنتم تعملون في الدنيا من المعاصي والكفر.

٥٣- ويطلبون منك حقيقة النبا وهو الخبر أو يستخبرونك: أحق ما تعدنا به من العذاب؟ قل لهم: نعم والله ربي إنه لحق ثابت كائن، ولستم بمعجزتي الله إذا أراد تعذيبكم.



وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَافْتَدَتْ بِهِ وَأَسْرُوا
 التَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَفُضِنَ بَيْنَهُم بِالْقِسْطِ وَهُمْ
 لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٤﴾ أَلَا إِنَّ فِي اللَّهِ مَافِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْآيَاتِ
 وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ هُوَ يَجِيءُ
 وَيَمُتُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٥٦﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ مَوْعِظَةٌ
 مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا
 يَجْمَعُونَ ﴿٥٨﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ قِسْمَهُ
 حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ أَلَمْ يَأْذَنَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ تَقْتُلُونَ
 ﴿٥٩﴾ وَمَا ظَنُّ الَّذِينَ يَبْتِرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
 إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ
 ﴿٦٠﴾ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ
 مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُبْعِثُونَ فِيهِ وَمَا
 يَمُرُّبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا ذُرَّةً فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ
 وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦١﴾

٥٤- ولو أن لكل نفس ظالمة بالكفر والضلال، يوم القيامة، جميع ما في الأرض من ثروات وخزائن وأموال، لجعلته فدية من العذاب، ما تُقبل منها، وأخفوا التدامة لما شاهده من الوان العذاب الرهيبة المحيطة بهم من كل جانب، وحكم بين المؤمنين والكافرين بالعدل، وهم لا يُنقصون شيئاً من أعمالهم.

٥٥- وتقريراً لقدوته تعالى على الشواب والعقاب، أبان أن له جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا يملك أحد شيئاً يوم القيامة ليفتدي من العذاب، إلا إن وعد الله بالبعث والجزاء حق كائن لا محالة، ولكن أكثر الناس وهم الكفار لا يعلمون ما فيه صلاحهم وفسادهم حقيقة، وما يتظروهم في الآخرة.

٥٦- الله وحده هو الذي يحيي ويميت؛ وإليه تعودون في الآخرة، فيجازيكم على أعمالكم، خيراً أو شراً.

٥٧- يا أيها الناس في مكة وغيرها قد جاءكم موعظة بليغة مؤثرة؛ وهي ما تضمنه القرآن من الوصية بالحق والخير، واجتناب الشر والباطل، بأسلوب ترغيبية وترهيبية، ودواء ناجع لما في

الصدور من العقائد الفاسدة والشكوك، وبيان الحق من الضلال، وإرشاد لما يوصل إلى الجنة، ورحمة من الله تقتضي الإحسان والعطف على المؤمنين، وهي ما في القرآن من أمور ترحم العباد، كالتذكير الدائم بالطاعة، والتحذير من عقاب الآخرة، والترغيب في النعيم الأبدي في الجنة.

٥٨- قل أيها النبي: ليفرح المؤمنون بفضل الله وهو الإسلام وإنزال القرآن، وبرحمته بأن جعلهم من أهل القرآن وأتباع النبي ﷺ، فبذلك الفضل والرحمة يُسرُّوا، وهو خير مما يجمعون من حطام الدنيا.

٥٩- قل يا رسول الله للمشركين: أخبروني عما خلق الله لكم وأوجد من رزق، فجعلتم بعضه حراماً كالبحيرة والسائبة والوصيلة، وبعضه الآخر حلالاً كما ذكر في سورة الأنعام [٦/١٣٨، ١٣٩، ١٤٤] قل: أله أذن لكم بالتحريم والتحليل بوحى من عنده، أم أنكم تكذبون على الله؟

٦٠- وأي شيء ظن الذين يتعمدون الكذب على الله أن يصنع بهم في يوم القيامة، أيحسبون أنه لا يعاقبهم على أعمالهم؟ بل سيجازون بما يفترون، والمراد تهديدكم. والله صاحب الفضل الكبير على الناس حيث أمهلهم في العقاب، ولكن أكثر الناس لا يشكرون هذه النعمة.

٦١- وما تكون يا محمد في شأن من الشؤون كالعبادة أو الدعوة ونحوهما، وما تلو من قرآن أنزله الله عليك، وتخصيصه بالذكر بعد التعميم تفخيم له، ولا تعملون أيها الناس من عمل خير أو شر إلا كنا عليكم رقباء، نراكم ونسمعكم ونحصى عليكم، حين تندفعون وتشرعون فيه من قول أو عمل، وما يغيب عن علم ربك وزن ذرة كملة أو هباء، مهما كانت صغيرة، سواء كانت في الأرض أو السماء، حتى ولو كانت أصغر من تلك الذرة أو أكبر منها، إلا وقد دوّن في اللوح المحفوظ، فهو الكتاب البين.

٦٢- ألا إن أصفياء الله والمقربين إليه وهم
خلصاء المؤمنين الذين يلتزمون طاعة الله ويجتنبون
معصيته، فوالله ما بالهم الله بالمعونة والكرامة والتوفيق،
لا خوف عليهم من عذاب الآخرة، ولا يحزنون
على ما فاتهم من الدنيا.

٦٣- وهم المؤمنون حقاً بالله واليوم الآخر،
ويتقون الله بامثال أوامره واجتنب نواهيه.

٦٤- ولهؤلاء الأولياء البشري من الله في الدنيا
بالسعادة والنصر والتمكن في الأرض ما داموا على
شرع الله ودينه، وكذلك الرؤيا الصالحة التي
يرونها، وفي الآخرة الجنة والثواب وتلقي الملائكة
لهم مبشرين بالفوز بالنعيم والتكريم، لا تغيير
لأقوال الله ووعوده، فإنها تتحقق لا محالة، ذلك
هو الفوز العظيم بالجنة والرضوان.

٦٥- ولا يحزنك أيها الرسول إشراك المشركين
وتكذيبهم وطعنهم في الدين وبك، كقولهم:
ساحر أو مجنون أو كاهن كاذب؛ لأن الغلبة
والقوة والقهر لله جميعاً، فهو ناصرك عليهم،
وخاذلهم، وهو سبحانه السميع لأقوالهم، العليم
بنواياهم وأفعالهم ومؤامراتهم.

٦٦- ألا إن الله وحده جميع من في السموات

والأرض من الملائكة والجن والإنس، ملكاً وخلقاً وعبداً، فكيف يعبد المشركون الملوك ويتركون المالك؟
وما يتبع الذين يعبدون من غير الله أصناماً وغيرها شركاء له على الحقيقة، فهم ليسوا بالشركاء فعلاً، والله
مالكهم، ما يتبعون يقيناً، وإنما ظناً فاسداً أنهم شركاء لله، وما هم إلا يكذبون فيما ينسبون إلى الله تعالى،
ويخمنون باطلاً.

٦٧- الله هو الذي جعل لكم الليل محل سكن واطمئنان ليستريح الناس فيه من عناء التعب والكد، والنهار
مضيئاً، تظهر فيه الأشياء والمصالح بوضوح، إن في ذلك لآيات دالة على قدرة الله ووحدانيته، لقوم يسمعون
سماع تدبر وانعاط، وتفهم وقبول.

٦٨- قال المشركون الذين زعموا أن الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى: تبنى الله ولداً، تنزهه وتقدس
عن التبني وعما يقولون، هو الغني عن ذلك كله؛ لأن الولد للحاجة، والغني المطلق لا حاجة له حتى يتخذ
ولداً، وله كل ما في السموات والأرض، فلا يصح أن يكون له ولد، لأنه لا يجتمع الملك والبنوة والأبوة،
ولأن الكل محتاج إليه، ليس عندهم من حجة أو دليل على ادعائكم، أتقولون على الله قولاً لا حقيقة له،
ولا يصح عقلاً وواقعاً نسبته إليه؟

٦٩- قل أيها النبي: إن الذين يختلفون على الله الكذب بنسبة الولد والشريك إليه، لا يفوزون بالجنة، ولا
ينجون من النار.

٧٠- لهم تمتع قليل في الدنيا فقط مدة حياتهم، ثم يرجعون إلى الله بالموت، ثم نذيقهم العذاب الشديد
الموید بسبب كفرهم وكذبهم على الله تعالى.

أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَخَوْفُ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَسْمَعُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى
فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ
اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٤﴾ وَلَا يَحْزَنكَ قَوْلُهُمْ
إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعاً هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٥﴾ أَلَا إِنَّ اللَّهَ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَسْمَعُ الَّذِينَ
يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءَ إِنْ يَسْمَعُونَ إِلَّا الظَّنَّ
وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٦٦﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْآيَاتِ
لِتَسْكُرُوا فِيهَا وَتَهْتَمُّوا بِصَبْرٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ
لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلِداً سُبْحَانَ هُوَ
الْعَلِيِّ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ
مِنْ سُلْطَانٍ بِهَذَا أْتَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٨﴾
قُلْ إِنْ الَّذِينَ يَقْتُلُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ لَا يَفْلَحُونَ
﴿٦٩﴾ مَتَّعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نَذِقُهُمُ
الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ﴿٧٠﴾

٧١. وَاَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّبِعُونَ إِن كَانُوا كَرِهَ لَكُمْ
 مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَسَىٰ أَلَّهُ أَنْ تَوْكَّاتُ فَاجْمَعُوا
 أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمًّا ثُمَّ أَنْتُمْ بِأَمْرِكُمْ
 وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَمْرِي أَنْ جُرَىٰ
 إِلَّاءَ عَلَىٰ اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَعَقَّبْتُهُ مِنَ عَشِيرَتِهِ فِي الْعَالَمِ وَجَعَلْنَاهُ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا
 مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَبَجَّاهُ وَهُمْ بِالْبَيْتِ مَا كَانُوا
 يُؤْمِنُونَ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْمَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ
 ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا فَجُورِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ
 أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْعَلُ سِحْرٌ وَلَا
 سِحْرٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا الْحِجَابَاتُ لِلشُّعْرَاءِ وَأَجْنَادٌ أَهْبَاءُ نَاوَيْتُمْ كِتَابَنَا
 الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِكَمَا يُؤْمِنُ الَّذِينَ

٧١. وَاَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَتَّبِعُونَ إِن كَانُوا كَرِهَ لَكُمْ
 مَقَامِي وَتَذَكَّرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَسَىٰ أَلَّهُ أَنْ تَوْكَّاتُ فَاجْمَعُوا
 أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غَمًّا ثُمَّ أَنْتُمْ بِأَمْرِكُمْ
 وَلَا تَنْظُرُونَ ﴿٧١﴾ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ فَأَسْأَلُكُمْ مِنْ أَمْرِي أَنْ جُرَىٰ
 إِلَّاءَ عَلَىٰ اللَّهِ وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٧٢﴾ فَكَذَّبُوهُ
 فَعَقَّبْتُهُ مِنَ عَشِيرَتِهِ فِي الْعَالَمِ وَجَعَلْنَاهُ خَلِيفَةً وَأَعْرَفْنَا الَّذِينَ
 كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٣﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا
 مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَبَجَّاهُ وَهُمْ بِالْبَيْتِ مَا كَانُوا
 يُؤْمِنُونَ بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ كَذَلِكَ نَطْمَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْمُتَكَبِّرِينَ
 ﴿٧٤﴾ ثُمَّ بَشَّرْنَا مِنْ بَعْدِهِ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ
 بِآيَاتِنَا فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا فَجُورِينَ ﴿٧٥﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ
 الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٧٦﴾ قَالَ مُوسَىٰ
 أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ أَسِحْرٌ هَذَا وَلَا يُفْعَلُ سِحْرٌ وَلَا
 سِحْرٌ ﴿٧٧﴾ قَالُوا الْحِجَابَاتُ لِلشُّعْرَاءِ وَأَجْنَادٌ أَهْبَاءُ نَاوَيْتُمْ كِتَابَنَا
 الْكِبْرِيَاءَ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ بِكَمَا يُؤْمِنُ الَّذِينَ

٧٢. فَإِنْ أَعْرَضْتُمْ عَنْ دَعْوَتِي وَتَذَكِيرِي، فَمَا
 طَلَبْتُ مِنْكُمْ أَجْرًا عَلَىٰ تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ، يُوْجِبُ نَقْلَهُ
 عَلَيْكُمْ وَإِعْرَاضِكُمْ، مَا ثَوَابِي وَأَجْرِي إِلَّا عَلَىٰ اللَّهِ،
 سِوَا أَمْتُمْ أَوْ تَوَلَّيْتُمْ، وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُنْقَادِينَ
 لِحُكْمِ اللَّهِ، لَا أَخَالَفُ أَمْرَهُ، وَلَا أَرْجُو غَيْرَهُ.

٧٣. فَاصْرُؤُوا عَلَىٰ تَكْذِيبِهِ بَعْدَ أَنْ أَلْزَمَهُمُ الْحُجَّةَ،
 فَاسْتَحَقُّوا الْعَذَابَ، فَجَنَّبْنَاهُ مِنَ الْغُرُقِ، وَمَنْ آمَنَ
 وَرَكِبَ مَعَهُ فِي السَّفِينَةِ الَّتِي صَنَعَهَا بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَدَدَهُمْ
 ثَمَانُونَ، وَجَعَلْنَا هَؤُلَاءِ النَّاجِينَ مِنَ الْغُرُقِ خَلْفَاءَ فِي
 عِمَارَةِ الْأَرْضِ وَسَكَنَاهَا بَعْدَ الْمُهْلِكِينَ بِالطُّوفَانِ،

وَأَعْرَفْنَا الْكُفْرَانَ الْعَانِدِينَ لِنُوحِ الْمَكْذِبِينَ بِآيَاتِنَا بِالطُّوفَانِ، فَانظُرْ أَيُّهَا النَّبِيُّ كَيْفَ كَانَ مَصِيرَ الْمُنْذَرِينَ مِنْ نُوحِ الْمَكْذِبِينَ
 لَهُ، مِنْ إِهْلَاكِهِمْ، فَكَذَلِكَ نَفْعَلُ بِمَنْ كَذَّبَ. وَهَذَا تَطْمِينٌ وَتَسْرِيَةٌ عَنْ نَفْسِ الرَّسُولِ ﷺ وَتَهْدِيدٌ لِلْمُشْرِكِينَ.

٧٤. ثُمَّ أَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِ نُوحٍ رَسُولًا كَهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب إلى أقوامهم، فجاؤوهم بالمعجزات
 الدالة على صدقهم في دعواهم، وبالشرائع، فلم يصدقوا بالرسالة، واستمروا على الكفر، ولم يوفقوا للإيمان
 بسبب تصميمهم السابق على تكذيب الرسل، وكما ختمنا على قلوب أولئك، نختم على قلوب المتجاوزين الحد
 في الكفر والتكذيب.

٧٥. ثُمَّ أَرْسَلْنَا مِنْ بَعْدِ الرِّسْلِ الْمَذْكُورِينَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ، بِأَدْلَتِنَا الدَّالَّةِ عَلَىٰ صِدْقِهِمَا أَوْ
 بِالْمُعْجَزَاتِ وَهِيَ الْآيَاتُ السَّعْةُ الْمَذْكُورَةُ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، فَاسْتَكْبَرُوا عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا وَلَمْ يَقْبَلُوهَا، وَكَانُوا قَوْمًا أَتَمِينَ
 مَجْرَمِينَ يَرْفُضُهُمْ دَعْوَةَ مُوسَىٰ وَهَارُونَ.

٧٦. فَلَمَّا جَاءَ فِرْعَوْنَ وَوَجْهَاءُ قَوْمِهِ الْحَقُّ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، قَالُوا: هَذَا سِحْرٌ وَاضِحٌ، مَكَابِرَةٌ
 مِنْهُمْ.

٧٧. قَالَ مُوسَىٰ لَهُمْ: أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ الَّذِي أَنَاكُمْ: هَذَا سِحْرٌ؟ وَالسِّحْرُ بَاطِلٌ، وَلَا يَظْفَرُ السِّحْرَةَ بِخَيْرٍ، وَلَا
 يَنْجُونَ مِنْ مَكْرِهِ.

٧٨. قَالَ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ: أَرْتَدُّ أَنْ تَصْرَفْنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا وَهُوَ عِبَادَةُ الْأَصْنَامِ، وَتَتَفَرَّدُ مَعَ أَخِيكَ بِالرِّيَاسَةِ
 بَعْدَ طَرْدِ رُؤَسَائِنَا، وَيَكُونُ الْمَلِكُ وَالسُّلْطَانُ فِي أَرْضِ مِصْرَ لَكُمْ، وَمَا نَحْنُ بِمُصَدِّقِينَ بِرِسَالَتِكُمْ، فَهَمَّ رَفَضُوا
 الرِّسَالَةَ لِأَمْرَيْنِ: التَّمَسُّكُ بِتَقْلِيدِ آبَاءِهِمْ، وَالْحِرْصُ عَلَىٰ الرِّيَاسَةِ.

٧٩- وقال فرعون لحاشيته لما رأى آيات موسى من اليد البيضاء والعصا التي تتحول ثعباناً: أحضروا لي كل ساحر حاذق في السحر، لاعتقاده أن ما جاء به موسى من السحر.

٨٠- فلما حضر السحرة قال لهم موسى في ساحة المبارزة: القوا ما أنتم ملقون من وسائل السحر وأدواته.

٨١- فلما القوا حبالهم وعصيهم، قال لهم موسى: الذي جئتم به هو السحر بذاته، لا ما سماه فرعون سحراً وهو المعجزات، إن الله سيظهر بطلانه، وينصرنني، إن الله لا يثبت ولا يقوي عمل المفسدين، وإنما يبدده. وهذا دليل على أن السحر إفساد وتغويه وتخيل.

٨٢- ويظهر الله الحق على الباطل ويثبتته، ويمكن له بأوامره الكونية وقضايه وكلماته في كتبه المنزلة على أنبيائه المشتملة على البراهين، ولو كره المجرمون ذلك.

٨٣- فما آمن برسالة موسى إلا عدد قليل من قومه أولاد بني إسرائيل، مع خوف من فرعون وأشرف قومه، لثلا يتلهم بالتعذيب ليصرفهم عن دينهم، وإن فرعون لمستعل متكبر جبار متسلط

على أرض مصر وأهلها، وإنه لمن المكثرين من الشر والفساد والمتجاوزين الحد في الكفر والضلال وادعاء الربوبية.

٨٤- وقال موسى: يا قوم إن أمنتكم بالله حقاً، فثقوا به واعتمدا عليه إن كنتم متقادين له، مخلصين له، مدعين لأمره.

٨٥- فقالوا: اعتمدنا على الله وفوضنا أمرنا إليه، ربنا لا نجعلنا موضع فتنة، ولا تسلط علينا القوم الظالمين، فيعذبونا ليردونا عن ديننا.

٨٦- وخلصنا برحمتك من كيد القوم الكافرين: فرعون وقومه.

٨٧- وأوحينا لموسى وأخيه أن اتخذا لقومكما بني إسرائيل بمصر بيوتاً لعبادة، واجعلوا أيها المؤمنون بيوتكم مساجد تصلون فيها سرّاً لتأمنوا من الخوف، وأقيموا الصلاة وأتموها فيها، حتى لا يؤذيك الكفرة الأعداء، وبشر المؤمنين الصادقين بالنصر في الدنيا، والجنة في الآخرة.

٨٨- وقال موسى: ربنا أعطيت فرعون وجماعته ما يتزين به من ملبوس ومركوب وحلية وأثاث وسلاح وصحة وغير ذلك، وأموالاً كثيرة في الدنيا، ربنا أعطيتهم ذلك لتصير عاقبة أمرهم أن يضلوا عن دينك، ويصرفوا الناس عن الحق، ربنا أهلك أموالهم وامحقها، واجعل قلوبهم قاسية مطبوعة مختومة لا تقبل الحق، ولا يدخلها الإيمان، حتى يزدادوا طغياناً فيزداد عذابهم، ولا يؤمنوا إلا بعد معاينة العذاب الشديد الألم، فلا ينفعهم الإيمان حيثئذ. قال موسى هذا القول لما يتس من إيمانهم الاختياري. كما طلب نوح عليه السلام ذلك.

وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونَ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٧٩﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالُوا لِمُوسَى الْقَوْمَ مَا نَمُرُقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا الْقَوْمُ قَالَ

مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُطْلِعُ عَلَى الْفَاسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَبَشِّرِ اللَّهُ الْكٰفِرِينَ وَلَوْ كَرِهَ الْخٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾

فَأَمَّا لِمُوسَى إِذْ ذَرْتَهُ مِنْ قَوْمِهِ عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَنْبِتَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّهُ

لَمِنَ الْمُكْسِرِينَ ﴿٨٣﴾ وَقَالَ مُوسَى يُقَوْمُ إِن كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَمَا عَلَيْكُمْ قَوْلًا إِذْ كُنتُمْ مُسْلِمِينَ ﴿٨٤﴾ فَقَالَ أَعْلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٨٥﴾ وَبَشِّرِ

بِرَحْمَتِكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكٰفِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوِّءُوا لِقَوْمِكُمْ بِمِصْرَ بِيوتًا وَأَجْعَلُوا بُيوتَكُمْ

قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾ وَقَالَ مُوسَى رَبَّنَا إِنَّكَ آتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَئَهُ زِينَةً وَأَمْوَالًا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوهُ عَنِ سَبِيلِكَ رَبَّنَا اطْمِسْ عَلَىٰ أَمْوَالِهِمْ وَاشْدُدْ

عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا حَتَّىٰ يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾



قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَعْوَتُكُمَا فَاسْتَقِيمَا وَلَا تَبِعَانِ سَبِيلَ
الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ وَجَوْرَ رَبِّكَ يَسْتَسْرِءُونَ بِالنَّجْرِ
فَأْتِيهِمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَغْيًا وَعَدُوًّا حَتَّى إِذَا أَذْرَكَهُ الْعَرْقُ
قَالَ ءَأَمِنْتُ اللَّهُ لَإِلَهِ إِلَّا الَّذِي ءَأَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ
وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩٠﴾ ءَأَلْفَنُ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلَ وَكُنْتَ مِنَ
الْمُضِلِّينَ ﴿٩١﴾ فَالْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَكَ آيَةً
وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴿٩٢﴾ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِي
إِسْرَائِيلَ مَسْجِدًا صِدْقٍ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الْقَابِلَاتِ مَا اخْتَلَفُوا حَتَّى
جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا
فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٩٣﴾ فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍّ مِمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
فَسْئَلِ الَّذِينَ يُشْرَعُونَ مِنَ الْكِتَابِ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ
جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ﴿٩٤﴾
وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَكُفَرُوا مِنْ
أَخْسَرِينَ ﴿٩٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ
﴿٩٦﴾ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ آيَةٍ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٩٧﴾

٨٩- قال الله لموسى وهارون: قد أجيبت دعوتكما، فاثبتا على ما أنتم عليه من الدعوة والزام الحجة، والتمسك بالدين وأحكامه، إلى وقت مجيء العذاب، ولا تتبعان طريق الجهلة في الاستعجال وعدم الثقة بوعده الله تعالى.

٩٠- وجعلنا بني إسرائيل يتجاوزون البحر بقدرتنا، حتى وصلوا إلى البر سالمين، فلحقهم فرعون ظملاً واعتداء، حتى إذا وصله الفرق، قال: آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل، وأنا من المستسلمين لله بالعبودية والتوحيد والطاعة. ولكن لم ينفعه هذا الإيمان عند اليأس.

٩١- فرد الله تعالى عليه: الآن تؤمن؟ أي تؤمن الآن حين مشاهدة الموت، ومن غير اختيار؟ وقد عصيت الله قبل ذلك مدة عمرك، فلم تقر له بالعبودية والطاعة، وكنت من الضالين المضلين عن الإيمان.

٩٢- فالיום نخرجك بجسدك من البحر ليرك بنو إسرائيل وغيرهم، ففداه البحر ميتاً، حتى شاهده، وتكون لمن يأتي بعدك عبرة يتعظ بها الناس، حتى يحذروا من التكبر وادعاء الربوبية، والتمرد على الله سبحانه، ويعرفوا عبوديتك، وإن كثيراً من الناس عن آياتنا ذات العظة والعبرة لغافلون لا يتأملون ولا يفكرون فيها ولا يعتبرون بها.

٩٣- ولقد أنزلنا وأسكننا بني إسرائيل بعد هلاك فرعون وجنوده منزل كرامة ومكاناً صالحاً مرضياً في أرض مصر والشام، ورزقناهم من طبيبات الرزق وحلاله، فما اختلفوا في أمر دينهم، بأن آمن بعضهم وكفر بعض، إلا من بعد قراءة التوراة ومعرفة أحكامها، إن ربك يحكم بينهم بحكمه العادل يوم القيامة، فيما اختلفوا فيه، فيميز للمحق بالنجاة، من المبطل بالهلاك.

٩٤- فإن كنت أيها النبي - والمراد به قومه - في شك من حقيقة ما أخبرناك به من القصص - وهذا على سبيل الافتراض - فاسأل الذين يقرؤون الكتاب الإلهي كالتوراة والإنجيل، الذين أسلموا وأمنوا بالقرآن، كعبد الله بن سلام، فإنهم سيخبرونك بأن القرآن كتاب الله حقاً وأنتك رسوله، لقد جاءك الحق الساطع واضحاً لا مرية فيه، من ربك الذي أنزل عليك الوحي، والآيات القاطعة، فلا تكونن من الشاكين المترددين فيه، في صحة ما أنزلنا إليك. قال قتادة: ذكر لنا أنه عليه السلام قال: «لا أشك ولا أسأل».

٩٥- ولا تكونن من المكذبين بآيات الله التكوينية والتنزيلية، فتصير من الخاسرين الدنيا والآخرة. وهذا من باب التهيج والتثيت، وتبيه الأمة مبتدأً بقائدها وأسوتها.

٩٦- إن الذين وجبت عليهم كلمة ربك باستحقاق العذاب، أي قضى عليهم بالعقاب، لإصرارهم على الكفر وموتهم عليه، لا يقع منهم مطلقاً الإيمان بالله إلهاً واحداً.

٩٧- لا يؤمنون، ولو جاءتهم كل معجزة ودليل قاطع على وحدانية الله، من أدلة الخلق والإبداع والتنزيل، حتى يعاينوا العذاب، كما فعل فرعون، وحيث لا يفهمهم الإيمان.

فَلَوْلَا كَانَتْ قُرْبَةً أَمَنْتَ فَفَعَلْنَا بِهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا
 آمَنُوا كَسَفْنَا عَنْهُمْ غَابَ الْخَزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا
 وَتَشْتَهُ إِلَى جِئِن ۝ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَأَمَنَّ مِنَ فِي الْأَرْضِ
 كُلِّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنْتَ تُكْفِرُ النَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ۝
 وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَنْ تُوْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَجْعَلُ الرِّجْسَ
 عَلَىٰ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۝ قُلْ أَنْظِرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 وَمَا تُعْنَى الْآيَاتِ وَالتَّذْرُوعَن قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ فَهَلْ
 يَنْظُرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ حَلَلُوا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانظُرُوا
 إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ ۝ ثُمَّ سُئِيَ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا
 كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نَجِ الْمُؤْمِنِينَ ۝ قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ
 إِن كُنتُمْ فِي شَكٍّ مِنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ
 اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ
 مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَأَنْ أَمْ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَبِيبًا وَلَا يَكُونَنَّ
 مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ
 وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ ۝

٩٨- فهلا آمنت قرية من هذه القرى التي
 أهلكتها، وصدق أهلها قبل معاناة مقدمات العذاب،
 ولم يؤخروا الإيمان كما أصر فرعون، فضعفهم الإيمان
 بأن تقبلكه الله منهم وكشف العذاب عنهم، لكن قوم
 يونس الوحيدون الذي نفعهم الإيمان، لما آمنوا بحق
 وإخلاص، في حال الاختيار، عند رؤية أمارة
 العذاب، ولم يؤخروه إلى وقت حلوله، كشفنا عنهم
 عذاب الذل والهوان الذي كان يونس قد وعدهم به،
 ومتعتناهم بخيرات الدنيا ومنافعها إلى وقت انقضاء
 آجالهم الطبيعية. وهذا تنبيه وتحذير لأهل مكة
 وأمثالهم ليختاروا الإيمان، ويقنعوا عن الكفر.

٩٩- ولو شاء ربك أيها الرسول، لخلق الإيمان،
 وصدق برسالتك الناس كلهم مجتمعين في وقت
 واحد، ولكنه سبحانه لم يفعل، ليكون الإيمان عن
 اختيار، وبمشيئة الله تعالى، فلا بد لكل إيمان وعمل
 من مشيئة الله، أفأنت تجبر الناس على الإيمان بما لم
 يشأه الله منهم، حتى يكونوا مؤمنين مصدقين
 برسالتك، فليس ذلك بمقدورك، وما عليك إلا
 البلاغ.

١٠٠- وما صح وما تم لنفس أن تؤمن إلا بإرادة الله
 وتوفيقه، فلا يقع شيء في الوجود بغير مشيئة الله،

ولا تمجد نفسك في هداها، فإنه إلى الله تعالى، ويجعل الله العذاب على الذين لا يتفكرون في آيات الله.

١٠١- قل أيها الرسول للكفار: تفكروا بما في السموات والأرض من عجائب المصنوعات الدالة على وجوده
 وحدانيته وقدرته، ولا تتفع الآيات والبراهين، والرسل المنذرة، في دفع العذاب عن قوم أصرروا على الكفر، ولا
 يتوقع إيمانهم، في علم الله تعالى.

١٠٢- فهل ينتظر هؤلاء المشركون والكفار المعاصرون للنبي ﷺ إلا مثل ما وقع من ألوان العذاب للأمة الكافرة
 السابقة التي كذبت رسلها، وصمموا على الكفر، فانتظروا وعد ربكم، إني معكم من المنتظرين وعد ربي وقضاه
 النافذ.

١٠٣- ثم نجينا رسلنا والمؤمنين معهم من العذاب، وأهلكتنا الأم الظالمة، وكما أنجينا رسلنا والذين آمنوا بهم،
 كذلك نتجي حقا علينا المؤمنين بالنبي محمد ﷺ من عذابنا للكفار.

١٠٤- قل أيها الرسول: يا أيها الناس، إن كنتم في شك من صحة ديني وهو عبادة الله وحده لا شريك له،
 فاعلموا أنني بريء من أديانكم، فلا أعبد ما تعبدون من الأصنام، ولكن أعبد الذي بيده ممالككم وحياتكم، وأمرت
 أن أكون من المصدقين بكل ما جاء من عند الله.

١٠٥- وأمرت أن أستقيم في الدين وأثبت عليه وأخصه بالعبادة والدعاء، مائلاً عن الأديان الأخرى إلى دين
 الإسلام، والأكون من المشركين بالله إليها آخر، فأهلك.

١٠٦- ونهيت أن أعبد غير الله ما لا ينفع شيئاً إن عبدته، ولا يضر بشيء إن تركته، فإن خالفت ذلك على سبيل
 الفرض، فإني من الظالمين أنفسهم؛ لأن الشرك أعظم الظلم.

وَأَنْ يَسْأَلَ اللَّهَ فِضْرًا فَلَا يَشْفَعُ لَهُ الْإِلهُ وَإِنْ يَرِدْكَ بَخِيرٌ فَلَا رَادَ
لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِعَمْرِ بَشَاءٍ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٠٧﴾ قُلْ
يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَى فَإِنَّمَا يَنْتَسِبُ
وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ ﴿١٠٨﴾ وَأَتَّبِعْ
مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَأَصِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿١٠٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أَحْكُمَتْ أَيْتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنِّ حَكِيمِ خَبِيرٍ ﴿١٠٧﴾ أَلَا
تَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ﴿١٠٨﴾ وَأَنْ تَسْتَغْفِرُوا
رَبَّكُمْ ثُمَّ تَوْبُوا إِلَيْهِ يُعْتَمَكُم مَتَاعًا حَسَنًا إِنْ أَنْجَلْتُمُوهُ وَيُوتِ كُلَّ
ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ
﴿١٠٩﴾ إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَاقِدِيرٌ ﴿١١٠﴾ أَلَا إِنَّهُمْ يَأْتُونَ
صُدُورَهُمْ لَيَسَّخَرُونَ مِنْهُ الْآخِرِينَ يَسْتَفْتُونَ شَيْئًا يَهُمُّ بِعَمَلِهِمْ
مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلَيْهِمْ بَدَأَاتُ الصُّدُورِ ﴿١١١﴾

١٠٧- وإن يصيبك الله بضر، أي سوء، من مرض أو فقر، فلا رافع له إلا الله الذي أنزله، وإن يردك بخير، أي نعمة وسعادة، فلا دافع لفضله، يصيب بخيره من يريد من عباده، وهو كثير المغفرة وواسع الرحمة بعباده التائبين، فتعرضوا لها بالطاعة، واحذروا المعصية.

١٠٨- قل أيها الرسول: يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم قد جاءكم القرآن والرسول من ربكم، ولم يبق لكم عذر، فمن اهتدى إلى نفسه، ومن ضل وانحرف بالكفر بالقرآن والرسول، فإنما وبال ضلاله على نفسه، ولا قدرة لي على جعلكم مؤمنين، ومنعكم من الكفر، وإنما أنا بشير ونذير.

١٠٩- وأتبع أيها النبي ما يوحي إليك من ربك بالامثال والتبليغ، واصبر على دعوتهم وأذاهم، حتى يحكم الله فيهم في الدنيا بالنصر أو القتال، وفي الآخرة بالعذاب، وهو أعدل الحاكمين، فلا يخطئ في حكمه.

سورة هود

فضلها : أخرج الترمذي والحاكم عن ابن عباس قال : قال أبو بكر : يا رسول الله ، قد شئت ، قال : شيبتني هود ، والواقعة ، والمرسلات ، وعم يتساءلون ﴿ [النبأ ٧٨ / ١] ، و ﴿ إذا الشمس كورت ﴾ [التكوير ٨١ / ١] وهو حديث حسن كما قال الترمذي ،

صحيح عند الحاكم . وسئل النبي ﷺ عما شئيه من سورة هود ، فقال : قوله تعالى : ﴿ فاستقم كما أمرت ﴾ [١١٢] .

١- الر : للتبني والتعدي وإثبات إعجاز القرآن ، وكونه من عند الله ، القرآن كتاب صارت آياته محكمة متفنة لا نقص فيها ولا نقض لها ، كالبناء المحكم ، ففي اللفظ بفواصل الآيات ، وفي المعنى ببيان القصص والمواظم والأحكام ، وفي الزمن بنزولها على فترات بحسب الحاجة والمصلحة . والتفصيل من عند حكيم الصنع والتدبير في أقواله وأفعاله وأحكامه ، ومن عند العليم بأحوال الناس ومصالحهم .

٢- ومضمون تفصيل الآيات وإحكامها الأمر بعبادة الله وحده لا شريك له ، وترك عبادة غيره ، إنني مرسل إليكم من الله ، منذر بالعذاب والنار لمن كفر ، مبشر بالثواب والجنة لمن أطاع .

٣- وأمركم أن تطلبوا المغفرة من الله لذنوبكم وكفركم ، وأن تتوبوا إلى الله وترجعوا إليه بالطاعة ، فإن فعلتم ذلك ، يمتنعكم في الدنيا بطيب عيش وسعة رزق ، إلى وقت مقدر عند الله وهو الموت ونهاية العمر ، ويعطي كل محسن ذي عمل صالح جزاء فضله وثوابه في الدنيا والآخرة ، وإن تعرضوا عن الهداية ، فإنني أخاف عليكم عذاب يوم القيامة ، العذاب الشديد .

٤- إلى الله رجوعكم في يوم البعث ، وهو القادر على كل شيء ، ومنه الثواب والعذاب .

٥- ألا إن بعض الكفار والمنافقين يطوون صدورهم على ما فيها من حقد وحسد وعداوة النبي ﷺ ، ليتواروا عن الرسول ، ألا إنهم حين يجعلون ثيابهم غطاءً لوجوههم كراهة النظر إليه ﷺ ، يعلم الله سرهم وعلانيتهم ، إنه سبحانه عليم بالأسرار والضمائر التي توجد في الصدور . نزلت في الكفار ، كانوا إذا لقيهم رسول الله ﷺ ثنوا صدورهم (طوها واستروها) وردوا إليه ظهورهم ، وغشوا وجوههم بثيابهم تبعاداً منه وكراهة للقائه . وهم يظنون أن ذلك يخفى عليه وعلى الله عز وجل .



﴿ وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا
وَسُتُودَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٦﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ
يَسْأَلُونَكَ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَيْنِ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ
مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِسْحَارٌ
مُبِينٌ ﴿٧﴾ وَلَيْنِ أَخْرَأْنَاهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰ أُمَّةٍ تَعُدُّوهُ
لَيَقُولَنَّ مَا يَجِئُهُمْ بِالْآيَاتِ يَا بَشِئِرَ لَيْسَ بَصُرُوفًا عَتَمُهُمْ
وَقَاقٍ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨﴾ وَلَيْنِ أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ
مِتَارِحَةً ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَكْفُرُ ﴿٩﴾ وَلَيْنِ
أَذَقْنَاهُ نِعْمَاءَ بَعْدَ ضِرَاءٍ مَسْتَهْزِئَةٍ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ
السَّيِّئَاتِ عَنِّي إِنَّهُ لَمُرِحٌ فَحُورٌ ﴿١٠﴾ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿١١﴾
فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضُ مَا يُوْحَىٰ إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ
أَنْ يَقُولُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ كِتَابٌ أَوْجَاءَ مَكَرُ
مَلَكٍ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾

٦- كل ما يدب على الأرض زحفاً أو مشياً، إنساناً أو حيواناً، تكفل الله برزقه تفضلاً ورحمة وإحساناً، ويعلم الله ماواه ومدفنه، أي أماكن الحياة والمات، كل ذلك مثبت ومدون في اللوح المحفوظ.

٧- الله الذي أبداع وأوجد السموات والأرض في مدة ستة أيام، وكان عرشه قبل خلقهما على الماء، والعرش مخلوق عظيم يليق به تعالى، لا نعرف حقيقته، نؤمن به كما ورد من غير تشبيه، ليختبركم أيكم أحسن وأطوع عملاً فيما أمر الله به ونهى عنه، فيجازي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته، ولئن قلت يا محمد: إنكم أيها البشر مبعوثون بعد الموت للحساب والجزاء، قال الكفار: هذا سحر ظاهر باطل، أي كالسحر في الخدبة أو البطلان.

٨- ولئن أخرنا عن المشركين العذاب إلى أجل معلوم (جماعة من الأزمان أو مدة من الزمان) والمعدودة: إشارة للقللة، ليقولن لك المكذبون المنافقون استهزاء وإنكاراً: أي شيء يمنعه من

التزول؟ فرد الله تعالى بقوله: ألا حين يأتيهم العذاب ليس مدفوعاً عنهم، ونزل أو أحاط بهم العذاب الذي كانوا يستعجلون به استهزاء.

٩- ولئن أذقنا الإنسان المؤمن والكافر منة من صحة وأمن أو سعة رزق، ثم سليناها منه، إنه لشديد اليأس من الرحمة، عظيم الكفر بربه ونعمه.

١٠- ولئن أذقناه منة من صحة وسلامة وغنى، بعد ضرر من مرض أو خوف أو فقر أصابه، قال: ذهب الشر عني ولن يعود، وثم ترك شكر النعمة، إنه شديد الفرح بطراً بالنعمة واغتراراً بها، شديد الفخر والتكبر على الناس بسبب النعم.

١١- إلا الذين صبروا عند الشدة رضاً بقضاء الله، وعملوا صالح الأعمال في الشدة والرخاء، أولئك المتصفون بالصبر، العاملون بالعمل الصالح، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على أعمالهم الحسنة.

١٢- لا تترك أيها الرسول تبليغ بعض ما أنزل الله عليك مما يثير غضب المشركين، وضائق بتبليغه صدرك، مخافة ردهم أو تكذيبهم، واستهزائهم، ومخافة أن يقولوا: هلا أنزل عليه كثر، أو صحبه ملك يصدقه ويؤيد نبوته، ليس عليك إلا الإنذار بالوحي به، لا الإتيان بما اقترحوه، والله رقيب حافظ لكل أمر، فتوكل عليه وثق به، ويجازي جميع الناس على أعمالهم.

أَمْ يَقُولُونَ أَفَنُفِرُّهُ قُلْ فَأَنزِلْ بَعْشَرَ سِوَىٰ مَثَلِهِ مَفْرُوتٍ
وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَفَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿١٣﴾
فَلَمْ يَسْجُبُوا لَهُمْ فَاغْلَبُوا أَلَمْ أَنْزِلْ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ
لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حِجَابَ
وَرِيثَتَهَا نَزَفَ إِلَيْهَا أَعْمَلَهُ فِيهَا وَهَرَفَ فِيهَا لَا يَحْسُونَ ﴿١٥﴾
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحِطَّ
مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَطِلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ أَفَمَنْ كَانَ
عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ زَيْبٍ وَبَشَلُوهُ شَاهِدِينَ وَمَنْ قَبْلَهُ كُتِبَ
مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ
مِنَ الْأَحْزَابِ فَأَلْئِنْ مَوْعِدُهُمْ فَلَا نَكْفِيكَ فِي مَرْيُومَةَ
إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿١٧﴾
وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أُولَٰئِكَ يُعْرَضُونَ
عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ
أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٨﴾ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنِ سَبِيلِ
اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَاْفِرُونَ ﴿١٩﴾

١٣- بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن؟
قل لهم أيها النبي: فأتوا بعشر سور من مثل هذا
القرآن في البلاغة والحسن، مختلقات، فأنتم
فصحاء العرب وعباقرة البيان، وادعوا من قدرتم على
الاستعانة به من البشر من غير الله، ممن تتخذونه
شريكاً لله، إن صدقتكم في ادعائكم أنه من افتراضي
وإدعائي له.

١٤- فإن لم يجيبوا إلى ما دعوتهم إليه من المساعدة
والإتيان بمثله، فاعلموا علم اليقين أيها الناس قاطبة
من المشركين والمؤمنين أن القرآن أنزله الله على
رسوله، مصحوباً بعلم الله وإذنه، فلا يعلمه إلا الله،
ولا يقدر عليه سواه، لإعجازه، وليس افتراء عليه،
واعلموا أيضاً أن لا إله موجود ومعبود بحق إلا الله
تعالى، فهل أنتم بعد هذه الحجة القاطعة على أن
القرآن من عند الله مؤمنون بالله وبالقرآن إن كنتم غير
مسلمين؟

١٥- من اقتصر على محبة الدنيا وزينتها من متاع
وأثاث ولباس وطيبات، نعطيهم ما يريدونه من الدنيا
وأفياً، وهم في الدنيا لا ينقصون شيئاً من أجورهم
وثمرات أعمالهم. قال مجاهد: هي في الكفرة

وأهل الرياء من المؤمنين. والظاهر أن المراد بها الكفرة، لقوله تعالى بعدها: ﴿أولئك الذين...﴾

١٦- أولئك الذين قصروا عملهم على الدنيا ولم يعملوا شيئاً للآخرة، ليس لهم في الدار الآخرة إلا النار، وبطل
ثواب ما صنعوا في الدنيا من خير، وذهب نفعه، وتبدد أثر ما عملوه؛ لأنهم لم يعملوا لوجه الله تعالى.

١٧- أفمن كان في أعماله على هدى وبصيرة وبرهان من الله في اتباع النبي ﷺ والإيمان بالله، كمن يريد الحياة
الدنيا وزينتها؟ ويتبعه ويقوي بيته شاهد له يصدق، وهو القرآن، من الله، ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو
التوراة شاهد آخر بشر محمد ﷺ وبأنه رسول الله، وهذا الكتاب المذكور كتاب مؤتم به، متبع في الدين، ونعمة
عظيمة على من أنزله الله عليه وعلى قومه، أولئك المؤيدون بالشاهدين المذكورين يصدقون بالقرآن وبالنبي ﷺ،
ومن يكفر بالقرآن من أهل مكة وغيرهم وأتباع الأديان كلها التحزبين على مقاومة الإسلام، فالنار مصيره لا محالة،
فلا تك في شك من هذا القرآن، إنه الحق الثابت المنزل من ربك، ولكن أكثر الناس لا يصدقون به، مع توافر الأدلة
القاطعة على تنزيله.

١٨- لا أحد أشد ظلماً ممن اختلق على الله كذباً بنسبة الشريك والولد إليه، من الأصنام والملائكة والبشر، أولئك
المفترون يعرضون على ربهم في الآخرة للحساب على أعمالهم، ويقول الأشهاد وهم الملائكة والأنبياء والعلماء:
هؤلاء المعروضون على الحساب: الذين كذبوا على ربهم في الدنيا، ألا إن لعنة الله على الظالمين أنفسهم بالافتراء.

١٩- وهؤلاء الظالمون هم الذين يمتنعون من دين الله والإيمان به، ويريدون الاعوجاج (الانحراف) لدعوة
الإسلام عن جادة الاستقامة، ويصفونها بذلك تنفيراً عنها، وهم منكرون مكذبون للبعث والحساب في الآخرة.



أُولَئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُجْرِبِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضَاعَفُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ
 السَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ﴿٢٠﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا
 أَنْفُسَهُمْ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ﴿٢١﴾ لِأَجْرِهِمْ
 أَنَّهُمْ فِي الْأَخِرَةِ هُمْ الْآخِسُونَ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ وَأَخْبَتُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمْ
 فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٢٣﴾ ﴿٢٤﴾ مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَعْمَىٰ وَالْأَصْمَىٰ
 وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٥﴾
 وَقَدْ آرَسْنَا نوحًا وَإِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّي لَكُونُذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٢٦﴾
 أَنْ لَا تُعْبَدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْبُرْجِ ﴿٢٧﴾ فَقَالَ
 الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ
 آتِيَعًا إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا أَنْ يُبَادُوا بِرَأْيِ لَرَأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ
 عَلَيْهِمْ مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴿٢٨﴾ قَالَ
 يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنْ رَبِّي وَهِيَ الْبَنِي رَحْمَةً مِنْ عِنْدِي
 فَعَيَّبْتُ عَلَيْكُمْ أَنْزِلُكُمْ بِمَكْرُهَا وَأَنْزِلُهَا كَرِهُونَ ﴿٢٩﴾

٢٠- أولئك الكافرون بالآخرة الصادون عن دين الله، ليسوا معجزين الله في الأرض عن عقابهم حتى يفلتوا منه، في الدنيا والآخرة، وليس لهم من غير الله أنصار يمنعون عنهم العذاب، وعذابهم مضاعف يوم القيامة لافتراهم وصداهم عن سبيل الله ووصف الإسلام بالاغوجاج، وأفرطوا في إعراضهم عن الحق، حتى صاروا كأنهم لا يستطيعون السمع والإبصار.

٢١- أولئك الكافرون المذكورون خسروا أنفسهم وضيعوها بالكفر والضلال بدلاً عن الهدى والإيمان، وغاب عنهم ما كانوا يفترون من ادعاء الشركاء الآلهة، وأنها تشفع لهم في الآخرة.

٢٢- حقاً ثابتاً أو لا محالة أنهم في الآخرة هم أكثر الناس خسارة وأشدهم عذاباً.

٢٣- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بطاعة الله ومرضاته، وخشعوا وسكنوا لخشية الله، واطمأنوا لعدله، وأنابوا إليه بالعبادة والإخلاص، أولئك أصحاب الجنة هم فيها ماكثون على الدوام الأبدي.

٢٤- صفة الفريقين: الكفار والمؤمنين، كصفة الأعمى والأصم، لتعامي الكفار عن آيات الله وعدم استماعهم كلام الله، وكصفة البصير والسميع، لتبصر المؤمنين بالقرآن وسماعهم له سماع تدبر وإمعان، لا يستويان حالاً وصفة عند الله، أفلا تتعظون؟

٢٥- ولقد بعثنا في الماضي نوحاً رسولاً إلى قومه، قائلاً لهم: إنني لكم منذر مخوف من الله بالنار إن كفرتم، وأبين لكم طريق النجاة وموجبات العذاب.

٢٦- بالآتعبدوا غير الله وحده لا شريك له، إنني أخاف عليكم عذاب يوم مؤلم في الآخرة، أو في الدنيا بالطوفان.

٢٧- فقال الزعماء الأشراف الكفرة من قومه: لست نبياً لأمر ثلاثة: ١- ما نراك إلا بشراً ماثلاً لنا، فليس لك مزية تستحق النبوة دوننا، ٢- ولم يتبعك إلا أراذل القوم وهم الفقراء والأحساء وأتباع الحرف الدنية، فلا مزية لك علينا، اتبعوك في الرأي ظاهراً من غير بحث ولا تحقق في صحته، ٣- وليس لك ولأتباعك الأراذل فضل تميزون به وتستحقون ما تدعونوه، بل نعتقد أنكم كاذبون فيما تقولون.

٢٨- قال نوح لهم: يا قوم أخبروني إن كنت على برهان من ربي في النبوة يدل على صحتها وصدقها، وليست المساواة في البشرية تمنع النبوة، وخصني ربي بالنبوة والرسالة، فضلاً منه وكرماً، فخفيت عليكم، أنجبركم على قبولها والإيمان بالله، وأنتم كارهون لا تختارونها ولا تأملون فيها؟ فذلك لا يقدر عليه إلا الله، ولا تقدر على ما تريد.

وَيَقُولُوا لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِي إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا
 بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْمَعُونَ وَلَكِنِّي أَخَذْتُ قَوْمًا
 يَجْهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى نَحْمَدُكَ يَا اللَّهُ إِنْ كُنَّا لَنَرِيكَ أَفْلا
 نَذْكُرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ
 الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ
 لَنْ يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنْفُسِهِمْ إِنَّ إِيَّائِيَ
 الظَّالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَدَدْنَا فَأَكْرَمْتَ كِذَابًا
 فَأَتَيْنَا تَعَدًّا إِنَّا نَكْتُ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ إِنَّمَا
 يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنَا بِمُعْجِزٍ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنْفَعُكُمْ
 نَصِيحِي إِنْ أَرَدْتُ أَنْ أُنصَحَ لَكُمْ إِنْ كَانَ اللَّهُ يَرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ
 هُوَ أَكْبَرُ مِنْكُمْ وَإِلَيْهِ تَرْجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَيْنَاهُ
 إِنْ أَنْزَلْنَاهُ فَعَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَأَنْزَلْنَاهُ فَعَلَىٰ مُوسَىٰ وَأَوْحَىٰ
 إِلَيْنَا نُوحًا إِنَّهُمْ لَا يؤْمِنُونَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدَّامًا فَلَا تَنْتَسِبْ
 بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٥﴾ وَأَصْحَابُ الْعُلُكِ أَعْيُنًا وَمُحْسِنًا
 وَلَا تَحْطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُخْرَجُونَ ﴿٣٦﴾

٢٩- ويقوم لا أطلب على تبليغ رسالتي أجراً
 تؤدونه إلي، فإن ثوابي المأمول على الله وحده،
 ولست بمبعث المؤمنين الفقراء أو الضعفاء من
 مجلس كما تطلبون، إنهم سيلقون ربهم بالبعث،
 فيجازيهم على إيمانهم، ويعاقب من طردهم،
 ولكني أراكم قوماً تجهلون عاقبة أمركم، ومن
 جهلهم: احتقارهم الفقراء، وطلب طردهم،
 ترفعاً عليهم.

٣٠- ويقوم، من يخلصني من عقاب الله إن
 طردتهم احتقاراً لهم، فهم أحق بالتكريم لإيمانهم
 بالله، أفلا تتعظون؟

٣١- ولا أقول لكم: عندي خزائن رزق الله
 أنفق منها كما أريد، ولا أقول لكم: أنا أعلم الغيب
 لأخبركم وأتاكم بما تريدون حتى تكذبوني، وإنما
 أنا نذير مبين، ولا أقول لكم: إنني ملك، بل أنا
 بشر مثلكم، ولا أقول للذين تحقروهم وفقيرهم:
 لن يؤتيهم الله خيراً، بل قد أتاهم الخير وهو
 الإيمان، ويجازيهم في الآخرة خيراً مما أتاكم في
 الدنيا، الله أعلم بما في قلوبهم من الإيمان
 والإخلاص، فيحاسبهم عليه، إنني إن قلت ذلك
 فأننا من الظالمين أنفسهم.

٣٢- قال القوم: يا نوح قد حاججتنا، فأكرت وأتيت بمختلف أنواعه، فأتنا بما تعدنا به من العذاب الذي
 تخوفنا به، إن كنت صادقاً في ادعاء النبوة.

٣٣- قال نوح لهم: إنما يأتيكم بالعذاب الله، إن شاء تعجيله لكم أو تأجيله، وما أنتم بمعجزتي الله بالإفلات
 من عقابه.

٣٤- ولا ينفعكم نصحي بتجنب أسباب عقاب الله، إن أردت نصحكم؛ لأنكم ترفضون النصيحة، إن
 كان الله يريد إضلالكم عن سبيل الرشاد، والمراد نتيجة الضلال، وهو أن يعذبكم ويهلككم، هو الله ربكم
 الخالق والمتصرف فيكم بإرادته، هداية أو إغواء، وإليه المصير في الآخرة، ليجازيكم على أعمالكم.

٣٥- بل يقول كفار مكة: اختلق محمد القرآن ومنه قصة نوح، قل: إن اختلقته من عندي، فعلي عقوبة
 ذنبي العظيم وجزاء كسبي، وأنا بريء من إجرامكم بنسبة الافتراء إلي.

٣٦- وأوحى الله سبحانه إلى نوح بعد دعائه على قومه بالهلاك والدمار: أنه لن يؤمن أحد من قومك بعد
 الآن إلا من سبق إيمانه من قبل، فلا تحزن حزناً باستكانة بما فعلوا، من تكذيب وإيذاء. والآية تبيس له من
 إيمانهم، لترتاح نفسه.

٣٧- واعمل السفينة برأى منا، وحفظ لك، ووحى بكيفية الصنع كما أرشدنا داود لصنع الدروع، ولا
 تطلب مني العفو في الذين كفروا، إنهم مغرورون جميعاً بالطوفان.

٣٨- وقام يصنع نوح السفينة، وكلما مرّ عليه جماعة من وجهاء قومه، سخروا منه، وهزئوا به؛ لأنه كان يعملها في بركة بعيدة عن الماء، ويقولون له: صرت نجاراً بعدما كنت نبياً، قال نوح: إن تهزؤوا بنا الآن، فلإننا نهزؤاً بكم في المستقبل عند الفرق، كما تهزؤون منا اليوم.

٣٩- فسوف تعلمون من منا الذي يأتيه عذاب يذله ويفضحه، وينزل عليه في الآخرة عذاب دائم، وهو عذاب النار.

٤٠- حتى إذا جاء أمرنا بالإهلاك، وفار الماء من تنور الخبز الذي جعل علامة بدء الطوفان، قلنا لنوح: احمل في السفينة من كل صنف من الحيوانات الأرضية زوجين اثنين: ذكراً وأنثى، واحمل أهلك وهم امرأتك وبنوه ونساؤهم، إلا من تقدم عليه الحكم منهم بالإهلاك والإغراق، واحمل من آمن معك من قومك، وما آمن معه إلا عدد قليل، هم ثمانون إنساناً، منهم ثلاثة من بنيه، وهم سام وحام ويافت وزوجاتهم.

وَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكَلَّمَا مَرْعَاهُ عَلَيْهِ مَلَأْتَيْنِ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ
إِنْ تَسْخَرُوا مِنِّي فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ فَسَوْفَ
تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْمِلُ عَلَيْهِ عَذَابٌ
ثَقِيلٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّى إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ قُلْنَا احْمِلْ
فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَوْبَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ
الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ وَقَالَ
ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللّٰهِ حِمِّهَا وَسَمَّاءُ أَنْ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾
وَمِنْ تَجْرِي بِهِنَّ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ وَتَدَاوَى نُوحٌ أَبْتَهُ وَكَانَ
فِي مَعْرِلٍ يَبْتَئِي أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ تَعَ الْكٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَتَدِينَا وَإِنِّي إِلىٰ جَبَلٍ بِعِصْمِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَأَعَاصِمٌ الْيَوْمَ مِنَ
أَمْرِ اللّٰهِ إِلا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ
الْمُغْرِقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَبَسْمَاءُ أَقْبَلِي
وَبِغِيصِ الْمَاءِ وَفُصِّي لَأَمْرٌ وَأَسْتَوْتُ عَلَىٰ الْجُودِيِّ وَقِيلَ بَعْدًا
لِّلْقَوْمِ الظّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَادَّأى نُوحٌ زَوْجَهُ فَصَالَ رَبُّهُ إِذْ أَنجَىٰ
مِنَ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

٤١- وقال نوح لمن حملهم معه: اركبوا في السفينة باسم الله جرياتها ورسوها بعده، إن ربي لغفور للذنوب، رحيم بالثائنين.

٤٢- والسفينة تجري بنوح والمؤمنين وسط أمواج كالجبال، ونادى نوح ابنه (كنعان) الذي لم يؤمن، وكان في مكان منزول عن أبيه وقربته: يا بني اركب معنا في السفينة، ولا تكن مع الكافرين خارج السفينة، فلإنهم هالكون.

٤٣- قال الابن لأبيه: سألجأ إلى جبل عال يحفظني ويمعني من الماء، قال الوالد: لا مانع اليوم من قضاء الله وعذابه، إلا من رحم الله فهو يعصمه، وهم الراكبون في السفينة، وحجب الموج بين نوح وابنه، فتعذر خلاصه، فكان من جملة المغرقين.

٤٤- وقال الله للأرض بعد هلاك قوم نوح: يا أرض ابلعي ماءك فوراً، ويا سماء أمسكي عن المطر، وجفت الماء، وتم أمر هلاك قوم نوح الكفار، وإنجاء المؤمنين، واستوت السفينة على جبل الجودي بالجزيرة قرب الموصل، وقيل: هلاكاً للقوم الظالمين أنفسهم، وهذه آية في إيجازها وبيان مشاهد المأساة في غاية البلاغة والفصاحة، مما لا يستطيع أحد من علماء البيان واللغة الإتيان بمثلها، مما يدل على أنها كلام الله تعالى.

٤٥- ودعا نوح ربه مستعظفاً قائلاً: إن ابني من أهلي، وقد وعدتني بنجاتهم، ووعدك الثابت لا يخلف، وأنت أعلم الحاكمين وأعدلهم.



٤٦ - قال الله له : يا نوح إن ابنك كنعان ليس من أهلك الناجين ؛ لأنه لم يؤمن بك ، إنه صاحب عمل سيء لكفره وتكذيبه ، فهو لشدة فجوره جعل كأنه العمل السيء ، كما يقال للشريير : إنه الشر نفسه ، أي صاحب الشر ، فلا تطلب ما لا علم لك به ، إذ لو كان في علمي أنه مؤمن لأنجيتته ، إني أحذرك أن تكون أحد الجاهلين ، بسؤالك ما لا تعلم .

٤٧ - أجاب نوح بقوله ، حينما علم أن سؤاله ناشئ عن وهم ، لم يتفق مع مرضاة الله : إني أستجير بك أن أطلب منك ما لا علم لي بصحته أو جوازه ، وإن لم تغفر لي ما فرط مني من السؤال ، وترحمني بالتوبة والإحسان ، أكن من الخاسرين في عمالي .

٤٨ - قيل لنوح : يا نوح انزل من السفينة إلى الأرض بسلامة من المكاره وأمن ، ونعم وخيرات عليك ، وعلى جماعات من ذرية من معك في السفينة ، وسيكون أم من نسلهم ، تمتعهم في الدنيا بزخارفها إلى يوم القيامة ، ثم يصيبهم منا في الآخرة عذاب شديد الألم ، والمراد بهم الكفار من ذرية من معه .

قَالَ يَنْوُحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ فَلَا تَسْأَلْنِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنِّي أَعْطُكَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخُوذُ بِكَ أَنْ أَسْأَلَكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَرَحْمَتِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَنْوُحُ أَهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ وَأَمْسِكْ سِكِّيمَهُمْ ثُمَّ يَسْأَلُكُم مِّنْ أَهْلِيكُمْ ﴿٤٨﴾ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلصَّابِرِينَ ﴿٤٩﴾ وَإِلَى عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ يَقَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا الْعَالِمِينَ ﴿٥١﴾ فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْمُجْرِمِينَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا يَهُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِ هَارُونَ عَنْ قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٥٣﴾

٤٩ - تلك قصة نوح من أخبار الغيب نقصها عليك بالوحي ، ما كنت تعلمها أنت ، ولا يعلمها قومك على هذا النحو من البيان الدقيق ، فاصبر أيها الرسول على التبليغ وأذى قومك ، كما صبر نوح ، إن العاقبة المحمودة في الدنيا بالنصر ، وفي الآخرة بالفوز ، للذين يتقون الله ، ويخشونه ، ويؤمنون بالرسول ، ويتقون الشرك والمعاصي .

٥٠ - وأرسلنا إلى قبيلة عاد في الأحقاف باليمن أخاهم في القبيلة والنسب هوداً عليه السلام ، واحداً منهم ، قال : يا قوم ، اعبدوا الله وحده ، ليس لكم إله غيره ، ما أنتم في عبادة الأوثان إلا قوم كاذبون على الله باتخاذكم شركاء لله ، وشفعاء عنده .

٥١ - يا قوم ، لا أطلب منكم على تبليغ الرسالة الإلهية عوضاً مالياً ، ما ثوابي إلا على الذي خلقتني على الفطرة السليمة - فطرة التوحيد لله ، أي إنه مخلص لهم في النصيحة ، أفلا تفكرون تفكيراً صحيحاً لمعرفة الحق الذي جئت به .

٥٢ - يا قوم ، استغفروا ربكم من الشرك والذنوب ، ثم أخلصوا التوبة من الشرك ، وأخلصوا العبادة لله ، يرسل المطر عليكم كثيراً غزيراً ، ويزدكم قوة مع قوتكم بالمال والولد ، ولا تعرضوا عن دعوتي ، حال كونكم مشركين .

٥٣ - قال القوم : يا هود ما آتيتنا بحجة واضحة أو معجزة لتقر لك بالنبوة ، ولسنا بتاركي عبادة آلهتنا ، من أجل قولك ، ولسنا نحن بمصدقين بنبوتك .

٥٤- ما نقول في شأنك إلا أنه أصابك بعض آلهتنا
بجنون، لسببك إياها وصلك عنها، فأنت تهذي
وتخرق، قال هود: أشهد الله على نفسي وأشهدوا
أنتم أي بريء عما تشركون مما اتخذتموه شركاء لله
تعالى.

٥٥- إني بريء من جميع الأصنام والأنداد مما
تشركون به من غير الله، فدبروا لي كل ما تستطيعون
من أنواع الكيد، أنتم وآلهتكم التي تزعمون أنها ضارة
بي، ثم لا تمهلوني طرفة عين، بل عاجلوني
بالإضرار. وهذا التحدي من هود بمحاولة إيقاع
الأذى والإهلاك أعظم معجزة له، فهو شخص
واحد، وهم جمع كبير طغاة.

٥٦- إني فوضت أمري إلى الله ربي وربكم، فهو
يعصمني من كيدكم، مهما بذلتم من محاولات
الإضرار، ما من دابة تدب على الأرض إلا وهو مالك
لها وقاهرها ويخضعها لما يريد لها، فلا نفع ولا ضرر
إلا بإذنه، إن ربي على منهج الحق والعدل فلا
يسلطكم علي، ولا يمكنكم من ظلمي، ولن
يضيعني.

٥٧- فإن تعرضوا وتولوا عن دعوتي وتصموا
على الكفر، فإني أبلغتكم رسالة ربي، وقامت عليكم

الحجة، وحق عليكم العذاب، ويهلككم ويأتي يقوم سواكم في دياركم هم أطوع منكم يوحدونه ويعبدونه، ولا
تضره بشيء إطلاقاً يعارضكم، إن ربي رقيب على كل شيء عالم بكل ما تعملون، فهو يحفظني من أي سوء.

٥٨- ولما جاء أمرنا، أي عذابنا يهلك عاد، نجينا هوداً ومن آمن معه، برحمة كائنة منا، ونجيناهم من عذاب
شديد متناه في الشدة.

٥٩- وتلك عاد الذين أهلكتناهم، فانظروا آثارهم في الأرض، إنهم كفروا بآيات الله الدالة على وحدانيته،
وأנקروا المعجزات، وخالفوا الرسول هوداً. عبر بالرسول عن واحد؛ لأن تكذيب رسول واحد تكذيب لجميع الرسل
- وأطاع القوم أمر كل متكبر، طاغ لا يقبل الحق ولا يذعن له.

٦٠- وجعل الله اللعنة (الطرد من الرحمة) ملازمة لهم لا تفارقهم في الدنيا، وتلحقهم أيضاً يوم القيامة حتى
توقعهم في العذاب، إلا إن عاداً كفروا بربههم، وجحدوا نعمته، ألا هلاكاً لهم وإبعاداً من رحمة الله تعالى.

٦١- وأرسلنا إلى ثمود في الحجر بين المدينة والشام أخاهم في القبيلة والنسب صالحاً، قال: يا قوم اعبدوا الله
وحده، ليس لكم إله غيره، هو ابتداء خلقكم وتكوينكم من الأرض، بخلق أبيضكم آدم من تراب، وجعلكم عمّار
الأرض ببناء المساكن وغرس الشجر، فاستغفروه من ذنوبكم ومن الشرك، ثم ارجعوا إلى عبادته واهجروا
الذنوب، إن ربي قريب الرحمة من خلقه الطائعين، قريب من إجابة الدعاء.

٦٢- قالوا: يا صالح قد كنت مرجوئاً لك السيادة علينا، نتفع برأيك قبل ادعائك النبوة، أنتهانا عن عبدة الأوثان
التي كان يعبدوها الآباء، ونحن في شك من التوحيد والتبري من الأوثان، شك موقع في الريبة أي سوء الظن
والتقلق النفسي!؟

إِنْ نَقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ
وَأَشْهِدُ أَيُّ بِرِيٍّ مِمَّا تَشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾ مِنْ دُونِهِ فَيَكِيدُ وَفِي
حَيْمَاتِهِمْ لَا يُنظَرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنْ تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ
دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾
فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبغضتُ بِهِمُ الْيَتِيمَ وَالسَّخِيَّاتِ رَبِّي
قَوْمًا غَيْرَ كَارِهِينَ وَلَا تَضْرِبُوهُنَّ سِنِينَ إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ
﴿٥٧﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا
وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِآيَاتِ
رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٥٩﴾ وَاتَّبَعُوا
فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ الْإِنْعَادَ كَذَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا
بَعْدَ الْعَادِ قَوْمُ هُودٍ ﴿٦٠﴾ وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَقَوْمِ
أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَهُ مَلَكُوتٌ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَسْمِعْكُمْ
فِيهَا فَاسْتَعْفِرُوا لِي أَلَّا تَكُونَ لِي آيَةً إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ ﴿٦١﴾ قَالُوا
يَصْلِحْ فَكَدَّبْتُمْ فَأَمْرُؤًا قَلِيلًا هَذَا أَشْهَدَانَا أَنْ نَعْبُدَ مَا يَعْبُدُ
ءَابَاؤُنَا وَأَنْسَالَنَا إِنَّا سَكَّيْنَا دَعْوَةَ إِلَهِهِ مَرِيبٌ ﴿٦٢﴾



قَالَ يَقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُمْ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي وَءَاتَيْنَا مِنْهُ
 رَحْمَةً فَمَنْ يَضُرُّنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُمْ فَمَا تَزِيدُونِي
 غَيْرَ تَحْسِيرٍ ﴿٦٣﴾ وَيَقَوْمِ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ
 فَذُرُّوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمْسُوهَا بِسُوءِ
 فِعَالِكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ﴿٦٤﴾ فَفَقَرُّوْهَا فَاقْتَمَعُوا
 فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعَذَابٌ مُكْدُوبٌ ﴿٦٥﴾ فَلَمَّا
 جَاءَ أَمْرُنَا نَجِيحًا صَالِحًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَتِنَا وَمِنْ
 حِزْبِ بَوْمِيذٍ إِنْ رَبُّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿٦٦﴾ وَأَخَذَ الَّذِينَ
 ظَلَمُوا الصَّيْغَةَ فَأَصْحَبُوا فِي دِيَارِهِمْ جَبَشِينَ ﴿٦٧﴾ كَأَنْهُمْ يَقْنُونَ
 فِيهَا الْآلِ إِنْ تَحْرَبُوا كَفَرُوا زُرَّهَا الْأَعْدَاءُ لَثَمُودَ ﴿٦٨﴾ وَلَقَدْ
 جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبَشْرِىَ قَالُوا سَلَامًا قَالَ سَلَامٌ
 فَمَا لِيَنَّكُمْ إِنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ﴿٦٩﴾ فَلَمَّا رَأَىٰ أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ
 إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوَّجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَحْزَنْ
 إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٠﴾ وَأَمْرَانَهُ قَائِمَةٌ فَضَحَكَتْ
 فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَرَاءِهِ يَسْحَاقَ ﴿٧١﴾ يَعْقُوبَ ﴿٧٢﴾

٦٣- قال صالح: يا قوم فكروا وأخبروني إن كنت على يقين وبصيرة وبرهان صحيح من ربي أني على الحق، وآتاني النبوة، فمن يمتعني من عذاب الله إن خالفت أمره، وعصيته في تبليغ رسالته ومنع الإشراف به؟ فما تطلبون مني باتباعكم غير تضليل وإيقاع في الخسران.

٦٤- يا قوم، هذه ناقة الله، جعلها لكم حجة على صدقي، ومعجزة ظاهرة، فاتركوها في الأرض تأكل من المراعي، ولا تتعرضوا لها بسوء من قتل أو أذى، فياخذكم عذاب عاجل قريب الوقوع إن عقرتوها، وهو ثلاثة أيام.

٦٥- فقتلوا بسيف أو نحوه، فقال لهم صالح: عيشوا في منازلكم ثلاثة أيام، ثم تهلكون، ذلك وعد صادق غير مكذوب فيه.

٦٦- فلما جاء أمرنا بإهلاك قبيلة ثمود، نجينا صالحاً ومن آمن معه من الهلاك، برحمة سابعة، ونجيناهم من ذل وهوان يوم القيامة، إن ربك يا صالح هو القوي القادر على كل شيء، الغالب على كل شيء، قاهر الأعداء.

٦٧- وأخذ الظالمين أنفسهم بالكفر صيحة شديدة من السماء، أو صاعقة أحدثت رجفة في القلوب، وصعق بها الكافرون، فأصبحوا في ديارهم ساقطين على وجوههم هالكين موتى.

٦٨- كأنهم لم يقيموا ولم يوجدوا في ديارهم قبل ذلك، إلا إن ثمود كفروا بربهم، ألا هلاكاً وطراداً من رحمة الله لثمود.

٦٩- ولقد جاءت الملائكة إبراهيم يبشرونه بإسحاق ولداً، قالوا: سلاماً عليك، قال: سلام عليكم، فما غاب طويلاً أو أبطأ إبراهيم حتى جاء بعجل مشوي على الحجارة المحماة بالنار، وهو أطيب الشواء.

٧٠- فلما شاهد أيديهم لا تمتد إلى العجل أو الطعام الذي قدمه لهم، ولا يأكلون منه، استنكر ذلك منهم، وظن أنهم يريدون شراً، كما هي العادة، وأحس في نفسه خوفاً وفرعاً، قالوا له: لا تخف منا، فنحن ملائكة أرسلنا لتعذيب قوم لوط.

٧١- وكانت امرأته سارة قائمة وراء الستر تسمع محاورتهم وتخدم الملائكة، فضحكت الضحك المعروف، بزوال الخوف، فبشرناها على لسان الملائكة بولادة إسحاق، وهبتها من بعد إسحاق حفيداً وهو يعقوب.

قَالَتْ يَوْنَيْسَىٰ أَلَا أُنَادِيُكُمْ إِلَىٰ مَا يَدْعُونَ هَٰذَا
لَتُنْفَخَنَّ ۖ ﴿٧٦﴾ قَالُوا أَتُحِبُّنَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةً وَبَرَكَاتٍ
عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴿٧٧﴾ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ
إِبْرَاهِيمَ الرُّوحُ وَجَاءَهُ الْبَشِيرُ بِجَدْلَانَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ﴿٧٨﴾ إِنَّ
إِبْرَاهِيمَ لَطَيْفٌ رَءُوفٌ مُنِيبٌ ﴿٧٩﴾ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ
جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ لَنِهْمٌ عَذَابٍ غَيْرِ مُرْوَدٍ ﴿٨٠﴾ وَلَمَّا
جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيقًا بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا
يَوْمٌ عَصِيبٌ ﴿٨١﴾ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِنْ قَبْلِ كَانُوا
يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَوْمَهُ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا
اللَّهَ وَلَا تَخْزُونِ فِي صَيْحِي أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ ﴿٨٢﴾ قَالُوا
لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَالَنَا فِي بَنَاتِكُمْ مِنْ حَيْثُ وَآتَاكَ لَتَعْلَمَ مَا نُرِيدُ ﴿٨٣﴾ قَالَ
لَأُنْزِلَ إِلَيْكُمْ قُوَّةٌ أَوْ أُنزِلَ إِلَيَّ رُكْنٌ شَدِيدٌ ﴿٨٤﴾ قَالُوا
يَلُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرَأْ أَمْلِكَ
بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْمُوكَ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرًا نَكِيًّا إِنَّهُ مُصِيبُهَا
مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ ﴿٨٥﴾

٧٦. قالت امرأته: يا عجبا أو دهشة، كيف ألد وأنا
عجوز فوق التسعين عاماً، وهذا زوجي حال كونه
شيخاً كبيراً بلغ مئة عام، إن هذا الخبر المبشر به لشيء
عجيب أن يأتي الولد من شخصين هرمين، وذلك كله
بحسب العادة الشائعة، لا بالنظر للقدرة الإلهية.

٧٧. قالت الملائكة: لا تستعجبي من قدرة الله
وقضائه وحكمته، فأنت من بيت النبوة، لا يخفى
عليك أن هذا من مقدرات الله تعالى، فإن رحمة الله
الواسعة ونعمه الكثيرة عليكم يا أهل بيت النبوة. بيت
إبراهيم، إن الله محمود الأفعال، كثير الخير
والإحسان، ذو المدد والرفعة.

٧٨. فلما ذهب الخوف عن إبراهيم حين علم بأنهم
ملائكة، وأتته البشري بإسحاق، أخذ يجادل رسلنا
في شأن قوم لوط، طالباً تأخير العذاب عنهم، لعلهم
يؤمنون.

٧٩. إن إبراهيم كثير الحلم، لا يتعجل في طلب
العقاب، كثير التأوه والتضرع إلى الله، والخوف من
الله وعلى الناس، الراجع إلى ربه في كل أموره.

٧٦. قالت الملائكة: يا إبراهيم، أعرض عن هذا
الجدال في أمر حسم فيه القضاء، إنه قد أتى أمر ربك
بعذابهم، وهو أعلم بحالهم، وبأتيتهم عذاب غير

مصروف ولا مدفوع عنهم بجدال أو دعاء أو غير ذلك.

٧٧. ولما جاءت الملائكة لوطاً في صورة شبان حسان، بعد أن خرجوا من عند إبراهيم، وكان بين إبراهيم وقرى
لوط فراسخ، ساءه مجيبتهم وحزن بسببهم، وضاق صدره غماً برؤيتهم في تلك الصورة، خوفاً عليهم من قومه
الفسقة الشذاذ بارتكاب فاحشة اللواط، وقال في نفسه: هذا يوم شديد الأذى والمكاره والمتاعب.

٧٨. وجاءه قومه يسرعون إليه إسراعاً مع رعدة، لتعاطي الفاحشة مع الأضياف، وكانت عادتهم من قبل إتيان
الرجال، قال لهم لوط: هؤلاء بناتي من نساء الأمة فتزوجوهن؛ لأن نبي القوم أب للمؤمنين به، هن أحل وأنزه،
فاتقوا الله بترك الفاحشة وخوف عقابه، ولا تفضحوني في أضيافي، أليس منكم رجل ذورشد وعقل يهتدي إلى
الحق ويمتنع من القبيح، وينهى عن المنكر؟!

٧٩. قالوا: لقد علمت يا لوط ما لنا في البنات من شهوة ولا حاجة، وإنك لتعلم ما نريد من إتيان الرجال، وترك
النساء.

٨٠. قال لوط لهم: لو كان عندي قوة وقدرة لدفعتمكم، أو لو وجدت معيماً وناصراً أو ألجأ إلى عشيرة قوية تمنعني
منكم، لقامو منكم فيما تريدون من الأضياف.

٨١. قالت الملائكة الرسل: يا لوط إنا ملائكة أرسلنا الله لإهلاك القوم، لن يمسوك بسوء، فاخرج مع أهلك
بساعة مظلمة أو بجزء من الليل، ولا يلتفت منكم أحد وراءه، إلا امرأتك لا تخرج معك، إنه مصيبها ما أصاب
القوم من العذاب، إن موعد هلاكهم الصبح حيث تسكن النفوس فيه ويجتمعون، أليس وقت الصبح ساعة
العذاب قريباً؟!

٨٢. فلما جاء أمرنا بوقوع العذاب، جعلنا قري قوم لوط عاليها سافلها، إذ خسفنا بهم الأرض، وأنزلنا عليهم حجارة كثيرة من الطين المتحجر، المتتابع والمتراكم بعضه فوق بعض.

٨٣. وهذه الحجارة لها علامة خاصة للعذاب، معلومة عند ربك في خزائنه، خاصة بهم لا تصيب غيرهم، وليست هذه الحجارة أو قري قوم لوط من الكافرين أهل مكة وأمثالهم ببعيدة، يرون عليها في طريقهم إلى الشام، وهذا وعيد لكل ظالم.

٨٤. وأرسلنا إلى أهل مدين (مدينة قرب معان في الأردن) أخاهم في النسب شعيباً عليه السلام الذي كان يسمى خطيب الأنبياء لقوة حجته وبيانه وحسن إقناعه قومه، قال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، ليس لكم إله معبود بحق غيره، ولا تنقصوا المكيال والميزان في البيع والقرض ونحوهما، إني أراكم بشروء وسعة في الرزق، تغنيكم عن النقص، فإيفاء الكيل عدل، وإني أخاف عليكم عذاب يوم محيط بالناس جميعاً لما فيه من الأهوال، لا يفلت منه أحد.

فَلَمَّا جَاءَ أَمْرًا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِّن سِجِّيلٍ مُّتَسَوِّدٍ ﴿٨٢﴾ مُّسَوِّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بَبَعِيدٍ ﴿٨٣﴾ وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُ شُعَيْبًا قَالَ يٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَهِ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أُرِيتُكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ ﴿٨٤﴾ وَيَقَوْمِ أَوفُوا بِالْمِكْيَالِ وَالْمِيزَانِ بِالْقِسْطِ وَلَا تَجْعَلُوا النَّاسَ أَسْيَاءَ لَهُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٨٥﴾ بَقِيَتْ لِلَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ مُّؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِمُحْفِظٍ ﴿٨٦﴾ قَالُوا يٰشُعَيْبُ أَصَلُّوكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ ﴿٨٧﴾ قَالَ يٰقَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيْتٍ مِّن رَّبِّي وَرَدَّ قَوْمِي مِنِّي رِزْقًا حَسَنًا وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَمْلِكَ لَكُمْ إِلَّاءَ مَا أَنَا إِلَهُكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿٨٨﴾

٨٥. ولا يكفي الامتناع عن النقص، بل يلزمهم السعي في الإيفاء، ولو بزيادة لا بد منها، فأموا الكيل والوزن بالعدل والتسوية، دون زيادة في الأخذ، ونقص في العطاء، ولا تنقصوا الناس من حقوقهم شيئاً، غشاً أو خديعة أو غضباً، ولا تفسدوا في الأرض، أو تكثروا الفساد، أو تداوموا على الفساد.

٨٦. ما ييقية الله لكم من الرزق الحلال الباقي بعد إيفاء الحقوق بالعدل، أفضل وأبرك لكم من الكسب الحرام، إن كنتم مصدقين بالله وبالْحَسَابِ؛ لأن المؤمن هو الذي يتنفع بالتذكير.

٨٧. قال القوم ساخرين مستهزئين: أصلائتك تأمرك بترك ما كان يعبد آباؤنا من الأصنام والأوثان، أو بترك ما كنا نفعل بأموالنا حسبما نشاء بحسب المصلحة، بالزيادة والنقص، تنصرف فيها بما نرضاه، إنك أنت المعروف بسعة الحلم، العاقل المتأني، شديد الرشد، أي الهداية، الراسخ فيها؟! وهذا على سبيل الاستهزاء.

٨٨. قال: يا قوم، أخبروني إن كنت على بصيرة وبرهان قاطع من ربي فيما أدعوكم إليه، ورزقي الرزق الكثير الطيب، فهل يعقل أن أخالف أمر الله ونهيه؟ وليس من المعقول ولا من شأنني أن أنهاكم عن شيء ثم أرتكبه أو أفعل خلافه، ما أريد إلا الإصلاح بالعدل قدر استطاعتي، وما توفيتي لإصابة الحق والصواب إلا بعون الله تعالى، عليه اعتمدت في جميع أموري، وإليه أرجع في كل أمر.

وَيَقُولُ لِيَوْمِئِذٍ مَن كُنتُمْ شِقَاقِي أَن يَصِيبِكُمْ مَثَلُ مَا أَصَابَ
 قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَالِحٍ وَمَا قَوْمَ لُوطٍ فَمَنكُم مَّن يَبْعِدُ
 ﴿٨٨﴾ وَاسْتَغْفِرُوا رَبَّكُم ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي رَحِيمٌ
 وَدُودٌ ﴿٨٩﴾ قَالُوا يَسْعَىٰ مَا نَفَعَهُ كَيْدًا مِّمَّا تَقُولُ
 وَإِنَّا لَنَرِيكَ فِتْنًا صَاحِبِقًا وَلَوْلَا رَهْمَتُكَ لَرَجَمْنَاكَ وَكَا
 أَنْتَ عَلَيْنَا بَعِيزٌ ﴿٩٠﴾ قَالَ يَقَوْمِ أَرَهَيْتُمُ عُرُوسِي
 مِن لَّدُنِّي وَأَخَذْتُمُوهُنَّ وَأَهْلَهُنَّ كَمَا ظَهَرْتُ بِنَا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ مُجِيطٌ
 ﴿٩١﴾ وَيَقَوْمِ أَتَمَعَلُوا عَلَىٰ مَكَانِكُمْ إِنِّي عَسَىٰ أَسُوفُ
 تَعْمَلُونَ مِمَّنِّي عَذَابٌ يُجْزِيهِ وَمَن هُوَ كَذِبٌ وَأَرْتَابُوا
 إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ ﴿٩٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا مِّنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَأَخَذتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةَ
 فَأَصْحَبُوا فِي دِيَارِهِمْ جَحِشِينَ ﴿٩٣﴾ كَانَ لَوْ يُعْمَلُونَ
 فِيهَا الْأَبْعَدُ مِنَ الدِّينِ كَمَا بَعَدتْ ثَمُودُ ﴿٩٤﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا وَسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٩٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَأِيهِ فَاتَّبَعُوا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ ﴿٩٦﴾

٨٩- ويا قوم، لا يحملنكم عدائي وخلافي
 الشديد على تكذبي، فيصيبكم عذاب مثل ما
 أصاب قوم نوح من الغرق، أو قوم هود من الريح
 الصرصر الباردة، أو قوم صالح من الرجفة
 وخسف الأرض بهم، وليس هلاك قوم لوط منكم
 يبعيد خبرهم ومكانهم وزمانهم عنكم، أفلا
 تتعظون؟

٩٠- واستغفروا ربكم من ذنوبكم، ثم توبوا
 إليه عن معاصيكم السابقة، إن ربي واسع الرحمة
 بالتائبين، كثير المحبة لهم، فاعل بهم اللطف
 والإحسان، كما يفعل الصديق الودود بمن يوده.

٩١- قال القوم: يا شعيب، ما نفهم كثيراً بما
 تقول لنا من الغيبات، كما نفهم الأمور المشاهدة،
 وإننا لترك ضعيفاً لا قوة لك على مقارمتنا والدفاع
 عن نفسك، ولولا عشيرتك القرية التي تتقوى بها
 لرجمناك أي قتلناك بالحجارة، وما أنت علينا بكرم
 عن الرجم.

٩٢- قال شعيب لهم: يا قوم أعشيرتي أعز
 عليكم من الله؟ لأن الاستهانة بنبي الله استهانة بالله
 عز وجل، وجعلتم أمر الله وأمر نبيه مهملاً كالملقى خلف الظهر، إن ربي عليم بأحوالكم وأعمالكم،
 فيجازيكم عليها.

٩٣- ويا قوم، اعملوا غاية إمكانكم وما في وسعكم من الكفر والتكذيب، إنني عامل بما أمرني به ربي،
 وعلى حسب إكثاري، سوف تعلمون عاقبة الشرك وإضرار الناس، ومن يأتيه عذاب يهينه ويذله، ومن هو
 كاذب مني ومنكم، وانتظروا وعيد ربكم بالعذاب، إنني منتظر وعد ربي بالرحمة.

٩٤- ولما جاء أمرنا بإهلاكهم، نجينا شعيباً والمؤمنين معه من العذاب، بسبب رحمتنا، وأخذت الذين
 ظلموا أنفسهم بالشرك الصيحة أو الرجفة المهلكة، فأصبحوا في ديارهم ميتين.

٩٥- كان لم يقيموا فيها، ألا هلاكاً للمدين، كما هلكت ثمود من قبلهم، وكان هلاك القومين بالصيحة،
 غير أن صيحة ثمود كانت من تحتهم، وصيحة مدين كانت من فوقهم.

٩٦- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وهي التوراة أو الآيات التسع كما ذكر في سورة الإسراء (١٧/١٠١) المبينة
 في سورة الأعراف (٧/١٣٣)، وبالمعجزات الظاهرة، أو البراهين القوية الواضحة.

٩٧- أرسلناه إلى فرعون وزعماء قومه، فاتبعوا أمر فرعون بالكفر وأعرضوا عن موسى، وما شأن فرعون
 بذئ رشده وهدى، فليس فيه رشده قط، بل هو في ضلال محض.

يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْدَدَهُمُ النَّارُ وَبِئْسَ الْوَرْدُ
 الْمُرْوَدُ ﴿٩٨﴾ وَأَتَّبِعُوا فِي هَذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بئس
 الرِّقْدُ الْمُرْوَدُ ﴿٩٩﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْهَا
 قَائِمٌ وَحَصِيدٌ ﴿١٠٠﴾ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَمَا
 أَغْنَتْ عَنْهُمْ آلِهَتُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ لَمَّا
 جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتَابَعٌ ﴿١٠١﴾ وَكَذَلِكَ أَخْذُ
 رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ الْقُرَى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخَذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴿١٠٢﴾
 إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ
 تَجْمَعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ ﴿١٠٣﴾ وَمَا نُوحِىَ إِلَّا
 لِأَجْلِ مَعْدُودٍ ﴿١٠٤﴾ يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلِّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِذَمِّهِمْ
 سُوقٌ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ سُقُوا فِي النَّارِ لَمْ يَكُنْ فِيهَا
 زَيْدٌ وَشَيْقٌ ﴿١٠٦﴾ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ
 وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يَشَاءُ ﴿١٠٧﴾
 وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا فِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
 السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرٌ مَجْدُودٍ ﴿١٠٨﴾

٩٨ - يتقدم فرعون قومه إلى عذاب النار يوم
 القيامة، فأدخلهم نار جهنم، بئس المورد الذي وردوه
 ودخلوه؛ لأن المورد المائي يرده الناس عادة لإطفاء حر
 العطش، والنار عكس ذلك.

٩٩ - وأتبع الله فرعون وكبار قومه بعد هلاكهم
 بالبحر طرداً وبعداً عن الرحمة في الدنيا، وأتبعهم
 طرداً ولعنة أخرى يوم القيامة من أهل المحشر، بئس
 العطاء المعطى أو العون المعان، وسميت اللعنة عطاء
 تهكماً، كما سمي الزقوم نزلاً في الصافات [٦٢].

١٠٠ - ذلك الذي قصه الله عليك أيها النبي في هذه
 السورة من أخبار الأمم السابقة التي أهلكتنا أهلها بسبب
 الكفر والتكذيب، من تلك القرى ما يزال قائماً باقياً
 أثره، ومنها خراب هالك لا أثر له، كالزروع القائم على
 ساقه، والذي حصد.

١٠١ - وما ظلمناهم بإهلاكهم من غير ذنب،
 ولكن ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فما نفعتهم
 آلهتهم أي أوثانهم التي يعبدونها من غير الله، من
 شيء من العذاب، فلم تدفعه عنهم، بل ضررتهم، لما
 جاء أمر ربك بعذابهم، وما زادتهم أصنامهم التي
 يعبدونها غير الهلاك والخسران.

١٠٢ - ومثل ذلك الأخذ بالعذاب عقوبة ربك إذا

عاقب أهل القرى وهم ظالمون بالذنوب، إن عقابه للكافرين موجه مؤلم بشدة فائقة لا يرجى الخلاص منه.

١٠٣ - إن في ذلك المذكور من القصص المتعلقة بأخبار السابقين وإهلاكهم لعبرة وعظة لمن خاف عذاب الآخرة
 الشديد، ذلك يوم القيامة، يجمع له الناس للحساب والجزاء، وذلك يوم يشهده جميع الخلائق.

١٠٤ - وما نوحى مجيء يوم القيامة إلا لزمان معين عند الله، معلوم بالعدد.

١٠٥ - يوم يجيء ذلك اليوم والجزاء لا تتكلم نفس بحجة إلا بإذن ربها، فمن الناس شقي بكفره وهم أصحاب
 النار، ومنهم سعيد بإيمانه وهم أصحاب الجنة.

١٠٦ - فأما الذين سُقُوا بكفرهم وعصيانهم في علم الله تعالى، فهم في النار مستقرون، لهم فيها صوت شديد
 أثناء الزفير (إخراج النفس) والشهيق (أخذ النفس) من شدة ألم صدورهم، وضيق نفوسهم.

١٠٧ - وهم ماكثون إلى الأبد في النار مدة دوام السموات والأرض في الدنيا، وهذا التعبير يراد به التأبيد في
 كلام العرب على سبيل التمثيل، فهو كناية عن تأبيد الخلود، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان لأحد عليها، فهو
 سبحانه الفعال لما يريد، ومن مشيئته ألا يخلد عصاة المؤمنين في النار، إن الله يفعل في الدنيا والآخرة ما يشاء، فلا
 اعتراض لأحد.

١٠٨ - وأما الذين سعدوا بإيمانهم وعملهم الصالح في علم الله وتوفيقه، فهم مقيمون في الجنة أبداً، ما بقيت
 السموات والأرض، وهو تعبير يفيد التأبيد في استعمالات كلام العرب، ويتم ذلك بمشيئة الله التي لا سلطان
 لمخلوق عليها، ومن مشيئته إكرامهم بما هو أكبر من ذلك، يعطيهم ربه عطاء غير مقطوع، وإنما هو ممتد إلى الأبد،
 وكل ذلك لا يمنع تفاوت الناس في درجات النار ودرجات الجنان، فيجازي الله كل عامل بما يعمل.



١٠٩- فلأتكن أيها النبي في شك في بطلان ما يعبد هؤلاء المشركون، فلا نفع في أصنامهم، ومصيرهم كمن سبقهم من الكفار إلى النار، وهم في عبادتهم للأصنام مقلدون لأبائهم المتقدمين، وإن الله تعالى لمعطيهم حظهم المستحق من العذاب كاملاً تاماً غير منقوص منه شيء.

١١٠- ولقد أعطينا موسى كتاب التوراة، فاختلف فيه قومه بين مصدق ومكذب، فأمن به قوم، وكفر به قوم، كما فعل مشركو مكة، ولولا قضاء الله السابق بتأخير العذاب إلى يوم القيامة، لقصي أي حكم بين قومك أو بين قوم موسى في الدنيا فيما اختلفوا فيه، فعجل لهم العقاب، وأهلك الطغاة في الدنيا، وإن كفار مكة أو المكذبين بالتوراة، لفي شك في كتابهم المنزل، موقع في الرية والحيرة.

١١١- وإن كل فريق من المختلفين: المصدقين والمكذبين إلا ليلتقى يوم الحساب جزاء عمله تاماً وافياً، من خير أو شر، إن الله عالم بأعمال العباد ظاهرها وباطنها، لا يخفي عليه شيء.

١١٢- فاستقم أيها النبي على العمل بأمر ربك والدعوة إليه، وداوم على الاستقامة كما أمرك الله به ونهاك عنه، وليستقم أيضاً معك من تاب من الشرك

فَلَأَتَاكَ فِي مَرْيَبَةٍ تَمَّ بَعْدَهُ هَؤُلَاءِ مَا بَعْدُوا إِلَّا كَمَا بَعْدُ
ءَابَاؤُهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِنَّمَا لِقَوْمِهِمْ صِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْقُوصٍ ۝ وَلَقَدْ
ءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ
مِنْ رَبِّكَ لَقَضَىٰ بِئِنَّهُمْ وَإِنَّهُمْ لِنِي سَكِّ قَتَهُ مُرِيبٍ ۝
وَإِن كَلَّمْنَا لَوْ قِيَهُمْ رَبِّكَ أَعْمَلَهُمُ اللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٍ ۝
فَأَسْتَقِمْ كَمَا أَمَرْتِ وَمِنْ تَابِ مَعَكَ وَلَا تَطْعَوَا إِلَهُ
بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٍ ۝ وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمَا تَسْكُمُ
النَّارَ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ
لَا تُصْرُونَ ۝ وَأَوِّ الصَّلَاةَ طَرَفِي النَّهَارِ وَذُلْفَا مِنْ
الْيَلِيلِ إِن الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ ذَلِكَ ذِكْرِي
لِلذَّكْرَيْنِ ۝ وَأَصْبِحَ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَعْرَابَ الْمُحْسِنِينَ ۝
فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ الْفَسَادِ
فِي الْأَرْضِ إِلَّا لَفِي لَأْتَمَنَّ أَنْجِيْنَا مِنْهُمْ وَأَتَّبِعَ الَّذِينَ
ظَلَمُوا مَا أَتَوْا فِيهِ وَكَانُوا نُجْمٍ مِينِ ۝ وَمَا كَانَ
رَبِّكَ لِيُؤَلِّكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصَلِّونَ ۝

وأم برسالتك، والتزم هديك، ولا تتجاوزوا حد الاعتدال في الأوامر والنواهي، أي لا ترتكبوا المعاصي، إنه سبحانه بصير بأعمالكم، فمجازيكم عليها.

١١٣- ولا تميلوا أدنى ميل أيها المؤمنون إلى الظالمين الكافرين بأن ترضوا بما هم عليه، أو تشاركوهم في أعمالهم، فتصيبكم النار بسبب الميل إليهم، وليس لكم من غير الله من أعوان وأنصار لإنقاذكم من النار، ثم لا تجدون من ينصركم عند الله تعالى لمنع العذاب عنكم.

١١٤- وأقم الصلاة في الغداة والعشي، صباحاً ومساءً، والمراد صلاة الصبح والعصر ومعها الظهر، وفي مدة من الليل مطلقاً، وذلك يشمل المغرب والعشاء، إن فعل الحسنات ومنها الصلوات الخمس يذهبن، أي يكفرن صفات الذنوب، وأما الكبائر فلا بد لها من التوبة، ورأى بعضهم أن السيئات على العموم تكفرها الحسنات، ذلك الحكم عظة للمتعتظين.

١١٥- واصبر على الصلاة والاستقامة وترك الطغيان والركون إلى الظالمين، فإن الله يوفي المحسنين أجورهم. والآية تشمل الصبر على جميع الطاعات، وترك جميع المعاصي.

١١٦- فهلاك من الأمم التي أهلكتها أصحاب رأي وعقل ودين ينهون عن الفساد في الأرض من الشرور والمنكرات، لكن قليلاً ممن أنجينا منهم من العذاب، وهم المؤمنون برسالات الأنبياء كانوا يؤدون هذه المهمة، فأنجيناهم، واتبع الذين ظلموا أنفسهم ما أنعموا فيه من الشهوات والملاذ، وآثروها على أعمال الآخرة، وكانوا باتباع شهواتهم مجرمين.

١١٧- وما كان ربك ليهلك أهل القرى بظلم منه لهم، وهم مصلحون أعمالهم الدينية والدنيوية من الإيمان والمعاملات الاجتماعية.

وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُ الْمُخَلَّفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا
 مِنْ زُرُورِكَ وَإِلَٰذَا كَلَّمَهُمْ قَالَتْ كَلِمَةً رَبِّكَ لِأَمَلَانَ جَاهِدٍ مِنْ أُمَّةٍ
 وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١١٩﴾ وَلَا تَقْصُصْ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نَبَّأَتْ
 بِهِ قُرْآنَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقِّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٠﴾
 وَقُلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ كَمَا تَبْتَكِمُ ۖ أَنْعَمَلُوا ﴿١٢١﴾ وَأَنْظُرُوا
 إِنَّا نُنْظُرُونَ ﴿١٢٢﴾ وَاللَّهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ
 كُلُّهُ فَأَعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِعَافٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الرَّسَالَةَ إِلَيْكَ الْكِتَابَ الْأَمِينِ ﴿١١٩﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا
 عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٢٠﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ
 بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ
 لَمِنَ الْغَافِلِينَ ﴿١٢١﴾ إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ
 أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ ﴿١٢٢﴾

١١٨ - ولو شاء ربك أيها النبي لجعل الناس كلهم على دين واحد، ولكنه أراد أن يكونوا مختارين لتحقيق مبدأ العدل في الثواب والعقاب، ولا يزالون بعد ترك الاختيار لهم مختلفين في الحق بسبب اتباع الأهواء.

١١٩ - ولا يزالون مختلفين إلا من رحم الله، فهداهم بفضلته إلى الدين الحق، ولتحقق هذه الإرادة غير الجبرية خلقهم مختارين، وكذلك خلقهم لرحمته، وثبت قضاء الله وأمره أنه يملأ جهنم بسبب الكفر والمعصية من الجن والإنس منهما أجمعين لا من أحدهما.

١٢٠ - وكل نبيأقص عليك أيها النبي من أنباء الرسل، من أجل تثبيت قلبك على أداء الرسالة وعلى تحمل الأذى، وجاءك في هذه السورة المتضمنة بعض قصص الأنبياء وأدلة الإيمان ما هو حق ثابت من ربك، وعظة وتذكير للمؤمنين أهل الحق بحسن العاقبة.

١٢١ - وقل أيها النبي للذين لا يؤمنون بهذا الحق ورسالة الإنقاذ: اعملوا ما يمكنكم عمله من الشر في حقي بحسب منهجكم، إنا عاملون بمنهجنا ودعوتنا إلى الخير.

١٢٢ - وانظروا عاقبة أمركم ومصير كفركم وتكذيبكم، إنا منتظرون تحقيق هذا المصير.

١٢٣ - والله وحده علم جميع ما غاب عن الناس في السموات والأرض، وإليه مرجع جميع الأمور يوم القيامة، فيجازي كل واحد بعمله، فاعبد ربك وحده ومن معك من المؤمنين، وفوض أمرك إلى الله في جميع أمورك، فإنه كافيك، وليس يخفى على الله كل ما تعملون من خير أو شر، بل هو عالم به، ومجازٍ عليه.

سورة يوسف

سمى الله تعالى هذه السورة أحسن القصص، وآيات للسائلين، وعبرة لأولي الألباب، وتصديق الكتب السماوية السابقة. سبب نزولها: أن كفار مكة لقي بعضهم اليهود، وتباحثوا في شأن محمد ﷺ، فقال لهم اليهود: سلوه، لم أنتقل آل يعقوب من الشام إلى مصر، وعن قصة يوسف، فنزلت.

١ - ﴿الر﴾ ألف لام راء: إشارة لإعجاز القرآن وتحدي العرب بمعارضته ما دام مكوناً من حروف اللغة العربية التي لهم فيها أفانين البيان وسحر الفصاحة والبلاغة، تلك الآيات في هذه السورة هي من آيات القرآن الظاهر في أنه من عند الله.

٢ - إنا أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب، لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه، لبناء شخصية الفرد والجماعة.

٣ - نحن نقص عليك أيها النبي أحسن القصص (الأخبار) عن الأمم الماضية، بإيحائنا إليك هذا القرآن المحكم، وإن كنت من قبل الوحي لا تعلم شيئاً عن هذه القصة وغيرها من قصص القرآن، وسميت هذه السورة أحسن القصص، لما فيها من العبر والعظات، وسيرة الأنبياء والصالحين والملائكة والملوك والمماليك والتجار والرجال والنساء، ولأن كل من ذكر فيها كان من السعداء، قال ابن عباس: قالوا: يا رسول الله، لو قصصت علينا؟ فنزلت: ﴿نحن نقص عليك أحسن القصص...﴾ [٣].

٤ - أذكر حين قال يوسف لأبيه يعقوب عليهما السلام: يا أبت (بإبدال ياء المتكلم تاء في نداء الأب أو الأم) إني رأيت في المنام أحد عشر كوكباً (أي إخوته) والشمس والقمر (أي أباه وأمه) رأيتهم ساجدين لي، وصفوا بصفة العقلاء، بسبب السجود الذي هو سجود تحية لا سجود عبادة.



قَالَ يَبْنِي لَا تَقْضُصْ رُءُوكَ عَلَيَّ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا
 إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ يَجْنِبُكَ
 رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيَسِّرُ نَعْمَتَهُ عَلَيْكَ
 وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ
 وَأِسْحَاقَ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾ لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ
 وَإِخْوَتِهِ آيَاتٍ لِّلسَّاعِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا لِيُوسُفُ وَأَخُوهُ
 أَحَبُّ إِلَيْنَا أَيْسَاءِ مَا وَجَّعَ عَصَبَهُ إِنَّ آبَانَا لِيُوسُفَ مُبِينٌ ﴿٨﴾
 أَتَقُولُوا يُونُسَ أَوْ أُطْرُجُوهُ أَوْ صَالِحًا لَكِنَّ رَبَّهُ لَسِعَ مِنْكُمْ
 وَكَوَنُوا مِنْ بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ﴿٩﴾ قَالَ قَائِلٌ لَّهُمْ لَأَقْتُلَنَّكَ
 يُونُسَ أَلْقُوهُ فِي الْبَحْرِ لِنَقُطَهُ بِعُضِّ السَّيَّارَةِ
 إِن كُنْتُمْ قَاعِلِينَ ﴿١٠﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْتِنَا عَلَىٰ يُونُسَ
 وَإِنَّا لَهُ لَنُحْضِنُ ﴿١١﴾ أَرْسَلَهُ مَعَنَا غَدًا يَكْتُمُ وَيَكْتُمُ
 وَإِنَّا لَهُ لَنُحْضِنُ ﴿١٢﴾ قَالَ إِنِّي لَجُرَّحٌ أَن تَدْهُبُوا بِهِ
 وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذَّنْبُ وَأَنْزَعَنِي عَنْهُ عَظْمُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا
 لَئِن لَّمْ أَكَلِ الذَّنْبُ وَشَرَّ عَصَبَةٍ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ ﴿١٤﴾

٥- قال يعقوب بن إسحاق: يا بني، لا تخبر إخوتك بالرؤيا لئلا يحسدوك، ويدبروا لك تدبيراً خفياً قد يضرك، فإن الشيطان للإنسان عدو ظاهر العداوة، ومهمته إيقاع الفتنة بين الناس.

٦- ومثل ذلك الاختيار والاصطفاء يختارك ربك ويصطفيك على سائر العباد، لمهمة عظيمة، ويعلمك تعبير الرؤيا: وهو الإخبار بما يزول إليه الشيء في الوجود، ويتم نعمته عليك بالنبوة والملك، وفي ذلك خير الدنيا والآخرة، ويتمها على ذرية يعقوب، كما أتمها بالنبوة على جدتيك: إبراهيم، إذ نجاه الله من النار، واتخذة خليلاً، وجعله نبياً رسولاً، وإسحاق الذي جعله أيضاً نبياً رسولاً، إن ربك عليم بمن كان أهلاً للاصطفاء، حكيم في صنعه وتدبيره، يضع الشيء في موضعه الصحيح. وكلمة ﴿ال﴾ لا تستعمل إلا في اتباع العظيم والعظمة.

٧- لقد كان في قصة أو خبر يوسف وإخوته عبر وعظات للسائلين عن قصصهم، وبراهين وعلامات دالة على صدق نبوة محمد ﷺ للسائلين (المفسرين) له من اليهود عن قصة يوسف، كما تقدم بيانه، ودلائل أيضاً على قدرة الله تعالى وحكمته ولفظه بعباده الذين يختارهم للنبوة.

٨- إنها عبرة حين قال إخوة يوسف (وهم أحد عشر) لأبيهم: قسماً كيوسف وأخوه بنيامين شقيقه من أمه أحب إلى أبينا منا كلنا، ونحن جماعة قوية تقدر على خدمته، إن أبانا لفي خطأ واضح في الرأي بإيثار يوسف وأخيه بالمحبة دوننا.

٩- قال أكثر الإخوة: اقتلوا يوسف أو القوه في أرض بعيدة عن أبيه وعن العمران، يصفُ ويخلص لكم توجه أبيكم ومحبته، وتكونوا من بعد هذا الفعل بالفعل بالقتل أو الإبعاد قوماً صالحين مع أبيكم وفي أمور دينكم ودنياكم، بالبعد عن القلق النفسي والغيرة والحسد، والتفات الأب إليكم وحدكم.

١٠- قال أحد الإخوة وهو يهوذا: لا تقتلوا يوسف، والقوه في قعر البئر الذي يغرب عن رؤية البصر، إن كنتم فاعلين به شيئاً بقصد الإبعاد عن أبيه، فهم إذن غير أنبياء.

١١- قال الإخوة بعد اتفاقهم على الإبعاد: يا أبانا ما لك لا تأتمنا على يوسف وتخاف عليه منا، وإننا له لناصحون: نشفق عليه ونريد له الخير.

١٢- أرسله معنا غداً إلى البرية أثناء خروجنا للمرعى، ينشط ويأكل من الفاكهة والزرع، ويلعب بالسهم والمسابقة المباحة، وإننا لحافظون عليه من أن يتاله مكروء، والبعد عن إضراره.

١٣- قال يعقوب لهم: إنني أحزن لغيبه يوسف بذهابه معكم وفراقه إلي، وأخاف أن يفترسه الذئب الكاسر، وأنتم عنه لاهون مشغولون باللعب ونحوه.

١٤- قالوا لأبيهم: والله لئن أكله الذئب، ونحن جماعة قوية، إننا لعاجزون ضعفاء مستحقون لوصف الخسارة.

١٥- فلما ذهب الإخوة يوسف، وعزموا عزماً أكيداً أن يلقوه في قعر البئر، وألهمنا يوسف بعد إلقائه في البئر، حال صغره وله سبع عشرة سنة أو نحوها، تأنيساً له، لتُخبرن إخوتك بما فعلوه معك، أو بصنيعهم هذا، وهم لا يشعرون بأنك أنت يوسف، كما سيأتي في الآية [٨٩].

١٦- ورجعوا إلى أبيهم ليلاً وقت المساء متباكين، ليستروا فعلتهم وكذبهم، ويوهمو أباهم أنهم صادقون.

١٧- قالوا: يا أبانا، إنا ذهبنا نتسابق في العدو أو الرمي أو ركوب الخيل، وتركتنا يوسف عند ثيابنا وأمتعتنا ليحرسها، فأكله الذئب حال بعدنا عنه، ولست بمصلق لنا، ولو كنا عندك صادقين، لسوء ظنك بنا واتهامك لنا وشدة محبتك ليوسف.

١٨- وجاؤوا على قميص يوسف بدم مكذوب فيه، غير دم يوسف، فلما رآه يعقوب، قال لهم لما علم بكذبهم: لم يأكل الذئب يوسف، بل زينت لكم أنفسكم أمراً شنيعاً متكرراً فعلتموه بأخيكم، فصبر جميل: وهو ما لا شكوى فيه إلى أحد ولا جزع، وأطلب العون من الله على ما تذكرون من أمر يوسف، وتكذبون.

فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غِيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُمْ بِأَمْرِهِمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾
وَجَاءَ وَرَأَاهُمُ عِشَاءً بَيُوتُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَاعِنَا فَكَلَّمْنَا الذَّئْبَ وَمَا أَنْتَ بِمُؤْمِنٍ لَنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾ وَجَاءَهُ وَعَلَى قَيْصِهِ يَدُهُمْ كَذِبٌ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبِرْ جَمِيلًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا تَصِفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَتْ سَكَّابَةٌ فَارْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَاذْكُرُوا دَلْوَهُ قَالِ يَبْنَؤُا هَذَا غُلْمٌ وَأَسْرُوهُ بَضْعَةَ وَأَلَّهِ عَلَيْهِمْ مَا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَسَرَّوهُ بَيْنَ بَيْتَيْنِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ﴿٢١﴾ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِنْ مِصْرَ لَا مَرْأَةَ لِي أَكْرَمِي مَثْوَاهُ عَسَى أَنْ يَفْعَلْنَا أَوْ سَيِّئَهُ وَوَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَءَاثِمَهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٢٣﴾

١٩- ومر بالبئر قوم مسافرون من مدين في بلاد الشام إلى مصر، فأرسلوا واردهم: وهو الذي يرد الماء ليستقي لقومه، فألقى دلوه في البئر لتمتلي، فتعلق يوسف بالحبل، فلما رآه الوارد قال: يا فرحنا (يقال عند السرور مقابل: يا حسرتنا عند الجزع) هذا غلام، وأخفوا أمره عن الرفاق، حال كونهم جاعليه متاعاً للتجارة، يساع ويشترى كالرفيق، والله عليم بعملهم، لم يخف عليه إسرارهم، وما نزل يوسف من المحنة، وصار كالسلعة للبيع والشراء.

٢٠- وباعه الرفقة المسافرون بمصر بثمان مبخوس ناقص عن ثمن مثله، بدراهم قليلة، وكانوا في يوسف من الراغبين عنه، غير المبالين ببقائه معهم.

٢١- وقال مشتره عزيز مصر، وزير الملك على خزائن المال، لامرأته: أحسني إقامته معنا، وأحسني تمهده بحوائجه ومصالحه، عسى أن يفيدنا إذا كبر، فيقوم ببعض الأعمال، أو نتبناه فنجعله ولدًا لنا لو سامته وجماله وأمارات ذكائه، وكما نجيها من القتل والبئر، جعلنا له في مصر مكانة ومنزلة رفيعة حتى صار وزير ماليتها، لتملكه وتعلمه تعبير الرؤيا وتفسيرها، والله لا يعجزه شيء، تقع الأمور بحسب إرادته، ولو دبر الناس خلاف ذلك، ولكن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون أن الله غالب على أمره، قادر على تنفيذ مراده، بيده الأمر كله.

٢٢- ولما بلغ أشده: وهو غاية القوة الجسدية والعقلية، وكمال الرشد، من ثلاثين إلى أربعين، أعطيناه النبوة والحكمة وهي العلم المؤيد بالعمل أو معرفة أسرار الأشياء، وعلم الدين وتأويل الرؤيا والأحاديث، ومثل هذا الجزاء الذي جزيناه به، نجزي المحسنين لأنفسهم بطاعة الله تعالى.

٢٣- وراودته زليخا امرأة العزيز التي هو في بيتها عن نفسه، والمرادة: المطالبة برفق ولين وخداع، وطلبت منه أن يواقعها، وأحكمت إغلاق الأبواب، وقالت له: هلم وأقبل، تهيأت لك، قال لها: أعوذ بالله وأتحصن من الجهل والفسق، مما دعوتني إليه، كيف أفعل ذلك، والحال إن زوجك سيدي (قطفير) أحسن مقامي وأكرمني، وجعلني مؤتمناً على أموره، فلا أخونه، إنه لا يفلح الظالمون الذين يقابلون الإحسان بالإساءة. وقيل: إن الضمير لله تعالى، فإنه أحسن إقامتي في بلد الغربة.

٢٤- ولقد مال كل واحد منهما إلى الآخر بمقتضى الطبيعة البشرية، لكنها كانت مصرة تريد الوقوع، وهو لا يريد الإيقاع، لولا وجود النبوة وتذكره عهد الله ومراقبته بالطاعة لخالطها، مثل ذلك التثيت وروية برهان الله للتذكر، لنصرف عنه خيانة العزيز في أهله، ونصرف عنه فاحشة الزنى، إنه من عبادنا الذين استخلصهم واجتباهم لرسالته وطاعته، أي طهرهم من النقائص.

٢٥- وتسابقا إلى الباب، يوسف يريد الفرار والخروج، وامرأة العزيز تريد أن تمنعه، وشقت

قميصه من خلف أثناء هربه منها، ووجدا زوجها عند الباب، قالت محتالة مستترة على نفسها مخافة الاتهام بالفجور: ما جزء من أراد بزوجتك فاحشة، إلا السجن أو التعذيب الشديد الألم بالجلد انتقاماً منه؟

٢٦- قال يوسف دفاعاً عن نفسه: هي طلبت مني ذلك ولم أرد بها سوءاً، وشهد طفل في المهدي من أناريها، أنطقه الله، كما جاء في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ في ذكر من تكلم بالمهد، ومنهم شاهد يوسف، فقال: إن كان قميصه شقاً أو قطع من أمام، فصدقت في قولها، وهو من الكاذبين في قوله، وعند طائفة كبيرة من المفسرين أن الشاهد لم يكن طفلاً وإنما رجل كبير هو ابن عمها.

٢٧- وإن كان قميصه شقاً من خلف، فكذبت في ادعائها عليه، وهو من الصادقين في دعواه عليها.

٢٨- فلما رأى العزيز زوجته أن ثوب يوسف شق من خلف، برآه، وقال لزوجته: إن هذا الأمر المختلف فيه من تدبير النساء ومكرهن، إن مكركن أيها النساء عظيم، أي أشد دهاء وتأثيراً في النفس. والكيد: المكر والحيلة.

٢٩- وتابع العزيز قوله: يوسف أعرض عن هذا الأمر واكتمه ولا تتحدث به، واستغفري أيتها المرأة لذنبك الذي وقع منك، إنك كنت بسببه من الأثمين.

٣٠- وقال جماعة من نسوة مدينة مصر لما شاع الخير: امرأة العزيز تراود غلامها المملوك عن نفسه، طالبة منه الموافقة، وهو ممتنع عنها، قد دخل حبه شغاف قلبها، أي غلافه، إننا لنها بهذا الفعل في خطأ واضح. واسم المرأة: زليخا، والعزيز: لقب وزير ملك مصر.

وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْت لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِنَّ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَأْيَ ابْنِ زَيْدٍ كَرِهَ لَهَا كَدُّ اللَّحْمِ لِصُرْفِ عَنْهُ الشُّوْءُ وَالْفِتْنَاءُ إِنَّهُ مِنَ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِنْ دُبُرٍ وَأَلْفَيْتَا سَيْدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جِئْتِي مِنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءَ إِلَّا أَنْ يُجِنَّ أَوْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ قَالَ هِيَ رَاوَدَتْنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٢٦﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٧﴾ فَلَمَّا رَأَتْهُ قَمِيصُهُ قُدَّ مِنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ﴿٢٨﴾ يُوسُفُ أَعْرَضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفَرَ لِذَنْبِكِ أَنْكِ كُنْتِ مِنَ الْفَاطِشِينَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِينَةِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ تُرَاوِدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرِيهَا فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٣٠﴾



فَلَمَّا سَمِعَتْ مَكْرَهُمْ أَنْزَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكِنًا
وَأَمَّا كُلُّ وَاحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سَكِينًا وَوَالَتْ أَخْرَجَ عَلَيْهِمْ فَلَمَّا
رَأَيْتَهُ وَأَكْرَهُهُ وَقَطَّعُوا أَيْدِيَهُمْ وَقَلَنَ حَسَنًا فَبِمَا هَذَا
نَشَرْنَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَمَلٌ كَرِيمٌ ﴿٣١﴾ قَالَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي
فِيهِ وَلَقَدْ رُودْتُ عَنْ نَفْسِي فَأَسْتَصِمُّ وَإِن كُنتُ فَعَلْتُ مَآءُ اثْرُ
لَلْحَيَّةِ وَلَيْكُونَا مِن الصَّغِيرِ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ لَيْسَ أَحَبُّ إِلَيَّ
مِمَّا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ
وَأَكُن مِّنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٣٣﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٤﴾ تَرَى مَا أُرَاؤُا الْآيَاتِ
لَيْسَ لَهُ حِسِّيٌّ حِينَ ﴿٣٥﴾ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَسَاءَلَا قَالَا
أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَانِي أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَانِي أُحْمَلُ
فَوْقَ رَأْسِ صَبْرًا كُلُّ الظَّالِمِينَ مِنِّي نَسِئًا بِنَاءٍ وَإِلَيْهِ إِنَّا نَرْجِعُ
مِنَ الْحَسَنِينَ ﴿٣٦﴾ قَالَا لَا يَا بَيْتِكُمْ لَكُمْ عِلْمٌ بِمَا غَابَ عَنْ
بَنِي إِسْرَائِيلَ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الذِّكْرُ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٧﴾
قَوْمٌ لَا يَؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ هُمْ كَافِرُونَ ﴿٣٨﴾

٣١- فلما سمعت امرأة العزيز باغتيالهم وتديبرهن الخفي أو نقدهن - وسمي مكرًا؛ لأنهن لم يقصدن الغيرة على الفضيلة، وإنما قصدن إخراجها حتى تطرده، ويستأثرن به - دعتهم إلى وليمة ليعذرنها وتوقعهن فيما وقعت به، وهيات لهن وسائل في مجالس يتكثن عليها، وقال ابن عباس: التكاؤ: هو فاكهة الأرنج، وأعطت كل واحدة منهن سكينًا لتقطع طعام، وقالت ليوسف: اخرج عليهن، فلما رأينه أعظمته، وراعهن حسنه، حتى اضطربن، وجرحن أيديهن بالسكاكين، وقلن بقصد التعجب من جماله: تنزيهاً لله عن العجز، وتعجباً من قدرته على خلق مثله، ما هذا الفتى بشراً؛ لأن جماله الفائق لم يعهد في البشر، ما هذا إلا ملك كريم، لما في الطبع أن الملائكة راعوا الحسن بارعو الجمال.

٣٢- قالت امرأة العزيز حيثئذ: فهذا هو الفتى الذي عيرتني في حبي له، ولقد راودته عن نفسه، فامتنع امتناعاً شديداً، ولئن لم يفعل ما أمره به، ليحبسن في السجن، وليصيرن من الأذلاء المهانين بسلب النعمة والتعرض للإهانة.

٣٣- قال يوسف مناجياً ربه تعالى: يارب

دخول السجن الذي هدتني به هذه المرأة، أرغب إلي مما يدعونني إليه من المعصية، وإن لم تصرف عني مكرهن واحتيالهن، أمل إليهن وأوافقهن على مرادهن، وأكن حيثئذ من فئة الجهال السفهاء الذين يتورطون بالمنكرات عن طيش. وهذا الجوء إلى الله تعالى عند اشتداد البلاء وتعاظم الفتنة.

٣٤- فأجاب الله دعاه ولفظ به، وعصمه من المعصية، وأذهب عنه مكرهن، إنه سبحانه سميع الدعاء، عليم بحال المنتجي إليه.

٣٥- ثم ظهر لعزير مصر وجماعته المستشارين، من بعد رؤية العلامات الدالة على براءة يوسف، ليحبسن يوسف في السجن إلى مدة غير معلومة، لينقطع كلام الناس.

٣٦- ودخل مع يوسف السجن غلامان آخران للملك: الساقى والخباز، فرأياه يفسر الرؤيا، فحاولا اختباره، فقال أحدهما وهو الساقى: إني رأيت في المنام أني أعصر عنباً لصنع خمر منه، وقال الآخر وهو الخباز إني رأيت في المنام أني أحمل خبزاً تتناول الطير منه، أخبرنا بتأويل رؤيانا، إنا نراك يا يوسف من الذين يحسنون تعبير الرؤيا، ويحسنون معاملة الناس.

٣٧- قال يوسف: تعلمان أنه لا يأتيكما طعام إلى السجن من جهة الملك إلا أخبرتكما بما هيته ونوعه قبل مجيئه، ذلكما التأويل والإخبار بالغيبيات، مما علمني ربي بالوحي والإلهام، لا بالكهانة والتنجيم، إني تركت دين قوم كفروا بالله واليوم الآخر، وهو ملة ملك مصر وغيره.

٣٨- واتبعت دين آبائي، أي أجدادي: إبراهيم وإسحاق ويعقوب. سماهم آباء لترغيب صاحبيه في الإيمان بالله. ما صح لنا أن نشرك بالله شريكاً في عبادته، أي شيء كان الشريك صنماً أو ملكاً، ذلك التوحيد والإيمان من أفضال الله ومكارمه علينا، وعلى الناس كافة، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على أفضاله ونعمه.

٣٩- يا صاحبي في السجن، هل الأرياب المتعددون في ذواتهم وصفاتهم خير للعبادة، وهم لا يضررون ولا ينفعون، أم الله الواحد المتفرد بالالوهية المعبود بحق الغالب لكل شيء، النافذ القدرة؟!؟

٤٠- ما تعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان إلا مجرد أسماء لا حقيقة لها، سميتهاها آلهة أنتم وآباؤكم من تلقاء أنفسكم، لكونها جمادات لا تسمع ولا تبصر، ولا تضر ولا تنفع، ما أنزل الله ولا أوحى لعبادتها من حجة وبرهان، ما الحكم النافذ في كل شيء إلا الله وحده، ذلك هو الدين المستقيم الثابت، ولكن أكثر الناس وهم

وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي آلِي إِبراهيمَ وَإِسْحاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نَشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٣٨﴾
يٰصَاحِبِ الرَّيْحَانِ أَزَابٌ مُنْفَرِقُونَ خَيْرٌ أَمَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٣٩﴾
مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِهِ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ الْإِلَهَ إِلا اللَّهُ أَلَمْ يَعْبُدُوا إِلَّا آيَاتِهِ ذَلِكَ الَّذِينَ يُقْتَلُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾
يٰصَاحِبِ الرَّيْحَانِ أَمَا أَحَدُكَ فَيْسِقِي رَبِّهِ خَمْرًا وَأَمَا الْآخَرَ فَيَصْلُبُ فَمَا كُلُّ الطَّيْرِ مِنْ رَأْسِهِ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفِينَانِ ﴿٤١﴾ وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٍ مِنْهُمَا اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَ رَبِّهِ فَلَبِثَ فِي السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴿٤٢﴾ وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ يَسْعَانُ يَأْكُلْنَ سَبْعُ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُبُلُكٍ خُضِرَ وَأَحْرًا يَأْسْتَبِ بَنَاتُهَا الْمَلَأَ أَفْئُونِي فِي رُءْيَايَ إِنْ كُنْتُ لِلرُّءْيَا بِعَابِرُونَ ﴿٤٣﴾ قَالُوا أَصْعَقُكَ أَحْلِيمٌ وَمَا نَحْنُ بِكَ بِأَوْلِيٍّ بِالْأَحْلَامِ بِعَالِمِينَ ﴿٤٤﴾

الكفار لا يعلمون ذلك كله.

٤١- يا صاحبي في السجن، هذا تأويل رؤياكما: أما أحدكما وهو الساقى فسيعود إلى ما كان عليه، ويخرج من السجن، ويسقي سيده الملك خمراً، وأما الآخر وهو الخباز فيصلب، ويبقى مصلوباً، حتى تأكل الطير من رأسه، فقالوا: كذبنا وما رأينا شيئاً، فقال يوسف: فرغ من الأمر الذي سألتما عنه، صدقتما أم كذبتما.

٤٢- وقال يوسف للذي توقع نجاته وهو الساقى: اذكر صفاتي التي شاهدتها عند سيك الملك، وذكّرني متى رجعت إليه، لينصفني ويطلق سراحي، فأنساه الشيطان تذكير الملك بيوسف، فبقي يوسف في السجن بضع سنين: من الثلاث إلى التسع.

٤٣- وقال ملك مصر الأكبر الذي كان العزيز وزيراً له: إني رأيت في المنام سبع بقرات يتلعهن سبع بقرات ضعاف مهازيل، وسبع سنابل خضر معقودة الحب، التوت عليها حتى غلبتها سبع آخر يابسات، يا أيها الأشراف من الحكماء والعلماء: أخبروني بتعبير ومعنى هذه الرؤيا، إن كنتم تعرفون تعبيرها وتفسيرها.

٤٤- قال الملأ: هذه الرؤيا أخلاط أحلام أي خواطر وخيالات كاذبة، ولسنا بتأويل المنامات الباطلة بعالمين، فلا تأويل لها عندنا.

وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا أُنْتُكَ كُمْ
بِنُورِيهِ فَأَرْسَلُونَهُ ٤٥ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْنَأُ فِي
سَبْعِ بَقَرَاتٍ سَمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعُ عَجَافٍ وَسَبْعِ سُنْبُلَاتٍ
خُضْرٍ وَأُخْرَى بَسَلْتُ لِعَلِّي أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ
٤٦ قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُّوهُ
فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَأْكُلُونَ ٤٧ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ
ذَلِكَ سَبْعُ شِدَادٍ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا خَصَّصْتُمْ
٤٨ ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ
يَعْصِرُونَ ٤٩ وَقَالَ الْمَلِكُ انْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ
قَالَ أَرْجِعْ إِلَى رَبِّكَ فَشَأْنُ مَا بَالُ النَّسُوءِ الَّذِي قَطَعْتَ
أَيْدِيَهُمْ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِمْ عَلِيمٌ ٥٠ قَالَ مَا خَطْبُكُمْ
إِذْ رَأَوْتُمْ يُوسُفَ عَنْ نَفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ اللَّهُ مَا عَلَّمْنَا عَلَيْهِ
مِنْ سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ إِنَّكِ لَكُنَّ حَصْحَصَ الْحَقِّ أَنَا
رَاوِدْتُهُنَّ عَنْ نَفْسِهِنَّ وَأَتَيْنَهُنَّ الصِّدِّيقِينَ ٥١ ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي
لَمْ أَخْنُفُ بِالْعَقِبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ٥٢

٤٥ - وقال الذي نجا من الغلامين من العقوبة وهو الساقى، وتذكر يوسف بعد مدة من الزمان: أنا أخبركم بتأويل هذا المنام بسؤال عالم بالتأويل، فأرسلوني إلى يوسف في السجن، لأقص عليه الرؤيا، فيخبرني بتأويلها.

٤٦ - يا يوسف الكثير الصدق: أخبرنا عن رؤيا من رأى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع ضعاف، وسبع سنبلات خضر تلثوي عليها سبع آخر يابسات، رآها الملك في منامه، لعلي أرجع إلى الناس: الملك وأصحابه، لعلهم يعلمون تأويل هذه الرؤيا، ويعلمون فضلك ومزنتك في العلم، فتخرج من السجن.

٤٧ - قال يوسف: ازرعوا الأراضي سبع سنين متوالية متتابعة على عادتكم المستمرة، وهي تأويل السبع البقرات السمان، والسبع السنبلات الخضر، فما حصدتم في كل عام، فاتركوا المحصول في سنبله أي عيدانه، لتلا يأكله السوس، إلا قليلاً مما يخصص للأكل في تلك السنين، فادرسوه.

٤٨ - ثم يأتي من بعد تلك السنين الخصبه سبع سنين مجذبه صعبه، وهي تأويل السبع العجاف الضعاف، يأكل أهلها ما ادخرتم لأجلهن - وأسند الأكل للسنين للمباغته - إلا قليلاً مما تحرزون وتدخرون للبذار للزرع القادم.

٤٩ - ثم يأتي من بعد هذه السنين المجذبه عام فيه يغاث الناس بالمطر، ويأتي الفرج الإلهي بفيضان النيل لاعتماد زراعتهم عليه، لا على المطر، وفيه يعصرون ما يقبل العصر كالعنب والزيتون والسمسم، وكل ذلك من تعليم الله تعالى.

٥٠ - وقال الملك لمن حوله بعدما جاءه الرسول بتعبير الرؤيا وسمع عن أفضال يوسف: انتوني يوسف لأستمع منه، فلما جاء رسول الملك يدعو يوسف إلى مقابلة الملك، قال يوسف قاصداً لإظهار براءته: أرجع إلى سيدك، فاطلب منه أن يسأل: ما حقيقة حال النسوة اللاتي قطعن أيديهن وما سبب ذلك؟ إن ربي تعالى عالم بما صنعن وبما أضمرن ومكرن؟

٥١ - قال الملك للنسوة اللاتي اجتمعن مع امرأة العزيز: ما شأنكن وما قضيتكن حين راودتن يوسف عن نفسه، هل وجدتن منه ميلاً إلا يكن؟ قلن: معاذ الله أن يكون يوسف متهماً، وهذا تعجب من شدة عفته، ما علمنا عليه من ذنب، قالت امرأة العزيز: الآن ظهر الحق جلياً، أنا التي راودت يوسف عن نفسه، وإنه لصادق في تبرئة نفسه.

٥٢ - قال يوسف: فعلت ذلك وطلبت التحقق في الأمر والبراءة قبل مغادرة السجن، ليعلم العزيز أنني لم أخنه في أهله وهو غائب عني، وأن الله لا يسدد ولا ينفذ ولا يوفق الخائنين في تدبيرهم الخفي، هذا تفسير الزمخشري. ورأى أبو حيان أن هذا القول من المرأة، لتظهر أنها لم تسع لسمعة يوسف وعفته في غيبته.

٥٣- وتابع يوسف كلامه (على التفسير الأول): وما أبرئ نفسي من الخطأ والزلل، إن شأن النفس كثيرة الأمر باتباع الهوى والشهوة، إلا ما رحم ربي من النفوس فعصمها من الوقوع في المعصية، إن ربي كثير المغفرة للمستغفرين، واسع الرحمة بالتائبين الصالحين. وعلى التفسير الثاني لأبي حيان: إن هذا من تنمة كلام امرأة العزيز، متصل بما قبله: ﴿الآن حصحص الحق﴾ [٥١].

٥٤- وقال ملك مصر: اتنوني بيوسف من السجن اجعله خالصاً لنفسي، من خاصتي وأهل مشورتي، فلما كلم الملك يوسف وشاهد منه الرشيد والفظنة والذكاء والبراءة، قال له: إنك اليوم ذو مكانة ومنزلة، مؤتمن على كل شيء.

٥٥- قال يوسف للملك: اجعلني والياً على خزانة أموال أرض مصر، إني أحسن الحفاظ على مصالحتها وضابط لها، وذو علم بأمرها.

٥٦- وكانعانا على يوسف بالخلاص من السجن، جعلنا له مكانة في أرض مصر، بالتصرف في شؤونها، كما يتصرف الرجل في منزله، وهذا يدل على جواز تولي الأعمال للسلطان الجائر أو الكافر إذا تمكن من القيام بالحق، نرحم من نشاء في الدنيا

والآخرة، ولا نضيع ثواب المحسنين، بل نوفيهم أجورهم كاملة غير منقوصة.

٥٧- وكثواب الآخرة أفضل وأعظم من ثواب الدنيا بسبب دوامه، للمؤمنين بالله ورسوله، وخافوا الله، وتجنّبوا الشرك والفواحش، وحذروا العقاب، فأطاعوا ربهم.

٥٨- وجاء إخوة يوسف وهم أحد عشر إلبنيامين، من أرض كنعان- فلسطين إلى مصر ليمتاروا ويشترى الطعام (الحبوب) بعد إصابتهم بالقمح، فدخلوا على يوسف، فعرفهم أنهم إخوته، وهم جاهلون به، لأنهم فارقه صبياً مرافقاً.

٥٩- ولما أعطاهم ما طلبوا من الميرة وأوفى لهم الكيل من القمح، قال لهم: اتنوني بأخ لكم وهو بنيامين أخو يوسف الشقيق في المرة القادمة لأعلم صدقكم فيما قلتم، الاترون أني أتم الكيل، وأنا خير المضيفين في هذه البلاد.

٦٠- فإن لم تأتونني به، فلاميرة لكم عندي ولا أبيعكم الطعام، ولا تقربوا ببلادي.

٦١- قالوا: سنجتهد في طلبه من أبيه، وإنا لفاعلون ذلك لا تنواني.

٦٢- وقال يوسف لغلمانه الكياليين: اجعلوا ثمن ما أتوا به من الطعام، في أوعيتهم، لكي يعرفوها ويعرفوا حق ردها، فيطمعوا في العودة، إذا رجعوا إلى أهلهم فوجدوها فيها، لعلهم يرجعون إلينا، فتكون معرفتهم ذلك داعية لهم للرجوع.

٦٣- فلما عادوا من سفرهم إلى أبيهم، قالوا: يا أبانا حُكم بمنع كيل الطعام منا في المستقبل إن لم ترسل معنا أخانا بنيامين، نتمكن به من اكتيالي ما نحتاج إليه، فأرسله معنا، لنحصل على الطعام، وإنا حافظون له من أن يناله مكروه.

﴿وَمَا أُبْرِئُ نَفْسِي إِنْ أَلْفَسَ لِأَمَانَةَ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾
 ﴿إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾
 ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتُوتَنِي بِهِ إِسْتِخْصَاةُ نَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾
 ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾
 ﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَّبِعُونَ إِسَاءَ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نَضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾
 ﴿وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾
 ﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ﴾
 ﴿وَلَمَّا جَهَرُوا بِجَهَارِهِمْ قَالَ اتُّنُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلا تَرَوْنَ أَنِّي أَوْفَى الْكَيْلِ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ﴾
 ﴿فَإِنْ لَوْنَا تُوتَنِي بِهِ فَكُلَّ كَيْلٍ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِي﴾
 ﴿فَالْوَأَسْتَرُودُ عِنْدَهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ﴾
 ﴿وَقَالَ لِضِيئِهِ اجْعَلُوا بِصِعْتِهِمْ فِي رِحَابِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾
 ﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانًا نَكْتَلُ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾

قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا آمَنُكُمْ عَلَىٰ أَخِيهِ مِن قَبْلُ
 قَالَ اللَّهُ خَمْرٌ حَفِظًا وَهُوَ زَخْرٌ الرَّحِيمِينَ ﴿٦٤﴾ وَلَمَّا فَخَرَ بِمَنْعِهِمْ
 وَجَدُوا بِصِغْتِهِمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ فَكَأَلُوا يَا أَبَانَا
 مَا نَبِيٍّ هَلْ هَذِهِ بَصِغْتُكَ رُدَّتْ إِلَيْتَ وَنَمِيرًا هَلْ كَسَا
 وَحَفِظُ أَخَانَا وَنَزَادُ كُلِّ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلٌ لِّسَيِّدٍ ﴿٦٥﴾ قَالَ
 لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُوا مَوْثِقًا مِن اللَّهِ لَنَا لَنْفِي بِهِ إِلَّا
 أَنْ يُحَاطَبَ بِكُمْ فَلَمَّاءُ أَوْهُ مَوْثِقُهُ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ
 وَكَيْلٌ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ بَيْنِي لَأَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَجِدُوا دَخُلُوا مِن
 أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أَعْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَإِنْ أُنحِمْ إِلَّا
 اللَّهُ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٦٧﴾
 وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمَا كَانُوا يُعْنِي عَنْهُمْ مِنَ
 اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ
 لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ
 ﴿٦٨﴾ وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ أَوْحَىٰ إِلَيْهِ آخَاهُ قَالَ إِنْ
 أَنْتَ أَحْوَكُ فَلَا تَنْتَسِبْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٦٩﴾

٦٤- قال يعقوب لأبنائه: هل ائتمنكم على أخيكم بنيامين إلا كما ائتمنتمكم على أخيه يوسف في الماضي حين ذهبتم به إلى البرية ولم تعودوا به؟ وهذا تصریح منه بالخوف من خيانتهم في الحالتين، فالله خير حافظ له أتق به وأتوكل عليه، وهو سبحانه أرحم الرحماء بي، يرحم كبري وتعلقني بولدي، وأرجو أن يرده علي، ويجمع الشمل.

٦٥- ولما فتحوا أوعية طعامهم، وجدوا فيها ثمن الطعام قدر ذلك إليهم، قالوا: يا أبانا، ما الذي نطلبه أكثر من هذا الإكرام، من إعطاء الغلال وإعادة الثمن؟ هذه نقودنا رُدَّتْ إلينا بفضل الله، ونجلب الميرة (الطعام) ونحفظ أخانا في الذهب والإياب، ونزاد مكيل بعير بوجود أخينا بنيامين معنا، ذلك المكيل الزائد من الخبوس سهل الحصول عليه، والعطاء على الملك، لسخائه وتوافر الغلال لديه.

٦٦- قال يعقوب لأولاده: لن أرسل بنيامين معكم، حتى تعطوني عهداً مؤكداً بالحلف بالله عليه لتردنه إلي، إلا أن يغلب عليكم عدو،

وتعرضوا للهلاك، فتهلكوا دونه، فتعذرون عندي، فلما أعطوه عهدهم بما طلب وتنفيذ ما أمر باليمين، قال يعقوب: الله على ما نقول من طلب الميثاق والإتيان بالأخ شهيد رقيب مطلع، يعاقب من نقض العهد وحث في اليمين.

٦٧- وقال يعقوب يوصي أبناءه: يا أولادي لا تدخلوا مصر من باب واحد، خوفاً من الضرر أو الحسد أو إصابة العين، وادخلوا من أبواب متفرقة، كيلا تلتفتوا الأنظار إليكم، وما أَدْفَعُ عنكم بوصيتي هذه أو تديري شيئاً من قضاء الله وقدره عليكم، ما الحكم إلا لله وحده، عليه اعتمدت، وبه وثقت، لردكم إلي جميعاً بسلام، وعليه فليعتمد المؤمنون المفوضون إليه في جميع أمورهم.

٦٨- ولما دخل أبناء يعقوب من الأبواب المتفرقة، ما كان يفيد عنهم ذلك الدخول من قضاء الله عليهم شيئاً، فإنه سبحانه قدر أخذ يوسف أخاه بنيامين زيادة في المصائب، ولكن حاجة في نفسه: وهي شفقتة عليهم وحرصه على سلامتهم، أظهرها لهم ووصاهم بها، وقد نفذوا الوصية، وقضاء الله فوق كل تدبير، وإن يعقوب عالم بما علمناه نحن الإله إياه، ومن تعاليمه: أن الحذر لا يمنع القدر، وأن العين لا تضر إلا بإذن الله، ولكن أكثر الناس، وهم الكفار لا يعلمون سر القدر، وأن التوكل والاعتماد على الله لا يمنع الأخذ بالأسباب وأخذ الحذر والتعقل.

٦٩- ولما دخلوا على يوسف، ضم إليه أخاه في غفلة منهم، وقال له سراً: أنا أخوك يوسف، فلا تحزن بما كانوا يعملون معنا في الماضي، من الحسد، وأمره ألا يخبرهم بهذا.

٧٠- فلما زودهم بالطعام، جعل خُفية وعاء السقاية والكيل الذي هو الصواع أو الكيال في وعاء طعام أخيه بنيامين الذي اشتراه من مصر، ثم نادى مناد قبل المغادرة: يا أصحاب القافلة (العيير المحملة المركوبة) إنكم لصوص سارقون.

٧١- قال إخوة يوسف، وهم مقبلون على المنادي من أتباع الملك: ماذا تفقدون من الأشياء؟

٧٢- قالوا لهم في الجواب: نفتقد صاع الملك الذي يباع به وهو السقاية، ولمن جاء بالصاع بنفسه حمل بغير، وأبناه كفيل، أي بحمل البعير (الجمل). ويعاد الضمير للصواع مذكراً ومؤنثاً.

٧٣- قال أبناء يعقوب: بالله إنكم معشر يوسف وأصحابه تعلمون يقيناً من خلال مرتي المجيء السابقتين أننا ما أتينا بلادكم لنعصي الله في أرضكم، ونحن أبرياء لسنا بسارقين.

٧٤- قال المنادي وأصحابه: فما جزاء السارق عندكم في شرعكم إن كنتم كاذبين في ادعاء البراءة من السرقة؟

٧٥- قال أبناء يعقوب: جزاء السارق للصواع:

أخذ الرجل الذي يوجد الصواع في رحله عبداً رقيقاً للمسروق منه، فهو جزاؤه العادل، بمثل ذلك الجزاء نجزي السارقين في شريعتنا- شريعة يعقوب.

٧٦- فبدأ المفتش يوسف بتفتيش أوعية الإخوة العشرة قبل وعاء أخيه بنيامين دفعاً للتهمة، وحبكاً للحيلة المدبرة، ثم استخرج الصواع من وعاء بنيامين أخيه، مثل ذلك ألهمنا يوسف هذا التدبير الخفي ليأخذ أخاه، فلولا ذلك ما كان ليستبقي أخاه في شريعة الملك التي كان عليها، والتي تكفي بضرب السارق وتغريمه ضعف قيمة المسروق، إلا في حال مشيئة الله وإذنه ووجهه، نرفع بالعلم والحكمة منازل من نشاء من عبادنا، وفوق كل عالم أعلم منه وأرفع منزلة، حتى ينتهي العلم المطلق إلى الله تعالى.

٧٧- قال إخوة يوسف بدافع الحقد والكراهة في أنفسهم: إن يسرق بنيامين أخونا من أبنائنا الصواع، فقد سرق أخ شقيق له من قبل، وهو يوسف، قيل في الروايات المنحولة: إنه في صغره أخذ صنماً من ذهب لجدته أبي أمه، فكسره وألقاه في الطريق، تخبيراً للمتكبر، فأخفى يوسف هذه التهمة في نفسه، ولم يُظهر لهم تأثيره منها، وقال في نفسه: أنتم شر موضعاً عند الله عن اتهمتموه بالسرقة، وهو بريء، لخياتكم أخاكم وظلمكم له، والله أعلم بحقيقة ما تقولون وتكذبون، وما تزعمون من نسبة السرقة إلى يوسف.

٧٨- قال إخوة يوسف مسترحمين: يا أيها العزيز، إن له أباً شيخاً كبيراً في السن هرمأً، يحبه حباً شديداً، ويتسلى به عن ولده الهالك، ويحزنه فراقه، فخذ أحدنا عبداً غيره مكانه، إنا نراك من المحسنين في أفعالك إلينا وإلى الناس كافة، فآتمم إحسانك بهذا المطلب. والخطاب بصفة العزيز دليل على أن يوسف بمرتبة وزير.

فَلَمَّا حَمَّرُوهُمْ بِيَجَارِزِهِمْ جَعَلَ السَّقَايَةَ فِي رِجْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيُّهَا الْعَيْرِ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴿٧٠﴾ فَأَلَوْا وَقَبِلُوا عَلَيْهِمْ مَاذَا تَفْقَدُونَ ﴿٧١﴾ فَأَلَوْا تَفْقَدُ صُوعَ الْمَلِكِ وَلَئِن جَاءَ بِرِجْلِ مِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ ﴿٧٢﴾ فَأَلَوْا تَأَلَّه لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَتَاعًا فَتَفَقَدُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كُنَّا سَارِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَأَلَوْا فَمَا جَزَاؤُهُ إِنْ كُنْتُمْ كَاذِبِينَ ﴿٧٤﴾ فَأَلَوْا جَزَاؤُهُ مِنْ وَجَدِي فِي رِحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٧٥﴾ فَبَدَأَ بِأُخُوئِهِمْ قَبْلَ وَعَاءِ أَخِيهِ ثُمَّ اسْتَخْرَجَهَا مِنْ وَعَاءِ أَخِيهِ كَذَلِكَ كَدْنَا لْيُؤَسِّفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَّشَاءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ ﴿٧٦﴾ فَأَلَوْا إِنْ يَسْرِقُ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُ مِنْ قَبْلُ فَأَسْرَهَا يَوْسُفُ فِي نَفْسِهِ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ اللَّهُ سَرَّمْنَا مَا أَفْعَلَهُ اللَّهُ مَا أَصْفَقُونَ ﴿٧٧﴾ فَأَلَوْا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدًا مِنْ مَكَانِهِ وَإِنَّا نُرَاكُ مِنَ الْإِحْسَانِينَ ﴿٧٨﴾



٧٩. قال يوسف: نلجأ إلى الله من أن نأخذ أحداً إلا الذي وجدنا متاعنا (الصواع) عنده، وهو بنيامين، طبقاً لشريعتكم، إنا لظالمون إن أخذنا غيره مكانه.

٨٠. فلما يتسوا بأساً شديداً من يوسف وإجابته إياهم، انفردوا متاجين سرا فيمما بينهم، قال كبيرهم سنا: روبيل أو يهوذا، أو كبيرهم في الرأي: وهو شمعون، ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم عهداً موثقاً من الله بحفظ أخيك، وقد سبق لكم من قبل هذا تقريرتكم في يوسف، وحشتم بوعدكم، فلن أفارق أرض مصر وأرجع إلى أرض كنعان، حتى يأذن لي أبي بالعودة إليه، أو يتصرف الله في أمري، ويخلص أخي، وهو سبحانه عدل الحاكمين؛ لأنه لا يحكم إلا بالحق والعدل.

٨١. ارجعوا إلى أبيكم وحدكم، فقولوا له: إن ابنك سرق صواع الملك، فاستعبد بحسب شريعتنا، وما شهدنا عليه بالسرقة إلا بما شاهدناه

من استخراج الصواع من رحله، وما كنا عالين بما غاب عنا، فلم ندر أنه سرق.

٨٢. واسأل أهل القرية - أهل مصر، وأصحاب الإبل (القافلة) التي رجعتنا معها إلى بلادنا وهم قوم من كنعان، وإنا لصادقون في قولنا الذي أخبرناك به عن بنيامين.

٨٣. قال يعقوب لهم: لم أصدقكم، وزيت لكم أنفسكم أمراً معيناً فعلتموه، كما حدث في سابقة يوسف، فصبري صبر جميل: وهو الذي لا جزع ولا شكوى فيه لأحد إلا الله تعالى، لعل الله أن يأتيني بيوسف وأخويه جميعاً، إنه علم بحالي وحزني، حكيم في صنعه.

٨٤. وأعرض يعقوب عن أولاده تاركاً خطابهم، وقال: يا حزني على يوسف، وغطت عينيه غشاوة بيضاء حتى كاد لا يبصر، لشدة بكائه وحزنه على غياب أولاده الثلاثة، فهو مملوء غيظاً وحزناً، مغموم مكروب.

٨٥. قال أولاد يعقوب لأبيهم: والله لا تزال تذكر يوسف تفجعاً عليه وتأسفاً لفراقه، حتى تكون مريضاً مشرفاً على الهلاك، أو تكون من الموتى، أي إما قريباً من الهلاك أو تهلك فعلاً.

٨٦. قال لهم يعقوب: إنما أشكو أعظم غمي وأصعبه وحزني إلى الله، لا إلى غيره، فهو الذي تنفع الشكوى إليه، فاتركوني وشكايي ومعاناتي، وأعلم من فضل الله وصنعه، ولطفه ورحمته ما لا تعلمون، فإنه لا يخيب من دعاه. والبث: الغم الكثير، والحزن: ألم في النفس من شدة الغم.

قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَاعَنَا عَنْهُ إِذْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُتُبَ ۚ فَلَمَّا أَتَيْتُمُوهُ فَتَبَايَعُوا عِنْدَهُ بِمِثْقَلِ الْمَوْتِ ۚ كَذِبًا أَوْ كَأَصْحَابِ الْمِرْيَاقِ لَأَخَذُوا مِنْكُمْ مَتَاعًا وَإِنَّكُمْ عَنْهُمْ بِبِغْيَةٍ قَتِيلُونَ ۗ أَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٩﴾
قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلُ مَا فَرَّطْنَا فِي يَوْسُفَ فَلَنْ أَنْبَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذُنَ لِي أَبِي أَوْ يحْكُمَ اللَّهُ لِي وَهُوَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ ﴿٨٠﴾
أَرْجِعُوا إِلَى آبَائِكُمْ فَقُولُوا يَا أَبَانَا إِنَّ ابْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلَّمْنَا وَمَا كُنَّا لِلغَيْبِ حَفِيظِينَ ﴿٨١﴾
وَمِثْلَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٨٢﴾
قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْراً فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿٨٣﴾
وَقَوْلَى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا سَفِي عَلَى يَوْسُفَ وَأَبْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَاطِمٌ ﴿٨٤﴾
قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتُنُوا نَذْكَرُ يَوْسُفَ حَتَّى نَكُونَ حَرَضًا أَوْ نَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ ﴿٨٥﴾
قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بِنُسْبِهِ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾

٨٧- تابع يعقوب قائلاً: يا أولادي، اذهبوا إلى مصر، فابحثوا واطلبوا خبر يوسف وأخيه، ولا تقنطوا من رحمة الله بتفريخ كربنا وهمتنا، إنه لا يقنط من رحمة الله إلا القوم الجاحدون لفضله وقدرته ولطفه. والروح: كل ما يهتز الإنسان بوجوده ويستمتع به.

٨٨- فلما دخل أولاد يعقوب على يوسف، قالوا: يا أيها العزيز أصابنا وأهلنا الضر، أي شدة الجوع والحاجة والمرض من القحط، وجئنا بديارهم رديئة، فاتم لنا الكيل، وتفضل علينا بالمسامحة عن رداءة بضاعتنا (نقودنا) إن الله يثيب المتفضلين أحسن الجزاء.

٨٩- قال يوسف لهم توبيحاً بعدما رأى جهدهم وضيقهم: هل تذكرون ما فعلتم بيوسف من الضرب والبيع والاحتقار وغير ذلك، وما فعلتم بأخيه بما لحقتم به من الذل والإهانة، وفرقتم بينه وبين أخيه، حين كنتم جاهلين بقبح ذلك وعاقبته.

٩٠- قالوا متذكرين نبرات صوته، متنبهين لما

قال في الآية السابقة، على طريق التعجب: أئنك أنت يوسف حقاً؟ قال: أنا يوسف، وهذا أخي الشقيق بنيامين، قد تفضل الله علينا وأنعم بالاجتماع والسلامة والكرامة، إنه من يخف الله، ويصبر على البلايا والمحن، فإن الله لا يضيع ثواب المحسنين الذين جمعوا بين التقوى والصبر، بل يجزيهم خير الجزاء.

٩١- قالوا له: والله لقد اختارك الله وفضلك علينا، والحال أننا كنا مذنبين بما فعلنا معك، آمين بما ارتكبنا والخطأى: الأثم الذي يتعمد الخطيئة، والمخطئ: الذي يريد الصواب فيخطئه.

٩٢- قال يوسف: لا تعبير ولا لوم أو تأنيب عليكم اليوم، فقد سامحتكم وعفوت عنكم، بالاعتراف بالذنب، يغفر الله لكم ذنوبكم، وهو سبحانه أرحم الراحمين بمن تاب وأناب، يغفر الصغائر والكبائر.

٩٣- اذهبوا بقميصي هذا الذي كان علي، فألقوه على وجه أبي يعقوب، فمتى يشم رائحتي، يرجع إليه بصره، وعودوا إلي بأهلكم أجمعين، من غير استثناء أحد.

٩٤- ولما انطلقت القافلة وفارقت أرض مصر متجهة إلى الشام، قال يعقوب أبوهم لمن حوله: إني لأشتم أو أحس برائحة يوسف، لولا أن تسبونني إلى القند: وهو فساد الرأي وضعف العقل، وتهموني بالخرق: ذهاب العقل من الشيخ الهرم.

٩٥- قالوا له: والله إنك لفي خطئك القديم الذي كنت عليه، بإفراطك في حبه، وتوقع لقاءه.

يَبْنِي أَذْهَبُوا فَحَسَسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِسُوا مِنْ رُوحِ اللَّهِ أَنَّهُ لَا يَأْتِسُ مِنْ رُوحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴿٨٧﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسْكَنًا وَأَهْلَنَا الضَّرَّ وَجِئْنَا بِضَعَّةٍ مَرْجُوَّةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَصَدِّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُصْذِقِينَ ﴿٨٨﴾ قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَاهِلُونَ ﴿٨٩﴾ قَالُوا أَءِذَا نَاكَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفَ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّهُم يَنْتَوُونَ وَبَصِيرَةٌ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٩٠﴾ قَالُوا تَأَلَّفَهُ لَقَدْ أَتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَطِيئِينَ ﴿٩١﴾ قَالَ لَا تَتْرِبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ تَعْيِفٌ مِنَ اللَّهِ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٩٢﴾ أَذْهَبُوا بِقَمِيصِي هَذَا فَا لِقْوَهُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأُنزِلُوا بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تُفِئِدُونِي ﴿٩٤﴾ قَالُوا تَأَلَّفَهُ لَأَنْتَ لَبِيضٌ لَكَ الْقَدِيمُ ﴿٩٥﴾

٩٦- وحينما جاء البشير من مضر وهو يهوذا حاملاً قميص يوسف، ومبشراً بإسلامته مع أخيه، القى القميص على وجه يعقوب، فعاد مبصراً من شدة الفرح، وقال يعقوب لأولاده عندئذ: ألم أقل لكم: إني لأجد ريح يوسف، وإني أعلم من الله ما لا تعلمون: وهو ما قلته سابقاً: ﴿إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ، وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [٨٦] وهو أن الله سيرد علي يوسف وأخاه ويجمع الشمل.

٩٧- قال أولاد يعقوب: يا أبانا، اطلب من الله أن يغفر لنا سيئاتنا التي ارتكبتها، إنا كنا مذنبين.

٩٨- قال يعقوب: سوف أدعو الله لكم بالمغفرة في وقت مناسب، وهو وقت السحر، حيث يستجاب الدعاء، ولم يبادر بالدعاء للتبنيه إلى سوء فعلهم، والتحقق من إجابة دعائه شفقة على أولاده.

٩٩- فرحل يعقوب عليه السلام بأهله أجمعين، وساروا حتى أتوا مصر، ودخلوا على يوسف عليه السلام، فضم إلى مسكنه أبويه (أباه وأمه أو خالته) وعانقهما وقال: ادخلوا مصر آمنين إن شاء الله عما تكرون.

١٠٠- وأجلس أبويه معه على سرير الملك، تكريماً لهما واحتراماً، وسجد له الأيوان والإخوة الأحد عشر سجود انحناء وتحية وتكرمة له، لا مسجود عبادة، ولا وضع جبهة على الأرض، فإن ذلك كان تحيتهم في زمانهم، وجائزاً في شريعتهم، وقال يوسف: يا أبت، هذا تأويل رؤياي السابقة، أي مآلهة وعاقبتها، قد جعلها ربي حقيقة واقعة، وقد أفاض علي اللطف والإحسان حين أخرجني من السجن وأظهر براءتي، ولم يقل: من الجب (البئر) تكريماً، لثلا يخجل إخوته في وقت الجمع والصفاء، وجاء بكم من البادية، وهي أرض كنعان بالشام، من بعد أن وسوس الشيطان بالبشر، وأفسد بيني وبين أخوتي، إن ربي رفيق بعباده، لطيف التدبير بدقة، وإيصال الخير ييسر وسهولة لما يشاء ويريد، وإنه تعالى هو العليم بخلقه وبما يحقق المصالح، الحكيم في صنعه وتدبيره.

فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الشَّيْرُ أَلْفَهُ عَلَى وَجْهِهِ فَارْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَرَأَيْتُمْ لَكُمْ آيَاتِ أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٩٦﴾ قَالُوا بَلَىٰ يَا أَبَانَا اسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كَاخِطِينَ ﴿٩٧﴾ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٩٨﴾ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ وَأَخْبَرُوهُ أَنَّهُ أَبُوهُ وَقَالَ ادْخُلُوا مَعِيَ مِصْرَ إِن شَاءَ اللَّهُ آمِينَ ﴿٩٩﴾ وَرَفَعَ أَبُوهُ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبْتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَعَلْنَا رَبِّي خَيْرًا وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَنْ نَزَغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَسَاءُ إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾ رَبِّ قَدْ آتَيْتَنِي مِنَ الْمَلِكِ وَعَلَّمْتَنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْتَ وَلِيِّ الْغَيْبِ الْأَخِرَةِ تُوَفِّي مُسْلِمًا وَخَفِيئًا بِالصَّالِحِينَ ﴿١٠١﴾ ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ اتَّخَذُوا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَكْفُرُونَ ﴿١٠٢﴾ وَمَا أَكْذَرُ النَّاسَ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾

١٠١- ثم دعا يوسف ربه، مقراً بأفضله، شاكرًا أنعمه عليه، بقوله: رب قد آتيتني بعض الملك، وهو ملك مصر، وهو مما يوجب الحمد والشكر، وعلمتني من تفسير أخبار الرؤيا، يا خالق ومبدع السموات والأرض، أنت ناصرِي ومتولي أمري في الدنيا والآخرة، اجعلني في حياتي كلها مسلماً منقاداً لك، حتى أموت على الإسلام، وأخفني بال صالحين من الأنبياء من آبائي وغيرهم، لأظفر بثوابهم ودرجاتهم عنك.

١٠٢- ذلك المذكور من قصة يوسف من أخبار الغيب، نوحية إليك أيها النبي، لتخبر به قومك، وما كنت حاضرًا مع إخوة يوسف حين عزموا على إلقائه في البئر، وهم يكرهون به ويتآمرون عليه، وذلك من تعليم الله لك. وهذا دليل على صدق الإخبار بالغيبيات.

١٠٣- وليس أكثر الناس- ولو حرصت أيها الرسول على هدايتهم- بمصدقين دعوتك، إلا من رحم الله، لتصميمهم على الكفر.



١٠٤- وما تطلب أيها النبي على تبليغ القرآن وتلاوته أجرًا تأخذه، ما القرآن إلا تذكير وعظة للمعلمين من إنس وجن .

١٠٥- وكم من آية، أي كثير من الآيات الدالة على وجود الله وتوحيده وكمال قدرته في أنحاء السموات والأرض، يشاهدونها غير متأملين بها، ولا يتفكرون فيها ولا يعتبرون بها .

١٠٦- لا يصلق أكثر الناس بالله، إلا وهم مشركون بالله، يعبدون معه غيره، أي حيث يقرون بوجوده وخالقيته، لكنهم يشبثون له شركاء معه في الخضوع والعبادة، والنذر له، والتقرب إليه بالذبايح .

١٠٧- أفامن أولئك المشركون أن تعمهم ذاهية من العذاب الإلهي- والغاشية: ما ينمرهم من العذاب- أو تأتيهم القيامة فجأة، وهم لا يشعرون بوقت إتيانها .

١٠٨- قل أيها النبي: هذه الدعوة والطريقة هي

طريقتي وستي، أَدْعُو إِلَيْهَا عَلَى حُجَّةٍ وَاضِحَةٍ وَيَقِينُ، وأنا ومن آمن برسالتني واهتدى بهديي، ولست من المشركين الذين يجعلون مع الله لها آخر .

١٠٩- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول إلا رجالاً لا ملائكة، نوحى إليهم بالرسالة لهداية الناس مثلك، من أهل المدن لا بدأ رحلاً، أفلم يسافر المشركون في أرض الله، فينظروا مصائر ومصارع الأمم المكذبة الماضية، فيعتبروا بهم، والآخرة بما فيها من خلود ونعيم مطلق خير من الدنيا الفانية، للذين يتقون الله بالطاعة واجتباب المعصية، أفلا تتفكرون في الأسباب والنتائج فتؤمنوا؟!

١١٠- حتى إذا ينس الرسل من إيمان قومهم، وأيقنوا أن قومهم ظنوا أن الرسل قد أخلفوا ما وعدوا به من النصر، أتاهم نصرنا فجأة، فنجى الله من العذاب من شاء من عباده وهم النبي والمؤمنون، ولا يرد عذابنا عن القوم المشركين الذين كذبوا الرسل .

١١١- لقد كان في قصص الرسل عبرة وعظة لذوي العقول السليمة، ما كان هذا القرآن كلاماً يختلق، ولكنه جاء مصدقاً لما قبله من الكتب، وتبيين كل شيء، من أحكام العقيدة والدين والشريعة، وهدى من الضلالة وإلى كل خير، ورحمة يُنال بها خير الدارين، لقوم يصدقون به، وخصوا بالذكر لانتفاعهم به دون غيرهم .

وَمَا سَأَلْتَهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنَّهُ هُوَ الْبَاقِي لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠٤﴾
وَكَايِن مِّنْ آيَةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ
عَنْهَا مُعْرِضُونَ ﴿١٠٥﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ أَكْثَرُهَا بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ
مُشْرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ أَفَأَمِنُوا أَن تَأْتِيَهُمْ غَشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ
أَوْ أَن يُنْزِلَ عَلَيْهِمُ السَّاعَةَ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ هَذِهِ
سَبِيلُ اللَّهِ إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعِيَ وَسُجِنَ
اللَّهُ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٠٨﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا
فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠٩﴾ حَتَّىٰ
إِذَا اسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا جَاءَهُمْ
نَصْرًا مِنْ فَتْنَىٰ مِنْ شَاءَ وَلَا يَرُدُّ بَأْسَهُنَّ مِنَ الْقَوْمِ الْمَظْمُونِ
﴿١١٠﴾ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ
حَدِيثًا يَفْتَرِي وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ
كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١١١﴾

سورة الرعد



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْمُرْتَدَّةِ إِلَى الْغَيْبِ وَالَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ
 وَلَكِنْ كَرِهَ النَّاسُ لِيُؤْمِنُوا ۗ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَوَاتِ بِغَيْرِ
 عَمَدٍ وَهِيَ أَرْسُوفٌ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ
 لِلْحِجَلِ مَشْرُوبًا بِدِرِّ الْأَمْرِ بِفَضْلِ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ لِبِقَاءِ رَبِّكُمْ تُؤْمِنُونَ ۝
 وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رِوْسًا وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ
 جَعَلَ فِيهَا رِوَجِينَ ثَمَرِينَ بُشْرًا لَيْلَ النَّهَارِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
 يُفَكِّرُونَ ۝ وَفِي الْأَرْضِ قَطْعُ شَجَوَاتٍ وَجَنَّتْ مِنَ الْعُجْبِ
 وَرِزْقٌ وَخَيْلٌ صِنُونٌ وَعَيْرُ صِنُونٍ يَسْتَقِي بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَيَقْضِلُ
 بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأَكْلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ
 ۝ وَإِنْ تَحِبَّ فَجَبَّ قَوْمًا آءَاكَ كَثْرًا آءَا لِي حَلِيقٍ
 جَدِيدٍ أَوْلَيْكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَعْلَى
 فِي أَعْتَابِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ۝

١- المرء الف، لام، ميم، راء: حروف للدلالة على إعجاز القرآن للإنس والجن، وأنه حق من عند الله، من طريق تحدي العرب بمجاراته ومعارضته، ما دام مكوناً من حروف لغتهم العربية، آيات هذه السورة وغيرها آيات القرآن، والذي أنزل إليك أيها الرسول من ربك بالوحي هو الحق الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يصدقون بأنه من عند الله، لعدم تأملهم وإمعان نظرهم.

٢- الله وحده هو الذي رفع السموات قائمات من غير أعمدة تستند إليها، ثم اعلى على العرش الذي هو من أعظم المخلوقات اعتلاء يليق به، لا ندري كيفيته، ونؤمن بأنه حق، بلا تكيف ولا تشبيه، وبلا تأويل ولا تعطيل، وذلك الشمس والقمر لمنافع العباد ومصالحهم، كل من الشمس والقمر يجري في فلكه إلى وقت معلوم: وهو فناء الدنيا، وقيام القيامة، بصرف الأمر على وجه

الحكمة، بين الآيات الدالة على قدرته وتوحيده، لتوقنوا يا أهل مكة وأمالكم وتحققوا كمال قدرة الله على البعث والحساب.

٣- والله الذي بسط الأرض طولاً وعرضاً لتيسير العيش عليها والانتفاع بمنافعها، ولا ينافي ذلك كرويتها بذاتها لتباعد أطرافها، وخلق فيها جبلاً ثوابت، وأنهاراً تتدفق بالمياه، وخلق فيها من كل الثمار زوجين: ذكراً وأنثى للتلاقح، وصنفين متقابلين كالحلو والحامض، والأسود والأبيض، والصغير والكبير، يغطي الليل بظلمته ضوء النهار فيطمسه، إن في ذلك المذكور لدلالات على وحدانية الله تعالى، لقوم يتأملون، فيدركون وجود الله وتوحيده.

٤- وفي الأرض بقاع وأجزاء متلاصقات، ولكنها مختلفة النباتات والزرور والخصوبة ونوعية التربة، ويساتين عنب وزروع، ونخلات يجمعها أصل واحد، وتشعب فروعها، أو أصناف متماثلات وغير متماثلات، وكل من الزروع والأشجار يسقى بماء واحد، وتتفاضل فيما يؤكل من ثمرها شكلاً وطعماً، ولوناً ورائحة، وقدراً وزمناً، إن في ذلك المذكور لدلالات على قدرة الله تعالى لقوم يتفكرون في عظمة الخالق، فيؤمنون به.

٥- وإن تتعجب أيها النبي من تكذيب الكفار لك وعبادة الأوثان، فالأعجب منه تكذيبهم بالبعث وإنكارهم له، وقولهم: أيمن بعثنا مرة أخرى بعد أن صرنا تراباً مفتتاً؟ أولئك المنكرون للبعث هم الذين جحدوا بقدرة ربهم، وأولئك الذين يقيدون بالقيود في أعناقهم، وأولئك أهل النار الماكثون فيها على الدوام.



٦- يستعجلك المشركون المكذبون بالعقوبة قبل وقوعها بإنزال العقوبة المهلكة، وقد مضت من قبلهم عقوبات أمثالهم من المكذبين، فما لهم لا يعتبرون بهم؟ وإن ربك أيها النبي لذو ستر عظيم للذنوب، وإن ربك يعاقب الكفار المتمردين عقاباً شديداً. والمثلاث: العقوبات التي تماثل الذنب.

٧- ويقول الكفار العتاة: هلا أنزل على محمد من ربه معجزة حسية أخرى تدل على صدقه ونبوته، فردّ الله عليهم: إنما أنت أيها الرسول مخوف بالشار من عصي الله، وليس عليك إتيان الآيات، ولكل قوم نبي أو رسول يهديهم ويرشدهم إلى طريق النجاة.

٨- الله يعلم ما تحمّل كل أنثى في رحمها من أنواع الأجنة وصفاتها وأحوالها وأعمارها، وغير ذلك، وما تنقص الأرحام بخروج الأولاد ومدة الحمل ونقص الأعضاء وظهور الحيض، وما تمرّ به الأجنة من أطوار النمو يوماً فيوماً، وكل شيء عند الله بقدر محدد ونسبة ثابتة معلومة. ومعرفة البشر نوع الخين ذكراً أو أنثى بالتحليل الكيميائي أو بالأشعة مثلاً، لا يخل باختصاص الله تعالى بمعرفة شؤون أخرى للحمل. وتغيض وتزداد أي تنقص وتزيده الأرحام للجنين.

وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّنَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَّتْ مِنْ قَبْلِهِمُ الْمَثَلُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَعْفَرَةٍ لِلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ٦ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ٧ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامَ وَمَا تَزِدُّهُمُ مِنْ شَيْءٍ عِنْدَهُ مِنْ حَقْدٍ ٨ عَلِيمٌ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُعْجَلِ ٩ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بِأُتْرُقٍ وَسَارِبٍ بِالنَّهَارِ ١٠ لَهُ مَعْقِبَاتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرَ مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا مَرَدَ لَهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ آلٍ ١١ هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ الْآيَاتِ حَقًّا وَظَهَرَ الْبُشَىٰ وَالسَّحَابِ الْمُنِقَالِ ١٢ وَيُرْسِلُ الرِّعْدَ بِحُمُلِهِ وَالْمَلَائِكَةَ مِنْ خَلْفِهِ وَيُرْسِلُ الصَّوَاعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَنْ يَشَاءُ وَهُمْ يُجَادِلُونَ فِي اللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ الْحِمَالِ ١٣

٩- الله تعالى هو العالم بالحسيات الحاضرة

والغيبات غير المرئية، والعظيم الشأن، المستعلي على كل شيء بقدرته وقهره.

١٠- يستوي في علم الله تعالى من أخفى القول في نفسه ومن جهر به، من خير أو شر، ومن هو مستتر في ظلمة الليل، وظاهر بارز بالنهار، يسير في سره، أي طريقه.

١١- لكل إنسان ملائكة تتعاقب في حفظه ورعايته، وهم الملائكة الحفظة، يحفظونه بأمر الله وإعانتة، لا أن يردوا أمر الله، فإذا جاء القدر تخلوا عنه، ويحصون عليه أعماله من خير وشر، إن الله لا يغير ما يقوم من نعمة أو عافية، حتى يغيروا ما بأنفسهم من الطاعة والخير إلى المعصية والشر، وإذا أراد الله بقوم عذاباً أو هلاكاً، فلا ردّ له، وليس لهم من غير الله من ناصر يلي أمرهم، فيجلب لهم الخير، ويدفع عنهم الشر.

١٢- الله الذي يريكم البرق (الشرارة الضوئية في السماء بسبب تصادم الأجرام السماوية) للتحذير من الصواعق، والطمع في المطر، وينشئ السحب الكثيفة المثقلة بالماء.

١٣- وينزه الله تعالى الرعد (الصوت المسموع خلال السحاب بسبب احتكاك الأجرام السماوية) بحمد الله سبحانه، أي أن صوت الرعد يدل على خضوع السحاب وكل شيء لله وتزنيه الله عما لا يليق به، والملائكة يستحون (ينزهون) من هيبته وجلاله، ويرسل الله الصواعق المحرقة (الشهب المنقضة من الأجرام السماوية) فيهلك الله بها من يشاء، وكفار مكة ونحوهم يجادلون في قدرة الله على البعث وفي الوجدانية، والله شديد القوة وأخذ الأعداء بالعقوبة. نزلت في شأن رجل من قراعتة العرب أرسل النبي ﷺ إليه رجلاً يدعوهم إلى رسول الله ثلاث مرات، فأبى وقال: وما الله؟ فأرسل الله عليه في المرة الثالثة صاعقة ذهبت بقحف رأسه.

١٤- لله تعالى الدعاء الصحيح؛ لأنه وحده القادر على إجابة الداعي، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من غير الله ويدعونها لا يستجيبون لهم بشيء مما يطلبونه منهم، إلا استجابة كاستجابة الماء لمن بسط كفيه إليه من بعيد، يطلب منه أن يأتيه، ليصل فاه، وما الماء ببائع واصل إلى فم الداعي أبداً، وليس دعاء الكفار وعبادتهم ألهمهم إلا في ضياع وخسران.

١٥- والله يخضع جميع من في السموات والأرض، طائعين وهم المؤمنون وقت الرخاء وغيره، وكارهين وهم الكفار وقت الشدة والضيق، وتخضع أيضاً أخيلتهم تبعاً لخضوع أصحابها في أول النهار، وما بعد العصر إلى الغروب، وخص هذان الوقتان بالذكر لزيادة ظهور الظلال فيها.

١٦- قل أيها النبي للمشركين من قومك: من خالق السموات والأرض ومتولي أمرهما؟ فإن لم يجيبوا، فلا جواب إلا أن تقول: الله الخالق، قل لهم: فكيف اتخذتم من غيره أصناماً تعبدونها، لا تقدر على جلب النفع لكم أو دفع الضر عنكم، وتركتم مالك السموات والأرض؟ قل لهم: هل يتساوى الكافر الجاهل والمؤمن البصير العالم، وهل تتساوى ظلمات الكفر والإيمان؟ لا، بل أجعل المشركون شركاء لله،

لَهُ دَعْوَةُ الْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُمْ بِشَيْءٍ إِلَّا كَبُيِّسَتْ لَهُمْ سُبُلُ آبَاءِهِمْ إِلَى الْمَاءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِلَاحِقٍ أَلَيْسَ الْكَافِرِينَ إِلَى اللَّهِ صَالِحِينَ ﴿١٤﴾ وَبِاللَّهِ يَتَّجِدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظُلْمًا أَلَمْ يَلِدْهُمْ وَاعْتَدَ الْأَعْيُنَ لِحَافَاتٍ ﴿١٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ قُلْ أَتَأْتِدُونَهُ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنْفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا خَلْقَهُ فَتَشْبِهُ الْخَالِقَ عَلَيْهِمْ قُلْ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٦﴾ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِثْلَهُ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْحَقَّ وَالْبُاطِلَ فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَبْتَغِي النَّاسُ فَيَمْكُتُ فِي الْأَرْضِ كَذَلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّذِينَ أَحْسَنَ إِلَيْهِمْ يُسْتَجِيبُوا لَهُمْ لَوَ أَنَّ لَهُمْ تَأْوِيلَ الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَادُوا بِهٖ أَوْلِيَاءَ لَكُمُ سُوءُ الْحِسَابِ وَأَمَّا لَهُمْ جَهَنَّمُ وَبئس المهاد

خلقوا كما خلق الله، فاستحقوا العبادة كما استحقها؟ فلم يتمكنوا من تمييز الخلقين، قل لهم: الله وحده خالق كل شيء، وهو المتوحد بالألوهية، الغالب على كل شيء.

١٧- أنزل الله من السحاب مطراً فسال (جرى) ماء الأودية بقدر حجم الوادي واتساعه قلة وكثرة، فرفع واحتمل بقوة السيل فيما جرف معه غناء ورجوة طافية عالية فوق الماء، وبعض المعادن التي يوقدون عليها ليصهرها في النار من فلزات الحديد والذهب والفضة وغيرها، بقصد طلب الزينة واتخاذها حلية وهي الذهب والفضة، أو من أجل اتخاذها أمتعة وهي الحديد والنحاس ونحوهما، يتفجع بها كالأواني إذا أتيت وآلات الحرب والزراعة والمصانع، لها زيد مثل زيد السيل، أي للمعادن زيد أيضاً، وهو خبث هذه الفلزات المعدنية، مثل ذلك المذكور مثل الحق والباطل وأهل كل منهما، فأما الزيد الطافي فيزول باطلاً مرمياً به، وأما ما ينفع الناس منها من الماء والمعادن فيبقى في الأرض زماناً، ويتفجع به أهلها، ومثل ذلك المذكور بين الله الأمثال لإيضاح الشبهات. والمراد: أن الله تعالى بعد بيان خطأ الكفار في الآية المتقدمة (١٤) وما بعدها في اتخاذ آلهة لا تقدر ولا تنفع، ضرب مثلين لثبات الحق وهو الإيمان بالقرآن، وزوال الباطل وهو الكفر، والباطل كالزيد فوق الماء يذهب ويتبدد، والحق يبقى كالماء والمعدن الصافي اللذين يبقيان في الأرض، فيتفجع بهما الناس. والمثلان أحدهما ريفي وهو الماء والزرع، والآخر مدني وهو صناعة المعادن. وقوله ﴿ومما﴾ خبر ابتداء، والبتداء ﴿زيد﴾ ومثله: نعت لزيد.

١٨- المثوبة الحسنة وهي الجنة للذين استجابوا للربهم بالإيمان والطاعة، والذين لم يطيعوا الله ورسوله لا ينفعهم في الآخرة الفداء بجميع ما في الدنيا، وضيغف ما فيها، أولئك الذين لم يطيعوا الله وماتوا وهم كفار لهم سوء العذاب في الآخرة، ومسكنهم جهنم، وبئس المستقر الذي يستقرون فيه.





١٩- هل من يعلم فيؤمن ويستجيب كالحمزة، يعلم أن ما أنزله الله إلى رسوله هو الحق الثابت الصحيح، كمن لا يعلم كأي جهل وهو أعمى القلب والبصيرة ولا يؤمن؟ لا يستويك ولا يتشابهان، إنما يتعظ أصحاب العقول الراجحة.

٢٠- وأولو العقول هم الذين يوفون بعهد الله ويعهد العباد، فيقومون بما فرضه الله عليهم، وينفذون معاهداتهم مع الآخرين، ولا ينقضون بنود الموائيق والعهود التي التزموها. والميثاق: العهد المؤكد.

٢١- وهم أيضاً الذين يصلون ما أمر الله بوصله وهو صلة الأرحام وغيرها، ويخافون وعيد ربهم فلا يعصونه، ويخشون خطر الحساب، فيحاسبون أنفسهم قبل أن يحاسبوا.

٢٢- وهم كذلك الذين صبروا على طاعة الله، وعلى أقدار الله، وترك المعاصي، بقصد طلب رضا ربهم، لا لأغراض دنيوية أخرى من فخر أو سمعة وغيرها، وأدوا الصلاة في أوقاتها، وأنفقوا في طاعة الله مما رزقهم الله، فادوا الزكاة وغيرها، سراً وجهرًا، ويدفعون الإساءة بالإحسان، أولئك المتصفون بالصفات المذكورة لهم العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، وهي الجنات.

٢٣- تلك العاقبة الحميدة هي جنات إقامة وخلود،

ومعهم من كان ممن صلح من الآباء والأمهات والأزواج والذرية الأولاد، وإن لم يكونوا في درجاتهم في التقوى والصلاح، تكريمًا لهم وإناسًا ببقاء أحببتهم وإقرار أعينهم وسرورهم، وتدخل الملائكة من جميع أبواب الجنة ومنازل السكنى للتهنئة والتحية، قائلين لهم ما يأتي:

٢٤- يقولون لهم: سلام عليكم، سلمتم من الآفات ودامت سلامتكم، بسبب صبركم على الطاعة والتقوى، وعن المعاصي، فنعمت الجنة عقابكم وداراً لكم أيها الأبرار.

٢٥- والذين ينقضون بنود عهد الله بعد إيمانه ومعاهدته على الطاعة، ويقطعون ما أمر الله بوصله كصلة الأرحام، ويفسدون في الأرض بالكفر والظلم والمعاصي وإثارة الفتن، أولئك لهم الطرد والإبعاد من رحمة الله، ولهم عذاب النار، والعاقبة السيئة في الآخرة.

٢٦- الله يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيق الرزق على من يشاء من خلقه، والبسط لا يدل على الكرامة، والقبض لا يدل على الإهانة، وفرح أهل مكة فرح بطر بما بسط لهم في الدنيا، وجهلوا ما عند الله، وما الحياة الدنيا في جنب الآخرة إلا متعة قليلة لا تدوم.

٢٧- ويقول كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزة حسية كعصا موسى ويده وناقص صالح، قل لهم أيها النبي: إن الله يضل من يشاء إضلاله، لأنه عاند وتمرد، فلا تفيده الآيات شيئاً، ويرشد إلى دينه وإلى الحق من تاب، وأقلع عما كان عليه، وترك العناد.

٢٨- والذين أنابوا هم الذين آمنوا بالله وبما أنزل، وتسكن وتستأنس بذكر الله بتوحيده وتذكر وعده، ألا بتوحيد الله ووعده والتأمل في مخلوقاته وصنعه، وتذكر قدرته تسكن قلوب المؤمنين.

﴿أَفَنِعْمَ أَلْمَازٌ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ مِنَ رَبِّكَ الْحَقَّ مَن هُوَ أَعْمَىٰ أَسَىٰ
يَذْكُرُ أَوْلَادَ الْأَلْبَابِ ﴿١٩﴾ الَّذِينَ يُوْفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنْقُضُونَ
الْمِيثَاقَ ﴿٢٠﴾ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ
رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ﴿٢١﴾ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ
رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرُؤُونَ
الْحَسَنَةَ السَّيِّئَةَ أُولَئِكَ لَمْ نُعْطِ الدَّارَ ﴿٢٢﴾ جَنَّاتٍ عَدْنٍ
يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ
يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ
عُقُوبَى الدَّارِ ﴿٢٤﴾ وَالَّذِينَ يَنْقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مِيثَاقِهِ
وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ
أُولَئِكَ لَمْ نُعْطِ الْعَنَّةَ وَلَمْ نُسَوِّ الدَّارَ ﴿٢٥﴾ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ
يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ
إِلَّا مَتَاعٌ ﴿٢٦﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ
إِنَّ اللَّهَ يَضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ آمَنُوا
وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴿٢٨﴾

الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ
 مَآبٍ ﴿٢٩﴾ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَا فِي أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَا أُمَمٌ
 لِّتَلَّوْا عَلَيْهِمُ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِالرَّحْمَنِ قُلْ هُوَ
 رَبِّي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَآبٍ ﴿٣٠﴾
 وَلَوْ أَن قَوْمٌ فَرَّوْا مِنَّا فَسَبَّوْا بِهِ الْجِبَالَ أَوْ قَطَّعَتْ بِهِ الْأَرْضُ
 أَوْ كَلِمَةً بِهِ الْمَوْتُ بَل لَّيْلًا لِّلْأُمَمِ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَأْتِسَّ الَّذِينَ آمَنُوا
 أَن لَّوَيْسَاءَ اللَّهِ لَهْدَىٰ لِّلنَّاسِ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا
 تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ
 وَعْدَ اللَّهِ إِنْ لَّا يَخْلِفَ الْمِيعَادُ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ اسْتَهْزَىٰ
 بِرُسُلِ مِّن قَبْلِكَ فَمَا نَلَيْتُ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا شَيْئًا ثُمَّ أَخَذْتَهُمْ فَكَيْفَ
 كَانَ عِقَابِ ﴿٣٢﴾ أَفَمَن هُوَ قَائِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ
 وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ يَنبُؤُونَكَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ
 أَمْ يَبْظَاهِرُونَ الْقَوْلَ بَل زَيْنٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرَهُمْ وَضُدٌّ عَيْنٍ
 أَلْسِنَةٌ وَمَنْ يُوْصِلْ إِلَى اللَّهِ فَمَا لَهُ مِن هَادٍ ﴿٣٣﴾ لَهُمْ عَذَابٌ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابٌ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّن لَّهِ مِنْ وَّاقٍ ﴿٣٤﴾

٢٩- الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم الحياة الطيبة والسرور، وحسن المرجع في الآخرة.
 ٣٠- مثل إرسال الرسل السابقين، أرسلناك في جماعة من الناس، مضت من قبلها جماعات، لتقرأ عليهم القرآن الذي أوحينا به إليك، وهم يجحدون باسم الرحمن، فينكرون وجود هذا الاسم لله تعالى، ولا يشكرون نعمه، قل لهم أيها النبي: الرحمن هوري، أي خالقي ومدبر أمري، لا إله في الوجود غيره، ولا مستحق للعبادة سواه، عليه اعتمدت في جميع أمورى ومناصرتى، وإليه وحده مرجعي في الآخرة وتوبتي.

٣١- القرآن نفسه هو المعجزة أو الآية لو تعقلوا، فلو فرض أن هناك قرآناً أو كلاماً تسيّر به الجبال عن أماكن استقرارها بإزالته وتلاوته، أو قطعت وشقت به الأرض، فكانت سهولاً وعيوناً وانهاراً، أو صار به الموتى أحياء بقراءته عليهم، لكان هذا القرآن، ولما آمن به أهل مكة عندما شاهدوا منه ما ذكر، بل لله الأمر جميعاً، فهو القادر وحده على إنزال الآيات، ولو شاء أن يؤمنوا لآمنوا، سواء أنزل ما اقترحوا أم لم ينزل،

أفلم يعلم المؤمنون ويتحققوا أن لو يشاء الله، لهدى الناس جميعاً إلى الإيمان، ولو من غير مشاهدة آيات ومعجزات، ولا يزال كفار مكة تصيبهم بما صنعوا من الكفر وتكذيب الرسول داهية تقرع قلوبهم، من قتل وأسروا وقحط، أو تحل القارعة قرب ديارهم، فيملؤهم الخوف والفرع منها، حتى يحيق مصداق وعد الله الذي وعدك به وهو النصر عليهم وفتح مكة أو قيام القيامة، إن الله لا يخلف الميعاد على الإطلاق، لا امتناع الكذب في كلامه.

٣٢- وكما استهزئ بك أيها الرسول من المشركين، استهزئ برسل سابقين من أقوامهم، حين دعوهم إلى الإيمان، فاصبر على أذاهم، فأمهلت الكافرين مدة للتوبة، ثم أخذتهم بالعذاب الشديد، فكيف كان عقابي لهم على الكفر والاستهزاء؟!

٣٣- هل يتساوى من هو رقيب على كل نفس، وعالم بما كسبت من خير أو شر، ومن ليس كذلك من الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وقد جعلوا الله شركاء في العبادة، قل لهم أيها النبي: سمؤهم له من هم، والمراد أنهم لا حقيقة لهم، بل أتخبرون الله بشركاء لا يعلمهم في الأرض ولا في السماء، بل أتصفونهم بالشركاء بقول ظاهري فقط، باطل لا أصل ولا حقيقة له فهو كالتخيل؟ بل زَيْنٌ للكفار كفرهم وكذبهم وافتراؤهم على الله، وصرخوا عن الهداية والإيمان، ومن يجعله الله ضالاً عن الحق والهدى بسبب علمه السابق بضلالة وكفره، فليس له أحد يهديه.

٣٤- لهؤلاء الكفرة عذاب في الدنيا بالقتل والأسر، ولعذاب الآخر أشد وأنكى منه، وما لهم من عذاب الله من مانع ولا دافع ولا عاصم.



٣٥- صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد بها
المؤمنون: أنها تجري من تحت بساطتها الأنهار، ثمارها
دائمة لا تنقطع، وظلها دائم كذلك لا يزول، تلك
الجنة عاقبة الذين اتقوا الله، بالتزام أوامره، واجتناب
نواهيه، وعاقبة الكافرين بالله النار، لا غير .

٣٦- والمسلمون من أهل الكتاب كعبد الله بن سلام
وأصحابه من مؤمني اليهود، وهم ثمانون رجلاً
يفرحون بما أنزل إليك أيها النبي من القرآن، وأهل
الكتاب الذين تحزبوا على النبي ﷺ من اليهود
وساعدوا المشركين، مثل كعب بن الأشرف اليهودي
وأصحابه، من ينكر بعض القرآن، مثل نسخه
لشراعتهم وكل ما يخالف ما افتروه كادعاء نبوة المسيح
الله، قل لهم أيها النبي: إنما أمرت أن أعبد الله وحده،
ولا أشرك به أحداً غيره في عبادته، إلى الله أدمعوا
الناس لا إلى غيره، وإليه وحده مصيري ومرجعي .

٣٧- ومثل هذا الإنزال المشتغل على أصول
الدين، أنزلنا القرآن على أصول الشريعة وفروعها،
للحكم بين الناس في الوقائع والقضايا بالحكمة
والعدل، حكماً قاطعاً لا يبدل، فاصلاً بين الحق
والباطل، بلسان العرب ليسهل فهمه وحفظه، كما
أنزلنا الكتب على الرسل بلغات أقوامهم، ولئن اتبعت

مَثَلِ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدْنَا الْمُؤْمِنِينَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا
دَاخِمٌ وَظَلَمْتُهَا نَكَ عَقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا وَعَقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ﴿٣٥﴾
وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنْ
الْأَنْحَارِ مِنْ بُيُوتِهِمْ بَعْضُهُ قُلٌّ إِنَّمَا آمُرْتُ أَنْ أُعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ
بِهِ إِلَهَ إِلَهٍ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴿٣٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ حُكْمًا
عَرَبِيًّا وَلِيُنَبِّئَ أُمَّوَاءَهُمْ بِمَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ
مِنْ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِنْ قَبْلِكَ
وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرُسُلِنَا أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَاتٍ
إِلَّا يَأْتِيَنَّ اللَّهُ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴿٣٨﴾ يَتَخَوَّاهُ اللَّهُ مَا بَشَرُ
وَيْسَتْ وَعِنْدَهُ رَأْمُ الْكِتَابِ ﴿٣٩﴾ وَإِنْ مَأْرَتَيْكَ بَعْضُ الَّذِي
نَعُدُّهُمُ أَوْ تَتَوَقَّيْنَاكَ فَأَمَّا عَلَيْكَ فَأَبْلَغُ وَعَلَيْتَا الْحِسَابُ
﴿٤٠﴾ أَوْ لَوْ رَوُوا أَنَّا تَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَجْزِكُمْ
لَا تَعْقِبُ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٤١﴾ وَقَدْ
مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ
كُلُّ نَفْسٍ وَسِعِلُهُ الْكَافِرِينَ عَقْبَى النَّارِ ﴿٤٢﴾

فرضاً أهواء قومك الكفار فيما يدعونك إليه من ملتهم، كالصلاة إلى قبلتهم، بعدما جأطك من تعليم الله إياك، ليس
لك من الله من صديق ناصر ينصرك، ولا مانع يقيك من عذابه أو يمنع العقاب عنك .

٣٨- ولقد أرسلنا رسلاً بشراً من قبلك مثلك أيها النبي، وجعلنا لهم أزواجاً من النساء، وذرية توالدوا (أولاداً)
كما هي لك، وما صح لرسول أن يأتي بمعجزة حسية من نفسه إلا بأمر الله وإرادته ومشيبته، لكل حادث كتاب
معين، ولكل أمر مقضي أجل محدد. والمراد بالكتاب هنا: الشيء المكتوب، أي معجزة تناسب زمن الرسول
المرسل .

٣٩- ينسخ الله أحياناً ما يشاء من الأحكام، ويبقي ما يشاء من الأحكام بمقتضى الحكمة والمصلحة وملائمات
الزمان، وعنده تعالى أصل الكتب، وهو اللوح المحفوظ الذي لا يتبدل فيه ولا تغيير .

٤٠- وإن أريناك بعض ما نعدهم به من العذاب في حياتك، أو توفيك قبل تعذيبهم، فما عليك إلا تبليغ
الأحكام، وعلينا محاسبتهم على أعمالهم ومجازاتهم إذا صاروا إلينا .

٤١- أولم ير أو يعلم أهل مكة وغيرهم أننا نتقص من جوانب الأرض التي يعيشون فيها بتخريبها وإهلاك
أصحابها، أو بفتح بعضها على المسلمين، والله يحكم بما يشاء، لا متابع ولا ناقض مبطل لحكمه، والله يحاسب
الناس عما قريب في الآخرة، على وجه السرعة .

٤٢- وقد مكر الكفار الذين من قبلهم من الأمم بأنبيائهم، والمكر: التدبير الخفي، فله التدبير المطلق، لا يؤبه
بتدبير دون تدبيره، ولا يخيب تدبيره أبداً، وأما مكر غير الله فلا يضر إلا صاحبه، يعلم الله جميع ما تكسب كل
نفس، فيعد جزاءها، وسيعلم كل كافر لمن العاقبة المحمودة في الدار الآخرة، لهم أم للمؤمنين !!

وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ
شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِنْدَهُ عُلُوكِ الْكِتَابِ ﴿١٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّكِبِ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِخُجُرِ النَّاسِ مِنْ ظُلُمَاتٍ
إِلَى النُّورِ يَذِّنُ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَنِيدِ ﴿١﴾ اللَّهُ
الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَيُؤْتِي الْمَالَ كَثِيرًا
مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَسْحَبُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى
الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ
فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٣﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رُسُلٍ إِلَّا بِلِسَانِ
قَوْمِهِ لِيَتَّبِعُوا فَمَنْ نَسَىٰ فَأُولَٰئِكَ الْكَافِرِينَ
وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا
أَنْ أخرج قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكَرَهُمْ بِأَسْمِ
أَنَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٥﴾

٤٣- ويقول الكفار: لست يا محمد رسولا
مرسلا من الله إلى الناس، قل لهم: كفى بالله
شاهداً على صدقي بيني وبينكم، فهو يعلم صحة
رسالتي، وكذلك المطلع على علم أهل الكتاب من
مؤمني اليهود والنصارى يشهد أيضاً بصدق دعوتي
ورسالتي، لما علموا صدقه من كتبهم.

سورة إبراهيم

١- ﴿الر﴾: ألف، لام، راء، للتنبيه والتعدي
وإثبات إعجاز القرآن، كما تقدم في أمثاله، هذا
كتاب وهو القرآن أنزلناه إليك أيها النبي، لتخرج
الناس به من ظلمات الكفر والجهل والضلالة إلى
نور الإيمان والعلم والهداية، بأمر ربهم وتوفيقه
وتيسيره، إلى طريق القوي، الغالب في ملكه،
القاهر لعباده، المحمود على كل حال، المستحق
للحمد لكثرة نعمه، وقوله: ﴿إلى صراط﴾ بيان
للنور المتقدم ذكره.

٢- الإله الذي له جميع ما في السموات
والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً وتديراً وتعبداً،
وهلاك وعذاب للمنكرين وجود الله أو الذين عبدوا غيره، من عذاب شديد صاروا إليه يوم القيامة، أي
يولولون من شدة العذاب.

٣- العذاب للكفار الذين يختارون أو يؤثرن الحياة الدنيا على حياة الآخرة الدائمة، ويمنعون الناس عن
الإيمان والدخول في الإسلام، ويطلبون لملة الإسلام عوجاجاً وزيفاً وانحرافاً عن الحق، لموافقة أهوائهم،
أولئك الكفار المذكورون في خطأ بعيد عن الحق والصواب.

٤- ما أرسلنا رسولا من الأمم السابقة إلا متكلماً بلغة قومه الذين بعث فيهم، ليفهموا عنه شرع الله تعالى،
وليبين لهم ما أتى به من الشريعة، ويكون المضل والهادي بعد هذا البيان هو الله عز وجل، وهو سبحانه القوي
في ملكه، الحكيم في صنعه، فلا يهدي ولا يضل إلا لحكمة. وليس الإضلال والهداية أمراً جبرياً، وإنما
الإضلال يكون بسبب التمادي في الكفر والعناد، والهداية بالتوفيق والرعاية.

٥- ولقد أرسلنا موسى مصحوباً بالمعجزات والآيات التسع إلى فرعون وملئه، وقلنا له في مضمون
الرسالة: أخرج بني إسرائيل في ملك فرعون من ظلمات الكفر والجهل، إلى نور الإيمان والعلم، وذكرهم
بالوقائع الجسم التي مرت على أم الأنبياء السابقين، وكيف نجح المؤمنون وهلك الكافرون؟ إن في ذلك التذكير
بأيام الله لدلالات واضحات على التوحيد وكمال القدرة، وعبرة وعظة، لكل كثير الصبر على المحن والبلاء
والطاعة، كثير الشكر للنعم.

٦- واذكر أيها الرسول حين قال موسى لقومه:
تذكروا نعمة الله عليكم حين أنجاهم من آل فرعون
ياغراق فرعون وجنوده، يذيقونكم العذاب السيء
الشديد، وهو استعبادكم واشتغالكم بالأعمال
الشاقة، ويذبّحون أبناءكم المولودين، ويتركون
البنات أحياء للخدمة والإذلال مع أمن شرهن
وسرعة فناء نسلكم، وفي ذلك المذكور من
أفعالهم ابتلاء عظيم وامتحان وفتنة من ربكم.

٧- واذكروا يا بني إسرائيل حين أعلن ربكم
إعلاناً عاماً مؤكداً وأخبركم فقال: لئن شكرتم
نعمتي بالتوحيد والطاعة لأزيدنكم نعمة أخرى
تفضلاً مني، ولئن جحدتم ذلك وعصيتم أمري
لأعذبنكم، إن عذابي شديد لمن كفر وعصى.

٨- وقال موسى: إن تمجدوا نعمة الله تعالى
أنتم وجميع البشرية، فإن الله لغني عن خلقه وعن
شكركم لا يحتاج إليه، مستحق للحمد في ذاته
لكثرة إنعامه على الناس، محمود على كل حال في
صنعه بهم.

وَإِذ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنْجَاكُمْ
مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ وَيَدُبُّونَ
أَبْنَاءَكُمْ وَاسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُمْ بَلَاءٌ
مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَإِذ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ
لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ۝ وَقَالَ
مُوسَىٰ إِنَّ تَكْفُرًا أَنتُمْ وَمَن فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا فَأِنَّ اللَّهَ
لَعَنِي حَمِيدٌ ۝ أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِّن قَبْلِكُمْ
قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَالَّذِينَ مِن بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا اللَّهُ
جَاءَهُمْ رَسُولُهُم بِالنَّبِيِّ فَذُوقُوا آيَاتِهِمْ فِي
أَفْوَاهِهِمْ وَقَالُوا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ وَإِنَّا
لِنَبِيِّكُمْ تَمَّادَعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٌ ۝ قَالَتْ
رُسُلُهُمْ أَوَىٰ لِلَّهِ شَيْكٌ فَاطِرِ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ
يَدْعُوكُمْ لِنُقَبِلَ لَكُمْ ذُنُوبٌ وَيُوَخِّرُوْكُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ
مُّسَمًّى قَالُوا إِنَّا نَسُوا الْآبَشْرَ مِثْلَنَا تَرِيدُونَ أَن تَصَدُّونَا
عَمَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأَنُوتَا سِطْرًا مُّبِينٌ ۝

٩- وأضاف موسى قائلاً: ألم يصلحكم خبر الذين مضوا من الأمم المكذبة، من قوم نوح وعاد
وثمود، والذين جاؤوا من بعدهم من الأقسام، لا يحصي عددهم إلا الله تعالى، فعصوا أيديهم غيظاً مما
جاءت به الرسل من العقائد والشرائع، أي سمعوا الحديث عنها ولم يقبلوها، وقالوا: لقد كفرنا بما أرسلتم
به في زعمكم، ونحن في شك في الريبة والقلق والحيرة، مما تدعوننا إليه من الإيمان بالله وحده وترك ما
سواه، فهو أمر غير متيقن.

١٠- قالت لهم رسلهم: أفي وحدانية الله تعالى شك؟ أي لا شك في توحيده لظهور ذلك ووضوحه، وهو
سبحانه خالق السموات والأرض ومبدعهما على أكمل نظام، ولا على مثال سابق، يدعوكم إلى عبادته
وطاعته والإيمان به وتوحيده ليغفر لكم بعض ذنوبكم وهي حقوق الله لا حقوق العباد، فلا تغفروا إلا بمسامحة
أصحابها، ويؤخركم بلا عذاب كلي إلى انتهاء أجالكم العادية، قالوا لهم: ما أنتم إلا بشر مثلنا، ولستم
ملائكة، فلا فضل لكم علينا، تريدون أن تصرفونا عما كان يعبد آباؤنا من الأصنام، فإن كنتم صادقين، فأتونا
بحجة واضحة قوية على صدقكم وصحة ادعائكم النبوة. وهذا تعنت فإنهم جاؤوهم بمعجزات واضحة
كثيرة.



قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ
 يَنْزِلُ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ نِسَاءِ مَنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ
 بِسُلْطٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾
 وَمَا لَنَا أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَىٰ اللَّهِ وَقَدْ هَدَانَا سُبُلًا وَلَنْصِرَنَّ
 عَلَىٰ مَاءِ أَيْمُونًا وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿١٢﴾
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا
 أَوْ لَنَعُودَنَّ فِيهَا فَاوْحَىٰ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ
 الظَّالِمِينَ ﴿١٣﴾ وَلَنَسُكِّنَنَّكُمْ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ
 لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ وَأَسْتَفْتُوا وَخَابَ
 كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ﴿١٥﴾ مِّنْ وَرَائِهِ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِنْ مَّاءٍ
 صَدِيدٍ ﴿١٦﴾ يَجْرَعُهُمْ وَلَا يَكَادُ لِيُسِفَعَهُ وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ
 مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُمْ بِمَيِّتٍ وَمِنْ وَرَائِهِ عَذَابٌ
 غَلِيظٌ ﴿١٧﴾ مِثْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ
 أُسْتَدَّتْ بِهٖ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لَا يَقْدِرُونَ مِمَّا
 كَسَبُوا عَلَىٰ شَيْءٍ ذَٰلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٨﴾

١١- قالت لهم رسلهم: ما نحن إلا بشر مثلكم في الخلقة والطبع كما قلتم، ولكن الله يفضل على من يشاء منهم بالنبوة، وما ينبغي لنا وليس في استطاعتنا أن نأتيكم بحجة أو معجزة إلا بمشيئة الله وقدرته وأمره، وعلى الله وحده فليعتمد المؤمنون، وليثقوا به في جميع أمورهم.

١٢- ولا عذر لنا في ألا نتوكل على الله، ولا مانع لنا من ذلك، والحال أنه قد أرشدنا إلى طريق رحمته والنجاة من عذابه، ولسوف نصبر على أذاكم وتكذيبكم، وسينصرنا الله عليكم، وعلى الله وحده فليثبت المتوكلون ثباتاً ناشئاً من إيمانهم، ويفوضوا أمورهم إليه.

١٣- وقال بعض الكفار المتمردين العتاة لرسولهم: لنخرجنكم من ديارنا، أولتصيرن وتعودن في ملتنا الموروثه، والملة: الدين والشريعة، فاختاروا أحد الأمرين، فأوحى الله إلى الرسل في تلك الحال: لنهلكن الكافرين الطغاة.

١٤- ولنسكننكم ديار هؤلاء الكفار الذين توعدوكم، من بعد إهلاكهم، ذلك الموحى به،

وهو إهلاك الظالمين وإسكان المؤمنين لمن خاف موقفي يوم الحساب، وخاف وعيدي بالعذاب لمن يخالف أمري. والمقام هنا كناية عن الذات الأقدس على سبيل التعظيم، كما في قوله تعالى: ﴿ولمن خاف مقام ربه جنتان﴾ [الرحمن ٥٥/٤٦].

١٥- واستنصر الرسل بالله على أعدائهم، وخسر وهلك كل متعاضم متكبر عن طاعة الله، معاند للحق مخالف له.

١٦- وجهنم أمامه وفي انتظاره ليصلاها ويدخلها يوم القيامة، بعد إهلاكه في الدنيا، ويسقى فيها من الصديد الذي يسيل من أجساد أهل النار، مختلطاً بالقيح والدم.

١٧- يتكلف شربه مرة بعد مرة بالشدة والقهر، لإطفاء عطشه، ولا يكاد يتلعه، بل يغص به، وتأنيه أسباب الموت من كل جهة، ولكنه لا يموت، فيستريح من الشدائد والآلام، وبعد ذلك العذاب عذاب قوي متصل وشديد غير منقطع.

١٨- الصفة العجيبة لأعمال الكفار الصالحة كصلة الرحم والصدقة وفعل الخير في عدم الانتفاع بها في الآخرة كرماد (أثر نار) عصفت به الريح ونسفتها، في يوم شديد العواصف، لا يقدر الكفار على شيء مما كسبوا (عملوا في الدنيا) من تلك الأعمال في الدنيا، ولا يرون لها أثراً في الآخرة، ذلك الضلال مع توهمهم أنهم محسنون: هو الضلال البعيد عن النفع، والحق، والخسران والهلاك الذي لا يعوض.

١٩- ألم تعلم أيها المخاطب أن الله خلق السموات والأرض للاستدلال بهما على كمال قدرته، بالحكمة والوجه الصحيح الذي يحق أن يخلقهما عليه، إن يشأ يعدمكم، ويأتي بمخلوقات جديدة مكانكم أطوع وخيراً منكم.

٢٠- وليس ذلك بمتنع أو متعسر على الله، فإنه تعالى قادر لذاته على كل شيء، بكلمة ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ٢/١١٧ ومواضع أخرى من السور].

٢١- وظهرت الخلائق جميعاً من قبورهم يوم القيامة في أرض متسعة، وهي المحشر، فقال الأتباع ضعفاء الرأي والفكر للقادة المستكبرين الأقوياء: إنا كنا أتباعاً لكم في الدنيا في شأن الكفر والتكذيب للرسول، فهل أنتم دافعون عنا بعض الشيء أو كله من عذاب الله؟ قال المستكبرون: لو هدانا الله للإيمان، لهديتناكم إليه، يستوي علينا الجزع أو التبرم والصبر، ليس لنا من منجى ومهرب من العذاب.

أَوَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ ۗ
إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٩﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿٢٠﴾ وَبَرَزُوا لِلَّهِ جَمِيعًا فَقَالَ الضُّعُفَاءُ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لُكُوفًا لِمَا كُنَّا فَعَلْنَا فَأَلْهَمْنَا فِعْلَهُمْ فَأَلْهَمْنَا فِعْلَهُمْ ۗ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢١﴾
قَالُوا لَوْ هَدَانَا اللَّهُ لَهْدَيْنَاكُمْ سَوَاءَ عَلَيْنَا أَمْ نَكُفِّرُ بِنَا أَمْ نَكُفِّرُ بِنَا مَا لَنَا مِنَ مَنِّهِمْ ۗ وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الْأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۗ وَمَا كَانَ لِي عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلَا تَلُمُونِي وَلَوْلَا أَنفُسُكُمْ مَا آتَاكُمْ بَصُرِحُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِبَصُرِحِينَ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكُمُومِينَ مِنْ قَبْلِ آتِ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَأَذِلَّةٌ الَّذِينَ آمَنُوا وَأَكَلُوا الصَّالِحِينَ جَنَّتْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ يُحِبُّونَ ۗ فِيهَا سَكَنٌ لَكُمْ

٢٢- وقال الشيطان (إبليس) لأتباعه في الآخرة، لما أحكم الأمر ونُفذ وفرغ منه، ودخل أهل الجنة الجنة، وأهل النار النار: إن الله وعدهم وعداً حقاً أنجزه بالبعث والحساب ومجازاة المحسن والمسيء، ووعدتكم وعداً باطلاً: وهو ألا بعث ولا حساب، فأخلفتكم وعدي، ولم يكن لي تسلط وقدرة عليكم، لكن دعوتكم إلى الكفر والعصيان، فأسرعتهم إجابتي وطاعتي، فلا تلموني على إغرائي وتوريطي، وخلف وعدي، ولوموا أنفسكم على إجابتي وإطاعتي، ولم تطيعوا ربيكم لما دعاكم إليه من الحق، ما أنا اليوم بمغيثكم مما وقعتم فيه من العذاب، وما أنتم تتمكنون من إغائتي وإتقاضي، إني كفرت اليوم بإشراككم إياي مع الله، من قبل في الدنيا، إن الكافرين المشركين لهم عذاب مؤلم.

٢٣- وأدخل الله المؤمنين بالله، الذين عملوا الأعمال الصالحة التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت بساطينها الأنهار، خالدين فيها خلوداً دائماً، بأمر ربههم ومشيتته، تحييتهم فيها على الدوام من الله وملائكته: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

٢٤- ألم تعلم أيها المخاطب كيف ضرب الله مثلاً أي وضعه الموضع اللائق به، شبه فيه الكلمة الطيبة وهي كلمة الإسلام: لا إله إلا الله، وكل ما يدل على الحق والخير والفضيلة، بالشجرة الطيبة، أصلها راسخ في الأرض، وأعلها مرتفع في السماء، وهكذا كلمة التوحيد والدعوة إلى القرآن راسخة في قلب المؤمن.

٢٥- تعطي ثمرها كل وقت بإرادة خالقها ومشيته، وبين الله الأمثال للناس ليتعظوا ويفهموا، فيؤمنوا ويعملوا. وهذا مظهر من مظاهر تصوير المعاني في القرآن الكريم بصور المحسوسات.

٢٦- والكلمة الخبيثة وهي كلمة الكفر وكل ما يدعو إلى الشر والضر، كالشجرة الخبيثة وهي شجرة الخنظل التي استوصلت واقتلعت من أصلها فوق الأرض بسبب قرب جذورها من سطح الأرض، ليس لها استقرار، ولم يبق منها شيء. وكذلك كلمة الكفر والشر نهايتها إلى الفناء.

٢٧- ثبت الله المؤمنين بالقول الثابت الذي ثبت بالحجة عندهم وتمكن في قلوبهم، وهو الكلمة الطيبة المتقدمة: كلمة الشهادة وكل كلمة حق، يثبتهم في الدنيا وقت سؤال القبر، وفي يوم القيامة، فلا يتلثمون إذا سئلوا عن معتقدهم في موقف الحساب وعند رؤيتهم أهوال الحشر، ويضل الله الكفار عن حجتهم، فلا يهتدون إلى الحق والجواب الصحيح، بل يقولون: لا ندرى، ويفعل الله ما يشاء من تثبيت بعض الناس، وإضلال آخرين، من غير اعتراض عليه.

الرَّكَيفَ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ٢٤ تُوْقَى أَكْلَهَا كُلَّ حِينٍ يَأْذِنُ رَبُّهَا وَيُضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ٢٥ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ٢٦ بَيَّنَّتْ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ ٢٧ الرَّسُولُ إِلَى الَّذِينَ بَدَلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ هَرًا وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ٢٨ جَحِيمٌ يَصْلَوْنَهَا وَيُنْسِئُ الْقَرَارُ ٢٩ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا لِيُضِلُّوا عَنْ سَبِيلِهِ فَلْيَتَنَفَّسُوا فَإِنَّ مَصِيرَهُمْ إِلَى النَّارِ ٣٠ فَلْيُبَادِئِ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِعِمْوِا الصَّلَاةِ وَيَنْفِقُوا مِمَّا رَزَقَهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا يَبِيعُ فِيهِ وَلَا خَلْلٌ ٣١ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمْ الْأَنْهَارَ ٣٢

٢٨- ألم تنظروا إلى من بدلوا شكر نعمته كفرًا، وهم قادة الكفار والمشركون، بتكذيبهم برسالة محمد ﷺ وشريعته، وأنزلوا قومهم الذين شايعوا في الكفر دار الهلاك، وهي جهنم، بأن أعدوا لهم أسباب دخول النار، فدخلوها جميعاً. وهذا تعجيب من حالهم.

٢٩- يدخلون جهنم ويقاسون حرها، ونس المقر جهنم.

٣٠- وجعلوا لله شركاء ونظراء في الربوبية واستحقاق العبادة، ليوقعوا قومهم في الضلال عن التوحيد ودين الإسلام، قل لهم أيها المشركون: تمتعوا بشهواتكم وإضلال غيركم، فمردكم ومرجعكم إلى النار ليس لكم سواها.

٣١- قل أيها النبي لعبادي الذين آمنوا بالله واليوم الآخر: أقيموا الصلاة المفروضة، على وجهها الأكمل، وأنفقوا وقت السر وقت العلانية بالصدقات والزكوات، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا فداء فيه، ولا مصادقة خليل تنفع.

٣٢- وأدلة قدرة الله ووجوده ووحدانيته كثيرة، منها: أن الله أوجد السموات والأرض، وأنزل من السحاب مطراً، فأخرج بذلك الماء من الثمرات والغلال رزقاً تعيشون به أيها الناس، وذلك وأعد لكم السفن لتجري في البحر بكم للانتفاع والركوب والتصرف، بإذن الله ومشيته، وذلك لكم الأنهار للمتعة والزراعة والركوب وتوليد الكهرباء وغير ذلك من المنافع.

٣٣- وأوجد لكم الشمس والقمر دائمين
للاتفاح والاستضاء بضوئهما، متعاقبين عليكم
ليلاً نهاراً، لما يحقق مصالحكم، ولمعرفة السنين
والحساب، وأوجد لكم أيضاً الليل للراحة،
والنهار للعمل وابتغاء فضل الله بالتجارة والزراعة
والصناعة وغير ذلك .

٣٤- وأعطاكم الله من كل ما طلبتموه بلسان
الحال أو المقال، ومالم تطلبوه، وإن تعدوا نعم
الله التي أنعم بها عليكم، لا تستطيعوا إحصاء
عددتها، ولا شكرها على النحو المطلوب، إن
الإنسان ظالم لنفسه بترك شكر النعمة، شديد
الكفران والجحود لنعم الله، لا يؤدي واجب
الشكر عليها.

٣٥- واذكر أيها النبي حين قول إبراهيم ودعائه:
رب اجعل بلد مكة آمناً دائماً لمن فيها من البشر
والشجر والصيد، وأبعدني وأبنائي عن عبادة
الأصنام التي لا تقصر ولا تنفع .

٣٦- يارب، إن الأصنام تسببت، مع كونها
جمادات، لضلال كثير من الناس، فمن تبعتني في

الإسلام والتوحيد وترك عبادة الأوثان، فإنه من أهل ديني، ومن خالفني ولم يدخل في ديني، فإنك كثير
المغفرة لمن تاب، رحيم بمن أناب وأصلح. وهذا الدعاء شفاعة في العصاة غير المشركين والكفار، وفتح باب
الأمل والتوبة لمن يريد تدارك تقصيره .

٣٧- ربنا إني أسكنت إسماعيل وأمه هاجر بوادٍ لا زرع فيه، هو وادي مكة، عند بيتك وهو الكعبة الذي
حرمت التهاون به وانتهاك حرمة ومقامه، أسكنتهم به ودعوتك ليقموا الصلاة فيه، فاجعل قلوب بعض
الناس تميل إليهم، وتسرع إليهم شوقاً وحباً، وارزقهم من مختلف الثمرات بالإنبات أو الجلب، ليشكروا
نعمتك التي أنعمت بها عليهم .

٣٨- ربنا إنك تعلم ما نسر وما نعلن أو ما نكتم ونظهر، ولا يخفى على الله شيء في الأرض والسماء،
فكل شيء تطلع عليه .

٣٩- الشكر والحمد لله الذي رزقني حال الكبر ولدين هما إسماعيل وإسحاق، إن ربي كثير السماع للدعاء
الصادر عن صدق وإخلاص وإيمان .

٤٠- رب اجعلني مواظباً على الصلاة، واجعل من ذريتي من يؤدي الصلاة على الوجه الأكمل، ربنا
واقبل دعائي وتضرعي .

٤١- ربنا اغفر لي كل ما قصرت فيه نحوك، واغفر لوالدي - وهذا قبل أن يعلم بعداوتهم الله تعالى - يوم
يوجد الحساب ويتحقق .

وَتَضَرَّكُمْ السَّمْسُ وَالْقَمَرُ دَابَّيْنِ وَخَرَّ لَكُمْ أَيْدِي
وَأَنْهَارٌ ۗ وَءَاتَاكُمْ مِنْ كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ
اللَّهِ لَا تُحْصَوْنَ إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۗ وَإِذْ قَالَ
إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ
الْأَصْنَامَ ۗ رَبِّ إِنَّهُمْ أَصْلَانِ كَثِيرًا مِنْ النَّاسِ فَمَنْ
سَبَعْنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَمُودٌ رَحِيمٌ ۗ
رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بُوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ
عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً
مِنَ النَّاسِ تُهَوِّئُ إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ
يَشْكُرُونَ ۗ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نَحْفَى وَمَا تَعْلَمُ مَا نَحْفَى
عَلَى اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ۗ
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ
إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ ۗ رَبِّ اجْعَلْ بَيْنِي وَبَيْنَ الصَّلَاةِ
وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ۗ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي
وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ ۗ

وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَفْلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ
لِيَوْمٍ تَخْصُ فِيهِ الْأَبْصُرُ ﴿٤٣﴾ مُطْعِمِينَ مَقْنَعِي رُءُوسِهِمْ
لَا يَرُدُّ اللَّهُ ظُورَهُمْ وَأَفْئِدَتَهُمْ هَوَاءً ﴿٤٤﴾ وَأَنْذِرْنَا النَّاسَ يَوْمَ
يَأْتِيهِمُ الْعَذَابُ فَيَقُولُ الَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَا آخِرْنَا إِلَىٰ آجَلٍ قَرِيبٍ
مِثَّ دَعْوَانِكَ وَتَتَّبِعُ الرَّسُولَ أُولُو تَقْوَةٍ قُلْ مَنْ قَبْلُ
مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ ﴿٤٥﴾ وَسَكَتُ فِي مَسْجِدِ الَّذِينَ ظَلَمُوا
أَنْفُسَهُمْ وَبَيْنَ لُكُوفَيْ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لِكُلِّ الْأُمَّةِ
﴿٤٦﴾ وَقَدْ مَكَرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَعِنْدَ اللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِنْ كَانَ مَكْرُهُمْ
لِذُنُوبِهِمْ مِنَ الْجِبَالِ ﴿٤٧﴾ فَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفًا وَعْدَ رَسُولِهِ
إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ ﴿٤٨﴾ يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ
وَالسَّمَوَاتُ وَبُرُوزًا لِلَّهِ الْوَحِيدِ الْقَهَّارِ ﴿٤٩﴾ وَرَىٰ الْجَحِيمِ
يَوْمَ يُؤْمَدُ مَرْبِّينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٥٠﴾ سَرَّابُهُمْ مِنْ طَرَانٍ وَتَعَسَّىٰ
وُجُوهُهُمُ النَّارَ ﴿٥١﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ إِنَّ
اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿٥٢﴾ هَذَا بَالِغٌ لِلنَّاسِ وَلِيُنذِرُوا بِهِ
وَلِيَعْلَمُوا أَنَّهَا هَوَاءٌ وَلِيُنذِرُوا لَوْلَا الْأَلْبَابُ ﴿٥٣﴾

٤٣- ولا تظنن أيها الرسول أن الله غافل عن استحقاق الظالمين الكافرين من أهل مكة وغيرهم للعذاب، بسبب مقاومة دعوتك وإيذائك والصد عن دينك، إنما يؤخر جزاءهم وعذابهم ليوم ترتفع فيه أبصارهم، فلا تقر في أماكنها، لهول ما ترى في ذلك اليوم.

٤٤- وتراهم مسرعين إلى الداعي في ذل وانكسار، رافعي رؤوسهم إلى السماء، ناظرين نظرة فزع وذل، غير ملتفتين إلى شيء، لا ترجع إليهم أبصارهم، بل تبقى عيونهم شاخصة دائما في هذا الوقت، وتتوقف أجفانهم عن الحركة، بسبب الأحوال، وقلوبهم خالية من العقل والفهم، لشدة فزعهم ودهشتهم، كالهواء، أي الخلاء الذي لا شيء فيه.

٤٤- وخوف أيها النبي الكفار وحذرهم يوم يأتيهم العذاب يوم القيامة، فيقول الذين ظلموا أنفسهم بالكفر: ربنا أهملنا وأخر العذاب عنا إلى وقت معلوم غير بعيد، وردنا إلى الدنيا نتدارك تقصيرنا، ونحب دعوتك بالتوحيد، وتتبع الرسل الذين أرسلتهم فيما بلغوا من الشرائع، فيقال لهم تويخا: أو لم تكونوا حلفت من قبل في الدنيا أنكم مخلدون فيها، غير مفارقين لها، وأنه لا بعث ولا حساب.

٤٥- وسكتتم في مساكن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي كعاد وثمود، وعلمتم كيف عذبناهم وأهلكناهم بذنوبهم، فلم تنزجروا، وبيئنا لكم الأمثال والعبر في القرآن، فلم تعتبروا ولم تنتظروا بذلك كله، ولم تدركو أنكم مثلهم في الكفر والعذاب.

٤٦- وقد دبر كفار مكة تدبيرهم لإبطال الحق، وإثبات الباطل، وعند الله العلم بمكرهم وجزاؤه، فهو قادر على إبطاله، وإن كان مكرهم من العظم والشدة والخبث يكاد يزيل الجبال عن أماكنها.

٤٧- فلا تظنن أيها الرسول أن الله مخلف وعده الذي وعد به الرسل بالنصر والتأييد، إن الله غالب قاهر لا يعجزه شيء، قادر على الانتقام لأوليائه من أعدائه.

٤٨- ويكون الانتقام يوم تتبدل الأرض غير هذه الأرض، وتتبدل السموات غير السموات، وخرجوا وظهروا من القبور، خاشعين لله الواحد الذي قهر كل شيء بقدرته.

٤٩- وتبصر الكافرين حينئذ يوم القيامة مشدودين مع بعض أو مقيدين بالقيود والأغلال، ومربوطا كل واحد مع شيطانه الذي اغواه، والأصفاة: قيود الحديد التي توضع في الأيدي والأرجل.

٥٠- قمصانهم من طران (أسود متن) تطلى به جلودهم، وتعلو النار وجوههم وتحرق أجسادهم.

٥١- برزوا من قبورهم ليجزي الله كل نفس ما كسبت في الدنيا من خير أو شر، إن الله سريع الحساب، يحاسب جميع الخلق، في قدر نصف يوم.

٥٢- هذا القرآن أنزله الله لتبليغ جميع الناس أحكام الشريعة والعقيدة، ولتحذيرهم وعظمتهم، ولإعلامهم أن الله إله واحد لا شريك له، ولا معبود سواه، وليتعض أصحاب العقول السليمة التي تعقل وتدرک.

سورة الحجر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّسُلُكَ ءَايَاتُ الْكِتَابِ وَرُؤُوفَةٌ إِنْ مَنِينَ ﴿١﴾ رَبِّمَا يُوَدُّ الَّذِينَ
كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ ﴿٢﴾ ذَرَّهُمْ أَكَلُوا وَنَمَمُوا وَيُلِهُهُمُ
الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ وَمَا أَهْلَكَ مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَسَا
كِتَابٌ مَعْلُومٌ ﴿٤﴾ مَا سَبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرُونَ ﴿٥﴾
وَقَالُوا يَا أَيُّهَا الَّذِي نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ﴿٦﴾
لَوْ مَا نَأْتِينَا بِالْمَلَكِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٧﴾ مَا نَزَّلَ الْمَلَكُ
إِلَّا الْحَقَّ وَمَا كَانُوا إِذْ أَنْظَرِينَ ﴿٨﴾ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ
لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي شَيْعِ الْأَوَّلِينَ ﴿١٠﴾
وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿١١﴾ كَذَلِكَ نَسْلُكُ
فِي قُلُوبِ الْخَافِرِينَ ﴿١٢﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾
وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِنَ السَّمَاءِ فَظَلُّوا فِيهِ يَعْرُجُونَ ﴿١٤﴾
لَقَالُوا إِنَّمَا سَكْرَاتُ أَنْبِيَاءٍ نَحْنُ قَوْمٌ مَسْحُورُونَ ﴿١٥﴾

- ١- ﴿الر﴾: ألف، لام، واو، تقدم بيان المراد منها، تلك آيات هذه السورة آيات الكتاب الكامل في كل شيء، والقرآن الواضح التام البيان. جمع بين الاسمين، وعطف كلمة ﴿قرآن﴾ على ﴿الكتاب﴾ من قبيل عطف الصفة على الموصوف. وتكثير كلمة ﴿قرآن﴾ للتفخيم.
- ٢- وكثيراً ما يتمنى الكفار في الآخرة حينما ينكشف لهم الأمر أن لو كانوا في الدنيا مسلمين خاضعين متقادين لله، مؤمنين بالقرآن. وربما: استعملت هنا في الكثير، والغالب استعمالها في القليل.
- ٣- اتركهم أيها النبي على ما هم عليه من الاشتغال بالأكل والتنمتع بدنيتهم، وإلهاء الأمل بطول العمر وغيره عن الإيمان واتباعك، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم، وسوء صنيعهم إذا عاينوا الجزاء الأخروي. وهذا تهديد لهم.
- ٤- وما أهلكنا أهل قرية (بلد) من القرى، إلا ولها أجل محدود لإهلاكها، أجل مقدر، وأمر مكتوب في اللوح المحفوظ لا بد من حصوله.
- ٥- لا يتقدم هلاك أمة قبل مجيء أجلها ولا يتأخر عنه، فلا يفتروا بالإمهال. وتذكير فعل ﴿يستأخرون﴾ العائد على ﴿أمة﴾ للحمل على المعنى.
- ٦- وقال المشركون استهزاء وسخرية وتهكماً: يا أيها الذي نزل عليه القرآن، إنك لمجنون في ادعائك.
- ٧- هلا تأتينا بالملائكة ليشهدوا على صدقك وأنت رسول الله حقاً، إن كنت صادقاً في دعواك أو قولك: إنك نبي، وإن هذا القرآن من عند الله تعالى.
- ٨- رد الله عليهم بقوله: ما ننزل الملائكة للعذاب والإهلاك وغير ذلك إلا بمقتضى الحكمة الإلهية، فهو تنزيل مقترن بالحق، وما كانوا حين نزول الملائكة بالعذاب مؤخرين لحظة واحدة، أي لو نزلنا الملائكة لوجدوا بالعقاب.
- ٩- إنني أنا الله الذي نزلت القرآن، وإنني له لحافظ من التحريف والتبديل، والزيادة والنقص. وهذا رد لإنكارهم واستهزائهم.
- ١٠- ولقد أرسلنا رسلاً من قبلك في الأمم الماضية والجماعات السالفة وسائر الفرق.
- ١١- وما يأتي رسول شيعته للدعوة إلى توحيد الله وطاعته إلا كانوا به يستهزئون. وهذا للتسرية عن ههيم وأحزان النبي.
- ١٢- مثل إدخالنا التكذيب والكفر والاستهزاء في قلوب أولئك الأولين، ندخله في قلوب المشركين من قومك، لقساوتهم.
- ١٣- لا يؤمنون أو لا يصدقون بالقرآن ولا بالنبي، وقد مضت سنة الله فيهم من الإذلال والإهلاك بتكذيب أنبيائهم. وهؤلاء مثلهم، والكلام تحذير لكفار مكة.
- ١٤- ولو فتحننا على هؤلاء المشركين باباً من السماء، ومكناهم من الصعود إليه، فصاروا يصعدون إلى السماء.
- ١٥- لقال هؤلاء الكفار لفرط عنادهم: إنما منعت أبصارنا عن الإبصار، بل نحن قوم مسحنا محمد بذلك. والمراد التأكيد منهم على أن ما يرونه لا حقيقة له، بل هو باطل خيل إليهم بنوع من السحر.

١٦- ولقد جعلنا في السماء منازل للنجوم والكواكب، ومنازل الكواكب السيارة اثنا عشر المشهورة، وزينا السماء بالكواكب للناظرين.

١٧- وحفظنا السماء من كل شيطان مرجوم بالحجارة، مطرود مبعث، من أن تسمع شيئاً من الوحي وغيره.

١٨- حفظناها بالشهب، لكن من استمع مستخفياً، فإن الشهب النارية الظاهرة لكل مبصر تبعه وتحرقه. والشهاب: شعلة من نار.

١٩- والأرض بسطناها لتمكين الحياة المستقرة فيها، وجعلنا فيها جبالاً ثابتة لثلاث تتحرك بأهلها، وأنبثنا في الأرض من كل شيء من النباتات، مقدر معلوم.

٢٠- وجعلنا لكم في الأرض كل ما يعاش به من غذاء وشراب ولباس ومسكن، وجعلنا معاش أيضاً لمن لا ترزقونهم من العيال والخدم والدواب، وإنما الله هو الرازق للجميع.

٢١- وما من شيء من الأرزاق والمنافع إلا عندنا خزائن رزقه، ونحن قادرون على إيجاده من العدم، وما نسمح بإنزاله إلا بمقدار معلوم، بحسب حاجة العباد إليه، وبمقتضى الحكمة.

٢٢- وأرسلنا الرياح لواقح للسحاب فتملؤه ببخار الماء فيصير ماء، ولواقح للأشجار والأزهار، فجعلنا المطر سقياً لكم ولزراعكم ومواشيكم وغسل الأرض وتنظيف الجو والبيئة، ولستم خازنين لخزائنه في الآبار والعيون والغدران.

٢٣- وبيدنا الإحياء والإماتة، ونحن نرث الأرض ومن عليها، فالبقاء لنا بعد فناء الخلق، نرث جميع الخلق والكون.

٢٤- ونحن نعلم بكل من تقدم ولادة وموتاً، ومن تأخر فيهما، نعلم من مات من ولادة آدم ومن سيوجد من الأجيال.

٢٥- وإن ربك أيها النبي هو وحده المتولي لحشرهم وجمعهم يوم القيامة، ثم لحسابهم جزائهم، إنه حكيم في صنعه، عليم بخلقهم.

٢٦- ولقد خلقنا آدم الإنسان الأول من طين يابس يصلصل، أي يظهر صوتاً إذا نُقِر عليه أو حرك، ومن طين أسود.

٢٧- وخلق أبا الجن إبليس من قبل خلق آدم من لهب النار الشديدة الحر، التي تنفذ في المسام، الخالية من الدخان.

٢٨- واذكر أيها النبي حين قال ربك للملائكة: إني سأخلق بشراً من طين يابس أسود متغير.

٢٩- فإذا أتممت خلقته وكملت أجزائه، ونفخت فيه من روحي، فصار حياً، فاسجدوا له. والروح: شيء نوراني عجيب من خلق الله تعالى. أضاف تعالى الروح إلى نفسه إضافة خلق إلى خالق، وهو تشریف لآدم.

٣٠- فسجد لآدم كل الملائكة مجتمعين.

٣١- لكن إبليس امتنع من السجود، تعالياً بأنه خير من آدم، وتكبراً بسبب خلقه من نار، وآدم من طين.

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَرَازِبِينَ لِلنَّظِيرِينَ ﴿١٦﴾ وَحَفِظْنَا
مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ﴿١٧﴾ الْإِنَّمَا اسْتَفْرَقَ السَّمْعَ فَاتَّبَعَهُ شِهَابٌ
مُبِينٌ ﴿١٨﴾ وَالْأَرْضَ مَدَدْنَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رُوسًا وَأَنْبَثْنَا فِيهَا
مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مُّؤْتَدُونَ ﴿١٩﴾ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعِيشًا وَمَنْ
لَسْتُمْ لَهُ بِرَازِقِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا
نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَعْلُومٍ ﴿٢١﴾ وَأَرْسَلْنَا الرِّيحَ لَوَاحٍ قَانُتُنَا
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاسْقَيْنَاكُمُوهُ وَمَا أَنْتُمْ لَهُ بِخَازِنِينَ ﴿٢٢﴾
وَأَنَا لَخَنَّ نُّجِيٍّ وَعَبِثٌ وَمَنْحٌ الْوَارِثُونَ ﴿٢٣﴾ وَلَقَدْ عَلِمْنَا
الْمُتَّقِدِينَ مِنْكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَضْرِينَ ﴿٢٤﴾ وَإِنْ رَبُّكَ
هُوَ يُحْشِرُهُمُ اللَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ
صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٦﴾ وَأَنْجَانٍ خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ مِنْ
نَارِ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ
صَلْصَلٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴿٢٨﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ
رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٢٩﴾ فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٣٠﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣١﴾

قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا لَكَ أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ لَوْ
 كُنْتُ لِبَشَرٍ لَبَشَرٌ خَلَقْتَهُ مِنْ صَلْصَالٍ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ
 ﴿٣٣﴾ قَالَ فَأَخْرِجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ اللَّعْنَةُ
 إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٣٥﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٣٦﴾
 قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٣٧﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَلُوفِ الْعُلُوفِ ﴿٣٨﴾
 قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ قَالَ هَذَا
 صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴿٤١﴾ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ
 إِلَّا مَنِ اعْتَمَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴿٤٢﴾ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿٤٣﴾ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ ﴿٤٤﴾
 إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُوبٍ ﴿٤٥﴾ ادْخُلُوهَا بِسَلَامٍ
 ءَامِينَ ﴿٤٦﴾ وَزَعَامًا فِي صُدُورِهِمْ مِنْ غَلِّ إِخْوَانًا عَلَى
 سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٤٧﴾ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا نَجْوَى صَاحِبٍ وَمَا يَسْمَعُ مِنْهَا
 بِمُخْرَجِينَ ﴿٤٨﴾ نَجْوَى عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٤٩﴾
 وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ﴿٥٠﴾ وَيُنَادِيهِمْ عَنْ صُفَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿٥١﴾

٣٢- قال الله تعالى: يا إبليس، ما منعك أن تكون
 من الساجدين لآدم؟
 ٣٣- قال إبليس: لا ينبغي لي أن أسجد لبشر خلقته
 من طين يابس، وأسود متغير الرائحة، مريداً بذلك أن
 التراب أخس العناصر، وهو مخلوق من نار أشرف
 العناصر، والأرقى لا يسجد للأدنى.
 ٣٤- قال الله تعالى: فأخرج من الجنة، فإنك ملعون
 مطرود من رحمتي، لعصيانك أمري.
 ٣٥- وعليك الطرد والإبعاد من رحمة الله بنحو دائم
 مستمر إلى يوم القيامة والحساب.
 ٣٦- قال إبليس: رب، فأخزني ولا تمتني إلى اليوم
 الذي يعث فيه الناس من القبور.
 ٣٧- قال الله تعالى: فإنك من المؤخرين هلاكهم.
 ٣٨- إلى يوم الوقت المعلوم وقوعه عند الله، والمؤكد
 حدوثه في علم الناس، وهو يوم القيامة.
 ٣٩- قال إبليس: بسبب إغوائك وإضلالك لي،
 أقسم بعزتك لأزينن لبيدي آدم المعاصي في الدنيا،
 ولأضلنهم أجمعين.
 ٤٠- إلا عبادك المؤمنين المطهرين من النقائص، الذين
 استخلصتهم لطاعتك.
 ٤١- قال الله تعالى: إن حفظ العباد المخلصين من
 الإغواء حق علي أن أراعيه، ولا سلطان لك عليهم.

٤٢- إن عبادي المخلصين ليس لك تسلط عليهم بالسوسة، أما القهر والإكراه على العصيان فليس في قدرتك، لكن
 من اتبعك من العصاة والكافرين الواقعين في الضلال، فإنهم يتأثرون بإغوائك.
 ٤٣- وإن جهنم لموعدهم المتبعين لك، الغواية أجمعين.
 ٤٤- لجهنم سبعة أبواب، يدخل أهلها منها، وكانت سبعة لكثرة أهلها، لكل باب من أتباع إبليس الغواية قدر معلوم
 مخصص له.
 ٤٥- إن الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الكفر والفواحش في بساتين خضراء، وأنهار جارية. نزلت في سلمان الفارسي
 الذي تقطع قلبه، وفر هارباً ثلاثة أيام من الخوف، لا يعقل، حينما سمع آية ﴿ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴾
 [٤٣].
 ٤٦- يقال للمتقين: ادخلوا الجنة سالمين من المخاوف والآفات، آمنين من كل فزع ومكروه.
 ٤٧- وأخرجنا ما في صدور أهل الجنة من حقد وعداوة وحسد، حال كونهم إخواناً متحابين، يتقابلون على أسرة:
 مجالس رفيعة. نزلت في أبي بكر وعمر، لنزع غل الجاهلية الذي كان بين بني هاشم وبني عدي وبني تميم.
 ٤٨- لا يصيب التعب أهل الجنة، ولا يخرجون منها أبداً، بل هم خالدون فيها.
 ٤٩- أخبر أيها النبي عبادي المخطئين أنني أنا الكثير المغفرة لذنوبهم، الكثير الرحمة بهم إذا تابوا.
 ٥٠- وأن عذابي لمن خالف أمري وتجراً على معصيتي هو العذاب المؤلم، فليخافوا عقابي.
 ٥١- وأخبر أيها النبي عبادي بقصة ضيوف إبراهيم الخليل، وهم الملائكة الاثنا عشر، منهم جبريل، حيث اجتمع له في
 أمرهم الرجاء والخوف، ليعتبروا بذلك.



إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَمًا قَالَ إِنَّا مِنْكُمْ وَجِلُونَ ﴿٥٢﴾ قَالُوا
لَا تَحْسَبِ أَنَّ بُشْرَكَ بِغُلْبَةِ عَالِمٍ ﴿٥٣﴾ قَالَ أَبَشِرْتُمْونِي عَلَى
أَنْ نَسِيَّ الْكِبَرِ فِيهِ تَبَشِّرُونَ ﴿٥٤﴾ قَالُوا بَشْرَكَ بِالْحَيِّ فَلَا
تَكُنْ مِنَ الْقٰنِطِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ وَمَنْ يَقْطَعْ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا
الضَّالُّونَ ﴿٥٦﴾ قَالَ فَاحْطَبْكُمْ أَيُّهَا الرُّسُلُونَ ﴿٥٧﴾ قَالُوا
إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَى قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٥٨﴾ آيَةُ آل لُوطٍ إِنَّا لَنَجُوهُمْ
أَجْمَعِينَ ﴿٥٩﴾ إِلَّا أَمْرًا لَّهُ قَدَرْنَا إِنَّمَا لِنُؤْمِنَ بِالْعَلَمِينَ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا جَاءَهُ
آيَةُ آل لُوطٍ الرُّسُلُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنْكَرُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا
بَلْ جِئْنَاكَ بِمَا كَانُوا فِيهِ يَمْتَرُونَ ﴿٦٣﴾ وَأَتَيْنَكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّا
لَصٰدِقُونَ ﴿٦٤﴾ فَأَمْرًا بِأَهْلِكَ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ وَأَتَّبِعْ أَدْبَارَهُمْ
وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ وَامْضُوا حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ﴿٦٥﴾ وَقَضَيْنَا
إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرَ أَنْ دَبَّرَهُمْ لَآئِيَهُمْ مَّقْطُوعٌ مُّصْحِفٍ ﴿٦٦﴾ وَجَاءَهُ
أَهْلُ الْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦٧﴾ قَالَ إِنَّ هَؤُلَاءِ صَفِينٌ فَلَا
تَنْصَحُونَهُمْ ﴿٦٨﴾ وَأَتَقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزَوْنَ ﴿٦٩﴾ قَالُوا أَوَلَمْ نُنَبِّهْكَ
عَنِ الْعَالَمِينَ ﴿٧٠﴾ قَالَ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي إِنْ كُنْتُمْ قٰلِعِينَ ﴿٧١﴾

٥٢- حين دخلوا على إبراهيم، فسلموا عليه، فقال لهم بعد تقديم الضيافة: إننا فزعون خائفون منكم، بسبب الدخول علينا من غير استئذان.

٥٣- قالوا له: لا تخف، إننا نبشرك بولادة غلام كثير العلم، وهو إسحاق.

٥٤- قال إبراهيم: أتبشرونني بالولد حال الهرم والشيخوخة، فبأي شيء تبشرونني؟ وهو استفهام تعجب بمقتضى العادة المألوفة، لا بالنظر لقدرة الله تعالى.

٥٥- قالت الملائكة: بشركنا بالأمر المحقق المتيقن الذي لا شك فيه، فلا تكن من اليائسين من رحمة الله بوجود الولد حال الكبر.

٥٦- قال إبراهيم: لا ييأس من رحمة الله إلا القوم الضالون عن طريق الحق والصواب، الكافرون الذين لا يعرفون كمال قدرة الله وسعة رحمته، فلم يكن تعجبي بسبب القنوط، وإنما بسبب الكبر عادة.

٥٧- قال إبراهيم: فما أمركم الخطير أو شأنكم وحالكم أيها المرسلون غير هذه البشارة؟

٥٨- قالوا له: إننا أرسلنا من الله إلى قوم كافرين، هم قوم لوط لإهلاكهم.

٥٩- إلا آل لوط الذين آمنوا برسالتنا، إننا لمنجّوهم ومنقذوهم أجمعين من الهلاك لإيمانهم.

٦٠- إلا امرأة لوط قضينا وحكمتنا بأنها من الباقيين في العذاب لكفرها.

٦١- فلما أتت الملائكة المرسلون قوم لوط.

٦٢- قال لوط: إنكم قوم لا أعرفكم، فلستم بمعروفين لنا.

٦٣- قالت الملائكة: لا تخف، بل جئناك بالعذاب الذي كانوا يشكون فيه.

٦٤- وأتيناك بالأمر والخبر المحقق الثابت، وإننا لصادقون في قولنا.

٦٥- فأخرج مع أهلك وأتباعك بجزء من الليل، وامش خلفهم لحثهم على الإسراع، ولئلا يتخلف منهم أحد، ولا يلتفت منكم أحد وراه، فيرى فداحة العذاب، وسيروا إلى المكان الذي أمركم الله بالاتجاه إليه، وهو الشام.

٦٦- وأوحينا إلى لوط ذلك الأمر المقضي فيه وهو إهلاك قومه، وآخر من يبقى منهم يهلك وقت الصبح، أي أنهم هالكون جميعاً.

٦٧- وجاء قوم لوط أهل مدينة سدوم، مستبشرين بأضياف لوط الحسان، بقصد ارتكاب الفاحشة بهم.

٦٨- فقال لهم لوط: إن هؤلاء أضيافي الذين يحتاجون إلى التكريم، فلا توقعوني في العار والخزي بالإساءة لهم.

٦٩- وخافوا الله وتجنبوا ارتكاب الفاحشة، ولا تلحقوا بي الذل والهوان بقصدكم إياهم.

٧٠- قال قومه: أو لم ننهك يا لوط عن التكلم في شأن أحد من الناس إذا قصدناه شهوة؟ فإنهم يتعرضون لكل غريب، وكان لوط يمتنع عنه بقدر وسعته.

٧١- قال لهم لوط: هؤلاء بناتي تزوجهن حلالاً إن كنتم تريدون قضاء الشهوة، ولا تسبوا لأضيافي.

٧٢- قسماً بحياتك، أي حياتك يا لوط أيا محمد، إنهم في غوايتهم يترددون .
 ٧٣- فأخذتهم صيحة الملك عند خسف ديارهم- والصيحة: الصوت الشديد المزعج- وقت الشروق .
 ٧٤- خسفنا بهم الأرض، بأن جعلنا عاليها سافلها، وقلبتا مدينتهم بمن فيها، وأنزلنا عليها حجارة من طين متحجر .
 ٧٥- إن في ذلك العذاب النازل بقوم لوط لدلالات على قدرة الله وتوحيده، وعبراً وعظات، للناظرين المتفكرين .
 ٧٦- وإن قرى قوم لوط على طريق قومك قريش إلى الشام، يراها المسافرون بنحو ثابت .
 ٧٧- إن في ذلك العذاب لعبرة للمؤمنين بالله .
 ٧٨- وقد كان أصحاب الأيكة (الغيضة: وهي مجتمع الشجر الكثير الملتف على بعضه، بين ساحل البحر الأحمر ومدين) وهم قوم شعيب قوماً ظالمين بتكذيبهم شعبياً وكفرهم بالله وحده .
 ٧٩- فأهلكناهم بعذاب يوم الظلة، وإن ديار قوم لوط، ومساكن قوم شعيب لبطريق واضح .
 ٨٠- ولقد كذب الرسل أصحاب الحجر وهم ثمود، والحجر: وادي بين المدينة والشام، والتكذيب

لَمَرَكْ اِنَّهُمْ لَمِي سَكْرَتَهُمْ يَمْهَمُونَ ﴿٧٢﴾ فَاَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُسْرِقِينَ ﴿٧٣﴾ فَجَعَلْنَا عَلَيْهِمْ سَافِلَهَا وَاَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ ﴿٧٤﴾ اِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٥﴾ وَاِنَّهَا لَیْسَبِلُ مُقِيمٌ ﴿٧٦﴾ اِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٧﴾ وَاِنْ كَانَ اَصْحَابُ الْاٰیِكَةِ لَظَالِمِينَ ﴿٧٨﴾ فَاَتَقْنَا مِنْهُمْ وَاِنَّهُمَا لَیَاْمَامُ مُبِينٍ ﴿٧٩﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ اَصْحَابُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾ وَءَاتَيْنَاهُمُ الْيَتَا فَاكَاوُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ﴿٨١﴾ وَكَانُوا یَحْجُونَ مِنَ الْجِبَالِ یُؤْتَاؤُا اَمِیْنًا ﴿٨٢﴾ فَاَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةَ مُصِیْبًا ﴿٨٣﴾ فَاَعْنَى عَنْهُمْ فَاكَاوُوا یَكْسِبُونَ ﴿٨٤﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضَ وَمَا بَیْنَهُمَا اِلَّا بِالْحَقِّ وَاِنَّ السَّاعَةَ لَآیَةٌ فَاَصْبَحْ اَصْبَحَ الْجَبَلُ اَنْۢ بَرَكٌ هُوَ الْخَالِقُ الْعَلِیْمُ ﴿٨٥﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَاكَ سَبْعًا مِنَ الْمَثَلٰی وَاَلْقُرْءَانَ الْعَظِیْمَ ﴿٨٦﴾ لِتُذَكِّرَ عَیْنُكَ اِلٰی مَا مَتَعْنَا بِهِۦٓ اَزْوَاجًا مِنْهُمْ وَلَا تَحْزَنَ عَلَيْهِمْ وَخَفَضْنَا حَنَاحَكَ لِّلْمُؤْمِنِیْنَ ﴿٨٧﴾ وَقُلْ اِنِّیْ اَنَا النَّذِیْرُ الْمُبِیْنُ ﴿٨٨﴾ كَمَا اَنْزَلْنَا عَلٰی الْمُقْتَسِبِیْنَ ﴿٨٩﴾

لصالح عليه السلام، والتعبير بالرسول عن الرسول؛ لأن تكذيب رسول تكذيب لباقي الرسل .
 ٨١- وأتينا ثمود آياتنا الدالة على صدق رسولنا، المنزلة على صالح؛ ومنها الناقة، فكانوا معرضين عنها .
 ٨٢- أي وكانوا يقبون الجبال، وينون فيها منازل يحسبون أنها تحميهم من العذاب .
 ٨٣- فأخذتهم صيحة العذاب الشديد وقت الصباح .
 ٨٤- فما دفع عنهم العذاب ما كانوا يكسبون من الأموال وما ينحتون من بناء البيوت والحصون في الجبال .
 ٨٥- وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات والجمادات إلا بما يتفق مع الحق الثابت الدائم، وإن القيامة لكائنة حتماً لا محالة، فاعف أيها النبي عن قومك عفواً حسناً، لا عتاب معه، ولا جزع فيه .
 ٨٦- إن ربك أيها النبي هو خالق كل شيء، والعليم بكل شيء من أفعال خلقه .
 ٨٧- ولقد آتيناك أيها الرسول سبع آيات تثنى وتكرر في كل ركعة، وهي الفاتحة، والقرآن العظيم فيما اشتمل عليه، وهو عطف عام على خاص، والكل على الجزء .
 ٨٨- لا تنظر نظرة راغب متمن إلى ما متعنا به أصنافاً من الكفار والمشركين بتبع الدنيا وزخارفها، ولا تحزن عليهم إذ لم يؤمنوا، وتواضع برفق ولين للمؤمنين .
 ٨٩- وقل: إني أنا المخوف من عذاب الله كل من عصى الله ورسوله، الموضح كل ما يتعرضون له من عذاب .
 ٩٠- أنزلنا عليك القرآن كما أنزلنا كتاباً على اليهود والنصارى الذين قسموا القرآن إلى حق وباطل، فأمنوا ببعض الكتاب وكفروا ببعض أو أنزلتكم ما أنزلنا على المقتسمين من العذاب يوم بدر وهم الذين اقتسموا مداخل مكة أيام الموسم لينفروا الناس عن الإيمان بالرسول ﷺ، والظاهر لي هذا الرأي .

الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ﴿١٦﴾ قَوْلِكَ لَسَعْتَهُمْ أَجْمَعِينَ
 ﴿١٧﴾ عَمَّا كَانُوا يَمْلِكُونَ ﴿١٨﴾ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ
 الْمُشْرِكِينَ ﴿١٩﴾ إِنَّا كُنْهِتُكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ﴿٢٠﴾ الَّذِينَ
 يَحْمِلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ عَلِمَ
 أَنَّكَ يَبِئْسَ صِدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٢٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ
 مِنَ السَّاجِدِينَ ﴿٢٣﴾ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ﴿٢٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنِّي أُمِرْتُ بِاللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ
 ﴿١﴾ يَنْزِلُ الْمَلَكُ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرٍ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ تَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٣﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ
 مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ حَصِيدٌ مُبِينٌ ﴿٤﴾ وَاللَّائِمُ خَلْقَهَا
 لَكُمْ فِيهَا دِفٌّ وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾

٩١- الذين جعلوا القرآن أجزاء متفرقة، بعضه حق موافق للتوراة والإنجيل، وبعضه باطل مخالف لهما، أو قسمه المشركون أجزاء بعضه شعر، وبعضه سحر، وبعضه كهانة ونحو ذلك، والراجح الرأي الثاني.

٩٢، ٩٣- قسماً بربك أيها النبي لتسالن هؤلاء الكفرة يوم القيامة عما فعلوا من المعاصي، وعملوا في الدنيا من أعمال يؤاخذون عنها، من كفر وتكذيب. وهو سؤال توبيخ وتقرير.

٩٤- فاجهر أيها النبي بدعوتك إلى التوحيد، وبلغ ما أنزل إليك من ربك، ولا تبال بالمشركين. لم يزل النبي ﷺ مستخفياً بالدعوة، حتى نزلت هذه الآية، فخرج هو وأصحابه معلناً.

٩٥- إنا كفيناك شر المستهزين من المشركين المكين وهم خمسة من رؤساء مكة: الوليد بن المغيرة، والعاص بن وائل، والأسود بن المطلب، والأسود بن عبد يغوث، والحارث بن الطلائع، كفاهم الله بالإهلاك جميعاً في يوم واحد.

٩٦- المستهزين الذين يشركون مع الله إلهاً آخر، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم في الدارين. نزلت في أولئك المستهزين بالنبي ﷺ الذين غمزوا به. وهذا وعيد لهم بالمجازاة على استهزائهم وشركهم في الآخرة.

٩٧- وتالله لقد تعلم أنك أيها النبي تتضايق بما يرميك به المشركون من السحر والجنون والكهانة والكذب.

٩٨- فنزه ربك عما لا يليق به تنزيهاً مقروناً بالتحميد، وكن من المصلين، فإن الصلاة تفرج الكرب وتذهب الهموم.
 ٩٩- وداوم على عبادة ربك حتى يأتيك الموت، وسمي باليقين لأنه أمر حتمي.

سورة النحل

١- قرب ودنا الأمر الموعود به وهو نصر النبي ص وتعذيب الكافرين، فلا تتعجلوه فإنه آت حتماً، تنزه الله وتعظيمه وتقديسه عن نسبة الشريك له من الأوثان والأصنام. كان المشركون يستعجلون قيام الساعة، أو الإهلاك، ويقولون: إن صح ما يقوله، فالأصنام تشفع لنا، وتخلصنا منه، فنزلت.

٢- ينزل الله جبريل من الملائكة بالوحي من قرآن وغيره، وهذا الوحي من أمر وإرادة الله وحده، على من يشاء من عباده، بأن أنذروا بالعذاب، وبلغوا أنه لا إله يعبد بحق إلا الله وحده، فخافوا عذابي إن عبدتم غيره وخالفتم أمري.

٣- خلق الله السموات والأرض بقدرته، خلقاً ملازماً للحق، لا باطلاً وعبثاً، تعظم الله عن الشريك في ملكه.

٤- خلق الله الإنسان من نطفة هي ماء الرجل، فإذا هو شديد الخصومة والجدل وظاهر الخصام والإنكار للبعث والجزاء.

٥- وخلق الأنعام (الإبل والبقر والغنم) لكم، فيها ما تستدفنون به لدفع البرد والحر من الكساء والرداء بأشعارها وأصوافها وأوبارها، ومنافع كثيرة من النسل والدر والركوب، وتأكلون من لحومها وشحومها.

٦- ولكم في الأنعام تجمل وتزين في أعين الناس، حين الرواح بالعشي والمساء من المرعى، وحين الإخراج صباحاً للمرعى.

٧- وتحمل أحمالكم الثقيلة إلى بلد بعيد، لا تصلون إليه إلا بمشقة وإرهاق نفس، إن ربكم لكثير الرأفة والرحمة بكم حيث خلقها لكم.

٨- وخلق لكم الخيل والبغال والحمير لتركبوها عليها وتحملوا أمتعتكم عليها، وجعلها لتتزينوا بها زينة في وقت الرخاء، ويخلق لكم ما لا تعلمون من الأشياء العجيبة الغريبة، مثل وسائل النقل ووسائل الفضاء الحديثة، من السيارات والطائرات والقطارات وسفن الفضاء والصواريخ الجبارة.

٩- وعلى الله بيان الطريق المستقيم إلى الخير ببسر وسهولة، ومن الطرق طريق حائد عن الاستقامة لا يوصل إلى الهداية، ولو شاء الله لهداكم أجمعين إلى الطريق الصحيح، ولكن اقتضت حكمته ترك حرية الاختيار لكم، ليظهر دور الإنسان وجهده وجهاده.

وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْبِحُونَ وَحِينَ تُسْرِحُونَ ﴿٦﴾ وَتَجْمَلُ
أَنْفُسُكُمْ إِلَىٰ بِلَدِكُمْ أَنْ تَكُونُوا بِلَدَيْهِ إِلَّا يَتَّبِقُ الْأَنْفُسَ إِنَّ
رَبَّكُمْ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٧﴾ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا
وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ وَعَلَىٰ اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ
وَمِنْهَا جَابِرٌ وَنُوشَاءٌ لَهْدَكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩﴾ هُوَ الَّذِي
أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ
فِيهِ تُسْجَمُونَ ﴿١٠﴾ بَنَيْتُ لَكُمْ فِي الزَّرْعِ وَالزَّيْتُونِ
وَالنَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً
لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١١﴾ وَسَخَّرْنَا لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ
لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ وَمَا ذَرَأْنَاكُمْ فِي الْأَرْضِ
مُخَلِّفَاتٍ أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ
﴿١٣﴾ وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا الْبَحْرَ لِنَأْكُلَ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا
وَنَسَخَّرَ جِوَارًا مِنْهُ حَلِيَةً نَلْبَسُوهَا وَتَرَىٰ الْفُلَّكَ
مَوَاحِرَ فِيهِ وَلَيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٤﴾

١٠- الله الذي أنزل من السحاب مطراً، لكم منه شراب عذب تشربونه أنتم ومواشيكم، ولكم منه شجر: وهو كل ما له ساق حتى المراعي، فيه ترعون مواشيكم.

١١- بنيت لكم بالماء الزرع والزيتون والنخيل والعنب ومن جميع أصناف ثمار الفاكهة وبقية الثمار النافعة، إن في ذلك الإنزال والإنبات آية عظيمة دالة على وحدانية الله وقدرته، لقوم يتفكرون في صنعه.

١٢- وصير لكم الليل والنهار نافعين، وهياهما لمنافعكم، والشمس والقمر والنجوم مذلللات بإرادته، إن في ذلك التسخير لآيات وعلامات دالة على القدرة الإلهية والوحدانية، لقوم يتأملون بعقولهم في هذه العلامات.

١٣- وخلق وسخر لكم جميع المخلوقات الأرضية على اختلاف ألوانها وأنواعها من حيوان ونبات وجماد، إن في ذلك الاختلاف آية واضحة لقوم يتذكرون نعم الله، فيعتبرون ويشكرون.

١٤- وهو سبحانه الذي ذلل البحر للركوب والاصطياد والغوص فيه، ولتأكلوا منه اللحم الطري وهو السمك، وتستخرجوا منه حلية للباس والزينة، وهي اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن جوارى في البحر، تمخر الماء، أي تشقه بجريها فيه، مقبلة مدبرة، ولتطلبوا الرزق بالاتجار وغيره من فضل الله، ولتشكروا الله على هذه النعم، وتعرفوا حقها.

وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥﴾ وَعَالَمَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَآبِئِنَّكُمْ رُجُومًا وَأَمِّنَ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٦﴾ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١٧﴾ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُسْعِرُونَ آيَاتِنَا يُبْعَثُونَ ﴿٢٠﴾ إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٢١﴾ لَاجِرٌ أَنْ اللَّهُ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْتَكْبِرِينَ ﴿٢٢﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنزِلَ رَبِّكُمْ قَالُوا أَسْطِيرَ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٣﴾ لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِيدُونَ ﴿٢٤﴾ قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَنَّ اللَّهَ بَنَّاهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَحَذَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفَ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَلْهَمَهُ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾

١٥- وألقى الله في الأرض جبسا لا ثوابت لثلا تضطرب بكم، وفجر فيها أنهاراً، وأوجد فيها طرقاً مختلفة مدللة لعبورها في الأسفار، والاهتداء بها إلى المقاصد والبلدان.

١٦- وجعل في الأرض أمارات ومعالم في النهار تدل السائر على الطرقات كالجبال والسهول والوديان، وجعل النجوم والكواكب أمارات للاهتداء بها في الليل، إلى الطرق والقبلة مثلاً.

١٧- أفمن يخلق هذه المخلوقات العظيمة المختلفة كمن لا يخلق كالأصنام، أفلا تتذكرون قدرة الله وتمتعون، وتذركون وجوده ووحدانيته فتؤمنون؟ أي لا تسووا بين القادر على الخلق وهو الله، والعاجز عن خلق أي شيء مهما صغر.

١٨- وإن تعدوا نعم الله الكثيرة عليكم لا تضبطوها، فضلاً عن أداء حق شكرها، إن الله واسع المغفرة للذنوب والتقصير عن شكر النعمة، رحيم بالعباد حيث أوجد النعم لهم، وإن لم يشكروه عليها.

١٩- والله يعلم كل ما تخفون وما تظهرون من عقائد ونيات وضمائر وأعمال، وهو وعيد على الشرك وغيث الأفعال.

٢٠- والأصنام الألهة التي يعبدها المشركون غير الله

لا يتمكنون من خلق شيء من المخلوقات، وهم مخلوقون مصنوعون بأيدي الكفار من أحجار وأخشاب وغيرها. وهذه موازنة تؤكد مضمون الآية السابقة [١٧]. وصفهم بصفة العقلاء في زعم العابدين.

٢١- إنهم جمادات ميتة لا روح فيها، وما تشعر هذه الجمادات متى يعبد عبدهم من الكفار؟

٢٢- إلهكم المعبود بحق معشر الناس إله واحد لا شريك له، فالذين لا يصدقون بالآخرة قلوبهم جاحدة للوحدانية، أعماها العناد والأهواء، وهم مستعلون عن قبول الحق والإيمان.

٢٣- حقاً، إن الله يعلم ما يخفون من ضمائر ونوايا، وما يعلنون من أقوال وأفعال، فيجازيهم بذلك، إنه تعالى يعاقب التكبرين عن توحيد الله وغيرهم.

٢٤- وإذا قيل للمشركين: ماذا أنزل ربكم على رسوله محمد ﷺ؟ قالوا: أكاذيب وأباطيل الغابرين القدماء، يتحدث بها الناس عن مضي.

٢٥- وتكون عاقبة تكذيبهم بالقرآن وإدعائهم أنه مجرد أساطير أن يتحملوا ذنوبهم بسبب هذا القول وغيره، لم يكفر منها شيء، لعدم إسلامهم، ويتحملوا أيضاً بعض ذنوب الذين أضلهم؛ لأنهم دعواهم إلى الضلال، فاتبعوهم، وهم يضلون الناس جاهلين الآثام المترتبة على فعلهم، الأيس ما يحملون من أوزار وآثام.

٢٦- قد دبر في الخفاء الذين كانوا من قبل كفار مكة تدبيراً خائباً، وهو عمرو بن كنعان الذي بنى برجاً عظيماً ببابل، ليصعد إلى السماء، فيقاتل أهلها، فأهلكه الله وأفناه، وهدمه بالريح والزلزلة من الأساس، فسقط عليه وعلى قومه البناء، وجاءهم العذاب (الهلاك) من حيث لا يشعرون به ولا يتوقعون. وهذا وعيد للكفار المعاصرين للنبي ﷺ ولأمثالهم بأن مكرهم سيعود عليهم وباله.



٢٧. ثم يوم القيامة يذلمهم ويعذبهم بالنار، ويقول لهم توبيحاً: أين شركائي من الآلهة المزعومة الذين كنتم تخاصمون وتنازعون الأنبياء والمؤمنين فيهم؟ قال الذين أوتوا العلم من الأنبياء والمؤمنين: إن الذل والفضيحة يوم القيامة، والعذاب واقع على الكافرين وحدهم لا محالة.

٢٨. الذين تقبض الملائكة أرواحهم، حالة كونهم ظالمين أنفسهم بالكفر، فانقادوا واستسلموا عند الموت، وأقروا بربوبية الله، وقالوا كذباً: ما كنا نعمل شيئاً من كفر أو شرك وعدوان، فتجيهم الملائكة: بلى، إن الله عليم بما كنتم تعملون السوء، ولا ينفعكم هذا الكذب، والله يجازيكم على عملكم.

٢٩. ثم يقال لهم عند الموت: ليدخل كل فريق بابَه المعد له إلى جهنم، خالدين فيها إلى الأبد، فبئس مكان إقامة المتكبرين عن الإيمان والطاعة: جهنم.

٣٠. وقيل للمؤمنين الذين اتقوا ربهم وتجنبوا الشرك: ماذا أنزل ربيكم على رسوله؟ قالوا: أنزل

الله عليه خيراً عميماً في الدنيا والآخرة، وهو القرآن العظيم، للمحسنين الذين أحسنوا بالإيمان والعمل الصالح حياة طيبة في الدنيا ومثوبة حسنة، ومثوبة الآخرة بالجنة والرضوان خير وأفضل مما أوتوه في الدنيا، ونعم دار الآخرة دارهم. وقوله: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا﴾ هو من جملة قولهم الذي أنزله الله، أو من كلام الله تعالى، وهو وعد للمتقين جزاء قولهم وإيمانهم. والقاتل: وفود بعض القبائل المحيطة بمكة.

٣١. ودار المتقين: هي جنات إقامة دائمة يدخلونها، تجري الأنهار من تحت بساطينها وغرفها، لهم فيها صفاً وكل ما يشاؤون من أنواع المشتبهات، مثل هذا الجزاء يجزي الله الذين التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي.

٣٢. الذين تقبض الملائكة أرواحهم طاهرين من ظلم أنفسهم بالكفر والمعاصي، يقول الملائكة لهم تطمينا عند الموت: سلام (أمان) عليكم، ادخلوا الجنة بعملكم الصالح، أي وبرحمته تعالى، كما جاء في الحديث الصحيح. والعمل عدل، والرحمة فضل.

٣٣. ما ينتظر هؤلاء الكفار إلا إتيان ملائكة الموت لقبض أرواحهم، أو إتيان أمر الله بالعذاب الدنيوي الذي يستأصلهم أو يوم القيامة المشتمل على العذاب، مثل ذلك الفعل من الشرك والتكذيب، فعل الذين من قبلهم من الأمم، وما ظلمهم الله بالتعذيب، ولكنهم ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان.

٣٤. فأصابهم جزاء أعمالهم السيئة، ونزل وأحاط بهم العذاب الذي استهزؤوا به، وأنكروا وقوعه.

ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِبُهُمْ وَيَقُولُ أَيُّ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشْفِقُونَ فِيهِمْ؟ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٢٧﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَامَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ فَادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٢٩﴾ وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلْ رَّبُّكُمْ عَلَيْكُمْ؟ قَالُوا خَيْرٌ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلِدَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٠﴾ جَنَّاتٌ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ وَذَلِكَ جِزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣١﴾ الَّذِينَ تَوَفَّيْنَاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرٌ نَكِيرٌ ﴿٣٣﴾ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٤﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٥﴾

وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ سَاءَ اللَّهُ مَا عَبْدَنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ
 نَحْنُ وَلَا آبَاءُ آبَائِنَا وَلَا حَرَمَاتُنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَكَذَلِكَ فَعَلَ
 الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٣٥﴾
 وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ يَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَجْتَنِبُوا
 الظُّلُمَاتِ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ
 الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ
 عَاقِبَةُ الْمُكذِبِينَ ﴿٣٦﴾ إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ
 لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ ﴿٣٧﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ
 جَهْدَ أَلْبَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بَلِيٍّ وَعَدَا عَلَيْهِ حَقًّا
 وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ لَيْسَ لَهُمْ الَّذِي يُجَلِّفُونَ
 فِيهِ وَيَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا
 قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُمْ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٤٠﴾
 وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنَنُوبَهُمْ
 فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَآخِرَ الْأَجْرِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ
 ﴿٤١﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٤٢﴾

٣٥- وقال المشركون من أهل مكة استهزاء وتعتاً وإبطالاً لبعثة النبي والتكليف: لو شاء الله ألا نعبد غيره من الأصنام والأوثان؛ ما عبدنا ذلك، نحن وآبائنا السابقون، ولا حرمتنا من غيره شيئاً من الأنعام كالسواحب والبهائم، فأشركنا وتحررنا بمشيئة الله، فهو راض به، فأجابهم الله: مثل ذلك، فعل السابقون بالإشراك وتكذيب الرسل، فما على الرسل إلا الإبلاغ البين الواضح لرسالة الله، وليس عليهم تحقيق الهداية.

٣٦- ولقد أرسلنا في كل أمة من الأمم السابقة رسولا يقول لهم: اعبدوا الله وحده، واتركوا كل معبود دون الله كالشيطان والكاهن والصنم والداعي إلى الضلال، فمن الناس من وفقهم الله للإيمان والعمل الصالح، ومنهم من وجبت عليه الضلالة في علم الله، فلم يؤمن باختياره دون أن يمنعه مانع، وأصر على الكفر والعناد، فامشوا في الأرض متاملين، وانظروا مصير المكذبين السابقين عند مشاهدة آثارهم كعاد وثمود وقوم لوط وأصحاب مدين.

٣٧- إن تحرض أيها النبي على هداية قومك المشركين، فإن الله لا يوفق ولا يرشد من كان ضالاً في علم الله، وهو من حقت عليه الضلالة، وليس لهم أنصار يتقدونهم من العذاب.

٣٨- وأقسم المشركون بالله أيماً مغلظة هي متهى اجتهدهم في تأكيد البمين أنه لا يبعث الله الموتى، بلى يبعثهم، وعد الله ذلك وعداً حقاً، ولكن أكثر الناس وهم الكفار ومنهم أهل مكة لا يعلمون أنهم مبعوثون.

٣٩- يبعثهم ليوضح لهم الأمر المختلف فيه بينهم وبين المؤمنين من أمر الدين كالبعث والثواب والعقاب والجنة والنار، وليعرف الكافرون المنكروين البعث أنهم كانوا كاذبين في إنكار البعث.

٤٠- إنما قولنا في الخلق لشيء إذا أردنا إيجاداه: أن نقول له: ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ٢/ ١١٧] ومواقع أخرى، سواء البدء والإعادة.

٤١- والذين تركوا الديار والأموال من أجل رضوان الله، ونصر دين الله، من بعد ما عذبوا وأوذوا من المشركين، ننتزناهم في الدنيا مساكن حسنة- والمراد هنا المدينة المنورة- وثواب الآخرة على أعمالهم الحسنة وهو الجنة أعظم، لو علم الظلمة الكفار بذلك. وفي هذا ترغيب في الهجرة من مكة إلى المدينة حينما كانت فرضاً في صدر الإسلام؛ لأنه بالهجرة قوي الإسلام.

٤٢- أولئك المهاجرون الذين صبروا على أذى المشركين، واعتمدوا على ربهم في أمورهم كلها.

٤٣- وما أرسلنا من قبلك إلا رجالاً لا ملائكة، فاسألوا أيها المشركون المعترضون على بشرية الرسل العلماء بكتب الله السابقة كالتوراة والإنجيل، إن كنتم لا تعلمون ذلك أن جميع الرسل بشر.

٤٤- أرسلناهم بالمعجزات الدالة على صدق نبوتهم وبالكتب الإلهية المشتملة على الشرائع والتكاليف، وأنزلنا إليك أيها الرسول القرآن لتبين للناس ما أنزل الله من أسرار التشريع وأحكامه والوعد والوعيد، ويتفكروا ويتأملوا فيما جاء فيه، فيعرفوا الحقائق ويعتبروا.

٤٥- أفأمن الذين دبروا التدابير الخفية التي تسوء عاقبتها كإيذاء الرسول ﷺ وأصحابه ومحاولة إبطال الإسلام والصد عن دعوة الله: أن يخسف الله بهم الأرض كما خسف بقارون، أو يجيئهم العذاب فجأة، من حيث لا يتوقعون، من جهة لا تخطر ببالهم، كما فعل بقوم لوط، وكما أهلك المشركين في بدر.

٤٦- أو يأخذهم بالعذاب في سفرهم للتجارة ونحوها، فما هم بفاتنين الله بالهرب، ولا مفلتين من عقابه، ولا ممتنعين.

٤٧- أو يأخذهم مع خوف وحذر من الهلاك، وتقص أموالهم شيئاً فشيئاً، فإن ربكم لرؤوف رحيم حيث لم يعاجلهم بالعقوبة.

٤٨- أو لم ينظر الكفار نظرة تأمل إلى ما خلق الله من شيء ذي ظل كجبل وشجر ونحوهما، تميل ظلاله من جانب إلى جانب أو ترجع وتتقل من اليمين والشمال، منقادة لحكم الله وتسخيره، وهم أي الظلال خاضعون منقادون لما يراد منهم.

٤٩- والله يخضع وينقاد جميع ما في السموات والأرض، من اللواب التي تدب على الأرض، والملائكة الساجدون العابدون، وهم لا يتكبرون عن طاعته وعبادته والسجود له.

٥٠- يخاف الملائكة من ربهم الذي هو عال عليهم بالقهر والغلبة، ويطيعون الله في كل ما يأمرهم به.

٥١- وقال الله ناهياً عن الشرك: لا تتخذوا إلهين، كالثنوية الذين يقولون بإله النور وإله الظلمة، إنما إله واحد لا شريك له، فخافوني وحدي دون غيري، واحذروا عذابي.

٥٢- والله سبحانه جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتصرفاً، وله الطاعة والإخلاص دائماً لازماً، أنخافون غير الله الذي لا يضر ولا ينفع!

٥٣- وليس بكم من نعمة دينية أو دنيوية إلا من الله وحده، ثم إذا أصابكم الضر من مرض وفقر وحاجة فإليه تتضرعون في كشفه.

٥٤- ثم إذا رفع الله الضر (الشدة والبلاء) عنكم، إذا فريق منكم وهم الكفار، يشركون مع ربهم إلهاً آخر في العبادة، حيث يقابلون النعمة بالنعمة، والشكر بالشكر بالله، وينسون النعم المنقذ.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِيَ إِلَيْهِمْ فَتَلَوْنَ أَهْلَ
الْذِكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٤٣﴾ إِنَّا بَيَّنَّاتُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ
إِذٍ لَذِكْرٍ لِبَيْنَ النَّاسِ مَا أَنْزَلْنَا إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ
﴿٤٤﴾ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ
الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٥﴾
أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَاهُمْ عَمَجُزِينَ ﴿٤٦﴾ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى
تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٤٧﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا خَلَقَ
اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَّبِعُوا ظِلْمَهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَالِ سِجِّدًا لِلَّهِ وَهُمْ
ذَكْرُونَ ﴿٤٨﴾ وَاللَّهُ سَجِّدًا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ
وَالْمَلَائِكَةِ وَهُمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٤٩﴾ يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ
وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يُوْمَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا
الْإِلَهِينَ آثِينَ إِتْمَانًا هُمْ إِلَهُ الْوَاحِدِ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ ﴿٥١﴾ وَلَهُ مَا فِي
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الَّذِينَ وَاصِبًا أَقْبَعِ اللَّهُ نَسْفُونَ ﴿٥٢﴾
وَمَا كُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضَّرْفُ فَإِلَيْهِ تَجُرُّونَ ﴿٥٣﴾ ثُمَّ
إِذَا كُفَّتِ الضَّرْفُ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٥٤﴾



لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٥٥﴾ وَيَجْعَلُونَ
لِنَا لَا يَعْشُرُونَ نَصِيبًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَشَدِيدُ الْعَذَابِ
تَقَدَّرُونَ ﴿٥٦﴾ وَيَجْعَلُونَ لِقَبْلِ اللَّهِ عِشْرِينَ وَسَعِيرًا وَلَوْ أَنَّ
﴿٥٧﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ
﴿٥٨﴾ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَبِهِ أَيَسْكَرُ عَلَىٰ
هُونٍ أَمْ يَرْدِيهِ فِي الزُّبَابِ ﴿٥٩﴾ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٦٠﴾ لِلَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْمِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٦١﴾ وَلَوْ لَوَّعْنَا فِي الْأَنْفُسِ عَلَىٰ بَنَاتِكُمْ لَكُنَّا بِهَا
بَاطِلِينَ وَلَكِنْ يُوحِيهِمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فإِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ لَأَسْتَحْزِرُونَ
سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ﴿٦٢﴾ وَيَجْعَلُونَ اللَّهُ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ
السَّاعَةَ الْكَرْبَ أَنَّ هُمُ الْحَسَنَىٰ لِأَجْرٍ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ
مُفْرَطُونَ ﴿٦٣﴾ وَاللَّهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ قُرْآنًا لَّهُمْ
الَّذِينَ أَعْمَلُوا لَهُمْ فَوَهِوْا لِيَوْمِهِمُ الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ ﴿٦٤﴾
وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي
اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٥﴾

٥٥- وتكون عاقبة هؤلاء الذين تضرعوا ثم أشركوا الكفر بما آتيناهم من النعمة، فاستمتعوا بعبادة الأصنام، فسوف تعلمون عاقبة أمركم وما يحل بكم من العذاب، وهذا على سبيل التهديد والوعيد.

٥٦- ويجعل المشركون لأهتهم التي لا علم لها؛ لأنها جمادات أو شياطين، جزءاً مما رزقناهم من الزروع والأنعام، والله لتسالن سؤال توبيخ عما كنتم تكذبون على الله من أنه أمركم بذلكم.

٥٧- ويجعل بعض المشركين لله البنات، وهم خزاعة وكنانة القائلون: الملائكة بنات الله، تنزه الله عما ينسبه إليه هؤلاء من الولد والشريك، ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون من البنين.

٥٨- وإذا بُشِّرَ أحد المشركين بولادة أنثى، صار وجهه متغيراً بالغم والكآبة وهو ممتلىء غيظاً وحقدًا.

٥٩- يختفي حياءً وخجلاً من وجه قومه، من سوء البشارة أو الخبر الذي بلغه، أيتركه محبوساً بلا قتل، بهوان وذل، أم يخفيه في التراب ويثده،

ألا قبح ما يفعلون، وبئس الحكم حكمهم هذا، بنسبة البنات إلى الله تعالى.

٦٠- للكفار صفة سوء القبيحة، والسوء: كل ما يسوء، وهي وأد البنات والمغالة في حب البنين الذكور لحاجتهم إليهم في الحروب وشؤون الحياة، والله وحده الصفة العليا، وهي الكمال المطلق والاستغناء عن كل ما عدها، وهو القوي في ملكه، القاهر، الكامل القدرة، المتصف بكمال الحكمة في صنعه وخلقه وتدييره.

٦١- ولو يعاقب الله فوراً الناس الكفار أو جميع العصاة بالشرك والمعاصي، ما ترك على الأرض كل شيء يذب، ياهلاك الظالمين، ولكن اقتضت حكمة الله إهمالهم وتأخير عقابهم إلى وقت محدد هو وقت عذابهم، فإذا حق عليهم العذاب أو انتهى أجل حياتهم لا يتأخرون ساعة عنه ولا يتقدمون.

٦٢- وينسبون إلى الله ما يكرهون لأنفسهم من البنات، ويكذبون مدعين أن لهم الخصلة الحسنى، وهي الجنة، حقاً أن لهم النار، وأنهم متروكون في النار أو مقدمون قبل غيرهم، معجلون إليها.

٦٣- والله لقد أرسلنا رسلاً إلى أم قبلك، فحسن لهم الشيطان أعمالهم القبيحة السيئة، فهو متولي أمورهم وناصرهم ومساعدهم، في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم جداً.

٦٤- وما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن إلا لتبين للناس ما اختلفوا فيه من أمر الدين، كالتوحيد والقدر وأحوال المعاد، وأمر الأحكام من حلال وحرام، وهدايا إلى النور، ورحمة لقوم يصدقون بالله ويكتبه ويرسله، ويعملون بأمره.

٦٥- والله أنزل من السماء ماء فأحيا به الأرض بعد موتها إن في ذلك لآية لقوم يسمعون ﴿٦٥﴾ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم بما في بطونهم من بين فرتهم ودمهم لبناً خالصاً سائغاً للشربين ﴿٦٦﴾ ومن ثمرات النخيل والعنب تخذون منه سكرًا ورزقًا حسناً إن في ذلك لآية لقوم يعقلون ﴿٦٧﴾ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً من الشجر وما تمرشون ﴿٦٨﴾ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراباً مختلفاً ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يفتكرون ﴿٦٩﴾ والله خلقكم ثم يتوفاكم ومنكم من يرد إلى الأرض ذليلاً العمر لكي لا يعلم بعد علم شيئاً إن الله عليم قدير ﴿٧٠﴾ والله فصل بعضكم على بعض في الرزق ﴿٧١﴾ فما الذين فضلوا بآذي رزقهم على ما ملكت أيدئهم فهم فيه سواء أفبينم الله يتخذون ﴿٧٢﴾

٦٦- وإن لكم في أنواع الأنعام (الإبل والبقر والغنم) اعتباراً وعظة، نسقيكم بما في بطون هذه الأنعام- وذكر الضمير العائد عليها باعتبار إرادة الجنس، كتذكير كلمة ﴿هذا﴾ [في الأنعام ٦/ ٧٨] العائدة إلى ﴿الشمس﴾ مراداً بها الكوكب- نسقيكم حليباً صافياً من بين الدم والقدرة، لذيداً للشارب، سهل البلع والهضم لا يغص به شارب.

٦٧- وتتخذون من ثمار النخيل والعنب خمراً مسكراً- وهذا تعريض بتحريم الخمر قبل التحريم القاطع- ورزقاً حلالاً بأكله طازجاً أو يابساً كالزبيب والتمر، أو غير متخمر كالدبس والخل، إن في ذلك المذكور لدليلاً على قدرة الله تعالى لقوم يتدبرون وينظرون في آيات الكون.

٦٨- وألهمهم وعلمهم ريك النحل اتخاذ البيوت

والمساكن في كهوف وكوى الجبال، وتخويف الشجر، وعرائش المباني التي يبينها الناس تحت شجر الكرم أو لسقف البيت، وهي الخلايا المبنية من الطين أو الخشب أو غيرها.

٦٩- وألهم النحل أن تأكل من الأزهار والأثمار، سالكة داخله مسالك في الذهاب والإياب إلى الخلايا مذلة بتيسير الله، لامتصاص الزهر والشم، وتخويل الرحيق بقدرة الله عسلاً طيباً، ويخرج العسل من بطون النحل مختلف الألوان: أبيض أو أصفر أو أحمر بحسب نوع الزهر، فيه شفاء للناس من المرض بإذن الله، كأمراض الهضم البلغمية، إن في ذلك المذكور من أمر النحل وصنعه العسل والبيوت الخلايا لدليلاً واضحاً على قدرة الله لقوم يتأملون في عجائب مخلوقات الله تعالى.

٧٠- ومن دلائل قدرة الله تعالى: إيجادكم من العدم، ثم إمامتكم عند انتهاء أجالكم، ومنكم من يتعرض لأخس العمر وأردته بالخرف وضعف العقل والحواس في حال الهرم، حتى يصير فاقد الذاكرة، لا يعلم شيئاً من العلوم، إن الله عليم بخلقهم، قدير على ما يشاء.

٧١- والله أوجد تفاضلاً في الرزق بين الناس، فمنهم الغني والفقير والمالك والمملوك، لحكمة بالغة يعلمها الله بحسب ما يحقق مصلحة الإنسان، فلا يرضى الأغنياء الملاك أن يعطوا رزقهم أو أموالهم للفقراء والماليك، فيصير الجميع من الأسياد والأتباع متساوين مشتركين في هذا الرزق، فكيف يجعلون بعض ممالك الله أو عبده شركاء لله وهم لا يرضون ذلك لأنفسهم؟ وكيف يكفرون بنعمة الله حيث يجعلون لله شركاء؟ لأن من أثبت لله شريكاً، فقد نسب إليه بعض النعم والخيرات.

وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَكُنَ لَكُمْ رِزْقًا وَيَجْعَلُ اللَّهُ بَيْنَكُمْ سُبُلًا
 وَحَقْدَةً بَيْنَ الْأَرْوَاحِ ۗ وَمَا يَدْرِي أَلَمِ الْإِنْسَانُ إِلَّا مَا شَاءَ ۗ إِنَّهُ كَانَ كَثِيرًا
 مُكْفِرًا ﴿٧٢﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ
 رَحِيمٌ ﴿٧٣﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَنْفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَاللَّهُ
 سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٧٤﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ
 مُتَّبِعُهُمْ ۗ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُتَّقٍ ﴿٧٥﴾ وَالَّذِينَ
 يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَحْسَبُونَ أَنَّ اللَّهَ مُتَّبِعُهُمْ ۗ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ
 بِهِمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُتَّقٍ ﴿٧٦﴾ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ يَحْسَبُونَ
 أَنَّ اللَّهَ مُتَّبِعُهُمْ ۗ وَاللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَاللَّهُ عَزِيزٌ مُتَّقٍ ﴿٧٧﴾

٧٢- والله تعالى جعل لكم زوجات من جنسكم، وجعل لكم من زوجاتكم أولاداً، وأولاد أولاد وهم الحفدة، ورزقكم من طيبات الرزق التي تلتذذون بها، أتصدقون بالباطل وهو أن الأصنام تضر وتنفع، وأنها تنفع عند الله؟ وتمجدون نعمة الله الجليلة، فتسبونها إلى الصنم أو الوثن؟

٧٣- ويعبد هؤلاء المشركون معبودات من غير الله وهم الأصنام والأوثان، ما لا يجلب لهم رزقاً من السموات والأرض، وإن كان شيئاً قليلاً، ولا يقدرون في المستقبل على التصرف بشيء. وكلمة «شيئاً» بديل من «رزقاً». والمعنى: أي رزق مهما كان قليلاً.

٧٤- فلا تجعلوا الله أمثالاً من الأنداد والشركاء، إن الله يعلم الحقائق وأنه الإله الواحد وأنتم لا تعلمون ذلك بسبب جهلكم.

٧٥- مثلكم أيها المشركون في إشراككم الأوثان والأصنام في العبادة مع الله، كمثل من سوى بين عبد مملوك لسيده، عاجز عن التصرف، وبين مالك حر التصرف في ملكه وماله، ينفق منه كيف يشاء، ويتصرف فيه كيف يريد، سرراً وعلانية، الأول مثل الصنم العاجز، والثاني مثل الإله القادر، فكيف

يتساوى العاجز مع القادر؟ فلا يستوي الرب الخالق الرازق، وجمادات الأصنام التي لا تضر ولا تنفع، الحمد لله على ظهور الحق، بل أكثر المشركين لا يعلمون الفرق، ويجب أن تعلموا أنه لا يستحق الشكر والثناء إلا الله وحده.

٧٦- ولكم مثل آخر أوضح مما قبله أيها المشركون، يوضح الفرق بين الله، والوثن المعبود من دون الله، وهو مثل رجلين: أحدهما أحرس لا ينطق بخير، ولا يقدر على شيء متعلق بنفسه أو بغيره، لعجزه عن الوعي والإدراك، وهو ثقيل على وليه وقريبه، حيثما يرسله، لا يرجع بفائدة؛ لأنه عاجز عن التصرف، هل يستوي هذا بهذه الأوصاف، مع رجل آخر كامل المواهب والحواس، ينفع نفسه وغيره، يأمر بالعدل بين الناس، وهو في ذاته على طريق واضح؟ والمقصود بيان انعدام المساواة بين الله سبحانه القادر على كل شيء، وبين الأصنام العاجزة عن كل شيء. نزلت الآية [٧٥] في رجل من قريش وعبدته، ونزلت الآية [٧٦] في عثمان ومولى له كافر كان يكره الإسلام ويأباه.

٧٧- والله علم ما غاب في السموات والأرض، يختص بذلك دون مشاركة أحد، وما أمر القيامة من الغيبات في سرعة وقوعها إلا مثل لمح البصر في السرعة والسهولة وأقرب من ذلك، فالله قادر على الإتيان بها بكلمة «كن فيكون» [البقرة ٢/١١٧] في سور أخرى [إن الله تام القدرة على كل شيء، ومنها القيامة. والآية جمعت بين كمال العلم لله وكمال القدرة.

٧٨- ومن مقدوراته تعالى: أنه سبحانه أخرجكم من الأرحام في بطون الأمهات أطفالاً لا علم لكم بشيء، وأوجد فيكم وسائل العلم والإدراك وهي السمع والبصر والقلوب، لتؤمنوا بالخالق عن يقين وعلم تام، وتشكروا الله على نعمه باستعمال كل عضو من أعضائكم فيما خلق له من الخير.



٧٩- ألم ينظر هؤلاء المنكرون لوجود الله إلى الطيور مثلثات للطيران في الجو أو الفضاء بين السماء والأرض بواسطة الأجنحة والذيل، ما يسكنهن في الجو إلا الله بقدرته العجيبة، إن في ذلك التسخير لدلالات على وحدانية الله وقدرته، لقوم يصدقون بالله وكتبه ورسله؛ لأنهم المنتفعون بها.

٨٠- والله جعل لكم من بيوتكم (منازل لكم) مسكناً تستكون فيها، وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً هي الخيام وبيوت الأعراب في البداية، يخف عليكم حملها في الأسفار، أو تجودونها خفيفة للحمل والنقل في الرحلات، يوم سفركم أو انتقالكم من موضع إلى موضع طلباً للمرعى والماء، ومن أصوافها من الغنم وأوبارها من الإبل، وأشعارها من المعز: قرش البيت الذي يفرس في المنازل، ومتاع اللبس والتجارة الذي يتمتع ويستفح به، إلى مدة من الزمان تبلى بعدها، فهي لصلابتها تبقى مدة مديدة.

٨١- والله جعل لكم مما خلق من البيوت والشجر والغمام مظلات تستظلون بها من حر الشمس، وجعل لكم من الجبال ما يستكن فيه من كهف أو غار أو سرب أو نفق، تستترون فيه من الحر والبرد والمطر، وجعل لكم قمصاناً وثياباً من الصوف والقطن والكتان وغيرها، تدفع عنكم ضرر الحر والبرد، ودروعاً تقيكم الشدة من الطعن والضرب والرمي في الحرب، وكإتمام هذه النعم المتقدمة هنا، يتم الله نعمته عليكم في الدنيا بخلق ما تحتاجون إليه، لتخلصوا لله العبادة والطاعة، وتوحدوه، وتؤمنوا به.

٨٢- فإن أعرضوا عن الدخول في الإسلام، فأثماً عليك التبليغ الواضح لما يوحى إليك، وليس عليك غيره.

٨٣- يعرف الكفار والمشركون نعمة الله وهي بعثة الرسول محمد ﷺ ثم ينكرون نبوته جهلاً وعناداً، قولاً وفعلاً، حيث يزعمون الشفاعة لها ويعبدونها، وأكثرهم الجاحلون المعاندون. نزلت هذه الآية في أعرابي أتى النبي ﷺ فقراً عليه الآيات السابقة [٨٠ - ٨١] فقال: نعم، ثم ولئى وأدبر ولم يسلم.

٨٤- واذكر أيها الرسول حين بعثت من كل جماعة شاهداً عليهم هو نبيهم، يشهد لمن آمن بالإيمان، وعلى من كفر بالكفر والجحود والتكذيب، ثم لا يسمح للكفار في الاعتذار ليعتدروا، ولا يطلب منهم العتبي، أي إزالة أسباب العتب، والرجوع إلى ما يرضي الله، بالعودة إلى الدنيا.

٨٥- وإذا رأى الذين كفروا العذاب يوم القيامة، فلا يخفف عنهم ذلك العذاب بالاعتذار، ولا هم يمهلون ويؤخرون إذا رأوه.

٨٦- وإذا رأى المشركون شركاءهم أو معبوداتهم من الأصنام والأوثان والشياطين وغيرهم، يوم القيامة، قالوا: هؤلاء شركاؤنا الذين كنا نعبدهم من دونك، ومرادهم: إحالة الذنب عليهم، والادعاء بأنهم هم الذين طلبوا منهم ذلك، فقالت الألهة المزعومة لهم: إنكم كاذبون في اتهامنا، بل الذنب ذنبكم، ولم نطلب منكم عبادتنا.

أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَأْنَا وَمَنَعْنَا إِلَى حِينٍ ﴿٨٠﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ تَمَاخِلًا وَظَلَالًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْبَأْسَ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨١﴾ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ﴿٨٢﴾ يَوْمَ نُبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤَدُّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٨٣﴾ وَإِذْ آرَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخْفَفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٨٤﴾ وَإِذْ آرَأَى الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقُوا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٨٥﴾

٨٧- واستسلم المشركون لله وحكمه يوم القيامة، وخضعوا لعزته، وغاب وذهب عنهم ما كانوا يفترون من أن آلهتهم ينصرونهم ويشفعون لهم ويدفعون عنهم العذاب.

٨٨- الذين كفروا بالإسلام، ومنعوا الناس عن الدخول في الدين الحق، زادهم الله عذاباً يوم القيامة من أجل صدهم، فوق العذاب المستحق بكفرهم، بسبب إفسادهم في الأرض وهو منعهم الناس عن الإيمان.

٨٩- واذكر أيها النبي حين نبعت من كل أمة شاهداً عليهم من جنسهم، وهو نبيهم، وجئنا بك أيها الرسول شاهداً على قومك وبقية الأمم، بأنك بلغت الرسالة، وأعيد ذلك هنا لتهديد كفار قريش بأن الشهادة تكون عليهم، وليس لهم، ولتوبيخهم على تكذيبهم رسول الله، ونزلنا عليك القرآن بياناً مفصلاً لكل شيء يحتاج إليه الناس من أحكام الدين والشريعة، وهدى من الضلالة، وسبب رحمة ونجاة لمن آمن، وبشرى بالجنة للمسلمين المتقادين لشريعة الله تعالى.

وَأَلْقَا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلْمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْشُرُونَ ﴿٨٧﴾ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدَّوْا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زَادَنَّهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ ﴿٨٨﴾ وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بُرْهَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾ إِنَّ اللَّهَ بِأَمْرٍ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِبْرَاهِيمَ ذِي الْقُرْبَى وَسَيِّئِهِ عَنِ النَّحْشَاءِ وَالْمَنكُرِ وَأَلْبَنِي يُعْظَمُ لَكُمْ لَعْنَكُمْ فَتَكُونُونَ ﴿٩٠﴾ وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلَهُ اللَّهُ عَلَيْكُمْ قِيْلًا إِنَّ اللَّهَ بِعَلْمِ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٩١﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِي نَفَقَتْ غُرْفَتَا مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَكُنَّا نَحْنُ دُونَ أَيْمَانِكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةً هِيَ أَرْبَى مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلُبْسَانٌ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْلِفُونَ ﴿٩٢﴾

٩٠- إن الله يأمر الناس جميعاً بالإنصاف والاعتدال في الأمور كلها، ومقابلة الخير بأحسن منه، والشر بالعمو والصفح، وإعطاء القرابة حقهم من الصلة والبر بهم، وينهى عن كل شيء قبيح قولاً أو فعلاً كالغيبة والنميمة، والزنى والبخل، وعن كل ما ينكره الشرع بالنهي عنه، ويستقبحه العقل السليم: وهو جميع المعاصي، وعن الظلم والاعتداء، يذكركم الله بأحكامه لتتعظوا فتعملوا بما أمر، وتجتنبوا ما نهى عنه. وهي أجمع آية في كتاب الله للخير والشر.

٩١- ووقوا بالعهود التي التزمتوها مع الله ومع الناس من الوعود والعقود والبيعة وغيرها، ولا تنقضوا الأيمان بعد توثيقها، وقد جعلتم الله عليكم شاهداً وربيماً بالوفاء، إن الله يعلم ما تفعلون من وفاء ونقض، فيجازيكم به. نزلت في مبايعة من عاهد النبي ﷺ على الإسلام.

٩٢- ولا تكونوا معشر المؤمنين في نقض العهود مثل المرأة الحمقاء المجنونة التي نقضت ما غزلته من بعد إحكام غزلها وإبرامه، فجعلته منقوضاً محلولاً كما كان قبل الغزل، حال كونكم متخذين أيمانكم على الوفاء بالعهد مكرراً وخديعة لغيركم وتغريراً بهم، تتظاهرون باحترام العهد، وتضمرون النقض والميل لغيرهم لأنهم أقوى وأغنى، إنما يختبركم الله بالوفاء بالعهد، وليوضحن الله لكم يوم القيامة ما كنتم تختلفون فيه في الدنيا، من حق وباطل، وموازنة القوى، والتأثر بالمصالح المادية الموقوتة. نزلت لضرب المثل بامرأة حمقاء من أهل مكة هي سعيدة الأصدية، كانت تجمع الشعر والليف، فتغزله ثم تنقضه.



٩٣- ولو شاء الله لجمعكم على دين واحد، ولكن ترككم تختارون الطريق، فمنكم المؤمن ومنكم الكافر، وجعل الله بحسب سنته العامة ناساً للشقاوة والضلال والفساد، وهم الذين لم يأخذوا بأسباب الهدى، وجعل ناساً آخرين للسعادة والهداية للحق، وهم من اهتدوا بآيات الله، وعلى هذا النحو خلق الله الضلال والهدى، وسيقع السؤال عن أعمالكم التي اكتسبتموها في الدنيا.

٩٤- ولا تتخذوا إيمانكم المحلوقة وهي أيمان البيعة أسلوباً للخديعة والتشغير، ثم تلجسوا إلى الغدر والنقض، وتعرضوا للعذاب في الدنيا، بصدوكم عن الوفاء بالعهد واقتداء غيركم بكم في هذا النقض، ولكم عذاب عظيم وهو عذاب الآخرة. ويلاحظ أن النهي عن النقض في آية سابقة [٩١] لبيان الباعث على النقض، وهذه الآية لبيان النتيجة وهي زلة القدم واستحقاق العذاب.

٩٥- ولا تستبدلوا بعهد الله وبيعة رسوله على العمل بشرعه عوضاً سيراً، بأن تنقضوه لأجله، فمتاع الدنيا قليل مهما كثر، إن ما عند الله من جزاء الوفاء بالعهد وهو النصر والغنيمة في الدنيا، والنعم في الجنة هو خير لكم وأفضل من عطاء الدنيا، إن كنتم من أهل العلم والتميز، فلا تنقضوا العهد.

٩٦- ما عندكم من خير الدنيا ومتاعها يزول ويفنى

مهما كثر، وما عند الله من نعم الآخرة فهو باق دائم لا يفنى، ولنجزين الذين صبروا على الوفاء بالعهد ثوابهم بجزء أحسن من أعمالهم، بسبب صبرهم على تنفيذ مقتضى عهدهم مع النبي.

٩٧- من عمل عملاً صالحاً في دنياه، سواء أكان ذكراً أم أنثى، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً، فلنجعلنه يعيش حياة طيبة في الدنيا بالرزق الحلال والرضا والاطمئنان، ولنجزينهم ثوابهم في الآخرة بأحسن مما عملوا من طاعات في الدنيا.

٩٨- فإذا أردت قراءة القرآن، فاجأ إلى الله لحمايتك من وساوس الشيطان في القراءة، الشيطان المطرود من رحمة الله، بأن تقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

٩٩- إنه ليس للشيطان تسلط وقهر بالإغواء على المؤمنين الذين يفوضون أمورهم إلى الله في كل شيء.

١٠٠- إنما تسلط الشيطان بالإغواء على الذين يتولونه بطاعته في وساوسه، والذين هم بسبب وسوسته مشركون بالله.

١٠١- وإذا جعلنا آية محل آية أخرى بنسخها، كنسخ آية التوراة في استقبال بيت المقدس بآية استقبال الكعبة، على وفق الحكمة الإلهية والمصلحة الدينية أو الدنيوية، والله أعلم بما يتزك من الآيات، قال المشركون للنبي ﷺ: إنما أنت كذاب، تتقول ذلك من عندك، ولم يقله الله، بل أكثرهم لا يعلمون حكمة النسخ والتبديل. نزلت حين قال المشركون: إن محمداً سحر أصحابه، يأمرهم اليوم بأمر، وينهاهم عنه غداً، أو يأتيهم بما هو أهون عليهم، وما هو إلا مفترى، يقول من تلقاء نفسه، فأنزل الله تعالى هذه الآية والتي بعدها.

وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ ۗ وَالنَّشْرَ عَلَّمَكُمْ فَأَكْثَرْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾
وَلَا تُخْذُوا بآيَاتِكُمْ دَخَلًا بِئْسَ كُفْرًا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ ثُبُونًا ۚ وَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٩٤﴾ وَلَا تَتَّخِذُوا بِعَهْدِكُمْ قَلِيلًا إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٥﴾ مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ ۗ وَلَنَجْزِيَنَ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْنَا يُجْزَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٩٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطٰنِ الرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطٰنٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطٰنُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُزِيلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٠١﴾

قُلْ نَزَّلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا
وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴿١٠٢﴾ وَقَدْ عَلِمَ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا
يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَبِي وَهَذَا
لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٠٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ
لَا يَهْدِيهِمْ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٠٤﴾ إِنَّمَا يَغْتَبِرَ الْكَذِبَ
الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ ﴿١٠٥﴾ مَنْ
كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ
بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ عَذَابٌ
مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠٦﴾ ذَلِكَ أَنَّهُمْ اسْتَحْبَوْا
الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ
وَسَمِعَهُمْ وَابْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴿١٠٨﴾
لَأَجْرَمَ أَنَّهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿١٠٩﴾ نَسْرَانٌ
رَبِّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُضِيَ ثُمَّ جَحَدُوا
وَصَدَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٠﴾

١٠٢- قل أيها النبي: نزل جبريل المطهر من الأندلس
عليه السلام القرآن العظيم تنزيلاً من عند الله، ملازماً
للحق الذي لا خطأ فيه، وبالْحِكْمَةِ الْمُقْتَضِيَةِ لَهُ، لِيُثَبِّتَ
المؤمنين على الإيمان، وهادياً للناس من الضلال،
وبشراً للمسلمين بالجنة والرضوان الإلهي. والقدس:
الطهر، والمراد هنا الطاهر.

١٠٣- ونعلم علماً تاماً أن المشركين يقولون: إنما
يعلم محمداً القرآن بشر من بني آدم، وهو غلام الفاكه
بن المغيرة، واسمه جبر، وكان نصرانياً رومياً من
صقلية، يصنع السيوف، فأسلم، فردَّ الله عليهم: لغة
الذين يميلون وينسبون أو يشيرون إليه أعجمية، وهذا
القرآن بلغة عربية ذات بيان وفصاحة، فكيف تزعمون أن
عربياً يعلمه أعجمي غير عربي؟!

١٠٤- إن الذين لا يصدقون آيات الله القرآنية لا
يوفقهم الله للإيمان، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة.

١٠٥- إنما يختلق الكذب على الله ورسوله الذين لا
يصدقون آيات الله، وأولئك هم الكاذبون فعلاً في
اتهمهم غيرهم بالكذب، فكيف يتهمون الرسول
بالكذب، وهو رأس المؤمنين؟!

١٠٦- من ارتد عن الإسلام من بعد إيمانه به باستثناء

المكره الذي نطق بالكفر، وقلبه مطمئن بالإيمان بالله ورسوله، وانشرح صدره بالكفر فرضي به واطمأن إليه، فعليه غضب
الله، وله العذاب العظيم في نار جهنم. والإكراه على الكفر يكون بسبب التهديد بالقتل أو الأذى والضرب، سواء كان
الأمر المكره عليه قولاً، أو فعلاً كالسجود لغير الله. وحصر الشافعي وجماعة الرخصة في القول فقط. نزلت في شأن
عمار بن ياسر الذي عذبه المشركون وأجبروه على سب النبي ﷺ، وذكر آلهتهم بخير، ثم أقر أمام النبي بأنه
مطمئن بالإيمان.

١٠٧- ذلك الكفر بعد الإيمان، والعذاب العظيم بسبب إيثارهم الدنيا على الآخرة، وحبهم الحياة الدنيوية حباً شديداً
أعماهم عن حب ما ينجي من عذاب الآخرة، ولأن الله لا يوفق للإيمان القوم الكافرين.

١٠٨- أولئك الذين كفروا بعد الإيمان هم الذين ختم الله على قلوبهم وسمعتهم وأبصارهم، فلا ينفذ الإيمان إلى
قلوبهم، ولا يسمعون سماع تفهم وتدبر، ولا يبصرون آيات الحق وطريق النجاة، وأولئك هم الغافلون عن عذاب الله
الشديد.

١٠٩- حقاً إنهم في الآخرة هم أشد الناس خسارة.

١١٠- ثم إن ربك أيها النبي لكثير المغفرة والرحمة لأولئك الذين هاجروا من ديارهم إلى دار الإسلام ابتغاء مرضاة الله،
من بعد تعرضهم لمحاولات فتن الكفار إياهم عن دينهم، وتعليبهم لهم، ثم إنهم جاهدوا في سبيل الله، وصبروا على
الجهاد وتكاليف الشرع، إن هؤلاء مغفور لهم لا يؤاخذون على ما أكرهوا عليه. نزلت في جماعة من المستضعفين،
وهم عمار، وصهيب، وأبو فكيهة، وبلال، وعامر بن فهيرة وقوم من المسلمين، عذبهم أهل مكة، حتى صاروا
لا يدرون ما يقولون.



١١١- واذكر أيها الرسول حين يأتي كل إنسان يجادل عن نفسه لينجو من العذاب، يوم القيامة، لا يهمه شأن غيره، ويعطى كل امرئ جزاء ما عمل، ولا يُظلم أحد، ولا ينقصون أجورهم شيئاً.

١١٢- جعل الله مثلاً لكل قوم أنعم الله عليهم، فأبطرهم النعمة، فكفروا، وهم غير أهل مكة- في رأي الرازي- كانت بلدتهم آمنة من الاعتداءات، مطمئنة مستقرة، لا يخاف أهلها ولا يضايقهم شيء، يأتيها رزقها واسعاً كثيراً، من كل جهة، فكفر أهلها بنعم الله التي أنعم بها عليهم، فوقعوا جميعاً في الجوع والحرمان، والفزع والهلع، واشتد ألمهم، بسبب كفرهم وجحودهم النعم، حيث لم يشكروا ربهم، ونسوا فضله، ولجؤوا لغيره. وهذا المثل عبرة لكل قرية.

١١٣- ولقد جاء أهل مكة رسول من جنسهم يعرفونه حق المعرفة، فكذبوه فيما أتى به، فأحرق بهم العذاب من الله: وهو الجوع والخوف، وهم ظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب الدائم.

١١٤- فكلوا أيها المؤمنون من رزق الله الذي جعله لكم حلالاً طيباً، وامتنعوا عن الخبائث كالميتة والدم، واشكروا نعمة الله عليكم بطاعته، إن كنتم تعبدونه وحده، وتخلصون العبادة لله سبحانه.

١١٥- إنما حرم الله عليكم أكل الميتة التي تموت من غير ذبح شرعي إلا السمك والجراد، والدم المسفوح السائل غير الكبد والطحال، ولحم الخنزير وشحمه، وما ذبح لغير الله، فمن اضطر لتناول شيء من هذه المحرمات بسبب الجوع الشديد أو العطش أو الغصة، غير متعمد تناوله، ولا متجاوز حد الضرورة، فإن الله غفور لمن أكل مضطراً، رحيم به، فلا يؤاخذ على ما فعل.

١١٦- لا تحرموا أيها الناس ولا تحملوا بمجرد قول باللسان من غير دليل، فتقولوا: هذا حلال وهذا حرام لما لم يحله الله ولم يحرمه، لتنسبوا إلى الله الكذب، إن الذين يختلقون الكذب على الله لا يفوزون بالمطلوب.

١١٧- لهم تمتع قليل زائل في الدنيا، ولهم عذاب مؤلم شديد في الآخرة.

١١٨- ولقد حرمانا على اليهود خاصة دون غيرهم ما قصصنا عليك من قبل في سورة الأنعام [١٤٦/٦] من الأطعمة التي حرمها الله في التوراة، وما ظلمناهم بتحريم ذلك، ولكن كانوا ظالمين لأنفسهم بارتكابهم المعاصي الموجبة للتحريم، فكان التحريم عقوبة لهم.

يَوْمَ آتَىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّجْدَلُهَا عَنْ نَفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهِيَ لَا يَظْلُمُونَ ﴿١١١﴾ وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١١٢﴾ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١١٣﴾ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَأَشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنَّ كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿١١٤﴾ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنزِيرِ وَمَا أُهْلِيَ لغيرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٥﴾ وَلَا تَقُولُوا لِمَا نَصَبْنَا لِكُفْرِكُمْ أَلَسْتُمْ عَلَى الْكُذِبِ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِنَقُولُوا إِنَّمَا أَلَّاهُ الْكُذِبُ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتُرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكُذِبَ لَا يَفْلِحُونَ ﴿١١٦﴾ مَتَّعَ قَلِيلًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَزْبًا مِمَّا قَفَّصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا ظَلَمْتَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿١١٨﴾

ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا الشُّرُوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٦﴾
 إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَهُوَ قَدْ كَفَرَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١١٧﴾
 شَاكِرًا لِأَنْعَمِهِ آتِنَاهُ مِنْهُ حَيْثُ شَاءَ وَهَدَدْنَاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿١١٨﴾ وَهُوَ الَّذِي هَدَى النَّبِيَّ أَحْسَنَ هُدًى فِي الْأَخْيَرَةِ لِمَنِ الصَّلَاةُ أَجْرًا ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّمَا جَعَلْنَا السَّبْتَ عَلَى الَّذِينَ ائْتَمَرُوا بِهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَخَبِيرٌ بِبَنِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٢١﴾ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالنُّعْظَةِ الْحَسَنَةِ وَجِدْ لَهُمْ رَأْفَةً لِي يَرْضَوْا فَمَا أَكْبَرُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَإِنَّ صَبْرَ تَوْحِيدِ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ الصَّبْرِ بِرَبِّكَ وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَلُوقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ﴿١٢٣﴾ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ﴿١٢٤﴾

١١٩- ثم إن ربك أيها النبي عفار للذين ارتكبوا الشرك والمعصية، مع جهلهم العاقبة، ثم تابوا من بعد علمهم السيء، وأصلحوا أعمالهم الفاسدة ونياتهم الخبيثة، إن ربك لكثير المغفرة للتائبين من الذنوب والخطايا، رحيم بهم، فلا يؤاخذهم على ما قبل التوبة.

١٢٠- إن إبراهيم كان رجلاً جامعاً للخير، عالماً بالشرائع، كالأمة والجماعة؛ لاتصافه بأوصاف كثيرة، وكان مطيعاً لله قائماً بأمره، ممتكناً بخوف الله، وكان مائلاً عن الأديان الباطلة إلى الدين الحق، مؤمناً بالله وحده، ولم يكن من المشركين.

١٢١- وكان إبراهيم عليه السلام شاكراً للنعم الله القليلة والكثيرة، اختاره ربه للنبوة، وهداه إلى طريق قويم هو التوحيد والإسلام.

١٢٢- وأتينا إبراهيم في الدنيا حسنة: هي محبة جميع أهل الأديان له، والشأن الحسن عليه، وإنه في الآخرة من الذين لهم الدرجات العليا في الجنة.

١٢٣- ثم أوحينا إليك أيها النبي: أن اتبع ملة إبراهيم في التوحيد والدعوة إليه برفق، مائلاً عن كل دين آخر إلى الدين الحق وعبادة الله وحده، ولم يكن من المشركين بل كان قدوة الموحدين، خلافاً لما يدعي مشركو قريش أنهم على ملته.

١٢٤- إنما جعل أو فرض تعظيم يوم السبت واحترامه وترك العمل فيه والتفرغ للعبادة على الذين اختلفوا في إبراهيم أنه يهودي أو نصراني: وهم اليهود والنصارى، أو اختلفوا في السبت، وهم اليهود الذين زعموا أنه من شرائع إبراهيم، فرد الله عليهم بأنه ليس من ملة إبراهيم، وإن ربك أيها النبي ليحكم بين المختلفين فيه يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، فيجازي كل واحد بما يستحق ثواباً وعقاباً.

١٢٥- ادع الناس أيها النبي إلى دين الله الحق وهو الإسلام بالمقالة المحكمة المبينة للحق، أي بالدليل الواضح المزيل للشبهة، وبالنوعظة النافعة، والقول المستحسن الرقيق غير المنفر، وجادلهم أي حاورهم بأحسن طرق المجادلة من الرفق واللين، والمنطق السليم، إن ربك هو أعلم بمن انحرف عن سبيل الإيمان، وهو أعلم بمن اهتدى وأبصر الحق، وأجاب دعوتك ورسالتك.

١٢٦- وإن أردتم العقاب معشر المسلمين، فعاقبوا بمثل الفعل والجنابة، ولئن صبرتم وتركتم العقاب، فالصبر خير كله من الانتقام. نزلت حينما استشهد الحمزة في أحد ومثل به، فقال النبي ﷺ: «ولاملن بسبعين منهم مكانك، فكفر النبي عن يمينه، ولم ينتقم. وقوله: ﴿عوقبتم به﴾ أي اعتدي عليكم به، من قبيل تسمية السبب باسم مسببه ونتيجته، مثل: أمطرت السماء زرعاً، أي ماء تسبب في إنبات الزرع.

١٢٧- واصبر أيها النبي على الأذى في سبيل دعوتك، وما صبرك إلا بتوفيق الله وتبنيته، ولا تحزن على إعراض الكفار عن دعوتك، ولا يضق صدرك من مكرهم لك، فإن الله ناصرك عليهم.

١٢٨- إن الله مع المتقين المعاصي والمحرمات بالعون والتأييد، ومع المحسنين في أداء الطاعات.

سورة الإسراء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سُجِّنَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لِيَمْلِكَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِلَى
 الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ
 هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١﴾ وَءَاتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَجَعَلْنَاهُ
 هُدًى لِبَنِي إِسْرَائِيلَ إِلَى الْأَشْجِدِ وَأَمِنْ دُونِهِ وَكِلَابًا ﴿٢﴾ ذُرِّيَّةً
 مِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴿٣﴾ وَقَضَيْنَا إِلَيْكَ
 سَبْعَ إِسْرَاءٍ لِيَلْ فِي الْكِتَابِ لِنُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرْمِزِينَ وَنُفَعِّلَنَّهُمْ
 عَلَوًا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ
 عِبَادًا لَنَا أُولَى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَأَسْوَأْنَا أَجْزَالَ الَّذِينَ يَارُونَ وَكَانَ
 وَعْدًا مَفْعُولًا ﴿٥﴾ فَرَدَدْنَا لَكُمْ الْكُرْةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ
 وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْزَبًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنًا لَأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ
 أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوُوا وَجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا
 الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أُولَى مَرَّةً وَلِيُسْتَوُوا مَعَهُمْ أَعْلَوًا نُنَبِّئُكُمْ ﴿٧﴾

فضلها: أخرج أحمد والترمذي والنسائي وغيرهم عن عائشة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان يقرأ كل ليلة بني إسرائيل والزُّمَر». وتسمى أيضاً سورة بني إسرائيل، وهي من المتقدّمات في النزول في مكة.

١- تنزه الله عما لا يليق به من صفات العجز والنقص، الذي سار بعبد محمد ﷺ بالجسد والروح في جزء من الليل، قبل الهجرة بسنة، من دار أم هانئ بجوار المسجد الحرام - والمسجد الحرام يطلق على مكة، أو الحرم المكي - إلى مسجد بيت المقدس، الذي باركنا حوله بالثمار والزروع والأنهار، وجعله مهبط الملائكة، ومقر الأنبياء، لزيه من أدلة قدرتنا الباهرة وعجائب الخلق، إنه السميع لأقوال عباده، البصير بأفعالهم. ووصف الله نبيه هنا وفي مقام الرحي بالعبودية تشريفاً له وتكريماً وإشارةً، حيث اجتمع بالأنبياء، وخرج إلى السماء. وقد ذكر رسول الله ﷺ لقريش الإسراء به وتكذيبهم له، فأنزل الله ذلك تصديقاً له.

٢- وآتينا موسى التوراة، وجعلنا ذلك الكتاب

هادياً لبني إسرائيل من الظلمات إلى النور، ولئلا تتخذوا رياراً غيري تفوضون إليه أموركم.

٣- لا تتخذوا من دوني وكيلاً يا ذرية من حملنا في السفينة مع نوح لإنجائهم من الغرق، إن نوحاً كان عبداً كثير الشكر، وحمد الله تعالى في جميع أحواله.

٤- وأعلمنا وأخبرنا بني إسرائيل في التوراة أنكم تفسدون في أرض فلسطين - الأرض المقدسة التي بها المسجد الأقصى مرتين من الإفساد: أولاهما - مخالفة أحكام التوراة وقتل أشعياء، وثانيتهما - قتل زكريا ويحيى والعزم على قتل عيسى، ولتستكبرن عن طاعة الله تعالى استكباراً عظيماً، وتستعلنن على الناس بالتسلط والظلم.

٥- فإذا جاء وعد أولى مرتي الفساد ووعد العقاب عليها، بعثنا عليكم عبداً لنا أصحاب قوة في الحرب والبطش، وهم وثنيون من بابل بالعراق وهم: بُحْتَنَصَّرُ وجنوده، دخلوا وترددوا وسط دياركم لطلبكم وقتلكم وسيبكم، واستباحوا حرماتكم، وكان وعد عقابكم نافذاً واقعاً لا بد منه.

٦- ثم عند توبتكم أعدنا لكم الدولة والغلبة، وأمددناكم بأموال وبينين بعد النهب والسبي، وجعلناكم أكثر عدداً منهم.

٧- إن أحسنتم أفعالكم وأقوالكم بطاعة ربكم، أحسنتم لأنفسكم؛ لأن ثواب ذلك لكم، وإن أسأتم بالفساد والعصيان، فعلى أنفسكم وبالالإساءة، فإذا جاء وقت المرة الآخرة من مرتي الإفساد في الأرض، بعثناهم ليجعلوا آثار الإساءة والذل والكآبة ظاهرة فيكم، أي ليلحقوا بكم الذل والأذى والشرف، وليدخلوا مسجد بيت المقدس ويخربوه، كما دخلوه في المرة الأولى، وليدمروا ويهلكوا ما غلبوا عليه من بلادكم تدميراً شديداً.

عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ عَدْنَا وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ
 حَصِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ أَن يَهْدِي لِلَّذِي هُوَ قَوْمٌ وَبَشِيرٌ
 الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الصَّلَاةَ أَن لَّهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾
 وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾
 وَيَدْعُ الْإِنْسَانَ بِالْشُرْكَاءِ وَالْحَبِيرِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ عَجُولًا ﴿١١﴾
 وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَن فُحِّصَ آيَةُ اللَّيْلِ وَجَعَلْنَا آيَةَ
 النَّهَارِ مُبْصِرَةً لِّمَن لَّبِثُوا أَضْلاً مِّن رَّبِّكُمْ وَلِنَعْلَمَ أَعْدَاءَ
 آلِيسِينَ وَالْحَسَابَ وَكُلَّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا ﴿١٢﴾ وَكُلَّ
 إِنْسَانٍ أَلْزَمْنَاهُ طَائِرَهُ فِي عَقِبِهِ وَنُخْرِجُهُ لهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ كِتَابًا
 يَلْقَاهُ مَنشُورًا ﴿١٣﴾ أَقْرَأَ كِتَابَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ
 حِسَابًا ﴿١٤﴾ مَن هَدَيْتُمْ فَأَنَّمَا يَهْدِي نَفْسَهُ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا
 يَضِلُّ عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَمَا كُنَّا مُعْطِينَ حِسَابًا
 رَسُولًا ﴿١٥﴾ وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نَّهْلِكَ قَوْمًا أَزْرَأْتُمْ فِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا
 فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَا قَوْمًا مِّمْرًا ﴿١٦﴾ وَكَذَٰلِكَ نَكْتُبُ الْقُرْآنَ
 مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿١٧﴾

٨- وقلنا في الكتاب: عسى ربكم أن يرحمكم إن تبتم وأطعتم بعد انتقامه منكم في المرة الثانية، وإن عدتم مرة أخرى للفساد، عدنا إلى العقوبة، وجعلنا جهنم للكفار محبساً وسجنأ، لا يقدرُونَ على الخروج منها أبداً. والحصير: مكان الحبس والتضييق.

٩- إن هذا القرآن يرشد لأقوم الطرق والحالات: وهي توحيد الله والإيمان والإسلام، ويشتر المؤمن برسالة التوحيد، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها أن لهم ثواباً عظيماً، يشترهم ببشارتين: ثوابهم، وعقاب أعدائهم، وهو ما يأتي في الآية التالية.

١٠- وأن الذين لا يؤمنون بالقيامة وما فيها من حساب، أعددنا لهم عذاباً شديداً الأليم، وهو عذاب النار.

١١- ويدعو الإنسان على نفسه وأهله بالشر أو الضر عند الضجر أو الغضب كدعائه بالخير لنفسه ولأهله، كطلب الجاه والمال والعاقبية، وكان الإنسان متعجلاً في الأمور.

١٢- وجعلنا الليل والنهار علامتين دالتين على

كمال القدرة والحكمة والوحدانية، فجعلنا آية الليل محوطة مظلمة لا نور فيها للراحة والسكن، وجعلنا آية النهار مضيئة لإبصار الأشياء فيها، لتطلبوا في النهار رزقاً ومعاشاً من فضل الله، ولتعلموا بتعاقبهما عدد السنوات، وحساب الشهور والأيام، وكل شيء من أمر الدنيا والدين بيننا وبيننا واضحاً.

١٣- وكل إنسان أَلْزَمْنَاهُ عمله من خير أو شر لزوم الطوق في العتق، أي أعماله ملازمة له، ونخرج له يوم القيامة صحيفة عمله، مفتوحة أمامه غير مطوية، تشتمل على أعماله الصالحة والسيئة.

١٤- ويقال له ولو كان أمياً: اقرأ كتابك (صحيفتك) الذي فيه جميع أعمالك مدونة، كفى بنفسك اليوم محاسباً وشاهداً على أعمالك.

١٥- من اهتدى إلى الحق والإيمان، فثواب اهتدائه له، ومن انحرف عن طريق الحق والإسلام فإثمته على نفسه، ولا يحمل إنسان ذنب إنسان آخر، وإنما يتحمل ذنب نفسه فقط، ولم تكن بمقتضى عدل الله معدين أحداً على الغيبيات والتعدييات، حتى نرسل لقومه رسولاً يبين لهم ما يجب عليهم، وما لهم من حقوق. نزلت الإشارة في الهدى إلى أبي سلمة بن عبد الأسود، وفي الضلال إلى الوليد بن المغيرة.

١٦- وإذا أردنا إهلاك أهل قرية أشد إجرامهم، أمرنا بالطاعة والخير المنعمين فيهم وهم القادة والمتسلطون وأصحاب الثروة، فخرجوا عن أمرنا، فوجب عليهم العذاب، فأهلكناهم إهلاكاً شديداً وخرَّبنا ديارهم.

١٧- وكثيراً من الأم الكافرة السابقة كعاد وثمود من بعد نوح أهلكناهم لكفرهم وتكذيبهم الرسل، وحسبك أيها النبي أن الله عالم بذنوب عباده، مطلع عليها، مبصر بها لا يخفى عليه شيء.



مَنْ كَانَ يَرْيِدُ لِعَاجِلَةٍ عَجَلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَنْ نُرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا
لِجَهَنَّمَ بَصِيلاً مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿١٨﴾ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ
وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا
﴿١٩﴾ كَلَّا يَذَّهَبُ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ
رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴿٢٠﴾ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ
وَالْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ﴿٢١﴾ لَئِن جَعَلْنَا مَعَ اللَّهِ الْهَٰئِلَا
عَٰخِرَ فَقَعَدْنَا مَدْمُومًا مَدْحُورًا ﴿٢٢﴾ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا
إِيَّاهُ يَا آلِ الْوَالِدِينَ إِحْسِنُوا إِنَّمَا يُبَلِّغُنَّ عَنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمْ أَوْ
كِلَاهُمَا فَلَا تَقُلْ لَهُمَا آيَاتٍ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴿٢٣﴾
وَأَخْضِرْ لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِيلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ رَحْمَهُمَا كَمَا
رَبَّيْنِي صَغِيرًا ﴿٢٤﴾ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن كُنتُمْ أَصْلَابِينَ
فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ﴿٢٥﴾ وَآيَاتِ الْقُرْآنِ حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ
وَأَنَّ السَّبِيلَ وَلَا يُبْدِ رَبُّكَ رِيبًا ﴿٢٦﴾ إِن الْمُبْدِرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ
السَّيْطَانِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ زَلِيمًا كَفُورًا ﴿٢٧﴾ وَإِنَّمَا تَعْرَضُ عَنْهُمْ
أَنْبَاءٌ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ تَرْجُوهُمَا فَتُلَاقَهُمُ قَوْلًا تَنْبَسُورًا ﴿٢٨﴾

١٨- من كان يريد بعمله الدنيا وحدها ومتاعها السابق على الآخرة، عجلنا له في الدنيا ما نشاء نحن لمن نريد التسعجيل له منهم، لا ما يشاؤه المرید، ثم جعلنا له في الآخرة بسبب تركه العمل لها جهنم يدخلها ملوماً عقوباً، مطروداً من رحمة الله تعالى .

١٩- ومن أراد بعمله الآخرة، وعمل لها العمل المطلوب من الطاعات، وهو مؤمن إيماناً صحيحاً لا شرك فيه ولا تكذيب، فأولئك الجامعون للشروط الثلاثة، كان عملهم مشكوراً عند الله تعالى، أي مقبولاً عنده ومثاباً عليه .

٢٠- كلاً من الفريقين نعطي ونيسر مرة بعد أخرى، من رزق ربك بمحض التفضل، وما كان رزق ربك وفضله ممنوعاً عن أحد يستحقه .

٢١- انظر أيها الإنسان بعين الاعتبار كيف فضلنا بعضهم على بعض في الرزق والقوة والصحة والجاه لحكمة بالغة لا تتركها العقول العادية، ودرجات التفاضل في الآخرة أعظم، وأكثر وأعلى تفضيلاً من تفاضل الدنيا، فيلزم الاعتناء بالآخرة أكثر .

٢٢- لا تجعل أيها الإنسان في عبادتك مع الله الهماً آخر مشاركاً له، فتصير مذموماً من الله وملائكته وصالحى عبادته، مغلوباً خائباً لا ناصر لك، يخذلك

الله تعالى .

٢٣- وأمر ربك أمراً قطعياً وحكم بالآ تعبدوا أيها الناس إلا الله وحده، وبأن تحسبوا للوالدين إحساناً شاملاً، إن بلغ في رعايتك وكفالتك أحد الوالدين أو كلاهما، فلا تؤذهما بأذى كقول كلمة «أف» التي تدل على التضرع والثقل، ولا تزرجهما بغلظة، وقل لهما قولاً جميلاً ليناً .

٢٤- وأظهر لهما التذلل والتواضع، لفرط رحمتك بهما، وقل : يا رب ارحمهما واعطف عليهما كما رحمتني ويرياني حال الصغر .

٢٥- ربكم أعلم بما في ضمائركم من الإخلاص وغيره في الطاعة، إن تكونوا طائعين لله قاصدين للصلاح، ووقع منكم هفوة في حقهما مثلاً، ثم تبتم، فإن الله كثير المغفرة للذنوب التوابين الراجعين إلى طاعته .

٢٦- وأعط ذا القرابة حقه من البر والصلة، وأعط المحتاج حقه من الزكاة، والمنقطع في سفره، وتصدق عليهم عند الحاجة من صدقة النفل، ولا تنفق المال في غير موضعه المطلوب شرعاً، وهو مجاوزة الحد المستحسن شرعاً في الإنفاق من الحلال، والإنفاق في غير الحق . نزلت في الوصية بهؤلاء .

٢٧- إن المبذرين قرناء الشياطين؛ لأن الإسراف من إغراء الشيطان، وكان الشيطان شديد الكفر لنعم ربه .

٢٨- وإن عرضت لضرورة عن هؤلاء المذكورين من ذوي القرابة والمسكين وابن السبيل، حياءً من الرد، لطلب رزق تنتظره، فتعطيتهم منه، فقل لهم قولاً سهلاً ليناً، بأن تعدهم بالعطاء في المستقبل . نزلت في كل من كان يسأل النبي ﷺ من المساكين .

وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ
 مَلُومًا مَّحْسُورًا ﴿٢٩﴾ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ
 كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٣٠﴾ وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً
 إِمَّا يَكُنْ رِزْقُهُمْ وَإِبَائِكُمْ إِنْ قَاتَلْتُمْ كَانَ خَطَاكُمْ كَبِيرًا ﴿٣١﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا الرِّزْقَ أَنفُسِكُمْ أَنْ تَقْبَلُوهُ فَجِئْتُمْ بِحَسَنَةٍ وَسَاءَ مَسِيرًا ﴿٣٢﴾ وَلَا تَقْتُلُوا
 النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا
 لَوْلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يَسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا ﴿٣٣﴾ وَلَا
 تَقْرُبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا
 بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ﴿٣٤﴾ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِذَا كَلَّمْتُمْ
 وَرَبُّوهُ بِالْقِسْطِ اسْتَنْقِذُوا ذَٰلِكَ خَيْرًا وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٣٥﴾
 وَلَا تَنْفُثْ مَا يَلْسَنُكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ
 كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ﴿٣٦﴾ وَلَا تَحْسَبِ فِي الْأَرْضِ رجَاءً إِنَّكَ لَن تُخْرِقَ
 الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ﴿٣٧﴾ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ
 مَكْرُوهًا ﴿٣٨﴾ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ
 مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَنُفِخَ فِي سَحَابٍ مِّمَّا كَفَرْتُمْ مَلُومًا مَّدْحُورًا ﴿٣٩﴾

٢٩- لا تمسك يديك عن الإنفاق كمن ربطت يده إلى عنقه، أي لا تكن بخيلاً، ولا تتوسع في الإنفاق إلى حد الإسراف، فتصير ملوماً عند الله وعند الناس، نادماً مغموماً. قال النبي ﷺ لعائشة: أنفق ما على ظهر كفي، قالت: إذن لا يبقى شيء، فأنزل الله ﴿ولا تجعل يدك...﴾.

٣٠- إن ربك يوسع الرزق لمن يشاء، ويضيقه على من يشاء، للحكمة ترجع إلى صالح العباد، إنه سبحانه كان وما زال عالماً بكل شيء، فيرزق عباده على حسب مصالحهم.

٣١- ولا تقتلوا أولادكم خوف الفقر، كما كان يفعل بعض الجاهليين، نحن نرزق الأولاد ونرزقكم، ولستم أنتم الرازقين، وقدم هنا رزق الآباء؛ لأن القتل خشية الفقر بسببهم، وفي الأنعام قدم رزق الآباء؛ لأن القتل بسبب فقر الآباء، إن قتلهم كان إثماً كبيراً: عظيماً.

٣٢- ولا تقربوا الرزق أنفسكم، إنه كان فعلة قبيحة بالغة القبح، وبشس طريقاً هو؛ لأنه يؤدي إلى النار، وإلى اختلاط الأنساب، والوقوع في الأمراض الخطيرة، والاعتداء على الأعراض.

٣٣- ولا تقتلوا النفس التي حرم الله الاعتداء عليها بسبب عصمة الدين أو العهد إلا قتلاً بحق، كالردة، وزنى المحصن، والقصاص من القاتل عمداً عدواناً،

ومن قتل عدواناً من غير سبب شرعي، فقد جعلنا لأقرب ورثته سلطة على القاتل: إن شاء قتل بإشراف الحاكم وقضائه، وإن شاء عفا، وإن شاء أخذ الدية، فلا يتجاوز الحد المشروع بقتل غير القاتل أو قتل أكثر من واحد أو التمثيل بالقاتل وتعديبه، إنه أي الولي كان مؤيداً معاناً من الله، ومن الحاكم بتمكينه من القصاص العادل.

٣٤- ولا تقربوا مال اليتيم بالإتلاف أو الإفساد إلا بالطريقة الحسنى من حفظ وتنمية وإنفاق منه على اليتيم، مستمرين على هذا النحو حتى يبلغ اليتيم رشده: وهو تمام العقل وحسن التصرف، وأوفوا بالعهود: تكاليف الله، والمعاهدات مع الناس إلا بمسوغ النقص، فإن صاحب العهد مسؤول عن احترامه وتنفيذه.

٣٥- وأتموا الكيل إذا كَلَّمْتُمْ، وزنوا بالميزان المعتدل الذي لا جور فيه، وإيفاء الكيل والوزن خير لكم وأفضل في الدنيا بتوفير حسن السمعة وترغيب العاملة، وأحسن عاقبة ومآلاً في الآخرة.

٣٦- ولا تتبع ما لا علم لك به، ولا تتدخل فيما لا يعنيك، إنك مسؤول عند الله يوم القيامة عما تستعمل به أدوات السمع والبصر والقلب، في الخير أو في الشر، فهذه الأعضاء أمانة عنك.

٣٧- ولا تمش في الأرض مشية تكبر وتفاخر، إنك لن تثقب الأرض حتى تبلغ آخرها بكبرك، ولن تصل إلى الجبال بتطاولك. وفي هذا تهكم بالمخال، وحذله عن التعالي.

٣٨- كل المذكور من النواهي، كان المنهي عنه من الصفات مكروهاً عند الله، غير راض به، ويعاقب عليه.

٣٩- تلك التكاليف وهي خمسة وعشرون من الأوامر والنواهي من جملة ما أوحى الله إليك أيها النبي من الأحكام المحكمة والخير والموعظة، ولا تجعل مع الله إلهاً آخر في العبادة، فيكون شريكاً مرفوضاً، فتلقى في جهنم موبخاً مطروداً من رحمة الله. والحكمة في الأصل: معرفة الحق لذاته، والمراد هنا أن هذه الأحكام: من الآيات المرشدة للحكمة.

أَفَأَسْفَلَكُمْ رُكْبُمُ الْبَيْنِينَ وَاتَّخَذُوا مِنَ الْمَلَائِكَةِ إِنْتِنَاءً لِّمَنْ
لَّفَعُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ
لِيَذَكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿١١﴾ فَلَوْ كَانُ مَعَهُ رَهْءُ الْهَيْهَةِ كَمَا
يَقُولُونَ إِذَا لَا يَتَّبِعُونَ إِلَّا ذِي الْعَرْشِ سَبِيلًا ﴿١٢﴾ سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى
عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿١٣﴾ سُجِّعَ لَهُ السَّمَوٰتُ السَّبْعُ
وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَجِّعُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ
لَّأَنَّهُمْ نَسَبُوا سُبْحٰنَهُ وَإِن كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ﴿١٤﴾ وَإِذَا قُرِئَتْ
الْقُرْآنُ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا
مُّسْتَوْرًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي
ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِرْتِ رَبِّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحُذِرُوا وَكَلُوا عَلَى
أَذْرِهِمْ نُفُورًا ﴿١٦﴾ مَن أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِ إِذْ يَسْتَمِعُونَ
إِلَيْكَ وَإِنَّهُمْ لَمُجْرِمُونَ إِذْ يَقُولُ الظَّالِمُونَ إِنَّا نَسْمِعُونَكَ
الْأَرْجُلَ سَحُورًا ﴿١٧﴾ أَنْظِرْ كَيْفَ صَرُّوا لَكَ
الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْطِيعُونَ سَبِيلًا ﴿١٨﴾ وَقَالُوا أَوَإِذَا
كُنَّا عِظْمًا وَرَفًا أَوْتَابَ الْمُبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿١٩﴾

٤٠- هل خصكم ربكم أيها المشركون بالذكر، واختار لنفسه الإناث من الملائكة؟ إنكم بهذا الافتراء لتقولون قولاً عظيماً الإنكار بإضافة الأولاد إليه تعالى، وذلك يوجب عقاباً شديداً.

٤١- ولقد بينا في هذا القرآن أنواع البيان من الأمثال والوعد والوعيد ليتعظوا ويتذكروا، وما يزيدهم ذلك إلا نفوراً وبعداً عن الحق.

٤٢- قل أيها النبي للمشركين: لو كان مع الله آلهة كما يزعمون، إذن لطلبوا طريقاً إلى الله رب العرش صاحب الملك المطلق للمغالبة ومحاولة الإسهام بتصيب من الملك، كما يفعل الملوك عادة في اقتسام السلطة والملك.

٤٣- تنزه الله تعالى عن أي شريك، وتعاضم وتباعد عن هذه المزاعم والأقوال الباطلة، تعالياً كبيراً لا يحده عن اتخاذ الشركاء.

٤٤- تنزه الله عما لا يليق به، وتقديسه السموات السبع والأرض ومن فيهن من المخلوقات (الملائكة والإنس والجن وغيرهم مما لا يعقل) تنزيهاً على حقيقته، أو بلسان الحال؛ إذ تدل بوجودها وإتقانها على وجود خالقها الواحد الأحد، وما من شيء من الحيوان والنبات والجماد إلا ينزه الله، ولكن لا

تفهمون أيها البشر تسيحهم؛ لأنه بخلاف لغاتكم، إنه سبحانه كان وما يزال حليماً بعباده العصاة لا يعاجلهم بالعقاب، كثير الغفران لمن تاب وأناب.

٤٥- وإذا قرأت أيها النبي القرآن، جعلنا بينك وبين الذين لا يصدقون بالآخرة حاجباً مانعاً، ساتراً لك عنهم، فلا يرونك، والمراد جعلنا حواجز تمنعهم من الانتفاع وفهم مدارك القرآن بسبب إعراضهم عن القرآن وتغافلهم عنك.

٤٦- وجعلنا أيضاً على قلوبهم أغطية لئلا يفهموا القرآن، وفي آذانهم ثقلاً وصمماً يمنعهم عن استماعه استماع تأمل وتدبر، وإذا ذكرت أيها النبي ربك وحده من غير ذكر آلهتهم، رجعوا على أعقابهم هرباً لئلا يسمعوا. نزلت حينما قال النبي ﷺ في بيت أبي طالب: يا معشر قريش قولوا: لا إله إلا الله، تملكون بها العرب، وتدين لكم العجم، قولوا، فنزلت هذه الآية.

٤٧- نحن أعلم بالحال التي يستمعون بها القرآن، وهم مستهزونون بك وبالقرآن، حين يستمع المشركون إليك في تلاوة القرآن، وحين يتناجون سراً بتكذيب القرآن والاستهزاء به، وحين يقول المشركون: ما تتبعون إلا رجلاً مسحوراً، فصار مخبول العقل مجنوناً.

٤٨- انظر أيها النبي كيف جعلوا لك أمثالاً مختلفة لعنادهم وإغراقهم في كفرهم، فقالوا عنك: ساحر، وكاهن، وشاعر، ومجنون، فأخطوا طريق الهدى والحق، فلا يجدون طريقاً إليه.

٤٩- وقال المشركون منكرو البعث: أنذا كنا عظماً بالية، وبقايا مفتتة متكسرة، أننا لمبعوثون خلقاً جديداً يتمتع بالحياة بعد الممات؟!

٥٠. قُلْ لَهُمْ أَيُّهَا النَّبِيُّ: كُونُوا أَيُّ شَيْءٍ، فَلَوْ كُنْتُمْ
 حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا، لِأَعَادِكُمْ اللَّهُ كَمَا بَدَأَكُمْ.
 ٥١. أَوْ كُونُوا خَلْقًا آخَرَ مَا تَسْتَعِدُّ عَقُولُكُمْ قَوْلُهُ
 لِلْحَيَاةِ، مِمَّا هُوَ أَصْلَبُ مِنَ الْحِجَارَةِ وَالْحَدِيدِ، فَإِنَّهُ
 يَحْيِيكُمْ وَيُبْعَثُكُمْ، فَسَيَقُولُونَ: مَنْ الَّذِي يَعِدُنَا إِلَى
 الْحَيَاةِ؟ قُلْ لَهُمْ: سَيُعِيدُكُمْ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ فِي الْمَرَّةِ
 الْأُولَى، وَلَمْ تَكُونُوا شَيْئًا، فَسَيُحَرِّكُونَ إِلَى جِهَتِكَ
 رُؤُوسَهُمْ اسْتِهْزَاءً وَتَعْجِبًا، وَيَقُولُونَ: مَتَى هَذَا
 الْبَعْثُ؟ قُلْ لَهُمْ: لَعَلَّهُ يَكُونُ قَرِيبًا وَقَوْعُهُ، وَكُلُّ آتٍ
 قَرِيبٌ.
 ٥٢. يَوْمَ يناديكم ربكم من القبور على لسان
 إسرئيل، فتجيبون الداعي حامدين الله تعالى على
 كمال قدرته، وتحسبون أنكم لم تمكثوا في قبوركم إلا
 زمنًا قليلًا، أو لم تبقوا في مدة حياتكم إلا فترة
 قصيرة، بسبب الأحوال التي تشاهدونها يوم القيامة.
 ٥٣. وقُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لعبادي المؤمنين: قولوا عند
 حوار المشركين الكلمة الطيبة والعبارة التي هي أحسن
 من غيرها بالرفق واللين، لاستمالتهم إلى الإيمان؛
 لأن المعاشنة منفرة عن الإجابة، إن الشيطان يفسد
 بينهم بالوسوسة، إن الشيطان عدو ظاهر العداوة
 للإنسان. أفرط المشركون في إيدائهم رسول الله
 ﷺ، فنزلت.

٥٤. ربكم أعلم بكم أيها المشركون، إن يشأ يوفقكم للإيمان، وإن يشأ يمتكم على الكفر ويعذبكم تعذيبًا، وما
 أرسلناك أيها النبي عليهم موكلاً في منعهم من الكفر، وإجبارهم على الإيمان.

٥٥. وربك أعلم بأحوال جميع الموجودين في السموات والأرض، فيختار منهم من يشاء للنبوّة، ولقد فضلنا
 بعض الأنبياء على بعض بمزايا، كاتخاذ إبراهيم خليلًا، وموسى كليمًا، وجعل عيسى كلمة الله وروحه، وسليمان
 ذا ملك عظيم، وتخصيص محمد بالإسراء والمعراج ومغفرة ما تقدم من ذنبه وما تأخر، وجعله خاتم النبيين،
 وأعطينا داود الزبور.

٥٦. قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ للمشركين: ادعوا الذين توهمتم أنهم آلهة، وكذبتم في ذلك، من غير الله كالملائكة وعيسى
 وعزير وغيرهم من العقلاء، أما الأصنام فأبطل الله ألوهيتهم في آيات أخرى، وانتظروا منهم العون أو المدد، فلا
 يقدرون إزالة الضر كالفقر والمريض عنكم، ولا تحويله عنكم لتغيركم، لعجزهم المطلق. قال ابن مسعود: كان
 ناس من الإنس يعبدون ناسًا من الجن، فأسلم الجنيون، واستمسك الآخرون بعبادتهم، فنزلت هذه
 الآية.

٥٧. أولئك الذين يعبدهم المشركون ويتخذونهم آلهة من دون الله كالملائكة والمسيح يطلبون ما يقربهم إلى الله
 بالطاعة والعبادة، ويطلب القرية الذي هو أقرب منهم إلى الله، فكيف بحال الأبعد؟ ويرجون رحمة ربهم،
 ويخافون عذابه كغيرهم من سائر العباد، فكيف تزعمون أنهم آلهة؟ إن عذاب ربك يحذره كل أحد.

٥٨. وما من أهل قرية (بلد) ظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي إلا سيهلكون قبل يوم القيامة: إما بموت، وإما
 بعذاب شديد يستأصلهم بالقتل أو غيره، كان ذلك الإهلاك والتعذيب مدونًا مكتوبًا في اللوح المحفوظ.

٥٩. وما منعنا من الإتيان بالمعجزات المادية للحسوسة التي طلبها كفار مكة إلا علمنا بأنهم سيكذبون بها كما كذب بها السابقون، فاستحقوا الإهلاك العام بمقتضى سنتنا، ونحن لا نريد إثناءهم؛ لأنه قد يؤمن بعضهم، وأتينا قبيلة ثمود قوم صالح الناقة آية بينة واضحة على قدرتنا وصدق صالح عليه السلام، فظلموا أنفسهم بالكفر بها، وعقروها، فأهلكناهم، وما نرسل المعجزات مع الرسل إلا تخويفاً للمكذبن، لتعلمهم يتعظون فيؤمنون. قال ابن عباس: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يجعل لهم الصفا ذهباً، وأن ينحى عنهم الجبال، فيزرعوا، فقيل له: إن شئت أن تستأني بهم، وإن شئت نؤتهم الذي سألوا، فإن كفروا أهلكوا، كما أهلكت من قبلهم، قال: بل أستأني بهم، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٦٠. واذكر أيها النبي حين قلنا لك: إن ربك أحاط بالناس علماً وقدرة، فهم في قبضته وتحت قدرته، فبلغتهم الرسالة، وما جعلنا الرؤيا التي أريناك عياناً ليلة الإسراء، وهي مشاهدة آيات الله وعجائبه كما في صدر السورة: ﴿لنريه من آياتنا﴾ [١]. وما جعلنا شجرة الزقوم الملعون أكلها التي تثبت في أصل الجحيم دون احتراق إلا اختباراً لأهل مكة وامتحاناً لهم، ونخوفهم بها

وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأُولُونَ
وَالَّذِينَ آمَنُوا ثَابِتَةً مُّصِرَةً قَدْ ظَلَمُوا بِهَا وَمَا تُرْسِلُ بِالْآيَاتِ
الْآتِيَاتِ ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا
جَعَلْنَا آرَءَ يَأْتِيكَ إِلَّا فِتْنَةً لِلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ
فِي الْقُرْءَانِ وَنَخُوفُهُمْ مَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طِينًا كَثِيرًا ﴿٦٠﴾
وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ
قَالَ أَ سَجِدُ لِمَنْ خَلَقْتَنِي طِينًا ﴿٦١﴾ قَالَ آرَأَيْتَكَ هَذَا الَّذِي
كُرَّمْتَ عَلَيَّ لَنْ أَخرنَ إِلَيْكَ يَوْمَ الْعِيلَةِ لِأَخْنِكَ لَنْ دَرَيْتَهُ
إِلَّا قَلِيلًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَذَهَبَ فَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ
جَهَنَّمَ جَزَاءُ وَكُجْرَاءُ مُوقُوفًا ﴿٦٣﴾ وَأَسْتَغْرِزُ مَنْ أَسْطَعْتُ
مِنْهُمْ صَوْلِيكَ وَأَحْلَبَ عَلَيْهِمْ بَيْعِيكَ وَوَجَّحْتُ لِي سَارِيَهُمْ
فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعَدَّهُمْ وَمَا يَعْدُهُمُ السَّطْرُ إِلَّا
غُرُورًا ﴿٦٤﴾ إِنْ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكفى
بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾ رَبِّكُمْ الَّذِي يُرْسِي لَكُمْ الْفَلَكَ
فِي الْبَحْرِ لِيُنزِلَ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ كُنْتُمْ رَاجِينَ ﴿٦٦﴾

وبالآيات، فما يزيدهم تخويفنا وإرسال الآيات إلا زيادة وتغرداً في الكفر. أصبح الرسول ﷺ يوماً مهموماً، فقيل له: ما لك يا رسول الله؟ لا تهتم، فإنها رؤيا تنالهم، فأنزل الله تعالى: ﴿وما جعلنا الرؤيا﴾. وقال أبو جهل وغيره: زعم صاحبكم أن نار جهنم تحرق الحجر، ثم يقول: ينبت فيها الشجر. وزعم أن شجرة الزقوم: هي طعام الشريد بالدين، فنزلت ﴿والشجرة..﴾.

٦١. واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود تحية وتكريم بالانحناء، فسجدوا جميعاً إلا إبليس أبى وقال: أسجد للمخلوق من طين؟! و﴿خلقت طيناً﴾ معناه خلقته من طين.

٦٢. قال إبليس: أخبرني يا رب عن هذا الذي فضلكه علي، لم فضلكه، وأنا أكرم منه؟ أي لا أعرف سبباً لهذا التكريم، لئن أمهلتني إلى يوم القيامة لأستولين عليهم بالإغواء والإضلال، إلا قليلاً منهم ممن عصمتهم، فلا سلطة لي عليهم.

٦٣. قال الله: امض لشأنك، فمن أطاعك منهم، فإن جهنم جزاؤك وجزاؤهم جزاء وافرأ كاملاً.

٦٤. واستخف بصوتك وإغرائك ووسوستك من استطعت من ذرية آدم داعياً لهم إلى المعاصي، وصح عليهم بشدة، مستعيناً بجنودك الفرسان والمشاة الراجلين، وشاركتهم في الأموال بإنفاقها في الحرام، والأولاد بتحصيلهم بالزنى، وتشجيعهم على وأد البنات، وعذمتهم بالأبعث ولا جزاء وغير ذلك من الوعود الباطلة والأمانى الكاذبة كشفاعة الأصنام، وما يعدهم الشيطان إلا وعداً باطلاً خادعاً.

٦٥. ليس لك على عبادي الصلحاء المخلصين يا إبليس سلطة وقدرة على إغوائهم، كفى بربك حافظاً لهم منك.

٦٦. ربكم الله وحده الذي يجري، ويسير لكم السفن في البحر، لتطلبوا الرزق من فضله تعالى بالتجارة والسعي، إنه كان بكم كثير الرحمة بالإنعام عليكم، والاهتداء لمصالح دنياكم.

٦٧- وإذا تعرضتم لشدة أو لحوف الغرق في البحر، غاب عن خاطركم وذهب عنكم من تعبدون من الألهة، فلا تدعونه، وإنما تدعون الله وحده؛ لأنكم تعلمون أنكم في شدة لا يكشفها إلا الله، ولا تنفعكم الأصنام ونحوها، فلما نجحتم من الغرق، ووصلتم إلى البر، أعرضتم عن الإيمان بوحدة الله، وعدتم إلى دعاء أصنامكم، وكان الإنسان الكافر جحوداً للنعم.

٦٨- أنجوتم من الغرق فأمنتم الحسف الأرضي في البر: بأن تنهار الأرض من تحتكم، أو يرسل عليكم ريحاً شديدة مهلكة حاصبة، ترمي بالحصباء، أي الحصى والحجارة الصغيرة، ثم لا تجدوا لكم حافظاً وناصرًا يمنع العذاب عنكم.

٦٩- أم أمنتم أن يعيدكم في البحر مرة أخرى لأغراض مماثلة أو طارئة، فيرسل عليكم ريحاً شديدة تقصف السفن، أي تحطمها وتكسرها، فيغرقكم بسبب كفركم، ثم لا تجدوا لكم علينا تابعاً يطالبنا بالثأر.

٧٠- ولقد فضلنا بني آدم بحسن الخلقة وميزناهم بالعقل والتمييز والعلم والفهم، وحملناهم في البر على الدواب وغيرها من المراكب، وفي البحر على السفن، ورزقناهم من لذائذ المأكول والمشرب،

وفضلناهم على كثير من المخلوقات أي غير الملائكة تفضيلاً كبيراً، والمراد تفضيل الجنس.

٧١- واذكر يوم ندعو يوم القيامة كل أمة بمن اتصوا به من نبي أو كتاب منزل عليهم، ونعطي كل إنسان كتاب أعماله، فمن أعطي كتابه من المدعوين يمينه، وهم السعداء، فأولئك يقرؤون كتابهم الذي أعطوه فرحين، ولا ينقصون شيئاً من الثواب على أعمالهم. والقتيل: الخيط المستطيل في شق النواة، يضرب به المثل للقلعة والتفاحة.

٧٢- ومن كان في هذه الدنيا أعمى البصيرة أو القلب، فهو في الآخرة أعمى البصر، لا يهتدي إلى طريق النجاة، وأبعد طريقاً عنه.

٧٣- وإن قاربوا أن يوقعوك في الفتنة: وهي المحنة الشديدة، ويخدعوك بظنهم، بمجاملتهم في دينهم، ولكنه عليه السلام معصوم محفوظ عن الفتنة، ليصرفوك عن الذي أوحينا إليك من أحكام الأوامر والنواهي والوعد والوعيد، لو فعلت ذلك واتبعت أهواءهم لاتخذوك صديقاً مخلصاً. نزلت في جماعة من قريش كأبي جهل وأمية ابن خلف، قالوا يا محمد، تعال تمسح بآلهتنا، وندخل معك في دينك، وكان يحب إسلام قومه، فأنزل الله هذه الآية.

٧٤- ولولا أن ثبتناك على الحق بالعصمة، لقد قاربت أن تميل إليهم ميلاً قليلاً، لشدة احتياهم وإلحاحهم، ولكن أدركتك عصمتنا، فامتنعت من أدنى ميل إليهم.

٧٥- لو قاربت مجاراتهم في أهوائهم، لأذقناك ضعف عذاب الدنيا وضعف عذاب الآخرة، أي مثلي ما يعذب به غيرك في الدنيا والآخرة، ثم لا تجد لك ناصرًا يمنع العذاب عنك.

وَإِن مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن يَدْعُونَ إِلَّا أَيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّيْكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنْسَانُ كَفُورًا ﴿٦٧﴾ أَفَأَمْنٌ مِّنْ يُخَسِّفُ بِكُوجَانِبِ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وِكِيلًا ﴿٦٨﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَى فَيُرْسِلْ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ الرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا نَاصِرًا يَنصِرُكُمْ ﴿٦٩﴾ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْوُجُوهِ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنثَىٰ بِأَمْلِهَا فَمَن أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَأُولَٰئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَابَهُمْ وَلَا يَظُنُّونَ فِتْنًا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَذِهِ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٧٢﴾ وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ الَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِتَفْتَرِيَ عَلَيْنَا غَيْرًا وَإِن لَّا تَجِدُوكَ حَلِيلًا ﴿٧٣﴾ وَلَوْلَا أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدَّتْ تَرْتِكُنَ الْإِلَهَةَ مَشِيًّا فَلَيْلًا ﴿٧٤﴾ إِذْ أَلَاذِقْنَاكَ ضَعْفَ الْحَيَاةِ وَضَعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا ﴿٧٥﴾



وَإِنْ كَادُوا لَيَسْتَفْرِزُونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ
خَلْقَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٧٦﴾ سِنَّةٌ مِنْ قَدْرٍ رُسُلْنَا قَبْلَكَ مِنْ رُسُلِنَا وَلَا
نُحَدِّثُكَهَا خَيْرًا وَلَا ﴿٧٧﴾ أَوْ الصَّلَاةُ إِذْ لَوْ كِ الْشَّمْسُ إِلَى عَسَقِ
الَّيْلِ وَوَرَى أَنْ الْقُرْآنَ قُرْءَانٌ الْفَرَجُ كَانَ مَشْهُودًا ﴿٧٨﴾ وَمِنْ أَسْبَلِ
فَهَجْدَ بِهِ نَافِلَةٌ لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَجْهُودًا ﴿٧٩﴾ وَقُلْ
رَبِّ دَخَلْتَنِي مِنْ دَحْلِ صِدْقٍ وَأَخْرَجْتَنِي مِنْ حَرْجٍ صِدْقٍ وَأَجْعَلْ لِي مِنْ
لَدُنْكَ سُلْطَانًا نَصِيرًا ﴿٨٠﴾ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَى الْبَاطِلُ إِنْ الْبَاطِلُ
كَانَ زُهُوفًا ﴿٨١﴾ وَيُنزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ
وَلَا يُزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا آسَارًا ﴿٨٢﴾ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ
وَنَآجِبًا بِنَيْبِهِ وَإِذَا سَأَلَ الشُّرَكَاءَ يُسْوَسًا ﴿٨٣﴾ قُلْ كُلٌّ بِعَمَلِهِ سَآكِنَةٌ
وَرَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلًا ﴿٨٤﴾ وَسَيَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلْ
الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ وَإِنْ شِئْنَا
لَنَنْزِعَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ لِيُخْبِرَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكَيْلًا ﴿٨٦﴾ إِلَّا رَجَعْنَا
مِنْ رَبِّكَ أَنْ فَضَّلْنَاكَ عَلَى الْبَرِّاءِ ﴿٨٧﴾ قُلْ لَنْ أَجْمَعَنَّ الْإِنْسَانَ وَالْجِنَّ عَلَى
أَنْ يَأْتُوا عِثْرًا هَذَا الْقُرْآنَ لَأَيَأْتُونَ عِثْرَهُ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿٨٨﴾

٧٦- وإن قاربوا أن يزججوك أيها النبي، لإخراجك من أرض مكة، ولكن منعهم الله من ذلك، ولو أخرججوك، لا يكتون بعدك إلا زمناً قليلاً، ثم يهلكون. قال اليهود للنبي ﷺ: إن كنت نبياً فالحق بالشام أرض الحشر، وأرض الأنبياء، فغزا غزوة تبوك- يريد الشام- فلما بلغ تبوك، أنزل الله هذه الآية، وأمره بالرجوع إلى المدينة.

٧٧- سُئِنَا الْمُقَرَّة: إهلاك الأمم السابقة الذين أخرجوا رسلهم من ديارهم، وهي سُئِنَا بك كمن قبلك، ولا تجحد تغييراً أو تبديلاً لستنا.

٧٨- أتم الصلاة- صلاة الظهر- لزوال الشمس عن كبد السماء، وميلها عن وسط السماء إلى جهة الغرب، ثم أتم صلاتي المغرب والعشاء عند مجيء ظلمة الليل، ثم أتم صلاة الفجر (الصبح) إن صلاة الفجر وما فيها من قرآن تشهدا ملائكة الليل وملائكة النهار.

٧٩- وفي جزء من الليل وهو الثلث الأخير منه، صل أيها النبي صلاة التهجد بعد النوم، فريضة زائدة لك على الصلوات المفروضة، لعل الله يبعثك يوم القيامة ويقمك في المقام المحمود الذي يحمدك عليه الناس جميعاً وهو مقام الشفاعة العظمى في فصل القضاء.

٨٠- وقل أيها النبي: رب أدخلني المدينة أو في كل أمر ديني ودينوي إدخالاً مرضياً، وأخرجني من مكة أو من الدنيا إخراجاً مرضياً، وهب لي من عنك قوة تنصرتني بها على أعدائك. والسلطان: الحجة البينة، والنصير: الناصر المعين.

قال ابن عباس: كان النبي ﷺ بمكة، ثم أمر بالهجرة، فنزلت عليه: ﴿وقل: رب أدخلني...﴾.

٨١- وقل أيها الرسول عند دخول مكة: ظهر الحق وهو الإسلام، واضمحل الباطل: وهو الشرك والكفر، إن الباطل كان وما زال مضمحلًا.

٨٢- ونزلك عليك أيها الرسول من القرآن ما هو شفاء للقلوب من الشك والشرك أو الضلالة، ورحمة سابغة للمؤمنين، ولا يزيد الكافرين إلا هلاكاً وانحرافاً، لتكذيبهم وكفرهم به.

٨٣- وإذا أنعمنا على أي إنسان بالصحة والسعادة، أعرض عن شكر نعمة ربه، وإذا أصابه مرض أو فقر كان قنوطاً من رحمة الله.

٨٤- قل: كل إنسان يعمل على مذهبه وطريقته في الهدى والضلال، فربكم أعلم بمن هو أسد طريقاً وأقوم منهجاً.

٨٥- ويسألونك أيها النبي عن حقيقة الروح وهي ما يحيا به الإنسان، قل لهم: الروح من إبداع ربي، وما علمكم إلا شيء قليل من علم الله. قالت قريش لليهود: علمونا شيئاً نسأل هذا الرجل، فقالوا: سلوه عن الروح، فسأله، فأنزل الله هذه الآية.

٨٦- لو شئنا لمحونا حفظ هذا القرآن من القلوب والكتب، ثم لا تجد من يتوكل ويتعهد لك برد شيء منه.

٨٧- لكن لا نشاء ذلك، وأبقيناه محفوظاً في صدرك رحمة من ربك، إن فضله عليك أيها النبي كبير حيث جعلك رسولاً.

٨٨- قل أيها الرسول: لئن اجتمعت الإنس والجن معاً على الإتيان بمثل هذا القرآن في كمال البلاغة والفصاحة وجزالة اللفظ لم يتمكنوا من ذلك، ولو كان بعضهم معيماً وناصباً للبعض الآخر. قال بعض اليهود للنبي ﷺ: ليس هذا القرآن متناسقاً، كتناسق التوراة، فأنزل علينا كتاباً نعرفه، وإلا جئناك بمثل ما تأتي به، فنزلت هذه الآية.

وَلَقَدْ صَرَفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ فَأَوْتَّ
 أَكْثَرَ النَّاسِ الْإِكْهَارًا ﴿٨٩﴾ وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى
 تَجِيءَنا مِنَ الْأَرْضِ بِبُيُوتٍ ﴿٩٠﴾ أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَجِيلٍ
 وَعَنْ قَلْعَةٍ الْأَنْهَارِ خَلَّهَا نَجِيمًا ﴿٩١﴾ أَوْ تُسْقِطَ السَّمَاءُ
 كَمَا زُحَّمَتْ عَلَيْنَا كَمَا أَتَى بِاللَّهِ وَالْمَلِيكَةِ قِبَلًا ﴿٩٢﴾
 أَوْ تَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرَفٍ أَوْ تَرَى فِي السَّمَاءِ وَلِنَ نُؤْمِنَ
 لِرَبِّكَ حَتَّى نُنزِلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرُؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ
 كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا ﴿٩٣﴾ وَمَا مَعَ النَّاسِ أَنْ يُؤْمِنُوا
 إِذْ جَاءَهُمُ الْهُدَى إِلَّا أَنْ قَالُوا لَأَنْبَأَنَّ اللَّهُ بِبَشَرِ رَسُولًا ﴿٩٤﴾
 قُلْ لَوْ كَانَ فِي الْأَرْضِ مَلَائِكَةٌ يَسْمَعُونَ مَطْمَئِينَ لَنَزَّلْنَا
 عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا ﴿٩٥﴾ قُلْ كُنَى بِاللَّهِ شَهِيدًا
 بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴿٩٦﴾ وَمَنْ يَشْهَدِ
 اللَّهُ فَهُوَ الْمَشْهَدُ وَمَنْ يُضِلُّ فَلَنْ يَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِهِ
 وَخَشَرُهُمْ يُومَرُ الْقَبِيلَةَ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَبِكَمَا صَمًّا
 قَالُوا لَهُمْ جَهَنَّمُ كَمَا خَبِئَتْ زُدَّتْهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾

٨٩- ولقد صرفنا للناس في هذا القرآن مختلف أنواع البيان للاستدلال على الحق وكررتنا المعاني على وجوه مختلفة ليؤمنوا ويستقيموا، وأتينا بأوجه الترغيب والترهيب وقصص الأولين ليقدّم الناس على العمل ويحذروا التقصير، فأبى أكثر الناس من أهل مكة وغيرهم إلا جحودا للحق وإنكاراً لإنزال القرآن من عند الله. وقوله: ﴿من كل مثل﴾ أي من كل معنى هو كالمثل في غرابته وتأثيره في النفس.

٩٠- وقال زعماء الشرك في مكة: لن تصدقك حتى تفجر لنا ينابيع الماء وعيونه، وتجربها دون أن تنضب.

٩١- أو يكون لك بمكة بستان تظله الأشجار، فنجري الأنهار وسطها تفجيراً غزيراً قوياً.

٩٢- أو تطلب إسقاط قطع من السماء كما زعمت أو ادعت بوعيد الله لنا، أو تأتي بالله لئراه عياناً، وباللائكة لشاهدكم مقابلة جماعة بعد جماعة، يشهدون لك بصحة رسالتك.

٩٣- أو يكون لك بيت من ذهب، أو تصعد أمامنا في معارج السماء، ولن نصدق بصعودك حتى تنزل علينا كتاباً يصدقك ويأمرنا باتباعك، قل

لهم أيها الرسول: تنزيهاً وتقديساً لربي أن يفعل ما أريد وأن يتدخل أحد في سلطانه؛ لأنه الفعال لما يريد، لست أنا إلا واحداً من البشر، مرسلًا كسائر الرسل، أبلغكم رسالة ربي، لا يستطيع أحد من الرسل أن يأتي بأية إلا بإذن الله تعالى. نزلت هذه الآيات في رؤساء قريش الذين طالبوا النبي ﷺ بهذه المطالب تعجيزاً ومعاندة وإحراجاً.

٩٤- وما منع الناس في الماضي وفي عصرك أيها النبي عن الإيمان بالله وبما أنزل حين مجيء وحي الهداية إلا أن أنكروا أن يكون الرسول من جنس البشر.

٩٥- قل لهم أيها الرسول: إن كل رسول من جنس المرسل إليهم، فلو كان في الأرض ملائكة يسرون فيها على الأقدام، مستقرين فيها، لأرسلنا إليهم ملكاً رسولاً من جنسهم، ليتفاهم معهم.

٩٦- قل لهم أيضاً: يكفيني الله شاهداً على صدق رسالتي، إنه تعالى كان وما يزال عليمًا بأحوال عباده، مطلعاً على جميع أعمالهم ظاهراً وباطناً.

٩٧- ثم يخبر الله تعالى عن إطلاق تصرفه في خلقه ونفاذ حكمه، فهو وحده القادر على الهداية، فمن يهده الله للإيمان ببيان سبل الهداية، فهو المهتدي الموفق، ومن يضل الله من الناس بخذلانه عن الحق وبتعريف طرق الضلال وإعراضهم عن هداية ربه، فلا تجد لهم نصراً يتولون أمرهم ويدافعون عنهم، من غير الله، وتجمعهم بسرعة يوم القيامة مسحوبين على وجوههم، تجرهم الزبانية عمياً لا يبصرون ما يسرون، وكملاً لا ينطقون بما يقبل، وضمناً لا يسمعون ما يلد، أي إنهم في متاهة حيارى لزيادة إيلاهم، مسكنهم جهنم، كلما خمدت نارها وسكن لهبها، تزداد بهم توقداً وتسعرا بشدة.



٩٨- ذلك العذاب في جهنم هو جزاؤهم، بسبب جحودهم بآيات الله التكوينية والتنزيلية، وعدم تفكرهم بها، وإنكارهم بعثة الرسل، وتكذيبهم بالبعث والحساب قائلين: أنذا صرنا عظماً بالية، وأجزاء متفتتة كالتراب، سنبت خلقاً جديداً بعدئذ؟! ٩٩- فرد الله عليهم: أو لم يعلموا- فهي رؤية قلبية- أن الله الذي أبدع السموات والأرض قادر على إيجاد أمثالهم، وهم بعض المخلوقات؟ وجعل لهم وقتاً محدداً للموت والبعث، لا شك في وقوعه حتماً، فأبى المشركون إلا جحوداً وإنكاراً.

١٠٠- قل لهم أيها النبي لبيان سبب رفض مطالبهم: وهو الشح، لو أنكم ملكتم خزائن الأرزاق، لبعيتم على الشح والبخل مخافة الفقر، وكان الإنسان الكافر بخيلاً منوعاً.

١٠١- ولقد آتينا موسى تصديقاً لنبوته تسع علامات دالة على صدق رسالته، مساوية لمطالب أهل مكة، فلم يؤمن بها فرعون وقومه، مع وضوحها وكونها معجزات حسية، والآيات التسع: الطوفان، والجراد، والقمل، والصفادع، والدم، والعصا، واليد البيضاء، والسنين المجذبة، ونقص الثمرات، والأصح غير المشهور جعل الطمس على الأموال،

والطبع على القلوب كما تقدم بدلاً من العصا واليد، فاسأل أيها الرسول مؤمن بني إسرائيل في عصرك عن هذه الآيات، فإنهم لا يكذبون بها، فتقوم الحجة على قومك، فقال فرعون لموسى: إني لأعتقد أنك يا موسى مسحور، أي سحر فاختلط عقله، فصار مخبول العقل. وجاءهم، أي جاء موسى إلى بني إسرائيل وفرعون بالرسالة.

١٠٢- قال موسى لفرعون: لقد علمت يا فرعون، ما أنزل تلك الآيات إلا رب السموات والأرض دلالات بينات على قدرته ووحدانيته وصدق رسالتي، وإني لأعتقد أنك يا فرعون هالك خاسر. والظن في الآيتين بمعنى اليقين.

١٠٣- فأراد فرعون أن يخرج موسى وقومه بني إسرائيل من أرض مصر، ويبيدهم عنها، فأغرقاه ومن معه من جنوده جميعاً.

١٠٤- وقتلنا من بعد إهلاك فرعون لبني إسرائيل: أقيموا في الأرض التي أراد فرعون أن يبيدهم منها أو الأرض المقدسة، فإذا وقع يوم القيامة، جنتا بكم جميعاً من قبوركم، أنتم وهم، اختلط المؤمن بالكافر.

١٠٥- ما أنزلنا القرآن من عندنا إلا بالحق الذي لا شك فيه، وما نزل إلا بشيء حق مقترن بالشرائع والعقائد الحقنة التي لا باطل فيها، والحق الأول صفة الإنزال من الله، والثاني صفة ما في القرآن من عقائد وأحكام. وما أرسلناك يا محمد إلا مبشراً المطيعين بالجنة، ومنذراً مخوفاً بالعصاة بالنار.

١٠٦- وأنزلنا القرآن مفرقاً منجماً على مدى ثلاث وعشرين سنة، لا جملة واحدة، لتقرأه على الناس على مهل وتؤدة، ليكون أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ، ونزغناه تنزيلاً، أي شيئاً بعد شيء، بحسب الحاجة أو المصلحة، ومقتضى الحكمة.

ذَلِكَ جَزَاؤُهُمْ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا
وَرُفَاتًا إِنْ نَأْتِيهِمْ مَلْأُؤُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴿٩٨﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ
الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ
وَجَعَلَ لَهُمْ أَجْلًا أَرَبَّ فِيهِ فَأَبَى الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾
فَلَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُحْسِنُونَ كِتَابَ رَبِّهِ إِذَا أُتْمِصَكُمُ حَسْبَةٌ
الْإِنْفَاقِ وَكَانَ الْإِنْسَانُ قَنُورًا ﴿١٠٠﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ سِنْعَ
ءَايَاتٍ بَيِّنَاتٍ فَمَسَّ عَلَىٰ إِسْرَائِيلَ إِذْ جَاءَهُمْ فَقَالَ لَهُ
فِرْعَوْنُ إِنِّي لَأَظُنُّكَ يُمُوسَىٰ مَسْبُورًا ﴿١٠١﴾ قَالَ لَقَدْ عَلِمْتُ
مَا أَنْزَلَ هَؤُلَاءِ إِلَّا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ بِصَافِرٍ وَابِتٍ
لَأَظُنُّكَ بِفِرْعَوْنَ مُسُورًا ﴿١٠٢﴾ فَأَرَادَ أَنْ يَنْفِرَهُمْ
مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمِن مَّعَهُ جَمِيعًا ﴿١٠٣﴾ وَقَتَلْنَا مِنْ بَعْدِهِ
بَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا فَذُوقُوا الْعَذَابَ
عَذَابَكُمْ لَبِيفًا ﴿١٠٤﴾ وَإِلْحِقْ آتْرَافَهُ بِالْحَقِّ تَزْلُكًا وَمَا
أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾ وَقَدْ آتَيْنَاكَ
النُّفُورَ عَلَى النَّاسِ عَلَىٰ مَكِّكَ وَتَزْلُكَهُ تَنْزِيلًا ﴿١٠٦﴾

قُلْ إِيَّاكُمْ يَرْجُو أُولَٰئِكَ يُتَوَكَّلُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْ قَبْلِهِ إِذْ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَلَيُوَدِّعُنَّ أُولَٰئِكَ قُلُوبُهُمْ لَئِنْ لَمْ يَأْمُرْنَا اللَّهُ لَعَلَّخْنَا لَكَ الْوَسْوَاسَ الْكَافِرِينَ ﴿١٠٧﴾ وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ﴿١٠٨﴾ وَيَخْرُجُونَ مِنَ الْأَدْنَانِ فِي يَوْمٍ خُشُوعًا ﴿١٠٩﴾ قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَوْ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرُوا بِصَلَاتِكُمْ وَلَا تَخَافُوا بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾ وَقُلْ اتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي لَا يَتَّخِذُ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمَلِكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَكِيلٌ مِنَ الدَّلِّ وَكَسْرُهُ كَجِبَرًا ﴿١١١﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَتَّخَذَ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَيُجْعَلُ لَهُ جِوَارًا ﴿١﴾ قِيمًا لِيُنذِرَ بِأَسْمَاءِ شِدْبَا مِنْ لَدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ﴿٢﴾ فَلَكَ فِيهِ أَهْلًا ﴿٣﴾ وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ﴿٤﴾ مَا لَهُمْ بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ﴿٥﴾

١٠٧- قل أيها النبي لمركي مكة على سبيل التهديد: آمنوا بالقرآن، فإن الإيمان يضعكم أنتم، أو لا تؤمنوا، فإن ترك الإيمان يضركم أنتم وحدكم، إن علماء أهل الكتاب المؤمنين من قبل نزول القرآن الذين عرفوا حقيقة الوحي كورقة بن نوفل، وزيد بن عمرو ابن نفيل، وعبد الله بن سلام إذا يتلى عليهم هذا القرآن يسقطون على وجوههم، مسارعين للسجود خاشعين، تعظيماً لأمر الله، وشكراً على إنجاز وعده بعبثك أيها النبي.

١٠٨- ويقولون وهم ساجدون: تنزه ربنا عن تخلف الوعد، إن وعد ربنا بإزالة القرآن وبعثة النبي ونصر المؤمنين ومجيء البعث والحساب أت فعلاً.

١٠٩- ويسجدون على وجوههم باكين من خشية الله، ويزيدهم سماع القرآن تواضعاً لله. وكرر ذلك للتأكيد على تأثير القرآن في المؤمنين.

١١٠- قل أيها النبي للمشركين المتكبرين اسم الرحمن: ادعوا الله ونادوه قائلين: يا الله أو يا رحمن، فله تعالى كلا الاسمين، وبأي اسم تدعونه أو تتادونه به، فهو حسن، فله الأسماء الحسنى أي المستقلة بصفات الجلال والإكرام، ولا تجهر أيها النبي في القراءة بصلاحتك، حتى لا يوذوك، ولا تخفض صوتك بها إلى حد لا يسمعك أحد، وتوسط بين الجهر والإسرار. سمع المشركون النبي ص يقول في دعائه: يا الله، يا رحمن، فقالوا: انظروا إلى هذا الصابئ، ينهاتنا أن ندعو الهين وهو يدعو الهين، فنزل مطلع الآية، ونزل آخرها حينما سب المشركون القرآن ومن أنزله.

١١١- وقل أيها النبي: الشكر والثناء الكامل لله الذي لا ولد له، رداً على اليهود والنصارى، والمشركين القائلين بأن الملائكة بنات الله، ولا شريك له في الملك والسلطان رداً على المشركين الوثنيين والثنية القائلين بتعدد الآلهة، ولم يحتج لموااة أحد لذل يلحقه، فلا يحتاج لمعين ولا نصير، وعظم ربك تعظيماً تاماً متزماً عن الولد والشريك. نزلت حينما قال اليهود والنصارى: اتخذ الله ولداً، وقالت العرب: لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، وقال الصابئون والمجوس: لولا أولياء الله للذل.

سورة الكهف

فضلها: وردت أحاديث صحاح في فضل هذه السورة منها: «من حفظ عشر آيات من أول سورة الكهف، عصم من الدجال» ومنها: «من قرأ العشر الأواخر من سورة الكهف، عصم من فتنة الدجال».

١- الثناء الجميل على الله الذي أنزل القرآن على عبده محمد ﷺ ولم يجعل له ميلاً عن الحق والصواب، ولا اختلافاً في اللفظ أو المعنى، أو اختلافاً فيه.

٢- مستقيماً معتدلاً، لا إفراط فيه ولا تفریط في التكالييف والأحكام، ليخوف بالعذاب الناس، ويبشر المؤمنين المصدقين بما فيه الذين يعملون الأعمال الصالحة بالجنة والثواب الحسن.

٣- مقيم في نعيم الجنة إلى الأبد.

٤- ويخوف بالعذاب الذين نسبوا الولد أو الشريك لله.

٥- ليس لهم بهذا القول ولا بأبائهم دليل علمي صحيح، وإنما عن تقليد أو كذب، عظمت كلمة تخرج من أفواههم، فهي كلمة الكفر، وما يقولون إلا مجرد كذب وزور.

فَلَمَّا كَبُخَ نَفْسِكَ عَلَىٰ آثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ
 أَسَفًا ﴿٦﴾ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لِّهَا لِنَبْلُوهُمْ أَيُّهُمْ
 أَحْسَنُ عَمَلًا ﴿٧﴾ وَإِنَّا جَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُثًا
 ﴿٨﴾ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيِّكَ إِنَّا إِنَّا
 عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا
 مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰ
 آذَانِهِمْ فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ثُمَّ بَدَأْتَهُم لِتَعْلَمَ أَىٰ
 الْحِزْبَيْنِ أَحْسَنَ لِمَا لَمْ يَسْأَلُوا أَمْدًا ﴿١٢﴾ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم
 بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ قَبِيْلَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَرَدُّنَاهُمْ وَهُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا
 عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن
 نَدْعُو مِنْ دُونِهِ إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذْ شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَؤُلَاءِ قَوْمُنَا
 اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطٰنٍ بَيْنِ
 يَدَيْهِمْ أَظْلَمُ مِمَّنْ فَزَيَّنَّا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذْ أَعْرَضُوا عَنْهُمْ
 وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْذَىٰ إِلَى الْكَهْفِ بِشْرِكِكُمْ
 رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَأًا ﴿١٦﴾

٦- فلعلك أيها النبي مهلك نفسك، من بعد
 توليهم عن الإيمان، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن تأسفاً
 وحرزنا منك على موقفهم هذا، فلا يحزنك ذلك؛
 لأن مهمتك تبليغ رسالة الله، ولست مكلفاً إدخال
 الإيمان في قلوبهم.

٧- إنا جعلنا ما على الأرض من حيوان ونبات
 وجماد وشجر زينة لها، لنختبرهم ونظهر أيهم
 أصلح عملاً، فموقف المشركين محل اختبار
 وامتحان.

٨- وإنا لجاعلون يوم القيامة ما على الأرض من
 زينة تراباً ظاهراً، يابساً لا نبات فيه ولا زينة.

٩- بل أظننت أيها النبي أن أصحاب الكهف أي
 الغار في الجبل، واللوح الحجري الذي كتبت عليه
 أسماؤهم، كانوا وحدهم فقط عجباً من آياتنا؟ لا
 تظن ذلك، فإن آياتنا كلها عجب. نزلت هذه
 الآية وقصة أصحاب الكهف عند سؤال
 قريش النبي ﷺ عن ثلاثة أمور، منها هذه،
 بتوجيه اليهود.

١٠- حين لجأ أصحاب الكهف الشباب إلى
 غارهم فراراً بدينهم من الفتنة، قالوا: ربنا آتنا من
 عندك رحمة خاصة: وهي المغفرة في الآخرة، والأمن من الأعداء، والرزق في الدنيا، ويسر لنا الهداية إلى
 المطلوب الذي نحب وترضاه، بمفارقة الكفار.

١١- فأمنناهم نوماً عميقاً لا يشعرون فيه بالأصوات سنين كثيرة معلومة العدد.

١٢- ثم أيقظناهم من نومهم، لتعلم أي الفريقين المختلفين منهم في مدة نومهم أضبط لمدة بقائهم نياماً.

١٣- نحن نخبرك تفصيلاً بخبرهم على وجه الدقة والصواب والصدق: إنهم شبيبة آمنوا بالله إيماناً خالصاً
 من الشرك، وزدناهم ثباتاً على الإيمان وتوفيقاً إليه.

١٤- وقويت قلوبهم وعزائمهم بالصبر على الشدائد، حين قاموا بين يدي ملكهم الجبار دقلديانوس، وقد
 أمرهم بالسجود للأصنام، فرفضوا وقالوا: ربنا رب السموات والأرض، لن ندعو من غيره إلهاً معبوداً، فإن
 دعونا غيره، قلنا قولاً مجاوزاً الحد في البعد عن الحق والصواب.

١٥- هؤلاء جماعتنا في هذا البلد اتخذوا من غير الله آلهة يعبدونها، هلا يأتون على ألوهيتهم وعبادتهم
 بحجة واضحة، فلا أحد أشد ظلماً ممن اختلق الكذب على الله، فزعم، أن له شريكاً في العبادة.

١٦- ولأجل أنكم يا معشر الفتية تجنبتم قومكم وما يعبدون من الآلهة سوى الله، فالجئوا إلى الكهف
 واجعلوه مأواكم، يبسط الله عليكم شيئاً من رحمته، فينتقذكم من شر قومكم وملكهم، ويسر لكم من
 أمركم ما تترفقون به وتتفنون بحصوله من مرافق الحياة الضرورية.

١٧- وتنظر الشمس حين تطلع عميل وتنحرف عن كهفهم ناحية اليمين من باب الغار، وإذا غربت تركهم وتتجاوز عنهم شمال الكهف، فلا تدخل الكهف، وهم في وسط الكهف ومتسعة، ذلك الحاصل لهؤلاء الفتية من تحول الشمس عنهم وحفظ أبدانهم في حال الحياة، من دلائل قدرة الله، من يوفق الله للهداية والحق والخير فهو المهتدي، ومن يخذل الله ويبعده عن رحمته، فلن تجد له ناصرأ يليه ويرشده.

١٨- وتظنهم أيقاظاً منتبهين؛ لأن أعينهم مفتحة قليلاً، وهم في الواقع نيام، وتقلبهم جهة اليمين وجهة الشمال، لئلا تأكل الأرض أجسادهم، وكلبهم (قطمير) باسط يديه في فناء الكهف من جهة الباب، لو نظرت إليهم لأبرت هرباً من منظرهم، ولملت منهم خوفاً وفزعاً يملاً الصدر.

١٩- وكما فعلنا بهم ما ذكر من النوم والحفظ،

أيقظناهم ليتساءلوا فيما بينهم عن مدة لبثهم في

وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله من يهد الله فهو المهتد ومن يضلل فلن تجد له ولياً مرشداً ١٧ ونحسبهم أيقاظاً وهم زوقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلهم بيسط ذراعيه بالوصد لو أطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولكنت منهم رعباً ١٨ وكذلك بعثهم ليتساءلوا بينهم قال قائل بينهم كمر لبتهم قالوا لبتنا يوماً أو بعض يوم قالوا أرى أنهم أعلم بما لبتوا فآبؤنا أحدكم يورثكم هذه إلى المدينة فليظن أنها أركن طعاماً فليأتكم يريظونته وليسألطف ولا يسعركم أحدكم ١٩ إن يظنهم وأعلمكم بروجهم أو يعيدكم في ملتهم ولن تفلحوا إذا أبكم ٢٠ وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا أن وعد الله حق وأن الساعة لا ريب فيها إذ يستنصرون بينهم أمرهم فقالوا أنبؤا عليهم نبئاً رزقهم أعلمهم به ٢١ قال الذين غلبوا على أمرهم لننخذن عليهم مسجداً ٢٢

الكهف، قال أحدهم: كم لبثتم في النوم، قال بعضهم جواباً للسائل: لبثنا يوماً أو بعض يوم لدخولهم الكهف أول النهار، ويقظتهم آخر النهار، ثم قالوا لبعضهم: ربيكم هو الأعلم بمدة لبثكم، ثم اتجهوا لما هو الأهم بسبب إحساسهم بالجوع، وقالوا: أرسلوا أحدكم بهذه العملة الفضية إلى المدينة وهي إفسوس ويقال لها اليوم: طرسوس، فليظنر أي المآكل أطيب وأحل طعاماً، فليأتكم بطعام منه تأكلونه، وليكن متلطفاً في المعاملة حتى لا يغبن ولا يكشف أمره، ولا يعلمن بكم أحداً من الناس.

٢٠- إن أولئك الوثنيين من أهل المدينة، إن اطلعوا عليكم وعلموا بمكانكم، قتلوكم رمية بالحجارة، أو صيروكم كرهاً في ملتهم الوثنية، ولن تفلحوا حيثنأبدأ إن عدتم في ملتهم.

٢١- وكما بعثناهم من نومهم، أطلعنا قومهم عليهم، وهم أحياء، ليعلم القوم أن وعد الله بالبعث حق ثابت، وأن القيامة آتية لا شك فيها، فلما شاهدوهم آمنوا بالبعث، ثم أماتهم الله، ثم أعثرنا عليهم حين تنازع القوم في شأنهم بعد وفاتهم، فقال بعضهم بعد إمامتهم: ابنوا حولهم بنياناً يستريحهم - والله ربيهم أعلم بشأنهم من المتنازعين فيهم - قال أصحاب النفوذ من القوم: لنبنين عليهم مكاناً للعبادة، وكان هذا جائزاً في شرعهم، ثم نهى الإسلام عن اتخاذ المساجد على القبور.

٢٢- سيقول المختلفون في قصتهم وعددهم من أهل الكتاب والعرب أقوالاً كثيرة، فمنهم من يقول: هم ثلاثة رابعهم كلبهم، وبعضهم يقول: هم خمسة سادسهم كلبهم، قولاً ظناً في أمر غيبي من غير يقين، ويقول آخرون: هم سبعة وثامنهم كلبهم، ولعل هذا أقرب للصواب للسكريوت عنه وعلم إدخاله في الرجم بالغيب، قل لهم أيها النبي: ربي أعلم بعددهم الحقيقي منكم أيها المختلفون، لا يعلم عددهم إلا قليل من الناس، فلا تجادل فيهم اليهود والمشركين إلا جدالاً ظاهراً: وهو بمقدار ما أوحينا إليك به، من غير تعمق في التفاصيل، ولا تسأل في قصتهم أحداً من أهل الكتاب، ففي هذا الوحي كفاية.

٢٣، ٢٤- ولا تقولن لشيء تعزم عليه: إني فاعل ذلك غداً أو في المستقبل، إلا بقرنه بمشيئة الله بقولك: إن شاء الله؛ لأن وجود كل شيء بمشيئة الله تعالى، واذكر ربك بالتسبيح والتكبير والاستغفار إذا نسيت تعليق الأمر بمشيئة الله، ولو بعد القول، وقل إذا سئلت عن شيء لا تعلمه:

لعل الله يوفقي إلى أمر آخر أقرب من هذه القصة إلى الخير والمصلحة. قال ابن عباس: حلف النبي ﷺ على يمين، فمضى له أربعون ليلة، فأنزل الله هذه الآية.

٢٥- وبقي الفتية نائمين في كهفهم ثلاث مئة سنين وتسع سنين هلالية، وهي ثلاث مئة سنة شمسية.

٢٦- قل أيها النبي: الله أعلم بمدة لبسهم في الكهف عن اختلافوا فيها، هو المختص بعلم الغيب في السموات والأرض، ما أحد أبصر ولا أسمع من الله!! ليس للمخلوقات من غير الله من ولي يتولى أمورهم، وليس لأحد الاشتراك فيما يبرمه الله من أحكام ويدير من قضاء.

٢٧- اقرأ أيها النبي ما أوحى إليك في القرآن، واعمل بما فيه، لا مغيرٍ لشيء مما أخبر الله به، أو حكم به من الأحكام التي جاءت في كلماته، ولن تجد من دون الله ملجأً وحصناً.

٢٨- التزم الصبر والثبات والمعاشرة أيها النبي مع أولئك الضعفاء الذين يدعون ويعبدون ربهم في جميع الأوقات، في الصباح والمساء، يريدون بعبادتهم رضا الله وطاعته، ولا تصرف عينك النظر عنهم إلى غيرهم ممن غرتهم الدنيا، تقصد بتركهم مجالسة العظماء والأغنياء الذين تتزين بهم الدنيا، ولا تطع من جعلنا قلبه غافلاً عن القرآن وذكر الله، وأثر هواه على الحق، فاختر الشرك على التوحيد، وتجاوز حد الاعتدال. والقرط: الأمر الضائع الذي لا منفعة فيه. نزلت في جماعة من أشرف قريش طلبوا من النبي ﷺ تنحية الفقراء من أصحابه من مجلسه، حتى يتبعوه، أو يخصصهم بمجلس دونهم.

سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِعَدَّتِهِمْ مَا لِعِلْمِهِمُ الْإِقْلِيلُ فَالْأَمْرُ فِيهِمْ الْأَمْرَاءُ ظَهَرُوا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ مِنْهُمْ أَحَدًا ۖ وَلَا تَقُولَنَّ لِيْ سَأَأَىٰ إِيَّايَ فَاعِلُ ذَلِكَ غَدًا ۖ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَآذُكَرُ رَبِّكَ إِذَا نَسِيتُ وَقُلْ عَسَىٰ أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا رَشَدًا ۖ وَلِئُوْا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا ۖ قُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لِيْئُوْا لَهُمْ رَبُّهُمْ أَمْ لِلشَّمْرَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۖ وَأَنْتَ مَا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبْدِلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۖ وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَأَعْيُنُكَ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدَ رَيْبَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تَطَّعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَأَتَّبَعْهُ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرْطًا ۖ

٢٩- وقل أيها النبي للمشركين الذين طلبوا طرد الفقراء من مجلسك: الحق المقرر ومنه القرآن ما يكون من جهة الله تعالى، لا من طريق الهوى وغير الله من البشر، حتى يجري فيه التبديل والتغيير، فمن شاء منكم فليؤمن بالإسلام والقرآن، فهو الحق والخير، ومن شاء منكم الكفر بهذا الدين فليكفر، وهذا تهديد لهم ووعيد، إنا أعدنا وهياناً للظالمين: الكافرين ناراً عظيمة، أحاطت بهم من كل جانب، كإحاطة الخيمة (أو الفسطاط) بمن تحتها، وإن يستغيثوا من شدة العطش، يغاثوا بماء كعكر الزيت، أو الشيء المذاب من المعادن كالنحاس والرصاص، يشوي الوجوه من شدة حرارته، يشرب المشرب المهل هو، وساءت النار مقراً ونزلاً.

٣٠- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال، لا نضيع أجرهم على ما أحسنوا من أعمال.

٣١- أولئك المؤمنون العاملون لهم جنات إقامة دائمة، تجري من تحت غرفهم ومسكنهم الأنهار، يلبسون فيها أساور الذهب، ويلبسون الثياب

وقل أي من زكوا فن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر
إنا أعدنا للظالمين ناراً أحاطت بهم سردقها وإن
يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجوه بئس الشراب
وساءت مرثقتاً ٢٩ إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات
إنا لا نضيع أجر من أحسن عملاً ٣٠ أولئك لهم جنت عدن
تجري من تحتها الأنهار يحلون فيها من أساور من ذهب
ويلبسون فيها خضراوات سندس وأسديس مذكبين
فيها على الأرباب نعم الثواب وحسنت مرثقتا ٣١
وأضرب لهم مثلاً رجلين جعلنا لأحدهما جنتين من أعناب
وحففتهما نخيل وجعلنا بينهما زرعا ٣٢ لكنا الجنتين أنت
أكلها وتظلم منه شيئا وفجرنا حالهما نهرا ٣٣ وكان لآخر
فمره قال لصاحبه وهو يحاوره إنا أكرمناك ما لا
وأعز بقرا ٣٤ ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال
ما أظن أن تبدي هذه أبدا ٣٥ وما أظن الساعة قائمة
ولئن رددت إلى ربي لأجدن خيرا منها من قبلا ٣٦

الخضراء من رقيق الحرير وثخينه، يجلسون في الجنة على الأسرة والوسائد، نعم الثواب: الجنة ونعيمها، وحسنت أرائك الجنة متكأ.

٣٢- واضرب أيها الرسول للمشركين مثلاً يعتبرون به، أي مثل لهم حال المؤمن والكافر بحال رجلين: أحدهما غني كافر، والثاني فقير مؤمن، جعلنا للكافر بستاتين من كروم العنب، وأحطناهما بنخل، وجعلنا بين النخيل والعنب زرعا. يقال: إنهما كانا أخوين من بني إسرائيل، ورثا أربعة آلاف دينار، فصنع أحدهما بماله ما ذكر وأثرى، وأنفق الآخر ماله في طاعة الله حتى افتقر، والتقى، ففخر الغني ووبخ المؤمن، فجرت بينهما هذه المحاوره.

٣٣- كل واحدة من الجنتين (البستاتين) أعطت ثمارها، ولم تنقص من ثمرها شيئا، وشققنا وسط كل منهما نهرا يسقيهما دائما.

٣٤- وكان لصاحب الجنتين ثمر آخر غير العنب والنخيل، أي أموال أخرى، فقال لصاحبه المؤمن الفقير، وهو يتحدث معه: أنا أكثر منك مالا، أي أغنى، وأعز جانباً بالأولاد والعشيرة.

٣٥- ودخل الكافر الغني بستانه مع صاحبه يطوف به فيه، وهو ظالم لنفسه بكفره وتكبره، قال بسبب غفلته: ما أعتقد أن تلتف هذه الجنة أبدا، لافتنائه بالدنيا.

٣٦- وما أعتقد أن القيامة كائنة، ولئن رجعت إلى ربي بالبعث في الآخرة، كما زعمت، لأجدن في الآخرة خيرا مما وجدت في الدنيا مرجعا وعاقبة، لتوافر أهليتي لذلك.



٣٧- قال له صاحبه المؤمن، وهو يحدثه:

أكفرت بالله الذي خلق أصلك من تراب، وهو آدم عليه السلام، ثم من نطفة النبي، ثم صيرك إنساناً كاملاً في الخلق والعقل والرجولة. وقد جعل كفره بالبعث كفراً بالله تعالى، والقدرة على الخلق دليل على القدرة على البعث.

٣٨- لكني أنا أقول: هو الله ربي، ولا أشرك بربي أحداً في العبادة، أي كما فعلت أنت.

٣٩- وهلاقت عند دخول بستانك وإعجابك به: ما شاء الله، لا قوة إلا بالله، للاعتراف بأن جنتك وخيراتنا عيشة الله بقاء وفناء، إن كنت تراني أنا أقل منك مالاً وولداً. قال النبي ﷺ لأبي موسى: «الأدلك على كنز من كنوز الجنة: لا حول ولا قوة إلا بالله».

٤٠- فلعل ربي أن يعطيني خيراً من بستانك في الدنيا أو في الآخرة، ويرسل على بستانك محسوبا مقدراً، أي صواعق مقدرة، جزاء كفرك، فتصبح أرضاً لا نبات فيها، تنزل عليها القدم، أي تصبح ملحاً مشبعاً بالماء وهي الأرض السبخة التي لا

قال له صاحبه وهو يحاوره: أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّكَ رَجُلًا ﴿٣٧﴾ لَكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٣٨﴾ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِنْ تَرَىٰ أَنَا أَقْلُ مِنْكَ مَا لَّا وَوَلَدًا ﴿٣٩﴾ فَسِرِّي أَن يُؤْتِينَ خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ أَوْ يُصْبِحُ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا ﴿٤١﴾ وَأَحِطْ بِمَكْرِهِ فَتَأْتِجَ بِقَلْبِكَ كَفْهًا عَلَىٰ مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا ﴿٤٢﴾ وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنْصَرًا ﴿٤٣﴾ هَٰذَا لِكُلِّ أَوْلِيَّةٍ لِلَّهِ الْخِطَابُ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقَابًا ﴿٤٤﴾ وَأَضْرِبْ لَهُمْ مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَأَخْطَأَ بِهِ نَبَاتَ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا ﴿٤٥﴾ الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾

تصلح للزرع مطلقاً.

٤١- أو يصبح ماؤها غائراً في الأرض، فلن تقدر الوصول إليه أو رده بأي حيلة.

٤٢- وأهلك الله ثمار ذلك الكافر بأفة سماوية، فأصبح يقلب كفيه ظهراً لبطن، تحسراً وندماً، على ما أنفق على عمارتها وإصلاحها من مال، وأضحت تلك الجنة خربة، ساقطة على دعائمها المنصوبة للكروم، ويقول: يا ليتني لم أشرك بالله أحداً.

٤٣- ولم تكن لهذا الكافر جماعة ينصرونه أو ينقذونه من العذاب من غير الله، ولم يكن متمتعاً بقوته عن الهلاك والانتقام الإلهي.

٤٤- هنالك في مقام الشدة والمحنة النصرة لله وحده، هو سبحانه خير للمؤمن بالشواب الحسن في الدنيا والآخرة، وخير عاقبة طيبة له.

٤٥- واذكر لأولئك المستكبرين ما تشبهه الحياة الدنيا في جمالها وسرعة زوالها، إنها مثل نبات رواء المطر، فصار أخضر بهيجاً، ثم جف النبات وييس، وصار في أسرع وقت متفتتاً تطيره لخطته وتفرقه الرياح، فلا تترك له أثراً، وكان الله على كل شيء قانداً، بالإحياء والإفناء.

٤٦- المال والبنون مما يتزين به في الدنيا، لا في الآخرة، وأعمال الخير الباقية الثمرة أفضل ثواباً وأجدي عائداً لأهلها، وخير ما يرجوه الإنسان العاقل عند الله تعالى ليحيا سعيداً.

وَيَوْمَ نُزِّلَ الْجِبَالُ وَرَمَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَسْرَتُهُمْ فَلَمْ
 يُعَادِرُوا مِنْهَا أَحَدًا ﴿٤٧﴾ وَعُرْضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا
 لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا حَلَفْتُمْ أَنَّ الْأَرْضَ لَنَا وَإِنَّا لَنَرَاهَا لَمَكْرًا
 لَأَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا ﴿٤٨﴾ وَوَضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى
 الْمُجْرِمِينَ مُشْفَعِينَ لَهَا فَيَمْسِكُونَ بِأُصْبُعَيْهَا أَلَّا نُغْنِيَهُمْ
 مِنَ الْعَذَابِ شَيْئًا وَلَهُمْ فِيهَا عِيشٌ مُرْتَبِتًا ﴿٤٩﴾ وَمَا أَشْهَدْتُمْ
 بِحَقِّهَا إِذْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ جُذُوعًا
 يَافُونَ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا عِيشٌ مُرْتَبِتًا ﴿٥١﴾ وَمَا أَشْهَدْتُمْ
 بِحَقِّهَا إِذْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ جُذُوعًا
 يَافُونَ فِيهَا وَلَهُمْ فِيهَا عِيشٌ مُرْتَبِتًا ﴿٥٣﴾ وَمَا أَشْهَدْتُمْ
 بِحَقِّهَا إِذْ كُنْتُمْ كَافِرِينَ ﴿٥٤﴾

٤٧- واذكر يوم نُزِّلَ الجبال عن أماكنها ونسَّرها كالسحاب، وهو يوم القيامة، وترى الأرض ظاهرة ليس عليها شيء من جبل وشجر وبناء، وجمعنا الخلاق إلى الموقف من كل مكان، فلم نترك منهم أحداً إلا حشرناه هناك.

٤٨- وعُرض الناس مصفوفين، كل أمة صف، لا يحجب أحد أحداً، وقلنا لهم: لقد جئتمونا فرادى، كما خلقناكم في المرة الأولى في الدنيا حفاة عراة، لا شيء معكم من المال والولد، بل زعمتم أيها المنكرون للبعث أن لن نجعل لكم موعداً للبعث والنشور والحساب.

٤٩- وجُعِلَ كتاب (صحيفة أعمال) كل إنسان في يده حين الحساب، السعيد في يمينه، والشقي في شماله، فترى المجرمين خائفين مما فيه من الأعمال السيئة، ويقولون: يا هلاكنا، ما شأن هذا الكتاب، لا يترك سيئة صغيرة ولا كبيرة إلا عدّها وأثبتها، ووجدوا ما عملوا في الدنيا من المعاصي

مكتوباً مثبتاً في كتاب كل واحد منهم، ولا يعاقب ربك أحداً من غير ذنب، ولا يتجاوز ما حدّه من الثواب والعقاب.

٥٠- واذكر حين قلنا للملائكة: اسجدوا لآدم سجود انحاء، للتحية والإكرام، فسجدوا كلهم، إلا إبليس كان مخلوقاً من الجن، فعصى الأمر، وخرج عن طاعة ربه، أفتتخذون إبليس وأتباعه- وسماهم ذرية مجازاً- أنصاراً لكم من دوني، بعد الإباء والفسق، تطيعونهم، وهم لكم أعداء، بنس إبليس وأتباعه في إطاعتهم بدل إطاعة الله تعالى، أو بنس موالة الشيطان بدلاً عن موالة الله تعالى.

٥١- ما أشهدت إبليس وأتباعه خلق السموات والأرض ولا أشهدت بعضهم خلق البعض الآخر، أي ما كانوا شركاء لي في تدبير العالم، وما كنت متخذ المضلين من الشياطين أعواناً.

٥٢- واذكر أيها النبي حين يقول الله: نادوا شركائي الذين زعمتم أنهم شركاء لي من الأوثان وغيرهم ليشفَعوا لكم، فنادوهم فلم يجيبوهم، وجعلنا بين الكفار وألئهم وادياً عميقاً من أودية جهنم، للتفريق بينهم. والموبق: المهلك.

٥٣- ورأى الكفار المجرمون النار، فأيقنوا أنهم واقعون داخلون فيها، ولم يجدوا معدلاً عنها، ولا مكاناً ينصرفون إليه بعيداً عنها.



٥٤- ولقد بينا في القرآن مع الترداد والتكرار الأمثال الكثيرة لأجل مصلحة الناس، ليتعظوا، وكان الإنسان أكثر المخلوقات جدالاً بالباطل .

٥٥- وما منع المشركين في مكة وغيرها أن يؤمنوا بالله ورسوله، حين مجيء القرآن والرسول، وأن يستغفروا ربهم عن سيئاتهم إلا تحقيق سنة الله مع المكذبين السابقين وهي إهلاكهم، أو وقوع العذاب مقابلة وعياناً، كالقتل يوم بدر، والمراد أنهم لا يؤمنون ولا يستغفرون إلا عند وقوع الهلاك المستأصل، أو حدوث ألوان العذاب في الدنيا .

٥٦- وما نرسل الرسل إلى الأمم إلا مبشرين المؤمنين بالجنة، ومخوفين الكافرين بالعذاب، ويجادل الكفار بالباطل بقولهم: الرسول مجرد بشر، لإبطال الحق وإزائه، واتخذوا آياتي المنزلة وهي القرآن، وما أنذروا به من الوعيد والعقاب استهزاء وسخرية .

٥٧- لا أحد أشد ظلماً ممن ذكر بآيات ربه، فلم يتدبرها ولم يتعظ بها، ونسي ما ارتكب من الكفر والمعاصي، فلم يتب عنها، إننا جعلنا على قلوب الكفار المعاندين أغشية لئلا يفهموا القرآن، وهو الختم على القلوب، وجعلنا في آذانهم ثقلاً في السمع، يمنعهم من استماعه سماع تفهم وتأمل، وإن تدعهم أيها الرسول إلى الهدى: الإيمان والطاعة، فلن يهتدوا أبداً لشدة عنادهم .

٥٨- وربك كثير المغفرة، واسع الرحمة، لو يؤخذ المجرمين بما كسبوا من الكفر والمعاصي والجدال والإعراض، لعاجلهم بالعذاب في الدنيا بمقتضى الحق والعدل، ولكن يمهلهم ويؤخرهم رحمة منه، ولهم وقت محدد للعذاب الآخروي، لن يجدوا من غيره ملجأً وحصناً يحميهم منه .

٥٩- وتلك قرى عاد وثمود ونحوها أهلكناهم لما ظلموا أنفسهم بالكفر وتكذيب الرسل، وجعلنا لهلاكهم وقتاً معيناً .

٦٠- واذكر أيها النبي حين قال موسى بن عمران لخادمه وتلميذه يوشع بن نون من نسل يوسف: لا أزال سائراً، حتى أصل إلى ملتقى البحرين، قيل: بحر الأردن والبحر الأحمر، أي ملتقى خليج السويس بخليج العقبة، وقيل: ملتقى البحر الأبيض والمحيط الأطلسي عند طنجة، أو أسير زماناً طويلاً .

٦١- فلما بلغ موسى وفتاه مجمع البحرين، نسيا زادهما وهو نوع من السمك: حوت مملح في زنبيل، وكان ذلك أمانة على تحقيق المطلوب، فاتخذ الحوت طريقه في البحر مسلكاً، مثل السرب: وهو الشق الطويل المسدود، فدخل فيه واختبأ .

وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنْسَانُ أَكْثَرِ شَيْءٍ جَدَلًا ﴿٥٤﴾ وَمَا نَعْنُ النَّاسَ أَنْ يُؤْمِنُوا إِذْ جَاءَهُمْ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةٌ الْأُولَىٰ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا ﴿٥٥﴾ وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَمَجْدِلَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَطْلِ لِيُدْخِلُوا بِهِ الْحَىٰ وَالْحَىٰ وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَمَا أُنذِرُوا هُزُوًا ﴿٥٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذَكَرَ بآيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاؤُهُ أَنْ جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِنْ نَدَعُهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا أَبَدًا ﴿٥٧﴾ وَرَبِّكَ الْغَفُورُ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤَاخِذُهُمْ بِمَا كَسَبُوا لَاجَلَ لَعَلَّ لَهُمُ الْعَذَابُ بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْيلًا ﴿٥٨﴾ وَتِلْكَ الْقُرَىٰ أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِدًا ﴿٥٩﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتْنِهِ لَا أَرَىٰ حَتَّىٰ أُلَاقَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حِمًّا ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنَهُمَا نَسِبَا حَوْثَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ﴿٦١﴾

٦٢- فلما تركا مجمع البحرين، وسارا في اليوم الثاني إلى وقت الغداء، قال موسى لفته: أتنا غداءنا: وهو الحوت، لقد لقينا هذا سفرنا هذا تعباً وإعياء.

٦٣- قال له فتاه: تنبه وأخبرني عما شغلني حين بلنا إلى الصخرة للاستراحة، بذلك المكان عند مجمع البحرين موعد الملاقاة، فإني فقدت الحوت وتركته هناك نسياناً، وما أنساني إلا الشيطان بوسوسته أن أذكر لك حادثة فرار الحوت مني إلى البحر بعد عودة الحياة إليه، واتخذ الحوت طريقاً مغازع عجب يتعجب منه موسى وفتاه.

٦٤- قال موسى: ذلك وهو فقد الحوت هو الذي كنا نطلبه، فإن موضع فقدته هو علامة لنا على وجود الرجل الذي نريده، فرجعا على طريقهما الذي قدما منه، يتبعان آثارهما تتبعاً، لتلا يخطتا طريق العودة إلى مكان الصخرة.

٦٥- فلما وصلا المكان وجدا عند الصخرة عبداً صالحاً: هو الخضر في رأي جمهور المفسرين، واسمه بكيا بن ملكان، أتياه ولاية ونعمة وقيل: نبوة، من عندنا، وعلمناه من قبلنا بعض المعلومات الغيبية التي خصصناه بها، والتي رحل موسى للقاءه من أجل تعلمها.

فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ إِنِّي جَدَّةٌ لَأَلْقَى لِقَابَ رَبِّي قَالَ سِرْبٌ هَذَا نَصَبًا ﴿٦٢﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحَوْتَ وَمَا أَنْسِينِيهِ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ ذَكَرَهُ وَاللَّحَدَّ سَبِيلُهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾ قَالَ ذَلِكَ مَا كُنَّا نَبْغُ فَأَرَدْنَا عَلَى آثَارِهِمَا قَصَصًا ﴿٦٤﴾ فوجدنا عبداً من عبادِ ربِّنا إِنَّهُ رَحِيمٌ مِّنْ عِنْدِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِنَ اللَّدُنِّ عِلْمًا ﴿٦٥﴾ قَالَ لَهُ مُوسَى هَلْ أَتَيْتَكَ عَلَىٰ أَنْ تَعْلِمَ إِنَّمَا عَلَّمْتَ رُشْدًا ﴿٦٦﴾ قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٦٧﴾ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا ﴿٦٨﴾ قَالَ سَعِدْتُ إِن سَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ﴿٦٩﴾ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحَدِّثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٧٠﴾ فَأَنْطَلِقَا حَتَّىٰ إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقْنَاهَا قَالَ أَخَرَقْنَاهَا لِنُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا ﴿٧١﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ لَمْ أَكُنْ لَكَ مِن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴿٧٢﴾ قَالَ لَا نَأْتِيكَ بِمَأْسِكٍ وَلَا تَنْقِصُنِي مِن أَمْرِي عَسْرًا ﴿٧٣﴾ فَأَنْطَلِقَا حَتَّىٰ إِذَا لَمَّاعِلِمَا قَتَلْتَهُ قَالَ أَقْتَلْتُمْ نَفْسًا رَّكِيَةً بَعِيرٍ نَّفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا ﴿٧٤﴾

٦٦- قال موسى للخضر: أتأذن لي أن أكون تابعاً لك على أن تعلمني عما علمك الله، علماً فيه الإرشاد إلي، أي علماً ذا رشد: يدل على الخير؟ وقد يأخذ الفاضل عن المفضول، ويتواضع العالم للأعلم منه.

٦٧- قال الخضر: إنك لا تطيق الصبر على ما تراه من علمي وأعمالي أثناء المرافقة.

٦٨- وكيف تصبر يا موسى على شيء لم تعرف حقيقته؟

٦٩- قال له موسى: ستجدني بمشيئة الله صابراً على ما أرى، وأطيعك فلا أعصي لك أمراً لا يصادم أوامر الله ونواهيه.

٧٠- قال الخضر: فإن اتبعتني، فلا تسألني عن شيء من أفعالي التي تراها مخالفة، حتى أبتدئك بالبيان وأخبرك عن سببه ومآله.

٧١- فانطلق موسى والخضر يمسيان على ساحل البحر، فمرت سفينة، فطلبا الركوب فيها، فلما ركبا في السفينة وصارت في وسط البحر، ثقبها الخضر ليعيها، بأن قلع لوحاً ليس من جهة الماء لتلا تغرق، فقال موسى له: أخرقتها لتغرق ركابها، لقد فعلت أمراً غريباً منكراً؟!!

٧٢- قال الخضر: ألم أقل يا موسى، لن تطيق الصبر على أفعالي؟

٧٣- قال موسى: لا تؤاخذني بنسياني وصيتك، وعاملني بالعفو واليسر، ولا تكلفني عسراً ومشقة في صحبتي إياك بالمؤاخظة على النسيان، فذلك أمر عسير.

٧٤- فانطلقا في سيرهما بعد الخروج من السفينة، حتى إذا وجدا غلاماً حدثاً غير بالغ، قتلته الخضر باقتلاع رأسه، فقال موسى له مستنكراً: كيف قتلت نفساً بريئة من الجرائم، بغير قتل نفس موجب للقصاص، لقد فعلت فعلاً منكراً في الدين؟!!



﴿ قَالَ لَوْ أَقْبَلُكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ﴾ ﴿٧٥﴾ قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَلِّحْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا ﴾ ﴿٧٦﴾ فَأَنْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَنْتَبَأَ أَهْلُ قَرْيَةٍ اسْتَظَعُوا أَهْلَهَا فَأَبْوَأُ أَنْ يَضِيَئُوا فَوَجَدُهَا جَدَارًا مُرِيدًا يَقْبَضُونَ فَأَقَامَهُ ﴿٧٧﴾ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴾ ﴿٧٨﴾ قَالَ هَذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٧٩﴾ أَنَا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ فِي الْبَحْرِ فَأَرَدْتُ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَاءَهُمْ مَلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ﴿٨٠﴾ وَأَمَّا الْعُلَمَاءُ فَكَانَ أَبْوَاهُ مُؤْمِنِينَ فَغَشِينَا أَنْ يَرِيحَهُمَا عَلَيْنَا وَكَفَرُوا ﴿٨١﴾ فَأَرَدْنَا أَنْ يُبْدِلَهُمَا رَبُّنَا خَيْرًا مِنْهُمْ زَكَوَةً وَأَقْرَبَ رَحْمًا ﴿٨٢﴾ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَامَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِي الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنْزٌ لَهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِمًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا وَيُخْرِجَ كُلَّهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي ذَٰلِكَ سَأُولُ مَا لَمْ تُسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا ﴿٨٣﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ ذِي الْقُرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُو عَلَيْكُمْ مِنْهُ ذِكْرًا ﴿٨٤﴾

٧٥- قال الخضر مكرراً عتابه: ألم أقل لك: لن تطيق معي الصبر على أفعالي. وأضاف هنا لفظ ﴿لك﴾ لتأكيد العتاب وتكرار المخالفة.

٧٦- قال موسى: إن سألتك عن شيء بعد هذه المرة، ففارقني ولا تجعلني صاحباً، قد أعذرت في فراقك لي، أو وجدت عذراً لك، حيث أخالفك ثلاث مرات.

٧٧- فانطلقا يمشيان معاً، حتى إذا وصلا إلى أهل قرية، قيل: هي أبله أو أنطاكية، طلبا إطعامهما، فأبوا ضيافتهما، فوجدوا في القرية جداراً آيلاً للسقوط. وقد استعار الإرادة للمشاركة على السقوط، والعرب تستعمل الإرادة لغير العاقل في معنى القرب. فأعاد الخضر عمارته، أو أنه رده مستقيماً كما كان، جاء في الحديث الصحيح: أنه مسح يديه، فإذا هو قد استقام، قال له موسى: لو شئت لطلبت أجراً على إصلاحه، نشرتي به الطعام.

٧٨- قال له الخضر: هذا وقت الفراق بيني وبينك بعد مخالفة الاتفاق ثلاث مرات، وسأخبرك قبل فراقك لك بتفسير أفعالي، وبيان وجه كل فعل، مما لم تطق الصبر عليه.

٧٩- أما السفينة التي خرقتها، فكانت لمساكين ضعفاء ليس لهم مورد رزق غيرها، وهم عاجزون عن مقاومة من يظلمهم، يعملون في البحر بطريق الكراء وأخذ الأجرة، وكان أمامهم في طريقهم ملك ظالم يغتصب من أصحابها كل سفينة صالحة غير معيبة.

٨٠- وأما الغلام الذي قتلته فكان كافراً، وأبواه مؤمنان، فحفظنا أن يحملهما على تجاوز الحد المشروع، والضلال، والكفر بربهما، لشدة محبتهما له، وتأثرهما بجموله.

٨١- فأردنا أن يرزقهما الله ولداً آخر خيراً منه صلاحاً ودينياً وتطهيراً من المعاصي، وأقرب منه رحمة لوالديه وبراً بهما وعطفاً عليهما.

٨٢- وأما الجدار الذي أصلحته، فكان لغلامين يتيمين في البلدة المذكورة سابقاً، وكان تحته كنز مدفون من ذهب، وكان أبوهما رجلاً صالحاً تقياً، وأدى صلاحه لحفظ مال ولديه، فأراد ربك أن يبلغ الغلامان الرشد: إحسان التصرف، ويستخرجوا الكنز من تحت الجدار، وكان هذا التدبير رحمة من الله لهما، بسبب صلاح أبيهما، وما فعلت جميع أفعالي عن رأي المحض، وإنما بإلهام من الله، ذلك المذكور لك هو تفسير ما لم تقدر عليه صبراً، ولم تتحمل السكوت عليه.

٨٣- ويسألونك أيها النبي للاختبار عن قصة الملك الذي ملك الدنيا بأسرها وهو ذو القرنين، والسائل هم اليهود، والملك: هو كما حقق وزير معارف الهند سابقاً أبو الكلام آزاد: الملك الفارسي الصالح قورش، قل: سأتلو عليكم من بعض أخباره قرآناً منزلاً من الله تعالى. ولقُب بذي القرنين لبلوغه قرنَي الشمس في مطلعها ومغربها.

٨٤- إنا جعلنا له في الأرض سلطاناً وقدره على التصرف فيها، وأعطيناه من كل شيء يحتاج إليه في ملكته طريقاً يوصله إلى مطلوبه من علم أو معرفة أو صنعة أو غير ذلك .

٨٥- فسلك طريقاً باتجاه الغرب .

٨٦- حتى إذا بلغ موضع غروب الشمس وأقصى بلاد المغرب، وجد الشمس تغرب في عين ذات طين أسود، وذلك بحسب رأي العين الناظرة من بعيد، ووجد عند مغربها قوماً كضاراً، فآلهمناه بين أن يعذبهم بالقتل أو يحسن إليهم بدعوتهم إلى الحق والإيمان وتعلم الشرائع واتخاذ طريقة حسنى في معاملتهم .

٨٧- قال ذو القرنين مختاراً الدعوة الحسنة : أما من ظلم نفسه بالإصرار على الكفر، فسوف نعذبه بالقتل في الدنيا، ثم يرد إلى ربه في الآخرة، فيعذبه فيها عذاباً منكرًا شديدًا في النار، لم يعرف مثله .

٨٨- وأما من آمن بوحدانية الله، وعمل عملاً صالحاً، فله المشوية الحسنى وهي الجنة، وستأمره بما يسهل عليه من التكاليف التي لا مشقة فيها .

٨٩- ثم سلك طريقاً آخر عكس الأول نحو

المشرق .

إِنَّمَا كُنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ مَوْلًى وَمَنْ أَمَّا أَنْ يَنْتَه مِنْ كُلِّ شَيْءٍ سَبِيحًا ﴿٨٤﴾ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا ﴿٨٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِنْدَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا الْقَارِئِينَ إِنَّمَا أَنْتُمْ مُعَذِّبُونَ وَإِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ فِيهِمْ حَسْبًا ﴿٨٦﴾ قَالَ آمَنَّا مِنْ ظُلْمِ قَوْمِهِ فَأَتَيْنَاهُ فَمُزِّدُنَاهُ إِلَىٰ رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا ثَكْرًا ﴿٨٧﴾ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءٌ الْحَسَنَىٰ وَسَقَوْنَ لَهُ مِنْ رَبِّهِمْ إِبْرَاهِيمَ ﴿٨٨﴾ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا ﴿٨٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا سَبْرًا ﴿٩٠﴾ كَذَلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خَيْرًا ﴿٩١﴾ فَاتَّبَعَ سَبِيحًا ﴿٩٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ السَّدَّيْنِ وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ﴿٩٣﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا فَتِنَاكَ وَإِنَّا فَتِنَاكَ فِي الْأَرْضِ هَلْ تُجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰ أَنْ تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا مَكْنِي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ﴿٩٥﴾ ءَأَتُونِي زُبْرًا كَذِبًا حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ الصَّدَفَيْنِ قَالَ أَنفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَأَتُونِي أُفْرِغَ عَلَيْهِ قَطْرًا ﴿٩٦﴾

٩٠- حتى إذا وصل موضع طلوع الشمس وبلاد الشرق الأقصى وكانت النهاية عند (بلح)، وجد الشمس تطلع على قوم بدائيين عراة يعيشون في الكهوف، لا يجدون شيئاً يستترون به من البسة ومبانٍ من دون الشمس .

٩١- أمر ذي القرنين مثلما وصفنا لك أيها النبي، وقد أحطنا علماً بما لديه من آلات وجنود وقنوجات وغيرها .

٩٢- ثم سلك طريقاً ثالثاً معترضاً بين الشرق والغرب، من الجنوب إلى الشمال .

٩٣- حتى إذا وصل بين جبلين عظيمين، وهما بين أرمينية وأذربيجان، أو بين بحر قزوين والبحر الأسود- والظاهر هذا- بين المغول والتتر في الشمال، وبين سكان آسيا في الجنوب، فلما وصل إلى ذلك المكان، وجد من ورائهما من جهة الجنوب، قوماً لا يفهمون كلام غيرهم .

٩٤- قالوا : يا ذا القرنين- وكان يفهم لغتهم أو من طريق ترجمان- إن قبيلتي التتر والمغول اللتين تسكنان الجزء الشمالي من قارة آسيا مفسدون في الأرض بالإغارة والقتل وإتلاف الزروع ونهب الأموال، فهل نجعل لك جُعللاً من المال نخرجه لك على أن تجعل بيننا وبينهم حاجزاً منيعاً .

٩٥- قال لهم : ما جعلتني فيه ربي متمكناً من السلطان والملك خير من خرجكم، فأعينوني بالآلات والعمال البتائين، أجعل بينكم وبينهم حاجزاً حصيناً، أكبر من السد وأحكم، وهو السد المبني بالحجارة .

٩٦- أتوني قطع الحديد، حتى إذا ردم ما بين جانبي الجبلين على نحو مساو لهما في العلو، قال للعمال : انفضخوا على قطع الحديد بالكيران، حتى إذا جعل الحديد المنصهر كالنار المحمرة، صب عليه النحاس المذاب، فالتصق المعدنان ببعضهما، وصار السد جبلاً صلباً أملس .



٩٧- فما استطاع المفسدون من يأجوج ومأجوج اعتلاء السد وتسلفه لارتفاعه وملاسته، ولم يستطيعوا خرقه لصلابته وسنكه.

٩٨- قال ذو القرنين بعد الفراغ من بناء السد: بناؤه من آثار رحمة الله علي إذ وفقتني إليه، وأنعم به عليكم أيها القوم لمنع إفساد يأجوج ومأجوج، فإذا خان وقت تدمير السد من قبل ربي، جعله مذكوكاً مسوراً بالأرض، وكان وعد ربي ثابتاً كاتباً لا يتخلف.

٩٩- وتركنا بعض الناس يوم خروج يأجوج ومأجوج مما وراء السد والذي هو من علامات الساعة، يضطربون يوم القيامة، لكثرتهم وتراحمهم، ونفخ في القرن لقيام الساعة النفخة الثانية. نفخة البعث، فجمعنا الخلاق في مكان واحد للحساب والجزاء، بعد إحيائهم من القبور.

١٠٠- وأظهرنا جهنم يوم الحشر للكافرين ليشاهدوها، إظهاراً جلياً.

١٠١- الكفار الذين كانت أعينهم في غشاء عن ذكر الله: وهو القرآن والآيات الكونية المؤدية إلى التوحيد والتمجيد، وكانوا يكرهون سماع القرآن ومجالسة النبي خشية أن يؤمنوا، وليس المراد عجزهم عن السمع.

١٠٢- أظن الكفار أن يتخذوا عبادي كالملائكة والمسيح وعزير والشياطين وغيرهم أرباباً معبودين ولا أعاقبهم! إنا هيأنا جهنم للكافرين نُزلاً ينزلون به، والنزول: مكان الضيافة، وعبر به تهكماً بهم.

١٠٣- قل أيها النبي للناس: هل نخبركم بأشد الناس خسارة لأعمالهم؟

١٠٤- هم الذين ضاع عملهم عبثاً في الحياة الدنيا بسبب كفرهم، وهم يظنون خطأ بعبادتهم غير الله أنهم يحسنون عملاً يجازون عليه.

١٠٥- وهم الذين جحدوا بدلائل توحيد الله من الآيات الكونية والتنزيلية، وكفروا بالبعث وكذبوا بقاء الله في الآخرة، فبطلت أعمالهم الحسنة لكفرهم بالله، فلا نقيم وزننا لهم ولا لأعمالهم، وإنما هم محقرين.

١٠٦- ذلك الأمر المذكور، وهو ترك إقامة الوزن هو ﴿جزاؤهم﴾ وهو ﴿جهنم﴾ بسبب كفرهم وهزتهم بآيات الله ودعوة رسله. ذلك: إشارة إلى ترك إقامة الوزن، و﴿جزاؤهم﴾: خير البتداء، و﴿جهنم﴾: بدل منه.

١٠٧- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمرهم الله بها، لهم جنات الفرديس: وهي أعلى درجات الجنة منزلاً ينزلون فيها.

١٠٨- وهم خالدون فيها على الدوام، لا يظلبون تحولاً عنها إلى غيرها.

١٠٩- قل أيها النبي: لو كان ماء البحر حبراً لكتابة كلمات علم الله ومعلوماته غير المحدودة، لنفد البحر في كتابتها قبل أن تنتهي، ولو جتنا بمثل البحر بحوراً أخرى تمدها، والمدد: الزيادة والمعونة، أي أن المعاني القائمة بنفس الله، وهي المعلومات لا تنهاى، والبحر متناه ضرورية. قالت اليهود: أوتينا علماً كثيراً، أوتينا التوراة، ومن أوتي التوراة، فقد أوتي خيراً كثيراً، فنزلت الآية.

فَأَسْطَعُوا أَن يَصُرُّهُ وَمَا اسْتَطَعُوا لِمِيقَاتِهِ ۗ قَالَ هَذَا رَحْمَةٌ مِنِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۗ ﴿٩٧﴾ وَرَكَابُهُمْ يَوْمَئِذٍ مُّبَوَّجَةٌ فِي بَعْضٍ وَمَخْرَجٌ فِي الْأَصُورِ فَجَمَعْتَهُمُ جَمْعًا ۗ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرْضًا ۗ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ فِي غَظَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۗ أَفَسِبَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا ۗ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ۗ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يُحْسِنُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۗ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَلَا تَلْهُمُ وَلَا يَلْمُهُمْ وَلَا يَنْصُرُهُمْ أَلَيْسَ لَدُنَّ رَبِّهِمْ عِلْمٌ بِمَا كَفَرُوا ۗ وَأَتَّخِذُوا آلَ إِبْرَاهِيمَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ اللَّهِ ۗ إِنَّا لَنَدَّبُهُمْ بِهَا ۗ وَالصَّلَاتُ كَانَتْ لَهُمْ حِجَابًا يُغْمِضُونَ ۗ وَالَّذِينَ فِيهَا مِن قَبْلِهَا لَا يَسْمَعُونَ نَجْوَاهُمْ ۗ قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَادَا كَلَّمَتْ رَبِّي لَتَفْتَدِيَ النَّاسُ قُلُوبَهُمْ بِالذَّهَبِ أَلَيْسَ لَدُنَّ رَبِّي مُدَادٌ ۗ قُلْ لَوْ كُنَّا نَعْلَمُ مَادَا كَلَّمَتْ رَبِّي لَتَفْتَدِيَ النَّاسُ قُلُوبَهُمْ بِالذَّهَبِ أَلَيْسَ لَدُنَّ رَبِّي مُدَادٌ ۗ ﴿٩٨﴾

قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُ الْكَوْكِبُ إِلَهُ وَاحِدٌ فَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴿١٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كَيْفَ عَصَى ﴿١﴾ ذَكَرَ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا ﴿٢﴾ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ يَدَّاءَ حَفِيًّا ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا وَلَوْ أَنَّ كُنْتُ بُدْعًا لِرَبِّ سَقِيمًا ﴿٤﴾ وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ مِن وَرَائِي وَكَانَتِ امْرَأَتِي عَاقِرًا فَهَبْ لِي مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ﴿٥﴾ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ وَاجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ﴿٦﴾ يَزَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ اسْمُهُ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا ﴿٧﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي يَكُونُ لِي عَذَابٌ مِّمَّا تَفْعَلُ لَئِن لَّمْ يَكُنْ لِي رَحْمَةٌ مِّنْ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿٨﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْبَةٍ وَقَدْ خَلَقْنَاكَ مِن قَبْلُ وَلَوْ نَشَاءُ لَنَمَسُّنَا آلَكَ فَلاَ نَعْبُدُكَ إِنَّا كَافِرُونَ ﴿٩﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً قَالَ أَنبَأُكَ الْآلُ الْكَاثِرِينَ ﴿١٠﴾ لَيْلًا سَوِيًّا ﴿١١﴾

١١٠- قل أيها النبي: إنما أنا مجرد بشر آدمي مثلكم، ولكن خصني الله بالوحي والرسالة، ومن هذا الوحي الأمور به أن الإله المعبود إله واحد لا شريك له في ألوهيته، فمن كان يأمل ويطمع ببقاء الله بالبعث والجزاء، وهو شأن المؤمنين، فليعمل عملاً صالحاً في الدنيا: وهو كل ما دلّ الشرع على أنه خير يثاب عليه فاعله، ولا يشرك أحداً من الخلق بعبادة الله ربه، والرياء: داخل في الشرك، وهو الشرك الخفي.

سورة مريم

فضلها: قال ابن مسعود في قصة الهجرة الأولى إلى أرض الحبشة من مكة: إن جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه قرأ صدر هذه السورة على النجاشي وأصحابه.

١- كاف، ها، يا، عين، صاد: حروف للتنبيه، وتحدي العرب بالإتيان يمثل القرآن المكون من مثل هذه الحروف العربية التي هي مادة الخطابة والكتابة والشعر، وهي لغتهم.

٢- هذا الذي نتلوه هنا قصة رحمة الله عبده زكريا من أنبياء بني إسرائيل، زوج خالة عيسى عليهما السلام، وكان نجاراً. أضاف الرحمة إلى فاعلها وهو الله، وعبده مفعولها، وزكريا: بيان للعبد.

٣- حين نادى ربه سرا في جوف الليل؛ لأنه أسرع للإجابة، وأبعد عن الرياء.

٤- قال: يا رب، إنه ضعف العظم في بدني بسبب الكبر، وانتشر الشيب في رأسي، وهو كناية عن الهرم، ولم أكن محروماً خائباً من إجابتك، بل كنت تيمم دعائي، فلا تخيبني في هذه المرة.

٥- وإني خفت الأقارب والعصبات من بني العم ونحوهم من بعد موتي أن يرثوني، فيضيعوا الدين؛ لأنهم كانوا مهملين أمر الدين، وامرأتي عاقرة: لا تلد من أصل الخلق، فامتنحي من عندك ولداً صالحاً من صلي.

٦- يرثني ويرث من آل يعقوب العلم والنبوة، ويعقوب: هوني الله إسرائيل، وزوجة زكريا هي أخت مريم بنت عمران، من ولد سليمان بن داود بن إسحاق بن إبراهيم عليهم السلام، وليس المراد وراثة المال؛ لأن الأنبياء لا يورثون، واجعله يا رب مرضياً، في أخلاقه وأفعاله.

٧- فأجاب الله دعاه، فنادته الملائكة عن الله بقوله: ﴿يا زكريا﴾: نحن نبشرك بغلام اسمه يحيى، لم نسم أحداً قبله بهذا الاسم، ولا شبيه له في الصلاح والورع.

٨- قال زكريا: كيف وما الطريقة التي سيكون بها، كيف يوجد الغلام وزوجتي عقيم لا تلد من غير كبر، وقد بلغت منتهى الكبر والشيخوخة؟ والسؤال بحسب الأحوال المعتادة، لا استبعاداً لقدرة الله تعالى.

٩- قال الله بالوحي: لا تعجب، فالأمر منجز على هذه الحال، قال ربك: هو أمر سهل ميسور علي، فهو مثل خلقك من ابتداء، خلقتك من العدم قبل ذلك، ولم تكن شيئاً موجوداً، وإيجاد الولد بالتوالد المعتاد أهون من ذلك وأيسر.

١٠- قال زكريا: رب اجعل لي علامة على وقوع وتحقيق البشارة، قال الله: علامتك ألا تقدر على الكلام ثلاث ليال مع أيامهن، وأنت سوي الخلق والحواس بلا علة من خرس ولا بكم ولا مرض يمنحك من النطق.

١١- فخرج زكريا على قومه من المصلّى الذي يصلي فيه، فأشار إليهم إشارة بيده: أن صلوا صباحاً ومساءً، شكرًا لله على فضله.

١٢- ولما ولد يحيى وبلغ مبلغ الخطاب نودي وقلنا له: يا يحيى خذ التوراة بجد واجتهاد، وأعطيناه القدرة على فهم أسرار التوراة صبيًا قبل بلوغ سن الرجال.

١٣- وجعلناه ذا حنان وشفقة وعطف على الناس من عندنا، وذا طهارة نفس من الآثام، وكان من أهل الطاعة وإخلاص العبادة.

١٤- وكان كثير البر بوالديه والطف والإحسان إليهما، ولم يكن متكبرًا، ولا عاصيًا لربه.

١٥- وأمان عليه من الله يوم ولادته وموته وبعثه حيًا يوم القيامة، والإنسان أحوج إلى الأمان في هذه المواطن الثلاثة.

١٦- واذكر أيها النبي في القرآن خبر مريم بنت عمران عليها السلام، حين اعتزلت عن أهلها مكانًا نحو الشرق من دارها أو من بيت المقدس، لتخلو للعبادة، بسبب صلاحها وتقواها.

١٧- فاتخذت سترًا يستترها عن الناس، حتى لا يشغلها شاغل، فأرسلنا إليها جبريل عليه السلام، فتمثل لها بصورة بشر تام الخلق.

١٨- وفوجئت برؤيته وخافت، وقالت: إني أستجير بالرحمن منك، إن كنت ممن يخاف الله، فنتهي عني وتتعد بتعودي بالله تعالى.

١٩- قال جبريل مطمئنًا لها ومهدئًا من روعها: يا مريم أنا رسول ربك الذي استعدت به، أرسلني إليك، ولست من فعلة سوء، وإنما لأتسبب في أن ينحك الله غلامًا طاهرًا من الذنوب، وذلك بالنفخ في القميص.

٢٠- قالت مريم متعجبة مستغربة: كيف يكون لي غلام، ولم يقربني زوج، ولم أكن زانية؟!

٢١- قال جبريل: لا تعجبي، فالأمر هكذا على هذه الحال، من خلق ولد من غير أب، قال ربك: هو علي سهل يسير؛ لأنه القادر على كل شيء، ولنجعل هذا الغلام وخلق من غير أب آية للناس على قدرتنا التامة، ورحمة لهم من لما يرشدهم إليه من الهداية والخير الكثير، وكان خلقه أمرًا مقدرًا مقضيًا به في الأزل وفي علم الله تعالى.

٢٢- فنفخ جبريل في جيب قميصها، فوصلت النفخة إلى بطنها، فحملته، فاعتزلت به مكانًا بعيدًا من أهلها وعن الناس، حتى لا يراها أحد.

٢٣- فألجأها واضطرها للمخاض: حالة الولادة، إلى ساق النخلة لتستند إليه وتتعلق به، كما تتعلق كل حامل بشيء لشدة وجع الطلق، قالت: يا ليتني مت قبل هذا الأمر والكرب، استحيا من الناس ومخافة من لومهم، وكنت شيئًا مهملاً لا يعرف ولا يذكر.

٢٤- فنادها ملك من مكان منخفض، تحت الأكمة التي فيها النخلة: لا تحزني، قد جعل ربك تحتك نهرًا صغيرًا يجري ماؤه.

٢٥- وهزتي نحوك جذع النخلة، تسقط عليك رطبًا (تمرًا طازجًا) طريًا ناضجًا.

فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْحَرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا ﴿١١﴾ يَبْحَثُ حُذَّ الْكِتَابِ بِقُوَّةٍ وَأَنَّهُ الْعَلَمُ صَبِيًّا ﴿١٢﴾ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَاةً وَكَانَ تَقِيًّا ﴿١٣﴾ وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ وَلَمْ يَكُن جَبَّارًا عَصِيًّا ﴿١٤﴾ وَسَلَّمْ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ وَيَوْمَ يَمُوتُ وَيَوْمَ يُعْتَبَرُ حَيًّا ﴿١٥﴾ وَادَّكَّرَ فِي الْكِتَابِ مَرَّةً إِذِ انْتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرَفِيًّا ﴿١٦﴾ فَأَتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرًا سَوِيًّا ﴿١٧﴾ قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا ﴿١٨﴾ قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا ﴿١٩﴾ قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ أَكُ بَعْثًا ﴿٢٠﴾ قَالَ كَذَلِكَ قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَى هَيْنٍ وَلِجَعَلَنَّهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا ﴿٢١﴾ فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَذَتْ بِهِ مَكَانًا قَصِيًّا ﴿٢٢﴾ فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَلَيْتُنِي مَتَّ قَبْلَ هَذَا وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنْسِيًّا ﴿٢٣﴾ فَأَادَهَا مِنْ تَحْتِهَا الْأَخْرُوبُ فَجَعَلَ لَبَّكَ تَحْتَكِ سِرًّا ﴿٢٤﴾ وَهَزَّتْ لِيكَ جِذْعَ النَّخْلَةِ فَسَقَطَ عَلَيْكَ رُطْبًا حَيًّا ﴿٢٥﴾



فَكُلِي وَأَشْرَبِي وَوَقَرِي عَيْنًا فَمَا تَرَيْنَ مِنَ الْبَشَرِ أَحَدًا فَقُولِي إِنِّي
 نَذَرْتُ لِلرَّحْمَنِ صَوْمًا فَلَنْ أُكَلِمَ النَّاسَ الْيَوْمَ أَنبِيًّا ﴿٢٦﴾ فَأَنْتَ بِهِ
 قَوْمًا تَجْهَلِينَ قَالُوا لِمَ نَبْرَمُ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا قَرِيبًا ﴿٢٧﴾ بِنَاخَتِ
 هَضْرُونَ مَا كَانَ أَبُوكَ أَمْرًا سَوِيًّا وَمَا كَانَتْ أُمَّكَ نَبِيًّا ﴿٢٨﴾
 فَأَشَارَتْ إِلَيْهِ قَالُوا كَيْفَ نَكَلِمُ مَنْ كَانَ فِي الْمَهْدِ صَبِيًّا ﴿٢٩﴾
 قَالَ إِنِّي عَبْدُ اللَّهِ ءَأَنْبَىٰ لَكُمْ وَجَعَلَنِي نَبِيًّا ﴿٣٠﴾ وَجَعَلَنِي مَبْرُكًا
 ابْنِ مَرْكُوتٍ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴿٣١﴾ وَبَرًّا
 بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا سَفِيًّا ﴿٣٢﴾ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ يَوْمَ
 وُلِدْتُ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا ﴿٣٣﴾ ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ
 قَوْلَ الْحَى الَّذِي فِيهِ يَمْذَرُونَ ﴿٣٤﴾ مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَخْجِدَ مِنْ وَلَدٍ
 سَخِرَ لَهُ إِذَا قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٣٥﴾
 وَإِنَّ لِلَّهِ رَبِّكَ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ
 ﴿٣٦﴾ فَأَخْلَفَ الْأَحْرَابُ مِنْ بَنِيهِ قَوْمًا الَّذِينَ كَفَرُوا
 مِنْ مَشْهَدِ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٣٧﴾ أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ يَوْمَ يَأْتُونَكَ
 لَنْ نَكُنَ الْفَالِقُونَ الْيَوْمَ فِي صَلْبٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾

٢٦- فكلتي من الرطب، واشربي من النهر،
 ولتسكن عينك أي لتطب نفسك وابتعدي عن
 الحزن، فإن رأيت إنساناً، فأشيري له: إني نذرت
 للرحمن الصمت عن الكلام، فلن أكلم أحداً من
 الناس بعد ذلك، أي بعد هذا النذر.

٢٧- فأنت بعيسى ولدها قومها حاملة إياه من
 المكان القصي، فلما رأوا الولد، قالوا لها
 مستنكرين: لقد فعلت شيئاً غريباً منكراً.

٢٨- يا شبيهة هارون في العفة والعبادة، وهو
 رجل صالح من بني إسرائيل في ذلك الوقت، أو
 هو النبي أخو موسى عليهما السلام المشهور
 بالهدوء والصلاح، لم يكن أبوك أهل فحش، ولم
 تكن أمك زانية، فمن أين لك هذا الولد؟

٢٩- فأشارت إلى طفلها عيسى ليحجيب عن
 التساؤل، قالوا: كيف تكلم مولوداً ما يزال في
 المهدي: وهو فراش الصبي الرضيع الموطأ؟

٣٠- قال عيسى: إني عبد الله- وهو أول اعتراف
 بالعبودية لله تعالى- قدر وقضى لي في الأزل
 بإعطائي الإنجيل (البشارة) وجعلني نبياً مرسلًا
 لهداية الناس به.

٣١- وجعلني نفاعاً للعباد معلماً للخير،
 وأمرني بالصلاة وزكاة المال، ما دمت حياً في الدنيا.

٣٢- وجعلني باراً بوالدتي كثير الإحسان إليها، ولم يجعلني متكبراً متعظماً، عاصياً لربي.

٣٣- والأمان والسلامة من الله علي يوم الولادة، ويوم الموت، ويوم البعث حياً.

٣٤- ذلك الموصوف بهذه الصفات هو عيسى ابن مريم، لا ما يصفه النصارى، وهو قول الحق الذي لا
 رب فيه في حقيقة عيسى، الذي يشكّون ويختلفون فيه، وهم اليهود والنصارى.

٣٥- ما ينبغي ولا يصح لله تعالى أن يتخذ ولداً، تنزه الله وتقدس عما يقولون، إذا أراد أمراً، قال له: كن
 فيكون. والقادر على الخلق القوري قادر على خلق عيسى من غير أب.

٣٦- وإن الله هو ربي وربكم، فاعبدوه وحده ولا تشركوا به أحداً، هذا هو الطريق القيم الذي لا عوجاج
 فيه، الموصل إلى الجنة.

٣٧- فاختلّف أهل الكتاب من اليهود والنصارى فيما بينهم في أمر عيسى، فقال اليهود: إنه ساحر، وابن
 زني، ابن يوسف النجار، وقالت النصارى: هو ابن الله، أو هو الله، أو ثالث ثلاثة، فهلاك للذين كفروا بالله
 الذين زعموا أن له شريكاً، من شهود يوم عظيم الهول، وهو يوم القيامة.

٣٨- ما أشد سمعهم وما أقوى بصرهم يوم يأتوننا للحساب والجزاء في الآخرة، أي أن سمعهم وبصرهم
 يكونان تامين، فيدركون حقيقة الأمر، خلافاً لما كانوا عليه في الدنيا، لكن الكافرون الظالمون أنفسهم في
 الدنيا في خطأ واضح.

٣٩- وخوف أيها النبي المشركين من يوم القيامة، يوم الحسرة والندامة، فيه يتحسر المسيء على إساءته، والمحسن على قلة إحصائه، حين فرغ من الحساب وسبق الفرقان إلى الجنة والنار، وهم الآن في الدنيا في غفلة عنه، وهم لا يؤمنون به، أي بيوم القيامة.

٤٠- إننا نحن الذين نرث الأرض كلها ومن كان عليها من أهلها بما هلكهم، وإلينا يردون يوم القيامة للجزاء.

٤١- واذكر للناس أيها النبي في القرآن الموحي إليك به خير إبراهيم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، لم يكذب قط، نبياً مرسلًا من عند الله. والمطالبة بذكر قصته؛ لأنه أبو العرب، ولا عترفهم بملته.

٤٢- حين قال إبراهيم لأبيه آزر: يا أبي، لماذا تعبد الأصنام التي لا تسمع دعواتك، ولا تبصر عبادتك، ولا تفكك شيئاً من جلب نفع أو دفع ضرر.

٤٣- يا أبي، قد أتاني بطريق الوحي الإلهي نصيب من العلم، ما لم يأتك شيء منه، وهو علم يرشد إلى الحق، ويهدي الضال، فاتبعتني أرسلك إلى دين قوم فيه النجاة من المكروه والسعادة في الدارين.

٤٤- يا أبي، لا تطع الشيطان في عبادة الأصنام، فإن عبادتها في الحقيقة عبادة له؛ لأنه الأمر بها، فحين تطيعه

وَأَذْرَهُ يَوْمَ الْحَسْرَةِ إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْهَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾ وَأَذْرُ فِي الْكَيْبِ إِبراهيمُ إِذْ كَانَ صَدِيقًا نَبِيًّا ﴿٤١﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا ﴿٤٢﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكُمْ سَبِيلًا وَسَوَاءٌ بِمَا اتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ ﴿٤٣﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا ﴿٤٤﴾ يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا ﴿٤٥﴾ قَالَ أَرَأَيْتَ أَنْتَ عَنِ الْعَلِيِّ يَا بَرِيعُ لِمَ تَزَعُمُ أَنْ تَرْتَدُّهُ لِأَرْحَمِكَ وَأَهْرَبِي مَلِيًّا ﴿٤٦﴾ قَالَ سَلِمَ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ﴿٤٧﴾ وَأَعْرَضَ الْكُوفُ وَاللَّهَعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُوا رَبِّي عَسَى أَلَا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا ﴿٤٨﴾ فَلَمَّا أَعْرَضَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا ﴿٤٩﴾ وَوَهَبْنَا لَهُمُ مِنْ رَحْمَتِنَا وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا ﴿٥٠﴾ وَأَذْرُ فِي الْكَيْبِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴿٥١﴾

في عبادة الأصنام، تكون عابداً له، إن الشيطان كثير العصيان للرحمن، وشديد المخالفة له.

٤٥- يا أبي، إنني أخاف عليك بهذه العبادة للأصنام أن يصيبك عذاب من الرحمن يوم القيامة، فتكون قريباً للشيطان في اللعن وعذاب النار.

٤٦- قال الأب آزر مهدداً: أمعرض أنت يا إبراهيم عن تلك الأصنام ألهمتي، ومتصرف إلى غيرها؟ لئن لم تنته عن التعرض لها ومقالك فيها لأرجمك بالحجارة أو لأشتمك، فاحذرنى، وفارقني واتركني دهرًا طويلاً.

٤٧- قال إبراهيم لأبيه متلطفاً: سلام عليك مني، سلام توديع ومشاركة لن أتعرض لك بسوء، ولكن سأستغفر لك ربي طالباً منه الهداية والمغفرة، إنه كان مبالغاً في إكرامي واللفظ بي، فيجيب دعائي. وقد وفي بوعده قائلاً: ﴿واغفر لأبي﴾ [الشعراء ٢٦/٨٦] وكان هذا الوعد بالدعاء قبل أن يعلم أنه يموت على الكفر.

٤٨- وأترككم وما تعبدون من غير الله، وأعبد ربي وحده، أرجو ألا أكون بعبادة ربي خائباً شقيماً، مثل خيبتكم وشقاوتكم في عبادة ألهمكم.

٤٩- فلما تركهم هم وأصنامهم، وهاجر في سبيل الله من بلده إلى أرض بيت المقدس، وهبنا له إسحاق ابنه، ويعقوب حفيده، إيناساً له في غربته، وبدلاً من الأهل الذين فارقهم، وكل واحد من الابن والحفيد جعلناه نبياً.

٥٠- وأعطينا الثلاثة عدا النبوة كثيراً من خيري الدنيا والآخرة من المال والولد والصحف، ورزقناهم ثناء حسناً رفيعاً على الألسن إلى قيام الساعة. استعمل اللسان فيما يصدر عنه وهو الثناء، كاستعمال اليد في العطاء.

٥١- واذكر أيها الرسول ما أنزل عليك في القرآن من قصة موسى، إنه كان مختاراً للطهر من النقائص وتكليم الله، وكان رسولاً مرسلًا من الله لعباده، ونبياً يتبهم عن الله بشرائعه.

٥٢. وكلمناه من الجانب الأيمن: جانب الطور على بين موسى وهو متجه إلى مصر، وقربناه تقريب تشريف وتكريم لمناجاة ربه وتكليم الله بلا واسطة، بأن أسمعه الله كلامه.

٥٣. ومنحنا لموسى من رحمتنا به وإنعامنا عليه أخاه هارون نبياً لمؤازرته، حين دعا قاتلاً: ﴿واجعل لي وزيراً من أهلي، هارون أخي﴾ [طه ٢٩/٢٠-٣٠].

٥٤. واذكر أيها الرسول فيما أنزل عليك في القرآن قصة إسماعيل، إنه كان مشهوراً بصدق الوعد، مبالغاً فيه، وكان رسولاً من ربه إلى قبيلة جرهم، على شريعة إبراهيم، نبياً يخبر بما شرعه الله تعالى.

٥٥. وكان يأمر أهله بإقامة الصلاة، وإيتاء الزكاة لمن يستحقها، وكان مرضياً عند ربه، لاستقامة أقواله وأفعاله، والمرضي عند الله: الفائز في كل طاعاته بأعلى الدرجات.

٥٦. واذكر أيها الرسول فيما أوحى إليك في القرآن خبر إدريس، وهو سبط شيث، وجد نوح لأبيه، وأول من خط بالقلم، إنه كان كثير الصدق والتصديق بالحق، نبياً من الأنبياء الكرام.

٥٧. وجعلنا له منزلة عالية في الدنيا والآخرة

وَيَذُرْنَاهُ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ الْأَيْمَنِ وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا ۖ وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا أَخَاهُ هَارُونَ نَبِيًّا ۖ ۝٥٢ وَأَذْكُرُ الْكَافَّيْنِ إِسْمَاعِيلَ إِتَّقَى اللَّهَ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ۖ ۝٥٣ وَكَانَ بِأَمْرِ أَهْلِهِ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا ۖ ۝٥٤ وَأَذْكُرُ الْكَافَّيْنِ إِدْرِيسَ إِتَّقَى اللَّهَ كَانَ صِدْقًا نَبِيًّا ۖ ۝٥٥ وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا ۖ ۝٥٦ أُولَئِكَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ مِنْ ذُرِّيَةِ آدَمَ وَمِمَّنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ وَمِنْ ذُرِّيَةِ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْرَائِيلَ وَمِمَّنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا إِذْ نَسْتَأْذِنُ عَلَيْهِمْ أَنْتَ الرَّحْمَنُ الْخَمِيدُ ۖ وَيُحَيُّونَا ۖ ۝٥٧ خَلَقَ مِنْ بَعْدِهِمْ خَلْفًا ضَاعُوا الصَّلَاةَ وَاتَّبَعُوا الشَّهْوَاتِ فَسُوفَ يَلْقَوْنَ عَذَابًا ۖ ۝٥٨ إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يظْمَأُونَ فِيهَا شَيْئًا ۖ جَنَّتْ عَدْنُ الْيَتِيمِ وَعَدَا الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْقَيْبِ إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ مَأْتِيًّا ۖ ۝٥٩ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا إِلَّا سَلَامًا ۖ وَهُمْ فِيهَا زَوْجُرُوفٌ فِيهَا بُرُوجٌ وَعَشِيًّا ۖ ۝٦٠ تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا ۖ ۝٦١ وَمَا نُنزِّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفُنَا وَمَا يَنْبَغِي ذَلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ۖ ۝٦٢

يشرف النبوة والزلفى عند الله، رفعه الله إلى السماء الرابعة، كما جاء في الحديث الصحيح عن أنس بن مالك عن النبي ﷺ.

٥٨. أولئك المذكورون من الأنبياء في هذه السورة من زكريا إلى إدريس: الذين أنعم الله عليهم من الأنبياء، من ذرية آدم كإدريس، ومن ذرية من حملنا في السفينة مع نوح كإبراهيم بن سام بن نوح، ومن ذرية إبراهيم كإسماعيل وإسحاق ويعقوب، ومن ذرية إسرائيل: وهو نبي الله يعقوب، وهم موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى، ومن جملة من هدينا إلى الإسلام، واخترناهم أنبياء كراماً، إذا تتلى عليهم آيات الرحمن بكوا من غير صوت وسجدوا من خشية الله تعالى.

٥٩. فخلف من بعد أولئك الأنبياء خلف سوء تركوا الصلاة، وارتكبوا المحرمات كشرب الخمر والزنى، فسوف يلقون شراً، أي جزاء ذلك.

٦٠. إلا من تاب من ذنوبه، وأطاع الله في أمره ونهيه، فأولئك يدخلون الجنة، ولا يتقصون شيئاً من الثواب.

٦١. هي جنات إقامة دائمة التي وعد الرحمن عباده وهي غائبة عنهم لم يروها، إن مواعده آت لا محالة.

٦٢. لا يسمعون في الجنة فضولاً هنراً من الكلام لا يفيد، لكن يسمعون سلاماً (تحية) من الملائكة ومن بعضهم، يأتيهم ما يشتهون من الطعام والشراب في الجنة، على الدوام، صباحاً ومساءً وكل وقت يريدون.

٦٣. تلك الجنة بهذه الأوصاف وغيرها التي نجعلها لأهل التقوى خاصة.

٦٤. وقال جبريل للرسول ﷺ حين سأله عن سبب قلة نزول الوحي عليه، أي قل: يا جبريل: وما ننزل إلا إذا كنا مأمورين بالنزول، لا نتقل إلا بإذنه ومشيئته، لله كل ما يحيط بنا من الزمان والمكان والجهة، والزمان يشمل الماضي والحاضر والمستقبل، ولا ينسى الله شيئاً وإن تأخر. والمراد: ما كان عدم نزول الوحي إلا لعدم الأمر به.



٦٥- الله خالق السموات والأرض ومالكهما وما بينهما ومدبر شؤونهما، فاعبده وحده، واثبت على عبادته واصبر على مشاقها، ليس لله مثل ولا نظير ولا شبيه، فلا بُد من التسليم لأمره.

٦٦- ويقول الإنسان الكافر الذي ينكر البعث متعجباً: هل إذا مات سأخرج من القبر أو أبعث حياً بعد الموت؟ نزلت في أبي بن خلف حين أخذ عظاماً بالية، وفتها بيده، وقال: زعم لكم محمد أنا نبعت بعدما نموت. وفي قول آخر: نزلت في الوليد بن المغيرة وأصحابه.

٦٧- ألا يتذكر هذا الجاحد أننا خلقناه في أول خلقه، ولم يكن شيئاً مذكوراً، فيستدل بالابتداء على الإعادة، وهي أهون.

٦٨- قسماً بربك أيها الرسول، لنجمعن الكفار المنكرين للبعث مع الشياطين في المحشر يوم القيامة، ثم لنحضرنهم حول جهنم من خارجها ياركبن على الركب، لا يتمكنون من الوقوف، لما يصيبهم من هول الموقف وشدة الحساب.

٦٩- ثم ننتزع ونخرج من كل فرقة ضالة أشدهم كفرة أو تمرداً وتكبيراً، لنقدمه للعذاب أولاً، ثم الأتباع ثانياً.

٧٠- ثم إننا نعلم من هو أحق بجهنم ودخولها ومقاساة حرها.

٧١- وما منكم من أحد إلا ما يجهنم وهي خامدة على الصراط المددود عليها، كان مروركم بها أمراً محتماً واجباً، قضى الله بوقوعه، فلا ينقض وعده مطلقاً.

٧٢- ثم ننجي من العذاب الذين اتقوا الكفر والمعاصي، ونترك الكافرين فيها جاثين على الركب، أي هامدين لا يتمكنون من الخروج.

٧٣- وإذا تلى على الناس آيات القرآن المنزلة واضحات لمن تأملها، قال الكفار للمؤمنين: هل فريقنا خير مكاناً وامتزلاً، وأحسن مجلساً ومجتمعاً وأكثر أنصاراً أو فريقكم؟

٧٤- وكثيراً ما أهلكنا من الأمم الماضية- والقرن: الأمة والجماعة- من هم أكثر مالاً ومتاعاً في البيت من فرش وأثاث، وأجمل منظراً وهيئة، أي نضارة وحسناً.

٧٥- قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: من كان غارقاً في الكفر والأهواء، فجزاؤه أن يتركه في ضلالته وطينانه، ويمده فيهما ويستدرجه، حتى إذا شاهد هؤلاء المشركون المتفاحرون ما يوعدون به: إما العذاب في الدنيا بالقتل والأسر كما حدث يوم بدر، وإما العذاب الحاصل يوم القيامة، فسيعلمون حينئذ من هو شر وأسوأ مكاناً وامتزلاً، لا خير مكاناً من الفريق الآخر، وأقل أعواناً، لا أكثر مجتمعاً ومجلساً.

٧٦- ويزيد الله المهتدين هداية إلى الخير، وثباتاً على الإيمان؛ لأن الخير يدعو إلى الخير، والأعمال والطاعات خير عند الله جزاءً، وخير مرجعاً وعاقة.

رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾ وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ أَءِذَا مَاتُ اسْتُوفِيَ أَخْرَجَ حَيًّا ﴿٦٦﴾ أَوْ لَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا ﴿٦٧﴾ فَوَرَبِّكَ لَنَحْضُرَنَّهُمْ وَالشَّيْطَانِ ثُمَّ لَنَحْضُرَنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ حَيًّا ﴿٦٨﴾ نَلْتَمِزَنَ مِن كُلِّ شَيْعَةٍ أُمَّةً أَشَدَّ عَلَى الرَّحْمَنِ عِتِيًّا ﴿٦٩﴾ لُمُؤْمِنِي أَعْمَالُ الَّذِينَ هُمُ أَوْلَىٰ بِمَا صِلِيًّا ﴿٧٠﴾ وَإِن مِّنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا ﴿٧١﴾ ثُمَّ نَجِي الَّذِينَ اتَّقَوْا وَنَدَرُوا الظَّالِمِينَ فِيهَا حِجَابًا ﴿٧٢﴾ وَإِذَا تَلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيَّنَّتْ قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا الْحَقُّ الْفَرِيقَيْنِ حَيْرٌ مِّمَّا وَآحْسَنُ نِدْيًا ﴿٧٣﴾ وَكَذَٰلِكَ نَافِئُهَا مِن قُرْآنٍ هُمْ أَحْسَنُ أَتْنًا وَرِدَةً ﴿٧٤﴾ كُلٌّ مِّنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ فَلْيَمْدُدْ لَهُ الرَّحْمَنُ مَدَدًا حَتَّىٰ إِذَا رَأَىٰ مَا يُوعَدُونَ إِنَّمَا الْعَذَابُ وَآمَّا السَّاعَةِ فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضْفُ جُنْدًا ﴿٧٥﴾ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدُوا هُدًىٰ وَالْبَلِيَّةُ الْأَصْلَاحُ حَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابٌ وَخَيْرٌ مَّكَرًا ﴿٧٦﴾

أَفْوَيْتَ الَّذِي كَفَرْنَا بِعِبَادَتِنَا وَقَالَ لَا أُوتِيَنَّ مَالًا وَلَا وِلْدَانًا
 ٧٧. أَطْلَعُ الْغَيْبِ أَمْ أَتَّخِذُ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٧٨. كَلَّا
 سَكَتُ مَاقُولٌ وَعَدُّ لَهُ مِنْ لَعْنَاتِ مَلَأَ ٧٩. وَسِرُّهُ
 مَا يَقُولُ وَيَأْتِنَا فَرْدًا ٨٠. وَأَتَّخِذُ مِنْ دُونِ اللَّهِ آلِهَةً
 لِيَكُونَ لَهُمْ عِزًّا ٨١. كَلَّا سَيَكْفُرُونَ بِعِبَادَتِهِمْ وَيَكُونُونَ
 عَلَيْهِمْ ضِدًّا ٨٢. أَلَمْ نَرَأْ أَنْ أَرْسَلْنَا الشَّاطِئِينَ عَلَى الْكَافِرِينَ
 تَوْزِعُهُمْ ٨٣. فَلَا تَجْعَلْ عَلَيْهِمْ يُمًّا نَعُدُّ لَهُمْ عَذَابًا ٨٤. يَوْمَ
 نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا ٨٥. وَسَوْفَ يُجْرِمُونَ إِلَى
 حِمْمِهِمْ وَرَدًّا ٨٦. لَأَيُّكُمْ لَسْفَعَةٌ لِإِيمَانٍ أَتَّخِذُ عِنْدَ
 الرَّحْمَنِ عَهْدًا ٨٧. وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا ٨٨. لَقَدْ جِئْتُمْ
 شَيْئًا إِذَا ٨٩. تَكَادَ السَّمَوَاتُ يَنْقَطِعْنَ مِنْهُ وَاشْتَقَّ الْأَرْضُ
 وَجَعَلَ الْجِبَالُ هُدًى ٩٠. أَنْ دَعَا إِلَى الرَّحْمَنِ وَلَدًا ٩١. وَمَا يَلْبِغِي
 لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا ٩٢. إِنْ كُنَّ مِنْ فِي السَّمَوَاتِ
 وَالْأَرْضِ إِلَّا مَا فِي الرَّحْمَنِ عِندًا ٩٣. لَقَدْ أَحْصَاهُمْ
 وَعَدَّهُمْ عَدًّا ٩٤. وَكُلُّهُمْ أَلْفٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا ٩٥.

٧٧. أخبر بقصة هذا الكافر بآياتنا وهو العاص بن وائل الذي كان ينكر البعث، ويقول استهزاء: لئن بعثت كما يقول محمد: ليكونن لي مال كثير وأولاد، فلا يهمني شيء. نزلت في العاص بن وائل الذي جاءه خباب بن الأرت يتقاضاه ديناً، فرفض وقال: إني إذا مت ثم بعثت جثثتي، ولي ثم مال وولد، فأعطيتك، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

٧٨. أعلم الغيب وأن يوتى ما قاله، أم اتخذ عند الرحمن عهداً أن يوتى ما قاله ويدخل الجنة؟!

٧٩. كلاً ليس كما قال، إنه مخطئ فيما تصوره لنفسه، لا يوتى ذلك، بل سندون ونحفظ عليه قوله، ونزيده عذاباً فوق عذابه على الكفر والافتراء والاستهزاء بأحكام الله تعالى.

٨٠. ونرت منه المال والولد الذي يقول بأنه يوتاه، أي نسلبه منه بموته، ويأتينا يوم القيامة وحيداً لا مال له ولا ولد.

٨١. واتخذ المشركون من غير الله آلهة يعبدونها من الأصنام والأوثان، ليكونوا لهم في الآخرة منعة وقوة، أي أعواناً وشفعاء، وسبب عزز لهم.

٨٢. كلاً، ليس الأمر كما زعموا، بل ستجحد الأصنام عبادتهم ويتبرؤون منهم، ويكونون عليهم شراً وأعداء، لا عزاً وأنصاراً.

٨٣. ألم تعلم أيها النبي أنا سلطنا الشياطين على الكافرين تغويهم إغواءً، وتغريهم على المعاصي؟!

٨٤. فلا تطلب أيها النبي العجلة بهلاكهم أو تعذيبهم، فلئنما نعد أيام آجالهم عدداً، أي فلم يبق لهم إلا أيام محدودة، ويقاؤهم أحياء ليزدادوا إثمًا.

٨٥. يوم نحشر (بجمع) المتقين ربهم بإيمانهم وافرين معزين إلى دار كرامة الرحمن وهي الجنة.

٨٦. ونسوق الكافرين بكفرهم سوقاً عنيقاً إلى جهنم عطاشاً مهانين.

٨٧. لا يملك أحد من الناس جميعاً الشفاعة، إلا من اتخذ عند الرحمن عهداً بالإيمان الصحيح بالله (التوحيد) وتصديق الرسل، والعمل المرضي.

٨٨. وقال المشركون القائلون: الملائكة بنات الله، واليهود والنصارى الذين ألوهوا العزير وعيسى: اتخذ الرحمن ولداً من الملائكة أو البشر.

٨٩. لقد فعلتم منكراً عظيماً، وقتلتم قولاً شنيعاً. والإد: الداهية والأمر المنكر جداً.

٩٠. تكاد السموات تتشق من هذا القول، وتتصدع الأرض، وتهتد الجبال هدأً، أي تهتمم وتتفتت، لهول هذه الكلمة.

٩١. لأجل ادعاء ولد للرحمن.

٩٢. وما يصح ولا يستقيم أن يتخذ الرحمن ولداً، لأن هذا نقص، والله قادر على كل شيء، لا يحتاج لمعين.

٩٣. ما كل واحد في السموات والأرض إلا أتى الرحمن يوم القيامة خاضعاً له، مقراً بعبوديته. والإتيان هنا معنوي ومادي، بمعنى الخشوع لسultan الله وقضائه.

٩٤. لقد حصرهم الله وعلم عددهم، وعد أشخاصهم عدداً دقيقاً، فلا يخفى أحد عليه.

٩٥. وكل فرد يأتي يوم القيامة وحيداً، بلا مال ولا نصير.

٩٦- إن الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا بطاعة الله واجتنبوا نواهيه، سيجعل لهم الرحمن في القلوب مودة، يعجبهم الناس، ويرضى الله عنهم.

٩٧- فإنما يسرنا هذا القرآن وأنزلناه بلغتك العربية أيها الرسول، لتبشيره المتقين بالجنة، لإيمانهم وعملهم الصالح، وتخوف به قوماً شديدي الخصومة بالباطل، وهم كفار مكة وأمثالهم.

٩٨- وكثيراً ما أهلكنا أما ماضية لتكذيبهم الرسل، هل تحمد منهم أحداً، أو تسمع لهم صوتاً خفياً؟ لا تجد ولا تسمع، والمراد: كما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء.

سورة طه

فضلها: سيأتي في سورة الأنبياء بيان فضلها.

١- ط، ها: حرفان للتنبية والتحدي بإعجاز القرآن، ما دام مركباً من الحروف التي تتكون منها لغة العرب.
٢- ما أنزلنا عليك أيها النبي القرآن لإضناء نفسك بتعب زائد في العبادة، أو بتحسر وحزن شديد على كفر قومك وترك الإيمان برسالتك، فخفف عن نفسك. قال مقاتل: قال أبو جهل والنضر بن الحارث للنبي ﷺ: إنك لتشقى بتترك ديننا، وذلك لما رأياه من

إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا
فَأَنَّا نَسُوهُ لِبَلْسَانِكَ لَلْبَشَرِ الْمَقِينِ وَسُدِّرَ بِهِ قَوْمًا لَدُنَّا
أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مَن قَرِيبٍ هَلْ تَحْسَبُ مِنْهُمْ جَنَادًا وَسَمِعْتُمْ لَهُمْ وَكْرًا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طه ١- مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ٢- إِلَّا تَذَكَّرَ لِمَن
يُخْفَى ٣- تَزِيلًا مِّنْ خَلْقِ الْأَرْضِ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى ٤-
الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ٥- لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَمَا تَحْتَ الثَّرَى ٦- وَإِنْ يُجْهَرُ بِالْقَوْلِ
فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى ٧- اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْأَسْمَاءُ
الْحُسْنَى ٨- وَهَلْ تَنكَ حَوِيَّتْ مُوسَى ٩- إِذْ رَأَى نَارًا فَقَالَ
لِأَهْلِهِ آمَنُوا بِإِنِّي آتِيَةٌ أَنْتُمْ نَارًا أَعْلَى ١٠- إِنِّي أَنَا
أَجِدُ عَلَى النَّارِ هُدًى ١١- فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ بِمُوسَى ١٢- إِنِّي أَنَا
رَبُّكَ فَالْخُفَّ عَمَلِيكَ إِنَّكَ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ١٣

طول عبادته واجتهاده، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿ مَا أَنزَلْنَا... ﴾ [٢].

٣- ما أنزلناه إلا للتذكير والعظة لمن يخاف الله.

٤- نزكناه تنزيلاً من عند خالق الأرض والسماوات العالية، ومعناه الإخبار عن عظمة منزل القرآن.

٥- الرحمن استوى (أي اعتلى وارتفع) على عرش ملكه، وهو استواء يليق به، من غير تشبيه ولا تمثيل.

٦- والرحمن مالك كل شيء ومدبره في السماوات والأرض وما بينهما من الموجودات، وما في باطن الأرض من معادن ومخلوقات.

٧- وإن ترفع صوتك بذكر أو دعاء، فاعلم أن الله غني عن ذلك، فإنه يعلم السر الذي تخفيه، وما هو أخفى من السر كالحواطر والهواجس وأحاديث النفس دون النطق بها.

٨- الله واحد، لا إله معبود في الوجود إلا هو، له أحسن الأسماء الدالة على الكمال، وهي تسعة وتسعون، ورد بها الحديث الصحيح.

٩- وهل بلغتك خبر موسى وقصته مع فرعون وملكه؟

١٠- حين رأى ناراً أثناء سيره من مدين إلى مصر، وبعد خطئه في الطريق، فقال لأهله: أقيموا مكانكم، إني أبصرت ناراً، لملي آتيكم بشعلة من النار، أو أجد عند النار هادياً يدلني على الطريق.

١١- فلما أتى النار، نودي بصوت علي: يا موسى.

١٢- إني أنا الله ربك، فانزع نعليك من قدميك، للتواضع والتأدب، إنك بالوادي المطهر المحترم، المسمى: طوى، الموجود بجانب الطور.



وَأَنَا اخْتَرْتُكَ فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰ ﴿١٣﴾ إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا
فَاعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي ﴿١٤﴾ إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ
أَكَادُ أَخْضِهَا النَّجْرِي كُلِّ نَفْسٍ بِمَا تَسْعَى ﴿١٥﴾ فَلَا يُصَدِّقُكَ عَنْهَا
مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبِعْ هَوَاهُ فَهَدَىٰ ﴿١٦﴾ وَمَا لَكَ بِمِثْنِكَ
يَمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ
بِهَا عَلَىٰ عَيْنِي وَكَيْفَ فِيهَا مَثَرَبٌ آخَرِي ﴿١٨﴾ قَالَ أَلْقِهَا
يَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى ﴿٢٠﴾ فَأَلْقَ خُذْهَا
وَلَا تَحْفَ سُنْعِيدُهَا سِيرَتَهَا الْأُولَىٰ ﴿٢١﴾ وَأَضْمُ يَدَكَ
إِلَىٰ جَنَاحِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَىٰ ﴿٢٢﴾
لِنُرِيكَ مِنْ آيَاتِنَا الْكُبْرَىٰ ﴿٢٣﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ
﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي صَدْرِي مُبَدَّرًا ﴿٢٥﴾ وَتَسْرِعْ لِي مَرِي ﴿٢٦﴾
وَاجْعَلْ لِي وَجْهًا مُبَدَّرًا ﴿٢٧﴾ وَاجْعَلْ لِي وَجْهًا مُبَدَّرًا ﴿٢٨﴾
مِنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ أَشَدُّ دَهَبًا أَرَىٰ ﴿٣١﴾ وَأَشْرَكَ
فِي أَمْرِي ﴿٣٢﴾ كَسَيْتُكَ كَبِيرًا ﴿٣٣﴾ وَتَذَكَّرَ كَبِيرًا ﴿٣٤﴾ إِنَّكَ كُنْتَ
بِنَا بَصِيرًا ﴿٣٥﴾ قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾

١٣- وأنا اخترتك للنسوة والرسالة، فاستمع للوحي بإصغاء وقبول.

١٤- إنني الذي أناديك، أنا الله، فاعبدني ولا تعبد معي آخر، وأقم الصلاة لتذكركني فيها، وخص الصلاة لكونها أشرف الطاعات وأفضلها.

١٥- إن القيامة قائمة حتماً، أقرب مبالغاً في إخفائها ولا أظهرها لأحد، وقيل: أكاد أظهرها وأزيل خفاءها وإنهاء عالم الدنيا، لتجازي كل نفس بما عملت من خير أو شر.

١٦- فلا يصرفك يا موسى عن الإيمان بالساعة من لا يصدق بها، واتبع هواه في إنكارها، فتهلك إن صدقت عنها.

١٧- وما الذي تحمله في يدك اليمنى يا موسى؟ وهو العصا للتنبية على أن المعجزة تقع بها. وتكرار ﴿يا موسى﴾ لزيادة الاستئناس والتنبية.

١٨- أجاب موسى قائلاً: هي عصاي، أتعلم عليها عند الإعياء في المشي، وأضرب بها ورق الشجر ليسقط على غنمي، فتأكله، ولي فيها منافع وحاجات آخر، كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام. استمتع موسى عليه السلام بلذة الخطاب الإلهي، فأجاب بما يزيد على السؤال، وأجمل الكلام في آخره، ليسأله ربه عن تلك المأرب.

١٩- قال الله تعالى: ألق عصاك من يدك يا موسى.

٢٠- فألقها من يده على الأرض، فإذا هي حية تمشي بسرعة وخفة، بقلب أو صافها، فخاف موسى وهرب منها.

٢١- قال الله تعالى له: خذ الحية يمينك ولا تخف منها، ستعيدها إلى حالتها الأولى، وهي كونها عصا.

٢٢- وأدخل كفك اليمنى إلى جنبك الأيسر تحت العضد، ثم أخرجها، تخرج خلاف ما كانت عليه من السمرة مشعة مشرقة كشعاع الشمس، من غير مرض، كالبرص مثلاً، معجزة أخرى غير العصا، لإثبات صدقك في رسالتك.

٢٣- لنريك بهاتين الآيتين بعض آياتنا العظمى الدالة على قدرتنا وعلى رسالتك.

٢٤- اذهب يا موسى رسولاً إلى فرعون، إنه تجاوز الحد في كفره وعتوه وتجبره، حتى ادعى الألوهية، فادعه إلى توحيد الله وطاعته.

٢٥- قال موسى: يا رب وسع لي صدري لتحمل أعباء الرسالة والصبر على مشاقها وأذى الناس.

٢٦- وسهل لي ما أمرتني به من تبليغ الرسالة.

٢٧- وأطلق عقدة لساني، أي حبسته لتيسير النطق وإفهام الناس، ولثلاث ينفر مني الناس.

٢٨- ليفهموا كلامي عند تبليغ الرسالة.

٢٩، ٣٠، ٣١- واجعل لي معيناً من أهلي: هارون أخي، أحكم به قوتي، والأزر: الظهر، أو القوة.

٣٢- واجعله شريكاً لي في أمر الرسالة، شقعه له وطلب أن يكون نبياً مثله.

٣٣، ٣٤- كي نزهك تنزيهاً كثيراً، أو نصلي لك معاً، وتذكرك ذكراً كثيراً.

٣٥- إنك كنت وما زلت عالماً بأحوالنا، ونريد رضاك.

٣٦- قال الله مجيباً له: قد أعطيتك كل ما سألته يا موسى. والسؤل: المسؤول أو المطلوب.

٣٧- ولقد أنعمنا عليك يا موسى بنعم كثيرة أخرى .
والمن: الإحسان والتفضل .

٣٨- حين الهمنا أمك الإلهام كإلهام النحل اتخاذ البيوت ،
وقد يكون يتمثل ملك في صورة بشر كما حصل لمريم في
النفخ في قميصها .

٣٩- الهمناها: أن القبه في الصندوق الخشبي ، ثم ألق
الصندوق في نهر النيل ، ثم أمرنا النهر أن يلقبه بالشاطئ ،
فياخذ الصندوق عدو لله وعدو لموسى وهو فرعون ،
والقيت عليك يا موسى محبة كائنه مني في قلوب الناس ،
فلا يراك أحد إلا أحبك ، ولتبري برعايتي وحفظي .

٤٠- حين تمشي أنت على الشاطئ ، تسابع الصندوق
بنظرها لتري موضع استقراره ، فأخذك فرعون وزوجته ،
فعرفت أنهما يطلبان لك مرضعة ، فلم تقبل بشدي امرأة غير
أمك ، فقالت لهما: هل أدلكم على مرضعة تكفل إرضاعه
وتربيته ، فردناك إلى أمك كي تُسرَّ وتسعد بروجوع ولدها
إليها ، ولا تحزن أبداً على فراقك . وكنت قتلت خطأ قطياً
بمصر حين استغاث بك الإسرائيلي ، فأمنك من الخوف ،
ونجيناك من غم القتل ، وخلصناك من المحن والشدائد مرة
بعد أخرى قبل النبوة كالسفر ماشياً من مصر إلى مدين ،
وترك الوطن والأصحاب في مصر ، وفقد الزاد ، ورعي
الغنم عند شعيب ، فبقيت عشر سنين مع أهل مدين : وهي
على ثمانتي مراحل من مصر ، في جنوب فلسطين في

وَلَقَدْ مَسْنَا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ
﴿٣٨﴾ أَنْ أَدْفِنِي فِي التَّابُوتِ فَأَدْفِنِي فِي الْبَيْتِ فَأَلْقَيْتَهُ إِلَيْكَ
بِالسَّاحِلِ يَأْخُذُهُ عَدُوِّي وَعَدُوُّ لَوْ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ حَجَةً مِّنِّي
وَلِنُصِّعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمَثَّلَ لَكَ مَلَكٌ فَقَوْلُ هَلْ أَدْرَأُكُمْ عَلَىٰ
مَنْ يَكْفُلُهُ فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَتَلْتَ
نَفْسًا فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِيتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ
ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَفَيْنَاكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾
أَذْهَبَ أَنْتَ وَأُخُوكَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نَبِيَّ فِي ذِكْرِي ﴿٤٢﴾ أَذْهَبَ إِلَىٰ
فِرْعَوْنَ أَنَّهُ يُطْفِئُ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَحْشَىٰ
﴿٤٤﴾ فَلَا رَيْبَ إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْفِئُنَا ﴿٤٥﴾ قَالَ
لَاخُفَا فَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمِعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَأَهُمْ قَوْلًا أَنَا رَسُولٌ رَبِّكُمْ
فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا تَعْبُدْ بِهِمْ فِدْحَتِكَ بِسَابِغٍ
مِّنْ زَيْتٍ وَالتَّسْلِيمَ عَلَيَّ مِنْ أَسْبَغِ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوحِيَ
إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَيَّ مِنْ كَذِبٍ وَفَوَيْكَ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ رَجَعْنَا
يَا مُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ حَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾

الجنوب الشرقي للطور عند خليج العقبة ، ثم جئت إلى جبل الطور في وقت مقدر في قضائي وقدري الأزلي لأكلمك وأجعلك نبياً
يا موسى ، والمراد: جئت على وفق الوقت الذي قدرته للرسالة ، وكرر ﴿يا موسى﴾ للتبني على غاية القصة ، وهي التكليم .

٤١- وجعلتك مختاراً لتحمل رسالتي وتبليغها للناس .

٤٢- اذهب أنت وأخوك هارون بمعجزاتي : وهي الآيات التسع كالجراد والظوفان والضفادع ، ولا تفترا ولا تقصرا في ذكر الله
وتسبيحه وعبادته ، وتبليغ الرسالة .

٤٣- اذهب يا موسى مع أخيك هارون إلى فرعون ، إنه تجاوز الحد في الكفر والتعرد بادعائه الربوبية .

٤٤- فقولا له قولاً لا خشونة فيه ، بدعوته إلى الإيمان برفق لا عنف فيه ، لعله يتعظ ويتأمل فيؤمن ، أو يخاف عذاب الله ،
فيكف عن طغيانه .

٤٥- قالوا : ربنا إننا نخاف أن يجعل علينا بالعقوبة والقتل ، أو يجاوز الحد في الإساءة إلينا ويزداد تكبراً .

٤٦- قال الله تعالى لهما : لا تخافا إنني معكما بالنصر والعمون والحفظ ، أسمع وأرى ما يجري بينكما وبين فرعون .

٤٧- فاذهبوا إليه فقولا له : إننا أرسلنا من ربك إليك لتبليغك الرسالة والإقرار بتوحيد الله ، فأطلق سراح بني إسرائيل من الأسر ،
ولا تعذبهم بذيح أبنائهم وتسخير نساءهم للخدمة وتكليفهم بمشاق الأعمال ، قد جنتك بأية من ربك تشهد لنا بالنبوة ، وهي العصا
واليد ، والسلامة من العذاب في الدارين لمن صدق بآيات الله تعالى .

٤٨- لقد أوحى الله إلينا أن الهلاك في الدنيا ، والخلود في النار بسبب التكذيب بآيات الله ورسله ، والإعراض عن الإيمان بها ،
والإقرار بوحداية الله تعالى . ويلاحظ أنه تعالى قدم البشارة بالسلام للترغيب ، ثم صرح بالعقاب للتهديد .

٤٩- قال فرعون : فمن ربي كما يا موسى ؟ خاطب الاثنين ثم خص موسى لأنه الأصل ، وهارون وزيره .

٥٠- قال موسى : ربنا الذي منح كل نوع من المخلوقات تركيبه وصورته التي اختارها له ، ثم أرشده لأداء وظيفته .

٥١- قال فرعون: فما حال الأمم الماضية التي لم تقر الله بالوحدانية، وهو الرب الذي تدعو إليه يا موسى؟ بل عبدت الأوثان ونحوها.

٥٢- قال موسى: علم أحوال الأمم الماضية وأعمالهم محفوظة عند ربي، في اللوح المحفوظ، لا يخطئ ربي في علم شيء، ولا ينسى ما علمه منها، والمراد بذلك إثبات كمال علم الله تعالى.

٥٣- الذي خلق لكم الأرض عمدة كالفرش، للعيش عليها يسر، وسهل لكم فيها طرقاً تسلكونها من أرض إلى أرض لتبلغوا منافعها، وأنزل من السماء (السحاب) مطراً، فأنتبنا به أصنافاً من النباتات المختلفة الألوان والطعوم والروائح.

٥٤- كلوا من تلك النباتات، وارعوا أنعامكم فيها، إن في ذلك المذكور هنا لدلالات على وحدانية الله وقدرته.

٥٥- من الأرض خلقناكم في الأصل، فإِنَّ التراب أصل خلقة آدم، وفي الأرض نعيدكم بعد الموت بالدفن فيها، ومن الأرض نبعثكم مرة أخرى للحساب والجزاء.

٥٦- ولقد بصّرنا فرعون كل الآيات التسع الدالة على نبوة موسى، فكذب فرعون بها، وأبى الإيمان وطاعة الله لعته وعناده.

٥٧- قال فرعون: أجتتنا يا موسى بقلب العصا حية واليد البيضاء، وهو نوع من السحر، لتغلب على أرضنا مصر وتخرجنا منها، ويصبح الملك لك فيها.

قَالَ قَائِلٌ مِنَ الْقُرُونِ الْأُولَى ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنْسَى ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ هَذَا وَسَوَّلَ لَكُم فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّى ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ وَمِنهَا خَلَقْنَاكُمْ وَمِنَهَا نَمِيذُكُمْ وَمِنهَا نُخْرِجُكُمْ نَارَةَ أُخْرَى ﴿٥٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاهُم آيَاتِنَا كُلَّهَا فَكَذَّبُوا وَأَبَى ﴿٥٦﴾ قَالُوا أَجِئْنَا بِسِحْرٍ جَدِيدٍ ﴿٥٧﴾ فَلَمَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْيَمِينَ بِسْمِ رَبِّكَ فَاعْبُدْهُ يَسِّرْنَا لِلنَّاسِ مَوْجِدًا لِّخَلْقِهِمْ وَجَعَلْنَا لِكُلِّ شَيْءٍ مَّكْرًا وَسُورًا ﴿٥٨﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٦٠﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٦٢﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٦٣﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٦٤﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٦٥﴾ قَالُوا لِمَ نَدْعُكَ إِذْ نَدَعُوا آلَهُمْ قَوْمَهُمْ هُمْ أَوْلَىٰ بِدُعَائِهِمْ إِنَّا لَنَاقِلُونَ ﴿٦٦﴾

٥٨- فلنأتينك بمثل السحر الذي جئت به، لمعارضتك، فاجعل بيننا وبينك يوماً ومكاناً معلومين، وهو زمان الاجتماع، لأنخلف ذلك الوعد نحن ولا أنت، في مكان وسط بين الفريقين، أو في مكان مستور، يشاهده جميع الحاضرين.

٥٩- قال موسى: موعدهم يوم العيد المشهور الذي تتزينون فيه، وحده موسى لفرغ الناس واجتماعهم فيه جميعاً، وأن يجتمع الناس في الضحى، أي بعد شروق الشمس وارتفاعها عالياً، لتكون الرؤية واضحة، فلا يشكوا في المعجزة.

٦٠- فانصرف فرعون عن المجلس، فجمع ما يكيد به من السحرة وأدواتهم، ثم أتى الموعد بهم.

٦١- قال موسى للسحرة: هلاك لكم، أي أهلككم الله، لا تختلقوا كذباً على الله، بادعائكم أن المعجزات على يد الرسول سحر، فيستأصلكم بعداب، وقد خسروا هلك من اختلق أي كذب على الله تعالى.

٦٢- فتشاور السحرة وتناظروا فيما بينهم واختلفوا في أمر موسى حين سمعوا كلامه، وتناجوا فيما بينهم سراً في خفاء تام فيما يعملون مع موسى.

٦٣- قالوا لأنفسهم: ما هذان إلا ساحران أي موسى وهارون، يريدان أن يخرجناكم من أرض مصر بسحرهما، أو يذهبا مجذبهكم الأفضل في السحر؛ لأن السحرة كانوا معظمين.

٦٤- أحكموا تدبيركم الخفي واعزموا عزمًا مؤكداً على خطة واحدة، ثم تقدموا صفاً واحداً لتبهروا الأبصار، وقد فاز اليوم من غلب. وهذا قول السحرة مع بعضهم.

٦٥- قال السحرة عند بدء المباراة: يا موسى، أنت بالخيار بين أن تلقي أولاً على الأرض عصاك، أو بين أن تلقي نحن أولاً عصياناً، وفي ذلك أدب عال.



٦٦- قال لهم موسى مقابلاً الأدب بمثله ولتكون معجزته أظهر: بل اقصوا ما معكم من أدوات السحر، فحُيِّل إليه وتوهم أن حبالهم وعصيهم تتحرك بسرعة كالإفاعي.

٦٧- فأحس موسى بالخوف من أن يغلب، وأن يلتبس أمره على الناس، فلا يؤمنوا به؛ لأن سحرهم من جنس معجزته.

٦٨- قلنا لموسى حينئذ: لا تخف، إنك أنت الغالب لهم

٦٩- وألق العصا التي في يمينك، تبتلع بقوة وسرعة جميع ما صنعوه من الحبال والعصي، فإيما الذي صنعوه مجرد حيلة مدبرة، وكيد سحري لا حقيقة له، ولا يفلح الساحر أينما كان وأيما أقبل.

٧٠- فعلم السحرة أن فعل موسى ليس بسحر، بل هو من الله، فخروا ساجدين خاضعين لله، ثم قالوا: أمنا برب هارون وموسى، والمراد: أن معرفتهم الحق، أخضعتهم له بقوة، فسجدوا لله، وآمنوا بموسى.

٧١- قال فرعون للسحرة: كيف أمتمتم لموسى واتبعتموه على دينه، قبل أن أسمع لكم، إن موسى معلمكم الكبير الذي علمكم السحر، وقد

تواطمتم على ما فعلتم، مريداً بذلك إدخال الشبهة على الناس حتى لا يؤمنوا، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من جهتين مختلفتين، يد يميني ورجل يسرى مثلاً، ولأصلبكم على جذوع النخل، وقد اختارها لخشونتها وأذاها، ولتعلمن هل أنا أشد وأدوم عذاباً أم رب موسى؟

٧٢- قال السحرة لفرعون: لن نختارك على ما جاءنا به موسى من المعجزات الواضحات الدالة على صدقه، ولن نختارك على الله الذي خلقنا، فاصنع ما أنت صانع، بما تهددنا به، إيما سلطانك وقضاؤك محصور في هذه الحياة الدنيا.

٧٣- إنا صدقنا برينا الخالق ليغفر لنا ذنوبنا السابقة من الكفر وغيره، ويغفر ما أكرهتنا عليه من عمل السحر. وهذا يدل على أنهم يعلمون أن السحر تضليل وخداع. والله خير منك ثواباً إذا أطيع، وأدوم منك عذاباً إذا عصي.

٧٤- إنه من يلق ربه ميتاً على الكفر والعصيان، فله جهنم لا يموت فيها فيستريح، ولا يحيى حياة سعيدة فتنفعه.

٧٥- ومن يلق الله ميتاً على الإيمان لا يشرك بالله أحداً، قد عمل ما أمر الله به، من الفرائض والنوافل، فأولئك لهم المنازل العالية عند الله تعالى.

٧٦- تلك المنازل في جنات إقامة دائمة، تجري الأنهار من تحت غرفها، ماكثين فيها على الدوام، وذلك جزاء من تطهر من الذنوب والكفر.

قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَأَجَابُهُمْ وَعَصِيهِمْ يُحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُمْ
سَأَلُوهُ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٦٦﴾ فَلَمَّا لَاحَظَ
إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٦٧﴾ وَأَلْقَى مَا فِي يَمِينِكَ تَلَفَتْ مَا صَنَعُوا إِذْ مَا
صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٨﴾ فَأَلْقَى السِّحْرَ
مُجْتَمِعًا فَأَلْقَوْا مَنَايِبَ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٦٩﴾ فَأَلَاءَ اسْتَمَرَّ لَهُ قَبْلَ
أَنَّهُ أَذِنَ لَكُمْ لِكُفْرِكُمْ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَا تَطْعُنَ أَيْدِيكُمْ
وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَلَا صَلْبَيْكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ وَتَعَلَّمْنَ
إِنَّمَا أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى ﴿٧٠﴾ فَأَلْوَالِنْ تُؤْتِرُكَ عَلَى مَا جَاءَكَ
مِنْ أَيْمَانِكَ وَالَّذِي فَطَرْنَا فَأَقْصِ مَا أَنْتَ فَاقِصٌ إِنَّمَا نَقْضِي
هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧١﴾ إِنَّمَا مَنَايِبُنَا لِيُغْفِرَ لَنَا خَطِيئَاتِنَا
وَمَا أَكْرَهْنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَبِيرٌ أَبْقَى ﴿٧٢﴾
إِنَّهُ مِنْ بَابٍ رَبِّهِ مُجْرِمًا فَإِنَّ لَهُ جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَى
﴿٧٣﴾ وَمَنْ يَكُفِرْ بَعْدَ إِيمَانِهِ مَاتَ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ
فَأُولَئِكَ لَهُمْ أَجْرُكَ الْعَمَلَى ﴿٧٤﴾ جَنَّتٌ عَدْنٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى ﴿٧٥﴾

٧٧- ولقد أوحينا إلى موسى أن سر بعبادي بني إسرائيل من مصر ليلاً، فاجعل لهم بعصاك التي تضربها في البحر طريقاً ييساً، وهو بحر السويس، آمناً من متابعة أحد، لا تخاف إدراكاً ولخوفاً من العدو فرعون، ولا تخاف غرقاً في البحر أو من فرعون.

٧٨- فأتبعهم فرعون بنفسه مع جنوده، فغمرهم وعلاهم من ماء البحر ما غمرهم، وتكرر غشيمهم أي غطاهم للمبالغة والتسهيل. أي أطبق عليهم الماء، وغرقوا جميعاً.

٧٩- وأضل فرعون قومه عن الرشدي الدين، وما هدهم إلى خير، بدعوتهم إلى تاليه وعبادته.

٨٠- وناسب ذلك تعداد النعم على الإسرائيليين، يا بني إسرائيل، قد أنجيناكم من عدوكم: فرعون وقومه بإغراقهم، ووجدنا رسولكم موسى لتلقي التوراة، جانب جبل الطور في سيناء في الناحية اليمنى على يمين موسى وهو قادم إلى مصر من مدين، ونزلنا عليكم في التيه المن: وهو نوع من الحلوى تتجمع على أوراق الشجر، والسلوى: وهو طائر طيب اللحم هو السمانى.

٨١- كلوا أيها الإسرائيليون من مستلذات الأطعمة الحلال التي أنعمنا بها عليكم، ولا تتجاوزوا المباح إلى

ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعادي فأضرب لهم طريقاً في البحر يساً لا تخف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون مجنوداً فغشيمهم من التيم ما غشيمهم وأضل فرعون قومه وما هدى يبنى أسرياً فلما أنجيناكم من عدوكم ووعدكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحل عليكم غصبي ومن يحل عليه غصبي فقد هوى وإن لفنار لمن تاب وآمن وعمل صالحاً ثم اهتدى وما أجلك عن قومك يعمى قال لهم أولاد على أنرى وعجلت إليك رب لرضى قال فإننا قد فتنا قومك من بعدك وأضلهم السامري فوج موسى إلى قومه غضبين أسفاً قال يقوم ألتبعكم ربكم وعداً حسناً أفطال عليكم العهد أم أردتم أن يجعل عليكم غصباً من ربكم فأخلفتموعدى فالوأمأ خلقنا موعداً كما كنا حملنا أواداً من زينة القوم فقد قمنا كذلك ألقي السامري

الحرام بالبطر والسرف ومنع الحق، وكفر النعمة وترك شكرها، فينزل عليكم غضبي وعقوبي، ومن ينزل عليه غضبي فقد سقط وهلك في الهاوية وهي قعر النار.

٨٢- وإنى لكثير المغفرة وستر الذنوب لمن تاب من الشرك، وآمن بالله وحده وبما يجب الإيمان به من الملائكة والكتب والرسل واليوم الآخر، وعمل العمل الصالح الذي أمر به الشرع، ثم استقام على ذلك حتى مات.

٨٣- ثم أخبر سبحانه عما حدث أثناء الليقات، مبتدئاً بعتاب موسى: وما الذي دفعك إلى العجلة في السير، حتى تركت قومك وسبقتهم، يا موسى؟

٨٤- قال موسى: هم لاحقون بي عن قريب، وعجلت إليك ربي لترداد رضاً عني بذلك.

٨٥- قال الله تعالى: فإننا قد اخترنا قومك بعبادة العجل بعد فراقك، وأضلهم موسى السامري الذي كان منافقاً بصناعة العجل والدعوة إلى عبادته.

٨٦- فعاد موسى إلى قومه غضبان شديد الأسف والحزن على ما صنع قومه، قال: يا قوم، ألم يعدكم ربكم وعداً حسناً بإعطاء التوراة التي فيها هدى ونور، هل طال عليكم زمان المفارقة وهو شهر وأيام، فنسيتم الوعد بالثبات على الإيمان، أم أردتم أن يتزل عليكم عقاب ونقمة من ربكم؟ فأخلفتم وعدى الذي واعدتونه بالثبات على الإيمان وطاعة الله تعالى إلى أن أرجع من الطور.

٨٧- قالوا له: ما أخلقنا وعدك باختيارنا، وإنما اضطررنا، فإننا حملنا أناماً من حلي قوم فرعون بمصر، حين أخذتها نساؤنا منهم إعارة، لما أردنا الخروج من مصر، لاستعمالها كذباً بمناسبة عيد أو وليمة، فطرحناها في النار بأمر السامري للخلاص من إنهما، وكما ألقينا الحلي، ألقى السامري ما معه من الحلي في النار، ثم ألقى عليه قبضة من أثر الرسول جبريل.



٨٨- فصاع من تلك الحلي المذابة عجلاً مجرد جثة لا روح فيها، له خوار: صوت كصوت البقر، فقال السامري وموافقوه: هذا إلهكم وإله موسى، فنسي موسى ربه هنا، وذهب يطلبه عند الطور. وصناعة العجل: هو ما تعلمه بنو إسرائيل من المصريين.

٨٩- أفلا يتأملون في أن هذا العجل لا يرد عليهم جواباً إذا سألوه، ولا يقدر على أن يدفع عنهم ضراً أو يجلب لهم نفعاً، فكيف يكون إلهاً؟!

٩٠- ولقد قال لهم هارون قبل عودة موسى من الطور: إنما ابتليتكم واختيرتم في إيمانكم بهذا العجل، فإياكم أن تعبدوه، وإن الله الرحمن ربكم فاتبعوني في عبادته والشبات على الحق، ولا تتبعوا السامري، وأطيعوا أمري في تلك العبادة، لا أمره.

٩١- قالوا الهارون: سنستمر أو لن نزال مقيمين على عبادة العجل، حتى يرجع إلينا موسى، فينظر هل يقرنا على عبادة أم ينهانا عنها؟ فاعتزلهم هارون.

٩٢، ٩٣- قال موسى بعد رجوعه: يا هارون ما منعك من مقاومة الباطل والكفر بالله، وألا تبغني في الصلابة في الحق والغضب لله، حين رأيتمهم ضلوا بعبادة العجل، أفعصيت أمري فيما عهدت إليك من

فَأُخْرِجْ لَهُمْ عَجْلاً جَدِيداً لَهُ خَوَارٌ فَقَالُوا هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى
فَنَسِيَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ الْأَبْرَاجَ إِلَهُهُمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ
ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ يَقَوْمُ إِنَّمَا
فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي
﴿٩٠﴾ فَأَلْوَانٌ نَشْرَجَ عَلَيْهِ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْكَ مُوسَى
﴿٩١﴾ قَالَ يَهْرُونَ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا ﴿٩٢﴾ أَلَمْ تَكُنْ
أَفْصَيْتَ أَمْرِي ﴿٩٣﴾ قَالَ يَبْتُؤُونَ لَأَنَّا أَخْذِلَنَّهُمْ وَلَا يَرَأُونَ
إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ
قَوْلِي ﴿٩٤﴾ قَالَ مَا خَطْبُكَ يَا سَمِيرِيُّ ﴿٩٥﴾ قَالَ بَصُرْتُ
بَمَا لَمْ يُبْصَرُوا بِهِ فَبَغِضْتُ فُجُوزَةَ مِنْ أَتَى الرَّسُولَ
فَنَذَرْتَهَا وَكَذَلِكَ سَوَّاتُ لِي نَفْسِي ﴿٩٦﴾ قَالَ فَاذْهَبْ
فَإِنَّكَ فِي الْخَيْرِ وَأَنْتُمْ لَأَسَاسٌ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا
لَنْ نُخْلِفَهُ وَانظُرْ إِلَى إِلَهِكَ الَّذِي ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا
نَنْتَقِرُهُ ثُمَّ لِنَنْسِفْهُ فِي الْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ إِنَّمَا إِلَهُكُمُ
اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَسِعَ كُلُّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾

إقامة الدين، والدفاع عنه، ثم أمنت بين قوم لا يعبدون الله تعالى؟

٩٤- قال هارون: يا אחي ابن امي- وخص الأم استعطافاً لقلبه- لا تأخذ بشعر لحيتي ولا بشعر رأسي عقاباً وغضباً علي، فإني لم أعص أمرك، وعذري أنني خفت لو اتبعتك في صلابتك ومقاومتهم أن تقول لي: فرقت جماعتهم وجعلتهم فريقين بين مؤيد ومعارض، ولم تعمل بوصيتي لك فيهم بالبقاء معهم وحفظهم، كما في قوله تعالى: ﴿اخلفني في قومي وأصلح﴾ [الأعراف ٧/١٤٢].

٩٥- ثم قال موسى منكراً: ما الذي حملك على هذا الأمر الخطير؟

٩٦- قال السامري: علمت ما لم يعلموه، فأخذت قبضة من التراب من أثر فرس جبريل، حين جاء لإهلاك فرعون، فطرحتها في الحلي المذابة المسبوكة على صورة العجل، ومثل ذلك زيتٌ وحسنتٌ لي نفسي. وهذا تفسير يحتاج لإثبات وتأمل. وقال أبو مسلم الأصفهاني: علمت من صنع التماثيل ما لم يعلموه، فاستعنت ببعض تعاليم الرسول، أي أنت يا موسى، واستخدمتها في هذا العمل الذي زيتته نفسي في أن يكون هذا العجل إله بني إسرائيل.

٩٧- قال موسى له: فاذهب من بيننا، فإن لك طوال حياتك أن تقول لمن رأته عقوبة على فعلك: لا تقربني ولا تخالطني، والمراد أن يعيش طريداً وحيداً مكروهاً منبوذاً، وإن لك موعداً في الآخرة لحسابك وعذابك، ليس فيه خُلفٌ وسيأتي به الله حتماً، وانظر إلى إلهك العجل الذي واطبت على عبادته لنحرقته بالنار، ثم لنذرينه في البحر بشدة، حتى لا يبقى منه أثر.

٩٨- ثم قال موسى لقومه: إنما إلهكم المستحق للعبادة هو الله الذي لا إله معبود بحق إلا هو، أحاط علمه بكل

كذالك نَقَصَ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ مَا قَدْ سَبَقَ وَقَدْ آتَيْنَاكَ
 مِنْ لَدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ مَنْ أَعْرَضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وِزْرًا
 ﴿١٠٠﴾ خَالِدِينَ فِيهِ وَسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حِمْلًا ﴿١٠١﴾ يَوْمَ يُنْفَخُ
 فِي الصُّورِ وَتَحْشُرُ الْجِبْرُوتُ يَوْمَئِذٍ مِرْقًا ﴿١٠٢﴾ يَسْتَحْفُونَ
 بَنِيهِمْ إِنْ لَبِثُوا إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ مَنْ أَعْلَمَ بِمَا يَقُولُونَ إِذْ يَقُولُ
 أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً إِنْ لَبِثُوا إِلَّا يَوْمًا ﴿١٠٤﴾ وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ
 فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَا تَبْقَى
 فِيهَا جَبَلٌ وَلَا أَمْتًا ﴿١٠٧﴾ يَوْمَئِذٍ يَبْسُوتُ السَّمَاوَاتُ وَتَكُونُ سَافِرًا ﴿١٠٨﴾
 وَخَسَفَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٩﴾
 يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفِيعَةُ إِلَّا مَنْ أِذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا ﴿١١٠﴾
 يَعْلَمُ مَا تَرَى عَيْنًا وَمَا حَفَّتْهُمُ الْأَحْطَابُ بِهِ عِلْمًا ﴿١١١﴾
 وَعَبَّتِ الْأَوْجُوهُ لِلرَّيِّ الْقَوِيْرِ وَقَدَحَاتٍ مِنْ حَمَلٍ
 ظُلْمًا ﴿١١٢﴾ وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا
 يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٣﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا
 وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحَدِّثُ لَمْ ذِكْرًا ﴿١١٤﴾

٩٩- مثلما قصصنا عليك أيها النبي قصة موسى والسامري هذه، نقص عليك من أخبار الأمم الماضية تسرية عنك، وإثباتاً لصدقك، وقد أنزلنا عليك من عندنا قرآناً مبيناً.

١٠٠- من أعرض عن هذا القرآن، فلم يؤمن به، فإنه يحمل يوم القيامة عقوبة الذنب. والوزر في الأصل: الحمل الثقيل، ويطلق على الذنب، والمراد به هنا العقاب.

١٠١- خالدين في الجزاء بالنار، وبس الحمل لهم يوم القيامة.

١٠٢- يوم ينفخ إسرافيل في الصور (القرن) النفخة الثانية وهي نفخة البعث للحشر والحساب، ونحشر الكافرين والمشركين يوم القيامة، رُزق الأبدان والعيون من شدة الهول، والغيط والندامة.

١٠٣- يتهامسون ويتساررون بينهم لشدة الرعب والهول قائلين: ما لبثتم في الدنيا إلا عشر ليال. يستقصرون مدة لبثهم فيها لزوَالها السريع.

١٠٤- الله أعلم بأقوالهم في مدة لبثهم، حين يقول أعدلهم رأياً وأصحهم قولاً: ما لبثتم إلا يوماً واحداً.

١٠٥- ويسألك الناس من المشركين وغيرهم عن حال الجبال يوم القيامة، فقل لهم: يقلعها ربي من

أصولها قلعاً، ويفجرها تفجيراً حتى تتفتت ذراتها وتصيح كالرمل السائل، ثم يطيرها كالريح والغبار في يوم عاصف. قالت قريش: يا محمد، كيف يفعل ربك بهذه الجبال يوم القيامة؟ فنزلت هذه الآية.

١٠٦، ١٠٧- فيتركها مع الأرض مستوية ملساء، لا نبات فيها ولا بناء، لا ترى فيها انخفاضاً ولا ارتفاعاً.

١٠٨- يوم القيامة وبعد نفس الجبال والقيام من القبور يتبع الناس داعي الله إلى المحشر، لا انحراف لهم عنه، بل يسرعون إليه، وسكنت وذلت أصوات الخلائق رهبة وهيبة وخشوعاً لله، فلا تسمع أحداً يتكلم إلا بصوت خفي.

١٠٩- يوم القيامة لا تنفع الشفاعة من أحد إلا شفاعته من أذن له الرحمن أن يشفع، ورضي قوله في الشفاعة.

١١٠- يعلم الله سبحانه كل ما قدمه العالم وما أخروه من أمور الدنيا والآخرة، ولا يحيط علمهم بمعلوماته، ولا بذاته وصفاته.

١١١- وخضعت وذلت وجوه المخلوقات للحمي القائم بتدبير عباده ومجازاتهم، والقائم بشؤون ملكه، وقد خس من حمل شيئاً من الظلم كالشرك وغيره.

١١٢- ومن يعمل الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، وهو مؤمن بالله وحده، فلا يخاف يوم القيامة ظلاماً بأن يعاقب من غير ذنب، ولا يخاف نقصاً من حسناته.

١١٣- ومثل إنزال ما ذكر من القصص أنزلنا هذا القرآن بلغة العرب ليفهموه، ونوعنا فيه الروان الوعيد تخويفاً وتهديداً، كي يخافوا الله، فيجتنبوا الشرك والمعاصي، ويحذروا العقاب، أو يحدث لهم القرآن عظة وعبرة حين يسمعون آياته.



١١٤- فتعظم الله الملك الحق في ذاته وصفاته
عن مائلة المخلوقين، وعمما يقوله المشركون، ولا
تستعجل أيها النبي في ترداد القرآن حالة إنزاله،
حتى يتم وحيه وحتى يفرغ جبريل من إبلاغه لك،
وقل: يارب زدني علماً إلى علومي، بدل
الاستعجال. قال السدي: كان النبي ﷺ إذا
نزل عليه جبريل بالقرآن، أتعب نفسه في
حفظه، حتى يشق على نفسه، فيخاف أن
يصعد جبريل، ولم يحفظه، فنزلت الآية.

١١٥- ولقد أمرنا آدم ووصيناه بعدم الأكل من
الشجرة، فسي العهد وترك الامتثال، ولم نجد له
صبراً على الاستمرار في ترك المنهي عنه، ولا
تصميماً على الذنب، وإنما فتر عزمه وأدركه ضعف
البشر، فأخطأ ولم يتعمد.

١١٦- واذكر أيها النبي حين قلنا للملائكة:
اسجدوا لآدم سجود تحية، لا سجود عبادة،
فسجدوا جميعاً إلا إبليس رفض أن يسجد حسداً
وتكبراً.

١١٧- فقلنا: يا آدم، إن إبليس هذا عدو لك
ولزوجك حواء، فلا يكون سبباً لإخراجكما من
الجنة بوسوسته، فتعب بمتاعب الدنيا الكثيرة.

١١٨- إن لك في الجنة أن تتمتع بأنواع المعاش، فلا تجوع فيها، ولا تتعري من الثياب.

١١٩- وألا تعطش فيها ولا تصيبك الشمس اللافتحة الحر.

١٢٠- فحذنه الشيطان خفية في نفسه، قال له: يا آدم، هل أدلك على شجرة الخلود، من أكل منها لم
يمت أصلاً، وأدلك على ملك لا يزول ولا يفنى. وكان ذلك كذباً من إبليس.

١٢١- فأكل آدم وحواء من تلك الشجرة التي نهيها عنها، فظهرت لهما عوراتهما، وشرعا يلصقان على
عوراتهما من ورق شجر الجنة ليستترا به، وعصى آدم ربه بالأكل من الشجرة، فضل عن الرشد وأخطأ وجه
الصواب، حيث اغتر بقول عدوه.

١٢٢- ثم اصطفاه ربه وقرّبه إليه، بعد أن تاب واستغفر، فقبل توبته، ووقفه للثبات على الطاعة والأخذ
بأسباب العصمة في الدنيا، وكان ما سبق منه في الجنة درساً بليغاً وعظة.

١٢٣- قال الله لآدم وحواء: اهبطا من الجنة جميعاً إلى الأرض، بعضكم أيها البشر عدو لبعض، بالتنافس
في أمر المعاش، فإن يأتيكم مني هداية بكتاب ورسول، فمن اتبع هداي بالعمل بأوامري، فلا يضل في الدنيا،
ولا يشقى في الآخرة.

١٢٤- ومن أعرض عن كل ما يذكّر بالله من قرآن وغيره، فله في الدنيا معيشة شاقة ضيقة، شديدة القلق،
أما المؤمن فهو مستريح النفس، ونحشره يوم القيامة أعمى البصر، متحيراً تائهاً.

١٢٥- قال: ربي لمّ حشرتني أعمى؟ وقد كنت بصيراً في الدنيا وعند البعث من القبر.

فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقُّ وَلَا تَجْعَلْ بِالْقُرْآنِ إِنْ مِنْ قَبْلِ
أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا ۖ وَلَقَدْ
عَاهَدْنَا إِلَى آدَمَ مِنْ قَبْلِ نَسْفِ وَلَا تَجْعَلْ لَهُ عِزًّا ۗ وَإِذْ قُلْنَا
لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى ۖ فَقُلْنَا
يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا تَخْرُجْ جَاكِمًا مِنَ الْجَنَّةِ
فَتَسْقَى ۗ إِنَّ لَكَ الْأَجْمَعُ فِيهَا وَلَا تَعْرَى ۗ وَأَنَّكَ
لَا تَظْمَأُ فِيهَا وَلَا تَصْحَى ۗ فَوَسَّسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ
يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةٍ آخِذٍ بِهَا لَأَكَلَا
مِنْهَا فَبَدَّتْ لَهَا سَوْءٌ أَهْمًا وَطَفِيفًا يُخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا
مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى ۗ ثُمَّ أَجْنَبَهُ رَبُّهُ
قِتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَى ۗ قَالَ أَهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ
لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِنَّمَا يَتَّبِعُكُمْ رَبِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ
فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى ۗ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ
لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى ۗ
قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا ۗ

قَالَ كَذَلِكَ أَنْتَ إِنْ لَمْ تُخَفِ لِقَاءَ رَبِّكَ أَنَّكَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٢٦﴾
 وَكَذَلِكَ نُخَوِّدُ الْكَافِرِينَ ﴿١٢٧﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٢٨﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٢٩﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٠﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣١﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٢﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٣﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٤﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٥﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٦﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٧﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٨﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٣٩﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٠﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤١﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٢﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٣﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٤﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٥﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٦﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٧﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٨﴾
 وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٤٩﴾ وَأَنْتَ كَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنصَبُ ﴿١٥٠﴾

١٢٦- قال الله: مثل ذلك فعلت أنت، وهو أنك أنتك آياتنا واضحة، فأعرضت عنها، وتركتها، ولم تؤمن بها، وكذلك اليوم ترك في العذاب.

١٢٧- ومثل جزائنا من أعرض عن ذكر القرآن، نجزي ونعاقب كل من انهمك في الشهوات، وتجاوز الحد في الكفر والمعاصي، ولم يصدق بآيات ربه، بل كذب بها، ولعذاب الآخرة أشد قسوة وإيلاماً من عذاب الدنيا، وأدوم.

١٢٨- أفلم يتبين في القرآن لكفار مكة وأمثالهم أنه كثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم الماضية، وهم يسرون في ديارهم، لتكذيب الرسل، إن في ذلك لعبراً للذوي العقول.

١٢٩- ولولا وعد سابق من الله بتأخير عذاب الإفناء عن هذه الأمة، وتأجيل العذاب إلى الآخرة، لكان الإملاك وعقاب ذنوبهم لازماً لهم في الدنيا، لا يتأخر عنهم، ولولا الرقت المحدد أو المقدر لأعمارهم أو لعذابهم وهو يوم القيامة، لكان العقاب العاجل.

١٣٠- فاصبر أيها النبي على ما يقول المشركون من أنك ساحر كذاب ونحو ذلك، وداوم على التسبيح مع التحميد والصلاة في كل الأوقات قبل طلوع الشمس، أي في صلاة الفجر، وقبل غروبها، أي في صلاة العصر، ومن أجزاء الليل صل المغرب

والعشاء، وصل في وسط النهار- بين طرفي أو نصفي النهار- عند زوال الشمس إلى جهة الغرب وهي صلاة الظهر، لتنال ما عند الله ما به ترضى نفسك.

١٣١- ولا تطل نظر عينيك تئباً ورغبة إلى ما في أيدي الآخرين من متع الحياة الدنيا مما هو من زيتها وبهجتها كالمال والمباني والأثاث والمراكب، لتختبرهم فيه، واجعل همك فيما عند الله، فما ادخره الله لك ووعدك به في الآخرة خير مما منحهم في الدنيا، وأدوم لا ينقطع.

١٣٢- وأمر أهل بيتك بالصلاة، واصبر وداوم على الصلاة، لا تكلفك أن ترزق نفسك وأهلك، نحن نرزقك ونعطيك، والعاقبة المحمودة في الآخرة وهي الجنة لأهل التقوى.

١٣٣- وقال المشركون: هلا يأتينا بآية معجزة حسية من ربه دالة على صدقه في رسالته، كآيات الأنبياء السابقين، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، وإبراء عيسى الأكمه والأبرص، فرد الله عليهم بقوله: أو لم تصلهم أخبار الصحف الأولى كصحف إبراهيم وموسى والتوراة والإنجيل الذي فيها التصريح بنبوته، وبيان أحوال الأمم التي أهلكت بتكذيب الرسل، وهم معترفون بصحتها؟!

١٣٤- ولو أننا أهلكنا هؤلاء المشركين بعذاب من قبل بعثة محمد ﷺ فيهم، لقالوا يوم القيامة: ربنا هلا أرسلت إلينا رسولاً في الدنيا، فتتبع آياتك المرسل بها من أوامر ونواه، من قبل أن نذل بعذاب الدنيا، بالقتل والأسر، ونفتضح بدخول النار في الآخرة.

١٣٥- قل لهم أيها النبي: كل واحد منا ومنكم منتظر ما يوول إليه الأمر في الدنيا، فانتظروا، فستعلمون من هم أصحاب الطريق القويم باتباع الإسلام، ومن اهتدى من الضلالة.

سورة الأنبياء



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 اقْرَبِ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مَعْرُضُونَ ﴿١﴾ مَا يَا أَيُّهُمْ
 مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ ﴿٢﴾ لَاهِيَةً
 قُلُوبُهُمْ وَأَسْرَأَ الْيَتْرَى الَّذِينَ ظَلَمُوا هَلْ هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ
 أَفَأَنْتُمْ السَّيْرُ وَأَنْتُمْ بُصُورُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ
 فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٤﴾ بَلْ قَالُوا
 أَضْعَفُ أَوْلَى مِنْ أَفْرَبِهِ بَلْ هُوَ شَاعِرٌ فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا
 أُرْسِلَ الْأَوْلُونَ ﴿٥﴾ مَا آتَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرِينَةٍ أَهْلَكَهَا أَفَهُمْ
 يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ
 فَشَلُّوا أَهْلًا لِيَذْكُرَ إِن كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٧﴾ وَمَا جَعَلْنَاهُمْ
 جَسَدًا لِأَبٍ أَوْ لِبَنٍ أَوْ لِحَدَثٍ وَأَنْتُمْ مُّعْتَدُونَ ﴿٨﴾ ثُمَّ صَدَقَهُمْ
 الْوَعْدُ فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَشَاءُ وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ ﴿٩﴾
 لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٠﴾

فضلها: روى البخاري عن ابن مسعود قال: «بنو إسرائيل، والكهف، ومريم، وطه، والأنبياء: هن من العتاق الأول، وهن من تِلادي» أي من قديم ما حفظ من القرآن.

١- قُرْب لِلنَّاسِ زَمَانِ حِسَابُهُمْ وَهُوَ وَقْتُ يَوْمِ الْقِيَامَةِ، وَهُمْ مُشْغَلُونَ بِالدُّنْيَا، غَافِلُونَ عَنِ الْآخِرَةِ، مَعْرُضُونَ عَنِ التَّاهِبِ لِلْحِسَابِ فِيهَا، وَالْغَفْلَةُ فِي الْأَصْلِ: عَدَمُ تَذَكُّرِ الشَّيْءِ، وَالْمُرَادُ هُنَا: التَّرْكَ إِهْمَالًا وَإِعْرَاضًا.

٢- مَا يَأْتِي الْكُفَّارَ مِنْ قُرْآنٍ جَدِيدٍ يُنْزَلُهُ إِلَّا اسْتَمَعُوا تِلَاوَتَهُ، وَهُمْ يَسْتَهْزِئُونَ وَيَعْبَثُونَ.

٣- سَاهِيَةٌ مُتَشَاغِلَةٌ قُلُوبُهُمْ عَنِ التَّأَمُّلِ فِي الْقُرْآنِ وَتَفْهَمِ مَعْنَاهُ، وَأَخْفَى الْمَشْرُوكُونَ الظَّالِمُونَ إِخْفَاءً شَدِيدًا مَا تَنَاجَوُا بِهِ فِيمَا بَيْنَهُمْ سِرًّا، قَائِلِينَ: هَلْ هَذَا- أَيُّ مُحَمَّدٍ- أَيُّ مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلَ النَّاسِ، لَا مَزِيَّةَ لَهُ عَلَيْكُمْ، يَأْكُلُ وَيَشْرَبُ، فَكَيْفَ يَكُونُ نَبِيًّا؟ أَتَسْبِعُونَ السَّحْرَ وَهُوَ الْقُرْآنُ وَأَنْتُمْ تَشَاهِدُونَ وَتَعْلَمُونَ أَنَّهُ سِحْرٌ؟

٤- قَالَ النَّبِيُّ ﷺ فِيمَا حَكَاهُ الْقُرْآنُ عَنْهُ: رَبِّي يَعْلَمُ الْقَوْلَ فِي أَيِّ مَكَانٍ قِيلَ فِيهِ، فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، وَهُوَ شَدِيدُ السَّمْعِ لِكُلِّ مَسْمُوعٍ، وَاسِعُ الْعِلْمِ بِكُلِّ مَعْلُومٍ.

٥- بَلْ قَالَ بَعْضُهُمْ: إِنْ مَا أَتَى بِهِ الْقُرْآنُ أَبَاطِيلَ وَأَكَاذِيبَ، وَتَخَالِيطَ أَحْلَامٍ رَأَاهَا فِي النَّوْمِ، وَالْأَضْغَاثَ: مَا لَمْ يَكُنْ لَهُ تَأْوِيلٌ، وَقَالَ آخَرُونَ: بَلْ اخْتَلَقَ الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ نَفْسِهِ، وَلَيْسَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ، وَقَالَ جَمَاعَةٌ: بَلْ إِنْ الْقُرْآنُ هُوَ شِعْرُ شَاعِرٍ عَدْبُ الْكَلَامِ، قَوِي الْبَيَانِ، أَيُّ فَهُوَ كَلَامٌ مَزْخَرٌ بَاطِلٌ، فَإِنْ كَانَ صَادِقًا فَلْيَأْتِنَا بِمَعْجَزَةٍ حَسْبِةٍ كَمَا أُرْسِلَ الرُّسُلُ السَّابِقُونَ بِهَا، كَعَصَا مُوسَى، وَنَاقَةِ صَالِحٍ، وَمَعْجَزَاتِ عِيسَى مِثْلَ إِبْرَاهِيمَ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَإِحْيَاءِ الْمَوْتَى.

٦- مَا آمَنَ قَبْلَ مَشْرُوكِي مَكَّةَ أَهْلَ قَرِيَةَ أَهْلَكْنَاهَا بِتَكْذِيبِ مَا أَتَاهَا مِنَ الْآيَاتِ الَّتِي اقْتَرَحَ حَوْهَا، أَفَهُمْ يُؤْمِنُونَ لَوْ جِئْتَهُمْ بِهَا؟ وَالْمُرَادُ: لَمْ تَوْمَنْ أُمَّةٌ أَهْلَكْتَ عِنْدَ تَلْبِيَةِ مَا اقْتَرَحُوا، فَكَيْفَ يَوْمَنْ هَؤُلَاءِ لَوْ أُعْطُوا مَا اقْتَرَحُوا؟ نَزَلَتْ حِينَئِذٍ طَلِبَ أَهْلَ مَكَّةَ مِنَ النَّبِيِّ ﷺ أَنْ يَحْوُلَ لَهُمْ الصِّفَا ذَهَبًا.

٧- رَدَّ اللَّهُ عَلَيْهِمْ بِقَوْلِهِ: مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ إِلَّا رُسُلًا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ بِآيَاتِنَا، فَإِنْ جَهِلْتُمْ ذَلِكَ، فَاسْأَلُوا أَهْلَ الْعِلْمِ بِالْكِتَابِ السَّمَاوِيَةِ السَّابِقَةَ، إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ أَنَّ جَمِيعَ الْأَنْبِيَاءِ وَالرُّسُلِ كَانُوا مِنَ الْبَشَرِ.

٨- وَمَا جَعَلْنَاهُمْ مَجْرَدَ جَسَدٍ مُغَايِرٍ لَطِبَاعِ الْبَشَرِ، يَعِشُونَ كَالْمَلَائِكَةِ بِلَا طَعَامٍ وَلَا شَرَابٍ، وَلَمْ يَكُونُوا مَخْلُودِينَ فِي الدُّنْيَا، بَلْ يَمُوتُونَ كَغَيْرِهِمْ مِنَ الْبَشَرِ.

٩- ثُمَّ أَنْجَزْنَا لَهُمُ الْوَعْدَ وَصَدَقْنَاهُمْ فِي الْوَعْدِ، فَأَنْجَيْنَاهُمْ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِمْ مِنَ الْعَذَابِ، وَأَهْلَكْنَا الْمَكْذِبِينَ الْمَجَاوِزِينَ الْحُدَّ فِي الْكُفْرِ وَالْعَاصِي، وَهُمْ الْمَشْرُوكُونَ.

١٠- لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ قُرْآنًا فِيهِ تَخْلِيدُ ذِكْرِكُمْ وَسَمْعَتِكُمْ، أَفَلَا تَتَفَكَّرُونَ بِمَا فِيهِ مِنَ الْمَوَاعِظِ وَالْعِبَرِ؟

١١- وكم أهلكتنا من أهل قرية كانت كاثرة كافرة، وأوجدنا بعد إهلاك أهلها قوماً آخرين مكانهم.

١٢- فلما أدركوا وشعروا بعذابنا إذا هم من قريتهم يهربون مسرعين.

١٣- لا تهربوا وارجعوا إلى ما نعمتم فيه من متع الدنيا، وإلى مساكنكم التي كنتم تفخرون بها، لتسألوا عما حدث لكم، وهذا على سبيل التهكم والاستهزاء والتوبيخ.

١٤- قالوا: يا هلاكتنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر. وهذا اعتراف صريح منهم بالظلم في يوم القيامة.

١٥- فما زالت تلك دعوتهم التي يرددونها بتكرار تلك الكلمة، حتى جعلناهم محصودين بالعذاب كالزروع المحصود، هالكين، ميتين، كخمود النار إذا طفت.

١٦- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما من المخلوقات عابثين لاهين، بل دالين على قدرتنا، مرشدين عبادنا.

١٧- لو أردنا أن نتخذ ما يتلهم به كالزوجة والولد لتخذناه من عندنا كالخور العين والملائكة، إن كنا فاعلين ذلك أي ما كنا، ولكن نحن أجل من أن نلهو، وكل أفعالنا حق لا عبث فيه. والفرق بين اللهو واللعب: أن الأول يقصد به الترويح عن النفس، والثاني لا يقصد به هدف صحيح.

وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَبْلِكَ ظَلَمَةٌ وَأَسَاءُ آبَدَهَا قَوْمًا
آخَرِينَ ﴿١١﴾ فَلَمَّا أَدْرَكُوا أَبَاسًا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ ﴿١٢﴾
لَا تَرْكُضُوا وَارْجِعُوا إِلَىٰ مَا أُتْرِفْتُمْ فِيهِ وَمَسْكَنِكُمْ لَعَلَّكُمْ
تُشْكِرُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَا بُولَاقَ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿١٤﴾ فَأَزَالَتْ
تِلْكَ دَعْوَاهُمْ حَتَّىٰ جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا خِلْمِيَّينَ ﴿١٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا
السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعِبَثَ ﴿١٦﴾ لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ
لَهُوَآءَ لَاتَّخِذْتَهُ مِنْ لَدُنَّا إِنَّ كِتَابَ الْفَعْلِينَ ﴿١٧﴾ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ
عَلَى الْبَاطِلِ قِدْمَهُ فَيَا هُوَرًا مِّنْ لَّوْءٍ لِّمَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾
وَلَهُمْ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَمَنْ عِنْدَهُ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ ﴿١٩﴾ يُسْحَرُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ
لَا يَفْقَرُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِنَ الْأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ
﴿٢١﴾ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحٰنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ
عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٢٢﴾ لَأَسْأَلَنَّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُشْكِرُونَ ﴿٢٣﴾ أَمْ اتَّخَذُوا
مِنْ دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرٌ مِّنْ مَّوْعِيٍّ وَذِكْرُ
مَنْ قَبْلِي بَلْ أَكْذَرُ لَّا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ ﴿٢٤﴾ فَهُمْ مَّعْرُضُونَ ﴿٢٥﴾

١٨- بل نرمي بقوة بالحق وهو الإيمان على الباطل وهو الكفر، وكل ما قالوه كذب وباطل، فيقهره ويفلته، فإذا هو زائل ذاهب، ولكم يا كفار مكة العذاب الشديد في الآخرة، بسبب ما تصفون الله به من الزوجة أو الولد، وكل ما لا يليق به.

١٩- والله جميع من في السموات والأرض ملكاً وعبيداً، والملائكة الذين عنده لا يتعاضمون ولا يأنفون من عبادته، ولا يتعبون ولا يكلون.

٢٠- يتزهون الله ويعظمونه ويذكرونه دائماً في الليل والنهار، لا يسأمون ولا يتوانون، ولا يضعفون.

٢١- بل هل اتخذوا، أي المشركون آلهة كاثرة من الأرض كحجر ومعادن، هم يحيون الموتى من قبورهم؟

٢٢- لو كان في السموات والأرض آلهة غير الله لخرتبا واختل نظام الكون لاستبداد كل إله بتصرف معين، فيقع التنازع والاختلاف، فتتزه الله رب العرش عما يفترى هؤلاء المشركون.

٢٣- لا يسأل الله عما يفعل لعظمته وقوة سلطانه، وإطلاق تصرفه، والعباد يسألون عما يفعلون؛ لأنهم عبيد مملوكون لله تعالى.

٢٤- بل اتخذ المشركون من دون الله آلهة يزعمون أنها تنفع وتضر، قل لهم أيها النبي: هاتوا برهانكم على صحة ادعائكم أنها آلهة، هذا الدليل هو الكتب المنزلة، الأول القرآن الذي هو كتاب أمتي، ثم التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله التي تذكر أهل الأديان السابقة، ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً، كما زعموا، وإنما كلها تؤكد توحيد الله، بل أكثرهم لا يعلمون توحيد الله وتمييز الحق من الباطل، فهم معرضون عن الحق والتوحيد واتباع الرسول جهلاً منهم به.

٢٥- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من رسول سابق إلا أوحينا إليه أنه لا إله معبود بحق إلا أنا الله، فاعبدوني وحدي دون غيري، وهذا تقرير التوحيد.

٢٦- وقال بعض المشركين العرب وهم خزاعة: اتخذ الرحمن ولدًا، فإنهم قالوا: الملائكة بنات الله، تنزيهاً له عن ذلك، بل هم عباد مخلوقون، مقربون لديه، والعبودية تنافي الولادة.

٢٧- لا يتكلمون حتى يأمرهم ربهم، وهم ينفذون أوامره، ولا يعملون شيئاً بغير أمره.

٢٨- يعلم ما عملوا وما هم عاملون في المستقبل، ولا يشفعون إلا لمن ارتضى أن يشفع له، مهابة منه، وهم من عظمته ومهابته تعالى خائفون مرتعدون. والخشية: الخوف مع التعظيم، والإشفاق: الخوف مع التوقع والحذر الشديد.

٢٩- ومن يقل من الملائكة أو من الخلائق على سبيل الفرض: إني إله من غير الله، كإبليس الذي دعا إلى عبادة نفسه، فذلك نعاقيه بهم، ومثل ذلك الجزاء نجزي المشركين وكل من ادعى الربوبية.

وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا أَوْحَىٰ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴿٢٥﴾ وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٦﴾ لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يَسْمَعُونَ إِلَّا الْمَنْ أَرَادَ أَنْ يُنَادِيَكَ بِرَبِّهِ جَحْمٌ ذَلِكَ نُجْحِيُّ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتْ رَتْقًا فَفَتَقْنَاهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا أَفَلَا يَتُوبُونَ ﴿٢٩﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ أَنْ يُبِيدَهُمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا بِنَاغًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُوَ عَنَّا إِلَهًا مَعْرُوضُونَ ﴿٣١﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِلْبَشَرِ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْقَ أَقَابِينَ مَثَ فَهُمْ الْمُخْسِدُونَ ﴿٣٣﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَبَلَّوْكُمْ بِالْأَسْرَىٰ وَالْحَرْبِ وَاللَّيْلِ وَالنَّجْوَىٰ ﴿٣٤﴾

٣٠- أولم يعلم الكفار بالله والمشركون الذي أشركوا مع الله إلهاً آخر أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين شيئاً واحداً، ففصلناهما وميزناهما عن بعضهما بكتلة الهواء، وخلقنا من الماء كل شيء، من حيوان ونبات وغيرهما، أفلا يصدقون بقدرتي وتوحيدي؟!

٣١- وجعلنا في الأرض جبالاً ثوابت، لئلا تتحرك وتضطرب بهم، وجعلنا في الجبال مسالك وطرقاً نافذة ليهتدوا بها إلى مصالحهم في الأسفار.

٣٢- وجعلنا السماء فوق الأرض مثل السقف، محفوظاً من الوقوع بقدرته، وهم عن آيات أو أدلة السماء الدالة على توحيد الله وقدرته وحكمته كالشمس والقمر وغيرهما معرضون لا يتدبرون فيها ولا يتفكرون في خلقها.

٣٣- وبيان تلك الآيات: أن الله هو الذي خلق الليل والنهار، والشمس والقمر، كل منهما يجري في مدار خاص به، يتحركون في هدوء كالسباح في الماء. وقد جمع الفعل الأخير باعتبار جنس الطوالع المتكاثرة كل يوم وليلة.

٣٤- وما جعلنا لبشر من قبلك أيها الرسول دوام البقاء في الدنيا، أفإن مت أيها الرسول كما يتوقعون، فهم المخلدون بعدك؟! نزلت هذه الآية لما قال الكفار: إن محمداً سيموت.

٣٥- وإذا انتفى الخلود لغير الله، فكل نفس ستموت في الدنيا، ونعامله معاملة المختبر بالبلايا والنعم، أو الشدة والرخاء، اختبارةً وابتلاءً لننظر أتصبرون عند الشدة، وتشكرون عند النعمة؟ وإلينا تعودون جميعاً للحساب والجزاء.

وَإِذْ آتَاكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَخِدُّوكَ بِأَلْسِنِهِمْ وَأَهْلُوا هَذَا الَّذِي
يَذْكُرُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَذْكُرِ الرَّحْمَنُ كُفْرُونَ ﴿٣٦﴾ خَلَقَ
الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ سَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ فَلَا تَسْتَعْجِلُونَ
وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٨﴾ لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ
كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارُ وَلَا عَن ظُهُورِهِمْ وَلَا
هُم يُبْصَرُونَ ﴿٣٩﴾ بَلْ أَنذَرْنَاهُمْ غَنَةً فَبَشَّرْنَاهُمْ فَلَا يُسْتَعْتَبُونَ
رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٤٠﴾ وَلَقَدْ أَسْتَهْزَأَ بِرُسُلِ بْنِ قَبِيلِكَ
خَاقٍ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤١﴾ قُلْ مَنْ
يَكْلُؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ
﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ مِنْ دُونِنَا لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَ أَنفُسِهِمْ
وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ ﴿٤٣﴾ بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ حَتَّى طَالَ
عَلَيْهِمُ الْعَمَلُ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا أَنَا فِي الْأَرْضِ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا
أَفَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴿٤٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أُنذِرُكُمْ بِالْوَحْيِ وَلَا يَسْمَعُ
الْأَصْمَاءُ الدُّعَاءَ إِذَا مَا يُنذَرُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَئِنْ مَسَّتْهُمُ نَفْثَةٌ
مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَوْمَئِذٍ إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٤٦﴾

٣٦- وإذا رآك أيها النبي الذين كفروا وهم جماعة المستهزئين المشركين، لا يتخذونك إلا سخرية مهزوءاً به، يقولون: أهذا الذي يعيب آهتكم؟ والحال أنهم إذا ذكر الله الرحمن الواحد هم كافرون به، فهم أحق بالسخرية والعيب، لأنك محق وهم مبطلون. و ﴿هم كافرون﴾ للمبالغة في حصر الكفر بهم. نزلت هذه الآية لما استهزأ أبو جهل بالنبي ﷺ، وقال لأبي سفيان: هذا نبي بني عبد مناف.

٣٧- خلق الإنسان مطبرعاً على شدة العجلة والتسرع، ساركم أيها الكافرون أدلة صدق وعدي بحلول النقم بكم، فلا تستعجلون في الإتيان به قبل أوانه.

٣٨- ويقولون: متى وقت إتيان العذاب، إن كنتم أيها المسلمون صادقين في وعدكم فيما تتلونونه في القرآن؟ وهو ما وعدهم به الرسول وصحبه من عذاب الدنيا والآخرة.

٣٩- لو يعلم هؤلاء الكفار المستعجلون البلاء الذي ينتظرهم حين يعرضون للنار، فلا يستطيعون ردّها، ولا يجدون ناصرًا ينصرهم وينقلهم من العذاب، لما بقوا على كفرهم بربهم، ولما استعجلوا هذا العذاب.

٤٠- بل تأتيهم النار أو الساعة فجأة فتدهشهم وتخبرهم، فلا يستطيعون صرفها عن أنفسهم، ولا هم يؤخرون لتوبة واعتذار.

٤١- ولقد استهزأ الكفار الماضون برسلك أيها النبي، فتزل وأحاط بالذين سخروا واستهزؤوا من رسلهم العذاب الذي أنذرتهم به الرسل جزاء استهزأتهم.

٤٢- قل أيها الرسول لهم: من يحفظكم ويحرسكم بالليل والنهار من العذاب أو العقاب الذي ينزله الرحمن بكم في الدنيا والآخرة إن أراد بكم؟ بل هم عن القرآن معرضون لا يتفكرون فيه.

٤٣- بل ألهم آلهة من دوننا تمنعهم من عذابنا؟ إن تلك الآلهة عاجزة عن نصر نفسها، فكيف تنصر غيرها؟ ولا هم يجارون من عذابنا، فلا يستطيع أحد منع عذابنا عنهم.

٤٤- بل متعنا هؤلاء مشركي العرب في عهد النبوة وآباءهم بما أنعمنا عليهم في الدنيا، حتى طال عليهم العمر في النعمة فاغترتوا بها، وظنوا أنهم أهل لها، أفلا ينظرون أننا نأتي الأرض ننقصها بتخريبها وإهلاك أهلها؟ أفهم الغالبون لنا؟ لا، بل هم المغلوبون.

٤٥- قل أيها الرسول: إنما أخوكم بالقرآن الذي أوحاه الله إلي بحلول الغضب الإلهي عند عصيان الله، ومن أصم الله سمعه لترك العمل بما سمع، لا يسمع الدعوة إلى الحق إذا ما أُنذِر.

٤٦- ولئن أصابهم قدر ضئيل من عذاب ربك، ليقولن: يا هلاكنا، إنا كنا ظالمين لأنفسنا بالكفر وتكذيب الرسل ومنهم محمد ﷺ.



وَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ
شَيْئًا وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا
وَكُفَىٰ بِهَا حَسِيبًا ﴿٤٧﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ
الْقُرْآنَ رِضْيَاءً وَذِكْرًا لِلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ
رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَهَذَا
ذِكْرٌ مِمَّا رَكَّ أَنْزَلْنَاهُ فَاَنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ ﴿٥٠﴾ وَلَقَدْ
آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ ﴿٥١﴾
إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ الَّتِي أَنْتُمْ لَهَا
عَابِدُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَلَوْا وَجِدْنَاهُ آبَاءَ نَاهِلًا وَعَالِدِينَ ﴿٥٣﴾ قَالَ
لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٥٤﴾ فَأَلَوْا
أَجْتَنِبُوا بِلَاقِئِ أُمَّانَتٍ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿٥٥﴾ قَالَ بَلْ
رَبُّكُمْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي ظَهَرُنَّ وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ
مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَكَانَ اللَّهُ لَآكِيدًا نَصْدَكُمُ
بَعْدَ أَنْ قُولُوا أَمْذَرِينَ ﴿٥٧﴾ فَجَعَلَهُمْ جَذَا
إِلَّا كَبِيرًا اللَّهُمَّ أَعْلَمُهُ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ ﴿٥٨﴾

٤٧- ونضع الموازين العادلة لوزن أعمال العباد يوم القيامة، فلا تظلم نفس شيئاً بنقص حسنة أو زيادة سيئة، وإن كان العمل في الخفة والصغر كحبة الخردل، وبمقدار وزنها، جثنا بها وإنما كانت للمجازاة عليها، وكفى بنا مُحْصِينَ كل شيء من أعمال العباد.

٤٨- ولقد أعطينا موسى وهارون التوراة الفارقة بين الحق والباطل، والحلال والحرام، والتي فيها الهداية التي تنير الطريق، والموعظة التي يتعظ بها المتقون ربهم.

٤٩- الذين يخافون عذاب ربهم في خلواتهم، وهو غائب عنهم، أي إنهم مخلصون لا يراؤون الناس، وهم خائفون من أهوال القيامة.

٥٠- وهذا القرآن تذكرة وموعظة، كثير الخير والنفع، أنزلناه على النبي محمد ﷺ أفأنتم أي كيف يا أهل مكة تنكرون إنزاله من الله، وهو في غاية الوضوح؟ وهذا الاستهزام للتوبيخ.

٥١- ولقد أعطينا إبراهيم الرشد، أي الاهتداء

لوجوه الخير والصواب وصلاح الدين والدنيا، من قبل إيتاء موسى وهارون التوراة، وكنا عالمين بأنه أهل لإيتاء الرشد والاتصاف بمكارم الخصال.

٥٢- حين قال لأبيه آزر وقومه جماعة النمرود: ما هذه الأصنام التي أنتم مقيمون على عبادتها؟

٥٣- قالوا له: وجدنا آباءنا من قبل عابدين لها، فاعتدنا بهم.

٥٤- قال إبراهيم: لقد كنتم وآباؤكم بعبادتها في خطأ بين، وزيغ عن طريق الحق.

٥٥- قالوا له: هل أنت جادٌ في قولك، وإن قولك هو الشيء الثابت في الواقع، أم أنت من الهازلين المازحين؟!

٥٦- قال إبراهيم: بل ربكم المعبود وحده المستحق للعبادة هو مالك السموات والأرض، الذي أبدعهم وخلقهم على غير مثال سابق، وأنا على ذلكم من العالمين به، المتحققين صحته، والمبرهنين عليه. والشاهد: من تحقق من الشيء وأقام عليه الحجة.

٥٧- ووالله لأحطمن أصنامكم بعد أن تنصرفوا عنها وترجعوا عن عبادتها.

٥٨- فجعلهم قطعاً متناثرة بتعظيمها بعد ذهابهم إلى يوم عيد لهم إلا كبير الأصنام لم يكسره، ليرجعوا لهذا الكبير، فيسالونه عن الكاسر، فإن لم يجيبهم علموا أن الأصنام لا تضر ولا تنفع.

قَالُوا مَنْ فَعَلَ هَذَا بِهَٰئِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُوا
 سَمِعْنَا فِي بَدْعِكُمْ يَقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا
 فَأَتُوا بِهِ عَلَىٰ عِزِّ النَّاسِ لَعَالَهُمْ يَشْهَدُونَ ﴿٦١﴾ قَالُوا
 ءَأَنْتَ فَعَلْتَ هَذَا بِهَٰئِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ ﴿٦٢﴾ قَالَ بَلْ فَعَلَهُ
 كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاقْتُلُوهُمْ إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ ﴿٦٣﴾ فَجَحَّوْا
 إِلَىٰ أَنفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٦٤﴾ ثُمَّ
 كَسَرُوا عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ لَقَدْ عَلِمْتُمْ مَا هَٰؤُلَاءِ يَنْطِقُونَ ﴿٦٥﴾
 قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا وَلَا يَضُرُّكُمْ
 ﴿٦٦﴾ أَمْ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾ قَالُوا لَاحِرُوهُمْ وَأَنْصُرُوا اللَّهَ وَمَن يُدْعِ
 قَائِلِينَ ﴿٦٨﴾ فَلَمَّا بَيَّنَّارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَّالْمَا عَلَىٰ
 إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ وَأَزَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَخْسَرِينَ
 ﴿٧٠﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَلُوطًا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا
 فِيهَا لِلْعَالَمِينَ ﴿٧١﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ
 نَاظِلِينَ ﴿٧٢﴾ وَكُلًّا جَعَلْنَا صَالِحِينَ ﴿٧٣﴾

٥٩ - قال الوثنيون بعد رؤيتهم تكسير الأصنام حينما عادوا من يوم العيد: من فعل هذا بالهتنا بتخطيمها، إنه لمن المعتدين الذين يستحقون العقاب.

٦٠ - قال بعضهم لبعض: سمعنا فتى يعيبيهم ويسبهم، اسمه إبراهيم.

٦١ - قالوا فيما بينهم: فأحضروه على مرأى ومشهد جميع الناس، ليشهدوا عليه بما فعل ويحضروا عقابه.

٦٢ - قالوا له بعد إحضاره: أنت الذي حطمت الهتنا يا إبراهيم؟

٦٣ - قال إبراهيم متهمكماً: بل الذي كسره هو كبيرهم هذا، وهو الصنم الذي لم يكسره، فاسألوهم لماذا فعل بهم ذلك، إن كانوا قادرين على النطق؟ والقصد تنيبهم إلى عدم الجدوى من عبادة العاجزين عن الكلام. أخرج أبو داود والترمذي عن أبي هريرة حديثاً صحيحاً: «لم يكذب إبراهيم في شيء قط إلا في ثلاث، كلهن في الله: قوله: إني سقيم، ولم يكن سقيماً، وقوله لسارة: أختي، وقوله: بل فعله كبيرهم هذا» وكل ذلك من الأسلوب المباح من التعارض.

٦٤ - فرجعوا إلى أنفسهم باللوم وراجعوا عقولهم، فقالوا: إنكم أنتم الظالمون لأنفسكم بعبادة هذه الجمادات التي لا تضر ولا تنفع، وليس الظالم هو مكسر الأصنام.

٦٥ - ثم عادوا إلى كفرهم وجهلهم ومكابرتهم، فقالوا لإبراهيم: لقد علمت ما هؤلاء ينطقون، فكيف تأمرنا بسؤالهم؟

٦٦ - قال إبراهيم لهم: أفتعبدون من غير الله ما لا ينفعكم شيئاً إن عبدتموه، ولا يضركم إن تركتم عبادته؟!
 ٦٧ - قبحاً لكم ولآلهتكم ولعبادتكم هذه المعبودات الآلهة المزعومة من غير الله، أفلا تتفكرون وتعقلون قبح صنعكم وأن هذه الأصنام لا تستحق العبادة؟! واللام في ﴿لكم﴾ لبيان المتضجر لأجله.

٦٨ - قال بعضهم لبعض: احرقوا إبراهيم بالنار حرقاً شديداً، وانصروا آلهتكم بالانتقام منه إن كنتم فاعلين شيئاً من أجلها.

٦٩ - قال الله تعالى بعد أن ألقي إبراهيم في نار عظيمة بواسطة منجنيق: يا نار كوني برداً وسلاماً على إبراهيم، فانقلبت الحرارة برداً، دون أن تضره، وخرج إبراهيم منها سالماً بإذن الله تعالى.

٧٠ - وأرادوا بإبراهيم تحريقاً ومكراً في إضراره، فجعلناهم الأشد خسارة في الدنيا والآخرة.
 ٧١ - ونجينا إبراهيم ووطاً ابن أخيه من بابل بالعراق إلى أرض بيت المقدس التي باركناها للناس بكثرة الأنهار والأشجار، وجعلناها مهبط الأنبياء.

٧٢ - ووهبنا لإبراهيم من زوجته سارة إسحاق ولداً، ويعقوب حفيداً زيادة على ما دعا إبراهيم، وكل واحد من هؤلاء الثلاثة، ولوط الرابع، جعلناه نبياً صالحاً.

٧٣- وجعلناهم رؤساء يقتدى بهم في الخير والطاعة، يهدون الناس إلى الدين والإيمان، بإذن الله تعالى، وأوحينا إليهم أن يفعلوا الطاعات، وقيموا الصلاة، ويؤتوا الزكاة، وكانوا موحدين مخلصين في العبادة.

٧٤- وآتيناهم لوطاً نبوة وعلماً بأحكام الدين، ونجيناه من قرية سدوم بشرق الأردن التي كان أهلها يعملون الخبائث (المنكرات) كاللواط، والضرط في المجالس، والرمي بالبندق، واللعب بالطيور، إنهم كانوا قوماً خارجين عن طاعة الله تعالى، بالإساءة لكل من خالطهم.

٧٥- وجعلناه من أهل رحمتنا بأن أنجيناه من قومه، إنه من القوم الصالحين في أعمالهم الذين سبقت لهم منا الحسنى (الجنة).

٧٦- واذكر نوحاً من قبل هؤلاء الأنبياء، حين دعا ربه يهلك الظالمين من قومه، فأجبنا دعاءه، فنجيناه وأهله المؤمنين به في السفينة، من الطوفان

وَجَعَلْنَاهُمْ أئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ وَكَانُوا لَنَا غُلَامًا دِينًا ﴿٧٣﴾
 وَلُوطًا إِتَيْنَهُ حَمًّا وَعَملاً وَمَجْنُونًا مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَانَتْ تَقَعِلُ الْخَبِيثَاتُ إِلَيْهِمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَنَجَّيْنَاهُمْ وَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٧٤﴾
 وَنُوحًا إِذْ نَادَى مِنْ قَبْلُ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٥﴾ وَنَصَرْنَاهُ مِنَ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيِّنَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا سَوِيًّا فَأَعْرَفْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٦﴾ وَدَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفِثَتْ فِيهِ عَمَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحَكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٧﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالَ يُسَبِّحُونَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٨﴾ وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَكُمْ لِيُخَفِّيَ عَنْكُمْ مِنْ غَضَبِكُمْ فَهَلْ أَنْتُمْ شَاكِرُونَ ﴿٧٩﴾
 وَإِسْرَائِيلَ إِذْ رَجَعَ عَاصِفًا وَنَجَّيْنَاهُ بِأَمْرِنَا إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمِينَ ﴿٨٠﴾

والغرق.

٧٧- وجعلناه متصراً على القوم الذين كذبوا بآياتنا الدالة على صدق رسالته، إنهم كانوا قوم كافر وعصيان، فأغرقناهم جميعاً لإصرارهم على الكفر.

٧٨- واذكر أيضاً داود وسليمان، إذ يحكم كل منهما في الزرع حين رعته ليلاً غنم القوم، ولم يكن معها راع، وكنا لحكم كل منهما حاضرين، لا يخفى علينا شيء.

٧٩- ففهمنا الحكم سليمان وكلاً من داود وسليمان أعطينا نبوة وعلماً نافعاً في أمور الدين، وسخرنا (ذللنا) مع داود الجبال والطيور للتسبيح معه، فكان إذا سبح سبحت معه بأمره، وكنا فاعلين لأمثاله من إفهام الحكم وتسخير التسبيح معه، فليس يبدع منا.

٨٠- وعلمنا داود صناعة الدروع بإلانة الحديد له، لتحميكم وتمنعكم من حربيكم مع عدوكم، فهل أنتم أيها الناس ومنهم أهل مكة شاكرون نعمتي، بتصديق الرسول؟

٨١- وسخرنا لسليمان الريح قوية شديدة الهبوب ولكنها لينة، تسير بأمره إلى أرض الشام التي باركنا فيها، وكنا عالمين بكل شيء، لا تخفى علينا خافية.

وَمِنَ الشَّيْطَانِ مَنْ يَعْصُونَ لَهُ وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ
ذَلِكَ وَكَأَنَّهُمْ حَفِظِينَ ﴿٨٢﴾ وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ
أَنْ مَسَّنِيَ الضَّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ ﴿٨٣﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ
فَكَشَفْنَا مَا بِهِ مِنْ ضُرِّهِ وَآتَيْنَاهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمُ
مَعَهُمْ رَحْمَةً مِنَّا وَمَا كُنَّا بِالْعَلِيِّينَ ﴿٨٤﴾
وَاسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ ﴿٨٥﴾
وَإِذْ خَلَّاهُمْ فِي رَحْمَتِنَا إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾
وَإِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٧﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ الْيُحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ
زَوْجَهُ وَآتَيْنَاهُ إِسْرَاعِيلَ لِيَتْلُوَ آيَاتِنَا وَلِيَذَّكَّرَ
رَعِبًا وَآدَمُ وَكَذَلِكَ نُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَرَكَبْنَا
إِذْ نَادَى رَبَّهُ رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴿٨٩﴾
فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَوَهَبْنَا لَهُ الْيُحْيَىٰ وَأَصْلَحْنَا لَهُ
زَوْجَهُ وَآتَيْنَاهُ إِسْرَاعِيلَ لِيَتْلُوَ آيَاتِنَا وَلِيَذَّكَّرَ
رَعِبًا وَآدَمُ وَكَذَلِكَ نُبَيِّنُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٩٠﴾

٨٢- وسخرنا لسليمان الشياطين يعصون له في البحار لاستخراج اللؤلؤ، ويعملون أعمالاً أخرى سوى ذلك كبناء المحارِب والمدن والقصور والمساجد، وصناعة التماثيل والصناعات الغريبة، وكنا حافظين لأعمالهم، وحافظين لهم من الهرب أو الامتناع من العمل.

٨٣- واذكر أيها النبي قصة أيوب حين نادى ربه لما اشتد به المرض وطال: رب اني مسني الضر من المرض والهزال في بدني، والجهد في أهلي ومالي، وأنت أرحم الرحماء لإجابة الدعاء والضر: مايس الإنسان في نفسه كالمرض والهزال، والضر: الضرر في كل شيء.

٨٤- فأجبت دعاء أيوب، فكشفنا ضره الذي نزل به امتحاناً، وأعطينا مثل أهله عدداً، مع زيادة مثل آخر بالتوالد، وآتيناه ذلك رحمة منا، وتذكرة للعبدين، ليصبروا مثل صبره، فيثابوا كتابه.

٨٥- واذكر أيها الرسول أيضاً قصة إسماعيل، وإدريس، وذو الكفل وهو ابن أيوب، من أنبياء

بني إسرائيل، كل واحد من الصابرين على تحمل التكليف والشدائد طمعاً في مرضاتنا.

٨٦- وشملتهم رحمتنا في الدنيا بالنبوة، وفي الآخرة بالجنة، إنهم من زمرة عبادنا الأنبياء الصالحين الطائعين.

٨٧- واذكر كذلك أيها النبي قصة ذي النون وهو يونس بن متى صاحب الحوت، أرسله الله إلى أهل نينوى من أرض الموصل، حين ذهب غضبان من قومه لعدم إيمانهم، فظن أن لن نصيق عليه الأمر، بل نبيح له تركهم، فنادى في ظلمات ثلاث: وظلمة الليل، وظلمة البحر، وظلمة بطن الحوت، قائلاً: لا إله إلا أنت، تزهدت عما لا يليق، إني كنت من الظالمين لنفسي، بالهجرة من غير إذن، وترك قومي.

٨٨- فأجبت له دعاءه بتلك الكلمات، وأخرجناه من بطن الحوت، إذ قذفه إلى الساحل، وكما أنجيتناه من غمه وكربه، نتجى المؤمنون من كربهم إذا استغاثوا بنا.

٨٩- واذكر أيضاً قصة زكريا حين دعا ربه بقوله: رب لا تتركني وحيداً بلا ولد يرثني، وأنت حسبي إن لم تزقني ولداً.

٩٠- فأجبت له دعاءه، ومنحته ولداً هو يحيى، وجعلنا زوجته ولوداً بعد أن كانت عاقراً، إن زكريا وزوجه وابنتهما يحيى وهؤلاء الأنبياء المذكورين كانوا يبادرون إلى فعل الطاعات، ويتضرعون إلينا رغياً في رحمتنا وخيرنا، ورهباً من عذابنا ومن الشر، في حالي الشدة والرخاء، وكانوا لنا متواضعين في عبادتهم.

٩١- واذكر أيها النبي أيضاً قصة مريم بنت عمران التي حفظت فرجها من الحلال والحرام، فكانت عفيفة، فوضعنا سرّاً من أسرارنا في بطنها أو جلدنا به عيسى وأحسيناه، وجعلناها وابنتها آية لعالمي الإنس والجن والملائكة، حيث ولدته من غير رجل، ودليلاً لهم على تمام قدرتنا.

٩٢- إن هذا دينكم دين واحد لا خلاف فيه في شأن التوحيد، وهو ملة الإسلام، وأنا ربكم الله لا إله غيري، فوحدوني وعبدوني بإخلاص لا غير.

٩٣- وتفرّق الناس في أمر الدين فرقاً مختلفة، مع أن الدين في أصله واحد، فمنهم من آمن ووحّد، ومنهم من كفر وأشرك، ومنهم من تأول فوق في الشرك كاليهود والنصارى، كل فرقة من هذه الفرق راجعون إلينا يوم القيامة، للجزاء.

٩٤- فمن يحمل صالح الأعمال التي أمر الله بها، وهو مؤمن بالله ورسله واليوم الآخر، فلا جحود ولا إنكار لعمله وثوابه وحسن جزائه، وإننا لسعيه حافظون مثبتون في صحيفة عمله.

٩٥- ويمتتع على أهل قرية أهلكتناهم بذنوبهم أن يرجعوا إلى الدنيا أو التوبة بعد الهلاك.

وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا
وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٩١﴾ إِنَّ هَذِهِ مِنْكُمْ
أُمَّةٌ وَاحِدَةٌ وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ ﴿٩٢﴾ وَتَقَطَّعُوا
أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ كَلَّ الْيَتَارِعُونَ ﴿٩٣﴾ فَمَنْ يَعْمَلْ
مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعِيهِ وَإِنَّا
لَءَاكِفُونَ ﴿٩٤﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْنَا قُرْبَةَ أَهْلِكَ نَهَا
أَنْتُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴿٩٥﴾ حَتَّىٰ إِذَا فُجِّعَتْ يَأْجُوجُ وَمَاجُوجُ
مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ ﴿٩٦﴾ وَأَقْرَبَ الْوَعْدِ أَنْ نَحْنُ
فَإِذَا هِيَ شَيْخَصَةٌ أَبْصَرُ الَّذِينَ كَفَرُوا يُلَوِّبُنَا
قَدْ كُنَّا فِي عَفْوٍ مِنْ هَذَا بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٩٧﴾
إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا
وَارِدُونَ ﴿٩٨﴾ لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ آلهةً مَا وَرَدُوا
وَكُلٌّ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿٩٩﴾ لَهُمْ فِيهَا زَوْجٌ
وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ
لَهُمْ تِئَانَةُ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾

٩٦- ويستمر عدم رجوعهم إلى قيام الساعة وظهور أماراتها من فتح سد يأجوج ومأجوج وهما قبائل همجية، وهم من كل مرتفع من الأرض يخرجون مسرعين.

٩٧- واقترب بخروجهم الموعود به الحق وهو يوم القيامة، فذلك من أمارات الساعة، فإذا هي مرتفعة الأجناف لما دهمهم، وهو شخوص أبصار الكفار، لا تكاد تنظر من شدة الهول، أي تتوقف أبصارهم عن الحركة، يا هلاكنا، قد كنا في الدنيا غافلين عن هذا اليوم، لم نستعد له، بل كنا ظالمين أنفسنا بتكذيب الرسل، وإنكار البعث والحساب، وعدم الطاعة.

٩٨- إنكم أيها الكفار والمشركون وما تعبدون من غير الله من الأصنام والشياطين وقود جهنم وخطيئها، أنتم داخلون فيها.

٩٩- لو كان هؤلاء المعبودون الأوثان ونحوها آلهة كما تزعمون ما دخلوا جهنم؛ لأن المؤاخذ المذنب لا يكون إلهاً، وكل من العابدين والمعبودين مخلدون دائمون في جهنم، فليسوا إذن آلهة. وسبب إدخال المعبودين من الأوثان والشياطين في النار: أن يزداد العابدون بهم غمًا وحسرة. ويستثنى أو لا يشمل ذلك عزيزاً والمسيح والملائكة لقوله تعالى فيما يأتي: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ الْحَسَنَىٰ أُولَٰئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠١] ولأن كلمة ﴿مَا﴾ لا تتناول العقلاء.

١٠٠- لعابدي الأوثان في جهنم أنين وتنفس شديد من أقصى الجوف، وهم فيها لا يسمعون شيئاً لشدة غلبانها وأهوالها.

١٠١- إن الذين سبقت لهم منا المنزلة الحسنى وهي الجنة لعملمهم بعمل أهل الجنة، أولئك مبعدون عن جهنم، فهم السعداء بسبب إيمانهم الحق وإحسان طاعتهم. قال ابن عباس: لما نزلت آية ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ...﴾ [٩٨] قال ابن الزبير: عبد الشمس والقمر والملائكة وعزير، فكل هؤلاء في النار مع آلهتنا، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ...﴾.

لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا وَهُمْ فِي مَا أُسْتَهْتَمَ أَنفُسُهُمْ خَلَدُونَ ﴿١٠٢﴾
 لِيَحْزَنَهُمُ الْقَرْعُ الْأَكْبَرُ وَتَلْقَاهُمُ الْمَلَكَةُ هَذَا يَوْمَ مَكْتُمِكُمْ
 الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿١٠٣﴾ يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِ
 لِلْكِتَابِ كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُمْ وَعَدًّا عَلَيْنَا أَنَّا مُعْتَدِلِينَ ﴿١٠٤﴾
 وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزُّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ بَرْنَاهَا
 عِبَادِي الصَّالِحُونَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ فِي هَذَا لَبَلَاءً لِقَوْمٍ عَلِيلِينَ ﴿١٠٦﴾
 وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ ﴿١٠٧﴾ قُلْ إِنَّمَا يُوحِي
 إِلَيَّ آتَمَّا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ ﴿١٠٨﴾
 فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ ءَأَدَّبْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي
 أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾ إِنِّي بَعَلُّهُ الْجَهْرَ
 مِنَ الْقَوْلِ وَبِعَلُّهُ مَا تَكْتُمُونَ ﴿١١٠﴾ وَإِنْ أَدْرِي
 لَعَلَّهُ فِتْنَةٌ لَّكُمْ وَمَنْعٌ إِلَيَّ حِينٍ ﴿١١١﴾ قُلْ رَبِّ احْكُم
 بِالْحَقِّ وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى مَا نَصِفُونَ ﴿١١٢﴾



١٠٢- لا يسمعون صوت النار ولهيبها، وهم مقيمون على الدوام فيما اشتهدت أنفسهم من النعيم الدائم في الجنة.

١٠٣- لا يحزنهم القرع الأعظم الذي يحصل بعد النسخة الثانية وهو أهوال القيامة، وتلقاهم الملائكة على أبواب الجنة مهتين، قائلين لهم: هذا يومكم الذي وعدتم به في الدنيا لنيل الجزاء الأحسن.

١٠٤- واذكر أيها النبي يوم نطوي السماء كطي الصحيفة على ما يكتب فيها، كما بدأنا أول خلقهم من العدم في الدنيا، كذلك نعيدهم يوم القيامة، أي إن هذا الطي كائن لا محالة يوم إعادة الخلاق بالبعث خلقاً جديداً، وعدناهم بذلك وعداً، علينا إنجاز الوفاء به، وهو الإعادة، إنا كنا فاعلين ما وعدناكم به حتماً، وقادرين على ما نشاء.

١٠٥- ولقد كتبنا في كتاب داود وهو كتاب الزمير، من بعد التوراة أو اللوح المحفوظ: أن أرض الجنة وأرض الدنيا يرثها العباد الصالحون، وصلاح الآخرة بالتقوى، وصلاح الدنيا بعمارة الأرض.

١٠٦- إن في هذا القرآن وما ذكرناه في هذه السورة من الأخبار وقصص الأنبياء والمواقظ بلاغاً كافياً في الاعتبار لقوم خاشعين لله، مشغولين بالعبادة.

١٠٧- وما أرسلناك أيها النبي بالشرائع والأحكام إلا رحمة مهددة للإنس والجن، لأن ما بعثت به سبب للسعادة والصلاح في المعاش والمعاد.

١٠٨- قل لهم أيها النبي: إن جوهر الموحى به إلي من ربي أن إلهكم الذي تعبدونه هو إله واحد، لا إله غيره، فهل أنتم متقادون خاضعون لما يوحى إليكم من العبادة وتوحيد الله؟ أي أسلموا تدخلوا الجنة، وتفوزوا بالرضوان.

١٠٩- فإن أعرضوا عن الإسلام، فقل لهم: أعلمتكم ما أمرت به، حال كونكم جميعاً مستوين في الإعلام، ولا أدري أقرب أم بعيد ما توعدون به من القيامة والعذاب، فعلم ذلك إلى الله سبحانه.

١١٠- إنه تعالى يعلم ما تجهرون به من قول أو فعل، وما تكتُمونه من ذلك وتخفونه، يعلم كل ذلك على السواء في الوضوح، لا تخفى عليه خافية.

١١١- وما أدري لعل تأخير العذاب عنكم اختبار وامتحان لكم، ليرى كيف صنعكم وترجعوا عما أنتم عليه، وتمتع بزخارف الدنيا إلى وقت مقدر تقتضيه مشيئة الله وحكمته، وهو انتهاء آجالكم.

١١٢- قال النبي ﷺ بعد تبليغ رسالته إلى قومه وتكذيبهم: يا رب احكم بيني وبين هؤلاء المكذبين كأهل مكة، بما هو الحق والعدل عندك، وربنا الرحمن بعباده، المستعان به على ما تقولون من التكذيب والافتراء.

سورة الحج

فضلها: قال العزيزي: وهي من أعاجيب السور، نزلت ليلاً ونهاراً، سفراً وحضراً، مكياً ومدنياً، سلمياً وحربياً، محكماً ومتشابهاً.

١- يا أيها الناس جميعاً، خافوا واحذروا عقاب ربكم، بأن تطيعوه، إن زلزلة الأرض يوم القيامة شيء مخيف هائل مزعج للناس.

٢- يوم ترون الزلزلة تغفل الأم المرضعة وتنسى رضيعها لشدة الهول، وتضع الحامل جنينها، وترى الناس كأنهم سكارى من شدة الخوف، وليسوا بسكارى حقيقة، ولكن عذاب الله شديد، يرهق هول، ويذهب العقل والتمييز. نزلت هاتان الآيتان ليلاً في غزوة بني المصطلق، فقراهما رسول الله ﷺ على الناس، فلم ير باكياً أكثر من تلك الليلة، وأصبح الناس بين بك وجالس حزين مفكر.

٣- وبعض الناس يجادل في وجود الله وصفاته من الوحدانية والقدرة على البعث وغير ذلك، بغير دليل ولا علم يعلمه، ويتبع في جداله بالباطل وساوس كل شيطان متمرّد على الله عات. نزلت في النضر بن الحارث.

٤- قضى على الشيطان أنه من اتبعه وصدق قوله، فإنه يضلّه عن طريق الحق، ويرشده أو يبدله إلى ما يؤدي به إلى عذاب السعير في نار جهنم. والسعير: النار المتوهجة.

٥- يا أيها الناس، إن كنتم في شك من إمكان البعث وكونه مقدوراً لله، فإذا خلقنا أصلكم آدم من تراب، وخلقنا ذريته من مني مشتمل على الحيوان المتوي، وهو الماء الدافق، الذي يستقر في الرحم، ويتعلق بيويضة المرأة، ويحدث الجنين، ثم من دم جامد بعد تلاقح نطفة الرجل مع بويضة الأنثى، ثم من قطعة لحم صغيرة تامة الخلقة تصويراً وشكلاً، وغير تامة الخلقة، ثم نخرجكم من بطون أمهاتكم أطفالاً - وطفلاً: حال أجريت على تأويل كل واحد منكم طفلاً - ثم نرعاكم لتبلغوا كمال العقل والقوة: وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين، ومنكم من يتوفى قبل بلوغ الأشد، ومنكم من يعود إلى مرحلة الهرم والحرف حتى لا يعقل، وكيعلا يعلم شيئاً وينسى ما كان يعلمه، وترى الأرض أيها الإنسان يابسة ميتة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها ماء المطر، تحركت بالنبات، وارتفعت وزادت، وأنبتت من كل صنف نباتي حسن نظير.

٦- ذلك المذكور من خلق الإنسان ومروره بأطوار، وإحياء الأرض، بسبب أن الله هو الثابت الموجود في نفسه، الدائم الوجود، وأنه يحيي الموتى بعد فنائهم، وأن الله قادر على كل شيء؛ لأن قدرته لذاته.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّ إِن زلزلة الساعة شيء عظيم
يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى
ولكن عذاب الله شديد
ومن الناس من يجادل في الله بغير علم ويتبع كل شيطان مريد
كذب عليه أنه من قولاؤه فإنه يضلّه ويهديه إلى عذاب السعير
يا أيها الناس إن كنتم في ريب مما نبعث فإنا خلقناكم من تراب ثم نطفة ثم من علقة ثم من مضغة مخلقة وغير مخلقة لتنبين لكم ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ومنكم من يتوفى ومنكم من يرد إلى أرذل العمر لكيلا يعلم من بعد علم شيئاً وترى الأرض هامدة فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت وأنبتت من كل زوج بهيج
ذلك بأن الله هو الحق وأنه يحيي الموتى وأنه على كل شيء قدير



وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ ﴿٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُبِينٍ ﴿٨﴾ ثَانِي عَطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهٗ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَيُذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ ﴿٩﴾ ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَالِمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿١٠﴾ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ انْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿١١﴾ يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْصُرُهُمْ وَمَا لَا يَنْفَعُهُمْ ذَلِكَ هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ ﴿١٢﴾ يَدْعُوا لِمَن صُرُّهُ أَوْ قُرْبَ مِنْ نَعْبِهِ لَيْسَ الْمَوْلَىٰ وَلاِئْسَ الْعَشِيرُ ﴿١٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْخُلُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ ﴿١٤﴾ مَنْ كَانَ يَظُنْ أَنْ لَّنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى السَّمَاءِ ثُمَّ لِيَقْطَعْ فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدَهُ مَا يَغِطُّ ﴿١٥﴾

٧- وأن القيامة واقعة لا شك فيها، وأن الله يبعث الناس الذين في القبور وفي غيرها من أجواف الطير والسماك ونحوهما، بمقتضى وعده السابق الذي لا يقبل الخُلف.

٨- ومن الناس من يجادل في قدرة الله ووحدانيته منكرًا ذلك جهلاً بغير دليل علمي واضح، ولا هداية فطرية أو عقلية معتمدة على النظر الصحيح، ولا كتاب إلهي موضح للحق. نزلت في الأخنس بن شريق، وروي عن ابن عباس في أبي جهل، وعلى ما ذهب إليه جمع في النضر بن الحارث، كالأية السابقة، فإذا اتحد المجادل في الآيتين، فالتكرار مبالغته في الذم، أو لانفراد كل آية بزيادة ليست في الأخرى.

٩- لاوي عنقه تكبراً وخيلاء، وإعراضاً مترفعاً، للإضلال عن دين الله، له في الدنيا ذل وهوان بما يناله من العقوبة المادية بعذاب معجل، أو المعنوية بسوء السمعة، ونذيقه يوم القيامة عذاب النار المحرقة.

١٠- ذلك الخزي (الذل) والتعذيب بسبب ما قدمته نفسك من الكفر والمعاصي، وأن الله لا يظلم أحداً، فيعذب بغير ذنب، وإنما هو مجازيهم على أعمالهم.

١١- ومن الناس من يعبد الله على شك وتردد في دينه، أما المؤمن فيعبد على ثقة وبصيرة، فإن أصابه خير دنيوي في نفسه وماله من صحة وعافية، ورخاء، ثبت على دينه، وإن أصابته محنة وشدة أو مكروه في نفسه أو أهله أو ماله، رجع إلى الكفر وارتد، خسِر الدنيا وضيعها؛ لأنه لم يحقق فيها مجداً وثناء حسناً، وخسر الآخرة؛ لتعذبه فيها، ذلك هو الخسران المزدوج الواضح؛ إذ لا خسران مثله. وحرف الشيء: طرفه، أي مذنب مضطرب في دينه. نزلت فيمن يدخل الإسلام، فإن أصابه خير من ولد ذكر، ونتاج خيل، قال هذا دين صالح، وإن أصابه شر بولادة أنثى أو لم تنتج خيله، قال: هذا دين سوء.

١٢- هذا الذي رجع إلى الكفر يعبد من غير الله الأصنام، وهي لا تنصره إن ترك عبادتها، ولا تنفعه إن عبدها، ذلك هو الانحراف البعيد عن الحق والرشد.

١٣- يعبد من غير الله ما يكون ضرره أقرب من نفعه إن نفع بتوهمه، بل ضررها بحث ولا نفع فيها بحال، لبس الناصر والمعين هو له، ولبس الصاحب المعاصر هو.

١٤- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسله، الذين يعملون الصالحات المأمور بها جنت تجري الأنهار من تحت غرفها، إن الله يفعل ما يريد من إكرام الطائع، وإهانة العاصي.

١٥- من كان يعتقد أن الله لن ينصر نبيه محمداً ﷺ وغاظه انتصاره خلافاً لما يتوقع، فليمدد حبلاً إلى سماء بيته أي سقفه، ثم ليقطع عنقه بالشنق، فلينظر هل يذهبن فعله وتدبيره أو حيلته ما يغضبه ويضايقه من نصر الله نبيه، والمراد: إذا أراد إراحة نفسه، فليعجل بإهلاكها هدراً من غير جدوى؛ لأن كيده لا يذهب غيظه. والسماء: كل ما ارتفع فوق رأس الإنسان، والمراد به هنا سقف البيت.

١٦- ومثل إنزالنا الآية السابقة أنزلنا عليك أيها الرسول آيات واضحة الدلالة على مدلولاتها، وأن الله يهدي ابتداءً من يريد هدايته، ويوفق للهداية ويثبت على الهدى من أراد له ذلك.

١٧- إن الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ واليهود والنصارى، والمجوس: عبدة النار الذين يقولون: إن للعالم أصليين: النور والظلمة، والمشركين: عبدة الأوثان أو غيرها من دون الله، إن الله يفصل بينهم يوم القيامة فيما اختلفوا فيه، إن الله شاهد على كل شيء من أعمال خلقه، لا يخفى عليه شيء منها.

١٨- ألم تعلم أيها الإنسان المخاطب أن الله يسجد ويخضع له أهل السموات وهم الملائكة، وأهل الأرض من مؤمني الإنس والجن، وسجودها بهيئة معروفة، والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وغيرها من المخلوقات، وسجودها بالانقياد التام، ويسجد له كثير من الناس الذين آمنوا وتبها سجد طاعة واختيار، راجين رحمته، وكثير وجب عليه العذاب لإيائه السجود لله وإهماله النظر في

ملكوت الله، ومن يهن الله يجعله كافراً شقيماً، لما علم الله من اكتسابه الشقاوة، فما له من مكرم يكرمه، ويدفع الهوان عنه، إن الله يفعل ما يشاء في خلقه.

١٩- هذان فريقان مخصصان متنازعان، وهما المؤمنون والكافرون، اختلفوا في شأن ربهم، أي في دينه، ما هو الحق وما هو الباطل منه، وفيما يتعلق به من تنزيهه عن الصاحبة والولد، ونسبة الولد له واتخاذ الوسطاء الشفعاء عنده، فالذين كفروا بالله أو لم يؤمنوا برسول الله، فُصِّلت لهم ثياب من نار لبوساً لهم، يصب من فوق رؤوسهم الماء الحار المغلي بنار جهنم. نزلت في فريقي المبارزة يوم بدر: حمزة وعبيدة وعلي، وعتبة وشيبة والوليد بن عتبة.

٢٠، ٢١- يذاب به ما في بطونهم من أمعاء وأحشاء، وتُشوى به جلودهم، ولهم مضارب (أدوات القمع) من حديد، يُضربون بها.

٢٢- كلما أرادوا الخروج من النار، لأجل غم وحزن شديد، رُدُّوا إليها بالمقامع، ويقال لهم: ذوقوا عذاب النار المحرق بشدة.

٢٣- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسوله، الذين يعملون صالح الأعمال التي أمر الله بها، جنات تجري من تحت غرفها الأنهار، يُزَيَّنون فيها بحلي في غاية الجمال في الصدور وغيرها، بأساور الذهب، واللؤلؤ (الذي يستخرج من البحر من جوف الصدف) ولباسهم في الجنة الحرير الذي كان ممنوعاً على رجالهم في الدنيا.

وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَاهُ آيَاتٍ يُبَيِّنُ وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِيَ مَن يَشَاءُ
 ١٦ إِنَّ الَّذِينَ هَادُوا أَصْحَابَ الْمَدِينَةِ وَالنَّصَارَى
 وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ
 الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ١٧
 أَنَّ اللَّهَ يَجْعَلُ لِمَن يَشَاءُ مِنَ السَّمَوَاتِ وَمِنَ الْأَرْضِ وَالشَّمْسِ
 وَالْقَمَرِ وَالنُّجُومِ وَالْجِبَالِ وَالشَّجَرِ وَالْدُّوَابِّ وَكَثِيرٍ مِّنَ النَّاسِ
 وَكَثِيرٍ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ وَمَن يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِن مُّكْرَمٍ إِنَّ اللَّهَ
 يَعْمَلُ مَا يَشَاءُ ١٨ هَٰذَا نَصِيبُ الْمُتَكَبِّرِينَ
 فِي ذَمِّهم فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِّن نَّارٍ
 يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ ١٩ يُصْهَرُ بِهِ مَا فِي
 بُطُونِهِمْ وَالْجُلُودُ ٢٠ وَلَهُمْ قَلْعَمٌ مِّن حديدٍ ٢١ كَلِمًا أَرَادُوا
 أَنْ يُخْرِجُوا مِنْهَا مَن عَمَّوْا فِيهَا وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ
 ٢٢ إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجْرُونَ فِيهَا مِن نَّسَائِرِ
 مَن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ٢٣



وَهُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ
 ﴿٢٤﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ
 وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفِ
 فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِالْحِلْمِ بِظُلْمٍ نَزَقَهُ مِنْ
 عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ الْبَيْتِ
 أَنْ لَا تُشْرِكْ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتَ الْطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ
 وَالرُّكَّعَ السُّجُودَ ﴿٢٦﴾ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَا أُولِي
 الْأَلْبَابِ وَالرِّجَالِ عَلَى كُلِّ مَسْجِدٍ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ
 لِتَشْهَدُوا مَنْفَعٌ لَهُمْ وَذِكْرٌ لَكُمْ فِي آيَاتِهِ
 تُعَلِّمُونَ عَلَى مَا نَزَّلْنَاهُمْ مِنْ حُجَّةٍ الْأَنْعَامَ فَكَلُوا مِنْهَا
 وَأَطْعَمُوا النَّبَاتِيسَ الَّتِي لَا تَنْفَعُهُمْ
 وَلِيُؤْفُوا نَذْرَهُمْ وَيَلْبِطُوا بِالْبَيْتِ الْعِينِ ﴿٢٧﴾
 ذَلِكَ وَمَنْ يُعْظِمِ حُرْمَتَ اللَّهِ فَهُوَ حَيْرٌ لَهُ عِنْدَ رَبِّهِ
 وَأَحَلَّتْ لَكُمْ الْأَنْعَامَ إِلَّا مَا سَلَّ عَلَيْكُمْ فَأَجْنِبُوا
 الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ ﴿٢٨﴾

٢٤- وأرشدوا من الله تعالى في الجنة إلى القول الطيب الذي فيه تمجيد الله والإقرار بفضلته، والبعد عن اللغو والتأنيث، وإلى تبادل السلام فيما بينهم، وأرشدوا إلى الطريق المحمود في آداب المعاشرة والاجتماع، فلا تحاسد ولا تبغض ولا كيد ولا تنافر أو تخصص، بل أمثل ما يكون عليه الإخوة الأحبة.

٢٥- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ويمنعون عن دين الله وطاعته، وعن دخول المسجد الحرام نفسه، أو الحرم كله، الذي جعلناه منسكاً ومتعبداً للنامس جميعاً، مستوياً فيه المقيم فيه، الملازم له، والواصل الزائر من البادية غير المقيم فيه، الطارئ عليه، ومن يرد فيه الميل عن جادة الحق والصواب، والاستقامة ظلماً بغير وجه مشروع، نذقه بعض العذاب المؤلم. قال ابن عباس: نزلت هذه الآية في أبي سفيان بن حرب وأصحابه، حين صدوا رسول الله ﷺ وأصحابه عام الحديبية عن المسجد الحرام، وقد كره عليه الصلاة والسلام أن يقاتلهم، وكان محرماً بعمرة، ثم صالحوه على أن يعود في العام المقبل.

٢٦- واذكر أيها الرسول حين بينا وعيننا لإبراهيم مكان الكعبة لبناتها، ليكون مركزاً لتوحيد العبادة الخالصة لله، وأوصيناه ألا يشرك بعبادتي شيئاً، وطهرت بيتي من الأوثان والأصنام للطائفتين حول هذا البيت، والقائمتين

فيه للصلاة والذعاء، والراكعين الساجدين. والركوع والسجود كناية عن الصلاة كلها، لأنها أهم أركانها.

٢٧- وناد في الناس بالحج بالدعوة إليه، قائلاً: يا أيها النامس، كُتِبَ عليكم الحج إلى البيت، فأجيبوا ربكم، لبيك اللهم لبيك، يأتوك مشاة وراكبين على كل بعير مضمر خفيف اللحم من كثرة السير، تأتي هذه الإبل الضوامر بالركبان من كل طريق بعيد. قال مجاهد: كانوا لا يركبون، فأنزل الله: ﴿يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر﴾ فامرهم بالزاد، ورخص لهم في الركوب والمتجر.

٢٨- ليحضروا ويحققوا منافع لهم في الدين والدنيا بممارسة التجارة وغيرها، ويذكروا اسم الله عند ذبح الهدايا والضحايا في أيام معلومات هي أيام التحرير يوم العيد وأيام الشريق الثلاثة التي بعده، يذكرون اسم الله عند ذبح ما رزقهم الله من الإبل والبقر والغنم، فكلوا من حومها، فيستحب أكل شيء قليل من المتطوع به دون الواجب، وأطعموا الذي أصابه شدة الجوع وشدة الفقر، والأمر بالإطعام للوجوب.

٢٩- ثم ليزيلوا أوساخهم بسبب طول الشعر والظفر، وليؤفوا نذورهم التي يندرونها في الحج وغيره، وليطوفوا طواف الإفاضة والوداع لإتمام التحلل، بالبيت الذي هو أقدم بيت بني للعبادة، وأعتقه الله من تسلط أي جبار عليه.

٣٠- ذلك المذكور من أعمال الحج من حرمت الله: وهي ما يجب القيام به، ويحرم التفريط به، ومن يعظم حُرْمَتِ الله، أي شعائره وتكائيفه وأحكام دينه، فالتعظيم خير له عند ربه في الآخرة، وأحلت لكم الأنعام (وهي الإبل والبقر والغنم) إلا ما يحرم تناول شيء منها كالميتة وغيرها، فاجتنبوا النجس معنوياً من الأصنام، واجتنبوا قول الباطل من الكذب والبهتان والشرك بالله وشهادة الزور.

٣١- مخلصين الدين لله، بعيدين عن الباطل، غير مشركين بعبادة الله شيئاً- وهو تأكيد لما قبله- ومن يشرك بالله، فكأنما سقط من السماء، فمات، فتحطف الطير لحمه بسرعة، أو ترمي به الريح في مكان بعيد.

٣٢- ذلك المذكور، ومن يعظم أعلام دين الله وأحكامه، ومنها الهدى ومناسك الحج والمساجد والعبادات، فإن تعظيم شعائر الله من خشية الله وأفعال المتقين.

٣٣- لكم منافع في الشعائر: وهي ما جعل الله تعظيمها علامة على رضاه، وهي الهدايا من الأنعام، والانتفاع بها بالركوب والدر والنسل والصفوف وغير ذلك إلى وقت نحرها، ثم مكان ذبحها الذي يحل فيه النحر عند البيت العتيق: وهو هنا جميع الحرم.

٣٤- ولكل أهل دين سابق أو جماعة متدينية، خصصنا متعبداً ومكاناً تدبح فيه القرابين أو الذبائح تقرباً إلى الله تعالى، ليذكروا اسم الله وحده على ما رزقهم من الإبل والبقر والغنم، فالهكم المعبود هو إله واحد، فله انتقادوا وأخلصوا العبادة والطاعة، وبشّر المطيعين الخاشعين المخلصين.

٣٥- وهؤلاء المطيعون المتواضعون: هم الذين إذا ذكر الله خافت وخشعت قلوبهم، وحذرت مخالفته، والصابرون على ما أصابهم من البلايا والمحن، والمؤدون الصلاة بأركانها في أوقاتها، ويتصدقون بما رزقناهم في وجوه الخير. وقوله ﴿والصابرين﴾ أي وأخص.

٣٦- وجعلنا من شعائر الله (أعلام دينه) الإبل ونحوها من البقر وغيرها المهداة إلى البيت الحرام، لكم فيها نفع في الدنيا والآخرة، فاذكروا اسم الله عليها عند نحرها أو ذبحها، بأن تقولوا: الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، اللهم منك واليك، قائمة قد صُفّت قوائمها؛ لأنها تنحر قائمة معقولة إحدى يديها بأن ترفع بالعقل، فإذا سقطت على الأرض بعد نحرها وكشط جلدها، فكلوا منها إن شئتم، وأطعموا الفقير الذي يرضى بما عنده ولا يسأل الناس، والسائل المتعرض. مثل ما وصفنا من نحرها قياماً، سخرناها وذللناها لكم مع عظمتها وقوتها، لتشكروا هذه النعمة التي أنعم الله بها عليكم.

٣٧- لن ترفع ولن تصل إلى الله لحومها ودمائها، ولكن يصل إليه التقوى، ويقبل ويجازي على تقواكم، وخوفكم من الله وعملكم الصالح مع الإيمان، وهكذا سخرها الله لكم، لتعظّموا الله وتشكروه على ما أُرشدكم إليه لدينه وشرعه، وتعليمكم كيفية التقرب بهذه الذبائح، وبشّر أيها النبي بالجنة الذين أحسنوا طاعة ربهم، وصدر عنهم الخير لوجه الله تعالى.

٣٨- إن الله يدافع عن المؤمنين غوائل المشركين، إن الله لا يرضى عن كل كثير الخيانة لأمانته، كثير الكفر لنعمته، أي إنه يعاقبهم على خيانتهم وكفرهم. نزلت بسبب المؤمنين لما كثروا بمكة، وأذاهم الكفار، وهاجر من هاجر إلى أرض الحبشة، وأراد بعض مؤمني مكة أن يقتل من أمكنه من الكفار، ويفتال ويفغدر ويحتال.

حُمْاءَ اللَّهِ عِزِّ مُشْرِكِينَ بِهِ وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ فَطُفِقَهُ أَطِيرٌ أَوْ يَهْوَى بِهِ الرِّيحُ فِي مَكَانٍ بَحِينٍ ﴿٣١﴾
ذَلِكَ وَمَنْ يُعِظِرْ سُعْبَهُ لِيَكْفُرَ بِمَا تَقْوَى الْقُلُوبِ ﴿٣٢﴾ لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحْلَاهَا إِلَىٰ الْبَيْتِ الْعَتِيقِ ﴿٣٣﴾ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ فَإِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ فَلَهُ أَسْلِمُوا وَبَشِّرِ الْخَاشِعِينَ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرُوا اللَّهَ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَالصَّادِقِينَ عَلَيْهِمْ أَصَابُهُمْ وَالتَّعْبَىٰ الصَّلَاةَ وَمَا رَزَقْتَهُمْ يُبْفِقُونَ ﴿٣٥﴾ وَالْبُدْنَ جَعَلْنَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ فَاذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا صَوَافٍ فَإِذَا وَجِيتُ جُنُوبَهَا فَكُلُوا مِنْهَا وَأَطِيعُوا أَمْرَ النَّاسِ وَالْمَعْرُوكَ ذَلِكَ سَخَرْنَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحْمُهَا وَلَا دِمَاؤها وَلَكِنْ يَنَالَ اللَّهُ التَّقْوَىٰ مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ ﴿٣٨﴾



٣٩- رخص الله بالجهد ورد العدوان للمؤمنين الذين يقاتلون من قبل المشركين، بسبب ظلم الكفار إياهم وإيذائهم الشديد باللسان والأيدي، وإن الله قادر على نصرهم، كما نصرهم بدفع أذى الكفار عنهم، وهذا وعد لهم بالنصر في الحالين. هذه أول آية نزلت في المدينة للإذن بالقتال، بعد أن صبر المؤمنون على الأذى في العهد المكي، وكانوا حينما يشكون أذى المشركين إلى الرسول ﷺ يقول لهم: اصبروا فإنني لم أؤمر بالقتال، حتى هاجر، فأنزل الله هذه الآية بالمدينة. وقال أبو بكر لما هاجر النبي: أخرجوا نبيهم، إنا لله وإنا إليه راجعون، ليهلكن، فأنزل الله هذه الآية.

٤٠- والمأذون لهم بالقتال هم الذين أخرجهم المشركون من ديارهم وأموالهم في مكة، بغير ذنب ارتكبه، ولكن أخرجوا منها لقولهم: ربنا الله، ولولا مدافعة الله الناس بعضهم ببعض، فيسخر للقوي المعتدي من هو أقوى منه، لأدى ذلك لتهديم صوامع الرهبان، أي أديرتهم، وكنائس النصراني وهي السبع، وكنائس اليهود، ومساجد المسلمين، التي يذكر فيها كثيراً اسم الله، فتقطع

أذن الذين يقتلون بأنهم ظلموا وإن الله على نصرهم لقدير ﴿١﴾ الذين أخرجوا من ديارهم بغير حق إلا أن يقولوا ربنا الله ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومسجد يذكر فيها اسم الله كثيراً وليضربن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز ﴿٢﴾ الذين إن تكلمت في الأرض فأموا بالصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالعرف ونهوا عن المنكر والله عاقبة الأمور ﴿٣﴾ وإن يكذبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود ﴿٤﴾ وقوم إبراهيم وقوم لوط وأصحاب مدن وكذب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير ﴿٥﴾ فكأن من قرية أهلكتها وهي ظالمة فهي خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ﴿٦﴾ أفلم يسروا في الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان سمعون بها فإنها لا تعي الأبصار ولكن تعي القلوب التي في الصدور ﴿٧﴾

العبادة بخرابها، ولنصرن الله من ينصر دينه، إن الله قوي قادر على كل شيء لا يقهر، منيع في سلطانه وقدرته، لا يعجزه شيء، ولا يغلبه غالب.

٤١- الذين إن جعلنا لهم في الأرض مكنته وسلطة بالنصر على عدوهم، أماموا الصلاة في أوقاتها، وآتوا الزكاة للمستحقين، وأمروا بما أمر به الشرع مما فيه خير قولاً أو فعلاً، ونهوا عما نهى عنه الشرع مما هو شر أو مفسدة، ومرجع الأمور في الدنيا إلى حكم الله وتديبه، وكذا في الآخرة ثواباً وعقاباً.

٤٢- وإن يكذبوك أيها الرسول، فقد كذب الرسل قبلك قوم نوح وعاد وثمود.

٤٣- وكذب قوم إبراهيم وقوم لوط نبيهما إبراهيم ولوطاً. والآية وما بعدها تسرية عن الرسول وتصبير له على تحمل الأذى كمن سبقه من الرسل.

٤٤- وكذب أصحاب مدن نبيهم شعبياً، وكذب فوعون وقومه موسى، فأمهلت الكافرين وأخرت عنهم العقاب، ثم أخذتهم بالعذاب، أي أهلكتهم، فكيف كان إنكارهم عليهم وتغيير النعمة إلى نقمة؟!

٤٥- وكمن قرية، أي كثير، أهلكتنا أهلها، وهم ظالمون أنفسهم بالكفر والتكذيب، فصارت القرية خربة متهدمة، سقطت حيطانها فوق سقفها، وبئر متروكة بموت أهلها لا يتتفع بها، وقصر مرتفع البنيان خرب خال بموت أهله.

٤٦- أفلم يسافروا في نواحي الأرض ليروا مصارع المهلكين، فيعتبروا؟! فتصير لهم قلوب يتعقلون بها، أو آذان يسمعون بها الوحي سماع تدبر وتفهم، فإن الأبصار أو المشاعر ليست عمياء، وإنما العمى عمى البصيرة، وسوء استعمال العقل باتباع الهوى والتقليد. وذكر الصدور للتأكيد.

وَسْتَجْلِبُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ وَإِنَّ يَوْمًا
عِنْدَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾ وَكَأَيُّنَ مِنْ قَرِيبِهِ
أَمَلَيْتُمْ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ شُرَّ أَحْذَنُهَا وَإِلَى الْمَصِيرِ ﴿٤٨﴾
قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا أَنَا كُفْرٌ بَدْرُكُمْ بَيْنِي وَأَلَيْتُمْ
ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤٩﴾
وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْحَيْبِ
﴿٥٠﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ إِلَّا إِذَا
تَمَخَّرَ لِقَى الشَّيْطَانَ فِي أَمْنِيَّتِهِ فَيَسْخُ اللَّهُ مَا يَلْقَى الشَّيْطَانُ
ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ لِيَجْعَلَ مَا يَلْقَى
الشَّيْطَانُ قِتَّةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْقَاسِيَةَ قُلُوبُهُمْ
وَأِنَّ الظَّالِمِينَ لَفِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا
الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ
وَإِنَّ اللَّهَ لَمَكَادٌ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٥٣﴾
وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مَرِئَةٍ مِنْهُ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ
السَّاعَةُ بَعْتَهُمْ أَوْ يُأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ ﴿٥٤﴾

٤٧- ويستعجلك أيها النبي مشركو مكة بما
توعدتهم به من العذاب، على سبيل الاستهزاء
والسخرية، وإن يوماً عند ربك من أيام الآخرة
بسبب العذاب، يقلتر بألف سنة مما تعدون أو
تحسبون في الدنيا، واليوم والألف سواء بالنسبة
لقدرته الله تعالى.

٤٨- وكم من قرية أمهلت أهلها وهم ظالمون
أنفسهم بالكفر، مثلكم أيها الكفار، ثم أخذتهم
بالعذاب، وإلى حكمي المرجع بعد الهلاك.

٤٩- قل أيها النبي: يا أيها الناس في مكة
وغيرها، إنما أنا لكم منذر واضح ومخوف من
عذاب الله إن بقيتم على الكفر.

٥٠- فالذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح
الأعمال التي أمر الله بها، لهم مغفرة للذنوبهم،
ورزق كريم في الآخرة وهو الجنة.

٥١- والذين اجتهدوا في محاربة القرآن وإبطال
تعاليمه، ظانين أنهم يعجزوننا ويغلبوننا ويفوتوننا
بإنكار البعث والقيامة، أولئك هم سكان النار
الموقدة.

٥٢- وما أرسلنا من قبلك أيها الرسول من
رسول بشريعة جديدة يدعو الناس إليها، أو نبي

مبعوث لتقرير شرع سابق، كأنبياء بني إسرائيل بين موسى وعيسى عليهم السلام إلا إذا قرأ آيات الله، ألقى
الشیطان في قراءته ما ليس في قراءته الموحى بها، مما يرضاه المرسل إليهم، فيبطل الله ما يلقي الشيطان من
الوساوس، ثم يثبت الله آياته ويحفظها من التبديل، والله واسع العلم بما يوحي إلى أنبيائه وبأحوال الناس،
وما يلقيه الشيطان، حكيم في تدبير أمور خلقه وفيما يفعله بهم. نزلت في بعض الروايات المرسلة غير
المسندة حينما قرأ النبي ﷺ في سورة [النجم ٥٣/ ١٩- ٢٠]: ﴿أفرايتم اللات والعزى ومناة
الثالثة الأخرى﴾ ألقى الشيطان كلمتين مقلداً صوت النبي: (تلك الغرائق العلاء، وإن شفاعتهن
لترتجى، والغرائيق: الأصنام، أو الملائكة، هم الشفعاء. قال ابن خزيمة: إن هذه القصة من وضع
الزنادقة.

٥٣- ليجعل الله ما يلقي الشيطان من الوسوس محنة وابتلاء للذين في قلوبهم شك ونفاق، وللکفار
والمشركين قساة القلوب عن قبول الحق، وإن الظالمين لأنفسهم بالنفاق أو الشرك في خلاف شديد مع الحق
والرسل وتبعد كبير عنهما، حتى صار كل فريق في شق لا يجتمعان.

٥٤- وليعرف أهل العلم المجردون عن التعصب والعناد أن القرآن هو الحق النازل من عند الله، لا تبديل فيه
ولا تغيير، فيؤمنوا بالقرآن وبالله، أو يثبتوا على إيمانهم، فتخشع له قلوبهم وتتقاد، وإن الله لوفى ومرشد
المؤمنين إلى طريق قويم، لا عوج فيه.

٥٥- ولا يزال الكفار في شك من هذا القرآن، حتى تأتيهم القيامة فجأة، أو يأتيهم عذاب يوم لا خير فيه
لهم، متفردين عن سائر الأيام لشدته، وهو يوم القيامة، ووصف بأنه عقيم؛ لأنه لا يوم بعده.

٥٦- السلطان القاهر والتصرف التام لله وحده يوم القيامة، يقضي بين الناس جميعاً، فالذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم جنات النعيم مستقرون فيها على الدوام.

٥٧- والذين كفروا بالله ورسله، وكذبوا بآيات الله في كتبه ومنها القرآن، لهم يوم القيامة عذاب مذل بالغ الإهانة.

٥٨- والذين هاجروا وتركوا أوطانهم من مكة إلى المدينة من أجل طاعة الله ورضوانه، ثم قتلوا في معركة في الجهاد، أو ماتوا في دار الهجرة، ليرزقهم الله رزقاً حسناً في الآخرة وهو الجنة، وإن الله هو خير الرازقين أو المعطين؛ فإنه يرزق بغير حساب.

٥٩- ليدخلنهم ربهم إدخالاً مرضياً أو موضعاً يرضونه وهو الجنة، وإن الله واسع العلم بنياتهم وأحوالهم ودرجاتهم، كثير الحلم لا يعاجلهم بالعقوبة ولا يؤاخذهم بما فرط منهم.

٦٠- الأمر هو ذلك، ومن جازى الظالم بمثل ظلمه، ثم عاد إلى إلحاق الظلم بالظالم الأول، لينصرون الله المظلوم في هذه المرة على الباغي، إن الله كثير العفو عن المؤمنين، واسع المغفرة لهم. نزلت في شأن فئسة من المشركين قاتلوا سرية من المسلمين في الشهر الحرام، بالرغم من مناشدة الصحابة ألا يقاتلهم المشركون، فأبوا ذلك، فقاتلهم المسلمون، وانتصروا عليهم.

الْمَلِكُ يُوسِّدُ لَكَ لِيْلَهُمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي حَيَاتِهِمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ قُتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِرِزْقِهِمْ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ خَبِيرُ الرَّزِيقِينَ لِيَدْخُلْنَهُمْ مَدْحَلًا يَرْضَوْنَ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَلِيمٌ حَلِيمٌ ذَلِكَ وَمَنْ عَاقَبَ بِمِثْلِ مَا عُوقِبَ بِهِ شَعْبِي عَلَيْهِ لِيَنْصُرَنَّهُ إِنَّ ابْنَ اللَّهِ لَعَفُوفٌ ذَلِكُمْ بِأَنَّ اللَّهَ يُوَجِّعُ الْإِتْلَافَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِّعُ النَّهَارَ فِي الْإِتْلَافِ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ وَأَنَّ مَا بَدُونُ مِنْ دُونِهِ هُوَ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ أَرْسَلْنَا أَنْزِلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَتُصْبِحُ الْأَرْضُ مُخْضَرَّةً إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَ الْغَنِيُّ الْغَنِيُّ

٦١- ذلك النصر بسبب أن الله قادر على كل شيء، فهو الذي يدخل كلاً من الليل والنهار في الآخر، بأن يزيد به وينقص الآخر، ويغلب بعض الأمور على بعض، وأن الله دقيق السمع مديد البصر، يسمع كل قول، ويبصر كل فعل.

٦٢- ذلك الاتصاف بالقدرة الكاملة والعلم التام لله تعالى، لأجل أن الله هو الحق، أي الموجود الثابت الواجب لذاته، وأن ما يعبدون من دونه من الآلهة كالأصنام هو الباطل المعدوم الزائل؛ لأنه لا يملك ضرراً ولا نفعاً، وأن الله هو المتعالي على كل شيء بقدرته وعظمته، الكبير العظيم عن أن يكون له شريك.

٦٣- ألم تعلم أن الله أنزل من السحاب مطراً- والسما: كل ما علا من الأجرام والكواكب- فتصبح الأرض مخضرة بالنبات، إن الله لطيف بعباده، يصل علمه إلى كل دقيق وجليل، خبير بالتدابير الظاهرة والباطنة، والنوايا والأحوال.

٦٤- له جميع ما في السموات والأرض خلقاً وملكاً، وإن الله هو الغني في ذاته عن كل شيء، فلا يحتاج لأحد، المستحق للحمد في كل حال.



أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مِمَّا فِي الْأَرْضِ وَالْفَلَاقَ تَجْرِي
 فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ
 إِلَّا بِإِذْنِهِ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٦٥﴾ وَهُوَ الَّذِي
 أَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ إِنَّ ابْنَ الْإِنْسَانِ لَكَنُورٌ ﴿٦٦﴾
 لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مِنْكُمْ كَاهِنًا يُسَكِّوهُ فَلا يَشْرِكُ بِكَ
 فِي الْأَمْرِ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ إِنَّكَ لَعَلى هُدًى مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٧﴾
 وَإِنْ جَدَلْتُمْ مَعَهُ فَقُلْ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٦٨﴾ اللَّهُ يَحْكُمُ
 بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ ﴿٦٩﴾
 أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ فِي
 كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧٠﴾ وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ
 مَا لَمْ يَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانٌ وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ وَمَا لِلظَّالِمِينَ
 مِنْ نَصِيرٍ ﴿٧١﴾ وَإِذْ أَنْتَ عَلَى عِلْتِهِمْ أَيْدِنَا نَبِيًّا تَعْرِفُ
 فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ
 يَسْلُونَ عَلَيْهِمْ أَيْدِنَا قُلْ أَفَأَنْتُمْ بَشَرٌ مِمَّنْ ذَلِكُمْ
 النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَبْسُ الْمَصِيرُ ﴿٧٢﴾

٦٥- ألم تعلم أن الله ذللكم جميع ما في الأرض من جماد ونبات وحيوان لمنفعتكم، وذللكم السفن في حال جريها في البحر، بإذنه ومشيته، ويحفظ السماء من وقوعها على الأرض إلا بأمره وقدرته، إن الله بالناس لشديد الرفاعة بعباده، واسع الرحمة بهم.

٦٦- والله هو الذي أحياكم بالإنشاء بعد أن كنتم جماداً: عناصر ونطفاً، ثم يميتكم عند انتهاء أجالكم، ثم يحييكم في الآخرة عند البعث، إن الإنسان لجحود للنعم حين ترك توحيد الله تعالى.

٦٧- لكل أمة جعلنا شريعة وعبادة يكلفون بها، هم عاملون بها، فلا يصح أن ينازعوك- أي المشركون- في أمر الدين، ومنه الذبائح، وادع إلى توحيد ربك وعبادته، إنك لعلي دين قويم. نزلت حين قال مشركو خزاعة: ما لكم تأكلون ما قتلتم، ولا تأكلون ما قتله الله؟!

٦٨- وإن جادل المشركون بعد ظهور الحججة

عليهم في أمر الدين، فقل أيها النبي: الله أعلم بما تعملون، أي فوكل أمرهم إلى الله، وهذا وعيد لهم.

٦٩- الله يفصل بين المؤمنين والكافرين فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ليعلم المحق من المبطل.

٧٠- أما قد علمت أيها النبي أن الله يعلم كل شيء في السماء والأرض، ومنه الخلافات القائمة، إن ذلك العلم المحيط بما ذكر من معلومات الله مدون في كتاب هو اللوح المحفوظ، وإحاطة علمه بجميع الأشياء أمر يسير عليه، لا صعوبة فيه، فسبحانك يا رب هذا دليل ألوهيتك، فنحن لا نعلم شيئاً ما وراء جدار مجاور لنا مثلاً!!

٧١- ويعبد المشركون أصناماً من دون الله، لا حجة فيها ولا برهان من الله، ولم يقم عليها دليل علمي ولا عقلي، وليس للكافرين من ناصر ينصرهم، يقرر مذهبهم أو يدفع عنهم العذاب.

٧٢- وإذا تتلى على المشركين آيات القرآن واطمأننت الدلالة على توحيد الله، تظهر على وجوه الكفار علامات الإنكار والغضب والكره الدالة على إرادة الفتك بالغير، يكادون يبطشون بالنبي وبالؤمنين الذين يتلون عليهم آياتنا من شدة الغيظ، قل لهم أيها الرسول: أفأخبركم بشر من غيظكم على تالي آيات الله؟ هو النار التي وعدنا الله الكافرين بأن مصيرهم إليها، جزاء كفرهم، وبئس المصير هي النار.

يَأْتِيهَا النَّاسُ ضُرْبَ مَثَلٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ
 مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذَبَابًا وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ
 الذَّيَابُ شَيْئًا لَا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ
 وَالْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾ مَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ
 عَزِيزٌ ﴿٧٤﴾ اللَّهُ يَصْطَلِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمَنْ لِيَأْتِيَ اللَّهَ
 سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٧٥﴾ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَإِلَى اللَّهِ
 تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٧٦﴾ يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَنْكُرُوا وَأَسْجُدُوا
 وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْحِرُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا
 فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ
 مِنْ حَرَجٍ مَثَلًا لَكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ
 وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ
 عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ
 هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ ﴿٧٨﴾

سورة المائدة
 ﴿٧٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٧٨﴾

٧٣- يا أيها الناس من أهل مكة وغيرهم بين وأبرز لكم مثال رائع وكلام بديع، فاستمعوا لهذا المثل سماع تدبر وتفكر، إن الذين تعبدون من دون الله وهي الأصنام، لن يقدرُوا على خلق ذباب مع صفه، ولو اجتمع جميع المعبودات لهذه المهمة، وإن يأخذ من هذه المعبودات شيئاً كالطيب والزعفران لا يقدرُون على استرداده منه لعجزهم، ضَعُف الصنم الطالب خَلَقَ الذباب، أوردَ المسلوب، والمطلوب وهو الذباب السالب، أو عابد الصنم والصنم المعبود.

٧٤- ما عظمَ المشركون الله حق عظمته، ولا عرفوه حق المعرفة، حيث أشركوا به هذه الأصنام العاجزة، إن الله لقادر تام القدرة، غالب لا يقهره أحد.

٧٥- الله يختار من الملائكة رسلاً بمهام معينة مثل جبرائيل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، ويختار من الناس أناساً وهم الأنبياء لهداية الناس، إن الله سميع لقاتتهم، مدرك للأشياء كلها، بصير بالأفعال وبمن يتخذهُ رسولاً.

٧٦- يعلم الله كل ما قدموا وما أخرُوا، وعملوا ويعملون من أعمال، وإلى الله مرجع الأمور كلها

٧٧- يا أيها المؤمنون صلوا لله الصلاة التي شرعها الله لكم، ووحّدوا ربكم وخصوه بالعبادة، وافعلوا ما هو خير من أداء الفرائض والنوافل ونفع الناس ومكارم الأخلاق، لتفلحوا وتفوزوا في الدنيا والآخرة.

٧٨- وجاهدوا في سبيل الله بمدافة الأعداء جهاداً حقاً خالصاً لوجهه، هو اختاركم لدينه ولنصرة شرعه، وما جعلَ عليكم فيما شرعه لكم من الدين من ضيق ومشقة وشدة، بتكليفكم ما يشق عليكم، وإنما جعله سمحاً سهلاً، ورخص لكم الرخص الشرعية الكثيرة كالقصر وجمع الصلاتين، والظفر في رمضان للمسافر والمرضى، والتميم، وأكل الميتة وغيرها من المحرمات للضرورة، وإن تلك الشريعة الميسرة هي شريعة أبيكم إبراهيم- وإنما جعل أباً للمسلمين؛ لأنه أبو رسول الله ﷺ أي جدّه، والرسول كالأب في الشفقة على الأمة- فاتبعوها والزموها، الله سماكم المسلمين على لسان إبراهيم حين دعا ربه قائلاً: ﴿... ومن ذريتنا أمة مسلمة لك﴾ [البقرة ٢/١٢٨] من قبل القرآن في الكتب المتقدمة، وفي القرآن سماكم أيضاً المسلمين، وسماكم ليكون الرسول محمد ﷺ شاهداً عليكم يوم القيامة بتبليغه الرسالة إليكم، وتكونوا شهداء على الناس أن رسلهم قد بلغتهم رسالات ربهم، فواظبوا على الصلاة وإيتاء الزكاة وغيرهما من الطاعات، وثقوا بالله والتجشوا إليه وتوكلوا عليه، هو ناصركم ومتولي أموركم، فتنم الناصر والنصير للمؤمنين؛ إذ لا مثل له في الولاية والنصرة.

سورة المؤمنون

فضلها: روى الإمام أحمد وغيره: أن النبي ﷺ قال: «لقد أنزل علي عشر آيات، من أقامهن - أي لم يخالف ما فيهن - دخل الجنة، ثم قرأ ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [١] حتى ختم العشر».

١- قد فاز المؤمنون بالنعيم الدائم. روى النسائي أن السيلة عائشة رضي الله عنها سئلت عن خلق رسول الله ﷺ، فقالت: كان خلقه القرآن، ثم قرأت ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ حتى وصلت إلى قوله تعالى: ﴿والذين هم لفروجهم حافظون﴾ [٥] قالت: هكذا كان خلق رسول الله ﷺ.

٢- الذين هم في صلاتهم خاضعون متواضعون متذللون لله مع خوف وسكون.

٣- والذين هم متصرفون عن اللغو: وهو كل باطل وما لا خير فيه ولا فائدة من الكلام.

٤- والذين هم لأجل تنمية الخير وتركية النفوس فاعلون كل ما يحقق ذلك: وهو ما أمرهم الله تعالى به، وليس المراد بالزكاة هنا المال؛ لأنه لا يقال: فعل فلان المال، وإنما يقال: فعل الإحسان، وفعل الشر.

٥- والذين هم يحافظون على فروجهم من الحرام، بالتعفف عنه وكف النفس عن اقتراه. والفرج: سواة الرجل والمرأة.

٦- إلا على زوجاتهم بعقد زواج مشروع، أو ما ملكت أيمانهم من الإماء أو السراري حينما كان الرق شائعاً في الماضي، ومصدره الحرب واسترقاق الإمام للنساء معاملة بالمثل، فهم غير ملومين في الاستمتاع بهن، ففي الزواج يملك الزوج المتعة بالعقد، والإماء مملوكات الرقة والمنفعة والمتعة.

٧- فمن طلب غير ذلك من الزوجات والسراري، فهم المعتدون المجاوزون حدود الله تعالى.

٨- والذين يراعون الأمانة والعهد ويحفظون ذلك، والأمانة: كل ما يوتمن الإنسان عليه من التكليف الشرعية أو الودائع المالية، والعهد: كل ما يلتزم الإنسان الوفاء به، من جهة الله كالصلاة، أو من جهة عباده كالعهادات.

٩- والذين هم يحافظون على صلواتهم بإتمام أركانها وأدائها في أوقاتها.

١٠- أولئك الجامعون لهذه الصفات هم وارثو الجنان.

١١- الذين يرثون الفردوس: أعلى الجنة، هم مقيمون فيها على الدوام، لا يخرجون منها.

١٢- ولقد خلقنا جنس الإنسان من خلاصة ماء، مستلة من التراب في الأصل.

١٣- ثم جعلنا نسل الإنسان من طريق نطفة (مني) ملقاة في رحم المرأة لتستقر فيه.

١٤- ثم خلقنا النطفة وصيرناها قطعة دم جامد، ثم صيرناها قطعة لحم صغيرة، ثم صيرناها قطعة اللحم عظماً، ثم كسونا العظام لحماً بأن أنبتنا على كل عظم لحماً بمقدار يناسبه، ثم أنشأناه بعد صيرورته جنباً متكاملاً الخلقه خلقاً آخر بنفخ الروح فيه وولادته حياً، فتعاطم وتقدس الله في قدرته وحكمته أحسن المقدرين الصائمين. والخلق يطلق عنى الإيجاد والتقدير، والمراد هنا الثاني.

١٥- ثم إنكم أيها البشر بعد مراحل النشأة والحياة ليمتتون عند انقضاء الأجال.

١٦- ثم إنكم تبعثون يوم القيامة للحساب والجزاء.

١٧- ولقد خلقنا فوقكم سبع سموات، طُورق بعضها فوق بعض، وما كنا غافلين عن حفظ هذه السموات من السقوط.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴿١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَائِعُونَ

﴿٢﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ الْقَوْمِ مُّصْرُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ

فَاعِلُونَ ﴿٤﴾ وَالَّذِينَ هُمْ لِقُرُوبِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾ إِلَّا عَلَى

أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ غَيْرِ مُلِيمِينَ ﴿٦﴾

فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ﴿٧﴾ وَالَّذِينَ

هُمْ لِأَمْثَلِهِمْ رِعْذِهِمْ رَاعُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ

يُحَافِظُونَ ﴿٩﴾ أُولَئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ ﴿١٠﴾ الَّذِينَ يَرِثُونَ

الْفَرْدَوْسَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿١١﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ

مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ

مَكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ

مُضْغَةً فَخَلَقْنَا الْأضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ﴿١٤﴾

ثُمَّ أَنشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَبَارَكْ اللَّهُ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾

ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَنَسُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامِ تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾

وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمَا كُنَّا مِنَ الْخَالِقِ غَافِلِينَ ﴿١٨﴾

وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى
 ذَهَابٍ بِهِ لِقَادِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنْشَأْنَا لَكُمْ بِهِ جَنَّاتٍ مِنْ نَجِيلٍ وَأَعْتَبْنَا
 لَكُمْ فِيهَا فَوَاكِهَ كَثِيرَةً وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَنَجْمَةٌ تَخْرُجُ
 مِنْ طُورِ سَيْنَاءَ تَنْبُتُ بِالذِّهْنِ وَصَيْبٌ لِلْكَافِرِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَكُمْ
 فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِيُتَّقِيَكُمْ بَمَا فِي بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ
 وَمِمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ لِقَوْمِهِ إِنَّ اللَّهَ مَأْكُومٌ لِكُمُ الْإِلَهَ
 عَزَّ وَجَلَّ فَاتَّقُوا اللَّهَ ﴿٢٣﴾ فَقَالَ الْمُلُوكُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا هَذَا
 الْإِبْرَئِيلُ يُرِيدُ أَنْ يَفْضَلَ عَلَيْكُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَأَنْزَلَ
 عَلَيْكُمْ مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ فِي آيَاتٍ مُبِينَةٍ ﴿٢٤﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا
 رَجُلٌ يَدْعُوهُمْ إِلَى تَقْوَاهُ بِهِ حَتَّى جِئْتَهُمْ فَالِقَ رَبِّ أَنْصَرَيْنِ
 بِنَاءِ كَذُوبٍ ﴿٢٥﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا
 وَوَحِّينَا فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورَ فَاسْلُكْ فِيهَا
 مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَئِينَ آئِنِينَ وَآهْلِكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ
 مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِيمَهُمْ مُتَعَفِفُونَ ﴿٢٦﴾

١٨- وأنزلنا من السماء مطراً بمقدار معلوم يحقق الكفاية، ولا يحصل به الهلاك، فجعلناه مستقراً في الأرض، ينبع منها عيون وأنهار، وكما قدرنا على إنزاله، فنحن قادرون على تخويره في الأرض بحيث يتعذر إخراجها، فيحدث الموت عطشاً، والهلاك في المزرعات والواشي بسبب الجفاف.

١٩- فأوجدنا لكم بالماء بساتين من نخيل وأعناب، وهما أكثر فواكه العرب، لكم في هذه الجنات فواكه كثيرة مختلفة الألوان والأنواع، ومن ثمارها تنتفعون أكلاً وشرباً، وطباً وياسماً، صيفاً وشتاءً، فالمراد من الأكل هنا: الانتفاع والارتزاق.

٢٠- وأنشأنا بهذا الماء شجراً مباركاً، وهو شجر الزيتون الذي يخرج في طور سيناء (طور سينين) عند مناجاة موسى ربه، يخرج منه زيت الاستصباح، وزيت الأكل ليدهن به، ويتنفع به إداماً للكاكين.

٢١- وإن لكم في الإبل والبقر والغنم لعظة تعتبرون بها وتستدلون بها على القدرة الإلهية، نسقيكم مما في بطونها لبناً طيباً، ولكم فيها منافع كثيرة في ظهورها وأصوافها وأوبارها وأشعارها وغير ذلك، ومنها تأكلون اللحوم والأسمان.

٢٢- وعليها وعلى السفن تحملون في الأسفار والتنقلات إكمالاً للنعمة، والركوب عادة يكون على الإبل دون باقي الأنعام من البقر والغنم، ولا مانع من عود الضمير على بعض مشتملات الكلام السابق.

٢٣- ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه الوثنيين، لدعوتهم إلى توحيد الله وعبادته، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده، ولا تشركوا به شيئاً، ليس لكم إله يستحق العبادة غيره، أفلا تخافون عذابه؟

٢٤- فقال أشراف قومه الكفار لأتباعهم: ليس نوح إلا مثلكم من البشر العادين، يريد بما يدعي من النبوة أن يكون له التفضل والسيادة عليكم حتى تكونوا أتباعاً له، ولو شاء الله إرسال رسول لهداية البشر لأرسل ملائكة، ما سمعنا بهذا الذي دعا إليه نوح من التوحيد، وكونه من البشر، في الأمم الماضية.

٢٥- ما نوح إلا رجل به جنون مضطرب العقل والكلام، فانتظروه إلى زمن لعله يفيق من جنونه أو يموت.

٢٦- قال نوح: يا رب انصرتني على قومي بسبب تكذيبهم إياي، بأن تهلكهم.

٢٧- فأوحينا إلى نوح: أن اصنع السفينة بحفظنا ورعايتنا، وإرشادنا وتعليمنا إياك، فإذا جاء أمرنا بنزول العذاب بهم وإهلاكهم، وفار نبع الماء من مكان خبز الخباز: وهو بيت النار الذي ينضج به الخبز، فأدخل في السفينة من كل نوع من أنواع الحيوان صنفين: ذكر وأنثى، ليستمر توالد الحيوان وتبقى الحياة في الأرض، وأدخل أيضاً أهل بيتك ومن آمن معك إلا من تقرر إهلاكه لكفره، أي سبق القضاء بهلاكه، ولا تشفع في الذين كفروا بترك إهلاكهم، إنهم مغرورون حتماً، لظلمهم بالإشراك والمعاصي.

٢٨- فإذا اعتدلت بركوبك في السفينة وصعدت إليها أنت ومن معك، فقل: الحمد لله الذي خلصنا من شر القوم الكافرين.

٢٩- وقل عند نزولك من السفينة: رب أنزلي إنزالاً مباركاً أو مكاناً فيه الخير والبركة، وأنت خير المتزين المكرمين عبادك.

٣٠- إن في قصة نوح عليه السلام المذكورة لدلالات على كمال قدرة الله تعالى، وعبراً وعظات وإن كنا لمختبرين عبادنا ومنهم قوم نوح بالآيات وإرسال الرسل، أي نعاملهم معاملة المختبرين ليظهر المطيع من العاصي.

٣١- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم قوماً آخرين، هم عاد قوم هود.

٣٢- فأرسلنا فيهم رسولاً من جنسهم، هو هود عليه السلام، قائلاً لهم: اعبدوا الله وحده، ما لكم من إله مستحق العبادة غيره، أفلا تتخافون عقاب الله، فتركوا عبادة غيره، والإشراك به، أفلا تتقون عقابه، فتؤمنوا.

٣٣- وقال أشرف قومه رؤسائهم الذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بالمصير إلى الآخرة وما فيها من ثواب وعقاب، ونعمناهم ووسعنا عليهم وجعلناهم في ترف وسعة من الرزق وكثرة الأولاد في الحياة الدنيا، حتى بطروا: ما هود هذا الذي يدعي النبوة إلا من جنسكم من البشر، يأكل من أكلكم، ويشرب من شربكم، ولو أرسل الله رسولاً لجعله ملكاً.

٣٤- والله لئن أطعتم بشراً مثلكم فيما يأمركم به وينهاكم عنه، وتركتم عبادة الهتكم، إنكم إذا أطعتموه لمعبونون في آرائكم، حيث أذلتكم أنفسكم لأمتالكم.

٣٥- أي عدكم هود أنكم إذا متم وأصبحتم تراباً وعظاماً نخرة لا لحم فيها أنكم مبعوثون من قبوركم أحياء؟!

٣٦- بعداً بعداً- أي بعد البعث بعد الموت- لما توعدون من الإخراج من القبور والبعث والحساب، والمعاد إنكار البعث وأذى النفس فيما بعد مئات السنين. ولام ﴿لما﴾ هي لام البيان، تبين مرجع الضمير وهو البعث.

٣٧- لا حياة إلا حياة الدنيا التي نعيشها، يموت بعضنا ويولد بعض آخر، ولسنا نحن مبعوثين بعد الموت.

٣٨- ما هو إلا رجل اختلق على الله كذباً، ولسنا بمصدقين له في رسالته وإدعائه البعث بعد الموت.

٣٩- قال هود: رب انصرتني عليهم بسبب تكذيبهم إياي.

٤٠- قال الله: بعد زمان قليل ليصيرن نادمين على كفرهم وتكذيبهم عندما يرون العذاب.

٤١- فأخذتهم صيحة العذاب وهي صوت شديد مهلك، باستحقاقهم العقاب بكفرهم، وبالوجه الثابت عدلاً، فصيرناهم هلكت كغناء السيل: وهو ما يحمل من الورق والعيان اليابسة، فبعداً من الرحمة وهلاكاً للقوم الكافرين المكذبين.

٤٢- ثم أوجدنا من بعد إهلاكهم أقواماً آخرين، وهم قوم صالح ولوط وشعيب وغيرهم.

فَإِذَا اسْتَوَيْتَ أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْعَذَابِ فَقُلْ تَحْمَدُ لِلَّهِ الَّذِي
خَلَقَنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٨﴾ وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي مُنزَلاً مُبَارَكاً
وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ ﴿٢٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا
لَمُبْتَلِينَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٣١﴾ فَأَرْسَلْنَا
فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ وَأَقْلَابًا
تَتَقَوَّبُ ﴿٣٢﴾ وَقَالَ الْمَلَأَمِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا
الْآخِرَةَ وَأَتْرَقَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشْرٌ مِثْلُكُمْ يَأْكُلُ
مِثْلًا لَكُمْ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِثْلًا شَرَبُونَ ﴿٣٣﴾ وَإِنْ أَنْظَعْتُمْ بَشَرًا
مِثْلَكُمْ وَإِنَّكُمْ إِذْ الْخُسُوفُ ﴿٣٤﴾ أَيْدِيكُمْ أَنْكُمْ إِذَا مِثْمٌ وَكُنْتُمْ
تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْكُمْ فَخُرُوجُونَ ﴿٣٥﴾ هِيَ هَاتِ هِيَ هَاتِ لِمَا
تُوعَدُونَ ﴿٣٦﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا جَانِنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نَحْنُ
بِمُعْوِيثِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا رَجُلٌ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُعْوِنِينَ
﴿٣٨﴾ قَالَ رَبِّ انصرتني بما كذبون ﴿٣٩﴾ قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ لَيُصْبِحُنَّ
نَادِمِينَ ﴿٤٠﴾ فَأَخَذْتُمُ الصَّيْحَةَ الَّتِي جَعَلْنَاهُمْ غَنَاءً فَبَعْدًا
لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٤١﴾ ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ ﴿٤٢﴾



مَا تَسْقُ مِنْ أُمَّةٍ أَمَلَهَا وَمَا يَسْتَعْرُونَ ﴿٤٣﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا رَسُولَنَا
 نَرَا كُلَّ مَلْجَأٍ أُمَّةٍ وَرَسُولًا لَدَيْهِ فَأَتَيْنَا بَعْضَهُمْ بَعْضًا
 وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبُعْدًا لِقَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٤﴾ ثُمَّ أَرْسَلْنَا
 مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٤٥﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ
 وَمَلَائِكَتِهِ فَاستَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ ﴿٤٦﴾ فَقَالُوا أَتُومِنُونَ
 لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عِدُونَ ﴿٤٧﴾ فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا
 مِنَ الْمُهْلَكِينَ ﴿٤٨﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾
 وَجَعَلْنَا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ رِزْقًا رَافِعًا إِيَّاهُ وَآلِهِمْ لِيُحْسِنُوا الصَّاتَاتِ
 فَارِيعِينَ ﴿٥٠﴾ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ كُلِّمَ مِنَ الطَّائِفَاتِ وَعَامِلُوا
 صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ وَإِنْ هَذِهِ مِنْ أُمَّةٍ وَاحِدَةٍ
 وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴿٥٢﴾ فَتَقَطَّعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ زُبُرًا كُلَّ
 حِزْبٍ بِمَالِ اللَّهِ يُرِيمُ فِرْعَوْنَ ﴿٥٣﴾ فَذَرْنِي فِي عَذَابِهِمْ سَخٍّ مِثْلِي
 أَيْحْسِنُونَ أَمَّا بُدَّ هَرَبِهِمْ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ ﴿٥٤﴾ نَسَارِعَ لَهُمْ
 فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَّا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ إِنَّ الَّذِينَ هُمُ مِنْ خُسْفَانٍ رَبِّهِمْ
 مُشْفِقُونَ ﴿٥٦﴾ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٧﴾

٤٣- ما تتقدم كل أمة الأجل المقرر لهلاكها، ولا تتأخر عنه.

٤٤- ثم أرسلنا رسلنا، يتبع بعضهم بعضاً، كلما جاء رسول إلى أمته كذبوه ولم يصدقوه برسالاته، فاتبعنا بعضهم بعضاً في الإهلاك، وجعلناهم أحاديث للعبرة: وهي ما يتحدث الناس به لغرابته، فبعداً عن رحمة الله وهلاكاً لقوم لا يصدقون برسالات الرسل.

٤٥- ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بالمعجزات التسع المذكورة في [الأعراف ١٣٣/٧] وهي الجراد، والدم، والسنون، ونقص الثمرات، والطوفان، والقمل (حشرة تتلف الزرع) والصفادع، والطمس على الأموال، والطبع على القلوب، وأرسلناه أيضاً بحجة واضحة ملزمة للخصم على وحدانية الله، والسلطان: صفة للآيات.

٤٦- أرسلناهما إلى فرعون وكبار قومه، فاستكبروا عن الإيمان، وكانوا قوماً مستعجلين على الناس بالبغى والظلم.

٤٧- فقال فرعون وقومه: أنسلّم لبشرين مثلنا ما يقولان، وقومهما لنا مطيعون متقادون انقياد العبيد؟

٤٨- فكذبوا موسى وهارون، فكانوا بسبب تكذيبهم من المهلكين بالفرق في البحر.

٤٩- ولقد آتينا موسى التوراة لعل بني إسرائيل يهتدون بها إلى الحق والشرائع والأحكام، ويعملون بها.

٥٠- وجعلنا عيسى ابن مريم وأمه دليلاً على كمال قدرتنا، وأنزلناهما في بقعة مرتفعة من الأرض، فيها أسباب الاستقرار من الزرع والثمار، وفيها ماء جارٍ ظاهر للعينين.

٥١- وقلنا: يا أيها الرسل، كلوا عما يستطاب ويستلذ من المباحات، واعملوا عملاً صالحاً موافقاً للشرعية من فرض ونفل، إني عليم بأعمالكم، لا يخفى علي منها شيء.

٥٢- وإن هذه ملة الإسلام ملتكم ودينكم وشريعتكم، وهي دين واحد أيها المخاطبون، وهي شريعة توحيد الله، فاتقوا الله وحده وخافوا عقابه، بأن تشركوا به غيره.

٥٣- فقطع الأتباع دينهم قطعاً، وتفرقوا فرقا مختلفة، وأصبحوا طوائف، كل جماعة معجبون، مسرورون بما لديهم من الدين.

٥٤- فآثرهم في جهلهم وغفلتهم إلى وقت موتهم وعذابهم في النار.

٥٥- أيقنون أن ما نعطيهم في هذه الدنيا من الأموال والأولاد؟

٥٦- نمجّل لهم به تكريماً وتحقيقاً خيراً؟ لا نفعل ذلك، بل إنما نستدرجهم ليزدادوا إثمًا، وهم لا يشعرون. والمعنى: أيقنون أن الذي نعدهم به نسارع لهم به فيما فيه خيرهم وإكرامهم؟ الأمر عكس ذلك، فنحن لا نسارع لهم في خير، بل هم لا يشعرون بأننا نستدرجهم ليزيدوا في عيهم، فيزيد عذابهم.

٥٧- إن الذين هم من خشية عذاب ربهم شديدو الخذر، فلا يفعلون ما يفضيه تعالى.

٥٨- والذين هم يصدقون بآيات ربهم المنزلة في القرآن المجيد، وبالآيات الكونية في الأنفس والسموات والأرض.

وَالَّذِينَ هُمْ بِهِمْ لَا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجْهَةٌ أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ ﴿٦٠﴾ أُولَٰئِكَ يُسْرِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَا سَمِيحُونَ ﴿٦١﴾ وَلَا تَكَلِّفْ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَلَا دَيْنًا كَلْبًا يَبْطِقُ بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ بَلْ قُلُوبُهُمْ فِي عَمْرٍوَةٍ مِّنْ هَذَا وَلَهُمْ أَعْمَلٌ مِّنْ دُونِ ذَٰلِكَ هُمْ لَهَا عَامِلُونَ ﴿٦٣﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِالْعَذَابِ إِذِ انْتَجَعُوا ﴿٦٤﴾ لَاجْتِرَاءِ الْيَوْمِ إِلَيْكُمْ مِنَّا لُتُنصِرُوهُمْ ﴿٦٥﴾ فَذَكَرْتُمْ ءَأَنبَأْتُمْ نَسْلًا عَلَيْكُمْ فَكُنْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ تَنكِبُونَ ﴿٦٦﴾ مُسْتَكْبِرِينَ بِهِ سَامِرًا تَمْجُرُونَ ﴿٦٧﴾ أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ ءَابَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٦٨﴾ أَمْ لَمْ يُبْهَرُوا بِرُسُوفِهِمْ فَهَمَلُوا مَنكُرُونَ ﴿٦٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ بَلْ جَاءَهُمُ الْبَأْسُ وَأَكْثَرُهُمُ الْبَاطِلُ كِرْهُونَ ﴿٧٠﴾ وَلَوْ أَنبَأَ الْخَلْقُ ءَأَهْوَاءَهُمْ لَفَسَدَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ بَلْ أَنبَهُهُمُ بَيْنَهُمْ بَيْنَكُمْ فَهَمُّوعَن ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ ﴿٧١﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ خِزْفًا رَّجُوكَ خَيْرٌ وَهُوَ خَيْرٌ الرَّزْقِينَ ﴿٧٢﴾ وَإِنَّكَ لَتَدْعُوهُمْ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٣﴾

٥٩- والذين هم بهم يبرهيم لا يشركون معه شريكاً آخر، شركاً جليلاً ولا خفياً، نص على ذلك بعد التصريح بالإيمان؛ لأن الشرك قد يجتمع مع الإيمان بالله تعالى.

٦٠- والذين يعطون ما أعطوا من الصدقات والزكوات، وقلوبهم خائفة ألا تقبل منهم؛ لأنهم راجعون إلى الله تعالى يوم القيامة، فيجازيهم على ما عملوا.

٦١- أولئك الموصوفون بما ذكر يبادرون إلى الخيرات، ويرغبون في الطاعات أشد الرغبة، وهم يسبقون غيرهم إلى فعلها، ولأجلها يسبقون إلى الجنة.

٦٢- ولا تكلف نفساً شيئاً من الطاعات إلا بمقدار طاقتها دون مشقة ولا حرج، فتجوز مثلاً الصلاة للمريض قاعداً أو إيماء، وللمسافر والمريض الفطر في رمضان، ولدينا صحيفة أعمال الخلق، يظهر فيها الحق الواقع، والعمل يوم القيامة، وهم لا يظلمون بنقص ثواب أو بزيادة عقاب.

٦٣- بل قلوب الكفار في غفلة عن هذا الكتاب الذي ينطق بالحق: وهو صحيفة الأعمال أو القرآن، ولهم أعمال سيئة سوى ما هم عليه من الكفر، هم عاملون بها، معتادون فعلها، فيعلمون عليها.

٦٤- حتى إذا أخذنا بعذاب الآخرة المتنعمين منهم، وهم الأغنياء والرؤساء، إذا هم يصرخون ويضجون مستغيثين.

٦٥- فيقال لهم: لا تصرخوا ولا تستغيثوا يوم نزول العذاب، إنكم من عذابنا لا تتقنون ولا تمنعون منا.

٦٦- قد كانت آياتي من القرآن تقرأ عليكم، لتأملوا فيها وتؤمنوا بها، فكنتم تعرضون عن سماعها إعراضاً شديداً شنيعاً. والأعقاب جمع عقب: وهو مؤخر قدم الرجل، والنكوص: الرجوع بالظهر إلى الخلف.

٦٧- مستكبرين بالبيت الحرام على المؤمنين، وهم كفار قريش الذين كانوا يفتخرون بأنهم أهل الحرم وخدامه، سامرين، أي حال كونكم تفعلون هذه الأمور. والهنجر: الهذيان والفحش. قال سعيد بن جبير: كانت قريش تسمر حول البيت، ولا تطوف به، ويفتخرون به، فأنزل الله هذه الآية.

٦٨- أفلم يتدبروا القرآن الدال على صدق النبي ﷺ ويتفكروا فيه ليعلموا أنه الحق من ربهم، أم (للاتنقال من توبيخ إلى توبيخ آخر) جاءهم ما لا عهد به لأبائهم الأقدمين، من الرسول والكتاب؟!.

٦٩- أم لم يعرفوا رسولهم بالأمانة والصدق وحسن الخلق، فهم منكرون له، مكذبون بدعواه.

٧٠- أم يقولون: به جنون، مع أنهم علموا أنه أرجح الناس عقلاً، بل (لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده) جاءهم بالدين القويم والقرآن العظيم، وأكثرهم للحق كارهون؛ لأنه يخالف أهواءهم وشهواتهم.

٧١- ولو وافق الحق أهواءهم، وأيد القرآن رغباتهم، لفسدت السموات والأرض ومن فيهن، وبخروجها عن نظامها المشاهد، بل أتيناكم بالقرآن الذي فيه مجددهم وشر فقههم، فهم عن هذا الشرف والمفخرة معرضون عنه، مهملون له.

٧٢- أم تطلب منهم أجراً على أداء الرسالة، ففرق ربك في الدنيا وثوابه في الآخرة خير وأبقى، والله أفضل من أعطى وأثاب.

٧٣- وإنك أيها النبي لتدعو المشركين إلى دين قويم ومنهج سليم وهو دين الإسلام.

٧٤- وإن الذين لا يصلحون بالآخرة لعاطلون منحرفون عن طريق الرشاد إلى طريق الضلال.

٧٥- ولو رحمتنا هؤلاء المشركين المنحرفين، وكشفنا ما حل بهم من قحط وجدب وجوع، لتمادوا في ضلالتهم وكفرهم، يترددون ويتخبطون.

٧٦- ولقد عذبناهم بالجوع الذي أصابهم في سنوات القحط أو بالقتل في بدر، فما خضعوا ولا تذللوا لربهم ولا أطاعوه، بل تمردوا، ولا يرغبون إلى الله بالدعاء ولا يخشعون له في الشدائد. قال ابن عباس: جاء أبو سفيان إلى النبي ﷺ فقال: يا محمد، أنشدك بالله والرحم، قد أكلنا العلهز، يعني الوبر والدم، فأنزل الله هذه الآية.

٧٧- حتى إذا جاءهم نوع من العذاب الشديد في الدنيا أو يوم القيامة، إذا هم متحيرون لا يدرون ما يصنعون، يائسون من كل خير.

٧٨- والله الذي أوجد لكم السمع لتسمعوا المواعظ، والأبصار لتشاهدوا ما يدل على وحدانية الله من الآيات الكونية وتعتبروا، والقلوب والعقول لتتفكروا بها، ولكن لا تشكرون الله البتة على هذه النعم.

٧٩- والله هو الذي خلقكم ووزعكم في الأرض، وإليه تجتمعون يوم القيامة بعد التفرق.

وَأَنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ عَنِ الصَّرِيطِ لَنُكَوِّنُونَ ﴿٧٤﴾ وَلَوْ كَشَفْنَا عَنْهُمُ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ لَلْجُورِ فِي طغيَانِهِمْ يَمْتَهُونَ ﴿٧٥﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُم بِالْعَذَابِ فَمَا اسْتَعَاذُوا لِيَهُمْ وَمَا يَصُرُونَ ﴿٧٦﴾ حَتَّىٰ إِنَّا فَخَّرْنَا عَلَيْهِمْ تَأْتِيهِمْ شِدَادٌ إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْتَلِسُونَ ﴿٧٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٧٩﴾ وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتَلَفَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٨٠﴾ بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ ﴿٨١﴾ قَالُوا إِنْ دَامَتْ سَاوَاتِرُنَا وَعِظْمَاؤُنَا لَمَنبَعُوتُونَ ﴿٨٢﴾ لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا مِنْ قَبْلُ إِن هَذَا إِلَّا سَطِيرٌ الْأَوَّلِينَ ﴿٨٣﴾ قُلْ لِمَنِ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا نَذْكُرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ يَدِينُ مَلَائِكَتِي كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ يُخْبِرُ وَلَا يَحِجَارُ عَلَيْهِ إِنْ كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّى تُشْحَرُونَ ﴿٨٩﴾

٨٠- والله هو الذي يتفرد بالإحياء والإماتة، ويستقل بتعاقب الليل والنهار، واختلافهما في الظلمة والإضاءة، وفي الزيادة والنقص، أفلا تدركون صنع الله وتفكرون في قدرته؟!

٨١- بل قال المشركون في مكة مثلما قال آباؤهم ومن تبعهم من قبل لمن سبقك من الرسل.

٨٢- قالوا: أتدنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أننا لمبعوثون يوم القيامة من القبور أحياء؟!

٨٣- لقد وعدنا هذا البعث نحن وآباؤنا، من قبل وعد محمد به، ما هذا إلا أكاذيب وخرافات المتقدمين التي تداوولوها.

٨٤- قل أيها النبي لأهل مكة وأمثالهم: لمن الأرض ومن فيها من المخلوقات، إن كنتم على شيء من العلم، فأخبروني عنه؟

٨٥- سيقولون حتماً: هي الله، قل: أفلا تتذكرون وتتعظون؟ فتعلموا أن القادر على خلق الكون قادر على البعث.

٨٦- قل لهم أيضاً: من رب السموات السبع، ورب العرش العظيم، أي الكرسي الذي هو أعظم من ذلك؟

٨٧- سيقولون حتماً: السموات كلها لله وهو ربها، قل لهم: أفلا تحذرون عقاب الله على شرككم؟

٨٨- قل لهم كذلك: من يبيد ملك كل شيء، وهو يغيث غيره إذا شاء، ولا يغات ولا يمنع أحد من عذاب الله ولا يستطيع أحد نصره؟ إن كنتم على شيء من العلم فأخبروني به.

٨٩- سيقولون: كل ذلك لله وحده، قل لهم: كيف تُخذعون عن الحق كأنكم مسحورون، فتصرفون عن الرشd وطاعة الله وتوحيده؟!

٩٠- بل جتنا هؤلاء المشركين بالقول الحق الثابت الذي لا شك ولا باطل فيه، للدلالة على وحدانيتنا، وإنهم لكاذبون فيما ينسبونه إلى الله من الشريك.

٩١- لم يتخذ الله ولدًا ولا شريكًا لتزده وتقدسه عن ذلك، ولم يكن معه إله يشاركه في الألوهية والملك، ولو كان مع الله إلهة، لانفرد كل إله بما خلق واستقل به، وغلب القوي الضعيف وقهره ليوسع ملكه، كما يفعل ملوك الدنيا، تزده الله عما يصفونه به ويكذبون من الولد والشريك، لقيام الدليل السابق على فساده.

٩٢- الله تعالى عالم كامل العلم بكل ما غاب عن الخلق وما يشاهدونه، فتعاطم الله عن أن يكون له شريك معه من أي مخلوق جماد أو غيره.

٩٣- قل أيها النبي: إن كان لا بد من أن تريني ما يوعدون به من العذاب في الدنيا والآخرة، والجواب في الآية التالية.

٩٤- رب، فلا تجعلني هالكًا مع القوم الظالمين، وأبعدي عنهم.

٩٥- وإنا لقادرون على أن نريك أيها النبي ما نعدهم به من العذاب، فلا تضجر لتكذيبهم.

٩٦- ادفع بالخصلة المفضلة الحسنة وهي الصفح

والعفو سيئتهم وأذاهم إياك، وصدّهم عن دينك، نحن أعلم منك أيها الرسول بما يصفونك به من الأوصاف الكاذبة، وسنجازيهم عليه.

٩٧- وقل أيها النبي عند المحنة أو الشدة: رب اعتصم واستجير بك من نزعات الشياطين ووساوسهم الشريرة.

٩٨- واستجير بك والجا إليك يارب من حضورهم في أموري؛ لأنهم لا يحضرون إلا للوساوس والإغراء بالشر، والإبعاد عن الخير.

٩٩- حتى إذا جاء أحد المشركين الموت قال: يارب رُدوني إلى الدنيا؛ لما يرى من المخاوف وسكرات الموت. وجمع ضمير (ارجعوني) فلم يقل: (ارجعني) إشارة لتكرار هذه الكلمة من شدة الفزع، أو لتعظيم الله تعالى.

١٠٠- لعلي أعمل صالحًا بتوحيد الله والقيام بالأعمال الصالحة فيما ضيعت، لارجوع، إن قوله: رب ارجعون لا فائدة فيه، ولو رُدّ لعاد لما نهي عنه، ومن أمام كل ميت حاجز مانع من الرجعة إلى الدنيا إلى يوم القيامة.

١٠١- فإذا نفخ في الصور (القرن أو البوق الذي ينفخ فيه) النفخة الثانية لقيام الساعة، فلا تفيدهم الأنساب شيئًا لا اهتمام كل أحد بنفسه، ولا يسأل بعضهم بعضًا لانشغاله بنفسه ولشدة الفزع.

١٠٢- فمن نقلت موزوناته بالחסنات من عقائد وأعمال، فأولئك هم الفائزون بالجنة والنجاة.

١٠٣- ومن خفت موزوناته بالسيئات، فأولئك الذين ضيعوا أنفسهم ولم ينعفوها، وهم ماكون في جهنم أبدًا.

١٠٤- تحرق وجوههم النار، وهم فيها عابسون مشوهو الوجوه، كشرت شفاههم عن الأسنان.

١٠٥- ألم تكن آياتي من القرآن تقرأ عليكم في الدنيا، فكنتم تكذبون بها، وهو تأنيب شديد.

بَلْ أَنذَرْنَاهُمْ بِالْحَقِّ وَأَنهَارَ كَذِبُونٌ ﴿٩٠﴾ مَا آخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ
وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا أَذَّهَبَ كُلَّ إِلَهٍ مِمَّا خَلَقَ وَلَعَلَّ لِنَفْسِهِمْ
عَلَىٰ بَعْضِ سَجُنٍ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَلِيمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ
فَعَلَلِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٩٢﴾ قُلْ رَبِّ إِنَّمَا نَعْبُدُكَ ﴿٩٣﴾
رَبِّ فَلَا تَجْعَلْ لِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٩٤﴾ وَإِنَّا عَلَىٰ أَن نُرِيكَ
مَا تَعِدُهُمْ لَقَادِرُونَ ﴿٩٥﴾ أَذْفَعُ بِاللَّيْلِ هِيَ أَحْسَنُ السَّنَةِ مِمَّنْ أَعْلَمُ
بِمَا يُصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَزْبِ السَّيِّطِينَ
﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ
الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا
إِنَّمَا كَلِمَةٌ مَّا نُفِخُ فِيهَا نُفُوسًا وَأَنهَارًا يَوْمَ يُسْعَوْنَ
فِيهَا فِي الصُّورِ فَلَا أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا نَسَاءَ لَوْنٍ ﴿١٠٠﴾
فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُغْلِقُونَ ﴿١٠١﴾ وَمَنْ خَفَّتْ
مَوَازِينُهُ فَأُولَئِكَ الَّذِينَ هُمْ أُولَئِكَ فِي جَهَنَّمَ
خَالِدُونَ ﴿١٠٢﴾ تَلْفَحُ وُجُوهُهُمُ النَّارَ وَهُمْ فِيهَا كَالِحُونَ ﴿١٠٣﴾
أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُسْقَىٰ عَلَيْكُمْ فَكُنتُمْ بِهَا تُكذِّبُونَ ﴿١٠٤﴾

قَالُوا رَبَّنَا عَلَّمْتَنَا شِقْوَتَنَا وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ ﴿١٠٦﴾ رَبَّنَا
 أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنَّا ظَالِمُونَ ﴿١٠٧﴾ قَالَ أَخْشَوْا فِيهَا وَلَا
 تَكْفُرُوا ﴿١٠٨﴾ إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا إِنَّمَا فَاغَفِرُ
 لَنَا وَرَحْمَتًا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١٠٩﴾ فَاتَّخَذْتُمُوهُ سِحْرًا حَقًّا
 أَنسُومُ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضَكُّونَ ﴿١١٠﴾ إِنِّي جَزَيْتُهُمَا الْيَوْمَ
 بِمَا صَبَرُوا أَنَّهُمْ هُمُ الْفَآرِقُونَ ﴿١١١﴾ قَالَ كَمْ لَبِئْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ
 سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا الْبَيْنَا يَوْمًا أَوْ تَبَعُ يَوْمٍ فَقِيلَ الْعَادِينَ ﴿١١٣﴾
 قُلْ إِن لَّبِئْتُمْ إِلَّا فِيلًا لَّوْ أَنكُم تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾ أَفَتَسْتَمِئ أُنْمَا
 خَلَقْنَاكُمْ عَبْنًا وَأَنْتُمْ كُنْتُمْ لَنَا لَا تَرْجِعُونَ ﴿١١٥﴾
 فَعَلَى اللَّهِ الْمَلِكِ الْحَقِّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ
 الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ
 لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾
 وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّحِيمِينَ ﴿١١٨﴾

سُورَةُ الْمُؤْمِنُونَ
 (١١٨ آيَاتٍ)

١٠٦- قال الأشقياء: ربنا غلبت علينا شقاوتنا، أي سوء العاقبة، وهي ضد السعادة، والمراد: غلبت علينا لذاتنا وأهواؤنا، وكنا قوماً تائبين عن الحق والهدى.

١٠٧- ربنا أخرجنا من النار، فلن عُنَّا إلى الكفر، فإننا ظالمون لأنفسنا.

١٠٨- قال الله تعالى: ابتعدوا تباعد سخط وذلة وهوان، ولا تتكلمون في رفع العذاب عنكم.

١٠٩- إنه كان جماعة من عبادي، وهم المؤمنون يقولون: ربنا أمانا بك ويرسلك، فاغفر لنا ذنوبنا، وارحمنا فلا تعذبنا، وأنت أرحم الرحماء.

١١٠- فاتخذتموه مهزوءاً بهم أو موضع هزء وسخرية، حتى نسيتم ذكر الله، لانشغالكم بالاستهزاء، وكنتم تضحكون استهزاء بهم في الدنيا، وهم بلال وصهيب وعمار وسلمان.

١١١- إنني جازيتهم اليوم على صبرهم على أذامكم، بالفوز في الدرجات العليا في الجنة.

١١٢- قال الله للكفار: كم لبئتم في الدنيا وأمواتاً في القبور، وكم كانت مدة إقامتكم في دنياكم؟

١١٣- قالوا في الجواب: مكثنا يوماً أو بعض يوم، فاسأل الملائكة الذين يعدون ويحصون أعمار الناس، أو أسأل المتمكنين من تذكر العدد، ينبؤوك بصدق ما قلنا.

١١٤- قال الله تعالى: ما لبئتم في الأرض إلا لبئاً قليلاً، لو أنكم علمتم مدة مكثكم بالنسبة إلى مكثكم في النار.

١١٥- أظننتم أننا خلقناكم لعباً من غير فائدة ولا حكمة: وهي امتحان الناس وجزاؤهم يوم القيامة، وأنكم لا ترجعون إلينا بالبعث ثم بالحساب والجزاء.

١١٦- فتنزه الله تعالى عن العبث وغيره مما لا يليق به من الولد والشريك، صاحب الملك المطلق، الثابت الذي لا يزول، لا إله إلا هو رب العرش الكريم، أي الكرسي الحسن المشرف.

١١٧- ومن يعبد مع الله إلهاً آخر، لا حجة واضحة ولا دليل واضح له عليه، فإنما جزاؤه عند ربه يوم القيامة، إنه لا يظفر الكافرون بشيء من السعادة.

١١٨- وقل أيها النبي: رب اغفر لي وللمؤمنين، وارحم عبداك المؤمنين رحمة واسعة، تشمل المحسنين والمسيئين، وأنت أرحم وأفضل الرحماء.

سورة النور

فضلها: ذكر مجاهد أن رسول الله ﷺ قال: «علموا رجالكم سورة المائدة، وعلّموا نساءكم سورة النور» وكتب عمر رضي الله عنه لبعض ولاته: أن تعلموا سورة النساء والأحزاب والنور.

١- هذه سورة (طائفة من آيات القرآن لها مبدأ ومختتم) أعطيتها الرسول، وأنزلنا فيها آيات واضحة - وتكرير ﴿أنزلنا﴾ لمزيد العناية بإنزال هذه السورة، لعلكم تتعظون، فتعملوا بما فيها.

٢- الزانية والزاني البيحان غير المتزوجين، اضربوا بالسطر أيها الحكام كل واحد منهما مئة جلدة عقاباً على معصيتهما، وثبت في السنة أيضاً زيادة على الجلد تخريب عام، وأما المحسن الحر فعقوبته الرجم بالسنة الصحيحة المتواترة، ولا تأخذكم بالزانية والزاني أدنى رحمة ورقة، في حكم الله، إن كنتم تصدقون بالله وحده وبالبعث الذي فيه الجزاء، وليحضر إقامة الحد جماعة من المؤمنين، وأقلهم هنا ثلاثة؛ لأن التشهير يحقق الزجر والردع والعظة. وهذا حد الزنى.

٣- والشأن الغالب أن الزناة لا تقبلهم العفيفات أزواجاً، وإنما القبول من الزانيات، فكل أمثاله، وهذا للزجر والتنفير من فاحشة الزنى، فالزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة، والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك. وعطف المشركة والمشرک لمزيد التنفير. وحُرِّم نكاح الزواني والمشركات على

المؤمنين المتقين؛ لما فيه من التشبه بالفاسق، والمراد بالتحريم: التنزه والتعفف مبالغة في التنفير. نزلت الآية في شأن مرتد الغنوي حينما أراد أن يتزوج صديقة له في مكة يقال لها: عناق. وحكم الحرمة مخصوص بسبب الآية، أو منسوخ بقوله تعالى: ﴿وأنكحوا الأيامي منكم﴾ [النور ٢٤/٣٢].

٤- والذين يقدفون بالزنا النساء العفيفات، المؤمنات، وخصهن بالذكر؛ لأن قذفهن أشنع، ثم لم يثبتوا جريمة الزنى بأربعة شهود، فأجلدهم ثمانين جلدة، ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً ما لم يتوبوا. في رأي الجمهور، وعند أبي حنيفة: إلى آخر العمر. وأولئك هم الخارجون عن طاعة الله.

٥- إلا الذين تابوا من بعد القذف، وأصلحوا أعمالهم بالتدارك، فإن الله غفور لذنوبهم، رحيم بهم. وهذا حد القذف.

٦- والذين يقدفون زوجاتهم بتهمة الزنى، وليس لهم شهود على التهمة إلا أنفسهم، فشهادة أحدهم لرفع حد القذف عنه: أن يشهد (يحلف بالله) أربع مرات من الأيمان، إنه لمن الصادقين فيما رمى به زوجته من الزنى. نزلت حينما قذف هلال بن أمية امرأته بشريك بن سحماء. وفي رواية: نزلت بشأن عويمر العجلاني حينما قذف امرأته برجل وجده معها، وهذا هو الصحيح. وهذا حكم اللعان.

٧- ثم يشهد في الشهادة الخامسة: أن لعنة الله تحل عليه إن كان من الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٨- ويدفع عذاب حد الزنى عن الزوجة وهو الرجم: أن تحلف أربع مرات بالله: إن الزوج لمن الكاذبين فيما رماها به من الزنى.

٩- والشهادة الخامسة: أن غضب الله يحل عليها إن كان زوجها من الصادقين فيما رماها به من الزنى. ثم يفرق الحاكم بينهما، وتكون الفرقة أبدية. وتخصيص الغضب بالمرأة للتغليظ عليها، لكون الإغراء بالزنى هو الغالب من جهتها، ولأن النساء يكثرن اللعن في العادة.

١٠- ولولا فضل الله موجود عليكم أيها الناس، ورحمته بالستر عليكم، لما جلّمكم بالعقوبة، ولأنه أيضاً كثير القبول لتوبة عباده، حكيم فيما يشرع لعباده من اللعان بين الزوجين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة أنزلناها وقرضناها وأنزلنا فيها آيات يبتك لتعلمن ذلك أنزلنا الزانية والزاني فأجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذوا بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين الزاني لا ينكح إلا زانية أو مشركة والزانية لا ينكحها إلا زان أو مشرك وحرم ذلك على المؤمنين والذين يؤمنون المخلصت ثم لو تابوا بأزواجه شهداء فأجلدوهم ثمانين جلدة ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً وأولئك هم الفاسقون إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم والذين يزعمون أنهم آمنوا وتوكلن ثم شهداء إلا أنفسهم فشهادة أحدهم أربع شهادات بالله إنه لمن الصادقين والخليفة أن لعنت الله عليه إن كان من الكاذبين ويدروا عذاب العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين والخليفة أن غضب الله عليها إن كان من الصادقين ولولا فضل الله عليكم ورحمته وأن الله تواب حكيم



إِنَّا الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّمَّكُمْ لَسَوْفَ نَعْتَبُوهُمْ سَرًّا لَكُمْ بَلْ هُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لِكُلِّ آثِمٍ وَإِنَّمَا كَسَبُ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ ﴿١٢﴾ وَلَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَادَةِ فَاتُوبُوا لَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ هِيَ الْكَذِبُ ﴿١٣﴾ وَلَوْلَا فَضَّلَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتَهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٤﴾ إِذْ لَقِيتُمُوهُمْ بِالْأَيْمَانِ أَلْحِقُوا الْإِيمَانَ بِالْعُقُوبَةِ أَلْحِقُوا الْإِيمَانَ بِالْأَيْمَانِ وَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَٰ فَمَا يَنزَغُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِنَّه يَنزِغُ بَيْنَ أَصْفَارِكُمْ ﴿١٥﴾ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوعَةً عَلَيْهِمْ يُعْذِرُ اللَّهُ عَنْ قَلِيلٍ مِّمَّنْ أَتَىٰ عَلَى الْإِيمَانِ فَإِن كَانِ الْقِيَامَةُ تُؤْتَىٰ لَعَنَّا الْفَكَّارِينَ ﴿١٦﴾ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوعَةً عَلَيْهِمْ يُعْذِرُ اللَّهُ عَنْ قَلِيلٍ مِّمَّنْ أَتَىٰ عَلَى الْإِيمَانِ فَإِن كَانِ الْقِيَامَةُ تُؤْتَىٰ لَعَنَّا الْفَكَّارِينَ ﴿١٧﴾ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوعَةً عَلَيْهِمْ يُعْذِرُ اللَّهُ عَنْ قَلِيلٍ مِّمَّنْ أَتَىٰ عَلَى الْإِيمَانِ فَإِن كَانِ الْقِيَامَةُ تُؤْتَىٰ لَعَنَّا الْفَكَّارِينَ ﴿١٨﴾ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوعَةً عَلَيْهِمْ يُعْذِرُ اللَّهُ عَنْ قَلِيلٍ مِّمَّنْ أَتَىٰ عَلَى الْإِيمَانِ فَإِن كَانِ الْقِيَامَةُ تُؤْتَىٰ لَعَنَّا الْفَكَّارِينَ ﴿١٩﴾ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ مَشْرُوعَةً عَلَيْهِمْ يُعْذِرُ اللَّهُ عَنْ قَلِيلٍ مِّمَّنْ أَتَىٰ عَلَى الْإِيمَانِ فَإِن كَانِ الْقِيَامَةُ تُؤْتَىٰ لَعَنَّا الْفَكَّارِينَ ﴿٢٠﴾

١١- وهذه قصة الإفك [في ١٨ آية]، إن الذين جاؤوا بالإفك: أبلغ الكذب المتعمد وأسوأ الاقتراء على السيدة عائشة رضي الله عنها أم المؤمنين بقذفها: هم جماعة منكم، وهم عبد الله بن أبي، وزيد بن رفاعه، وحسان ابن ثابت، ومسطح بن أثانة، وحنينة بنت جحش، ومن ساعدهم، لا تظنوه شرراً لكم أيها المؤمنون، بل هو خير لكم، لكل امرئ منهم جزاء ما اكتسب من السوء، والذي تولى معظمه منهم وهو ابن أبي زعيم المنافق له عذاب عظيم في الآخرة. نزلت في اتهام عائشة بالفاحشة في غزوة بني المصطلق، حين أضاعت عقدها، فرجعت تبحث عنه، وتأخرت عن الجيش الذي رحل، دون علم بتخلفها عن الركب.

١٢- هلا حين سمعتموه، ظن المؤمنون والمؤمنات ببعضهم خيراً، وقالوا: هذا كذب ظاهر.

١٣- هلا جاء الخائفون بالإفك بأربعة شهود يشهدون على ما قالوا، فإذا لم يأتوا بالشهود فأولئك في حكم الله هم الكاذبون.

١٤- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا بعدم تعجيل العقاب، ورحمته بكم في الآخرة بالعفو، لمسكم أيها العصابة فيما خضتم فيه باتهام أم المؤمنين عذاب عظيم.

١٥- حين تلتقفون خبر الإفك، وترددونه بألستكم بين الناس ليتشر، وتقولون بأفواهمكم قولاً ليس لكم به دليل علمي، وتظنونه قولاً هيناً لا إثم فيه، وهو في حكم الله تعالى ذنب عظيم، وإثم مبین، بسبب هذه الأمور الثلاثة: وهي تلقي الإفك، والتحدث به من غير تحقق، واستصغار شأنه.

١٦- وهلا حين سمعتموه قلتم: ما ينبغي لنا ولا يصح، ولا يمكن أن نتكلم بهذا الحديث، تنزيهاً لله وتعجباً ممن يقول ذلك، أي نستبعد هذا القول، وهذا عتاب لجميع الخائفين، هذا القول كذب مختلق يهت بهت السامع، لعدم علمه به. والبهتان: أن يقال في الإنسان ما ليس فيه. وكلمة (سبحان الله) تأتي بها العرب عند التعجب من شيء غريب، بعيد عن العقول.

١٧- يأمركم الله بالامتنال، وينهاكم بشدة أن تعودوا مثل هذا القول، ما دتمت أحياء مكلفين، إن كنتم حقاً من أهل الإيمان.

١٨- ويوضح الله تعالى لكم الآيات التشريعية والآداب العالية لتعملوا بها، والله عليم بأحوالكم، حكيم في تديبه. ١٩- إن العصابة الذين يريدون إشاعة الفاحشة (الزنا) وانتشارها، وترويج الأخبار الكاذبة، بين المؤمنين أهل العفة، لهم عذاب أليم في الدنيا بإقامة الحد عليهم، وفي الآخرة بعذاب النار، والله يعلم ما في الضمائر والظواهر، وأنتم أيها العصابة لا تعلمون بها.

٢٠- ولولا فضل الله موجود عليكم في الدنيا ورحمته بكم في الآخرة، وأن الله رؤوف بخلقه، لعاجلكم العقوبة. كبر ذلك لبيان المنة بترك تعجيل العقاب. والرؤوف: المزيل لأسباب البلاء، والرحيم: الذي يجزل الإحسان.



٢١- يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا طرق الشيطان التي يوسوس باتباعها، كإشاعة الفاحشة، ومن يتبع طرق الشيطان، فإن الشيطان يأمر بما عظم قبحه من الذنوب (الفحشاء) وبما ينكره الشرع (النكر) ومتبعه مطيع له مقتد به، ولو لا فضل الله موجود عليكم ورحمته بكم، بالتوفيق إلى التوبة الماحية للذنوب، ما طهر من دنس الذنوب أحداً، ولكن الله يطهر من الذنوب من يشاء بقبول توبته، والله سميع لمقالتهم، عليم بنياتهم وجميع المعلومات.

٢٢- ولا يحلف أولو الفضل والإحسان، والغنى والشراء على ألا يؤتوا المال ذوي القرابة والمساكين والمهاجرين في سبيل إرضاء الله، وليعفوا بمحو الذنوب، وليصفحوا عن إساءتهم بالإغضاء عنها، ألا تريدون أن يغفر الله لكم على العفو والصفح عن المسيئين، والله واسع المغفرة للذنوب الطائعين، شامل الرحمة لعباده المؤمنين، مع كمال قدرته، فتخلقوا بأخلاقه.

٢٣- إن الذين يقذفون بالزنى العفيفات، البعيدات عن المعاصي والفواحش، السليمات الصدور، المؤمنات بالله ورسوله، طردوا من رحمة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالنَّكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا ذُكِرْتُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢١﴾ وَلَا يَأْتِلُ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْفُوا وَلِيَصْفَحُوا أَلَا إِنَّ جُودَ اللَّهِ لَكَبِيرٌ وَاللَّهُ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْعَفْوَ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ يَوْمَ تُشْهِدُ عَلَيْهِمْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾ يَوْمَ يُؤْفِكُ بَعْضُ اللَّهِ دِينَهُمْ أَعْخَىٰ وَبِعَلُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ أَعْخَىٰ الْمُنِيبِينَ ﴿٢٥﴾ أَلْحَيْتُ لِلْحَيْثِيِّينَ وَالْحَبَشِيِّينَ وَالْحَبَشِيُّونَ لِلْحَيْثِ وَالطَّبِيبُ لِلطَّبِيبِ وَالطَّبِيبُونَ لِلطَّبِيبَاتِ أُولَئِكَ مَمَرَةٌ وَمَا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْذِنُوا وَاسْأَلُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرًا لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾

الله في الآخرة، وعُذبوا في الدنيا بحد القذف، ولهم عذاب عظيم يوم القيامة إن لم يتوبوا. وهذا هو الجزاء الأخروي للقاذفين، وهذه صفات السيدة عائشة رضي الله عنها. نزلت هذه الآية في نساء النبي ﷺ خاصة.

٢٤- يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما عملوا في الدنيا من خطايا وذنوب، بأن ينطق الله هذه الأعضاء بالشهادة عليهم، بخلق آلة تطق فيها.

٢٥- يوم القيامة يعطيهم الله جزاءهم الثابت الذي يستحقونه، وعندها يعلمون أن الله هو الإله الحق الثابت بذاته، الظاهر الألوهية، لا يشاركه في ذلك غيره.

٢٦- النساء الخبيثات للرجال الخبيثين، والرجال الخبيثون للنساء الخبيثات، لا يصلح كل منهم لغير ذلك ويختص بأمثاله، والطيبات الطاهرات من النساء للطيبين الطاهرين من الرجال، والطيبون من الرجال للطيبات من النساء، فكل جنس يليق بجنسه، والرسول ﷺ أطيب الناس، ونساءه أطيب النساء، وأولئك الطيبون والطيبات مبرؤون مما يقول أهل الخبث والإفك في حقهم من الافتراء، لهم مغفرة (ستر) من ربهم لذنوبهم، ورزق الجنة.

٢٧- يا أيها المؤمنون لا تدخلوا مساكن غير مساكنكم، حتى تستأذنوا بالدخول، وتسلموا على أهلها بأن يقول الواحد: السلام عليكم أدخل؟ ذلكم الاستئذان أفضل لكم من الدخول بغير إذن، لعلكم تتعظون، فتعملوا بما أمرتم به. نزلت في امرأة أنصارية، قالت: يا رسول الله، إنني أكون في بيتي على حال لا أحب أن يراني عليها أحد، وإنه لا يزال يدخل علي رجل من أهلي، وأنا على تلك الحال، فكيف أصنع؟ فنزلت الآية.

فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّىٰ يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ آرْجُوا فَأَرْجُوا هَوَازِكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَكْمُلُونَ ۗ عَلِيمٌ ۙ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُبْدُونَ وَمَا تَكْتُمُونَ ﴿٢٨﴾ فَلِ الْمُؤْمِنِينَ يُعْضُونَ مِنْ أَبْصَارِهِمْ وَيَحْفَظُوا أَرْوَاجَهُمْ ۗ ذَلِكَ أَزْكَىٰ لَهُمْ ۗ إِنْ اللَّهُ حَبِيبٌ مَّا يُصْنَعُونَ ﴿٢٩﴾ وَقُلِ الْمُؤْمِنَاتُ يَعْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلَا يَضْرِبْنَ بِمُخْمَرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنَاتِ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوْ التَّمِيمَةَ غَيْرَ أُولَئِكَ مِنَ الرِّجَالِ ۗ أُولَئِكَ لَا يَضْرِبْنَ بِالْأَرْوَاحِ عَلَىٰ عُرُوفِ النِّسَاءِ ۗ وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٣٠﴾

٢٨- فلان لم تجدوا في البيوت احدًا ياذن لكم بالدخول، فلا تدخلوها حتى يؤذن لكم بدخولها، وإن قيل لكم من أهل البيت: ارجعوا، فارجعوا، ولا تكرر الاستئذان، والرجوع هو خير وأظهر لكم للبعد عن الرية، والله عليم بأعمالكم، وستجازون عليها.

٢٩- ليس عليكم إثم أن تدخلوا بيوتًا ليست مسكونة كالفنادق والمساجد والحوانيت، فيها حق تمتع وانتفاع كروية سلعة وجلوس لمعاملة، والله يعلم ما تظهرون وما تخفون في صدوركم، من قصد صلاح أو سوء. وفيه وعيد لمن أخل بهذه الآداب. لما نزلت آية الاستئذان في البيوت، قال أبو بكر: يا رسول الله، فكيف بتجار قريش الذين يختلفون بين مكة والمدينة والشام، ولهم بيوت معلومة على الطريق، فكيف يستأذنون ويسلمون، وليس فيها سكان؟ فنزلت الآية.

٣٠- قل أيها النبي للمؤمنين: كففوا أبصاركم عما لا يحل النظر إليه، وغض البصر: أن يخفض بعض بصره بحيث تمتنع الرؤية، من أجل سد الذرائع إلى الزنى، واحفظوا فروجكم عما لا يحل لكم، ذلك الغض والحفظ أظهر للنفس من التورط في الحرام، إن الله خبير بما يصنعون من الغض والحفظ، وهذا وعيد لمن خالف

ذلك. نزلت في رجل مسرف في طريق من طرقات المدينة، فتبادل النظر مع امرأة، واستمر على ذلك حتى اصطدم بحائط فشق أنفه، فأخبر النبي ﷺ بذلك، فقال له: هذا عقوبة ذنبك، وأنزل الله هذه الآية.

٣١- وقل أيها النبي أيضاً للمؤمنات: كففوا أبصاركن واحفظن فروجكن عن الحرام، والآيات تدلان على تحريم النظر، ولا يبدين مواضع الزينة من الخلية وغيرها، كالتياب والأصباغ، إلا ما ظهر منها عادة وهو الثياب الظاهرة والوجه والكفان، وهو ما في إخفائه مشقة وجرت العادة بظهوره كالحاتم والكحل والحضاب، أما السوار والخلخال والقلادة والإكليل: وهو ما يوضع على شعر الرأس، فيحرم إظهاره. وليسترن الرؤوس والأعناق وأعلى الصدور بالخمير: وهو ما تغطي به المرأة رأسها، والجيب: فتحة في أعلى الثوب يبدو منه بعض الصدر، وهذا يدل على وجوب تغطية الرأس والصدر، ولا يظهرن زينتتهن الباطنة كالتي في الشعر أو على الصدر إلا لأزواجهن، أو آبائهن، أو آباء أزواجهن، أو آبائهن-ويدخل في ذلك أولاد الأبناء وأولاد البنات مهما نزلوا- أو آباء الأزواج وآباء الآباء وآباء الأمهات مهما علوا، وكذلك أبناء الأزواج وإن نزلوا، وأبناء الإخوة والأخوات، والعلم والخال من المحارم، والرضاع كالنسب، أو النساء التابعات لهن بالخدمة أو الصحبة، المسلمات، وأما الكافرات فهن كالأجانب عند أكثر العلماء، وأجاز الخنابلة نظر الكافرة للمسلمة فيما عدا ما بين السرة والركبة، أو الإماء، أو الخدم الذين لا حاجة لهن في النساء كالشيخ الهرم والخصي والمخنث والمعتوه، أو الأطفال الصغار غير المراهقين الذين لم يميزوا بين عورات النساء وبين غيرها لصغرهم. والطفل: يطلق على الواحد والمتعدد. ولا تضرب النساء بأرجلهن إذا مشين لسمع صوت الخلخال في أرجلهن. وفرض عليكم أن تتوبوا جميعاً أيها المؤمنون بما وقع لكم من النظر المنوع، لتفوزوا بسعادة الدارين. نزلت في أسماء بنت مرثد التي استقبلت دخول النساء عليها غير متأزات، وتبدو صدورهن وذوائبهن.

٣٢- وزوجوا من لا زوج له من أحرار الرجال والنساء، ما داموا قادرين على المهر والنفقة، وزوجوا أيضاً العبيد والإماء أهل التقوى والصلاح، أي الإيمان والقدرة على أداء الحقوق، إن يكن الرجال والنساء فقراء، يغنم الله من كرمه وفضله، فمن تزوج بغنه الله بغنى النفس والمال، والله غني ذو سعة وجود، لا ينقص ملكه مهما أغنى عباده، عليم بمصالح خلقه، يرزقهم حسبما تقتضي حكمته.

٣٣- وليجتهد في العفة عن الزنى والحرام من لا يتمكن من تكاليف الزواج كالمهر والنفقة، حتى يرزقهم الله من فضله ويوسع عليهم من عطائه، فيجدون ما يتزوجون به، والأرقاء الذين يرغبون في المكاتبه؛ وهي أن يتفق السيد مع رقيقه على مال يؤديه مقسطاً، فإذا آداه، فهو حر، فكاتبوهم إن علمتم فيهم قدرة على الآداء، وأعطوهم من زكاة أموالكم للإعانة على التحرر من الرق، وحطوا عنهم بعض ما كوتبوا عليه عند الآداء، ولا تجبروا الإمام على الزنى بأجر، إن أردن تعففاً، وكذا إن لم يردن، فهذا قيد لبيان واقع كان في الجاهلية، لتطلبوا وتحصلوا على مكسب حرام، والعرض: المتاع الزائل، ومن يجبرهن على الزنى، فإن الله غفور لتلك المكرهات، رحيم بهن، والإثم على المكره. نزلت آية

وَأَحْسِنَ إِلَى الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ عِبَادِكُمْ وَآمَاءِكُمْ إِنْ كُنُوا فَاقِرًا يُغْنِمُهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٣٢﴾
وَلَيْسَ عَقِبَ الَّذِينَ لَا يُحِيدُونَ نَكاحًا حَتَّى يُغْنِمَهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ الْكِتَابَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا وَهُم مِّن مَّالِ اللَّهِ الَّذِي آتَاكُمْ وَلَا يُكْرَهُوا قَبْلَكُمْ عَلَى الْبِعَاءِ إِنْ أَرَدْتُمْ مَخَصَّنًا فَاذْبَعُوا عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُّبِينَاتٍ وَمَثَلًا لِّلَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُمْ وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٣٤﴾ اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مِثْلُ نُورِهِ كَمِثْلِهَا مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُّبْرَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَّا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَوُؤُتُمْ نَاسًا نُورًا عَلَى نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَضَرَبَ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ فِي بُيُوتِ أَرْنَ اللَّهُ أَنْ تَرْفَعُ وَيُذَكِّرَ فِيهَا أَسْمَاءُ لِيَسْمِعَ لَهُ فِيهَا بِالْعُدُوءِ وَالْأَصَالِ ﴿٣٦﴾

﴿والذين يبتغون﴾ في شأن غلام لحويطب بن عبد العزى، سأله عبده أن يكاتبه، فأبى عليه. ونزلت آية ﴿ولا تكرهوا﴾ في شأن جاريتين لعبد الله بن أبي كان يكرههما على الزنى.

٣٤- ولقد أنزلنا إليكم أيها المؤمنون آيات في القرآن مفصّلات توضح الأحكام والحدود والآداب، وقصة عجيبة مماثل غيرها، وهي هنا قصة السيدة عائشة التي تشبه قصة مريم ويوسف اللذين برأهما الله تعالى، قصة أو مثلاً كأمثال الذين مضوا من قبلكم في الكتب السابقة، وموعظة للذين يخافون عذاب الله، وخصوصاً بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بالعظة.

٣٥- الله منور السموات والأرض، وأهلها وهم العالم كله يهتدون بنوره، صفة نوره العجيبة لتنوير قلوب المؤمنين، يهتدوا إلى الحق والرشاد كمثّل كوة في جدار غير نافذة (وهي الطاقة) تجمع النور وتعكسه، فيها سراج مضئ، والسراج في زجاجة صافية (كريستال) الزجاج والنور فيها كأنها نجم مضئ في صفاته وإشراقه، والدُّرِّيُّ منسوب إلى الدرّ: نوع من الأحجار الكريمة، يُوقَدُ السراج (القنديل) من زيت شجرة مباركة هي الزيتون التي تتعرض للشمس طوال النهار؛ لأنها في موقع متوسط بين الشرق والغرب، مما يجعل زيتها من أطيب الزيوت، يكاد زيتها يضيء بنفسه من غير نار لصفاته ولعانه، نور فوق نور، المصباح نور، والزجاجة نور، وصفاء الزيت نور، فاكتمل الإشعاع، يوقد الله لاتباع قرآنه، ويبين الله الأمثال للناس، تقريباً لأفهامهم، ليعتبروا فيؤمنوا، والله عليم بكل شيء لا تخفى عليه خافية، وفيه وعد ووعد، وعد لمن تأمل ذلك، ووعد لمن أهمل ذلك.

٣٦- في مساجد أمر الله وقضى أن تُبنى وتعظم بتعظيم الله، وتطهر عن الأذناس، ويُردّد فيها اسمه بالأذان والتسبيح والأذكار والصلوات وتلاوة القرآن، يصلي الله فيها وينزهه ويقدمه أناس في أول النهار وآخره.



رَجَالٌ لَا لَّهُمْ فِيهَا حِطَّةٌ وَلَا يُبْعَثُونَ ﴿٣٧﴾ وَآيَاتِهِ يَتْلَوْنَ ﴿٣٨﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَهُمْ ﴿٣٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٠﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٢﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٣﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٤﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٥﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٦﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٧﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٤٩﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَى اللَّهِ عَادُوا ﴿٥٠﴾

٣٧- يَسْبَحُ اللهُ فِي الْمَسَاجِدِ رَجَالٌ لَا تَشْغَلُهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا عِقْدٌ بَيْعٌ، وَلَا شَاغِلٌ آخَرَ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ فِي الْقَلْبِ وَاللِّسَانِ، وَإِقَامَةِ الصَّلَاةِ فِي أَوْقَاتِهَا، وَإِيْتَاءِ الزَّكَاةِ لِمُسْتَحَقِّيهَا، يَخَافُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الَّذِي تَضْطَرُّ فِيهِ الْقُلُوبُ بَيْنَ الْخَوْفِ وَالرَّجَاءِ، وَكَذَا الْأَبْصَارُ لِشِدَّةِ الْخَوْفِ مِنَ الْمَصِيرِ الْمَجْهُولِ.

٣٨- والتسبيح والتتزيه ليجزي الله المؤمنين أحسن جزاء على عملهم الصالح، ويزيدهم من جوده وكرمه فوق الجزاء الموعود به، والله يرزق من يشاء من عباده رزقاً واسعاً، بغير عد ولا إحصاء.

٣٩- وأعمال الذين كفروا على عكس حال المؤمنين، هي كسراب: وهو ما يرى في القلاة من لعان الشمس وقت الظهيرة على الظن أنه ماء، في قبة (قلاة): وهي ما انبسط من الأرض، يظنه العطشان ماء، حتى إذا جاء موضعه في الصحراء، لم يجده ماء كما ظن، ومثل ذلك الكافر يظن أن عمله ينفعه يوم القيامة، فإذا مات، لم يجد نفعاً لعمله، كما أن السراب لا ينعف العطشان، ووجد الله عند عمله ينتظره، أي وجد جزاء عمله، فجازاه عليه في الدنيا، والله سريع المجازاة. نزلت في عتبة بن ربيعة أو في شبيبة بن ربيعة، كلاهما مات كافراً.

٤٠- أو أعمال الكفار تشبه الظلمات المتركمة في بحر عميق، يغطيه موج، وفوقه موج آخر، وفوق الموج الأعلى غيم كثيف، ظلمات ثلاث أو أربع: ظلمة البحر، وظلمة الموج الأول وظلمة الثاني، وظلمة السحاب، وظلمة الليل، وهي تشبه ظلمة الجهل، والحيرة، والرين، والخرم والطبع على قلب الكافر، إذا أخرج الناظر يده في هذه الظلمات، لم يكدرها، وهي أقرب شيء إليه، ومن لم يجعل الله له هداية في قلبه، لم يهتد، أي من لم يوفقه لأسباب الهداية، لم يكن مهتدياً. وهذه الظلمات على قلب الكافر ضد الأنوار في قلب المؤمن في الآية السابقة: ﴿مثل نوره﴾ [٣٥].

٤١- ألم تعلم أيها النبي علم اليقين والمشاهدة- والرؤية هنا علمية- أن الله ينزهه عن كل ما لا يليق به من صفات النقص: كل من في السموات والأرض من العقلاء بالنطق المعروف، وغير العقلاء بما يسمع من أصواتها، ومشاهدة أثر الصنعة البدعية فيها، وكذا الطيور حالة كونها باسطات أجنحتها، مستقرة في الهواء، تسبح الله أيضاً، وتدلى على وجود الخالق وقدرته بما يسر الله لها من قدرة التحليق في السماء، كل مخلوق من هذه المخلوقات، قد علم الله صلاته (دعاه) وتسيبته (تنزيهه ربه) بالطريقة التي ألهمه الله إياها، والله عليم بما يفعلون ومجازيهم على أفعالهم. وخص الطير، لما في تكوينها وأحوال بسطها وقبضها أجنحتها من عجيب الصنع والإتقان.

٤٢- والله وحده لا لغيره ملك السموات والأرض؛ لأنه مبدعها ومتصرف فيها، وإلى الله المرجع بعد الموت.

٤٣- ألم تنظر أن الله يسوق السحاب على مهل أو برفق إلى حيث يريد، ثم يضم بعضه إلى بعض، ثم يجعله متراكماً بعضه فوق بعض، فترى المطر يخرج من بين فجوات السحاب التي تكون بين أجزائه، وينزل من السحب من جهة السماء التي تكون كالجبال في حجمها وامتدادها برداً متكافئاً، أو مطراً إن لم تشتد البرودة، فيصيب بالبرد من يشاء من عباده، ويتنعمه عنم يشاء منهم، يكاد البرق الذي في السحاب يخطف الأبصار، من شدة لمعانه ويريقه.

٤٤- يغير الله أحوال الليل والنهار بالطول والقصر، والبرودة والحرارة، والزيادة والنقص، إن في هذا التغير والتصرف لدلالة واضحة على وجود الخالق، وكمال قدرته، وإحاطة علمه، لأصحاب البصيرة والعقل الذي يفكر.

٤٥- والله خلق كل ما دب على الأرض من إنسان وحيوان، من ماء مخصوص هو النطفة، فمنهم من يمشي (يزحف) على بطنه وهي الحيات والدود والحوت ونحو ذلك. أشار إليهم بـ «هم» و «من» اللذين للعقلاء للتشريف، وسمي الزحف مشياً بطريق الاستعارة. ومنهم من يمشي على رجلين وهو الإنسان والطيور، ومنهم من يمشي على أربع وهو سائر الحيوانات، يخلق الله ما يريد مما ذكر هنا وما لم يذكر مما يمشي على أكثر من أربع كالسرطان والعنكب، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء.

٤٦- لقد أنزلنا عليك أيها النبي في هذا القرآن آيات موضحات للحلال والحرام والشرائع والأحكام، والله يوفق من يشاء للنظر الصحيح والتأمل السديد إلى طريق قويم لا عوج فيه، مؤد إلى الجنة وهو دين الإسلام.

٤٧- ويقول المنافقون: صدقنا بالله وبالرسول

محمد، ثم يعرض فريق منهم ويمتنع عن قبول حكم الرسول، من بعد إظهار الإيمان، وليس أولئك المعرضون بالمؤمنين، لإعراضهم عن حكم الرسول.

٤٨- وإذا دعي المنافقون إلى حكم الله ورسوله ليحكم النبي بينهم إذا تدل على حصول ما بعدها فجأة- فريق منهم معرضون عن المحاكمة إلى الرسول إذا كان الحق عليهم، فإن كان الحق لهم سارعوا إلى التحاكم إلى الرسول. نزلت هذه الآية والآيات بعدها في شأن منافق تخاصم مع يهودي، فحاول المنافق الاحتكام إلى كعب ابن الأشرف، وطلب اليهودي التحاكم إلى الرسول، لعلمه بأن الرسول لا يحكم إلا بالحق.

٤٩- وإن يكن للمنافقين الحق، يأتوا إلى الرسول طائعين خاضعين، لعلمهم بأنه يحكم لهم.

٥٠- أفي قلوبهم كفر ونفاق. والاستفهام هنا إنكاري- أم شكوا في نبوتك وقد تركت على الصواب، أم يخافون أن يجور الله ورسوله في الحكم عليهم ويظلمهم؟ لا، بل أولئك المنافقون هم الظالمون لأنفسهم. و «بل» حرف لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

٥١- إنما كان قول: سمعنا حكمه، وأطعنا أمره، ورضينا بحكمه هو قول المؤمنين إذا دُعوا إلى حكم الله ورسوله ليحكم بينهم، وأولئك المعلنون للطاعة هم الفائزون بخير الدنيا والآخرة.

٥٢- ومن يطع الله ورسوله فيما أمر وحكم، ويخف الله، ويتق عذابه، فأولئك هم الفائزون بنعيم الجنة.

٥٣- وأقسم المنافقون بالله أمام الرسول باذلين أقصى جهدهم في تأكيد أيمانهم: لئن أمرتهم بالجهاد ليخرجن معك، ولكن كانت أيمانهم كاذبة، فرد الله عليهم: قل أيها النبي، لا تحلفوا كذباً، طاعتكم طاعة معروفة بأنها بمجرد اللسان، لا بالفعل، أو المطلوب منكم طاعة معروفة أولى من الأيمان، إن الله خبير بعملكم، فلا يخفى عليه سرائركم.

يُعَلِّبُ اللَّهُ الْأَمَلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لَأُولِي الْأَبْصَارِ
 ٤٤ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِنْ مَاءٍ فَسَمِعُ مَنْ يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُمْ
 مَنْ يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُمْ مَنْ يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ
 إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ٤٥ لَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ مُبِينَاتٍ
 وَاللَّهُ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٤٦ وَيَقُولُونَ
 آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالرَّسُولِ وَأَطَعْنَا ثُمَّ يَقُولُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ مِمَّنْ بَعَدَ
 ذَلِكَ وَمَا أَوْلَيْنَاكَ بِالْمُؤْمِنِينَ ٤٧ وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ
 لِيُحْكَمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ مُعْرِضُونَ ٤٨ وَإِنْ كُنْ لَهُمْ
 الْحَقُّ يَا نُورًا إِلَيْهِ مُدْعِينَ ٤٩ أَفِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَمْ أُنْزِلُوا أَمْ
 يَخَافُونَ أَنْ يَحْجِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولَهُ بَلْ أُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ
 ٥٠ إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيُحْكَمَ
 بَيْنَهُمْ أَنْ يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ٥١ وَمَنْ
 يَطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَخَشِيَ اللَّهَ رَبَّهُ فَوَلَّيْنَاكَ مَا آفَكَ يَرْوُونَ
 ٥٢ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَئِنْ أَمَرْتَهُمْ لَيَخْرُجُنَّ
 قُلْ لَأَقْسِمُ بِاللَّهِ لَئِنْ لَمْ يَخْرُجُوا مَعِيَ لَأَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ٥٣



قُلْ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْهِ مَا حُمِّلَ
 وَعَلَيْنِكُمْ مَا حُمِّلْتُمْ وَإِن تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا وَمَا عَلَى الرَّسُولِ
 إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿٥٤﴾ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا
 الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ
 مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ
 وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي
 شَيْئًا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْفٰلسِقُونَ ﴿٥٥﴾
 وَأَقِمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ
 تُرْحَمُونَ ﴿٥٦﴾ لِأَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مُعَذِّبِينَ فِي الْأَرْضِ
 وَمَأْوَاهُمُ النَّارُ وَلَيْسَ الْمَصِيرُ ﴿٥٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا
 لَيَسْتَغْفِرَنَّ لَكُمْ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَلَيَسْأَلَنَّهُمْ لِمَ
 كَفَرْتُمْ لَمَّا يَلْقَوْنَ فِي الْعَذَابِ مِن قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ
 ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهِيرَةِ وَمِن بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثُ عَوْرَاتٍ لَّكُمْ لَيْسَ
 عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌ بَعْدُهَا مِنْ ظُفُوفِنَّ عَلَيْكُمْ بِعِصْمِكُمْ عَلَىٰ
 بَعْضِ كَذٰلِكَ سَبَّحَ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٨﴾

٥٤. قل أيها النبي لهؤلاء المنافقين وغيرهم: أطيعوا الله وأطيعوا الرسول في كل أمر ونهي، طاعة صادقة، في الظاهر والباطن، فإن تولى المأمورون، فما على النبي إلا ما كلف به من تبليغ الرسالة، وعليكم ما أمرتم به من الطاعة والتكاليف، وإن تطيعوا الرسول في حكمه وأمره ونهيه، تهتدوا إلى الحق والخير والرشد، وتفوزوا بالرضوان الإلهي، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لرسالة ربه، المتضمنة ما كلفتم به.

٥٥. وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله منكم وعداً جازماً ليجعلنهم خلفاء متصرفين في الأرض تصرف الملوك في ممالكهم، كما استخلف الذين من قبلهم من بني إسرائيل مثلاً بدلاً عن فرعون وقومه، ويثب لهم قواعد دينهم بنحو مستقر، الدين الذي ارتضاه لهم وهو الإسلام، ويبدلهم أمناً واطمئناناً من بعد خوفهم من الأعداء، يعبدونني وحدي لا يشركون بي أحداً من المخلوقات، ومن كفر بعد ذلك بهذه النعم، فأولئك الكافرون هم المتصفون بالفسق: وهو الخروج عن الطاعة. نزلت في حق المؤمنين المهاجرين من مكة إلى المدينة، حينما تألبت عليهم العرب قاطبة، وعاشروا قلقين لا يبيتون

إلا بالسلاح، فقالوا: ترون أننا نعيش حتى نبيت مطمئنين، لا نخاف إلا الله؟ فنزلت هذه الآية.

٥٦. أطيعوا الله ورسوله، وأقيموا الصلاة في أوقاتها، وأدوا الزكاة للمستحقين، وأطيعوا الرسول فيما أمر به ونهى عنه، لكي تُرحموا وتفوزوا بالجنة والرضوان.

٥٧. لا تظن أيها الرسول أن الكفار يعجزون الله تعالى، فلا يقدر على عقابهم، بأن يفلتوا في الأرض إذا أراد تعذيبهم، ومرجعهم أو مكان إيوائهم النار في الآخرة، وقُبِّح هذا المرجع الذي هو النار.

٥٨. يا أيها المؤمنون ليستأذنكم في الدخول الأرقاء والخدم، والأطفال غير البالغين سن الرشد من أتباعكم وأقاربكم، ثلاث مرات في اليوم والليلة بسبب احتمال ظهور العورات والتجرد من الثياب: من قبل صلاة الفجر وقت الاستيقاظ، وفي الظهيرة وقت القيلولة، وبعد صلاة العشاء، ثلاثة أوقات يحتمل فيها ظهور العورات، وسميت هذه الساعات عورات؛ لأن الإنسان يتجرد فيها من الثياب، فتظهر عورته، ليس عليكم ولا عليهم إثم في الدخول بغير استئذان بعد هذه الأوقات أو العورات الثلاث، هم كثيرو التطواف أو التردد عليكم للخدمة، بعضهم يطوف على بعض، ولا يستغني عن المخالطة له، مثل ذلك التبيين لما ذكر، بين الله (بوضوح) لكم الآيات التشريعية، والله واسع العلم، بالغ الحكمة. نزلت في شأن عمر رضي الله عنه الذي دخل عليه غلام أنصاري، فرأى عمر بحالة كره رؤيته ذلك، فودَّ عمر لو أن الله تعالى أمر ونهى في حال الاستئذان. أو أنها نزلت في شأن أسماء بنت أبي مرثد التي دخل عليها غلام كبير في وقت كرهته، فشكت الأمر لرسول الله ﷺ، فأنزل الله هذه الآية.

٥٩- وإذا بلغ الأطفال الأحرار الحلم بالاحتلام أو سن البلوغ وهي الخامسة عشرة، فليستأذنوا كما استأذن الذين من قبلهم وهم الذين بلغوا الحلم قبلهم وصاروا كباراً، وأمروا بالاستئذان في أوقات العورات الثلاث وغيرها، أي على كل حال، مثل ذلك التبيان لما ذكر، بين الله لكم الآيات التشريعية، والله عليم بأمور خلقه وأحوالهم، حكيم بما دبره لهم وشرع. وكرر ذلك للتأكيد.

٦٠- والعجائز اللاتي قعدن عن الحيض والحمل والولد لكبرهن، اللاتي لا يطمعن في الزواج لكبرهن، فليس عليهن إثم أن يتخففن بالقاء الثياب الظاهرة كالجلابيب والرداء والقناع فوق الخمار، لا ثياب العورة، غير مظهرات زينة خفية كسوار وقلادة وخلخال، وأن يطلبن العفة ويرتدين أكمل الثياب خير لهن من تركها، والله واسع السمع لأقوالكم، والعلم بمقاصدكم. والتبرج: تكلف إظهار ما يجب إخفاؤه.

وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا كَمَا اسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٩﴾ وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ الَّتِي لَا يَرْجُونَ كِتَافًا لَيْسَ عَلَيْهِنَ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِيَابَهُنَّ غَيْرَ مُتَّبِعَاتٍ بِرِيبَةٍ وَإِنْ يَسَّ عَظْمٌ مِنْ خَيْرٍ لِلَّهِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٦٠﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ أَنْ تَأْكُلُوا مِنْ بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَلِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ حَالِكُمْ أَوْ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكُمْ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُمْ بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ تَحِيَّةٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ مُبْرَكَةٌ طَيِّبَةٌ كَذَلِكَ بَيَّنَّ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾

٦١- لا إثم ولا معصية على أصحاب الأعدار: الأعمى والأعرج والمريض، ولا على الأنفس الشخصية أن تأكلوا من بيوتكم التي فيها متاعكم وأهلكم، أو بيوت أولادكم لأن كسب الولد من كسب أبيه، أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت الأعمام والعمات والأخوال والحالات، أو البيوت التي تتصرفون فيها بإذن أربابها، كالوكلاء والخدم والحراس والخزآن، أو بيوت الأصدقاء الذين علمتم رضاهم، والصديق يطلق على الواحد والأكثر كالعدو والطفل، وهو يطلق على من يصدق في مودته، لا إثم ولا معصية عليكم أن تأكلوا مجتمعين أو متفرقين. فإذا دخلتم أحد هذه البيوت المذكورة، فسلموا على أهلها، بأن تسلموا على أهل الدار المسكونة، وكذا غير المسكونة بالتسليم على النفس بأن تقولوا: «السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين» فترد الملائكة عليكم، وسلموا سلاماً هو تحية من عند الله، كثيرة الخير، تطيب بها نفس المستمع لها، مثل ذلك البيان بين الله لكم آيات التشريع، لتتعقلوا آيات الله وتفهموا معانيها وتعملوا بما فيها. قال سعيد بن المسيب: أنزلت هذه الآية في أناس كانوا إذا خرجوا مع النبي ﷺ وضعوا مفاتيح بيوتهم عند الأعمى والأعرج والمريض، وعند أقاربهم، وكانوا يأمرهم أن يأكلوا مما في بيوتهم إذا احتاجوا إلى ذلك، وكانوا يتقون أن يأكلوا منها، ويقولون: نخشى ألا تكون أنفسهم بذلك طيبة، فأنزل الله تعالى هذه الآية، ورجع ذلك الطبري. وقيل: لا حرج على هؤلاء في التخلف عن الجهاد، وهو قول الحسن البصري.

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ ءَامَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَى
أَمْرٍ عَامٍ لَمْ يَذْهَبُوا حَتَّىٰ يَسْتَأْذِنُوهُ إِنْ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ
أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ
شَأْنِهِمْ فَأَنْ لِّنْ شِئْتُمْ مِّنْهُمُ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾
لَا تَجْعَلُوا نَدَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدَعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا
قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَسْتَلُونَ مِنْكُمْ لِيُحْذِرَ الَّذِينَ يَخْلِفُونَ
عَنْ أَمْرِهِمْ ءَأَنْ تُصِيبَهُمُ غَنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ الْآيَاتُ
لِلَّهِ مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ قَدْ يَعْلَمُ مَا اَنْتُمْ عَلَيْهِ وَیَوْمَ
یُرْجَعُونَ اِلَیْهِ فِیْئْتُهُمْ بِمَا عَمِلُوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَیْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا
الَّذِي لَهُ مَلِكُ السَّمٰوٰتِ وَالْاَرْضِ وَلَهُ يُخَدِّدُ مَا وُلَدُ
يَكُنْ لَهُ شُرَكَاءُ فِي الْمَلِكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَیْءٍ فَقَدْ رُءُوهُ وَقَدَرًا ﴿٦٥﴾

٦٢ - إنما المؤمنون حقاً الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ، وإذا كانوا معه في أمر عام مهم يحتاج إلى الاجتماع والتشاور، لم يخرجوا من مجلسه لعذر، حتى يستأذِنوه، فيأذن لهم أو لا يأذن، على ما يرى، إن الذين يستأذِنونك هم المصدقون بالله ورسوله حقاً، فإذا استأذِنوك لبعض أمورهم المهمة، فأذن لمن شئت منهم بالانصراف، ولك ألا تأذن، حسبما ترى من المصلحة، واطلب لهم المغفرة من الله على انصرافهم؛ لأنه لا يخلو الاستئذان من إيثار المصلحة الذاتية على المصلحة العامة، إن الله كثير المغفرة لمن استغفرت له، واسع الرحمة لمن استرحمت. نزلت في أثناء حفر الخندق عام الأحزاب، فكان المنافقون يتسللون إلى أهلهم بغير إذن من الرسول ﷺ، وكان المسلم يستأذن النبي إذا طرأت له حاجة، فإذا قضى حاجته رجع، فنزلت الآية.

٦٣ - لا تجعلوا أيها المسلمون نداء الرسول لكم كنداء بعضكم لبعض في جواز الإعراض، والمساهلة في الجواب، ورفع الصوت، ولا تقولوا: يا محمد، بل قولوا: يا نبي الله، يا رسول الله، في لين وتواضع، فإن المبادرة إلى إجابته واجبة، والخروج بغير إذنه حرام،

ويعلم الله الذي ينسلون أو ينصرفون تدريجياً وخفية من مجلس الرسول ﷺ أثناء تشاغله عنهم، واللواذ: تستر بعضهم ببعض، وقد للتحقيق، فليحذر الذين يخالفون أمر الرسول ويعرضون عن أمره وينصرفون عنه بغير إذنه أن يتعرضوا لبلاء ومحنة في الدنيا، كالقتل والزلازل، أو يتعرضوا لعذاب مؤلم في الآخرة. قال ابن عباس: كانوا يقولون: يا محمد، يا أبا القاسم، فأنزل الله: ﴿ لا تجعلوا دعاء الرسول .. ﴾ فقالوا: يا نبي الله، يا رسول الله.

٦٤ - ألا إن الله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً، قد يعلم ما أنتم عليه معشر الناس من الأحوال بالإيمان أو العصيان، ويجازيكم عليه، ويعلم يوم يرجعون إليه، فيجازيهم فيه، والله محيط علمه بكل شيء، وسيكون الجزاء على وفق العمل. وكلمة: ألا لتنبية المخاطب لما يذكر.

سورة الفرقان

١ - تعظيم قدر الله أو تقدس، وتكاثر خيره، وتزايد تنزيهه عن كل نقص، الذي نزل القرآن تدريجياً فارقاً بين الحق والباطل، على عبده محمد ﷺ ليكون منذراً مخوفاً للإنس والجن من عذاب الله إن لم يؤمنوا بوحداية الله تعالى. وتبارك وتقدس بمعنى واحد، ووصف النبي بالعبودية لله تكريم له وتشريف بكونه في أعلى مراتب العبودية.

٢ - الله الذي له ملك السموات والأرض، له السلطان الكامل والقدرة التامة على التصرف فيهما، ولم يتخذ ولداً لعدم الحاجة إليه، ولا شريكاً له في الملك لاستغناؤه، وخلق كل شيء من موجودات الكون، فقدّرته تقديراً بدقة وحكمة.



وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَّا يُخْلِقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ
وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ
مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا ﴿٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ
هَذَا إِلَّا آفَاتُكَ أَتَتْكَ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ
جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٦﴾ وَقَالُوا أَطُيَّرُوا بِالْأَوْلَادِ
أَكْتَنِبَتْهَا فِيهِمْ تُمْلِكُ عَلَيْهِ بَكْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٧﴾ قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي
يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا
﴿٨﴾ وَقَالُوا مَا لَ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي
الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أَنْزَلَ إِلَيْهِ مَالٌ فَيَكُونَ مَعَهُ ذُبُرًا ﴿٩﴾
أُوَلِّقِي إِلَيْهِ كَثْرًا أَوْ تُكُونَ لَهُ جَنَّةً يَأْكُلُ مِنْهَا
وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مُتَّبِعُونَ ﴿١٠﴾ أَنْظِرْ
كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا
﴿١١﴾ بَارِكْ الَّذِي لَمْ يَشَأْ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ جَنَّاتٍ تَجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَيَجْعَلُ لَكَ قُصُورًا ﴿١٢﴾ بَرَّا كَذَبُوا
بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا ﴿١٣﴾

٣- واتخذ المشركون من غير الله آلهة: أصناماً
يعبدونها، لا يقدرون على خلق شيء، ويخلقهم
الله، ولا يملكون لأنفسهم ولا لغيرهم ضراً ولا
نفعاً، ولا قدرة لهم على إمامة أحد ولا إحيائه ولا
بعثه من قبره في عالم الآخرة. والنشور: الإحياء
بعد الموت للحساب.

٤- وقال الكافرون: ما هذا القرآن إلا كذب
واختلاق، اختلقه محمد بنفسه، وأعانه على
جمعه قوم آخرون ممن أسلم من اليهود والنصارى،
فقد قالوا ظلماً عظيماً، والظلم: وضع الشيء في
غير موضعه، وقالوا كذباً محضاً بعيداً عن الحق.
نزلت في النضر بن الحارث الذي قال هذا
القول بعد أن أسلم ثلاثة غلمان من أهل
الكتاب.

٥- وقالوا: هذا القرآن أكاذيب المتقدمين التي
سطروها، طلب أن تكتب له، فهي تقرأ عليه
ليحفظها؛ لأنه أمة لا يتمكن من قراءتها، تقرأ
عليه صباحاً ومساءً، أي دائماً.

٦- قل أيها النبي: ليس هذا القرآن مما يفترى،
وإنما أنزله عالم الأسرار والخفايا في السموات
والأرض، فهو أمر سماوي؛ إنه كثير المغفرة

والرحمة، لا يعاجلكم بالعقوبة.

٧- وقال المشركون استهانة وتهكماً: ما لهذا الرسول؟ يأكل الطعام كما نأكل، ويتردد على الأسواق لطلب
معيشته كما نتردد، فهلاً كان ملكاً، وهلاً صاحبه ملك، فيكون معه مخوفاً من عذاب الله ويصدقته؟ فنعلم
صدقه.

٨- أو يلقى عليه كثر من السماء، فيستغني به عن طلب الرزق، أو يكون له بستان يأكل من ثماره، وقال
الكافرون: ما تتبعون إلا رجلاً مغلوباً على عقله بالسحر، أي مجنوناً.

٩- انظر أيها النبي لهؤلاء المشركين: كيف افتروا عليك الأكاذيب ليكذبوك، فوصفوك بأنك ساحر أو
شاعر أو مجنون- والأمثال: الأحوال النادرة والأقوال المستغربة- فضلوا بذلك عن الهدى والصواب،
وتحيروا في ضلالهم، فلا يجدون طريقاً معقولاً للطعن في نبوتك.

١٠- تعاضم وتقدس الله عن كل شيء، الذي لو شاء جعل خيراً لك مما اقترحوه: وهو بساتين تجري من
تحت غرفها الأنهار، ويجعل لك قصوراً مشيدة بالحجارة أو الطين. نزلت حينما عرض زعماء قريش
كأبي سفيان والنضر بن الحارث على النبي ﷺ المال والملك والإجاء والشرف، ليكف عن دعوته،
فأبى ذلك، وقال: ما بعثت إليكم بهذا، ولكن الله بعثني بشيراً ونذيراً، فأنزل الله هذه الآية.

١١- لم يكذبك المشركون؛ لأنك بشر، بل لأنكارهم القيامة والبعث والحساب، وأعدنا لمن أنكر البعث
ناراً شديدة الاشتعال، يعذب بها.

١٢- إذا كانت النار جمرأى منهم، من مكان بعيد، سمعوا لها صوتاً يدل على شدة التعذيب: وهو شدة الغضب، وزفيراً يسمع من الجوف عند شدة الانفعال. والمراد: سمعوا لها صوت غليان وفوران، وكالزفير من شدة الاشتعال. والزفير: النفس الخارج بشدة.

١٣- وإذا القوا من النار في مكان ضيق، ووصف بذلك لزيادة العذاب، مقيدتين بالأغلال، نادوا في ذلك المكان الضيق: هلاكاً هلاكاً، أي يتمنون الهلاك لأنفسهم، للتخلص من شدة العذاب.

١٤- لا تطلبوا بدعائكم هلاكاً واحداً، واطلبوا أنواعاً من الهلاك، وادعوا على أنفسكم بالعديد من الويلات؛ لأن عذابكم أنواع كثيرة، كل نوع منها ثبور، لشدته، وتجده. والمراد: التيسيس من تحقيق ما يتمنون من الهلاك.

١٥- قل أيها النبي للمشركين للتأمل والمقارنة: أذلك المذكور من أنواع العذاب وأوصاف النار الدائمة الاستعمار خبير، أم حجة الخلد الدائمة النعيم، التي وعددها الله المتقين، كانت لهم في حكم الله جزءاً، ومرجعاً طيباً.

إِذَا رَأَوْهُم مِّن مَّكَانٍ يَبْعِدُ سَمِعُوا لَهَا نَهِيقًا وَزَفِيرًا ۗ وَإِذَا أَلْقَاوْنَهَا كَانَ نَاصِبًا لِّمَن رَّبَّنَا إِنِ يُرِيدُ إِلاَّ لِيُذِيبَهُنَّ كَمَا يُذِيبُ السُّيُوفُ الْحَدِيدَ ۗ لَأَتَدْعُوَنَّ الْيَوْمَ بُرْجًا وَوَاحِدًا وَدُعَاؤُكُمْ كَثِيرًا ۗ فَلَأَذَلِّنَّ لَكُمْ فَجْرَةَ الْجَحِيمِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَنَفِّرُونَ ۗ كَانَتْ لَكُمْ جَزَاءً وَصِيرًا ۗ لَمْ يَفِيهَا مَا يَتَّخِذُونَ خَالِدِينَ ۗ كَانَ عَلَى رَبِّكَ وَعْدًا مَسْئُولًا ۗ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ يَقُولُونَ أَأَنشَأْضَلَّمَ عِبَادِي هَؤُلَاءِ أَمْ هَرَضَلُوا السَّبِيلَ ۗ قَالُوا سُبْحَانَكَ مَا كَانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَتَّخِذَ مِن دُونِكَ مِنْ أَوْلِيَاءَ وَلَٰكِن مُّتَعَمَّرُوا فِيهَا ۗ وَأَن آهَاءُ هُرَجْحَىٰ سَوَاءٌ الذِّكْرُ وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا ۗ فَذَكَرْنَا ذُنُوبَكُمْ بِمَا تَقُولُونَ ۗ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۗ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نَذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۗ وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الرُّسُلِينَ إِلَّا إِنهٖم لِيَأْكُلُوا مِن الطَّعَامِ وَيَشْرَبُوا فِي الْأَسْوَاقِ ۗ وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً أَتَصْبِرُونَ ۗ وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا ۗ

١٦- لهم في الجنة ما يشاؤون من النعيم المقيم وأنواع اللذات، كان ذلك موعوداً به، جديراً بالسؤال وطلب الوفاء به. وهذا دليل على أن تحقيق جميع المشتبهات في الجنة، وأن الرعد بها منجز.

١٧- واذكر يوم يجمع الله المشركين يوم القيامة وألهتهم المعبودة من غير الله من الأصنام والملائكة والجن والمسيح وعزير، فيقول الله للمعبودين: أنتم أضللتهم عبادي هؤلاء بدعوتهم إلى عبادتكم، أم هم ضلوا أو انحرفوا عن طريق الحق بأنفسهم؟! وهو استفهام تقييد وتبكيك للعابدين.

١٨- قال المعبودون تعجباً من السؤال: تنزهت عما لا يليق بك من اتخاذ الولد أو الشريك، ما كان يحق ولا يصح لنا أن نتخذ من غيرك نصراء، والمراد: لا يتصور منا دعوة أحد إلى عبادتنا للعصمة عن ذلك والعجز عن هذا المقام، ولكن يارب، متعتمهم مع آباؤهم بأنواع النعم، ووسعت لهم الرزق، وأطلت لهم العمر، حتى غفلوا عن ذكرك وتذكر نعمك، وصاروا قوماً بنسيانهم لذكرك هالكين. والذكر هنا: القرآن والشرائع.

١٩- فقال الله للمشركين بعد تبيري المعبودين: لقد كذبكم هؤلاء المعبودون في زعمكم أنهم آلهة، فما تستطيعون اليوم صرفاً ودفعاً للعذاب عنكم، ولا تتجدون أحداً ينصركم ويمنعكم من عذاب الله، ومن يظلم منكم نفسه بالإصرار على الشرك دون توبة، نذقه في الآخرة عذاباً شديداً هائلاً، وهو النار.

٢٠- ثم رد الله على شبهة البشرية، فقال: وما أرسلنا قبلك أيها الرسول أحداً من المرسلين إلا إنهم بشر، يأكلون الطعام كما تأكل، ويترددون في الأسواق لكسب العيشة كما تفعل، وجعلنا بعضهم لبعض اختباراً وابتلاء، فامتحننا الغني بالفقير، والصحيح بالمرضى، والشريف بالوضيع، لمعرفة مدى ثباته على الإيمان، أتصبرون على الحق والابتلاء؟ وكان ربك مطلعاً على الصابر وغير الصابر.



وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَ نَاوِلَا أَنْزَلَ عَلَيْنَا الْمَلِيكَةَ
 أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقِيَاسَتَكْبُرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًا
 كَبِيرًا ﴿٢١﴾ يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلِيكَةَ لَا بُشْرَى لَوْمِيذٍ لِلْجَحْرِمِينَ
 وَيَقُولُونَ جَحْرًا مَجْرورًا ﴿٢٢﴾ وَقَدِمْنَا إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ
 فجعلناه هباءً منثورًا ﴿٢٣﴾ اصْحَبِ الْجَنَّةَ يَوْمَ يَدُوحُ حَيْرُ سُفْرًا
 وَأَحْسَنَ مَقِيلًا ﴿٢٤﴾ وَيَوْمَ نَسْفُقُ السَّمَاءَ بِالْغَمِيمِ نَزَلَ الْمَلِيكَةَ
 تَزِيلًا ﴿٢٥﴾ الْمَلِكُ يَوْمَ يَدُوحُ الرِّحْمَنُ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى الْكَافِرِينَ
 عَسِيرًا ﴿٢٦﴾ وَيَوْمَ نَعُضُّ الظُّلُمَ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ
 مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ﴿٢٧﴾ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا مَلِيًّا
 ﴿٢٨﴾ لَقَدْ أَصَلَيْتُ عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ
 الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَدُولًا ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ إِنَّ
 قَوْمِي اتَّخَذُوا هَذَا الْقُرْآنَ مَهْجُورًا ﴿٣٠﴾ وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا
 لِكُلِّ نَجْمٍ عَدُوًّا مِنْ أَلْجَمِ مِنْ وَكُنْ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا
 ﴿٣١﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ أَنْ
 جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿٣٢﴾

أعمال العباد، وذلك يوم القيامة.

٢٦- الملك الشاهد يوم القيامة لله تعالى وحده، وكان ذلك اليوم يوماً صعباً شاقاً على الكافرين، بخلاف المؤمنين.

٢٧- ويوم بعض كل ظالم على يديه ندماً وتحسراً يوم القيامة، ويشمل ذلك عقبة بن أبي معيط الذي أسلم ثم ارتد إرضاء لأبي بن خلف، يقول: يا ليتني اتخذت مع الرسول محمد طريقاً إلى الهدى والنجاة. نزلت حينما نطق عقبة بن أبي معيط بالشهادتين، فعاتبه أبي بن خلف صديقه، وقال: صبات؟ فقال: لا.

٢٨- يا ويلتا، أي يا هلكتي. ويراد به التحسر على مصاحبة الأشرار. ليتني لم اتخذ فلاناً صاحباً وصديقاً.

٢٩- لقد أبعدني هذا الصاحب عن الإيمان بالله وذكره والقرآن، بعد مجيء من هداني إليه وكان الشيطان (المفسد من الإنس والجن) كثير الخذلان لمن يطيعه، خاذلاً كل من يواليه، حتى يؤديه إلى الهلاك.

٣٠- وقال الرسول محمد ﷺ مشتكياً إلى ربه في الدنيا: يا ربي إن قومي جعلوا القرآن مهملًا متروكاً.

٣١- وكما جعلنا لك أيها النبي عدواً من مشركي قومك، جعلنا لكل نبي قبلك عدواً من الكافرين من قومه، وكفى بربك هادياً لك إلى الحق والمصلحة، وناصراً لك على أعدائك. والمجرمون: هم الذين اشتد إفسادهم.

٣٢- وقال الكفار: هلا أنزل القرآن على محمد دفعة واحدة، كما أنزل التوراة على موسى؟! فرد الله عليهم: أنزلناه عليك مفرقاً، على هذا الوجه، لنقوي به قلبك، ونيسر لك حفظه وفهمه، ورتلناه عليك بلسان جبريل ترتيلاً بديعاً، يتمهل وتؤدة. عن ابن عباس: قال المشركون: إن كان محمد كما يزعم نبياً، فلم يعذبه ربه، ألا ينزل عليه القرآن جملة واحدة، فينزل عليه الآية والآيتين، فأنزل الله هذه الآية.

٢١- وقال منكرو البعث الذين لا ينتظرون لقاء الله في الآخرة: هلا أنزل الله علينا ملائكة لإخبارنا بصدق محمد، أو نرى ربنا عياناً، فيخبرنا بأن محمداً رسول أرسله هو، لقد تكبروا تكبراً في شأن أنفسهم، فأرادوا الخضوع لعظيم، وتجاوزوا الحد في الظلم والظغيان بطلب إرسال الملائكة أو رؤية الله في الدنيا.

٢٢- يوم يرون الملائكة عند الموت أو يوم القيامة، قد منعوا من البشري فيه، ويقولون لهم: منعاً ممنوعاً أو حراماً محرماً عليكم البشري بالمغفرة أو الجنة كما يشربه المتقون. وكان العرب يقولون هاتين الكلمتين إذا راوا ما يخيفهم كلقاء عدو، أو طروء نازلة، طالبين منع الشر عنهم. والكلمة الثانية للتأكيد.

٢٣- وتوجهت إرادتنا أو عمدنا إلى ما عملوا في الدنيا من عمل صالح كصلة الرحم، فجعلناه باطلاً مبدداً لا نفع فيه؛ لأنه كان في حال الكفر، ويراد به غير وجه الله تعالى.

٢٤- أهل الجنة يوم القيامة أفضل منزلاً مستقراً فيها، وأحسن ماوى للراحة والقبولة.

٢٥- ويوم تنتفح السماء بغمام يخرج منها، وتنزل الملائكة جماعة بعد جماعة من كل سماء، استعداداً لتنفيذ أوامر الله في يوم الفصل، ومعهم صحائف

وَلَا تَأْتِيكَ بِمِثْلِ إِلَهِكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ نَفْسِيًّا ٣٣
 الَّذِينَ يُحْسِرُونَ عَلَىٰ رُجُومِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ سَرُّ
 شَكَّانَا وَأَصْلُ سَيْبِلَا ٣٤. وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ
 وَجَعَلْنَا مَعَهُ زَاجِرًا وَرِزْقًا ٣٥. فَقُلْنَا أَذْهَبَا إِلَى
 الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَذَمَّرْنَاهُمْ تَذْمِيرًا ٣٦
 وَقَوْمُ نُوحٍ لَمَّا كَذَّبُوا الرُّسُلَ أَغْرَقْنَاهُمْ وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ
 آيَةً وَأَعَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ٣٧. وَعَادًا وَثَمُودًا
 وَأَصْحَابَ الرَّسِّ وَقُرُونًا بَيْنَ ذَلِكَ كِبِيرًا ٣٨. وَكُلًّا ضَرَبْنَا
 لَهُ الْأَمْثَالَ وَكُنَّا بِرَأْسِنَا إِنبِيًّا ٣٩. وَلَقَدْ آتَيْنَا عَلَى
 الْقَسْرِ آيَةً أَنِ امْطُرْنَا مَطَرًا سَوِيًّا ٤٠. وَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ
 مَاءً نَّارًا يُرْسِلُهَا رَبُّنَا لِقَوْمٍ ظَالِمٍ لَعِينٍ ٤١. وَإِذَا رَأَوْكَ إِسْتَعْجِلُوا
 بِخَيْدِكَ الْإِهْرَامِ أَهْلًا أَلَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا ٤٢. إِنْ كَادَ
 لَيُضِلَّنَا عَنْ الْمَنَاءِ لَوْلَا أَن صَبَّرْنَا عَلَيْهَا وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ
 حِينَ يَرَوْنَ الْعَذَابَ مَنْ أَضَلَّ سَبِيلًا ٤٣. أَرَأَيْتَ مَنْ
 اتَّخَذَ إِلَهِهُ هَوَاهُ أَفَأَن تَكُونَ عَلَيْهِ وِكِيلًا ٤٤

٣٣- ولا يأتيك المشركون يا محمد بمثل غريب لإبطال دعوتك إلا آيتناك بالجواب الثابت الذي يبطل ما أتوا به من المثل، وأحسن بياناً وإيضاحاً لهم. والمثل: هو الكلام الخارج عن المعقول الذي يجري مجرى الأمثال في غرابته، والمراد به: الاقتراح الباطل.

٣٤- الذين يجمعون ويساقون على وجوههم إلى جهنم، أي مقلوبين، أولئك شرٌ منزلاً وهو جهنم، وأبعد طريقاً من غيرهم، وهو كفرهم.

٣٥- ولقد آتينا موسى التوراة، وجعلنا معه أخاه هارون وزيراً معيناً ونبياً، لمؤازرته في تبليغ الرسالة.

٣٦- فقلنا لهما: اذهبا إلى فرعون وقومه الذين كذبوا بآياتنا (المعجزات) التسع، المتقدم ذكرها في الأعراف وغيرها، والمراد: آل حالهم إلى التكذيب، فأهلكناهم إهلاكاً عظيماً.

٣٧- وقوم نوح لما كذبوا نوحاً رسولهم أغرقناهم بالطوفان، وعبر عن الرسول الواحد بالرسول؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، وجعلنا إغراقهم عبرة وعظة لكل الناس، وأعدنا في الآخرة للكافرين عذاباً مؤلماً.

٣٨- وأهلكنا أيضاً قوم عاد الذين كذبوا رسولهم هوداً، ببيع صرصر عاتية، وقوم ثمود الذين كذبوا رسولهم صالحاً، بالصيحة، وأهلكنا أصحاب الرس: وهي البشر غير المطوية قعوداً، وهم في رأي بعضهم: أصحاب الأخدود: كانوا وثنيين يعبدون الأصنام، أهلكناهم بالخشف، أي انهارت بهم منازلهم، وأهلكنا أقواماً كثيرين، بين عاد وأصحاب الرس، بسبب كفرهم وتكذيبهم رسولهم.

٣٩- وكل قوم من هؤلاء الأقوام المهلكين خوفناهم وأندرتناهم بأخبار المكذبين، وكل قوم منهم أهلكناهم إهلاكاً شديداً.

٤٠- ولقد مر كفار مكة أثناء تجارتهم إلى الشام على قرى قوم لوط وهي سدوم وتوابعها التي أهلكت بالحجارة التي أمطروا بها، أفلم يكونوا يرونها عند سفرهم إلى الشام للتجارة، فيعتبروا بآثار العذاب الإلهي؟! بل كانوا كفره لا يتوقعون بعثاً من القبور.

٤١- وإذا رآك المشركون أيها النبي ما يتخذونك إلا موضع هزء وسخرية، أي لا ينظرون إليك إلا هكذا، قائلين: أهذا الذي بعث الله رسولاً في دعواه؟! نزلت في أبي جهل، فإنه إذا مر رسول الله ﷺ مع صحبه قال مستهزئاً: ﴿أهَذَا الَّذِي...﴾.

٤٢- إنه قد قارب أن يصرفنا عن عبادة آلهتنا، بمهارته في إثبات التوحيد، لولا ثباتنا وصدودنا على تلك العبادة، وسوف يعلمون علم اليقين حين يشاهدون العذاب الواقع بهم من هو أبعد طريقاً عن الحق، هم أم المؤمنون؟!.

٤٣- أخبرني عن من جعل إلهه هواه، بأن أطاع هواه كطاعة الإله، أفأنت تكون موكباً به تمنعه من اتباع هواه؟! وهذا استفهام إنكاري، والاستفهام الأول للتقرير والتعجب.

٤٤- بل أنظن أيها النبي أن أكثرهم يسمعون سماع تفهم أو يعقلون ما تقول لهم، فتجديهم الآيات والبراهين؟ ما هم إلا كالبهائم المعدومة الفهم والوعي، بل هم أضل من الأنعام طريقاً.

٤٥- ألم تنظر إلى صنع ربك وفعله كيف بسط الظل من وقت طلوع الفجر إلى شروق الشمس، وهو ظل لا شمس فيه، وبعد الشروق يمتد الظل إلى جهة الغرب، ولو شاء الله لجعل الظل على حال واحدة يسكون الشمس، ثم جعلنا الشمس علامة تدل على أحوال الظل طولاً وقصراً.

٤٦- ثم قلصنا الظل الممدود إلى النحو الذي نريد، تدريجياً، بقدر ارتفاع الشمس، أي محواه على مهل قليلاً قليلاً بحسب دوران الأرض حول نفسها مقابل الشمس. وكلمة ﴿إِلَيْنَا﴾ تعلق لمحو الظل بإرادة الله، لا سلطان لأحد فيه سواه؛ لأنه تابع لحركة الأرض.

٤٧- والله الذي جعل لكم الليل سائراً للأشياء بظلامه، وجعل النوم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم، وجعل النهار وقت نشور، ليطشّر الناس فيه للعمل وابتغاء الرزق. والتعبير بالسبات لتشبيه النوم بالممات، والتعبير بالنشور لتشبيه اليقظة بالحياة.

٤٨- والله الذي أرسل لكم الرياح مبشّرات بنزول

المطر الذي هو رحمة بالعباد، وأنزل من السحاب جهة السماء ماءً طاهراً مطهراً، يطهر كل شيء ينزل عليه.

٤٩- لنحي بالمطر بلدة لا نبات فيها. والإحياء: الإنبات، والميت يستوي فيه الذكر والمؤنث. ونسقي الماء بعض ما خلقنا من الأنعام (الإبل والبقر والغنم) وأناس أو بشر كثيرين، والأناسي جمع أنسي مثل كرسي وكراسي.

٥٠- ولقد وزعنا المطر في أماكن وأزمان ومقادير مختلفة بين المخلوقات الأرضية ليتذكروا نعمة الله به، فيشكروا ويعتبروا، فأبى أكثر الناس إلا جحود النعم وقلة الاكتراث بها، وكان العرب يضيفون نزول الأمطار إلى سقوط نجم في الغرب مع الفجر وطلوع رقيقه في الشرق كل ١٣ يوماً.

٥١- ولو شاء الله لبعث في كل بلدة رسولاً ينذرهم، كقسمة المطر بينهم، ولكن بعثناك أيها النبي نذيراً عاماً.

٥٢- واجتهد في دعوتك ولا تطع الكافرين في أهوائهم وأباطيلهم، وجاهدهم بالقرآن جهاداً كبيراً؛ لأن الجهاد بالحجة والبرهان أكبر من المواجهة بالسيف.

٥٣- والله الذي أجرى البحرين وجعلهما متجاورين بحيث لا يتمازجان، هذا عذب (غير مالح) شديد العذوبة، وهذا شديد الملوحة، وجعل بينهما حاجزاً حائلاً، ومانعاً ممنوعاً يمنع اختلاط أحدهما بالآخر، ويظل كل منهما متميزاً عن الآخر في تيار خاص بتقدير الله.

٥٤- والله الذي أوجد من ماء التطفة إنساناً، فجعله ذانسب ومصاهرة، والنسب: الولادة وما نشأ عنها من علاقة البنوة والأبوة والأخوة والعمومة. والمصاهرة: العلاقة الناشئة بين الزوج وأهل زوجته، وبين المرأة وأهل زوجها، وكان ربك تام القدرة على كل شيء.

أَفَتَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلَّا
كَلَّا نَعْلَمُ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا ﴿٤٤﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى رَبِّكَ
كَيْفَ مَدَّ الظِّلَّ وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا ثُمَّ
جَعَلْنَا الشَّمْسُ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴿٤٥﴾ فَرَفَضْنَاهُ إِنَّا قَبِضْنَا
يَسِيرًا ﴿٤٦﴾ وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا وَالنَّوْمَ
سُبَاتًا وَجَعَلَ النَّهَارَ رَشْوًا ﴿٤٧﴾ وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ
بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا ﴿٤٨﴾
لَنَحْيِيَ بِيَوْمِهِ مَيِّتًا وَنُحْيِيهِ بِمَا خَلَقْنَا أَنْعَامًا وَأَنَاسِيَّ
كَثِيرًا ﴿٤٩﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ بَيْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا فَأَبَى
أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا الْكَفُورًا ﴿٥٠﴾ وَلَوْ شَاءَ لَبَعَثْنَا
فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا ﴿٥١﴾ فَلَا تَطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ
بِيَوْمِهِمْ أَكْبَرًا ﴿٥٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ
هَذَا عَذْبٌ فَرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا
بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَمْجُورًا ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ
بَشَرًا جَعَلَهُمْ نَسَبًا وَصِهْرًا وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا ﴿٥٤﴾



٥٥- ويعبد الكفار من غير الله كالأصنام والأوثان ما لا يفهم إن عبده، ولا يضرهم إن تركوه، وكان الكافر معيناً للشيطان على معصية الله تعالى بالشرك والعداوة.

٥٦- وما أرسلناك أيها النبي إلا مبشراً من أطاعك بالجنة، ومخوفاً من عصاك بالنار.

٥٧- قل لهم أيها النبي: ما أطلب منكم على تبليغ القرآن ورسالة الله أجراً، لكن من شاء أن يتخذ إلى ربه طريقاً ابتغاء مرضاته تعالى، فليفعل.

٥٨- وتوكل أيها النبي واعتمد على ربك الدائم الحياة الذي لا يموت، والذي يوثق به في تحقيق المطالب والمصالح، ونزّهه عن كل صفات النقصان، مع شكره على ما أنعم، وكفى بالله تعالى مطلعاً على ذنوب عباده، لا يخفى عليه شيء منها.

٥٩- وهو خالق السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، بقدر ستة أيام من أيام الدنيا، ولو شاء لخلقهن دفعة واحدة، ثم اعتلى على العرش اعتلاء يليق بعظمته وجلاله، وهو الرحمن الذي وسعت رحمته كل شيء، فاسأل عنه وعمّا يليق به خبيراً من علماء الكتاب الإلهي.

٦٠- وإذا قيل لكفار مكة -والقاتل هو الرسول ﷺ- اسجدوا للرحمن دون غيره من الأصنام والأوثان،

ويعبدون من دون الله ما لا يفهم ولا يضرهم وكان الكافر على ربه ظهيراً ﴿٥٥﴾ وما أرسلناك إلا مبشراً ونذيراً ﴿٥٦﴾ قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلاً ﴿٥٧﴾ وتوكل على الحي الذي لا يموت وسبح بحمده وكفى به بذنوب عباده خبيراً ﴿٥٨﴾ الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش الرحمن ﴿٥٩﴾ فستل به خبيراً ﴿٦٠﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنسألكم أن تسجدوا ﴿٦١﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنسألكم أن تسجدوا ﴿٦٢﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنسألكم أن تسجدوا ﴿٦٣﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنسألكم أن تسجدوا ﴿٦٤﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنسألكم أن تسجدوا ﴿٦٥﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنسألكم أن تسجدوا ﴿٦٦﴾ وإذا قيل لهم اسجدوا للرحمن قالوا وما الرحمن فنسألكم أن تسجدوا ﴿٦٧﴾

قالوا: وما الرحمن؟ لا نعرف إلا رحمن اليمامة وهو مسيئة، أنامرنا بالسجود لمن لا نعرفه، وزادهم الأمر بالسجود إعراضاً عن الإيمان.

٦١- تعظم وتقدس ونزّه الرحمن الذي جعل في السماء منازل عالية ومدارات للكواكب السيارة وهي كما روي عن ابن عباس اثنا عشر منزلاً: وهي الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والعقرب والقوس والجذبي والدلو والحوت، وقيل: البروج هي الكواكب العظيمة وجعل في السماء شمساً ساطعة بالنهار، وقمرأ مضيئاً بالليل، غير متقد.

٦٢- وهو سبحانه الذي جعل الليل والنهار صاحبي خليفة، يخلف كل منهما الآخر، ويأتي بعده، ويتعاقبان في الإضاءة والظلام، والزيادة والنقصان، لمن أراد أن يتذكر، فمن تذكر علم أنه لا بد في تعاقبهما من ناقل ومحو، ولن أراد شكر نعمة ربه على ما أنعم في الليل والنهار من نعم عظيمة.

٦٣- وعباد الرحمن هم الذين يمشون على الأرض بسكينة ووقار دون تكبر، وإذا خاطبهم الجاهلون (السفهاء) بما يسيء لهم، قالوا: سلاماً، أي سلام متاركة، بلا خير ولا شر، لا سلام تحية.

٦٤- والذين يبيتون في الليل ساجدين لله، قائمين يصلون صلاة التهجد؛ لأن ذلك أبعد عن الرياء وأكثر خشوعاً.

٦٥- والذين يدعون ربهم قائلين: ربنا اصرف عنا عذاب جهنم، إن عذابها كان لازماً دائماً.

٦٦- إن جهنم يستت وبحت موضع استقرار وإقامة. والجملة تعليل للدعاء السابق.

٦٧- والذين إذا أنفقوا شيئاً من أموالهم لم يسرفوا -والإسراف: الخروج عن حد الاعتدال بكثرة الإنفاق- ولم يفتروا -والافتار: البخل والتضييق في الإنفاق- وكان إنفاقهم وسطاً معتدلاً، لا زيادة فيه ولا نقص.



٦٨- والذين لا يعبدون مع الله إلهاً آخر ولا يتخذون رباً سواه، ولا يقتلون عمداً النفس التي حرم الله قتلها إلا بحق: وهو الكفر بعد الإيمان، والزنى بعد الإحصان (الزواج) وقتل نفس بغير نفس، ولا يقتربون الزنى بوطه الفرج الحرام بغير زواج ولا ملك بين، ومن يفعل أحد هذه الثلاثة المذكورة يلقى في الآخرة عقاباً: وهو جزاء الإثم الذي هو الذنب. أخرج الشيخان عن ابن عباس: أن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكشروا، وزنوا فأكشروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزلت هذه الآية.

٦٩- يضاعف له العقاب بسبب انضمام المعصية إلى الشرك، يوم القيامة، ويبقى دائماً في العذاب المضاعف ذليلاً حقيراً.

٧٠- لكن من تاب من ذنوبه في الدنيا، وأمن بالله ورسوله، وعمل بما أمر الله به وانتهى عما نهى عنه، فأولئك يجعل في الآخرة مكان أعمالهم السيئة أعمالاً صالحة، بأن يحصر عنهم المعاصي، ويثبت مكانها الطاعات، وكان الله كثير المغفرة والرحمة لعباده التائبين المحسنين. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس قال: لما أنزلت في الفرقان ﴿والذين لا يدعون...﴾

[٩٨] قال مشركو أهل مكة: قد قتلنا النفس بغير حق، ودعونا مع الله إلهاً آخر، وأتيننا الفواحش، فنزلت: ﴿إلا من تاب﴾ الآية.

٧١- ومن تاب عن المعاصي، وعمل صالح الأعمال أمراً ونهياً، فإنه يتوب توبة مقبولة عند الله، ويرجع إلى الله رجوعاً صحيحاً قريباً مرضياً عند الله تعالى.

٧٢- والذين لا يشهدون الشهادة الكاذبة عمداً، ولا يحضرون مجالس الباطل؛ لأن المشاهد كالمشارك، وإذا مروا باللغو: وهو كل ساقط من قول أو فعل، مروا معرضين عنه، أي إنهم يترفعون عن حديث اللغو ومشاركة أهله.

٧٣- والذين إذا أوعظوا بالقرآن، أقبلوا عليه سامعين مبصرين متفهمين، لم يعرضوا عنه.

٧٤- والذين يذعنون قائلين: ربنا أعطانا من أزواجنا وأولادنا ما تقر به عيوننا أي أسباب سرور، أي تسر به نفوسنا بتوفيقهم للطاعة والصلاح والفضيلة، واجعلنا قدوة في الخير، وهذا دليل على مشروعية طلب الرئاسة الدينية للقيام بوجوبها، لا للفتخربها.

٧٥- أولئك عباد الرحمن المتصفون بهذه الصفات يجزون أعلى منازل الجنة وأفضلها، بسبب صبرهم على مشاق الطاعة وتجنب المعاصي، ويلقون في الدرجة الرفيعة في الجنة تحية من الملائكة وسلاماً، والسلام: تفسير التحية.

٧٦- ماكين فيها على الدوام، طابت الجنة موضع استقرار وإقامة، أي أن النعيم دائم لا ينقص مهما طالت المدة.

٧٧- قل أيها الرسول لجميع الناس: لا يبالي بكم ربي لولا عبادتكم إياه ودعواؤكم له، والمراد: أنه ما خلقهم إلا ليعبدوه، وكيف يعبا أو يبالي بكم وقد كذبتم الرسول والقرآن؟ فسوف يكون العذاب وجزاء التكذيب ملازماً لكم في الآخرة لا ينقطع.

وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ۖ يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخَذُّ فِيهَا مَنَآئِمًا ۖ إِلَّا مَنِ ابْتَدَأَ بِإِيمَانٍ وَأَمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ وَسَيَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ وَأُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ ۚ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ۗ وَمَنِ ابْتَدَأَ بِظُلْمٍ فَإِنَّ لَّهُ أَلْسِنَةً نَّاطِقَةً ۖ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ۗ وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ۗ وَالَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَوْ يُخْرِجُوهَا وَعَالِمِيهَا وَمَعَانِيهَا ۗ وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ۗ أُولَٰئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا مِنْ حَسَنَةٍ وَسَلَامًا ۗ خَالِدِينَ فِيهَا بِمَا حَسَنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ۗ قُلْ مَا يَعْبُودُكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ سُوفَ يُكُونُ لَكُمْ لَزَامًا ۗ

سُورَةُ الْفُرْقَانِ
الْبَيْتُ الْمَقَامُ الْعِشْرِينَ

سورة الشعراء

فضلها: عن البراء بن عازب أن النبي ﷺ قال: «إن الله أعطاني السبع الطوال مكان التوراة، وأعطاني السنين مكان الإنجيل، وأعطاني الطواسين مكان الزبور، وفضلني بالخواصم والمفضل، ما قرأهن نبي قبلي».

١- طاء، سين، ميم، هذه الأحرف للتبنيه، والإشارة إلى إعجاز القرآن، وتحدي العرب بالإتيان بمثله، ما دام مكوناً من الأحرف الهجائية التي تتركب منها اللغة العربية.

٢- تلك آيات هذه السورة آيات القرآن البين الواضح، الظاهر المعاني.

٣- لعلك أيها النبي مهلك نفسك من الحزن والتأسف لعدم إيمان قومك بما جئت به، والاستفهام إنكاري يفيد النهي عما بعده، وهذا تسرية عن الرسول ﷺ لغمته الشديد بسبب إعراض قومه عن الإيمان برسالته.

٤- لو نشاء أن نزل على كفار قومك معجزة من السماء تلجئهم إلى الإيمان، فتصير أعناق أصحابهم، أي جماعاتهم منقادين لها حتماً.

٥- وما يأتيهم تذكير وموعظة بطائفة من آيات القرآن، مجدداً إنزاله، إلا كانوا عنه معرضين عن سماعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ ١ إِنَّكَ أَنْتَ الْكَبِيرُ الْمُنِينُ ٢ لَعَلَّكَ بَدِخٌ نَفْسَكَ
الْأَلْبَنُوكُوا مُؤْمِنِينَ ٣ إِنْ نَشَأْ نُزِّلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً
فَلْيَكُ أَعْقَمُهُمْ لَهَا خُضَعِينَ ٤ وَمَا يَا بَئِيبُهُمْ مِنْ ذِكْرِنَا
الرَّحْمَنِ حُدُثٍ إِلَّا كَانُوا عَنْهُ مُعْرِضِينَ ٥ فَتَدَكُّ ذُبُوبُ
فَتَيَأْتِيهِمْ أَنْبُؤُنَا مَا كَانُوا بِهِيَ يَسْتَهْزِئُونَ ٦ أَوَلَمْ يَسِرُّوا إِلَى
الْأَرْضِ كَمَا أَنْبَأْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَرْعٍ كَرِيمٍ ٧ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْزَمَ مُؤْمِنِينَ ٨ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ٩ وَإِذْ نَادَى
رَبُّكَ مُوسَى أَنْ أَنْتَ لَقَوْمٍ الظَّالِمِينَ ١٠ فَوَرِعُونَ الْآيَتُونَ
١١ قَالَ رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ١٢ وَضَيْقٌ صَدْرِي وَلَا
يُطْلِقُ لِسَانِي فَأَرْسِلْ إِلَى الْهَارُونَ ١٣ وَلَمْ عَلَى ذَنْبٍ فَأَخَافُ أَنْ
يَقُولُونَ ١٤ قَالَ كَلَّا فَادْهَابًا لِنَبَأِنا مَعَكُمْ سَمِعُونَ ١٥ فَأَيُّهَا
فَرِعُونَ فَقُولَا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ١٦ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ
١٧ قَالَ أَلَمْ نَزِدْكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَمِئْتَ فِينَا مِنْ عَمْرِكُ سِنِينَ ١٨
وَفَعَلْتَ فَعَلْنَاكَ الْآتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ١٩

٦- فقد كذب هؤلاء المشركون بالقرآن بعد إعراضهم، فسيحل بهم العذاب، عاجلاً أو آجلاً. والانباء: أخبار ما يستحقونه من العقوبة.

٧- أولم ينظروا إلى عجائب الأرض، كثيراً ما أنبتنا فيها من كل صنف من الأشجار والنباتات.

٨- إن في ذلك الإنبات في الأرض لدلالة واضحة على تمام قدرة الله وحكمته، ولم يكن أكثر الناس مؤمنين بالله وحده.

٩- وإن ربك لهو القادر على الانتقام من الكفرة، مع كونه كثير الرحمة، حيث أمهلهم ولم يعاقبهم.

١٠- واذكر أيها النبي حين نادى ربك موسى أن اذهب إلى القوم الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

١١- وهم فرعون وقومه، ألا يخافون عقاب الله على كفرهم وظلمهم؟! قتل لهم: اتقوا الله.

١٢- قال موسى: يا رب، إني أخاف أن يكذبوني في رسالتي.

١٣- ويتضيق صدري غماً بسبب تكذيبهم إياي، ولا يتطلق لساني بأداء الرسالة، فأرسل جبريل بالوحي إلى أخي هارون.

١٤- ولقوم فرعون علي تبة ذنب هو قتل القبطي قبل النبوة حال الشباب، فأخاف أن يقتلوني به.

١٥- قال الله: كلا لا تخف من القتل، اذهب أنت وأخوك- بتغليب الحاضر على الغائب- بأيأتنا التسع المذكورة في [الأعراف

١٣٣/٧] و [طه ٢٠/١٧] وما بعدها كالطوفان والجراد، إننا معكم مستمعون ما يجري بينكما وبين فرعون من حوار.

١٦- فأتيا فرعون، فقولا له: كل منا رسول من رب العالمين، أرسلنا الله إليك. وفي اللغة العربية: الواحد فأكثر رسول.

١٧- ومضمون الرسالة: أن ترسل معنا الإسرائيليين، وتطلق سراحتهم من أسرك واستعبادك.

١٨- قال فرعون لموسى: لقد ريتك في قصرنا صغيراً، ولم تقتلك كبقية الأطفال، وأمنت عندنا عدداً من السنين نرعاك.

١٩- فجازيتنا على تربيتك أن كفرت نعمتنا، وقتلت منا نفساً- أي قتل القبطي- وأنت من الجاحدين لإنعامنا.



٢٠- قال موسى: فعلتها إذن وأنا من المخطئين الجاهلين بالعواقب قبل إتيان العلم والرسالة.

٢١- ففسرت منكم إلى مدين لما خفت منكم أن تقتلوني، فمحنني ربي نبوة وحكمة وعلماً بالتوراة، وجعلني أحد الأنبياء المرسلين.

٢٢- وهل تلك نعمة تمن علي بأن ربي تني وليداً، واستعبدت قومي بني إسرائيل وذبحت أبناءهم؟! وكلمة ﴿إن﴾ تفسيرية، يفسر ما بعدها ما قبلها.

٢٣- قال له فرعون: وما حقيقة رب العالمين الذي قلت: إنك رسوله؟

٢٤- قال موسى: هو خالق السموات والأرض وما بينهما من إنسان وحيوان وجماد ونبات، إن كنتم مصدقين بيلاه، فهذا أولى بالإيمان به. عين له ما أراد بالعالمين، وترك الجواب عن حقيقة الله، مكتفياً بما يدل على كمال قدرته الإلهية.

٢٥- قال فرعون لمن حوله من الحاشية والأشراف: ألا تستمعون ما قاله موسى؟ فإن جوابه لم يطابق السؤال، سألته عن حقيقة رب العالمين، فذكر أفعاله، متعجباً من ضعف المقال.

٢٦- قال موسى: الله ربكم الذي خلقكم، ورب آبائكم السابقين الذين خلقهم، والمراد أن فرعون أحد البشر المخلوقين.

٢٧- قال فرعون لحاشيته: إن رسولكم هذا المرسل إليكم لمجنون، حيث أسأله عن شيء ويجيبني عن غيره، ويزعم أن هناك رباً غيري. وسماه رسولاً استهزاء وسخرية.

٢٨- قال موسى: إنه الرب الذي تشاهدون آثاره كل يوم، فهو رب المشرق يأتي بالشمس، ورب المغرب يجعل الشمس تغرب، وما بينهما من مخلوقات، إن كنتم من أهل العقول التي تفكر برب العوالم.

٢٩- قال فرعون مهتداً: لئن اتخذت إلهاً غيري لأجعلنك سجيناً حتى الموت.

٣٠- قال له موسى: أجمعني سجيناً ولو أتيتك بشيء بين صدقي وتأيد دعواي؟

٣١- قال فرعون: فأت بهذا الدليل الواضح إن كنت صادقاً في دعواك.

٣٢- فألقى موسى عصاه على الأرض، فإذا هي ثعبان ظاهر حاله، بلا تمويه ولا تخييل.

٣٣- وأخرج يده من جيبه، فإذا هي ذات شعاع كالشمس، لكل من رآها، خلافاً لما كانت عليه من جلد ولحم وعظم.

٣٤- قال فرعون لمن حوله من الوجهاء والأشراف والسادة: إن هذا الساحر فائق في علم السحر.

٣٥- إن موسى يريد أن يخرفكم من أرض مصر بسحره، فما رأيكم ومشورتكم فيه وفي أمثاله المتسلطين؟!

٣٦- قال الزعماء والرؤساء: آخره وأخاه هارون لفرصة أخرى، وأرسل في أنحاء البلاد جنداً يجمعون السحرة.

٣٧- يأتوك بكل ماهر حاذق خبير بفن السحر وصنعته، ليتغلب على موسى.

٣٨- فجمع السحرة في ميقات يوم محدد هو يوم الزينة وهو يوم عيد عندهم، في وقت الضحى. والميقات: هو الزمن المحدد لعمل معين.

٣٩- وقيل لأهل مصر: هل أنتم مجتمعون في هذا الميقات؟ وهو حدث لهم على الاجتماع، كأنه قال: اجتمعوا،

لشاهدوا البارزة بين موسى والسحرة، ولئن تكون الغلبة؟

قَالَ فَعَلَهَا إِنَّا وَأَنَا مِنَ الْمَضَلِينَ ﴿٢٠﴾ فَفَسَّرْتُ مِنْكُمْ لِمَا خِفْتُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٢١﴾ وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٢٢﴾ قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٢٤﴾ قَالَ لِمَنْ حَوْلَهُ أَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٢٥﴾ قَالَ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنَّ رَسُولَكُمْ الَّذِي أُرْسِلَ إِلَيْكُمْ لَمَجْنُونٌ ﴿٢٧﴾ قَالَ رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ قَالَ لِمَنْ اتَّخَذَتِ الْهَاتِمَةُ لِأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمُسْجَرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالَ أَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُؤَمَّنٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِدَلِيلٍ ﴿٣١﴾ قَالَ فَوَهَبْنَا لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ الصَّادِقِينَ ﴿٣٢﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّظَرِ ﴿٣٤﴾ قَالَ لِلْمَلَائِكَةِ حَوْلَهُ إِنَّ هَذَا لَسِحْرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾ يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٦﴾ قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَتَيْتَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٣٧﴾ يَا تَوَكُّلْ بِكُلِّ سِحْرٍ عَلِيمٍ ﴿٣٨﴾ فَجَمَعَ السَّحَرَةَ لِيَقْبِطَ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿٣٩﴾ وَقِيلَ لِلنَّاسِ هَلْ أَنْتُمْ مُخْتَمِعُونَ ﴿٤٠﴾

٤٠- وقال قائلهم: لعلنا نحن أهل مصر نتبع السحرة في دينهم إن غلبوا موسى .

٤١- فلما جاء السحرة في الموعد المحدد قالوا لفرعون: هل لنا أجر مادي من مال أو جزء معنوي من جاه، إن كنا نحن الغالين لموسى؟

٤٢- قال فرعون: نعم لكم الجزاء المناسب الذي تطلبونه، وإنكم إذا غلبتم موسى لمن المقربين عندي في المناصب المختلفة .

٤٣- قال لهم موسى بعد تخيير السحرة بين البدء والتأخر في الإلقاء: ألقوا ما عزتم على إلقائه .

٤٤- فألقى السحرة حبالهم وعصيهم، وقالوا حالئين: بعزة فرعون، إننا لنحن الغالبون . والعزة: العظمة ذات القدرة التي لا تقهر .

٤٥- فألقى موسى بعدهم عصاه، فإذا هي تتلع بسرعة جميع ما يكذبون به على الناس من السحر .

٤٦- فأمن السحرة بالله، وخرّوا ساجدين لله، لقوة المعجزة واقتناعهم المطلق بها، ولعلمهم يقيناً أن ما صنعه موسى ليس سحراً، وأقروا بنبوته موسى .

٤٧، ٤٨- قال السحرة علانية: آمنا برب العالمين، ومنهم فرعون . رب موسى وهارون، فليس فرعون برب .

لَعَلَّآ نَتَّبِعُ السَّحَرَةَ إِن كَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿٤٠﴾ فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ
فَالُوا لِفِرْعَوْنَ أَيِّنَ لَنَا لِأَخْرَإِن كَا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ
تَعْرَؤْكُمْ إِذِ الْمُنَاقِرِينَ ﴿٤٢﴾ قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ
مُلْقُونَ ﴿٤٣﴾ فَأَلْقَوْا حِبَالَهُمْ وَعِصِيَّهُمْ وَقَالُوا بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ
إِنَّا لَنَحْنُ الْعَالُونَ ﴿٤٤﴾ فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ كَلْفُفٌ
مَا يَأْكُفُونَ ﴿٤٥﴾ فَأَلْقَى السَّحَرَةُ سِجِّدِينَ ﴿٤٦﴾ فَأَلْقَاهُ امْتَرَابَتِ
الْعَالِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾ قَالَ آمَنْتُمْ لَهُ قَبْلَ أَنْ
أَأْذَنَ لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ فَلَسَوْفَ نَعْتَلُونَ لِأَقْطَعَنَّ
أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خَلْفٍ وَأَصْلَبْنَكُمْ أجمعين ﴿٤٩﴾ فَأَلْوِ الْأَصْبَارَ
إِنَّا إِلَى رَبِّنَا مَسْجُفُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّا نَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لَنَا رَبَّنَا خَطِيئَاتِنَا إِنَّ كُنَّا
أَوَّلَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥١﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنِ اسْرِبْ بِعِبَادِي
إِنَّمَا سَبْعُونَ ﴿٥٢﴾ فَأَرْسَلْ فِرْعَوْنَ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ ﴿٥٣﴾ إِن
هُوَ لَشَرُّ دَمَةٍ قَالِيلُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِنَّهُمْ لَنَا لِقَاطُونَ ﴿٥٥﴾ وَإِنَّا لَجَمِيعٌ
حَاطِرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَخْرَجْنَاهُمْ مِنْ جَنَّتِ وَعِيُونَ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَاوِرِكُمْ
كَذَلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٨﴾ فَأَتَّبَعُوهُمُ مُشْرِقِينَ ﴿٥٩﴾

٤٩- قال فرعون للسحرة: كيف آتمتم لموسى بغير إذن مني لكم في الإيمان، ثم موه على الناس حتى لا يتبعوهم: إن موسى هو رئيسكم الذي علمكم السحر- وصفه بأنه كبير السحرة لانبهار الناس بفعله- ثم هددهم بقوله: لسوف تعلمون عقابي، لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف، أي اليد اليمنى مع الرجل اليسرى وبالعكس، ولأصلبنكم بعد القتل أجمعين .

٥٠- قال السحرة لفرعون: لا ضرر علينا في ذلك وفي كل ما نتعرض له من عذاب الدنيا، إننا إلى ربنا راجعون في الآخرة بعد موتنا، وعزأونا ما نجد من ثواب عظيم وقرب من الله تعالى .

٥١- إننا نرجو أن يغفر لنا ربنا ذنوبنا بأن كنا أول المؤمنين من قوم فرعون بما جاء به موسى .

٥٢- وأوحينا إلى موسى: أن سرِّ بعبادي المؤمنين ليلاً من أرض مصر، إنكم ملاحقون من قبل فرعون وجنوده .

٥٣- فأرسل فرعون أتباعه حين علم بمسيرة القوم، في البلاد المصرية، جامعين الجنود ليتبعوهم .

٥٤- قال فرعون لحاشيته وأتباعه: إن هؤلاء الإسرائيليين لطائفة قليلة، وأنتم الجمع الكبير قاعدة مصر .

٥٥- وإنهم لفاعلون ما يغيظنا من غير إذن منا، بخروجهم من مصر وأخذهم حلي النساء التي استعاروها .

٥٦- وإننا لجمع أي جمع مستعدون في حذر ويقظة وحزم لملاحقتهم حتى لا يغدر بنا أحد .

٥٧، ٥٨- فأخرجنا فرعون وقومه من بساتين على جانبي النيل، وأنهار جارياً، وكنوز من الأموال، وقصور

عالية حسنة .

٥٩، ٦٠- وهكذا أخرجناهم كما وصفنا، وأورثنا الديار بني إسرائيل، فلاحقوا بهم وأدركوهم في وقت شروق

الشمس .



٦١- فلما رأى كل من الجمع الآخر وتقاربا، قال أصحاب موسى: سيلحقنا جمع فرعون.
 ٦٢- قال موسى: كلا، لن يدركونا، إن الله سيرشدني إلى طريق النجاة منهم. وكلمة «كلا» للنهي عن قول سابق، أي لا تقولوا.
 ٦٣- فأوحينا إلى موسى: أن اضرب بعصاك البحر، أي بحر السويس، ففعل، فانشق البحر اثني عشر فرقا بينها مسالك، فدخلوا في شعابها، فكان كل قطعة من البحر أو جانب من الماء المنحسر كالجيل العظيم الضخم الثابت.
 ٦٤- ثم قربنا هناك فرعون وجنوده، حتى دخلوا وراء موسى وقومه في البحر لإغراقهم فيه.
 ٦٥- وأنجينا موسى وقومه أجمعين من الغرق، بحفظ البحر على تلك الحال إلى أن عبروا.
 ٦٦- ثم أغرقنا فرعون وجنوده بإطباق البحر عليهم، بعد أن دخلوا في شعابه.
 ٦٧- إن في ذلك الإغراق لعظة وعبرة، وآية عظيمة على قدرة الله الخارقة، وما كان أكثر الناس عن كانوا في مصر مع فرعون مؤمنين، فلم يؤمن غير آسية امرأة فرعون وأيما حزقيل مؤمن آل فرعون ومريم بنت داموس التي دلت على تابوت يوسف عليه السلام.
 ٦٨- وإن ربك لهو القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين به.

فَلَمَّا تَرَأَى الْجَعَانُ فَالَاصْحَبُ مُوسَىٰ إِنَّا لَمَدْرُكُونَ ﴿٦١﴾ قَالَ
 كَلَّا إِنَّ مَعِيَ رَبِّي سَيَهْدِينِ ﴿٦٢﴾ فَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ اضْرِبْ
 بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فَرَقٍ كَالظُّورِ الْعَظِيمِ ﴿٦٣﴾
 وَأَزْلَفْنَا ثَمَّ الْآخَرِينَ ﴿٦٤﴾ وَأَنْجَيْنَا مُوسَىٰ وَمَنْ مَعَهُ وَأَجْمَعِينَ ﴿٦٥﴾
 ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ ﴿٦٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ كَرَاهٍ
 مُؤْمِنِينَ ﴿٦٧﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٦٨﴾ وَاللَّهُ عَلَيْهِمْ
 نَبَأُ إِبْرَاهِيمَ ﴿٦٩﴾ إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالُوا
 نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَنْظُرُهَا عُلَاهِكُنَّ ﴿٧١﴾ قَالَ هَلْ سَمِعْتُمْكُمْ إِذْ
 تَدْعُونَ ﴿٧٢﴾ أَوْ يَفْعَلُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ ﴿٧٣﴾ قَالُوا بَلَىٰ وَجَدْنَا
 آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٧٤﴾ قَالَ أَوَلَمْ تَكُونُوا تَعْبُدُونَ
 ﴿٧٥﴾ أَنْتُمْ وَأَبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ ﴿٧٦﴾ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّي إِلَّا رَبَّ
 الْعَالَمِينَ ﴿٧٧﴾ الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي
 وَيَسْقِينِي ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِي ﴿٨٠﴾ وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ
 يُحْيِينِي ﴿٨١﴾ وَالَّذِي أَطْمَعُ أَنْ يَغْفِرَ لِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ
 ﴿٨٢﴾ رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ ﴿٨٣﴾

٦٩- واقرأ على مشركي قومك في مكة وغيرها خبر إبراهيم الخليل عليه السلام.
 ٧٠- حين قال لأبيه أزر وقومه الوثنيين في بابل: أي شيء تعبدونه؟ وسؤالهم للفت نظرهم أن ما يعبدونه من الأصنام لا يستحق العبادة.
 ٧١- قالوا له: نعبد أصناماً فنبقى ملازمين مداومين على عبادتها.
 ٧٢- قال إبراهيم لهم: هل يسمعون دعاءكم حين تدعونهم؟
 ٧٣- أو يفعلونكم حين تعبدونهم، أو يضررونكم إن لم تعبدوهم. وإذا كانت لا تسمع ولا تضر ولا تدفع فلا داعي لعبادتها.
 ٧٤- قالوا له حينما عجزوا عن الجواب: بل وجدنا آباءنا يفعلون مثل فعلنا، وهو مجرد تمسك بالتقليد.
 ٧٥- قال إبراهيم: أفأريتم ما تعبدونه من هذه الأصنام؟
 ٧٦- أنتم ومن سبقكم من الآباء والأجداد القداماء.
 ٧٧- فإنهم أعداء لي لا أعبدهم، لكن أعبد الله رب العوالم كلها من الإنس والجن. وعدو: يطلق على الواحد والأكثر.
 ٧٨- الله الذي خلقتني فهو يرشدني إلى صلاح الدين والدينيا. وهاتان صفتا الخلق والهداية.
 ٧٩- والصفة الثالثة: الرزق، فالله هو يرزقني ويمدني بالطعام والشراب.
 ٨٠- والصفة الرابعة: تحقيق الشفاء، فالله يشفيني من المرض إن مرضت بعد تعاطي الأسباب كالدواء.
 ٨١- والصفة الخامسة: الإمامة والإحياء، فالله هو الذي يميتني عند انتهاء الأجل، ثم يحييني في الآخرة.
 ٨٢- والصفة السادسة: المغفرة، والله الذي أرجو أن يغفر لي تقصيري وذنبي يوم الجزاء والحساب. وإنما قال ذلك إشعاراً بأنه لم يعمل شيئاً أمام الله تعالى.
 ٨٣- رب امنحني حكمة وفهماً وعلماً بما هو خير، وألحقيني بالكاملين في الصلاح وهم الأنبياء.

وَأَجْعَلِ لِي لِسَانَ صِدِّيقٍ فِي الْآخِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ
حَبَّةِ النَّعِيمِ ﴿٨٥﴾ وَأَعْفِرْ لِي إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا تُخْزِنِي
يَوْمَ يُبْعَثُونَ ﴿٨٧﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ ﴿٨٨﴾ إِلَّا مَنْ آمَنَ أُنَى اللَّهِ
بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾ وَأَزَلَّتْ الْحِجَةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ
الْحُجُجُ لِلْعَاوِينَ ﴿٩١﴾ وَقِيلَ لَهُمُ إِنَّمَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ ﴿٩٢﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ
هَلْ بَصُرْتُمْ أَنَّى بَنُوتُمْ أَوْ أَنْبَتُمْ رُوحًا مَكِيدًا ﴿٩٣﴾ فَكَيْبُرُوا فِيهَا هُجْرًا وَعَاوِينَ ﴿٩٤﴾
وَحُنُودًا غَابِطِينَ ﴿٩٥﴾ فَالْوَاهِبُ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ﴿٩٦﴾ يَا اللَّهُ
إِنْ كُنَّا لَنُؤْمِنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴿٩٧﴾ إِذْ نَسُؤُكُمْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٩٨﴾ وَمَا أَسْلَمْنَا
إِلَّا الْكُفْرَ مُونَ ﴿٩٩﴾ فَأَلَمْنَا مِنْ سُفِينٍ ﴿١٠٠﴾ وَلَا صِدِّيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾
فَلَوْلَا نَارُكَ لَكُنَّا لَمُؤْمِنِينَ ﴿١٠٢﴾ وَإِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ
أَكْثَرَكُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٠٣﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهَؤُا نَعَزَّزُ بِالرَّحْمِ ﴿١٠٤﴾ كَذَّبَتْ قَوْمُ
نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ نُوحٌ أَلَتَقُونَ ﴿١٠٦﴾ إِنِّي
لَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ رَبِّ اللَّهِ وَأَطِيعُونَ ﴿١٠٧﴾ وَمَا أَسْتَأْذِنُكُمْ
عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٠٨﴾ فَأَتَقُوا اللَّهَ
وَأَطِيعُوا ﴿١٠٩﴾ فَأَلَا أُنْفِئُكُمْ وَأَتَبَعَكُمُ الْأَرْدُلُونَ ﴿١١٠﴾

٨٤- واجعل لي ثناء حسناً في الأجيال الآخريين الذين يأتون من بعدي إلى يوم القيامة، وذلك يكون بالتوفيق للأعمال الصالحة.

٨٥- واجعلني ممن يتمتعون بنعيم الجنة.

٨٦- واغفر لأبي بتوفيقه للإيمان والهداية، إنه كان من المخطئين المنحرفين عن طريق الاستقامة.

٨٧- ولا تعرضني للذل والإهانة يوم القيامة.

٨٨- ذلك اليوم الذي لا نفع فيه مال ولا بأولاد.

٨٩- لا ينفع أحداً ماله ولا ولده عند الله إلا من جاء بقلب مؤمن مخلص، سليم من الكفر والنفاق.

٩٠- وقُرِّبَتِ الجنة للذين اتقوا العذاب بالطاعة.

٩١- وأظهرت النار للكفار قبل أن يدخلوها.

٩٢- وقيل للمشركين: أين المعبودات التي كنتم تعبدونها من الأصنام والأوثان وغيرها؟

٩٣- تعبدونها من غير الله، هل ينصرونكم بإجاثكم من العذاب، أو يتصورون لأنفسهم؟

٩٤- فالتقوا في جهنم على وجوههم: الآلهة المعبودة وعبدها الضالون الذين اغواهم غيرهم.

٩٥- وألقي فيها أتباع إبليس ومطيعوه أجمعون من عصاة الإنس والجن.

٩٦- قال الغواة وهم في جهنم يتخاصمون مع معبوديهم، بإنطاق الله الأصنام:

٩٧- والله إنا كنا في ضلال واضح.

٩٨- حين نساويكم في الطاعة والحب والعبادة والخوف بالله رب العالمين.

٩٩- وما أضلنا عن الحق والهدى إلا شياطين الإنس والجن من السادة وغيرهم، ممن عادوا الله تعالى.

١٠٠- فليس لنا الآن في هذه المحنة من شفعاء عند الله تعالى يتقذروننا من العذاب. و ﴿من﴾ يفيد عموم نفي ما بعده.

١٠١- وليس لنا أيضاً صديق صادق الود، مخلص الإخاء يتقذرننا من العذاب.

١٠٢- فليت لنا رجعة إلى الدنيا، فتصير من جملة المؤمنين. و ﴿لو﴾ هنا استعملت في معنى التمني.

١٠٣- إن فيما ذكر من قصة إبراهيم مع قومه لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس في مكة وغيرها مؤمنين.

١٠٤- وإن ربك أيها الإنسان لهو القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بالإمهال ليؤمنوا، وبأوليائه المؤمنين.

١٠٥- كذبت قوم نوح رسولهم، وعبر عن نوح بالمرسلين؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب الرسل جميعاً.

١٠٦- إذ قال لهم نوح أخوهم في النسب أو الجنس لا أخوة دين: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتؤمنون بالله ورسوله؟! و ﴿ألا﴾ حرف يفيد الحث على الفعل.

١٠٧- إني لكم رسول من الله، أمين فيما أبلغكم عنه.

١٠٨- فخافوا عذاب الله، وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وطاعته، وأداء فرائضه وشرائعه.

١٠٩- وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري إلا على الله، أرجو منه الثواب. و ﴿من﴾ لعموم النفي.

١١٠- فخافوا عذاب الله وأطيعوني في الأوامر والنواهي الإلهية. كرر ذلك للتأكيد.

١١١- قال قوم نوح: كيف تتبعك ونصدقك، والحال أن قد اتبعك السفلة من الفقراء والضعفاء وأهل الصنائع؟!



١١٢- قال نوح: وما علمي بعملهم؟ إنني لم أكلف بالبحث عن أعمالهم، وسرائرهم.

١١٣- ما حسابهم على ضمائرهم أو مواطنهم، وأعمالهم إلا على الله تعالى، لو تعلمون ذلك.

١١٤- ولست بطارد المؤمنين من مجلسي.

١١٥- ما أنا إلا منذر مخوف، واضح الإنذار لكل الناس، لا فرق بين شريف ووضع.

١١٦- قالوا: لئن لم تنته عن دعوتك وسب آلهتنا، لتكونن من المقتولين رمياً بالحجارة.

١١٧- قال نوح: يارب، إن قومي أصروا على تكذبي ورفض دعوتي.

١١٨- فاحكم بيني وبينهم حكماً يظهر الحق من المبطّل، ويهلك من كذب رسولك.

١١٩- فأجبت دعاءه وأنجيتاه، ومن آمن وركب معه في السفينة المملوءة بالناس والمتاع.

١٢٠- ثم أغرقنا بعد إيمانهم الباقين من قومه.

١٢١- إن في ذلك المذكور من قصة نوح لعبرة وعظة للمعتبر المتأمل، وما كان أكثر الناس مؤمنين.

١٢٢- وإن ربك أيها الإنسان هو القاهر المنتقم من أعدائه الكفرة، الرحيم بالمؤمنين التائبين.

١٢٣- كذبت قوم عاد رسولهم هوداً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولا فقد كذب جميع الرسل.

قَالَ وَمَا عَلِيَّ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٢﴾ إِنَّ حِسَابَهُمْ إِلَّا عَلَيَّ رَبِّ لَوْ تَشْعُرُونَ ﴿١١٣﴾ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٤﴾ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٥﴾ فَأَلْوُوا لَيْلِنَ لَمَّا نَدَّبَهُ نُوحٌ لَتَكُونَ مِنَ الرَّجُومِينَ ﴿١١٦﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَوْمِي كَذَّبُونِ ﴿١١٧﴾ فَأَفْخِ بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ فَخًا وَنَجِّنِي وَمَنْ مَعِيَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١٨﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفُلِ الْكَاسِيَةَ ﴿١١٩﴾ ثُمَّ أَغْرَقْنَا بَعْدَ الْبَاقِينَ ﴿١٢٠﴾ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ وَمَا كَانَ أَكْثَرَهُمْ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٢١﴾ وَإِنْ رَبُّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٢٢﴾ كَذَّبَتْ عَادُ الَّذِينَ سَلَوْنَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ هُودٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٢٥﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٢٦﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢٧﴾ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ آيَةً تَعْبَثُونَ ﴿١٢٨﴾ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴿١٢٩﴾ وَإِذَا بَطِشْتُمْ بَطِشْتُمْ جَبَّارِينَ ﴿١٣٠﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ ﴿١٣١﴾ وَاتَّقُوا الَّذِي أَمَدَّكُمْ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣٢﴾ أَمَدَّكُمْ بِأَنْعُمٍ وَبَيْنَ يَدَيْكُمْ وَجِبَّتْ رُءُوسُكُمْ ﴿١٣٣﴾ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣٤﴾ قَالُوا أَسَؤُهُ عَلَيْنَا أَعْطَيْتْ أُمَّمٌ مِّنْ آلِ عِزِينَ ﴿١٣٥﴾ إِنْ هَذَا إِلَّا أَلْهَانٌ لَّأُولَآئِينَ ﴿١٣٦﴾ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٧﴾

١٢٤- حين قال لهم هود أخوهم في القبيلة والنسب لافي الدين: ألا تخافون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتؤمنون بالله ورسوله؟

١٢٥- إنني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ رسالة ربي.

١٢٦- فاتقوا عذاب الله بال التزام أوامره واجتناب نواهيه، وأطيعوني فيما أبلغكم به من التكاليف الدينية.

١٢٧- وما أطلب أجراً على تبليغ الرسالة، وما ثوابي وأجري إلا على الله رب العالمين.

١٢٨- أتبنون بكل مكان مرتفع قصرأ شامخاً كأنه جبل، لا للحاجة وإنما للعبث والتفاخر واللهو؟ والاستفهام إنكاري يدل على عدم الرضا عما بعده.

١٢٩- وتتخذون حصوناً منيعة، كأنكم تظنون الخلود في الدنيا.

١٣٠- وإذا ضربتم بشدة وعنف تعدياً، ضربتم عتاة متسلطين بلا رافة ولا شفقة.

١٣١- فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتكم عنه.

١٣٢- واتقوا الله بإخلاص العبادة له، فهو الذي أنعم عليكم أو أعطاكم بما تعلمون من نعم ومواهب.

١٣٣، ١٣٤- أعطاكم الأنعام (الماشية) للأكل والنفع، والبتين للمعاونة، واليساتين والأنهار الجارية.

١٣٥- إنني أخاف عليكم بعصيانتي عذاب يوم عظيم في الدنيا والآخرة.

١٣٦- قالوا: استوى عندنا وعظك وعدمه، لا نبالي في الحالين، ولن نؤمن بك، والمراد: التئيب والتعجيز.

١٣٧- ما هذا الذي نحن عليه إلا عادة الأقسام السابقين ودينهم، ونحن تابعون لهم ومقلدوهم.

١٣٨- ولستنا نحن بمعذبين بعد موتنا، إذ لا بعث ولا جزاء ولا حساب.

فَكَذَّبُوهُ فَأَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ
 مُؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٤٠﴾ كَذَبَتْ سَعْدُ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَالَتُنَّؤُنَّ ﴿١٤٢﴾ إِنْ لَكُمْ
 رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿١٤٤﴾ وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ
 مِنْ أَجْرٍ إِنْ لَمْ يَكُنْ مِنَ الْعَالَمِينَ ﴿١٤٥﴾ أَتُرْكُونَ فِي مَا هُمْ بِهَا
 ءَامِنِينَ ﴿١٤٦﴾ فِي جَنَّتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٤٧﴾ وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا
 هَضِيمٌ ﴿١٤٨﴾ وَتَحْتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا فَرِيدِينَ ﴿١٤٩﴾ فَاتَّقُوا اللَّهَ
 وَأَطِيعُوا ﴿١٥٠﴾ وَلَا تَطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ ﴿١٥١﴾ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ
 فِي الْأَرْضِ وَلَا يَصْلِحُونَ ﴿١٥٢﴾ فَالْوَالِئَا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٥٣﴾ قَالَ
 مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٥٤﴾ قَالَ
 هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبٌ يَوْمَ مَعْلُومٍ ﴿١٥٥﴾ وَلَا تَمْسُوهَا
 بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ يُومِئِكُمْ ﴿١٥٦﴾ فَعَفَوْهَا فَوَاصِحُوا أَيْدِيَكُمْ
 ﴿١٥٧﴾ فَأَعْذَرَهُ الْعَذَابُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ
 ﴿١٥٨﴾ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٥٩﴾ كَذَبَتْ قَوْمٌ لُوطَ
 الْمُرْسَلِينَ ﴿١٦٠﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٦١﴾

١٣٩ - فكذبوا هوداً، فأهلكناهم بريح صرصر جزاء على تكذيبهم، إن في ذلك لعبرة وعظة، وما كان أكثر الناس مؤمنين.

١٤٠ - وإن ربك لهو القادر القاهر المنتقم من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٤١ - كذبت قبيلة ثمود رسولهم صالحاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل.

١٤٢ - حين قال لهم صالح أخوهم في القبيلة والنسب لا في الدين: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام؟

١٤٣ - إني لكم رسول مرسل من ربكم، أمين في تبليغ رسالة الله تعالى.

١٤٤ - فأخلصوا لله العبادة والطاعة، وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه.

١٤٥ - وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري أو ثوابي إلا على رب العالمين من إنس وجن.

١٤٦ - أتحسبون أنكم تتركون ما هنا في هذه النعم الدنيوية والخيرات آمنين من العذاب والموت؟ والاستفهام إنكاري يفيد النفي.

١٤٧، ١٤٨ - آمنين في بساتين وأنهار جارية، وزروع مختلفة الأنواع، وتخل ثمرها يانع سهل الهضم، لتين لطيف.

١٤٩ - وتحتون من الجبال بيوتاً فخمة، بطرين أو ماهرين حاذقين.

١٥٠ - فاتقوا عذاب الله وأطيعوني فيما أمرتكم به ونهيتمكم عنه.

١٥١ - ولا تطيعوا أمر العصاة المتجاوزين الحدود المعتادة.

١٥٢ - الذين يفسدون في الأرض بالمعاصي، ولا يصلحون ما أفسدوه بالتوبة وبطاعة الله تعالى.

١٥٣ - قالوا له: إنما أنت من الذين فقدوا عقولهم، وغلب عليهم السحر، فصاروا مجانين.

١٥٤ - ما أنت يا صالح إلا بشر مثلنا يأكل ويشرب، فلا مزية لك علينا، فأت بمعجزة مادية محسوسة تدل على أنك رسول من عند الله، إن كنت صادقاً في ادعاء الرسالة إلينا.

١٥٥ - قال لهم صالح: هذه ناقة خلقها الله لكم، لها نصيب من الماء، ولكم نصيب مثله في اليوم التالي.

١٥٦ - ولا تصيبوها بسوء، أي شيء مؤذ، فيحل عليكم عذاب يوم عظيم هو يوم القيامة.

١٥٧ - فرموها بسهم ثم قتلوها، فعل ذلك أحدهم برضا وتحريض الآخرين، فأصبحوا نادمين على قتلها حينما رأوا آمارات العذاب، وخوفهم من صدق صالح.

١٥٨ - فأحاط بهم العذاب وهو الرجفة أو الزلزال الشديد، فأهلكهم، إن في ذلك لعبرة، ولم يكن أكثرهم مؤمنين.

١٥٩ - وإن ربك لهو القادر على الانتقام من أعدائه الكفرة، الرحيم بأوليائه التائبين.

١٦٠ - كذبت قوم لوط رسولهم لوطاً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً، فقد كذب جميع الرسل.

١٦١ - حين قال لهم نبينهم لوط وأخوهم في السكن والبلد لا في الدين والنسب: ألا تتقون عذاب الله بترك عبادة الأصنام، وتوحيد الله وطاعته؟! ولوط هو ابن أخي إبراهيم من بابل.

١٦٢- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين على تبليغ الرسالة الإلهية دون زيادة ولا نقص .
 ١٦٣- فاتقوا عذاب الله بالعبادة والإخلاص والطاعة، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .
 ١٦٤- وما أطلب منكم أجراً على تبليغ الرسالة، ما أجري وثوابي إلا على الله رب العوالم كلها .
 ١٦٥- أتستعاطون الفاحشة مع الذكور من الناس؟ وكانوا يفعلون ذلك مع الغرباء .
 ١٦٦- وتتركون ما خلق الله من أجل استمتاعكم من جنس النساء في أقبالهن، بل أنتم قوم مجاوزون الحدود في المعاصي .
 ١٦٧- قالوا: لئن لم تنته يا لوط عن إنكارك علينا ما فعل، لتكونن من المطرودين المبعدين من بلدنا .
 ١٦٨- قال لوط: إني لعملكم وهو إتيان الذكور من المبغضين أشد البغض .
 ١٦٩- ربي احفظني وأهلي من سيئات أعمالهم وعقابهم .
 ١٧٠- فنجيناه وأهل بيته ومن آمن به أجمعين .
 ١٧١- إلا امرأة عجوزاً هي امرأة لوط كانت في الباقيين في العذاب من الهالكين .

إني لكم رسول أمين ﴿١٦٢﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٦٣﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٦٤﴾ أتأتون الذكران من العالمين ﴿١٦٥﴾ وتذرون ما خلق لكم من أنفسكم بل الله قووم عادون ﴿١٦٦﴾ قالوا لئن لؤنته يلوط لتكونن من المحجرين ﴿١٦٧﴾ قال إني لعملكم من القالين ﴿١٦٨﴾ رب نجني وأهلي مما يملكون ﴿١٦٩﴾ فنجيناه وأهله وأجمعين ﴿١٧٠﴾ إلا عجوزاً في الغديرين ﴿١٧١﴾ فذمنا الآخرين ﴿١٧٢﴾ وأمطرنا عليهم مطراً فساء مطر المندرين ﴿١٧٣﴾ إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين ﴿١٧٤﴾ وإن ربك هو العزيز الرحيم ﴿١٧٥﴾ كذب أصحاب ليلة المرسلين ﴿١٧٦﴾ إذ قال لهم شعيب ألا تنفون ﴿١٧٧﴾ إني لكم رسول أمين ﴿١٧٨﴾ فاتقوا الله وأطيعون ﴿١٧٩﴾ وما أسألكم عليه من أجر إن أجرينى إلا على رب العالمين ﴿١٨٠﴾ أو فوا الكيل ولا تكونوا من الخسرين ﴿١٨١﴾ وذنوا بالتسطاس المستقيم ﴿١٨٢﴾ ولا تبخسوا الناس أشياءهم ولا تعفوا في الأرض مفسدين ﴿١٨٣﴾ فاتقوا الذي خلقكم والحيلة الأولى ﴿١٨٤﴾

١٧٢- ثم أهلكنا الآخرين بالخسف والحصى .

١٧٣- وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فبئس مطر المخوفين مطرهم، أنذرهم ربهم بالعذاب إذا عصوا الله .

١٧٤، ١٧٥- إن في تلك القصة لعبرة وعظة لكل متأمل، حيث أهلك الله العصاة ونجى المؤمنين، ولم يكن أكثرهم مؤمنين بالله ورسوله، وإن ربك لهو القاهر الذي لا يغلب، الرحيم بأوليائه التائبين .

١٧٦- كذب أصحاب الأيكة: وهي غيضة شجر كثيف قرب مدين رسولهم شعيباً، وعبر عنه بصيغة الجمع؛ لأن من كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل كما تقدم .

١٧٧- حين قال شعيب: ألا تتقون عذاب الله بفعل الأوامر وترك النواهي؟

١٧٨- إني لكم رسول مرسل من الله، أمين في تبليغ الرسالة دون تبديل ولا تحريف .

١٧٩- فأخلصوا العبادة لله واتقوا ما يسخطه، وأطيعوني فيما أمركم به وأنهاكم عنه .

١٨٠- وما أطلب منكم أجراً على النصح والإرشاد، ما أجري وثوابي إلا على الله رب الإنس والجن .

١٨١- أموا الكيل، ولا تكونوا من ناقصي الحقوق بالتطفيف في الكيل والوزن .

١٨٢- وذنوا وزنا عدلاً بالميزان السوي المعتدل .

١٨٣- ولا تنقصوا الناس حقوقهم شيئاً، ولا تفسدوا في الأرض أشد الإفساد بالقتل والنهب وقطع الطريق وغير ذلك من ألوان الاعتداء .

١٨٤- وخافوا الله الذي خلقكم وخلق الخلائق أو الجماعات السابقين .



قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسْحَرِينَ ﴿١٨٥﴾ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا
وَأَنْ تَقُتُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿١٨٦﴾ فَأَمْسَقَ عَلَيْنَا كَيْفَ أَنْ
الْتَمَاءُ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٨٧﴾ قَالَ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ
﴿١٨٨﴾ فَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظُّلُمَةِ إِنَّهُ كَانَ عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٨٩﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٠﴾
وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿١٩١﴾ وَإِنَّكَ تَرِي رَبَّ الْعَالَمِينَ
﴿١٩٢﴾ تَرَى بِهِ الرُّوحَ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ
﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴿١٩٥﴾ وَإِنَّ لِي لَبُرِّ الْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوْلَمْ
يَكُنْ لَهُمْ آيَةٌ أَنْ يَأْتِيَ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ يُحْرَمُونَ وَلَوْ أَنَّكَ عَلَى
بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ ﴿١٩٧﴾ فَقَرَأْتَ عَلَيْهِمْ مَا كُنُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ ﴿١٩٨﴾
كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ ﴿١٩٩﴾ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى
يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٢٠٠﴾ فَيَأْتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٠١﴾
فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنظَرُونَ ﴿٢٠٢﴾ أَفَعَدَّيْنَا لِلْمُتَعَمِّجِينَ ﴿٢٠٣﴾
﴿٢٠٤﴾ أَوْفَرَّيْتُمْ إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ ﴿٢٠٥﴾ ثُمَّ جَاءَهُمْ
مَا كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿٢٠٦﴾ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ ﴿٢٠٧﴾

١٨٥ - قالوا: إنما أنت من الذين مسحروا.

١٨٦ - وما أنت إلا مثلنا من البشر، فكيف تأتينا النبوة، فجمعوا بين الوصفين لتكذيب الرسالة: البشر المسحور، وإنما نعتقد أنك كاذب.

١٨٧ - فإن كنت صادقاً في دعواك فأسقط علينا قطعاً من عذاب السماء.

١٨٨ - قال شعيب: ربي أعلم بما تعملون من المنكرات، ومجازيكم عليها، لا يخفى عليه شيء، ولست قادراً على إزفال شيء من العذاب بكم.

١٨٩ - فأصروا على تكذيبه، فأخذهم عذاب يوم الظلة: وهو السحاب الذي أظلمهم بعد حر شديد أصابهم، فاجتمعوا تحته، فأمطرتهم ناراً وأحرقتهم جميعاً، إنه كان عذاب يوم عظيم.

١٩٠ - إن في قصة أصحاب الأيكة لعظة وعبرة للمعتبر، ولم يكن أكثر قوم شعيب مؤمنين بالله.

١٩١ - وإن ربك لهم القادر على الانتقام من أعدائه، الرحيم بأوليائه المؤمنين.

١٩٢ - وإن هذا القرآن لتنزّل رب العالمين.

١٩٣ - نزل به جبريل الأمين بوحى من الله.

١٩٤ - نزل به على قلبك أيها النبي؛ لأنه مركز الوحي والإدراك، لتحفظه ولا تنساه، لتكون من المنذرين من عصى الله بالعذاب.

١٩٥ - أنزله باللغة العربية الواضحة، لغة الرسول

العربي، لتلا يقول العرب: لا تفهم ما يقول بلسان آخر.

١٩٦ - وإن هذا القرآن المنزل على محمد ﷺ مبشر به في كتب الأنبياء السابقين كالتروة والإنجيل.

١٩٧ - أو لم يكن لمشركي مكة علامة دالة على صحة القرآن ونبوة محمد ﷺ: أن يعلم بيعة محمد علماء بني إسرائيل الذين آمنوا كعبد الله بن سلام وأمثاله.

١٩٨ - ولو نزلنا القرآن على بعض الأعاجم غير العرب. والأعجمي: كل من لا يفهم العرب كلامه.

١٩٩ - فقرأه على مشركي مكة قراءة عربية صحيحة بنحو معجز خارق للعادة، لم يؤمنوا به، لفرط عنادهم واستكبارهم. وبذلك تتوافر معجزتان: إعجاز القرآن في حد ذاته وإعجاز قراءته من أعجمي.

٢٠٠ - مثل إدخالنا التكذيب به والكفر، أدخلناه في قلوب المجرمين كفار مكة بقراءة النبي ﷺ، أي أن الكفر يخلق الله تعالى، والعبد مكتسب مختار له.

٢٠١ - لا يؤمنون بالقرآن حتى يروا العذاب المولم في الدنيا.

٢٠٢ - فأتيتهم العذاب فجأة، والحال أنهم لا يشعرون بإتيانه.

٢٠٣ - فيقولوا عند مشاهدة العذاب: هل نحن مهملون لتؤمن ونعمل صالحاً؟ والمراد بالاستفهام هنا طلب ما بعده.

٢٠٤ - أيستعجلون عذابنا بقولهم: أسقط علينا حجارة من السماء أو قطعاً من السماء كما زعمت؟

٢٠٥، ٢٠٦ - أخبرني إن تركناهم بتعمير الدنيا سنين عديدة؟ ثم جاءهم من العذاب ما كانوا يوعدون به. ورثي النبي ﷺ كأنه متحير، فسأله عن ذلك، فقال: ولم، ورأيت عدوي يكون من أمتي بعد؟ فنزلت هذه الآية وما بعدها، فطابت نفسه.

٢٠٧ - أي شيء أفادهم لدفع العذاب ما كانوا يتمتعون به في الدنيا؟ أو لم يقدمهم تمتعهم الطويل في دفع العذاب.

وَمَا أَهْلَكَا مِنْ قَرِيَةٍ إِلَّا مَا مَذُرُون ﴿٢٠٨﴾ ذَكَرْنِي وَمَا كَا ظَالِمِينَ ﴿٢٠٩﴾ وَمَا نَزَّلْتُ بِهِ الشَّيْطِينَ ﴿٢١٠﴾ وَمَا بَدِيعِي لَهُمْ وَمَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٢١١﴾ إِيْتَهُمْ عَنِ السَّمَاءِ عُقُوبٌ لَعْنُونَ ﴿٢١٢﴾ فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونَ مِنَ الْمُعَذِّبِينَ ﴿٢١٣﴾ وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ ﴿٢١٤﴾ وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢١٥﴾ فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنَّ بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢١٦﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٢١٧﴾ الَّذِي يَرْبِكُ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَيَقْلِبُ فِي السَّيِّئِينَ ﴿٢١٩﴾ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٢٢٠﴾ هَلْ أُنَبِّئُكُمْ عَلَىٰ مَنْ نَزَّلَ الشَّيْطَانَ ﴿٢٢١﴾ نَزَّلَ عَلَىٰ كُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٢٢٢﴾ يُلْقُونَ السَّمْعَ وَأَكْثُرَ كَذِبُونَ ﴿٢٢٣﴾ وَالشُّعْرَاءُ بِيَعْتَهُمُ الْعَادُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَمُسُونَ ﴿٢٢٥﴾ وَأَنَّهُمْ يَقُولُونَ مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَذَكَرُوا اللَّهَ كَذِكْرًا وَأَنصَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا وَسِعِلِمَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَمْ يَنْقَلِبُ يَنْقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾



٢٠٨- وما أهلكنا من أهل قرية إلا بعد إرسال الرسل للنارين، وإنزال الكتب.
 ٢٠٩- هذا الخبر تذكرة وعظة للناس في دار الدنيا، وما كنا ظالمين في تعليمهم بعد إنذارهم.
 ٢١٠- وما تنزلت الشياطين بهذا القرآن، خلافاً لما زعم المشركون أنه إلقاء الشياطين على الكهنة.
 ٢١١- وما يصح وما يتسنى لهم أن ينتزوا به، وما يقدرون على ذلك.
 ٢١٢- إنهم عن السمع لكلام الملائكة ممنوعون بالشهب النارية، مرجومون بها.
 ٢١٣- فلا تدع أيها النبي مع الله إلهاً آخر، فتكون من المعذبين. هذا الترجيح في الواقع للأمة، بدئاً به النبي ﷺ لأنه القدرة، وللتبهيح والإلهاب، أي لو فعلت ذلك لعذبك، فكيف بفيرك؟
 ٢١٤- وخوف من عذاب الله عشيرتك الأقربين، الأقرب منهم فالأقرب، وهم بنو هاشم وبنو المطلب، وخصوصاً بالإنذار أولاً اهتماماً بشأنهم. لما نزلت دعاء النبي ﷺ قريشاً، فاجتمعوا، فهذا بالأقارب ثم عم، فحذرهم وأنذرهم. بدأ بأهل بيته وفصيلته، فشق ذلك على المسلمين، فأنزل الله: ﴿واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين﴾ [٢١٥].

٢١٥- وارفق وتواضع، وأظهر الحب والتكريم لمن اتبعك من المؤمنين حقاً.

٢١٦- فإن عصاك قومك، فقل لهم: إني بريء مما تعملون من الشرك بالله تعالى.

٢١٧- فووض أيها النبي أمرك إلى الله القوي القادر على الانتقام من الكفار، الرحيم بالمؤمنين. الذي يريك حين تقوم إلى الصلاة تدعوه وتتضرع إليه.

٢١٩- ويرى تقلبك من حال إلى حال في مراحل الصلاة قائماً وقاعداً وراكعاً وساجداً مع المصلين جماعة.
 ٢٢٠- إنه تعالى هو السميع لدعائك، المليم بينك، فلا تجزع لشيء، فأت في رعاية الله تعالى.

٢٢١- هل أخبركم يا أهل مكة وأمثالكم على من تنزل الشياطين؟
 ٢٢٢- إنها تنزل على كل أفك (كذاب) كثير الإثم أو الذنب والفجور، والمراد: كل من كان كاهناً.

٢٢٣- الشياطين يصفون أشد الإصغاء إلى اللأ الأعلى لاستراق شيء منهم، ثم يلقونه إلى الكهنة، ويكذبون في الأكثر، فأكثرهم الكاذبون فيما يقولون. ويحتمل أن يكون الضمير في «يلقون» عائداً إلى الكهنة، أي يكذبون؛ لأنهم يتلقون من الشياطين ما أكثره كذب وزور من الظنون والأمارات.

٢٢٤- والشعراء الهجاءون يتبعهم الضالون غواة الناس؛ لأن أغلب ما يقوله الشعراء تخيلات لا حقيقة لها. قال ابن عباس: تهاجى رجلا على عهد رسول الله ﷺ، أحدهما من الأنصار، والآخر من قوم آخرين، وكان مع كل واحد منهما غواة من قومه، وهم السفهاء، فأنزل الله هذه الآية.

٢٢٥- ألم تر أن الشعراء في كل فن من فنون الكذب يخوضون ويتكلمون، فتارة يمدحون وتارة يهجون وتارة يأتون الخلاعة والمجون كمدح الزنى واللواط والخمر. والهائم: هو الذي يسير بلا منهج ولا قصد إلى غرض معين.

٢٢٦- وأنهم يزعمون الفعل وهم كذبة في ذلك، ويكذبون في شعرهم كثيراً.
 ٢٢٧- إلا من اتصف بأربع صفات: وهي الإيمان بالله ورسوله، والعمل الصالح بما تنال الأوامر واجتناب النواهي، وذكر الله كثيراً في أشعارهم، والانتصار لدينهم من بعد ظلم أعدائهم بهجو الكفار، كما كان يفعل شعراء النبي ﷺ مثل حسان بن ثابت بهجاء المشركين والدفاع عن النبي والإسلام، وسيعلم الذين ظلموا أنفسهم من كذبة الشعراء والذين هجوا النبي ﷺ وأصحابه، أي مرجع سيء سيكون مصيرهم إليه. والمنقلب: المرجع والمصير، ويتقلبون: يرجعون.

سورة النمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

طَسَّ بِكَ آيَاتُ الْقُرْآنِ وَكِتَابٍ مُبِينٍ ﴿١﴾ هُدًى وَبُشْرَى
لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الْأَمْرَ وَالْأَمْرَ وَالْأَمْرَ وَالْأَمْرَ
بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ رَبِّهَا لَهُمْ
عَذَابُهُمْ فَهُمْ يُعَذَّبُونَ ﴿٤﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ
وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْآخِضُونَ ﴿٥﴾ وَإِنَّا لَنُفِئُ الْقُرْآنَ مِنْ
أَدْنَى حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٦﴾ إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِيهِ إِنِّي آنستُ نَارًا
سَاءَ لَكُمْ مَثَلُهَا إِذَا رَأَيْتُمْ أَنَّ الْبُرُوقَ أَن تَنْفَخُهَا فَإِنَّهَا
فَلَمَّا جَاءَهَا نُورٌ أَنْ يُورِيكُمْ فِيهَا نَارًا فَخَلُّوا مِنْ حَوْطِهَا وَسُجِّنَ اللَّهُ
رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧﴾ بِمُوسَى إِلهَ وَإِنَّا لَنُفِئُ الْقُرْآنَ مِنْ
عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ كَانَتْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿٨﴾ وَإِنَّا لَنُفِئُ الْقُرْآنَ مِنْ
أَدْنَى حَكِيمٍ عَلِيمٍ ﴿٩﴾ وَإِنَّا لَنُفِئُ الْقُرْآنَ مِنْ
عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ كَانَتْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٠﴾ وَإِنَّا لَنُفِئُ الْقُرْآنَ مِنْ
عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ كَانَتْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١١﴾ وَإِنَّا لَنُفِئُ الْقُرْآنَ مِنْ
عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ كَانَتْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا لَنُفِئُ الْقُرْآنَ مِنْ
عَصَاكَ فَلَمَّا رَأَى أَنَّهُ كَانَتْ آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾

فضلها: هذه السورة من الطواصين التي أعطيها النبي ﷺ مكان الزبور، كما تقدم في سورة الشعراء.

١- ط، سين، للتبنيه والتحدي كما تقدم، هذه الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن العظيم، والكتاب الذي يوضح للناس ما فيه سعادتهم من أمور الدين والشريعة، ويظهر الحق من الباطل.

٢- وتلك آيات هادية إلى الحق والاستقامة، ومبشرة للمؤمنين بالجنة عند الطاعة.

٣- المؤمنون هم الذين يؤدون الصلاة في أوقاتها بأوصافها الشرعية التامة، ويؤتون الزكاة المفروضة للمستحقين، وهم يصدقون تصديقاً تاماً بالآخرة.

٤- إن الذين لا يصدقون بالبعث والحساب وهم الكفار، زيناً لهم أعمالهم السيئة حتى رآها حسنة، وعاقبتهم على جرهم، فهم في ضلالهم يترددون.

٥- أولئك المنكرون للبعث لهم أشد العذاب في الدنيا كالقتل والأسر، وهم في الآخرة أشد الناس خسارة.

٦- وإنك أيها النبي لتتلقى وتعطى القرآن وحياً من لدن كثير الحكمة والعلم.

٧- اذكر أيها النبي حين قال موسى لاهلته في مسيره من

مدين إلى مصر: إني أبصرت ناراً من بعيد، سأتيكم منها بخبر يدلني على الطريق؛ لأنه قد أخطأه، أو أتيتكم بشعلة من نار منها، لعلمكم تستدفئون من البرد.

٨- فلما وصل موسى إلى موضع النار كما ظن، وهي في الواقع نور، نودي أو خوطب: أن بورك من في مكان النار أي بجوارها، ومن حولها، أي بارك الله موسى والبقعة المباركة من أرض الشام، وتنزه الله رب العالمين (الإنس والجن) عما لا يليق بأسمائه وصفاته، من كل سوء.

٩- يا موسى، إنه أنا الله ربك الذي يناديك، القوي القادر القاهر، الحكيم في صنعه قولاً وفعلاً.

١٠- وأنت عصاك من يدك، فلما ألقاها ورآها تتحرك مضطربة كما يتحرك الجن، وهي حية خفيفة سريعة الحركة، ولتلى (فر) موسى هارياً منها من شدة الخوف، ولم يرجع على عقبه، فقال الله تعالى: يا موسى، لا تخف من الحية، لا يخاف عندئذ المرسلون برسائلي من حية ونحوها، فلا تخف أنت.

١١- لكن الذي يخاف هو من ظلم نفسه أو غيره بالمعصية، ثم تاب من ذنبه وجعل العمل الحسن بدل السيء، فأقبل توبته، لأنني كثير المغفرة واسع الرحمة لمن تاب وأناب.

١٢- وأدخل يدك في فتحة القميص من جهة الرأس، تخرج ذات شعاع وإشراق خلاف لوننا الجلدي، من غير مرض أصابها كبرص ونحوه، وأيدتك بتسع معجزات: هي الطمس على الأموال، والطبع على القلوب، والجدب، والجراد، والمقمل (حشرة تصيب الزرع)، والدم (تحول الماء دماً)، والضفادع، والظوفان (الأمطار الكثيرة) ونقص الثمرات، مرسل بها إلى فرعون وقومه لدعوتهم إلى الإيمان بالله رباً واحداً لا شريك له، وإطاعة أوامره، إنهم كانوا قوماً خارجين عن الطاعة.

١٣- فلما جاءت فرعون وقومه آياتنا التسع بيّنة تدل على صحة نبوة موسى، قالوا: هذا الذي جاء به موسى سحر واضح.



١٤ - وكذبوا بالآيات ولم يقرؤا بها حال كون أنفسهم متيقنة بها أنها من عند الله، ظلماً لأنفسهم وشركاً، وتكبيراً وترفعاً عن الإيمان بها وبما جاء به موسى، فانظر أيها النبي وتأمل كيف كان عاقبة ومصير المفلسين في الأرض الجاحدين لرسالة موسى: وهو الإغراق في الدنيا، والإحراق في الآخرة.

١٥ - ولقد أعطينا داود وسليمان علماً كثيراً هو علم الشريعة والقضاء بين الناس ومنطق الطير وغيره، فشكرا الله على فضله، وقالوا: الحمد لله الذي فضلنا وميزنا على كثير من عباده المؤمنين.

١٦ - وورث سليمان من داود آية النبوة والعلم والمُلْك، وقال تحدثاً بنعمة الله: يا أيها الناس، علّمنا كلام الطير أي ما يقول الطير من خلال الأصوات المختلفة التي تختلف باختلاف أغراض الحيوان من خوف وطلب طعام ونحو ذلك، وأعطينا كل شيء نحتاج إليه في الدين والدنيا، كالنبوة والعلم والمال والطير والرياح والدواب، إن هذا المَعطى لهُو الفضل البين الظاهر.

١٧ - وجمع لسليمان جنوده من أجناس الجن والإنس والطير، فهم يجمعون بإيقاف أولهم ليلحق به آخرهم، ثم يساقون. والوازع في الحرب: الموكل بالصفوف يرد من تقدم منهم، من الوزع: الكف والمنع.

١٨ - حتى إذا أتى موكب سليمان على وادي النمل، قالت ملكة النمل حين رأت سليمان وجنوده: يا أيها النمل، ادخلوا مساكنكم - جعل خطاب النمل كخطاب العقلاء لفهمها الخطاب - لئلا يطأكم سليمان وجنوده بالأرجل وحوافر الدواب، فيقتلوكم، وهم لا يشعرون بحظمكم، ولا يعلمون بكم، علّرتهم قبل أن يفعلوا.

١٩ - فتبسم سليمان - والتبسم: أول الضحك - ضاحكاً من قولها وتعجباً من فهمها، وقال: ربّ ألهمني أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي وعلى والدي بأن أكون ملازماً لشركك، ووفقي أن أعمل صالحاً ترضاه تماماً للشكر، وأدخلني الجنة برحمتك مع جملة عبادك الصالحين من الأنبياء والمرسلين والأولياء.

٢٠ - وتفقد سليمان الطير باحثاً، فلم يجد الهدهد بينها، فقال: ما لي لا أرى الهدهد؟ ظنّاً منه أنه حاضر محجوب عنه لسائر أو غيره، أم كان من الغائين. وأم: للانصراف عما قبله، والانتقال لما بعده.

٢١ - لأعذبه عذاباً شديداً على غيابه من غير إذني، كتشف ريشه أو حبسه في قفص، أو لأذبحه ليكون عبرة لغيره، أو ليأتيني بحجة واضحة تسوخ عذره في الغياب.

٢٢ - فبقي الهدهد غائباً زمناً يسيراً ثم عاد، فقال: اطلعتُ على ما لم تطلع عليه، والإحاطة بالشيء: العلم به من جميع جهاته، وجنتك من مدينة سبأ في اليمن بخبر مهم موثوق.

وَجَدُوا بِهَا مَا اسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ
كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ عِلْمًا
وَقَالَ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلْنَا عَلَى كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ
﴿١٥﴾ وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلِمْنَا مَنَاطِقَ
الطَّيْرِ وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ وَإِنَّ هَذَا لَهُ الْفَضْلُ الْمُبِينُ ﴿١٦﴾
وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ
يُورَعُونَ ﴿١٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا أَتَوْا عَلَىٰ وَادِ النَّمْلِ قَالَتْ مَلَكَةٌ يَا أَيُّهَا
النَّمْلُ ادْخُلُوا مَسَاكِنَكُمْ لَا يَحْطِمَنَّكُمْ سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ
وَهُمْ لَا شَعْرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّ ضَاحِكًا مِّنْ قَوْلِهَا وَقَالَ
رَبِّ ارْزُقْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ
وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأُدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ
الصَّالِحِينَ ﴿١٩﴾ وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ فَقَالَ مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدُودَ
أَمْ كَانُ مِنَ الْغَائِبِينَ ﴿٢٠﴾ لِأَعْذِبَنَّهُ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَذِجَنَّهُ
أَوْ لِيَأْتِنِي بِسُلْطٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ فَكَتَفَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ
أَحْطَطُ بِمَا لَرْتَحِطُ بِهِ وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ بِنَبَأٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾

٢٣- إني وجدت امرأة تحكمهم بصفة ملكة عليهم، هي بلقيس بنت شراحيل، وأعطيت من أسباب الدنيا كل ما يحتاج إليه الملوك، من الآلة والعدة والجيش، ولها عرش (سرير الملك) عظيم بالنسبة لعروش أمثالها من الملوك.

٢٤- وجدتها وقومها يعبدون الشمس من دون الله، وزين لهم الشيطان عبادة الشمس وغيرها من الأعمال القبيحة، فرأوها حسنة، فصددهم عن طريق الحق والصواب، فهم لا يهتدون إليه.

٢٥- زين لهم الشيطان أعمالهم لتلا يسجدوا لله، الذي يخرج أو يظهر المخبوء في السموات والأرض كإشراق الكواكب، وإنزال المطر، وانبثاق النباتات، وإظهار المعادن وغيرها من الأرزاق، ويعلم ما تسرون في قلوبكم، وما تظهرون بالستكم.

٢٦- الله الذي لا معبود بحق سواه، وهو رب العرش (الكرسي) العظيم؛ وخصه بالذكر لأنه أعظم المخلوقات، كما ثبت في الحديث المرفوع إلى النبي ﷺ. ونحن نؤمن به من غير تشبيه ولا تمثيل. ويطلب سجود التلاوة عند الفراغ من تلاوة العرش العظيم للقارئ والسامع المتطهرين.

إني وجدت امرأة تحكمهم وأوتيت من كل شيء وطسا عرش عظيم ﴿٢٣﴾ وجدتها وقومها يسجدون للشمس من دون الله وزين لهم الشيطان أعمالهم فصدهم عن السبيل فهم لا يهتدون ﴿٢٤﴾ ألا يسجدوا لله الذي يخرج الخبء في السموات والأرض ويعلم ما تخفون وما تعلنون ﴿٢٥﴾ الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم ﴿٢٦﴾ قال سنظروا صدقت أم كنت من الكاذبين ﴿٢٧﴾ أذهب بكلي هذا فألقه إليهم ثم تول عنهم فانظر ماذا يرجعون ﴿٢٨﴾ قالت يا أيها الملوك إني إليكم كريم ﴿٢٩﴾ إني من سليمان وإني بسم الله الرحمن الرحيم ﴿٣٠﴾ ألا تعالوا على وأتوني مسلمين ﴿٣١﴾ قالت يا أيها الملوك أفتوني في أمري ما كنت فاطمة أمرأحتي شهدة ﴿٣٢﴾ قالوا نحن أولوا قوة وأولو بأس شديد والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين ﴿٣٣﴾ قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون ﴿٣٤﴾ وإني مرسله إليهم بهديتة فاطرة يوم يرجع المرسلون ﴿٣٥﴾

٢٧- قال سليمان للهدد: سنظروا في خبرك، لتبين أصدقت فيما قلت أم كنت من الكاذبين؟ وفيه إرشاد إلى التوثق من الأخبار وكشف الحقائق.

٢٨- ثم كتب سليمان كتاباً وختمه بخاتمه، وقال للهدد: اذهب بكتابي هذا، فألقه إلى ملكتهم أهل سبا، ثم انصرف عنهم إلى مكان قريب، فانظر ماذا يردون من الجواب؟

٢٩- قالت بلقيس لأشرف قومها: يا أيها الخاصة والزعماء والأشرف: ألقى إلي كتاب مكرم محترم؛ لأنه محتوم بختم مرسله، وهو ملك عظيم.

٣٠- إن هذا الكتاب مرسل من سليمان بن داود، وإنه مبدوء ب: بسم الله الرحمن الرحيم.

٣١- مضمون الكتاب: ألا تعالوا ولا تتكبروا علي، وأتوني مسلمين، أي خاضعين متقادين لدين الله، مؤمنين بما جئت به.

٣٢- قالت بلقيس: يا أيها القادة والأشرف، أشيروا علي بالرأي في هذا الأمر، ما كنت مبرمة أمرأحتي تحضروا وتشيروا علي.

٣٣- قالوا في الجواب: نحن أصحاب قوة في السلاح والرجال، وأصحاب شدة وشجاعة في الحرب، والتدبير متروك لك فيما ترين، فانظري ماذا تأمرين به فنطيعك.

٣٤- قالت بلقيس: إن الملوك إذا دخلوا بلدة من البلاد أفسدوها بالتخريب، وأهانوا الأشرف وجعلوهم أذلاء بالقتل والتشريد، ومثل ذلك يفعلون بنا إن تغلبوا علينا.

٣٥- وإني مرسله إلى سليمان وجنوده بهدية، أختبرهم بها، فمتظرة بم يرجع به رسلي المرسلون من قبول الهدية أو ردها، فإن كان ملكاً قبلها، وإن كان نبياً ردها، ولم يرض منا إلا اتباع دينه.



فَلَمَّا جَاءَ سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمَدُّونَ بِمَالِ فَاءٍ أَنَّىٰ آتَىٰ اللَّهُ خَيْرَ مِمَّا
 ءَاتَاكُمْ بَلْ أَنْتُمْ مَهْدُوتُونَ تَقْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ أَرَجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَمَّا لَبَسْتَهُمْ
 بِحُجُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُمْ بِهَا وَخَرَجَهُمْ مِنْهَا أَذَلَّهُ وَهَرَصَفَرُونَ ﴿٣٧﴾
 قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ الْأَيْمُ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ يُبْغُونَ قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ﴿٣٨﴾
 قَالَ عَفِيفٌ مِّنَ الْجِنِّ أَنَاءَ إِلَيْكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي
 عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾ قَالَ الَّذِي أَدْبَرَهُ عِندَهُ عَمَّا جَاءَ مِنَ الْكِتَابِ أَنَا
 ءَاتَاكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ فَلَمَّا رَآهُ مُسْتَقِرًّا عِنْدَهُ
 قَالَ هَذَا مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُوَنِي ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ مِمَّنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا
 يَشْكُرُ لِنَفْسِهِ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ حَرِّيَّ عَنِّي كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾ قَالَ كَبُرَ الْهَاهُنَا
 عَرْشُهَا نَظَرُ أَهْلِهَا أَنَّهُمْ كَانُوا مِنَ الَّذِينَ لَمْ يَهْتَدُوا ﴿٤١﴾ فَلَمَّا
 جَاءَتْ قِبَلَ قِيلَ هَلْكَ أَعْرُشُكَ قَالَتْ كَأَنَّهُ هُوَ وَأَوْتِنَا الْعِلْمَ مِن قَبْلِهَا
 وَكَأَسْلَمِينَ ﴿٤٢﴾ وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِن دُونِ اللَّهِ إِسْمَهَا
 كَانَتْ مِنْ قَوْمِ كَدْرِينَ ﴿٤٣﴾ قِيلَ لَهَا ادْخُلِي الصَّرْحَ فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ
 لُجَّةً وَكَشَفَتْ عَن سَاقِهَا قَالَ إِنَّهُ صَرْحٌ مَُّرْدُودٌ مِّن قَوَارِيرٍ قَالَتْ رَبِّ
 إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾

٣٦- فلما جاء رسول بلقيس بالهدية إلى سليمان، قال: أترقدوني بالمال استرضاء لأترككم وشركم؟ فما أعطاني الله من النبوة والملك والمال الوفير خير وأفضل مما أتاكم وأعطاكم من الدنيا وزينتها، بل أنتم تفرحون بالهدية؛ لأنكم أهل دنيا. و (أتمدوني) استفهام توبيخي، أي هل يصح أن تعطوني مالاً؟ و ﴿بل﴾ للانتقال من موضوع لآخر.

٣٧- ارجع أيها الرسول لقومك بهديتهم، فلنأتينهم بجنود لا طاقة لهم بها، ولنخرجهم من بلدكم سبأ أذلة بتجريدهم من عزتهم وملكهم، وهم خاضعون أسرى مهانون.

٣٨- قال سليمان حينما علم بقدم بلقيس وقومها إليه: يا أيها القادة، أيكم يأتيني بعرش بلقيس، قبل أن يأتي القوم خاضعين طائعين. أراد بذلك أن يريها بعض العجائب الدالة على النبوة.

٣٩- قال مارد قوي من الجن: أنا أتيك بعرشها قبل أن تقوم من مجلسك في القضاء بين الناس في ضحوة الغد إلى نصف النهار، وإني لقوي على حملي، أمين على ما فيه.

٤٠- قال أحد علماء الكتاب الإلهي وهو من الصلحاء واسمه آصف بن برخيا، من بني إسرائيل: أنا أتيك بالعرش قبل أن يرجع إليك بصرك في لمحة بصر، أي قبل أن تطبق جفن العين الأعلى على الأسفل، وهو كناية عن السرعة الفائقة، فلما رأى سليمان العرش قائماً أشكره بالإقرار بإحسانه، أم أجدد الفضل بنسبته إلي وترك الشكر على النعمة، ومن شكر نعمة الله عليه، فإنما ثواب شكره لنفسه، ومن جحد النعمة ولم يشكرها، فإن ربي غني عن شكره، متفضل عليه بالإنعام. ولعل هذا الموقف من أعظم الاختبارات، وأنه أبلغ درس في الشكر لله المنعم.

٤١- قال سليمان لأتباعه: غيروا لها بعض أجزاء عرشها ومظاهرها بزيادة أو نقص وغير ذلك ليصبح غريباً غير معروف لديها، لنختبر عقلها، أنهتدي إلى معرفته، أم تكون من الذين لا يهتدون إلى معرفته، وما طراً عليه من تعديلات.

٤٢- فلما جاءت بلقيس قبل لها: أمثل هذا عرشك؟ قالت: كأنه هو بذاته، فعرفته، فقال سليمان بعد إصابتها في الجواب وإظهار رجحان عقلها وعلمها: وأوتينا العلم بقدرة الله تعالى من قبل علم بلقيس، وكنا متقادين لحكم الله.

٤٣- ومنعها عن إظهار الإيمان وعبادة الله: عبادتها الشمس من غير الله، فهي من قوم كافرين لا يؤمنون بوجود الله.

٤٤- قيل لها: ادخلي القصر أو كل بناء مرتفع، سواء أكان قصراً أم غيره، فلما رأت ساحته وطرقه، فظنته ماء كثيراً كالبحر، وكشفت عن ساقها لتخوض فيه، قال سليمان: إنه بناء أملس مصنوع من زجاج، وليس بحراً، ثم دعاها إلى الإسلام، فقالت: رب إني ظلمت نفسي بعبادة غيرك، وأسلمت لك متقادة موحدة، أي خضعت، كائنه في هذا التوحيد مع سليمان، في انقياده لله رب العالمين. أخرج ابن أبي شيبه وابن أبي حاتم عن ابن عباس أن سليمان تزوجها بعد ذلك. قال الشوكاني: والأرجح أن زواجه من أخبار أهل الكتاب التي لا تصدق ولا تكذب.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ قَوْمِهِمُ إِذْ كَانُوا كَافِرِينَ آخَاهُمْ صَلَّىٰ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ فَإِنَّا
 هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ قَالَ يَقَوْمِ لِمَ تَسْتَجِلُّونَ
 بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ لَوْلَا سَفَعْتُمْ إِلَّاهُ لَمَكُم
 رَحْمَةٌ ﴿٤٦﴾ قَالُوا أَظِيرْنَا بِكَ وَمِنْ مَعَكَ قَالَ طَبَّرَ كُرُ
 عُنْدَ اللَّهِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّشْكُونَ ﴿٤٧﴾ وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ
 تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ وَلَا يُصَلُّونَ ﴿٤٨﴾
 قَالُوا تَقَا سَمَوْا بِاللَّهِ لِنَبِيِّنَا وَأَهْلِ بَيْتِهِ لَمَقُولٌ لَوْلَا
 مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴿٤٩﴾ وَمَكْرًا
 مَكْرًا وَمَكْرًا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٠﴾ فَانظُرْ كَيْفَ
 كَانَ عَاقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَا دَمَرْنَاهُمْ وَقَوْمَهُمْ
 أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَمَالِ بِيوتِهِمْ خَاوِيَةً يَأْتِيهِمْ الْوَالِدَاتُ
 الْيَتَامَىٰ الْقَوْمِ الْيَاسِينَ ﴿٥٢﴾ وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا
 وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٥٣﴾ وَلَوْطَا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
 إِنَّا أَنُوتُوكُمْ فَالْحِسَّةَ وَأَنْتُمْ نَجُورُونَ ﴿٥٤﴾ أَيُّكُمْ لَنَا
 أُنُوتُوكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَعْنَةُ اللَّهِ لِيَتَوَسَّعَ
 الرَّجَالُ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٥٥﴾

٤٥- ولقد أرسلنا إلى قومه ثمود أخاهم في النسب لا في الدين صالحاً ليقول لهم: اعبدوا الله وحده، ففاجأه تفرقهم، وصاروا فريقين: مؤمنين وكفاراً، يتنازعون في شأن نبوة صالح.

٤٦- قال صالح لمن كذبه: لِمَ تتعجلون بالعذاب قبل الرحمة، هلا تتوبون إلى الله من الشرك وتطلبون المغفرة من الكفر، كي يرحمكم الله فلا يعذبكم.

٤٧- قالوا له: تشاء منا بك وبمن معك عن دخل في دينك وأمن بك، قال لهم صالح: شوؤمكم يأتيكم من عند الله، فالخير والشر بيده، لا من عند الطير الذي تتشاهمون به، بل أنتم قوم تمسحون وتختبرون بالخير والشر.

٤٨- وكان في مدينة صالح وهي الحجر تسعة رجال من أبناء الترف والشرف، يفسدون في الأرض ولا يصلحون شأنهم، وقد اتفقوا على قتل صالح وعقر الناقة.

٤٩- قال بعضهم لبعض: احلفوا بالله، لنأتين صالحاً وأهل بيته المؤمنين به بغتة في الليل، فنقتلهم ثم لنقولن لقربيه العصبية المطالب بدمه: ما حضرنا مكان هلاك أهله ولا ندرى من قتلهم، فلا نعلم هلاكه هو نفسه، وإنما لصادقون في قولنا هذا.

٥٠- ودبروا أمراً في الخفاء بهذه الطريقة والتواطؤ على الاغتتيال، وجازيناهم بتعجيل عقوبتهم وإهلاكهم، وهم لا يشعرون بذلك.

٥١- فانظر أيها النبي كيف كان عاقبة تأمرهم أو مكْرهم: أننا دمّرنا الرهط التسعة المذكورين، وقومهم أجمعين، فأهلكناهم جميعاً بالصيحة: صيحة جبريل، وإلقاء الملائكة حجارة عليهم.

٥٢- فتلك بيوتهم التي بقيت آثارها خالية عن أهلها، خراباً متهدمة، بسبب ظلمهم وكفرهم، إن في ذلك التدمير لعبرة وعظة لقوم يعلمون قدرتنا، فيتعتظون.

٥٣- وأنجينا صالحاً والمؤمنين به الذين كانوا يخافون عذاب الله، ويتقون الشرك والمعاصي.

٥٤- واذكر أيها النبي لوطاً حين قال لقومه: أتأتون فاحشة اللواط، وأنتم تعلمون فحشها، ولا تستترون حال تعاطيها استهتاراً بالفضيلة وقلة حياء.

٥٥- أنتم معشر القوم لتأتون الرجال شهوة عارمة غير مفيدة؛ لأن القصد المعتاد هو طلب النسل، لا قضاء الشهوة، من غير النساء اللاتي خلقهن الله لذلك من طريق الزواج، بل أنتم قوم تجهلون شناعة هذه الفاحشة، والعقوبة الشديدة عليها.



٥٦- فما كان جواب قومه: إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ نَسْأَلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَنْ يَتَذَكَّرُوا لَهَا وَلَهُمْ آيَاتٌ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا لَهَا مِنَ الْغَدِيرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا سَاءً مَطَرًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

٥٧- فأنجينا لوطاً وأهله المؤمنين من العذاب إلا امرأته حكمتنا أنها من الباقيين في العذاب.

٥٨- وأمطرنا عليهم حجارة من السماء، فأهلكناهم به، فبئس مطر القوم الذين أنذرتهم رسولهم بعقاب الله على معاصيهم، فرفضوا.

٥٩- قل أيها النبي: الحمد لله الذي وفقنا للهداية، وأهلك الكفار الضالين من الأمم الخالية، وسلام على عباده الذين اصطفى وأتباعهم، هل توحيد الله وطاعته وثوابه خير، أم شرك المشركين مع الله الأصنام والأوثان التي لا تضر ولا تنفع؟ وكلمة ﴿اللَّهُ﴾ بالمد أصلها الله، أي هل الله خير؟ أو الذين يشركونه معه؟

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ﴾ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوهُمْ أَلَمْ نَكُنْ لَكُمْ آيَاتٍ أَنْ نَسْأَلَهُمْ أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أَنْ يَتَذَكَّرُوا لَهَا وَلَهُمْ آيَاتٌ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ ﴿٥٦﴾ فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا لَهَا مِنَ الْغَدِيرِ ﴿٥٧﴾ وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا سَاءً مَطَرًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴿٥٨﴾ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ ؕ اللَّهُ خَيْرٌ مِمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾

أَمْ نَحْنُ خَالِقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَأَنْزَلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَيْئًا ؕ أَلَمْ نَمُتْ لَكُمْ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعِدُونَ ﴿٦٠﴾ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلْنَا خَلْقَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلْنَا لَهَا رِزْقًا وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا ؕ أَلَمْ نَمُتْ لَكُمْ بَلْ كُنْتُمْ زُرَّارًا يَكْفُرُونَ ﴿٦١﴾ أَمْ نَجْعَلُ الْأَرْضَ إِذَا دَعَاكُمْ فِيهَا عَلَىٰ السَّوَاءِ وَنَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ ؕ أَلَمْ نَمُتْ لَكُمْ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمْ نَهْدِيكُمْ سَبِيلَ النَّارِ وَالْبَحْرِ وَمَنْ يُرْسِلِ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِنَا ؕ أَلَمْ نَمُتْ لَكُمْ نَعْمَ عَلَىٰ اللَّهِ عَمَّا يَشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

٦٠- وهل آلهتكم خير أو خالق السموات

والأرض، ومنزل المطر من السحاب جهة السماء، فأثبتنا لكم بالمطر بساتين- والحديقة: بستان لها حائط- ذات حسن ورواق، ما كان للبشر ولا يتهدى لهم ولا يقدر على إنبات الشجر في الحدائق لعجزهم عن ذلك، أياض أن يجعل إله يقرب مع الله ويتخذ شريكاً، وهو الخالق المكون؟ بل هؤلاء المشركون قوم يبعدون عن الصواب وينحرفون عن الحق وهو التوحيد، فيشركون بالله غيره.

٦١- هل آلهتكم خير أو الذي جعل الأرض مكاناً يستقر عليه الناس، وجعل وسطها أنهاراً جارية، وجعل لها جبالاً ثابتة، وجعل بين البحرين: العذب والملح حاجزاً فاصلاً بينهما حتى لا يختلط أحدهما بالآخر، إله آخر معبود مع الله؟ بل أكثر الناس لا يعلمون الحق وهو التوحيد، يشركون به إلهاً آخر.

٦٢- هل آلهتكم خير أو الله الذي يجيب المكروب المجهود الواقع في شدة، الذي لا قدرة له، فيلجأ إلى التضرع، ويرفع السوء (الضرر) عنه، ويجعلكم سكان الأرض يخلف بعضكم بعضاً؟ إله آخر معبود مع الله الذي يفعل ذلك؟ كلا، بل قليلاً ما يتعظون ويرجعون إلى الحق: وهو الإقرار بنعم الله وتخصيصه بالعبادة.

٦٣- هل آلهتكم خير أو الذي يرشدكم إلى مقاصدكم في ظلمات الليل برأ وبعراً بالنجوم ليلاً إذا أخطأتم الطريق، والذي يرسل الرياح بمبشرات بالخير أمام المطر، إله معبود مع الله يفعل ذلك؟ كلا، تعاطف وتنزه الله عما ينسبون له من الشركاء.

أَتَنْبِذُوكَ فِي الْوَادِي الْمَوْبِقِ وَأَنْتَ تَعْتَدُ ۗ وَمَنْ يَرْزُقُكَ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ
 أُولَئِكَ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦٤﴾
 قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللَّهُ وَمَا
 يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ﴿٦٥﴾ بَلْ أَذْرَكَ عَلِمَتَهُ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ
 فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ ﴿٦٦﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَهَذَا كَذَبٌ بَابٌ أَوْ آيَاتُنَا لِحُجْرٍ أُولَئِكَ قَدْ عَدْنَا
 هَذَا حُنَّ وَأَنْتَ أَعْيُنُكُمْ قُلْ إِن هَذَا إِلَّا أَسْطِيرُ الْأُولِينَ
 ﴿٦٧﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ
 الْأَجْرِمِينَ ﴿٦٨﴾ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ
 ﴿٦٩﴾ وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٧٠﴾ قُلْ
 عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدْفٌ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ ﴿٧١﴾ وَإِنْ
 رَدَّكَ لِذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٧٢﴾
 وَإِنْ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٣﴾ وَمِمَّنْ
 عَابَتِهِ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِلَّا فِي كَثِبٍ مُبِينٍ ﴿٧٤﴾ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
 لَيَقُصُّ عَلَى نَبِيِّ إِسْرَائِيلَ كَرَّ الَّذِي هُوَ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٧٥﴾

٦٤- هل آلهتكم خير أو الذي خلق الخلق ثم يبعثهم ثم يحييهم بالبعث يوم القيامة، ومن يرزقكم رزقاً طيباً من السماء بالمطر، والأرض بإنبات النبات وإخراج الثمار وإيجاد الأنعام، إله معبود مع الله يخلق ويرزق؟ قل أيها النبي لهؤلاء المشركين: قدموا حججتكم على أن غير الله يقدر على شيء من ذلك إن كنتم صادقين في إشراككم.

٦٥- قل أيها النبي: لا يعلم أحد من أهل السموات والأرض الغيب الذي غاب علمه عن الخلق إلا الله وحده، فهو الذي يعلم، ولا يشعر البشر متى ينشرون أو يبعثون من قبورهم للحساب والجزاء.

٦٦- بل أتتسابع وتلاحق وتكامل علم هؤلاء في الآخرة، بل هم في الحقيقة في شك وحيرة عظيمة من حصول القيامة، بل هم قوم عمي القلوب عنها، فلا يدركون دلائلها لاختلال بصائرهم التي يدركون بها الأشياء. و ﴿بل﴾ حرف للانتقال من حال إلى حال. والمراد: لم يتكامل لديهم أسباب علمهم من الحجج والبيئات على أن القيامة كائنة لا محالة.

٦٧- وقال الذين كفروا بالله واليوم الآخر: أنذا صرنا وآبائنا تراباً، أنخرج من قبورنا أحياء للحساب والجزاء؟

٦٨- لقد وعدنا بالبعث نحن وآبائنا من قبل وعد محمد به، فلم يتحقق شيء، ما هذا الذي تخوفنا به من البعث إلا أكاذيب وأباطيل الأقدمين فيما سطره في الكتب.

٦٩- قل أيها النبي لنكري البعث: امشوا في الأرض وشاهدوا آثار السابقين، فانظروا نظرة تأمل وتفكر، كيف كان مصير الذين أجمروا، وكذبوا بالبعث، وبما جاءت به الأنبياء.

٧٠- ولا تحزن أيها النبي على تكذيبهم لك، وإنكارهم البعث والرسالة، ولا تكن في ضيق أو انقباض صدر مما ترى من مكروهم بك وكيدهم لك، فالله عاصمك وحافظك وناصرك عليهم.

٧١- ويقول الكفرة المكذبون: متى وعد العذاب إن كنتم صادقين في هذا الوعد؟

٧٢- قل لهم أيها الرسول: عسى أن يكون قرب بكم بعض العذاب الذي تتعجلون وقوعه في الدنيا، وعذاب الآخرة الأشد أت أيضاً لا شك فيه. وعسى ولعل وسوف من الله تفيد القطع بحصول ما بعدها.

٧٣- وإن ربك لصاحب فضل كبير على الناس بالإنعام المستمر عليهم وتأخير العذاب عنهم، ولكن أكثرهم لا يشكرون فضله وإنعامه.

٧٤- وإن ربك أيها الرسول ليعلم ما تخفيه صدورهم من أسرار، وما يظهرون بألسنتهم من أقوال.

٧٥- وما من شيء خفي في غاية الخفاء في السماء والأرض إلا مدون في كتاب بين وهو اللوح المحفوظ، فكيف يخفي عليه شيء من ذلك؟ والغائبة: كل ما أخفى الله وغيبه عن خلقه. و ﴿من﴾ حرف تفيد عموم ما بعدها.

٧٦- إن هذا القرآن المنزل عليك أيها الرسول بين لبني إسرائيل المعاصرين للنبي أكثر الأشياء التي يختلفون فيها من الحق كالتشبيه والتنزيه وأحوال الجنة والنار وعزير والمسيح.



وَأَنَّهُ هَدَىٰ وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٧٦﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ
بِحُكْمِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٧٧﴾ فَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ أَنَّا عَلَى الْحَقِّ
الْمُتَّبِعِينَ ﴿٧٨﴾ إِنَّكَ لَأَسْمَعُ التَّوْقَىٰ وَلَا تَسْمَعُ الدُّعَاءَ إِذَا
وَلَّوْا مُدْبِرِينَ ﴿٧٩﴾ وَمَا أَنتَ بِهَادِي الْعُمَىٰ عَن صَلَاتِهِمْ
إِنَّ تَسْمَعُ إِلَّا مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْمِعُونَ ﴿٨٠﴾
وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ
أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ ﴿٨١﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ
فَوْجًا مِّنْ بَنِي آدَمَ يَكْفُرُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿٨٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ
قَالَ أَكْذِبْتُمْ بَنِي آدَمَ وَتَحِيظُوا أَبَاعِلًا مَّا ذَا كُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٣﴾
وَوَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ بِمَا ظَلَمُوا فَهُمْ لَابِظُونَ ﴿٨٤﴾
أَلَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا اللَّيْلَ لَيْسَكُمْ فِيهِ وَالنَّهَارَ مَبِصْرًا إِنَّ فِي
ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٨٥﴾ وَيَوْمَ نُبْعَثُ فِي الْأَصْوَارِ فَتَضَعُ
مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ الْأَمْنَ سَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أُنثَىٰ
لَاخِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَتَرَى الْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدًا وَهِيَ غُرٌّ مِّنَ السَّحَابِ
صَنَّعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْشَأَ كُلَّ شَيْءٍ وَإِنَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿٨٧﴾

٧٧- وإن هذا القرآن لهداية للناس من الضلالة،
ورحمة للمؤمنين من العذاب .
٧٨- إن ربك يقضي بين المختلفين من بني إسرائيل
وغيرهم بحكمه الحق والعدل، فيعاقب الباطل،
ويكافئ المحسن، وهو سبحانه القوي القادر الذي لا
يغلب، والعليم بأحوال خلقه .
٧٩- فنفوس أمرك إلى الله وثق به ولا تبال
بمعاداتهم، إنك على الدين الظاهر كونه حقاً .
٨٠- إنك أيها الرسول لا تسمع دعوتك الكفار
الذين هم كالموتى الذين لا حس لهم، وكالصم الذين
لا يسمعون شيئاً إذا أعرضوا عن دعوة الحق والإيمان
فأرئيت منهن من مبالغين في الإعراض .
٨١- ولست بوسعك بمرشد عمي القلوب والبصائر
ومخرجهم من ضلالتهم إلى نور الحق والإيمان، فما
تسمع إلا من يصدّق بالقرآن، فهم متقادون لأمر
ربهم، مخلصون لله بتوحيده وطاعته .
٨٢- وإذا قرب حصول مضمون القول أي الكلام
الإلهي الدال على وعيد الكفار، وحق العذاب
الموعود به يوم القيامة، أخرجنا لهم دابة حية تدب
على الأرض وهي الجساسة، الله أعلم بأوصافها،
تخبرهم أن أكثر الناس كانوا بآيات الله الدالة على

مجيء الساعة لا يؤمنون بها. والمراد بالآيات: الآيات المنزلة في الكتب السماوية، والآيات الكونية الدالة على وجود الله ووحدانيته وصدق رسله .

٨٣- واذكر أيها النبي يوم تجتمع يوم القيامة من كل أمة جماعة ممن يكذب بآياتنا من الكتب والرسل، وهم الرؤساء المتبعون، فهم يجمعون، يجمع أولهم ليلحق بهم آخرهم، ثم يساقون إلى موقف الحشر .

٨٤- حتى إذا حضروا إلى موقف الحساب قال الله: أكذبتُم بآياتي المنزلة على رسلي، ولم تعلموها وتعرفوا معانيها ودلالاتها، بل كذبتُم بها، أم أي شيء كنتم تعملون بعد ذلك، فلم تفكروا وتعملوا بها؟!

٨٥- وحق بهم العذاب بسبب ظلمهم وهو الشرك والتكذيب بآيات الله تعالى، فهم لا يتكلمون باعتذار عند العذاب .

٨٦- ألم يعلم هؤلاء المكذبون بآياتنا أننا جعلنا الليل المظلم للسكون والاستقرار والنوم، والنهار المضيئ للعمل والمعاش وكسب الرزق، إن في ذلك لدلالات واضحات على قدرة الله وتوحيده لقوم يصدقون بالله ورسله .

٨٧- واذكر أيها النبي يوم ينفخ في البوق النفخة الأولى من إسرائيل، فخاف أشد الخوف المقضي إلى الموت جميع من في السموات والأرض إلا من شاء الله ألا يفزع وهم الشهداء الأحياء عند ربهم يرزقون، وكل الخلاق من فزع أولم يفزع حضروا موقف الحساب بعد النفخة الثانية صاغرين خاضعين، فالنفخة الأولى للإماتة، والثانية للبعث والإحياء .

٨٨- وترى الجبال تظنها ثابتة في مواضعها وقت النفخة يوم القيامة، وهي تسير بسرعة كبير السحاب، صنع الله ذلك صنعاً، وهو الذي أحكم خلق كل شيء، على ما ينبغي من تمام الإتيان، إنه خبير بما تفعلون من خير أو شر، فمجازيكم عليه، والخير: المطلع على الظواهر والضمائر .

مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا وَهُوَ مِنْ فِرْعَ وَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٨٩﴾ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَكَيْتٌ رُجُومُهُمْ فِي النَّارِ هَلْ تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٩٠﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ أَنْ تَعْبُدُوا هَذِهِ الْبَلَدَةَ الَّتِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ وَأَمْرُهُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٩١﴾ وَأَنْ أَسْأَلُوا الْقُرْآنَ أَنْ يَهْتَدَى بِمَا هَتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدَى لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿٩٢﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ وَأَيْدِيهِ فَعَرَفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِفَعْلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٩٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
طَسَّرَ ﴿٩٤﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا نَبَأُ مُوسَى
وَفِرْعَوْنَ الْحَقِّ الْقَوْمِ ثَوْبُونِ ﴿٩٥﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ
أَهْلَهَا شِيْعًا يَسْتَضِعُّ طَائِفَةً مِنْهُمْ يَتَّبِعُ أَهْلَهُمْ وَنِسَاءَ
نِسَاءِ هَرَاتِهِ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٩٦﴾ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ
اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أُمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٩٧﴾

٨٩- من جاء بالحسنة الحسنة وهي الإيمان والعمل الصالح، فله ثواب أفضل منها أضعافاً مضاعفة، وهم آمنون يوم القيامة من الفزع الأكبر، لرعاية الله لهم.

٩٠- ومن جاء بالحسنة السيئة وهي الإشراف بالله والمعاصي، فألقوا بعنف على وجوههم في النار، والمراد جميع أجسامهم، واقتصر على ذكر الوجه لأنه أشرف الأعضاء، لا تجزون إلا جزاء ما كنتم تعملون من الشرك والمعاصي. والاستفهام للتبكي.

٩١- قل أيها النبي: إنما أمرت أن أخص بعبادتي رب هذه البلدة: مكة التي جعلها الله حراماً آمناً، لا يسفك فيها دم، ولا يظلم فيها أحد، ولا يعضد شجرها، ولا ينقر صيدها، وأمرت أن أكون من المتقدين لأمر الله، المخلصين له العبادة.

٩٢- وأمرت أن أتلو القرآن الداعي إلى الإيمان بالله وطاعته، فمن اهتدى للإيمان والعمل بالقرآن، فإنما نفع الهداية لنفسه، ومن ضل بالكفر، وأعرض عن الهدى وأخطأ الطريق إليه، فقل أيها الرسول: إنما أنا من المخوفين من عذاب الله من عصاه.

٩٣- قل أيها الرسول: الحمد لله على ما أنعم علي من نعمة النبوة والعلم والعمل بما يرضي الله، سيريكم

أيها الكفار آياته القاهرة في الدنيا كوقعة بدر، أو في الآخرة التي تفجعكم، وما ربك بغافل عن أعمالكم، بل هو مطلع عليها، ولكنه يجهل ولا يهمل.

سورة القصص

فضلها: هي من الطواسين التي حلت محل الزبور، كما جاء في أوائل سورة الشعراء.

١- ط، سين، ميم، للتبني والتحدي وبيان إعجاز القرآن الكريم باللغة العربية كما بينا فيما سبق ذلك في السورة المقدمة.

٢- تلك الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن الواضح، المبين الحق من الباطل، والشرائع والأحكام.

٣- نقص عليك أيها النبي من خبر موسى وفرعون قصصاً بالحق، ليكون ما فيها من الصدق والأصالة هداية للمؤمنين، وخصوا بالذكر؛ لأنهم المتفجعون به.

٤- إن فرعون تكبر وتجب في أرض مصر، وادعى الربوبية، واستعبد أهلها، يجعل طائفة هم بنو إسرائيل ضعفاء مقهورين، يذبح أبناءهم، ويترك البنات أحياء للخدمة والمتعة، إن فرعون كان من عتاة المفسدين بالقتل والتكبر والاستعبد.

٥- ونريد أن ننعم على المستضعفين في أرض مصر، ونجعلهم قادة في الخير ودعاة إليه، ونجعلهم وارثين للأرض المقدسة في زمانهم وهي أرض مصر وبيت المقدس، وراثة الملك والقوة والسلطة.

٦- ويجعل لهم في تلك الأرض مكنة أو مكاناً يستقرون فيه، وسلطة، ونري فرعون ووزيره هامان وجنودهما من أولئك المستضعفين ما كانوا يخشون من بني إسرائيل، من زوال ملكهم، وهلاكهم، على يد رجل منهم.

٧- وألهمنا أم موسى برويا صادقة حين ولدتها أن ترضعه، فإذا خفت عليه من فرعون بأن يُحسّ به أحد، فيبلغه، فألقيه في البحر وهو هنا نهر النيل، ولا تخافي عليه من الهلاك، ولا تخزي لرفاقه، إنا رادوه إليك عن قريب، وجاعلوه من الأنبياء المرسلين. اشتملت الآية على أمرين ونهيين، وخبرين بشارتين في إيجاز محكم يدل على قمة البلاغة والفصاحة والإعجاز.

٨- فالتقط تابوت الطفل موسى آل فرعون من البحر ضبيحة ليل، ليصير لهم عدواً ومحزناً أو مصدر حزن- واللام لام العاقبة (أو الصيرورة) أي لتكون عاقبة التقاطهم له أنه يصير عدواً لهم، والمحزن: المحزن أي سبب حزن، والمحزن: الغم- إن فرعون وهامان وجنودهما كانوا أئمين.

٩- وقالت امرأة فرعون المؤمنة وهي آسية، التي هي من نسل ملك مصر أيام يوسف عليه السلام حين هم فرعون بقتله: إن هذا الطفل مصدر سرور وسعادة لي ولك، لا تقتلوه، عسى أن ينفعنا في كبره، فإن فيه أمارات النجاة والخير، أو نتخذه ولدًا بالتبني- وكانت لا تلد- والحال أنهم لا يشعرون بعاقبة أمرهم معه وهلاكهم على يديه.

١٠- وأصبح فرؤاد أم موسى خالياً من كل المشاغل إلا الاهتمام بولدها موسى حين سمعت بالتقاط آل فرعون له، وكادت تُصرّح بأنه ابنها من شدة وجدها وحزنها وخوفها عليه، لولا أن قوتنا قلبها بالصبر، وثبتناها، لتكون من المصدقين بوعد الله برده إليها.

١١- وقالت أم موسى لأخته: اقتضي أثره وتتبعي خبره حتى تعلمي مصيره، فأبصرته عن بُعد اختلاصاً، وهم لا يشعرون أنها أخته.

١٢- ومنعناه من قبول الرضاع من أي مرضعة، من قبل رده إلى أمه، فقالت عندئذ: هل أدلكم على أهل بيت يتعهدون إرضاعه والقيام بشؤونه لأجلكم، وهم مخلصون في خدمته وإرضاعه وتربيته.

١٣- فأعذناه إلى أمه كي تسعد بولدها، ولا تخزن على فراقه، ولتعلم علم مشاهدة أن وعد الله برد ولدها إليها حق ثابت وصدق مؤكد، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بأن وعد الله حق منجز.

وَمَنْ لَمْ يَفِي الْأَرْضِ وَيُرَى فَرْعُونَ وَهَلَمَّنْ وَجُنُودُهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ ﴿٦﴾ وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِنْ خِفْتِ عَلَيْهِ فَاَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكَ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾ فَالْقِطْعَةَ تَرَىٰ أَلْفِرْعُونَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا إِنَّ فِرْعُونَ وَهَلَمَّنْ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ ﴿٨﴾ وَقَالَتْ أُمُّ مُوسَىٰ قُرَيْبًا لِّي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ يَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ﴿٩﴾ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَرِيدًا إِنْ كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِ لَوْلَا أَنْ رَبَّنَا عَلَّمَ لَهَا لَئِكَ الْكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ جُنْبٍ وَهُوَ لَا يَشْعُرُ ﴿١١﴾ وَحَرَّمَ عَلَيْهَا الرِّضَاعَ مِنْ قَبْلِ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَاهُ إِلَىٰ أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ ﴿١٣﴾ وَلَنَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾



وَمَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَاسْتَوَىٰ آيَاتُهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَلِكَ نُخْرِجُ
 الْحَسَنِينَ ﴿١٤﴾ وَدَخَلَ الْمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينٍ غَفْلَةٍ مِّنْ أَهْلِهَا
 فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَتِهِ وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ
 فَاسْتَعْتَبَهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ فَنُكِرَ
 مُوسَىٰ فَفَضَىٰ عَلَيْهِ قَالَ هَذَا مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ عَدُوٌّ مُّضِلٌ
 مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَاغْفِرْ لِي فَغُفِرَ لَهُ أَنَّهُ هُوَ
 الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَا أَتَمَمْتُ عَلَىٰ قَلْنٍ أَكُونَ
 ظَهيرًا لِلْمُجْرِمِينَ ﴿١٧﴾ فَأَصْبَحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِبًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا
 الَّذِي اسْتَنْصَرُوا بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِحُهُ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ إِنَّكَ
 لَنفَوِي مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّا أَن أَرَادَ أَنْ يَبْطِشَ بِالَّذِي هُوَ عَدُوٌّ لَهُمَا
 قَالَ يَا مُوسَىٰ أَرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ نَمْسًا بِالْأَمْسِ إِنْ تُرِيدُ إِلَّا
 أَنْ تَكُونَ جَارًا لِّي فِي الْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصَلِّينَ ﴿١٩﴾
 وَجَاءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنَّ الْأَعْمَىٰ
 يَأْمُرُوكَ لِيقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَمَكِّنٌ لِّكَ مِنَ النَّاصِحِينَ ﴿٢٠﴾
 فَخَرَجَ مِنْهَا خَائِبًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢١﴾

١٤ - ولما بلغ غاية قوته ونموه - وبلوغ الأشد عادة من ثلاثين إلى أربعين سنة، لا اكتمال العقل حيثئذ، واكتمل خلقه الجسدي ونضجه العقلي في الأربعين، آتينا حكمة، وفهماً ومعرفة بالدين، ومثل ذلك الجزء الذي جزيناه به مع أمه، نجزي المحسنين لأنفسهم. والحكمة: معرفة أسرار الشريعة ووضع كل شيء في محله.

١٥ - ودخل موسى مدينة مصر عاصمة الفراعنة وهي منف مستخفياً في وقت لا يتوقع دخوله فيه، وكان ذلك قبل النبوة، فوجد فيها رجلين يقتتلان، هذا من شيعته وحزبه وتابعيه في الدين: إسرائيلي، وهذا من عدوه من القبط قوم فرعون، فطلب منه الغوث والنصرة والإعانة الذي من جماعته على الذي من أعدائه، فأغاثه موسى، فضرب القبطي بقبضة يده - وكان شديد القوة والبطش - ففضى عليه وقتله خطأ، ثم قال: هذا القتل من تزوين الشيطان الذي أغضبني؛ لأنه لم يكن مشروعاً قتله، إن الشيطان عدو للإنسان بإضلاله، ظاهر العداوة له. وكان القتل في عهد الشباب؛ لأن موسى عليه السلام أوحى إليه في سن الأربعين بعد زواجه بابنة شعيب في مدين، ورعيه الماشية عشر سنوات.

١٦ - قال: إني ظلمت نفسي بقتل النفس، فاعف عني ولا تؤاخذني بخطئي، فغفر الله له، إنه واسع المغفرة والرحمة لعباده.

١٧ - قال موسى: رب بسبب إنعامك علي بالمغفرة والعلم والحكمة، فلن أكون معيناً لمجرم على إجرامه.

١٨ - فأصبح موسى في المدينة بعد قتل القبطي خائفاً على نفسه ينتظر ما يحدث من فرج أو كرب ومكروه، فإذا بالإسرائيلي الذي استنصر به بالأمس يستغيث به من قبطي آخر، قال له موسى: إنك ضال ظاهر الضلال أو الغواية.

١٩ - فلما أراد موسى أن يبطش بالقبطي المصري الذي هو عدو لموسى وللإسرائيلي المستغيث به، قال القبطي بعد علمه بالحوار الذي جرى بين موسى والإسرائيلي: أريد أن تقتلني اليوم كما قتلت نفساً بالأمس (البارحة) ما تريد إلا أن تكون جباراً تتناول على الناس ولا تنتظر العواقب، وما تريد أن تكون ممن يصلح بين الناس. فانتشر هذا الحديث بين الناس، وبلغ الخبر إلى فرعون وملكه.

٢٠ - وقدم رجل هو مؤمن آل فرعون من آخر أطراف المدينة يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم، قال له: يا موسى، إن الوجهاء والقادة الكبار يتشاورون في شأنك، ليقتلوك، فخرج من المدينة، إني لك من الناصحين في الأمر بالخروج.

٢١ - فخرج من المدينة حذراً من الناس، خشية القبض عليه يتلفت مترقباً لحوقهم به، وقال متضرعاً لربه: رب نجني من القوم الظالمين أنفسهم بالكفر وهم قوم فرعون.

٢٢- ولما اتجه نحو ديار مدين بلدة شعيب عليه السلام، قال: لعل ربي، أي أرجو أن يرشدني إلى الطريق القويم، فلا أخطئ الطريق الأقرب للوصول إلى مدين. وسواء السبيل في الأصل: وسط الطريق.

٢٣- ولما وصل ماء مدين: وهو بئر فيها كانوا يستقون منها، وجد على الماء جماعة كثيرة من الناس يسقون مواشيهم، ووجد بعيداً عنهم امرأتين تتمعان أغنامهما عن ورود الماء والزحام، خوفاً من التصادم مع السقاة الرجال الأقيواء، قال: ما شأنكما لا تسقيان أغنامكما مع الناس؟ قالتا: لا نسقي أغنامنا حتى ينصرف الرعاة عن الماء، حذراً من مخالطتهم، وعجزاً عن السقي معهم، وأبونا شيخ كبير السن، لا يقدر على سقاية ماشيته من الكبر. والرعاة: جمع راع.

٢٤- فسقى موسى للمرأتين أغنامهما من بئر أخرى بقربهما، ثم انصرف إلى ظل شجرة ليستريح فيه، وهو جائع، فقال: رب إني بحاجة إلى أي طعام كان.

وَلَمَّا تَوَجَّهَ بَلْعَاءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَى رَبِّي أَن يَهْدِيَنِي سُبُلَ السَّبِيلِ ﴿٢٢﴾ وَلَمَّا وَرَدَ مَاءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِنَ النَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِنْ دُونِهِمُ امْرَأَتَيْنِ يَذَوَّبَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِي حَتَّى يُصَدَرَ الرِّعَاءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَأْتِكُ إِيَّانِ مِنْ حَرِّ قَهْرٍ ﴿٢٤﴾ فَجَاءَهُهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبِي يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا فَلَمَّا جَاءَهُمْ وَقَفَّصَ عَلَيْهِ الْقَصَصَ قَالَتْ لَا تَخَفْ لَمْ يَجِئْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَتْ إِحْدَاهُمَا يَا أَبَتِ اسْتَسْقِرْهُ إِنِّي خَيْرٌ مِنْ اسْتَسْقِرَ الْقَوْمِي الْأَمِينُ ﴿٢٦﴾ قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ جَمَعُكَ إِحْدَى ابْنَتَي هُنَيْنٍ عَلَى أَنْ نَأْجُرَنِي ثَمَّنِي جَجَجَ فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِنْدِكَ وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ عَلَيْهِ سَجْدُنِي إِذْ سَأَأَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا الْأَجَلِينَ قَضَيْتَ فَلَا عُدْوَانَ عَلَيَّ وَاللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِيلٌ ﴿٢٨﴾

٢٥- فلما عادت المرأتان إلى أبيهما سريعتين في زمن أقل من المعتاد، سألهما عن السبب، فأخبرتهما بمن سقى لهما، فقال لإحداهما: ادعيه لي، فجاءته إحدهما تمشي مستحبة محتشمة، قالت: إن أبي يدعوك ليكاثفك جزاء سقيك لنا، فأجابها موسى حياً بروية الشيخ والتعرف عليه، لا طمعاً في الأجر، فلما وصل إليه، وأخبره بقصته من قتله القبطي، وخوفه من فرعون، واغتياه، قال الأب: لا تخف، فقد نجوت من القوم الظالمين: فرعون وقومه، إذ لا سلطان له على مدين.

٢٦- قالت إحدى البنتين الكبرى أو الصغرى: اتخذها أجيراً ليرعى أغنامنا، إن خير من استأجرت من تميز بالقوة والأمانة، علمت بقوته من نزعه الدلو الكبير من البئر، وعرفت أمانته حين طلب منها أن تمشي خلفه، حتى لا يرى منها شيئاً، ومن غض بصره.

٢٧- قال شعيب لموسى: إني أريد أن أزوجه إحدى هاتين البنتين على أن تكون أجيراً لي ثماني سنين، ترعى غنمي، وهو مهر الزواج، فإن أتممت مدة عشر سنين فمفك تفضلاً وتطوعاً لا إلزاماً مني لك، وما أريد إيقاعك في المشقة والحرَج بإتمام العشر، ستجدني بمشيئة الله من الصالحين في الصحبة والوفاء. وفيه مشروعية عرض ولي المرأة الزواج بالرجل الكفء.

٢٨- قال موسى: ذلك الذي عاقدتني عليه قائم بيننا لا نخرج عنه، أي مدة من الثماني والعشر وقيتك إياه، فلا ظلم ولا اعتداء علي بالمطالبة بأكثر منه، سواء الأقل أو الأكثر، والله على ما نقول شاهد وراقب، فتم العقد بذلك.

٢٩- فلما أتم موسى الأجل المتفق عليه مع شعيب، وهو عشر سنين، غادر مدين وسار مع زوجته ياذن أبيها نحو مصر. فالرجل يذهب بأهله حيث شاء. أبصر من بعيد من جهة جبل الطور في سيناء ناراً، قال لأهله: ابقوا وانتظروا هنا، إني أبصرت ناراً لعلّي آتيتكم منها بخبر عن الطريق، أو شعلة قطعة من الجمر الملتهب، لعلكم تستدفنون بالنار.

٣٠- فلما وصل إلى النار نودي من الشاطئ الأيمن للوادي، على يمين موسى المتجه إلى مصر، في المكان الذي بارك الله فيه لموسى، وهو المسمى بالوادي المقدس، لسماحه كلام ربه واختياره رسولاً، عند الشجرة النابتة على شاطئ الوادي، وهي شجرة عتاب أو علق: أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين. أخرج عبد ابن حميد وابن جرير عن ابن مسعود أنه سار إلى تلك الشجرة، فإذا هي سمراء خضراء ترف، فأكل منها بغيره ملء فمه، ولاكه ولم يستطع أن يسغه.

٣١- وقال الله له في هذا الموقف: وألق

﴿ فَلَمَّا قَضَى مُوسَى الْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِ آنَسَ مِنْ جَانِبِ الطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُؤْا إِلَيَّ آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ سَجْدَةٍ تَرَكْتُمُوهَا قَالُوا لِمَ آنَسْتَ مِنْهَا تَبْتَغُونَ ﴿٢٩﴾ فَلَمَّا أَنهَا نُودِيَ مِنْ سُطْحِ الْوَادِ الْأَيْمَنِ فِي الْبُقْعَةِ الْمُبْرَكَةِ مِنَ الشَّجَرَةِ أَنْ يَتُوسَى ۖ إني أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنَّ أَلَى عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تُهْتَزُّ كَانَهَا جَانًا وَلَّى مُدْبِرًا وَلَوَيْعَبْتُ يَتُوسَى أَقْبَلَ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ ﴿٣١﴾ أَسَأَلَكَ بِذِكْرِ فِي جَنبِكَ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ فَذَلِكَ بَرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَسِيقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ ﴿٣٣﴾ وَأَخِي هَارُونَ هُوَ أَضْعُفٌ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسَلْهُ مَعِيَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِي ۖ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ ﴿٣٤﴾ قَالَ سَتَأْتُكَ عُصَدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكَ سُلْطَانًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ بِأَيِّكُنَا أَمْثَلًا وَمِنْ آتِمِكُمَا الضَّالِّينَ ﴿٣٥﴾

عصاك، فألقها فصارت ثعباناً، فلما رآها تتحرك كأنها حية سريعة الحركة مع عظم الجسم والخلقة أدير هارباً منها، ولم يرجع، فنودي يا موسى، ارجع إلى مكانك، ولا تخف من هذا الشعبان، إنك من الأمنين من المخاوف.

٣٢- أدخل يدك في فتحة قميصك إلى ما تحت إبطك، ثم أخرجها منه، تخرج مشعة بيضاء من غير مرض أو عيب. وكان موسى كما ذكر البخاري آدم، أي أسمر اللون. واضمم إليك. أي إلى صدرك. يدك المبسوطتين لاتقاء الحية وإذهاب الخوف، أي لتطمئن، فهذان العصا واليد حجتان واضحتان إلى فرعون ووجهاء قومه وأعوانه، إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله تعالى وحدوده.

٣٣- قال موسى: رب، إني قتلت منهم نفساً، وهو القبطي من قوم فرعون، فأخاف أن يقتلوني بها ناراً أو قصاصاً.

٣٤- وأخي هارون هو أين مني لساناً، فأرسله معي معيناً على تبليغ الرسالة، يؤيدني في توضيح ما قلته، وتقرير الحجة وإقامة الدليل؛ إني أخشى أن يكذبوني في رسالتي.

٣٥- قال الله تعالى مجيباً دعاءه: سنؤيدك وتقربك جعل أخيك رسولاً، ونجعل لكما حجة وبرهاناً متفوقاً على فرعون وقومه، فلا يصلون إليكما بالأذى، فاذهما بسبب قوة معجزاتنا، أنتما وأتباعكما المنتصرون على قوم فرعون. والعصد: ما بين المرفق والكتف.

٣٦- فلما جاء موسى إلى فرعون وقومه بأدلتنا القاطعة الدالة على صدق نبوته قالوا: ما هذا الذي جئت به إلا سحر مختلق مكذوب، أي افتراه موسى على الله، وما سمعنا بهذا الذي دعوتنا إليه في سيرة آباءنا الأقدمين الذين سبقونا.

٣٧- وقال موسى رداً على فرعون وملته: ربي يعلم أي محق وأنتم مبطلون، وجئت بهذه الآيات الدالة على الهدى من عنده، ويعلم من تكون له العاقبة المحمودة في الآخرة وهي الجنة، والنصر في الدنيا، إنه لا يفوز الظالمون (الكافرون) بشيء من الخير.

٣٨- وقال فرعون مغالطة لقومه وإيهاماً لهم باقتداره: يا سادة القوم، ما علمت لكم إلهاً غيري، وهذا إصرار منه على تكبره وتجبّره، ثم قال: يا هامان (وزير فرعون) اصنع لي الأجر (الطوب) بطبخ الطين على النار، فاجعل لي قصرأً عالياً، لعلي أصعد إلى إله موسى، ثم أنظر إليه، واني لأظن موسى من الكاذبين في ادعائه إلهاً آخر، وأنه

فَلَمَّا جَاءَهُ مُوسَى بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا أَسْحَرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي آبَائِكَ الْأَوَّلِينَ ﴿٣٦﴾
وَقَالَ مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ بِمَا لَهْدَىٰ مِنْ عِنْدِ رَبِّي وَكَوْنُ لَكُمْ لَعْنَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ﴿٣٧﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُمَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ عِزِّي فَأُوَفِّدِي بَنِيكَ عَلَى الطِّينِ فَأَجْعَلِ لِي صَرْحًا لَكَ لِي أُطَّلِعَ إِلَى اللَّهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لِأُظْهِرَنَّ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَأَسْتَكْبِرُ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا أَلَيُّرْجُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ آيَةً يُدْعَوْنَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ وَأَبْنَيْنَاهُ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ ﴿٤٢﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ مُوسَى الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَىٰ بَصَائِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٣﴾

رسول من الله. وهذا إيهام لقومه أنه باحث ينشد الحق.

٣٩- واستكبر فرعون هو وجنوده في أرض مصر تعدياً بغير استحقاق، والاستكبار: التعظم بغير حق، بل بالعدوان؛ لأنه عجز عن دفع حجة موسى، وتوهموا أنهم لا يعودون إلينا بالبعث.

٤٠- فأخذناه وجنوده، أي أهلكتناهم، فطرحناهم في البحر حتى غرقوا، فتأمل أيها النبي، وانظر، كيف كان مصير الكافرين وآخر أمرهم.

٤١- وجعلناهم قدوة في الضلال والتكبر لكل متكبر طاغية، وصيرناهم قادة يطيعهم غيرهم في الكفر، يدعون أتباعهم إلى النار لتقليدهم إياهم، ويوم القيامة لا ينصرهم أحد بدفع العذاب عنهم.

٤٢- وأنزلنا عليهم لعنة في الدنيا، أي طرداً من رحمتنا، ويوم القيامة هم من المطرودين من الجنة المبعدين المقوتين.

٤٣- ولقد آتينا موسى التوراة من بعد إهلاك أهل القرون الماضية الأولى (الأمم) وهم قوم نوح وعاد وثمود ولوط وغيرهم، تبصر بني إسرائيل أمور دينهم وتنور القلوب، وتهدي إلى الشرائع الإلهية والأحكام، وهي رحمة لمن آمن به، ليتعظوا بما في ذلك الكتاب من المواعظ.

٤٤ - وما كنت حاضرًا أيها الرسول بجانب الجبل الغربي من موسى عليه السلام وقت المناجاة، حيث عهدنا أو أوحينا إلى موسى التوراة وأمر الرسالة إلى فرعون وقومه، وما كنت من الحاضرين لما حدث في ذلك الزمان، فتعلم ذلك وأخبر به.

٤٥ - ولكننا أوجدنا أمماً مختلفة من بعد موسى، فامتد الزمان، وطالت المهلة، بين موسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فنسوا عهد موسى في الإيمان بمحمد ﷺ، وحُرِّقت الأخبار، وتغيرت الشرائع، وما كنت أيها الرسول مقيماً في أهل مدين، كما أقام موسى، تذكر وتقرأ على أهل مكة آياتنا وأخبارنا، ولكننا أرسلناك إلى أهل مكة، وأوحينا إليك كتاباً فيه هذه الأخبار السابقة، ولولا ذلك لما عرفتها.

٤٦ - وما كنت أيها الرسول حاضرًا بناحية جبل الطور حين نادينا موسى، ولكن علمناك وقصصنا عليك هذه الأخبار، رحمةً من ربك، لتنذر أهل مكة وغيرهم، ما أتى المكين من رسول منذ قبلك ينذرهم، لعلهم يتعظون.

٤٧ - لولا احتمال تعرض قومك لمصيبة: عذاب في الدنيا والآخرة، وافتراض اعتذارهم بالجهل عند حلول العذاب قائلين: هلا أرسلت إلينا رسولاً من عندك، فتتبع آياتك المتزلة على رسلك، ونكون من المصدقين بها، لولا ذلك لما أرسلناك أيها النبي لإقامة الحججة عليهم. والمراد أن إرسال النبي ﷺ وكل رسول قبله كان لإبطال احتجاجهم بعدم الإعلام والتبليغ. و﴿لولا﴾ في الموضعين حرف يدل على الرغبة في حصول ما بعده.

وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ آلِ فِرْعَوْنَ إِذْ قَضَيْتَ إِلَىٰ مُوسَى الْأَمْرَ وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٤٤﴾ وَلَكِنَّا أَنشَأْنَا فِرْعَوْنَ نَافِطًا وَلَك عَلَيْهِمُ الْعَمْرُومُ وَمَا كُنْتَ تَأْوِي فِي أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَلَكِنَّا كَأَمْ مُرْسَلِينَ ﴿٤٥﴾ وَمَا كُنْتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنَّا لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أَنْتُمُومِنَ نَذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٦﴾ وَلَوْلَا أَن تُصِيبَهُمُ مُّصِيبَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ فَيَقُولُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٧﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا لَوْلَا أَوْيَئُونا مِثْلَ مَا أَوْيَئُ مَوْسَىٰ أَوْ لَوْ يَكْفُرُوا بِمَا أَوْيَئُ مَوْسَىٰ مِن قَبْلُ قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا وَقَالُوا إِنَّا بِكَلِّ كُفْرُونِ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا بِكِتَابٍ مِّنْ عِندِ اللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَا أَتَّبِعُهُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤٩﴾ فَإِنْ لَّمْ يَسْتَجِيبُواكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمِنْ أَصْلٍ مِّنْ أَتَّبَعَ هَوَاهُ يَبْغِرْ هُدًى مِّنَ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿٥٠﴾

٤٨ - فلما جاء أهل مكة الحق من عند الله وهو محمد ﷺ والقرآن المنزل عليه، قالوا: هلا أوتيت هذا الرسول مثل ما أوتيت موسى من الآيات ومنها التوراة جملة واحدة، فأجابهم الله: أو لم يكفر اليهود وكفار قريش بآيات موسى كما كفروا بآيات محمد؟ حين سئل اليهود عن أمر محمد، فقالوا: إنا نجد في التوراة بنعته وصفته، وقالوا عن التوراة والقرآن: سحران تعاونوا على الكذب، وصدق كل منهما الآخر، وقالوا: إنا بكل من الكتابين والرسولين موسى ومحمد كافرون.

٤٩ - قل أيها الرسول جواباً لهم بعد كفرهم بالكتابين: فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى من التوراة والقرآن وأصلح لهداية البشر، لا يتبعه معكم، إن كنتم صادقين في قولكم.

٥٠ - فإن لم يفعلوا ما كلّفتمهم به من الإتيان بكتاب إلهي أهدى من التوراة والقرآن، ولم يؤمنوا بما جئت به، فاعلم أيها الرسول أنما يتبعون في كفرهم أهواءهم: ما تميل إليهم نفوسهم من غير حجة ولا برهان، ومن أشد ضللاً ممن اتبع هوى نفسه بغير هدى من الله؟ أي لا أحد أضل منه، إن الله لا يهدي للإيمان القوم الظالمين أنفسهم بالإصرار على الكفر والتماذي فيه.

٥٠ - فإن لم يفعلوا ما كلّفتمهم به من الإتيان بكتاب إلهي أهدى من التوراة والقرآن، ولم يؤمنوا بما جئت به، فاعلم أيها الرسول أنما يتبعون في كفرهم أهواءهم: ما تميل إليهم نفوسهم من غير حجة ولا برهان، ومن أشد ضللاً ممن اتبع هوى نفسه بغير هدى من الله؟ أي لا أحد أضل منه، إن الله لا يهدي للإيمان القوم الظالمين أنفسهم بالإصرار على الكفر والتماذي فيه.



٥١- ولقد أنزلنا القرآن متتابعاً، في الإنزال ليتصل التذكير، وأرسلنا للناس رسولاً بعد رسول، لعلمهم يتعظون، فيؤمنوا ويطيعوا.

٥٢- الذين أعطيناهم الكتاب الإلهي من قبل القرآن، هم بالقرآن والنبى محمد ﷺ يصدّقون، لمطابقة أوصافه لما جاء في كتبهم. وهؤلاء كعبد الله بن سلام ومن أسلم من الكتائبين. نزلت في ناس من أهل الكتاب كانوا على الحق، حتى بعث الله محمداً ﷺ فأمنوا به، منهم سلمان الفارسي وعبد الله بن سلام.

٥٣- وإذا يتلى عليهم القرآن قالوا: آمنا به وصدقنا بأنه كلام الله تعالى، إنه الحق الثابت الذي نعرفه، المنزل من ربنا على محمد ﷺ، إنا كنا من قبل إنزاله مخلصين لله بالتوحيد والعبادة.

٥٤- أولئك يؤتون أجرهم مرتين، لإيمانهم بالكتابين: كتابهم والقرآن، والرسولين: رسولهم ومحمد عليهما السلام، بسبب صبرهم على أذى قومهم، والعمل بالكتابين والإيمان بالنبين، ويدفعون بالكلام الحسن ما يتعرضون له من الأذى، أو بالطاعة المعصية، وينفقون أموالهم في مرضاة الله تعالى.

٥٥- وإذا سمعوا الساقط من القول، وهو الشتم والأذى

والاستهزاء من الكفار، أعرضوا عنه تكروماً وترفعاً، وقالوا: لنا أعمالنا من الإيمان والدين، ولكم أعمالكم من دينكم، لا يلحقنا من ضرر كفركم شيء، ولا يضيركم إيماننا، سلام عليكم سلام متاركة وأمان منا، لا نجيبكم بالسوء، لا نطلب صحبة الجاهلين ولا نريدها.

٥٦- إنك أيها النبي لا تهدي بإرادتك من أردت هدايته للإيمان، ولكن الله بقدرته وإرادته يهدي من يشاء هدايته، فيوفقه للإيمان، وهو أعلم بالمستعدين للهداية. نزلت كما جاء في صحيح مسلم والترمذي وغيرهما في أبي طالب لما امتنع عن الإسلام، مع شدة حرص النبي ﷺ على إيمانه، فمات على دين عبد المطلب.

٥٧- وقال مشركو قريش: إن ندخل في دينك يا محمد يتخطفنا العرب من أرضنا، أي مكة، بأن يخرجونا من بلادنا، فرد الله عليهم: أو لم نجعل لهم حرماً آمناً، تحمل إليه الثمرات والأرزاق من كل مكان، رزقاً لهم من عندنا، ولكن أكثرهم لا يعلمون أن ما نقوله حق، فهم جهلة لا يتفكرون في حقائق الأمور، والمراد: إذا كان هذا حالهم، وهم عبدة الأصنام، فكيف نعرضهم للخوف والإخراج من الديار إذا ضموا إلى حرمة البيت حرمة التوحيد؟! قال ابن عباس: إن أناساً من قريش قالوا للنبي ﷺ: إن تتبعك تخطفنا الناس، فنزلت.

٥٨- وكم- أي كثيراً ما- أهلكنا من أهل قرية ذات رخاء في العيش وأمن، فبطروا النعمة وطغوا وتكبروا، وبطر النعمة: البغي والتجبر والتقصير في حق الله، فأصبحت مساكنهم خالية لا يسكنها أحد بعدهم إلا زمناً قليلاً، كإقامة المسافر فيها يوماً أو بضع يوم، لشؤم معاصيهم، وكنا نحن الوارثين لديارهم؛ إذ لم يخلفهم فيها أحد.

٥٩- وما كان من عادة ربك إهلاك أهل القرى الكفرة، حتى يرسل في عاصمة البلاد رسولاً يتلو عليهم آياتنا المنزلة عليه الداعية إلى الإيمان والعمل الصالح، وما كان من شأننا إهلاك القرى إلا وأهلها مصرّون على الكفر وتكذيب الرسل.

وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥١﴾ الَّذِينَ
ءَاتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ هُمْ يُوْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ يَتْلَى عَلَيْهِمْ
قُلُوبُهُمْ آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ ﴿٥٣﴾
أُولَئِكَ يُؤْتُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ بِمَا صَبَرُوا وَيَدْرُءُونَ بِالْحَسَنَةِ
السَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذْ سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا
عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلِّمْ عَلَيْكُمْ
لَا تَتَّبِعُوا الْهَيْلَانَ ﴿٥٥﴾ إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ
يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾ وَقَالُوا إِن نَّسِجَ
الْهُدَىٰ مَعَكَ مَنَّمَنْ مَنَّمَنْ مِنْ رِضْوَانًا أَوْ لَمْ نَكُنْ لَهُمْ حُرْمًا ءَامِنًا
يُجِئُ إِلَى اللَّهِ مِمَّا تُنَمَّرُ كُلِّ شَيْءٍ وَرِزْقًا مِمَّنْ لَدْنَا وَلَكِنَّا أَكْثَرُهُمْ
لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٧﴾ وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرْتِ مَعِشَتَهَا فَإِنَّا لَنَنظُرُهُمْ
فَسَاكِينًا وَهُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْحَقِّ لَدَيْنَا وَكُنَّا
نَحْنُ الْوَارِثِينَ ﴿٥٨﴾ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ
حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رُسُلًا يَتْلُوا عَلَيْهِمْ ءَايَاتِنَا وَمَا كُنَّا
مُهْلِكِي الْقُرَىٰ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ ﴿٥٩﴾

وَمَا أُوتِيْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَنْعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا وَزِينَتِهَا وَمَا عِنْدَ
 اللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَفَن وَعَدْتَهُ وَعَدَّ حَسَنًا
 فَهَوَّلَيْتِهِ كَمَنْ مَتَّعْتَهُ مَتَاعَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ
 مِنَ الْمُخْضَرِّينَ ﴿٦١﴾ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِي
 الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٦٢﴾ قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ رَبَّنَا
 هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آغْوَيْنَا أَغْوَيْنَاهُمْ كَأَغْوَيْنَا تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ مَا كَانُوا
 إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴿٦٣﴾ وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمُ
 فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَسْمَعُونَ ﴿٦٤﴾
 وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ ﴿٦٥﴾ فَمَقِمْتِ
 عَلَيْهِمُ الْأَنْبِيَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ ﴿٦٦﴾ فَأَمَّا مَنْ تَابَ
 وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَسَوَّىٰ أُنْزِلَ مِنَ الْمُطْمَئِنِّينَ ﴿٦٧﴾ وَرَبِّكَ
 يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ سُبْحَانَ
 اللَّهِ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٨﴾ وَرَبِّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ
 صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٦٩﴾ وَهُوَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْإِخْلَافُ
 فِي الْأَوَّلِ وَالْآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٧٠﴾

٦٠- وما أعطيتكم من شيء من نعم الدنيا، فهو مجرد متاع قليل وزينة ظاهرة تتمتعون به في حياتكم الدنيوية ثم يزول عنكم، وما عند الله من الثواب والجزاء الآخروي في الجنة خيسر من المتاع الزائل؛ لأنه يدوم أبداً، أفلا تفكرون أن الباقي أفضل من الفاني الزائل؟!

٦١- أفمن وعدناه بالجنة ونعيمها وعداً خالصاً مُحَقَّقاً، جزاء حسن عمله، فهو واصل إليه ومدركه لا محالة؛ لأن الله لا يخلف الميعاد، كمن تمتعنا بمتاع الحياة الدنيا الذي يزول عن قريب، ويختلط بالآلام والمتاعب، ثم هو يوم القيامة من الذين أحضروا للحساب والعذاب بالنار، فهل يستويان؟! نزلت في النبي ﷺ وفي أبي جهل بن هشام، أو في الحمزة وأبي جهل.

٦٢- واذكر أيها النبي يوم ينادي الله هؤلاء المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون أنهم شركائي؟

٦٣- قال الذين وجب لهم العذاب يوم الحشر، وهم رؤساء الكفر: ربنا هؤلاء الذين دعوناهم إلى الضلالة والشرك وهم الأتباع، أضللناهم كما ضللنا، تبرأنا إليك منهم ومن كفرهم، ما كانوا يعبدوننا، بل كانوا يعبدون أهواءهم.

٦٤- وقيل للكفار: نادوا أصنامكم الذين تزعمون أنهم شركاء الله، لينصروكم وينقذوكم، فنادوهم، فلم يجيبوهم لمجزهم عن الجواب، ورأى الفريقان التابع والمتبوع العذاب الواقع بهم، فتمنوا أن لو كانوا مهتدين في الدنيا إلى الحق والصواب، لنجوا من هذا العذاب، ولما راوه في الآخرة. وجواب ﴿لو﴾ مفهوم من سياق الكلام، وهو ﴿ورأوا العذاب﴾.

٦٥- ويوم ينادي الله الكفار نداء توبيخ، فيقول لهم: ماذا كان جوابكم للأنبياء المرسلين؟!

٦٦- فخفيت عليهم من شدة الحيرة الأخبار والحجج التي تنجيهم يوم القيامة، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عن شيء ولا عن الجواب، ولا يدرون بما يجيبون، لفرط الدهشة. والمراد لم يجدوا خيراً لهم فيه نجاة، فصارت الأنبياء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم، ولا يجدون جواباً من غيرهم يسعفهم.

٦٧- فأما من تاب وآمن بالله ورسوله، وعمل صالحاً بالتزام المأمورات، فهو عند الله من الفائزين بمطلوبهم من الجنة والرضوان. (وعسى) تحقيق على عادة الكرام.

٦٨- وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار ما يشاء أن يختاره. وفي هذا إثبات حرية الخلق والاختيار لله تعالى. ليس الاختيار باصطفاء بعض الأشياء وترك بعض لأحد من الخلق، بل الاختيار هو إلى الله تعالى، تنزه الله عن منازعة أحد في اختياره، وتعاطف وتقدير عن إشراكهم. والمراد: لم يكن اختيار الرسول موكولاً لهم حتى يختاروا الأغنياء.

٦٩- وربك وحده أيها النبي يعلم ما تخفي صدور خلقه، وما يظهرونه بألستهم من الطعن بالنبي وغير ذلك.

٧٠- وهو الله الذي لا معبود سواه، له الحمد على ما أنعم، وله القضاء النافذ في كل شيء، وإليه ترجعون بعد الموت.

٦٤- وقيل للكفار: نادوا أصنامكم الذين تزعمون أنهم شركاء الله، لينصروكم وينقذوكم، فنادوهم، فلم يجيبوهم لمجزهم عن الجواب، ورأى الفريقان التابع والمتبوع العذاب الواقع بهم، فتمنوا أن لو كانوا مهتدين في الدنيا إلى الحق والصواب، لنجوا من هذا العذاب، ولما راوه في الآخرة. وجواب ﴿لو﴾ مفهوم من سياق الكلام، وهو ﴿ورأوا العذاب﴾.

٦٥- ويوم ينادي الله الكفار نداء توبيخ، فيقول لهم: ماذا كان جوابكم للأنبياء المرسلين؟!

٦٦- فخفيت عليهم من شدة الحيرة الأخبار والحجج التي تنجيهم يوم القيامة، فهم لا يسأل بعضهم بعضاً عن شيء ولا عن الجواب، ولا يدرون بما يجيبون، لفرط الدهشة. والمراد لم يجدوا خيراً لهم فيه نجاة، فصارت الأنبياء كالعمى عليهم لا تهتدي إليهم، ولا يجدون جواباً من غيرهم يسعفهم.

٦٧- فأما من تاب وآمن بالله ورسوله، وعمل صالحاً بالتزام المأمورات، فهو عند الله من الفائزين بمطلوبهم من الجنة والرضوان. (وعسى) تحقيق على عادة الكرام.

٦٨- وربك يخلق ما يشاء أن يخلقه، ويختار ما يشاء أن يختاره. وفي هذا إثبات حرية الخلق والاختيار لله تعالى. ليس الاختيار باصطفاء بعض الأشياء وترك بعض لأحد من الخلق، بل الاختيار هو إلى الله تعالى، تنزه الله عن منازعة أحد في اختياره، وتعاطف وتقدير عن إشراكهم. والمراد: لم يكن اختيار الرسول موكولاً لهم حتى يختاروا الأغنياء.

٦٩- وربك وحده أيها النبي يعلم ما تخفي صدور خلقه، وما يظهرونه بألستهم من الطعن بالنبي وغير ذلك.

٧٠- وهو الله الذي لا معبود سواه، له الحمد على ما أنعم، وله القضاء النافذ في كل شيء، وإليه ترجعون بعد الموت.

٧١- قل: أخبروني، إن جعل الله عليكم الليل دائماً متصلاً متتابعاً إلى يوم القيامة، لا نهار فيه، من إله غير الله يأتيكم بنهار فيه ضياء، أفلا تسمعون ذلك سماع تفهم وتفكر؟!

٧٢- قل أيضاً: أخبروني، إن جعل الله عليكم النهار دائماً مستمراً إلى يوم القيامة، من إله غير الله يأتيكم ليل تستقرون فيه وتستريحون من التعب والعناء وطلب الرزق؟ أفلا تبصرون هذه المنفعة وما أنتم عليه من الخطأ في الإشراف، فترجعوا عنه؟!

٧٣- ومن رحمته تعالى بالناس أنه جعل الليل والنهار يتعاقبان، لتستقروا وتستريحوا من التعب ليلاً، ولتطلبوا الرزق من فضل الله نهاراً بأنواع المكاسب، ولتشكروا الله على ما أنعم.

٧٤- واذكر أيها النبي يوم ينادي الله المشركين يوم القيامة نداء توبيخ، فيقول لهم: أين شركائي الذين كنتم تزعمون في الدنيا أنهم أنصار لكم وشفعاء؟!

٧٥- وأخرجنا من كل أمة شاهداً عليهم هو نبينهم يشهد عليهم بما كانوا عليه، فقلنا لهم: أحضروا برهانكم على صحة ما قلتم من الإشراف وما كنتم تدعون به، فعلموا وقتئذ أن الحق في الألوهية لله، لا يشاركه فيها أحد، وغاب عنهم غيبة الضائع ما كانوا يختلقون في الدنيا من الباطل: وهو أن مع الله شريكاً آخر.

٧٦- إن فارون كان ابن عم موسى، من بني إسرائيل، فتكبر عليهم بكثرة المال وطلب أن يتزعمهم، وأعطيتاه من الأموال الوفيرة المدخرة، ما إن مفاتيح خزائنه ليثقل حملها على الجماعة الكثيرة الأقياء، حين قال له قومه: لا تصرف فرح بطر بكثرة المال، إن الله لا يرضى عن البطرين الذين لا يشكرون الله على ما أعطاهم، ويسخط عليهم ويعاقبهم.

٧٧- واطلب فيما أعطاك الله من المال ثواب الآخرة، بإنفاقه في مرضاة الله وطاعته، لا في التجبر والبغي، ولا تنس الإنفاق فيما أحل الله لك، وأحسن إلى عباد الله بالصدقة، كما أحسن وأنعم الله عليك بالمال والجاه، ولا تعمل بالمال في معاصي الله، إن الله لا يرضى عن المفسدين بالعصيان في الأرض ويجازيهم على عملهم.

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ بِأَيْتِكُمْ بُضْيَاءَ أَفَلَا تَسْمَعُونَ ﴿٧١﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِ اللَّهِ بِأَيْتِكُمْ لَيْلٌ تَسْكُونَ فِيهِ أَفَلَا تبصرون ﴿٧٢﴾ وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٧٣﴾ وَيَوْمَ يَنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَاءِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿٧٤﴾ وَتَرَعَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ لِلَّهِ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٧٥﴾ إِنْ تَقُولُونَ كَانُوا مِنْ قَوْمٍ مَوْسَىٰ فَبِمَا عَلَيْهِمْ وَأَنِيتُهُمْ مِنَ الْكُفْرِ مَا إِن مَفَاتِيحَهُمْ لَشَوْأٌ أَلْعَصْبَةِ أُولَى الْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ ﴿٧٦﴾ وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ أَنَا الَّذِي أَلْزَمُ الْأَجْرَةَ وَلَا تَنْسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِنْ كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَسْجُ الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾



قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي ۗ وَأَوَّلُ بَعْلَةٍ أَنْ اللَّهُ قَدْ أَهْلَكَ
 مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْأَلُ
 عَنْ ذُنُوبِهِمْ أَجْرِ مِثْوَةٍ ﴿٧٨﴾ فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي
 زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا إِنَّا لِلَّهِ لَنَاوِلٌ
 مَا أَوْفَىٰ قُرُونٌ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا
 الْعِلْمَ وَيَلِكُ ثَوَابُ اللَّهِ حَبِيبِينَ ۖ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا
 وَلَا يَلْقَاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴿٨٠﴾ فَخَسَفْنَا بِهِ وَبَدَارِهِ الْأَرْضَ
 فَمَا كَانَ لَهُ مِنْ فِئَةٍ يَنْصُرُوهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ
 النَّاصِرِينَ ﴿٨١﴾ وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ يَقُولُونَ
 وَيَكَانَ اللَّهُ يَسُطُّ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَوْلَا
 أَنْ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا وَيَكَاذِبُ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٢﴾
 يٰلِكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ
 وَلَا فِسَادًا ۖ وَالْعَلِيَّةُ السُّعْيِينَ ﴿٨٣﴾ مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ
 فَلَهُ خَيْرٌ مِمَّا يَتَمَنَّوْنَ ۖ وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يَجْزِي
 الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾

٧٨- قال قارون في الجواب على قومه: إنما أوتيت هذا المال بمعرفة مني ومهارة في الاكتساب والتجارة، أو لم يعلم أن الله قد أهلك بالعذاب من قبل قارون من الأمم الخالية من هو أشد منه قوة، وأكثر جمعاً للمال- مما يدل على أن القوة والمال ليسا فضيلة- ولا يسأل المجرمون العصاة عن ذنوبهم يوم القيامة سؤال عتاب واستعلام؛ لأن الله تعالى مطلع عليها، وإنما يسألون سؤال توبيخ.

٧٩- فخرج قارون على قومه ذات يوم في موكب مهيب متميز بمظاهر الزينة من المتاع وملابس الذهب والحرير والخيول والأثباع، فلما رآه الناس، قال أهل الدنيا المخدوعون بزيتها: يا ليت لنا من المال والمتاع مثلما أوتي قارون من الثراء والجاه، إن قارون لصاحب نصيب وافٍ في الدنيا.

٨٠- وقال أهل العلم بأحوال الآخرة وما وعد الله فيها وهم أجبار بني إسرائيل: ويلكم- المراد بها هنا الزجر والتأنيب، أي لا تقولوا هذا الخطأ، والأصل فيها أنها كلمة تدل على الهلاك- ثواب الله ونعيمه في الجنة خير مما تتمنونه، لمن آمن بالله ورسله والتزم المأمورات وعمل صالحاً فيما آتاه الله

من المال، ولا يتلقى الجنة المثاب بها إلا الصابرون على الطاعات وعن المعاصي.

٨١- ولما اغتر قارون بكثرة المال، خسف الله به وكنوزه وبداره ومنطقته التي كان فيها الأرض، أي غورها وغيبها وجعل عاليها سافلها، فما كان له جماعة أعوان ينصرونه من غير الله، بأن يدفَعوا أو يمنَعوا عنه العذاب والهلاك، وما كان من الممتنعين مما نزل به من الخسف.

٨٢- وأصبح الذين تمننوا منزلته وثورته منذ زمان قريب يقولون: يا أسفاً ألم تر أن الله، والمراد: بل إن الله يوسع ويعطي الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيِّق ويقتِر الرزق على من يشاء، اختباراً وابتلاءً، بمقتضى مشيئته وحكمته، لولا أن من الله علينا باللطف والرحمة والإحسان، ولم يؤاخذنا بما وقع منا، لخسف بنا الأرض كما خسف بقارون، بل إنه لا يفوز الكفار بمطلب لهم، مثل قارون.

٨٣- تلك الجنة ونعيمها- والإشارة إليها لقصد التعظيم والتفخيم لها، في مقابل تحقير ما أوتيه قارون وأمثاله من متاع الدنيا- نجعلها للذين لا يريدون رفعة بغير حق وتكبراً في الأرض وتطاولاً على الناس، ولا ظملاً للناس وعملاً بالمعاصي، والمصير المحمود لمن خاف عذاب الله، بفعل الطاعات وترك المنكرات.

٨٤- من جاء يوم القيامة بالفعل الطيبة: وهي الإيمان والعمل الصالح، فله أفضل منها بمجازاته بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، ومن جاء بالفعل المنكرة الخبيثة وهي الكفر والمعصية، فلا يجزى الذين عملوا السيئات إلا بمثل ما كانوا يعملون في الدنيا دون مضاعفة أو زيادة.

٨٥- إن الذي أنزل عليك القرآن، وأوجب عليك العمل به، لرائك إلى بلدك مكة- وهذا إشارة إلى الهجرة من مكة، ثم الإعادة إليها غالباً متصراً، علماً بأن السورة مكية- قل أيها الرسول للمشركين: ربي أعلم مني ومنكم من جاء بالهدى- وهو النبي ﷺ- ومن هو في ضلال واضح- وهم المشركون- قال الضحاك: لما خرج النبي ﷺ من مكة، فبلغ الجحفة، اشتاق إلى مكة، فأنزل الله: ﴿إن الذي فرض..﴾

٨٦- وما كنت أيها الرسول تتأمل قبل النبوة أن يُوحى إليك القرآن، لكن أوحى إليك رحمة من ربك، أي لأجل الترحم، فلا تكونن معيناً للكافرين على دينهم الذي دعوك إليه، بمداراتهم وإجابة طلبهم.

٨٧- ولا يصرفك الكافرون بأذاهم عن تلاوة آيات الله والعمل بها وتبلغها بعد أن أنزلها الله إليك وفرضت عليك، وادع الناس إلى توحيد ربك وعبادته والعمل بشريعته، ولا تكونن من المشركين بالله بإعاتتهم، فإنك إن جاملتهم في شيء تكن منهم. وفي ذلك تعريض بغيره، ومثله الآية التالية:

إِنَّا الَّذِي فَضَّلْنَاكَ الْقُرْآنَ لَرَأَيْكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٨٥﴾ وَمَا كُنْتَ تُرْجَوُ أَنْ يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنِّي رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهيراً لِّلْكَافِرِينَ ﴿٨٦﴾ وَلَا يَصُدُّكَ عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ وَادْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُنْزَكِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
الرَّحِيمِ ﴿١﴾ أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يَبْرُكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعَسَّ أَنْ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعَسَّ أَنْ كُذِّبُوا ﴿٣﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ أَنْ يَسْبِقُونَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٤﴾ مَنْ كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ اللَّهِ لَآتٍ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٥﴾

٨٨- ولا تعبد مع الله إلهاً آخر، لا إله معبود بحق إلا الله وحده لا شريك له، كل شيء في هذا الوجود هالك إلا ذاته تعالى، فهو الدائم الباقي، له القضاء النافذ، وإليه ترجعون عند البعث بالثبور من قبوركم، فيجازيكم بعملكم.

سورة العنكبوت

- ١- ألف، لام، ميم، هذه الأحرف للتنبيه لما يتلى بعدها، وللدلالة على إعجاز القرآن وتحدي العرب بالإتيان بمثله مع أنهم أساطين البيان، والعربية لغتهم مكونة من هذه الحروف.
- ٢- أظن الناس أن يتركوا بغير اختبار بالتكليف، لمجرد قولهم بأفواههم: آمنا بالله ورسوله، وهم لا يُبْتَلون في أنفسهم وأموالهم، ولا يُمْتَحَنون بالتكاليف والشاق. نزلت في عمار بن ياسر، إذ كان يعذب في الله: ﴿أحسب الناس..﴾ [٢].
- ٣- ولقد اختبرنا الذين من قبلهم من الأمم بأنواع البلياء والمحن، فل يظهرن الله صدق الصادقين وكذب الكاذبين، ويجازي كل فريق بعمله. وهذا علم مشاهدة لا ينافي علم الله القديم بكل شيء قبل الخلق.
- ٤- بل هل ظن الذين يعملون السيئات وهم العصاة والكفار أن يفوتونا ويعجزونا، أو يفلتوا من عقابنا، فلا تتمكن من عقابهم؟ إن ظنوا ذلك قبح أو بش الحکم الذي يحكمونه.
- ٥- من كان يأمل ويطمع بلقاء الله يوم القيامة، أي يؤمن به، فإن الوقت المحدد للبعث والخروج من القبور والحساب أت في حينه لا محالة، والله هو السميع لأقوال العباد، العليم بأفعالهم وبالمستعدين للقاء الله تعالى.

وَمَنْ جَاهَدَ فَإِنَّمَا يُجَاهِدُ لِنَفْسِهِ إِنَّ اللَّهَ لَغَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ
 ٦ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ٧ وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا وَإِنْ جَاهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا إِلَىٰ مَرْجِعِكُمْ فَأُنْتَبَهِتُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ٨ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ ٩
 وَمِنَ النَّاسِ مَن يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَعَلَ قِتَّةَ النَّاسِ كَعَذَابِ اللَّهِ وَلَئِن جَاءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوْلَىٰ إِنَّمَا يُسِئ بِنَافْسِهِ الْفَاسِقُونَ
 ١٠ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطِيئَتَكُمْ وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطِيئَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ١١ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَنْتَا لَمَّاعَةٌ
 أَثْقَالُهُمْ وَلَيْسَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ١٢

٦ - ومن جاهد لإعلاء كلمة الله، فإن ثواب جهاده لنفسه، إن الله لغني عن عباده من الإنس والجن والملائكة، غير محتاج لطاعتهم.

٧ - والذين آمنوا بالله ورسله وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها، لنمحو عنهم ذنوبهم التي تورطوا بها، بإسقاط العقاب عنهم، ما داموا غير مصرين عليها، ولنجزينهم بأحسن جزاء لأعمالهم الصالحة، الحسنة بعشر أمثالها وزيادة.

٨ - وأمرنا كل إنسان أن يحسن لوالديه بإطاعتها وبرهما والعطف عليهما، وإن حاولا حمله على الشرك، وطلبنا ذلك منه، بما ليس عليه دليل علمي على كونه إلهاً، فلا تطعهما في ذلك؛ لأنه لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وتلحق سائر المعاصي بالشرك فلا طاعة فيها، إلي مصيركم جميعاً يوم القيامة، فأخبركم بما كنتم تعملون وأجازيكم على عملكم. وعبر بكلمة ﴿حسناً﴾ للدلالة على الإحسان العظيم جداً، حتى كأنه هو الحسن نفسه. نزلت حينما علمت أم سعد بن أبي وقاص بإيمانه، فحلقت ألا تأكل ولا تشرب حتى تموت أو يكفر، فنزلت.

٩ - والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها لنجعلنهم ونحشرنهم في زمرة العباد الصالحين في الجنة، وهم الأنبياء والأولياء.

١٠ - ومن الناس وهم المنافقون من يقول بلسانه. صدقنا بالله، وقلبه فارغ من الإيمان، فإذا أُوذِيَ في الله أي من أجل إيمانه بالله، من قبل المشركين، جعل أذى الناس في الدنيا، كعذاب الله الحاصل له في نار جهنم في الآخرة، والمعنى: جزع من السير كما يجزع من العذاب الشديد، فيتزعزع إيمانه لأدنى ابتلاء، وينافق، ولئن تحقق نصر من الله للمؤمنين، قال المنافقون: إنا كنا معكم في الإيمان والدين، فأشركونا في الغنيمة، فرد الله عليهم بقوله: أو ليس الله بعالم بما في قلوب عباده من الإخلاص والنفاق؟ بلى. نزلت في أناس من المنافقين كانوا يؤمنون بالسننهم، فإذا أصابهم بلاء من الله ومصيبة في أنفسهم افتتنوا.

١١ - وليلظهن الله كلاً من المؤمنين والمنافقين، ويميز بين الفريقين، فالؤمن المخلص صابر على الطاعة والأذى، والمنافق متذبذب في موقفه، إن أصابه أذى الكافرين وافقهم وكفر بالله تعالى، وإن انتصر المسلمون أعلن الإسلام وزعم أنه مسلم.

١٢ - وقال الكفار للمؤمنين: اتبعوا ديننا، ونتحمل عنكم أثم خطاياكم، فتأخذ به دونكم، وليسوا بحاملين شيئاً من خطاياهم، إنهم لكاذبون في وعدهم. قال مجاهد: إن الآية نزلت في كفار قريش قالوا لمن آمن منهم: لا نبعث نحن ولا أنتم، فاتبعونا، فإن كان عليكم إثم فعلينا.

١٣ - وليحملن هؤلاء الكفار يوم القيامة أوزارهم أو ذنوبهم التي اقترفوها، وأوزاراً وذنوباً أخرى مع أوزارهم: وهي أوزار من أضلواهم، وليسألن يوم القيامة سؤال توبيخ وتقريع عما كانوا يختلقونه من الأكاذيب والأباطيل التي أضلوا بها غيرهم.

١٤ - ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه، فمكث معهم ألف سنة إلا خمسين عاماً، يدعوهم إلى توحيد الله، فكذبوه، وفيه تثبيت للنبي ﷺ وتصبير له على متابعة دعوته، فقد سبقه إلى الصبر على الدعوة نوح عليه السلام طوال هذه المدة، فهو أولى بالصبر، فكان جزاء المكذبين أن غمرهم طوفان الماء النازل بغزارة من السماء، ونبع من الأرض، وهم ظالمون أنفسهم بالكفر.

١٥ - فانجينا نوحاً ومن ركب معه في السفينة من أولاده وأتباعه المؤمنين، وكانوا ثمانين أو أقل، وجعلنا السفينة عبرة بالغة للعالم أجمع الذين أتوا بعدهم.

١٦ - واذكر أيها النبي أيضاً حين قال إبراهيم الخليل عليه السلام لقومه: اعبدوا الله وحده لا شريك له، وخافوا عقابه بامتنال أوامره واجتناب الشرك، تلك العبادة والتقوى خير وأصح لكم من الشرك. وبما أنه لا خير في الشرك فإنه خاطبهم بحسب اعتقادهم. إن كنتم تعلمون الخير وتميزون بينه وبين الشر.

١٧ - إنما تعبدون أيها القوم من غير الله أوثاناً لا تضر ولا تنفع، - والرثن: ما اتخذ من جص أو حجر، والصنم: ما كان من معدن كنجاس وغيره، والتمثال: ما هو مثال لكائن حي. - وتصنعون أصناماً تسمونها آلهة كذباً وزوراً، إن الذين تعبدون من غير الله لا يقدرون

على أن يرزقوكم شيئاً، فاطلبوا عند الله الرزق، فهو الرزاق وحده، وهو المالك للرزق، واعبدوه وحده بإخلاص، واشكروا له النعم التي أنعم بها عليكم، إليه ترجعون يوم القيامة للجزاء والحساب.

١٨ - وإن تكذبوا برسالتي، فقد كذب أم كثيرة من قبلي وقبلكم رسلكم، وليس على الرسول إلا التبليغ الواضح لدعوته، يبلغها قومه، وليس في وسعه هدايتهم.

١٩ - أو لم ينظروا ويعلموا كيف يبدأ الله خلق الإنسان والحيوان والنبات، ثم يعيد الإنسان إلى الحياة بعد الموت والفناء، إن ذلك سهل يسير على الله، فمن قدر على الإيجاد أول مرة، فهو قادر على الإعادة، والأمران سواء عليه. و﴿يروا﴾ بمعنى يعلموا هنا، وهمزة الاستفهام للإنكار والنفي، فإذا انضم إليه النفي المفهوم من ﴿لم﴾ أفاد التقرير، أي إنبات أنهم رأوا، ومثل ذلك ﴿الم نشرح﴾ [الشرح ١/٩٤].

٢٠ - قل أيها النبي لمكذبي رسالتك: سافروا في الأرض، فانظروا كيف بدأ خلق من كان قبلكم بأشكال مختلفة وطبائع وأخلاق متغايرة، لتعلموا عظام قدرة الله، وأنارهم تدل عليهم، ثم الله يعيد الخلق أحياء مرة أخرى، بعد النشأة الأولى التي هي الإبداء، فإنه والإعادة نشأتان، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه أمر، ومنه البدء والإعادة. وبدأ وأبدأ بمعنى واحد هو الإيجاد ابتداءً، أي إيجاد شيء لم يكن. والنشأة الآخرة: إحياء الخلق يوم القيامة.

٢١ - يعذب من يشاء تعذيبه، ويرحم من يشاء رحمته، وإليه تردون بعد موتكم.

٢٢ - ولستم أيها المكذبون الجاحدون بمعجزتي الله عن إدراككم، في الأرض ولا في السماء، وليس لكم من غير الله ولي يتولى أموركم ويمنعكم منه، ولا معين ينصركم من عذابه.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ ﴿١٤﴾
فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴿١٥﴾
وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَانصُوبُوا لِيكُمْ حَبْرًا لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا إِنَّ الَّذِينَ يَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَإِنْ تَكْذِبُوا فَقَدْ كَذَّبْتُمْ مَنْ قَبْلِكُمْ وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ الْمُبِينُ ﴿١٨﴾
أُولَئِكَ يَرَوْنَ كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿١٩﴾ قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٠﴾ يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا اللَّهُ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ ﴿٢٢﴾ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٢٣﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ أُولَٰئِكَ يَاسُوءُونَ
 رَحْمَتِي وَأُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٦﴾ فَأَمَّا كَانِ
 جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَاهُ
 اللَّهُ مِنَ النَّارِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٧﴾
 وَقَالَ إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي
 الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم
 بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم
 مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٢٨﴾ ﴿٢٩﴾ فَمَنْ لَّهُ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ
 إِلَىٰ رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٠﴾ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ
 وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ وَأَعْطَيْنَاهُ أَجْرَهُ
 فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٣١﴾ وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ
 إِنَّكُمْ لَأَنْتَ أَتَىٰ عَلَىٰ الْفَلْحَةِ مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَجْدَمِ
 الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ السَّبِيلَ
 وَتَأْتُونَ فِي نَادِيَكُمُ الْمُنْكَرَ فَأَمَّا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ ۖ إِلَّا
 أَنْ قَالُوا أَتَيْنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣٣﴾

٢٣- والذين كفروا بآيات الله المنزلة في الكتب السماوية، والآيات التكوينية الدالة على وحدانية الخالق، ووجدوا ببقاء الله أي بالبعث بعد الموت، أولئك يياسون من رحمتي يوم القيامة، وأولئك لهم عذاب مؤلم في نار جهنم بسبب كفرهم.

٢٤- فما كان جواب قوم إبراهيم بعد دعوتهم لتوحيد الله إلا أن قال بعضهم لبعض: اقتلوه أو حرقوه تحريقاً بالنار، فأنجاه الله من نارهم، وجعلها عليه برداً وسلاماً، إن في إنجاء الله إبراهيم لدلالات قاطعة على وجود الله وتوحيده لقوم يصدقون بالله وقدرته، وخص المؤمنون بالذكر؛ لأنهم المتصفون بذلك.

٢٥- وقال إبراهيم: يا قوم إنما اتخذتم من غير الله أوثاناً الهية، للتوادد بينكم، والالتقاء على عبادتها في الحياة الدنيا، ثم يوم القيامة يتبرأ بعضكم من بعض، فيتبرأ العابدون من الأوثان، وتبرأ الأوثان من العابدين لها، ويلعن الأتباع القادة، والقادة الأتباع، ومقركم النار، وليس لكم من أنصار يتقذرونكم من النار.

٢٦- فصدق لوط برسالة إبراهيم عليهما السلام، وقال إبراهيم: إني مهاجر من بلدي (كوثى - قرية من سواد الكوفة بالعراق) إلى حران، ثم إلى الشام، أي مهاجر من ديارى إلى حيث أمرني ربي لأعبده، إن ربي هو القوي الغالب الذي يعنني من أعدائي، الحكيم في صنعه وتدييره. وكان مع إبراهيم امرأته سارة ولوط ابن أخيه، فنزل فلسطين، ونزل لوط سدوم.

٢٧- ووهبنا لإبراهيم إسحاق بعد بكرة إسماعيل، ويعقوب من إسحاق، وجعلنا في ذرية إبراهيم النبوة، فكل الأنبياء بعده من ذريته، والكتاب: التوراة والإنجيل والزيور والقرآن، وأعطيناه أجره في الدنيا: وهو الرزق الواسع والأولاد والثناء الجميل بين أهل الأديان جميعاً، وإنه في الآخرة في زمرة الكاملين في الصلاح.

٢٨- واذكر أيضاً أيها النبي لوطاً عليه السلام حين قال لقومه: إنكم تتعاطون الفعلة القبيحة التي تنفر منها النفوس الكريمة وهي اللواط: إتيان أدمار الرجال، لم يسبقكم إلى فعلها أحد من الناس.

٢٩- أتتكم - والاستفهام للتوبيخ - لتلوطون بالرجال، وتقطعون الطريق على المارة بالقتل وأخذ المال والفاحشة، وتأتون في مجالسكم التي تجتمعون فيها ما يستكره الشرع والعقل والطبع السليم، كاللواط وأنواع الفحش قولاً وفعلًا، فما كان جواب قومه إلا أن قالوا مستهزئين: اتنا بعذاب الله إن كنت صادقاً فيما تهددنا به، فعادوا بهذا القول إلى التكذيب والعناد.



٣٠- قال لوط: رب انصرني بآنزال عذابك على القوم المفسدين العاصين بإتيان الرجال وتعاطي المنكر، فأجاب الله دعاءه، وأرسل ملائكته لعذابهم.

٣١- ولما جاءت رسلنا الملائكة لإبراهيم بالبشرى بولادة إسحاق ومن بعده يعقوب، قالوا لإبراهيم: إنا مهلكو أهل قرية لوط وهي سدوم، إن أهلها كانوا ظالمين أنفسهم بالمعاصي، كافرين مكذبين رسولهم.

٣٢- قال إبراهيم لهم: إن في القرية لوطاً، فكيف تهلكونها؟ قالوا: نحن أعلم منك بمن فيها، لننجينه وأهله المؤمنين من الهلاك إلا امرأته كانت من الباقيين في العذاب.

٣٣- ولما جاءت رسلنا الملائكة لوطاً في صورة شباب حسان الوجوه مُرَد، استاء بهم واغتم مخافة من قومه، وتضايق وحزن من وضعهم، وعجزه عن حمايتهم من أذى قومه، فقالوا له: إنا رسل ربك، لا تخف علينا من قومك ولا تحزن، فإنهم لا يقدرون علينا، إنا منجوك وأهلك من الهلاك، إلا امرأتك كانت من الباقيين في العذاب.

٣٤- إنا منزلون على أهل هذه القرية عذاباً شديداً من السماء بسبب فسقهم، وهو الخسف والحصب، أي الزلزلة والرمي بالحجارة.

٣٥- ولقد أبقينا من القرية بعد تدميرها علامة واضحة وعبرة وعظة هي آثار الحجارة التي رُجموا بها والديار الخربة لقوم يستعملون عقولهم في الاستبصار.

٣٦- وأرسلنا إلى مدين أخاهم في القبيلة والنسب شعيباً، فقال لهم: يا قوم اعبدوا الله وحده لا شريك له، وافعلوا ما ترجون به ثواب اليوم الآخر، ولا تركبوا أشد الفساد، مفسدين في الأرض. و﴿مفسدين﴾ حال مؤكدة لعاملها، مفيدة معنى الثبات على الفساد. وتعثوا: من عثي مثل تعب يتعب، والعثو والعثي: أشد الفساد.

٣٧- فكذبوا شعيباً، فأخذتهم الرجفة، أي الزلزلة الشديدة بصيحة جبريل: سبب الرجفة، فأصبحوا في دارهم باركين على الركب ميتين.

٣٨- وأهلكنا عاداً وثمود، وقد ظهر لكم من آثار مساكنهم بالأحقاف والحجر إذا نظرتم إليها عند مروركم بها مدى الدمار والهلاك، مما يصلح عبرة وعظة للمتفكرين، وزين لهم الشيطان أعمالهم السيئة فرأوها حسنة، فمنعهم بهذا التزيين عن سلوك الطريق الواضح الموصل للإيمان والحق والعمل الصالح، وكانوا عقلاء ذوي بصائر، متمكنين من النظر والتأمل، وتمييز الحق من الباطل، ولكنهم أهملوها تكبراً وعتاداً.

قَالَ رَبِّ انصُرْنِي عَلَى الْقَوْمِ الْمَفْسُودِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ إِنَّا أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا فَانجِيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا أَمْرًا تَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٢﴾ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا نَحْفَظُكَ وَلَا نَحْرُنُ إِنَّا فَجُورٌ وَأَهْلُكَ إِلَّا أَمْرًا تَكَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَىٰ أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٣٥﴾ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَتَّقُوا اللَّهَ وَاللَّهُ وَارْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ وَلَا تَمْتَرُوا فِي الْأَرْضِ مَفْسُودِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذْتُمُ الرَّجْفَةَ فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جثِيمِينَ ﴿٣٧﴾ وَعَادًا وَثَمُودًا وَقَدْ نَبَّأْنَاكُمْ مِنْ قَبْلِهِمْ زِينَهُمْ وَزَيْنَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَلْتُمْ قَسْدَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ ﴿٣٨﴾

وَقَرُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَلُونَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مُوسَى
 بِالْبَيِّنَاتِ فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ
 ﴿٣٦﴾ فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ
 حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَسَفْنَا
 بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَغْرَقْنَا وَمَا كَانَ اللَّهُ
 لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٣٧﴾ مَثَلُ
 الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنْكَبُوتِ
 اتَّخَذَتْ بُيُوتًا وَإِنْ أَوْهَرَ السُّيُوتِ لَبِثَتْ الْعَنْكَبُوتُ
 لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُدْعُونَ مِنْ
 دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٩﴾ وَنَسِيَ
 الْأَمْثَلُ نَضْرِبَهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا الْعَالِمُونَ
 ﴿٤٠﴾ خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ إِنَّ فِي ذَلِكَ
 لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٤١﴾ أَتَى مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ لَدُنِّكَ
 وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ نَهَتْ عَنِ الْفُسْهَاءِ وَالْمُنْكَرِ
 وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴿٤٢﴾

٣٩. وأهلكنا قارون الشري المتكبر، وفرعون الطاغية الجبار المتأله، وهامان وزيره الذي كان عوناً له على الظلم، ولقد جاءهم موسى بالحجج الواضحات الدالة على صدق رسالته، فتعجبوا في الأرض وتعالوا عن الحق وعبادة الله، وما كانوا فاقين مقلتين من عذابنا.

٤٠. فكل واحد أو جماعة من المذكورين عاقبنا بذنبه: كفره وتكذيبه، فمنهم من أرسلنا عليه ريحاً عاصفاً فيها حصباء: حجارة صغيرة، وهم قوم لوط وعاد قوم هود، ومنهم من أخذته الصيحة: الصرخة الشديدة كمدين وثمود، ومنهم من خسفنا به الأرض كقارون، وقوم لوط، وهؤلاء عذبوا بالخسف والحصب، ومنهم من أغرقنا كقوم نوح وفرعون وجنوده، وما كان الله ليظلمهم بما فعل بهم، أي يعذبهم بغير ذنب، ولكن كانوا أنفسهم يظلمون بالكفر وتكذيب الرسل وارتكاب المعاصي.

٤١. مثل (صفة) الذين اتخذوا من غير الله أنصاراً لتحقيق منافعتهم وحاجاتهم، سواء كانوا من الجمادات كالأوثان والأصنام، أو من الحيوان أو من الملائكة أو من الناس الأحياء أو الأموات،

مثالهم كمثل العنكبوت (حشرة صغيرة) اتخذت بيتاً لنفسها تآري إليه، لا يغني عنها شيئاً من حر أو برد أو مطر، ولا يحفظها من عدو، وإن أضعف البيوت لبيت العنكبوت، كذلك الأصنام ونحوها لا تنفع عابديها، لو كانوا يعلمون ذلك ما عبدوها.

٤٢. إن الله يعلم الذي يعبدون من الأصنام والأوثان من غير الله، ليس بشيء يُعبد لينفع أو يضر، وهو القوي المنتقم ممن كفر به، الحكيم في صنعه وتديبه وجميع أقواله وأفعاله.

٤٣. وهذا المثل ونظائره في القرآن نبيها للناس للتنبية والتقريب للأفهام، وما يفهمها إلا العالمون المتدبرون الذين يتفكرون فيما يتلى عليهم وفيما يشاهدونه من الأشياء.

٤٤. خلق الله السموات والأرض بالعدل والقسط ومراعاة مصالح العباد محققاً غير مبطل، ولم يعاونه في الخلق أحد، إن في ذلك الخلق لدلالة على وحدانية الله وقدرته للمؤمنين؛ لأنهم المتفجعون بها في الإيمان، بخلاف الكفار. فقوله ﴿بالحق﴾: يراد به لحكم عالية كما ذكرت.

٤٥. اقرأ أيها الرسول مع التدبر ما أوحى إليك من القرآن، متفكراً في معانيه، وأقم الصلاة المفروضة في أوقاتها وداوم عليها، إن الصلاة تنهى المؤمنين عن كل ما كان قبيحاً من العمل، مستنكراً في الشريعة، ولذكر الله وهو الصلاة أكبر من سائر الطاعات، وأفضل من كل عبادة لا ذكر فيها؛ لأن الانتهاء لا يكون إلا من ذاكر الله، مراقب له، والله يعلم ما تصنعون في حياتكم من خير أو شر، ويجازيكم عليه. والفحشاء: الفعلة القبيحة المتناهية في الفحش كالزنى، والمنكر: كل ما تنكره الشريعة والعقل السليم كالقتل والإفساد.



٤٦- ولا تجادلوا أيها المؤمنون اليهود والنصارى إلا جدالاً معقولاً لبيان الحق، بالخصلة التي هي أحسن، يراعى فيه جمال القول، ولين الكلام، وضبط النفس، لكن الذين ظلموا منهم بالإفراط في العناد، لا بأس بمقابلتهم بالمثل، وقولوا لهم في جدالكم: أمنا بما أنزل إلينا من القرآن، وبما أنزل إليكم من التوراة والإنجيل، دون تحريف ولا تبديل، وإلهنا وإلهكم واحد لا شريك له، ونحن له مطيعون خاضعون. أخرج البيهقي في الشعب عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، فإنهم لن يهدوكم وقد ضلوا، إما أن تصدقوا بباطل، أو تكذبوا بحق، والله لو كان موسى حياً بين أظهركم، ما حل له إلا أن يتبعني».

٤٧- ومثل ذلك الإنزال للتوراة وغيرها أنزلنا إليك القرآن مصدقاً لما تقدمه من الكتب الإلهية، فالذين آتيناهم الكتاب وهم اليهود والنصارى ويتبعون ما جاء في كتبهم يؤمنون بهذا القرآن كعبد الله بن سلام وجماعته، ومن أهل مكة من يؤمن بهذا القرآن أيضاً، وما ينكر صحة آيات القرآن إلا المصرون على الكفر من المشركين وأهل الكتاب والجحود: إنكار باللسان لما هو ثابت في القلب.

٤٨- وما كتبت أيها الرسول تقرأ قبل القرآن كتاباً، ولا تكتب بيمينك، أي إنك أمة لا تقرأ ولا تكتب، ولو كنت تقرأ وتكتب لشك أهل الباطل بأمرك، وادعوا أن ما تلووه مأخوذ من الكتب السابقة. والمبطلون: الذين يجعلون الحق باطلاً، ويتوغلون في الباطل. و﴿من كتاب﴾ تدل على عموم النفي لما بعدها.

٤٩- بل القرآن الذي جئت به آيات واضحات الدلالة على الحق، في قلوب أهل العلم وهم المؤمنون حفظة القرآن، وما ينكر آيات الله إلا الذين ظلموا أنفسهم، وجحدوا الحق بعد وضوح أدلة إعجاز تلك الآيات، وأصروا على الكفر.

٥٠- وقال كفار مكة: هلا أنزل على محمد معجزات حسية من ربه، مثل ناقة صالح، وعصا موسى، ومائدة عيسى، قل أيها الرسول جواباً لهم: إنما أمر المعجزات عند الله وحده، وليس بوسعي، وليس من شأني إلا إنذار العصاة بالثار، وأنا مجرد محذر المخالفين من عذاب الله، موضح الحق من الباطل.

٥١- أو لم يكف المشركين آية لما طلبوا أننا أنزلنا عليك القرآن، تدوم تلاوته عليهم، يتحداهم بالإتيان بمثله، إن في ذلك الكتاب لنعمة عظيمة، وعظة وتذكرة، لقوم يُصدّقون بما جئت به من عند الله دون تعنت. نزلت لما جاء ناس من المسلمين بكتب كتبوها، فيها بعض ما سمعوه من اليهود.

٥٢- قل أيها النبي: كفى بالله شاهداً بصدقني بيني وبينكم، لا يخفى عليه شيء في السموات والأرض والذين آمنوا بالباطل: وهو كل ما يعبد من دون الله كالأصنام، وكفروا بالله: بأن أنكروا وجوده أو وحدانيته، أولئك هم الذين خسروا أنفسهم في صفتهم، حيث اشتروا الكفر بالإيمان.

وَلَا تَجِدُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِلِيٍّ فِي أَحْسَنِ
إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا
وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ
مُسْلِمُونَ ﴿٤٦﴾ وَكَذَلِكَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ فَالَّذِينَ
ءَاتَيْنَهُمُ الْكِتَابَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمِنْ هَؤُلَاءِ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ
وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا كُنْتَ
تَسْمَعُ مِنْ قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخْطُرُ بِمِثْلِكَ بِأَنَّا لَازِلُونَ
الْبَاطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا
الْكِتَابَ وَمَا يُجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ ﴿٤٩﴾ وَقَالُوا
لَوْلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ
اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوْ لَوْ كُنْتُمْ أَنَا
أَنْزِلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ فِي ذَلِكَ لَرَجَحْتُهُ
وَذُكِّرْتُمُ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ كَفَى بِاللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
شَهِيدًا يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا
بِالْبَاطِلِ وَكَفَرُوا بِاللَّهِ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٥٢﴾

وَيَسْتَجِئُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَاءَهُمُ الْعَذَابُ
 وَلِيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ يَسْتَجِئُونَكَ بِالْعَذَابِ
 وَإِنْ جَاءَهُمْ مُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٦﴾ يَوْمَ تَمِشُهُمُ الْعَذَابُ
 مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٥٧﴾
 لِيُعَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِنَّي أَتَاعِبُدُونَ ﴿٥٨﴾
 كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٥٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا
 وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرًّا فَتَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
 الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أُولَئِكَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ ﴿٦٠﴾ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَى
 رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٦١﴾ وَكَأَيِّنْ مِنْ ذَايِقَةٍ لَأَنجَلُ رِزْقِهَا اللَّهُ يُرْزِقُهَا
 وَإِيَّكُمْ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦٢﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى
 يُؤْتِكُونُ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ
 وَيَقْدِرُ لَهُ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٦٤﴾ وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ
 نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ
 اللَّهُ فُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ لَأَكْذِبُهُمْ لَا يَحْمِلُونَ ﴿٦٥﴾

٥٣- ويستعجلك أيها النبي المشركون بالعذاب استهزاء، ولولا وجود أجل معلوم وموعده محدد في علم الله، لكل عذاب أو قوم في الدنيا أو يوم القيامة، لجاءهم العذاب المستحق عاجلاً بسبب ذنوبهم، وليأتينهم فجأة، في الدنيا عند حدوث معركة مثلاً كوقعة بدر، وفي الآخرة عند نزول الموت بهم، وهم لا يشعرون بوقت إتيانه.

٥٤- يستعجلونك بالعذاب الدنيوي، قل لهم أيها النبي: إن العذاب الآخروي أت لا بد منه، وإن جهنم لمحيطه بالكافرين يوم القيامة.

٥٥- يوم يصيبهم ويفطيمهم العذاب من جميع جوانبهم، من فوقهم ومن تحت أرجلهم، ويقال لهم: ذوقوا جزاء ما كنتم تعملون، فلا تفوتونا.

٥٦- يا عبادي الذين آمنوا إن كنتم عاجزين في مكة أو غيرها عن إظهار شعائر الإسلام والعمل بها، خوفاً من أذى المشركين، فهاجروا إلى بلد آخر تيسر لكم العبادة فيه، إن أرضي متسعة، فأخلصوا لي العبادة في أي مكان آخر ليس فيه مضايقة لكم. نزلت في تحريض المؤمنين الذين كانوا بمكة على الهجرة، وقالوا: نخشى إن هاجرنا من الجوع وضيق المعيشة.

٥٧- كل نفس مخلوقة ذائقة الموت حتماً، في

الوطن والمقام أو في الغربية والمهجر، ثم ترجعون إلينا بعد الموت للحساب والجزاء.

٥٨- والذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة المأمور بها شرعاً، لننزلهم من الجنة غرماً (أمكنة عالية) تجري من تحت أشجارها ومسكنها الأنهار، ماكين فيها على الدوام، نعم هذا الأجر أجر العاملين بأوامر الله تعالى.

٥٩- الذين صبروا على أذى المشركين، والهجرة لإظهار الدين، وغير ذلك من المحن والبلايا، ويفوضون الأمر لربهم ويتقون به.

٦٠- وكم أي كثير من ذابئة. و«من» لبيان جنس الشيء الكثير قبله، أي وكثير من الدواب- لا تطيق حمل رزقها لضعفها، ولا ادخاره، والله يرزقها وإياكم بتيسير أسباب الرزق والحياة، وهو السميع لأقوالكم، العليم بأحوالكم وضمايركم. نزلت حينما طلب النبي ﷺ من أصحابه بمكة الهجرة إلى المدينة، فقالوا: ليس لنا بها دار ولا عفار، ولا من يطعمنا، ولا من يسقينا، فنزلت الآية.

٦١- ولئن سألت أيها النبي المشركين: من خلق السموات والأرض وأبدعها، وذلك الشمس والقمر يجريان لما فيه نفع المخلوقات؟ ليقولن: الله وحده هو الخالق والمسخر، فكيف يصرفون عن توحيده بعد إقرارهم بذلك؟!

٦٢- الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده امتحاناً، ويضيقه على من يشاء ابتلاءً، إن الله بكل شيء عالم واسع العلم، يعطي ويمنع بمقتضى الحكمة والمصلحة.

٦٣- ولئن سألتهم أيها النبي: من الذي نزل من السماء مطراً، فأحيا به الأرض بالإنبات، من بعد قحطها وجذبها؟ ليقولن: الله وحده الفاعل لكل ذلك، قل: الحمد لله على ظهور الحجة والتوفيق للصواب، بل أكثر المشركين لا يدركون تناقضهم في ذلك.

٦٤- وما هذه الحياة الدنيا إلا لكهرو الصبيان ولعبيهم، يلتقون ساعة ثم يتفرقون، وإن حياة الدار الآخرة لهي الحياة الحقيقية الدائمة التي لا تزول؛ لأنه لا موت بعدها، لو كانوا يعلمون ذلك، لما آثروا الدنيا على الآخرة.

٦٥- فإذا ركب الكفار في السفن- والفلك: يطلق على السفينة الواحدة والأكثر- دعوا الله مخلصين له الدعاء والتضرع، وتركوا الأصنام والأوثان؛ لعلمهم أنه لا يكشف الشدة وللحنة إلا الله تعالى، فلما نجّاهم إلى البر إذا هم يعودون إلى الشرك ودعاء غير الله سبحانه. و ﴿إذا﴾ حرف يدل على حصول ما بعده عقب ما قبله مباشرة.

٦٦- إنهم يشركون، لكي يكفروا بما أعطيتهم وأمددناهم من النعم، وليتتمتعوا بعبادة الأصنام- فاللام في الفعلين لام التعليل في تقدير الله، ولام العاقبة أو الصيرورة بالنسبة إليهم- فسوف يعلمون عاقبة ذلك.

٦٧- أو لم يعلم كفار قريش أنا جعلنا حرمهم هذا مكة حراماً آمناً على النفس والمال، ويختلس الناس من حولهم قتلاً وسبياً ونهباً، أفيالباطل (وهو الضمن أو الشيطان) يؤمنون، بعد ظهور الحجة عليهم، ويكفرون بنعمة الله، فلا يشكرون ربهم المنعم، ويشركون به غيره؟! قال ابن عباس: قال المشركون: يا محمد، ما ينمنا أن ندخل في دينك إلا مخافة أن يتخطفنا الناس لقتلنا، والأعراب أكثر منا.

٦٨- ولا أحد أظلم من اختلق على الله كذباً، فزعم أن له شريكاً، أو كذب بالقرآن والرسول، حينما آتاه وسمعه دون أن يتفهمه، أليس في جهنم ماوى ومستقر للكفار جزاء كفرهم؟! والاستفهام تقرير لإقامتهم في جهنم.

٦٩- والذين جاهدوا في حقنا ومن أجل نشر دعوتنا، لنهديهم إلى طرق الخير ورضوان الله، وإن الله لمع المحسنين أعمالهم بالنصر في الدنيا، والثواب في الآخرة.

وَمَا هَذِهِ الْحَيٰوةُ الدُّنْيَا اِلٰهٖمُ وَاَلٰهٖمُ وَاَلٰهٖمُ وَاَلٰهٖمُ وَاَلٰهٖمُ وَاَلٰهٖمُ
لَهَا الْحَيٰوةُ الْاٰخِرَةُ لَوْ كَانُوْا يَعْلَمُوْنَ ﴿٦٤﴾ فَاِذَا رَكِبُوْا
اَلْفَاكَ دَعَوْا اِلٰهَ مَخْلَصِيْنَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ اِلَى الْبَرِّ اِذَا
هُمْ يَشْرِكُوْنَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوْا بِمَا ءَاتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوْا فَسَوْفَ
يَعْلَمُوْنَ ﴿٦٦﴾ اَوْ لَمْ يَرَوْا اَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا اٰمِنًا وَيَسْتَخَفُّ
اَلنَّاسُ مِنْ حُوْبِهِمْ اَفِى الْبَطْلِ يُؤْمِنُوْنَ وَسِعْمَ اَللّٰهُ يَكْفُرُوْنَ
﴿٦٧﴾ وَمَنْ اَظْلَمُ مِمَّنْ اَفْرَىٰ عَلٰى اَللّٰهِ كَذِبًا اَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ
لَمَّا جَاءَهُ ؕ اَلَيْسَ فِيْ جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِيْنَ ﴿٦٨﴾ وَالَّذِيْنَ
جَاهَدُوْا فَاِنَّا نَصُدُّهُمْ سَبِيْلَنَا وَاِنَّا لَمَعَ الْمُحْسِنِيْنَ ﴿٦٩﴾



بِسْمِ اللّٰهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيْمِ

١- اَللّٰهُمَّ عَلَيَّا الرُّومَ ﴿١﴾ فِيْ اَنْفِ الْاَرْضِ وَهُمْ مِنْ بَعْدِيْلِهِمْ سَيَغْلِبُوْنَ
﴿٢﴾ فِيْ اَضْمِ سَيِّئِيْنَ لِّلّٰهِ الْاَمْرُ مِنْ قَبْلِ وَّمِنْ بَعْدِ وَاَيُّ مَسِيْدٍ يَبْصُرُ
اَلْمُؤْمِنُوْنَ ﴿٣﴾ يَبْصُرُ اَللّٰهُ يَبْصُرُ مِنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيْزُ الرَّحِيْمُ ﴿٤﴾

سورة الروم

١- ألف، لام، ميم، هذه الحروف تشبيه السامع وحثه على الإقبال على القرآن، ولتحدى العرب بمعارضة القرآن الذي تتألف كلماته وجمله من هذه الحروف وغيرها.

٢- غلبت دولة فارس الروثية دولة الروم النصرانية بقيادة هرقل في العصر النبوي، في معركة جرت بينهما. وكانت دولتهم تشمل الشام والعراق، ففرح كفار مكة بذلك، وتفاءلوا بنصرهم على المسلمين. عن أبي سعيد الخدري قال: لما كان يوم بدر، ظهرت الروم على فارس، فأعجب ذلك المؤمنين، فنزلت: ﴿الم، غلبت الروم﴾.

٣- في أقرب أرض الروم إلى أرض فارس بالجزيرة، وإلى أرض العرب شمالاً، والروم من بعد هزيمتهم سيغلبون الفرس.

٤- في مدة تتراوح بين ثلاث إلى تسع سنوات، لله الأمر- أي القدرة وإنفاذ الأحكام- من قبل انقلاب الروم ومن بعد ذلك، ويوم يتنصر الروم على الفرس يفرح المؤمنون؛ لأنه انتصار لأهل الكتاب على المشركين.

٥- يفرحون بنصر الله الذي نصر الروم الكتابيين على الفرس الوثنيين، ينصر من يشاء الله من عباده أن ينصره، وهو القوي الغالب المنتقم من أعدائه، الرحيم بعباده التائبين المؤمنين. والآيات من دلائل النبوة؛ لأنها إخبار عن الغيب.



٦- وعد الله المؤمنين وعداً جازماً بالنصر- نصر الروم على الفرس الوثنيين، لا يخلف الله وعده في أي أمر، ولكن أكثر الناس ومنهم كفار مكة لا يعلمون وعده تعالى بنصرهم لجهلهم بالله تعالى وعدم تفكيرهم.

٧- يعلمون الأمور الظاهرة التي يشاهدونها من زخارف الدنيا ومكاسب الحياة، وتمتعهم بها، وهم غافلون عن نعيم الآخرة الدائم، لا يستعدون له، ولا يخطر ببالهم نهاية الدنيا.

٨- أو لم يتفكر الغافلون عن الآخرة في خلق الله أنفسهم، فيرجعوا عن غفلتهم؟ ما خلق الله السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا بالعدل ومن أجل العدل والحكم عالية لا عبثاً ولعباً، ولوقت معلوم محدد نهايته يوم القيامة، وإن كثيراً من الناس مثل كفار مكة لكافرون بالبعث بعد الموت.

٩- أو لم يسيروا في الأرض سير تأمل واعتبار؟ فيشاهدوا كيف كان مصير الأقوام الذين كانوا من قبلهم، أهلهم الله بسبب كفرهم بالله وتكذيبهم

وَعَدَّ اللَّهُ لِغَيْفٍ اللَّهُ وَعْدَهُ وَلَكِنْ كُنَّا نَاسٍ لَا يَعْلَمُونَ
 ٦ يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ
 ٧ أُولَئِكَ يَتفَكَّرُوا فِي أَنفُسِهِمْ مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى
 وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ بِلِقَائِي رَبِّهِمْ لَكٰفِرُونَ
 ٨ أُولَئِكَ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مُنْهَرِقِينَ وَأَنَارُوا الْأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِن كَانُوا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ
 ٩ سَأَلَ الَّذِينَ أَتَوْا آلِيسَىٰ رَبَّهُمْ أَنِ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ
 ١٠ اللَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ
 ١١ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْسِلُ الْمُحْرِمُونَ
 ١٢ وَلَوْ كُنْ لَهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَاءٌ وَكَانُوا يُشْرِكُوا بِهِمْ لَظَلِمَهُم
 ١٣ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُنْفِقُونَ

لرسل، كانوا أشد قوة كعاد وثمود من أهل مكة، وحرثوا الأرض وقلبوها للزراعة، وعمروها بالمباني والغراس والمزارع أكثر مما عمرها هؤلاء المكيون، بسبب طول أعمارهم، وقوة أجسامهم، وجاءتهم رسلهم بالمعجزات الدالة على صدقهم، فلم يؤمنوا، فأهلكهم الله، فما كان الله ليلظلمهم بتعذيبهم من غير ذنب، ولكن كانوا يظلمون أنفسهم بالكفر بالله وتكذيب رسله. وهذا يدل على أن الله تعالى عذبهم بسبب مظالمهم ومعاصيهم.

١٠- ثم كان عاقبة المسيئين الذين كفروا بالله وعصوا وأمره أقيح عاقبة في الآخرة؛ لأنهم كذبوا بآيات الله التي أنزلها على رسله، وكانوا يسخرون بها. والسواى: مؤنث الأسوأ.

١١- الله تعالى وحده هو الذي يبدأ خلق المخلوقات، ثم يعيد الخلق مرة أخرى، ثم إليه ترجعون إلى الحساب والجزاء، ليكافأ المحسن، ويعذب المسيء.

١٢- ويوم تقوم القيامة يبأس المشركون من النجاة، ويسكتون متعيرين لانقطاع حجبتهم.

١٣- ولم يكن للمشركين من شركائهم الذين عبدوهم من دون الله وأشركوهم بالله شفعاء يتقذونهم من العذاب، وكانوا حيثذ كافرين بالهتهم الذين جعلوهم شركاء لله، متبرئين منهم.

١٤- ويوم تقوم القيامة ويتم الحساب يتفرق المؤمنون والكافرون، فيذهب الأولون إلى الجنة، والآخرين إلى النار.

١٥- فأما المؤمنون بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمروا بها، فهم في روضة (بستان) من رياض الجنة يُسرّون ويُكرّمون.

١٦- وأما الذين كفروا بالله ورسوله، وكذبوا بآياتنا المنزلّة في القرآن، وكذبوا بالبعث وتوابعه من جنة ونار، فأولئك مقبضون في العذاب، تحضر الملائكة عذابهم.

١٧- فتتزه الله عن كل نقص، فتزوه وصلّوا له في وقت الصبح والمساء، ففي الصباح صلاة الفجر، وفي المساء صلاة المغرب والعشاء، وخص هذان الوقتان بالذكر، لوضوح آثار القدرة والعظمة الإلهية فيهما.

١٨- والله الشكر والثناء الجميل في أنحاء السموات والأرض وفي العشي (صلاة العصر) ووقت الظهيرة (صلاة الظهر). والعشي: الوقت الممتد من بعد العصر إلى الغروب.

١٩- يخرج الله الحي من الميت، كالإنسان من النطفة، والطير من البيضة، ويخرج الميت من الحي كالنطفة والبيضة من الإنسان، ويحيي

الأرض بالنبات بعد موتها باليس، ومثل ذلك الإخراج تخرجون من القبور. والمراد أن البدء والإعادة سواء في قدرة الله تعالى.

٢٠- ومن آيات الله تعالى الدالة على قدرته وعلى البعث: أن خلق أصلكم آدم من تراب، ثم بعد التناسل من آدم والصبورة بشراً من دم ولحم تتوزعون في الأرض، تبتغون من فضل الله تعالى.

٢١- ومن آياته تعالى أيضاً الدالة على البعث: أن خلق لكم أزواجاً من جنسكم في البشرية والإنسانية لتحققوا السكن والطمانية والأنس، وجعل بين الزوجين محبة وشفقة، إن في ذلك المذكور آيات دالة على قدرة الله تعالى، لقوم يفكرون في صنع الله تعالى وتدييره، وقدرته وحكمته.

٢٢- ومن دلائل قدرته إيجاد السموات والأرض، واختلاف لغاتكم ولهجاتكم، وتباين ألوانكم كالسواد والبياض، إن في ذلك لعلامات على قدرة الله لأولي العلم والبصيرة.

٢٣- ومن آياته تعالى، أي دلائل قدرته: نومكم بالليل للراحة، وابتغواكم (طلبكم) الرزق أو المعاش في النهار، إن في ذلك لدلائل واضحة على البعث، لقوم يسمعون المواعظ سماع تأمل وتفكر.

٢٤- ومن دلائل قدرته: أنه تعالى يريكم البرق (وهو شرارة كهربائية بسبب احتكاك السحب) خوفاً من الصواعق، وطمعاً في الغيث، وينزل من جهة السماء من السحاب مطراً، فيحيي الأرض من بعد جذبها، إن في ذلك لدلالات على قدرته تعالى، لقوم يفكرون في دلالته على القدرة الباهرة.

فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿١٦﴾ فَسَجَّنَ اللَّهُ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحُكْمُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعِشْيَا وَحِينَ تُظْهِرُونَ ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمَنْ أَيْتَهُ بِأَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمَنْ أَيْتَهُ بِأَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢١﴾ وَمَنْ أَيْتَهُ بِحَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنْ حِينِلَ أَسْتَكْمُ وَالْوَالِدِكُمْ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ أَيْتَهُ بِمَتَابِعِكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاءُكُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمَنْ أَيْتَهُ بِرِيحِكُمْ الْبَرْقِ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنْ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾

وَمِنَ الْبَيْتِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلِّ لَهْفَانُونَ ﴿٢٦﴾ وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾ صَرَبَ لَكُمْ مَثَلًا مِّنْ أَنْفُسِكُمْ هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِّنْ شُرَكَاءَ فِي مَا رَزَقْتُمْ فَأَنْتُمْ فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ كَذَلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٨﴾ بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَهْوَاءَ هُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ مِّنْ يَّهْدِي مَنْ أَصَلَّ اللَّهُ وَمَا لَهُمْ مِنْ نُصَيْرٍ ﴿٢٩﴾ فَأَقْرَعُوا وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فطَرَبَتِ اللَّهُ آلِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهِمَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَٰلِكَ الَّذِي يُقْبَلُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَاتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣١﴾ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴿٣٢﴾

٢٥- ومن دلائل قدرته: قيام السماء والأرض في موقعهما في الفضاء بإرادة الله وقدرته من غير أعمدة ولا ركائز، ثم إذا دعاكم الله تعالى دعوة من الأرض بالبعث والنفخ في الصور، إذا أنتم تخرجون سراعاً أحياء، من غير تباطؤ. وقيامهما: بقاءهما قائمتين على حالهما.

٢٦- والله جميع من في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وتعبداً، كل له مطيعون منقادون لفعله فيهما من إحياء وإماتة، وصحة ومرض، وبعث وحساب وغير ذلك.

٢٧- والله سبحانه هو الذي يبتدئ الخلق من العدم، ثم يعيده حياً بعد الموت للحساب والجزاء، والإعادة عليه أهون من الابتداء بحسب تصور الناس العقلاء، وأما بالنسبة لله تعالى فهما سواء، وله الصفة العليا البديعة التي لا يضارعه أحد فيها، كالقدرة العجيبة والحكمة النافذة، في السموات والأرض، وهو القوي الغالب القاهر، الحكيم في أقواله وأفعاله، وتدبير خلقه. قال عكرمة: تعجب الكفار من إحياء الله الموتى، فنزلت هذه الآية.

٢٨- جعل الله لكم أيها المشركون مثلاً متزجاً من أحوال أنفسكم، تعتبرون به، لبطان الشرك، وهو هل

لكم شركاء فيما تملكون من الرقيق والأموال وغيرها، فتكونون أنتم وشركاؤكم سواء في إمكان التصرف فيه، تخافون من الاستقلال بالتصرف في المملوك، كخوفكم من الأحرار مثلكم؟ والمعنى: إذا كنتم ترفضون إشراك غيركم في ممتلكاتكم، فكيف تقبلون الإشراك لله الخالق؟ مثل ذلك التفصيل نيين الآيات والبراهين بأمثلة واضحة تقوم يتدبرون ويتعظون ﴿هل﴾ حرف استفهام للتوبيخ. قال ابن عباس: كان يلمي أهل الشرك: لبيك اللهم لبيك، لبيك لا شريك لك إلا شريكاً هو لك تملكه وما ملك، فأنزل الله هذه الآية.

٢٩- بل (حرف للانتقال من كلام لآخر) اتبع الظالمون أنفسهم بالإشراك أهواءهم بتقليد آبائهم، جهلاً منهم بأنهم على ضلالة، فلا أحد يقدر على هداية من أضله الله بسبب تماديه في الكفر والعناد، وليس لهم من أنصار يخلصونهم من الضلالة، ولا منقذ لهم من الله تعالى.

٣٠- فاقبث أيها النبي ومن تبعك على دين الإسلام، وأخلص التوجه والقصد إليه وحده، مانلاً عن كل دين آخر إلى منهج الاستقامة، واتبع الفطرة: الحالة التي خلق الله الناس عليها وهي الخضوع لإله قادر حكيم واحد لا شريك له، لا قدرة لأحد على تغيير الفطرة الإلهية من التوحيد إلى الشرك، ذلك أي لزوم الفطرة هو الدين القويم الذي لا عوج فيه، ولكن أغلب الناس ككفار مكة لا يعلمون الحق والتوحيد لعدم تدبرهم.

٣١- فأقيموا وجوهكم راجعين إليه تعالى بالتوبة وإخلاص العمل، والتزموا الأوامر واجتنبوا النواهي، وأقيموا الصلاة التامة الأركان في أوقاتها، واحذروا أن تكونوا من المشركين بالله إلهاً آخر.

٣٢- من المشركين الذين اختلفوا في عبادتهم بحسب أهوائهم، وكانوا فرقةً وأحزاباً، يشايخ بعضهم بعضاً، كل فريق بما لديهم من الدين المخترع مسروون بما لديهم يظنون أنهم على الحق.



٣٣- وإذا أصاب الناس مثل كفسار مكة ما يضرهم بسبب شدة وبلاء، دعوا ربهم لرفع الضر عنهم، راجعين إليه دون غيره، متضرعين بقلوب خاشعة، ثم إذا رحمهم وخلصهم من ذلك الضر والشدة إذا جماعة منهم مشركون بربهم، يعودون لما كانوا عليه من الشرك.

٣٤- ليصيروا كفاراً جاحدين بما أعطيناهم من النعم، فتمتعوا أيها الكفار بكفركم قليلاً، فسوف تعلمون مصير كفركم في الآخرة، وهذا تهديد ووعد.

٣٥- بل هل أنزلنا عليهم برهاناً ساطعاً وكتاباً قاطعاً يكون حجة لهم، فهو ينطق بإشراكهم بالله تعالى وجواز ما يعملون؟ وهذا على سبيل الإنكار، والمعنى: لا حجة لهم على ما هم عليه من الشرك والضلال.

٣٦- وإذا أدقنا الناس منا نعمة كرخاء وعافية، فرحوا فرح بظرب سببها، وإن يصيبهم بلاء وشدة بسبب ما جنت أنفسهم واقترفوا من السيئات، إذا هم يياسون من الرحمة الإلهية.

٣٧- أو لم يعلموا أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء بمقتضى حكمته امتحاناً واختياراً، إن في ذلك البسط والتقتير لدلائل على قدرة الله وحكمته لقوم يؤمنون بربهم، فيستدلون بها على كمال القدرة والحكمة.

٣٨- فأعط أيها المؤمن القريب حقه من صلة الرحم والبرية، وأعط المسكين المحتاج، والمسافر المنقطع عن بلده المحتاج إلى المال، من الزكاة والصدقات، ذلك الإيتاء أفضل من الإمساك لمن يريد الثواب بعمله وإخلاص النية لربه، والتقرب إلى الله تعالى، وأولئك هم الفاترون بالجنة والرضوان.

٣٩- وما أعطيتم قرضاً من مال بقصد المراباة وطلب زيادة خالية من العوض المقابل، ليزيد وينمو على حساب أموال الناس، فلا يزيد عند الله، بل يحقه الله، وما أعطيتم من زكاة للمستحقين ابتغاء مرضاة الله، فأولئك هم الذين يضاعف لهم الثواب بما أرادوه، أي هم أصحاب الأجر المضاعف.

٤٠- الله الذي خلقكم أيها الناس المؤمنون والمشركون، ثم رزقكم من الميلاد إلى الوفاة، ثم يميتكم في آخر العمر، ثم يعثكم أحياء في الآخرة للحساب والجزاء، هل (حرف استفهام يراد به التوبيخ) من شركائكم من يفعل هذه الأفعال، تنزه الله، وتقدس، وتعظم عن أن يكون له شريك.

٤١- ظهر الخلل في الأشياء كالجذب والقشط والحرق والغرق والمرض والقلق وتسلط الأعداء بسبب معاصي الناس وذنوبهم، ليدققهم جزاء بعض ما عملوا في الدنيا قبل عقاب الآخرة، ليرجعوا عما هم عليه من المعاصي ويتوبوا من الذنوب.

وَإِنَّمَسَّ النَّاسَ ضُرُّ دَعْوَا رَبِّهِمْ مُنْبِئِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا آذَانُهُمْ مِنْهُ رَحِمَةً إِذَا فَرِحَ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٧﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٨﴾ أَمْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا فَهُوَ يَسْكُرُ يَا كَا فُلَانًا يَشْرِكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا آذَنَّا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ إِذَا هُمْ يَقْضُونَ ﴿٤٠﴾ أُولَئِكَ يَرَوْنَ أَنَّ اللَّهَ يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٤١﴾ فَاتَّخَذَ الْفَرِيقَ حَقَّهُ وَالْمُسْكِينَ وَأَبْنَاءَ السَّبِيلِ ذَلِكَ خَيْرٌ لِلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَاءَ الْيَنْبُوتِ مِنْ رَبِّهَا لِيُرِيُوا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ فَلَا يَرَوْنَ عِنْدَ اللَّهِ وَمَاءَ الْيَنْبُوتِ مِنْ زَكَاةٍ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْطَعُونَ ﴿٤٣﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ مَن يَقُولُ مِن ذِكْرِكُمْ شَيْءٌ سَجَّطَهُ وَعَلَى عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٤﴾ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٥﴾

٤٢- قل أيها الرسول للمكذبين برسالتك: انتقلوا في أنحاء الأرض، وتأملوا فيما حدث فيها، لتتحققوا صدق وعيدنا، وتظروا في مصير الأمم الماضية الذين أهلكتناهم، بسبب كون أكثرهم مشركين بالله إلهاً آخر.

٤٣- فاجعل أيها النبي اتجاهك نحو الدين القويم واتباعه، وهو الإسلام، من قبل مجيء يوم القيامة الذي لا سبيل إلى رده، فلا راد له ولا مانع منه من أمر الله، يومئذ يتصدعون، أي يتفرون بعد الحساب: فريق في الجنة، وفريق في السعير.

٤٤- من كفر بالله فعليه وبال كفره: وهو النار المؤبدة، ومن آمن وعمل صالحاً ملتزماً بما أمر الله به، فلا أنفسهم يوظفون أو يهيشون منزلتهم في الجنة.

٤٥- ليجزي الله الذين آمنوا وعملوا بما أمر الله ثواباً من فضله وإحسانه، فالإثابة محض تفضل، إن الله يعاقب الكافرين ويسخط عليهم، فالغضب يستتبع العقوبة.

٤٦- ومن دلائل قدرته ووحدانيته تعالى: أن يرسل الرياح: رياح الخير والرحمة مبشرات بهطول الأمطار، وليذيقكم من رحمته الغيث والخصب والخيرات، ولتطلبوا الرزق من بعض فضل الله بالتجارة في البحر والبر، ولتشكروا نعمة الله فيها، فتوحده.

قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ
كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ ﴿٤٢﴾ فَأَمْ وَجْهَ الَّذِينَ لَقِيتُم
مِن قَبْلُ إِن لَّيَوْمَ لَأَمْرٌ لَهُم مِّنَ اللَّهِ يُعِيدُ يُصَدِّعُونَ ﴿٤٣﴾ مَن
كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُولَٰئِكَ سَبَّحْنَاهُم لِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مِّنْهُم
يُجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مَن فَضَّلْنَا لَهُ لَئِن لَّا
لُجْبُ الْكَافِرِينَ ﴿٤٤﴾ وَمِنَ النَّبِيِّ أَن يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ
وَلِيذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُخْرِجَ إِلَيْكُمُ الْبَرْقَ وَالسَّحَابَ الْمُبَشِّرَ
وَالرَّحْمَ الْمُتَشَكِّرِينَ ﴿٤٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَى قَوْمِهِم
بِحَاءٍ وَهُمْ بِالْآيَاتِ فَاتْتَمِنَّا مِنَ الَّذِينَ أُخْرِمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٦﴾ اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُحْمَلُ بِهِ السَّحَابُ
فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسْفًا لِّقَوْمٍ أَلُودٍ يُخْرَجُ
مِن خَلْقِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا إِذَا هُمْ يَسْتَبِشِرُونَ
﴿٤٧﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ أَن يَسْتَرْكَبُوا عَلَيْهِمْ مِن قَبْلِهِ لَلْيَسِيرِينَ
﴿٤٨﴾ فَأَنْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُخْرِجُ الْأَرْضَ
بَعْدَ مَوْتِهَا إِن ذَٰلِكَ لَمُنَى الْمُتَّقِينَ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٩﴾

٤٧- ولقد أرسلنا من قبلك أيها الرسول رسلاً إلى قومهم يدعونهم للتوحيد، فجاؤوهم بالمعجزات أو بالحجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم، فانتقمنا من الذين اقتصروا السيئات وتكذيب الرسل بالإهلاك والتدمير، وكان حقاً ثابتاً لازماً نصر المؤمنين على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين.

٤٨- الله الذي يحرك الرياح ويوجهها نحو هدف، فتحرك وتهبّ سحاباً، فينشره متصلاً بعضه ببعض في السماء، كيف يشاء من قلة وكثرة، ويجعله أحياناً قطعاً متفرقة، فتري المطر يخرج من وسطه، فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم يبشرون بعضهم بعضاً بالخير والخصب بالمطر الذي هو أمانة ذلك. و﴿إِذَا﴾ حرف يدل على حصول ما بعده عقب ما قبله فجأة.

٤٩- وإنهم كانوا من قبل إنزال المطر لآيسين أو يائسين من نزوله. وقوله: ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ لبيان سرعة تقلبهم من اليأس إلى الفرح، وهذا من شأن أهل الخفة والطيش، أما المؤمن فصبور لا يتعجل.

٥٠- فانظر أيها المخاطب إلى آثار الغيث من النبات والزروع والشجر والثمر، كيف يحيي الله الأرض بالنبات من بعد يسها وجدبها، إن الذي أحيا الأرض بقدرته هو محيي الموتى يوم القيامة للحساب والجزاء، والله على كل شيء قدير متمكن كثير القدرة، لا يعجزه شيء.



وَلَيْتَ أَرْسَلْنَا رِجَالًا فَأَوْهَ مَصْفَرًا أَظْلَمُوا مِنْ بَعْدِي وَيَكْفُرُونَ
 ﴿٥١﴾ فَإِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَىٰ وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ إِذَا وَلُوا
 مُدْبِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَمَا أَنْتَ بِهَادٍ الْعَمَىٰ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تَسْمِعُ
 إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ ﴿٥٣﴾ اللَّهُ الَّذِي
 خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنْ
 بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشِبْهَ تَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْقَدِيرُ
 ﴿٥٤﴾ وَيَوْمَ يَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لِيُرَاغِبَسَ
 سَاعَةَ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ ﴿٥٥﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ
 وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كَيْفِ اللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ
 الْبَعْثِ وَالْكَفَرِ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ
 لَا يُنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مُعَدِّدَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْمَعُونَ
 ﴿٥٧﴾ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ وَلَيْتَ
 جُنُودُهُمْ بِآيَاتِهِ لَيْقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ أُنزِلَ إِلَيْنَا الْكِتَابُ
 كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٥٨﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ
 وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْحَبَنَّكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾

٥١- ولئن أرسلنا رجالاً يضارة بزورهم ونياتهم،
 فراوا الزرع أو النبات مصفراً تالفاً من شدة الريح،
 لظلوا أو مكثوا من بعد ذلك يكفرون بالله ويجحدون
 نعمته. والمراد أنه لا ينفعهم التخويف لقسوة قلوبهم.
 ٥٢- فإنك أيها النبي لا تسمع موتى القلوب سماع
 تدبر وانعاط، ولا تسمع الصم دعوتك إلى الحق إذا
 انصرفوا معرضين بسرعة عن السماع والتفهم.
 والمراد: الكفار الذين أصبحوا كالموتى والصم.
 ٥٣- وما أنت بهادي العمي ومانعهم من
 ضلالتهم، وسما عنيماً لفقدهم المقصود الحقيقي من
 الإبصار، ما تسمع سماع إفهام وقبول إلا المؤمنين
 بآياتنا القرآنية، فهم متقادون خاضعون لأمرنا.
 ٥٤- الله الذي خلقكم ضعفاء- وقال: من ضعف
 حتى كان الضعف أساس تكوينكم- وسبب الضعف
 بدء التكوين من نطفة، ثم جعل من بعد ضعف
 الطفولة قوة الشباب، ثم جعل من بعد قوة ضعف
 الكبر وشيب الهرم، يخلق الله ما يشاء من الضعف
 والقوة والشباب والشيبة، وهو العليم بخلقه، القادر
 على ما يشاء.

٥٥- ويوم تقوم القيامة يحلف المجرمون ما مكثوا
 في الدنيا غير مدة زمنية قليلة، أو لحظة، مثل ذلك

الصرف عن معرفة مدة المكث، كانوا يصرفون في الدنيا عن الحق الذي هو البعث وغيره من التكلم بالحق والصدق،
 تصرفهم الشياطين عن الصواب.

٥٦- وقال أهل العلم والإيمان، وهم الملائكة أو الأنبياء: لقد مكثتم فيما كتبه الله في سابق علمه المدون في اللوح
 المحفوظ إلى يوم البعث من القبور، فهذا يوم البعث، ولكنكم كنتم لا تعلمون أنه حق واقع، للتفريط في النظر.

٥٧- فيوم القيامة لا ينفع الظالمين أنفسهم بالكفر عندهم في إنكارهم له، ولا يطلب منهم الرجوع إلى ما يرضي
 الله تعالى، من الإيمان والتوبة.

٥٨- ولقد بينا للناس في هذا القرآن الأمثلة الكثيرة التي ترشد إلى التوحيد والإيمان بالله ورسوله واليوم الآخر،
 ولئن جئت الكفار أيها النبي بمعجزة، ليقولن الكفار لفرط عنادهم وقسوة قلوبهم: ما أنتم أيها المؤمنون إلا أهل
 أباطيل، تتبعون السحر ونحوه.

٥٩- مثل ذلك الطبع على قلوب هؤلاء الجهلة بسبب معارضة الحق ومعادنته، يطبع الله على قلوب الجهال
 الذين فقدوا العلم النافع الذي يرشد إلى الحق وتجنب الباطل. والمراد: أن الله يختم على قلوب المصرين على الجهل
 والكفر والتكذيب بآيات الله تعالى.

٦٠- فاصبر أيها النبي على أذى قومك وفي سبيل دعوتك، فقد وعدك الله بالنصر، إن وعد الله بنصرك عليهم
 وإظهار دينك حق ثابت، ولا يحملنك على الخفة والطيش الذين لا يؤقنون بالله ولا يصدقون أنبياءه، فهم قوم
 ضالون.

سورة لقمان

١- ألف، لام، ميم، كافتتاح سورة البقرة، للتنبيه إلى خطورة ما يتلى ما بعدها، ولإتيان إعجاز القرآن وكونه من عند الله، بتحدي العرب للإتيان بمثله، مع أنه مكون من أحرف لغتهم التي يتفخرون بأنهم فرسان البيان فيها.

٢- هذه الآيات المذكورة في هذه السورة هي آيات القرآن المتصف بالحكمة: وهي وضع الشيء في موضعه المناسب، فهو صاحب الحكمة.

٣- الآيات هادية راحمة للذين يحسنون أعمالهم مع الله ومع الناس ومع أنفسهم.

٤- المحسنون الذين يؤدون الصلاة كاملة في أوقاتها، ويدفعون الزكاة المفروضة للمستحقين وهم على يقين بوجود الآخرة وما فيها من بعث وحساب وجزاء وغير ذلك.

٥- أولئك الموصوفون بما ذكرهم المهتدون المُسَدِّدون على نور من منهج ربهم، وأولئك هم وحدهم الفائزون في الدنيا والآخرة برضوان الله.

٦- وبعض الناس يشتري بماله لهو الحديث: وهو كل ما يلهو به الناس من الغناء والملاهي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١- يَا لَيْتَ الْكَلْبَ الْحَكِيمَ ٥ هُدًى وَرَحْمَةً لِلْحَسَنِينَ
 ٢- الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
 يُوقِنُونَ ٥ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُطَّوِّعُونَ ٥
 وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ
 وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ ٥ وَإِنَّا نَتْلُو عَلَيْكَ آيَاتِنَا
 وَلَئِنْ مُسْتَكْبِرًا كَانُوا لَيُؤْتِمِنَنَّهَا كَأَن فِي آذَانِهِمْ وَقْرًا نَبِّئْهُمْ بِعَذَابِ
 آلِيمٍ ٥ إِنَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ ٥
 خَالِدِينَ فِيهَا وَعَدَّ اللَّهُ حَقًّا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٥ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ
 بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا وَالْأُتَى فِي الْأَرْضِ رَوَايًا أَنْ نَعْبُدَكُمْ بِهِتًا
 فِيهَا مِنْ كُلِّ ذَاتٍ وَاتْرَأْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَاتَّبَعْنَاهُ مِنْهَا
 مِنْ كُلِّ نَوْجٍ كَرِيمٍ ٥ هَذَا خَلْقُ اللَّهِ فَأَرُونِي مَاذَا خَلَقَ
 الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ بَلِ الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ٥

والقصص، ليصد الناس ويضلهم عن دين الله وهو الإسلام، جهلاً بالإثم، ويتخذ سبيل الله وهو كتاب الله سخرية مهزوءاً به، أولئك لهم عذاب مذل في جهنم. والمراد: التنبيه على فساد قصد القصاصين وصرفهم الناس عن القرآن. نزلت في رجل من قريش اشترى جارية مغنية، وهو النضر بن الحارث الذي كان يرسل الجارية لتغني لكل من يريد الإسلام لصرفه عن ذلك. وقوله: ﴿ليضل﴾ مراعاة للفظ ﴿من﴾ وقوله: ﴿أولئك﴾ مراعاة للمعنى أي فريق من الناس.

٧- وإذا تقرأ على هذا القصص المفترى آيات من القرآن أعرض وأدبر متكبراً لا يعبا بها، كان لم يسمعها، كأن في أذنيه ثقلاً أو صمماً، فأخبره بعذاب بالغ الألم لا محالة يوم القيامة.

٨- إن الذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها لهم نعيم الجنات.

٩- ماكثين في الجنة على الدوام، وعد الله ذلك وعداً حقاً لا خلف فيه، وهو القوي الغالب، الحكيم في تدبيره.

١٠- أوجد السموات من غير أعمدة تبصرونها، وألقى في الأرض جبلاً ثوابت لثلاثا تضطرب وتتحرك بكم، وفرق في الأرض مختلف أنواع الدواب، وأترأنا من جهة السماء من السحاب مطراً، فأنبئتنا في الأرض من كل صنف حسن.

١١- هذا الشيء المشاهد هو خلق الله تعالى، فأروني أيها المشركون ماذا خلق الذين من غير الله من الآلهة المعبودة؟ بل الظالمون أنفسهم بالشرك بالله في متاهة ويُعد واضح عن جادة الحق والاستقامة، و﴿بل﴾ للانتقال من حال إلى حال.

١٢- ولقد أعطينا لقمان الحكمة، أي العلم وفقه الدين، فهي مجموعة فضائل تجعل صاحبها يضع كل شيء في محله، فهو عند الأكثرين ليس نبياً، وإنما كان حكيماً، ومن الحكمة: أن اشكر الله، أي الهمنته بأن اشكر؛ لأن الشكر مطلوب، ومن يشكر- والشكر: الثناء على الله تعالى وطاعته فيما أمر به، واستعمال الأعضاء فيما خلقت له من الخير- فإن نفع الشكر راجع إليه؛ لأن به دوام النعمة واستحقاق المزيد منها، ومن جحد النعمة وأنكر فضل الله عليه ولم يشكره، فإن الله غني عن شكره، مستحق للحمد من خلقه.

١٣- واذكر أيها النبي حين قال لقمان لابنه، وهو ينصحه: يا بني، لا تشرك بالله أحداً من خلقه، إن الشرك ظلم كبير؛ لأن الظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والشرك: تسوية في العبادة بين الخالق المنعم والمخلوق غير المنعم.

١٤- وأمرنا الإنسان والزمناه أن يبرّ والديه ويحسن إليهما، واقتران الشكر لهما بشكر الله دليل على أن حقوقهما عظيمة جداً، حملته أمه في بطنها بضعف فوق ضعف، وفطامه عن الرضاع في فترة عامين، مما يدل على أن أقصى مدة الرضاع

ولقد آتينا لقمان الحكمة أن اشكر لله ومن يشكر فإنما يشكر لنفسه ومن كفر فإن الله غني عن عباده ١٢ وإذ قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم ١٣ ووصينا الإنسان بوالديه حملته أمه وهنّاً على وهنّ وفصله في عامين أن اشكر لي ولوالديك إلى الأصيل ١٤ وإن جهنك على أن تشرك بي ما ليس لك به علم فلا تطعمهما وصاحبهما في الدنيا معروفاً واتبع سبيل من أتى إلى مرجعكم فأنتحكم بما كنتم تعملون ١٥ يابني إنا إن تك متفلاً حبة من خردل فتكن في صخرة أو في السموات أو في الأرض يأت بها الله إن الله لطيف خبير ١٦ يابني أو الصلاة وأمر بالعرف وأنه عن النكر وأصبر على ما أصابك إن ذلك من عزم الأمور ١٧ ولا تصبر حدك للناس ولا تمس في الأرض مرحاً إن الله لا يحب كل مختال فخور ١٨ وأصبر في مشيك وأغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ١٩

حولان، ووصيناها أن اشكر لي؛ لأنني مصدر النعم، ولوالديك لكونهما سبباً في إيجاد الولد ومعاناتهما في سبيل تربيته، إلي المرجع يوم القيامة.

١٥- وإن بذلاً الجهد، وحاولاً حمل الولد على الشرك في العبادة، ما لم يقدّم دليل على وجود شريك لله، فلا تطعمهما في تلك المحاولة؛ لأن الشرك ظلم، ولا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وصاحب الوالدين بما هو معروف من الإحسان إليهما، واتبع سبيل من رجع إلي بالتوبة والطاعة والإخلاص، ثم يكون مرجعكم جميعاً أيها الناس إلي، لا إلى غيري، فأخبركم بما عملتم من خير أو شر، فأجازي كل عامل بعمله.

١٦- يا بني إن كانت الخطيئة أو الحسنه بوزن حبة خردل أصغر الحبوب، سواء وجدت في صخرة أو في أخفى مكان وأحززه، أو في السموات أو في الأرض وأي مكان، يحضرها الله يوم القيامة، إن الله لطيف باستخراجها، خبير بمكانها.

١٧- يا بني أقم الصلاة في وقتها على الوجه الأكمل، وأمر الناس بالمعروف: وهو كل أمر حسن، وإنه عن المنكر: وهو كل أمر قبيح، واصبر على المصائب والشدائد، إن امتثال هذه الوصايا من معزومات الأمور الواجبة على الناس.

١٨- ولأعرض بوجهك عن الناس تكبراً عليهم، ولا تمس في الأرض في حال اختيال وتبختر، والمراد: النهي عن التكبر، إن الله يعاقب كل متبختر في مشيه. والاختيال: هو التكبر، والفخر: المباهاة بالمال أو الشرف أو القوة. والمرح: الفرح الشديد مع البطر.

١٩- واعتدل في مشيك، فلا تسرع كثيراً ولا تبطئ كثيراً، واخفض من صوتك إذا تكلمت مع غيرك ولا تتكلف رفعه، إن أقبح الأصوات صوت الحمير: أوله زفير وآخره شهيق.

أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَآ فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ
وَأَسْمَعَ عَلَيْكُمْ بِمَهْمَاهُ ظَهْرَهُ وَأَبْطِئَةً وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ
فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ ﴿٢٠﴾ وَإِذَا قِيلَ
لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نُبِتِّعُ مَا وَعَدَ عَلَيْنَا ءَأَسَاءَ مَا
أَوْلَوْا كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿٢١﴾ وَثَنٌ
يُسَلِّمُ وَجْهَهُ إِلَىٰ اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ
الْوُثْقَىٰ وَإِلَىٰ اللَّهِ عِصْمَةُ الْأُمُورِ ﴿٢٢﴾ وَمَنْ هُوَ إِلَّا يَجْحَدُ بِكُفْرِهِ
إِنَّمَا جَعَلَهُمْ فِتْنَةً وَمَا جَعَلُوا إِلَّا اللَّهُ عَالِمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ
﴿٢٣﴾ مُتَّبِعُهُمْ فَلَئِمَّا نَمُضُّنَّ طُرُقَهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ عِلَظٍ ﴿٢٤﴾ وَإِن
سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ
بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ
أَوْ لَبَدٍ أَوْ أُبْحُرٍ مِمَّا تُبْحَرُونَ سَبْعَةَ أَمْجُرٍ مَا نَفَعَتْ
كَلِمَتُ اللَّهِ إِنْ اللَّهُ عَزِيزٌ ذِكْرُهُ ﴿٢٧﴾ مَا خَلَقَكُمْ
وَلَا بَعَثَكُمْ إِلَّا كَلِمَةً وَاحِدَةً إِنْ اللَّهُ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾

٢٠- ألم تنظروا أيها الناس أن الله ذللكم جميع ما في السموات من الشمس والقمر والنجوم والسحب وغير ذلك مما فيه المنفعة، وما في الأرض من الثمار والزرع والأنهار والدواب والمعادن وغير ذلك، بأن مكنكم من الانتفاع به، وأتم وأوسع عليكم نعمه، الظاهرة: وهي ما يعلم بالمشاهدة كالصحة والمال والولد والجمال والخلق والطاعة، والباطنة: ما لا يعلم إلا بدليل كالمعرفة والعقل وحسن التدبير والرضا وتحصيل العلوم وحسن الاعتقاد واليقين، وبعض الناس كأهل مكة قديماً يجادل في وحدانية الله وصفاته مكابرة وعناداً، بغير دليل علمي: عقلي أو نقلي، ولا هداية من رسول، ولا كتاب ينير الطريق منزل من عند الله، بل بالتقليد.

٢١- وإذا قيل للوثنيين: اتبعوا ما أنزل الله على رسوله من القرآن، قالوا رافضين ذلك متمسكين بالتقليد في العقائد: بل إننا نتبع ما وجدنا عليه آباءنا من عبادة الأصنام، فرد الله عليهم: أيتعونهم ولو دعاهم الشيطان إلى موجبات عذاب جهنم المستعرق؟ والاستفهام للإنكار والتعجب، وجواب ﴿لو﴾ محذوف، أي لا يتبعوه.

٢٢- ومن يفرض أمره إلى الله، ويخلص عبادته له، وهو محسن في أعماله، متقن لها، فقد تعلق بأوثق وأمتن ما يتوثق به من مستمسكات الخيل وعراه، أي بالعهد الأوثق الموصل إلى رضوان الله، وإلى الله وحده مصير الأمور، لا لأحد سواه.

٢٣- ومن كفر فلا يضرك كفره في الدنيا والآخرة، إلى الله مصيرهم يوم القيامة، فنخبرهم بما عملوا، ونجازهم بأعمالهم بالإهلاك والتعذيب، إن الله عليم بما تضره القلوب، لا تخفى عليه خافية.

٢٤- تركهم في الدنيا مدة قليلة يتمتعون بها؛ لأن الزائل قليل جداً بالنسبة للثبات، ثم نلجئهم إلى عذاب النار الشديد الثقيل.

٢٥- ولئن سألتهم أيها الرسول عن خالق السموات والأرض ليقولن معترفين: إن الله هو خالقهما، قل أيها النبي: الحمد لله على اعترافكم وظهور الحقيقة، فكيف تعبدون غيره؟ بل أكثر الناس يجهلون إلزامهم بتلك الحجة.

٢٦- لله جميع ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، فلا عبادة لغيره، إن الله هو الغني عن غيره، المستحق للحمد في الأمور كلها.

٢٧- ولو صارت جميع الأشجار أفلاماً للكتابة، والبحر المحيط ومعه سبعة أبحر أخرى، كلها حبر أو مداد، فكبت بها كلمات الله المشتملة على أمره وعلمه، لنفد ماء البحر، ولم تنفذ معلومات الله، إن الله قوي غالب لا يعجزه شيء، حكيم لا يخرج شيء عن علمه وحكمته. نزلت حينما قال اليهود للرسول ﷺ: في التوراة تبيان كل شيء، فقال الرسول: هي في علم الله قليل، فأنزل الله هذه الآية.

٢٨- ما خلقكم جميعاً أيها الناس ولا بعثكم من القبور يوم القيامة إلا كخلق نفس واحدة وبعثها، إن الله يسمع كل مسموع، ويبصر كل مبصر. نزلت في جماعة من قريش أنكروا البعث.



٢٩- ألم تنظر أن الله يدخل كلاً من الليل والنهار في الآخر، فيزيد في أحدهما وينقص من الآخر، وذلك أو طوع الشمس والقمر بالطلوع والغروب، لتحديد الأجال وتحقيق المنافع، كل منهما يجري في فلكه إلى أجل محدد مقدر لنهاية السنة أو الشهر أو العمر كله، وأن الله مطلع على كل الأعمال، لا يخفى عليه شيء منها، ويجازي كل امرئ بما عمل.

٣٠- ذلك المذكور من سعة العلم وتمام القدرة وإتقان الصنع ليعلموا أن الله هو الحق الثابت في ذاته، الجدير بالعبادة، وأن ما يعبد المشركون من الأصنام والأوثان هو المعدوم في حد ذاته الزائل الباطل الألوهية، وأن الله هو العلي: المترفع على خلقه وكل شيء بالقهر، العظيم صاحب السلطان المطلق.

٣١- ألم تنظر أن السفن تسير بسرعة في البحر بلطف الله ورحمته وإحسانه ليظهر لكم ما يشاهد من آثار قدرته وعجائب صنعه، إن في المذكور من نعم الله، لعلامات وعبر لكل كثير الصبر على المشاق وعن معاصي الله، كثير الشكر لنعم الله عليه.

٣٢- وإذا علاهم وغطاهم موج كالظلال التي تظل من تحتها، من جبال وسحاب وغيرها، تضرعوا إلى الله ودعوا الله خاشعين متضرعين، فلما تجأهم إلى البر، صاروا قسمين: قسم يوفي ما عاهد الله عليه في البحر، من إخلاص الدين، وقسم خائف لا يوفي بالعهد، وما يكفر بآياتنا إلا كل غدار ناقض للعهد، جحود لنعم الله عليه.

٣٣- يا أيها الناس اتقوا ربكم بامثال أوامره واجتنب نواهيه، واحذروا يوماً هو يوم القيامة، لا يجزي أو لا يغني كل من الولد والوالد الآخر، إن وعد الله بالبعث والحساب والجزاء حق لا شك فيه، فلا تخدعنكم الحياة الدنيا بزيتها وزخارفها، فتبعدكم عن الآخرة، ولا يخدعنكم الشيطان بوساوسه، فيصرفكم عن الإيمان.

٣٤- إن الله عنده علم وقت القيامة، فلا يعلمها أحد غيره، ويتزل المطر في زمان ومكان معينين، ويعلم أوصاف الأجنة في الأرحام من صلاح وفساد وذكورة وأنوثة ونحو ذلك من غير واسطة ولا تجربة، وما تعلم نفس ما تكسب غداً (أي في المستقبل) من خير أو شر، وما تدري نفس في أي مكان من الأرض تموت، إن الله واسع العلم بكل الأمور، مطلع على كل الأشياء ظاهرها وباطنها. والكسب هنا: كل ما يحصل للإنسان مما له أو عليه، من خير أو شر. نزلت في بدوي هو الحارث بن عمرو، حينما طلب من النبي إخباره عما تلد امرأته الحامل، وعن وقت نزول الغيث، وعن وقت موته، فأنزل الله هذه الآية في مفاتيح الغيب الخمسة.

أَوَلَمْ نَأْتِ اللَّهَ يَوْجَ الْفَيْلِ فِي النَّهَارِ وَيُوجِ الْفَيْلِ فِي اللَّيْلِ وَنَسَخَ الْأَنْعَامَ وَالْقَمَرَ كُلَّ يَوْمٍ إِلَىٰ أَحْسَنِ مِثْلِهِ وَأَنَّا اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَلِكَ بَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَيُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَطْلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَوَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلْكَ يَجْرِي فِي الْبَحْرِ مَنَعَتِ اللَّهُ لِرَبِّكُمْ مِنْهُ الْيَبْتَغِي إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوْجٌ كَالظُّلُمِ اللَّيْلِ دَعَا إِلَى اللَّهِ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِمَّن مَّقْصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الْكَافِرُونَ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ وَأَحْسُوا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَارٍ عَن وَالِدِهِ وَنَسَبًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِاللَّهِ الْغُرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿٣٤﴾



سورة السجدة

فضلها: جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ يقرأ في الفجر يوم الجمعة: ﴿الم تنزيل﴾ [السجدة ١/٣٢-٢]، و﴿هل أتى على الإنسان﴾ [الإنسان ١/٧٦].

١- ألف، لام، ميم، أحرف هجائية يقال فيها ما قيل في السورة السابقة.

٢- تنزيل القرآن لا شك في تنزيهه من عند الله.

٣- بل يقول المشركون: اختلفه محمد من عند نفسه، لا من عند الله، بل إن القرآن هو الحق الثابت المنزل من عند الله، لتحذّر به قوماً ما جاءهم رسول منذر سابق قبلك يحذّره من عذاب الله إن أشركوا أو عصوا، وهم أمة العرب، وغير العرب أيضاً مدعوون للإسلام العالمي كما جاء في آيات أخرى، لأجل أن يهتدوا بإنذارك إلى الحق والإيمان فيسعدوا. و﴿أم﴾ للانتقال من الكلام السابق إلى إنكار زعمهم أن القرآن مفترى. و﴿بل﴾ إضراب عن قولهم، وإثبات أن القرآن حق.

٤- الله الذي خلق السموات والأرض وما بينهما في

سنة أوقات، الله أعلم بقدرها، ثم استوى على العرش

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- نَزِيلَ الْكِتَابِ لَأُرِيَبَ فِيهِ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١﴾
 أَمْ يَقُولُونَ أَفَلَمَّا بَدَأْنَا مِنْ دُونِكَ لُطُفًا مَا أَنزَلْنَا مِنْ نَجْمٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٢﴾ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا سَمِيْعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾
 يَدَّبَّرُوا الْقَوْلَ أَمْ رَبَّنَا الْأَرْضُ إِلَى الْأَرْضِ ثُمَّ نَعْرُجُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤﴾ ذَلِكَ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ﴿٥﴾ الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ مِنْ طِينٍ ﴿٦﴾ ثُمَّ جَعَلَ نَسْلَهُ مِنْ سُلَالَةٍ مِّنْ مَّاءٍ مَّهِينٍ ﴿٧﴾ ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُّوحِهِ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٨﴾ وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ لِمَ لَمْ يَلْقَا رَبَّهُمْ كُفْرًا ﴿٩﴾ قُلْ يَتَوَكَّلْ عَلَىٰ مَلِكِ الْمَوْتِ الَّذِي وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾

أعظم المخلوقات استواء يليق بجلاله، دون حصر ولا كيف ولا تحديد بجهة معينة، ليس لكم من غير الله من ناصر ينصركم، وشافع يشفع لكم للنجاة من العذاب، أفلا تتذكرون بمواعظ الله فتؤمنوا؟!

٥- يدبّر أمور خلقه من السماء إلى الأرض، وينظّم الشؤون والأحوال الواقعة، ثم يصعد ويرجع إليه يوم القيامة ذلك الأمر والتدبير ويثبت في علمه، في يوم كان مقداره ألف سنة مما تعدون في الدنيا. واليوم هنا: مدة من الزمان الله أعلم بها، واليوم عند الله في الدنيا كأنه سنة بحساب أهلها، أما يوم الآخرة فمقداره خمسون ألف سنة.

٦- ذلك الخالق المدبر هو عالم كل ما غاب عن الخلق، وما حضر وشوهد من المحسوسات، القوي القاهر الذي لا يغلب ولا يعجزه شيء، الواسع الرحمة بعباده.

٧- الذي أحكم وأتقن خلق كل شيء من مخلوقاته، وبدأ خلق آدم أبي البشر من طين، أي تراب.

٨- ثم جعل ذريته من المادة التي تكونت منها النطفة التي تنسل من الإنسان، من ماء ممتن ضعيف.

٩- ثم أمّ تسويته وتقويمه حتى صار بشراً سوياً، ونفخ فيه من روحه. أضاف ذلك إلى نفسه تكريماً وتشريفاً. وأوجد لكم السمع (الإسراع) والأبصار والقلوب لتسمعوا وتبصروا وتعقلوا، ولكن تشكرون الله شكراً قليلاً على نعمه.

١٠- وقال منكمو البعث: أنذا ذهبنا وضغنا في الأرض واختلطنا بين ذرات التراب، أنبعث ونصير أحياء مرة أخرى، خلقاً جديداً، بل هم في الواقع منكمو للآخرة والحساب بين يدي الله تعالى.

١١- قل أيها النبي: سوف يتوفاكم ملك الموت: عزرائيل الذي وكل بقبض أرواحكم عند انتهاء الأجل، ثم تردون إلى

خالقكم.

١٢- ولو ترى أيها الرسول حين يقوم المشركون منكرو البعث بين يدي ربهم خافضي رؤوسهم ومطأطيها حياءً وندما عند حساب الله لهم، لرأيت عجباً، يقولون: ريتنا أبصرنا ما كذبتنا به وما وعدتنا من البعث، وسمعنا ما أنكرناه وهو الوعيد وتصديق الرسل، فارجعنا إلى الدنيا، نعمل عملاً صالحاً كما أمرتنا، إنا مصدقون بما جاء به الرسول محمد ﷺ.

١٣- ولو شئنا هداية الناس جميعاً لهدينا كل نفس، ولكن ثبت قضائي وسبق لأملان جهنم من الجن والإنس أجمعين بسبب اختيارهم الضلال.

١٤- فذوقوا العذاب بسبب إهمالكم وترككم ما أمرتكم به، والاستعداد للأخرة والإيمان باليوم الآخر، وذوقوا العذاب الدائم في جهنم بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الكفر أو تكذيب الرسل، والمعاصي. وكرر التهديد بالعذاب للتأكيد، وعلل العذاب بأمرين (التكذيب والمعاصي) للدلالة على أن كلا منهما يقتضي ذلك.

١٥- إنما يصدق بآياتنا القرآنية وينتفع بها الذين إذا وعظوا بها سجداً لله خاشعين، ونزهوا الله عما لا يليق به، وحمدوه على نعمه وأجلها الإيمان، وهم لا يتكبرون عن الطاعة، خاضعين لله تعالى.

١٦- تترك وتبتعد جنوبهم عن القُرش ومواضع النوم، يذعون ربهم خوفاً من سخطه وعقابه، وطمعاً في رحمته وجنته، وينفقون من رزق الله بما يجب عليهم وهو الزكاة، أو تجود نفوسهم به وهو الصدقات. نزلت في جماعة من الصحابة كانوا يصلون من المغرب إلى العشاء. وقال معاذ: هي قيام العبد أول الليل.

١٧- فلا تعلم نفس ما خبي لهم من الأجر والثواب الذي تقرُّ به أعينهم وتسراً، جوزوا جزاءً بما عملوا من الصالحات في الدنيا.

١٨- أضمن كان مؤمناً بالله ورسله كمن كان خارجاً عن الإيمان والطاعة، لا يستنون عند الله يوم القيامة، والمراد: ليس المؤمن كالفاسق، فهما متفاوتان. روي أن الوليد ابن عقبة فآخر علياً يوم بدر، فنزلت هذه الآيات.

١٩- أما الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا صالح الأعمال التي أمروا بها، فلهم عند ربهم جنات المأوى (المسكن) التي يأوون إليها لحفظهم مما يكرهون، فهي المأوى الحقيقي لدوامها، نزلنا معدة لهم عند نزولهم، كإنزال الضيوف المكرمين بسبب ما عملوا في الدنيا من عمل الخير والطاعة.

٢٠- وأما الذين كفروا بالله وكذبوا رسله، فمستقرهم ومنزلهم النار، ويقال لهم توبيخاً: ذوقوا عذاب النار الذي كذبتكم به في الدنيا. وسميت النار مأوى استهزاء بهم، كما وصف الكافر في جهنم بالعزير الكريم.

وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ نَاكَسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ رَبَّنَا
أَبْصُرْنَا وَسَمِعْنَا فَإِنَّمَا نَعْمَلُ بِصَلِحَاتِنَا إِنَّا مَوْقُونَ ﴿١٦﴾ وَلَوْ
شِئْنَا لَأَبْنَيْتُ كُلَّ نَفْسٍ هَدْيًا وَلَكِن حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي
لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٧﴾ فَذُوقُوا بِمَا
نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ
الْحَلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّمَا يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا الَّذِينَ
إِنذَرْتَهُمْ سَوَاءًا فَأَسْبَغُوا إِلَهُهُمْ فَذُوقُوا بِهِمْ عَذَابَ
الْأَلْبَتِ كَيْدِ الْغَائِبِينَ ﴿١٩﴾ فَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ مِنْكُمْ
سُوفَ نَجْزِي عَذَابَهُمْ فِي النَّارِ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾



٢١- ولنتزلن بهم شيئاً من العذاب الأقل شدة: وهو عذاب الدنيا من أسر وخوف وذل وبلاء ومرض ومصيبة وغيرها، قبل عذاب جهنم في الآخرة، ليرجعوا إلى الطاعة والإيمان، ويتوبوا من الشرك والعصيان.

٢٢- لا أحد أشد ظلماً لنفسه من وعظ بآيات ربه القرآنية والكونية، ثم أعرض عنها، فلم يتفكر فيها ولم يتعظ بها، إنا من المشركين متقمون بالعذاب الأليم.

٢٣- ولقد أعطينا موسى التوراة، فلا تكن أيها الرسول في شك من لقاءك الكتاب، أو من لقاء موسى الكتاب، وجعلنا كتاب التوراة هادياً ومرشداً لبني إسرائيل إلى طريق الحق والاستقامة.

٢٤- وجعلنا من بني إسرائيل قادة في الدين وهم الأنبياء يرشدون الناس ويدعونهم إلى التوحيد وعبادة الله والشرائع والأحكام، بأمرنا لهم بذلك، لما صبروا على مشاق التكاليف وبلاء الدنيا، وكانوا بآياتنا التنزيلية يصدقون بيقين، لإمعانهم النظر فيها.

٢٥- إن ربك أيها النبي هو يقضي بين المؤمنين

والكفار يوم القيامة فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، ويجازي كل فريق بما يستحق.

٢٦- أو لم يتبين لكفار مكة كثرة من أهلكتهم من الأمم الماضية الظالمة بكفرهم، كعاد وثمود ونحوهم، يسير المكيون في أسفارهم في ديارهم، فيشاهدوا آثار العذاب، إن في ذلك المذكور لدلائل على قدرتنا، أفلا يسمعون سماع تدبر واتعاظ فيؤمنوا؟! و﴿كم﴾ معناها كثيراً. والقرن من الناس: القوم المقترنون في زمن واحد.

٢٧- أو لم يعلم منكرو البعث أننا بقدرتنا نسوق الماء إلى الأرض اليابسة الجرداء التي لا نبات فيها، فنخرج به زرعاً مختلفاً، تأكل منه أنعامهم كالتبن والحب والورق، وأنفسهم كالحب والتمر، أفلا يبصرون هذا، فيعلمون قدرة الله على إحيائهم بعد موتهم؟!!

٢٨- ويقول المشركون للمؤمنين: متى يوم البعث الذي تهدوننا وتعدوننا به إن كنتم صادقين في الوعيد به؟!!

٢٩- قل لهم أيها الرسول: يوم نزول العذاب بهم يوم القيامة، لا ينفع إيمان الكفار، إن آمنوا، ولا هم يمهّلون لتوبة أو اعتذار. قال قتادة: قال الصحابة: إن لنا يوماً يوشك أن نستريح فيه وننعم، فقال المشركون: متى هذا الفتح إن كنتم صادقين، فنزلت.

٣٠- فأعرض أيها الرسول عن هؤلاء المشركين، ولا تبال بتكذيبهم، وانتظر يوم الفتح وتحقيق الوعيد بهلاكهم وهو يوم القيامة، إنهم منتظرون بك ما يريحهم منك من موت أو قتل أو غلبة عليك. وهذا قبل الأمر بقتالهم.



سُورَةُ التَّيْنَةِ
الْحَجُّ الْمَكْرُبِيُّ الْعَشِيمِيُّ

سورة الأحزاب

سميت بذلك لاشتغالها على وقائع غزوة الخندق أو الأحزاب الذين تجمعوا حول المدينة، من مشركي قريش وغطفان، بالتواطؤ مع المنافقين ويهود بني قريظة، لحرب المسلمين.

١- يا أيها النبي واطب على تقوى الله، وليتقى الله المؤمنون الذين أنت قدرتهم، ولا تطع الكفار وأهل النفاق فيما يدعونك إليه من اللين والتساهل، وترك التعرض لأهتهم بسوء، إن الله كان وما يزال عليماً بكل شيء قبل وجوده، حكيماً فيما يخلق ويدير، ويأمر وينهى. قال المفسرون: دعا المشركون رسول الله ﷺ أن يرفض ذكر آلهتهم بسوء، وأن يقول: إن لها شفاعة، فكره ذلك، ونزلت الآية.

٢- واتبع الوحي في كل أمورك وهو القرآن، إن الله مطلع على كل ما تعملون، لا يخفى عليه شيء.

٣- واعتمد على الله وفوض جميع أمورك إليه، وكفى بالله حافظاً لك ولكل متروك عليه.

٤- ما خلق الله لإنسان قلبين في صدره، وما جعل أزواجكم اللاتي تظاهرون منهن كالأمهات محرماً عليكم بقول الرجل لامرأته: أنت علي كظهر أمي، وكان هذا في

الجاهلية طلاقاً، فبين الله تعالى أن الزوجة ليست أمّاً، وما جعل الأديعاه الذين تدعونهم أو تتبنونهم أبناء لكم - والأديعاه: الأبناء بالتبني - ذلكم الظهار والتبني ليس إلا مجرد قول بالأفواه لا حقيقة له، فلا تحرم الزوجة بالظهار، ولا يثبت نسب بالتبني، والله يقول القول الحق الذي يجب اتباعه. نزلت الآية في رجل من بني فهر قال: إن في جوفي لقلبين أعقل بكل واحد منهم أفضل من عقل محمد، أو في الوليد بن المغيرة الذي كان يقول: لي قلبان أعقل في أحدهما ما لا أعقل في الآخر. ونزلت آية الظهار في خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت كما سيأتي في سورة المجادلة. ونزلت آية إبطال التبني في زيد ابن حارثة الذي كان عند الرسول ﷺ ثم اعتقه وتبناه قبل الوحي.

٥- انسبوا الأبناء لأبائهم الحقيقيين الذين هم من أصلابهم، لا للذين تبنوهم، فنسب الابن لأبيه الأصلي هو العدل حكماً، فإن لم تعلموا آباءهم فهم إخوانكم في الدين، وليس عليكم إثم فيما وقعتم فيه من خطأ سابق، ولكن يؤاخذكم فيما تعمدتم نسبتهم لغير آبائهم مع علمكم بذلك، وكان الله غفوراً لمن أخطأ، رحيماً به وبمن تاب.

٦- النبي أحق بالمؤمنين في كل أمور الدنيا والدين، وأولى بهم من أنفسهم، أخرج البخاري عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: «النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم» فأياً مؤمن ترك مالا فلتريه عصبته من كانوا، فإن ترك ديناً أو ضياعاً - عيالاً - فليأتني فانا مولاه» وأزواج النبي كأمهات المؤمنين في التحريم والتعظيم، وذوو القربات بعضهم أحق بيمرات بعض - وهي ناسخة لما كان في صدر الإسلام من التوارث بالهجرة والمالاة، أي بالمواخاة أو الخلف - فهم أولى في شريعة الله بالإرث من المؤمنين الأباة، إلا أن توصوا إلى أصدقائكم الذين تولونهم وتودونهم من المؤمنين والمهاجرين وصية - والمعروف هنا الوصية - كان ذلك الحكم وهو توارث ذوي الأرحام مكتوباً في اللوح المحفوظ، فيجب عليكم العمل به.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُطِيعُوا الْكُفْرَانَ وَالْمُنَافِقِينَ
 إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝ وَاتَّبِعُوا مَا أَوْحَى
 إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ۝ وَتَوَكَّلْ
 عَلَى اللَّهِ وَكُنْ مِنَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ سُبُلًا ۝ مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ
 قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمْ الَّتِي تَظْهَرُونَ مِنْهُنَّ
 أُمَّهَاتِكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكَ قَوْلُكُمْ
 بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ۝
 ادْعُوهُمْ لِأَسْمَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا
 أَسْمَاءَهُمْ فَاذْهَبُوا بِاللَّذِينَ وَمَوْلَايَكُمْ وَلَيْسَ
 عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُم بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ
 اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۝ الَّتِي أُولَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَالَّذِي
 أُمَّهُنَّهُنَّ وَأُولُوا الْأَنْزَاهِمَ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ
 اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ
 مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا ۝



وَاذْكُرْنَا يَا النِّبِيَّ حِينَ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ عَهْدَهُمْ
تَبْلِيغَ الرِّسَالَةِ - والميثاق: العهد المؤكد - وأخذنا العهد
منك أيها الرسول، ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى
ابن مريم، وخصصهم بالذكر لكونهم أولي العزم من
الرسل، وأخذنا منهم عهداً مؤكداً باليمين على تبليغ
الرسالة والوفاء بالمهمة.

٨ - فعلنا ذلك وأخذنا الميثاق ليسأل الله يوم القيامة
أولئك الأنبياء الصادقين في عهدهم عن صدقهم في تبليغ
الرسالة وعمما قالوه لأقوامهم، وأعد الله للكافرين
بالرسل عذاباً مؤلماً شديداً.

٩ - يا أيها المؤمنون، اذكروا نعمة الله التي أنعم بها
عليكم في وقعة الخندق سنة خمس هجرية حين جاءكم
جنود الأحزاب الكثيفة لغزو المدينة من قريش وغطفان
واليهود، فأرسلنا عليهم ريح الصبا العاصفة التي اقتلعت
خيامهم وقلبت قدورهم، وأرسلنا جنوداً لم تروها وهم
الملائكة، فقلعت الأوتاد، وقذفت الرعب في قلوبهم،
وكان الله بما تعملون من حفر الخندق وغيره بصيراً -
نزلت في وقعة الأحزاب بقيادة أبي سفيان، وكان
المنافقون يستأذنون النبي ﷺ قائلين: إن بيوتنا
عورة، فضربتهم الريح، وهم يقولون: الرحيل
الرحيل.

١٠ - حين جاءكم الأعداء من أعلى الرادي جهة الشرق، ومن أسفل الرادي جهة المغرب، وحين مالت الأبصار عن
مستوى نظرها من شدة الحيرة والدهشة، وارتفعت القلوب ووصلت الحناجر، كناية عن شدة الفزع والرعب والجبن،
وتظنون مختلف الظنون من نصر، ويأس من النجاة، وشك بوعد الله تعالى.

١١ - هنالك في هذه المحنة اختبر المؤمنون بالشدائد من الخوف والقتال والجوع والحصار ليُعرف المؤمن من المنافق،
واضطربوا كثيراً من شدة الفزع، وكثرة العدو، وإحكام الحصار.

١٢ - واذكر أيها النبي حين يقول المنافقون، والذين في قلوبهم شك وضعف اعتقاد: ما وعدنا الله ورسوله بالنصر
والظفر إلا وعداً باطلاً لا حقيقة له أو خداعاً لا مصداقية فيه. ضرب النبي ﷺ أثناء حفر الخندق صخرة بالفأس،
فطارت منها قطعتان، فقال: إن الله وعدني ملك فارس والروم، فقال بعض المنافقين: يعدنا ملك كسرى
وقيصر، وأخذنا يخاف أن يذهب ليقضي حاجته.

١٣ - واذكر أيها النبي حين قالت طائفة من المنافقين: يا أهل المدينة، لا إقامة ولا مكان آمن لكم في هذا المعسكر حول
الخندق، فارجعوا إلى منازلكم في المدينة للنجاة، ويستأذن فريق منهم النبي بالعودة قائلين: إن بيوتنا غير حصينة، يخشى
عليها من الأعداء، فكذبهم الله بأنها حصينة، ما يريدون باستئذانهم إلا الهرب من القتال.

١٤ - ولو دخل جيش الأعداء من نواحي المدينة وجوانبها، ثم طلب من هؤلاء المنافقين الردة عن الإسلام ومحاربة
المسلمين، لفعلوها، وأسرعوا إليها، ولم يتمهلوا إلا زمناً قليلاً هو مقدار ما يستعدون.

١٥ - ولقد كان هؤلاء المنافقون المستأذنون بالعودة عاهدوا الله ورسوله بعد موقعة بدر وقبل غزوة الأحزاب ألا يفروا
ولا ينهزموا من المعركة - والأبصار: الظهور - وكان عهد الله مسؤولاً عن الوفاء به يوم القيامة، ومحاسباً عليه.

وَأَذْكُرْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ سَمْعَهُمْ وَمِنْكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ
وَمُوسَى وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا ﴿٥﴾
لِنَسْأَلَ الصَّادِقِينَ عَنْ صِدْقِهِمْ وَأَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٦﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَكُمْ جُنُودٌ
فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
بَصِيرًا ﴿٧﴾ إِذْ جَاءَهُمْ كُرْهُنَّ فَفَرَغُوا مِنْ أَسْئَلِنَا مِنْكُمْ وَإِذْ رَأَيْتَ
الْأَبْصَارَ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّلُمَاتُ ﴿٨﴾
هَذَا كَأَنَّكَ تَمْلِكُ الْمُنْفِقِينَ وَإِذْ لَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ لَا أَسْذِيبُكَ ﴿٩﴾
وَأَذْذِبُوكُمُ الْمُنْفِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ وَعَدَدْنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ
الْأَعْرُوبَ ﴿١٠﴾ وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مَقَامَ
لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ
بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴿١١﴾ وَلَوْ
دَخَلَتْ عَلَيْهِمْ مِنَ آفَاطِرِهَا نَمٌّ مَسَّلَوا لَفَنَسَتْ لِأَنفُسِهَا وَمَا
لَتَّبِعُوا بِهَا الْآيَةَ ﴿١٢﴾ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهِدُوا لَ اللَّهِ مِنَ
قَبْلِ لَا يُؤْلَوْنَ الْآذِينَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا ﴿١٣﴾

١٦- قل لهم أيها النبي: لن يتفعمكم الفرار حين هربتم من التعرض للموت أو القتل، وإذا فررتم لا تمتعون في الدنيا بعد فراركم إلا زمناً قليلاً هو مقدار الأجل أو العمر.

١٧- قل لهم أيها الرسول: من الذي يمنعكم أو يجبركم من الله إن أراد بكم هلاكاً وهزيمة، أو أراد بكم خيراً من نصر أو خصب أو سلامة وعافية، ولا يجدون من غير الله موالياً يتفعمهم، وناصرأ يتصرهم ويدفع الضر عنهم.

١٨- قد: للتحقيق، يعلم الله المشبطين همم غيرهم عن القتال في سبيل الله، وهم المنافقون، والقائلين لإخوانهم المجاهدين من سكان المدينة: تعالوا وأقبلوا إلينا لما نحن فيه من الحياة الوادعة الهائنة، وارتكوا الجهاد، فإننا نخاف عليكم من الموت، وإن أبا سفيان والأحزاب سيغلبون محمداً وأصحابه، ولا يأتون الحرب إلا إتياناً أو زماناً قليلاً، رياء وسمعة، بسبب الخوف من الموت.

١٩- بخلاء عليكم بالمساعدة في حفر الخندق والإنفاق في سبيل الله، فإذا جاء الخوف بسبب هجوم العدو، رأيتهم أيها النبي ينظرون إليك نظرة ارتباك وجبن، تدور أعينهم يمينا وشمالاً، كالجبان

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُعْمَوْنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٦﴾ قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَمْرًا بِكُمْ رَحْمَةً وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿١٧﴾ قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْعَوْفِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٨﴾ أَشْجَةٌ عَلَيْكُمْ إِذَا جَاءَ الْخَوْفُ وَأَنْتُمْ نَظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكَ غَائِبٌ عَنِ الْمَوْتِ فَإِذَا ذُكِرْتُمْ سَلَفْتُمْ بِالنِّسْبَةِ جِدَارِ أَشْجَةٍ عَلَى الْخَيْرِ أَوْ لِيكَ لَنْ يُؤْمِنُوا فَأَحْبَبْتُ اللَّهُ أَعْلَمُ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٩﴾ يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَوِ يَدْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابَ يَوَدُّوا لَوِ أَنَّهُمْ كَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْتَلُونَ عَنْ آيَاتِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا ﴿٢٠﴾ لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَذِكْرًا ﴿٢١﴾ وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا ﴿٢٢﴾

عند المخاوف، وكنظر المحتضر الذي نزل به الموت يرفع جفنه ثم يطبقه، فإذا زالت حالة الخوف أدوكم بالكلام بالسنة سليطة قاطعة كالحديد، يطلبون الغنيمة، يشاؤون المسلمين عند قسمة الغنيمة، أولئك لم يؤمنوا أصلاً، بل هم منافقون، فأبطل الله ثمره أعمالهم كالجهاد، لأنه لم يكن بعد إيمان، وكان ذلك الإحباط أو الإبطال يسيراً على الله وإرادته.

٢٠- يظن هؤلاء المنافقون لشدة خوفهم وجبنهم أن أحزاب الكفار الذين حاصروا المدينة باقون في معسكرهم لم يغادروا مواقعهم إلى مكة ولم ينهزموا لخوفهم منهم، وإن يأت الأحزاب كرة أخرى، يتمنوا أن يكونوا في بادية الأعراب غير المدينة، والبادي: ساكن البادية، و﴿لو﴾ حرف يدل على أن ما بعده مؤول بمصدر، أي يتمنوا إقامتهم في البادية، والأعراب: سكان البادية. يسألون عن أخباركم انتظاراً لهلاككم، لكراهيتهم لكم، وخوفهم من الأعداء، ولو كانوا هذه الكرة معكم في المدينة، ما قاتلوا معكم إلا قتالاً ظاهرياً قليلاً، رياء وخوفاً من التعيير.

٢١- لقد كان لكم في مواقف رسول الله البطولية وتضحياته وصبره في القتال قدوة صالحة، يتأسى به، لمن كان يطمع في رضوان الله وجته ورحمته يوم القيامة، وذكر الله ذكراً كثيراً في حال الخوف والأمن، والحرب والسلام.

٢٢- ولما شاهد المؤمنون كثرة جموع الأحزاب التي تحاصر المدينة قالوا مستبشرين: هذا ما وعدنا الله ورسوله من تحقق النصر أو الشهادة، والابتلاء والصبر على الشدائد حتى النصر، وصدق الله ورسوله في الوعد والابتلاء، وظهر صدق الخبر، وما زادهم حصار المدينة إلا ثباتاً على الإيمان، وتسليماً لأمر الله وقضائه.

مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَن
فَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَن يَنْظُرُ وَمَا بَدَلُوا تَبْدِيلًا ﴿٣٣﴾ لِيَجْزِيَ
اللَّهُ الصَّادِقِينَ صِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ
يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٣٤﴾ وَرَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَيْثِهِمْ لَدُنَّا أَوْ خِيَرًا وَكَفَىٰ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ
الْفِتْنَالِ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيمًا ﴿٣٥﴾ وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوا مِنْهُمْ
مِنَ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيِّبِهِمْ وَقَدْ فِي قُلُوبِهِم رُغْبٌ
رَبِيبًا يُنْقِضُونَ وَأَسْرُونَ ﴿٣٦﴾ وَأَوْزَعَكُمْ أَنْضَمَّ وَدِيرَهُمْ
وَأَمْرًا لَّهُمْ وَأَرْضًا لِرُغْبِهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ
شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٣٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ قُلُوا لِرُؤُوسِكُمْ إِن كُنْتُمْ
تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّهَا فَمَا لِيْنَ آمَنْتُمْ وَأَسْرَمْتُمْ
سِرًّا حَاجِلًا ﴿٣٨﴾ وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَالدَّارَ الْآخِرَةَ فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْغَافِلِينَ مِنْكُمْ آعْرَافًا عَظِيمًا ﴿٣٩﴾
يَلْبَسَاءَ النَّبِيِّ مِنْ بَاتٍ مِنْكُمْ بِفِيْحَةٍ مُّبِينَةٍ يُضَعِّفُ
لَهَا الْعَذَابَ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ عَلَيْكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا ﴿٤٠﴾

٢٣- هناك رجال من المؤمنين وقوا ما عاهدوا الله
ورسوله عليه ليلة العقبة من الثبات في قتال
الأعداء، فمنهم من استشهد في سبيل الله، ومنهم
من ينتظر الشهادة، كعثمان وطلحة، وما بدلوا
العهد ولا غيره تبديلاً، كما بدله المنافقون. نزلت
في أنس بن النضر الذي غاب عن بدر، فعاهد
الله على القتال في مشهد آخر، فشهد يوم
أحد، فوجد في جسده بضع وثمانون من بين
ضربة وطعنة ورمية.

٢٤- ليشب الله صادقي الإيمان بسبب صدقهم،
ويعذب المنافقين (الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا
الكفر) إن شاء تعذيبهم إن استمروا على النفاق،
أو يتوب (يقبل توبتهم) عليهم إن شاء وتابوا، إن
الله كان واسع المغفرة لمن تاب منهم بتوفيق الله
وترك النفاق، رحيماً بعباده المؤمنين.

٢٥- ورد الله الكفار الأحزاب عن المدينة بعد
حصار قرابة شهر، متغيظين خائنين، لم يحققوا
نصراً، وكفى الله المؤمنين مؤنة القتال، بما سلط
على الأعداء من ربح عاصفة وملائكة أشداء،
وكان الله قوياً على إيجاد ما يريد، غالباً على كل
شيء، قاهراً أعداءه.

٢٦- وأنزل الله الذين أعانوا المشركين الأحزاب على المؤمنين، وهم بنو قريظة، من حصونهم لنقضهم
العهد مع رسول الله ﷺ، وألقى الخوف الشديد في قلوبهم، تقتلون فريقاً وهم الرجال المقاتلة، وتأسرون
فريقاً وهم الذراري، أي النساء والأطفال.

٢٧- وأورثكم أرضهم وديارهم (العقارات) وأموالهم المنقولة كالحلي والأثاث والمواشي والسلاح
والتقود، وأرضاً لم تطأها أقدامكم وهي خبير بعد قريظة، وكان الله وما يزال تام القدرة على كل شيء.

٢٨- يا أيها النبي قل لزوجاتك التسع اللاتي طلن منك رفاهية العيش بزيادة النفقة: إن كنتن تردن سعة
العيش في الحياة الدنيا وزخارفها ونضارتها، فتعالين أعطكن المتعة: وهي متعة الطلاق، وهي مال يعطى
للمطلقة، وأطلقكن من غير ضرار أو خصام. نزلت حينما سألت زوجات النبي ﷺ ثياب الزينة وزيادة، فبدأ
بعائشة، فخيرها، فاخترت الله ورسوله، ثم اختارت الباقيات اختيارها، فشكر الله لهن ذلك، وأنزل: ﴿لَا
يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ﴾ [الأحزاب ٣٣/٥٢]. قالت عائشة: «خيرنا رسول الله ﷺ فاخترناه، فلم يعده
طلاقاً».

٢٩- وإن كنتن تؤثرن ما عند الله ورسوله من فضل وإحسان، وثواب الآخرة، فإن الله أعد للمحسنات
منكن ثواباً عظيماً على الصبر والقناعة.

٣٠- يا نساء النبي من يأت منكن بفاحشة أو معصية ظاهرة كالنشوز، يضاعف لها العذاب في الآخرة مثلي
عذاب غيرهن؛ لأن الذنب منهن أقيح لعلو مكانتهن وتشجيع الغير على العصيان، كما أن ثوابهن مرتان،
وكان ذلك التضعيف يسيراً سهلاً على الله تعالى.

وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ وَصَلَ صَلَائِمًا مُبِينًا ﴿٣٦﴾ وَإِذْ يَقُولُ لِلَّذِي أُنْفَخَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفَى فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرَ زَوْجَهَا لِمَا كُنَّ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجًا فِي أَرْبَاعِ أَعْيَانِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَعْتُودًا ﴿٣٧﴾ مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فَمَا أَقْرَبَهُ اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ قَدَرًا مَقْدُورًا ﴿٣٨﴾ الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَانَ بِاللَّهِ حَسِيبًا ﴿٣٩﴾ مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ وَلَكِنْ رَسُولَ اللَّهِ وَحَاتَمَ النَّبِيِّينَ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٤٠﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَخِّمُوا بِرُحْمَةٍ وَأَصْبِلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ﴿٤٣﴾

٣٦- ما يصح لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمراً - وذكر الله لتعظيم أمر النبي والإشعار بأن قضاء قضاء الله - أن يكون لهم حق الاختيار في القبول والرفض، وإنما يلزمهم تنفيذ الأمر، ومن يعص الله ورسوله فيما أمر به، فقد انحرف وحاد عن طريق الحق والصواب والهداية انحرافاً واضحاً. خطب النبي ﷺ زينب بنت جحش لزيد بن حارثة الذي تبناه بعد أن اعتقه، فابت ذلك، وقالت: أنا خير منه حسباً، فأنزل الله هذه الآية، فاستجابت لأمر النبي ﷺ وقبلت الزواج بزيد. فالحكم وإن كان عاماً إلا أن المراد به زينب وزيد.

٣٧- واذكر أيها النبي حين تقول لزيد بن حارثة الذي أنعم الله عليه بالإسلام، وأنعمت عليه بالإعتاق من الرق وحسن التربية: أمسك زوجتك زينب عندك، واتق الله في أمر طلاقها، وتخفي في نفسك ما الله مظهره وهو أمر الله بزواجك منها بعد طلاقها من زيد، وانقضاء عدتها، وتخاف من تعبير الناس أن يقولوا: تزوج محمد مطلقاً متبناه، والله وحده أحق أن تخشاه في كل حال وتستحجي منه، فلما قضى زيد بن حارثة من زوجته زينب حاجته منها بعد زواجها والدخول بها، وأصبح لا يريد، لشدها في معاملته، جعلناها لك زوجة، حتى لا يكون إثم على المؤمنين في التزوج بزوجات آبائهم بالتبني قبل تحريم التبني، إذا انتهت حاجتهم منهن بعد الطلاق وانقضاء العدة، وكان مقضي الله نافذاً حاصلًا لا محالة، قال أنس: نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

٣٨- ليس على النبي من إثم فيما أحل الله له من نكاح مطلق متبناه، سن الله ذلك سنة كالتسنة أو الطريقة في معاملة الأمم الماضية والأنبياء الذين مضوا قبله في رفع الحرج عنهم فيما أحل لهم من أمر الزواج وغيره، وكان مقضي الله حكماً مقطوعاً به. ويطلق القدر على الإرادة الأزلية، وذكر كلمة «مقدوراً» بعده للتأكيد.

٣٩- الأنبياء الذين مضوا الذين يبلغون رسالات الله إلى الناس، ويخافونه ولا يخافون أحداً إلا الله، وكذلك أنت يا محمد لا تبال في تبليغ أحكام الله وشرائعه، وكفى بالله محاسباً لهم حافظاً لأعمالهم، فيلزم الأيخشي إلا منه.

٤٠- ليس محمد بأب حقيقي لأحد من رجالكم، وليس هو بأب فعلي لزيد بن حارثة، حتى تحرم عليه زوجته، وأما أولاده الذكور الأربعة (إبراهيم والقاسم والطيب والمطهر) فلم يعيشوا حتى عهد الرجولة، ولكن كان رسول الله وآخرو الأنبياء، وكان الله واسع العلم بمن يليق ختم النبوة به، فلا نبي بعده. قالت عائشة: لما تزوج النبي ﷺ زينب قالوا: تزوج حليمة ابنة، فأنزل الله الآية.

٤١- يا أيها المؤمنون اذكروا الله بالقلب واللسان ذكراً في أغلب الأوقات، ونزهوا الله عما لا يليق به أول النهار وآخره.

٤٢- ٤١، ٤٢- يا أيها المؤمنون اذكروا الله بالقلب واللسان ذكراً في أغلب الأوقات، ونزهوا الله عما لا يليق به أول النهار وآخره.

٤٣- هو الذي يصلي عليكم بالرحمة، وملائكته بالاستغفار ليخرجكم من ظلمات الكفر والعصيان إلى نور الطاعة والإيمان، وكان سبحانه رحيماً بالمؤمنين، يقبل القليل ويعفو عن الكثير. قال أبو بكر لما نزلت آية الصلاة على النبي: ما أعطاك الله تعالى من خير إلا أشركتنا فيه، فنزلت الآية.

٤٤- تحية الله للمؤمنين يوم لقائه في الآخرة عند دخول الجنة بلسان الملائكة هي السلام من كل مكروه، وهيا لهم ثواباً عظيماً وهو الجنة.

٤٥- يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً على من أرسلت لهم بالتصديق والتكذيب، ومبشراً من صدقك وأطاعك بالجنة، ومنذراً ومحذراً من كذبك وعصاك بالنار.

٤٦- وداعياً إلى عبادة الله وحده وإخلاص الطاعة له بأمره وتيسيره، وكالسراج الوضاء الذي يستضاء به وهو الشمس، لإزالة ظلمة الكفر والضلال.

٤٧- وبشر أيها النبي المؤمنين الصادقين بأن لهم من الله ثواباً عظيماً على أعمالهم في الجنة. نزلت لما أنزل الله ﴿ ليغفر لك الله... ﴾ [الفتح ٤٨ / ٢] وأنزل ﴿ ليدخل المؤمنين... ﴾ [الفتح ٤٨ / ٥].

٤٨- ولا تطع أيها النبي الكافرين والمنافقين فيما يخالف شريعتك، وأعرض عن أذاهم والإضرار بهم، ولا تبال بهم، وفوض أمرك إلى الله، وكفى بالله مفوضاً إليه الأمر كله. أكد الله تعالى بهذه الآية ما جاء في مطلع هذه السورة لصرف النبي ﷺ عن المبالاة بأقوال المرجفين، ولصون الشريعة من الاختلاط.

تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا ﴿٤٤﴾ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَإِعْيَا إِلَى اللَّهِ بِأَذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ لَهُمْ مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ﴿٤٧﴾ وَلَا تَطِيعِ الْكٰفِرِينَ وَالْمُنٰفِقِينَ وَدَعْ أَذُنَهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وِكِيلًا ﴿٤٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَقْتُمُوهُنَّ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَمْسُوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عَدْوٍ تَعْتَدُوهُنَّ فَتَبْغُوهُنَّ وَسَرَخُوهُنَّ سِرًّا حَيْثُمَا أَهَلَّكُنَّ لَكَ أَوْ وَجَّعَ إِلَيْكَ آيَاتُ الْحُرْمِ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ بِمَا آفَأَ اللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمَّتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ الَّتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَأُمَّرَةَ الْمُؤْمِنَةِ إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَسْتَنْكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْتُمْ عَلَيْهِمْ فِي أَرْوَاحِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٤٩﴾

٤٩- يا أيها المؤمنون إذا عقدتم الزواج على المؤمنات، ثم طلقتموهن من قبل الدخول بهن (الجماع) أو الخلوة الصحيحة في رأي جماعة من الفقهاء (الحنفية والمالكية) فليس لكم عدة على المرأة تحصون عددها. والعدة: الشيء الملعود. ولهن الزواج بعد الطلاق مباشرة، فأعطوهن متعة الطلاق جبراً للخاطر، وهي سنة للمفروض لها المهر، وواجب لمن لم يفرض لها المهر، وخلقوا سبيلهن من غير إضرار بهن ولا إيذاء. فالسراح الجميل: هو الذي لا إيذاء معه.

٥٠- عدد الله أنواع النساء اللاتي يجوز للنبي ﷺ الزواج بهن، إنا أبنا لك زوجاتك اللاتي أعطيت مهورهن، والإماء المملوكات المأخوذات من الغنائم التي أعطاك الله من سبي الكفار، وبنات العم، وبنات العلمات، وبنات الخال، وبنات الخالات اللاتي هاجرن معك من مكة إلى المدينة، دون من لم يهاجرن، وأحللنا لك المرأة الواهبة نفسها للنبي بلا مهر إن رغب النبي في زواجها، خصوصية لك لشرف النبوة وللتكريم دون غيرك من المؤمنين، فلا يجوز لهم الزواج من غير مهر، قد علمنا ما فرضنا من الأحكام على المؤمنين في زوجاتهم بالأل يزيدوا على أربع نسوة، ووجوب المهر والقسم بين الزوجات، والزواج بولي وشاهدين، وفي الزواج أو التسري بالإماء المملوكات بأن تكون الأمة مسلمة أو كتابية، لا وثنية ولا مجوسية، وأن تستبرأ بحيضة قبل الوطء، والعجز عن صدق الحرة، وخوف الوقوع في الزنى في حال الزواج، وسعنا عليك في التحليل، لكيلا يكون عليك أيها النبي ضيق ومشقة في الإبقاء على الزوجات التسع دون ما عداهن، وفي رفع الحرج عن نكاح بعض النساء، وكان الله غفوراً فيما يعسر التحرز عنه، رحيماً بالتوسعة في مظان الحرج. قالت أم هانئ بنت أبي طالب: خطبني رسول الله ﷺ فاعتذرت إليه، فعذرني، فأنزل الله: ﴿ إنا أحللنا لك... ﴾.

﴿ تَرْجِي مِنْ نِسَاءِ مَنْهَنْ وَتُحَوِّي إِلَيْكَ مِنْ نِسَاءِ مَنْ أَبْتَغَيْتَ مِنْ عَمْرِكَ فَالْإِحْسَاحُ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ تَقْرَأَ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا جَرْحَ وَلَا رِيصِينَ بِمَاءِ الْيَدَيْنِ كَأَنَّ لَهِنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا ﴾ ﴿٥١﴾ لِأَجْلِ لِكَ النِّسَاءِ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بَيْنَ مِنْ زَوْجٍ وَلَوْ أَحْبَبْتَ حُسْنَهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَاقِبًا ﴿٥٢﴾ بَنَاتِهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بِيُوتِ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرٍ نَبْظِيرٍ مِنْ إِبْنِهِ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْسَبُوا وَلَا مُسْتَنْسِبِينَ لِجَدِيثِ إِنْ ذَلِكَ لَكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَعْيِبُ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَعْيِبُ مِنْ نِسْوَةٍ إِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تُنْكِرُوا زَوْجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنْ ذَلِكَ كُنْ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿٥٣﴾ إِنْ بُدُوْا شَيْئًا أَوْ حَفُوْهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٥٤﴾

٥١ - كان القسم بين الزوجات واجبا على النبي ﷺ، ثم رخص الله له، فرفع عنه الإيجاب، وخيره في هذه الآية، فلك أن تؤخر من نساء أيها الرسول من أزواجك من ليلة محددة إلى أخرى، وتضم إليك من نساء بتقدمها على غيرها، فكان يسوي في القسم بين من أوهن، ويقسم لمن أرجأها ما شاء، ومن طلبت وقربت عن تجنبت وأبعدتها عن ليلتها، فأردت أن تضمها إليك، فلا إثم عليك في ذلك، وهذا التخيير في صحبتهن أقرب إلى سرورهن واطمئنانهن وارتياجهن، وعدم حزن من ترجئها بإيثارك بعضهن دون بعض، ويرضين بما أعطيتهن كلهن من تقريب وإرجاء، وعزل وإيواء، والله يعلم ما في قلوبكم من الميل لبعض النساء دون بعض، من غير اختيار، فاجتهدوا في الإحسان، وكان الله عليماً بخلقه وبأسرارهم، حليماً لا يعاجل بالعقوبة. قالت عائشة: أما تستحي المرأة أن تهب نفسها !! فأنزل الله: ﴿ تَرْجِي مِنْ نِسَاءِ ﴾ فقالت: أرى ربك يسارع لك في هوك.

٥٢ - لا يحل لك أيها النبي التزوج بالنساء من بعد التسع التي اخترتك، وهو في حقه كالأربع في حقنا، ولا أن تبدل بهن من زوجات، بطلاق بعضهن أو

كلهن، ثم تزوج بأخريات، ولو أعجبك حسن الزوجات الأخريات، وهذا تضيق عليه ﷺ ما هو واسع على أمته. إلا ما ملكت يمينك من الإماء مما نساء، فتحل لك دون تحديد ولا تقييد، وقد ملك النبي بعدهن مارية القبطية التي أهداها له المقوقس، فسرى بها، وولدت له إبراهيم، ثم مات رضيعاً، وكان الله على كل شيء رقيباً مطلعاً. و ﴿ من أزواج ﴾ حرف ﴿ من ﴾ يدل على عموم نفي ما بعده. قال عكرمة: لما خير رسول الله ﷺ أزواجه اخترن الله ورسوله، فأنزل الله: ﴿ لا يحل لك ﴾ .

٥٣ - يا أيها المؤمنون لا تدخلوا بيوت النبي إلا أن يؤذن لكم بأن تدعوا إلى طعام غير منتظرين نضجه وإدراكه، ولكن إذا دعيتم وأذن لكم فادخلوا، فإذا طعمتم فانصرفوا وتفرقوا، ولا تجلسوا بعد تناول الطعام مدة طويلة للاستئناس بالحديث، إن ذلك المذكور من أحوال الدخول من غير إذن والاستئناس للحديث، كان يؤذي النبي ويضايقه لتضييق المنزل عليه وعلى أهله، فيستحيي من إخراجكم، والله لا يترك بيان ما هو الحق، وإذا طلبتم من إحدى زوجات النبي عارية أو شيئاً محتاجاً إليه، فاسألوهن المتاع من وراء ساتر، ذلكم السؤال من وراء حجاب أظهر لقلوبكم وقلوبهن من الخواطر ووساوس الشيطان، وما صح وما جاز لكم أن تؤذوا رسول الله بقول أو عمل، ولا يحل لكم أن تزوجوا زوجاته من بعد وفاته، إن ذلكم الإيذاء كان عند الله ذنباً عظيماً. نزلت بسبب دعوة النبي ﷺ صحابته إلى طعام عند زواجه بزَيْنَب بنت جحش، ثم طعموا، وجلسوا يتحدثون، وقام النبي والصحابة وبقي ثلاثة، ثم أخبره أنس بخروجهم، فعاد، وألقى الحجاب بين أنس وبين نسائه.

٥٤ - إن تظهروا شيئاً مما يؤذي النبي أو تخفوه في أنفسكم، فإن الله واسع العلم بكل شيء، وسيجازيكم عليه. نزلت كما قيل لما قال بعض الصحابة: إن مات رسول الله ﷺ تزوجت فلانة من زوجاته.

٥٥ - لا إثم على نساء النبي وغيرهن في ترك الحجاب أمام آبائهن وأبنائهن وإخوانهن وأبناء الإخوة، وأبناء الأخوات، وأمام النساء المؤمنات دون الكافرات، وأمام الرقيق ذكوراً وإناثاً للدوام وجودهم في البيت للخدمة، واتفقن الله يا نساء النبي بال التزام حدوده، إن الله شاهد على كل شيء، فلا تخفى عليه خافية. ورد في الصحيحين عن أنس قال: قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، إن نساءك يدخل عليهن البرّ والفاجر، فلو حجبتن، فأنزل الله آية الحجاب.

٥٦ - إن الله وملائكته يصلون على النبي محمد تعظيماً لشأنه، يا أيها المؤمنون صلوا وسلموا على النبي. والصلاة من الله: الرحمة والرضوان، ومن الملائكة: الدعاء والاستغفار، ومن المؤمنين دعاء وتعظيم، فاجتمع الثناء على النبي من أهل الأرض والسماء. أكد التسليم دون الصلاة لاستغنائها عن التأكيد بكونها يفعلها الله وملائكته.

٥٧ - إن الذين يؤذون الله بنسبة الولد والشريك له، ويؤذون رسوله بتكذيبه والظن فيه أو في رسالته، كأن يقال: تزوج امرأة ابنه أو يحل نفسه ما يحرم على أمته، وهم المشركون واليهود والنصارى، أبعدهم الله وطردهم من رحمته، في الدنيا والآخرة، وأعد لهم عذاباً شديداً ذا إهانة وإذلال. نزلت في الذين طعنوا بالنبي ﷺ

حين اتخذ صفيية بنت حبيّ زوجة له، أو بسبب قذف عائشة رضي الله عنها.

٥٨ - والذين يؤذون المؤمنين والمؤمنات بقول أو فعل بغير حق كأن يشتم المؤمن أحداً، أو يضربه أو يقتله، فقد حملوا بمسقة كذباً شنعاً. قال ابن عباس: أنزلت في عبد الله بن أبي بن مسعود قذفوا عائشة رضي الله عنها، فقال النبي ﷺ: «من يعذرنى من رجل يؤذيني، ويجمع في بيته من يؤذيني». وقال مقاتل: نزلت في علي، كان بعض المنافقين يؤذونه.

٥٩ - هذه آية الحجاب، يا أيها النبي قل لأزواجك وبناتك ونساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن: يرخين ويسدلن عليهن بعض ثيابهن التي تستر جميع البدن - والجلباب: ثوب ظاهري يستر جميع البدن - والمراد: يرخين بعض الثوب على الوجوه إلا شيئاً قليلاً كعين واحدة، ذلك إثناء الجلابيب أقرب إلى أن يميز بأنهن حرائر، لا إماء ولا بغايا، فلا يتعرض لهن فاسق بأذى، وكان الله غفوراً لما سلف منهن لترك الستر، رحيماً بعباده. قال أبو مالك: كانت نساء المؤمنين يخرجن بالليل إلى حاجاتهن، وكان المنافقون يتعرضون لهن ويؤذونهن، فنزلت هذه الآية.

٦٠ - لئن لم ينته عن إيذاء أهل الإيمان: المنافقون (الذين يظهرن الإسلام وبيطنن الكفر) والذين في قلوبهم ضعف إيمان وشك في الدين وانحراف خلقي، واليهود وغيرهم المشيعون للأكاذيب ويزعزعون عقائد الناس لتوهين جانب المسلمين، وكان الصفات كلها واحدة وهي للمنافقين، لنسلطنك عليهم بالقتل والتشريد، ثم لا يساكنوك في المدينة، إلا وقتاً قليلاً بعد نزول هذه الآية.

٦١ - مطرودين من الرحمة، أي أسروا وقتلوا أشد قتل، لغضب الله عليهم. وإنهاء خطرهم.

٦٢ - سنّ الله ذلك العقاب في الأم الماضية، ولا تغيير لسنة الله، بل هي ثابتة دائمة في أمثالهم.

لَا جُنَاحَ عَلَيْهِمْ فِيءِ آبَائِهِمْ وَلَا أَبْنَائِهِمْ وَلَا إِخْوَانِهِمْ
وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِمْ وَلَا أَبْنَاءَ أَخْوَانِهِمْ وَلَا نِسَاءَهُمْ وَلَا
مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ وَأَتَقِينَ اللَّهَ إِنْ أَنَا اللَّهُ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ
شَهِيدًا ﴿٥٥﴾ إِنْ أَنَا اللَّهُ وَمَلَكَتْهُ يَصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴿٥٦﴾ إِنْ الَّذِينَ
يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ
لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴿٥٧﴾ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ
بِعَمِّيٍّ أَوْ كَتَبَتْهُمَا فَحَمَلُوا بِهِنَّ وَإِنَّمَا مَيْدَانًا ﴿٥٨﴾
يَتَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لَأَزْوَاجِكُمْ وَبَنَاتِكُمْ وَنِسَاءَ الْمُؤْمِنِينَ
يَدِينِينَ عَلَيْهِمْ مِنْ جَلْبَابٍ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا
يُؤْذِنَنَّكُمْ وَكَرِهَ اللَّهُ عَفْوَ رَحِيمًا ﴿٥٩﴾ لَيْسَ لَكُمْ
بَيْتٌ الْمُنَافِقِينَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَالْمُرْجُونَ فِي
الْمَدِينَةِ لَعْنَةُ اللَّهِ لَعْنَةُكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُخَالِفُوا فِيهَا الْإِلَهِيًّا
﴿٦٠﴾ مَلْعُونِينَ إِنَّمَا اتَّخَفُوا لِحُذُوقِ قَلِيلٍ مَّا كَانَتْ سُنَّةَ
اللَّهِ فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجْدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٦١﴾



يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ
لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَلِدِينَ فِيهَا أَبَدًا لَا يُجِدُونَ فِيهَا وَلِيًّا وَلَا يُصِرُّوْنَ
﴿٦٥﴾ يَوْمَ تَقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ يَا لَيْتَنَا أَطَعْنَا اللَّهَ
وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٦٦﴾ وَقَالُوا زَيْنًا إِنَّا ظَنُّنَا أَنَّا وَكِبَرْنَا
فَأَصْلُنَا السَّيْلَ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَا أَنهَضْضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ
وَالْعَذَابُ لَعَنًا كَبِيرًا ﴿٦٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ
ءَادُوا مُوسَى فَبَرَّاهُ فَطَرَاهُ مِمَّا قَالُوا وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيهًا ﴿٦٩﴾
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصِغْ
لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
فَقَدْ قَارَى فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٧١﴾ إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا
الْإِنْسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ لِيُعَذِّبَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ
وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى
الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٣﴾

٦٣- يسألك أيها النبي المشركون عن وقت قيام القيامة وحصوله استهزاء، قل لهم: إنما علمها عند الله وحده، لم يطلع عليها ملكاً ولا نبياً، وما يعلمك بها يا محمد؟ أي أنت لا تعلمها، وربما توجد القيامة في وقت قريب. وفيه تهديد للمستعجلين وإسكات للمتعتنين.

٦٤- إن الله طرد الكافرين وأبعدهم من رحمته، وأعد لهم في الآخرة مع اللعن ناراً شديدة التسعير والاتقاد.

٦٥- ماكثين فيها على الدوام أبداً بلا انقطاع، لا يجدون لهم ولياً يواليهم ويحفظهم عنها، ولا ناصرأ ينصرهم ويخلصهم منها.

٦٦- يوم تتقلب وجوههم وأجسامهم في النار من جهة إلى جهة، يقولون: يا ليتنا أطعنا الله والرسول فيما أمرنا به ونهانا عنه.

٦٧- وقال الأتباع الكفرة: ربنا إننا أطعنا الرؤساء والقادة والعلماء فيما أمرونا به من الكفر والتكذيب، فأضلونا طريق الهدى والحق بما زينو لنا من الكفر بالله ورسوله.

٦٨- ربنا أنهم مثل عذابنا مرتين: عذاب الكفر وعذاب الإضلال، واطردهم طرداً شديداً من رحمتك، هو أشد اللعن وأعظمه.

٦٩- يا أيها المؤمنون لا تكونوا مع نبيكم كاليهود الذين آذوا موسى نبيهم، كقولهم: إنه آدر، أو ارتكب فاحشة، فبراه الله من التهم الباطلة، بإظهار البراهين الدالة على كذبهم، وكان موسى عند الله عظيماً ذا جاهة وقدر رفيع.

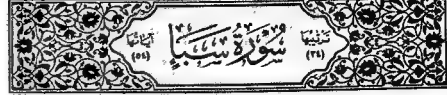
٧٠- يا أيها المؤمنون: احذروا عقاب الله بالعمل بأوامره واجتناب معاصيه، وقولوا قولاً صواباً وحقاً.

٧١- يوفقكم للأعمال الصالحة ويؤجركم عليها، ويستر لكم ذنوبكم ويكفرها عند الاستقامة، ومن يطع أوامر الله والرسول، فقد نال غاية مطلوبه، وحظي برضوان الله تعالى.

٧٢- إننا عرضنا أمانة التكليف والطاعة وحرية الاختيار والإرادة على السموات والأرض والجبال، وطلبنا إليها تحملها والحفاظ عليها، فامتنعن عن حملها، وأشفتت منه وخافت، وحملها الإنسان آدم أبو البشر مع ضعفه، وكذلك الجن، إنه كان ظلوماً لنفسه بما حملة، جهولاً به، حينما التزم بحقوق الأمانة.

٧٣- حملها الإنسان ليصير ماله ونتيجته أن يعذب الله أهل النفاق على نفاقهم وخيانتهم الأمانة، وأهل الشرك على إشراكهم بالله، ويقبل توبة أهل الإيمان الذين أطاعوا الله ورسوله، وأدوا الأمانة، وكان الله كثير المغفرة للذنوب التائبين، رحيماً بهم لأدائهم الأمانات من العبادة وغيرها.

سورة سبأ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَحْمَدُ اللَّهُ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْجُودُ فِي الْآخِرَةِ
 وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝ يَعْلَمُ مَا يَلْقَى فِي الْأَرْضِ وَمَا يُخْرِجُ مِنْهَا وَمَا
 يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝ وَقَالَ
 الَّذِينَ كَفَرُوا لَا نَأْتِنَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَلَىٰ الْغَيْبِ
 لَا يُعْرَبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْفَرُ
 مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ۝ لِيُزَيِّنَ الَّذِينَ
 ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ
 ۝ وَالَّذِينَ سَعَوْا عَلَيْنَا أَمْجِرْنَا ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ دُونِ
 الَّذِي ۝ وَيَرَى الَّذِينَ آمَنُوا وَالْعِلْمَ الَّذِي أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ
 مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝
 وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نُنَادِكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ نَبِيًّا ۝ كَفَرْتُمْ
 إِذَا مَرَفْتُمْ كُلَّ مَرْجُومٍ ۝ إِنَّكُمْ لَبُنَىٰ خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝

١- الثناء الكامل التام على الله والشكر له، الذي له جميع ما في السموات وما في الأرض خلقاً وملكاً وتصرفاً، يفعل ما يشاء، وحمده على النعم التي أنعم بها في الكون مما خلقه لعباده، وله الحمد أيضاً في الدار الآخرة بإدخال عباده المؤمنين الجنة، فهو المحمود في الآخرة والدنيا، وهو صاحب الحكمة العالية بتدبير أمور خلقه، الخبير بمصالحهم وما يصلحهم.

٢- يعلم الله كل ما يدخل في الأرض كالماء والكنوز والأموات، وما يخرج منها كالزروع والنباتات وأنواع الحيوان والمعادن المستخرجة السائلة والجمادة وماء الينابيع، وما ينزل من السماء من مطر وثلج وبرد وريزق وملائكة وكتب ومقادير، وما يصعد فيها من أعمال العباد وغيرها من الملائكة والأبخره والأدخنة، وهو الرحيم بعباده، الغفور لذنوبهم بالتوبة.

٣- وقال الكفار منكرو البعث: لا تأتينا القيامة

والبعث، قل لهم أيها النبي للرد على كلامهم: بلى قسماً بربي لتأتينكم القيامة وتجازون بأعمالكم، ربي عالم الغيب: وهو كل ما غاب عن الناس علمه، لا يغيب عنه مثقال أي مقدار وزن ذرة في السموات والأرضين، ولا أصغر من ذلك المثقال ولا أكبر منه إلا وهو مثبت محفوظ في كتاب بين واضح وهو اللوح المحفوظ.

٤- علة إتيان الساعة ليجزي بالثواب الحسن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الأعمال الصالحة التي أمروا بها، أولئك لهم مغفرة من ربهم لذنوبهم بحوها، وريزق طيب حسن لا عناء فيه في الجنة.

٥- والذين سعوا في إبطال آياتنا القرآنية، مغالين لنا، ظانين أننا لا نقدر عليهم لإحضارهم للحساب والجزاء، أولئك لهم عذاب من أشد أنواع العذاب، مؤلم أشد الإيلام.

٦- ويعلم أهل العلم بالدين السماوي وهم علماء أهل الكتاب، كعبد الله بن سلام وأصحابه أن ما أنزل إليك من ريبك وهو القرآن هو الحق الثابت الصحيح، وأنه يرشد الناس إلى دين الله وهو التوحيد، وطريق رضوان الله ذي العزة والغلبة، المحمود في جميع شؤونه.

٧- وقال بعض الكفار على جهة التعجب والسخرية: هل ندلكم على رجل، وهو محمد ﷺ، تجاهلوه كأنهم لا يعرفونه، يخبركم بأمر عجيب أنكم إذا قطعتم قطعاً صغيرة، وبلت أجسامكم، وصرتم تراباً متفرق الأجزاء، تعودون مرة أخرى وتخلقون خلقاً جديداً وتبعثون من القبور أحياء، للحساب والجزاء بعد التمزيق والتمزيق؟! وممزق: مصدر ميمي جاء على وزن اسم المفعول، والمراد كل تمزيق.

٨- قال المشركون: هل كذب على الله متعمداً بادعاء النبوة، أم به جنون؟ بل الذين يكذبون بالأخرة وينكرون البعث هم في عذاب النار، والانحراف البعيد عن الحق والصواب. والمراد: الرد عليهم من الله لإثبات ما هو أعظم من الأمرين وهو الضلال والعذاب. و ﴿بل﴾ حرف يدل على إبطال ما قبله وإثبات ما بعده.

٩- أفلم ينظروا إلى ما يحيط بهم من آيات الله في السماء والأرض، ليستدلوا بذلك على قدرتنا: إن نشأ نغيب بهم الأرض، فتبتلعهم كقارون، أو نسقط عليهم قطعاً من السماء، فهلكنهم بها، إن في ذلك المرئي لدلالة على قدرتنا على البعث لكل عبد راجع إلى ربه بالتوبة، مطيع له. والمعنى: إن فيما رأوا لدلالة على قدرة الله على البعث وغيره.

١٠- ولقد أعطينا داود منا نبوة وملكاً وكتاباً هو الزبور، وصوتاً حسناً، وقلنا: يا جبال رجعي ورددني معه التسبيح إذا تسبح، أي نزهي الله، وسحرنا الطير أيضاً أن تسبح (تنزه الله) معه، وجعلنا الحديد في يده ليتأكل المعجين، وعلمناه كيفية إلاتته من غير نار، يصنع به ما يشاء.

أَفَرَأَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ فِي الْعَذَابِ وَالضَّلَالِ الْعَبِيدِ ﴿٨﴾ أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَى مَا كُنَّ يَدِيرُهُمْ وَمَا خَلَقَهُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ شَأْنَنَا خَفِيفٌ بِهِمْ لَأَرْضٌ أَوْ نُسْقِطُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَةٌ لِكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ ﴿٩﴾ وَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِثْقَالَ حَبِّ خَلْدٍ أَجْرًا جَدِيدًا وَإِسْرَارَ السَّجْدِ وَعَمَلُوا صَالِحًا إِنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١٠﴾ وَسَلَّمْنَا إِلَيْكَ رِيحًا غَدُوكَا سَهْرًا وَرِجْحَانًا شَهْرًا وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْفِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَنْ يَرِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١١﴾ يَعْمَلُونَ لَهُمُ مَا يَشَاءُونَ مِنْ تَحْتِ رَبِّهِمْ وَعَمَّا يُبْغُونَ كَأَجْرِ الْبِرِّ وَقُدُورٍ رَأْسِيَّتٍ آمَلُوا بِآلِ دَاوُدَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّاكِرِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ الْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِن سَعَتِهِ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ الْجِنُّ أَن لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ الْغَيْبَ مَا لَبِثُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿١٣﴾

١١- ووجهناه أن اعمل دروعاً كوامل واقيات واسعات تغطي البدن كله، وهو أول من اتخذها، وقدر في النسخ بجعل الشيء على قدر الحاجة مع التناسب في الخلق، وقلنا له ولآله: اعملوا عملاً صالحاً شكراً لله، إنني مطلع على كل أعمالكم، فأجازيكم عليها.

١٢- وسخرنا لسليمان الريح، جريها بسرعة في فترة الصباح إلى الزوال مسيرة شهر، وجريها في فترة ما بعد الزوال إلى الغروب مسيرة شهر، وأذننا له عين النحاس المذاب، وسخرنا له من الجن من يعمل بين يديه بأمر ربه، ومن يعدل من الجن عن طاعته وأمرنا له بالطاعة، نذقه من عذاب النار في الآخرة، أو النار الملتهبة في الدنيا.

١٣- يعملون له ما يشاء من أبنية عالية وقصور مرتفعة. والمحراب في الأصل: مكان العبادة. وثمانيل مجسمة بصورة ما فيه روح، من نحاس أو رخام أو زجاج وغير ذلك. وكان هذا جائزاً في شريعته، وحرمة الإسلام، وصحاف تشبه حياض الإبل أو الماء الكبار، وقدور ثابتات لا تتحرك لعظمتها لطبخ الطعام، وقلنا لهم: اعملوا يا آل داود بطاعة الله، شكراً لله على ما آتاكم، وقليل من عبادي هو الشكور: العامل بطاعة الله، المؤدي شكر النعمة بقلبه ولسانه وأعضائه.

١٤- فلما حكمنا على سليمان بالموت، ما دل الجن على موته إلا الأرض: وهي التي تأكل الأخشاب ونحوها، تأكل عصاه التي كان يتكى عليها، فلما سقط على الأرض ميتاً، علمت الجن أنهم لو كانوا يعلمون الغيب، ما مكثوا وقتاً طويلاً يعملون في الأعمال الشاقة التي كلّفوا بها، لظنهم حياته.



١٥- لقد كان لقبيلة سبأ المشهورة في بلاد اليمن في مارب على بعد ثلاثة أيام من صنعاء علامة دالة على وجود الله وقدرته ووحدانيته: يستانان عن يمين واديهم وشماله، وقيل لهم: كلوا من رزق ربكم: وهو ثمار الجنتين، واشكروا الله على ما رزقكم من هذه النعم في أرض سبأ، هذه بلدة كثيرة الخيرات، وربكم رب غفور لذنوب من شكره.

١٦- فأعرضوا عن شكر هذه النعم وكفروا بالله، فأرسلنا عليهم سيل العرم الذي دمر الله به سد مارب الذي أقيم بين جبلين للتحكم في ماء المطر، فأغرق الأراضي والبساتين، وأهلك الحرث والناس، وسيل العرم: هو السيل الذي لا يطاق لقوته وشدته، وبدلتهم ببساتينهم المثمرتين بستانين صاحبي ثمر مربشع الطعم، ونوع من شجر البادية هو شجر الطرفاء الكبير الحجم، وشيء قليل من شجر التبق له ثمر يؤكل، أثلف أشجارهم الثمرة وجعل بدلها الأراك والطرفاء والسدر.

١٧- ذلك التبديل والجزاء جزاؤهم بسبب كفرانهم النعمة، وتكذيبهم الرسل، ولا يجازي بمثل ذلك إلا المبالغ في كفران النعم والرسل.

١٨- وجعلنا بين بلد سبأ وبين قرى الشام المباركة

لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكِنِهِمْ آيَةٌ جَنَّتَانِ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ الْبَلَدَ طَيِّبَةَ وَرَبُّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾ فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرْمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِ أُكْحُطٍ وَأَثَلٍ وَمَشَى مِنْ سُودٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَلِكَ جَزَاءُكُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ يُجْرَى إِلَّا الْكُفُورُ ﴿١٧﴾ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَرَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرًا فِيهَا لَيْسَالٌ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ بَيْنِنَا أَهْلَ نَجْرَانَ وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَعَلَّمَهُمُ أَحَادِيثَ وَمَزَقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَرِّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ صَدَقَ عَلَيْهِمْ إِلَهُسَ ظَنُّهُ فَاتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَوْمَئِذٍ بِالْآخِرَةِ مَنْ هُوَ مِنْهَا فِي سَكِّ وَرَبِّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيفٌ ﴿٢١﴾ قُلْ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهَا مِنْ شَرِكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ ﴿٢٢﴾

بالماء والشجر التي يسرون إليها للتجارة قرى مرتفعة متواصلة متقاربة من اليمن إلى الشام للمبيت فيها والراحة، ونظمتنا السير فيها بحيث يقبلون في بلدة ويبيتون في أخرى، فلا يحتاجون لحمل ماء وزاد، وقلنا لهم: سبروا فيها ليالي وأياما متى شئتم من ليل أو نهار، آمنين لا تخافون على أنفسكم وأموالكم.

١٩- فقالوا: ربنا باعد بين منازل أسفارنا: وهي القرى التي كانوا يتزلون فيها ظهرا ومساء، من اليمن إلى الشام، وظلموا أنفسهم بالكفر والمعاصي، فجعلناهم أحاديث لمن بعدهم، يتحدث الناس بأخبارهم، فإن الله أجابهم بتخريب القرى المتوسطة، فلا يستطيع قطع المسافة الطويلة إلا الغني صاحب الإبل القوية التي تحمل الماء، وعجز الفقير، فأنحصرت التجارة في الأغنياء، وفرقتهم في البلاد غاية التفريق، حتى ضرب بهم المثل: «تفرقوا أيدي سبأ» إن في ذلك العقاب لعبيراً ودلالات واضحات لكل عبد كثير الصبر عن المعاصي وعلى الطاعات، كثير الشكر على النعم.

٢٠- ولقد صدق ظن إبليس بهم حين أغواهم، فاتبعوه، إلا فريقاً من المؤمنين لم يتبعوه، لصدق إيمانهم.

٢١- وما كان لإبليس على هؤلاء الجاحدين من تسلط وقهر على الكفر، وإنما مجرد وسوسة وتزيين، ولكن ابتليانهم بوسوسته لظهور من يؤمن بالآخرة ومن هو شاك مرتاب فيها، وربك على كل شيء رقيب.

٢٢- قل أيها الرسول للمشركين في مكة وغيرها: نادوا الأصنام التي زعمتم أنهم آلهة من غير الله لكشف الضر عنكم أو جلب الخير لكم، والواقع أنهم لا يملكون وزن ذرة من خير أو شر في السموات والأرض، وليس لتلك الآلهة من مشاركة في الخلق والملك والتصرف، وليس لله تعالى منهم من معين يعينه على تدبير شيء من أمور المخلوقات.

وَلَا تَسْمَعُ أَسْفَعًا عِنْدَهُ. إِلَّا لِمَنْ أَدْنَىٰ لَهُ حَسْبَىٰ. وَإِن يَدْعُنِي إِلَىٰ قَوْلِهِمْ قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا الْحَقُّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿٢٣﴾
 ﴿٢٤﴾ قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ اللَّهُ وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٢٥﴾ قُلْ لَأَسْأَلَنَّكُمْ إِنِّي أَتَقَوَّلُ مَا لَمْ يَكُن لِيَ بِنِسَابِ رَبِّنَا نَفْسٌ مِّنْ قَبْلِ هَذَا وَلَئِن لَّمْ يَكُن لِّي بِنِسَابِ رَبِّنَا نَفْسٌ مِّنْ قَبْلِ هَذَا لَأَكْفُرَنَّ بِاللَّهِ لَئِن لَّمْ يَكُن لِّي بِنِسَابِ رَبِّنَا حُكْمٌ ﴿٢٦﴾ وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَئِن كُنَّا لَلنَّاسِ لَیَعْلَمُونَ ﴿٢٧﴾ وَقَالُوا لَن نَّبْعِدَٰهُ مَعَىٰ هَٰذَا الْوَعْدِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ لَكُمْ مِيعَادٌ يَوْمَ لَا تَسْتَعْتِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَنْ نُؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلِ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتَضَعِفُوا لِّلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنشَأَ لَكُمْنَا مُؤْمِنِينَ ﴿٣٠﴾

٢٣- ولا تسمع الأسفَع عند الله في أي حال إلا لمن أدنى الله له أن يشفع، كالملائكة والنبیین والعلماء، إذا كان أهلاً للشفاعة، لا للكافرين، حتى إذا كشف الفزع وهو الخوف عن قلوب الشفعاء بسبب التعرف على المستحقين، قال بعضهم لبعض: ماذا قال ربكم في الإذن بالشفاعة؟ قالوا: قال القول الحق: وهو الإذن بالشفاعة لمن ارتضى، وهم المؤمنون، وهو تعالى صاحب العلو المطلق بالقهر، والكبرياء، لا يشاركه فيهما أحد.

٢٤- قل أيها النبي للمشركين: من الذي يرزقكم من السماء بالمطر، ومن الأرض بالنبات والثمر والمعدن ونحو ذلك؟ قل: الله هو الرازق، وأنا أو إياكم أيها المشركون أي أحد الفريقين إما في حال هدى أو في ضلال واضح. ﴿أو﴾ للعطف مع الإبهام، وهذا خطاب رقيق مع الكفار لعلمهم يرجعون عن عنادهم. وهذا بعد بيان المهتدي والضال.

٢٥- قل أيها النبي لهم: لا تسألون يوم القيامة عما أذنبنا، ولا نسأل عما تعملون من كفر ومعصية. وهذا تقرير مبدأ المسؤولية الشخصية بخطاب لين لتخفيف عناد المشركين.

٢٦- قل لهم: يجمع بيننا وبينكم يوم القيامة، ثم يحكم بيننا بالحق والعدل، وهو سبحانه الحاكم العدل، العالم بكل شيء وبأحوال الحكم والقضاء.

٢٧- قل لهم: أروني الذين جعلتموهم شركاء لله في العبادة، هل يقدر على شيء؟ كلا، أي ارتدعوا أو انزجروا عن ادعاء المشاركة، فالله هو المنفرد بالألوهية، القوي القاهر الغالب، ذو الحكمة الباهرة في تدبير خلقه.

٢٨- وما أرسلناك أيها النبي إلا للناس جميعاً، العرب والعجم، مبشراً من أطاعك بالجنة، ومنذراً مخوفاً من عصاك بالنار، ولكن أكثر الناس لا يعلمون ذلك، أي ما عند الله من النفع وما لدى الرسل من خير.

٢٩- ويقول المشركون تهكمًا: متى وقت هذا الوعد الذي تعدوننا به أيها المؤمنون وهو قيام الساعة، إن كنتم صادقين فيه؟

٣٠- قل لهم أيها النبي: لكم ميعاد يوم محدد، وهو يوم القيامة، لا تتأخرون عنه ولا تتقدمون عليه.

٣١- وقال الكفار من أهل مكة: لن نصدق بهذا القرآن الذي أتيت به يا محمد، ولا بالذي تقدمه من الكتب الإلهية كالطور والإنجيل، ولو ترى أيها النبي حين يكون الكافرون محبوسين ممنوعين في موقف الحساب، يتحاورون ويلوم بعضهم بعضاً، يقول المستضعفون الأتباع للقادة المتكبرين: لولا أنكم صدقتمونا عن الإيمان، وأوقعتمونا في الكفر، لكننا مؤمنين: مصدقين بالله ورسوله.



٣٢- قال القادة المتكبرون للمستضعفين: نحن منعناكم عن الإيمان بعد إذ جاءكم الهدى؟ لا، بل كنتم قوماً مجرمين: مصرين على الكفر.

٣٣- وقال المستضعفون للمتكبرين: لم يكن إجرامنا باختيارنا، بل مكرم بنا في الليل والنهار، ودعوتكم المستمرة لنا إلى الكفر هو الذي حملنا على هذا. والمكر: الخديعة والاحتيال. حين كنتم تأمروننا أن نكفر بالله، ونجعل له شركاء أمثاله، وأخفوا الندامة على ما فعلوا من الكفر، حينما شاهدوا العذاب المعد لهم، وجعلنا الأغلال (أي الأطواق أو سلاسل الحديد) في أعناق هؤلاء الكفار في النار، هل يجوزون (استفهام فيه معنى النفي) أي لا يجوزون إلا بما كانوا يعملون في الدنيا من الشرك بالله، والأعمال المنكرة؟!؟

٣٤- وما أرسلنا في أهل قرية من رسول ينذرهم ويحذرهم عقاب الله، إلا قال أثرياؤها وقادة الشرف فيها للرسول: إننا بما أرسلتم به مكذبون، نكذب بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان. نزلت في رجل سأل شريكه عن أتباع محمد، فقال له: إنه لم يتبعه أحد من قريش إلا رذالة الناس ومساكينهم، فعرف بذلك أنه نبي حق، فأمن به، فنزلت هذه الآية، فقال له النبي ﷺ: وإن الله قد أنزل

قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لَنْ نَصَّدَّقَكَ عَنْ هُدًى بَعْدَ إِذْ جَاءَكَ بِبَلِّ كُنْتُمْ تُخْرِجُونَ وَالَّذِينَ اسْتَضَعُّوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا بَلْ مَكَرَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرَأُ النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يَجْزُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٢﴾ وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُومًا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا نَحْنُ أَكْبَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٤﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَدِّدُ لِكُلِّ نَفْسٍ لَّا يَعْلَمُونَ ﴿٣٥﴾ وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جِزَاءٌ لَّا يَصْغَفُ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُوبِ ءَامِنُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي ءَالِيَتِنَا مَعْجِرِينَ أُولَٰئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ ﴿٣٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَسْطُرُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيُعَدِّدُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿٣٨﴾

تصديق ما قلت.

٣٥- وقال المترفون للرسول: نحن أكثر أموالاً وأولاداً ممن اتبعوكم من الضعفاء، وما نحن بمعذبين في الآخرة بعد إحسانه إلينا في الدنيا، أي إنهم قاسوا أمر الآخرة على الدنيا.

٣٦- قل لهم أيها النبي: إن ربي يوسع الرزق امتحاناً، ويضيق على من يشاء ابتلاءً، ولكن أكثر الناس لا يعلمون الحقائق، فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة، مع أنها قد تكون للاستدراج.

٣٧- وليست كثرة أموالكم وأولادكم أيها الكفرة التي هي سبب تكبركم وتسلككم بالتي تقر بكم إلى رحمتنا وفضلنا تقريباً، وإنما هي للاختبار ومعرفة أوجه استعمالها في الطاعة أو المعصية، لكن من آمن بالله ورسوله وعمل عملاً صالحاً أمرناه به، فأولئك لهم الجزاء المضاعف للحسنات، الحسنة بعشر أمثالها، وهم في غرفات الجنة آمنون من جميع ما يكرهون من الموت وغيره. والزلفى: القريبى، جاءت لتأكيد الفعل قبله.

٣٨- والذين يجتهدون في محاربة آياتنا القرآنية والطعن بها وتكذيبها، مسابقين مغالين لنا، زاعمين أنهم يفلتون منا، أولئك في العذاب الآخروي تحضرهم الملائكة الزبانية إلى النار.

٣٩- قل أيها النبي: إن ربي يوسع الرزق لمن يشاء من عباده، ويضيقه على من يشاء، وما أنفقتم من شيء من أموالكم في مرضاة الله وطاعته، فهو يخلفه (يعوضه) عليكم في الدنيا بالتعويض، وفي الآخرة بالثواب الجزيل، والله خير الرازقين، أي إنه الرازق الحقيقي، والعباد وسطاء. والفرق بين هذه الآية والآية السابقة [٣٦]: أن الآية هنا لبيان أن الرزق بيد الله وحده، وهناك للرد على من زعم أن الرزق علامة رضا الله، وأن البسط والتضييق هنا لشخص واحد في وقتين أو حالين، وهناك لتعدد الأشخاص.

٤٠- ويوم يجمع الله الكفار جميعاً للحساب : العابد والمعبود، والمتكبر والضعيف، ثم يقول للملائكة تقريراً وتوبيخاً للمشركين : أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون؟ هل أنتم أمرتموهم بعبادتكم؟ والخطاب للملائكة ؛ لأنهم أشرف شركائهم .

٤١- قالت الملائكة : تنزهت يارب عن الشريك، أنت الذي نتولاه ونعبده ونطيعه من دونهم، ولا مسوالة بيننا وبينهم، ولم تكن معبودين لهم حقيقة، ونبرأ إليك مما فعلوا، بل كانوا يعبدون الشياطين الذين زينوا لهم عبادتنا، أكثر المشركين مصدقون بالجن، مطيعون لهم .

٤٢- قال الله تعالى : فالיום يوم القيامة لا يملك بعضكم وهم المعبودون لبعض وهم العابدون نفعاً من شفاععة ونجاة، ولا يدفع ضرراً من عذاب وهلاك ؛ لأن الأمر كله لله، ونقلوا للذين ظلموا أنفسهم وكفروا بعبادة غير الله : ذوقوا عذاب النار التي كنتم تكذبون بها في الدنيا .

٤٣- وإذا تتلى على المشركين آيات القرآن الواضحات الدلالة، قالوا لبعضهم : ما محمد هذا إلا رجل يريد أن يمنعكم عن عبادة آبائكم الأصنام والأوثان، وقالوا : ما هذا القرآن إلا كذب مختلق لا أساس له، وقالوا ثالثاً عن أمر النبوة والدين الشامل للقرآن ومعجزات النبي : ما هذا إلا سحر ظاهر .

وَيَوْمَ يُحْشَرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّائِمُ كَانُوا يَعْبُدُونَ ﴿٤٠﴾ قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْرَهُهُمْ عَنْ مُؤْمِنِيكَ ﴿٤١﴾ فَالْيَوْمَ لَا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا وَقَوْلُ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا كَذِبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِذَا تَتلى عَلَيْهَا ءَأَيُّهَا نَسِيتَ قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤَكُمْ وَقَالُوا مَا هَذَا إِلَّا آفَاكُ مَقْتَرَى وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَئِن لَّمْ يَأْتِكُمْ هَؤُلَاءِ مِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَمَاءَ الَّتِي هُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَّغُوا مَعَسَارَ مَا آتَاهُمْ فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٥﴾ قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُمْ بِوَحْدَةِ أَنْ تَقْرُبُوا اللَّهَ مَنَىٰ وَفِرْدَىٰ ثُمَّ تَنفَكُوا مَا بِإِصْحَاحِكُمْ مِنْ جِنَّةٍ إِنَّ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلُكُمْ مِنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنْ رَبِّي يَعْزِبُ بِالْحَقِّ عِلْمَ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾

٤٤- وما أنزلنا على أهل مكة من كتب يقرؤونها ويفهمونها تدل على صحة عقيدة الشرك - و ﴿كُتُبٍ﴾ من هنا تفيد عموم ما ذكر بعدها - وما أرسلنا إلى العرب قبلك أيها النبي من نبي منذر مخوف عقابنا . والمراد : من أين كذبوك، ولا دليل لهم من كتاب ولا رسول؟

٤٥- وكذب الذين من قبلهم من الأمم السابقة كما كذبك قومك، وما بلغ مشركو العرب عشر ما أعطينا الأمم الماضية من القوة وطول العمر والمال والسلطة، مثل عاد وثمود ونحوهم، فكذبوا رسلي فأهلكناهم، فكيف كان إنكاري عليهم بالعذاب؟ أي أنه واقع موقعه .

٤٦- قل أيها النبي لقومك : إنما أنصحكم برفق ببخلة واحدة وهي أن تجتهدوا بإخلاص في طلب الحق، اثنين اثنين مجتمعين، وواحدًا واحدًا منفردين ؛ لأن ذلك ادعى لصحة التفكير، ثم تنفكروا في صاحبكم محمد الذي عرفتموه أميناً عاقلاً مدة طويلة، ليس به جنون حين دعاكم إلى توحيد الله، أي إذا فكرتم تعلمون أنه ليس به جنون، ما هو إلا منذر محذّر لكم من عاقبة العصيان قبل أو أمام مجيء عذاب شديد في الآخرة .

٤٧- قل أيها النبي للمشركين : ما طلبتكم من أجر مقابل دعوتي لتوحيد الله وعبادته، فإن طلبت فهو لكم وليس لي، ما أجري أو ثوابي إلا على الله، لا على غيره، وهو على كل شيء مطلع رقيب، يعلم صدقي .

٤٨- قل لهم أيها الرسول : إن ربي يلقي الحق إلى أنبيائه، ويبين أدلة قاطعة عليه، يعلم كل ما غاب عن خلقه في السموات والأرض .



٤٩- قل جاء الحق، أي الإسلام والتوحيد، ولن يبقى أثر للشرك في مكة بعد الآن. والمراد بالباطل الذاهب هنا: هو الكفر، والإبداء: فعل الشيء أولاً، والإعادة: فعله ثانياً.

٥٠- قل أيها النبي للمشركين: إن ضللت عن الحق والهدى بترك عبادة آبائي، فإن إثم ضلالي على نفسي، وإن اهتديت إلى الصواب فببما يوحى إلي ربي من القرآن، إنه سبحانه سميع لأقوال عباده، قريب يجيب دعاء الدعاة.

٥١- ولو ترى أيها النبي الكفار حين خافوا وانزعجوا يوم القيامة، لرأيت العجب، فلا يفوتني أحد منهم ولا نجاة ولا مهرب لأحد من العذاب، وأخذوا إلى جهنم من القبور أو موقف الحساب، ولم يمكنوا من الهرب.

٥٢- وقالوا في تلك الساعة: آمنا بالله وبالقرآن وبمحمد، وكيف لهم تناول الإيمان تناولاً سهلاً في عالم الآخرة الذي هو بعيد عن محله، أي في الدنيا؟

٥٣- وقد كفروا بالله ورسوله من قبل في الدنيا، ويرمون بالظن فيما غاب عنهم قائلين: لا بعث ولا نشور، من جهة بعيدة، ليس فيها مستند لظنهم الباطل. والمراد: أن الذي يرمي الهدف من بعيد قلماً يصيب، فكيف بحال الذي يرمي من غير رؤية شيء؟

٥٤- وحجز بينهم وبين ما يشتهون من قبول الإيمان أو الرجوع إلى الدنيا، كما فعل بأمثالهم من قبلهم من كفار الأمم الماضية، فلم تقبل توبتهم، إنهم كانوا في الدنيا في شك موقع في الرية والنهمة، وهي الشك في نزول العذاب بهم وفي أمر الرسل والبعث والجنة والنار.

سورة فاطر

ثبتت هذه السورة كغيرها من السور المكية الأصول الثلاثة للعقيدة: وهي التوحيد، والرسالة، والبعث.

١- الثناء التام الأكمل من الله على نفسه، لتعليم عباده كيفية الحمد، خالق السموات والأرض، ومبدعها على غير مثال سابق، جاعل الملائكة رسلاً إلى الأنبياء وغيرهم لمهام معينة، والرسول: هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل، أصحاب أجنحة لا يعلم حقيقتها ولا كيفيتها إلا الله، فمنهم من له جناحان، ومنهم من له ثلاثة، ومنهم من له أربعة، يزيد في خلق الأجنحة وغيرها للملائكة وفي خلق غيرهم ما يشاء بمقتضى حكمته، كالحسن والجمال في بعض الأعضاء، أو الصوت، أو العقل والتمييز، أو الصنعة والعلم، إن الله قادر على كل شيء.

٢- ما يفتح ويعطي الله للناس من نعمة كصحة وأمن ورزق، وعلم ونبوة وحكمة، فلا مانع لها، وما يمنع عنهم من خير، فلا مرسل لأحد سواه بعد المنع، وهو القوي الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في فعله وتدييره، لا يخطئ.

٣- يا أيها الناس جميعاً تذكروا نعمة الله المنعم بها عليكم، واحفظوها بمعرفة حقها بشكره عليها، وفكروا: هل من خالق غير الله؟ أي لا خالق غير الله، يرزقكم من السماء والأرض، فكيف تشركون معه غيره؟ لا إله ولا رب يعبد بحق سواه، فكيف تصرفون عن توحيده، مع إقراركم بأنه الخالق الرازق؟!

قُلْ جَاءَ أَحْسَنُ وَمَا بَدِئُ الْبَاطِلَ وَمَا يَعْبُدُ ۖ قُلْ إِن صَلَّيْتُ فَلِمَا أُصَلِّ عَلَى نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ رَبِّي أَسْمِعُ قَرِيبٌ ۖ وَلَوْ تَرَىٰ إِذْ ذُكِرُوا بِالْفَلَاكِ وَأَخَذُوا مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ۖ وَقَالُوا لَأَمْنًا بِهِ وَإِنَّا لَمُتْنَا وَنُشْرُوا مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَقَدْ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ مِن قَبْلُ وَيَعِذُّ فَرْنَ بِالْقَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۖ وَجِئِلَ لَهُم مِّن مَّيْمَنِهِمْ مَّا يَشْتَهُونَ كَأَقْفَالٍ أَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ۖ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِ رُسُلًا أُولَئِكَ أَجْنَحٌ مِّثْلِي وَأُولَئِكَ وَرَدِّعُ بِيَدِي فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنْ أَنَا اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۖ مَا يَبْتَغِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا يُمْسِكْ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا يُرْسِلُ لَهُ مِن بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۖ يَتَأْتُوا النَّاسَ أَذْكَرًا نَّمَتْ اللَّهُ عَلَيْكُمْ هَلْ مِنْ خَلْقٍ عِندَ اللَّهِ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ تَوْفُوكُونَ ۖ

٤- وإن يكذبك أيها النبي المشركون في دعوتك إلى التوحيد والإيمان باليوم الآخر، فقد كذبت رسل من قبلك في ذلك، فاصبر كما صبروا، وإلى الله تصير الأمور، فيجازي كل بما يستحقه.

٥- يا أيها الناس إن وعد الله بالبعث والجزاء حق ثابت لا بد منه، فلا تلهيكم الدنيا بزخارفها ولذاتها عن عمل الآخرة، ولا يغرنكم الشيطان الكثير التغيرير بحلم الله وإمهاله.

٦- إن الشيطان لكم عدو من القدم، فعادوه بطاعة الله، ولا تطيعوه في المعاصي ولا تتبعوه، إنما يدعو أتباعه المطيعين له، ليكونوا من أصحاب النار المستعرة الملتهية، لعداوته لبني آدم.

٧- الذين كفروا بالله ورسوله لهم عذاب شديد يوم القيامة، وهذا وعيد لمن اتبع الشيطان، والذين آمنوا بالله ورسوله وعملوا الصالحات المأمور بها، لهم مغفرة لذنوبهم، وأجر كبير وهو الجنة.

٨- أقم حسن له الشيطان سوء عمله أي عمله القبيح، فرأه حسناً أي رأى القبيح حسناً، كالذي آمن ولم يزين له؟ لا، فإنهما لا يتساويان-الهمزة للاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، فإن الله يضل من يشاء إضلاله لسبق علمه بقبحه وسوء فعله، ويهدي

وإن يكذبوك فقد كذبت رسل من قبلك وإلى الله ترجع الأمور ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَأْتِيهِمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا تَأْتِيهِمُ بِاللَّهِ الْفُرُورُ﴾ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حُرَيْبِي لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿الَّذِينَ هَرَّوْا هَرًّا شَدِيدًا وَالَّذِينَ اسْتَوَاعَوْا الصَّلَاحَ لِحُرِّ مَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَبِيرٍ﴾ أَفَنْ زَيْنَ لَمْ يَسُوءْ عَمَلَهُ فَرَأَهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسْرَتٌ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُبَدِّلُهَا مِمَّا يَسْفِكُنَّ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأُحْيِيهَا بِهِ الْأَرْضُ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدِ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ تَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يُسَوِّرُ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعْتَرِفُ مِنْ سُعْمٍ وَلَا يُنْقَضُ مِنْ مَعْرِفَةٍ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿

من يشاء هدايته لسبق علمه بهدايته، بالتوفيق إلى سلوك طريق الهداية والإيمان، فلا تهلك نفسك حزناً على كفرهم وضلالهم، إن الله عالم بما يصنعون لا تخفى عليه خافية، ويعاقب كل امرئ بما يستحق. قال ابن عباس: أنزلت هذه الآية ﴿أفمن زين..﴾ حيث قال النبي ﷺ: «اللهم أعز دينك بعمر بن الخطاب، أو بأبي جهل بن هشام، فهدي الله عمر، وأضل أبا جهل، ففيهما أنزلت.

٩- والله الذي أرسل الرياح مبشرات بهطول الأمطار، فتتحرك سحباً وتدفعه إلى جهة ما، فسقنا هذا السحاب المحمل بالغيث إلى بلد مجذب قاحل غير منبت، فأحيينا بالمطر الأرض بنبات النبات، بعد يسها وجدبها، مثل ذلك الإحياء يحيي الله العباد بعد الموت.

١٠- من كان يريد الشرف والجاه والمنعة، فليطلبها من عند الله، فله كل العزة في الدنيا والآخرة، ولا تنال العزة إلا بطاعة الله، إليه تعالى يصعد الكلم الطيب، أي يقبل التوحيد وكل كلام طيب من ذكر الله ودعاء وتلاوة قرآن، والعمل الصالح يرفعه الله إليه ويقبله من المؤمن، والذين يعملون السيئات في الدنيا على وجه المكر والخديعة، ويكيدون للمسلمين، لهم عذاب شديد عند الله في الآخرة، ومكر أولئك المتأمرين ييطل ويفسد.

١١- والله تعالى خلق أباكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة (مني) ثم جعلكم صنفين ذكورا وإناثا، وما تحمل من أنثى ولا تضع حملها إلا بعلمه وإذنه، ولا يمد في عمر إنسان، ولا ينقص من عمر آخر، إلا في اللوح المحفوظ، وذلك بحسب العرف والغالب: أن الذي يطول عمره يقال عنه: أخذ عمره، والذي يموت صغيراً يقال عنه بالنسبة لغيره: لم يكمل عمره، مع أن عمر كل منهما محدود مقدر لا يزيد ولا ينقص، إن تحديد الأعمار أمر يسير على الله، لا صعوبة فيه.

١٢- وما يتساوى البحران: العذب والملح - وهذا مثل للإيمان والكفر - هذا عذب شديد العذوبة مذهب للعطش، سائغ (سهل المرور في الخلق) شرايه، وهذا ملح شديد الملوحة غير مستساغ، وذلك مثل للمؤمن والكافر، ومن كل منهما تأكلون لحماً طرياً هو السمك، وتستخرجون من البحر الملح حلية يتزين بها النساء وهي اللؤلؤ والمرجان، وترى السفن في كل من البحرين عابرات شاقات الماء بجريها فيه، لتطلبوا من فضل الله تعالى بالتجارة والركوب فيها، ولتشكروا الله على ما أنعم به عليكم من ذلك.

١٣- يدخل الليل في النهار، ويدخل النهار في الليل، فيزيد في أحدهما وينقص من الآخر، وذلك الشمس والقمر لما فيه من مصالح الناس، كل منهما يجري في مدار معلوم لوقت محدد، في علم الله، ذلكم الخالق والفاعل لما ذكر هو الله ريكم القادر، الذي له ملك العالم يتصرف فيه كيفما يشاء، والذين تعبدون من غيره من الأصنام أيها المشركون ما يملكون من شيء صغير، مثل قشرة

وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَائِغٌ شَرَابُهُ وَهَذَا مِلْحٌ أجاجٌ وَمِنْ كُلِّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حَلِيَّةً لِلنِّسَاءِ وَتَرَى الْفُلَّكَ فِيهِ مَوَاجِرٌ يَلْبَغُونَ مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ يُوجِعُ اللَّيْلُ فِي النَّهَارِ وَيُوجِعُ النَّهَارُ فِي اللَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِنْ تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دَعَاءَكُمْ وَتَوَسَّعُوا مَا اسْتَجَابُوا إِنَّكُمْ وَرُؤُوسَ الْفُلِكُمْ كَتِفُونَ يُشْرِكُكُمْ وَلَا يَتَّبِعُكُمْ مِثْلَ خَيْرٍ ﴿١٤﴾ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ أَنْتُمْ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ ﴿١٧﴾ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ وَإِنْ تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ جِهْلِهَا لِإِخْلَافٍ مِنْهُ سِئَنِي وَتُؤَكَّرَانِ ذَا قُرْبَىٰ إِنَّمَا تُنذِرُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ وَأَفَامُوا الصَّلَاةَ وَمَنْ تَزَكَّىٰ فَإِنَّا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِ وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ ﴿١٨﴾

النواة - بذرة التمر - الرقيقة البيضاء.

١٤ - إن دعوتهم هذه الأصنام لا يسمعون دعاءكم، لأنها جمادات، ولو سمعوا الدعاء على سبيل الفرض ما أجابوكم، ويوم القيامة يجحدون بإشراككم إياهم مع الله، وعبادتكم لها، ويتبرؤون منكم، ولا يخبرك بحقيقة الأمر وأحوال القيامة أيها الرسول مثل خبير بها عالم مطلع على ما يحصل، وهو الله تعالى.

١٥ - يا أيها الناس أنتم المحتاجون إلى الله في جميع أمور الدين والدنيا، والله هو الغني عنكم على الإطلاق، المستحق للحمد من عباده على جميع أفعاله، المحمود على كل حال.

١٦ - إن يشأ يهلككم، ويأت بقوم آخرين بدلكم، هم أطوع منكم.

١٧ - وما ذلك الإذهاب والإفناء لكم، والإتيان بآخرين بشيء صعب ولا تمتنع على الله تعالى.

١٨ - ويوم القيامة لا تحمل نفس أئمة إثم نفس أخرى غير ذنبها الذي اقترفته في الدنيا، وإن تطلب نفس محملة بالذنوب نفساً أخرى، لتحمل عنها بعض ذنوبها، لم تحمل عنها شيئاً من الذنوب، ولو كان المدعو قريباً لها في النسب كالأب والابن، فكيف بغير القريب؟! إنما يفيد إنذارك أو تحذيرك الذين يخافون ربهم حال كونهم في خلوة أو سر عن الناس، فهم بعيدون عن الرياء، أو: وهو غائب عنهم، وأقاموا الصلاة في أوقاتها وداوموا عليها، ومن تطهر من الشرك والمعاصي، وعمل صالحاً، فإنما يتطهر لنفسه؛ لأن نفع ذلك مختص به، وإلى الله المرجع والمآل، فيجازي كل إنسان بعمله.



وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا الظُّلُمَاتُ وَلَا النُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا الظُّلُّ وَلَا الخُرُودُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي الْأَحْيَاءُ وَلَا الْأَمْوَاتُ إِنَّ اللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَاءُ وَمَا أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي الْقُبُورِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ أَنتَ الْآنذِيرُ ﴿٢٣﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا بِالْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَإِن مِّن أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ ﴿٢٤﴾ وَإِن يَكْفُرُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ وَبِالزُّبُرِ وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْنَا الَّذِينَ كَفَرُوا فَكَيْفَ كَانَ يَكْفِيرُ ﴿٢٦﴾ أَلَمْ نَرَأَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَخِيلًا أَلْوَنًا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنًا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ أَلْأَنفُمْ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنًا كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ ﴿٢٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ يَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُؤْتِيَهُم أَجْرَهُمْ وَبِزَيْدِهِمْ مِن فَضْلِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾

١٩- وما يتساوى الأعمى والبصير، أي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم.

٢٠- ولا تتساوى ظلمات الكفر ولا نور الإيمان.

٢١- ولا يتساوى ظل الجنة وحر النار.

٢٢- ولا يتساوى أحياء القلوب وهم المؤمنون، وأموات النفوس وهم الكافرون، إن الله يسمع من يشاء إسماعه وهدايته من أوليائه الطائعين، ولست أنت أيها النبي بمسمع الكفار أصحاب القلوب الميتة.

٢٣- ما أنت أيها النبي إلا رسول منكر مخوف من عصاك بالنار، أما الهدى والضلال فبيد الله تعالى.

٢٤- إنا أرسلناك أيها النبي إرسالاً مصحوباً بالحق وهو الهدى والدين الحق، مبشراً بالجنة من أطاعك، ومنذراً محذراً بالنار من عصاك، وما من جماعة إلا جاءها رسول منكر أو عالم محلل من المعاصي، أي ومبشراً؛ لأن الإنذار قرين البشارة.

٢٥- وإن يكذبك المشركون في مكة أيها النبي،

فقد كذبت الأمم الماضية أنبياءهم، فليس هذا جديداً، فلا تحزن، جاءتهم رسلهم بالمعجزات والدلائل الواضحة، وبالكتب الإلهية المكتوبة، كصحف إبراهيم وموسى، وبالكتاب النير الواضح: وهو ما فيه شرائع وأحكام، كالنور والإنجيل.

٢٦- ثم أخذت الكفار بذنوبهم فعاقتهم، فكيف كان إنكاري عليهم بالعقوبة والإهلاك؟

٢٧- ألم تعلم أن الله بقدرته وحكمته وحده أنزل من السحاب مطراً، فأخرجنا- التفات من الغيبة إلى التكلم- بالمطر ثمرات مختلفة الأجناس والألوان، وخلق الجبال أيضاً مختلفة الألوان، ففيها الطرق وخطوط الألوان التي تكون كالعروق، من بيضاء وحمراء وسوداء، شديدة السواد تشبه لون الغراب.

٢٨- وخلق أيضاً خلقاً آخر من الناس والدواب والأنعام خلقاً مختلفاً ألوانه كاختلاف الثمار والجبال، في الحجم واللون، إنما يخشى الله بالغييب من العباد العلماء بالله بصفاته وأفعاله؛ لأنهم يدركون دقة صنع الله تعالى، فيعظمونه حق التعظيم، إن الله قوي غالب قاهر، غفور لذنوب عباده التائبين المؤمنين.

٢٩- إن الذين يداومون على تلاوة القرآن الكريم، وأدوا الصلاة في أوقاتها، تامة الأركان والشروط، وأنفقوا مما رزقهم الله سرّاً وعلانية، من زكاة وصدقات، يرجون بما عملوا تجارة لن تكسد ولن تخسر.

٣٠- يطمعون في تجارة غير كاسدة لأجل أن يوفيهم الله أجور أعمالهم الصالحة، ويزيدهم على ذلك من فضله وإحسانه، إن الله واسع المغفرة لذنوبهم، شكور لطاعتهم يتقبلها بقبول حسن، ويحسن جزاءهم.

٣١- والذي أوحينا إليك أيها الرسول من القرآن - من: بيانية- هو الحق الثابت الذي لا شك فيه، مصدقاً ومؤيداً لما تقدمه من الكتب، إن الله بعباده لعالم بأحوالهم مطلع عليها، بصير بشؤونهم محيط بجميع أمورهم الظاهرة والباطنة.

٣٢- ثم أورثنا وأعطينا القرآن العلماء الذين اخترناهم من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه بالمعصية المسرف فيها حتى غلبت سيئاته على حسناته، ومنهم مقتصد متوسط العمل يعمل بالقرآن غالباً وخطط عملاً صالحاً وآخر سيئاً، ومنهم سباق إلى الأعمال الصالحة بإرادة الله وتوفيقه، وهو خير الثلاثة، ذلك التورث للقرآن والاصطفاء هو الفضل الكبير من الله تعالى عليهم.

٣٣- جنات إقامة دائمة يدخلها هؤلاء المصطفون، يحلون فيها من أساور الذهب واللؤلؤ، ولباسهم الحرير في الجنة.

٣٤- وقالوا: الحمد لله الذي أذهب عنا الخوف من مخاطر المستقبل، إن ربنا لواسع الغفرة للذنوب

وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ إِنَّ اللَّهَ بِعِبَادِهِ لَخَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٣١﴾ ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٣٢﴾ جَنَّتٌ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا يُحَلُونَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا الْهَوْبُ ﴿٣٥﴾ وَالَّذِينَ هَرَوْا لِهُمُومًا نَارَ جَهَنَّمَ لَا يَبْصُرُونَ عَلَيْهِمْ قِيمَتُهُمْ وَأَلْبَسْتُمْ عَنْهُمْ قِنْدًا عَدَايَهُمْ كَذَلِكَ نُجْزِي كُلَّ كُفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوْ رَدِّعْنَا إِلَىٰ جَهَنَّمَ فَمَا تَبْتَغِينَا نَكْفُرْ بِمَا كُنَّا نَكْفُرُ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ عَنِيبٌ ﴿٣٧﴾ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣٨﴾

المؤمنين، كثير الشكر لطاعتهم، أي يحسن جزاءهم.

٣٥- الذي أنزلنا الجنة دار الإقامة الأبدية، من عطائه وفضله، لا يمسنها فيها تعب وعناء، ولا يمسنها إعياء من التعب أو كلال. نزلت حينما سئل النبي ﷺ عن النوم في الجنة والراحة، فقال: ليس فيها لغوب، كل أمرهم راحة.

٣٦- والذين كفروا بالله ورسوله وبالقرآن، لهم نار جهنم خالدين فيها أبداً، لا يحكم عليهم بموت ثان، فيستريحوا من العذاب، ولا يخفف عنهم من عذاب جهنم، مثل ذلك الجزاء يجزي كل كثير الكفر، مصر على الجحود، مبالغ فيه.

٣٧- وهم يستغيثون في النار بشدة وصوت عالٍ قائلين: ربنا أخرجنا من جهنم نعمل العمل الصالح الذي أمرت به، غير الذي كنا نعمل في الدنيا من المخالفات والمعاصي، أو لم تجعلكم تعمرن وقتاً تتمكنون فيه من التذكر، لمن أراد أن يتذكر، وجاءكم الرسول المنذر المخوف من عذاب الله، فذوقوا عذاب النار، فليس للكافرين من معين يدفع عنهم العذاب.

٣٨- إن الله عالم غيب السموات والأرض، لا تخفى عليه خافية، إنه عليم بما تضمرة النفوس وما في القلوب من العقائد والظنون، ويجازي كل امرئ بما يستحق.

٣٩- هو الله تعالى الذي جعلكم أجيالاً وأما تخلف كل أمة من قبلها، أي خلفاء لمن قبلكم في المعيشة والانتفاع بخيرات الأرض، فمن كفر بوحداية الله ولم يشكر نعمه، فعليه ضرر وويل كفره، ولا يزيد الكافرين كفرهم عند الله ربهم إلا غضباً وبغضاً شديداً، ولا يزيد الكافرين كفرهم إلا هلاكاً وخسارة للأخرة.

٤٠- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني عن شركائكم الذين تعبدونهم من دون الله، وهم الأصنام والأوثان الذين زعمتم أنهم شركاء لله تعالى، أخبروني ماذا خلقوا من الأرض حتى عبدتموهم؟ أم لهم مشاركة في خلق السموات، حتى يكونوا أهلاً للالوهية، أم أنزلنا عليهم كتاباً يميز لهم الشرك بالله، فيكون لهم حجة واضحة، بل - لإبطال ما قبله والانتقال لكلام آخر - ما يعد الظالمون الكافرون بعضهم بعضاً من الشفاعة وغيرها إلا باطلاً مزخرفاً لا حقيقة له.

٤١- إن الله يحفظ السموات (وهي كل ما ارتفع فوق الرؤوس من الأجرام والكواكب والنجوم) والأرض بقدرته أن تزول عن أماكنها، ولئن زالت السماء والأرض ما أمسكها أحد سواه عن الزوال، إنه تعالى كان حليماً لا يعاجل بالعقوبة، غفوراً للذنوب التائين، وذلك سبب إمساكه السموات والأرض.

هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ خَلْفًا فِي الْأَرْضِ فَمنْ كَفَرَ عَلَيْهِ كُفْرًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا مُقْتًا وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرَهُمْ إِلَّا آسَاءًا ﴿٣٩﴾ فَلَمَّا يَبْذُرْ سُكَّاءُ كُمُ الَّذِينَ يُدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْ بِنَا مَا نَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ أَمْ آيَاتُهُمْ كِتَابٌ فَهُمْ عَلَىٰ نَسْتٍ مِنْهُ بَلْ إِنَّمَا يُدْعُوا الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا الْآغْرُورًا ﴿٤٠﴾ وَإِنَّا لِلَّهِ يُمَسِّكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا وَلَئِن زَالَتَا إِنْ أَمْسَكْتُمَا مِنْ أَحْقَبِينَ بَعْدَهُمَا إِنَّهُمَا كَانَ جَلِيمًا عَقُورًا ﴿٤١﴾ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَمْدًا يَمَجُّهُمُ لَئِن جَاءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ أَهْدَى الْأُمَمِ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا تَوَنُّورًا ﴿٤٢﴾ أَسْحَبًا جَارًا فِي الْأَرْضِ وَمَكْرُ السَّيِّئِ وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئِ إِلَّا بِأَهْلِهِ فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّمَاءَ الْأُولَىٰ فَلَنَجْجِدَنَّ اللَّهُ تَبْدِيلًا لَّنْ نَجْجِدَنَّ اللَّهُ تَبْدِيلًا أَوْ لَيْسَ بِهَا مِنْ قَبْلِهِمْ وَكَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَجْزِمَهُمْ مِنْ شَيْءٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا ﴿٤٣﴾

٤٢- وحلف المشركون من قريش أيماناً مؤكدة قبل بعثة محمد ﷺ لئن أتاهم رسول منذر ليكونن أهدي من اليهود أو النصارى، لما رأوا من تكذيب بعضهم بعضاً، كل فريق يقول: ليس الفريق الآخر على شيء، فلما أتاهم ما تمنوه وهو رسول الله ﷺ أشرف وأكرم المنذرين والمرسلين، ما زادهم مجيئه إلا تباعداً عن الحق والهدى والإيمان. نزلت بعد أن كانت قريش تقول: لو أن الله بعث منا نبياً، ما كانت أمة من الأمم أطوع لخالقها، ولا أسمع لنيبيها، ولا أشد تمسكاً بكتابتها منا، فأنزل الله هذه الآية.

٤٣- لم يؤمنوا برسالة النبي محمد ﷺ تجبراً وتكبراً ومضياً في الفساد، ومكر العمل السيء بالرسول والمؤمنين - والمكر: الحيلة والخداع والعمل القبيح - ولا يحيط وينزل وبال المكر السيء إلا بأهله المسيئين، فهل ينتظر هؤلاء المشركون إلا سنة الله وطريقته في الأمم الماضية يانزال العذاب بهم، فلن تجد لسنة الله تبديلاً للعذاب، ولا تحويلاً له إلى غير المستحق له. وسنة الله: هي عادة الله في عقاب مكذبي الرسل والعصاة.

٤٤- أو لم ينتقل هؤلاء المشركون في الأرض، فينظروا كيف كان مصير الذين من قبلهم كعاد وثمود وأهل مدين ونحوهم بتعذيبهم لما كذبوا الرسل، والحال أنهم كانوا أشد قوة بدنية من القرشيين، وأطول أعماراً، وأكثر أموالاً، وما كان الله ليسبقه ويفوته أي شيء، في السموات والأرض، إنه كان عالماً بالأمور كلها، لا تخفى عليه خافية، قادراً على كل شيء، لا يصعب عليه أمر.



٤٥- ولو يجعل الله العقاب للناس على ذنوبهم، ما ترك على ظهر الأرض من أي شيء يدب على الأرض، والمراد بذلك الناس؛ لأنهم أهل التكليف، ولكن يؤخر عقابهم إلى أجل محدد عنده هو يوم القيامة، فإن الله كان عالماً بأحوال عباده، فيجازيهم على أعمالهم.

وَلَوْ يَؤُوحِدُ اللهُ النَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهِمْ دَابَّةً وَلَكِن يُخَيِّرُهُم إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِن جَاءَهُمْ فَآذَنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بَعِيدًا صَبِيرًا ﴿١٥﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَس ١ وَالْقُرْآنِ الْحَكِيمِ ٢ إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ٣ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٤ تَنْزِيلِ الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ٥ لِنُنذِرَ قَوْمًا مَّا أُنذِرُوا وَأُولَاهُمْ فَهُمْ غَافِلُونَ ٦ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ عَلَىٰ أَكْثَرِ إِهْتِرَافٍ فَهَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِي آعْنَاقِهِمْ أَغْلَالًا فَهِيَ إِلَى الْأَذْقَانِ فَهُمْ مُّثْقَلُونَ ٨ وَجَعَلْنَا مِنْ أَبْوَينِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ٩ وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أُنذِرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ١٠ إِنَّمَا نُنذِرُ الَّذِينَ اتَّبَعُوا الذِّكْرَ وَخَشِيَ الرَّحْمَنُ الْعَلِيمَ ١١ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ ١٢ إِنَّا نَحْنُ الْمُوقِنُونَ وَنُكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآخِرَهُمْ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴿١٣﴾

سورة يس

فضلها: أخرج أحمد وأبو داود وابن ماجه وابن حبان والحاكم عن معقل بن يسار - وهو حديث حسن - عن النبي ﷺ قال: «اقرأوا يس على موتاكم». لأن فيها إثبات البعث والقدرة الإلهية والوحدانية بإحياء الأرض الميتة وإيراد الآيات الكونية.

١- «يس»: يا، سين، مثل غيرها من الحروف الهجائية المقطعة في أوائل السور، للتنبيه على ما بعدها، والإشارة إلى إعجاز القرآن وتحدي العرب به؛ لأنه مؤلف من حروف بناء الكلام عليها، وهم أساطين البيان، فيكون عجزهم أبلغ حجة عليهم.

٢- أقسم أنا الله بالقرآن المحكم بمعجب النظم وبديع المعاني علي أن محمداً رسول من عند الله. نزلت حينما هم ناس من قريش أن يأخذوا الرسول ﷺ الذي تأذوا من قراءته سورة السجدة، فجمعت أيديهم إلى أعناقهم، فقالوا: نشدك الله والرحم يا محمد، فدعا حتى ذهب ذلك عنهم، فنزلت هذه

الآية وما بعدها إلى [١٠] .

٣- إنك يا محمد رسول من جملة المرسلين لهداية الناس إلى الإيمان الحق وعبادة الله وطاعته .

٤- على طريق قوم لا عوج فيه، طريق الأنبياء السابقين المؤدي إلى الجنة والنجاة .

٥- إن هذا القرآن تنزيل منزل من الله القوي الغالب القاهر، الرحيم بخلقهم أجمعين .

٦- أرسلناك وأنزلناه عليك لتنذر وتخوف من العذاب قوماً هم كفار مكة لم يُنذَرُوا مباشرة أبائهم الأقربون في زمن

الفترة ما بين عيسى ومحمد عليهما السلام، فهم غافلون عن الإيمان والرشد والشرائع والأحكام .

٧- لقد استحق أكثر المكيين والعرب الوثنيين العذاب لإصرارهم على الشرك، فهم لا يصدقون بما جاء به الرسول ﷺ .

٨- إنا جعلنا في أعناق المشركين قيوداً مشدودة إلى أذقانهم، فهم رافعو الرؤوس لا يستطيعون خفضها بسبب الأغلال

(جمع غُل)، غاضو الأبصار لا يلتفتون إلى الحق. قال أبو جهل: لئن رأيت محمداً لأفعلن، فأنزل الله هذه الآية

وما بعدها، فكانوا يقولون: هذا محمد، فيقول: أين هو، أين هو؟ لا يبصر .

٩- حجوزنا بينهم وبين الإيمان بموتع من الأمام والخلف بسبب عتوهم، فغطينا أبصارهم بغشاوة، فهم بسبب ذلك لا

يقدرن على إحصار سبيل الهدى .

١٠- وسواء على هؤلاء الكفار تخويفك من عذاب الآخرة، أم عدم تخويفك، فلا ينفعهم الإنذار، ولا يصدقون

برسالتك .

١١- إنما يتنفع بإنذارك من اتبع القرآن، وخاف عقاب الله، فبشره بمغفرة من الله لذنوبه، وثواب حسن هو في الجنة .

١٢- إننا نحن نبعث الموتى من قبورهم أحياء، ونكتب في اللوح المحفوظ ما قدموا في الدنيا من خير أو شر، وما

أبقوه بعدهم من آثار الأعمال النافعة والضارة، وكل شيء ضبطناه في اللوح المحفوظ. نزلت في بني سلمة في ناحية

المدينة الذين أرادوا النقلة إلى قرب المسجد .

وَاصْرَبْ لَهُمْ مَثَلًا أُصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِدَالِكِ فَقَالُوا إِنَّا إِلَهُكُمُ مُّرْسَلُونَ ﴿١٤﴾ فَأَلْوَامًا أَنشُرُوا لِأَبْنُسُ مَثَلًا وَمَا أَنْزَلْنَا الرَّحْمَنَ مِنْ شَيْءٍ إِنْ أَنْزَلْنَا إِلَّا تَكْوِينًا ﴿١٥﴾ فَالْوَارِثِنَا بَعَلْمُ إِنَّا إِلَيْكُمُ مُّرْسَلُونَ ﴿١٦﴾ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلْغُ الْكَلِيمِ ﴿١٧﴾ فَالْوَارِثِنَا نَطِيرُ بِأَنفِكُمْ كَيْنَ لَوْنُهُمْ لَازِحَةً لَازِحَتِكُمْ وَمَيَسْتَكُمُ مِنَّا عَذَابُ الْيَوْمِ ﴿١٨﴾ فَالْوَارِثِنَا نَطِيرُ بِرُكُوعِكُمْ مِنْ ذِكْرِكُمْ بَلْ أَنْشُرُوا قَوْمَهُمْ مَسْرُوفُونَ ﴿١٩﴾ وَجَاءَ مِنْ أَقْصَا الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَى قَالَ يَا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ اتَّبِعُوا مَنِ لَا يُتَّبِعْكُمْ أَخْرَاجُوهُمْ مَسَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَالِي لَأَعْبُدَ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ أَنَأْتِيهِمْ مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةٌ إِنْ يُرِيدُنَ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لَا تُغْنِي عَنْهُمْ شَفَعَتُهُمْ شَيْئًا وَلَا يُنْفَذُونَ ﴿٢٣﴾ إِنِّي إِذًا لَئِنِ ضَلَلْتُ أَتِيَنِّي ءَأَمِنْتُ بِرَبِّكُمْ فَأَسْمَعُونَ ﴿٢٤﴾ قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ بِمَا عَفَّرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ ﴿٢٦﴾

١٣- واضرب أيها الرسول مثلاً للمشركين أصحاب القرية: وهي أنطاكية في رأي جماعة، حين جاءها أصحاب عيسى لدعوتهم إلى الله وتوحيده. ولم يبرن كثير أنها أنطاكية لأنهم آمنوا جميعاً بالمسيحية.

١٤- حين أرسلنا إليهم اثنين، أرسلهما عيسى بأمر الله، فكذبوهما في الرسالة، فأيدناهما بمرسَل ثالث، فقالوا لأهل القرية: إنا مرسلون إليكم من ربكم لدعوتكم إلى توحيد الله وطاعته.

١٥- قال أصحاب القرية: لستم أنتم إلا ملثنا في البشرية، فلا مزية لكم علينا، لتكونوا دعاة مرسلين، وما أنزل الرحمن من شيء من الأوامر والنواهي على يد الرسل، ما أنتم إلا كذابون في ادعاء الرسالة.

١٦- قال الرسل: ربنا يعلم صدقتنا، إنا إليكم رسل مرسلون لما دعوناكم إليه، أكدوا الجواب بالقسم.

١٧- وليس علينا إلا تبليغ الرسالة الإلهية تبليغاً واضحاً.

١٨- قال أهل القرية: إنا نشاء منا بكم واستغرينا ما تلصصونه، لئن لم تتركوا هذه الدعوة أو المقالة لشرجنكم بالحجارة حتى الموت، وليصيبنكم منا عذاب مؤلم شديد.

١٩- قال الرسل: شوؤمكم معكم بسبب كفركم وتكذيبكم، أئن ذكرناكم بالله، زعمتم حلول الشؤم عليكم وتهددوننا بالقتل؟ والمراد بالاستفهام التوبيخ، بل أنتم قوم متجاوزون الحد في الشرك والعصيان. و ﴿هل﴾ حرف يفيد الانتقال من كلام لآخر.

٢٠- وجاء رجل مؤمن من أبعد مكان في المدينة: هو حبيب بن موسى النجار، كان قد آمن برسول عيسى، يسير بسرعة لما سمع بخبر الرسل، قال: يا قوم اتبعوا هؤلاء الرسل المرسلين فيما يدعونكم إليه من توحيد الله وعبادته.

٢١- اتبعوا من لا يطلب منكم أجراً على النصح والهداية، وهم جماعة مهتدون إلى الحق.

٢٢- سأله قومه: أنت على دينهم؟ فقال: بلى، وأي مانع يمنعني من عبادة الذي خلقتني، وإليه تعودون يوم القيامة، فيحاسبكم بأعمالكم، ويجازيكم بكفركم.

٢٣- لن أتخذ من غير الله آلهة وهي الأصنام، فأعبدتها وأترك عبادة الله خالقي- والاستفهام بمعنى النفي- إن أرادني الرحمن بإلحاق ضرربي، لا تغني عني شيئاً شفاعة هذه الأصنام، ولا يتقلدوني من ذلك الضر.

٢٤- إني إذا أشركت بالله واتخذت من دونه آلهة لفي انحراف واضح عن جادة الحق والصواب.

٢٥- إني آمنت بربكم الذي خلقكم، فاسمعوا إيماني، واشهدوا لي بذلك، واعملوا بما اعتقدت، فقتلوه.

٢٦- قيل له من الملائكة تكريماً بعد قتله وعند موته: ادخل الجنة كبقية الشهداء، قال: يا ليت قومي يعلمون بمآلي الحسن.

٢٧- يعلمون بما غفر لي ربي ذنبي، وجعلني من المكرمين بدخول الجنة. تمنى لهم الإيمان والخير كإيمانه، بالرغم من قتله والإساءة إليه.



٢٨- وما أنزلنا على قومي من بعدهم من جديد من السماء وما كنا منزلين ﴿٣٦﴾ إن كانت الأصيحة واحدة فإذا هم حسدون ﴿٣٧﴾ يلحسرة على العباد ما يأتيهم من رسول إلا كانوا به يستهزئون ﴿٣٨﴾ الريسواكم أهلكم قباهم من القرون أنهم إليه لا يرجعون ﴿٣٩﴾ وإن كل لما جمع لدينا محضرون ﴿٤٠﴾ وآية لهم الأرض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبا فمنه يأكلون ﴿٤١﴾ وجعلنا فيها نخيلا ونخيل وأعناب وفجنا فيها من العيون ﴿٤٢﴾ ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون ﴿٤٣﴾ سبحن الذي خلق الأزواج كلها مما نبتت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴿٤٤﴾ وآية لهم الليل نسلخ منه النهار فإذا هم مظلمون ﴿٤٥﴾ والسَّمْسُ تجري لسنته لما ذاك تقدير العزيز العليم ﴿٤٦﴾ والقمر قدرته منازل حتى عاد كالعرجون القديم ﴿٤٧﴾ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴿٤٨﴾

٢٩- ما كانت عقوبتهم إلا صيحة (وهي صوت شديد مزعج) صاح بها جبريل، فأهلكهم، فإذا هم ميتون هامدون لا حس لهم. و (إذا) تدل على سرعة حصول ما بعدها.

٣٠- هذا أو ان الحسرة على العباد الذين كذبوا الرسل وهو يوم القيامة، ما يأتيهم من رسول يدعوهم إلى الإيمان والخير والسعادة إلا استهزؤوا به، وكذبوا برسالة.

٣١- ألم يعلم مشركو مكة.. والاستفهام هنا تفريري، أي أقروا أنكم علمتم- أننا كثيراً ما أهلكنا قبلهم من الأمم الماضية المكذبين رسلم، وقد حكمنا أو قضينا أنهم لا يعودون إلى الدنيا بعد هلاكهم.

٣٢- ما كل واحد من الناس إلا ويحضر بين يدي الله للحساب، أي فكل الناس مجموعون في موقف الحشر يوم القيامة بعد بعثهم، للحساب والجزاء. وكلمة

﴿جمع﴾ هنا بمعنى مجموع، و﴿محضرون﴾ محضرم الملائكة للعذاب.

٣٣- وآية: علامة دالة لهم على قدرتنا على البعث (أي دليل): الأرض الميتة، أي المجذبة التي لا نبات فيها، أحييناها بالماء والنبات، وأخرجنا منها الحب المأكول كالخنطة والشعير وغيرهما، فمن هذا الحب يعيشون ويتغذون.

٣٤- وجعلنا في الأرض بساتين من نخيل وأعناب، وفجنا وشققنا فيها عيون الماء المتدفقة.

٣٥- فعلنا ذلك ليأكل الناس من ثمر النبات والشجر في البساتين، ويأكلوا مما صنعتهم أيديهم كالعصير واللبس ونحوهما، أفلا يشكرون الله على هذه النعم؟

٣٦- تنزه الله عما لا يليق، الذي خلق الأنواع والأصناف المختلفة، مما نبتت الأرض من النبات والشجر، وخلق الأزواج المزدوجة من أنفسهم وهم الذكور والإناث من بني آدم، ومن كل شيء لا يعلمون به من أصناف المخلوقات العجيبة والمصنوعات في البر والبحر، والسماء والأرض.

٣٧- ودليل آخر على قدرة الله ووحدانيته: أنا نفصل ضوء النهار عن الليل، والسلخ: إذهاب الضوء ومجيء الظلمة، فإذا هم داخلون في الظلام فجأة.

٣٨- والشمس تسير بسرعة في فلكها لنهاية تستقر عندها في الصيف وفي الشتاء، ذلك الجري تقدير القوي القاهر، المحيط علمه بكل شيء.

٣٩- وقدرنا مسير القمر في منازل ينزل بها كل يوم وليلة في كل شهر، وهي ثمانية وعشرون منزلاً، حتى صار في آخر منزلة كعود عنقود التمر إذا جف وتقوس واصفر.

٤٠- لا يصح للشمس أن تلحق القمر في مسيره، فتجتمع معه في الليل، وليس للليل أن يسبق النهار قبل انقضائه، وكل من الشمس والقمر والنجوم في مدار خاص يسرون فيه بسهولة في رأي العين.

وَأَيُّهُ لَمْ نَأْتِ بِمِثْلِهِ لَدَرْجَاتٍ لَكُمْ وَأَعْلَىٰ الْآسْمَانِ ﴿٤١﴾ وَحَقَّقْنَا
لَكُمْ مِنَ مِثْلِهِ مَا يَرْضَوْنَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأُ نَفَعَهُمْ صَاعٍ
لَمْ يَكُن لَّهُمْ أَجْرٌ عَلَيْهِمْ إِذْ يَخْلُقُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ
وَأَقْبَلَ لَهُمُ آتُومًا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَأَخْلَقَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٤﴾
وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا
مُعْرِضِينَ ﴿٤٥﴾ وَإِذْ أَخْبَلْنَا لَكُمْ نَبِيًّا مِمَّا رَزَقْنَاكُمْ أَنَّهُ قَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْطُمُ مِنْ لَوْنِكُمْ إِنَّ أُنثَىٰ
الَّذِينَ ضَلَّ سَبِيلَهُمْ ﴿٤٦﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ
صَادِقِينَ ﴿٤٧﴾ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ
يَخِصِّمُونَ ﴿٤٨﴾ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ
يَرْجِعُونَ ﴿٤٩﴾ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمُ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ
يَسْلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالُوا يَا بَنِي آدَمَ إِنَّا فَتَنَّاكُمْ مِنَ الْمَقَامَاتِ وَحَدَّثْنَا
الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْكُمْ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ أَجْرَهُمْ بِمَا نَعَمْنَا بِهِمْ إِنَّكُمْ لَفِي عِندِنَا
لَارْجُونَ ﴿٥١﴾ وَإِذْ قَالَ الْفُقَرَاءُ لِلْكَافِرِ أَتَدْعُونَا عَلَىٰ
رَبِّهِمْ وَهُمْ لَكُمُ الْكُفْرَانُ لَئِن لَّمْ يَكُنِ اللَّهُ
بِإِذْنِهِ لَآتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَالْكَافِرِينَ ﴿٥٢﴾ وَإِذْ قَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَنْ يُبَدِّلُ آيَاتِنَا
تَدْعُونَنَا عَلَىٰ عِزِّ رَبِّنا لَا تَأْتِيكُمُ
السَّاعَةُ بَعْدَ عِزِّكُمْ
إِنَّكُمْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينَةٍ ﴿٥٣﴾ وَإِذْ قَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا لِمَنْ يُبَدِّلُ آيَاتِنَا
تَدْعُونَنَا عَلَىٰ عِزِّ رَبِّنا لَا تَأْتِيكُمُ
السَّاعَةُ بَعْدَ عِزِّكُمْ
إِنَّكُمْ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينَةٍ ﴿٥٤﴾

٤١- ودليل آخر على قدرتنا أننا حملنا آباءهم
الأقدمين الذين في أصلابهم هم وذرياتهم في السفينة
المملوءة، وهي سفينة نوح عليه السلام. وأصل الذرية:
صغار الأولاد، ثم استعملت في الصغار والكبار،
وآمنت الله عليهم بذكر الذرية دونهم؛ لأنه أبلغ في
الامتنان.

٤٢- وخلقنا لهم مثل تلك السفينة ما يركبون عليه
وهو الإبل وسفن النقل البحري والمركبات والقطارات
والطائرات الحديثة.

٤٣- وإن نشأ نفعهم في البحر، أو في البر، فلا
مغيث لهم، ولا هم يتنجون من الغرق، أي يموتون
سريعاً.

٤٤- إلا أن تدرِكهم رحمة منا تتجيبهم وتقلِّبهم،
وتتمتعهم في الحياة بلذاتهم إلى أجل معلوم.

٤٥- وإذا قيل لهؤلاء المشركين أو الكفار: احذروا ما
هو أمامكم من النكبات أو ما حل بالأمم السابقة، وما
وراءكم منها في الآخرة، أي اتقوا أسباب الهلاك،
ليرحمكم، أعرضوا، فجواب ﴿إذا﴾ محذوف مفهوم
من الكلام بعده.

٤٦- وما تأتِيهم من حجة أو دليل على توحيد الله
وصدق رسوله أو آية قرآنية- و﴿من﴾ لعموم ما بعدها-
إلا أعرضوا عنها، عناداً وتعتاً.

٤٧- وإذا قال الفقراء للكفار: تصدقوا على

الاحتاجين بما رزقكم الله، قال الكفار للمؤمنين استهزاء وتهكماً: أنطم من لو يشاء الله أطعمه- في زعمكم واعتقادكم-
ما أنتم يا مؤمنون في قولكم: إن الله هو الرزاق إلا في انحراف واضح. و﴿إن أنتم﴾ إن: حرف نفي أي ما أنتم.

٤٨- ويقول الكفار للمؤمنين استهزاء أيضاً: متى هذا الشيء الموعود به وهو البعث من القبور إن كنتم صادقين في
ادعائكم؟

٤٩- ما ينتظرون إلا صيحة واحدة (صوتاً شديداً للإرهاب مهلكاً) هي نفخة إسرافيل الأولى في الصور: وهي التي
يوت بها الخلائق جميعاً، وتقضي عليهم بسرعة، وهم يختصمون في البيع والشراء وأمور الدنيا.

٥٠- فلا يستطيع بعضهم الإيضاء لبعض فيما له وما عليه، ولا يعودون إلى أهلهم ومنازلهم من مشاغلهم، لموتهم
فيها.

٥١- ونفخ في الصور النفخة الثانية للبعث- وبين النفختين أربعون سنة- فإذا المخلوقون يخرجون بسرعة من قبورهم،
لحساب بين يدي ربهم.

٥٢- قال منكرو البعث: يا هلاكنا! من الذي أخرجنا من مرقد نومنا؟ قالوا ذلك لشدة الهول، فيرد عليهم من
الملائكة: هذا هو البعث الذي وعد به الرحمن عباده، وصدق الأنبياء المرسلون فيما أخبروا به، من مجيء البعث.

٥٣- ما كانت تلك النفخة إلا صيحة واحدة لإسرافيل في الصور، فإذا هم جميع مجموعون عندنا بسرعة للحساب
والجزاء.

٥٤- فيوم القيامة لا تظلم نفس شيئاً بنقص ثوابها أو زيادة عقابها، ولا تجازون إلا على أعمالكم التي عملتم بها في
الدنيا.





٥٥- إن أهل الجنة يوم القيامة في شأن يشغل الإنسان عن غيره، متنعمون متلذذون.

٥٦- هم وزوجاتهم الحلائل في الجنة في ظلال الأشجار الوارفة، متكثون على الأسرة والفرش الناعمة.

٥٧- تقدم لهم الفاكهة المتنوعة، ولهم غير ذلك كل ما يتمنون ويشتهون، مما تشتهي الأنفس، وتلذ الأعين.

٥٨- ويقال لهم: سلام تحية لكم، قولاً مقولاً من الله الرب الرحيم بعباده المؤمنين.

٥٩- أي تميزوا أيها الكفرة الذين أجرتم عن عبادي المؤمنين. يقال هذا لهم عند الوقوف للسؤال، وحين يؤمر بأهل الجنة إلى الجنة، كما ذكر القرطبي.

٦٠- ألم أمركم وأوصيكم يا بني آدم عن طريق الرسل ألا تطيعوا الشيطان في عبادة الألهة المزعومة، إن الشيطان لكم عدو ظاهر العداوة.

٦١- وأمرتكم أن تعبدوني، أي توحّدوني وتطيعوني، هذا طريق قوم لا اعوجاج فيه، وهو دين الإسلام.

٦٢- ولقد أغوى الشيطان خلقاً كثيراً منكم،

إِنَّا صَحَبَ الْجَنَّةَ الْيَوْمَ فِي شُغُلٍ فَاكُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلِّ عَلَى الْأَرَايِكِ مُتَّكُونَ ﴿٥٦﴾ لَهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَلَهُمْ مَا يَدْعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَامٌ قَوْلًا مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ ﴿٥٨﴾ وَأَمْسَرُوا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾ أَلَمْ نَعْهَدْ لَكُمْ بِبَنِي آدَمَ أَنْ لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنْ تَعْبُدُونِي هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًا أَفَلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ أَصَلُّوْهَا الْيَوْمَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٦٤﴾ الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَنَشْهَدُ أَرْجُلَهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٦٥﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَطَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ فَاسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ فَأَنَّى يُبْصِرُونَ ﴿٦٦﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ عَلَى مَكَانَتِهِمْ فَمَا اسْتَبَقُوا الصِّرَاطَ وَلَا يَسْرِعُونَ ﴿٦٧﴾ وَمَنْ نُعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِي الْخَلْقِ أَفَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٦٨﴾ وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا وَيَحْيِيَ الْقَوْلَ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧٠﴾

أفلم تعقلوا وتدرّكوا عداوة الشيطان وإضلاله لكم.

٦٣- هذه جهنم التي وعدتم بها في الدنيا على السنة الرسل.

٦٤- ادخلوها واحترقوا بها يوم القيامة، جزاء لكم على كفركم بالله وطاعتكم الشيطان، وتكذيبكم الرسل الكرام.

٦٥- اليوم في الآخرة تمنع أفواه الكفار من الكلام، فيكونوا كالحرس، وتكلمنا أيديهم، وتشهد أرجلهم بما فعلوا من المعاصي، بأن يخلق الله فيها القدرة على الكلام، فكل عضو ينطق بما صدر منه.

٦٦- ولو نشاء لأعميناهم، فإذا تسابقوا في الطريق إلى النجاة، فكيف يرونه، وقد عموا؟ أي لا يبصرون.

٦٧- ولو نشاء لحوّنا صورهم إلى صور قبيلة في المكان الذي أقاموا فيه وظنوا أنهم أقوياء فيه، واقتروا المعاصي، فما استطاعوا ذهاباً ولا رجوعاً، والمراد: هلكوا وذلوا.

٦٨- ومن نُطَلَّ عمره كثيراً، نغير خلقته ونبدل حالته من قوة إلى ضعف، وعقل إلى خرف، أفلا يعقلون أن من قدر على ذلك، قدر على ما تقدم من الطمس والمسح والبعث، فيؤمنوا؟

٦٩- وما علمنا رسولنا محمداً الشعر، وما يصح له أن يكون شاعراً، ما هذا القرآن إلا عظة وتذكير، وكتاب واضح مظهر للأحكام والشرائع وغيرها من الله رب العالمين، وليس شعراً كما تفترون.

٧٠- ليخوف بالقرآن من كان عاقلاً يقظ الفهم، يدرك ما يخاطب به، ويجب العذاب ويثبت على من اختار الكفر، وهم الكالمون لا يعقلون ما يخاطبون به.

أُولَئِكَ زُورًا أَنَا خَلَقْنَا لَهُمْ مَا عَمِلُوا يُدِينُنَا أَعْلَمُ فَهُمْ مَا مَلَكَوْنَ
 ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لِأَجْلِهِمْ أَنعَمْنَا (وهي الإبل والبقر والغنم)
 فهُمْ لَهَا مَتَمَلِكُونَ ضَابِطُونَ يَتَصَرَّفُونَ بِهَا كَيْفَ
 شَاءُوا؟! ٧١
 ٧٢- وجعلناها مذللة متفاداة غير متوحشة ولا
 ممتنعة مما يريدون منها حتى الذبح، فمنها مركوبهم
 ومنها يأكلون من لحومها.
 ٧٣- ولهم في هذه الأنعام منافع كأصوافها
 وأوبرها وأشعارها والحمل عليها وغير ذلك،
 ومشارب من ألبانها، أفلا يشكرون الله على ما أنعم به
 من نعمها، فيؤمنوا؟! ٧٣
 ٧٤- واتخذوا من غير الله آلهة من الأصنام
 ونحوها يعبدونها، رجاء أن ينصروهم ويمنعوا عنهم
 العذاب.
 ٧٥- ولا تستطيع آلهتهم مناصرتهم في شيء ما،
 والحال أن المشركين هم الجنود المدافعون عن
 أصنامهم، بإعداد أنفسهم للاتصار لهم، وتحضرم
 الشياطين للدفاع عنهم، أما الأصنام فلا تفيدهم شيئاً.
 ٧٦- فلا يوقعك في الحزن والهجم قولهم: إنهم
 آلهتنا، وإنهم شركاء لله في العبادة، إننا نعلم سرهم
 وما في ضمائرهم، وعلنهم وما يقولون بألسنتهم،
 ونجازيهم على ذلك.

٧٧- أولم يعلم أي إنسان وبخاصة منكر البعث أننا خلقناه من ذرة من ذرات المني مادة الحياة، فإذا هو شديد
 الخصومة لنا، يجادل بالباطل وينكر البعث بنحو واضح. قال ابن عباس: جاء العاص بن وائل إلى رسول الله
 ﷺ بعظم حائل، ففتنه، فقال: يا محمد، أيبعث هذا بعدما أرم؟ قال: نعم، يبعث الله هذا، ثم يميتك، ثم
 يحييك، ثم يدخلك نار جهنم، فنزلت الآيات.

٧٨- وضرب لنا مثلاً بإيراد شيء غريب يعد كالمثل، وهو إنكاره إحياءنا العظام النخرة، ونسي خلقنا إياه من
 أضعف الأشياء، فقال: من الذي يحيي العظام البالية؟

٧٩- قل له أيها الرسول: يحييها الذي خلقها في المرة الأولى من غير شيء، وهو عليم بكل مخلوق، لا يخفى
 عليه شيء.

٨٠- ومن أدلة قدرته تعالى: أنه أوجد ناراً من الشجر الأخضر وهو المرخ والعفار، بأن يضرب منهما عودان
 على بعضهما، فتندح منهما النار، وهما أخضران، فإذا أتمت توقدون النار من ذلك الشجر الأخضر.

٨١- أوليس الذي خلق السموات والأرض، وهما في غاية العظم، بقادر على إعادة خلق البشر الذي هو صغير
 ضعيف، بلى هو قادر على ذلك، وهو الكثير الخلق، الواسع العلم بكل شيء.

٨٢- إنما أمر الله إذا أراد إيجاد شيء أن يقول له: كن فيكون موجوداً كأنثاً، أي إذا قضى أمرأ نفضه بسرعة فائقة.

٨٣- فتنزه الله عما لا يليق به، وعما ضربه له من المثل، الذي بيده ملك كل شيء ملكاً تاماً، عظيماً، وإليه
 تعودون في الآخرة.

٨٤- فتنزه الله عما لا يليق به، وعما ضربه له من المثل، الذي بيده ملك كل شيء ملكاً تاماً، عظيماً، وإليه
 تعودون في الآخرة.



سورة الصافات

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

فضلها: أخرج النسائي عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يأمرنا بالتخفيف، ويؤمنا بالصافات».

١، ٢- أقسم بالملائكة التي تصف في السماء صفوفاً للعبادة وانتظار أوامرها، فالملائكة التي تزجر السحاب، أي تسوقه.

٣، ٤- فالملائكة التي تتلو القرآن وغيره وتبلغه الرسل، إن إلهم واحد لا شريك له.

٥- خالق السموات والأرض ومالكهما ومدبرهما، ورب مشارق النجوم، أي ومغارها.

٦- إنا زينا السماء الدنيا أي القربى من الأرض بزينة بديعة هي الكواكب أو النجوم المضيئة.

٧- وحفظناها حفظاً من كل شيطان عات متمرد خارج عن الطاعة، بقذفه بالشهب.

٨- لا يتسمعون خلصة إلى الملا الأعلى: وهم كبار الملائكة في السماء، ويرجمون بالشهب المحرقة من كل ناحية في السماء إذا حاولوا استراق السمع.

٩- يطرودون طرداً وإبعاداً قويا، ولهم في الآخرة عذاب دائم لا ينقطع، أو شديد مؤلم.

١٠- إلا من اختطف من الشياطين خلطة أثناء تفاوض الملائكة، أي استرق السمع خلصة، فأتبعه نجم مضئ فيحرقه.

وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ١ فَالزَّجْرَاتِ زَجْرًا ٢ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ٣ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ٤ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشْرِقِ ٥ إِنَّا نَبَأُ السَّمَاءِ الدُّنْيَا بِرَبِّهِ الْكَوَكِبِ ٦ وَحِطَّاتٍ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَّارِدٍ ٧ لَا يَسْمَعُونَ إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى وَيُقَدِّفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ٨ دُحُورًا وَهُمْ عَذَابٌ رَاصِبٌ ٩ إِلَّا مَنْ خَلِطَ خَلِطَةً فَاتَّبَعَهُ شَهَابٌ نَاقِبٌ ١٠ فَاسْتَفْتِهِمْ أَهْ أَسَدٌ خَلَقْنَا مِنْ خَلْقِنَا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ١١ لَنْ نَجْعَبَ لَهُمْ وَنَحْمُرُونَ ١٢ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذَكَّرُونَ ١٣ وَإِذَا رَأَوْهُ آيَةً سَسَخَرُونَ ١٤ وَقَالُوا إِن هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ ١٥ أَمْ دَأْبُكُمْ وَكُفْرًا أَبَاطًا عَظِيمًا ١٦ فَاتَّبَعُوهُنَّ أَهْوَاءَهُنَّ الْأُولُونَ ١٧ قُلْ تَرَوْنَهُنَّ ذُرُورًا ١٨ فَاسْمَاهِي زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِنَّهُنَّ يَنْظُرُونَ ١٩ وَقَالُوا لَوْلَا هَذَا يَوْمَ الَّذِينَ هَذَا يَوْمَ الْفُضْلِ الَّذِي كُتِبَ بِهِ الْكُذُوبُ ٢٠ أَحْسَرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْتَدُونَ ٢١ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَأَهْدُوهُمْ إِلَى صِرَاطِ الْجَحِيمِ ٢٢ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ٢٣

- ١١- فاسأل أيها النبي المشركين منكري البعث: أهم أقوى أجساماً وأحكم خلقاً، أم من خلقنا من الملائكة وأهل السماء والأرض، إنا خلقنا أباهم آدم من طين لزج يلصق باليد، والسؤال للتقرير أو للتوبيخ، والأول أولى في مجال الدعوة إلى الله.
- ١٢- بل عجبت أيها النبي من تكذيبهم إياك وإنكارهم البعث وقدره الله تعالى، وهم يستهزئون من دعوتك. ﴿بل﴾ للانتقال من غرض إلى آخر، والمراد: لا تسألهم أيها النبي فإنهم معاندون، وانظر الفرق بينك وبينهم.
- ١٣- وإذا عظوا بموعظة قرآنية لا يعظون بها ولا يتفنعون.
- ١٤- وإذا رأوا معجزة دالة على صدق رسول الله ﷺ يبالغون في السخرية والهزاء.
- ١٥- وقالوا: ما هذا الذي تأتينا به وهو القرآن إلا سحر ظاهر واضح.
- ١٦- أفلا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أنعت أحياء مرة أخرى؟! ١٧، ١٨- أو يُبعث أيضاً معنا أبائنا الأقدمون؟! قل أيها الرسول لهم: نعم تبعثون جميعاً، وأنتم صاغرون ذليلون.
- ١٩- فإنما البعث صيحة واحدة هي النفخة الثانية لإسرايل في الصور، فإذا هم يبصرون الساعة والعذاب.
- ٢٠- وقال المشركون المكذبون بالبعث حينئذ: يا هلاكنا، هذا يوم الدين: الحساب والجزاء الذي يجازى فيه بأعمالنا.
- ٢١- قالت الملائكة: هذا يوم الحكم والقضاء بين الخلائق وتمييز المحسن من المسيء، الذي كنتم تكذبون به في الدنيا.
- ٢٢- ويقال للملائكة: اجمعوا الذين ظلموا أنفسهم بالشرك وهم المشركون وأمثالهم وقرناء السوء وأتباعهم في الكفر والتكذيب، وما كانوا يعبدونه من الأصنام والأوثان والشياطين زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم.
- ٢٣- ما كانوا يعبدون من غير الله، فدلوهم وعرفوهم إلى طريق النار وسوقوهم إليها.
- ٢٤- واحبسوهم في الموقف حتى يسألوا عن معاصيهم وأنامهم.



مَا لَكُمْ لَا تَنصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمْ الْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ ﴿٢٦﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ
عَلَى بَعْضٍ نِسَاءَ لُؤْلُؤٍ ﴿٢٧﴾ فَأَلَاؤُكُمْ كُنْتُمْ نَائِثَاتٍ عَنِ الْيَمِينِ ﴿٢٨﴾
فَالْوَأْبِلُ لَوْ كُنُوا مُؤْمِنِينَ ﴿٢٩﴾ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ
بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ﴿٣٠﴾ فَوَيْلٌ لَّيْنَا أَنَا لَنَدَّيْقُونَ ﴿٣١﴾
فَأَعْرَضْنَا عَنْ آثَابِ كَاغُورٍ ﴿٣٢﴾ فَإِنَّهُمْ يُؤْمِدُونَ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ
﴿٣٣﴾ إِنَّا كَذَّبْنَا بِفِعْلِ الْخَرِيمِينَ ﴿٣٤﴾ إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ
لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ إِنَّا نَأْتِيَنَّكُمْ أَوْ جَاءَنَا
لِنُشَاقِقَنَّكُمْ أَوْ لِيَأْتِيَنَّكُمْ أَوْ جَاءَهُمُ الْبَأْسُ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٣٦﴾ إِنَّكُمْ
لَتَأْتِفُونَ فِي الْعَذَابِ أَلْوَجًا ﴿٣٧﴾ وَمَا تَحْزَنُونَ إِلَّا مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٨﴾
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿٣٩﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤٠﴾ فَوَٰكِهِ
وَهُمْ مُكْرَمُونَ ﴿٤١﴾ فِي جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴿٤٢﴾ عَلَى سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ ﴿٤٣﴾
يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِكَأْسٍ مِنْ مَّعِينٍ ﴿٤٤﴾ بِيضَاءَ لَبَنٍ لَّسِيدٍ ﴿٤٥﴾ لَدَيْهَا
عُورٌ وَلَآهَرٌ عَمَّا يَنْفَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصْرٌ مُّطَّرَفٌ عَيْنٌ
﴿٤٧﴾ كَأَنَّهُمْ بِيضٌ مُّكُونٌ ﴿٤٨﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ
نِسَاءَ لُؤْلُؤٍ ﴿٤٩﴾ فَأَل قَابِلٌ مِنْهُمُ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥٠﴾

٢٥- ما لكم لا ينصر بعضكم بعضاً بالتخليص من العذاب، كما كنتم في الدنيا؟
٢٦- بل هم اليوم مقادون لأمر الله.
٢٧- وأقبل بعضهم على بعض يتلاومون ويتخاصمون، ويسأل بعضهم بعضاً للتوبيخ والتقريع.
٢٨- قال الأتباع للقادة: إنكم كنتم تأتوننا عن أقوى الوجوه، فحملتمونا على الكفر، وإنكم أنتم أضللتمونا.
٢٩- قال القادة المتبوعون لهم: بل إنكم كنتم في الأصل غير مؤمنين، فكيف تدعون أننا أضللناكم؟
٣٠- ولم يكن لنا عليكم تسلط وقهر، بل كنتم قوماً مختارين الكفر، متجاوزين الحد في الطغيان.
٣١- فوجب علينا جميعاً حكم ربنا بالعذاب، وهو ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة ٣٢/ ١٣] إننا لذائقو العذاب جميعاً بسبب كفرنا وعصياننا.
٣٢- فدعوناكم إلى الضلال فأجبتهم، إننا كنا جميعاً ضالين، وهو إقرار بتسببهم في الإغواء.
٣٣- فإن الفريقين السابعين والمتبوعين يوم القيامة مشتركون في العذاب، كاشتراكهم في الضلال. وهذا من قول الله تعالى.
٣٤، ٣٥- مثل ذلك الفعل فعل بالمشركين الذين اختاروا الكفر غير هؤلاء. إنهم كانوا إذا قيل لهم قولوا: لا إله إلا الله، يتكبرون عن قولها.

- ٣٦- ويقول المشركون الوثنيون: كيف ترك عبادة آلهتنا لقول شاعر مجنون؟ يريدون بذلك النبي ﷺ أخزاهم الله تعالى.
٣٧- بل جاء هذا النبي بالحق الثابت بالبرهان وهو القرآن والتوحيد، وأيد الأنبياء، ولم يخالفهم في شيء من الأصول.
٣٨- إنكم لذائقو العذاب المولم جداً في الآخرة على الكفر وتكذيب الرسل.
٣٩- وما تحزون في الآخرة إلا جزاء العمل الحادث منكم في الدنيا من المعاصي والذنوب.
٤٠- لكن عباد الله المخلصون الذين أخلصوا العبادة لله تعالى.
٤١- أولئك لهم في الجنة رزق معروف بالخصائص من الدوام والانتظام والمتعة النافعة مطلقاً.
٤٢- ذلكم الرزق فواكه متنوعة، وهم مكرمون إكراماً عظيماً عند الله برفع درجاتهم.
٤٣، ٤٤- ويقعدون على أسرة يتكئون عليها، ينظر بعضهم إلى وجوه بعض، مسرورين.
٤٥- يطاف عليهم بكأس من خمر جارية على وجه الأرض كالعيون والأنهار، والمراد: شرب الخمر.
٤٦- تلك الخمر أشد بياضاً من اللبن، ولذيذة جداً لمن شربها، بخلاف خمر الدنيا، فإنها كريهة عند الشرب. و﴿لذة﴾ مصدر يراد بها اللذبة، حتى كأنها اللذبة نفسها.
٤٧- ليس في هذه الخمر مادة كحولية مسكرة تذهب بالعقول، ولا يسكرون منها.
٤٨- وعندهم في الجنة نساء مملوءات بالحياة قصرن طرفهن على أزواجهن لا ينتظرن لغيرهم، حسان الأعين، كبارها.
٤٩- كأنهن في صفاء اللون بيض النعام المستور بالريش من الريح والغبار، الصمون المحفوظ عن لمس الأيدي.
٥٠- فأقبل بعض أهل الجنة يسأل عن أحوال بعض الناس التي كانوا عليها في الدنيا.
٥١- قال قائل من أهل الجنة: كان لي رفيق في الدنيا.

٥٢ - ذلك القرين كافر بالبعث منكر له يقول ساحراً:
أتنتك لمن المصدقين يوم القيامة؟
٥٣ - أننا مننا وصرنا تراباً وعظاماً بالية، أننا لمجزيون
بأعمالنا، محاسبون عليها؟
٥٤ - قال المؤمن لأهل الجنة: هل أنتم مطلعون معي إلى
النار لتنظر حال ذلك القرين قائل المقالة؟
٥٥ - فاطلع ذلك المؤمن على النار، فرأى قرينه في وسط
الجحيم (النار).
٥٦ - قال المؤمن موبخاً لقرينه لما رآه: والله لقد قاربت أن
تهلكني بإغوائك وتوقعني في النار.
٥٧ - ولولا رحمة ربي وإنعامه علي بالإيمان والهداية إلى
الصواب، لكنت من المحضرين معك في النار، الذين
تحضرمهم ملائكة العذاب.
٥٨ - أنحن مخلدون ممنعون غير ميتين؟
٥٩ - إلا الموتة الأولى التي كانت في الدنيا، وما نحن
بمعدلين في الآخرة؟ هذا استفهام تليد وتحدث بنعمة الله
تعالى.
٦٠ - إن ما يحصل عليه أهل الجنة من النعيم والخلود
والأمن من العذاب، لهو الفوز النهائي الذي لا يقدر قدره،
ولا يحاط بوصفه.
٦١ - لمثل هذا الهدف العظيم الأمل فليعمل العاملون، لا
العمل للدنيا الفانية.
٦٢ - أذلك المذكور لأهل الجنة خير كرامة وضيافة أم
الشجرة المعدة لأهل النار ذات الثمر المر الكريه الرائحة الذي

يَقُولُ أَهَيْئَةً لِمَنْ لَمْ يَصِدِّقْ ۖ أَمْ دَائِمًا تَرَاهُمْ مُعَظَّمًا ۗ أَمْ
لَمُدِّبُونَ ۚ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُطَّلِعُونَ ۖ فَاطَّلَعَ فَرَآهُ فِي سَوَاءِ
الْحَبِيدِ ۖ قَالَ يَا لَيْلَىٰ إِنَّكَ لَمُتْرِبَةٌ ۖ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي
لَكُنْتُ مِنَ الْخَاضِرِينَ ۖ أَمْ أَنْتَ نَبِيَّةٌ ۖ إِنْ لَمْ يَكُنْ
الْأُولَىٰ وَمَنْتَ بَعْدَئِذَا ۖ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْعَوْزُ الْعَظِيمُ ۖ
لِمِثْلِ هَذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ ۖ أَذَلِكَ خَيْرٌ تُرَآءُ أَمْ شَجَرَةُ
الزَّقُونِ ۖ إِنْ جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ ۖ إِنَّهَا شَجَرَةٌ
تَخْرُجُ فِي أَصْلِ النَّجْمِ ۖ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ
ۖ فَإِنَّهُمْ لَا كَلِمَةَ مِنْهَا وَلَكِنْ مِمَّا يَنْطَوْنُ ۖ ثُمَّ انْبَهَثَ
عَلَيْهَا الشُّرَكَاءُ مِنْ جَمِيمٍ ۖ ثُمَّ إِنَّمَا رُجِعَتْ إِلَىٰ النَّجْمِ ۖ
إِنَّهُمْ أَقْوَاءُ أَبَاءَهُمْ صَالِينَ ۖ فَهَدَىٰ عَلَىٰ أَسْرِهِمْ رُءُوسَهُمْ
وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأُولِينَ ۖ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِمْ
مُنذِرِينَ ۖ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذِرِينَ ۖ
إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلِصِينَ ۖ وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ
الْمُجِيبُونَ ۖ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ۖ

هو نُزِّلَهُمْ وضيافتهم؟ ومثلها بنيت في أرض تهامة العربية.
٦٣ - إنا جعلنا تلك الشجرة يابناتها في قعر جهنم موضع محنة للكافرين، يارغامهم على أكلها في الآخرة، ومحل إنكار في
الدنيا حيث قالوا: كيف يكون في النار شجر؟ فيضاعف عذابهم بسبب هذا الإنكار، علماً بأن هناك أشياء غير قابلة للاحتراق،
وأن من قدر على خلق ما يعيش في النار من الناس المعدلين، فهو قادر على خلق الشجر في النار.
٦٤ - إنها شجرة تنبت في قعر أو قاع جهنم، وأغصانها ترتفع إلى دركاتها.
٦٥ - ثمرها الذي يشبه طلع النخل كأنه في قبحه ويشاعته رؤوس الشياطين، وهذا على عادة العرب في تشبيه كل قببح
الصورة بالشيطان، وكل حسن الصورة بالملائكة. والطلع: أول ما يظهر من ثمر النخل.
٦٦ - فإن الكفار لا يكونون من تلك الشجرة مع قبحها لشدة جوعهم، فمائلون منها بطونهم بالإكراه.
٦٧ - ثم إن لهم بعد الأكل من الشجرة خليباً مشوباً به الطعام وهو الماء الشديد الحرارة الذي يخلط بالنساق (البارد المنتن) في
آية: ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا﴾ [النبا ٧٨/٢٥].
٦٨، ٦٩ - ثم إن مصيرهم بعد الأكل وشرب الحميم إلى دركات النار. إنهم وجدوا آباءهم ضالين، فافتقدوا بهم.
٧٠ - فهم في طريقهم يتبعونهم، بسرعة شديدة، كأنهم يزعمون إلى اتباعهم.
٧١ - ولقد ضل قبل قومك أكثر الأمم الماضية.
٧٢ - ولقد أرسلنا في الأولين رسلاً ينذرونهم العذاب إذا بقوا كفاراً.
٧٣ - فانظر كيف كان مصير الكافرين المنتثرين، أهلكتهم أجمعين، وصاروا إلى النار.
٧٤ - إلا الذين أخلصهم الله للعبادة والطاعة.
٧٥ - ولقد دعانا نوح حين آيس من قومه، واستغاث بنا، فأجبنا دعاءه، وأهلكتنا قومه بالطوفان.
٧٦ - ونجيناها وأهل المؤمنين، وكانوا ثمانين، من الفرق، والكراب: الغم الشديد.

٧٧- وأيقنا ذرية نوح متناسلين إلى يوم القيامة، من أولاده الثلاثة: سام وحام ويافث، والمعنى: أن المؤمنين الذين ركبوا مع نوح في السفينة ماتوا وانقرض نسلهم.

٧٨- وتركنا على نوح عليه السلام ثناء حسناً بين الأنبياء والأمم الآتية بعده إلى يوم القيامة.

٧٩- يَسْلَمُونَ عليه تسليماً، أي يثنون عليه ثناء حسناً ويدعون له من العوالم المختلفة.

٨٠- مثل ذلك الجزاء الحسن الذي جازيناه، نجزي المحسنين.

٨١- لأنه من عبادنا المؤمنين المخلصين.

٨٢- ثم أغرقنا كفار قومه الآخرين ودمرناهم.

٨٣- وإن ممن تابعه على منهجه وأصل الدين والإيمان والتوحيد: إبراهيم الخليل عليه السلام.

٨٤- اذكر أيها النبي حين أقبل إبراهيم على ربه بالعبادة والطاعة بقلب مخلص سليم من الشرك.

٨٥- حين قال لأبيه وقومه موبخاً بسبب عبادتهم الأصنام: ما الذي تعبدون؟

٨٦- أتريدون إفكاً: وهو أسوأ الكذب، والهمزة للاستفهام التوبيخي، أي أتريدون آلهة من دون الله لأجل الإفك؟ والمعنى: هل يصح لكم اتخاذ آلهة غير الله، لا لسبب إلا للكذب؟

٨٧- فما ظنكم برب العالمين إذا لقيتموه، وقد عبدتم غيره، وما تظنون أنه صانع بكم؟

وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُرُوبًا وَآلِافِينَ ﴿٣٧﴾ وَرَبَّكَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿٣٨﴾ سَلَّمَ

عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿٣٩﴾ إِنَّكَ لَكُذَّابٌ مُّجْرِمٌ ﴿٤٠﴾ الْحُسَيْنِ ﴿٤١﴾ إِنَّهُ

مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿٤٢﴾ ثُمَّ أَعْرَفْنَا الْآخِرِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّ

مِنْ شِعْبِهِ لِإِبْرَاهِيمَ ﴿٤٤﴾ إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٤٥﴾ إِذْ قَالَ

لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ ﴿٤٦﴾ أَصْنَعُ آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ

﴿٤٧﴾ فَأَظْهَرْتُكُمْ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٨﴾ فَظَرُّنْتَ فِي النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ ﴿٥٠﴾ فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ ﴿٥١﴾ فَرَّخَ إِلَى اللَّهِ عَصِيئَةً

فَرَّخَ إِلَى اللَّهِ عَصِيئَةً ﴿٥٢﴾ فَأَقْبَلُوكَ آلِيبًا رِيفُونَ ﴿٥٣﴾ فَأَلَّا تَعْبُدُونَ مَا تَحْمِلُونَ

﴿٥٤﴾ وَاللَّهُ خَلْقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٥٥﴾ فَالْوَالِدُ لِلْوَالِدِ وَالْأَقْرَبُونَ

فِي الْحَجَرِ ﴿٥٦﴾ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ﴿٥٧﴾

وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَسْجِدِينَ ﴿٥٨﴾ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ

الصَّالِحِينَ ﴿٥٩﴾ فَفَشَّرْتَهُ بِعِلْمٍ حَلِيمٍ ﴿٦٠﴾ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ قَالَ

يَبْنَؤُا نَفْسِي إِنِّي خَشِيتُ الْمَنَامَ أَنِّي أَذْجَبُكَ فَانظُرْ مَاذَا تَرَىٰ قَالِكَ

يَأْتِيَتِ أَعْمَلُ مَا تُوَمَّرُ سَجِدُنِي إِنْ سَاءَ اللَّهُ مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿٦١﴾

٨٨، ٨٩- فنظر نظرة تأمل وتفكر عميق في النجوم، موهما لهم أنه يعتمد على النجوم، وموهما أنه مريض حتى لا يخرج معهم في عيدهم، والواقع أنه كان سقيم القلب لحزنه على كفرهم بالله تعالى.

٩٠، ٩١- فانصرفوا عنه معرضين، وذهبوا إلى عيدهم. فذهب حُفْيَةُ إلى أصنامهم، وعندها الطعام، فقال استهزاء وسخرية: ألا تأكلون من هذا الطعام الذي صنع لكم؟ فلم ينطقوا.

٩٢، ٩٣- ما لكم لا تتكلمون، ولا تجيبوني؟ فقال عليهم يضربهم بقوة وشدة، فكسرتهم.

٩٤، ٩٥، ٩٦- فأقبل إليه عبدة تلك الأصنام يسرعون المشي، لما علموا بما حدث. قال إبراهيم لهم موبخاً: أتعبدون أصناماً أنتم تتحتونها؟ والله خلقكم وخلق الذي تصنعونه، فاعبدوه وحده.

٩٧- قال القوم مشاورين فيما بينهم: ابنوا له بيتاً حائطاً من الحجارة، واملؤوه حطباً، وأضرموا النار، ثم ألقوه فيه.

٩٨- فأرادوا بإلقائه في النار التهلكة، فجعلناهم المقهورين، بإخراجه سالماً من النار.

٩٩- وقال إبراهيم: إني مهاجر إلى حيث أمرني ربي بالمهاجرة إليه وهو الشام، فإنه سيرشدني إلى ما فيه صلاح ديني والتمكن من عبادته، والظفر بما يرضيه.

١٠٠- وفي الشام دعا إبراهيم ربه قائلاً: رب هب لي ولداً صالحاً يطيعك ويؤيد دينك، ويعينني في الغربة على طاعتك.

١٠١- فبشّرناه بصبي ذكر يكبر ويصير ذا حلم كثير. وهو إسماعيل عليه السلام، وهو الذبيح؛ لأن إسحاق بُشِّرَ به بعده.

١٠٢- فلما وصل إلى السن التي تمكته من السعي مع أبيه، قال يا بني إني أرى في المنام- وروى الأنبياء حق ووحى- أنني أذبحك، فانظر ماذا ترى من الرأي، قال له ابنه: يا أبي افعل ونفِّذ ما تؤمر به، مستجديني على أمر الله صابراً.



١٠٣- فلما استسلم الأب والابن وانقادا لأمر الله وطاعته، وأضعجه أو طرحه على جانبه أو شقه، حتى صار أحد جبينيه على الأرض، مؤثراً ألا يرى وجهه حتى لا تأخذه الشفقة عليه، وذلك في المنحرجى عند الجمار.

١٠٤- ونادياته من جهة الجبل يا إبراهيم، و﴿ان﴾ تفسيرية، تدل على أن ما بعدها تفسير.

١٠٥- قد حَقَّقَتْ ما طلب منك في الرويا بالعزم القوي على التنفيذ، وجعله مصداقاً بمجرد العزم، وإن لم يذبحه، إنا كما جزيناك تجزي المحسنين لأنفسهم بامتثال الأمر، والتخلص من الشائد.

١٠٦- إن هذا الذبح المأمور به لهو الامتحان الظاهر الذي نصح فيه إبراهيم، والذي يتميز فيه المخلص من غيره.

١٠٧- وقدياته بحيوان يصير مذبحاً فيما بعد، عظيم الجنة، سمين. والذبح بوزن الحِمْل أي المحمول.

١٠٨- وأيقينا على إبراهيم ثناء حسناً في الأجيال اللاحقة.

١٠٩- سلام منا على إبراهيم، وثناء حسن جميل من الناس عليه.

١١٠- كما جزيناه بهذا الجزاء تجزي المحسنين لأنفسهم بطاعة الله تعالى.

١١١- لأنه من عبادنا المخلصين.

١١٢- وبشرنا إبراهيم بشارة بولد آخر هو إسحاق يكون نبياً، مقدراً كونه من الصالحين. وهذا دليل على أن الذبيح هو الابن البكر الوحيد وهو إسمايل.

١١٣- وباركنا على إبراهيم وعلى إسحاق بإرداف النعم، وجعل أكثر الأنبياء من نسله، مثل أيوب وشعيب عليهما السلام، وكان من ذريتهما مؤمن وكافر عاصر، ظالم لنفسه، ظاهر الظلم، وبين الكفر. وهذا دليل على أن النسب لا أثر له في الهدى والضلال.

١١٤- ولقد أنعمنا بالنبوّة على موسى وهارون، وبغيرها من المنافع الدينية والدنيوية.

١١٥- وبغيناهما مع قومهما من الفرق وتغلب فرعون واستعباده بني إسرائيل، وهو غم شديد.

١١٦- ونصرنا موسى وهارون وقومهما على القبط، فكانوا هم المتغلبة على فرعون وقومه.

١١٧- وآتيناهما الكتاب البين الظاهر وهو التوراة.

١١٨- وأرشدناهما إلى الطريق القويم المتميز بأنه حق وصواب، وهو الإسلام وشرع الله تعالى.

١١٩، ١٢٠- وتركنا على موسى وهارون ثناء حسناً في الأمم المتلاحقة. سلام منا على موسى وهارون، ومن المؤمنين.

١٢١، ١٢٢- مثل ذلك الجزاء الحسن تجزي المحسنين المطيعين لله تعالى. إنيهما من عبادنا المؤمنين المخلصين.

١٢٣- وإن إلياس أحد أنبياء بني إسرائيل من نسل هارون عليهما السلام، من الرسل الكرام المرسلين إلى قومهم.

١٢٤- حين قال لقومه: ألا تتقون الله، فتعبدهون دون غيره، وتركون الشرك والعصيان؟

١٢٥- أتعبدون بعلًا، وهو بلغة اليمن الرب، وهو اسم صنم من ذهب؟ أي أتعبدون رباً من الأرباب الباطلة، وتركون عبادة

أحسن الخالقين المصورين؟!!

١٢٦- وهو الله الإله الحق الذي رباكم بنعمه، وأوجدكم أنتم وأجدادكم الأقدمين.

فَلَمَّا أَسْلَمَا وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ ﴿١٠٣﴾ وَتَدْنِيهِ أَنْ يَبَايِرَهُمْ ﴿١٠٤﴾ فَدَعَا صَدَقَاتُ الرُّؤْيَا يَا آتَاكَ الْكَلْبُ الْجَزِيءُ الْحَسِينِ ﴿١٠٥﴾ إِنَّ هَذَا لَهُوَ الْبَلَاءُ الْعَظِيمُ ﴿١٠٦﴾ وَتَدْنِيهِ بِذِي عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكَ عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُمْ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنْ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَتَرَكَ عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمَنْ ذُرِّيَّتَهُمَا حُسْنٌ ﴿١١٣﴾ وَظَلِمَ لِنَفْسِهِ مِثِينَ ﴿١١٤﴾ وَقَدَّمْنَا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١١٥﴾ وَجَعَلْنَاهُمْ أَقْوَمًا مِنْ الْكُفْرِ الْعَظِيمِ ﴿١١٦﴾ وَنَصَرْنَاهُمْ فَكَانُوا هُمُ الْغَالِبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴿١١٨﴾ وَتَرَكَمَا عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَّمَ عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّكَ ذَاكَ الْجَزِيءُ الْحَسِينِ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٢٢﴾ وَإِنَّ إِلْيَاسَ مِنْ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَا آتَقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولَى ﴿١٢٦﴾

فَكَذَّبُوهُ فَأْتَهُمْ مَحْضُورُونَ ﴿١٢٧﴾ ۝ الْأَعْبَادَ لِلَّهِ الْمُخْلِصِينَ ﴿١٢٨﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٢٩﴾ ۝ سَلَّمَ عَلَى آلِ يَأْسِينَ ﴿١٣٠﴾ ۝ إِنْ كَذَّبَكَ نُجِئْرِ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٣١﴾ ۝ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣٢﴾ ۝ وَإِنْ لَوْطَا مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ۝ إِنِّي جِئْتُهُ وَوَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ ۝ الْأَعْمُورَ فِي الْعَرِينِ ﴿١٣٥﴾ ۝ ثُمَّ دَرَأْنَا الْآخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ ۝ وَاللَّكُمُ لَمُرُونَ عَلَيْهِمْ مُصْحِفِينَ ﴿١٣٧﴾ ۝ وَالْبَلِيلُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿١٣٨﴾ ۝ وَإِنْ يُوسُفُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ ۝ إِذَا بَقِيَ إِلَى الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ ۝ فَسَاهَرُ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ ۝ فَالْتَقَمَهُ الْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ ۝ فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسْتَجِيرِينَ ﴿١٤٣﴾ ۝ لَلَيْتَ فِي بَطْنِهِ ۝ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۝ فَيَذَرُهَا بَالِغًا وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ ۝ وَأَنْبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرًا مِنْ نَضْرِينَ ﴿١٤٦﴾ ۝ وَأَرْسَلْنَاهُ إِلَىٰ مِائَةِ آلَافٍ أَوْ يُزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ۝ فَاسْتَمْتَمَ إِلَيْكُمُ النَّبَاتُ وَرَوَى السُّونُ ﴿١٤٨﴾ ۝ أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَكَةَ إِنثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ ﴿١٤٩﴾ ۝ أَلَمْ نَخْلُقْ مِنْكُمْ إِنثًا وَمِنْ لَبَنٍ وَعَسْوَقٍ وَهَلْبَلٍ وَمِنْ أَنْثَىٰ مُطَمَّرٍ ۚ أَلَمْ نَكْنِزْ لِكُلِّ قَوْمٍ مَتَاعًا ﴿١٥٠﴾ ۝ أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٥١﴾ ۝ فَأَنزَلْنَا إِلَيْكُمْ صَادِقِينَ ﴿١٥٢﴾

١٢٧ - فكذبوا دعوته، فإنهم لمحضرون في العذاب.
١٢٨ - إلا عباد الله الذين اصطفاهم للطاعة، فهم ناجون من العذاب.
١٢٩ - وأبقينا على إلياس ثناء حسناً في الأمم.
١٣٠ - سلام منا على إلياس ومن المؤمنين. وإل ياسين؛ المراد به إلياس، أضيفت إليه ياء وتون؛ لأنه أعجمي، مثل طور سيناء، وطور سين.
١٣١، ١٣٢ - مثل ذلك الجزء الحسن مجزي كل من أحسن عمله لله تعالى. لأنه من عبادنا المؤمنين.
١٣٣ - وإن لوطاً بن هاران أخي إبراهيم عليهما السلام من فئمة الأنبياء المرسلين إلى أهل سدوم الذين يتعاطون المنكرات والمعاصي والفواحش.
١٣٤ - حين جئناه وأهله المؤمنين برسالته أجمعين من الدمار والهلاك.
١٣٥، ١٣٦ - إلا عجوزاً هي زوجة لوط كانت مع الباقيين في العذاب. ثم أهلكتنا بالعذاب الشديد كفار القوم الآخرين.
١٣٧ - وإنكم أيها المشركون أهل مكة لتسرون على منازلهم وأثارهم في أسفاركم ومتاجركم إلى الشام، في وقت الصباح أول النهار.
١٣٨ - وعمرون عليهم أيضاً في الليل، أي في المساء، أفلا تعقلون ما حل بهم، فتخافوا وتعتظوا؟!
١٣٩ - وإن يونس بن متى، من أنبياء بني إسرائيل، وهو ذو النون، من فئمة الأنبياء المرسلين إلى قومه: أهل نينوى، يدعوهم إلى توحيد الله، وترك الوثنية.
١٤٠ - حين هرب من قومه بغير إذن ربه غاضباً من قومه، ملتحجاً إلى السفينة المملوءة ركاباً وأمتعة.

١٤١ - فافتقر يونس مع أهل السفينة حينما أشرفت على الفرق، ليلقوا بعضهم في البحر، خوفاً من الفرق، فكان من المغلوبين في القرعة، فألقي في البحر.
١٤٢ - فابتلعه الحوت، وهو أت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر.
١٤٣ - فلولا أنه كان من الذاكرين الله كثيراً بالتسبيح مدة عمره، وفي بطن الحوت.
١٤٤ - لكث في بطن الحوت مقبوراً فيه إلى يوم القيامة.
١٤٥ - فآلقيناه من بطن الحوت في المكان البري الخالي من الشجر والنبات على الساحل، وهو ضعيف البدن، عليل مما ناله.
١٤٦ - وأنبتنا فوقه شجرة تظله، هي شجرة التِّبْيَاء، أي القرع، حتى اشتد وصلب.
١٤٧ - وأرسلناه بعد معافاته إلى أهل نينوى من أرض الموصل، إلى مائة ألف، بل هم أكثر، فكان رسولاً قبل ذهابه إلى البحر وبعده.

١٤٨ - فأمنوا بالله إلهاً واحداً، وأجابوا دعوته، فجعلناهم يتمتعون بالنعم الدنيوية إلى وقت انقضاء آجالهم.
١٤٩ - فاستخبرهم أو استخبرهم أيها النبي: أربك النباتات أي الملائكة الذين يزعمون أنهم بنات الله، وهم أدنى الجنسين، ولهم البنون أي أعلى الجنسين وأرفعهما؟!
١٥٠ - بل، كيف جعلوا الملائكة إناثاً، وهم لم يحضروا عند خلقنا لهم؟ شاهدون: حاضرون، أي مثل ذلك لا يعلم إلا بالمشاهدة.

١٥١ - ألا: لتنبه السامع لما يأتي بعدئذ لأهميته، إنهم من كلهم ليقولون:
١٥٢ - وكذ الله - حين زعموا أن الملائكة بنات الله - وإنهم لكاذبون في قولهم.
١٥٣ - هل اختار البنات وفضلهن على البنين، مع أن البنين عرفاً أفضل الجنسين، والأصل: أصفطى؟!
١٥٤، ١٥٥ - ما لكم كيف تحمكون هذا الحكم الباطل؟! أفلا تتفكرون فتعرفوا بطلان قولكم؟!
١٥٦، ١٥٧ - أم لكم حجة واضحة على ما تقولون. فأتوا بالكتاب الذي يؤيد قولكم إن كنتم صادقين فيه.



وَسَجَّلُوا بَيْنَهُمْ وَيُنَازِعُ سَبَأٌ وَلَقَدْ عَلِمَتْ لِحْمَتُهُ إِيَّاهُمْ لِحْضُرُونَ ﴿١٥٨﴾
 سَجَّلَ اللَّهُ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِبْرَاهِيمَ إِذَا اللَّهُ الْخَالِصِينَ ﴿١٦٠﴾
 وَإِيَّاكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ بِتَنِينِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنَ ﴿١٦٣﴾
 هُوَ صَالٍ النَّجِيمِ ﴿١٦٤﴾ وَمَا مِثْلَ إِلَّا لَهُمْ مَقَامٌ مَعْلُومٌ ﴿١٦٥﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ
 الصَّافُونَ ﴿١٦٦﴾ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسْتَحِقُونَ ﴿١٦٧﴾ وَإِنْ كَانُوا لَيَقُولُونَ
 ﴿١٦٨﴾ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا مِنَ الْأَوَّلِينَ ﴿١٦٩﴾ لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْخَالِصِينَ ﴿١٧٠﴾
 فَكَفَرُوا بِهِ فَسُوفَ يَعْلَمُونَ ﴿١٧١﴾ وَلَقَدْ سَبَقَتْ كُرْسِيْنَا
 لِعِبَادِنَا الرُّسُلِينَ ﴿١٧٢﴾ إِيَّاهُمْ لَهْمُ الْمَنْصُورُونَ ﴿١٧٣﴾ وَإِنْ جُنَدْنَا لَهُمُ
 الْعَالِبُونَ ﴿١٧٤﴾ فَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٥﴾ وَأَبْصِرْهُمْ فَسُوفَ
 يَبْصُرُونَ ﴿١٧٦﴾ أَلْقِدْنَا إِيَّاهُمْ سَجْلًا ﴿١٧٧﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ
 فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذِرِينَ ﴿١٧٨﴾ وَقَوْلَ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٩﴾ وَأَبْصِرْ
 فَسُوفَ يَبْصُرُونَ ﴿١٨٠﴾ سَجَّلَ رَبِّكَ رَبِّ الْعَزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨١﴾
 وَسَلَّمْ عَلَى الرُّسُلِينَ ﴿١٨٢﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٨٣﴾



١٥٨- وجعل المشركون بين الله وبين الملائكة مصاهرة وصلة، فزعموا أن الملائكة بنات الله، وسموا بالجن لاجتنائهم، أي استتارهم عن الأعين، ولقد علمت الملائكة أن هؤلاء الكفار يحضرون عذاب النار، قال ابن عباس: أنزلت هذه الآيات في ثلاثة أحياء من قريش: سليم، وخزاعة، وجُهينة.

١٥٩- تنزه الله عما يصفه هؤلاء بأن الله ولدًا ونسبًا، أي عما يكنون.

١٦٠- لكن عباد الله الذين اصطفاهم ربهم يزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء.

١٦١- ١٦٣- فإنكم أيها المشركون وما تعبدون من الأصنام، ما أنتم بمضلين أحدًا، أو مفسدين أحدًا بإغوائكم، إلا من قدر الله وسبق في علمه أنه من أهل النار يصلها، وهم المصورون على الكفر، ويصلى: يحترق بالنار. والمعنى: لن تستطيعوا أيها الكفار وشياطينكم أن تفسدوا على الله عباده الصالحين.

١٦٤- تقول الملائكة: ما منا معشر الملائكة أحد إلا له مقام معلوم في السموات لعبادة الله.

١٦٥، ١٦٦- وإننا نحن المصطفون صفوفًا في أداء الطاعة، ونحن المتزهون الله عما لا يليق به. كان الناس يصلون متسددين، فأنزل الله: ﴿وإننا نحن الصافون﴾ فأمرهم النبي أن يصفوا.

١٦٧- وإن حال كفار قريش كانوا قبل البعثة النبوية إذا عيروا بالجهل يقولون:

١٦٨- لو أن لدينا كتابًا منزلًا من الله تعالى، مثل كتب السابقين، كالتوراة والإنجيل.

١٦٩- لكننا عباد الله الذين نخلص العبادة له، ولم نخالف شرع الله مثلهم.

١٧٠- فكفروا بالقرآن لما جاءهم، فسوف يعلمون عاقبة كفرهم.

١٧١- ولقد سبق ما وعدنا به عبادنا الأنبياء المرسلين وأتباعهم في اللوح المحفوظ من النصر والغلبة.

١٧٢، ١٧٣- إن رسلنا هم المنصورون على أعدائهم، وإن جندنا المؤمنين أتباع الرسل المخلصين هم غالبو الكفار في الدنيا بالحجة والنصرة عليهم، فإن لم يتصروا في الدنيا انتصروا في الآخرة.

١٧٤- فأعرض عنهم واصبر إلى أن يحين موعد نصرك عليهم وهو وقت إذنا بقتالهم، وتلك مدة معلومة عند الله تعالى.

١٧٥- انظر إليهم حين يتعرضون للقتل والأسر، فسوف يرون عاقبة كفرهم ويعاينون ما يسوءهم.

١٧٦- أليستعملون عذابنا بقولهم: متى هذا العذاب أي الأخروي؟ وهو تهديد لهم. قالوا: يا محمد، أرنأ العذاب الذي تخوفنا به، فعجله لنا، فنزلت الآية.

١٧٧- فإذا وقع العذاب بفنائهم (المكان الواسع) وديارهم، فبئس صباحًا صبح المُنذِرِينَ بالعذاب، وهم الكفار.

١٧٨، ١٧٩- وأعرض عنهم إلى وقت آخر، وارقب ما يحدث بهم، فسوف يرون عاقبة كفرهم، كرر ذلك للتأكيد والآية السابقة [١٧٤] إلى حين وقوع عذاب الدنيا، وهذه الآية إلى حين وقوع عذاب الآخرة.

١٨٠- تنزه الله صاحب العزة الحقيقية، وهي كونه صاحب العظمة والغلبة التي يغلب بها غيره، ولا يغلبه أحد، وغيرها عزة كاذبة، تنزيهاً له تعالى عما ينسبه إليه المشركون من الولد والشريك.

١٨١- وسلام من الله على الأنبياء المرسلين المبلغين عن الله التوحيد والشرائع.

١٨٢- والشكر على الله رب الخلاق جميعهم على نصر الرسل وهلاك الكفرة.

سورة ص

١- صاد، أحد الحروف الهجائية للتبنيه والتحمدي كما قيل في أمثاله السابقة، أقسم بالقرآن المشتمل على الذكر، أي الشرف الرفيع، لما فيه من تبيان كل شيء. والحلف بالقرآن تنويه برفعة قدره.

٢- بل: للانتقال من كلام إلى آخر، الكفار في عزة كاذبة، وهي الأثرة الجاهلية والشقاق: الخلاف والعداوة.

٣- كم أي كثيراً، أي قد أهلكنا قبل قومك كثيراً من الأمم الماضية، فاستغاثوا، وليس الوقت وقت خلاص وفرار ونجاة. وهذا وعيد على كفرهم بالقرآن تكبيراً. و«ولات» مركبة من «لا» النافية، بمعنى (ليس) ومن التاء التي تتصل بالحروف، مثل: ربة رجل، أي رب، وثمت أي ثم.

٤- وعجب مشركو مكة أن أتاهم رسول من جنسهم البشري والعربي، يحذرهم من عذاب الله بالنار إن بقوا على الكفر، وقال الكفار: هذا الرجل ساحر ببيانه، كذاب بزعمه أنه رسول الله.

٥- كيف صير الآلهة الها واحداً، إن هذا لعجيب جداً؟ وإنما تعجبوا؛ لأنه كان لكل قبيلة إله. نزلت حينما تعجبت قريش من دعوة محمد، وقالوا: إلهاً واحداً، إن هذا لشيء عجاب.

٦- وانطلق الأشراف منهم وهم كباراء قريش وقادتهم قائلين لبعضهم: امضوا على ما أنتم عليه، وانصرفوا عنه إلى آلهتكم، وأثبتوا على عبادتها، إن هذا الذي يريد محمد بنا وآلهتنا، ودعوته إلى توحيد الإله، لشيء مطلوب منا أن نكون أتباعه.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

ص وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ ١ بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي عِزِّهِمْ شِقَاقِي

٢ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ قَدَّأَوْ قَلَّاتٍ حِينَ سَأَلْنَا

وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنذِرُنَا وَقَالِ الْكُفْرُونَ هَذَا سِحْرٌ كَذَّابٌ

٣ أَجْعَلُ الْآلِهَةَ إِلَهًا وَاحِدًا إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عُجَابٌ ٤ وَأَطَّاقَ

الْمَلَأْنُهُمْ أَنْ أَسْمُوا وَأَصْبُوا عَلَيَّ الْهَيْبَتِمْ إِنْ هَذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ

٥ مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَذَا إِلَّا آخِثَانٌ ٦

أَهْ نَزَّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرَ مِنْ بَيْنِنَا لَنْ نُكَلِّمَ فِي سَكِّتٍ مَنْ ذَكَرَى بِالْحَمْدِ قَدُورًا

عَذَابٌ ٨ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنٌ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ٩ أَمْ

لَهُمْ مَلَائِكَةٌ سَمِعَتْ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا فَلَيَرُنَّوْنَ فِي الْأَسْبَابِ ١٠

جُنْدًا مَا هُنَّ أَلَكُ مَهْرُورٌ مِنَ الْأَخْرَابِ ١١ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ

نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ١٢ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ

لَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَخْرَابُ ١٣ إِنْ كُنَّ إِلَّا كَذَّابًا تُرْسِلُ

لَحُونًا عِقَابٍ ١٤ وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَأْمُورًا

مِنْ نَوَاقٍ ١٥ وَقَالُوا رَبَّنَا اجْعَلْ لَنَا قِطْعًا قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ ١٦

٧- ما سمعنا بهذا التوحيد في ملة النصارى القائلين: إن الله ثالث ثلاثة، ما هذا الذي يقوله محمد إلا كذب وافتراء.

٨- أنزل عليه القرآن من بين صفوفنا، ونحن الرؤساء والأشراف والكبراء سناً وشرفاً، ولكنهم في الواقع لا يشكون في صدق محمد، بل هم في شك من أن القرآن منزل من عند الله، بل لم يذوقوا عذابي بعد.

٩- أم عندهم مفاتيح نعم ربك، حتى يمنحوا النبوة لمن يشاؤون.

١٠- أم لهم ملك السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات ليعطوا ويمنعوا من يريدون، فليصعدوا إلى السماء، لإنزال الوحي على من يريدون.

١١- هؤلاء كفار مكة المقارمون للدعوة الإسلامية هم جند مهزوم قطعاً ممن تحزبوا على الرسول من أحزاب إبليس.

١٢- كذبت قبلهم قوم نوح، وعاد قوم هود، وفرعون صاحب الأبنية للحكمة والملك الثابت.

١٣- وثمود قوم صالح، وقوم لوط، وأصحاب الغيضة الكثيفة الشجر، وهم قوم شعيب، أولئك الأحزاب الذين تحزبوا على رسولهم.

١٤- ما كل أحد من الأحزاب إلا وقع منه تكذيب الرسل، ومن كذب رسولاً فقد كذب جميع الرسل، فوجب عقابي عليهم بتكذيبهم، وإن تأخر.

١٥- وما ينتظر كفار مكة إلا نفخة واحدة يوم القيامة هي النفخة الثانية، تأتيهم بالعذاب، ليس لها تأخر، بمقدار من الزمن، وهو ما بين حلبتي الناقة، أي إذا جاءت الصيحة لا تتوقف مقدار فواق الناقة.

١٦- وقالوا: يا ربنا عجل لنا قسطنا من العذاب الذي توعدنا به قبل يوم الحساب: يوم الآخرة، ولا تؤخره إلى يوم القيامة، كما يزعم محمد من أننا سنعذب فيه.

١٧- اصبر أيها النبي على قول هؤلاء المشركين من كفر وتكذيب، فإننا ناصروك، واذكر لهم قصة داود ذي القوة، أي الصلابة في الدين، إنه مع قوته كثير الرجوع والإنابة إلى ما يرضي الله ويحبه، وذلك تعظيماً للمعصية في أعينهم، فإنه مع علو شأنه، بادر إلى الاستغفار والإنابة لما توهم أنه أخطأ وعصى.

١٨- إننا ذللكنا الجبال مع داود يسبحن (ينزهن) الله مع تسبيحه عند طلوع الشمس وعند غروبها، أي دائماً يسبحن، وكان يفهم تسييحها.

١٩- وذللكنا الطير مجموعة إليه تسبح الله تعالى، كل من الجبال والطيور لأجل تسبيحه رجوعاً إلى طاعة الله، خاضع لمشيئته سبحانه.

٢٠- وقويتنا ملك داود وثبتناه بالهيبة والنصر على الأعداء، وآتيناه النبوة وكمال العلم وإصابة الصواب في القول والعمل، ومنه كل ما يقضي به، والفضل في القضاء وبيان الحق من الباطل.

٢١- وهل أتاك أيها النبي خبر وقصة جماعة الخصوم، أي المتخاصمين، حين نزلوا عليه من فوق سور محراب عبادته التي كان يتعبد بها، والخصم يطلق على المفرد والجمع.

أَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَذَكَرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ وَالْأَيُّوبَ إِنَّهُ آوَابٌ
 إِنَّا نَسَخْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإشْرَاقِ ﴿١٧﴾ وَالطَّيْرَ
 مَحْمُودَةً كُلٌّ لَّهُ آوَابٌ ﴿١٨﴾ وَسَدَدْنَا مَالِكُوهَ آيَاتِهِ الْحَكِيمَةَ
 وَوَصَّلَ الْخَطَابِ ﴿١٩﴾ وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ سُورُوا
 الْخُرَابِ ﴿٢٠﴾ إِذْ دَخَلُوا عَلَيَّ دَاوُدَ فَفَرَّجَ مِنْهُمُ قَالُوا لَأَخْفَ
 حَصْمَانِ بَعْضًا عَلَى بَعْضٍ فَأَحْكَمْ بَيْنَنَا بِالْحَقِّ وَلَا نَشْطُطُ
 وَهَدَيْنَا إِلَى سَوَاءِ الصِّرَاطِ ﴿٢١﴾ إِنَّ هَذَا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً
 وَلِي نَعْجَةٌ وَاحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِي فِي الْخِطَابِ ﴿٢٢﴾ قَالَ
 لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْمِكَ إِلَى نَعَاجِهِ وَإِنَّ كَثِيرًا مَنِ الظَّالِمُ يَلْبَسِي
 بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَا هُمْ
 وَظَنَّ دَاوُدُ أَنَّمَا فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَحَرَّزْنَاهُ أَتَابٌ ﴿٢٣﴾
 فَفَرَقْنَا لَهُ ذَلِكَ الْوَابِ لَعُنَدْنَا الرُّكْنَى الْوَحْشَى مَنَابِ
 يَدَاوُدَ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ
 بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَى فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّ الَّذِينَ يَضِلُّونَ
 عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِسَابِ ﴿٢٤﴾

٢٢- حين دخلوا على داود، فخاف منهم، لدخولهم عليه بغير إذن، من غير الباب المعتاد للدخول، فقالوا له مطمئن: لا تخف، نحن خصمان متنازعان جار وظلم بعضنا على بعض، فاحكم بيننا بالحق والصواب، ولا تجر في الحكم ولا تبعد عن الحق، وأرشدنا إلى سلوك طريق الحق والسداد. والمشهور أنهما ملكان، والأقرب أنهما بشران عاديان.

٢٣- إن هذا أخي على ديني، له تسع وتسعون نعجة (أثنى الضأن) ولي نعجة واحدة، فقال: اجعلني كافلها وملكيتها حتى أضممها إلى نعاجي، وغلبي في بيان حجته وفي المجادلة.

٢٤- قال داود: لقد ظلمك أخوك، بطلبه تملك نعجتك وضمها إلى نعاجه، وإن كثيراً من الشركاء في المال، ليعتدي بعضهم على بعض، إلا الذين آمنوا وعملوا الصالح الأعمال، فإنهم لا يظلمون أحداً، وقليل هؤلاء، و﴿ما﴾ حرف لتأكيد القلة، وعلم داود أنما ابتليناه واختبرناه بهذه الحادثة بالتسرع في الحكم- والأصح بالخوف من الناس وهو قائم بين يدي ربه في المحراب خلافاً لما كان عليه جده إبراهيم الذي لم يبالي بالناس- فاستغفر ربه لذنبه وظنه السيء بالرجلين أنهما أتياه لاغتياله، وهو منفرد في محرابه، وسقط ساجداً، وتاب إلى الله ورجع إلى طاعته.

٢٥- فعفونا عنه ذلك الظن السيء بالرجلين، وإن له عندنا لقراباً من الله وكرامة وحسن مرجع في الآخرة وهو الجنة.

٢٦- يا داود إننا استخلفناك على الملك في الأرض لتدبير أمور الناس، فاحكم بين الناس بالعدل، ولا تتبع هوى النفس، فيصرفك عن دلائل الحق، إن الذين ينحرفون عن العمل بأمر الله وهدايته، لهم عذاب شديد بسبب إهمالهم وتركهم العمل من أجل يوم الحساب في الآخرة، وهو الحكم بالعدل.

٢٧- وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما بطلاً لك الذين كفروا، بل خلقناهما للدلالة على قدرتنا، ذلك ظن الكفار أن هذه الأشياء خلقت عبثاً لا لغرض، وأنه لا قيامة، فهلاك وعذاب للذين كفروا، من نار جهنم لكفرهم وظنهم.

٢٨- بل انجعل المؤمنين بالله ورسوله، وعملوا بما أمروا كالمشركين والعصاة في الأرض بل انجعل أتقياء المؤمنين كأشقياء الكافرين والمنافقين والعاصين، فليس التساوي بين الفريقين عدلاً. و﴿أم﴾ تفيد معنى حرفين: (بل) للانتقال من كلام لآخر، وهمزة الاستفهام الإنكاري التي تفيد نفي ما بعدها، وهو هنا التسوية بين الأتقياء والأشرار. والفجار: الفساق الذين يشقون ستر الشريعة.

٢٩- هذا كتاب أنزلناه إليك أيها النبي كثير الخير والنفع، ليتفكروا في معاني آياته، وليتعض أولو العقول السليمة، فيعملوا بما فيه.

٣٠- ووهبنا لداود سليمان، نعم العبد سليمان، إنه ثواب كثير الرجوع إلى الله بالإجابة.

٣١- واذكر أيها النبي حين عرض على سليمان بالعشي: فترة ما بعد الظهر إلى الغروب: الخيول الأصائل القائمات على ثلاث قوائم وطرف الحانفر الرابع، وهي علامة الفراهة، التي تسرع في الجري.

وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَطْلًا لَكَ الَّذِينَ كَفَرُوا قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ النَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كَيْبَ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُدْرِكًا لِيُذَكِّرَ الَّذِينَ الْأَلْبَابِ ﴿٢٩﴾ وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ الصَّلَواتِ الْحِجَادِ ﴿٣١﴾ فَجَاءَ إِيَّاهُ حَيُّ الْخَيْرِ عَنَّا وَذَكَرَ رَبِّي حَتَّى تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُودُهَا عَلَى أَطْفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَالْقَبِيلَةَ عَلَى كَرَمِيهِ حَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَعَمَلِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَخَرَّ لَهُ الرِّيحُ نَجْرِي بِأَمْرِ رَبِّهَآءَ حَيْثُ صَابَ ﴿٣٦﴾ وَالسَّيِّطِينَ كُلَّ بِنَاءٍ وَعَوَاصِرٍ ﴿٣٧﴾ وَآخِرِينَ مَقْرَبِينَ فِي الْأَصْفَادِ ﴿٣٨﴾ هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُ عِنْدَنَا لَزُلْفَىٰ وَحَسَنَ مَّآبٍ ﴿٤٠﴾ وَادَّكَّرَ عِنْدَنَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الشَّيْطَانُ بُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾

٣٢- فقال سليمان: إنني آثرت حب الخير، وهو هنا الخيل، حُباً ناشأ عن أمر ربي بالعناية بها؛ لأنها عدة الدفاع، لا عن شهوة الفخر وحب الدنيا، حتى غابت عن الأنظار بما وراه من أفق أو غبار لسرعة جريها في الاستعراض.

٣٣- أعيدوها علي تارة أخرى، فشرع يمسحها بيده على السيقان والأعناق، تكريماً لها للاعتماد عليها في الجهاد.

٣٤- ولقد اختبرنا سليمان بالمرض، وألقينا على عرش الملك الذي كان يجلس عليه جسماً ضعيفاً كأنه جسد بلا روح، ثم رجع إلى الله متضرعاً مستغيثاً لكشف البلاء عنه، وعاد إلى الصحة.

٣٥- قال سليمان: رب اغفر لي ما صدر عني من الذنب الذي كان سبب ابتلائي، وامنحني ملكاً لا يكون لأحد من بعدي أن يملك مثله؛ إنك أنت الكثير العطاء والهبات.

٣٦- فجعلنا الريح منقاداً لأمره، ليئة قوية شديدة الهبوب والجري، تسيّر بأمره حيث قصد وأراد.

٣٧- وسخرنا له أيضاً الشياطين، يبنون له ما يشاء من الأبنية الرفيعة، ويغوصون في البحر لاستخراج الدر واللؤلؤ.

٣٨- وسخرنا له من مردة الشياطين آخرين منهم مقيدون في القيود والسلاسل، دُلُّوا له حتى قرنهم في السلاسل. ومقرَّبين: مربوطاً بعضهم ببعض.

٣٩- هذا العطاء من الملك الذي طلبته: عطاؤنا لك، فأعط من شئت، وامنع من شئت، لا حساب عليك في الحالين.

٤٠- وإن لسليمان عندنا لقربة وكرامة، وحسن مرجع في الآخرة: وهو الجنة.

٤١- واذكر أيها النبي عبدنا الصابر أيوب بن أروم حين دعا ربه متضرعاً بأني أصابني الشيطان بضر ومشقة وألم، أي مرضت، وقد نسب ما يؤلم إلى الشيطان تأديباً مع الله، أما الخير فينسب إلى الله تعالى.

٤٢- قلنا له: اضرب برجلك الأرض، يخرج ينبوع من الماء البارد، كما أمر موسى بضرب الحجر، فضرب، فنبعت عين جارية، قيل له: هذا ماء بارد مغتسل تغتسل به، وشراب تشرب منه، ففعل، فبرئ بما أصابه. والمغتسل: ما يغتسل به.

٤٣- وجمعنا عليه أهله بعد تفرقهم، وزيدنا بكثرة النسل، حتى صاروا ضعف ما كانوا عليه قبل ابتلائه، لرحمتنا عليه، وعظة وتذكيراً لهم ليتنظروا الفرج بعد الصبر، لأصحاب العقول الراجعة.

٤٤- وخذ بيلك حزمة من عيدان الحشائش، فاضرب امرأتك بتلك الحزمة، ولا تحت في يمينك. والحنت: الوقوع في الذنب بسبب عدم فعل المحلوف عليه. وكان أيوب قد حلف في مرضه إن شفاه الله أن يضرب امرأته مئة جلدة، لذنب ارتكبته، وهو بطؤها في قضاء حاجة، إنا وجدناه رجلاً صابراً على البلاء، نعم العبد أيوب، إنه كثير الرجوع إلى الله بالتوبة والطاعة.

٤٥- واذكر أيها النبي عبدان إبراهيم وإسحاق ويمقرب أصحاب القوة في الطاعة، وأصحاب البصيرة: وهي معرفة أسرار الدين وغيره.

٤٦- إنا جعلناهم خالصين لنا، بخصلة خالصة أي خصصناهم بمزية عن غيرهم: هي تذكر الآخرة.

أَرْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مَغْتَسِلٌ يُارِدُ وَسْرَابٌ ﴿٤٢﴾ وَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمَثَلَهُمْ مَعَهُ رَحْمَةً مِّنَّا وَذَكَرَى لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٤٣﴾ وَخَذَ بِيَدِكَ مِغْشَاءً فَأَضْرَبَ بِهِ وَلَا تَحْتُ إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ إِنَّهُ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾ وَأَذْكُرْ عَبْدًا آتَيْنَاهُ الْوَسْطَى وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَرَ ﴿٤٥﴾ إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ ذَكَرَى الْتَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِنْدَ الْمَلِكِ الْمُصْطَفَى الْآخِيَارِ ﴿٤٧﴾ وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَذَا الْكِفْلِ وَكُلٌّ مِنَ الْآخِيَارِ ﴿٤٨﴾ هَذَا ذِكْرٌ لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾ الْحَسَنِينَ ﴿٥٠﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي آيَاتِنَا يَمُوتُونَ ﴿٥١﴾ وَكُلٌّ مِّنَ الْآيَاتِ ﴿٥٢﴾ مُمْتَكِنِينَ فِيهَا يُدْعَوْنَ فِيهَا بِفَلَاحِهِ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥٣﴾ وَعِنْدَهُمْ قَصِيرَاتٌ لِّظُرْفِ الْأَرْبَابِ ﴿٥٤﴾ هَذَا مَا تُوَعَّدُونَ لِيَوْمِ الْحِسَابِ ﴿٥٥﴾ إِنَّ هَذَا لَرِزْقًا مَّا لَهُ مِنْ مَّقَادِرٍ ﴿٥٦﴾ هَذَا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَشَرٌّ مِّنَآبٍ ﴿٥٧﴾ جَهَنَّمَ يَصَلُونَهَا فَبئْسَ الْمِهَادُ ﴿٥٨﴾ هَذَا فَبِيدُوهُ حَيْدَرٌ وَعَسَاقٍ ﴿٥٩﴾ وَآخِرٌ مِنْ سَكَلِهِ أَرْوَجٌ ﴿٦٠﴾ هَذَا فَوْجٌ مُّقْتَرِبُونَ مَعَكُمْ لَأَمْ جَاءَ بِهِمْ أَنَّهُمْ صَالُوا الْتَّارِ ﴿٦١﴾ قَالُوا بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْ جَاءَ بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَعَهُ لَنَا فَبئْسَ الْفَرَارُ ﴿٦٢﴾

٤٧- وإنهم عندنا لمن المختارين للنبوة المفضلين على أبناء جنسهم، الكثيري الخير.

٤٨- واذكر أيضاً أيها الرسول إسماعيل بن إبراهيم جد العرب، واليسع بن أخطوب وذا الكفل ابن عم اليسع، من أنبياء بني إسرائيل، وكلهم آخيار، اختارهم الله على غيرهم لتحملهم الشدائد في سبيل الدعوة إلى الله.

٤٩- هذا ذكر جميل لهم في الدنيا، وثناء حسن عليهم، وإن للمتقين عذاب الله بطاعته لحسن مرجع في الآخرة، يرجعون فيه إلى مغفرة الله ورضوانه ووجته.

٥٠- إن حسن المرجع هو جنات استقرار وثبات وخلود، تفتح الملائكة لهم أبواب الجنة ليدخلوها.

٥١- متمكنين في الجنة على الأرائك، يطلبون فيها أنواعاً كثيرة من الفاكهة والأشربة المتنوعة.

٥٢- وعندهم في الجنة نساء لا ينظرون إلى غير أزواجهن، لدات متساويات في السن والجمال.

٥٣- يقال لهم: هذا الجزء هو الذي توعدون به في يوم الحساب في الآخرة.

٥٤- إن هذا العطاؤنا الذي أنعمنا به عليكم، ما له من انقطاع ولا فناء أبداً، أي دائم.

٥٥- هذا جزاء المتقين، وللذين طغفوا وتمردوا عن طاعة الله وأسرفوا في المعاصي والكفر، لأسوأ مرجع ومصير.

٥٦- مرجعهم جهنم يدخلونها ويحترقون بنارها، وبئس الفرائس الذي يقتروشونه تحتهم من نار جهنم.

٥٧- هذا العذاب فليذوقوه: ماء شديد الحرارة، وصديد يسيل من أجساد أهل النار.

٥٨، ٥٩- وعذاب آخر من مثله في بشاعة الطعام، أصناف مختلفة من العذاب. يقال لهم: هذا جمع داخل معكم في النار كرهاً، لا ترحيب بهم ولا تكريم، إنهم داخلوا النار بأعمالهم السيئة، وعدم الترحيب هو قول القادة.

٦٠- قال الأتباع للقادة: بل أنتم لا ترحيب ولا كرامة لكم، أنتم قدمتم الكفر لنا، فبئس المقر جهنم، وهي لنا ولكم.



٦١- قال الأتباع أيضاً: ربنا من أوردنا هذا العذاب، فزده عذاباً مضاعفاً في النار.

٦٢- وقال الرؤساء الطغاة وهم في النار: ما لنا لا نرى رجلاً كنا نعدهم في الدنيا من الأراذل المحترقين السفلة الذين لا خير فيهم، أي فقراء المؤمنين المستضعفين الذين كانوا يسخرون منهم.

٦٣- هل كنا نهزأ منهم في الدنيا خطأ، وكانوا أهل كرامة، أم هم معنا في النار، ولكن لم نرهم، ومالت عنهم الأبصار فلم تقع عليهم؟

٦٤- إن ذلك المذكور من تخاصم أهل النار فيها هو حق ثابت واقع لا بد منه.

٦٥- قل أيها النبي للمشركين: إنما أنا مخوف لكم من عذاب الله إن بقيتم على الشرك، وليس هناك من إله يستحق العبادة إلا الله الواحد الذي لا شريك له، القهار لكل من عدها.

٦٦- إنه رب السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، القوي الذي لا يغلبه شيء، الغفار للذنوب عباده التائبين، أو الطائعين.

٦٧، ٦٨- قل أيها النبي: هو- أي التوحيد والإنذار بالعقاب- خبير مهم جداً. أتمت عنه غافلون غير ملتفتين، وهو توبيخ لهم.

قَالُوا رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَرَدَّهُ عَلَيْنَا أضعافاً في النار ﴿٦١﴾ وَقَالُوا
مَا لَنَا لَأَن نَرَى رَجُلًا كَمَا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَخَذْنَاهُمْ
بِغُرُبَاتٍ أَمْ رَأَعْت عَنْهُمْ الْآيَاتِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ مَخِصِمِ أَهْلِ
النَّارِ ﴿٦٤﴾ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَإِنِّي إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدَ الْقَهَّارُ
﴿٦٥﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٦٦﴾ قُلْ
هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنزَلْنَاهُ مَرَجُومٌ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمِ الْمَلَكِ
الْأَعْلَى إِذْ يُخَوِّمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَى إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ
﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي خَلَقْتُ لَكَ مِنْ طِينٍ ﴿٧١﴾ فَأَوَسْوِيهِ
وَنَحَّتْ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَفَعَمُوا أَلْوَيْ سَجْدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ الْمَلَكَةُ كُلُّهُمْ
أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا إِبْلِيسَ أَتَى كُفْرًا وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ
يَا إِبْلِيسُ مَا مَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ مِنْ طِينٍ أَمْ كُنْتَ
مِنَ الْعَالِينَ ﴿٧٥﴾ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ طِينٍ
﴿٧٦﴾ قَالَ فَأَخْرِجْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنْ عَلَيْكَ لَعْنَتِي
إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾
قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ ﴿٨٠﴾ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ﴿٨١﴾

٦٩- ما كان لي من علم بكلام الملائكة في السموات حين اختصموا في شأن آدم عليه السلام، الذي أخبرهم الله بأنه سيكون خليفة في الأرض. و﴿من﴾ حرف يدل على عموم نفي ما بعده.

٧٠- ما يوحى إلي إلا أنني رسول منذر بالعذاب، بين الإنذار.

٧١- حين قال ربك للملائكة: إني خالق بشراً: هم آدم وذريته، من طين. وهو بيان المحاورة في الملا الأعلى.

٧٢- فإذا أتممت خلقه وسويت أجزائه، فاسجدوا له سجود تحية وتكريم، لا سجود عبادة.

٧٣- فسجد الملائكة كلهم مجتمعين، ما بقي منهم ملك إلا سجد له.

٧٤- إلا إبليس تكبر وتعاطم عن السجود، وكان باستكباره ومخالفة أمر الله من الكافرين.

٧٥- قال الله لإبليس: يا إبليس، ما صرفك وصدك أن تسجد لما خلقته بيدي من غير واسطة، هل تكبرت الآن عن السجود بغير حق، أم كنت من المتطاولين التكبرين المستحقين للترفع عن طاعة الله؟

٧٦- قال إبليس: أنا خير من آدم، خلقتني من نار، وخلقته من طين، وعنصر النار المستعلي أشرف في زعمه من عنصر الطين الراكد.

٧٧- قال الله: فأخرج من الجنة، فإنك مرجوم بالكواكب، مطرود من الخير ومن جميع المخلوقات.

٧٨- وإن عليك لعنتي، أي طردني من الرحمة إلى يوم الحساب والجزاء.

٧٩- قال إبليس: رب فأمهلني ولا تعجل بإماتتي إلى يوم البعث، يوم يبعث بنو آدم من موتهم.

٨٠- قال الله: فإنك من الموجلين.

٨١- إلى وقت النفخة الأولى، يوم قدر الله فتاء المخلوقات.

٨٢- قال إبليس: أقسم بمزتك لأضلن بني آدم أجمعين بتزين المعاصي والشهوات لهم.
٨٣- إلا عبادك منهم الذين أحلصتهم لطاعتك وعصمتهم من الضلالة.
٨٤- قال الله تعالى: فالحق مني أو أقسم بالحق- ولا أقول إلا الحق..

٨٥- لأملأن جهنم منك يا إبليس وعن تبعك من بني آدم أجمعين.

٨٦- قل أيها النبي لقومك: ما أطلبكم على تبليغ المنزل علي من القرآن وغيره من أجر تعطونه، ولست من المتقولين القرآن من تلقاء نفسي، أو المتصنعين المدعين النبوة والقول على الله وما لا علم لي به.

٨٧- ما هذا القرآن إلا تذكير وعظة للمخلوقات أجمعين.

٨٨- ولتعرفن يا أهل مكة وغيركم خبر صدقه وعاقيه وعده ووعيده بعد زمان.

سورة الزمر

فضلها: أخرج النسائي عن عائشة رضي الله عنها

قالت: كان رسول الله ﷺ يصوم حتى نقول: ما يريد أن

يفطر، ويفطر حتى نقول: ما يريد أن يصوم، وكان ﷺ يقرأ في كل ليلة: بني إسرائيل (أي الإسماء) والزمر. وسبب

تسميتها المذكور في الآيتين [٧١، ٧٣].

١- هذا تنزيل القرآن من الله القوي في ملكه لا يغلبه أحد، الحكيم في صنعه، وهو الذي لا يفعل شيئاً عبثاً.

٢- إنا أنزلنا إليك أيها النبي القرآن ملازماً للحق بكل ما فيه من التوحيد والنبوة والمعاد وأنواع التكليف، لم نُنزله باطلاً لغير هدف، فاعبد الله وحده، مخلصاً له العبادة والطاعة، خالياً من الشرك والرياء.

٣- ألا الله وحده التعبد الخالص من الشرك والرياء، والذين اتخذوا من غير الله معبودات وأنصاراً، وهي الأصنام المعبودة وكل طاغوت معبود من غير الله، يقولون: ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله، ويشفعوا لنا عنده، إن الله لا يوفق للاهتداء إلى الحق، من هو كاذب في نسبة الولد إليه، شديد الكفر بعبادته غير الله تعالى.

٤- لو أراد الله أن يتخذ ولدأ. كما يزعم المشركون- لا يختار مما يخلق ما يشاء، غير ما قالوا: الملائكة بنات الله، وعزير ابن الله، والمسيح ابن الله، تنزيهاً له عن اتخاذ الولد، هو الله الإله الواحد القاهر كل شيء من خلقه. والمراد: لو أراد اتخاذ ولد لكان قديماً من جنس أبيه، ويستحيل أن يكون للمخلوق قديماً من جنس الخالق.

٥- خلق السموات والأرض بالحق، أي عبثاً، لا باطلاً، وخالق كهذا يستحيل أن يكون له شريك أو ولد، يلف الليل على النهار حتى يذهب ضوؤه، ولف النهار على الليل حتى تزول ظلمته، والكلام كناية عن طول أحدهما وقصر الآخر، وجعل الشمس والقمر متقادين لأمره في الطلوع والغروب بما ينعف الناس، وكل منهما يسير في مداره الذي حدده الله له لوقت معلوم: وهو يوم القيامة، ألا إن الله هو القوي الغالب، الكثير الغفران لمن تاب من خلقه عن ذنوبه. والآية تدل على وجود الله ووحدانيته وقدرته. وكلمة ﴿ألا﴾ لتنبية السامع للعناية بما بعدها.

قَالَ قِعْبَةَكَ لَأَعْرَبَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧١﴾ الْإِعْبَادُ مِنْهُمْ الْمُخْلِصِينَ ﴿٧٢﴾ قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ ﴿٧٣﴾ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنْكَ وَمَنْ تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٧٤﴾ قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ ﴿٧٥﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٧٦﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٧٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
نَزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٧١﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿٧٢﴾ أَلِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ وَلِلَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً مَا عِبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرَّبُوا إِلَى اللَّهِ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فَمَا هُمْ بِمُخْتَلِفِينَ إِنْ يَكْفُرُ بِمَا هُمْ كَاذِبُونَ مِنْ هُوَ كَذَّبَ كَهَآءَ ذَٰلِكَ لَوْ أَنَّ لَهُ آلِهَةٌ أَنْ يَسْتَعِذَّ بِهَا لَأَسْطَفَىٰ بِمَا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ سُبْحٰنَهُ هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿٧٣﴾ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ يَكُوِّرُ اللَّيْلُ عَلَى النَّهَارِ وَيَكُوِّرُ النَّهَارُ عَلَى اللَّيْلِ وَسِعَتْ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ ﴿٧٤﴾

٦- خلقكم أيها البشر جميعاً من نفس واحدة هي آدم عليه السلام، ثم خلق حواء من جنس آدم، ثم شعب الخلق منهما، وخلق وأوجد من الأنعام ثمانية أصناف: من الإبل والبقر والغنم والمعز، ذكراً وأنثى، يخلقكم في الأرحام في بطون أمهاتكم خلقاً متدرجاً من نطفة إلى علقة، إلى مضغة إلى عظام مكسوة لحماً، في ظلمات ثلاث: ظلمة المشيمة، وظلمة الرحم، وظلمة البطن، وعند الأطباء: أن الجنين محاط بثلاثة أغشية في داخل الرحم، فلم تمنع الظلمات من إحسان خلقه، ذلكم خالق هذه الأشياء هو الله ربكم، له الملك المطلق في الدنيا والآخرة، لا إله يعبد بحق سواه تعالى وحده، فكيف يصرفكم الشيطان وتعدلون عن عبادة الخالق إلى عبادة غيره؟

٧- إن تكفروا بالله أيها الناس، فلأن الله غني عن إيمانكم، ولا يرضى الله بالكفر ولا يأمر به أحد من عباده، رحمة بهم، بل يعاقب عليه، وإن تشكروا الله، فتؤمنوا به، يرض الشكر لكم، ويحبه، ويشكم عليه؛ لأنه سبب فلا تكليف، ولا يؤخذ أحد بذنب غيره، ثم إلى ربكم يوم القيامة مصيركم، فيخبركم بما عملتم من خير أو شر، إنه سبحانه عليم بما تضره النفوس، لا يخفى عليه شيء.

خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلْ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنْ الْأَنْعَامِ مِثْلَهُ لِيَتَّخِذَ بَطْنُكُمْ مِنْهَا أَنْعَامًا يُحِبُّونَ ۗ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۗ

خَلَقَ فِي ظِلْمَاتٍ لَثِمٌ ذَا لُبِّ ۗ إِنَّكُمْ لَعِنْدَ اللَّهِ لَمَلَكٌ ۗ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَىٰ نُصْرُونَ ﴿٦﴾ ۗ إِنَّ كُفْرًا وَإِنَّا لِلَّهِ عُتَقَةٌ ۗ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ ۗ وَإِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۗ وَإِنْ كَفَرْتُمْ لَا يَنْصُرُكُمْ يَوْمًا ۗ كُنْتُمْ تُعَلِّمُونَ أَنَّهُمْ عَلِمَ بِذُنُوبِ الصُّدُودِ ﴿٧﴾ ۗ وَإِذَا مَسَّ الْإِنْسَانَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُ مُنِيبًا إِلَيْهِ ۗ ثُمَّ إِذَا خَرَلَهُ نِعْمَةٌ مِنْ رَبِّهِ ۗ مَا كَانَ بِدُعَاؤِ إِلَهِهِ مِنْ قَبْلُ ۗ وَجَعَلَ اللَّهُ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ سِجَالًا ۗ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكُمْ لَيْلًا نَارًا ۗ أَمْزُوقَاتُ آثَانِ ۗ أَلَيْلٌ سَاجِدًا وَمِثْلًا نَحْدُرَ الْآخِرَةِ ۗ وَرِجْرَاءُ رَحْمَةِ رَبِّهِ ۗ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿٨﴾ ۗ قُلْ يَعْجَادِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنْفُسَ رَبِّكُمْ ۗ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٩﴾

٨- وإذا أصاب الإنسان الكافر ضرر من بلاء وشدة كمرض أو فقر أو خوف، دعا الله ربه وتضرع إليه، راجعاً إليه، مستغيثاً به، لدفع ما نزل به، ثم إذا أعطاه نعمة تفضلاً منه، فكشف عنه ضرره، نسي الضر الذي كان يدعو الله لكشفه عنه من قبل ذلك، وجعل لله شركاء وأمثالاً من الأصنام وغيرها، ليضل الناس عن سبيل الحق: وهو الإسلام وعبادة الله وحده، قل أيها النبي لهذا الكافر: استمتع بكفرك استمتاعاً قليلاً ببقية أجلك، إنك في الآخرة في زمرة أهل النار. وهو تهديد شديد، وإقناط للكافر من نعيم الآخرة، وتعليل لذلك بالكفر.

٩- أذلك الكافر أحسن حالاً ومالاً، أم المؤمن بالله المطيع له الخاشع لربه، في ساعات الليل، ساجداً على الأرض وقائماً يناجي الحق في صلواته، يخاف عذاب الآخرة، ويطمع في جنته، قل أيها النبي: هل يتساوى العلماء والجهلاء؟ لا يتساويان، إنما يتعظ أصحاب العقول الرشيدة. وكلمة «أمن» مركبة من (أم) و (من). و (أم) هنا تفيد معنى الاستفهام الإنكاري المفيد للنفي، ومعنى (بل) للانتقال من كلام إلى آخر. والقانت: المداوم على الطاعة. قال ابن عمر: نزلت في عثمان بن عفان. وقال ابن عباس: نزلت في ابن مسعود وعمار بن ياسر، وسالم مولى أبي حنيفة.

١٠- قل أيها الرسول قل لي هذا: يا عبادي المؤمنين، اتقوا عذاب ربكم بلزوم طاعته، للذين أحسنوا بالطاعات في هذه الدنيا مثوبة حسنة في الآخرة وهي الجنة، وثناء حسن وسعادة في الدنيا، وأرض الله واسعة، فمن تعسر عليه الطاعة في بلد، فليهاجر إلى بلد آخر يتمكن فيه من العبادة وإقامة الشعائر، وترك المنكرات، إنما يوفي الله الصابرين أجرهم في مقابل صبرهم بغير تحديد ولا تقدير مسبق، فعطاء الله واسع من غير حصر ولا حساب محاسب.



قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ
أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ
عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لِلدِّينِ ﴿١٤﴾ فَأَعْبُدْ وَأَمَّا شِئْكُمْ
مِنْ دُونِهِ قُلْ إِنَّا خَاسِرُونَ أَنْفُسَنَا وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ أَلَا ذَلِكَ هُوَ الْخَسِرَانُ الَّذِينَ ﴿١٥﴾ كَفَرُوا مِنْ فَوْقِهِمْ ظَلَلُوا
مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهَا ظُلُمٌ ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ لِيُعَادِ فَاتَّقُوا
﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ أَجْنَبُوا الظُّلُمَاتِ أَنْ يَعْبُدُوا مَا دُونا إِلَى اللَّهِ لَهُ
الْبَشَرِيُّ فَيَسْرِعُوا عِبَادَهُ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ
أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾ أَفَنْ
حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ الْعَذَابِ أَفَأَنْتَ تُنقِذُ مِنَ النَّارِ ﴿١٩﴾ لَكِنَّ
الَّذِينَ أَتَقَرَّوْا بِهِمْ لَمْ يَكُنْ عَرُفٌ مِنْ فَوْقِهِمْ عَرُفٌ مُبِينَةٌ تُجْرِي
مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَذَلِكَ لِأَخْلِيفَ اللَّهِ الْمِعَادَ ﴿٢٠﴾ أَلَمْ يَخْرُجْ
أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُمُ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ
بِهِ زَرْعًا مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهْبِجُ فَتَرْهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ
حُطًّا مَاتٍ فِي ذَلِكَ لِكَيْ تَكْفُرَ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾

١١- قل أيها الرسول: إني أمرت أن أعبد الله وحده،
مخلصاً له العبادة والطاعة.

١٢- وأمرت بأن أكون أول المسلمين من الأمة.

١٣- قل: إني أخاف إن عصيت ربي بترك عبادته
ودعوته إلى التوحيد ونبذ الشرك عذاب يوم عظيم الهول
وهو يوم القيامة.

١٤- قل: أعبد الله وحده، مخلصاً له، غير مشوب
بشرك ولا رياء، فلا أعبد غيره.

١٥- فاعبدوا ما شئتم أن تعبدوا من غير الله، وهذا
للتهديد والتفريع، قل أيها النبي: إن الخاسرين خسارة
كاملة هم الذين خسروا أنفسهم بالضلال وأهليهم
بالإضلال، بدخول النار، ألا ذلك هو الخسران الواضح
الذي بلغ حد الإفلاس.

١٦- لهؤلاء الخاسرين طبقات من النار فرقهم
وتحتهم، تلتهم بهم، وسمي ما تحتهم ظللاً، لأنها تظلل
من تحتها من الملعين في النار، ذلك العذاب هو الذي
يخوف الله به عبادة المؤمنين ليتقوه، للامر بالتقوى في
قوله: (يا عبادي فاتقوني).

١٧- والذين اجتنبوا الطاغوت: كل ما عُبد من دون
الله من الأوثان وغيرها، ورجعوا إلى الله وأقبلوا على

عبادته، لهم البشرية بالجنة والثواب، إما على السنة الرسل أو عند حضور الموت.. نزلت في ثلاثة نفر، كانوا في
الجاهلية يقولون: (لا إله إلا الله): زيد بن عمرو بن نفيل، وأبي ذر الغفاري، وسلمان الفارسي. فبشر أيها
النبي عبادي بذلك.

١٨- وهم الذين يستمعون القول الموحى به في الكتاب والسنة، فيتبعون أحسن ما يؤمرون به، ويعملون بأكثره ثواباً،
أولئك الذين وفقهم الله لدينه، وأولئك هم أصحاب العقول الرشيدة. قال جابر: لما نزلت آية ﴿لها سبعة أبواب﴾
[الحجر ١٥ / ٤٤] أتى رجل من الأنصار النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إني لي سبعة ممالك، وإني قد
اعتقت لكل باب منها مملوكاً، فنزلت فيه الآية: ﴿فبشر عباد الذين...﴾ [١٧- ١٨].

١٩- أفمن ثبت ووجب عليه كلمة العذاب، لإصراره على الكفر، وهي قوله تعالى: ﴿... لا ملأن جهنم منكم
أجمعين﴾ [الأعراف ١٨ / ٧] أفأنت تنقذه من النار؟! أي لا تستطيع إنقاذه. ومعنى ﴿أفمن﴾ الاستفهام الإنكاري المفيد
للنفي، أي هل أنت تملك التصرف في الناس؟ وقوله: ﴿أفأنت﴾ لتأكيد معنى الإنكار والنفي. والآية تسري الهموم عن
الرسول ﷺ الذي كان حريصاً على إيمان قومه.

٢٠- لكن الذين أطاعوا ربهم، لهم غرف فوق غرف؛ لأن الجنة درجات، مبنية بناءً محكمًا، تجري من تحت تلك
الغرف الأنهار العذبة، إكمالاً لبهجتها ورونتها، وعد الله ذلك وعداً مؤكداً، والله لا يخلف وعده.

٢١- ألم تعلم وتشاهد أيها الرسول وكل مخاطب أن الله أنزل من السحاب مطراً، فأدخله عيوناً وينابيع، والينابيع:
عين الماء، ثم يخرج أو ينبت بذلك المطر من الأرض زرعاً مختلفاً ألوانه، صفرة وخضرة وبياضاً واحمراراً، ثم يبس
ويجف، فتراه مصفراً بعد خضرته، ثم يجعله مفتتاً متكسراً، إن في ذلك التقلب لموعظة ولتذكارة لأصحاب العقول.

أَمِنْ شَرِّهِ اللَّهُ صَدَّقَهُ الْإِسْلَامَ فَهُوَ عَلَى نَوْرٍ مِّن رَّبِّهِ قَوْلٌ
لِّلْقَلْبِ يَبْهٍ قُلُوبُهُمْ مِّن ذِكْرِ اللَّهِ أَوْلَيْكَ فِي صَلَاتِ مَبِينٍ ﴿٣٧﴾ اللَّهُ
نَزَلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كَمَا مَسَّبَهَا مَثَانِي تَسْمَعُ مِنْهُ
جُلُودُ الَّذِينَ يَحْسُونَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى
ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِمَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلَّ
اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٨﴾ أَفَنُفِي بَوَّجِهِ سَوْءَ الْعَذَابِ يَوْمَ
الْقِيَامَةِ وَقَالَ الظَّالِمِينَ دُفِعُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٣٩﴾ كَذَّبَ الَّذِينَ
مِنْ قَبْلِهِمْ فَانْتَهَمَ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَذَانُهُمْ
اللَّهُ الْخَرَجِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا
يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ وَلَقَدْ صَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ قَوْلُهُ أَنَا عَرَبِيٌّ غَرِيْبٌ عَجِجَ أَعْلَاهُمْ يَقُولُونَ
﴿٤٣﴾ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مَا تَشْكُرُونَ
وَرَجُلًا سَلَمًا أَرْجُلُ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ
أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٤﴾ إِنَّكَ مِثٌّ وَأَنْتُمْ مِثِّيُونَ
﴿٤٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٤٦﴾

٢٢- هل فقدتم التمييز والبصيرة، فجعلتم من فتح الله قلبه للإسلام، فهو على هدى من ربه، كمن قسا قلبه وضاق صدره، فلا يدخله الإيمان، لسوء اختياره؟ أي لا يستويان، فهلاك وعذاب للمعرضة قلوبهم عن قبول القرآن، أولئك أي قساة القلوب في متاعة ويُعد واضح عن الحق. و﴿أفمن﴾ استفهام إنكاري مفيد للنفى، ومقابل الاستفهام مقدر في الكلام مفهوم من السياق، الآتي بعده.

٢٣- الله نزل القرآن، وسماه حديثاً؛ لأن النبي ﷺ كان يحدث به قومه، ويخبرهم بما أنزل الله عليه، كتاباً يشبه بعضه بعضاً في الحسن والإحكام، والنظم والمعنى والإتيان والإرشاد إلى كل نافع، مردد ومكرر فيه القصص والمواعظ والأحكام، وتكرر تلاوته وقراءته من غير ملل ولا سأم، ترتعد خوفاً قلوب الذين يخافون الله عند ذكر وعيده، ثم تلين جلود هؤلاء الخائفين وقلوبهم عند ذكر آيات رحمة الله، ذلك الكتاب هداية الله يهدي به من يشاء هدايته، ومن يخذله الله عن الإيمان بهذا القرآن، فما له من مرشد، ولا موثق لسلك طريق الحق. قال سعد بن أبي وقاص: نزل على النبي ﷺ القرآن، فتلاه عليهم زمناً، فقالوا: يا رسول الله، لو حدثتنا؟ فنزل: ﴿الله نزل أحسن الحديث﴾.

٢٤- هل من يجعل وجهه الذي هو أشرف أعضائه

وقاية له من العذاب السيئ حينما يُلقى في النار مغلولة يده إلى عنقه، كمن هو آمن من كل مكروه، سالم من كل سوء؛ لدخوله الجنة، وقيل للظالمين أنفسهم وهم الكفار والمشركون في مكة وغيرها: ذوقوا جزاء ما كسبتم وعلمتم في دنياكم من الكفر والعصيان.

٢٥- كذب الرسل في إتيان العذاب الذين كانوا قبل أهل مكة، فاتاهم العذاب من الجهة التي لا تخطر ببالهم.

٢٦- فأذاقهم الله الذل والهوان في الحياة الدنيا كالقتل والسبي والحسف والمسخ وغير ذلك، وللعذاب الآخرة أشد وأعظم لدوامه، لو كان هؤلاء المكذبون يعلمون عذاب الآخرة ما كذبوا.

٢٧- ولقد صرَبنا وجعلنا أمثالاً وأخباراً من الأمم السابقة، ونوعنا أسباباً على وجوه شتى للعظة في هذا القرآن ليتعظوا.

٢٨- قرأتاً بلسان عربي فصيح، مستقيماً لا تناقض فيه، ولا اختلاف، ليتقوا الكفر والمعاصي.

٢٩- ضرب الله مثلاً للمشرك والموحد. وضرب المثل: تشبيه حال غريبة بحال أخرى مثلها- رجلاً عبداً مملوكاً يملكه عدد من الشركاء المتنازعين دائماً المختلفين فيما بينهم لسوء أخلاقهم وطباعهم، كل واحد يريد استخدامه لمفتمته ومصلمته، ورجلاً عبداً مملوكاً ملكية خاصة لرجل، لا شريك له فيه، هل يتساوى هذان العبدان، الذي يخدم جماعة شركاء، والذي يخدم واحداً لا يتنازع فيه أحد؟ إن هناك تفاوتاً واضحاً بينهما، الأول الذي يختار في خدمة أسياده مثل للمشرك، والثاني الذي يستقل بخدمة سيد واحد مثل للموحد، لا يستويان مثلاً، الحمد لله وحده الذي لا يشاركه فيه سواه، بل أكثر هؤلاء المشركين لا يعلمون الحق، يشركون بالله غيره، لفرط جهلهم.

٣٠- إنك أيها النبي ميت، وإنهم سيموتون، فالكل سواء في الموت، نزلت لما استبطوا وموته ﷺ.

٣١- ثم إنكم يوم القيامة تحتكمون للقضاء وتتخاصمون فيما حدث بينكم من المظالم وأمر الدنيا والدين، ويفصل الله بينكم.



﴿٣٢﴾ قُلْ أَظْهَرَ مِنَ اللَّهِ كَذِبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذِبَ بِالْصِّدْقِ
 إِذْ جَاءَهُ: أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴿٣٣﴾ وَالَّذِي
 جَاءَهُ بِالْصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ: أَوَلَيْكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴿٣٤﴾ لَهُمْ
 مَا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴿٣٥﴾ لِيُكَفِّرَ
 اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ
 الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٣٦﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ وَيُخَوِّفُونَكَ
 بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٧﴾
 وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَرِيمٍ ذِي نِقَامٍ
 ﴿٣٨﴾ وَلَيْسَ سَأَلْتُهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 لِيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ
 أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ أَوْ
 أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَتُ رَحْمَتِهِ قُلْ حَسْبِيَ
 اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٩﴾ قُلْ يَقَوْمِ اعْمَلُوا
 عَلَى مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَمِلْتُ فَسَوْفَ نَعْلَمُونَ ﴿٤٠﴾ مَنْ
 يَأْتِهِ عَذَابٌ يُخْرِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤١﴾

٣٢- لا أحد أكثر ظلماً ممن كذب على الله،
 فزعم أن له شريكاً أو ولداً أو صاحبة، وكذب
 بالصدق وهو القرآن الذي جاء به محمد ﷺ لما
 سمع به، أليس في جهنم ماوى أو مكان إقامة
 للكافرين؟! بلى، إنها مكان احتوائهم.

٣٣- والذي جاء بالقرآن وهو الرسول ﷺ،
 وصدق به وهم المؤمنون، أولئك هم المتقون
 الشرك والعذاب.

٣٤- لهم ما يريدون عند ربهم في الجنة من نعيم
 ودرجات رفيعة، ذلك جزاء الذين أحسنوا في
 أعمالهم الدنيوية.

٣٥- ليستر ويغفر لهم سيئ أعمالهم وذنوبهم،
 ويجزئهم ثوابهم على الطاعات ويحسن عملهم
 الذي عملوه في الدنيا، فضلاً منه سبحانه،
 لإيمانهم وإخلاصهم.

٣٦- أليس الله بحافظ عبده النبي ﷺ من وعيد
 المشركين وكيدهم؟ بلى، ويخوفك المشركون أيها
 النبي بالأصنام والأوثان أن تصيبك بسوء، فلا
 تخف، فإن الله يحميك مما يضرك، وليس عند
 آلهتهم نفع ولا ضرر، ومن يتركه في الضلال،
 لسوء اختياره، فليس له من هاد يرشده إلى الخير. نزلت آية ﴿ويخوفونك﴾ حينما قال المشركون
 للنبي ﷺ: لنكفرن عن شتم آلهتنا أو لنامرتها فلتخيلنك. وهمزة ﴿أليس﴾ للاستفهام الإنكاري المقيد
 للنفي، وبما أن ﴿ليس﴾ تفيد النفي أيضاً، فنفي النفي إثبات، والمعنى: الله يكفي عبده.

٣٧- ومن يوفقه الله للهداية والإيمان والعمل الصالح، فليس له من مضل يوقعه في الضلال، أليس الله
 يغالب كل شيء، ذي انتقام ينتقم من أعدائه وعصاته؟!

٣٨- ولئن سألت أيها النبي المشركين: من الذي أبداع وأوجد السموات والأرض؟ ليقولن: الله خلقهما،
 قل لهم بعد إقرارهم: أخبروني عما تعبدون من غير الله وهي الأصنام، إن أردني الله بشدة وبلاء هل
 يكشفه؟ أو أردني الله بنعمة ورخاء ونفع هل يمسكته عني؟ لا، قل: الله كافيي في تحقيق النفع ودفع الضرر،
 عليه لا على غيره يعتمد المعتمدون، ويتق الواثقون، لعلمهم بأن الكل منه تعالى. قال مقاتل: سألهم النبي
 ﷺ، فسكتوا، فنزل ذلك.

٣٩- قل أيها النبي: يا قوم اعملوا على طريقتكم أو حالتمكم التي أنتم عليها، إني عامل على طريقتي
 وحالتي التي أنا عليها، فسوف تعلمون سوء مصيركم، وخير عاقبتى.

٤٠- سوف تعلمون من الذي يأتيه عذاب يهينه ويذله في الدنيا، وينزل عليه عذاب دائم في الآخرة، وهو
 عذاب النار.

إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَى فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ
ضَلَّ فَلِنَافْسِهِ وَلَنْ نَجْعَلَ لِقَوْمٍ سَبِيلًا ﴿١﴾
اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ كُفِّرْ فِيهَا مِنْهَا
فِي سَكَنٍ أَلْوَنٍ فَتُجْزَىٰ بِمَا كَانَتْ تَعْمَلُ ﴿٢﴾
إِن فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ أَوَلَمْ يَتَذَكَّرْ
ذُو الْأُنْفُسِ إِذْ أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجْلِ مَسْئَلِهَا
﴿٤﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ
تُرْجَعُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٦﴾ قُلْ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
عَلِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ
يَخْتَلِفُونَ ﴿٧﴾ وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عِشًا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ
مَعَهُ لَا فِئْتًا مِنْ دُونِهِمْ لَأَنْزَلْنَا بِهِمْ سُلُوفًا مِمَّا كَانُوا فِيهِ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٨﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٩﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٠﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١١﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٤﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٥﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١٨﴾ وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْتَدَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ
لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ
يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٩﴾ قُلْ لِلَّهِ الشُّفَعَةُ جَمِيعًا لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٠﴾

٤١- إنا أنزلنا عليك القرآن لأجل الناس ويسان ما
كُتِبُوا به، ليحقق مصالِحهم الدنيوية والأخروية،
أنزلناه مقتدرنا بالحق، ملازمًا له، فمن اهتدى به،
فاهتداه لنفسه، ومن ضل أو انحرف عنه، فإن وبال
ضلاله على نفسه، وما أنت أيها النبي على الناس
بموكل عليهم، لتجبرهم على الهدى.

٤٢- الله يقبض الأرواح عند انتهاء أجلها، ويتوفى
الأنفس التي لم تمت حين تمام، فيمسك الروح التي
قضى على صاحبها الموت، فلا يردها إلى جسدها،
وتنتقل إما إلى نعيم أو إلى شقاء، ويرسل روح النفس
الأخرى وهي النائمة إلى بدن صاحبها، بأن يعيد لها
إحساسها- والنفس والروح شيء واحد في رأي
جماعة، وشيخان مختلفان في رأي آخرين، والمراد
من التوفي في النوم إبعاد الروح عن البدن ظاهراً
فقط، فيمتنع التصرف الاختياري فقط- وإعادة
الإحساس بعد اليقظة مرهون بوقت معين هو العمر
المحدد والموت المحقق، إن في ذلك المذكور من
التوفي والإمسك والإرسال لدلالات على كمال قدرة
الله وحكمته، لقوم يتفكرون في الحياة والموت.

٤٣- بل هل اتخذ المشركون من غير الله آلهة شفعاء
تشفع لهم عند الله؟ قل أيها النبي: أنتخذونهم شفعاء
وسطاء، ولو كانوا لا يملكون شفاعته ولا غيرها، ولا يعقلون شيئاً من الأشياء، ومن ذلك أنكم تعبدونهم؟ و﴿أم﴾
لها معنى حرفين: همزة الاستفهام الإنكاري المقصود به هنا التوبيخ، و(بل) للانتقال من كلام إلى آخر، كما تقدم
قريباً.

٤٤- قل أيها النبي: الله الشفاعة جميعاً، ليس لأحد منها شيء إلا برضا الله للشافع والإذن للشفوع له، له ملك
السماوات والأرض، أي مالك الملك والتصرف كله، لا يتكلم أحد إلا بإذنه ورضاه، ثم إلى الله تصيرون، فيكون له
الملك أيضاً حيثنذ.

٤٥- وإذا ذكر الله وحده دون آلهتهم، نفرت وانقبضت قلوب الذين لا يصدقون بالآخرة، وإذا ذكر الذين من
دون الله وهم الأصنام، إذا هم يظهرون البشر والسرور. و﴿إذا﴾ تدل على سرعة حصول ما بعدها. قال مجاهد:
نزلت في قراءة النبي ﷺ النجم عند الكعبة وفرحهم عند ذكره الآلهة، أي قوله تعالى: ﴿أفرأيتم
اللات والعزى، ومناة الثالثة الأخرى﴾ [النجم ١٩/٥٣ - ٢٠].

٤٦- قل أيها النبي؟ يا الله أنت مبدع السماوات والأرض، عالم ما غاب وما شوهد، أنت وحكك تحكم بين عبادك
فيما اختلفوا فيه من أمر الدين، فظهر الحق من المبطل، اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق.

٤٧- ولو أن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان جميع ما في الدنيا من الأموال والأمتعة، وضعفه زيادة
عليه، لجعلوه فدية لهم من سوء العذاب الذي يلاقونه يوم القيامة، وظهر لهم حيثنذ من أنواع العقاب ما لم يكونوا
يتوقعون.

٤٨- وظهر لهم سبب ما عملوا باختيارهم، وأحاط بهم من العذاب جزاء ما استهزؤوا به في دار الدنيا.



فَأَسْرَأَ لِلْإِنْسَانِ ضُرْعَانِ ثُمَّ إِذَا حَزَلَهُ نِعْمَةٌ مَتَانًا قَالُوا إِنَّمَا أُوتِينَاهُ عَلَىٰ عِلْمٍ بَلَّغْنَاهُ وَلَكِنَّا كُنَّا نَعْتَمِدُ عَلَىٰ قُوَّتِهِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾
 قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾
 فَأَصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَتَّعَمَرُوا أَنَّهُ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنْ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ فَلْيَعْبَادُوا الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَنْظُرُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنْبِئُوا إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ ﴿٥٤﴾ وَأَنْبِئُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٥٥﴾ أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَىٰ مَا قَرَّبْتُ فِي حُبِّ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لِمَنِ السَّخِرِينَ ﴿٥٦﴾ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ رَزَىٰ الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾

٤٩- فإذا أصاب الإنسان ضر من شدة وبلاء، كمرض أو فقر أو غيرهما، استغاث بنا لكشف الضر عنه، ثم إذا أعطيناه نعمة منا، بأن فرجنا كربه، قال: إنما أعطيتني على خبرة ومعرفة وذكاء مني بوجوه كسبه، بل (لانتقال عما بعد الكلام السابق) النعمة اختبار وامتحان، أيشكر أم يكفر؟ ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الإمداد بالنعيم مع المقام على المعصية استدراج لهم من الله، واختبار.

٥٠- قد قال هذه المقالة الذين من قبل كفار قريش، كقارون وغيره، فما أفادهم ما كانوا يكسبون من متاع الدنيا الزائل.

٥١- فأصابهم جزاء سيئات فعلهم أو كسبهم، والذين ظلموا أنفسهم من كفار قومك، سيصيبهم جزاء أعمالهم، كالحقحط والقتل والأسر، وليسوا هم بفاتنين أو مفلتين من عذاب الله، ولن يوقعوا الله في العجز، بل مرجعهم حتماً إلى الله تعالى.

٥٢- أو لم يعلم المشركون أن الله يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيق الرزق على من يشاء من عباده، إن في ذلك البسط والتضييق لدلالات وعلامات لقوم يؤمنون بالله ورسوله، ويأن الرزق

بيد الله تعالى، وجميع الحوادث من الله تعالى.

٥٣- قل أيها النبي: يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم بالإفراط في المعاصي والإكثار منها، لا تياسوا من مغفرة الله تعالى ما دام باب التوبة مفتوحاً، إن الله يغفر الذنوب جميعاً عفواً منه إلا الشرك الذي لم يتب منه صاحبه، إنه سبحانه الكثير المغفرة، الواسع الرحمة. قال ابن عباس: إن ناساً من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا محمداً ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، أو تخبرنا أن لنا توبة، فنزلت هذه الآية.

٥٤- وارجعوا إلى ربكم بفعل الطاعات وترك المعاصي، وأخلصوا العمل له، من قبل أن يأتيكم العذاب، ثم لا تجدون ناصرًا ينصركم وينقذك من ذلك العذاب.

٥٥- وافعلوا ما أمركم الله به، وانتهوا عما نهاكم عنه، وهو ما جاء في القرآن الذي هو أحسن المنزّل إليكم من ربكم، من قبل أن يأتيكم العذاب فجأة، وأنتم غافلون عنه.

٥٦- ارجعوا خوف أن تقول نفس: يا حسرتي وندامتني على ما قصرت في جانب الله، أي طاعته وعبادته، وإني كنت لمن المستهزئين بدين الله في الدنيا. و﴿على﴾ يفيد أن ما بعدها علة وسبب لما قبلها.

٥٧- أو تقول نفس: لو أن الله وفقني وأرشدني إلى دينه، لكنت ممن يتقى الشرك والمعاصي.

٥٨- أو تقول نفس حين تشاهد العذاب: لو أن لي رجعة إلى الدنيا، فأكون من الذين أحسنوا القول والعمل، والإيمان والتكاليف.

بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي الْقُرْآنِيَّةُ، فَانْكُرْت كُونَهَا
 مِنْ اللَّهِ، وَتَكْبُرْت عَنِ الْإِيمَانِ بِهَا، وَكُنْت مِنَ الْكَافِرِينَ
 بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ. ﴿٥٩﴾ بَلَىٰ ﴿٥٩﴾ حُرْفٌ يَدُلُّ عَلَى رَدِّ الْكَلَامِ
 السَّابِقِ وَهُوَ زَعْمُهُمْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَهْدِهِمْ وَلَمْ يَرْشِدْهُمْ.
 ٦٠- وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ بَادِعَاءَ
 الشَّرِيكِ أَوْ الصَّاحِبَةِ أَوْ الْوَلَدِ، وَجُوهُهُمْ مَسْوَدَةٌ لِنُغْصِبِ
 اللَّهُ وَسَخَطَهُ، أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَا أَوْى لِلْمُتَكَبِّرِينَ عَلَى اللَّهِ،
 الْمُسْتَعِينِينَ عَنْ طَاعَتِهِ وَتَوْحِيدِهِ؟ وَالْأَلَيْسَ ﴿٦٠﴾ أَيُّ إِنْ فِي
 جَهَنَّمَ مَثْوًى أَوْ مَكَانٌ.
 ٦١- وَيُنَجِّي اللَّهُ مِنَ عَذَابِ جَهَنَّمَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ،
 فَادَّاءُ الْوَأَجَابَاتِ، وَتَرَكُوا الشَّرْكَ وَالْمَعَاصِيَ، بِفُزُومِهِمْ أَوْ
 جَعَلَهُمْ فِي الْجَنَّةِ، لَا يَصِيبُهُمْ مَكْرُوهٌ، وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ
 عَلَى مَا فَاتَهُمْ فِي الدُّنْيَا.
 ٦٢- اللَّهُ وَحْدَهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ مَوْجُودٌ فِي الدُّنْيَا
 وَالْآخِرَةِ، وَهُوَ قَائِمٌ بِحِفْظِ كُلِّ شَيْءٍ وَرِعَايَتِهِ.
 ٦٣- لَهُ مَفَاتِيحُ خِزَانِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مِنَ الْمَطَرِ
 وَالنَّبَاتِ وَالرِّزْقِ، وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فِي الْقُرْآنِ
 وَدَلَائِلِ قُدْرَةِ اللَّهِ، أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ أَنْفُسَهُمْ، بِالزُّجُ
 بِهِمْ فِي عَذَابِ النَّارِ.
 ٦٤- قُلْ أَيُّهَا النَّبِيُّ لِلْمُشْرِكِينَ: أَغْفِرُ اللَّهُ تَامِرُونِي أَنْ
 أُعْبَدَ بَعْدَ هَذِهِ الْأَدَلَّةِ الْقَاطِعَةِ عَلَى وَحْدَانِيَةِ اللَّهِ، أَيُّهَا
 الْجَاهِلُونَ بِوَحْدَانِيَةِ اللَّهِ؟ قَالَ الْمُشْرِكُونَ لِلنَّبِيِّ ﷺ:

أَتَضَلُّ أَبَاءَكَ وَأَجْدَادَكَ يَا مُحَمَّدُ؟ فَانزَلَ اللَّهُ هَذِهِ الْآيَةَ. وَكَانُوا أَيْضاً طَلَبُوا مِنَ النَّبِيِّ أَنْ يَزُورَ آلَهُتِهِمْ،
 فَيَتَّبِعُونَهُ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ بَعْدَئِذٍ.

٦٥- وَلَقَدْ أَوْحَى إِلَيْكَ أَيُّهَا الرَّسُولُ وَإِلَى الرَّسْلِ مِنْ قَبْلِكَ: لَنْ أُشْرِكَ بِاللَّهِ أَحَداً غَيْرِهِ. عَلَى سَبِيلِ الْفَرْضِ وَالْتِهْيِجِ
 وَإِقْنَانِ الْكُفَّارِ- لِيُظَلَّنَ عَمَلِكَ السَّابِقِ وَيَذْهَبَ هَيْهَامُ مَثُوراً، وَلِتَكُونَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ خَسَارَةً كَبِيرَةً. وَغَيْرِ الْأَنْبِيَاءِ
 فِي ذَلِكَ أُولَى.

٦٦- بَلِ اعْبُدِ اللَّهَ وَحْدَهُ، وَإِيَّاكَ مِنْ عِبَادَةِ غَيْرِهِ- وَهَذَا رَدُّ لِمَا أَمَرُوهُ بِهِ- وَكَانَ مِنَ الشَّاكِرِينَ نِعْمَةً عَلَيْكَ. وَ﴿بَلِ﴾ تَفِيدُ
 رَفْضَ مَا حَاوَلُوهُ.

٦٧- وَمَا عَظَّمَ الْمُشْرِكُونَ اللَّهَ حَقَّ تَعْظِيمِهِ، حِينَ جَعَلُوا لَهُ شَرِيكاً وَوَصَفُوهُ بِمَا لَا يَلِيقُ بِهِ، وَالْأَرْضِي كُلِّهَا فِي قَبْضَتِهِ
 وَمُلْكِهِ وَتَصَرُّفِهِ، وَالسَّمَاوَاتِ مَجْمُوعَاتٍ بِقُدْرَتِهِ، تَنْزَهُ اللَّهُ وَتَقَدِّسَ، وَتَعَاظِمُ عَمَّا يُشْرِكُونَ مَعَهُ مِنَ الْوَلَدِ أَوْ الشَّرِيكِ أَوْ
 الصَّاحِبَةِ. قَالَ ابْنُ مَسْعُودٍ: أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: يَا أَبَا الْقَاسِمِ، بَلِّغْكَ أَنَّ اللَّهَ يَحْمِلُ
 الْخَالِقَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالْأَرْضِينَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالشَّجَرَ عَلَى إِصْبَعٍ، وَالثَّرَى عَلَى إِصْبَعٍ؟ فَضَحِكَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ
 حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، فَانزَلَ اللَّهُ تَعَالَى هَذِهِ الْآيَةَ، وَالْمَعْنَى: أَنَّ اللَّهَ يَقْدِرُ عَلَى حَمْلِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ كَقُدْرَةِ أَحَدِنَا مَا
 يَحْمِلُهُ بِأَصْبَعِهِ.

٦٨- وَتُنْفَخُ فِي الْبُقُوقِ النَّفْخَةُ الْأُولَى، فَمَاتَ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ، إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ إِيقَاءَهُ حَيًّا،
 قِيلَ: هُمْ جِبْرَائِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَإِسْرَائِيلُ، فَلِإِنَّهُمْ يَمُوتُونَ بَعْدَ، وَالْأَصْحَحُّ أَنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَى تَعْيِينِهِمْ، ثُمَّ نَفَخَ فِي الْبُقُوقِ النَّفْخَةَ
 الثَّانِيَةَ لِلْبَعْثِ مِنَ الْقُبُورِ، فِإِذَا جَمِيعُ الْخَالِقَاتِ الْمُوتَى قَائِمُونَ عَلَى أَرْجُلِهِمْ مِنْ قُبُورِهِمْ، يَنْتَظِرُونَ مَا يَفْعَلُ بِهِمْ.

٦٩- وأضاءت الأرض: أرض المحشر بعد النسخة الثانية بنور ربها حين يتجلى تعالى لحساب الخلائق وفصل القضاء بينهم، ووضع كتاب الأعمال، وحيى بالأنبياء والشهداء إلى الموقف، فيشهدون على من بلغوه من الأمم، فكذب بالحق، والشهداء: هم الشهود من الملائكة والمؤمنين والذين استشهدوا في سبيل الله، ومنهم المؤمنون من أمة النبي ﷺ وقضي بين المخلوق بالعدل والحق، وهم لا يظلمون شيئاً من أعمالهم، فلا ينقص ثوابهم، ولا يزداد عقابهم.

٧٠- ووصلت كل نفس إلى حقها، وما قامت به من عمل الخير والشر، والله أعلم بما يفعلون في الدنيا من طاعة ومعصية، دون حاجة إلى كاتب وشاهد وحاسب.

٧١- وسبق الكفار بعنف وإهانة إلى النار جماعات أو أفواجاً متفرقة مرتبة، بعضها إثر بعض بحسب ترتيب درجات كفرهم وجرائمهم، حتى إذا وصلوا إليها، فتحت أبوابها ليدخلوها، وهي سبعة أبواب، وقال لهم خزنتها الملائكة الزبانية تقريباً وتوبيخاً: ألم يأتكم رسل من أنفسكم، يتلون عليكم آيات ربكم التي أنزلها عليكم، ويخوفونكم أو يحذرونكم لقاء هذا اليوم الرهيب، قالوا: بلى (نعم) جاؤوا، أي أتانا الرسل، ولكن وجبت كلمة العذاب على الكافرين، وهي قوله سبحانه: ﴿لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [السجدة ١٣/٣٢].

٧٢- قيل لهم: ادخلوا أبواب جهنم التي فتحت لكم، ما كثرت فيها على الدوام، فبئس المأوى أو المكان الدائم جهنم.

٧٣- وسبق المتقون عذاب ربهم بسرعة ولطف إلى دار الكرامة لإدخال السرور عليهم، جماعات بحسب درجاتهم في الإيمان وأعمال الطاعة، حتى إذا وصلوها وفتحت أبوابها تشريفاً وتكريماً لاستقبالهم الحافل، وقال لهم خزنتها الملائكة الكرام: سلامة لكم من كل آفة ومكروه، طابت حالكم وحسنت بسبب طهركم من دنس المعاصي، فادخلوا الجنة، خالدين فيها إلى الأبد.

٧٤- وقال هؤلاء المتقون: الشكر لله والثناء الجميل على الله الذي أنجز لنا وعده بالبعث والثواب والجنة، وأورثنا أرض الجنة، ننزل فيها حيث نشاء، في أي مقام أردنا، فنعم أجر العاملين: الجنة.

٧٥- وترى أيها التقى السعيد الملائكة في الجنة محيطين بالعرش، محلقين به من كل جانب، يمجدون ربهم ويقدمونه شاكرين، قائلين: سبحان الله ويحمده، وقضي بين العباد بالحق والعدل، فأهل الجنة إلى الجنة، وأهل النار إلى النار، وقال المؤمنون المقضي بينهم: الحمد لله رب العوالم أو الخلائق أجمعين على فضله وإحسانه.

وَأَسْرَفَتْ الْأَرْضُ بُيُوتَ رَبِّهَا وَوَضِعَ الْكُتُبَ وَجَاءَ بِاللَّيْلِ وَالشَّهَادَةَ وَفُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَهُمْ لَا يظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾
وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَيْسَ لَكُم رُسُلٌ يَتْلُونَ عَلَيْكُم آيَاتِ رَبِّكُم وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِن حَقَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَوْجِئًا لِلْمُكَرِبِينَ ﴿٧٢﴾ وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا ۖ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلِّمُوا عَلَيْكُمْ رَبَّنَا قَدْ دَخَلْنَا الْجَنَّةَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَكَيْفَ أَخْرَجْتَهُم قَالَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٧٣﴾ وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِيَ بَيْنَهُم بِالْحَقِّ وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٧٤﴾

سورة غافر



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ١ حم ﴿١﴾ تَنْزِيلَ الْكِتَابِ مِنْ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾
 غَافِرِ الذَّنْبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ
 لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ إِلَهُ الْمَصْرُورِ ﴿٣﴾ مَا يُجَادِلُ فِي آيَاتِ اللَّهِ
 إِلَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَلَا يَفْزَكُ نَفْلَهُمْ فِي الْبَلَدِ ﴿٤﴾
 كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَالْأَحْرَابُ مِنْ بَعْدِهِمْ
 وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَيَجْعَلُوا بِالْبَاطِلِ
 لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ
 ﴿٥﴾ وَكَذَلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا
 أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ﴿٦﴾ الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ
 حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ
 لِلَّذِينَ ءَامَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا
 فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْحَجِيمِ ﴿٧﴾

وتسمى أيضاً سورة المؤمن، لذكرها قصة مؤمن
 آل فرعون. ونزلت الحواميم عقب الزمر، قال ابن
 مسعود: آل حم ديباج القرآن.

١- ﴿حم﴾: البدء بالحروف المقطعة في بعض
 السور للتنبيه لما يأتي بعدها، ولتحدّي العرب
 بمعارضة القرآن.

٢- هذا القرآن تنزيل صادق غير مكذوب من الله
 القوي القاهر الذي لا يُغلب، الواسع العلم
 بأحوال خلقه.

٣- غافر الذنب للمؤمنين التائبين، قابل التوبة
 فضلاً منه ورحمة، شديد العقاب للكافرين،
 صاحب الفضل والإنعام على عباده، لا إله يستحق
 العبادة إلا هو، إليه المرجع للحساب والجزاء.

٤- ما يجادل في آيات القرآن لدفعها وتكذيبها
 إلا الكفار والمشركون، فلا تغتر بامهالهم، وتقلبهم
 في البلاد بالتجارة الرابحة، وجمع الأموال، ومظاهر الحياة الكريمة، فإن عقابهم أت عما قريب. قال أبو
 مالك: نزلت في الحارث بن قيس السهمي.

٥- كذب بالرسول قبل قومك قريش قوم نوح، والجماعات الذين تحزبوا على الرسل من بعدهم كعاد وثمود
 وغيرهما، وعزمت كل أمة من هؤلاء على إيذاء رسولهم والتمكن منه بالحس والأسر والتعذيب والقتل،
 وجادلوا رسلهم بالباطل (ما لا حقيقة له) من القول، ليزيلوا به الحق ويظلموا الإيمان، فأخذتهم بالعذاب
 والهلاك، فكيف كان عقابي لهم!؟

٦- وكما وجبت كلمة ربك، أي حكمه بالهلاك ووعيده بالنار على كفار الأمم السابقة، وجبت أيضاً على
 كفار قومك لكفرهم، وتلك الكلمة: أنهم مستحقو النار.

٧- الذين يحملون العرش (وهو حقيقة الله أعلم به) وهم أعلى فئات الملائكة وأولهم وجوداً، يتزهون الله
 حامدين له نعمه، قائلين: سبحان الله وبحمده، ويؤمنون بالله وحده لا شريك له، ويطلبون المغفرة للمؤمنين
 بالله، يقولون: ربنا وسعت رحمتك كل شيء، ووسع علمك كل شيء، فاغفر للذين تابوا من الشرك
 والذنوب، واتبعوا سبيلك دين الإسلام، واحفظهم وأبعدهم من عذاب نار الحجيم.



٨- ربنا وأدخلهم جنات إقامته دائمة التي وعدتهم إياها عن طريق رسلك، ومعهم أدخل كل من صلح من آباؤهم وأزواجهم وذرياتهم، بأن كان مؤمناً موحداً، قد عمل الأعمال الصالحة التي أمروا بها، إنك أنت القوي القاهر الذي لا يغلب، الحكيم في صنعه وتدييره، تضع الشيء في موضعه المناسب.

٩- واصرف عنهم عقوبات الدنيا والآخرة، وهو من قبيل ذكر العام بعد الخاص الذي هو ﴿عذاب الجحيم﴾ [٧] بأن تغفر لهم ولا تؤاخذهم بشيء منها، ومن تق السيئات، أي تصرف عنه جزاء السيئات، يوم القيامة، فقد رحمته ونجته من عذابك، وذلك هو الفوز العظيم الذي لا شيء أعظم منه، وهو رضوان الله والجنة.

١٠- إن الكفار يُنادون من قبل الملائكة يوم القيامة: لبغض الله تعالى إياكم وكرهيته لكم في الدنيا أكبر من كراهيتكم أنفسكم اليوم إذ عايتم النار، وحين دعيتم إلى الإيمان بالله في الدنيا، فكفرتم.

١١- قال الكفار: ربنا أمتنا إمامتين: بأن خلقتنا أمواتاً أولاً من تراب لا حياة فيه، وحين كنا في

رَبَّنَا وَأَدْخَلْنَاهُمْ جَنَّاتٍ وَعْدْنَاهُمْ وَمَنْ صَلَحَ مِنْ
آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ أَلْعَزِيزُ
الْحَكِيمُ ﴿٨﴾ وَفِيهَا السَّيِّئَاتُ وَمَنْ تَقَى السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ
فَقَدْ رَجَعْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٩﴾ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا
يُنَادُونَ لَمَقْتُ اللَّهِ أَكْبَرُ مِنْ مَقْتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ إِذْ تُنَادَوْنَ
إِلَى الْإِيمَانِ فَكَفَرُوا ﴿١٠﴾ فَأَلَوْ رَبَّنَا أَمْتَنَا النَّاسُ وَأَحْيَيْنَا
أَنْتَ بِنِهَايَةِ قَادِرُونَ فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ ﴿١١﴾
ذَلِكُمْ بِاللَّهِ إِذَا دُعِيَ اللَّهُ وَحْدَهُ كَفَرْتُمْ وَإِنْ
يُسْتَرْكَبُ بِهِ تُؤْمِنُونَ فَالْحُكْمُ لِلَّهِ الْعَلِيِّ الْكَبِيرِ ﴿١٢﴾
هُوَ الَّذِي يُرِيكُمْ آيَاتِهِ وَيُنَزِّلُ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ رِزْقًا وَمَا
يَبْذُرُ الْإِيمَانَ فِي تَبَسُّبٍ فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ
لَهُ الدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ﴿١٣﴾ رَفِيعُ
الدَّرَجَاتِ ذُو الْعَرْشِ يُلْقِي الرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ
عِبَادِهِ لِيُنْذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١٤﴾ يَوْمَ هُمْ بَدْرَبُونَ لَا يَنْجِي عَلَى اللَّهِ
شَيْئًا مِنْ الْمَلَائِكَةِ الْمُؤْمِنَةِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ ﴿١٥﴾

أصلاب الآباء، ثم صيرتنا أمواتاً عند انقضاء آجالنا، وأحييتنا إحياءين: الحياة الأولى في الدنيا، والحياة الثانية عند البعث، فاعترفنا الآن بذنوبنا التي ارتكبتها، من الشرك وتكذيب الرسل وترك التوحيد، ولكنه اعتراف في وقت لا ينفعهم الاعتراف فيه، فهل إلى خروج من جهنم، أي نوع من الخروج ولو بطيئاً، من طريق يسره لنا؟

١٢- ذلكم العذاب الذي أنتم فيه، بسبب أنه إذا دُعي وعُبد الله في الدنيا وحده دون غيره، كفرتم بالتوحيد، وإن يجعل له شريك في العبادة، تُصدّقوا بالإشراك به، فالقضاء المبرم في شأنكم اليوم لله وحده لا شريك له، المتعالي عن الشرك ومماثلته في ذاته وصفاته، الذي كبر على كل شيء من المخلوقات.

١٣- هو الله الذي يريكم دلائل قدرته وتوحيده، وينزل لكم من السحاب مطراً، يكون سبب الرزق، فجمع تعالى بين قوام الأرواح وقوام الأبدان، وما يتعظ بتلك الآيات الباهرة إلا من يرجع عن الشرك والعناد، إلى طاعة الله والتفكير في هذه الآيات.

١٤- فاعبدوا الله مخلصين له العبادة من الشرك، ولو كره الكافرون ذلك، وشق عليهم.

١٥- الله رفيع الصفات، المنزّه عن مشابهة المخلوقات، صاحب العرش ومالكة وخالقه، والمتصرف فيه، يلقي الوحي على من يشاء من عباده، وسمي الوحي روحاً؛ لأنه كالروح للجسد، يلقيه من قوله، ليحترق ويخوف من يوم تلاقي الخلق مع الخالق، للحساب والجزاء.

١٦- يوم هم ظاهرون خارجون من قبورهم، لا يخفى على الله منهم شيء من أعمالهم في الدنيا، ويقول الله حينئذ: لمن الملك المطلق يوم القيامة؟ فلا يجيبه أحد، فيجيب الله سبحانه نفسه قائلاً: لله الواحد الأحد، القهار الخلقه.

الْيَوْمَ نَجْزِي كُلَّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١٧﴾ وَأَذْرَهُمْ بِيَوْمٍ إِذَا الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَظْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حِمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾ يَعْلَمُ حَايِبَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾ أَوْ لَقَيْسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ كَانُوا مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا هُمْ أَشَدَّ مِنْهُم قُوَّةً وَأَثَارًا فِي الْأَرْضِ فَآخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَتْ تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَكَفَرُوا فَآخَذَهُمُ اللَّهُ إِنَّهُ قَوِيٌّ سَدِيدٌ الْحِسَابِ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَهَلُمَّنْ وَقُرُونِ قَالُوا اسْحِرْ لَنَا كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا اقْتُلُوا أَبْنَاءَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَكُمْ وَأَسْتَحْيُوا نِسَاءَهُمْ وَمَا كَيْدُ الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ ﴿٢٥﴾

١٧- اليوم تجزي كل نفس بما كسبت من خير أو شر، لا ظلم لأحد اليوم بنقص ثواب أو زيادة عقاب، إن الله يحاسب جميع الناس سريعاً، في مقدار نصف يوم من أيام الدنيا، لأن علمه محيط بكل شيء.

١٨- وخوفهم وحذرهم أيها النبي يوم القيامة، وسمي بالأذفة لقربه، حين تصير القلوب خوفاً عند الحناجر، أي الخلق، كناية عن شدة الخوف والضيق، ممتلئة قلوبهم غمًا وكرهاً، ما للكافرين من قريب أو صديق ينفعهم، ولا شافع يطاع في شفاعته لهم.

١٩- يعلم الله تعالى خيانة الأعين: وهي استراق النظر إلى ما لا يحل النظر إليه، ويعلم ما تكتمه الضمائر، وتسره القلوب.

٢٠- والله يقضي بالعدل التام؛ لأنه المالك المطلق المطمع على جميع الأمور، والذين يعبدون الأصنام والأوثان من دون الله، لا يحكمون بشيء؛ لأنهم جمادات لا يعلمون شيئاً، ولا يقدر على شيء، إن الله هو السميع لأقوالهم، البصير بأفعالهم.

٢١- أو لم ينتقل هؤلاء المشركون في الأرض الواسعة، فينظروا كيف كان مصير الذين سبقوهم من الأمم المكذبين رسلهم، كانوا هم أشد منهم قدرة وتمكناً، وأعظم أثاراً في الأرض بما بنوا من قصور وحصون، فلم تنفعهم شيئاً، فعاقبهم الله بذنوبهم، ويسبب كفرهم، وما كان لهم من الله من دافع أو واق يدفع عنهم السوء أو العذاب.

٢٢- ذلك العذاب بسبب أنهم كانت تأتيهم رسلهم بالحجج الواضحة، والمعجزات الباهرة، الدالة على صدقهم، فكفروا بما جاؤوهم به، فأهلكهم الله بذنوبهم، إن الله قادر على كل شيء، لا يعجزه شيء، شديد العقاب لمن عصاه.

٢٣- ولقد أرسلنا موسى بآياتنا التسع وهي المعجزات المعروفة: الطوفان، والجراد، والقمل، والضفادع، والدم، والسنين والجذب، ونقص الثمرات، والطمس على الأموال، والطبع على القلوب، وأرسلناه بالحجة الواضحة. وجعل بعضهم اليد والعصا بدل الآيتين الأخيرتين.

٢٤- أرسلناه إلى فرعون حاكم مصر، وهامان: كبير وزراء فرعون، وقارون: الثري من قوم موسى، فقالوا عن موسى: إنه ساحر كذاب فيما جاء به.

٢٥- فلما جاءهم بالحق والصدق من عندنا: وهي معجزاته الظاهرة، قال فرعون وقومه: استمروا في قتل أبناء المؤمنين معه، واستبقوا إناثهم أحياء، كما ذكر في الآية [٤] من القصص [٢٨]. أي إنه لما بعث الله موسى، جدد فرعون قتل أبناء بني إسرائيل، وما تديسر فرعون الخفي إلا في ضياع، أي لا يضر رسل الله تعالى.



وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِي أَقْتُلْ مُوسَى وَلْيَدْعُ رَبَّهُ إِنِّي أَخَافُ
 أَنْ يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَنْ يُظْهِرَ فِي الْأَرْضِ الْفَسَادَ
 ﴿٢٦﴾ وَقَالَ مُوسَى إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُكْرٍ
 لَا يَأْتِيَنَّ يَوْمَ الْحِسَابِ ﴿٢٧﴾ وَقَالَ رَجُلٌ مُؤْمِنٌ مِنْ آلِ
 فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ
 جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكْذِبْ بِأَفْعَالِهِ كَذِيبُوا وَإِنْ يَكْ
 صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ
 مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾ يَوْمَ لَكُمْ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَهَرْنَ فِي الْأَرْضِ
 فَمَنْ يَنْصُرُنَا مِنْ بَأْسِ اللَّهِ إِنْ جَاءَنَا قَالَ فِرْعَوْنُ مَا أُرِيكُمْ
 إِلَّا مَا أَرَى وَمَا أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴿٢٩﴾ وَقَالَ الَّذِي
 آمَنَ يَوْمَئِذٍ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ مِثْلَ يَوْمِ الْأَخْرَابِ ﴿٣٠﴾
 مِثْلَ دَأْبِ قَوْمِ نوحٍ وَعَادٍ وَثمودَ وَالَّذِينَ مِنْ بَعْدِهِمْ
 وَمَا اللَّهُ لِيُرِيدَ ظَلَمًا لِلْعِبَادِ ﴿٣١﴾ وَيَوْمَئِذٍ إِنِّي أَخَافُ
 عَلَيْكُمْ يَوْمَ التَّنَادِ ﴿٣٢﴾ يَوْمَ تُنَادُونَ مَدِيرِينَ مَا لَكُمْ
 مِنْ اللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴿٣٣﴾

٢٦- وقال فرعون: اتركوني أقتل موسى بيدي، وليدع ربه لتخليصه مني- وفي هذا غاية الكيد والحقد والتجبر- إني أخاف إن لم أقتله أن يغير ما أنتم عليه من العبادة: عبادتي وعبادة الأصنام، أو أن يفسد أرض مصر بإثارة الفتن والخلافات.

٢٧- وقال موسى: إني استعنت وتحصنت بربي وريكم أيها الناس من شر كل متعظم لا يؤمن بالله ولا بيوم البعث والنشور والحساب، ويدخل في ذلك فرعون وغيره من الجبابرة لتعميم الاستعانة والتعريض الذي هو أبلغ من التصريح.

٢٨- وقال رجل مؤمن من أقارب فرعون، كان ابن عمه وصاحب شرطته كان يخفي إيمانه بالله خوفاً من فرعون: أتقتصدون قتل رجل لا ذنب له إلا أن يقول: ربي الله وحده، والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الواضحات الدالة على صدق نبوته، وإن يك كاذباً فعليه إثم أو ييال كذبه وضرره وحده، وإن يك صادقاً في رسالته، يُصيبكم بعض ما يعدكم به من العذاب، إن الله لا يوفق للحق من هو عاص متجاوز للحد، مفتر، والمراد: لو كان

موسى كاذباً لما وُفق للبينات ولا ظهرت على يديه المعجزات.

٢٩- يا قوم انفردتم في هذا العصر بملك مصر، غالين عالين على بني إسرائيل، متحكمين في شعبها، فمن أين لنا من عذاب الله الشديد إن جاءنا بعد قتل موسى؟ قال فرعون مرواغاً موهماً أنه ناصح مؤتمن يقصد جلب النفع ودفع الضرر: ما أشير عليكم إلا بما أشير على نفسي، وهو قتل موسى، وما أدلكم إلا على الطريق الصواب.

٣٠- وقال المؤمن: يا قوم، إني أخاف عليكم في تكذيبه والتعرض لقتله مثل أيام ووقائع الأمم الماضية الذين تمزبوا على أنبيائهم وكذبوهم، أي أن يحل بكم من الهلاك مثلما حل بهم.

٣١- مثل العادة المتبعة في استئصال الكفرة الذين آذوا الرسل وكذبوهم، من قوم نوح، وعاد، وثمود، والذين من بعدهم كقوم لوط، وليس الله بظالم عباده، فلا يعاقبهم بغير ذنب.

٣٢- ويا قوم، إني أخاف عليكم يوم القيامة، حيث ينادي الكفار بعضهم بعضاً للاستغاثة والنجدة من أهوال ذلك اليوم.

٣٣- يوم تهربون مسرعين خوفاً من العذاب، ليس لكم من عذاب الله من مانع يعصمكم منه، ومن يُعبد الله عن الحق لسوء اختياره، فما له من مرشد ينقذه.

٣٤- ولقد جاء آباءكم أيها المصريون نبي الله يوسف بن يعقوب عليه السلام، من قبل موسى عليه السلام، فما زلتُم في شك مما جاءكم به يوسف من الأدلة الدالة على صدقه، ولم تؤمنوا به حقيقة، حتى إذا مات، قلتُم: لن يبعث الله من بعده رسولاً، وفيه تكذيب برسالة يوسف وموسى معاً، مثل إضلالكم يضل الله في العصيان من هو مسرف في المعاصي مستكثر منها، شك في وحدانية الله تعالى ووعدته ووعيده.

٣٥- الذين يجادلون في آيات الله الموحى بها ليطلوها، بغير برهان أو حجة واضحة، كبر أو عظم جدالهم بغضاً، أي ما أكبر ما يمقت الله والمؤمنون، والمقت: أشد البغض؛ لأنه جدال بالباطل وتعنّت ومكابرة، وكما طبع (ختم) الله على قلوب هؤلاء المجادلين، فكذلك يختم الله على قلوب جميع المتكبرين الجبارين عقاباً لهم، ومتى تكبر القلب تكبر صاحبه.

وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلِ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِمَّا جَاءَكُمْ بِبَيِّنَاتٍ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهَ مِنْ بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُرْتَابٌ ﴿٣٤﴾ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبْرًا مِمَّا عِنْدَ اللَّهِ وَعِنْدَ الَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبٍ مُنْكَرٍ جَارٍ ﴿٣٥﴾ وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَهْمُنُ ابْنُ لِي صَرَخًا لَعَلِّي أَنبَأَ الْأَسْبَابَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَابَ السَّمَوَاتِ فَأَطَّلِعَ إِلَى إِلَهِ مُوسَى وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ كَذِبًا ﴿٣٧﴾ وَكَذَلِكَ زَيْنَ لِفِرْعَوْنَ سُوءَ عَمَلِهِ وَصُدَّ عَنِ السَّبِيلِ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي بَابٍ ﴿٣٨﴾ وَقَالَ الَّذِي ءَامَنَ يَوْمَ أُتِيَ بِنُوحٍ أَنبَأَهُمْ أَنَّ إِلَهُكُمْ سَيُرْسِلُ الرِّسَالَاتِ ﴿٣٩﴾ إِنَّمَا هَذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا مَتَاعٌ وَإِنَّ الْآخِرَةَ هِيَ دَارُ الْقَرَارِ ﴿٤٠﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِمَّنْ ذَكَرْنَا وَأَنَّى هُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ بِرِزْقٍ فِيهَا بَعِيرٌ حَسَابٌ ﴿٤١﴾

٣٦- وقال فرعون (ملك القبط في مصر): يا

هامان (وزير فرعون) ابن لي قصرأ مشيداً (بناءً عالياً) لعلي أصل إلى الطرق الموصلة إلى المطلوب.

٣٧- الطرق المؤدية إلى السموات، فأنظر إلى إله موسى- وهذا تائر بدين المشبهة الذين يعتقدون أن الله في السماء- وإنني لأظن موسى كاذباً في ادعائه بأن له إلهاً غيري، ومثل ذلك التزيين الشيطاني، زين الشيطان لفرعون عمله السيئ، من الشرك والتكذيب، ومنع بهذا عن سلوك طريق الهداية والاستقامة والرشاد، وما تدبير فرعون الذي دبره لإبطال رسالة موسى إلا في خسارة وضياح.

٣٨- وقال مؤمن آل فرعون أيضاً: يا قوم، اقتدوا بي واعملوا بنصحي، أهدكم طريق الرشاد (ضد الغي والضللال) والفوز والنجاة.

٣٩- يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متعة زائلة، وإن الآخرة هي دار الخلود والبقاء.

٤٠- من عمل في الدنيا معصية، فلا يجزى إلا بقدرها، عدلاً من الله، ومن عمل عملاً صالحاً من ذكر أو أنثى، والحال أنه مؤمن بالله ورسله، فأولئك لا غيرهم يدخلون الجنة، يرزقون فيها رزقاً حسناً وافراً، من غير تقدير ولا تحديد.



٤١- ويا قوم، مالي أدعوكم إلى طريق النجاة وهو الإيمان بالله وحده، كرر ذلك للتأكيد والتصريح بإيمانه، وتدعوني إلى ولوج النار، بالشرك، والمراد: أخبروني كيف أدعوكم لدخول الجنة بالإيمان، وتدعوني إلى دخول النار بالكفر؟!

٤٢- ثم أوضح هذا المؤمن الدعوتين بقوله: تدعوني لأكفر بالله وأشرك به، ما لا وجود له ولا علم لي بكونه شريكاً لله، وأنا أدعوكم إلى الله تعالى القوي القاهر الذي لا يغلب، الغفار لمن تاب وأمن وعمل صالحاً.

٤٣- حقاً، أن الذي تدعوني إليه لأعبده، ليس في مقدوره إجابة دعاء من يدعوه، في الدنيا والآخرة، وأن مرجعنا بعد الموت إلى لقاء الله، وأن المستكثرين من المعاصي كالإشراك والطغيان وسفك الدماء هم أهل النار.

٤٤- وستتذكرون عند معاينة العذاب ما أقول لكم من النصيحة، وأسلم أمري إلى الله وأتوكل عليه، إن الله مطلع على أحوال العباد وأفعالهم من

﴿ وَيَقُولُ مَالِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّارِ وَتَدْعُونِي إِلَى السَّلَامِ ۗ لَئِن لَّمْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَأَشْرَكَ بِهِ مَالِي لَن يَكْفُرَ ۗ أَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْعَقْبَرِيِّ ۗ لَاجِمٌ أَنَّمَا تَدْعُونِي إِلَيْهِ لَيْسَ لَكَ دَعْوَةٌ فِي الدُّنْيَا وَلَا فِي الْآخِرَةِ ۗ وَأَنْ مَرَدْنَا إِلَى اللَّهِ ۗ وَأَنَّ الْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَابُ النَّارِ ۗ ﴾
 ﴿ فَتَذَكَّرُونَ مَا قَوْلُ لَكُمْ وَأَفُوضُ أَمْرِي إِلَى اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ ۗ ﴾
 ﴿ قَوْلَهُ اللَّهُ سَيِّئَاتٍ مَّا مَكَّرُوا وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۗ ﴾
 ﴿ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ ۗ وَإِذِ يَخْرُجُونَ فِي النَّارِ يَقُولُ الضَّعِيفُونَ لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَكُمْ سَبُعًا فَهَيْلًا ۗ لَنْ نُعْظَمَهُنَّ ۗ عَنَّا نَصِيبًا مِنَ النَّارِ ۗ ﴾
 ﴿ قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا إِنَّا كُنَّا لَفِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ الْعِبَادِ ۗ ﴾
 ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لَخَزَنَةٌ لَهُمْ أَذْعَوْنَاكُمْ بِخَيْفٍ عَنَّا يَوْمًا مِنَ الْعَذَابِ ۗ ﴾

طاعة أو عصيان.

٤٥- فحماه الله وحفظه من شدائد مكرهم وشر ما أرادوا به، ونزل أو أحاط بفرعون وقومه العذاب السيئ، بالغرق في الدنيا، والنار في الآخرة.

٤٦- تُعرض أرواحهم على النار في البرزخ (أي بعد موتهم وقبل القيامة) صباحاً ومساءً، لإزعاجهم، وينعكس أثر العذاب على أجسادهم ولو تبددت، ويوم تقوم القيامة يقال للملائكة: أدخلوا آل فرعون في أشد أنواع العذاب في جهنم. والظاهر أن عذاب القبر دائم لهؤلاء.

٤٧- واذكر أيها النبي حين يتخاصم أهل النار فيها، فيقول الضعفاء: الأتباع للقادة الذين تكبروا عن الإيمان، وهم رؤساء الكفر: إننا كنا في الدنيا أتباعاً لكم نأتمر بأمركم، فهل تنفَعونا دافعِين عنا جزءاً من عذاب النار؟ فكلمة ﴿مغنون﴾ متضمن معنى (مدافعِين).

٤٨- قال الرؤساء والزعماء الذين تكبروا: إننا وأنتم معاً في جهنم، فكيف نغني عنكم؟ إن الله قضى بالعدل بين العباد، ولا معقب لحكمه، وآل كل فريق إلى مصيره.

٤٩- وقال أهل النار لخزنة جهنم (وهم الملائكة القائمون بتعذيب أهل النار): ادعوا الله ربكم يخفف عنا شيئاً يسيراً من العذاب بمقدار يوم، أي إنهم طلبوا من الملائكة الشفاعة عند الله تعالى.

قَالُوا أَوَلَمْ نَكُ بِأَيِّكُمْ رَسُولًا مِّنْ أَيْتِنَا بِأَلْبَابِكُمْ فَتَبَيَّنَتِ قَالُوا
 بَلَىٰ قَالُوا فَأَنذَعُوا وَأَدْعُوا الْكٰفِرِينَ إِلَىٰ فِي ضَلَالٍ
 ٥٠ إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيٰوةِ الدُّنْيَا
 وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ٥١ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ الظَّالِمِينَ مَعَذَتُهُمْ
 وَلَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ٥٢ وَلَقَدْ آتَيْنَا
 مُوسَىٰ الْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِي إِسْرٰءِيلَ الْكِتٰبَ
 ٥٣ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُولَى الْأَلْبَابِ ٥٤ فَاصْبِرْ
 إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَسْتَغْفِرُ لَذُنُوبِكُمْ وَسَيَجْزِيكَ
 بِآلِهَتِي وَالْإِنكِرِ ٥٥ إِنَّ الَّذِينَ يَجِدُونَ فِي آيٰتِنَا
 اللَّهُ يَغْفِرُ سُلْطٰنٌ اللَّهُمَّ إِن فِي صُدُورِهِمْ إِلَّا كِبْرًا
 مَا هُمْ بِبٰلِغِيهِ فَاصْبِرْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ
 ٥٦ الْبَصِيرُ ٥٧ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضَ كَرْتَيْنِ
 خَلَقَ النَّاسَ وَالنَّكِرَ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ٥٨
 وَمَا يَسْتَوِي الْأَعْمَىٰ وَالْبَصِيرُ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
 الصَّٰلِحٰتِ وَلَا الْمُنكِرِ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ ٥٩

٥٠- قال الخزنة تهكماً: أليست كانت الرسل والأنبياء تأتيكم بالحنج على توحيد الله؟ قالوا: بلى أتونا بها، فكذبناهم، قال خزنة جهنم: فادعوا إذن أنتم، فإننا لا ندعو لمن كفر بالله وكذب رسله، وليس دعاء الكفار إلا في ضياع وخسران، فلا يستجاب.

٥١- إننا لنتنصر رسلنا والمؤمنين، فنجعلهم متغلبين على أعدائهم، في الدنيا، بالقتل والأسر والسلب، وإظهار الحججة، ويوم القيامة حين تشهد الملائكة للأنبياء والرسل بالبلاغ، وعلى الكفار بالكذب، فيدخل الله أهل الإيمان الجنة، ويدخل الكفار النار.

٥٢- يوم القيامة حيث لا يفيد الكفار اعتذارهم ولا يقبل منهم؛ لأن أعدارهم وأهية باطلة، ولهم الطرد والبعد من رحمة الله، ولهم النار حيث يقيمون فيها.

٥٣- ولقد آتينا موسى ما يهتدى به من الضلالة إلى الحق، من التوراة المشتملة على الشرائع والمعجزات المثبتة للصدق، وأورثنا بني إسرائيل كتاب التوراة من بعد موسى.

٥٤- هداية وإرشاداً، وتذكرة وموعظة لأصحاب العقول الرشيدة.

٥٥- فاصبر أيها النبي على أذى المشركين، إن وعد الله بالنصر وإعلاء كلمة الله حق ثابت لا يخلقه أبداً، واستغفر لذنبك لزيادة الثواب، وكونك قائد الأمة ليتأسوا بك، ونزهة الله مع حمده وشكره وداوم على ذلك، في المساء والصباح.

٥٦- إن الذين يجادلون في آيات القرآن، بغير حجة ويرهان جاءهم من عند الله، ما في صدورهم إلا تكبر عن اتباع الحق، ما هم ببالغي مرادهم وهو الزعامة والتغلب على النبي، فالتجى إلى الله من شرهم وكيدهم، إن الله هو السميع لأقوالهم، البصير بأحوالهم وأفعالهم. نزلت في منكري البعث مشركي مكة وغيرهم من الكفار عامة.

٥٧- ثم رد الله على هؤلاء الكفار منكري البعث بأن خلق السموات والأرض في ابتداء الكون أعظم من بعث الناس بعد الموت، ولكن أكثر الناس لا يعلمون بما عليه قدرة الله، ولا يتأملون لغفلتهم واتباع أهوائهم.

٥٨- ولا يستوي الكافر والمؤمن، والجاهل والعالم، والغافل والمتبصر، ولا يستوي المحسن الذي آمن وعمل الصالحات، والسيء المقصر بالكفر والمعاصي، قليلاً ما تتعظون أيها الناس، والمراد أن تذكروهم قليل جداً في حكم المدوم.

٥٩- إن القيامة آتية لا شك في حصولها، ولكن أكثر الناس لا يؤمنون بذلك، ولا يصدقونه، لضعف تفكيرهم ومحاكماتهم العقلية.

٦٠- وقال ربكم: اعبدوني أنبيكم، واسألوني أعطكم، والمراد بالدعاء: السؤال بطلب النفع ودفع الضر، وهو في ذاته عبادة؛ لأن «الدعاء مخ العبادة» كما جاء في الحديث الصحيح، إن الذين يتكبرون عن عبادتي ودعائي سيدخلون جهنم صاغرين أذلاء. وهذا وعيد لكل من تكبر عن عبادة الله ودعائه.

٦١- الله الذي أوجد لكم الليل مظلماً لتستريحوا فيه من عناء العمل والكسب في النهار، وجعل لكم النهار مضيئاً لتبصروا فيه أعمالكم وحوادثكم، إن الله لصاحب فضل عظيم على الناس بما أنعم عليهم من نعم كثيرة لا تحصى، ولكن أكثر الناس لا يشكرون الله على هذه النعم، فلا يؤمنون ولا يطيعون ربهم فيما شرع لهم.

إِنَّا سَاعَةَ لَأَيُّمَةً لَّأَرْبَبٍ فِيهَا وَلَكِنَّا كَرَّ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾ وَقَالَ رَبُّكُمْ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ آيَاتٍ لَتَشْكُرُوا فِيهَا وَالنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّا أَكْثَرُ النَّاسِ لَا شَاكِرُونَ ﴿٦١﴾ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ خَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ وَإِلَهُ الْأَوْفَاقِ أَنْ تَوْفَئُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَلِكَ يُؤْفَكُ الَّذِينَ كَانُوا آبَاءَ اللَّهِ يُحَدِّثُونَ ﴿٦٣﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَرَزَقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ ذَالِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ فَكَبِّرْ لَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٤﴾ هُوَ الْحَيُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَادْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ الَّذِينَ أَحْسَنُوا لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٥﴾ قُلْ إِنِّي نُهَيْتُ أَنْ أَعْبُدَ الَّذِينَ دُعِيتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَمَّا جَاءَنِي الْبَيِّنَاتُ مِنْ رَبِّي وَأُمِرْتُ أَنْ أُسَبِّحَ لِلرَّبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٦٦﴾

٦٢- ذلكم الخالق المنعم هو الله ربكم خالق كل شيء في السماء والأرض، لا إله معبود بحق إلا الله، فكيف تصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره؟

٦٣- مثل ضلال هؤلاء وانصرافهم عن عبادة الله إلى عبادة الأصنام، يصرف كل من جحد بآيات الله ومعجزاته، وينكر توحيده عن اتباع الطريق القويم.

٦٤- الله وحده الذي جعل لكم الأرض مستقراً، والسماء مبنية بإحكام، وخلقكم في أحسن صورة، ورزقكم من طيبات الرزق ولذائذه، ذلكم المبدع الرازق هو الله ربكم، فتقدس الله وتنزهه رب الخلاق كلها.

٦٥- هو سبحانه الحي الدائم الحياة، الباقي الذي لا يموت، لا معبود بحق في الوجود سواه، فادعوه واعبدوه مخلصين له الطاعة والعبادة، وقولوا: الشكر والثناء التام لله رب الخلاق أجمعين.

٦٦- قل أيها النبي للمشركين: إنني نُهيت ومنعت أن أعبد الذين تعبدون من غير الله من الأصنام والأوثان، لما جاءتني الأدلة القاطعة الواضحة الدالة على وحدانية الله، من ربي الذي رباني بنعمه، وأمرت أن أخضع وأنقاد لله رب الخلاق كلها. أخرج جويبر عن ابن عباس: أن الوليد بن المغيرة، وشيبة بن ربيعة قالوا: يا محمد، ارجع عما تقول بدين آبائك، فأنزل الله هذه الآية.



هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ تَرَابٍ ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ
 ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِلنَّاسِ أَشَدُّكُمْ نَسْرًا لِكُرْبَتِهِمْ
 سُوءًا وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلٍ وَلِلنَّاسِ أَجَلٌ مُسَمًّى
 وَأَمَّا كُمْ تُعَلِّمُونَ ﴿٦٧﴾ هُوَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ فَإِنَّا
 قَضَىٰ أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى
 الَّذِينَ يَمْجِدُونَ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ أَنَّى يُصِرُّونَ ﴿٦٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا
 بِالْكِتَابِ وَمَا أُرْسِلْنَا بِهِرُسُلِنَا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾
 إِذِ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلْسِلُ يُحْبِسُونَ ﴿٧١﴾ فِي الْحَمِيمِ
 ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ إِنَّمَا كُنْتُمْ
 تَشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَالْوَاكِلُونَ عَتَاكِلٌ لَوْ
 كُنَّ نَدْعَاؤِمْ مِنْ قَبْلُ شَيْئًا كَذَلِكَ يَصِلُ اللَّهُ الْكٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾
 ذَلِكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَمْشُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِنَّمَا كُنْتُمْ
 تَمْشُونَ ﴿٧٥﴾ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبئسَ مَثْوًى
 لِلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَإِنَّمَا تِرْيَاقُ بَعْضِ
 الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ تَوَفِّيْنَاكَ فَإِنَّمَا لِيَايِرُجِعُونَ ﴿٧٧﴾

٦٧- الله وحده هو الذي خلقكم أيها الناس في الأصل من تراب يخلق أبيكم آدم عليه السلام، ثم خلقكم من نطفة (مادة المني) ثم من علقة (دم متجمد) ثم يخرجكم أطفالاً (الطفل يطلق على الواحد والأكثر) أي يخرج كل واحد منكم طفلاً، ثم لتصلوا مرحلة بلوغ الأشد: وهي مرحلة اكتمال القوة والعقل من ثلاثين إلى أربعين، ثم لتصبروا كبار السن في مرحلة الشيخوخة (بعد الستين) ومنكم من يموت قبل هاتين مرحلتين أو إحداهما، ويفعل الله ذلك لتبلغوا وقتاً محدداً، هو وقت الموت، ولكي تتأملوا وتفكروا بما في ذلك من دلائل التوحيد والقدرة الإلهية.

٦٨- الله وحده هو القادر على الإحياء والإماتة، فإذا أراد إيجاد شيء، فإنما يقول: كن فيكون موجوداً كما أراد الله تعالى.

٦٩- ألم تنظر أيها النبي تعجباً إلى الذين يجادلون بالباطل في آيات الله القرآنية، كيف يصرفون أو يبعدون عن الإيمان بالله والإقرار بالحق؟!

٧٠- الذين كذبوا بالقرآن وغيره من الكتب السماوية، وما أرسلنا به رسلاً من الدعوة إلى

توحيد الله والبعث والأخلاق والشرائع والأحكام، فسوف يعلمون عاقبة أمرهم وتكذيبهم.

٧١، ٧٢- سوف يعلمون حين توضع الأغلال في أعناقهم، ويسحبون بالسلاسل (وهو الحديد في الأيدي والأرجل) بعنف في جهنم والحميم: الماء الشديد الحرارة، ثم يحرقون ويوقدون في النار. وإذ للماضي، استعملت هنا مثل «إذا» للمستقبل.

٧٣- ثم يقال لهم توبيخاً وتقريعاً: أين الأصنام والأوثان التي كنتم تعبدونها وتشركونها مع الله في الدنيا؟!!

٧٤- تشركونها في العبادة من غير الله، ما لهم لا ينقدونكم من العذاب؟ قالوا: ذهبوا عنا وغابوا، فلم ينفعونا، بل لم تكن نعبد شيئاً يستحق العبادة في الدنيا، أي إنهم أنكروا عبادتها، وأقروا بأنها مجرد أوهام، مثل إضلال هؤلاء المكذبين، يضل الله الكافرين، فلا يهتدوا إلى خير، بسبب كذبهم وضلالهم.

٧٥- ذلكم العذاب بسبب ما كنتم تبطلون وتكبرون مظهرين السرور بالمعصية في الدنيا بغير الحق وهو الشرك والعصيان وإنكار البعث، وما كنتم تختالون بطراً وخيلاء، فرحين بالمعاصي، ومخالفة الرسل والكتب. والفرح المذموم: هو التجرؤ على المنكرات مع الظن أن ذلك من علامات القوة.

٧٦- ويقال لهم بعد دخول النار تبكيتاً وتقريعاً: ادخلوا أبواب جهنم ماكنين فيها على الدوام، فبئس (قبح) مأوى المتكبرين عن عبادة الله والإيمان بالآخرة.

٧٧- فاصبر أيها النبي على أذى المشركين، إن وعد الله بنصرك والانتقام من أعدائك كائن حتماً، فإن أريناك بعض ما نعدهم به من العذاب الدنيوي كالقتل والأسر، أو نتوفيتك قبل رؤية تكذيبهم، فإلينا يصيرون ويردون يوم القيامة، لنجازيهم بأعمالهم.

٧٨- ولقد أرسلنا رسلاً كثيرين إلى أممهم من قبلك أيها الرسول، منهم من أخبرناك بأخبارهم، ومنهم من نذكر لك أخبارهم، وما كان لرسول أن يأتي بمعجزة دالة على نبوته، إلا بأمر الله وإرادته، فإذا جاء أمر الله بتزول العذاب على الكفار في الدنيا أو في الآخرة، حكم بين الرسل ومكذبيهم بالحق، بإنهاء المحق، وتعذيب المبطل، وظهرت في ذلك الوقت خسارة الذين يتبعون الباطل ويعملون به.

٧٩- الله تعالى الذي خلق لأجلكم الأنعام (والمراد بها هنا الإبل) لتركبوا بعضها، وتأكلوا بعضها الآخر.

٨٠- ولكم فيها منافع كثيرة أخرى كالإبلان والجلود والأصواف والأربار، ولتحققوا حاجاتكم بالسفر عليها وحمل الأثقال إلى البلاد، والحاجة: الأمر المهم، وعليها وعلى السفن في البحر تحملون.

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِّنْهُمْ مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُمْ مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَنْ يَأْتِيَ بِبَيِّنَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ فُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٧٨﴾ اللَّهُ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَنْفُسَ لَتَرْكَبُوا مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَلِنَاغٍ عَلَيْهَا حَاجَةٌ فِي صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى الْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَأَيُّ الْآيَاتِ اللَّهُ يُنْكِرُونَ ﴿٨١﴾ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا أَكْثَرُ مِنْهُمْ وَأَشَدُّ قُوَّةً وَآثَارًا فِي الْأَرْضِ فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ نُسُوحُ رُسُلِهِم بِالْبَيِّنَاتِ فَرِحُوا بِمَا عِنْدَهُمْ مِنَ الْعِلْمِ وَحَقَّ بِهِمْ مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْا بُاسَنَا لَوْ آتَيْنَاهُم بِاللَّهِ وَحَدِيثِ الْكٰفِرِينَ ﴿٨٤﴾ وَكَانَ يَكْتُمُهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَمَارًا وَأُبَاسَنَا سُنَّتَ اللَّهُ الْآتِيَّ قَدْ خَلَتْ فِي عِبَادِهِ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْكٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾

٨١- ويريكم الله دلائله الدالة على كمال قدرته ووحديته وسعة رحمته، فأني تلك الدلائل تنكرون؟ فإنها لوضوحها لا تقبل الإنكار.

٨٢- أفلم يسافر في الأرض هؤلاء المشركون المجادلون بالباطل، فينظروا ويتأملوا في أسفارهم فيما حلّ بالأمم السابقة من العذاب بسبب كفرهم وتكذيبهم رسلهم؟ كانوا أكثر منهم عدداً، وأشد قوة وأبقى آثاراً في الأرض بالعمائر والمصانع والمزارع، فما أفادهم ومنع عنهم العذاب ما عملوا به في الدنيا من شرك ومكر، وما كسبوه من ثروات وأموال.

٨٣- فلما جاءتهم رسلهم بالمعجزات وأدلة توحيد الله، فرحوا بما لديهم من عقائد زائفة وشبه داحضة، ونزل بهم ما هزتوا به من العذاب، وأحرق بهم جزاء استهزائهم.

٨٤- فلما رأوا أشدة عذابنا قالوا: أمانا بالله وحده، وكفرنا بما أشركنا به من عبادة الأصنام والأوثان، أي إنهم تبرؤوا من شركهم.

٨٥- فلم يكن ينفعهم إيمانهم عند معاينة عذابنا، لفوات وقت قبول التوبة، فإنه ينفع الإيمان الاختياري، لا الإيمان الاضطراري، والحكم بعدم نفع الإيمان عند مشاهدة العذاب: هو سنة الله المقررة في الأم كلها، وخسر حيثئذ الكافرون خسارة لا تعوض إذا رأوا العذاب.

سورة فصلت

فضلها: أخرج عبد بن حميد وأبو يعلى والبخاري: أن النبي ﷺ قرأها على عتبة بن ربيعة إلى قوله تعالى: ﴿فإن أعرضوا﴾ [١٣] وكانت قريش قد أرسلته مندوباً عنها، ليفاوض النبي في ترك دعوته، ويقدموا له المال والنساء وغيرهما، فعاد عتبة قاتلاً عن القرآن: والله ما هو بشعر ولا كهانة، وقرأ ما سمع.

١- حا، ميم: للتنبيه إلى خطورة ما وراء ذلك، ولتحلدي العرب بالإتيان بمثل القرآن الذي هو من لغتهم.

٢- هذا القرآن تنزيل من الله تعالى ذي الرحمة الواسعة، المنعم بعظائم النعم ودقائقها.

٣- وهذا القرآن كتاب بُيئت أحكامه من حلال وحرام، ووضحت معانيه لنفهم ببسر وسهولة، حال كونه قرآناً عربياً في لفظه وأسلوبه، تذكيراً لهم، وحجة عليهم، لقوم يعلمون قدره.

٤- يبشّر المؤمنين بالجنة إن عملوا به، وينذر العصاة المخالفين بالنار، فأعرض أكثر الكفار عن قبوله، فهم لا يسمعون سماع تأمل وقبول وانتفاع.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

١- نَزَّلَ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ٢- كَبُرَ مُضِلًّا لَنَا ٣- عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ٤- بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ٥- وَقَالُوا أَأَلوهُنَا فِي آيَاتِهِ مَا نَدْعُونَ إِلَهَ فِي ذَاتِنَا أَوْ هُمْ وِجْهٌ مِن بَيْنِنَا أَوْ يَدِينُكَ حُبَابٌ مَّا عَمَلْنَا عَمَلُونَ ٦- قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَىٰ تَمِيمِ الْهَلْمِ إِلَهَ وَرَحْمَةً فَاسْتَمِعُوا إِلَيْهِ وَأَسْتَفِرُّهُ ٧- وَقِيلَ لِلْمُشْرِكِينَ ٨- الَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ ٩- إِنْ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ هُمْ أَجْرٌ عَرِيضُونَ ١٠- قُلْ لَكُمْ تَكْفُرٌ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ١١- وَجَعَلَ فِيهَا زَوَاجِيًّا مِّن فَوْقِهَا وَيَبْرِكُ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَامًا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلنَّاسِ لِيَأْتِيَ ثُمَّ اسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا ١٢- وَالْأَرْضِ أَتَيْتَ طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ ١٣

٥- وقال كفار قريش: قلوبنا مغطاة بأغنية، فلا تفهم شيئاً، وفي آذاننا صمم، ومن بيننا وبينك أيها النبي ستار وحاجز، وهو شدة كرهنا لك، يحول دون اتباع رسالتك، فاعمل على دينك، إننا عاملون على ديننا دون مفارقة.

٦- قل أيها النبي للمشركين: إنما أنا بشر كأمثالكم، لستُ ملكاً أو جنياً لا ألتقي بكم، إلا أنه يوحى إلي من ربي أنه الإله الواحد المستحق العبادة، فاستقيموا إليه بالطاعة، واطلبوا المغفرة، وهلاك للمشركين لفطر جهلهم بالله تعالى.

٧- وهم الذين لا يؤدون الزكاة للمحتاجين، وهم جاحدون بالآخرة لا يصدقون بها.

٨- إن الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا الصالحات لهم ثواب غير مقطوع عنهم، ولا يمتن به.

٩- قل أيها النبي للمشركين توبيخاً وتقريعاً: كيف تكفرون بالله الذي خلق الأرض في مقدار يومين، وتجعلون له شركاء مماثلين له في القدرة والقدر، ذلك المتصف بما ذكر هو رب المخلوقين كلهم.

١٠- وجعل هذا الرب في الأرض جبلاً لأثواب مرفوعة فوقها، وجعل الأرض كثيرة الخير، وقدر فيها أرزاق أهلها في مقدار أربعة أيام، مستوية لا تفاوت بينها لمن سأل عن مدة خلق الأرض، وجعلها متساوية لطالبي الرزق بالسعي فيها.

١١- ثم توجهت إرادته أو عمد إلى خلق السماء، وهي كتلة غازية (وهي السديم) تشبه الدخان (ما ارتفع من لهب النار) فقال للسماء والأرض بعد خلقهما: اتبيا في الوجود طائعتين أو مكرتين، قالتا: أتينا متقادين لأمرك دون تلكؤ. والمراد تصوير تأثير قدرته تعالى في تهيتها للانتفاع بهما، وتأثرهما بسرعة لأمر الخالق.



١٢- فأتهم سبع سموات في يومين أو حتى في كل سماء أمرها فيكون تمام خلق السموات والأرض في ستة أيام، وأوحى (أي أوجد، وهو الأمر التكويني) في كل سماء ما هي مهياة له من وجوه الانتفاع بها كالشمس والقمر والنجوم وغيرها، وزين السماء الدنيا بكواكب متلألئة، كالمصابيح. وقد حوّل الكلام من الغيبة إلى التكلم لفتا لنظر السامع لبديع ما يذكر بعده. وحفظها حفظاً من الاختلال والسقوط واستراق الشياطين السمع بالشهب، ذلك الخلق تقدير القوي التام القدرة في ملكه، العليم بمصالح خلقه. وكان خلق السموات قبل خلق الأرض كما اختار أبو حيان والترتيب في قوله: ﴿ثم استوى إلى السماء﴾ [١١] في الذكر فحسب لا في الواقع، واختار الرازي والشوكاني وغيرهما أن الأرض متقدمة خلقاً، متأخرة دحواً، أي بسطاً وهو الأصح.

١٣- فإن أعرضوا. أي كفار مكة. عن الإيمان بهذه الآيات التنزيلية، فقل لهم أيها النبي: خوفتكم صاعقة كصاعقة عاد وثمود، والصاعقة، هي التي تقتل في الحال، وهي صوت شديد مزعج، من نار محرقة أو ريح مدمرة أو غيرهما، والمراد حذرتكم مثل العذاب الذي أهلك أولئك الأقوام.

فَصَّوْنَهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ فِي يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِي كُلِّ سَمَاءٍ أَمْرَهَا وَزَيْنَا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبُوحٍ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ فَإِن أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ إِذْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِن خَلْفِهِمْ أَلَّا يَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَأَتَانَا أَرْسُلُهُم بِرُكُودٍ ﴿١٤﴾ فَأَتَانَا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَن أَشَدُّ مَقَامَةً أَوْ تَرَبُّوا أَن اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صِرَاصًا فِي أَيَّامٍ مَّحْسَبَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَعَذَابَ الْآخِرَةِ وَآخِرَىٰ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَصَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمُ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ لَهْوًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَبَيْنَا الْبَيْنَةَ أَمَّاوَاكَاوَا يُنْفِقُونَ ﴿١٨﴾ وَوَمِمَّنْ جَحَشُوا أَعْدَاءَهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰ إِذَا مَا جَاءَهُمْ مَا شَهِدُوا عَلَيْهِمْ سَمِعُوهُمْ وَأَبصُرُوهُمْ وَجُلُودُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾

١٤- حين جاءتهم الرسل من قبلهم ومن بعدهم، المتقدمون والمتأخرون تصافر جميعهم على إقناعهم بأساليب شتى، وطلبوا منهم ألا يعبدوا إلا الله إلهاً واحداً، قالوا: لو شاء الله لأرسل إلينا ملائكة، ولم يرسل إلينا بشراً من جنسنا، فإنا كافرون بما تزعمون أنكم أرسلتم به إلينا.

١٥- فأما قوم عاد جماعة هود فتكبروا عن الإيمان بالله ورسله بغير حجة ولا حق، وقالوا: لا أحد أقوى منا، أو لم يعلموا أن الله خالقهم هو أقوى منهم وأقدر عليهم وكانوا ينكرون آياتنا ومعجزات الرسل عتاداً. وقولهم: ﴿من أشد...﴾ استفهام إنكاري يفيد النفي، أي لا أحد.

١٦- فأرسلنا عليهم ريحاً شديدة البرد والصوت في أيام ثمانية مشؤومات عليهم، لنذيقهم عذاب الذل والهوان في الدنيا بسبب تكبرهم، وعذاب الآخرة أشد خزيًا وذلاً، وهم لا يُنصرون بمنع العذاب عنهم.

١٧- وأما قوم ثمود جماعة صالح فبيّنا لهم طريق الهدى والخير والنجاة وعرفناهم طريق الشر، بإرسال الرسل وبيان الحجج والأدلة، فاختاروا الكفر على الإيمان، فأخذتهم النار التي أهلكتهم فوراً، بسبب كفرهم وتكذيبهم.

١٨- وبينا المؤمنين المتقين وهم صالح ومن آمن برسالته.

١٩- ويوم يجمع ويساق أعداء الله بعنف إلى نار جهنم، وهم كل من كذب الرسل وكفار الأمم جميعاً، فهم يُحسبون، ليتلاحقوا ويجمعوا، ثم يساقون إلى الجحيم.

٢٠- حتى إذا حضروا النار شهدت عليهم أسماعهم وأبصارهم وجلودهم بأن ينطقها الله، والمراد بالجلود هنا جميع أعضائهم، من عطف العام على الخاص، بسبب ما عملوا في الدنيا من المعاصي، وارتكبوا من الكفر والآثام.

٢١- وقال أعداء الله لجوارحهم (أعضائهم):
لماذا شهدتم علينا؟ فأجابوا: أنطقنا الله الذي أنطق
كل شيء من المخلوقات، فشهدنا بما علمتم من
القبائح، ومن قدر على خلقكم في ابتداء الأمر،
قادر على إعادتكم ورجوعكم إليه، فكلكم
راجعون إليه بعد الموت للحساب والجزاء.

٢٢- وما كنتم تستترون وتستخفون عند
ارتكاب الفواحش من شهادة جميع الجوارح
عليكم يوم القيامة، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم
كثيراً من أعمالكم من المعاصي، فاجترأتم على
فعلها. وهذا إما من كلام الجلود أو من كلام الله أو
من كلام الملائكة. نزلت في ثلاثة من القرشيين
تساءلوا عن سماع الله كلامهم، فقال
أحدهم: إنا إذا رفعنا أصواتنا سمعته، وإذا لم
نرفعه لم يسمعه، وقال آخر: إن سمع منا
شيئاً سمعه كله.

٢٣- وذلكم ظنكم بأن الله لا يعلم كثيراً مما
تعملون أو وقعكم في الردى والهلاك في النار،
فأصبحتم من الخاسرين أنفسهم، الهالكين.

٢٤- فإين يصبروا على العذاب، فالنار محل

وقالوا للجلود هزروا شهدتم علينا فأنا أنطقنا الله الذي أنطق
كل شيء وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون ﴿٢١﴾
وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم
ولا جلودكم ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون ﴿٢٢﴾
وذلكم ظنكم الذي ظننتم بربكم أرداكم فأصبحتم
من الخاسرين ﴿٢٣﴾ فإن يصبروا فالنار مثوى لهم وإن
يستغيثوا فما هم من المستغيثين ﴿٢٤﴾ وقيضنا لهم قرآناً
قرئوا ولم يك من أيدهم وما خلقهم لئلا يعلموا القول في
أمر قد حلت من قبلهم من الجن والإنس إنهم كانوا خاسرين
﴿٢٥﴾ وقال الذين كفروا لا نستعملوا لهذا القرآن والقوانين
لعلكم تعقلون ﴿٢٦﴾ فلنذيقن الذين كفروا عذاباً شديداً ولنجزينهم
أسوأ الذي كانوا يعملون ﴿٢٧﴾ ذلك جزاء أعداء الله النار التي
فيها دار الخلد جزاء ما كانوا يعملون ﴿٢٨﴾
وقال الذين كفروا ربنا أربنا الذين أضلنا من الجن
والإنس يجعلهم ما تحت أقدامنا ليكونا من الأسفلين ﴿٢٩﴾

إقامة واستقرار لهم، وإن يطلبوا العتبي، أي الرضى، أي زوال سبب العتبي وهو غضب الله عليهم، بأن
يرضى الله عنهم، فليسوا من المرضيين، أي المجابين إلى ما يطلبون، لقوات الوقت.

٢٥- وهياناً وسلطاناً عليهم قرناء من شياطين الإنس والجن كالأصحاب، لانحرافهم عن الصواب، فزيتوا
لهم شهوات الدنيا المحرمة والكفر والضلال، وزينوا لهم من أمور الآخرة الأبعث ولا حساب، وثبت أو وقع
عليهم العذاب، كما ثبت على الأمم الخالية (الماضية) من قبلهم، من الجن والإنس، الذين أصروا على الكفر
حتى الموت، إنهم كانوا خاسرين بسبب تكذيبهم ومعاصيهم، أي لأنهم، فهو تليل لاستحقاقهم العذاب.

٢٦- وقال الكفار عند سماع القرآن من النبي ﷺ لبعضهم بعضاً: لا تنتصوا لقراءة هذا القرآن، وعارضوه
بالكلام اللغو الذي لا معنى له، من لفظ وتشويش وصياح، حتى لا يؤثر فيمن يسمعه، ولكي تغلبوا محمداً
وصحبه، فيسكتوا.

٢٧- فلنذيقن العذاب الأليم الشديد جميع الكفار ومنهم هؤلاء القاتلون المعارضو القرآن، ولنجزينهم في
الآخرة جزاء أقبح أعمالهم في الدنيا، وهو الشرك. وهذا وعيد لجميع الكفار.

٢٨- ذلك الجزاء جزاء أعداء الله وهم الكفار والعصاة وهو النار، لهم في جهنم دار الإقامة الدائمة،
يجزون جزاء بسبب تكذيبهم بآيات القرآن.

٢٩- وقال الكفار بعد دخول النار: ربنا أرنا من أضلنا من فريقي الجن والإنس، اللذين أوردانا موارد
الهلاك، لكي ندوسهما بأقدامنا، ليكونا من الأذلين المهاتين.



إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَمُوا تَتَلَوْنَهَا
عَلَيْهِم مَّلَائِكَةٌ أَلَّا تَحْفَاوُوا وَلَا حَزَنُوهُمْ وَأَبَشِرُوا
بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ مَن أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا نَشْتَهُ أَنفُسُكُمْ
وَلَكُمْ فِيهَا مَا لَمْ تُحِثُوا بِهَا ﴿٣١﴾ تَزَلُّونَ مِنْ غُفُورٍ رَحِيمٍ ﴿٣٢﴾
وَمَنْ أَحْسَنُ فَلَئِمَنَّ دَعَاؤَهُ إِلَى اللَّهِ وَعَمَلٌ صَالِحٌ وَقَالَ إِنِّي
مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ
ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنُ
وَلَّى حَيْبًا ﴿٣٤﴾ وَمَا يَلْقَاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يَلْقَاهَا
إِلَّا الْأَذْوَحِيُّ عَظِيمٌ ﴿٣٥﴾ وَإِنَّمَا يَرْتَعَنُكَ مِنَ الشَّيْطَانِ
تَزَعٌ فَاستَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ وَمِنَ
عَائِنِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ
وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ
تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِن اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِنْدَ رَبِّكَ
يُسْحَبُونَ لَهُ بِالْأَيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا أَسْمُونَ ﴿٣٨﴾

٣٠- إن الذين قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له، ثم
ثبتوا وداوموا على الاستقامة في العمل الصالح والإقرار
بالتوحيد، تنزل عليهم ملائكة الرحمة بالبشرى السارة
عند الموت، وفي القبر، وعند القيام من قبورهم، بالأمر
يخافوا مما يقدمون عليه من أمور الآخرة، ولا يحزنوا
على ما فاتهم من أمور الدنيا، ويقال لهم: أبشروا بالجنة
التي وعدتموها في الدنيا على لسان الرسل، فإنكم
واصلون إليها. نزلت في أبي بكر الصديق الذي
قال: ربنا الله وحده لا شريك له، ومحمد ﷺ عبده
ورسوله، فاستقام، وقال المشركون: ربنا الله،
والملائكة بناته، وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، فلم
يستقيموا.

٣١- وتقول الملائكة لهم: نحن أنصاركم في
شؤونكم، نحفظكم ونوفقكم لما فيه الخير والرشد في
الدنيا، ونحن أيضاً أنصاركم في الآخرة بالشفاعة
والكرامة حتى تدخلوا الجنة، ولكم في الجنة ما تشتهي
أنفسكم من النعيم وأنواع اللذات، ولكم فيها ما تطلبون.
٣٢- تزلوا معدداً لكم من الرزق والإكرام، من رب
غفور للذنوب، رحيم بالعباد.

٣٣- ولا أحد أحسن قولاً من دعا إلى عبادة الله
وحده، وعمل العمل الصالح الذي أمر الله به، وقال
صراحة: إنني من المتقدين لأمر الله، وهذا جمع بين العقيدة والعمل. و﴿من﴾ اسم استفهام فيه معنى النفي، أي لا أحد
أحسن في القول. نزلت في الرسول ﷺ وأصحابه.
٣٤- ولا تتساوى الحسنة التي يرضى الله بها، والسيئة التي يكرها الله، في الجزاء وحسن العاقبة، ادفع الخصلة السيئة
بالحسنة أي الطريقة الهادئة التي لا شدة فيها، بمقابلة الإساءة بالإحسان، والذنب بالعفو، والغضب بالصبر، والجهل
بالحلم، فإذا فعلت ذلك، صار عبدك كالصديق القريب، في بره ولطفه. نزلت في أبي سفيان بن حرب كان
معادياً للنبي ﷺ، فصار له ولياً مصافياً بالمصاهرة التي حدثت بينهما.

٣٥- وما يؤتى هذه السجدة ويحتلمها، وهي دفع السيئة بالحسنة، إلا الصابرون على المكاره وكظم الغيظ، وما يؤتاها
ويتقبلها ويتلقاها إلا صاحب الحظ العظيم من الخير وكمال النفس والثواب.

٣٦- وإن يصرفك وسواس الشيطان عن الخصلة الحيرة أو الدفع بالتي هي أحسن، فاستعد بالله من شر الشيطان،
والتجىء إلى الله ولا تطع الشيطان، يدفع الله عنك وساوسه، إن الله سميع لاستعدادك وقولك، عليم ببيتك وفعلك.

٣٧- ومن أدلة وحدانية الله وقدرته وعظمته وحكمته: خلق الليل بظلامه، والنهار بضياؤه، والشمس بضياؤها،
والقمر بنوره، لا تسجدوا أيها الناس للشمس والقمر؛ لأنهما من مخلوقات الله، لا شريكين له، واسجدوا لله الذي
خلق هذه الأشياء الأربعة، إن كنتم تعبدونه حقاً. وهي رد على الصابئة في عبادة الكواكب.

٣٨- فإن استكبر البشر عن الامتثال والسجود لله تعالى، فالملائكة لا يستكبرون عن عبادته تعالى، فهم يديون التسييح
له ليلاً ونهاراً، ولا يملون ولا يفترون. والعندية ﴿عند ربك﴾ عندية منزلة وكرامة، وليست عندية مكان.



وَمَنْ آتَيْنَاهُ مَكَرًا نَرَىٰ أَرْضًا شَعْشَعَةً فَإِنَّا نُنزِلُهَا عَلَيْهِم مُّسَاءً
 أَهْتَرَتْ وَرَبَّتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيٍ الْمَوْتَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ
 قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُلَدُونَ فِيهَا إِنَّا لَأَنبِتُوهُمْ عَلَيَّهَا أَفْئِن
 يُلْقَىٰ فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَن يَأْتِيهِ آمَنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ
 إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ
 وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبٌ عَزِيزُونَ ﴿٤١﴾ لِآيَاتِنَا الْبَاطِلُ مَن يَبْنِي يَدِيهِ
 وَلَا يَمُنْ بِحُكْمِ رَبِّهِ فَاعْلَمْ ﴿٤٢﴾ مَا أَقْبَلُ لَكَ إِلَّا
 مَا أَقْبَلُ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ
 أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُوَّةً أَوْ أَعْجَمِيًّا فَلَوْ لَا لَفُضِّلْتِ
 إِذْ أَنْزَلْنَاهُ نَجْمًا وَعَرَبِيًّا قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ
 وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى أُولَٰئِكَ يُنَادَوْنَ
 مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ الْكِتَابَ فَآخَرَفْنَا
 فِيهِ وَوَلَّوْنَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِن رَبِّكَ لَقُضِيَ بِنُفْسِهِ
 وَأَنهَدْنَاهُ لِنُفْسِهِ شَيْءًا مِّنْهُ مُرِيبٌ ﴿٤٥﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ
 وَمَن أَسَاءَ فَسَاءُ بِمَا عَمِلَ وَمَا رَبُّكَ بِظَلِيمٍ لَّعِينٍ ﴿٤٦﴾

٣٩- ومن أدلة الله على قدرته على البعث أنك ترى الأرض يابسة لا نبات فيها، فإذا أنزلنا عليها المطر تحركت وانتفخت بالنبات. وهذا تصوير الأرض المنبثة بصورة الحي المتحرك. إن الذي أحياها بالإنبات، لمحي الموتى يوم القيامة بالبعث والنشور، إنه على كل شيء قدير من الإحياء والإماتة، لا يعجزه شيء مهما كان.

٤٠- إن الذين يحرفون آيات القرآن بالتأويل الباطل والظن فيها، لا يخفون على الله، بل نحن نعلمهم وسنجازيهم بما يستحقون، أفمن يلقى في النار لكفره وعصيانه خير، أمن يأتي آمناً من عذاب الله يوم القيامة لإيمانه بالله ورسوله؟! اعملوا أيها الناس بما شئتم من خير أو شر، إن الله مطلع على ما تعملون، فمجازيكم عليه. وهذا تهديد وتخويف شديد، ووعيد بالمجازاة، ليتنبه الناس من غفلتهم. نزلت في أبي جهل وعمار بن ياسر.

٤١- إن الذين كفروا بالقرآن وكذبوا به لما جاءهم، يجازون بكفرهم، وإن القرآن المجيد لكتاب منيع لا يتأنى إبطاله وتحريفه وتبديله.

٤٢- لا يتعرض إليه الباطل إطلاقاً، بنقص منه

أو زيادة فيه، أو تكذيب كتاب آخر له، أو إلغاء كتاب آخر يبطله، تنزيل من إله حكيم في جميع أفعاله، وتدبير شؤون خلقه، محمود على كل حال، يحمده جميع خلقه بما أنعم عليهم من النعم الكثيرة.

٤٣- ما يقول لك كفار قريش من وصفك بالسحر، والكذب، والجنون، وتكذيب الرسالة، إلا مثل ما قالت الأم السابقة للرسول، فاصبر على الأذى كما صبروا، إن ربك لصاحب مغفرة للمؤمنين الساتين، وصاحب عقاب مؤلم للكفار أعداء الله، المكذبين لرسالتك.

٤٤- ولو جعلنا القرآن بغير لغة العرب، لقال المشركون العرب: هلا بُيِّتت آياته بلغتنا حتى نفهمها؟! وقالوا أيضاً: أكلام أعجمي غير عربي ورسول عربي؟ قل لهم أيها الرسول: هذا القرآن للمؤمنين هداية إلى الحق والخير، وشفاء للصدر والنفوس من الجهل والشك والشبهة. والذين لا يؤمنون بالقرآن في آذانهم صمم عن سماعه وفهم معانيه، وهو على قلوبهم معصم لا يفهمونه، لتعاميهم عن آيات الله، أولئك الذين لا يؤمنون بالقرآن كالمنادى من مكان بعيد، لا يسمع ولا يفهم ما ينادى به.

٤٥- ولقد آتينا موسى كتاب التوراة كإيتائك أيها النبي القرآن، فاختلف فيه قوم موسى بين مصدق ومكذب، كما اختلف في القرآن، ولولا حكم سابق من ربك بتأخير الحساب والجزاء للخلائق إلى يوم القيامة، لُقضي بينهم في الدنيا فيما اختلفوا فيه، بتعجيل العذاب للمكذبين، وإن المكذبين لفي شك من التوراة والقرآن، موقع في الريبة والباطل.

٤٦- من عمل عملاً صالحاً فيعود نفع عمله لنفسه، ومن أساء عمله فيعود ضرر إساءته على نفسه، وما ربك بذي ظلم لأحد، فلا يعاقب أحداً إلا بذنبه.

٤٧- إليه تعالى لا إلى غيره مرد العلم بقيام القيامة، فذلك من مفاخ الغيب التي اختص الله بها، وكل شيء غير ذلك بعلمه تعالى، فما تخرجه الأشجار من الثمار من أوعيتها أو أعطيتها التي تكون على الثمرة قبل ظهورها، وما تحمله الإنث في بطونها، وما تضعه من أولادها إلا بعلم الله، فإليه تعالى علم الساعة، وعلم هذه الأشياء، ويوم ينادي الله تعالى المشركين يوم القيامة بقوله: أين شركائي من الأصنام وغيرها الذين أشركتموهم معي في العبادة؟ قال المشركون: أعلملك وأخبرناك: ما من أحد يشهد لهم بأنهم شركاؤك. فيكون السؤال عنهم للتوبيخ.

٤٨- وغاب وزال عنهم ما كانوا يعبدون في الدنيا من الأصنام ونحوها، فلا تنفعهم شيئاً، وأيقنوا أنه لا مهرب لهم من العذاب.

٤٩- لا يمل الإنسان الكافر من طلب الخير لنفسه، والخير: المال والصحة والحياة والسلطة والجاه، وإن أصابه الضيق من فقر وشدة ومرض ونحوها، كان يائساً أشد اليأس من فضل الله ورحمته، ظاهراً عليه آثار اليأس والحزن والكآبة والاستكانة.

إِلَيْهِ رُدُّعِلْمِ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ تَرْبٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَجْمَلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ الْأَبْطُلَةَ وَبِئَرٍ يَنْدِيهِمْ مِنْ شُرَكَائِي قَالُوا أَدْنَاكَ مَا مَاتَ مِنْ شَهِيدٍ ۖ وَصَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلِ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ حَاجِيزٍ ۖ لَأَسْمُ الْإِنْسَانِ مِنْ دَعَاةِ الْخَيْرِ وَإِنْ نَسَهُ الشَّرِيفُ مِنْ قُوْطٍ ۖ وَإِنْ ذُقْنَاهُ رَحْمَةً مِمَّا مِنْ بَعْدِ صَرَءَ سَمْتَهُ لَيَقُولُنَّ هَذَا لِي وَمَا أَطْرُقَ السَّاعَةَ فَاقْبِرْهُ ۖ وَإِنْ رَجَعْتَ إِلَى بَيْتِي إِنْ لِي عِنْدَهُ لَكُنُوسٌ فَلْيَنْتَبِئِ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنْذِيْقِهِمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۖ وَإِنَّا نَعْتَمِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَتَابَعِبَانِهِ وَإِنَّا مَسُهُ الشَّرُّ فُذُوعًا وَعَرَبِيضٍ ۖ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانُوا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ ثُمَّ كَفَرُوا بِهِ مِنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِي سَقَاةٍ يُعَذِّبُهُمْ ۖ سَبْرِيهِمْ أَيْدِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَبْتِئِينَ ۖ لَمْ يَأْتِ اللَّهُ لِقَىٰ أُولَئِكَ بِرَبِّكَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۖ الْآيَاتُ فِي رِيبَةٍ مِنْ لِقَاءِ رَبِّهِمْ ۖ الْآيَاتُ لِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ۖ

سورة البقرة (١١٧)

٥٠- ولئن آتينا هذا اليأس الكافر سعة وفرجاً وخيراً من بعد شدة وكرب، ليقولن: هذا حق لازم لي استحققه على الله بمجهودي، لا فضل لأحد فيه، ولست متيقناً أن القيامة ستكون كما يخبرنا به الأنبياء، ولئن حُذت إلى ربي بالبعث بعد الموت، على سبيل الافتراض، سيكون له عنده نعيم الجنة والتكريم، فلنخبرن الذين كفروا يوم القيامة بما عملوا في الدنيا من المعاصي، ولنذيقنهم شيئاً من عذاب شديد.

٥١- وإذا أنعمنا على الإنسان-جنس الإنسان-انصرف عن شكر المنعم، وتباعد عن قبول الحق تكبراً وتجبراً، وإذا أصابه البلاء من فقر أو مرض، فهو صاحب دعاء كثير مستمر. نزلت هذه الآيات في كفار كالوليد بن المغيرة وعمية بن ربيعة.

٥٢- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني إن كان هذا القرآن من عند الله، ثم كذبتهم به وجحدتم ما فيه، لا أحد أشد ضلالاً منكم، وفي خلاف بعيد عن الحق، لا يمكن تلافيه.

٥٣- سنري هؤلاء الكفار دلائل صدق آياتنا في القرآن وأنه من عند الله، ودلائل قدرتنا و وحدانيتنا في أقطار السموات والأرض ونواحيها من الشمس والقمر والنجوم والليل والنهار، والرياح والأمطار، والأشجار والجبال والبحار، وغيرها، وفي خلق أنفسهم وما فيها من عظمة الصنع ودقة الحكمة، ليتبين لهم بوضوح أن القرآن هو الحق الثابت المنزل من الله، أو لم يكفهم أن ربك شاهد على كل شيء من أعمال الكفار، وأن القرآن منزل من عنده!؟

٥٤- ألا إن هؤلاء المشركين في شك من البعث بعد الموت، ألا إنه تعالى محيط علمه بكل شيء، ويجازي الكفار بكفرهم.

سورة الشورى

١، ٢- حاء، ميم، عين، سين، قاف: هذه الحروف المقطعة للتنبية لما بعدها، ولتحدي العرب للإتيان بمثل القرآن، ما دام مكوناً من هذه الحروف العربية التي هي أحرف لغتهم.

٣- مثل ذلك الإيحاء لسائر الأنبياء من الكتب الإلهية المنزلة، يوحي إليك أيها النبي وإلى من قبلك من الأنبياء: الله القوي القاهر في ملكه، الحكيم في تدبيره وصنعه.

٤- الله ما في السموات وما في الأرض ملكاً وخلقاً وعبداً، وهو المتعالي الرفيع الشأن، العظيم السلطان والقدر، والمراد: إقامة الدليل على كمال قدرة الله ونفوذ تصرفه في مخلوقاته.

٥- تكاد السموات يتشققن من فظاعة جرم المشركين، أو من عظمة الله وجلاله، الذي هو فوقهن بالألوهية والقدرة، والملائكة ينزهون الله عما لا يليق به، مع حمده وشكره، ويطلبون المغفرة للمؤمنين في الأرض- وقوله: ﴿لمن في الأرض﴾ عموم أريد به الخصوص- إلا إن الله كثير المغفرة والرحمة للمؤمنين المتبينين إليه. والمراد بيان الفرق بين المخلصين من العباد والفاجرين.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَرَّ عَسَقٍ ١ كَذَلِكَ يُوحِي إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ
 اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٢ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ
 الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ٣ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَنْفَطَرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ
 وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي
 الْأَرْضِ أَلَا إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ ٤ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا
 مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ
 ٥ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى
 وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْخَلْعِ لِأَرْبَابٍ فِيهِ فِرْقٌ فِي الْجَنَّةِ
 وَفِرْقٌ فِي السَّعِيرِ ٦ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً
 وَلَكِنْ يَدْعُونَ مِنْ بَيْنِهِمْ فِرْقَانًا وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ
 مِنْ وَكِيلٍ وَلَا نَصِيرٍ ٧ أَرَأَيْتُمْ إِنْ دُعِيتُمْ إِلَى اللَّهِ
 فَالَهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ
 ٨ وَمَا اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ
 ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ٩

٦- والذين اتخذوا من غير الله نصراء من الأصنام وغيرها يعبدونها، الله رقيب على أحوالهم وأعمالهم، يحفظها ليجازيهم عليها، وما أنت أيها النبي بموكل إليك هدايتهم وجبرهم على ذلك، وإنما عليك البلاغ فقط.

٧- ومثل ذلك الإيحاء للأنبياء السابقين أوحينا إليك قرآناً عربياً بلغة قومك، لتخوف به أهل مكة ومن حولها من الناس جميعاً، وتحذر من العقاب يوم القيامة الذي يجمع به الخلائق للحساب والجزاء، والذي لا شك فيه، ثم يتفرق فيه الناس فريقين: فريق في الجنة وفريق في النار المستعرة.

٨- ولو شاء الله لجعل الناس جميعاً على دين واحد من هدى أو ضلال، ولكنهم افتروا ملاماً شتى، فالؤمنون يدخلهم في رحمته بالهداية والتوفيق إلى الطاعة، والكافرون لا يجدون معيناً وولياً يتولى أمورهم، ولا نصيراً يدفع عنهم العذاب.

٩- بل اتخذ المشركون من غير الله أعواناً من أصنام وغيرها، والله هو المعين الناصر للمؤمنين، وهو يحيي الموتى بالبعث يوم القيامة، وهو سبحانه تام القدرة على كل شيء، فهو الجدير بالعبادة والنصرة والألوهية. و﴿أم﴾ بمعنى (بل) للانتقال من كلام سابق إلى الإنكار عليهم باتخاذ أولياء غير الله تعالى.

١٠- وما اختلفتم في شيء من أمور الدين، فحكمه مردود إلى الله، يحكم فيه يوم القيامة بالحق والعدل، ذلكم الحاكم في كل شيء هو الله ربي، عليه اعتمدت في جميع أموري لا على غيره، وإليه وحده أرجع تائباً ومستعيناً في كل أمر، والوقاية من كل شر.

فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا
 وَمَنْ لَا تَعْلَمُ أَزْوَاجًا بُدِّئُوا فِيهَا لَبْسٌ لِمَنْ كَفَرَ بَيْنِي
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
 يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ يُكَلِّمُ شَيْءٌ عَلَيْهِ ﴿١٢﴾
 ﴿١٣﴾ سَرَّعَ لَكُمْ مِنَ الَّذِينَ مَارَصْتُمْ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا
 إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ
 وَلَا تَتَّبِعُوا فِيهِ كَثْرًا عَلَى الشُّرْكِينَ مَا تَدْعُوهُمُ إِلَيْهِ اللَّهُ
 يَجْعِلُ إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٤﴾ وَمَا
 نُنْفِقُ إِلَّا لِأَنْبِيَاءٍ لِيُبَيِّنُوا لِلنَّاسِ مَا كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ
 سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجْلِ تَسْمَى لِقَضَى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ
 أُوْرُوا الْكُتُبَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَنَنْزِلُ مِنْهُ مُرْسَلٌ ﴿١٥﴾
 فَلِذَلِكَ قَادَعُوهُمْ وَأَسْتَمِعُوا كَمَا أَمَرْتُ وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ
 ءَأَمِنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كُتُبٍ وَأَمَرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ
 اللَّهُ رُسُلًا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلْنَا لَأَجْزَاءَ بَيْنَنَا
 وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

١١- خالق السموات والأرض على غير مثال سابق، خلق لكم من جنسكم نساء، وخلق من جنس الأنعام (الإبل والبقر والغنم) أزواجاً أيضاً، يُكثركم في هذا التدبير وبيئكم بسبب هذا الزواج بين الجنسين الذي يكون سبباً في كثرة النسل، ليس مثل الله شيء في ذاته وصفاته، وهو السميع لكل الأصوات، البصير بكل شيء صغير أو كبير.

١٢- له سبحانه وحده مفاتيح خزائن السموات والأرض، يوسع الرزق لمن يشاء من خلقه، ويضيقه على من يشاء، إنه تعالى تام العلم بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، ولا تغيب عنه مصلحة المخلوق.

١٣- أوضح الله، وبين في شريعته ودينه لكم أيها المؤمنون برسالة محمد ﷺ ما أمر به نوحاً أول الرسل بشريعة إلى البشر، وأوضح لكم الذي أوحينا إليك أيها النبي في القرآن، وما أمرنا به إبراهيم الخليل وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام: أن حافظوا على الدين: وهو توحيد الله وطاعة رسله وقبول شرائعه، ولا تختلفوا في هذا

الأصل العام، فتأتوا ببعض وتتركوا بعضاً، أما الخلاف في الجزئيات والفروع وتفصيل الأحكام فلا مانع منه، لاختلاف كل شريعة عن الأخرى؛ لقوله تعالى: ﴿لِكُلِّ جَعَلْنَا مِنْكُمْ شَرْعَةً وَمَنْهَاجًا﴾ [المائدة ٤٨/٥] عظم على المشركين وشق عليهم ما تدعوهم إليه أيها الرسول من توحيد الإله، ونبذ الأصنام والأوثان، الله يختار لرسالته من يشاء من عباده، ويرشد ويوفق لدينه من يقبل على طاعته وعبادته بإخلاص.

١٤- وما اختلف أهل الأديان في الدين، بأن وحد آمن بعض وكفر بعض، إلا من بعد علمهم بالدين الحق الذي أرسل به الرسل، ولولا حكم سابق من الله بالإمهال وتأخير الجزاء إلى وقت محدد، لقضى بينهم بإهلاك الكافرين وإنجاء المؤمنين، وإن الذين أتوا الكتاب (أي أهل الكتاب من اليهود والنصارى) المعاصرين للنبي ﷺ لفي حيرة من أمرهم وكتابهم حيث لم يؤمنوا به، ولم يؤمنوا أيضاً بالقرآن، وشكهم موقع في الريبة والحيرة.

١٥- فلاجل ما ذكر من الاتفاق والاختلاف على الملة الحنيفية، ادع أيها الرسول الناس إلى توحيد الله، واستقم على دعوتك، وتبليغ رسالتك، كما أمرك الله، ولا تتبع أهواء المشركين الباطلة، وقل: أمنت (صدقت) بجميع الكتب التي أنزلها الله على رسله، وأمرت بأن أعدل بينكم في أحكام الله، الله ربنا وربكم، ولنا أعمالنا ولكم أعمالكم، فيجازي كلأ بعمله، لا محاجة ولا مجادلة بيننا وبينكم، الله يجمعنا جميعاً في المحشر يوم القيامة، وإليه المرجع، فيجازي كلأ بعمله.

وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آلِهِمْ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتَجِيبَ لَهُمْ جَهَنَّمَ ذَٰلِحَةً
عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾
اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ
لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْجَلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا
وَالَّذِينَ آمَنُوا مُسْتَفْهُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ الْأَبَدُ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي السَّاعَةِ لَعْنَةُ صَالِحٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ أَطِيبُ
بِعِبَادِهِ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾
مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزَدْنَاهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ
كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ
مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ سَرَعُوا لَهُمْ مِنَ
الَّذِينَ مَا لَهُمْ بِأَذْنٌ بِهِ اللَّهُ وَلَوْ لَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُصِحَ
بِبَنِيهِمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ
مُسْتَفْهِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا
الصَّالِحَاتِ فِي رَوْحَاتٍ الْحَسَنَاتِ لَهُمْ
مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

١٦- والذين يجادلون في دين الله من بعد ما استجاب الناس له، حججتهم باطلة عند ربهم، لا ثبات لها، وعليهم غضب عظيم من الله لمجادلتهم بالباطل وإصرارهم على الكفر، ولهم عذاب شديد مؤلم في الآخرة على كفرهم.

١٧- الله الذي أنزل القرآن وسائر الكتب المنزلة إنزالاً مقترناً بالحق، وأنزل قواعد العدل ليحكم به بين الناس - وسمي العدل ميزاناً لأنه آلة الإنصاف - وما يدريك أيها الإنسان لعل ساعة القيامة قريب حدوثها. والمراد بإنزال الميزان: إيجادها والإرشاد للعمل به.

١٨- يستعجل بساعة القيامة استهزاء المنكرون لها، والذين صلّوا بوجودها خائفون من مجيئها، ويعلمون أنها واقعة آتية لا ريب فيها، إلا - وهي لتنبية السامع لما بعدها - إن الذين يجادلون في وقوع القيامة وينكرون ذلك لفي ضلال (زيغ) وانحراف) عن الحق والهدى، بعيد عن الصواب.

١٩- الله متلطف رفيق بعباده حيث لم يعجل بعذابهم، وكثير الإحسان إليهم، يرزق من يشاء منهم بحسب حكمته توسيعاً أو تضيقاً، وهو الباهر القدرة، المنيع الذي لا يُغلب.

٢٠- من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة، يُضاعف له حسناته إلى سبعمائة ضعف، ومن كان يريد بعمله لذات الدنيا وشهواتها دون العمل للآخرة، نعطه منها، وليس له في الآخرة من حظ، لإهماله الاستعداد لها.

٢١- بل لهؤلاء المشركين شركاء في الكفر وهم الشياطين، فلا يتبعون ما شرع الله لهم من الدين، وإنما يتبعون ما ابتدعوا لهم من الشرك وإنكار البعث والمعاصي، ما لم يأذن الله به، ولولا كلمة الفصل: وهي وعده سبحانه بإمهال العذاب عنهم، لقصي بينهم بالإهلاك وعُجلت العقوبة لهم، وإن الظالمين (الكافرين) لهم عذاب مؤلم. و ﴿هَامٍ﴾ بمعنى (بل) للانتقال من كلام إلى آخر، وبمعنى همزة الاستفهام الإنكاري المقيد للنفي. أي ليس الأمر كما يفعلون.

٢٢- ترى أيها النبي الكافرين يوم القيامة خائفين مما كسبوا في الدنيا من السيئات، وجزاء ما كسبوا واقع بهم لا محالة، وترى الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الصالحات التي أمروا بها من ربهم: في رياض الجنان، أي أطيب مساكنها، لهم ما يتمنون عند ربهم من أنواع النعم، ذلك النعيم والتكريم هو الفضل الإلهي الكبير الذي لا يوصف قدره ويفوق كل نعيم في الدنيا.

ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَعْتَرَفْ
 حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ
 يَقُولُونَ أَفَنُرِي عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَاءُ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ فَمِكَ وَنُمِخْ
 اللَّهُ الْبَاطِلَ رُجْحًا مُّخْتَلِفًا جَمِيعًا إِنَّمَا عَلِمَ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾
 وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ
 وَيَعْلَمَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَسَيَجْزِي الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ
 وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾
 ﴿٢٧﴾ وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَغَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَكِن نُّزِّلَ
 بِعَدْرِ مَا إِنشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾ وَهُوَ الَّذِي يُزِيلُ
 الْغَيْثَ مَن يَبْعُدُ مَا يَاقُطُوا وَيُبَشِّرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْمُجِيدُ ﴿٢٩﴾
 وَمِنَ النَّبِيِّ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا مِن ذَاكِبَةٍ
 وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا أَنشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ
 فَمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَن كَثِيرٍ ﴿٣١﴾ وَمَا أَنشَأَ
 بِمُحَمَّدٍ فِي الْأَرْضِ وَاللَّكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣٢﴾

٢٣- ذلك الثواب العظيم هو الذي يبشر الله به عباده المؤمنين الذين يعملون الأعمال التي أمر الله بها، وترك ما نهى عنه، قل أيها النبي: لا أطلب منكم أجراً أو جُعلاً على تبليغ الرسالة، إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة، كما في البخاري عن ابن عباس. فإن له في كل بطن من قريش قرابة، ومن يعمل عملاً حسناً، ويكتسب طاعة، نضاعف له ثوابه أو نزيد له في الثواب أجراً حسناً، إن الله كثير المغفرة لذنوب عباده التائبين، كثير الشكر للقليل من الطاعات والحسنات. قال قتادة: قال المشركون: لعل محمداً فيما يتعاطاه يطلب أجراً، فنزلت هذه الآية ليحشهم على مودته ورعايته قرابته.

٢٤- بل يقول المشركون: اختلق محمد الكذب على الله، فادعى القرآن من عند الله، وادعى النبوة، ولكن الافتراء بعيد جداً عن مثله، فإنما الذي يجترئ على الله من كان مطبوعاً الكفر على قلبه، جاهلاً بربه، فلو فرض وجود الافتراء منك على الله كذباً، لطبع على قلبك إن شاء، فلم تقدر عليه، ويزيل الله الباطل، ويبين الله الإسلام ويثبت به ما أنزله من القرآن، إنه عالم بما في قلوب الناس جميعاً.

٢٥- والله هو الذي يتقبل التوبة من عباده إذا تابوا،

ويعفو عن السيئات التي ارتكبوها، ويعلم ما تفعلون من خير أو شر. و﴿عن عباده﴾ بمعنى (من) لأن القبول يتعدى بمن.

٢٦- ويحيب الله دعاء الذين آمنوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال التي أمر الله بها، وتركوا ما نهى عنه، ويزيدهم من إحسانه وتفضله أكثر مما يستحقون من الثواب، وللكافرين عذاب شديد مؤلم يوم القيامة.

٢٧- ولو وسع الله الرزق لعباده جميعاً، لوقعوا في البغي (مجاوزة الحد المشروع) والطغيان والفساد، ولكن يُنزل الرزق بتقدير معين بمقتضى حكمته وبما يتفق مع طبائع الناس وما يلائمهم غنى أو فقراً، إنه سبحانه يعلم خفايا أمور عباده وجلايا أحوالهم، بصير بما يصلحهم ويضرهم. قال علي رضي الله عنه: نزلت هذه الآية في أصحاب الصُّفَّة، وذلك أنهم قالوا: لو أن لنا، فتمنوا الدنيا والغنى.

٢٨- والله هو الذي أنزل المطر لإغاثة الناس بعد يأسهم من نزوله، ويعم رحمته كل شيء، وينشر منافع الغيث في كل مكان، وهو الذي يتولى الصالحين من عباده بالإحسان، للمحمود على كل حال، المستحق للحمد والشكر على نعمه الكثيرة.

٢٩- ومن دلائل قدرة الله إيجاد السموات والأرض بهذه الصنعة العجيبة، وإيجاد ما نشر وقرق فيهما من الكائنات الحية، وهو على حشرهم يوم القيامة إذا شاء قادر تام القدرة.

٣٠- وما أصابكم أيها الناس من بلية وشدة أو غيرهما فبسبب ما جتته أيديكم أي معاصيكم، ويعفو عن كثير من الذنوب، فلا يعاقب عليه. وما يصيب غير المذنبين فلرفع درجاتهم.

٣١- ولستم أيها الناس بجاعلين ريبكم عاجزاً عن عقابكم، فتفتلون منه في الأرض، وإنما أنتم في قبضته، وليس لكم من غير الله من متولٍ أموركم وحارس لكم، وناصر يدفع العذاب عنكم إذا وقع بكم.



وَمِن آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ وَالْأَعْلَامِ ﴿٣٢﴾ إِنَّ يَسْأَلُ يُسْكَنُ الرِّيحَ
فَيُظَلِّلْنَ زَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ
شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوقِفَهُنَّ بِمَا كَسَبْنَ أَوْ يُعَفِّفُ عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمُ
الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ حِجْبٍ ﴿٣٥﴾ فَأَوْتِنَهُمْ
مِن شَيْءٍ فَمَتَّعَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ
ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ وَالَّذِينَ يُجَادِلُونَ
كَثِيرَ آيَاتِنَا وَالْفَوَاحِشَ وَإِنَّا مَا عَصَبُوا هُمْ يَعْمُرُونَ
﴿٣٧﴾ وَالَّذِينَ آسَفُوا بِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ
شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ
إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ
مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ
﴿٤٠﴾ وَلَكِن أَنْصَرَفَ دُظْلُهُ فَأُولَٰئِكَ مَا عَلَيْهِمْ
مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ
وَيَتَّبِعُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾
وَلَكِن صَبِرُوا وَعَفَا رَبُّكَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴿٤٣﴾

٣٢- ومن دلائل قدرته تعالى: السفن الجوارية في البحر كالجبال.

٣٣- إن يشأ الله يجعل الريح المحركة للسفن الشراعية ساكنة، فتصير ثوابت على ظهر البحر، إن في جريها فوق الماء وتوقفها لدلالات باهرة على القدرة الإلهية لكل كثير الصبر، كثير الشكر للنعمة، وهو المؤمن.

٣٤- وإن يشأ الله يهلك الركاب بالغرق بما كسبوا من الذنوب، ولكنه تعالى يتجاوز عن ذنوب الكثير من أهل تلك السفن.

٣٥- ويعلم الله الذين يجادلون بالباطل في آياتنا المتزلة في القرآن، وهم الكفار، ما لهم من فرار ولا مهرب من العذاب. وهذا لبيان قدرة الله وتحذير الكافرين في كل زمان.

٣٦- فما أعطيتم من شيء من نعم كالغنى والقوة، فما هو إلا متاع قليل مؤقت يتمتع به ثم يزول، وما عند الله من ثواب الطاعات خبير من متاع الدنيا وأبقى أثراً؛ لدوامه وعدم انقطاعه، للذين صدقوا بالله ورسوله، وفوضوا أمورهم لربهم. قال علي رضي الله عنه: تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله، فلامه جمع، فنزلت.

٣٧- ما عند الله خبير للذين آمنوا والمتوكلين والذين يجتنبون كبار الذنوب (وهي التي توعد الله عليها أو قرر لها حداً عقابياً معيناً) والمعاصي القبيحة الفاحشة كالزنى

والقتل، وهو من عطف الخاص على العام، وإذا غضبوا تجاوزوا عن الذنب وكظموا الغيظ. نزلت في عمر حين شتم بمكة.

٣٨- والذين أجابوا ربهم إلى ما دعاهم إليه من التوحيد والعبادة وإطاعة الرسل، وأدوا الصلاة على وجهها الأكمل، وخصها بالذكر لأنها أرفع العبادات، وتشاوروا في أمورهم العامة والخاصة دون تفرد أو استبداد بالرأي، كأمير الخلافة والولاية والقضاء، والشؤون الخاصة، وأنفقوا مما رزقهم الله في سبيل الخير. والمراد أن المشاورة لازمة في أمورهم. نزلت في الأنصار دعاهم الرسول ﷺ إلى الإيمان فاستجابوا وأقاموا الصلاة.

٣٩- والذين إذا تعرضوا للظلم وتجاوزوا الحدود انتصروا أو انتقموا لأنفسهم عن ظلمهم، بمقابلة السيئة بمثلها.

٤٠- وجزاء الفعل السيئة أو القبيحة عقوبة ماثلة لها، وسمي الجزاء سيئة للمشكلة أو مشابهة الجريمة في الصورة أو الظاهر، فمن عفا عن ظالمه، وأصلح ما بينه وبينه من عدواة، فثوابه على الله عز وجل، إنه سبحانه لا يحب المعتدين في القصاص وتجاوز الحد، وإنما يعاقبهم؛ لأن التجاوز ظلم.

٤١- والذي يقابل الظلم بمثل فعل الظالم لا مواخذة ولا عقاب عليه، ومن سبيل أي طريق للمواخذة. نزلت مع ما بعدها في أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وقد شتمه بعض الأنصار، فرد عليه، ثم أمسك.

٤٢- إنما المواخذة والعقاب على الذين يجورون ويتعدون على الناس، ويفسدون في الأرض ظلماً بغير حق، ويتكبرون ويتجبرون بالاعتداء على النفوس والأموال، أولئك لهم عذاب مؤلم في الآخرة.

٤٣- والذي صبر على الأذى وغفر للمسيء ذنبه، وعفا عن ظلمه، فذلك الصبر والمغفرة من معزومات الأمور، أي المطلوبات شرعاً التي يجب العزم والثبات عليها.

٤٤- ومن لم يوفقه الله إلى الإيمان بسبب إصراره على الكفر، فليس له ناصر يتولى هدايته، وترى الظالمين (الكافرين) المكذِّين بالبعث، حين رأوا النار وعذابها يقولون: هل إلى الرجعة إلى الدنيا من طريق، لنتوب ولنعمل عملاً صالحاً؟ و﴿من ولي﴾ يفيد عموم ما بعدها، و﴿هل﴾ حرف استفهام للتمني هنا مثل (ليت).

٤٥- وترى أيها الرسول الظالمين يعرضون على النار خاضعين خائفين عما لحقهم من الذل والهوان، ينظرون إليها نظرة يسترقونها بحدقة، خفي معظمها تحت الجفن من شدة الخوف، وقال المؤمنون: إن الخاسرين حقاً هم الذين خسروا أنفسهم وأهليهم بالتعريض لعذاب الخلد في النار يوم القيامة، ألا إن الظالمين في عذاب دائم مؤلم. و﴿ألا﴾ تشبيه السامع للتأمل فيما بعده.

٤٦- وما كان لهؤلاء الكافرين من أعوان يتقدونهم من العذاب، ومن يضلل الله بأن يخذله ولا يوفقه للهداية، فليس له من طريق للنجاة من العذاب.

٤٧- أجيئوا دعوة ربكم بسرعة وإخلاص إلى الإيمان بالله وكتبه ورسله وعبادته وطاعته، من قبل مجيء يوم هو يوم القيامة لا يرد الله بعد حكمه

بإثباته، ليس لكم أيها الناس من حصن تحصنون فيه حيثئذ من العذاب، ولا تجدون فيه إنكاراً لتزول العذاب بسبب ذنوبكم، بعد شهادة الأعضاء والكتب والملائكة.

٤٨- فإن أعرضوا عن الإجابة، فلم تُرسلك أيها الرسول موكلاً بهم ومحاسباً لأعمالهم ترغمهم على الإيمان، ليس عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد بلغت، وإنا إذا أذقنا الإنسان منارحة كصحة وثروة، وبطرها وتكبر بسببها، وإن تصب الإنسان سيئة، كبلاء من مرض أو فقر أو خوف أو موت حبيب مثلاً، بسبب ما قدمت أيديهم وغيرها من الذنوب والآثام، فإن الإنسان جحود للنعمة، ينسى النعم، ويذكر البلياء، ولا يتأمل بسببها. و﴿إن عليك﴾ إن: حرف نفى بمعنى (ما) وعبر بالأيدي؛ لأن أكثر الأفعال تزاول بها.

٤٩- لله ملك السموات والأرض يتصرف فيها بما يريد، يخلق ما يشاء خلقه، ويهب لمن يريد إناثاً من الأولاد أو ذكوراً، حسبما يرى من الحكمة.

٥٠- أو يجمع لهم بين الجنسين: الذكور والإناث، ويجعل من يشاء عقيماً، فلا يولد له أحد، إنه سبحانه عليم بخلقته، قدير على ما يشاء، يفعل ما يره المصلحة والحكمة.

٥١- وما صح لبشر أن يكلمه الله إلا بوحي ينزله عليه. والوحي: كلام خفي يدرك بسرعة. أو يكلمه من وراء ستار، كما كلم موسى عليه السلام، أو يرسل إليه رسولاً من الملائكة كجبريل عليه السلام، فيوحي أو يلقي إلى المرسل إليه، بأمر الله ما يشاء، إنه سبحانه متعال منزه عن صفات المخلوقين، يفعل ما تقتضيه حكمته، واضعاً كل شيء موضع الصحيح. نزلت هذه الآية حينما قال اليهود للنبي ﷺ: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى؟ فنزلت وقال: لم ينظر موسى إلى الله تعالى.

وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ يُتْرَكُ لِمَا رَأَوْا
الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ لِي مَرْتَبَةٌ مِنْ سَبِيلِ ﴿٤٤﴾ وَرَبُّهُمْ يَعْصُونَ
عَلَيْهَا خَاشِعِينَ مِنَ الذَّلِيلِ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ
آمَنُوا إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ
أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءٍ
يُنصِرُوهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾
أَسْجِبُوا رَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُبَازِيَ نَوْمَكُمْ رَدْمَهُمْ إِنَّ اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ قَلِيلٍ
يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَأَنْرَسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ
حَفِظًا أَنْ عَلَيْكَ إِلَّا التَّبْلِغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً
فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ مِمَّا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ
﴿٤٨﴾ اللَّهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهَبُ لِمَنْ
يَشَاءُ إِنثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذَّكَورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرًا
وَأُنثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾
﴿٥١﴾ وَمَا كَانَ لِلْبَشَرِ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ ذِكْرًا وَرَأْيٍ حِجَابٍ
أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِي بآذَانِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَى حَكِيمٍ مُبِينٍ ﴿٥٢﴾



وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ
وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا
وَإِنَّكَ لَأَنهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطَ اللَّهِ الَّذِي لَهُ
مَا فِي السَّمٰوٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ۗ أَلَا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الْأُمُورُ ﴿٥٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ ﴿٥١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُنِينِ ﴿٥٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ
تَعْقِلُونَ ﴿٥٣﴾ وَآتَيْنَا فِي الْأَنْكِبٰتِ لَدُنَّا عَلَىٰ حَكْمٍ ﴿٥٤﴾
أَفَضْرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا تُسْرِفُونَ ﴿٥٥﴾ وَكَمْ
أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ﴿٥٦﴾ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا
بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٥٧﴾ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ
مِثْلَ الْأَوَّلِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمٰوٰتِ
وَالْأَرْضَ قَالُوا خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ﴿٥٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا أَسْبَابَ الْمَأْكَلِ تَهْتَادُونَ ﴿٦٠﴾

٥٢. مثل إيحائنا إلى غيرك من الرسل أوحينا إليك يا محمد هذا القرآن، وهو من أمر الله، وسمي القرآن روحاً؛ لأن القلوب تحيا به، ويهتدى به، ففيه حياة تقابل موت الكفر، ما كنت تعرف قبل الوحي إليك أي شيء هو القرآن؛ لأنك أمي، وما كنت تعرف حقيقة الإيمان المتضمن مختلف الشرائع والأحكام، ولكن جعلنا هذا القرآن نوراً مضيئاً ودليلاً على التوحيد والإيمان، نرشده به من نشاء من عبادنا إلى الدين الحق، وإنك أيها النبي لترشد الناس إلى طريق مستقيم.

٥٣. دين الله الذي له ملك جميع الموجودات في السموات والأرضين، ألا إلى الله ترجع الأمور، من غير وسائل، فيثيب المحسن، ويعاقب المسيء.

سورة الزخرف

١- حا، ميم، حرفان عربيان للتبنيه على ما يأتي بعدهما، وليبيان إعجاز القرآن ما دام مكوناً من حروف اللغة التي ينطق العرب بها.
٢- أقسم بالقرآن الواضح الجلي على أن القرآن هداية بلسان عربي.

٣- إنا أوجدنا القرآن بلغة العرب لتفهموا معانيه، وتعملوا بما جاء فيه.

٤- وإن هذا القرآن المبتى في اللوح المحفوظ عندنا لرفع القدر أو الشأن، لكونه معجزاً مهيماً على كل ما سبقه من الكتب، ولا اختلاف ولا تناقض فيه، وهو ذو حكمة بالغة.

٥- هل يصح أن نترككم هملأً أيها الناس، فلا نذكركم بالقرآن ونعظكم ونأمركم وننهاكم؟ كلا، لأجل أنكم قوم متجاوزون الحد في الإسراف والضلال، مشركون بالله. وهمزة «أفَضْرِبُ» للاستفهام الإنكاري، و«الذِّكْرُ» القرآن، و«صفحة»: إعراضاً، والمراد هنا: معرضين. والمراد: إنكار أن يكون الأمر على خلاف المطلوب من انزال القرآن بلغتهم، ليفهموه، بل لا بد من تذكيركم لإقامة الحججة عليكم في الآخرة.

٦- وكثيراً ما أرسلنا رسلاً وأنبياء من قبلك أيها الرسول في الأمم الماضية.
٧- وما يأتي الناس من نبي لدعوتهم إلى الإيمان وطاعة الله إلا استهزؤوا به، وكذبوا برسالته. وهذا ليسرني الله (يكشف عنه الهم) عن النبي ﷺ بسبب استهزاء قومه. و«من نبي»: تدل على عموم ما بعد «من».

٨- فأهلكنا أشد من قومك قوة، وسبق في القرآن أكثر من مرة ذكر قصص السابقين وحالهم العجيبة، وإهلاكهم، بسبب بغيتهم وكفرهم، فاحذروا مثل مصيرهم.

٩- ولئن سألت هؤلاء الكفار من قومك: من أبدع وأنشأ السموات والأرض؟ لاعتترفوا بأن الخالق هو الله وحده، القوي الذي لا يقهر، العليم بكل شيء، وهم مع هذا يعبدون مع الله غيره.

١٠- الذي جعل لكم الأرض مهيئاً للعيش عليها كالفراش أو البساط، وجعل لكم فيها طرقاً، لكي تهتدوا بها لنافعكم. وهذه الآية إلى الآية [١٤] لتربيتهم على الشرك، بعد اعترافهم بأن الله هو الخالق المنعم بالنعمة الكثيرة.

١١- والذي نزل من السماء ماءً بقدرٍ فأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا
كذلك نُخْرِجُونَ ﴿١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظَّالِكِ الْأُنثَىٰ ثُمَّ يَمُرُّ بِكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا
سُبْحٰنَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٢﴾ وَإِنَّا
إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ﴿١٣﴾ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا لِّمَنْ
الْإِنْسَانُ لَكٰهُرٌ مِّمَّنْ ﴿١٤﴾ أَمْ أَلْبَسْنَا لَهُمُ الْبَنَاتِ وَأَصْفَاكُمْ
بِالْبَنِينَ ﴿١٥﴾ وَإِنَّا بُشِّرُ أَحَدَهُم بِمَا ضَرَبَ الرَّحْمٰنُ مَثَلًاظَلَّ
وَجْهَهُ مُسْوًوًا وَهُوَ كَاطِئٌ ﴿١٦﴾ أَمْ يَنْتَوُونَ فِي الْمَلَائِكَةِ
وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مَبِينٍ ﴿١٧﴾ وَجَعَلُوا الْمَلَائِكَةَ الَّذِينَ هُمْ
عِبَادٌ الرَّحْمٰنِ إِنثًا أَشْهَادًا خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ سَهْلَةً لَّهُمْ
وَيُسْأَلُونَ ﴿١٨﴾ وَقَالُوا لَوِ شَاءَ الرَّحْمٰنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ
مَا لَهُم بِذٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِن هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿١٩﴾ أَمْ أَلْبَسْنَاهُمْ
كِبَآءًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَسْكِبُونَ ﴿٢٠﴾ بَلْ قَالُوا
إِنَّا وَجَدْنَاهُ آبَاءَ عَلَيْنَا عَلَيْنَا وَآبَاءَ عَلَيْنَا نَرِيهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢١﴾

١٢- والذي خلق الأصناف كلها من المخلوقات
التي بينها تزاوج وارتباط، وجعل لكم ما تركبون عليه
في البر والبحر، على السفن، والأنعام، والمراد بها
هنا الإبل.

١٣- لتستقروا على ظهور الركوبات المذكورة، ثم
تذكروا نعمة الله عليكم إذا استقرت بكم الركوب،
فتحمده وتعظموه، وتقولوا بعد الركوب: تنزه الذي
ذلل لنا هذا المركوب عن كل نقص وعيب، وما كنا
لتسخيره وركوبه مطيقين، لولا تسخير الله لنا
وترويضه هذه الأشياء.

١٤- وإنا إلى ربنا لراجعون بعد الموت، لتجزى كل
نفس بما كسبت.

١٥- وجعل المشركون لله بعد الاعتراف بأن الله هو
الخالق من عباده ولداً، وهم الملائكة، حيث قالوا:
الملائكة بنات الله، لأن الولد جزء من الوالد، إن
الإنسان القاتل بذلك لجحود مبالغ في الكفر، مظهر
كفره، لأن جحود هذه النعم بعد وضوحها كذب
ظاهر.

١٦- بل اتخذ الله مما يخلق من مخلوقاته بنات لنفسه، وخصكم بالبنين؟ أي ليس المراد كما يظنون، حيث
تزعمون أنه جعل المفضول لنفسه ولكم الفاضل منهما.

١٧- وإذا بُشِّرَ أحد المشركين بولادة بنت له، صار وجهه أسود حزناً متغيراً بسبب الكآبة، وهو مغمغماً
وغيظاً.

١٨- أو يجعلون لله من يتربى في الزينة؟ وهم البنات، والهمزة همزة الإنكار، يتربى في وسط الزينة، وهو عاجز
عن إظهار حجته في الخصام، أي الجدال لضعفه وعجزه عن الجدال، بسبب الأنوثة.

١٩- وجعل المشركون الملائكة عباد الرحمن إناثاً حيث قالوا: إنهم بنات الله، هل حضروا إيجادهم حتى حكموا
بأنهم إناث؟ ستكتب شهادتهم أي قولهم في سجل أعمالهم للجزاء عليها، ويسألون عنها يوم القيامة. قال قتادة:
قال ناس من المنافقين: إن الله صاهر الجن، فخرجت من بينهم الملائكة، فنزل فيهم هذه الآية.

٢٠- وقال المشركون: لو شاء الرحمن- كما تزعمون أيها المؤمنون- ما عبدنا الملائكة، والمراد: ادعائهم أن تلك
العبادة بإرادة الله ورضاه عنها، ليس لهم بما يدعون من دليل علمي مقبول، وما هم إلا يكذبون. و﴿من﴾ في قوله:
﴿من علم﴾ تفيد عموم ما بعدها، و﴿إن هم﴾ إن: حرف يفيد النفي مثل (ما) النافية.

٢١- بل هل أعطيناهم كتاباً من قبل القرآن يؤيد ما قالوه ويجيز لهم عبادة الأصنام، فهم بذلك الكتاب متمسكون
بقوة، عاملون بما فيه، ويحتجون به. والمراد: أنه لم يقع ذلك.

٢٢- بل قال المشركون حين أفلست حججتهم: إنا وجدنا آباءنا على دين وملة وعادة، وإنا على آثارهم مهتدون في
سيرنا، أي نتبع طريقة آبائنا، ونسلك منهاجهم.

وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قُرْيُونَ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُنْذِرُهَا
 وَإِنَّا وَجَدْنَا أَبَاءَهُ عَلَىٰ آثَمٍ وَإِنَّا عَلَىٰ آثَمِهِ مُقْتَدِرُونَ ﴿٣٦﴾
 ﴿٣٧﴾ قَالَ لَوْ جِئْتُمْ بِآيَاتٍ كَمَا جَاءَ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا
 أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٨﴾ فَانْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتِنَا
 فِيهَا تِلْكَ الْآيَاتُ الْمُكْرَمَاتِ ﴿٣٩﴾ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأبيه وَقَوْمِهِ إِتْبِعُوا
 مِمَّا عِبَدُونَ ﴿٤٠﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيِّدِي ﴿٤١﴾
 وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِمْ لَعَلَّهُمْ يُرجِعُونَ ﴿٤٢﴾ لَوْ لَمْ يَكُنْ
 هَؤُلَاءِ وَآبَاءُهُمْ هُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُبِينٌ ﴿٤٣﴾ وَلَمَّا
 جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٤٤﴾ وَقَالُوا لَوْلَا
 نَزَّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِنَ الْقُرْآنِ عَظِيمٍ ﴿٤٥﴾ أَهْمُ
 يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ حَسْرًا مِمَّا بَيْنَهُمْ وَمَعْتَدِينَ ﴿٤٦﴾ وَفِي الْحُفُوفِ
 الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَجْزِيَ بَعْضُهُمْ
 بَعْضًا سَخِرَ بِهَا وَرَحِمَتْ رَبِّكَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٤٧﴾ وَلَوْلَا أَن
 يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ
 لِيُؤْتِيَهُمْ سُقْفًا مِنْ فِضَّةٍ وَعَسَاحٍ عَلَيْهِمْ يُظهِرُونَ ﴿٤٨﴾

٢٣- وكما قال هؤلاء المشركون في تسويغ شركهم، قال المترفون المنعمون، وهم الزعماء والكبراء من الأمم السابقة الذين أرسل إليهم الرسل: وإنا وجدنا آباءنا على طريقة ودين موروث، وإنا على طريقتهم سائرون متبعون. نزلت هذه الآية في الوليد بن المغيرة وأبي سفيان وأبي جهل وعتبة وشيبة ابني ربيعة من قريش، فكما قال هؤلاء قال من قبلهم أيضاً.

٢٤- قال لهم رسولهم: أتتبعون آباءكم، ولو جئتمكم بدين أهدى إلى طريق الحق من دين آباءكم؟ قال القوم للرسول: إنا بما أرسلتم به جاحدون، لا نؤمن ولا نعمل به.

٢٥- فانتقمنا من مكذبي الرسل قبلك بمعاقبتهم وإهلاكهم، فانظر أيها الرسول كيف كان مصير المكذبين، فهو عبرة للمعتبر.

٢٦- واذكر أيها النبي حين قال إبراهيم لأبيه وقومه عبدة الأوثان والأصنام: إنني بريء من هذه الأصنام التي تعبدونها، لا أعبدوها ولا أقربها أصلاً. و﴿براه﴾ يستوي فيها الواحد والجمع والمذكر والمؤنث.

٢٧- لكن الذي خلقني وهو الله هو الذي أعبدته وأدعوه دون غيره، وهو سيرشدني إلى الدين الحق، ويثبتني عليه.

٢٨- وجعل إبراهيم كلمة التوحيد: (لا إله إلا الله) باقية في ذريته ووصاهم بها، فلا يزال فيهم من يوحد الله، رجاء أن يرجع إليها من يشرك، فيصبح موحداً بدعوة الموحدين.

٢٩- بل تمتع هؤلاء المشركين في مكة، وامتعت آباءهم من قبلهم بالدنيا ليزدادوا إنمأ، فلم أعاجلهم بالعقوبة على كفرهم، فاغترروا بذلك، حتى أتاهم القرآن ورسول موضح لهم طريق الهداية، ظاهر الرسالة بالمعجزات، وهو محمد ﷺ.

٣٠- ولما جاءهم القرآن من عند الله، قالوا: هذا الذي جاء به محمد سحر لا وحي، وإنا بالقرآن جاحدون.

٣١- وقال كفار مكة: هلا نزل هذا القرآن على رجل عظيم سيد في قومه من عظماء وسادات مكة أو الطائف، وهو الوليد بن المغيرة من مكة، وعروة بن مسعود الثقفي من الطائف، والمراد: لو كان قرآناً لنزل على عظيم من عظماء القريتين. و﴿لولا﴾ للحض على طلب ما بعده. ذكر ابن عباس أن العرب قالوا: وإذا كان النبي بشراً، فغير محمد كان أحق بالرسالة.

٣٢- أهؤلاء القوم يقسمون رحمة ربك يا محمد، فيختارون للنبوة من أرادوا؟ لا، نحن جعلنا معيشتهم مقسومة فيما بينهم، فجعلنا بعضهم غنياً، وبعضهم فقيراً، فكيف لا يقتسمون بقسمته في أمر النبوة ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات في الرزق والمواهب وغيرها، و﴿ورحمة ربك﴾: وهي النبوة أو الجنة خير مما يجمعون من ثروات الدنيا ومتاعها. نزلت هذه الآية رداً على المشركين الذين طلبوا جعل النبوة في أحد عظيمين.

٣٣- وخشية أن يكون جميع الناس على ملة واحدة وهي الكفر، لجعلنا لبيوت الكفار سقفاً من فضة، ومصاعد وسلالم فضية يصعدون عليها.



وَلِيُؤْتِيَهُمْ آيَاتٍ مُّسْرَرًا عَلَيْهِمْ كُنُوزٌ ۖ وَذُرُوفًا وَإِنْ
 كُلَّ ذَلِكَ لَمَّا سَمِعَ الْحَيُّوَةُ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ
 لَمُنْتَفِينَ ۗ وَنَبَشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضٌ لَهُ سَيِّطُنَا
 فَهَوْلُهُ قَرِينٌ ۗ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ
 أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۗ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَهُمْ نَادَىٰ بَيْنِي وَبَيْنَكَ
 بَعْدَ أَشْرَفِينَ فَيَسِّرُ الْقَرِينَ ۗ وَلَنْ يَنْفَعَكَ الْيَوْمَ
 إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْرِكُونَ ۗ أَفَأَنْتَ تَسْمَعُ
 الصَّمَّ أَوْ تَهْدِي الْأَعْمَىٰ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ
 ۗ فَإِنَّا نَذِيرُكَ بِكَ فَإِنَّا نَمْنُهُمْ مُنْتَقِمُونَ ۗ أَوْ تُرِيكَ
 الَّذِي وَعَدْنَاهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُّقْتَدِرُونَ ۗ فَاسْتَمِيعْ بِالَّذِي
 أَوْحَىٰ إِلَيْكَ إِنَّا كَلَّمْنَاكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۗ وَإِنِّي لَأَذْكُرَنَّكَ
 وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُنصَلُونَ ۗ وَسَمَلْنَا مِنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ
 مِنْ رُسُلِنَا أَجْعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِلَهًا يُعْبَدُونَ ۗ وَلَقَدْ
 أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ
 رَبِّ الْعَالَمِينَ ۗ فَلَمَّا جَاءَهُمْ آيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ۗ

٣٤- وجعلنا لبيوتهم أيضاً أبواباً فضية، وأسرة فضية يستندون عليها.

٣٥- وجعلنا لهم كذلك زينة ونقوشاً في السُّفِّ والأبواب والسُّرور- والزخرف: الذهب أو الزينة- وما كل ذلك إلا شياً يتمتع به في الدنيا، ثم يزول بالموت، والجنة عند ربك في الآخرة لمن اتقى الشرك والمعاصي و ﴿إِنْ﴾ حرف نفي بمعنى (ما). و ﴿لَمَّا﴾ بمعنى (إلا). والمراد بالآيات الثلاث: لولا كراهة صيرورة الناس أمة واحدة في الكفر، لجعلنا للكافرين أنواع الترف بالفقصة واللوان الزخارف والزينة، لحقارة نعيم الدنيا إذا قيس بنعيم الآخرة.

٣٦- ومن يعرض عن القرآن نهى له ونسلط عليه شيطاناً، فهو له صاحب ملازم، لا يفارقه، ويتبعه في جميع أموره. نزلت هذه الآيات في كفار قريش الوثنيين.

٣٧- وإن هؤلاء الشياطين من الإنس والجن الذين يقيضهم الله لكل من يتعاضى ويعرض عن القرآن، ليصدون أصحابهم ويصرفونهم عن طريق الهداية، ويظنون أنهم بسبب وسوسة الشياطين واتباعهم لهم مهتدون إلى الحق والصواب.

٣٨- حتى إذا جاءنا المعرض عن القرآن في الآخرة، قال لشيطانة المقارن له: يا ليت بيني وبينك بُعد ما بين المشرق والمغرب، فبئس الصاحب القرين لي أنت، حيث أصلتني عن الإيمان. والمشرقان: من باب التغليب، هما المشرق والمغرب.

٣٩- ولن ينفعكم أيها المعرضون عن القرآن ندمكم يوم القيامة؛ لأنكم ظلمتم أنفسكم في الدنيا بالكفر، ولأنكم مع قرنائكم مشتركون في العذاب المستحق، ولا ينفع الندم. و ﴿إِذْ﴾ بمعنى لام التعليل. والمراد: أن المشاركة في العذاب الأخروي لا تهون الأمر، فللكل واحد نصيبه منه، على خلاف حال المصائب في الدنيا تكون المشاركة فيها مخففة أثرها.

٤٠- أفأنت أيها الرسول تسمع الصم عن سماع الحق، أو تهدي العمي عن إيصار الصواب والهدى، وتهدي كل من كان في بُعد واضح عن الحق وخطأين؟ والمراد أن هؤلاء الكفار بمنزلة الصمِّ والعُمى وأهل الضلالة لإفراطهم في الجهل والكفر. وقوله ﴿أفأنت﴾ الهزئة للاستفهام المراد به حمل السامع على التعجب. نزلت الآية لأن رسول الله ﷺ كان يعصب نفسه في دعاء قومه، وهم لا يزدنون إلا غياً.

٤١- فإما توفيتك قبل إنزال العذاب بهم، فإنا منتقمون منهم، متى شئنا عذبناهم بعذبك.

٤٢- أو تُبصِّرَنكَ الذي وعدناهم من العذاب قبل موتك، فنحن قادرون على عقابهم، وتمَّ ذلك يوم بدر.

٤٣- فتمسك بقوة أيها الرسول بالقرآن الذي أوحى به إليك، وإن كذب به المكذوبون، إنك على طريق قويم ودين حق.

٤٤- وإن القرآن لشرف عظيم لك ولقومك العرب لنزوله بلغتهم، وسوف تسألون يوم القيامة عن العمل به.

٤٥- وأسأل أيها الرسول أم الرسل الذين بعثناهم قبلك: هل أذن الله بعبادة الأوثان من دون الله في ملة من الملل؟ والمراد: الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد، وأن الأمر به قديم.

٤٦- ولقد أرسلنا من قبلك موسى بالآيات الدالة على وحدانيتنا وبالمعجزات التسع الدالة على صدق رسالته، المذكورة في الآية [١٣٣] من الأعراف [٧] وغيرها، أرسلناه إلى فرعون وأشرف رعيته وقومه، فقال لهم: إني رسول مبعوث إليكم من رب العالمين لدعوتكم إلى توحيد الله.

٤٧- فلما جاءهم موسى بآياتنا الدالة على رسالته، قابلوه فجأة بالهزء والسخرية.

٤٨- وما نري هؤلاء الجاحدين من آية من آيات المعجزات إلهي أكبر مما قبلها وأعظم في الإعجاز، وأخذناهم أخذ قهراً بعدذاب، كالستين (الجدب) والطوفان والجراد ونقص الأموال والثمرات، ليرجعوا عن الكفر والضلال.

٤٩- وقال فرعون وقومه لموسى لما رأوا العذاب: يا أيها الساحر أي العالم، حيث كانوا يُسَمُّونَ السحرة علماء، ادع الله لنا بما أخبرتنا به من عهده إليك أنا إذا آمننا كُشِفَ عنا العذاب، أي إن الله يجيب دعاءك؛ لأنك رسول الله، إننا لمؤمنون مصدقون بما جئت به.

٥٠- فدعا موسى ربه، فكشَفَ عنهم العذاب، فلما رُفِعَ عنهم العذاب إذا هم يتقصون عهدهم، ويلازمون كفرهم.

٥١- أعلن فرعون بين قومه قائلاً: يا قوم اليس لي ملك بلاد مصر، دون منازعة من أحد، وهذه الأنهار تجري من تحتي قصري، أي أنهار النيل، بتصرفي، أفلا تُبصرون قوة ملكي وعظمة سلطاني؟!

٥٢- بل أنا خير من موسى الذي هو ضعيف حقير لا عِزَّةَ له، ولا يكاد يوضح الكلام، لأنه ألق في لسانه.

٥٣- فهلا ألقى على موسى أساور ذهب إن كان عظيماً، أو جاء معه ملائكة متتابعون متقارنون

وَمَا نَرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ كَبُرَ مِنْ أَخْتِمِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا إِلَهَ السَّامِرِ ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِنْدَكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُورُونَ ﴿٥٠﴾ وَسَادَى رُفْعُونَ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مَلِكٌ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلَا تَبْصُرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَيِّتٌ وَلَا يَكَادُ يُرِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَى عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِمَّنْ ذَهَبٌ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَائِكَةُ مُقَرَّبِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَافًا وَسَلَاءً لِلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذْ أَوْفَكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا أَبْنَاتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِجْدَادًا لِمِ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ الْأَعْدَى الْأَعْدَى لَنْعَمَّا عَلَيْنَا وَجَعَلْنَا مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴿٦٠﴾

مصاحبون له، يعاونونه على تأديب مخالفيه، ويشهدون له بالنبوة؟

٥٤- فحمل قومه على خفة الجهل والسفه بكيد، فأطاعوا أمره، إنهم كانوا خارجين عن طاعة الله تعالى.

٥٥- فلما أغضبونا بالإفراط في العصيان والفساد، انتقمنا منهم، فأغرقناهم أجمعين في البحر.

٥٦- فجعلناهم متقدمين غيرهم من الكفار في العذاب في القبر والآخرة، وقدموا لمن بعدهم، وعظة وعبرة للآخرين.

٥٧- ولما جعل عيسى ابن مريم مثلاً، أي حجة وبرهاناً، إذا قومك كفار قريش يضحجون ويضحون بالضحك فرحين بذلك المثل، زاعمين أنهم أفحموا النبي ﷺ بما سمعوا. نزلت في مجادلة ابن الزبير مع النبي ﷺ حين نزل قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصْبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء ٢١/٩٨] فقال ابن الزبير: خُصِمْتُكَ وَزُبُ الكعبة، أليست النصراني يعبدون المسيح، واليهود عزيزاً، وينو مليح الملائكة؟ فرح بذلك من قوله، فنزلت هذه الآية، وآية ﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الْحَسَنِ، أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ﴾ [الأنبياء ٢١/١٠١].

٥٨- وقالوا: أآلهتنا خير أم عيسى خير منها، فإن كان في النار فلنكن آلهتنا معه في النار أيضاً، فردَّ الله عليهم بأن المشركين ما ضربوا لك هذا المثل إلا لأجل الجدل والخصومة بالباطل، لا طلباً للحق والحقيقة، بل هم قوم مجادلون بالباطل، شديدو الخصومة.

٥٩- ما عيسى ابن مريم إلا عبد من عباد الله أنعمنا عليه بالنبوة والرسالة، وجعلنا ولادته من غير أب مثلاً، أي آية ودليلاً على قدرتنا، لبني إسرائيل وغيرهم من الناس. و﴿مثلاً﴾ أي كالمثل السائر في غرابته، يستدل به على قدرة الله تعالى.

٦٠- ولو نشاء لجعلنا بدلاً منكم ملائكة في الأرض يخلقونكم فيها ويقومون بعمارتها.



٦١- وإن خروج المسيح لعلامة على قيام الساعة، لكونه من أسراطها وأماراتها، كخروج الدجال، فلا تشكروا في وقوعها، فهي واقعة كائنة لا محالة، واتبعوني وأطيعوني فيما أمركم به من توحيد الله وإبطال الشرك، وهذا الذي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ طَرِيقٌ قَوْمٍ لَا عِوَجَ فِيهِ، مُؤَدِّ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

٦٢- ولا يصرفنكم الشيطان بوساوسه عن اتباع الحق، إنه لكم عدو ظاهر العداوة، يدعوكم للضلال والهلاك.

٦٣- ولما جاء عيسى بالمعجزات وآيات الإنجيل لبني إسرائيل قال: قد جئتكم بالنبوة والإنجيل، ولأوضح لكم بعض ما تختلفون فيه من أحكام التوراة، فخافوا عقاب الله، باجتناب معاصيه، وأطيعوني فيما أمركم به من التوحيد والشرائع.

٦٤- إن الله هوري وربكم فاعبدوه وحده وأطيعوا أمره وشرعه، وهذا الذي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ هُوَ الطَّرِيقُ الْقَوِيمُ الْمَوْصِلُ إِلَى الْجَنَّةِ وَرِضْوَانِ اللَّهِ تَعَالَى.

٦٥- فاختلفت الفرق المتحزبة من اليهود والنصارى في شأن عيسى، أهو إله، أم ابن الله، أم ثالث ثلاثة، فهلاك وعذاب للذين كفروا وأشركوا بالله ولم يعملوا بشرائعه، من عذاب مؤلم يوم القيامة.

وَأَنَّهُ لَعْنَةُ السَّاعَةِ فَلَا تَعْدُرُ بِهَا وَأَتَّبِعُونَ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦١ وَلَا يَصُدُّكُمْ الشَّيْطَانُ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ٦٢ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلَآئِينَ لَكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَخْتَلَفُونَ فِيهِ فَأَتَقُوا اللَّهَ وَالطَّاعِينَ ٦٣ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ٦٤ فَأَخْلَفَ الْأَخْرَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ قَوْلًا لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمَ الْيَوْمِ ٦٥ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ٦٦ الْأَخْلَاءُ يُومِئُونَ بِأَعْيُنِهِمْ لِغَيْبِ عَدُوِّ الْأَمْتِقِينَ ٦٧ يَبْغَادُ لَأَخَوْفٌ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ ٦٨ الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ ٦٩ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ ٧٠ يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِيفَاتٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا تَخْلَدُونَ ٧١ وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورَثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٧٢ لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِنْهَا تَأْكُلُونَ ٧٣

٦٦- هل ينتظرون إلا مجيء الساعة فجأة، وهم لا يشعرون بوقت مجيئها، لغفلتهم عنها. و ﴿هل﴾ حرف استفهام إنكاري يفيد النفي، أي لا ينتظرون إلا قيام الساعة.

٦٧- الأصحاب أو الأصدقاء المتحابون في الدنيا من أجل متاعها ومنافعها فقط، يعادي بعضهم بعضاً يوم القيامة، إلا أهل التقوى الذين التزموا الأوامر واجتنبوا النواهي وتحابوا في الله، فإنهم أصدقاء أوفياء. نزلت في أمية بن خلف الجمحي وعقبة بن أبي معيط اللذين كانا خليلين، واتفقا على إيذاء النبي ﷺ، فقتلا يوم بدر.

٦٨- ويقال للمتقين المتحابين في الله يوم القيامة: يا عبادي لا خوف عليكم اليوم من مكروه، ولا أنتم تحزنون على شيء فاتكم في الدنيا.

٦٩- أنتم يا عبادي الذين صدقوا بآياتنا القرآنية، وكانوا خاضعين منقادين لله، مخلصين، طائعين.

٧٠- يقال لهم: ادخلوا الجنة، أنتم وزوجاتكم المؤمنات، تسرون وتكرمون وتعمون.

٧١- يطاف عليهم في الجنة بطعام في صحاف (قصاع وطباق) وآية شراب من ذهب، وفي الجنة ما تشتهي الأنفس تحصيله، وتلذذ العين النظر إليه، من فنون الأطعمة والأشربة، وأنتم في الجنة ما كشون على الدوام، لا تموتون ولا تخرجون منها.

٧٢- ويقال لهم: هذه الجنة التي صارت إليكم كصيرورة الميراث، تشبيهاً لجزاء العمل بالميراث، بسبب ما عملتم في الدنيا من صالح الأعمال.

٧٣- لكم في الجنة أيضاً فاكهة كثيرة الأنواع، تأكلون منها ما لذ وطاب، دون نفاذ لدوامها.

٧٤- إن الذين كفروا بالله ما كشون على الدوام في نار جهنم، لا يخرجون منها.

٧٥- لا يُخَفَّفُ عنهم العذاب فترة، وهم فيه آيسون من النجاة.

٧٦- وما ظلمناهم شيئاً، فلا تعذبهم بغير ذنب، ولا تزيد عليهم ما يستحقون، ولكن كانوا هم الظالمين أنفسهم بالكفر والمعاصي.

٧٧- ونادى هؤلاء المجرمون الكافرون بعد بأسهم من تخفيف العذاب: يا مالك خازن النار، ليقتض علينا ربك بالموت، أسأله أن يمتننا فيريحنا من العذاب، نرجو الله ذلك، فأجابهم: إنكم مقيمون في العذاب أبداً.

٧٨- قال الله تعالى: لقد جنتاكم أيها المكبون وغيركم من الكفار بالحق الثابت من البعث والحساب على لسان رسولنا، وأنزلنا عليكم القرآن والكتب السابقة، ولكن أكثركم كارهون للحق.

٧٩- بل أحكموا تدبير أمر، في كيد النبي ﷺ، وقتله وإبطال دعوته؟ فلما محكمون لهم كيداً بإهلاكهم ومجازاتهم. قال مقاتل: نزلت في تدبيرهم في المكر بالنبي ﷺ في دار الندوة. أم للانتقال من كلام سابق إلى الإنكار عليهم في تأمرهم.

٨٠- بل إنهم يظنون أن الله لا يسمع حديث الخفية مع النفس أو الغير في مكان، وتناجيهم فيما يتهامون به بينهم، بل، نسمع ذلك ونعلم به، وتكتب رسلنا حفظة الملائكة

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّهِمٍّ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَخَفِرُ عَنْهُمْ وَهُمْ

فِيهِ مُبْسُوُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾

وَأَدَّأ بِمَلَائِكٍ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكْرُؤُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ

جُنْتُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَمْثَلُ مَا نُنَزِّلُ

فَأَنَّا مُبْرَمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سُرُسْرَهُمْ وَنَحْوَهُمْ

بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّ إِن كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا

أَوَّلَ الْعَالَمِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحٰنَ رَبِّ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ

عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرَهُمْ مَخْرُوضًا وَيَلْمِئُوهُ حَتَّىٰ يَلْقَؤُا يَوْمَهُمُ

الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾ وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ

إِلَهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَبَارِكْ لِلَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ

وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾

وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَن

شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن خَلَقَهُمْ

لَيَقُولَنَّ اللَّهُ فَاَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلَ لَهُ بَرَبِّ ان هٰؤُلَاءِ قَوْمٌ

لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَاصْفَعْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾

الملازمون عندهم جميع ما يصدر عنهم من أقوال وأفعال و﴿بلى﴾ لإبطال النفي قبله، وتقرير ما بعده. نزلت في ثلاثة بين الكعبة وأستارها، وهم قرشيان وثقفي، قال واحد منهم: ترون الله يسمع كلامنا؟ وقال آخر: إذا جهرت سمع، وإذا أسررت لم يسمع.

٨١- قل أيها الرسول: إن ثبت أو وجد للرحمن ولد كما تزعمون، فأننا أول المعظمين له، ولكنه شيء مستحيل، وثبت بالدليل القاطع ألا ولد له تعالى، فمستحيل أن أعبد غير الله تعالى.

٨٢- تنزه الله مالك السموات والأرض عن كونه ذا ولد وعن كل نقص، خالق العرش ومالكه، تنزيهاً عما يصفون.

٨٣- فدعهم أو اتركهم يخوضوا في باطلهم، ويلهوا في دنياهم، حتى يلاقوا يوم القيامة الذي يوعدون به.

٨٤- والله هو الإله في السماء وفي الأرض، لا يعبد بحق سواه، وهو الحكيم في تدبير خلقه، العليم بمصالحهم.

٨٥- وتعاضم وتمجد الله مالك السموات والأرض وما بينهما كالهواء وجميع المخلوقات، وعنده علم وقت القيامة، وإليه ترجعون في الآخرة، فيجازي كل واحد بما يستحق من خير أو شر.

٨٦- ولا يملك العبودون من دون الله كالأصنام والأوثان. ويدعون: يعبدون. الشفاعة عند الله، لكن من شهد بأن الله هو الحق، وهو الإله الواحد، وهم على علم وبصيرة ويقين بما شهدوا به، فهم الشافعون بإذن الله تعالى.

٨٧- ولئن سألت أيها النبي المشركين: من الذي خلقهم؟ لقالوا وأقروا بأن الله هو خالقهم وخالق كل شيء، فكيف يصرفون عن عبادة الله إلى عبادة غيره بعد هذا الإقرار؟!

٨٨- ﴿وقيله﴾: الواو للقسمة، والقال والقبل والقول واحد، أي وحق قول الرسول شاكياً أنهم لا يؤمنون لأعدبهم بما

يستحقون، وقوله: ﴿بارب﴾، إن هؤلاء الذين بعثني إليهم قوم لا يُصدِّقون برسالتي ودعوتي.

٨٩- فأجاب الله تعالى بقوله: فاعف عن المشركين، وأعرض عنهم إعراض العاقل عن الجاهل، وقل لهم: سلام عليكم سلام ترك وإهمال، لا سلام تحية، فسوف يعلمون عاقبة تكذيبهم وكفرهم. فيه تهديد ووعيد شديد.

سورة الدخان

- ١- حاميم: للدلالة على إعجاز القرآن المركب من هذه الحروف العربية، والعرب لا يتمكنون من معارضتها، وللتبني إلى خطورة ما يلقى بعدها من أحكام.
- ٢- أقسم بهذا القرآن الموضح للناس ما يحتاجون إليه من الأحكام والشرائع.
- ٣- ابتدأنا إنزال القرآن في ليلة القدر المباركة، إنا كنا مخوفين من المعاصي ومحذرين منها.
- ٤- في ليلة القدر يفصل ويبين كل أمر محكم لا كسب فيه، من التشريعات والأرزاق والآجال ونحوها. والتعبير بـ ﴿يفرق﴾ للمستقبل عن الماضي، لأجل استحضار الصورة.
- ٥- أعني بهذا الأمر أمراً حاصلًا من عندنا على مقتضى حكمتنا، إنا أنزلنا لأجل إنا كنا مرسلين للأنبياء.
- ٦- إنا كنا مرسلين الرحمة إلى البشر، وهي رسالة الرسل راقية بالمرسل إليهم، إنه سبحانه السميع لأقوال عباده، العليم بأحوالهم وأفعالهم.
- ٧- خالق ومدبر السموات والأرض وما بينهما، إن كنتم تطلبون اليقين وتريدونه، فإن اعترفتم بأنه تعالى الخالق، فعليكم الاعتراف بوحدانيته.
- ٨- لا إله يعبد بحق إلا الله وحده لا شريك له، يحيي ويميت كما تشاهدون، خالقكم وخالق آبائكم السابقين.
- ٩- بل المشركون في شك من البعث وهذا القرآن،

يهزؤون بالنبي ﷺ ويقرأهم بأن الله خالقهم وخالق سائر الناس والمخلوقات، فهم يفعلون ذلك لعباً وهزأً. وهو رد لكونهم موقنين.

١٠- فانتظر أيها النبي ما يحل بهؤلاء المشركين المستهزين يوم تأتي السماء بظلمة في الجو، يراها المكروب كأنها دخان واضح. وهذا من أشرط الساعة، أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود: أن قريشاً لما استعصت على رسول الله ﷺ وأبطؤوا عن الإسلام، قال: اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف، فأصابهم قحط وجهد، حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء، فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجوع. فانزل الله ﴿فارتقب يوم تأتي السماء﴾ فأتى النبي ﷺ فقيل: يا رسول الله، استسق الله لضر، فاستسقى لهم فسقوا.

١١- يحيط الدخان بالناس من كل جانب، فيقولون: هذا عذاب مؤلم.

١٢- ويقولون: ربنا اكشف العذاب عنا، إنا مصدقون بك وبنبيك. وهذا وعد بالإيمان إن كشف العذاب عنهم.

١٣- كيف ومن أين لهم التذکر عند كشف العذاب؟ والحال أنه جاءهم رسول يبين لهم الحق، وكل ما يحتاجون إليه من أمر

الدين.

١٤- ثم أعرضوا عنه وقالوا عنه تارة: يعلمه بشر وليس رسولاً، وتارة: إنه مجنون.

١٥- أخبر الله عن نفسه بأنما كاشفو العذاب بدعاء النبي ﷺ كشافاً أو زماناً قليلاً، إنكم عائدون إلى الكفر، فعادوا إليه بحسب

طبعهم.

١٦- يوم نأخذ بقوة وشدة بالضربة الكبرى إما يوم القيامة أو يوم بدر، وذلك عند عودتكم إلى الضلال، إنا منتقمون منكم

كالانتقام من السابقين، حتى لا يبقى أثر للشرك فيهم.

١٧- ولقد اختبرنا قبل مشركي مكة قوم فرعون وهم الأقباط، أرسل الله إليهم رسولاً جامعاً لحصال الخير، وهو موسى عليه

السلام.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 حَمْدٌ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ١ إنا أنزلناه في ليلة
 مبكرة إنا كنا منذرين ٢ فيها يفرق كل أمر
 حكيم ٣ أمر من عندنا إنا كنا مرسلين ٤ رحمة من ربك
 إنه هو السميع العليم ٥ رب السموات والأرض وما بينهما
 إن كنتم موقنين ٦ لا إله إلا هو يحيي ويميت ربكم
 ورب آباؤكم الأولين ٧ بل هم في شك يلعبون
 ٨ فارتقب يوم تأتي السماء بدخان مبين ٩ يغشى
 الناس هذا عذاب أليم ١٠ ربنا اكشف عنا العذاب
 إنا مؤمنون ١١ أن لهم الذكري وقد جاءهم رسول مبين
 ١٢ فقولوا عنه وقالوا معلونون ١٣ إنا كاشفو العذاب
 قليلاً إنكم عابدون ١٤ يوم نبطش البطشة الكبرى إنا منتقمون
 ١٥ ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم ١٦
 ١٧



١٨- أَنْ أَدْوَأَ إِلَىٰ عِبَادِ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلَمُوا
 عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عَدْتُ
 بِرَبِّي وَإِنَّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعْرِضُوا عَنْهُ فَلَمَّا
 رَآهُ أَنَّ هَؤُلَاءَ قَوْمٌ مُّشْرِكُونَ ﴿٢١﴾ فَأَسْرَبُوا بِأَيْدِي لَيْلٍ إِلَيْكُمْ
 مُّشْعُونَ ﴿٢٢﴾ وَأَنْزَلْنَا الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُّغْرَبُونَ ﴿٢٣﴾ كَذَّبُوا
 بِرُكُوعٍ مِنْ جَنَّتٍ وَعَيْبُونَ ﴿٢٤﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٥﴾ وَنَعْمَةً
 كَانُوا فِيهَا أَفْكَهَيْنَ ﴿٢٦﴾ كَذَلِكَ وَأَوْسِنَا قَوْمَاءَ آخِرِينَ ﴿٢٧﴾
 فَأَبَاكَ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا نَظِيرِينَ ﴿٢٨﴾ وَلَقَدْ
 بَجَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٢٩﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ
 كَانَ عَالِيًا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَقَدْ أَخَذْنَاهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَىٰ
 الْعَالَمِينَ ﴿٣١﴾ وَأَنَّا نَسْتَعْتَابُ مِنَ آيَاتِ مَا فِيهِ بَلَاءٌ مُّبِينٌ
 ﴿٣٢﴾ إِنْ هَؤُلَاءَ لَيَقُولُونَ ﴿٣٣﴾ إِنْ هِيَ إِلَّا أَمْوَالُنَا الْأُولَىٰ
 وَمَا نَحْنُ بِمُشْرِكِينَ ﴿٣٤﴾ فَأَنزَلْنَا بِآيَاتِنَا أَنْ كُفِّرُوا صُلُوبَهُمْ أَهْلُهُمْ
 حَبْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكَتَهُمْ أَنَّهُمْ كَانُوا مُّشْرِكِينَ
 ﴿٣٥﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَبِيدَ ﴿٣٦﴾

١٨- أن أرسلوا معي بني إسرائيل أو أدوا إلي حق الله من الإيمان وقبول الدعوة، إني لكم رسول مؤمن على ما أرسلت به وأوحى إلي، غير منهم.
 ١٩- ولا تتكبروا على الله بترك طاعته، والاستهانة بوحيه ورسوله، إني آتيتكم ببرهان واضح على رسالتي، وهذا علة النهي عن التجبر والتكبر.
 ٢٠- وإني تحصنت أو اعتصمت بالله ربي وربكم من قتلي رمياً بالحجارة.
 ٢١- وإن لم تصدقوا برسالتي، فأتركوني وشأني، أو خلوا سبيلي، ولا تؤذوني.
 ٢٢- فدعا موسى ربه أن هؤلاء: فرعون وقومه قوم كافرون. وهو سبب الدعاء عليهم.
 ٢٣- ففسر ببني إسرائيل عبادي ليلاً، إنكم ملاحقون يتبعكم فرعون وجنوده.
 ٢٤- وأترك البحر ساكناً مفتوحاً على هيئته بعد ضربه بالعصا، حتى يدخل فيه فرعون وجنوده، إنهم جند غارقون في البحر. وهذا الخبر لتسكين قلب موسى وقومه.
 ٢٥- كثيراً ما تركوا من بساتين خضراء وعيون ماء جارية.
 ٢٦- وزروع متنوعة ومنازل ومجالس حسنة.

٢٧- ونعمة: وهي المال والخير الواسع، كانوا فيها متنعمين هانئين.
 ٢٨- الأمر كذلك، وورثنا أموالهم قوماً آخرين غيرهم وهم بنو إسرائيل.
 ٢٩- فما بكت عليهم السماء لعدم العمل الصالح، ولا الأرض لعدم العبادة فيها، وهو مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم، وما كانوا مؤجلي العقوبة، بل عوجلوا بها لشدة كفرهم.
 ٣٠- ولقد خلصنا بني إسرائيل من الذل والاستعباد وقتل الأبناء، بإهلاك عدوهم.
 ٣١- نجيناهم من طغيان وتعذيب فرعون، إنه كان متعالياً على الناس، من التجاوزين الحد في الكفر والعصيان.
 ٣٢- ولقد اخترنا بني إسرائيل على الناس في زمانهم، على علم منا باستحقاقهم ذلك في زمانهم؛ لأنهم كانوا مؤمنين، وأغلب من سواهم وثيون، فلما بدكوا وخالفوا الوحي الإلهي غضب الله عليهم إلى الأبد.
 ٣٣- وآتيناهم على يد موسى من المعجزات والأدلة والبراهين ما فيه اختبار ظاهر.
 ٣٤، ٣٥- إن هؤلاء المشركين القرشيين ليقولون: ما هي إلا موتتنا الأولى التي ثمرتها في الدنيا، وما نحن بمبعوثين بعد الموت.
 ٣٦- فإن كان البعث حقاً فأتوا بأبائنا الذين ماتوا قبلنا وأرجعهم إلينا بعد موتهم، إن كنتم صادقين في اعتقاد البعث وفيما تخبروننا به من أمر الآخرة.
 ٣٧- أهؤلاء المشركون خير في القوة والنعمة، أم قوم تبع الحميري من ملوك اليمن، الذي تغلب على سكان الدنيا وقهرهم، ولكنه كان رجلاً مؤمناً صالحاً؟ وكذلك الذين جاؤوا من قبلهم من الكفار كعاد وثمود، أهلكتهم بذنوبهم، إنهم كانوا كافرين. والمراد: ليس كفار قريش أقوى منهم.
 ٣٨- وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات عابثين لاهين.

مَا خَلَقْتَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنْ كَرِهْتُمْ لِاتِّعَامُونَهُ ۗ إِنَّ يَوْمَ
الْفَصْلِ مِثْقَلُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا
وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ الْإِيمَنُ رَحْمَةُ اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ
﴿٤٢﴾ إِنْ شَجَرْتَ الزُّقُومَ ﴿٤٣﴾ طَعَامَ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَأَلْمَهْلِ يَغْلِي
فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَهَلِي الْجَحِيمِ ﴿٤٦﴾ خُدُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ
﴿٤٧﴾ ثُمَّ صَبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْجَحِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ
الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي
مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُنْدُسٍ
وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَغَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَرَوَّجْتُهُمْ مَحْجُورِينَ ﴿٥٤﴾
يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ آمِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ
إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّهَهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلًا
مِنْ رَبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَأَمَّا يَسَّرْنَاهُ لِيَسَّاءَكَ
لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَزْتَقَبْ إِنَّهُمْ مُرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾



٣٩- ما خلقناهما وما بينهما إلا خلقاً ملازماً للحق،
ولإقامة الحق، ولكن أكثرهم وهم المشركون المكيون لا
يعلمون أن الأمر كذلك لقلّة نظرهم.

٤٠- إن يوم القضاء الفصل بين الخلائق، وهو يوم
القيامة لتمييز المحسن من المسيء هو وقت موعدهم
للعذاب الدائم.

٤١- يوم لا ينفع قريب عن قريب، ولا يدفع عنه
شيئاً، ولا هم ينعون من العذاب.

٤٢- لكن من رحم الله بالعفو عنه وقبول الشفاعة
فيه، وهو المؤمن، فهو الذي يتجو بإذن الله، إنه تعالى
القوي الغالب، فلا ينصر من أراد تعذيبه، الرحيم بمن
أراد أن يرحمه، وهم المؤمنون.

٤٣، ٤٤- إن شجرة الزقوم ذات الثمر المر التي تثبت
في أصل الجحيم هي طعام الأثم كثير الإثم. قال أبو
مالك: إن أبا جهل كان يأتي بالتمر والزبد،
فيقول: تزقوموا فهذا الزقوم الذي يعدكم به محمد،
فنزلت هذه الآية.

٤٥، ٤٦- وهو طعام كعكر الزيت والقطران أو
كسائل المعادن من الذهب والفضة والنحاس ونحوها،
يغلي في بطون الكفار، كغلي الماء الساخن.

٤٧- يقال للزيانية: خذوا الأثيم، فجردوه بعنف
وقسوة إلى وسط النار.

٤٨- ثم صبوا فوق رأسه من الماء الشديد الحرارة الذي يصهر الرأس.

٤٩- ويقال له تهكماً وتوبيخاً: ذق العذاب أيها المتعزز المكرم في زعمك حين تقول: ما بين جليلها أعز وأكرم مني.
قال عكرمة: «لقى رسول الله ﷺ أبا جهل، فقال: إن الله أمرني أن أقول لك: أولى لك فأولى، ثم أولى لك
فأولى، فنزع يده من يده، وقال: ما تستطيع لي أنت ولا صاحبك من شيء، لقد علمت أنني أمتع أهل
البطحاء، وأنا العزيز الكريم، فقتله الله يوم بدر، وأذله وغيره بكلمته، ونزل فيه قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ
أنت العزيز الكريم﴾».

٥٠- إن هذا العذاب ما كنتم به تشكرون في الدنيا.

٥١، ٥٢- إن المتقين في مجلس أو مكان آمن من جميع المخاوف في الآخرة، في بساتين خضراء، ويتابع جارياً.

٥٣- يلبسون في الجنة ثياباً من رقيق الديباج وغلظه أو سمكه، متقابلين في مجالسهم ينظر بعضهم إلى بعض.

٥٤- الأمر كذلك وهو حال أهل الجنة، وقرّناهم بنساء بيض حسان، واسعات العين، مع شدة بياضها وشدة
سوادها.

٥٥- يطلبون في الجنة ما أرادوا ويأمرون بإحضار ما يشتهون من الفواكه وغيرها آمنين من نفاذها ومن الآلام.

٥٦- لا يذوقون في الجنة الموت أبداً، لكن الموتة التي ذاقوها في الدنيا وانتهى أمرها، وحماهم من عذاب الجحيم.

٥٧- أعطاهم ربهم ذلك تفضلاً وإحساناً، ذلك الفوز الذي لا فوز بعده، لخلاصه من المكارة.

٥٨- فأما أنزلنا القرآن بلغتنا، وجعلناه ميسراً للفهم، ليتذكروا ويتعظروا بما فيه، فيؤمنوا بك.

٥٩- فانتظر ما وعدناك به من النصر عليهم وإهلاكهم إن لم يؤمنوا، إنهم منتظرون موتك، أو غيره من المصائب.

سورة الجاثية

فضلها ونزولها: عن ابن عباس: أنها نزلت في عمر رضي الله عنه، شتمه رجل من المشركين بمكة قبل الهجرة، فأراد أن يبطش به، فأنزل الله عز وجل الآية [١٤].

١- حا، ميم، كما تقدم في السورة السابقة.

٢- هذا القرآن منزل عليك أيها الرسول من عند الله القوي الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه.

٣- إن في خلق السموات والأرض لأدلة على حكمته تعالى وقدرته ووحدانيته للمصدقين به.

٤- وفي خلق الله لكم أيها الناس في أطوار وأحوال مختلفة، وما ينشر ويوزع في الأرض، من أي دابة تدب على الأرض، دلالات واضحة على قدرة الله، لقوم يُصدقون بقدرة الله على البعث وغيره.

٥- وفي اختلاف الليل والنهار طولاً وقصرأ، وتعاقبهما أثر بعضهما، وفي إنزال المطر الذي هو سبب الرزق، فأحيا به الأرض بالإنبات بعد جدها، وفي تغيير اتجاهات الرياح من جهة إلى جهة، جنوباً وشمالاً، حارة وباردة، عاصفة ولينة، دلالات واضحة على وحدانية الله وقدرته، لقوم ذوي عقول.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

حَمْدٌ تَبْدَأُ الْكُتُبَ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ١ وَإِن فِي السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ٢ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُذُّ مِنْ دَبَابٍ آيَاتٌ
لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ٣ وَأَخْلَفَ لَيْلٍ وَالنَّهَارِ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ
مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصَرَّفَ بِالرِّيحِ آيَاتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ٤ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْزَلُهَا عَلَيْكَ يَا مُحَمَّدٌ فِي أَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ
أَلْفِ وَآلِفٍ يُؤْمِنُونَ ٥ وَبَلِّ لِكُلِّ فَاكِهٍ آيَاتِهِ ٦ بِسْمِعِ آيَاتِ
اللَّهِ تَتَلَّى عَلَيْهِ فَرُصْرُؤٌ مُّسْكِرٌ كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٧
وَإِذَا عَلِمَ مِنَ الْبِنَاتِ أَخَذَ هَاهُنَا أَوْلِيكَ لَمْ تُعَذَّبْ
شَهِيئٌ ٨ مِنْ دَرَكِهِمْ جَهَنَّمَ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا
وَلَا مَا أَخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ٩ هَذَا
هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزِ أَلِيمٍ ١٠
اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَجْرًا لِمَا فِيهِ بَأْسٌ كَثِيرٌ وَلِيُنذِرَ الَّذِينَ
فَضَّلُوا وَعَلَمَكُمْ تَسْكُرُونَ ١١ وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي
الْأَرْضِ جَمِيعًا مِمَّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ١٢

٦- تلك الأدلة والآيات القرآنية تقصها عليك، متصفة بالحق والصدق الذي لا باطل فيه ولا كذب، فبأي كلام بعد كلام الله وأدلته وآياته يصدقون؟! ١

٧- هذا عذاب وهلاك لكل كذاب مفتر على الله، كثير الإثم.

٨- يسمع آيات الله تقرأ عليه، ثم يبقى مصراً على كفره وجعوده، متكبراً متعاضماً في نفسه عن الانقياد للحق الذي هو كلام الله، كأنه لم يسمع ما فيها من وعد ووعيد، فأخبره بأن له عند الله عذاباً شديداً الأليم يوم القيامة. والبشارة هنا تهكم به، والمراد: الإنذار والتخويف. نزلت في النضر بن الحارث الذي كان يشتري أحاديث الأعاجم، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن.

٩- وإذا لم يسمع الآيات، ولكنه علم بها من غيره، اتخذ الآيات القرآنية موضوعاً للسخرية والهزاء، أولئك الأفاكون الساخرون لهم عذاب مذل مفضوح يوم القيامة.

١٠- تنتظرهم جهنم، ولا يدفع عنهم شيئاً من العذاب ما كسبوا من الأموال والأولاد في الدنيا، ولا تنفعهم آلهتهم الأصنام ونحوها التي عبدوها واتخذوها نصراء من دون الله، ولهم عذاب عظيم شديد في جهنم.

١١- هذا القرآن هداية وإرشاد إلى الحق والصواب، والذين جحدوا وكذبوا بآيات القرآن لهم عذاب من أشد أنواع العذاب.

١٢- الله الذي هياً وذللكم البحر يجعله على صفة قابلة للركوب عليه في السفن، لتسير فيه السفن بإذنه، وتسخير، ولتطلبوا فيه من فضل الله بالتجارة والصيد والغوص، ولتشكروا الله على هذه النعم بسبب التسخير في البحر.

١٣- وذللكم لعباده جميع ما في السموات من شمس وقمر وأمطار ورياح، وجميع ما في الأرض من خيرات وكنوز ومنافع، إن في ذلك التذليل لدلائل واضحة على قدرة الله وتوحيده، لقوم يتفكرون فيها.



١٤- قل أيها الرسول للمؤمنين بالله ورسالتك: أن يصفحوا عن الذين لا يتوقعون عذاب الله، كعذاب الأمم السابقة، ليجزي قوماً وهم المؤمنون في الآخرة بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الصالحة. والمراد بأيام الله: أنواع العذاب والمصائب التي أنزلها الله بالأمم الماضية. نزلت هذه الآية كما تقدم في عمر (رض) وفي الذي أساء إليه وشتم المؤمنين وهو عبد الله بن أبي، فاشتمل عمر بسيفه يريد التوجه إليه، فأنزل الله هذه الآية في بدء الإسلام قبل إنزال آيات الجهاد.

١٥- من عمل عملاً صالحاً فلنفسه الأجر والثواب، ومن أساء بالمعصية فعلى نفسه وزر عمله، ثم ترجعون إلى ربكم جميعاً أيها الناس، فيحاسبكم على أعمالكم.

١٦- ولقد أعطينا بني إسرائيل التوراة، ووسائل فصل الخصومات من الفهم وفقه الدين، وجعلنا منهم الأنبياء والرسل، ورزقناهم من المباحات اللذائذ كالمن والسلوى، وفضلناهم على عالمي زمانهم البشر بمزايا كفلق البحر، والتوراة، وقوة الإيمان واليقين.

١٧- وأعطيناهم دلائل واطحات من أمور الدين ومنها المعجزات، أو شواهد إثبات نبوة خاتم النبيين فلم يقع الاختلاف بينهم في الدين إلا بعد مجيء العلم إليهم ببيان مبادئ الدين وشرائع الحلال والحرام، عداوة

وحسداً بين بعضهم، وطلياً للرياسة، إن ربك أيها النبي يحكم بينهم يوم القيامة في اختلافات الدين، فيجازي كل إنسان بما يستحق، حسناً أو سوءاً. و«يقضي» أي بالمواخاة والمجازاة.

١٨- ثم جعلناك أيها الرسول على طريقة ومنهاج واضح من أمر الدين، يوصلك إلى الحق، فاعمل بشريعتك المنزلة إليك، ولا تتبع أهواء كفار قريش ونحوهم الذين لا يعلمون توحيد الله وشرائعه فيما دعوك إليه من اتباع ملتهم.

١٩- إن هؤلاء المشركين الجاهلين الذين لا يعلمون، لن يدفعوا عنك شيئاً من عذاب الله إن اتبعت أهواءهم، وإن الكافرين بعضهم أنصار بعض على الباطل، والله ناصر المتقين الذين تجنبوا الشرك والمعاصي.

٢٠- هذا القرآن وآياته مبصرات ومبشرات للقلوب وبراهين على أحكام الدين، وهدى من الضلال، ومرشد لطريق الفوز بالجنة وبرضوان الله، ونعمة من الله، لقوم يطلبون اليقين ويؤمنون حقاً بالبعث.

٢١- أبطل ظن الذين اقتصروا أو اكتسبوا الكفر والمعاصي أن يجعلهم في الآخرة كالذين آمنوا بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، وعملوا الأعمال التي أمر الله بها، بأن نسوي بين المسيئين والمحسنين، أو يجعلهم مستوين في الحساب في حياتهم وبعد موتهم، بشس هذا الحكم الذي يحكمون به بالتسوية بين الفريقين. و«أمم» تفيد الإنكار وقطع الكلام عما قبله، والمراد: إنكار الحسبان أو الظن، أي: أبطل، نزلت في ثلاثة من المشركين: عتبة وشيبة والوليد بن عتبة، قالوا لثلاثة من المؤمنين: حالنا في الآخرة أفضل من حالكم، كما أننا أفضل حالاً منكم في الدنيا.

٢٢- وأوجد الله السموات والأرض بالحق، والخلق بالحق يستدعي العدل وتفاوت المحسن والمسيء، والمراد: أن الله فعل ذلك لتمام العدل، ولتجزي كل نفس بما كسبت من الطاعات والمعاصي.

قُلْ الَّذِينَ آمَنُوا بَعَرُوا الَّذِينَ لَا يُرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ تَبْيِينَ مِنَ الْأَمْرِ فَمَا آخَرُوا الْإِيمَانَ بَعْدَ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعِيًا بِتُفْهُهُنَّ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَنْ يَغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَأَنْ أَظْلَمَ لِمَنْ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَتِ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ آجَرُوا حُرًّا لِّلشَّيْطَانِ أَنْ يَجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مِّمَّا هُمْ سَاءٌ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾

أَوْعَيْتَ مِنْ أَخَذِ الْهُدَى هُوَهُ وَأَصْلُهُ اللَّهُ عَلَى عِلْمٍ وَخَفَرَ عَلَى سَمْعِهِ
 وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَى بَصَرٍ وَعَشْوَةً فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا
 تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا نُنْجِيكُمَا
 إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُ بَدَأُكَ مِنْ عِلْمٍ إِن هِيَ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِنَّا سَأَلْنَا
 عَلَيْهِمْ أَنبَأْتِيبَتِ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَعْنَا عِبَابَاتٍ إِنْ
 كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُجِيبُكُمْ ثُمَّ يُمْسِكُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَى يَوْمِ
 الْقِيَامَةِ لَأَرْبِيبٍ فِيهِ وَلَكِنْ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَبِاللَّهِ مَلِكِ
 السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدُ بَخْسِ الْمَجْطُلُونَ
 ﴿٢٧﴾ وَرَبِّي كُلُّ أُمَّةٍ جَانِبَهُ كُلُّ أُمَّةٍ لَدَعَى إِلَى كَيْبَتِهَا الْيَوْمَ تُحْرَجُونَ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كَيْبَتُنَا يُطِيعُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنْسِخُ مَا كُنْتُمْ
 تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيَدْخُلُهُمْ
 رَوْحُنَا فِي رَحْمَتِنَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ
 كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي تُنزلُ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنْتُمْ قَوْمًا
 تُجْرِمُونَ ﴿٣١﴾ وَإِنَّا قَبْلُ أَنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقَّ السَّاعَةِ لَأَرْبِيبٍ فِيهَا قُلَّةٌ
 مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَقْبِرِينَ ﴿٣٢﴾

٢٣- أخبرني عن جواب الاستفهام الآتي: من الكافر الذي يعبد ما يهواه، ولم يعبد الإله الحق؟ وخذله الله ولم يوفقه على علم منه بالحق واختيار الضلال، وطبع على سمعه وقلبه، حتى لا يسمع ما ينفعه من الإرشاد، ولا يعقل ولا يفقه الهدى، وجعل على بصره غطاء حتى لا يبصر الرشد، فمن يهديه ويرشده من بعد إضلال الله له؟ أفلا تتعظون؟ (ومن) اسم استفهام يفيد النفي، أي لا أحد يهديه، فعلينا التذكر حتى نعلم حقيقة الحال. قال مقاتل: نزلت في الحارث بن قيس السهمي أحد المستهزئين؛ لأنه كان يعبد ما تهواه نفسه. وقال سعيد بن جبير: نزلت في قريش الذين كانوا يعبدون الحجر أحياناً، فإذا وجدوا أحسن منه، طرحوا الأول وعبدوا الآخر. والذي ختم على سمعه وقلبه: هو أبو جهل.

٢٤- وقال المشركون منكرو البعث: لا حياة إلا هذه الحياة الدنيوية الحالية، يصيبنا الموت والحياة فيها يموت البعض وولادة آخرين، وليس هناك حياة أخرى، وما يقينا إلا مرور الزمان- لأن بعض العرب كانوا ينسبون كل حادث إلى الدهر- فرد الله عليهم: بأنهم لم يقولوا ذلك عن علم بالحقيقة، وإنما عن مجرد شك، أو ظن وتخمين. قال أبو هريرة: كان أهل الجاهلية يقولون: إنما يهلكنا الليل والنهار، فانزل الله هذه الآية.

٢٥- وإذا نلت عليهم آيات القرآن الظاهرة المعنى، الواضحة الدلالة على قدرتنا على البعث، لم تكن لهم حجة إلا قولهم: اتنوا بأبائنا الأموات، وأعيدوهم إلى الحياة كدليل على البعث، إن كنتم صادقين في ادعائكم بوجود البعث، ليشهدوا لنا بذلك.

٢٦- قل أيها الرسول لشكري البعث: الله يحييكم في الدنيا، ثم يميتكم عند انتهاء أجالكم، ثم يجمعكم إلى يوم القيامة أحياء للحساب والجزاء، الذي لا شك فيه، ولكن أكثر الناس لا يعلمون أن الله قادر على إحيائهم مرة أخرى كما بدأ خلقهم أول مرة، لقلعة تفكرهم. والمراد: أن من قدر على خلقكم أول مرة، قادر على إعادتكم ثانياً.

٢٧- والله ملك السموات والأرض وما فيها من مخلوقات، فهو صاحب الحق في التصرف بهما كما يشاء، ويوم تقوم القيامة يومئذ يخسر الكافرون المكذبون، وتظهر خسارتهم؛ لأنهم يصيرون إلى النار.

٢٨- وترى أصحاب كل ملة أو دين باركة على الرب، كهيئة الخائف الذليل، كل أمة تدعى إلى صحيفة أعمالها فرداً فرداً، ويقال لهم: اليوم تُحْجَرُونَ مقابل ما كنتم تعملون في الدنيا.

٢٩- هذا ديوان الحفظ الذي كتبناه عليكم، يشهد عليكم شهادة بالحق من غير زيادة ولا نقصان، إنا كنا نستكتب الملائكة بتدوين أعمالكم وتبئتها وحفظها في صحيفة أعمالكم.

٣٠- فاما الذين صدقوا بالله ورسله، وعملوا الأعمال التي أمرهم الله بها، فيدخلهم ربهم في جنته، ذلك هو الظفر البين الظاهر الذي لا يعادله فوز آخر.

٣١- وأما الذين كفروا بالله ورسله، فيقال لهم تويحاً: أفلم تكن آياتي القرآنية ونحوها تقرأ عليكم، فتكبرتم عن الإيمان بها، وكنتم قوماً كافرين آثمين عصاة.

٣٢- وإذا قيل للكفار: إن وعد الله بالبعث والحساب واقع لا محالة، والقيامة لا ريب في وقوعها، قلتم: ما نعلم أي شيء هي الساعة (القيامة)؟ ما نظن وقوعها إلا ظناً، أي نتوهم توهماً، وما نحن بمحققين أو متحققين أن الساعة آتية.

٣٣- وظهر لهم في الآخرة عقوبات ما عملوا في الدنيا، ونزل وأحاط بهم جزاء أعمالهم بدخولهم النار التي استهزؤوا بها في الدنيا.

٣٤- وقيل للكفار: اليوم تترككم في النار، كما تركتم العمل للقاء هذا اليوم، ومكان إيوائكم أو مستقركم النار، وليس لكم أنصار ينعون عنكم العذاب. و﴿من﴾ حرف يدل على عموم نفي ما بعده.

٣٥- ذلكم العذاب الواقع بكم بسبب اتخاذكم آيات القرآن مهزوءاً بها، أي استهزأتم بها، وخدعتكم الحياة الدنيا بزخارفها وأباطيلها، حتى قلمت: لا بعث ولا حساب، فالיום لا يخرجون من النار، ولا يطلب منهم الرجوع عن موجب العتب بإرضاء ربهم بالتوبة والطاعة. وقوله: ﴿لا يستعبدون﴾ لا يسترضون.

٣٦- فله الشكر والشناء بالجميل على وفاء وعده، فهو خالق السموات والأرض وكل ما سوى الله ومدير شؤون الكون، وكل ذلك نعمة ودليل على كمال قدرة الله. و﴿رب العالمين﴾ تأكيد وتعميم.

٣٧- والله تعالى العظمة والسلطان، وهو القوي

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَصَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ لِيَوْمٍ نَسْتَعْتِبُكُمْ كَمَا كُنْتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوَاكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّاصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ذَٰلِكُمْ بِأَنكُم بِآيَاتِنَا أَتَيْتُمْ هَٰؤُلَاءِ وَعَزَّيْتُمُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا فَأَلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾

سُورَةُ الْأَحْقَافِ ﴿٣٦﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ نَزَّلَ الْكِتَابَ مِنَ اللَّهِ الْعَرَبِيَّ الْحَكِيمَ ﴿٢﴾ مَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّشْتَرِكٍ وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذِرُوا مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ قُلْ إِنَّ يَوْمَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَا ذَا حَقُّوهُ مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَوَاتِ لِقَوْنِي يُكَيِّبُ مِن قَبْلِ هَذَا أَوْ أَشْرَقُوا مِن عُلُوقِ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٤﴾

الذي لا يُغلب، الحكيم في أحكامه وقدره وقضائه.

سورة الأحقاف

١- حا، ميم، معناهما كما قيل في سورة الدخان.
٢- هذا القرآن منزل عليك أيها الرسول من الله القوي في ملكه وسلطانه، الحكيم في تدبيره وفعله، يضع كل أمر في موضعه.

٣- ما أوجدنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات إلا إيجاداً ملازماً للحق والعدل، ومقتضى الحكمة، للدلالة على قدرة الله ووحدانيته، لا باطلاً ولا عبثاً، وبتقدير أجل معين ينتهي إليه كل شيء، وهو يوم القيامة، والذين كفروا مولون مدبرون عن التفكير بما أنذروا أو خوفوا به من البعث والحساب والجزاء، غير مستعدين له.

٤- قل أيها النبي للمشركين: أخبروني عن حال آلهتكم من الأصنام والأوثان وغيرها التي تعبدونها من دون الله، أروني أي شيء خلقوه مما في الأرض، أم لهم مشاركة في السموات، تقتضي تملك جزء منها، أحضروا لي كتاباً متزلاً من قبل هذا القرآن، أو بقية من علم يؤثر ويروى عن الأولين بصحة دعواكم في عبادة الأصنام أنها تقر بكم إلى الله، إن كنتم صادقين في دعواكم. والمراد: ليس عندكم أي حجة أو أقل علم بما تدعون. و﴿أم﴾ همزة الاستفهام للإنكار.

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَن دُعَائِهِمْ غَفِلُونَ ﴿٥﴾ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ
كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ ﴿٦﴾ وَإِذَا تَنَادَى عَلَيْهِمْ
أَيُّهَا نَبِئَتِ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا لَيْتَنَّا كُنَّا نَدَّبُهُمْ هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ
﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ أَكْفَرْتُمْ قُلُوبَنَا إِنَّا كَفَرْتُمْ فَلَا تَعْلَمُونَ لِي مِنَ اللَّهِ
شَيْئًا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ
وَهُوَ الْعَفْوَ الرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنْتُ بِدَعَاؤِنَا أَرْسُلُ وَمَا أَدْرِي
مَا يَقُولُ وَلَا يُعْلَمُونَ إِنَّمَا يُوحِي إِلَيْنَا آيَاتُ اللَّهِ وَمَا أَنَا إِلَّا
نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ قُلْ إِنَّ زَئِجْرَ نَارِ كَانَ مِنْ عِندِ اللَّهِ وَكَفَرْتُمْ بِهِ
وَشَهِدْتُمْ سَاهِدِينَ بِنبي إِسْرَائِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِ فَمَنْ وَاسَّكِرْتُمْ
إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ الَّذِينَ
كَفَرُوا الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كُنَّا حِزْبًا مَّا سَبَقْنَا إِلَيْهِ وَإِذْ
لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَسْئَلُونَ هَذَا أَفَأَنْتَ قَدِيمٌ ﴿١١﴾ وَمَنْ قَبْلِهِ
كُتِبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَذَا كِتَابٌ مُّصَدِّقٌ
لِّسَانِ عَرَبِيٍّ لِّيُذَكِّرَ الَّذِينَ ظَلَمُوا وَيُشْرَىٰ لِلْحَسَنِينَ ﴿١٢﴾

٥- لا أحد أشد ضللاً من المشرك الذي يعبد من لا يستجيب له دعاءه وسؤاله أبداً إلى يوم القيامة، وهم أي الأصنام والأوثان غافلون عن دعواتهم وعبادتهم؛ لأنهم جمادات لا يعقلون ولا يسمعون. والجملة الأخيرة كالتعليل لما قبلها.

٦- وإذا جمع يوم القيامة عبدة الأصنام، كانت الأصنام أعداء لهم، تبتراء منهم، وكان المعبودون كافرين بعبادة المشركين العابدين، أي متبرئين.

٧- وإذا تلى على المشركين آيات القرآن واضحات ظاهرات، قال كفار مكة الذين كذبوا بالله ورسوله للحق وهو آيات القرآن لما جاءهم من عند الله، من غير نظر ولا تأمل: هذا سحر ظاهر. ولام ﴿للحق﴾ بمعنى (عن).

٨- بل يقولون: اختلق محمد هذا القرآن من عند نفسه، قل لهم أيها الرسول: إن اخترعته وكذبت على الله. على سبيل الافتراض. فلا تتمكنون أن تردوا عني شيئاً من عذاب الله، إن عاجلني بالعقوبة، الله أعلم بما تقولون في القرآن من القدرح والطعن، كفى بالله شاهداً يشهد لي بالصدق والبلاغ، ويشهد عليكم بالكذب والانتكار، وهو الكثير المغفرة لمن تاب، الرحيم بمن آمن به وصدق بالقرآن. و ﴿أم﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري،

والمراد: الإضراب عن تسميتهم القرآن سحراً إلى ذكر ما هو أشنع منه وأعجب. والافتراء: أقيح أنواع الكذب.

٩- قل أيها الرسول: لست مبتدعاً لا مثال له، ولست بأول رسول لا سابقة له، ولست أدري ما يفعل الله بي في الدنيا، من الإبقاء في مكة أو التهجير أو القتل، ولا ما يفعل بكم من العقوبة أو الإمهال، ما أتبع إلا ما يوحى إلي من القرآن، ولا أبتدع شيئاً من عندي، ولست أنا إلا مخوف لكم من عذاب الله، واضح التحذير أو الإنذار، إن بقيتم على الكفر. و ﴿إن﴾ في قوله: ﴿إن أتبع﴾ حرف نفى، أي لا أتبع.

١٠- قل أيها النبي: أخبروني أيها المشركون عن حالكم إن كان هذا القرآن من عند الله، وجحدتم وكذبتم به، وشهد شاهد من علماء بني إسرائيل على وجود مثل معاني القرآن المصدقة له في التوراة من الدعوة إلى التوحيد وأصول الفضائل، فصدق به، وتكبرتم عن الإيمان به، إن الله لا يهدي إلى الإيمان القوم الكافرين. أخرج البخاري ومسلم عن سعد بن أبي وقاص: أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن سلام، وشهد شاهد من بني إسرائيل على مثله.

١١- وقال الذين كفروا بالله ورسوله عن الذين آمنوا- اللام بمعنى عن- أي تحدثوا عن الذين آمنوا، وهم عبد الله بن سلام وأصحابه، لو كان هذا القرآن خيراً مما وجدنا عليه آباءنا، ما سبقونا إلى الإيمان به، أي هؤلاء الأديان، قالوا ذلك استهزاء بهم لفقرهم، ولأنهم لم يهتدوا سيقولون: هذا القرآن كذب قديم من جنس أساطير الأولين. و ﴿إذ لم يهتدوا﴾ بمعنى لام التعليل. نزلت في ناس من المشركين قالوا: نحن أعز، ونحن ونحن، فلو كان خيراً ما سبقنا إليه فلان وفلان.

١٢- ومن قبل القرآن كتاب موسى وهو التوراة جعلناه للإسرائيليين قدوة وسبب رحمة، وهذا القرآن مصدق لما قبله من الكتب الإلهية، حال كونه بلسان العرب الفصيح، ليحذر بهذا القرآن الذين ظلموا أنفسهم بالكفر وهم مشركو مكة، ومبشر للمؤمنين المحسنين بالجنة.

١٣- إن الذين قالوا: ربنا الله وحده لا شريك له، ثم استقاموا على أحكام الشريعة، فجمعوا بين التوحيد وطاعة الشريعة، فلا خوف عليهم من مكروه يوم القيامة، ولا هم يحزنون على فوات محبوب في الدنيا.

١٤- أولئك هم أهل الجنة، ماكثين فيها على الدوام، جوزوا جزءاً حسناً بما عملوا من صالح الأعمال في الدنيا.

١٥- وأمرنا الإنسان أمراً مقترباً بالعناية والاهتمام بإحسان صحبته لوالديه، حملته أمه بمشقة، وولده بمشقة، ومدة حملته وطاقمه ثلاثون شهراً، أقصى الفطام عن الرضاع سنتان، وأقل الحمل ستة أشهر، حتى إذا بلغ منتهى القوة الجسدية والعقلية، فبلوغ الأشد: كمال العقل والرأي والقوة، وبلغ تمام أربعين سنة، وهو أكثر الأشد، قال: رب أهمني ووفقي أن أشكر نعمتك التي أنعمت بها علي، وعلى والدي في الدين والدنيا، ووفقي أن أعمل عملاً صالحاً تتقبله مني، واجعل الصلاح سارياً في ذريتي، راسخاً فيهم، وهو تقوى الله، إني تبت إليك من ذنوبي، وإني من المنقادين لأمرك، الطائعين. نزلت في أبي

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ وَوَدِدْنَا الْإِنْسَانَ بِالذِّمَّةِ أَحْسَنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾

أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَبِحَقِّ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ وَعَدَّ الصَّدَقَاتِ الَّتِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٤﴾ وَالَّذِي قَالَ لَوْلَاذِيهِ أَفِ لَكُمُ اتُّعِدَاطِي أَنْ أُخْرِجَ وَقَدْ حَلَّتِ الْقُرُونُ مِن قَبْلِي وَمَأْسُوسَاتِ النَّاسِ أَن يُؤْتَىٰ مِن بَيْنِ يَدَيْهِ إِذَا كَانَ لِلَّذِينَ اتُّعِدَاطِهِمْ حَقٌّ لَّيْسَ لَهُمْ شِرْكٌ بِالْأُولَئِكَ ﴿١٥﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ اتُّعِدَاطُهُمْ فِي أَهْلِ الْجَنَّةِ وَالَّذِينَ اتُّعِدَاطُهُمْ فِي أَهْلِ النَّارِ ﴿١٦﴾ وَالَّذِينَ اتُّعِدَاطُهُمْ فِي أَهْلِ النَّارِ لَئِن كَانُوا يَشْعُرُونَ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ اتُّعِدَاطُهُمْ فِي أَهْلِ النَّارِ لَئِن كَانُوا يَشْعُرُونَ ﴿١٨﴾ وَالَّذِينَ اتُّعِدَاطُهُمْ فِي أَهْلِ النَّارِ لَئِن كَانُوا يَشْعُرُونَ ﴿١٩﴾

بكر الصديق رضي الله عنه الذي أسلم وصدق رسول الله، وهو ابن ثمان وثلاثين سنة، حيث بعث النبي ﷺ وهو ابن أربعين سنة، فلما بلغ أبو بكر أربعين سنة، قال: ﴿رب أوزعني أن أشكر نعمتك...﴾.

١٦- أولئك الشاكرون القائلون هذا القول: الذين تتقبل منهم - عن معنى من - أعمالهم الصالحة في الدنيا، بأن نعطيتهم ثواب أعمالهم على قدر أحسنها تفضلاً ورحمة، ونصفح عن ذنوبهم ونغفر لهم، فلا نعاقبهم عليها، كائنين في عداد أهل الجنة، وُعدوا ذلك على السنة الرسل في الدنيا وعداً صادقاً كانوا يوعدون به.

١٧- وفيما يتلى عليكم: خير الذي قال لوالديه حينما طلبا منه الإيمان بالله واليوم الآخر: أف لَكُمَا، بمعنى أتضجر منكما، أتعذاني أن أبعث حياً من قبري بعد موتي، وقد مضت الأمم الكثيرة من قبلي؟ وهما يسألان الله أن يوفق ولدهما إلى الإيمان، يقولان لولدهما: ويحك هلكت، آمن بالبعث وبالله وحده، إن وعد الله بالبعث والحساب حق ثابت لا شك فيه، فيقول: ما هذا القول بالبعث إلا أكاذيب الأولين وأباطيلهم التي سطرها في الكتب؟ نزلت هذه الآية في عبد كافر عاق لوالديه، وليست في عبد الرحمن بن أبي بكر، كما في بعض الروايات؛ لأن عبد الرحمن أسلم بعد ذلك، وحسن إسلامه.

١٨- أولئك المنكرون للبعث هم الذين وجب عليهم العذاب، ونزل ما هددناهم به، في جملة أم كثيرة قد مضت من قبلهم من الجن والإنس، إنهم كانوا خاسرين لأنفسهم في الآخرة.

١٩- ولكل من الفريقين: المؤمن والكافر مراتب متفاوتة من الثواب والعقاب، وليوفيتهم الله جزاء أعمالهم، وهم لا يظلمون شيئاً بنقص ثواب، أو زيادة عقاب.

٢٠- واذكر أيها النبي يوم يعرض الذين كفروا بالله ورسله على النار، حيث يعذبون فيها أو تكشف لهم، يقال لهم: أذهبتم لذائدكم وقوتكم في حياتكم الدنيا، بأن صرفتم طاقاتكم في المعاصي، واتبعت الشهوات واللذات في معاصي الله، وتمتعتم في الملذات، فما بقي لكم منها شيء، فالיום تجزون عذاب الذل والهوان والحزني، بسبب تكبركم في الأرض عن الإيمان بالله وتوحيده ظلاماً بغير وجه حق، وسبب خروجكم عن طاعة الله، واقرار معاصيه.

٢١- واذكر أيها النبي لقومك للاتعاظ والاعتبار أخا عاد في النسب لا في الدين، وهو هود عليه السلام، حين حذر قومه بالأحقاف: واد باليمن فيه منازل عاديين عمان ومهرة، وهي رمال بلاد الشحر باليمن في حضرموت، وقد مضت الرسل الذين يحذرون أمهم من عذاب الله، أي كثرت قبله وحوله في أم عديدة، بأن قال: ألا تعبدوا إلا الله وحده لا شريك له، إني أخشى إن عبدتم غير الله عذاب يوم عظيم هائل هو يوم القيامة. و﴿بين يديه﴾ قبل إرساله، و﴿من خلفه﴾ بعد إرساله في زمانه.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَّذِينَ ظَنُّوا أَنَّهُمْ ظَاهِرُونَ فِي حَيَاتِهِمُ الدُّنْيَا وَاسْتَفْتَحُوا بِهَا فَيَوْمَ تَجْرُونَ عَذَابَ لَهْمُونَ بِمَا كُنتُمْ تَسْكُرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن كُنتُمْ تَقْسِفُونَ ﴿٢٠﴾ وَادُّرُّوا أَحَا عَادَ إِذْ أَنْذَرْتُمُوهُمُ بِالْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَّتِ اللَّذَنُورُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمَنْ خَلْفَهُ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ قَالُوا أَجِئْنَا لِنَتَّقَكَ عَنَّا لِهِنَا فَأَيُّنَا بِمَا نَعْبُدُ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٢٢﴾ قَالَ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَأُبَلِّغُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ وَلَكِنِّي أَرَأَيْتُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُسْتَقْبِلَ أَوْدِيَّتِهِمْ قَالُوا هَذَا عَارِضٌ مَطْرٌ أَمْ إِنَّا لَأَبْهَمُونَ مَا اسْتَجَلَّ بِهِ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تَدْمِرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْحَوْا الْآيْرِي الْأَمْسَلِكُهُمْ كَذَلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْجَاهِلِينَ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ كَذَّبْتُمْ فِيمَا أَنْذَرْتُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَرًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَرُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُمْ مِنَ الْقُرَى وَصَرَفْنَا الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾

٢٢- قالوا: يا هود أجئتنا لتصرفنا عن عبادة

آلهتنا؟ فأتنا بما تعدنا به من العذاب إن كنت من الصادقين في تهديك وإنذارك.

٢٣- قال لهم هود: لا يعلم أحد متى يأتيكم العذاب، وإنما علمه عند الله، وأبلغكم ما أرسلت به إليكم، ولكني أراكم قوماً تجهلون وظيفة الرسل وأنهم مجرد مبلغين، وتجهلون المستقبل المظلم باستعمالكم العذاب ما هو، وبإصراركم على الكفر.

٢٤- فلما رأوا أمارات العذاب وسحاباً معترضاً في أفق السماء، متجهاً أو مقبلاً نحو أوديتهم، قالوا: هذا سحاب عارض يأتينا بالمطر والخير، فأجابهم هود بقوله: بل هو العذاب الذي استعملتم به، ويصح أن يكون هذا من قول الله، إنه ريح مشتملة على عذاب مؤلم.

٢٥- تهلك كل شيء من النفوس والأموال بإذن الله وإرادته، فأصبحوا هلكى لا يرى من آثارهم شيء سوى مساكنهم الخالية، وكما جزيناهم نجزي القوم الكافرين.

٢٦- ولقد أمددناهم ومكناهم في المال وقوة الأبدان وطول العمر ما لم نمكنكم فيه يا أهل مكة، وبمقدار لم تبلغوا مثله، وجعلنا أسماً وأبصاراً وقلوباً للفهم وإدراك الأدلة، فلم تنفعهم تلك الخواص والطاقت شيئاً لتعطيلهم إياها، فلم يتوصلوا إلى توحيد الله وإنجائهم من العذاب؛ لأنهم كانوا يتكرونها ويكذبون بآيات الله، ونزل بهم من العذاب ما استهزؤوا به وتعجلوه سخرية وعناداً. ﴿إن مكناكم﴾ حرف نفي، ﴿فما أغنى﴾ لم ينفعهم ﴿من شيء﴾، من: يفيد عموم نفي ما بعده و﴿إذ كانوا﴾ حرف تعليل، أي لأنهم كانوا.

٢٧- ولقد أهلكتنا يا أهل مكة من كان جواركم من أهل القرى، كشمود وعاد وقوم لوط ونحوهم، ونوعنا الأدلة وبيننا البراهين، لكي يرجعوا عن كفرهم، فلم يفعلوا.

فَلَوْلَا نَصْرُهُ لَذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ قُرْبَانًا آلِهَةً بَلْ ضَلُّوا عَنْهُمْ وَذَلِكَ أَفْكَهَمَ وَمَا كَانُوا بِمَتَرُونَ ﴿٢٨﴾ وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفْرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصُرُوا فَلَمَّا فَصَى بَلَّغْنَا إِلَى قَوْمِهِمْ مُنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُوا يَا قَوْمَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابَ الْأُنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِهِمْ مَوْسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى طَرِيقٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ يَا قَوْمَنَا أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِّنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجْعَلْ لَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٣١﴾ وَمَنْ لَّيْحِبْ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُ مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءٌ أُولَئِكَ فِي صُلْحٍ مِّمِينٍ ﴿٣٢﴾ أَوْ لَرَبِّ وَأَنَّ اللَّهَ الَّذِي طَلَّقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَرَبِّي يُخَلِّقُنَّ بِقَدْرِ عَلَىٰ أَلْحَى الْمَوْتَى بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبَّنَا قَالِ فَذُوًّا أَلْعَذَابِ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُولُو الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِلْ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَوْ لَبِثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَّغْ فَمَلَّ يَهْلِكُ إِلَّا الْقَوْمَ الْفَاسِقُونَ ﴿٣٥﴾

٢٨- فهلا نصرتهم آلهتهم التي عبدوها من غير الله لتشفع لهم، وتمنع عنهم العذاب. والمراد بهذا التهمك- بل غابوا عنهم حين إيقاع العذاب بهم، وذلك أي عدم نفع آلهتهم لهم سببه كذبهم أنها تقربهم إلى الله، وصرفهم أنفسهم عن الحق إلى الباطل، وسببه أيضاً افتراؤهم بأن الله شركاء. و ﴿قرباناً﴾ مفعول لأجله، أي للتقرب بهم إلى الله. و ﴿بلى﴾ لإبطال ما قبله، وإثبات ما بعده، و ﴿يفترون﴾ يكذبون.

٢٩- واذكر أيها النبي حين وجهنا إليك نفرًا من الجن- والنفر: عدد قد يصل إلى أربعين، وأقله ثلاثة- لاستماع القرآن الكريم، فلما حضروا تلاوته، قال بعضهم لبعض: أنصتوا أي استمعوا لسماح القرآن، فلما فرغ من قراءته، رجعوا مسرعين، مخوفين قومهم العذاب إن لم يؤمنوا. وهذا دليل واضح أن الرسول ﷺ كان مرسلًا إلى الجن والإنس. نزلت في تسعة من الجن هبطوا على النبي ﷺ، وهو يقرأ القرآن ببطن نخلة، فلما سمعوه ﴿قالوا: أنصتوا﴾.

٣٠- قالوا: يا قومنا: إنا سمعنا قرآنًا عجيبًا أنزل من بعد موسى- وقالوا ذلك لأنهم كانوا يهودًا فأسلموا كما قال عطاء- مصدقًا لما تقدمه من الكتب المنزلة

كالتوراة، يهدي إلى الدين الحق، وإلى طريق قويم مؤد إلى الجنة والرضوان الإلهي.

٣١- يا قومنا أجيبوا داعي الله، وهو محمد ﷺ الذي يدعو إلى الإيمان بالله، وصدقوا به وبرسالته، يغفر لكم بعض ذنوبكم وهي المتعلقة بحقوق الله تعالى، وأما حقوق العباد فلا تغفر بالإيمان، وإنما تسقط برضا أصحابها، ويخلصكم من عذاب مؤلم، وهو عذاب النار.

٣٢- ومن لا يستجب لدعوة النبي إلى الله والإسلام، فلا يمكن أن يفلت من الله بالهرب من عقابه، وليس له من غير الله أنصار يمنعونه من عذاب الله، أولئك الذين لا يستجيبون في خطأ بين واضح ويُعد عن الحق.

٣٣- أو لم يعلم منكرو البعث أن الله الذي أبدع السموات والأرض، ولم يتعب ولم يضعف بخلقهن بقادر على إحياء الموتى وبعثهم يوم القيامة؟ بلى هو قادر على ذلك، لا يعجزه ما أراد. و ﴿بلى﴾ لإبطال النفي، وإثبات المنفي.

٣٤- ويوم يُعرض الذين كفروا على النار، بأن يعذبوا فيها، يقال لهم توبيخًا: أليس هذا العذاب بالحق والعدل؟ قالوا: بلى والله ربنا إنه لحق، قال الله: فذوقوا العذاب بسبب كفركم بالله تعالى وبهذا العذاب في الدنيا.

٣٥- فاصبر أيها الرسول على أذى قومك كما صبر أهل الثبات والحزم من الرسل، وهم خمسة: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم الصلاة والسلام، فإنهم أصحاب الشرائع الكبرى، الذين صبروا على تبليغها وتحمل مشاقها، ولا تتعجل العذاب يا محمد للكفار بالدعاء عليهم، فإنه واقع بهم حتمًا، كأنهم يوم يرون ما يوعدون من العذاب، لم يكتفوا في الدنيا في ظنهم إلا مقدار ساعة، لشدة ما يرون من أهوال، هذا الذي وعظتهم به تبليغ من الله يقطع حجة الكافرين، فهل (حرف استفهام يفيد النفي) أي لا يهلك إلا القوم الكافرون الخارجون عن طاعة الله تعالى.

سورة محمد

(أو سورة القتال)

فضلها: أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عمر رضي الله عنهما: أن النبي ﷺ كان يقرأها في صلاة المغرب.

١- الذين كفروا بالله ورسوله، وصدوا أنفسهم وغيرهم عن الإسلام أي منعوا، وهم كفار قريش وأهل الكتاب وغيرهم، أبطل أعمالهم وضيع فائدتها، فلا تنفذهم من الخلود في النار، ولا ثواب لهم في الآخرة، بسبب كفرهم. قال ابن عباس: هم أهل مكة نزلت فيهم.

٢- والذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمرهم الله به، وصدقوا بالقرآن الذي أنزله الله على نبيه محمد ﷺ. وهذا من عطف الخاص على العام. والقرآن هو الحق الثابت الذي لا شك فيه من الله، كفر عنهم ذنوبهم، وأصلح شأنهم وحالهم، في الدين والدنيا بالتوفيق والتأييد، والبال: الحال. قال ابن عباس: هم الأنصار.

٣- ذلك الجزاء العادل بسبب اتباع الكافر للباطل وهو عبادة غير الله، والشرك بالله، وبسبب اتباع المؤمن للقرآن المرتكز من الله على رسوله محمد ﷺ، كهذا البيان لأحوال الكافرين والمؤمنين، يبين الله للناس أحوال المؤمنين والكافرين في كل زمان.

٤- فإذا لقيتم في القتال أيها المؤمنون أعداءكم المشركين المقاتلين وغيرهم من الكافرين الذين نقضوا العهد، فاقتلوهم بضرب الرقاب ضرباً - وهو مجاز عن القتل؛ لأن الغالب في القتل أن يكون بضرب الرقبة - حتى إذا أوهمتموهم بالقتل والجرح، أو أكثرتم فيهم القتل وقهرتموهم، فأسروهم وأحكموا وثاقهم (رباطهم) بالحبال أو القيود وغيرها لئلا يهربوا، فإذا انتهى القتال فيما تمتون عليهم من (إطلاق سراحهم بغير مقابل) أو تفادونهم فداء (عبدالة الأسرى بالنفس أو المال) حتى تنتهي الحرب ولم يبق إلا مسلم أو مسالم - والأوزار: الأثقال من السلاح والخيول (الكرع) وغيرها من أدوات القتال الثقيلة والخفيفة - ذلك هو حكم قتال الكفار المعتدين، والله قادر على الانتصار (الانتقام) منهم بغير قتال كالخسف والغرق والرغبة، ولكن أمركم بالقتال ليختبر المؤمنين بالكافرين، في الجهاد والصبر على البلاء، فيثيب المؤمنين، ويعذب الكفار، والذين استشهدوا من أجل إعلاء كلمة الله والظفر برضوانه، فلن يضيع الله أجر أعمالهم، وإنما يثيبهم عليها ثواباً تاماً كريماً. قال قتادة في قوله تعالى: ﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾ ذكر لنا أن هذه الآية نزلت يوم أحد.

٥- سيهدي ويرشد من بقي حياً إلى طريق الجنة، ويصلح أحوالهم في الآخرة بالتجاوز عن سيئاتهم.

٦- ويدخلهم جنات الخلد، عرقهم منازلهم بإلهام من الله تعالى.

٧- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله إن تنصروا دين الله ورسوله بالدفاع عنه واتباع أحكامه، ينصركم على عدوكم، ويثبت أقدامكم أثناء القتال ومجاهدة الأعداء.

٨- والذين كفروا فهلاكاً لهم وخيبة وخزياً، وأبطل أعمالهم الحسنة، بسبب كفرهم وكونها لغير الله تعالى.

٩- ذلك الإهلاك وإبطال الأعمال بسبب كراهتهم ما أنزل الله من القرآن، فأبطل ثواب أعمالهم.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ أَصْلَ أَعْمَالِهِمْ ۗ وَالَّذِينَ
عَمُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَمْوَالُهُمْ نَزَلَ عَلَىٰ حِمْلِهِمْ وَهُوَ لَيْسَ مِنْ
رَبِّهِمْ فَكَرَعْنَاهُمْ سِقَاتٍ ۖ وَأَصْلَحَ بِالْهَمِّ ۚ ۝۱
ذَلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
اتَّبَعُوا الْبُطْلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِنْ رَبِّهِمْ كَذَلِكَ يَضْرِبُ
اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَلَهُمْ ۝۲ فَإِذَا لَقِيتَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَقَضَىٰ رَبِّكَ
حَتَّىٰ إِذَا أَنْصَرْتَهُمْ فَشَدُّوا الوَثَاقَ فَمَا مَتَابَعْدُ ۚ وَإِنَّمَا فَدَاءُ حَتَّىٰ تَضَعَ
الْحَرْبُ وَرَأَاهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَسَاءَ اللَّهُ لَآتَصَّرْنَا مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيُنبِّئُوا
بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ ۗ وَالَّذِينَ قَاتَلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ
أَعْمَالَهُمْ ۝۳ سَيَهْدِيهِمْ وَيُصَلِّحُ بِالنَّهِمْ ۚ وَيَدْخُلُهُمُ الْجَنَّةُ
عَرَفًا لَهُمْ ۝۴ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن نَّصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ
وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ۝۵ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعَسَا لَهُمْ وَالصَّلَاةُ
ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ۝۶



﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ دَمَّرْنَا لَهُمْ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَلُهَا ﴿١٠﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِنَا وَأَنَّهُمْ كَانُوا لَا يُدْعُونَ إِلَّا اللَّهَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ الْمَاءَ فَجَاءَ بِهِمْ نَبْعٌ مِنْ تَحْتِهَا يَنْهَرُ ﴿١١﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْجُورَةٌ ﴿١٢﴾ وَكَانَ مِنْ قَرِيبٍ هِيَ آسِدُوهُ مِنْ قَرِيبٍ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَشْجُورَةٌ ﴿١٣﴾ فَلَا نَصْرَ لَهُمْ ﴿١٤﴾ أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْتِهِ مِنْ زَيْنٍ لَهُ سَوْءٌ عَلَيْهِمْ وَأَتَبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٥﴾ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَّقُونَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَأَنْهَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَسِيعٍ طَعْمُهُ وَأَنْهَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذِيَّةٍ لِلشَّرْبِ وَأَنْهَارٌ مِنْ عَسَلٍ مُصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ وَمَعِينٌ مِنْ رَبِّهِمْ مَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَمَنْهُمْ مَنْ يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا الَّذِينَ أَنْزَلُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ أَفَأَنْصَأُ أُولَئِكَ الَّذِينَ طَعِبَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَأَتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٧﴾ وَالَّذِينَ آهْتَدُوا زَادَهُمْ هُدًىٰ وَوَعَدَ اللَّهُ لِقَوْمِهِمْ أَجْرًا كَثِيرًا ﴿١٨﴾﴾

١٠- أفلم يتنقل هؤلاء الكافرون المكذبون برسالة الرسول في الأرض، فيروا كيف كان مصير الأمم السابقة كعاد وثمود وقوم لوط ليعتبروا، فإن آثار العذاب ما تزال ظاهرة في ديارهم، أهلك الله أنفسهم وأولادهم وأموالهم مطلقاً واستأصلهم، وللكافرين المكذبين بالله ورسوله أمثال تلك العاقبة.

١١- ذلك بسبب أن الله ناصر المؤمنين المجاهدين بحق، وأن الكافرين المعادين لا ناصر لهم. قال قتادة: نزلت يوم أحد، والنبى ﷺ في الشعب إذ صاح المشركون: يوم بيوم، لنا العزى ولا عزى لكم، فقال النبى ﷺ: قولوا: الله مولانا، ولا مولى لكم.

١٢- إن الله يدخل المؤمنين بالله ورسوله، العاملين بما أمر الله جنات تجري من تحت غرفها ويسايتها الأنهار، والذين كفروا بالله ورسوله يتنعمون بمتاع الدنيا، ويأكلون كأنهم أنعام إذ لا هم لهم إلا بطونهم، ونار جهنم مقام لهم.

١٣- وكمن من أهل قرية كان أهلها أشد بأساً من أهل قريتك: مكة، الذين أخرجوك منها، أهلكناهم بأنواع مختلفة من العذاب، فلا ناصر يمنع العذاب عنهم. قال ابن عباس: لما خرج رسول الله ﷺ تلقاء الغار، نظر

إلى مكة، فقال: أنت أحب بلاد الله إلي، ولولا أن أهلك أخرجوني منك، لم أخرج منك، فأنزل الله هذه الآية.

١٤- أصبح أن تكون تسوية بين من كان على حجة ويقين من ربه، فهو يعبد على نور وبصيرة، وبين من حسن الشيطان له فيبيع عمله عبادة الأوثان والشرك بالله وعصيان الله، فرأى ذلك حسناً، وأتبع هواه الباطل، في عبادة الأصنام ونحوها، بلا أي دليل أو شبهة دليل!؟ وهمزة ﴿أفمن﴾ للاستفهام الإنكاري المفيد لنفي النسوية.

١٥- لا يستوي أهل الجنة والخالدون في النار، ومعنى الآية: صفة الجنة العجيبة الشأن التي وعد الله بها المتقين، فيها أنهار جارية من ماء غير متغير الرائحة والطعم، وأنهار من حليب لم يتغير طعمه، وأنهار من خمر لذيدة للشاربين، غير مؤذية ولا كريمة الطعم كخمر الدنيا، وأنهار من عسل مصفى من الشوائب، ولهم فيها من أصناف الثمرات المشتهية، وعفرو لهم عن سيئاتهم ومغفرة لهم لذنوبهم، ليس كالقريق الخالد في النار، وسُقوا ماء حاراً شديد الغليان، فقطع أمعاءهم، لشدة حرارته، وتقدير المعنى: أمثل أهل الجنة على هذه الصفات كمثل جزء من هو خالد في النار أو كمن هو خالد في النار!؟ والجواب واضح: لا عائلة بين الفريقين.

١٦- ومن الكفار فئة المنافقين من يستمع إلى كلامك أيها الرسول، حتى إذا خرجوا من مجالسك في مواقف الوعظ ومواطن الخطبة، قالوا لأهل العلم من صحابتك سائلين لهم: ماذا قال النبي الساعة قبل قليل؟ بطريق الاستهزاء والاستعلاء، يريدون كأنه قال كلاماً لا قيمة له، أولئك الذين ختم الله على قلوبهم بالكفر، فلم يؤمنوا ولم يهتدوا إلى الحق، وأتبعوا أهواءهم في النفاق من غير حجة. و﴿أنفا﴾ في الزمان الماضي القريب. نزلت في شأن المنافقين الذين كانوا يسمعون كلام النبي فلا يعون، فإذا خرجوا سألو المؤمنين: ماذا قال أنفا؟

١٧- والذين اهتدوا وهم المؤمنون، زادهم الله هدى بالتوفيق، وألهمهم ما يتقون به ربهم بالتوفيق للعمل المرضي.

١٨ - فهل ينتظر أهل مكة غير مجيء القيامة؟ أي ما ينتظرون إلا أن تأتيهم القيامة فجأة، وهم على حالهم من النفاق والكفر، فقد جاءت علامات الساعة، فكيف ومن أين لهم التذكر والاتعاظ إذا جاءتهم الساعة بفتة؟
١٩ - فاعلم أيها النبي أنه لا إله إلا الله وحده يستحق العبادة، ودم واثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحداية، واطلب المغفرة لذنوبك - وهذا للتعليم واستئنان أمته به - ولذنوب المؤمنين والمؤمنات، فأنت الرؤوف الرحيم بأمك، والله يعلم تصرفكم وتقلكم في البلاد للكسب، وسكونكم واستقراركم في الليل والنهار.

٢٠ - ويقول المؤمنون للنبي: هلا نزلت سورة في أمر الجهاد لنجاهد؟ فإذا أنزلت سورة واضحة الدلالة على المراد، وفرض فيها القتال، رأيت المنافقين الذين في قلوبهم شك في الدين وضعف في الإيمان، ينتظرون إليك أيها النبي نظر المغمي عليه خوفاً من الموت في القتال، فهلاك قريب الحصول لهم. وهذا معنى ﴿فأولى لهم﴾ في لغة العرب عند التهديد. و﴿لولا﴾ للترغيب في حصول ما بعده.

٢١ - طاعة واستجابة لأوامر الله والرسول وقول كريم طيب يدل على الإيمان خير لهم، أي أحسن وأمثل -

فَهَلْ يَظُنُّونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّى لَهُمْ إِذْ جَاءَتْهُمْ ذِكْرُهُمْ ﴿١٨﴾ فَأَعْلَمُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَأَسْفَفُ الَّذِينَ ذُنُوبِهِمْ وَأَلْمَمُوا بِهِ الْيَأْسُ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ ﴿١٩﴾ وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نَزَّلَتْ سُورَةٌ فَكَأَنَّا نَزَّلَتْ سُورَةٌ مُحَمَّدٌ وَذَكَرَ فِيهَا الْقِتَالَ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَظُنُّونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْغَمْضِيِّ عَلَيْهِ مِنْ مَوْتٍ فَأَوْلَى لَهُمْ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَعْرُوفٌ فَإِذْ عَمِّرُوا الْأَمْرَ فَلَوْصَدَقُوا اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ ﴿٢٠﴾ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِنْ تَوَلَّيْتُمْ أَنْ تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتَقَطَّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢١﴾ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعَمَّى أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٢﴾ أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَوْ عَلَى قُلُوبٍ فَهَلْ لَهَا ﴿٢٣﴾ إِنْ الَّذِينَ أَرَادُوا عَلَىٰ آذَانَ يَهُودٍ مِنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٤﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرَهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكَ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٥﴾ فَكَفَّ إِذَا تَوَلَّوْهُمْ الْمَلَائِكَةُ يُضْرَبُونَ وَجُوهَهُمْ وَأَذْبَرَهُمْ ﴿٢٦﴾ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ أَسْعَوْا مَا أُسْخَطَ اللَّهُ وَكَرَهُوا رِضْوَانَهُ فَأَحْطَ بِأَعْمَالِهِمْ ﴿٢٧﴾

وجاز الابتداء بقوله: ﴿طاعة﴾ لأنها موصوفة تقديراً، أي طاعة مخلصة - فإذا جد الأمر وفرض القتال، فلو صدقوا الله في إيمانهم، لكان خيراً لهم.

٢٢ - فلعلكم إن أعرضتم عن القتال والإيمان، يتوقع ويتنظر منكم: أن تفسدوا في الأرض، بالظلم والفتن والافتتال وسفك الدماء، وتقطع الأرحام وتقاتل الأقارب.

٢٣ - أولئك المفسدون الظالمون المتخلفون عن الجهاد طردهم الله من رحمته، فأصمهم عن استماع الحق والكلام النافع، وجعلهم كالعُمي عن طريق الهدى.

٢٤ - أفلا يفهمون القرآن ليدركوا مواضعه؟ بل على قلوب لهم مغاليق لا تفتح، فلا يفهمونه ولا يؤمنون به.

٢٥ - إن الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وتراجعوا عما كانوا يظهرونه من الإيمان، وهم المنافقون، من بعد ما وضح لهم طريق الهدى، الشيطان زين خطاياهم وسهل لهم، وخدعهم بالأمل، ومد لهم في الأماني الباطلة.

٢٦ - ذلك الضلال والارتداد بسبب أن المنافقين قالوا للمشركين واليهود الذين كرهوا ما أنزل الله على نبيه محمد ﷺ: سنطيعكم في بعض أموركم، كالقعود عن الجهاد ضدكم، ومعاداة محمد، مما يعطل دعوة الإسلام، والله يعلم إسرارهم بهذا القول، أي إخفاء كيدهم، فأظهره الله الذي يعلم السر وأخفى.

٢٧ - فكيف تكون حالهم إذا توفتهم الملائكة، وهم يضربون وجوههم وظهورهم بمقامع من حديد، فاستخرجت أرواحهم بالعنف والشدة.

٢٨ - ذلك التوفي على هذه الصورة بسبب أنهم اتبعوا ما أغضب الله من الكفر وعصيان الأمر، وكرهوا العمل بما يرضيه من الإيمان والجهاد وسائر الطاعات، فأبطل أعمالهم.



أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ نُمْسِحَ اللَّهُ أَسْفُهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ
 نَشَاءُ لَأَنزَلْنَاهُمْ قُلُوبَهُمْ قُلُوبَهُمْ وَأَلْفَ قُرْآنٍ فِي لِسَانِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ
 يَعْلَمُ أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٠﴾ وَلَتَبْلُوَنكُمْ حَتَّىٰ تَعْلَمَ الْمُجَاهِدِينَ مِنْكُمْ
 وَالصَّابِرِينَ وَتَبْلُوَ أَعْيَانَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ
 اللَّهِ وَشَاقُوا الرَّسُولَ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَنْ يَضُرَّوْا اللَّهَ
 شَيْئًا وَسَيُحِطُّ أَعْمَالُهُمْ ﴿٣٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا
 اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تَبْغُوا أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
 وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ هَاهُنَا فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾
 فَلَا تَهْتَفُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلَامِ وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَهْزِمَ
 أَعْمَالَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهُوَ إِنْ تَوَيْسُوا وَتَتَّقُوا
 يَوْمَئِذٍ أَجُورَكُمْ وَلَا يَسْأَلُكُمْ أَمْوَالَكُمْ ﴿٣٦﴾ إِنْ يَسْأَلْكُمْ هِيَ
 فَيُفْرِكُمْ يَفْرِكُوا وَتَجْرِبُ أَعْيُنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَآؤُنَّ هُنَّ لِآءِ
 دُعَاؤِنَا لِنُقْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمَنْ مِّنْكُمْ مَّنْ يَبْخُلْ وَمَنْ يَبْخُلْ
 فَإِنَّمَا يَبْخُلْ عَنِ نَفْسِهِ وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن
 سَأَلْتُمُوهُ لَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَلَكُمْ ﴿٣٨﴾

٢٩- أم ظن الذين في قلوبهم نفاق أن لن يمسح الله قلوبهم ولو نشاء لآنزلناهم قلوبهم قلوبهم وألف قرآن في لسان القول والله يعلم أعمالكم

٣٠- ولو نريد لأعلمناك بأعيان المنافقين، فعرفتهم بعلامات خاصة يتميزون بها، ولتعرفنهم في فحوى القول ولهجة الحديث بالخداع، والتعريض بك وبالمسلمين، والله يعلم أعمالكم، لا تخفى عليه منها خافية.

٣١- ولتختبرنكم أو لتعاملنكم معاملة المختبر معشر المسلمين بالجهد والتكاليف الشرعية، حتى تعلم للجاهدين منكم، والصابرين في أمور الدين ومشاق التكليف، ونختبر أعمالكم ونظورها.

٣٢- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا الناس عن الإسلام واتباع الرسول ﷺ وهم على الراجح يهود بني قريظة وبني النضير، وعادوا الرسول، من بعد علمهم أنه نبي من عند الله، لن يضروا الله شيئاً بكفرهم وصدعهم عن الإسلام، وسيبطل الله أعمالهم الخيرية لكفرهم، ومكائدهم ضد الإسلام. قال ابن عباس: هم المطعمون يوم بدر. وقال غيره: في أهل الكتاب.

٣٣- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله: أطيعوا أوامر الله، وأوامر الرسول فيما بلغكم من الشرائع في القرآن

والسنة، ولا تضيعوا ثواب أعمالكم بما يبطل به هؤلاء أعمالهم بالرياء والسمة والنفاق، ولا تبطلوا حسناتكم بالمعاصي ومخالفة أوامر الله ورسوله. نزلت في بعض الصحابة، لتنبههم، فخافوا أن يبطل الذنب العمل.

٣٤- إن الذين كفروا بالله ورسوله، ومنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، ثم مآتوا على الكفر، فلا يغفر الله لهم ذنوبهم، وإنما يعذبهم لشركهم. نزلت في أصحاب القليب، أي يثر بدر، حيث ألقى قتلة المشركين فيها.

٣٥- فلا تضعفوا عن القتال، وتدعوا الكفار إلى الصلح والمسالة ابتداء منكم، وخوراً وتذلاً مع الكفار إذا لقيتموهم، وأنتم الغالبون بالسيف والحجة. والمراد أن الغلبة في النهاية لكم، وإن تغلبوا عليكم أحياناً، فالله يؤيدكم بنصره، ولن يضيع ثواب أعمالكم ولن ينقصها شيئاً من الأجر.

٣٦- إنما شأن الحياة الدنيا والاشتغال فيها لعب: وهو كل ما لا منفعة فيه في المستقبل ولا يشغل عن مهام الأمور، ولهو: وهو ما ليس فيه منفعة ويشغل عن النافع، وإن تؤمنوا بالله ورسوله، وتتقوا الله بالالتزام بأوامره واجتناب نواهيه، يُعطكم الثواب على الطاعة، ولا يُطلب إخراج جميع أموالكم من ملكيتكم، بل يقتصر على الزكاة المفروضة.

٣٧- إن يطلب الله منكم إنفاق جميع أموالكم في سبيله، فيجهدكم ويلح عليكم، تبخلوا بها وتمتنعوا عن أدائها، ويخرج أحقادكم وما في قلوبكم من البخل والعداوة وكرهة الإنفاق.

٣٨- ها أنتم معشر المؤمنين تدعون لتتفقوا في سبيل الله بالزكاة ونفقات الجهاد ونحوها، فمنكم من يبخل في هذا السبيل ويسير المال، ومن يبخل بالزكاة والصدقات، فلما يبخل على نفسه بمنع الخير عنها، وتفويت الثواب، والله الغني عن نفقتكم، وأنتم الفقراء إلى الله، وإن تعرضوا عن طاعته، يجعل بدلکم قوماً آخرين، ثم لا يكونوا أمثالكم في الإعراض عن الإيمان والطاعة والبخل بالإنفاق في سبيل الله تعالى.

سورة الفتح

فضلها: نزلت هذه السورة على النبي ﷺ بعد عودته من الحديبية، روى أحمد والبخاري وغيرهما عن عمر أن النبي ﷺ قال: «نزل علي البارحة سورة هي أحب إلي من الدنيا وما فيها: ﴿إنا فتحنا لك...﴾».

١- إنا فتحنا لك أيها الرسول فتحاً مؤزرًا وواضحاً، بالنصر على المشركين في صلح الحديبية. نزلت سورة الفتح بين مكة والمدينة في شأن الحديبية من أولها إلى آخرها.

٢- كي يغفر الله لك ما تقدم من ذنبك قبل الفتح وبعده. والمراد بالذنب هنا: فعل ما هو خلاف الأولى والأفضل بالنسبة لمقام الأنبياء - ويُم نعمته عليك بإظهار الدين وإعلانه، ويرشدك الطريق القويم لتبليغ رسالتك، والمراد: لكي يجتمع لك هذه الأمور الثلاثة: النصر المؤزر، وتمام النعمة في الفتح وإعلاء الدين، وهداية الصراط.

٣- ولكي ينصرك الله نصراً فيه عز ومنعة، وقوة وغلبة، أي نصراً يصعب حصول مثله لغيرك.

٤- هو الله الذي أنزل وأوجد الطمأنينة والثبات في



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ﴿١﴾ لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ
 وَيُذْهِبَ عَنْكَ اللَّهُ ذُرِّيَّتَهُ وَيَهْدِيكَ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ وَيُنصِرَكَ اللَّهُ
 نَصْرًا عَظِيمًا ﴿٣﴾ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ
 لِيَزِيدُوا إِيْمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ
 اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ لِيَدْخُلَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُجَادِلِينَ فِيهَا وَيُكْفَرُ عَنْهُمْ سِنَانَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ
 عِنْدَ اللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ وَيُعَذِّبُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ
 وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّالِمِينَ يَا اللَّهُ ظَنُّ السُّوءِ عَلَيْهِمْ ذُرِّيَّةُ السُّوءِ وَعَضِبَ
 اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾
 وَاللَّهُ جُنُودَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيمًا حَكِيمًا
 ﴿٧﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَهِيدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ لَتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ
 وَرَسُولِهِ وَتَعَزَّوْهُ وَتُقِرُّوهُ وَأَسْحَبُوهُ بَكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾

قلوب المؤمنين وهم الصحابة يوم الحديبية الذين يابعون بيعة الرضوان على الثبات في القتال حتى النصر، ليزدادوا يقيناً إلى يقينهم السابق بالنصر وعزة الإسلام وانتشاره، والله جنود السموات والأرض لتنفيذ أوامره، من الملائكة والإنس والجن والحجارة والزلازل ونحوها، يدبر أمرهم ويوجههم كيفما يشاء، وكان الله عليماً بأحوال خلقه، حكيماً في تدبيره وصنعه. والمراد: جنود الله تعالى التي ثبت بها المؤمنين.

٥- يتلئ الله بجنوده من شاء ليدخل أهل الإيمان جنات تجري من تحت غرفها ويساتينها الأنهار، ويستتر ذنوبهم ولا يظهرها ولا يعدبهم بها، وكان ذلك الوعد بالجنة والمغفرة عند الله وفي حكمه فوزاً لا يعادله فوز آخر. قال جابر: قال النبي ﷺ: «لا يدخل النار أحد بايع تحت الشجرة».

٦- ويعذب أهل النفاق والشرك في الدنيا بالغم والقهر والأسر والقتل، وفي الآخرة بنار جهنم، أهل الظن السعي بأن الله لن ينصر نبيه، وأن كلمة الكفر تعلق، عليهم دائرة ما يظنون ويتظنون بالمؤمنين، وسخط الله عليهم، وطردهم من رحمته، وهياً لهم جهنم، ويشت مرجعاً ومكاناً ينتظرهم في الآخرة. و«دائرة السوء» الداهية التي تحيط بهم.

٧- والله جنود السموات والأرض كالملائكة والصواعق والزلازل والغرق وكان الله وما يزال قوياً لا يغلب، حكيماً في صنعه فلا يسوي بين المؤمن والكافر. والمقام هنا مقام تهديد المشركين، وفيما سبق مقام تدبير شؤون الخلق.

٨- إنا أرسلناك أيها الرسول شاهداً على أمتك بتبليغ الرسالة، ومبشراً بالجنة من أطاعك، ومحذراً بالنار من عصاك.

٩- أرسلناك بهذه الرسالة لتؤمنوا بالله وحده لا شريك له، ويرسوله خاتم الأنبياء، وتنصروه وتعظموه، وتترهبوا لله عما لا يليق به، صباحاً ومساءً، أي كل وقت.

١٠- إن الذين يبايعونك أيها النبي ببيعة الرضوان يوم الحديبية على الثبات في الجهاد وقتال قريش، إنما يبايعون الله، فالعقد مع النبي كالعقد مع الله، يد الله فوق أيديهم، أي أنه تعالى مطلع على مبايعتهم، وهذا تأكيد البيعة، فمن نقض العهد أو البيعة، فإنما ينقض على نفسه، أي يرجع وبال نقضه عليه وضرره به، ومن وفى في مبايعته بالصبر عند القتال، والثبات في مواجهة الأعداء، فسيعطيه الله ثواباً عظيماً، وهو الجنة.

١١- سيقول لك أيها الرسول المتخلفون من الأعراب حول المدينة، الذين لم يخرجوا معك إلى الحديبية أو إلى مكة للعمرة، وهم أسلم وجُهينة وغِفَار وأشجع والدبيل، معتمرين بالانشغال في شؤون أموالهم وأهليهم من النساء والأطفال عن الخروج معك، يقولون: لا يوجد من يقوم بهم، فاطلب لنا المغفرة من الله على التخلف عن الخروج معك، فكذبهم الله، في الاعتذار والاستغفار، فإنهم يقولون ذلك بمجرد النطق بألسنتهم من غير تعبير حقيقي عما في قلوبهم من النفاق، قل أيها النبي: فمن يمنعكم مما أراد الله بكم من خير أو شر؟ أي لا أحد يمنعكم من مشيئته، إن أراد إضرامكم اللاحق

إِنَّ الَّذِينَ يَبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَتَ فَإِنَّمَا يَنْتَكُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهُ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلْفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْنَا يَتَوَلَّوْنَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَّا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نِعْمًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ وَالْمُؤْمِنُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَلِكَ فِي قُلُوبِكُمْ وَظَنَّتُمْ أَنْ تَلْنُ السَّوْءَ وَكُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا ﴿١٢﴾ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ مَلِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَكَانَ اللَّهُ عَفُوًّا رَحِيمًا ﴿١٤﴾ سَيَقُولُ الْمُخَلْفُونَ إِذَا انْطَلَقْتُمْ إِلَى مَعَانِمِ لَنَا خُذُواهَا ذُرُونَا تَتَّعِبُكُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ قُلْ لَنْ نَبْعُودَ كُذِّبَكُمْ قَالَ اللَّهُ مِنْ قَبْلِ فَسَيَقُولُونَ بَلْ نَحْسُدُونَا بَلْ كَانُوا لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾

بالأهل والمال والنفس، من قتل وهزيمة وسوء حال وضياع، أو أراد نفعكم بما يفيد حفظ النفس والمال والأهل وتيسير الحصول على المال بالغنيمة أو تحقيق العزة بالنصر، بل كان الله خبيراً بأعمالكم، لا تخفى عليه خافية منها، وقوله: ﴿فمن يملك﴾؟ استفهام بمعنى النفي، أي لا أحد يمنعكم، و﴿ويل﴾ للانتقال من غرض إلى آخر.

١٢- بل ظننتم أيها المنافقون أن لن يرجع الرسول والمؤمنون إلى بلدكم وأهليهم من العشيرة والقرابة أبداً، وإنما يستأصلهم المشركون، وزُين لكم من الشيطان في قلوبكم امتناعكم من الخروج، وظننتم ظناً سيئاً ما ذكر وهو تخلي الله عن نصرة رسوله، وكنتم قوماً هلكت عند الله بهذا الظن وفساد العقيدة وسوء النية.

١٣- ومن لم يصدق بالله ورسوله، فأضمر النفاق وتشكك في إمداد الله عباده المؤمنين، فإننا أعددنا للكافرين ناراً ملتهبة شديدة الاستعار.

١٤- والله وحده ملك السموات والأرض، يديره كيف يشاء، ويتصرف به كيف يريد، يغفر (يستتر) الذنوب لمن يشاء من عباده، ويعذب بعدله من يشاء أيضاً، وكان الله واسع المغفرة والرحمة ولم يزل متصفاً بهما لكل من تاب وأناب.

١٥- سيقول المتخلفون المذكورون عن الحديبية، إذا ذهبتم إلى معانم خبير لتأخذوها وتحوزوها: اتركونا تتبعكم لتأخذ منها، يريدون أن يغيروا كلام الله: وهو وعده لأهل الحديبية خاصة أن يعرضهم عن غنائم مكة بغنائم خبير، قل لهم أيها الرسول: لن تتبعونا إلى خبير، يمثل ذلك أخبرنا الله أن غنيمة خبير لمن شهد الحديبية خاصة، فسيقول المنافقون عند سماع هذا الخبر: إنكم تمنعوننا من اتباعكم والخروج معكم حسداً منكم، لثلاث تشاركونا في الغنيمة، بل كانوا في الواقع لا يعلمون من أحكام الدين إلا شيئاً قليلاً: وهو ما يتعلق بالغنائم فقط.

١٦ - قل أيها النبي للمتخلفين عن الحديبية من الأعراب سكان البادية - كرر ذلك مبالغة في الذم وشناعة التخلف - : استدعون إلى قتال قوم أصحاب قوة ضاربة وعزيمة صارمة في الحروب ، بأحد الأمرين فقط : إما المقاتلة أو الإسلام ، فإن طيعوا الله ورسوله فيما أمر ، وتصبروا عند لقاء الأعداء ، يؤتكم الله ثواباً جزيلاً : هو الغنيمة في الدنيا ، والجنة في الآخرة ، وإن تعرضوا وتتخلفوا كما تخلفتم عن الحديبية ، يعذبكم الله عذاباً مؤلماً .

١٧ - ليس على أصحاب الأعدار إثم ومواخذة في ترك الجهاد لعجزهم وعدم استطاعتهم وهم الأعمى والأعرج والمريض ، ومن يطع الله ورسوله في كل ما أمر به ونهى عنه ، يدخله جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار ، ومن يعرض عن الطاعة ، يعذبه الله عذاباً مؤلماً في نار جهنم . قال ابن عباس : لما نزلت : ﴿ وَإِنْ تَسَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلِ ﴾ [الفتح ٤٨ / ١٦] قال أهل الزمارة : كيف بنا يا رسول الله ؟ فأنزل الله : ﴿ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ ۚ ۞ ﴾ .

١٨ - لقد رضي الله عن المؤمنين من الصحابة حين يابعوك ببيعة الرضوان تحت الشجرة في الحديبية على

الثبات في القتال ضد قريش ، فعلم ما في قلوبهم من

قُلْ لِلْمُخَلَّفِينَ مِنَ الْأَعْرَابِ سُدُّوْنَ إِلَى قَوْمِ أُوْلَىٰ بِأَسْسِدِ بِيَدِ تَمَلُّوْهُمْ أَوْ يُسَلِّمُوْنَ فَإِنْ طَعِبُوا يُؤْتِيْكُمْ اللهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِنْ تَوَلَّوْا كَمَا تَوَلَّيْتُمْ مِنْ قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ لَيْسَ عَلَى الْأَعْمَى حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْأَعْرَجِ حَرْجٌ وَلَا عَلَى الْمَرِيضِ حَرْجٌ وَمَنْ يَطِيعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَنْ يَتَوَلَّ يَؤَذِّبْهُ اللهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ لَقَدْ رَضِيَ اللهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنْزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَعَاقِمٌ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿١٩﴾ وَعَدَدَكُمْ اللهُ مَعَاقِمٌ كَثِيرَةً تَأْخُذُوهَا فَجَعَلَ لَكُمْ هُدًى مِّنْ بَيْنِ أَيْدِي النَّاسِ عِنْدَكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيكُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ وَآخَرَى لَوْ تَقَدَّرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللهُ بِهَا وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ وَلَوْ فَتَنَّا لَكُمْ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوَلَّوْا الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُجِدُونَ لِيَابًا وَلَا أَعْيُنًا ﴿٢٢﴾ سُنَّةُ اللهِ الَّتِي قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلُ وَلَنْ يَجِدَ لِسُنَّةِ اللهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾

الصدق والوفاء وإخلاص البيعة ، فأنزل الطمأنينة والأمن عليهم ، وسكن نفوسهم ، وجازاهم بفتح خيبر وانتشار الدعوة الإسلامية بعد صلح الحديبية مباشرة . نزلت بعد أن بايع الصحابة تحت شجرة (سمرة) رسول الله ﷺ .

١٩ - وأتابهم ومنحهم أيضاً مغنم كثيرة يأخذونها هي مغنم خيبر بعد فتحها سنة ٧ هـ ومصالحة أهلها على نصف ما يخرج من أرضها من ثمر أو زرع ، وكان الله قوياً لا يُغلب ، حكيماً في تدبير أمور خلقه .

٢٠ - وعدكم الله أيها المؤمنون مغنم كثيرة تأخذونها من أعدائكم إثر الفتوحات إلى يوم القيامة ، فعجل لكم غنائم خيبر ، ومنع عنكم أيدي قريش بالصلح واليهود وحلفائهم حول المدينة باللقاء الرعب في قلوبهم ، ولتكون هذه الغنائم المعجلة وكف اليهود دليلاً على صدق وعد الله تعالى ووعد رسوله في جميع ما يعدهم به ، ويهديكم طريقاً قوياً بتلك الآية (الدليل) لطاعته ومرضاته .

٢١ - ووعدكم أيضاً فتوحات ومغنم أخرى هي مغنم فارس والروم وهوازن وثقيف يوم حنين ، لم تقدروا عليها الآن ، لحاجتها إلى إعداد أقوى ، علم الله أنها ستكون لكم ، وكان الله وما يزال تام القدرة على كل شيء ، لا يعجزه شيء .

٢٢ - ولو قاتلكم الكفار القرشيين بالحديبية ، لهربوا وانهمزوا ، ثم لا يجدون صديقاً حامياً يحرسهم ، ولا معيناً يدفع عنهم الهزيمة والعار ، وينصرهم عليكم .

٢٣ - هذا حكم الله وقانونه العام القديم في الماضي من نصر المؤمنين وهزيمة الكافرين المعادين ، ولن تجد أيها النبي لهذه السنة الدائمة العامة تغييراً ، وإنما هي دائمة مستمرة ثابتة .



وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطِينِ مَكَّةَ
 مِنْ بَعْدِ أَنْ أظْهَرَ كُفْرَ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ
 بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ هُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوكُمْ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَالْهَدْيِ
 مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ حِلَّهُمْ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُؤْمِنُونَ وَنِسَاءٌ
 مُؤْمِنَاتٌ لَمُتَّعَلَمُونَ هُمْ أَنْ تَطَّوَّهُمْ فُقِّدِيكُمْ مِنْهُمْ مَعْرُوفًا
 بغير علمٍ لِيَدْخُلَ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ مِنَ نِسَاءٍ لَوْ تَزَيَّلُوا لَعَذَّبْنَا
 الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا
 فِي قُلُوبِهِمْ آخِزَةً حِمِيَةً الْجَاهِلِيَّةَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ
 عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ هُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا
 أَحْسَنَ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿٢٦﴾ لَقَدْ
 صَدَّقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءُوسَ بِالْحَقِّ لِنُدْخِلَنَّهُ السَّجِدَ الْحَرَامَ
 إِنْ سَاءَ اللَّهُ عَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ
 لَا تَخَافُونَ ﴿٢٧﴾ فَكَمَا قُرَيْبًا ﴿٢٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ
 الْحَقِّ يُظَاهِرُهُمْ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَفَى بِاللَّهِ شَهِيدًا ﴿٢٩﴾

٢٤- والله هو الذي كف أيدي المشركين عنكم،
 وكف أيديكم معشر المؤمنين عنهم، بوادي الحديبية
 القريب من مكة، لما جاؤوا يصدون رسول الله ﷺ
 وصحبه عن البيت الحرام، عام الحديبية، من بعد أن
 أظهركم عليهم وجعلكم متغلبين عليهم، حيث طاف
 ثمانون رجلاً من المكين بعسكر المسلمين ليصيبوا
 منكم، فأخذهم المسلمون ثم تركوهم، وكان الله بما
 تعملون بصيراً مطلعاً على جميع الأمور. أخرج
 مسلم وغيره عن أنس قال: لما كان يوم الحديبية،
 هبط على رسول الله ﷺ ثمانون رجلاً من جبل
 التنعيم، يريدون غرة النبي ﷺ، فأخذوا،
 فاعتقهم، فنزلت الآية.

٢٥- هم كفار مكة الذين كفروا بالله ورسوله،
 ومنعوا المسلمين أن يطوفوا بالبيت الحرام، ومنعوا
 الهدي (الإبل ونحوها) عن بلوغ محله، أي منحره،
 حيث يحل نحره من الحرم، وكان الهدي سبعين
 بدنة، فرخص الله تعالى لهم ذبحه في الحديبية خارج
 الحرم، ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات
 مستضعفون أبرياء موجودون بمكة مع الكفار لم
 تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم بالمشركين، لئلا
 تهلكوا، لأمرناكم بقتالهم، فتصيبكم من جهة
 أولئك الأبرياء مشقة، بغير علم منكم، فيقول المشركون: إن المسلمين قتلوا أهل دينهم، لو تميز المؤمنون عن
 الكافرين، لعذبنا الذين كفروا من أهل مكة بالقتل عذاباً مؤلماً موجعاً. قال أبو جعفر حبيب بن سبع: قاتلت
 النبي ﷺ أول النهار كافراً، وقاتلت معه آخر النهار مسلماً، وكنا ثلاثة رجال وسبع نساء، وفيها
 نزلت: ﴿ولولا رجال مؤمنون...﴾.

٢٦- وقت العذاب حين جعل هؤلاء الكفار المشركون في قلوبهم الأنفة - أنفة الجاهلية - الناشئة عن غرور بالعظمة
 الكاذبة، حين منعوا المسلمين من دخول المسجد الحرام عام الحديبية، فأنزل الله الطمأنينة والرضا والشبات على
 رسوله وعلى المؤمنين، حيث لم يفتروا ولم تأخذهم الحمية، وأمرهم بكلمة التقوى ووقفهم إليها، وهي: (لا إله
 إلا الله، محمد رسول الله) لأنها سبب التقوى وأساسها، وهي الباعثة على الوفاء بالعهد، وكانوا أجدر وأولى بها،
 وأهلاً لها، ولما يترتب عليها من الوفاء بالعهد، وكان الله واسع العلم بكل شيء، لا تخفى عليه خافية.

٢٧- لقد أنفذ وحقق الله رؤيا رسوله، ولم يكذبه، لتدخلن أيها النبي مع صحبك المسجد الحرام بمشيئة الله في
 العام القادم، مُحَلِّقاً بعضكم جميع شعورهم، ومقصرراً آخرون بعض شعورهم، لا تخافون أبداً، فعلم ما لم
 تعلموا من الحكمة في تأخير ذلك، فجعل من دون دخول المسجد، وفتح مكة فتحاً قريباً حصوله: وهو فتح خبير
 وصلاح الحديبية الذي كان أعظم فتح لانتشار الإسلام. قال مجاهد: أرى النبي ﷺ وهو بالحديبية أنه يدخل
 مكة هو وأصحابه آمنين، محلِّقين رؤوسهم ومقصرين، فنزلت الآية.

٢٨- الله هو الذي أرسل رسوله محمداً ﷺ بالقرآن، ودين الإسلام الحق، ليعليه على جميع الأديان، وكفى بالله
 شاهداً على تحقيق وعده وصحة نبوة رسوله.

تَحْمَدُ رَسُولَ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءَ عَلَى الْكُفَّارِ رَحِمَةً
بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا
سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْبَةِ
وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْطَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ
فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يَجْبُ الرِّزْقَ لِيُعْطِيَهُمُ الْكُفَّارُ وَعَدَّ اللَّهُ
الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْدُمُوا إِنْ بَدَأَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَأَنْقَضُوا
اللَّهُ أَنْ اللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا
أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ
بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ يَحْطَبَ أَعْيُنُكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ﴿٢﴾ إِنْ
الَّذِينَ يَعْضُونَ أَصْوَاتَهُمْ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ أُولَئِكَ الَّذِينَ امْتَحَنَ
اللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَى لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾

٢٩- محمد هو رسول الله، وأصحابه المؤمنون به غلاظ شداد على الكفار، متراحمون متعاطفون فيما بينهم، تبصرهم حال كونهم راكعين ساجدين، لاشتغالهم بالصلاة في أكثر أوقاتهم، يطلبون الثواب والرضا والجنة من الله تعالى، علامتهم المميزة لهم من وجوههم من كثرة السجود في الصلاة، ذلك وصفهم في التوراة، ووصفهم في الإنجيل، كزرع أخرج فراخه أو فروعه، فقواه، فغلظ، وقوي واشتد واستقام على أصوله، يعجب هذا الزرع الزراع لحسنه وغمائه وكشورته، شبهوا بالزرع ليغيب الله بكثرتهم وقوتهم الكفار، وعد الله الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا ما أمرهم الله به ونهاكم عنه، صفحاً وعفواً عن ذنوبهم، وثواباً جزيلاً وهو الجنة على أعمالهم.

سورة الحجرات

١- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا تقررروا في مسألة حكماً قبل أن يحكم الله ورسوله فيها، وخافوا الله في جميع أموركم بفعل ما أمر وترك ما منع، إن الله سميع لأقوالكم، عليم بأفعالكم.

أخرج البخاري وغيره عن عبد الله بن الزبير قال: (قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلا خلافي، فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما، فأنزل الله هذه السورة).

٢- يا أيها المؤمنون لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي إذا تكلم، صوتاً لاحترامه وتقديره، وتركاً لما يتنافى مع توقيره والاحترام منه، ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضهم لبعض فلا تنادوه باسمه وإنما بصفته من النبوة أو الرسالة، ولا تخاطبوه كما يخاطب بعضكم بعضاً، إجلالاً له، خوف أن يبطل ثواب أعمالكم، وأنتم لا تشعرون بضياعها وأنهما محبطة. قال قتادة: كانوا يجهرون له بالكلام، ويرفعون أصواتهم، فأنزل الله: ﴿ لا ترفعوا أصواتكم ﴾.

٣- إن الذين يخفضون أصواتهم عند رسول الله تأدباً معه، مرّن الله قلوبهم على احتمال المشاق والتكاليف، حتى صارت خالصة للتقوى، أي الطاعة وتجنب المعصية، لهم مغفرة لذنوبهم، وثواب عظيم على طاعتهم. يقال: امتحن الصانع الذهب: إذا أذابه ليخلصه من شوائبه، والمراد: أخلص قلوبهم للتقوى. نزلت في ثابت ابن قيس الذي جلس يبكي في الطريق خشية أن يرفع صوته فوق صوت النبي؛ لأنه كان صيماً رفيع الصوت، فدعاه رسول الله ﷺ وقال له: أما ترضى أن تعيش حميداً، وتقتل شهيداً، وتدخل الجنة؟ قال: رضيت، ولا أرفع صوتي أبداً على صوت رسول الله ﷺ، فأنزل الله: ﴿ إن الذين يعضون ﴾.

٤- إن الذين ينادونك من خلف أو خارج غرفات سكنك في زمن الراحة، أكثرهم جاهلون لا يتعمقون ما ينبغي مراعاته من الأدب والاحترام لك. قال زيد بن أرقم: جاء ناس من العرب إلى حَجْر النبي ﷺ، فجعلوا ينادون: يا محمد، يا محمد، فأنزل الله هذه الآية.

٥- ولو أنهم انتظروا خروجك، لكان صبرهم خيراً لهم من الاستعجال، لما فيه من الأدب وتعظيم مقامك، والله واسع المغفرة للمستغفرين، والرحمة للثائين، حيث اقتصر على النصح وتقريع المستين للأدب.

٦- يا أيها المؤمنون إن جاءكم بخبر مهم فاجر خارج عن حدود الدين لا يبالي بالكذب، فاطلبوا بيان الحقيقة وتثبتوا من صحة النبأ قبل ترتيب الآثار عليه، خشية أن تصيبوا قوماً أبرياء بسوء أو مكروه، فتصيروا على ما فعلتم من الخطأ نادمين مغتمين، ممتنين أنه لم يقع. نزلت في الوليد بن عقبة بن أبي معيط، بعثه رسول الله ﷺ إلى بني المصطلق مُصَدِّقاً (ياخذ الزكوات الغنم) فلما سمعوا به ركبوا إليه، فخافهم ورجع، وقال: إن القوم هموا بقتلي، ومنعوا صدقاتهم، فهم النبي ﷺ بغزوهم، فجاء وفداهم وقالوا: يا رسول الله، سمعنا برسولك، فخر جئنا نكرمه، ونؤدي إليه ما قبلنا من الصدقة.

٧- واعلموا معشر المؤمنين أن فيكم رسول الله، فلا تقولوا قولاً باطلاً، فإن الله يخبره بالخالق، لو يطعمكم في كثير من الأمور التي تخبرونه بها على خلاف الواقع، لو قعتم في العنت وهو الجهد والمشقة، والهلاك والعناء، ولكن الله

حسن وحبب إليكم الإيمان، وغرسه في قلوبكم، وبغض إليكم الكفر (تغطية نعم الله تعالى بجهودها) والفسوق (الخروج عن الحد الديني وهو هنا الكذب) والعصيان (المخالفة والمعاصي) والذنوب، وهو من عطف العام على الخاص) أولئك البعض المتبئون هم الثابتون على دينهم، المهتدون إلى الفضائل والآداب.

٨- فعل الله ذلك بكم بتحبيب ما حبب، وتكريه ما كره، فضلاً من الله ونعمة، والله عليم بأمور عباده وأحوالهم من التفاضل، حكيم في صنعه وتدييره بهم من الإنعام والتوفيق.

٩- وإن تقاطلت فتتان من المؤمنين، فأصلحوا بينهما أيها المسلمون بالنصح والإرشاد للعمل بكتاب الله والرضا بحكمه، فإن تعدت ومحازوت الحد في الطغيان إحدى الفتنين على الأخرى، ورفضت المصالحة، فقاتلوا الفئة المعتدية، حتى ترجع إلى كتاب الله، فإن عادت، فأصلحوا بينهما بالعدل بتضمين المعتدي جزاء عدوانه، واعدلوا، إن الله يحب العادلين، أي يحمد فعلهم بحسن الجزاء. نزلت في رجلين من الأنصار، تنازعا في حق بينهما، واستعان كل منهما بعشيرته، فتدافعا، وتناول بعضهم بعضاً بالأيدي والنعال، لا بالسيف.

١٠- إنما المؤمنون إخوة في الدين والعقيدة، فأصلحوا بين أخويكم عند الاقتتال أو المنازعة، واتقوا الله في مخالفة حكمه والوساطة، لكي ترحموا وتوفقوا في الإصلاح بسبب التقوى.

١١- يا أيها المؤمنون لا يهزأ قوم رجال من قوم آخرين، عسى أن يكون المهزوء بهم عند الله خيراً من الهازئين، ولا يسخر نساء من نساء ربما كان المسخور منهن خيراً من الساخرات بهن، ولا يطعن بعضكم ببعض بقول أو إشارة، ولا تلتقبوا بالقباب قبيحة مكروهة، ساء تسمية أحد فاسقاً أو كافراً بعد اتصافه بالإيمان، ومن لم يتب عما نهى الله عنه، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم بالتبني للعذاب. نزلت في وفد بني تميم الذين نزلت السورة بشأنهم، استهزؤوا بفقراء الصحابة، لما رأوا رفائة حالهم، فنزلت في الذين آمنوا منهم.

إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ كَثُرُوا لَا يَعْلَمُونَ ﴿١﴾ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْحِرُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ ﴿٣﴾ وَاعْلَمُوا أَن زُيِّنَ لَكُمْ رَسُولٌ اللَّهُ لِيُطِيعَكُمْ فِي كَثِيرٍ مِّنَ الْأُمُورِ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانِ وَذِيئِهِ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاسِخُونَ ﴿٤﴾ فَضَلَّامٌ لَّهِ وَنِعْمَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥﴾ وَإِن طَافْتُمْ عَلَى الْأَرْضِ فَتَبَيَّنُوا أَنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ فَإِنِ بَدَأَ فَآدَمٌ فَاصْلَحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٦﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلَحُوا بَيْنَ أَخْوَابِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرُ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ عَسَىٰ أَنْ يَكُونُوا خَيْرًا مِنْهُمْ وَلَا نِسَاءٌ مِنْ نِّسَاءِ عَسَىٰ أَنْ يَكُنَّ خَيْرًا مِنْهُنَّ وَلَا الْمَرْءُ وَالْمَرْءُ وَالنِّسَاءُ وَالْمَرْءُ بِالْأَلْفَبِّ بَلِّسَ لَأَسْمُ الْفُسُوقِ بَعْدَ الْإِيمَانِ وَمَنْ يَرْتَبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٨﴾

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيرًا مِّنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ
وَلَا تَجَسَّسُوا وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَتُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ
لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾
يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا
وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ
خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ﴿١٤﴾ قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُل لِّمَ تَقُولُونَ وَلَكِن
قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ وَإِنْ تُطِيعُوا اللَّهَ
وَرَسُولَهُ لَا يَلِفْ لَكُمْ مِنكُمْ شَيْءٌ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ
رَّحِيمٌ ﴿١٥﴾ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ
ثُمَّ لَمْ يَرْبُوا وَجْهًا وَلَا مَالًا لِنَفْسِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ
أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿١٦﴾ قُلْ اتَّقُوا اللَّهَ يَدِينِكُمْ
وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ
﴿١٧﴾ يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُل لَّا مَنُوعَ لِي إِسْلَامِكُمْ بَلِ اللَّهُ مَنُّ
عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَيْتُمُ الْإِيمَانَ إِنَّ كَثِيرًا مِّنكُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ
غَيْبَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾

١٢- يا أيها المؤمنون ابتعدوا وتجنبوا عن كثير من
الظنون، وذلك بأن يظن بأهل الخير سوءاً، إن بعض
الظن ذنب موقع في الإثم يوجب العقاب، وهو ظن
السوء بأهل الخير، أما أهل السوء والفسق فيجوز ظن
السوء بهم بأمارات، مثلما ظهر منهم، ولا تبحتوا عن
عورات الناس وعيوبهم المستورة، ولا يغتب أحد
غيره، والغيبة: ذكرك أخاك بما يكره في غيبته، أيح
أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً، أي إن الغيبة تشبه أكل
ميتة الإنسان. وهذا تصوير فعل الغتاب بأشنع صورة
طبعاً و عقلاً. وأكل لحوم البشر حرام مستقذر، ومثله
الغيبة، كلاهما قبيح، واتقوا الله باتباع أمره واجتتاب
نهيهِ، إن الله قابل التوبة، رحيم بعباده التائبين. قال
ابن جرير: زعموا أنها نزلت في سلمان
الفراسي أكل ثم رقد، فذكر رجل أكله وراقده،
فنزلت.

١٣- يا أيها الناس، إنا خلقناكم من أصل واحد،
آدم وحواء، فلا تفاخر بينكم في الأنساب،
وجعلناكم شعوباً وقبائل لتتعارفوا، أي خلقناكم
لأجل التعارف، لا للتفاخر بالأنساب، والشعوب:
الأمم الكبيرة كربيعة ومضر وخزيمية التي تضم قبائل،
والقبائل: ما دون الشعوب، كبنو بكر من ربيعة،
وبني تميم من مضر، إن أفضلكم وأرفعكم منزلة عند
الله أتقاكم له، إن الله عليم بكل شيء، خبير ببواطن
الأمر والأسرار. نزلت بشأن التهكم من بلال، حينما رقي على ظهر الكعبة، يوم فتح مكة للأذان،
فدعاهم النبي ﷺ وزجرهم على التفاخر بالأنساب.

١٤- قالت الأعراب (سكان البادية): صدقنا بما جئت به أيها الرسول، وامتنلنا الأوامر، قل لهم: قولوا أعلننا
إسلامنا في الظاهر، وانقذنا ظاهراً فقط، ولم يدخل الإيمان الصحيح إلى الآن في قلوبكم، وإن طيعوا الله ورسوله
بالإخلاص وترك النفاق، لا ينقصكم الله شيئاً من ثواب أعمالكم، إن الله غفور لما فرط منكم، وإذا تبتم، رحيم
بالتفضل عليكم بقبول التوبة، وبالمستغفرين. نزلت في نفر من بني أسد بن خزيمية، قدموا المدينة في سنة
جدية، وأظهروا الشهادتين، ولم يكونوا مؤمنين في السر.

١٥- إنما المؤمنون بحق: الذين آمنوا بالله ورسوله، ثم لم يشكوا في شيء من الإيمان، وجاهدوا بأموالهم
وأنفسهم في طاعة الله ورضوانه، أولئك هم الصادقون في إيمانهم، لا من قالوا: آمنا ولم تؤمن قلوبهم، ولم يوجد
منهم غير الإسلام الظاهري.

١٦- قل أيها الرسول لهؤلاء: أتخبرون الله بقولكم: آمنا، والله يعلم بذلك وبكل شيء في السموات
والأرض، والله بكل شيء واسع العلم، لا يخفى عليه شيء.

١٧- يمتنون عليك أي أولئك الأعراب بإسلامهم، ويعلمون ذلك منه ونعمة مقدمة منهم، ويتفضلون بقولهم:
قاتلك بنو فلان، ولم نقاتلك، قل لهم: لا تمتنوا علي بإسلامكم، بل الله يمتن عليكم أن أرشدكم ووفقكم للإيمان،
إن كنتم صادقين في ادعاء الإيمان. والمن: تعداد النعم.

١٨- إن الله يعلم ما غاب في السموات والأرض، والله بصير بما تعملون في السر والعلانية، ومجازيكم بما
تستحقون خيراً أو شراً.



وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعَّمْنَا عَلَيْهِ نِعْمَةً كَثِيرَةً وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ
 مِنْ حَسْبِ الْوَارِثِ ﴿١٦﴾ إِذْ بَلَغُوا الْمُلَاقِيَةَ مِنَ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ
 قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ مَا يَلْفُظُونَ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَسِيدٌ ﴿١٨﴾ وَجَاءَتْ
 سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذَلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾ وَنُجِيَ فِي الْأُصُورِ
 ذَلِكَ يَوْمَ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَنَجِيدٌ ﴿٢١﴾
 لَقَدْ كُنْتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا فَكَسَفْنَا عَنْكَ غِطَاءَكَ فَفَصَّرْنَاكَ الْيَوْمَ
 حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ وَقَالَ قَرِينُهُ هَذَا مَا لَدَى عَسِيدٍ ﴿٢٣﴾ أَلَقِيَ فِي جَهَنَّمَ كَلَّ
 كَارِ عَيْدٍ ﴿٢٤﴾ مَتَاعٍ لِقَرِينٍ مُعْتَدٍ مُرِيبٍ ﴿٢٥﴾ الَّذِي جَعَلَ مَعَ اللَّهِ
 إِلَهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِي الْعَذَابِ الشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ قَالَ قَرِينُهُ رَبَّنَا
 مَا أَفْلَحَ نَبِيٌّ وَلَكِنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ قَالَ لَا تَخْصِمُوا لَدَيَّ وَقَدْ
 قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلَ لَدَيَّ وَمَا أَنَا بِظَلِيمٍ
 لِلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلْ امْتَلَأْتِ وَنَقُولُ هَلْ مِنْ مَزِيدٍ ﴿٣٠﴾
 وَأَرْزَلْنَا الْجِنَّةَ السَّفِينَةَ عَبْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ هَذَا مَا أَوْعَدُونَكَ
 لِكُلِّ أَزْوَاجٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ الْعَلِيمَ وَجَاءَهُ
 بِقَلْبٍ مُنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ادْخُلْهَا سَلَامًا ذَلِكَ يَوْمَ الْخُلُودِ ﴿٣٤﴾

١٦- وتالله لقد خلقنا (أوجدنا) الإنسان، ونعلم ما تتحدث به نفسه سراً، ونحن أقرب إليه من العرق الذي في صفحة العنق، وهو الذي يجري فيه الدم ويعود إلى القلب.

١٧- اذكر حين يأخذ الملاكان الموكلان بالإنسان ما يتحدث به ويثبتانه، أحدهما قعيد عن يمينه لكتابة حسناته، والآخر قعيد عن شماله لكتابة سيئاته.

١٨- ما يتكلم الإنسان من كلمة أو كلام إلا لديه ملك يرقب قوله وعمله، ويكتبه ويحفظه، حاضر عنده مهياً لا يفارقه، لكتابة الخير والشر.

١٩- وجاءت شدة الموت وغمرته المنذلة للمعقول بحقيقة الأمر ويكل ما ينكره الكافر من أمور الآخرة، ذلك الموت الذي كنت تهرب وتفزع منه. ففي لحظة الموت يظهر للكافر صدق ما جاءت به الرسل من الإخبار بالبعث.

٢٠- ونفخ في القرن نفخة البعث، وهي النفخة الثانية، ذلك اليوم هو الذي توعد الله الكفار به، وهو يوم إنجاز الوعيد وتحقيقه بالعذاب.

٢١- وجاءت في ذلك اليوم إلى المحشر كل نفس معها سائق يسوقها إلى المحشر، وشهيد من الملائكة يشهد لها أو عليها من الخير أو الشر.

٢٢- ويقال للكافر: لقد كنت في الدنيا في غفلة من هذا الذي تشاهده من الشدائد، وسوء المصير، فكشفنا

عنتك حجابك الذي كان في الدنيا يحجبك عن أمور الآخرة، فبصرك اليوم حاداً، تبصر به ما أنكرته في الدنيا.

٢٣- وقال الملك الموكل به والمراقب له: هذا ما عندي من كتاب أعمالك حاضر مهياً.

٢٤- ويقال للملك السائق والشهيد: ألقيا في جهنم كل كثير الكفر، معاند للحق.

٢٥- كثير المنع للخير من وصوله إلى أهله كالزكاة، معتد على الناس، ظالم ينكر توحيد الله، شك في الله.

٢٦- الذي أشرك، فجعل مع الله إلهاً آخر، فالقياه (للتأكيد) في العذاب الشديد بناز جهنم. نزلت الآيات [٢٤ - ٢٦

في الوليد بن المغيرة الذي منع بني أخيه عن الخير، وهو الإسلام.

٢٧- قال شيطان المقارن له الذي أضله: ربنا ما أطغيته، ولكن كان في انحراف بعيد عن الحق، فاستجاب لي باختياريه.

٢٨- قال الله لهما: لا تتجادلوا عندي في موقف الحساب، فلا ينفع الجدال هنا، وقد تقدمت إليكم في الكتب مع الرسل بوعيدني بالعذاب.

٢٩- لا يغير القول عندي، ولا يبدك وعيدي، ولست بظالم أحداً، فلا أعدب بغير ذنب.

٣٠- اذكر حين نقول لجهنم: هل امتلأت بالمعذنين وأجزتْ وعدي لك، وتقول، هل هناك مزيد من هؤلاء؟

٣١- وقرئت الجنة تقريباً كثيراً غير بعيدة عنهم، بل يشاهدونها بأعينهم.

٣٢- يقال لهم: هذا هو الثواب الذي وعدتم به على السنة الرسل، لكل تواب إلى الله وطاعته، حافظ الشرائع.

٣٣- من خاف عقاب الله في وقت ومكان لا يراه فيه أحد، وجاء بقلب سليم مقبل على طاعة الله، مخلص في عبادته.

٣٤- يقال لهم: ادخلوا الجنة سالين من كل خوف وعذاب، وسلامنا عليكم، ذلك اليوم يوم الخلود في الجنة.



٣٥- لهؤلاء الأقياء ما يمتنون وما يشتهون من ألوان النعيم، ولدنيا زيادة نعيم مما لا يخطر لهم ببال.

٣٦- وكثيراً ما أهلكتنا قبل هؤلاء المشركين كفار قريش من أمة أو قرن (وهم الجماعة المقترنون في زمن واحد) هم أشد من قريش قوة، كعاد وثمود وغيرهما، فتقلوا وساروا في البلاد يطلبون الرزق والأمن، هل من مفر للتخلص من العذاب؟

٣٧- إن في ذلك المذكور في هذه السورة ومن قصة هؤلاء لتذكرة وموعظة لمن كان له عقل وإع يدرك به الحق، أو أصغى بسمعه للوعظ، وهو حاضر الذهن والفهم، متيقظ القلب.

٣٨- ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما من المخلوقات، وما أصابنا من تعب وإعياء. نزلت للرد على اليهود الذين زعموا أن الله استراح في اليوم السابع بعد خلق السموات والأرض، وهو يوم السبت، فكذبهم الله تعالى.

٣٩- فاصبر أيها النبي على ما يقول المشركون من إنكارهم البعث ورسالتك، فالله قادر عليهم متقم منهم، واصبر على قول اليهود بتشبيه الخالق بالبشر والتكذيب لك، ونزه الله عما لا يليق بجنابه قبل طلوع الشمس، أي في صلاة الفجر، وقبل غروب الشمس، أي في صلاة الظهر والعصر.

لَمْ يَأْتِئَاءُ وَنَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَوْمٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحْصٍ ﴿٣٦﴾ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ وَأَلْيَ السَّمْعِ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا سَأَلْنَا مِنْ أَعْيُنٍ فَأَصْبَحْنَا وَاعْتَبِرْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُحَانٍ مُسْوًى ﴿٣٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدُوا وَأَدْبُرَ النُّجُودِ ﴿٣٩﴾ وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِي الْمُنَادُ مِنْ قَرْيَةٍ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ نَسْمَعُ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمَ الْخُرُوجِ ﴿٤١﴾ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَاللَّيْلُ الْمُبِيتُ ﴿٤٢﴾ يَوْمَ نَسْفُقُ الْأَرْضَ عَنَّا سَرْعًا ذَلِكَ حَسْرَةُ عَلَيْنَا لَيْسَ ﴿٤٣﴾ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَتَّبِعُونَ وَمَا أَنتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ أَنْ مِنْ تَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالذَّرِيَّتِ دَرُورًا ﴿١﴾ فَأَلْمَلِكِ وَقَوْلِ ﴿٢﴾ فَأَلْجَرِيَّتِ بُسْرًا ﴿٣﴾ فَأَلْمَقْسِمَتِ
أَمْرًا ﴿٤﴾ إِنَّا نُوْعِدُونَ كُفَّارًا ﴿٥﴾ وَإِنَّا لَنَدِينُ لُؤْلُعًا ﴿٦﴾

- ٤٠- ونزه الله في الليل بصلاة المغرب والعشاء، وفي أعقاب الصلوات. وأدبار: أواخر الشيء.
- ٤١- واستمع أيها النبي لما أخبرك به من أحوال القيامة، يوم ينادي المنادي وهو إسرافيل بالنفخة الثانية، طالباً أحياء الأنفس، أو هو جبريل ينادي أهل المحشر: هلموا للحساب، من مكان قريب للناس، يسمعه جميع الخلائق.
- ٤٢- يوم يسمع الخلق كلهم صيحة البعث وهي النفخة الثانية من إسرافيل، مقترنة بالحق الذي ينكرونه، ذلك يوم الخروج من القبور للحساب والجزاء.
- ٤٣- إنا نحن نحيي الموتى، ونميت الأحياء، ولينا المرجع، لنجازي جميع الخلق بما عملوا.
- ٤٤- يوم تتصدع وتتشقق الأرض عنهم، مسرعين في الخروج إلى المنادي والمحشر، ذلك بعث وجمع هين علينا.
- ٤٥- نحن أعلم بما يقول كفار قريش، وما أنت عليهم بمسلط تجبرهم على الإيمان، فذكر بالقرآن من يخاف وعيدي.

سورة الذاريات

- ١- أقسم بالرياح التي تذر ذرواً التراب وغيره، أي تنقله من مكان إلى آخر، حتى يتطاير، وتشر الأبخرة في الجو حتى تنعقد سحاباً. يقال: ذروت الشيء أذروه: طيرته.
- ٢- فبالسحب التي تحمل الأمطار حملاً ثقيلاً. والوقر: حمل البعير، والمراد به السحاب الثقيل.
- ٣- فبالسفن التي تجري على سطح الماء، جرياً هيناً سهلاً.
- ٤- فباللائكة التي تقسم أمور العباد والأمطار والأرزاق وغيرها.
- ٥- إن الذي توعدون به من البعث والحشر والثواب والعقاب لوعده محقق الوقوع.
- ٦- وإن الجزاء والحساب لكائن كحتماً، لا محالة.

٧- أقسم والسماء ذات الطرق، لسير الكواكب.
 ٨- إنكم معشر الناس لفي قول متناقض مضطرب، فتقولون تارة: سحر وساحر، وتارة شعر وشاعر، وأحياناً كهانة وكاهن، ومرة: الله خالق السموات والأرض، ثم تعبدون الأوثان.
 ٩- يُصِرُّ عن هذا القرآن والرسول والإيمان بهما من صرفه الشيطان عن الهداية.
 ١٠- لُعن الكذابون أصحاب القول المختلف، المترابون في مواعيد الله تعالى.
 ١١- الذين هم في جهل بغمرهم، لاهون عما هم أمروا به وعما قادمون عليه في الآخرة.
 ١٢- يسألون النبي سؤال استهزاء وتكذيب: متى يوم القيامة؟ و﴿أيان﴾ اسم استفهام عن زمان.
 ١٣- يوم هم يُحَرَّقُونَ وَيُعَذِّبُونَ بعرضهم على جهنم. وأصل معنى الفتنة: إذابة المعدن لاختباره.
 ١٤- يقال لهم: ذوقوا تعذيبكم أو عذابكم، هذا الذي كنتم تتعجلون وقوعه في الدنيا استهزاء.
 ١٥- إن المطيعين أوامر الله المجتنبين معاصيه في بساتين فيها عيون جارية.
 ١٦- متلقين بالقبول والرضا ما أعطاهم ربهم من الثواب والخير والتكريم؛ لأنهم كانوا في الدنيا محسنين أعمالهم. و﴿إنهم﴾ أي لأنهم، تعليل لاستحقاقهم ذلك.

- ١٧، ١٨- كانوا ينامون سيرا، ويصلون أكثر الليل. وكانوا أواخر الليل قبل الفجر يطلبون من الله المغفرة.
 ١٩- وفي أموالهم نصيب للمستعطي الفقير الذي لا يجد شيئاً، والمعجز عن الكسب، أو الفقير المتعفف.
 ٢٠- وفي الأرض دلائل واضحة على وحدانية الله وقدرته للموحدين الذين أيقنوا بالله واستعدوا للإيقان.
 ٢١- وفي تركيب أنفسكم وخلقكم آيات دالة على توحيد الله وقدرته، أفلا تنظرون نظرة تأمل واعتبار؟
 ٢٢- وفي جهة السماء أسباب الرزق وهو المطر، والذي توعدون به من الثواب والعقاب، فهو مُدَوَّن في اللوح المحفوظ.
 ٢٣- فوالله رب السماء والأرض إن ما توعدون به من البعث والجزاء وضمان الرزق لحق ثابت لا شك فيه، مثل نطقكم، أي مماثل لنطقكم، أي إنه لحق مثلما تشعرون من القدرة على النطق، فما يعدكم الله به لا شك فيه.
 ٢٤- هل علمت أيها النبي بقصة ضيوف إبراهيم من الملائكة، المكرمين عند الله تعالى؟ والضيف يطلق على الواحد والجمع.
 ٢٥- حين دخلوا على إبراهيم، فقالوا له: نسلم عليك سلاماً، فأجابهم: سلام عليكم، أنتم قوم غير معروفين.
 ٢٦- فذهب خفية إلى أهله، فجاء بعجل مشوي، دسم. وفي سورة [هود ١١/٦٩]: ﴿بعجل حنيذ﴾ أي مشوي.
 ٢٧- فوضعه بين أيديهم وقال لهم: ألا تأكلون منه؟ فلم يجيبوا. و﴿الآ﴾ حرف للترغيب فيما يحصل بعده.
 ٢٨- فلما امتنعوا من الأكل، أحس في نفسه الخوف منهم، مضمرأ ذلك، ثم صرح به، فقالوا: لا تخف منا، إننا نرسل الله، ويشروه بولد ذي علم كثير، هو إسحاق عليه السلام، كما ذكر في سورة هود.
 ٢٩- فأقبلت امرأته (سارة) في صيحة وضجة، فلطمت وجهها بأطراف أصابعها عجباً وحياء، وقالت: كيف ألد، وأنا عجز كبيرة السن، عاقر لم ألد قط؟!
 ٣٠- قالوا لها: هكذا قال ربك، فلا تشكّي فيما أخبرناك، إن الله هو الحكيم في صنعه، الواسع العلم بأحوال خلقه.



٣١- قال إبراهيم للملائكة: فما شأنكم الخطير أيها الملائكة المرسلون، وما الأمر الذي أرسلتم به؟
 ٣٢- قالوا: إنا أرسلنا إلى قوم أجرموا وكفروا، وهم قوم لوط عليه السلام.
 ٣٣- لئرجمهم بحجارة من طين متحجر.
 ٣٤- معلمة عند ربك بعلمات تعرف بها، مخصصة للمتجاوزين الحد في الفجور.
 ٣٥- فأخرجنا من كان في قري قوم لوط من المؤمنين برسالة لوط عليه السلام كيلا يهلكوا.
 ٣٦- فما وجدنا فيها غير أهل بيت من المسلمين، وهم أهل بيت لوط إلا امرأته. والإيمان: هو العقائد، والإسلام: هو الأعمال المفروضة.
 ٣٧- وتركتنا في تلك القري علامة ودلالة على الهلاك للذين يخافون العذاب المؤلم.
 ٣٨- وجعلنا في قصة موسى آية وعبرة، حين أرسلناه إلى فرعون بحجة ظاهرة.
 ٣٩- فأعرض بجانبه فرعون متكبراً عن الإيمان برسالة موسى، وقال عنه: هو ساحر أو مجنون.
 ٤٠- فوجئنا فرعون مع جنوده للحاق بموسى، فطرحناهم في البحر، وفرعون أت بما يلام عليه من الكفر والطغيان.

قَالَ فَخَاطَبْتُمْ أَيُّهَا الرُّسُلُونَ ﴿٣١﴾ قَالُوا إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَى قَوْمِ لُوطٍ مِنْ قَبْلِكَ لِيُزِيلَ عَنْهُمْ حِجَابَ قَدْحٍ مِنْ طِينٍ ﴿٣٢﴾ فَسَوَّمَهُمْ عِنْدَ ذَلِكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٣﴾ فَأَخْرَجْنَا مَنْ كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٤﴾ فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٥﴾ وَتَرَكْنَا فِيهَا آيَةً لِلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٦﴾ وَفِي مُوسَى إِذْ أَرْسَلْنَاهُ إِلَى فِرْعَوْنَ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٧﴾ فَقَوْلَى بِرَبِّكَ وَقَالَ سِحْرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٨﴾ فَأَخَذْنَاهُ وَجُودَهُ فَنَبَذْنَاهُ فِي الْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٣٩﴾ وَفِي عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ ﴿٤٠﴾ مَا تَذَرُونَ شَيْءاً أَنْتَ عَلَيْهِ إِذْ جَعَلْنَاهُ كَالرَّمِيمِ ﴿٤١﴾ وَفِي نُوحٍ إِذْ قِيلَ لَهُ تَخَوَّفْنَا أَلَمْ نَخْلُقْ مِنْ أَمْرٍ رَبِّهِمْ فَأَخَذْتَهُمُ الصَّاعِقَةَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ ﴿٤٢﴾ فَأَنسَطَعُوا مِنْ قِيَامٍ وَمَا كَانُوا مُتَعَبِينَ ﴿٤٣﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٤٤﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٤٥﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٤٦﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٤٧﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٤٨﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٤٩﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٥٠﴾ وَفِرْعَوْنَ إِذْ جَاءَتْهُ قَوْمًا لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ وَاكْفَارًا ﴿٥١﴾

٤١- وفي قصة عاد قوم هود جعلنا أيضاً عبرة وعظة حين أرسلنا عليهم الريح التي لا خير فيها ولا نفع، ولا تحمل مطراً، ولا لقاحاً لشجر، وهي ريح الهلاك والعذاب.
 ٤٢- ما ترك من شيء مرّت عليه إلا جعلته كالرماد أو كالشيء الهالك، و﴿من﴾ حرف لعموم ما بعده.
 ٤٣- وتركتنا في قصة ثمود قوم صالح كذلك عبرة ودلالة حين قيل لهم بعد عقر الناقة: استمتعوا في عيشتكم إلى موعد انتهاء آجالكم.
 ٤٤- فتكبروا عن أمر الله، وتجاوزوا الحد في الطغيان، وعقروا الناقة، فأخذتهم فجأة الصاعقة: وهي كل عذاب مهلك، وهم ينظرون إليها، لمحببتها نهاراً.
 ٤٥- لم يقدرُوا على النهوض أو الهرب، وما كانوا محميين أو ممتنعين من العذاب بنصرة غيرهم لهم.
 ٤٦- وأهلكنا قوم نوح من قبل إهلاك هؤلاء المذكورين، إنهم كانوا قومًا خارجين عن طاعة الله تعالى.
 ٤٧- والسماء بناها بقوة وقدرة، وإنا لقادرون على خلقها وخلق غيرها، وذوو سعة على كل شيء.
 ٤٨- والأرض مهدناها وهيأناها كالفراش للاستقرار والراحة عليها والحياة فوقها، فنعم الماهدون نحن.
 ٤٩- وخلقنا من كل جنس من الأجناس صنفين ونوعين ذكراً وأنثى لتتذكروا وتعلموا قدرة الله وأنه ليس كمثله شيء، وأنه خالق كل شيء، فتستدلوا بذلك على توحيده.
 ٥٠- قل لهم أيها الرسول: فرأوا من عقاب الله ومعاصيه إلى ثوابه ورضاه بالتوبة والإيمان والطاعة، إني لكم محذّر واضح مخلص من عذاب الله المُعدّ لكل من أشرك وعصى.
 ٥١- ولا تتخذوا في عبادتكم مع الله إلهاً آخر، إني لكم من عذاب الله مخوف، بين التحذير، والتكرار للتأكيد.

كَذَلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مُجْتَوٍ
 ٥٢. أَوْصُوا بِبُيُوتِكُمْ طَاعُونَ ﴿٥٣﴾ قَوْلَ عَنَّهُمْ فَإِنَّكَ
 بِعِلْمِهِمْ وَذِكْرِهِمْ وَالَّذِي نُنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٤﴾ وَوَحَلَقْتَ
 الْجِبْنَ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِعِبَادُونَ ﴿٥٥﴾ مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ رَزْقًا وَمَا
 أُرِيدُ أَنْ يَبْطِغُوا فِي الْكُفْرِ. ﴿٥٦﴾ أَوْصُوا بِالْحَقْرِ. ﴿٥٧﴾ أَوْصُوا
 بِالْقُوَّةِ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٨﴾ فَإِنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا ذُنُوبًا مِثْلَ ذُنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونَ
 قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ يَوْمِهِمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٥٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالطُّورِ ﴿١﴾ وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ ﴿٢﴾ فِي رُوحٍ مَشْهُورٍ ﴿٣﴾ وَأَنْبِئِ
 الْقَوْمَ ﴿٤﴾ وَالسَّيْفِ الْمُرْفُوعِ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمِ السَّامِيِّ ﴿٦﴾ إِنَّ عَذَابَ
 رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ﴿٧﴾ مَا لَوْ مِنْ دَافِعٍ ﴿٨﴾ نَوْمُ نَوْمِ السَّمَاءِ مَوْرًا ﴿٩﴾ وَتَسِيرُ
 الْجِبَالِ سَيْرًا ﴿١٠﴾ قَوْلِ يَوْمِئِذٍ لِلَّذِينَ ﴿١١﴾ الَّذِينَ هُمْ فِي حُورٍ يَلْعَبُونَ
 يَوْمَ يَدْخُلُونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ تَخَافُ ﴿١٢﴾ هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٣﴾

٥٢. الأمر مثل ذلك، فهذا شأن الأمم المتقدمة، فلم يأت رسول لقومهم قبل أهل مكة، إلا كذبوه، وقالوا عنه: ساحر أو مجنون. والأصل في ﴿كذلك﴾ الأمر كذلك، أي أمر أمك أيها الرسول كأمر السابقين.

٥٣. هل أوصى أول الناس آخرهم بتكذيب الأنبياء؟ لا، بل في الواقع لم يتواصوا، بل هما جميعاً قوم طفلة، تجاوزوا الحد في الكفر. ﴿اتواصوا﴾ الهمزة للاستفهام التعجبي، أي تعجبوا كأنهم وصى بعضهم بعضاً بالتكذيب. ﴿بل﴾ للانتقال من كلام إلى آخر.

٥٤. فأعرض عنهم أيها النبي ولا تجادلهم ولا تقاتلهم، فلست ملوماً على الإعراض عنهم.

٥٥. وداوم على التذكير والمعظة بالقرآن، فإن التذكير يفيد أهل الإيمان، فهم المستفوعون به. لما نزلت الآية ﴿فتول﴾ عنهم. ﴿٥٤﴾ لم يبق منا أحد إلا يقين بالهلكة، إذ أمر النبي ﷺ أن يتولى عنهم، فنزلت: ﴿وذكّر فإن الذكرى﴾ فطابت أنفسنا.

٥٦. وما خلقت الجن والإنس إلا لئأسرهم بالعبادة: وهي التذلل والخضوع والانتقاد لله تعالى.

٥٧. ما أريد من العباد تحقيق منفعة لي، وما أريد منهم إطعامي، فإني الغني المطلق الغني، الرازق المظم ولا يطعم ٥٨. إن الله وحده هو الذي يرزق كل محتاج، الشديد القوة، و﴿الذين﴾ تأكيد لما قبله.

٥٩. فإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر والعصيان من أهل مكة وغيرهم نصيباً من العذاب، مثل نصيب نظائرهم من الأمم السابقة المهالكين قبلهم، فلا يستعجلون بالعذاب استهزاء إن أخرته عنهم، فإنه آت لا محالة.

٦٠. فهلاك للذين كفروا، وشدة عذاب الذي يعدهم الله بالعذاب فيه، وهو يوم القيامة.

سورة الطور

- فضلها: أخرج البخاري وغيره عن أم سلمة: «أنها سمعت رسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت بالطور، وكتاب مسطور».
١. أقسم بجبل الطور طور سيناء الذي كلم الله تعالى موسى عليه، تشريفاً له وتكريماً.
 ٢. وكتاب مكتوب منضد منظم في اللوح المحفوظ من الكتب السماوية كالنوراة والوواح موسى والزبور والإنجيل والقرآن.
 ٣. مكتوب في جلد رقيق يكتب فيه، أو في ورق وغيره، مبسوط مفتوح.
 ٤. والكعبة المعمورة بالحجاج والزوار والعباد، لعبادة الله فيه.
 - ٥، ٦. والسماء المرفوعة بلا عمد، والبحر المملوء ماء الذي يوقد ناراً يوم القيامة.
 - ٧، ٨. إن عذاب ربك سريعاً سيراً سريعاً قبل نسفها عن وجه الأرض، وتصبح هباء منبأ.
 ٩. يوم تتحرك السماء وتضطرب تحركاً شديداً، وهو يوم القيامة.
 ١٠. وتسير الجبال سيراً سريعاً قبل نسفها عن وجه الأرض، وتصبح هباء منبأ.
 ١١. فهلاك شديد يومئذ للمكذِّبين بالله ورسوله واليوم الآخر.
 ١٢. الذين هم في تردد بالباطل يخوضون ويلهون، فلا يذكرون حساب الآخرة.
 - ١٣، ١٤. يوم تدفعهم الملائكة دفعاً شديداً بعنف إلى نار جهنم. ويقال لهم: هذه هي النار التي كذبتم بها في الدنيا.

١٥- تقول الملائكة لهم تويحاً: أفسح هذا العذاب الذي تشاهدونه؟ بل أنتم عني لا تبصرون العذاب أيضاً، كما كنتم لا تبصرون في الدنيا ما يدل عليه.

١٦- ادخلوا النار وتعرضوا لشدّة حرارتها، لا يفيدكم في دفع العذاب صبر ولا صجر أو جزع، فلا محيص لكم عنها، والصبر والجزع سواء، إنما تجزون ما كنتم تعملون في الدنيا، من كفر بالله وتكذيب لرسوله، فإن الجزاء بالعمل.

١٧- إن الملتزمين بأوامر الله، المجتنبين نواهيه هم في جنات ونعيم مستمر في الآخرة.

١٨- مستنعمين بما أعطاهم ربهم من النعم في الجنة، وصرف عنم ربهم وحماهم عذاب النار.

١٩- يقال لهم: كلوا من الطيبات، واشربوا شرباً هنيئاً: وهو ما لا تنقص فيه ولا كدر.

٢٠- مكثين على أسرة متصلة ببعضها حتى تصير صفاً واحداً، وقربانهم بنساء من الحور البيض، الجميلات الأعين. والحور مفردا حوراء، والحوراء: المرأة شديدة بياض العين، شديدة سوادها، والعين: مفردا عينا: وهي واسعة العينين.

٢١- والذين صدقوا بالله ورسوله، وتبعتهم ذريتهم بالإيمان، ألحقنا بهم ذريتهم في دخول الجنة والدرجة، وإن لم يعملوا بعملهم، تكريماً للأباء باجتماع أولادهم معهم، ولتقر أعينهم وتطيب نفوسهم، وما نقصنا الآباء من ثواب

أَفِصْرٌ هَذَا أَمْ أَنْتَ لَا تَبْصُرُونَ ﴿١٥﴾ أَصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُحْزَنُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ فَكَلِمَةٍ بَعْدَ الْآخِرَةِ رَبُّهُمْ وَيَوْمَ هُمْ تَدْنَبُونَ رَبَّهُمْ لَكُمْ فِيهَا جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُوا وَامْرُؤٌ هَيْهَاتَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ مُتَّكِنِينَ عَلَى سُرُرٍ مُتَقَنِينَ وُجُوهُهُمْ يَبْجُرِعِينَ ﴿١٩﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَسْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢٠﴾ وَأَمَدَدْنَاهُمْ فِيهَا جَنَّاتٍ ذَاتِ نَعِيمٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢١﴾ يَسْأَلُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْتِيمٌ ﴿٢٢﴾ وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ زُجْجَارٌ مَعْدَاً كَأَنَّهُمْ لَوْلُؤُكَ تَكُونُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَقْبَلُ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ نِسَاءً لَوْنٌ ﴿٢٤﴾ قَالُوا إِنَّا كَمَا قُلْنَا فِي أَهْلِنَا تُسْتَفْتَوْنَ ﴿٢٥﴾ فَمَنْ لَهِ عَلَيْهِنَا وَوَقْنَا عَذَابَ السَّمُورِ ﴿٢٦﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٧﴾ فَذَكَرْنَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا يَحْزُونُ ﴿٢٨﴾ أَمْ يَقُولُونَ سَاعِرٌ زَرْعٍ بَدْرِ رَبِّ السَّمُونِ ﴿٢٩﴾ قُلْ رَاصِدٌ أَقْبَلُ مِنْكُمْ مِنَ الْمُرْتَضِينَ ﴿٣٠﴾ أَمْ أَنْتُمْ مِمَّنْ أَحْلَمُهُمْ بِهَذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاعُونَ ﴿٣١﴾

عملهم شيئاً، فيزداد في عمل الأولاد بالنفضل عليهم، كل امرئ مرتبط أو مرتين بعمله يوم القيامة، خيراً أو شراً، لا يواخذ أحد بلنبي غيره.

٢٢- وأعطيناهم زيادة على النعيم فاكهة متنوعة، ولحوماً كثيرة، من كل ما تشتهي أنفسهم.

٢٣- يتجادون في الجنة كؤوس بعضهم بعضاً من أيدي أصحابها تلذذاً وسروراً، لا يتكلمون في الجنة بكلام باطل لا خير فيه، ولا يفعلون ما يوجب التائيم، أي يقع في الإثم من فحش الكلام وغيره مما يغضب الله؛ لأن خمر الجنة لا تذهب بعقولهم، بعكس خمر الدنيا.

٢٤- ويطوف على أهل الجنة وهم المتقون خدّم مخصوصون بهم، كأنهم في الحسن واللفظ لؤلؤ مصون في الصدف.

٢٥- وأقبل بعضهم على بعض في الجنة يسأل كل منهم الآخر عما كان عليه في الدنيا من أحوال وأعمال.

٢٦- قالوا: إنا كنا في الدنيا خائفين من عذاب الله في الآخرة.

٢٧- فامتّن الله علينا بالغفرة والرحمة، ووقانا (حماناً) عذاب النار وحرّها. والسّموم: ما يوجد من حرّ جهنم.

٢٨- إنا كنا في الدنيا نعيذ الله ونوحده، إنه هو الكثير الإحسان، الواسع الرحمة بعباده.

٢٩- فداوم أيها الرسول على تبليغ رسالتك، ووعظك وتذكيرك، فلست بإنعام ربك عليك بالنبوة بكاهن: وهو الذي يدعي علم الغيب من دون وحي إلهي، ولا مختل العقل كما يزعم المشركون الأفاكون.

٣٠- بل يقول المشركون: إنك شاعر، تنتظر به حوادث الدهر، فيموت كما مات غيره؟! نزلت حينما تأمرت قريش في دار

الندوة، على أن يعقدوا النبي ﷺ في وفاق، ويتركوه حتى يموت.

٣١- قل: انتظروا موتي أو هلاكي، فإني أنتظر هلاككم وتبين عاقبة أمركم، وأنا واثق من نصر الله تعالى.

٣٢- بل أتأمرهم عقولهم بهذا الكلام المتناقض، وهو ادعاء كون القرآن سحراً أو كهانة أو شعراً؟ بل أطغوا وتجاوزوا الحد في العناد والمكابرة، فتكلموا بما قالوا.



٣٣- بل يقول المشركون: اختلق محمد القرآن من تلقاء نفسه ونسبه إلى الله؟ لا، ليس كما قالوا، بل هم قوم لا يصدقون بالقرآن وبالرسول، ويطعنون بهذه المطاعن لكفرهم وعنادهم.

٣٤- فليأتوا بقرآن مثله في نظمه ومعانيه إن كانوا صادقين في زعمهم أن محمداً اختلقه، مع أن فيهم كثيراً من الفصحاء.

٣٥- أم خلقوا من غير خالق قديم، فهم لا يعبدونه، أم إنهم هم الخالقون أنفسهم؟!

٣٦- أم خلقوا السموات والأرض، وهم عاجزون عن ذلك، فلم لا يعبدون الخالق؟ لا، بل إنهم لا يوفنون حقيقته بالله، وإلا لآمنوا به، وينسبه، وانصرفوا لعبادة ربهم.

٣٧- أم عندهم خزائن رزق الله، حتى يرزقوا النبوة والثروة وغيرهما، فينحصصوا من شأوا، أم هم المُسَلِّطُونَ على الأشياء، يديرونها كيف شأوا.

٣٨- أم لهم مرتقى أو مصعد إلى السماء، فيصعدون عليه، فيستمعون فيه كلام الملائكة وما يوحي عليهم، فليأت مستمعهم إن ادعى ذلك بحجة واضحة ظاهرة على ما يدعي.

٣٩- أم لله البنات بزعمكم، ولكم الذكور، وتلك قسمة جائرة؟!

أَمْ يَقُولُونَ قَوْلًا بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا كَاوًا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خُلِقُوا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رِزْقِ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصِيطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلُوفٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعَهُمْ بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْآبَتُ وَلَكُمُ الْآبَتُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَتَّخِذُهُمْ ضُحًى قَوْمًا مَّغْرُورًا مُتَعَلِّقُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُمُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ آلِهَةٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ يَرَوْا كِسْفًا مِنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَتَذَكَّرْ حَتَّىٰ يَقُولُوا يَوْمَئِذٍ أَلَّذِي فِيهِ يَصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يَنْفَعُ عَنْتُهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُبْصِرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا دُونَ ذَلِكَ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَأَصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنْ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾



٤٠- أم تطلب منهم أجراً مقابلاً لتبليغ الرسالة، فهم من التزام غرمة ومسؤوليته مَحْمَلُونَ ما ينقلهم، فيصعب عليهم أداؤه، فلا يقبلون على الإسلام بسببه؟!

٤١- أم عندهم علم الغيب، فهم يكتبون ما فيه، ويحكمون بناء عليه؟!

٤٢- أم يريدون تدمير مكيدة وشر بالتأمر على قتلك أيها الرسول في دار الندوة؟ فالكافرون بالله ورسوله هم المغلوبون المهلكون، الذين يعود عليهم ويال كيدهم وتأمرهم.

٤٣- أم لهم إله غير الله يحميهم من العذاب في الآخرة، تنزيهاً لله عن إشراكهم وما يشركون به.

٤٤- وإن يشاهدوا جزءاً ساقطاً من السماء عليهم لتعذيبهم، وهو مقدمات العذاب الذي يطالبون به استهزاء، يكابروا، ويقولوا لفرط عنادهم وكفرهم: هذا سحاب تراكم بعضه على بعض، نرتوي به، ثم لا يؤمنون أبداً، وهذا طبع العنيد. ﴿كِسْفًا﴾ قطعاً جمع كسفة وهي القطعة.

٤٥- فاتركهم أيها الرسول حتى يموتوا أو يقتلوا بالحرب. والصق: الموت قتلاً أو الهلاك السريع.

٤٦- يوم لا ينفعهم شيء في ردِّ العذاب، مثل مكرهم في الدنيا بالنبي ﷺ، ولا هم ينجون من عذاب الله تعالى في الآخرة، بل هو واقع بهم حتماً.

٤٧- وإن للذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذاباً في الدنيا قبل عذاب الآخرة، وهو القتل في بدر وغيره من الجوع والفتح سبع سنين، ولكن أكثرهم أغرار جهلة لا يعلمون ذلك العذاب.

٤٨- واصبر أيها النبي لقضاء ربك بإمهالهم وتبليغ الرسالة، ولا تتضايق من إعراضهم، فإنك مرعي برعايتنا وحفظنا، وداوم على تنزيه ربك عما لا يليق به، قارناً التسيب بالتحميد والشكر، فقل: سبحان الله وبحمده.

٤٩- وسبح الله ونزهه بقولك: سبحان الله في بعض الليل؛ وصلِّ فيه صلاة الليل؛ لأن العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء، وسبِّح عقب غروب النجوم آخر الليل، وصلِّ فيه صلاة الفجر.

سورة النجم

فضلها: أخرج البخاري ومسلم وغيرهما عن ابن مسعود قال: «أول سورة أنزلت فيها سجدة: ﴿هو النجم﴾ فسجد رسول الله ﷺ، وسجد الناس كلهم إلا رجلاً رأيتُه أخذ كفاً من تراب، فسجد عليه، فرأيتُه بعد ذلك قتل كافراً وهو أمية بن خلف.

١- أقسم بالنجم (جنس النجم) إذا سقط وذهب ضوؤه يوم القيامة.

٢- ما عدل محمد عن الحق وطريق الهدى، وما صار غارياً، أي ما اعتقد باطلاً.

٣- وما يتكلم بالقرآن عن هواه وميله الشخصي.

٤- ما هذا القرآن إلا وحي يوحيه الله إليه.

٥- علمه إياه جبريل صاحب القوى الشديدة.

٦- ذو قوة وشدة في الخلق، أو ذو حصافة في عقله ومثانة في رأيه، فاستقام على صورته الحقيقية التي خلقه الله تعالى عليها، حينما جاء إلى النبي ﷺ بالوحي.

٧- وجبريل بأجواء السماء العليا، والمراد الجهة العليا للناظر إلى جهة السماء.

٨- ثم قرب من النبي ﷺ فزاد في القرب، ونزل وتعلق به، وهو تمثيل لمروجه بالرسول ﷺ.

٩- فكان اقتراب جبريل من النبي مثل مقدار مسافة قدر قوسين أي ذراعين أو أقل من قوسين. والقاب: المقدار.

١٠- فأوحى الله تعالى إلى عبده جبريل ما أوحى جبريل إلى النبي ﷺ.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ ۝١ مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ ۝٢ وَمَا يَبْطِئُ عَنِ النُّجُومِ ۝٣ إِن هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ ۝٤ عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَىٰ ۝٥ ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَىٰ ۝٦ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَىٰ ۝٧ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِ مَا أَوْحَىٰ ۝١٠ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَىٰ ۝١١ أَفَتُكْفِرُونَ عَلَىٰ مَا بَرَأْتُمْ مِنِّي ۝١٢ وَلَقَدْ آتَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ۝١٣ عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَىٰ ۝١٤ عِنْدَ حَاجَتِهِ الْمُؤْتَىٰ ۝١٥ إِذِ يُغْشَى السَّمْدَةَ مَطْئَىٰ ۝١٦ مَازَاغَ الْبَصَرِ وَمَا طَفَىٰ ۝١٧ لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ رَيْبِ الْكَوْبَرِ ۝١٨ أَوَّاهٌ مُنِ اللَّيْلِ وَالنَّجْمِ ۝١٩ وَسَوَاءَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَىٰ ۝٢٠ أَلَمْ نَكُ الذِّكْرُ لَهُ الْأُنثَىٰ ۝٢١ بَلْ كُنَّا قَائِمَةً صِرْبِي ۝٢٢ إِن هِيَ إِلَّا أُنثَىٰ سَمِيحُومَهَا أَنْزَلَهُ أَبَازُكًا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهِ مَن سُلْطَانَ إِنْ يُتَّبَعُونَ إِلَّا الظَّنُّ وَمَا هُوَ إِلَّا السُّنُّ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ ۝٢٣ أَمْ لِلْإِنْسَانِ مَا فَتَىٰ ۝٢٤ فَالهِ الْأَخْرَةَ وَالْأُولَىٰ ۝٢٥ وَكَمْ تَمَلَّكَ فِي السَّمَوَاتِ لِأَقْفَىٰ ۝٢٦ سَفَعْتُمْ سَيْئَاتِ الْأَمْرِ بَعْدَ أَنْ بَأَدَأَ اللَّهُ لِرَبِّكَ وَبَرَضَىٰ ۝٢٧

١١- ما أنكر فؤاد النبي ﷺ ما رآه بصيره من صورة جبريل عليه السلام.

١٢- أنتجادلون أيها المشركون محمداً وتكذبونه على ما يراه معاينة من آيات الله؟ تخارونوه: من المراء: وهو الجدال بالباطل.

١٣- ولقد رأى محمد جبريل على صورته الحقيقية مرة أخرى.

١٤، ١٥- عند شجرة من السدر، الله أعلم بحقيقتها، في أعلى مكان في السماء، وهي في السماء السادسة كما في الصحيح. والمتهى: مكان الانتهاء، قيل: إليها ينتهي علم الخلاق. عندها الجنة التي تأتي إليها أرواح المؤمنين الأتقياء.

١٦، ١٧- إذ يغطي شجرة السدر ما يغطيها من مخلوقات، لا يعلمها غير الله. ما مال بصر الرسول عما رآه، وما تجاوز ما رآه.

١٨- لقد رأى النبي ﷺ في ليلة المعراج بعض آيات ربه العظام ما لا يوصف.

١٩، ٢٠- أفرأيتم أيها المشركون اللات: صنم ثقيف بالطائف، والعزى: صنم غطفان وهو شجرة بيطن نخلة، ومناة: صخرة لهذيل وخزاعة. و﴿الثالثة الأخرى﴾ صفتان لتأكيد الدم، والأخرى: المتأخرة الرضية القدر.

٢١- كيف تحكمون أيها المشركون بأن لكم الولد الذكر، والله تعالى الأثى التي لا ترضونها لأنفسكم؟

٢٢- تلك إذن قسمة جائرة ظالمة، يجعل الأثى لله، والذكر لكم.

٢٣- ما هذه الأصنام إلا مجرد أسماء سميتموها آلهة أئتم وأباؤكم، ما أنزل الله بعبادتها من حجة وبرهان، ما يتبعون في عبادتها إلا مجرد الظن غير القائم على الدليل، وما تشبهه الأنفس، ولقد جاءهم من ربهم البرهان القاطع وهو الرسول والقرآن على أن مستحق العبادة هو الله وحده، فلم يقلعوا عن شركهم.

٢٤- بل أكل إنسان منهم ما تمى من أن الأصنام تشفع لهم؟ ليس الأمر كما يتمنون.

٢٥- فالله مالك الآخرة والدنيا، والحاكم فيهما على الإطلاق، فليس للأصنام وغيرها سلطان في أمر الدنيا والآخرة.

٢٦- وكثير من الملائكة في السموات (لبيان علو منزلتهم) لا تفيد شفاعتهم لأحد شيئاً إلا من بعد الإذن لهم في الشفاعة لمن شاء الله أن يشفعوا له، ورضي عنهم من أخلصوا له القول والعمل.

إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ لَيَسْمُونَ الْمَلَائِكَةَ نَسِيَةَ الْآثَى ٢٧ وَمَا
 لَهُمْ مِنْ عِلْمٍ إِنَّ يَسْمُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ
 شَيْئًا ٢٨ فَأَعْرَضَ عَنْ مَنْ تَوَلَّى عَنْ ذِكْرِنَا وَلَوْ أَنَّ آلَ الْحَبَشَةِ
 الدُّنْيَا ٢٩ ذَاكَ مَبْلَغُهُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَظْمَرُ مِنْ صَلَ
 عَنْ سَيْلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ أَهْتَدَى ٣٠ وَلِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ
 وَمَا فِي الْأَرْضِ لَيَجْعِلَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا ظُهُورَهُمْ لِلرَّعْنِ أَوْ يَزِيدَهُمْ
 بِالْحَسَنَى ٣١ الَّذِينَ يَجْحَدُونَ بِكِبْرِ الْإِيمَةِ وَالْفَوَاحِشِ إِلَّا اللَّسَمَ
 إِنَّ رَبَّكَ وَسِعَ الْمُغْفِرَةَ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَإِذْ
 أَنْشَأَ أُمَّتَكُمْ فِي ظُلُونِكُمْ فَلَا تَزِرُكُمْ ظُفُوفُكُمْ هُوَ أَعْلَمُ
 بِمَنْ أَتَى ٣٢ أَوَّلَ بَيْتٍ الَّذِي تَوَلَّى ٣٣ وَأَعْطَى قَلِيلًا وَأَكْدَى
 ٣٤ أَعْنَدَهُ عِلْمُ اللَّيْلِ فَهُوَ يُرَى ٣٥ أَمْ لَوْ بَدَتْ أَمَا فِي صُحُفٍ
 مُوسَى ٣٦ وَإِبْرَاهِيمَ الَّذِي وَفَّى ٣٧ الْأَنْزِيلَ وَالرُّدَّ وَالزُّجُرَى
 ٣٨ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ٣٩ وَأَنْ سَعِيَهُ سَوْفَ يُرَى
 ٤٠ ثُمَّ يُجْزَى الْجُزَاءَ الْأَوْفَى ٤١ وَأَنْ إِلَى رَبِّكَ الْمُنْتَهَى ٤٢
 وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكٌ وَأَبْكِي ٤٣ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتٌ وَأَحْيَا ٤٤

٢٧- إن المشركين الذين لا يصدقون بالآخرة ليسمون كل واحد من الملائكة تسمية الآثى، أي يصفونهم بأنهم بنات الله.

٢٨- وليس لهم بهذا القول من دليل صحيح، ما يتبعون في هذا الوصف بالأنوثة إلا توهمًا وتخيلًا، وإن الظن الباطل أو التوهم لا ينعف بدل الحق شيئًا ولا يقوم مقامه أبدًا. والحق هنا: العلم القطعي، وهو الذي تنسبت به الاعتقادات، ولا يفيد غيره.

٢٩- فأعرض أيها النبي عن من أعرض عن القرآن أو عن ذكر الله، وارك مجادلته، فقد بلغت رسالة ربه، وهو في الواقع يقصر همه على الدنيا.

٣٠- ذلك وهو طلب الدنيا وزينتها هو غاية ما وصلوا إليه من العلم، إن ريك أيها النبي هو أعلم بمن انحرف عن دينه الحق، وهو سبحانه أعلم بمن اهتدى إلى الصواب.

٣١- والله جميع ما في السموات والأرض، فهو الخالق والمالك والمتصرف فيهما، وعاقبة أمر الخلق أن يجزي الله كلًا من المسيء والمحسن بعمله، فللمسيء المذنب النار، وللمحسن الطائع الجنة، وهي الثوبة الحسنة.

٣٢- والمحسنون: هم الذين يتجنبون كبائر الذنوب: وهي كل ذنب توعد الله عليه بالنار، كالشرك، ويتجنبون الفواحش: وهي كل ذنب عاقب الله عليه بالحد الشرعي كالقتل العمد والزنى والقتل والسرقة وشرب المسكرات، إلا اللطم: وهي صفات الذنوب كالقُبلة والغزوة والنظرة

الحرام، أي لكن اللطم يغفرها الله، إن ريك كثير الغفران للذنوب، هو أعلم بكم وبأحوالكم، حين خلقكم من تراب الأرض في ضمن خلق أبيكم آدم، وحين كتم أجنة في بطون الأمهات، والجنين: هو الولد ما دام في بطن أمه، فلا تمدحوا أنفسكم ولا تبرئوها من الذنوب، هو أعلم بمن اتمر بأوامر الله واجتنب المعاصي. أخرج الواحدي والطبراني وغيرهما عن ثابت بن الحارث قال: كانت اليهود تقول إذا هلك لهم صبي صغير: هو صديق، فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: (كذبت اليهود، ما من نسمة يخلقها الله في بطن أمه، إلا وهو يعلم أنه شقي أو سعيد، فأنزل الله عند ذلك هذه الآية: ﴿هو أعلم...﴾.

٣٣- أخبرني أيها النبي عن الذي أعرض عن اتباع الحق والإسلام، بعد أن هم باتباعه.

٣٤- وأعطى قليلاً من المال، وقطع العطاء ولم يتمه، فالكلام كناية عن التوقف عن العطاء.

٣٥- أعنده علم من الغيب، فهو يرى أن غيره يتحمل عنه عذاب الآخرة؟ وهو الوليد بن المغيرة أو غيره.

٣٦- بل لم يُخبر بما جاء في أسفار التوراة، واختيرت لقربها وشهرتها.

٣٧، ٣٨- وبما في صحف إبراهيم الذي أتم جميع ما أمر به. وبما في تلك الصحف لا تتحمل نفس ذنب نفس أخرى.

٣٩- وأنه ليس للإنسان إلا سعيه الحَيْر، أي إلا جزء عمله في الدنيا.

٤٠- وأن سعيه سوف يرى في صحيفة أعماله، ويراه الله تعالى ورسوله والمؤمنون وصاحبه أيضاً.

٤١- ثم يُجزى على عمله كله الجزء الأكمل الأتم. هذه الآيات [٣٣- ٤١] نزلت في الوليد بن المغيرة الذي أعطى بعض

المشركين شيئاً من المال على أن يتحمل عنه عذاب الله تعالى، فأعطى بعض ما وعد، وبخل بالباقي.

٤٢- وأن إلى ريك المرجع والمصير بعد الموت يوم القيامة.

٤٣- وأنه تعالى أوجد أسباب الضحك وأسباب البكاء، نزلت في قوم يضحكون في الدنيا.

٤٤- وأنه سبحانه هو الذي خلق الموت والحياة.

٤٥- وأنه عز وجل خلق الزوجين: الذكر والأنثى، سواء من الإنسان والحيوان.

٤٦- خلقهما من نطفة من ماء يصب في الرحم.

٤٧- وأن عليه تعالى إعادة الحياة مرة أخرى عند البعث. والنشأة الأخرى: البعث من القبور.

٤٨- وأنه هو تعالى أغنى بعض عباده، وأفقر بعضهم الآخر.

٤٩- وأنه سبحانه هورب الشعري: كوكب مضيء خلف الجوزاء، كانت خزاعة تعيدها.

٥٠- وأنه تعالى أهلك قوم عاد الأولى قوم هود، وهي أول أمة أهلكت بعد نوح.

٥١- وأهلك قوم ثمود قوم صالح، فما أبقى أحداً منهم.

٥٢- وأهلك قوم نوح من قبل إهلاك عاد وثمود، إنهم كانوا أشد ظلماً وطغياناً من عاد وثمود.

٥٣- وأهلك المؤمنة: وهي قرى قوم لوط، سميت بذلك لأنها انقلبت بهم وصار عاليها سافلها.

٥٤- فغطاها ما غطها من الحجارة وأنواع العذاب، وذلك تهويل وتعميم لما أصابهم.

٥٥- فبأي نعم ربك أيها الإنسان المكذب ترتاب؟

٥٦- هذا القرآن والرسول محذّر من عذاب الله،

وَأَنَّهُ خَلَقَ الزَّوْجَيْنَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ ۗ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ۗ

٤٦ وَأَن عَلَيْهِ النَّشْأَةُ الْآخِرَىٰ ۗ وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَىٰ

وَأَقْنَىٰ ۗ وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ الشَّعْرَىٰ ۗ وَأَنَّهُ أَهْلَكَ عَادًا الْأُولَىٰ

٥٠ وَثَمُودًا فَمَا أَبْقَىٰ ۗ وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا هُمْ

أَقْلَمَ وَأَعْلَىٰ ۗ وَلَمَّا صَفَا سَكَنَ الْأَهْوَىٰ ۗ فَفَسَّخْنَا

مَا عَسَىٰ ۗ فَبِأَيِّ آلَاءِ رَبِّكَ تَمَارَىٰ ۗ هَذَا نَذِيرٌ مِّن

النُّذُرِ الْأُولَىٰ ۗ أَرَأَيْتَ الْآرَافَةَ ۗ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ

كَاشِفَةٌ ۗ أَفَمِن هَذَا الْحَدِيثِ فَعْبُونَ ۗ وَتَضْحَكُونَ

وَلَا تَكْرَهُنَّ ۗ وَأَنْتُمْ سَاهُونَ ۗ فَاسْجُدُوا لِلَّهِ وَعِبُدُوهُ ۗ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَأَشْرَقَ الْقَمَرُ ۗ وَإِنْ رَوَاهُ إِلَهُ تَعْرَضُوا وَيَقُولُوا

سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ۗ وَكَذَّبُوا وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ وَكُلُّ أُمَّرٍ مُّسْتَمِرٌّ

٥٠ ۗ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ الْأَنْبِيَاءِ مَا فِيهِ مُرْدَجَرٌ ۗ

كالرسل السابقين، فإنه أنذركم كما أنذروا قومهم.

٥٧- اقتربت الساعة وأشرق القمر، أو تحقق وقوعها، وكان ذلك قريباً بالنسبة إلى ما مضى من الدنيا.

٥٨، ٥٩- ليس لها نفس أخرى تمنع قيامها. أفمن هذا القرآن تتعجبون إنكاراً له وتكذيباً به.

٦٠، ٦١- وتضحكون استهزاء، ولا تكون حزنًا على ما فرطتم. وأنتم لاهون مُعرضون عما يطلب منكم.

٦٢- فاسجدوا لله وحده الذي خلقكم، وخصوه بالعبادة دون غيره من الآلهة المزعومة كالأصنام.

سورة القمر

فضلها: روى أحمد ومسلم وأصحاب السنن الأربعة عن أبي واقد الليثي: «أن رسول الله ص كان يقرأ بقاف ﴿واقتربت الساعة﴾ في الأضحى والظفر. وتقدم إيراده في سورة ﴿ق﴾.

١- دنا وقت القيامة، وانشق القمر معجزة لرسول الله ﷺ. أخرج البخاري ومسلم والترمذي عن أنس قال: سأل أهل مكة النبي ﷺ أن يريهم آية، فأراهم القمر شقتين، حتى رأوا حمراء بينهما، فنزلت ﴿واقتربت الساعة﴾. إلى قوله: ﴿سحر مستمر﴾.

٢- وإن ير المشركون معجزة دالة على صدق النبي ﷺ يعرضوا عن التصديق والإيمان، ويقولوا: هذا سحر محكم. ٣، ٤- وكذبوا النبي ﷺ واتبعوا أهواءهم الباطلة: وهي ما زين لهم الشيطان من الوسواس، وكل أمر مُنْتَهٍ إلى غاية، يستقر بعدها، سواء من الخير أو الشر. ولقد جاء مشركي قريش من أخبار الأمم الماضية المكذبة ما يجرهم عن الشرك.

٥- هذا القرآن وما فيه من الآيات عبرة واضحة لكل عاقل، وحكمة تامة، فما تنفع الإنذارات أو التحذيرات لمن أصر وعاند ولازم الكفر؟
 ٦- فأعرض عنهم ولا تجد لهم يوم يدعو إسرافيل عند النفخة الثانية إلى شيء شديد الهول تنكره النفوس. والتكر: الأمر الشديد الذي ينكره استعظماً، لعدم وجود مثيل له.
 ٧- ذليلة أنصارهم، لا يقدر على رفعها لشدة الهول، يخرجون من القبور، كأنهم جراد منتشر في الكثرة والانتشار والاختلاط.
 ٨- مسرعين إلى الداعي، وهو إسرافيل، يقول الكافرون: هذا يوم صعب شديد الهول على الكفار.
 ٩- كذبت بالرسول قبل مشركي قريش قوم نوح، فكذبوا عبداً وهو نوح عليه السلام، وقالوا عنه: إنه مجنون مزجور عن تبليغ ما أرسل به بأنواع الأذى والسب، أي زجره الكفار بشدة فازدجر وكف عن دعوى الرسالة.
 ١٠- فدعا نوح ربه بأني مغلوب: غلبني قومي، فانتصر أنت لدينك، وانتقم لي منهم.
 ١١- ففتحتنا أبواب السماء بمطر غزير منصب

حِكْمَةً بَلِّغَةَ فَاتَّقِنِ التَّنْذِرَ ﴿٥﴾ قَوْلَ عَثْمَةَ تَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ يَكْفُرُ ﴿٦﴾ خُشَعًا أَبْصَرَهُمْ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ ﴿٧﴾ يُطْعِمِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَاكِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدَجَرَ ﴿٩﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْتَهِرٍ ﴿١١﴾ وَجَعَلْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدَرٍ ﴿١٢﴾ وَجَعَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ الْأَوْجِ وَدُسْرًا ﴿١٣﴾ تُجْرِي بِأَعْيُنِنَا جُرَّاءَ لَمَنِ كَانَ كُفْرًا ﴿١٤﴾ وَلَقَدْ تَرَكْنَاهُ آيَةً فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٥﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٦﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿١٧﴾ كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿١٨﴾ إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي يَوْمٍ نَحْسٍ مُسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ يَنْزِعُ النَّاسَ كَأَنَّهُمْ أُجُجٌ يُنخَلُ مُتَمَرِّمٌ ﴿٢٠﴾ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذْرِي ﴿٢١﴾ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٢٢﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِالنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَتَقَالُوا نَبْشَرُؤُنَا وَاحِدًا بَنِيَّةً ﴿٢٤﴾ إِنَّا إِذَا لَفِئَتٌ ضَلَّالٍ ﴿٢٥﴾ وَسُفْرٍ ﴿٢٦﴾

١٢- وفجرتنا (شققتنا) عيون الأرض بالمياه، فالتقى ماء السماء وماء الأرض على أمر قضى به في الأزل (القدم) وقدره الله وهو الطوفان. و﴿على أمر﴾ أي لأجل نفاذ أمر وهو إغراقهم.
 ١٣- وحملنا نوحاً على سفينة ذات ألواح خشبية عريضة، ومسامير تُشدُّ بها الألواح.
 ١٤- تجري بحراستنا وحفظنا، وأغرقوا عقاباً لكفرهم وجحودهم بنوح، وتكذيب رسالته.
 ١٥- ولقد أبقينا حادثة السفينة عبرة ودليلاً لمن يعتبر بها، فهل من متذكر متعظ؟!
 ١٦- فانظر كيف كان عذابي وانتقامي وإنذاراتي لهم بالعذاب قبل وقوعه، على كيفية عجيبة.
 ١٧- ولقد سهلنا القرآن للحفظ والتذكر والاعتاظ، فهل من متذكر معتظ متعظ بمواعظ؟!
 ١٨- كذبت قبيلة عاد نبيهم هوذا عليه السلام، فانظروا كيف كان تعديبي لهم وإنذاري إياهم؟!
 ١٩- إنا أرسلنا على قوم عاد ريحاً شديدة الصوت والبرد، في يوم شؤم، دائم الشؤم، حتى أهلكهم.
 ٢٠- تقلع الناس من أماكنهم كأنهم أصول نخل مقتلع من مغارسه.
 ٢١- فكيف كان تعديبي لهم وإنذاري إياهم، وكرره للتحويل.
 ٢٢- ولقد يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلحَفْظِ وَالتَّذْكَرِ وَالتَّعَاظِ، فهل من متذكر متعظ؟!
 ٢٣- كذبت قبيلة ثمود نبيهم صالحاً عليه السلام بالإنذارات والمواعظ التي جاءهم بها.
 ٢٤- ﴿فقالوا﴾: أنتبع رجلاً واحداً من جنسنا أو من جملتنا، لا فضل له علينا؟ إنا إذا اتبعناه لفي خطأ ويعد عن الحق، وجنون. وقولهم: ﴿واحداً﴾ أي ضعيفاً لا يخشى بأسه.

٢٥- ألقى عليه الوحي، وكيف خص بالنبوة من بيننا، وفينا الأجدل منه بذلك؟ بل هو كذوب فيما يوحي إليه، بطر متكبر.

٢٦- سيعلمون عند نزول العذاب بهم في الدنيا، أو يوم القيامة من الكذوب المتكبر أنتم ثمود، أم النبي صالح؟

٢٧- إنا باعثو ومخرجو الناقة كما طلبوا، اختياراً لهم، فانظرهم، واصبر على أذاهم.

٢٨- وأخبرهم أن ماء البئر أو النهر الذي كانوا يشربون منه مفسوم بينهم وبين الناقة، كل نصيب من الماء، يحضره صاحبه في نوبته.

٢٩- فنادت ثمود صاحبهم الذي كان رجلاً طائشاً، هو قدار بن سالف أحيمر ثمود، وحرّضوه على قتل الناقة، فتناول السيف من غيره غير مبال بالنتيجة، فقتل الناقة، بضرب قواتمها بالسيف، ثم قتلها.

٣٠- فكيف كان عذابي لقوم ثمود، وإنذاري لهم بالعذاب قبل نزوله؟ أي إن العذاب في محله.

٣١- إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة هي صيحة جبريل عليه السلام، فكانوا كبقايا ورق الشجر اليابس، وهو التهشم أي المتكسر من الأوراق والعيدان والأعشاب.

٣٢- ولقد يسرنا القرآن للحفظ والتذكر والانتعاش،

فهل من متعظ معتبر؟!؟

٣٣- كذبت قوم لوط بإنذارات نبيهم لوط عليه السلام من عذاب الله على الفحش والكفر.

٣٤- إنا أرسلنا عليهم ريحاً ومتهم بالحجارة- والحاصب في الأصل: الذي يرمي غيره بالحصباء. وهي الحجارة الصغيرة، لكن أهل لوط إلا امرأته نجبتهم بسحر من الليل: وهو السدس الأخير من الليل.

٣٥- نجبتهم إنعاماً منا عليهم، ومثل ذلك الجزاء الجزئي من شكر نعمتنا بالإيمان والطاعة.

٣٦- ولقد خوفهم لوط عليه السلام أخذتنا بعذابهم بشدة، فشكوا في الإنذارات وكذبوا بها.

٣٧- ولقد طلبوا منه تسليمهم أضيافه بقصد الفجور بهم، فحجبتنا إدراكهم وصيرناهم غمياً عما أرادوا، فلم يروا أحداً، وقلنا لهم على السنة الملائكة: ذوقوا إنذاري وتخوفي من طريق لوط عليه السلام، أي نالوا نتيجة.

٣٨- ولقد جاءهم وقت الصباح عذاب مطبق دائم النزول مستقر بهم حتى أهلكهم.

٣٩- فذوقوا شدة عذابي وثمره تحذيري. وهذا التكرار للتأكيد والترسيخ.

٤٠- ولقد يسرنا القرآن للحفظ والانتعاش، فهل من متذكر؟!؟

٤١- ولقد جاء قوم فرعون الإنذارات والتحذيرات على لسان موسى عليه السلام.

٤٢- بل كذبوا بالمعجزات والآيات التسع التي أوتيتها موسى كلها، فأخذناهم بالعذاب أخذ قوي قادر على كل شيء.

٤٣- أكفاركم يا قريش خير وأشد من الأرقام السابقين المهلكين، أم لكم براءة من عذاب الله في الكتب المنزلة سابقاً.

٤٤- أم يقولون قائلين: نحن جمع متوحدون، منتصرون على أعدائنا، لكثرة عدتنا وقوتنا.

٤٥- سيهزم جمع قريش القوي، ويفرون منهزمين. وقد هزمهم الله يوم بدر. قال المشركون يوم بدر: ﴿نحن

جميع منتصر﴾ فنزلت: ﴿سيهزم الجمع ويولون الدبر﴾.

أه نفى الذكر عليه من بيننا هو كذاب يسر ﴿١﴾ سيعلمون عذاباً من الكتاب الآسر ﴿٢﴾ إنا نرسلوا الناقة فنته لوطاً فأنصبتهم وأصطبر ﴿٣﴾ ونبتهم أن الماء قسم بينهم كل شرب مختصر ﴿٤﴾ فأدوا أصحابهم فعاطى فقرر ﴿٥﴾ فكيف كان عذابي ونذير ﴿٦﴾ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم الخضر ﴿٧﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر ﴿٨﴾ كذبت قوم لوط بالندير ﴿٩﴾ إنا أرسلنا عليهم حاصباً إلا آل لوط نجبتهم بحجر ﴿١٠﴾ نعم من عندنا كذلك كجزي من شكر ﴿١١﴾ ولقد أنذناهم طسناً أقماراً بالندير ﴿١٢﴾ ولقد رددوه عن صيده فطمسنا أعينهم فذوقوا عذابي ونذير ﴿١٣﴾ ولقد صبحهم بكرة عذاب مستقر ﴿١٤﴾ فذوقوا عذابي ونذير ﴿١٥﴾ ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من متذكر ﴿١٦﴾ ولقد جاء آل فرعون الندى كذباً بإنبياءنا كلها فأخذتهم أخذ عزيز مقتدى ﴿١٧﴾ أكفاركم خير من أولئكم أم لكم براءة في الزبير ﴿١٨﴾ أم يقولون نحن جميع منتصر ﴿١٩﴾ سيهزم الجمع ويولون الدبر ﴿٢٠﴾

بِالسَّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدهنُ وَأمرٌ ﴿١٥﴾ إِنَّ الْآخِرَ مِنْ فِي
ضَلَّ وَسُرعٍ ﴿١٦﴾ يَوْمَ نَبْحُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا
مَسَّ سَقَرٍ ﴿١٧﴾ إِنَّا كُلُّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿١٨﴾ وَمَا نُنزِلُ إِلَّا أَوْدَانًا
كَلِمًا بِالْبَصَرِ ﴿١٩﴾ وَلَقَدْ هَمَّكَ أَشْيَاعَكُمْ قَبْلَ مِنْ مُذَكِّرٍ ﴿٢٠﴾
وَكُلُّ شَيْءٍ فَعَلُوهُ فِي الزُّبُرِ ﴿٢١﴾ وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُسْتَطَرٌّ ﴿٢٢﴾ إِنَّ الْمُنِينَ
فِي جَنَّتِ وَنَهْرٍ ﴿٢٣﴾ فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِنْدَ مَلِكٍ مُقْتَدِرٍ ﴿٢٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الرَّحْمَنُ ﴿١﴾ عَلَّمَ الْقُرْآنَ ﴿٢﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ﴿٣﴾ عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴿٤﴾
الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ وَالنَّجْمُ وَالشَّوَارِبُ كِسْفَانٍ ﴿٦﴾
وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾ أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ ﴿٨﴾ وَأَقْبُوا
الْأوزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ ﴿٩﴾ وَالْأَرْضَ وَضَعَهَا
لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾ فِيهَا فَكَاكِبَةٌ وَالخَلْقَ ذَاتَ الْأَكْبَامِ ﴿١١﴾ وَالنَّجْمُ ذُو
الْقُصْفِ وَالرَّجْمَانُ ﴿١٢﴾ فَأَيُّ آيَةِ الْآيَةِ رَبِّكُمْ تَكْفُرُونَ ﴿١٣﴾

٤٦ - بل القيامة موعدهم بالعذاب والحساب، وعذاب الساعة أشد إيلاماً، وأشد مرارة من عذاب الدنيا.
٤٧ - إن الكفار والمشركين المعاندين في خطأ وتعد شديد عن الحق، ويران مستعمرة في جهنم. أخرج مسلم والترمذي عن أبي هريرة قال: جاء مشركو قريش يخاصمون رسول الله ﷺ في القدر، فأنزل الله تعالى: ﴿إن المجرمين في ضلال وسعر﴾ إلى قوله تعالى: ﴿إننا كل شيء خلقناه بقدر﴾ [٤٩].

٤٨ - يوم يخرون في النار على وجوههم، ويقال لهم: ذوقوا حر النار والمها. و﴿سقر﴾ اسم جهنم.
٤٩ - إننا خلقنا كل شيء مقدراً بمقدار معلوم مكتوب في اللوح المحفوظ قبل وقوعه.

٥٠ - وما أمرنا بإيجاد شيء نريده إلا كلمة واحدة هي ﴿كن فيكون﴾ [البقرة ٢/١١٧ ومواقع أخرى] موجوداً، كسرعة لمح البصر، أو طرفة عين.
٥١ - ولقد أهلكنا أشباهكم في الكفر من الأمم الماضية، فهل من متذكر منقطع؟! والاستفهام بمعنى الأمر، أي اذكروا واتعظوا بالمواعظ.

٥٢ - وكل شيء فعله السابقون مكتوب عند الحافظة.
٥٣ - وكل شيء صغير أو كبير من أعمال الخلق وأقوالهم مسجل أو مدون في اللوح المحفوظ.
٥٤ - إن الذين يخافون عذاب الله باتباع أوامره واجتنب نواهيه في بساتين مختلفة، وأنهار متنوعة.

٥٥ - في مكان مرضي كريم، لا لغو فيه ولا تأثيم، عند ملك قادر لا يعجزه شيء، أي إنهم مقربون عند الله تعالى، فالعندية عندية مكانة وتشريف. والملك: صيغة مبالغة، أي ملك عظيم ملكه.

سورة الرحمن

- ١، ٢ - الله تعالى هو الرحمن النعم بجلال النعم الدنيوية والأخرية، علمه رسوله القرآن بإيحائه إليه لتبليغه للناس.
- ٣، ٤ - خلق الإنسان، أي الجنس الإنساني، علمه التعبير عن النفس وإفهام غيره بنطق واضح.
- ٥ - الشمس والقمر يجريان بحساب دقيق منظم، فيدان على حساب الشهور والأعوام.
- ٦ - والنجم، أي النبات الذي لا ساق له، والشجر، أي النبات الذي له ساق وأغصان. والنجم أيضاً: الكوكب المرئي في السماء، يقادان الله تعالى فيما أمر، ولما أَرَادَ اللهُ سبحانه منهما.
- ٧ - وخلق السماء مرفوعة بغير عمد، وأنزل في الأرض نظام العدل، وأثبته وشرعه.
- ٨ - لتلا تجوروا في الأحكام والأفضية، ولا تتجاوزوا مبدأ العدل.
- ٩ - وقوموا الوزن للأشياء بالعدل في الأخذ والعطاء، ولا تنقصوا الموزون، ولا تبخسوا حقوق الناس.
- ١٠ - والأرض بسطها ومهدما للمخلوقات للعيش والاستقرار.
- ١١ - فيها أنواع الفاكهة الكثيرة، وفيها النخل ذات أوعية الطلع، وأغطية الثمر.
- ١٢ - وفيها الحب كالحنطة والشعير وكل ما يبتات، ذو الورق الجاف، وهو التين، وفيها كل نبات طيب الرائحة.
- ١٣ - فأَيُّ نَعْمٍ رَبِّكُمَْا معشر الإنس والجن تكذبان؟ والاستفهام للتقرير، أي لا يمكنكم التكذيب. والسنة أن يقول عقبا: «لا بشيء من نعمك ربنا نكذب، فلك الحمد». وتكرار هذه الآية أمر حسن في مجال تعداد النعم، للتبهي على النعم.

١٤- خلق الإنسان من صلصال، أي طين يابس له صلصلة، أي صوت، كالفخار: وهو ما طبخ من الطين.

١٥- وخلق الجن، أي أصل الجن من لهب خالص لا دخان فيه، من نار.

١٦- فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

١٧- رب مشرقى الشمس في الشتاء والصيف، ورب مغربيهما أيضاً.

١٨- فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

١٩- أرسل وأجرى البحرين: العذب والملح، يلتقيان، أي يتجاوران دون فاصل بينهما.

٢٠- بينهما حاجز من قدرة الله تعالى، لا يتعدى أحدهما على الآخر، حتى يذهبه، فلا يختلط به.

٢١- فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

٢٢- يخرج من أحدهما وهو الملح اللؤلؤ: صغار الدرّ للمخلوق في الأصداف، والمرجان: كبار الدرّ، أو الخرز الأحمر المعروف.

٢٣- فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

٢٤- وله سبحانه السفن الجارية في البحر المرفوعات الشراع كالجبال العالية عظماً وارتفاعاً.

٢٥- فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس تكذبان!؟

حَاقَ الْإِنْسَانَ مِنْ صَلْصَالٍ كَالْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ وَخَلَقَ الْجَانَّ مِنْ مَّارِجٍ مِنْ نَارٍ ﴿١٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿١٦﴾ رَبِّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبِّ الْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿١٨﴾ مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٢١﴾ يَخْرُجُ مِنْهَا الْوُثُوقُ وَالرِّجَاجُ ﴿٢٢﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٢٣﴾ وَآلِ الْجِبَالِ الْمُنشآتِ فِي الْأَعْلَامِ ﴿٢٤﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٢٥﴾ كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهَ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٢٨﴾ يَسْأَلُهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلُّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٣٠﴾ سَنَفَعُ لَكُمْ إِيَّاهُ الثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٣٢﴾ يَمْشُرُ الْجِبْنَ وَالْإِنْسَانَ إِنِ اسْتَطَعْنَا أَنْ نَمُدَّ مِنْ أَطْرَافِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ فَأَنَّمُدُّوهُ لَّا نَمُدُّوهُ إِلَّا بِسُلْطَنِ الْإِسْلَامِ ﴿٣٣﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٣٤﴾ يُرْسَلُ عَلَيْكَ نُوْحًا مِنْ نَارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنْصُرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٣٦﴾ فَإِذَا انشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَالدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ فَبِأَيِّ آيَةِ الْآدَاءِ رَبِّكَ كَذِبَانِ ﴿٣٨﴾

٢٦- كل من على الأرض من الناس والحيوانات هالك زائل.

٢٧، ٢٨- ويبقى ذات الله ووجوده، فهو الحي الدائم الذي لا يموت، وذو العظمة والكبرياء، وصاحب الفضل والإنعام الذي يُكرم عباده المؤمنين. فبأي نعم الله ربكما معشر الجن والإنس مما ذكرنا قبل تكذبان!؟

٢٩، ٣٠- يسأله جميع من في السموات والأرض كل ما يحتاجون إليه من إسماع ورزق وحال، كل وقت هو في أمر من الأمور، يُحدث أشخاصاً، ويجدد أحوالاً بحسب قضااته الأزلي، من إحياء وإماتة، وإعزاز وإذلال، وإغناء وإفقار، وإجابة سؤال وحرمان وغير ذلك. فبأي نعم ربكما أيها الجن والإنس من اختلاف شؤونه في تدبير عباده تكذبان!؟

٣١، ٣٢- سنقصد حسابكم معشر الجن والإنس يوم القيامة، ونجازي كل واحد بما يستحق. والثقلان: الإنس والجن، لثقلهما على الأرض، بالوجود فيها. فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٣، ٣٤- يا معشر الجن والإنس إن استطعتم أن تخرجوا من جوانب السموات والأرض، هرباً من قضاء الله وقدره، فخرجوا منها، لا تقدرون على النفوذ إلا بقوة وقهر مختصين بالله تعالى. فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٥- يُرسل عليكم إن حاولتم الخروج أو النفوذ لهب من نار خالص لا دخان فيه، ومن نحاس مُذاب تشوى به جلودهم ويطونهم، فلا تقدرون على الامتناع من عذاب الله، ولا تجهدان من ينصركما.

٣٦- فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٧- فإذا تصدعت السماء يوم القيامة، فكانت كوردة حمراء، ومثل الزيت المغلي.

٣٨- فبأي نعم الله تكذبان أيها الجن والإنس!؟

٣٩- فيوم انشقاق السماء حين الخروج من القبور لا يسأل أحد من الناس والجن عن ذنبه، وسيكون الحساب بعدئذ في موقف الحشر.

٤٠- فبأي نعم الله أيها الإنس والجن تكذبان؟!

٤١- يعرف المجرمون الأثمون بعلامتهم على وجوههم، حيث يكونون سود الوجوه، زرق العيون، فتأخذهم الملائكة بمقدم شعر الرؤوس، وتضم الأقدام إلى النواصي - جمع ناصية: وهي مقدم الرأس - ويقذفون إلى النار.

٤٢- فبأي نعم الله أيها الإنس والجن تكذبان؟!

٤٣- يقال لهم: هذه جهنم التي تشاهدونها هي التي كذب بها الكافرون المنكرون للبعث.

٤٤- يترددون بين جهنم التي يحرقون فيها، وبين ماء حار بلغ منتهى الشدة في الحرارة.

٤٥- فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٤٦- ولئن خاف حساب ربه في موقف الحساب بين يدي الله تعالى جنتان، بأن أطاع الأوامر واجتنب المعاصي.

٤٧- فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٤٨، ٤٩- جنتان ذواتا أعصان كثيرة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٠، ٥١- فيهما عينان تجريان حيث شاؤوا، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٢، ٥٣- فيهما من كل أنواع الفاكهة صنفان: رطب ويابس، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٤، ٥٥- مستندين جالسين على فرش بطانتها من ديباج ثخين، وثمر الجنتين قريب التناول. فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٦، ٥٧- في مشتملات الجنتين المذكورتين من النعم والفرش والتعرف نساء قصرن أبصارهن على أزواجهن المتكئين على الفرش، لم يمسهن أحد من الإنس والجن، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٥٨، ٥٩- كأن هؤلاء النساء في صفاء اللون وحمرة الياقوت المعروف: الحجر الأملس الصافي، وكأنهن المرجان: هو الحرز الأحمر الذي يؤخذ من البحر. فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٠، ٦١- ما جزاء الإحسان في العمل الدنيوي إلا الإحسان في الثواب الأخروي، وهو الجنة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٢، ٦٣- ومن دون تلك الجنتين المذكورتين للمقربين وأقل منهما منزلة جنتان أخريان لأصحاب الميمنة، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٤، ٦٥- جنتان شديدتا الخضرة من كثرة الري والعناية، كأنهما سوداوان أو مسودتان، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

٦٦، ٦٧- في هاتين الجنتين عينان فوارتان بالماء، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!

فَيَوْمَذِي الْقِيَامَةِ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴿٣٩﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ يَعْرِفُوا الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِحُجَّتِهِمْ فَيُوْخَذُونَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ يَطُوفُونَ فِيهَا وَبَيْنَ حَرِيمٍ إِنْ ﴿٤٣﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٤﴾ وَلَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتُنَا ﴿٤٥﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٦﴾ ذَوَاتَا أَفْقَانٍ ﴿٤٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٨﴾ فِيهَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٤٩﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٠﴾ فِيهَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ رِزْقَانِ ﴿٥١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٢﴾ مُسْتَنْدِيقِينَ عَلَى فُرُشٍ بَطَائِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍ ﴿٥٣﴾ وَحَنَى الْجَسَنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ فِيهَا قُصُورٌ مِّنَ الْغَابِغَةِ ﴿٥٦﴾ أَلْفُ مِائَةٍ أَوْ مِائَتَانِ ﴿٥٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٨﴾ كَأَنَّهَا جَوْذَارُ مِّنَ الْكَبْشِ الْوَحْشِ ﴿٥٩﴾ كَالَّذِي إِذَا دُفِعَ مِنْهَا لَمَسَ مِن لَّدُونِهَا ﴿٦٠﴾ فَكَأَنَّمَا تَلَوَّتْ عَلَاقُ الْوَحْشِ ﴿٦١﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٢﴾ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ ﴿٦٣﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٤﴾ وَمِنْ دُونِهَا جَنَّاتُنَا نَزِيلٌ ﴿٦٥﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٦﴾ مَدَامَتَانِ ﴿٦٧﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٨﴾ فِيهَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٩﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِ الْآلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٠﴾

٦٨، ٦٩- في الجنتين المذكورتين فاكهة مختلفة الأنواع، ونخل ورمان، وهما من عطف الخاص على العام، فبأي نعم ربكما تكذبان؟!
٧٠، ٧١- في مشتملات هاتين الجنتين نساء فاضلات الأخلاق، جميلات الوجوه، فبأي نعم ربكما تكذبان!؟

٧٢، ٧٣- إن هذه النساء فائقة الجمال، شديداً بياض العيون وسوادها، مخدرات مستورات ملازمات البيوت، فبأي نعم ربكما تكذبان!؟ والحيام جاء على استعمال العرب، وهي أماكن النعيم.
٧٤، ٧٥- لم يجامعهن أحد قبلهم من الإنس والجن، فبأي نعم ربكما تكذبان!؟

٧٦، ٧٧- مستندين على وسائل مرتفعة، وبسط وطفاس منقوشة مزخرفة الألوان، جميلة رائعة، فبأي نعم ربكما تكذبان!؟ والعسكري: كل شيء عجيب الجردة، وهو لفظ يطلق على الواحد والأكثر، كالطفل والفلك.
٧٨- تعاطم وتنزه اسم الله أي ذاته، صاحب العظمة، والإنعام على عباده.

سورة الواقعة

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن جابر بن سمرة

يقول: كان رسول الله ﷺ يصلي الصلوات كنحو من

صلواتكم التي تصلون اليوم، ولكنه كان يخفف، كانت صلواته أخف من صلواتكم، وكان يقرأ في الفجر: الواقعة ونحوها من السور.

- ١- إذا قامت القيامة- عبر بالفعل الماضي لأنها واقعة قطعاً. والواقعة والأزفة والحاقة بمعنى القيامة..
- ٢- لا يكون عند وقوعها تكذيب. والكاذبة هنا لفظ يراد به المصدر، أي الكذب، كخاتنة بمعنى الحياثة.
- ٣- تخفض قوماً وترفع آخرين، القوم الأول: الكفار والفساق، والثاني: أهل الإيمان.
- ٤، ٥- إذا زلزلت وحركت الأرض تحريكاً شديداً يؤدي إلى سقوط البناء والجبال. وقتت الجبال فتاً شديداً دقيقاً
- ٦، ٧- فصارت غباراً منتشرأ متفرقاً. وصرتم أصنافاً ثلاثة.
- ٨- فأهل اليمن الذين يعطون كتبهم بأيانهم هم أهل المنزلة العالية لفوزهم بالجنة والرضوان الإلهي. و﴿ما﴾ اسم استفهام لتحويل الأمر المتحدث عنه، إما في حسن الحال كما هنا أو في قبحه.
- ٩- وأهل الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمائلهم هم أهل المنزلة الدنيا.
- ١٠- والسابقون في الدنيا إلى الإيمان والخير والطاعة واجتناب المعصية هم السابقون إلى رحمة الله وفضله.
- ١١، ١٢- أولئك الذين قربت درجاتهم وأعليت مراتبهم في الجنة والنعيم، فهم أهل الحظوة والتكريم عند ربهم.
- ١٣- جماعة من الأم السابقة من عهد آدم إلى نبينا عليهما السلام.
- ١٤، ١٥- وقليل من أمة النبي ﷺ، ووصفوا بالقلة بالنسبة لمجموع من كان قبلهم وهم كثيرون. أخرج أحمد وغيره عن أبي هريرة قال: لما نزلت ﴿ثلة من الأولين وقليل..﴾ شق ذلك على المسلمين، فنزلت ﴿ثلة من الأولين، وقللة من الآخرين﴾ [٤٠]. على سور منسوجة بإحكام، ومطعمة بخيوط الذهب.
- ١٦- جالسين أو مضطجعين على السرر، يقابل بعضهم بعضاً، لا ينظر أحدهم إلى قفا الآخر.

فِيهِمَا فَاكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنذِرُكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٦٩﴾
فِيهِنَّ خَيْرَاتٌ حَسَنَاتٌ ﴿٧٠﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنذِرُكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٧١﴾ حُورٌ
مَّقْصُورَاتٌ فِي الْخَمَامِ ﴿٧٢﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنذِرُكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٧٣﴾ لَمْ يَطْمِئِنَّ
إِنْسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَانٌ ﴿٧٤﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنذِرُكُمَا تَكْذِبَانِ ﴿٧٥﴾
مُتَّكِئِينَ عَلَى رُفُوفٍ خُضْرٍ وَعَبَقَرٍ حَسَنَاتٍ ﴿٧٦﴾ فَبِأَيِّ آيَاتِنَا نُنذِرُكُمَا
تَكْذِبَانِ ﴿٧٧﴾ نَبِّئْكَ اسْمَ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ لَنَسْفَعُهَا كَارِبَةٌ ﴿٢﴾ حَافِضَةٌ زَافِعَةٌ ﴿٣﴾
إِنَّا رَجَبْنَا الْأَرْضَ بِرَجَابٍ ﴿٤﴾ وَنَسَبْنَا إِلَيْهَا آيَاتِنَا ﴿٥﴾ فَكَانَتْ هَبَاءً
مُنْبَثًّا ﴿٦﴾ وَكُنْمُ الْأَرْضِ لَللَّهِ ﴿٧﴾ فَأَصْحَابُ الْمُنْمِثَةِ مَا أَصْحَابُ الْيَمِينَةِ ﴿٨﴾
وَأَصْحَابُ الشُّمُثَةِ مَا أَصْحَابُ الشُّمُثَةِ ﴿٩﴾ وَالسَّابِقُونَ السَّابِقُونَ ﴿١٠﴾
أُولَئِكَ الْمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ فِي حَبِّ النَّعِيمِ ﴿١٢﴾ اللَّهُ مِنَ الْأُولِينَ ﴿١٣﴾ وَقَلِيلٌ
مِنَ الْآخِرِينَ ﴿١٤﴾ عَلَى سُرُرٍ مَوْضُونٍ ﴿١٥﴾ مُتَّكِئِينَ عَلَيْهَا مُسْتَقْبِلِينَ ﴿١٦﴾



١٧- يدور حولهم للخدمة صبيان باقون على صفتهم أبداً، لا يهرمون.
 ١٨- معهم أفداح لا عرى لها ولا خراطيم، وأفداح لها عرى وخراطيم، وإناء من خمر جارية من منيع لا يقطع.
 ١٩- لا تتصدع رؤوسهم من شربها، ولا تذهب عقولهم بالسكر منها، بخلاف خمر الدنيا.
 ٢٠- وبفاكهة مما يختارون ويرضون.
 ٢١- ويلحم طير مما يتمنون ويرغبون وتشبهه أنفسهم.
 ٢٢- ولهم نساء حوريات شديديات سواد العيون وبياضها، واسمعات الأعين حسان.
 ٢٣- هن في الصفاء والحسن والبياض كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفه، ولم تمسه الأيدي.
 ٢٤- يفعل ذلك كله بهم جزاء على أعمالهم.
 ٢٥- لا يسمعون في الجنة كلاماً ساقطاً أو باطلاً، ولا ما يوقع في الإثم.
 ٢٦- لكن قولاً: سلاماً سلاماً، أي يقولون: سلمك الله سلاماً مباركاً.
 ٢٧- وأهل اليمين الذين يُحطون كتبهم بأيامهم هم أهل المنزلة العالية المعدة لهم.
 ٢٨- يتمنون في شجر يمتاز بكثرة أوراقه وأغصانه، وله فاكهة تليق بالجنة، ولا شوك فيه.
 ٢٩- وشجر الموز المترابك الثمر، بعضه فوق بعض.
 ٣٠- ٣١- ٣٢: وظل دائم ممتد، وماء جار دائم لا يقطع، وفاكهة متنوعة وفيرة الكميات.
 ٣٣- لا تنقطع في وقت ما، ولا تمتنع عن تناولها بحال من الأحوال، بل هي معدة لمن أرادها.
 ٣٤- وفُرُشٌ عالية منضدة فوق الأسرة.
 ٣٥- ٣٦- ٣٧: إنا خلقنا نساء الجنة الحوريات خلقاً جديداً من غير ولادة، فجعلناهن فتيات عذارى، شديديات الحب لأزواجهن، متساويات في السن، وهو من الشباب.
 ٣٨- خلقناهن لأهل اليمين الذين يُحطون صحفهم بأيامهم، أي أنشأنا الزوجات لأصحاب اليمين.
 ٣٩- ٤٠: جماعة كثيرة من السابقين قبل نبينا، وجماعة كثيرة من أمة النبي محمد ﷺ.
 ٤١- وأهل الشمال الذين يأخذون صحفهم بشمالهم في منزلة دنية حقيرة.
 ٤٢- في لهب النار أو في ريح شديدة الحرارة تنفذ في المسام، وماء شديد الحرارة.
 ٤٣، ٤٤، ٤٥- وظل من دخان جهنم شديد السواد والحرارة، لا هو بارد كبقية الظلال، ولا هو نافع يدفع أذى الحر لمن يأوي إليه، ولا حسن المنظر. إن أصحاب الشمال كانوا في الدنيا متعین منهمكين في الشهوات.
 ٤٦- وكانوا يقيمون ويدامون على الذنب الكبير، وهو الشرك وبقية الكبائر.
 ٤٧- وكانوا ينكرون البعث، ويقولون: كيف إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بآلة تعود أحياء من قبورنا؟!
 ٤٨- وهل يبعث أبأونا الأقدمون؟ أي إنهم أشد إنكاراً لبعث آبائهم وأجدادهم لتقدم الزمن.
 ٤٩- قل لهم أيها الرسول: إن الأولين من الأمم والأخريين منهم وأنتم من جملتهم.
 ٥٠- لمجموعون محشورون إلى وقت يوم معلوم هو يوم القيامة.
 ٥١- ثم إنكم معشر الضالين عن الحق، الذين أنكرتم وجود الله وتوحيده.

١٧- يدور حولهم للخدمة صبيان باقون على صفتهم أبداً، لا يهرمون.
 ١٨- معهم أفداح لا عرى لها ولا خراطيم، وأفداح لها عرى وخراطيم، وإناء من خمر جارية من منيع لا يقطع.
 ١٩- لا تتصدع رؤوسهم من شربها، ولا تذهب عقولهم بالسكر منها، بخلاف خمر الدنيا.
 ٢٠- وبفاكهة مما يختارون ويرضون.
 ٢١- ويلحم طير مما يتمنون ويرغبون وتشبهه أنفسهم.
 ٢٢- ولهم نساء حوريات شديديات سواد العيون وبياضها، واسمعات الأعين حسان.
 ٢٣- هن في الصفاء والحسن والبياض كأمثال اللؤلؤ المصون في صدفه، ولم تمسه الأيدي.
 ٢٤- يفعل ذلك كله بهم جزاء على أعمالهم.
 ٢٥- لا يسمعون في الجنة كلاماً ساقطاً أو باطلاً، ولا ما يوقع في الإثم.
 ٢٦- لكن قولاً: سلاماً سلاماً، أي يقولون: سلمك الله سلاماً مباركاً.
 ٢٧- وأهل اليمين الذين يُحطون كتبهم بأيامهم هم أهل المنزلة العالية المعدة لهم.
 ٢٨- يتمنون في شجر يمتاز بكثرة أوراقه وأغصانه، وله فاكهة تليق بالجنة، ولا شوك فيه.
 ٢٩- وشجر الموز المترابك الثمر، بعضه فوق بعض.
 ٣٠- ٣١- ٣٢: وظل دائم ممتد، وماء جار دائم لا يقطع، وفاكهة متنوعة وفيرة الكميات.
 ٣٣- لا تنقطع في وقت ما، ولا تمتنع عن تناولها بحال من الأحوال، بل هي معدة لمن أرادها.
 ٣٤- وفُرُشٌ عالية منضدة فوق الأسرة.
 ٣٥- ٣٦- ٣٧: إنا خلقنا نساء الجنة الحوريات خلقاً جديداً من غير ولادة، فجعلناهن فتيات عذارى، شديديات الحب لأزواجهن، متساويات في السن، وهو من الشباب.
 ٣٨- خلقناهن لأهل اليمين الذين يُحطون صحفهم بأيامهم، أي أنشأنا الزوجات لأصحاب اليمين.
 ٣٩- ٤٠: جماعة كثيرة من السابقين قبل نبينا، وجماعة كثيرة من أمة النبي محمد ﷺ.
 ٤١- وأهل الشمال الذين يأخذون صحفهم بشمالهم في منزلة دنية حقيرة.
 ٤٢- في لهب النار أو في ريح شديدة الحرارة تنفذ في المسام، وماء شديد الحرارة.
 ٤٣، ٤٤، ٤٥- وظل من دخان جهنم شديد السواد والحرارة، لا هو بارد كبقية الظلال، ولا هو نافع يدفع أذى الحر لمن يأوي إليه، ولا حسن المنظر. إن أصحاب الشمال كانوا في الدنيا متعین منهمكين في الشهوات.
 ٤٦- وكانوا يقيمون ويدامون على الذنب الكبير، وهو الشرك وبقية الكبائر.
 ٤٧- وكانوا ينكرون البعث، ويقولون: كيف إذا متنا وصرنا تراباً وعظاماً بآلة تعود أحياء من قبورنا؟!
 ٤٨- وهل يبعث أبأونا الأقدمون؟ أي إنهم أشد إنكاراً لبعث آبائهم وأجدادهم لتقدم الزمن.
 ٤٩- قل لهم أيها الرسول: إن الأولين من الأمم والأخريين منهم وأنتم من جملتهم.
 ٥٠- لمجموعون محشورون إلى وقت يوم معلوم هو يوم القيامة.
 ٥١- ثم إنكم معشر الضالين عن الحق، الذين أنكرتم وجود الله وتوحيده.

لَا كُؤُنَ مِنْ بَحْرٍ مِّنْ رُّؤْمٍ ﴿٥٢﴾ فَاَلْقَوْهَا فِي الْبُحُورِ ﴿٥٣﴾ فَسَرَّبَتْ
عَلَيْهِ مِنَ الْغَيْمِ ﴿٥٤﴾ فَسَرَّبَتْ سُرْبًا لِلْمِيمِ ﴿٥٥﴾ هَذَا تَرْكُوبُ الْوَالِدِينَ
﴿٥٦﴾ نَحْنُ خَلَقْنَاكُمْ فَلَوْلَا نَصِيحُونَ ﴿٥٧﴾ اَوْءَيْدِي مَا تَقُونَ ﴿٥٨﴾ اَنْتُمْ
تَخْلُقُونَهُ وَاَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ ﴿٥٩﴾ نَحْنُ قَدَرْنَا بَيْنَكُمْ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ
بِمُسَبِّحِينَ ﴿٦٠﴾ عَلَيْنَ اَنْ يَّسْتَدِلَّ قَوْلُنَا عَلَيْكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فَمَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾
وَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْاُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ اَوْءَيْدِي مَا تَحْمِلُونَ
﴿٦٣﴾ اَمْ تَدْرُسُونَ رُءُوسَهُ وَاَمْ نَحْنُ الرَّارِعُونَ ﴿٦٤﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ
حُطَلَاءً فَظَلَمْتُمْ تَفَكُّهُنَّ ﴿٦٥﴾ اِنَّا لَمَعْرُومُونَ ﴿٦٦﴾ اِلَّا نَحْنُ مَحْرُومُونَ
﴿٦٧﴾ اَوْءَيْدِي الْمَاءِ الَّذِي سَرَّبُونَ ﴿٦٨﴾ اَمْ تَدْرُسُونَ رُءُوسَهُ مِنْ الْمَرْزِ اَمْ
نَحْنُ الْمَدْرِيُونَ ﴿٦٩﴾ لَوْ نَشَاءُ لَجْعَلْنَاهُ اُجْحَامًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾
اَوْءَيْدِي النَّارِ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ اَمْ تَدْرُسُونَ نَشْأَةَ بَحْرٍ مِّنْهَا اَمْ نَحْنُ
الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ نَحْنُ جَعَلْنَاهَا تَذَكُّرًا وَمَعَا لِقَوْمٍ يُفَسِّحُونَ ﴿٧٣﴾ فَسَمِعَ
بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ فَلَا اَقْسَمُ بِمَوْقِعِ الْجَبْرِ ﴿٧٥﴾ وَاِنَّهُ
لَنَسْفَعُ لِقَوْمٍ يُكَفِّرُونَ عَظِيمًا ﴿٧٦﴾ اِنَّهُ لَنَسْفَعُ اَنْ كَرِيْمٌ
﴿٧٧﴾ وَرَكِبَ فُكُؤُنَ ﴿٧٨﴾ لَا يَمْسُهُ اِلَّا الْمَطَّهَّرُونَ ﴿٧٩﴾

والحرث: إثارة الأرض أو فلاتها.

- ٦٤ - ألتمت تبتونه - وتزرعونه مشتق من الزرع: وهو الإنبات - أم نحن المنتبون؟
٦٥ ، ٦٦ - لو نشاء لجعلنا ذلك الزرع هشيمًا متحطماً متكسراً، لا نفع فيه، فبقيتم نهاراً تمتعجون من سوء حاله، ملازمين حال
الغرم، تقولون: إنا الذين ذهب مالهم وضاع سدى.
٦٧ - بل نحن في الواقع محرومون من الخير، ممنوعون من الرزق. و ﴿بل﴾ للانتقال من كلام إلى آخر.
٦٨ - أخبروني عن الماء الذي تشربون منه لإرواء العطش.
٦٩ - ألتمت أنزلتموه من السحب أم نحن المنزلون له بإرادتنا وقدرتنا دون غيرنا؟ والمؤمن جمع مزنة.
٧٠ - لو نشاء جعلنا ذلك الماء المنزل العذب ملكاً لا يمكن شربه، فهلا تشكرون أمثال هذه النعم الضرورية؟
٧١ ، ٧٢ - أخبروني عن النار التي تقدحون أعواد شجرها بضرب عود منها بأخر مع احتكاك شديد، فيخرج منها شرر النار،
مثل ضرب الحجر بقطعة حديد وهو الزناد، أم نحن المنشئون لها بقدرتنا دونكم؟ ومن هذه الأشجار: شجر معروف عند العرب
يقال المرخ والعفار والكلكخ التي تقدح ناراً بالتماس الشديد.
٧٣ - نحن جعلنا نار الدنيا بالزناد وغيره تذكيراً لكم بنار جهنم، وشيئاً يتمتع به، أي يتفح به للمسافرين.
٧٤ - فتره الله تعالى أي ذاته وصفاته العظمى عن كل ما لا يليق به.
٧٥ - فلا أقسم - لا: مزيد للتأكيد. أي أقسم بمساقط الكواكب أي مغاربها.
٧٦ ، ٧٧ - وإنه لقسم عظيم جداً لو تعلمون قدره وعظمته، وكنتم من أهل العلم بذلك، نزلت حينما مطر الناس، فقَالَ
بعضهم: إنما مطرنا بنوء كذا وكذا، أي بسبب سقوط نجم كذا. إن هذا المرحى به إليك أيها النبي لقرآن كثير الخير والنفع.
٧٨ - أي في كتاب مصون عند الله تعالى، محفوظ عن التبديل والتغيير، وهو اللوح المحفوظ، أو المصحف الذي بين أيدينا
وهو الأظهر.
٧٩ - أي لا يمس ذلك الكتاب إلا المطهرون من الذنوب وهم الملائكة، أو لا يمسه إلا المتوسى الظاهر.



تَزِيلُ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٥١﴾ أَفَبَدَأَ الْخَلْقَ أَمْ نُمَدَّهُنَّوْنَ ﴿٥٢﴾
 وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكْفِرُونَ ﴿٥٣﴾ فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحَامِرَ ﴿٥٤﴾
 وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ نَنْظُرُونَ ﴿٥٥﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ
 لَا بُصِيرُونَ ﴿٥٦﴾ فَلَوْلَا إِنْ كُنْتُمْ عَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٥٧﴾ تَرْجِعُونَهَا
 إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٥٨﴾ فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ﴿٥٩﴾ فَسَوْخٌ
 وَرِيحَانٌ وَجَنَّتْ نَعِيمٌ ﴿٦٠﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٦١﴾
 فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ﴿٦٢﴾ وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكْذِبِينَ
 الصَّالِينَ ﴿٦٣﴾ فَنَزْلٌ مِنْ سَمِّ جَهَنَّمَ ﴿٦٤﴾ وَصَلْبَةٌ يَجْجَمُ ﴿٦٥﴾ إِنْ هَذَا
 لَهُوَ حَىُّ الْيَقِينِ ﴿٦٦﴾ فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ ﴿٦٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 سَبِّحْ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ لَوْ مَلَكَ
 السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضُ نَجْمِي وَوَيْسَتْ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ هُوَ
 الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾

- ٨٠- القرآن منزل من عند الله تعالى رب العوالم كلها على قلب نبيه محمد ﷺ.
- ٨١- أفسهذ القرآن أيها المشركون أنتم متهاونون، وتظهرون بظهر من لا يههم أمره!؟
- ٨٢- وتجعلون شكر رزقكم وهو المطر، وحظكم من هذا القرآن أنكم تكذبون بنعمة الله، وتقولون: مطرنا بنوء كذا أي بسقوطه في المغرب مع الفجر، وطلوع رقبه في المشرق!؟
- ٨٣- فهلا إذا بلغت الروح وقت الترع الخلقوم: أعلى مجرى الطعام.
- ٨٤- وأنتم أيها الجالسون بجوار المحتضر ترونه يكابد سكرات الموت، لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً ينفعه أو يخفف عنه.
- ٨٥- ونحن أقرب إلى المحتضر وأعلم بحاله منكم، ولكن لا ترون ولا تدركون حقيقة ما يجري حوله.
- ٨٦- فهلا إن كنتم غير محاسبين على أعمالكم يوم القيامة وسكرين البعث كما زعمتم؟
- ٨٧- ترجعون الروح إلى مقرها في الجسد إن كنتم صادقين في نفي البعث.
- ٨٨- فأما إن كان المتوفى من السابقين المقربين، أحد الأصناف الثلاثة المتقدمة.
- ٨٩- فله راحة ورحمة، ورزق حسن طيب، وجنة ذات نعيم.
- ٩٠، ٩١- وأما إن كان المتوفى من أصحاب اليمين، فتسقول الملائكة له عند الموت: سلام لك من إخوانك أصحاب اليمين، الذين سبقوك وأنت منهم.
- ٩٢- وأما إن كان المتوفى من المكذبين بالله ورسوله وبالبعث، الضالين المنحرفين عن الهدى، وهم أصحاب الشمال.
- ٩٣- فالنزل المعد له شيء من ماء متناه في حرارته. ٩٤- وجعله في جهنم، وإذاعة حرها.
- ٩٥- إن هذا الموحي إليك به في هذه السورة لهو الخبر الحق المتيقن الثابت الذي لا شك فيه.
- ٩٦- فنزه الله بذكر اسمه عن كل ما لا يليق بعظمة شأنه، وتفوق قدرته وعلمه.

سورة الحديد

فضلها: أخرج الإمام أحمد وغيره عن عرياض بن سارية: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ السبّحات قبل أن يرقد، وقال: إن فيهن آية أفضل من ألف آية وهي قوله تعالى: ﴿هو الأول والآخر...﴾ الآية [٣].

١- نزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به كل شيء في السموات والأرض، وهو القوي في ملكه، الغالب القاهر، الحكيم في صنعه وتديبه.

٢- مالك السموات والأرض لأنه الخالق لهما، فلا يتقدّ تصرف غيره فيهما، يحيي الأموات، ويميت الأحياء، وهو قادر على كل شيء لا يعجزه أي شيء كان.

٣- الله هو الذي ليس قبله شيء (لم يسبق في الوجود) والآخر الذي ليس بعده شيء (يبقى بعد فناء الموجودات) والظاهر الذي ليس فوقه شيء (وظاهر بأثاره الدالة على وجوده) والباطن الذي ليس دونه شيء (ولا تحيط به الحواس والعقول) وهو واسع العلم بكل شيء، لا يخفى عليه شيء.

هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ
عَلَى الْعَرْشِ بَعْدَ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ
وَمَا يَرْجِعُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ
﴿١﴾ لَهُ الْمُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ ﴿٢﴾ يُوجِبُ
الْإِلَّهَ فِي النَّهَارِ وَيُوجِبُ اللَّيْلَ فِي اللَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٣﴾
آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا جَاءَكُمْ مُسْتَحْلَبِينَ فِيهِ فَالَّذِينَ
آمَنُوا مِنْكُمْ وَأَنْفَقُوا لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٤﴾ وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
وَالرَّسُولِ يَدْعُوكُمُ لِلتَّوْحِيدِ لِيُخْرِجَكُمْ مِنْ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَإِنَّ اللَّهَ بِكُمْ لَرَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿٥﴾ وَمَا لَكُمْ
أَلَّا تُسْقِفُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَاتُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ
لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَتْلَ أَوْلِيَاءِ اللَّهِ أَكْثَرُ
دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدِ وَقَتْلُوا أَوْلِيَاءِ اللَّهِ
أَلَمْ أَحْسِنِ إِلَى اللَّهِ بِمَا تَعْمَلُونَ خَيْرٌ ﴿٦﴾ مَنْ ذَا الَّذِي يَفْرِضُ اللَّهُ
فِرْضًا حَسَنًا لِيُضَعِّفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿٧﴾

٤- الله هو خالق أو مبدع السموات والأرض في
أيام ستة، ثم استوى على العرش (عرش الملك)
استواء يليق بجلاله، يعلم ما يدخل في الأرض من
مطر وهوام وغيرها، ويعلم ما يخرج من الأرض من
نباتات ومياه ومعادن وغيرها، ويعلم ما ينزل من
السماء من مطر ورحمة وملائكة وعذاب وغير ذلك،
ويعلم ما يصعد في السماء من أبخرة وملائكة وأعمال
العباد ودعواتهم، وهو بقدرته وعلمه مع
الموجودات، لا يفارقكم بحال، فليس المراد المعية
بالذات، والله بصير بما تعملون، لا يخفى عليه شيء،
فيجازيكم عليه.

٥- له ملك السموات والأرض، والمتصرف فيهما،
والنافذ الأمر في كل شيء- وكرر ذلك للتأكيد.. وإلى
الله لا إلى غيره تصير أمور الموجودات والخلائق يوم
القيامة، فيحكم فيها بالحق والعدل.

٦- يُدخل الليل في النهار، ويُدخل النهار في
الليل بالزيادة والنقص، وهو عليم بالنيات الخافية في
الصدر، أو الضمائر والمعتقدات والأسرار
والخواطر، جل جلال الله.

٧- صدقوا أيها البشر بوجود الله وتوحيده،
وبصحة رسالة رسوله، وأنفقوا أو صدقوا في سبيل

الله بشيء من الأموال التي جعلكم خلفاء في التصرف فيها، فإن المال في الحقيقة هو لله، وهو وديعة في أيديكم،
فالذين صح إيمانهم بالله ورسوله، وأنفقوا في سبيل الله، لهم ثواب كبير، وهو الجنة. نزلت في غزوة العمرة
وهي غزوة تبوك.

٨- وما لكم أيها الكفار لا تؤمنون بالله؟ أي لا مانع لكم من الإيمان، والرسول يطالبكم بالتصديق بوجود الله
ووحدايته، وقد أخذ العهد عليكم حين أخرجكم من ظهر أبيكم آدم، وهو الإسهاد على وجود الله، إن كنتم
مريدين الإيمان به، فبادروا إليه.

٩- الله وحده الذي ينزل على عبده محمد ﷺ آيات واضحات ظاهرات ليخرجكم أيها الناس من ظلمات الكفر
والضلال إلى نور الحق والإيمان، وإن الله في ذلك الإخراج لرؤوف رحيم بكم، حين بعث فيكم الرسل وأنزل
الآيات والكتب لهدايتكم.

١٠- وأي غرض لكم في عدم الإنفاق في الخير؟ أي اطلب منكم الإنفاق في سبيل إعلاء كلمة الله بالجهاد
وغيره، والله يرث كل شيء في السموات والأرض، ومصير الأشياء كلها إليه، لا يتساوى من أنفق وقاتل قبل فتح
مكة، وفعل ذلك بعد الفتح، أولئك المنفقون قبل فتح مكة أرفع درجة من الذين أنفقوا بعد هذا الفتح، وكلاً من
الفريقين وعد الله الجنة، مع تفاوت درجاتهم فيها، والله خبير بما تعملون من أعمال ظاهرة وباطنة، فيجازيكم
عليها. نزلت هذه الآية في أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

١١- من ذا الذي يتفق ماله في سبيل الله طيبة به نفسه، بلا من ولا أذى، فيضاعف له الأجر أضعافاً مضاعفة،
وله ثواب عظيم في الآخرة، وهو الجنة.

يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ
 بُشْرًا لَّهُمْ أَيُّوْمَ حَسَّتْ تُجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ
 هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٧﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنْفِقُونَ وَالْمُفْسِقَاتُ الَّذِينَ
 آمَسُوا أَنْظِرْنَا نَفْسِي مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا
 نُورًا فَضُرِبَ بِبَنَمِهِمْ سُورَةٌ لَهَا بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ
 مِنْ قِبَلِهِ الْعَذَابُ ﴿١٨﴾ ينادونهم ألوكنن معكم قالوا بلى
 ولكنكم فتننا أنفسكم وتربصت وارتبصت وعرصتكم الأمانئ
 حتى جاء أمر الله وعرصتكم بالله الفرود ﴿١٩﴾ فالنور لا يؤخذ
 منكم فذبة ولا من الذين كفروا ما أولئك إلا النار هي مولدكم وبئس
 المصد ﴿٢٠﴾ أم بأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر
 الله وما نزل من الحق ولا يذكروا كآلدين أولوا الكتاب من قبل
 فقال عليهم الأمد فقت قلوبهم وكبرتهنهن فسقون
 ﴿٢١﴾ اعلموا أن الله يحيى الأرض بعد موتها قد بينا لكم الآيات
 لعلكم تعقلون ﴿٢٢﴾ إنا المصدقين والمصدقات وأقرضوا
 الله قرضاً حسناً يضاعف لهم وطمأئناهم ﴿٢٣﴾

١٢- يوم القيامة تنظر أيها النبي المؤمنين
 والمؤمنات يضيئ الطريق لهم نور إيمانهم وأعمالهم
 الصالحة التي تكون سبباً لنجاتهم وهدايتهم إلى
 الجنة، ويقال لهم من الملائكة: لكم البشارة
 بجنات تجري الأنهار من تحت منازلها، ماكنين فيها
 أبداً، ذلك النور والبشرى هو النجاح العظيم الذي
 لا مثيل له.

١٣- يوم القيامة يقول أهل النفاق مبطنو الكفر
 لأهل الإيمان حينما رأوهم يسارعون إلى الجنة:
 انتظرونا نستضيئ بنوركم، قيل لهم استهزاء بهم:
 ارجعوا إلى الدنيا، فاطلبوا نوراً آخر، فضرب بين
 المؤمنين والمنافقين بحاجز له باب، باطنه فيه من
 جهة المؤمنين الرحمة وهي نعم الجنة، وظاهره من
 جهته - جهة المنافقين - عذاب جهنم.

١٤- ينادي المنافقون المؤمنين قائلين لهم: ألم
 نكن معكم في الدنيا على الإسلام والطاعة، أي
 في الظاهر، قالوا: بلى كنتم معنا ظاهرياً، ولكنكم
 أوقعتم أنفسكم في البلاء وأهلكتموها بالمعاصي،
 وانتظرت الدوائر أو الذواهي بالمؤمنين، وشككتكم

في أمر الدين - الإسلام والبعث وتصديق النبي ﷺ - وخدعتكم الآمال الباطلة بزوال الإسلام، والأطماع
 الزائفة، حتى جاء أمر الله بالموت، وخدعكم بالله الشيطان، فزيف لكم النجاة من العذاب.

١٥- فالיום لا يقبل منكم أيها المنافقون فدية تفتدون بها أنفسكم من النار، ولا من الكفار ظاهراً وباطناً،
 مكانكم النار، هي أولى بكم، أو مأمولكم على سبيل التهكم، وبئس المرجع النار.

١٦- ألم يأت أو يجيء الوقت للمؤمنين بالله ورسوله أن تخشع (تخاف) قلوبهم عند تذكر الحساب،
 والوعظ والإرشاد، وما نزل من القرآن، ولا يكونوا كأهل الكتاب (اليهود والنصارى) من قبلهم، فقال
 عليهم الزمان بينهم وبين أنبيائهم، فصارت قلوبهم صلبة، ولم تلتن لذكر الله، وكثير منهم خارجون عن طاعة
 الله تعالى وحدود دينه. نزلت حين ظهر في الصحابة المزح والضحك.

١٧- اعلموا أيها المؤمنون أن الله يحيى الأرض بالماء والنبات بعد جديها، فكذلك يفعل بقلوبكم، يلينها
 ويردها إلى الخشوع بالذكر وتلاوة القرآن، قد أوضحنا لكم الآيات والبراهين الدالة على قدرتنا، كي تعقلوا
 وتدبروا هذه المواعظ، وتعملوا بموجبها.

١٨- إن المتصدقين بأموالهم على المحتاجين والتصدقات، وأنفقوا شيئاً منها في سبيل الله بإخلاص،
 يضاعف لهم الثواب على أعمالهم، ولهم ثواب سخي عند الله تعالى وهو الجنة.



١٩- والذين صدقوا بالله ورسله تصديقاً تاماً، أولئك هم المبالغون في التصديق وهم الذين كثر صدقهم وصار سجية لهم، والذين استشهدوا أي قتلوا في سبيل الله لهم: ثوابهم الموعود به في كتاب الله، ونورهم الذي يضيئ لهم الطريق إلى الجنة، والذين جمعوا بين الكفر بالله ورسله، وتكذيب الآيات، أولئك أهل جهنم التي يعذبون فيها.

٢٠- اعلموا معشر الناس أنما الحياة الدنيا مجرد لعب لا فائدة منه في الآخرة، وهو يتلهى به ثم يذهب، وزينة تزين بها في الدنيا، ومفخرة يفتخر بها بعضهم على بعض وتسابق في تكثير ما يشغل عن الآخرة في جمع الأموال والإنجاب الأولاد، كمثل مطر أعجب الزراع نباته ونضرته، ثم يبس بعد خضرته، ثم يكون هشيماً متكسراً، وفي الآخرة عذاب شديد لمن آثر الدنيا على الآخرة من الكفار والفجار، وغفران من الله ورضوان تام لمن آثر الآخرة وأطاع وهو مؤمن، وما الحياة الدنيا إلا شيء يتمتع به لمن اغتر بها وانخدع، ولم يعمل لأخبرته. وسمى الزراع كفاراً؛ لأنهم يسترون

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ وَالشَّهَادَةُ
عِنْدَ رَبِّهِمْ لَمْ تَكُنْ أَمْراً وَمَن وَرَهُمُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا كَذَّبُوا
بِعَايِنَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَهَنَّمَ ۖ أَعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ
الدُّنْيَا لَعِبٌ وَهُوَ زِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَكَثْرٌ فِي الْأَمْوَالِ
وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ
مُضْطَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَمًا ۚ وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ ۖ وَيَغْفِرُ
رَبُّكَ اللَّهُ وَيَرْضَى ۗ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَمْعٌ مُّزْجَرٌ
ۖ سَابِقُوا إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ
السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ۚ ذَلِكَ
فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ۖ
مَا أَصَابَ مِنْ مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ
مِّن قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا ۚ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۖ لَكِن لَّا
تَأْسُوا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ
كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ۖ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا أُمِرُوا أَن يَنفِقُوا
بِالْخُلُقِ ۚ وَمَن يَبْخُلْ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ۖ

الحب في التراب كما يستر الكفار نور الإيمان.

٢١- أسرعوا أيها الناس إلى أسباب المغفرة من الله بالتوبة والعمل الصالح، وسارعوا إلى جنة عرضها كعرض السماء والأرض، أُعِدَّتْ وخلقت للمؤمنين بالله ورسله لا لغيرهم، ذلك الموعود به من الجنة والمغفرة تفضل من الله على أهل طاعته، والله ذو الفضل الواسع الذي لا حدود له. وإعداد الجنة دليل على خلقها القائم الموجود.

٢٢- ما أصابكم أيها الناس من مصيبة في الأرض كالجدب ونقص الثمار، والآفة الزراعية، وغلاء السعر وغير ذلك، وفي أنفسكم كالمرض والفقر وفقد الولد إلا وهو مكتوب في اللوح المحفوظ من قبل أن نخلق الأنفس، إن إثبات ذلك في كتاب الله أمر سهل يسير على الله تعالى.

٢٣- أطلعناكم على ذلك كيلا تحزنوا على ما فاتكم من نعيم الدنيا، ولا تفرحوا بما آتاكم فرح بطر وتكبر، والله لا يحب أي يعاقب كل متكبر بما أوتي، متباه على الناس بماله أو جاهه.

٢٤- وهؤلاء هم الذين يبخلون بما يجب عليهم، ويأمرون الناس بالبخل به، ويرغبونهم في ترك حقوق الله، ومن يعرض عن الإنفاق المطلوب منه، فإن الله هو الغني عنه وعن نفقته، المحمود عند خلقه في ذاته وصفاته وأفعاله، لا يضره ذلك.

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنْزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنْفَعٌ لِلنَّاسِ وَلَعَلَّ اللَّهَ مِنْ بَصُرِهِ يُرْسَلُ بِالْعَلِيِّ إِنْ أَلَّ اللَّهُ فَرِيضٌ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَاهِيمَ وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِمَا النُّبُوَّةَ وَالْكِتَابَ فِيهِمْ مُهْتَدُونَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ أَصْحَابُ عُرْسُقٍ فَرَفَعْنَا عَلَى عَنُقِهِمْ رُسُلَنَا وَفَعَلْنَا بَعِيثَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنْ يَدْعُوا بِهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهَابِيتَةٌ إِتْبَعُوهَا مَا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ إِلَّا الْيُسْرَاءَ رَضُوا لِلَّهِ فَأَتَوْهَا حَاقُوا رِعَائِيهَا فَكَاتَبْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَسِقُونَ ﴿٢٦﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَأَسْأَلُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كَهْلينَ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿٢٧﴾ لَعَلَّكُمْ أَهْلُ الْكِتَابِ الْأَقْبَادُونَ عَلَى شَيْءٍ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأَنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٢٨﴾

٢٥- تالله لقد أرسلنا رسلنا الأنبياء إلى الأمم بالحجج والمعجزات الواضحة وأنزلنا معهم الكتب السماوية المشتملة على الشرائع، وأنزلنا الميزان، أي ضوابط العدل في الأحكام ليتعامل الناس بالعدل في معاملاتهم، وخلقنا أو أوجدنا الحديد فيه قوة وشدة وصلابة، وفيه منافع كثيرة للبناء والزراعة والصناعة في السلم والحرب، وليعلم الله من ينصر دينه وينصر رسله في حال غيبته عنهم في الدنيا، إن الله قادر على كل شيء، قاهر لا يغلب ولا حاجة له إلى نصره عباده.

٢٦- ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم رسولين إلى قومهما، وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتب المنزلة لتبليغها للناس، فمن الذرية مهتد إلى الإيمان، وكثير منهم خارجون عن الطريق المستقيم.

٢٧- ثم أتبعنا على أعقابهم وهي الطرق التي سلكوها برسلنا المرسلين بالأدلة الواضحة على صدقهم، وأتبعناهم بعيسى ابن مريم، وهو من ذرية إبراهيم من جهة أمه، وأعطينا الإنجيل، وجعلنا في قلوب الذين آمنوا برسالته واتبعوا دينه

وهم الخواريون وأتبعهم رقة وشفقة، أي في اتباع الأحكام الدينية والعقوبات والمعاملات، وأحدثوا رهبانية هي البالغة في العبادة مع العزلة، ما أوجبنا عليهم، لكن فعلوها واخترعوها من أنفسهم بقصد إرضاء الله، فما رعاها جميعهم رعاية صحيحة، بل أهملوها وتجاوزوها، فأتينا المؤمنين منهم وهم الذين أخلصوا في إيمانهم ثوابهم المستحق، وكثير من هؤلاء الرهبان خارجون عن اتباع أوامر الله تعالى. والرافة: دفع الشر باللطف واللين، والرحمة: جلب الخير المودة بالحسنى.

٢٨- يا أيها المؤمنون بالله ورسله، اتقوا الله فيما أمركم به ونهاكم عنه، وآمنوا برسوله محمد ﷺ، يعطكم على إيمانكم بالرسول نصيبين من رحمته وفضله، ويجعل لكم نوراً تمشون به على الصراط، ويغفر لكم ذنوبكم، والله غفور للمستغفرين الثابتين، رحيم بهم. نزلت لبيان الأجربين للمؤمنين مثل أجور مؤمني أهل الكتاب، وزادهم النور.

٢٩- ليعلم أهل الكتاب وهم اليهود الذين لم يؤمنوا بالنبي محمد ﷺ أنه لا يحصلون على شيء مما ذكر من فضل الله ورحمته، وأن الفضل بيد الله من نبوة وعلم وتقوى، يؤتيه من يشاء من عباده، والله صاحب الفضل العظيم. قال قتادة: بلغنا أنه لما نزلت ﴿يؤتكم كفلين من رحمته﴾ [٢٨] حسد أهل الكتاب المسلمين عليها، فأنزل الله ﴿لئلا يعلم أهل الكتاب﴾ ولا في ﴿لئلا﴾ زائدة أي لكي يعلم. و﴿ألا يقدر﴾ أن مخففة من الثقيلة، أي أنه لا ينالون شيئاً مما ذكر من فضله.

سورة الحجارة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتُسْتَضَكُّ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ
يَسْمَعُ مَا تَحَاوَرْتُمْ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ ۝ الَّذِينَ يَظْهَرُونَ مِنْكُمْ مَنْ
نَسَاءَهُمْ مَا هُنَّ أَهْلُهُمْ إِنْ أَهْلُهُمْ إِلَّا الَّتِي وَلَدَتْهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ
مَنْكَرًا مِنَ الْقَوْلِ وَرُؤُوسَ اللَّهِ لَمَعُوعُونَ ۝ وَالَّذِينَ يَظْهَرُونَ
مِنْ نَسَائِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبَاسَ ذَلِكَ
فَوْعَطُونَ وَإِنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ۝ فَمَنْ رَجَعِ الصِّيَامَ فِي شَهْرَيْنِ
مُتَابِعِينَ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَبَاسَ فَمَنْ رَجَعِ صِيَامَهُ بِطَعْمِ إِطْعَامِ سِتِّينَ
مِسْكِينًا ذَلِكَ لِمَنْ تَوَضَّعَ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَأَنبَسَ حُدُودَ اللَّهِ
وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ إِنْ الَّذِينَ يُجَادُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
كُنُوا أَكْثَرًا كَمَا كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنْزَلْنَا آيَاتٍ يَبَيِّنُ
وَالْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُهِينٌ ۝ يَوْمَ نَعْتَمِدُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنشِئُهُمْ
بِمَا عَمَلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝

١- قد استجاب الله تضرع أو دعاء المرأة في أن يفرج الله كرتها، وتراجعك أيها النبي الكلام في شأن زوجها الذي ظاهر منها، وهي خولة بنت ثعلبة زوجة أوس بن الصامت، والله يسمع حواركما وتراجعكما الكلام، إن الله يسمع للأقوال، بصير بالأحوال والأعمال. أخرج الحاكم وصححه عن عائشة قالت: تبارك الذي وسع سمعه كل شيء، إني لأسمع كلام خولة بنت ثعلبة، ويخفى علي بعضه، وهي تشتكي زوجها إلى رسول الله ﷺ وتقول: يا رسول الله، أكل شبابي، ونشرت له بطني، حتى إذا كبرت سني وانقطع ولدي، ظاهر مني، اللهم إني أشكو إليك، فما برحت حتى نزل جبريل بهؤلاء الآيات: ﴿قد سمع..﴾ وهو أوس بن الصامت.

٢- الذين يقولون لزوجاتهم بأن يقول الواحد: أنت علي كظهر أمي، فكانت تحرم عليه حرمة مؤبدة، فهو أشد طلاق في عرب الجاهلية، يقول بعضكم أيها العرب، نافرين من نسائهم، وفيه

توبيخ على هذه العادة القبيحة، ما نساؤهم في الحقيقة بأمهاتهم، فذلك كذب منهم، وما أمهاتهم في الواقع إلا اللاتي ولدنهم، وإنهم بهذا القول أي بالظاهر، ليقولون قولاً منكراً في الشرع، وكذباً محضاً، وإن الله لصاحب العفو والمغفرة لمن تاب وأدى الكفارة.

٣- والذين يظهرون من نسائهم، ثم يعدلون عن قصد التحريم بإمسك الزوجة، فعليهم تحرير رقبة، أمة أو عبد، من قبل استمتاع أحدهما بالآخر، فيحرم الوطء قبل الكفارة، ذلكم الحكم المذكور تؤمرون به، والله خير بأعمالكم لا يخفى عليه منها شيء.

٤- فمن لم يجد الرقبة في ملكه أو ثمنها، فعليه صيام شهرين متتابعين من قبل استمتاع أحدهما بالآخر، فمن لم يستطع الصوم لهرم أو مرض مزمن مثلاً، فعليه إطعام ستين مسكيناً، لكل مسكين في رأي الخنفة نصف صاع من بر أو تمر أو أرز ونحو ذلك. وفي رأي الشافعية: مد من غالب قوت البلد (٦٧٥ غم، والصاع ٢٧٥١ غم) ذلك الحكم المخفف بالكفارة لتصدقوا بالله ورسوله في قبول شرائعه، وتلك الأحكام حدود الله، أي أحكامه التي لا يجوز تعديتها، وللكافرين (الجاحدين) بتلك الأحكام عذاب مؤلم يوم القيامة.

٥- إن الذين يعادون الله ورسوله بمخالفة الأوامر، خذلوا وأذلوا، كما أذل الذين من قبلهم من الأقوام الكاذبة السابقة، وقد أنزلنا آيات واضحة، وللكافرين عذاب ذو إهانة وإذلال.

٦- يوم يبعث الله الناس جميعاً من قبورهم، فيخبرهم بما عملوا في الدنيا، أحاط الله بأعمالهم عدداً، وهم نسوه لكثرة ما صدر عنهم، والله مطلع على كل شيء لا يغيب عنه شيء.



أَنْزَلْنَا اللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا يَشْفَعُ لَهُمْ فِي شَيْءٍ، مَا يُوْجَدُ مِنْ تَنَاجِيٍّ وَسَارَةٍ ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ، وَلَا خَمْسَةَ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ، وَلَا أَقْلَ مِنْ ذَلِكَ كَالرَّوَاحِدِ وَالْإِثْنَيْنِ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ، يَعْلَمُ كُلَّ مَا يَقُولُونَ وَمَا يَجْرِي بَيْنَهُمْ، يَعْلَمُ بِهِمْ فِي أَيِّ مَكَانٍ كَانُوا، فَعَلِمَهُ تَعَالَى شَامِلٌ لِكُلِّ شَيْءٍ، لَا يَتَّحِدُ بِمَكَانٍ، ثُمَّ يَخْبِرُهُمْ بِمَا عَمَلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ كَشْفًا وَتَوْبِيخًا لَهُمْ، وَالزَّمَامَ بِالْحُجَّةِ، وَتَقْرِيرًا لِحُزْنِهِمْ، إِنَّ اللَّهَ عَالِمُ كُلِّ شَيْءٍ عَلَى حَدِّ سَوَاءٍ.

٧- ألم تعلم أيها النبي أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض، لا يخفى عليه شيء، ما يوجد من تناجي ومساراة ثلاثة إلا هو رابعهم، ولا خمسة إلا هو سادسهم، ولا أقل من ذلك كالواحد والاثنين ولا أكثر إلا هو معهم، يعلم كل ما يقولون وما يجري بينهم، يعلم بهم في أي مكان كانوا، فعلمه تعالى شامل لكل شيء، لا يتحد بمكان، ثم يخبرهم بما عملوا يوم القيامة كشفاً وتوبيخاً لهم، والزمام بالحجة، وتقريراً لحزائهم، إن الله عالم بكل شيء على حد سواء.

٨- ألم تنظر أيها النبي وتتعجب من حال اليهود والمنافقين الذين نهاهم رسول الله ﷺ عن التحدث سراً فيما بينهم للتأمر على المؤمنين، ثم يعودون لمثل فعلهم من التناجي سراً، ويتناجون بما حرم الله عليهم بما هو معصية وذنب، واعتداء على غيرهم من المؤمنين، ومخالفة الرسول، وإذا جاء اليهود أيها النبي حيوك بغير تحية الله من (السلام عليكم) قائلين: (السلام عليك) أي الموت أو الهلاك، ويقولون استهزاء فيما بينهم: هلا يعذبنا الله بسبب التحية لو كان محمد نبياً؟! كافيهم عذاب جهنم، يدخلونها ويقاسون حرها، فبئس المرجع وهو جهنم مرجعهم.

٩- يا أيها المؤمنون في الظاهر إذا تحدثتم سراً، فلا تسحدثوا بما يوقع في الذنب والمعصية، ولا بما فيه ظلم واعتداء، وعصيان أوامر الرسول، كما يفعل المنافقون، ولكن تناجوا بما يتفق مع الطاعة والخير وترك المعصية، واتقوا الله بامثال أمره واجتناب نهيه، الذي تجمعون إليه يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم. والبر: كل ما فيه خير.

١٠- إنما النجوى بالإثم والعدوان من وسواس الشيطان لا من الرحمن، لإيقاع المؤمنين في الحزن، وليس الشيطان بضار المؤمنين، إلا بمشيئته وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون، ويفوضوا الأمر إليه في جميع شؤونهم. قال قتادة: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

١١- يا أيها المؤمنون إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس لغيركم من القادمين، يوسع الله لكم في رحمته من المكان والصدر والرزق والجنة وغيرها، وإذا قيل لكم: انهضوا للتوسعة على القادمين، فانهضوا دون تباطؤ، ويرفع الله المؤمنين منكم منزلتهم في الدنيا وفي الجنة، ويرفع العلماء منهم خاصة درجات في الكرامة وعلو المنزلة في الدنيا والآخرة، لجمعهم بين العلم والعمل، والله خير بأعمالكم كلها. وهو تهديد لمن لم يمثل الأمر. قال قتادة: كانوا إذا، أو من جاءهم مقبلاً، ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية.

قال مقاتل بن حيان: كان بين النبي ﷺ وبين اليهود مودعة، فكانوا إذا مر بهم رجل من الصحابة، جلسوا يتناجون بينهم، حتى يظن المؤمن أنهم يتناجون بقتله، أو بما يكرهه، فنهاهم النبي ﷺ عن النجوى، فلم ينتهوا، فأنزل الله: ﴿ ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ﴾ الآية. وقالت عائشة: جاء ناس من اليهود إلى النبي ﷺ فقالوا: السام عليك يا أبا القاسم، فقلت: السام عليكم، وفعل الله بكم، ونزلت آية: ﴿ وإذا جاؤوك ﴾.

٩- يا أيها المؤمنون في الظاهر إذا تحدثتم سراً، فلا تسحدثوا بما يوقع في الذنب والمعصية، ولا بما فيه ظلم واعتداء، وعصيان أوامر الرسول، كما يفعل المنافقون، ولكن تناجوا بما يتفق مع الطاعة والخير وترك المعصية، واتقوا الله بامثال أمره واجتناب نهيه، الذي تجمعون إليه يوم القيامة، فيجازيكم بأعمالكم. والبر: كل ما فيه خير.

١٠- إنما النجوى بالإثم والعدوان من وسواس الشيطان لا من الرحمن، لإيقاع المؤمنين في الحزن، وليس الشيطان بضار المؤمنين، إلا بمشيئته وإرادته، وعلى الله فليعتمد المؤمنون، ويفوضوا الأمر إليه في جميع شؤونهم. قال قتادة: كان المنافقون يتناجون بينهم، وكان ذلك يغيظ المؤمنين، ويكبر عليهم، فأنزل الله هذه الآية.

١١- يا أيها المؤمنون إذا قيل لكم: توسعوا في المجالس لغيركم من القادمين، يوسع الله لكم في رحمته من المكان والصدر والرزق والجنة وغيرها، وإذا قيل لكم: انهضوا للتوسعة على القادمين، فانهضوا دون تباطؤ، ويرفع الله المؤمنين منكم منزلتهم في الدنيا وفي الجنة، ويرفع العلماء منهم خاصة درجات في الكرامة وعلو المنزلة في الدنيا والآخرة، لجمعهم بين العلم والعمل، والله خير بأعمالكم كلها. وهو تهديد لمن لم يمثل الأمر. قال قتادة: كانوا إذا، أو من جاءهم مقبلاً، ضنوا بمجلسهم عند رسول الله ﷺ، فنزلت هذه الآية.



يَأْتِيهَا الَّذِينَ اسْمُوا إِذَا تَوَسَّيْتُ الرَّسُولَ فَنُصِّرُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ
 صَدَقَةٌ ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْرُقُ فَإِنْ تَرْتَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ
 ١١. وَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَاتٍ فَإِنْ تَرْتَعَلُوا
 وَتَابَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَاقْبَلُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ
 وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ١٢. أَلرَّسُولُ إِلَى الَّذِينَ
 تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى
 الْكُذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ١٣. أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا إِنَّهُمْ سَاءَ
 مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ١٤. اتَّخَذُوا إِلَهُهُمْ حُجَّةً مَصْدُوقَةً سَبِيلَ اللَّهِ
 فَأَمَّهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ١٥. لَنْ نُبْعَثَ عَنْهُمْ مُوَلَّهُمْ وَلَا أَوْلَادَهُمْ مِنَ اللَّهِ
 شَيْئًا أُولَئِكَ صَحَبَ النَّارَ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ١٦. يَوْمَ يَسْمَعُهُمُ اللَّهُ
 جَمِيعًا يَحْلِفُونَ لَهُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ لَكُمْ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ أَلَا إِنَّهُمْ
 هُمُ الْكَافِرُونَ ١٧. اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ
 اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ
 ١٨. إِنَّ الَّذِينَ يَتَّخِذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أَوْلِيَاءَ فِي الْآذِلِينَ ١٩.
 كَتَبَ اللَّهُ لَأَعْلَيْنَ أَنَا وَرَسُولِي إِنَّ اللَّهَ لَمَعْلُومٌ فِي غَيْبِ رَبِّهِ ٢٠.

الله هذه الآية.

١٢- يا أيها المؤمنون إذا أردتم مناجاة الرسول سرّاً
 والتحدث معه في أمر ما، فقدموا قبل المناجاة صدقة
 للفقراء، تعظيماً للرسول ﷺ، ذلك التصديق خير لكم عند
 الله تعالى، وأطهر للنفوس، فإن لم تجدوا صدقة، فلا بأس
 عليكم، والله غفور لمناجاتكم، رحيم بكم.

١٣- أخفتم الفقر في تقديم الصدقات للمحتاجين قبل
 مناجاة الرسول ﷺ؟ فحين لم تفعلوا الصدقة لمشفقة عليكم،
 وتاب الله عليكم بترخيص الترك ورفع هذه المشقة، فأدوا
 الصلاة المفروضة بأوقاتها، والزكاة المفروضة بمواعيدها،
 وداوموا على ذلك، وأطيعوا الله ورسوله في سائر الأوامر،
 والله خبير بما تعملون ظاهراً وباطناً، فمجازيكم بأعمالكم.
 قال ابن عباس: إن المسلمين أكثروا المسائل على رسول الله
 ﷺ حتى شقوا عليه، فأراد الله أن يخفف عن نبيه، فأنزل
 ﴿ إذا ناجيتم الرسول... ﴾ فلما نزلت، صبر كثير من
 الناس، وكفوا عن المسألة، فأنزل الله بعد ذلك:
 ﴿ أشفقتم... ﴾.

١٤- ألم تنظر أيها النبي وتتعجب من المنافقين الذين والوا
 وادّوا قوما هم اليهود، سخط الله عليهم، ما هم منكم أيها
 المؤمنون ولا من اليهود بل هم مذنبون بين الفريقين،
 ويحلفون على الكذب وهو ادعاء الإسلام وكونهم من
 المؤمنين، وهم يعلمون أنهم كاذبون في الحلوف عليه. قال
 مقاتل والسدي: بلغنا أن هذه الآية نزلت في عبد الله بن
 نبتل المنافق، كان يجالس النبي ﷺ، ثم يرفع حديثه إلى
 اليهود، فعاتبه الرسول، فحلف بالله ما فعل ذلك، فأنزل

١٥- أعد الله لهؤلاء المنافقين عذاباً شديداً في الآخرة بسبب أفعالهم المذكورة في الآية السابقة، إنهم قبح ما كانوا يعملون من
 المعاصي، وموالات الأعداء.

١٦- اتخذ المنافقون إيمانهم التي يحلفون بها أنهم مسلمون وقاية وسترأ على أنفسهم من المواخذه، فصدّوا (منعوا) الناس عن
 الإسلام بالتحريش والتشيط، فلمهم عذاب يهينهم ويذلهم. وهو وعيد ثان وتهديد بالعذاب.

١٧- لن نقيدهم أموالهم وأولادهم في درة العذاب عنهم، أولئك الموصوفون بهذه الصفات أهل النار، هم ما تكون فيها على
 الدوام، لا يموتون ولا يخرجون منها.

١٨- اذكر لهم يوم يعيشتهم الله جميعاً من قبورهم للحساب والجزاء، فيحلفون لله كذباً، كما يحلفون لكم في الدنيا أنهم
 مؤمنون، ويظنون بأيانهم الكاذبة أنهم على شيء من نفع حلفهم في الآخرة كالدنيا، ألا إنهم هم الكاذبون في إيمانهم وأقوالهم.
 قال ابن عباس: نزلت في شأن ابن نبتل المذكور الذي دعا أصحابه الذين سمعوا شتمه لرسول الله ﷺ، فحلفوا له ما قالوا وما
 فعلوا، فأنزل الله هذه الآية.

١٩- استولى عليهم الشيطان بوسوسته وإغرائه، فأنساهم تذكر الله والعمل بطاعته، أولئك أتباع الشيطان، إلا إن أتباعه وأعوانه
 هم الخاسرون خسارة كبرى لتركهم الطاعة والإيمان.

٢٠- إن الذين يعادون الله ورسوله يترك أوامره، أولئك في عداد المغلوبين الأذلاء.

٢١- قضى الله وحكم في علمه السابق واللوح المحفوظ: لأعْلين بالحجة والقوة وأنا ورسلي كل من عاداني، إن الله قوي على
 نصر عباده المؤمنين، غالب قاهر أعداء الجاحدين. نزلت حينما ترجى المسلمون فتح بلاد فارس والروم، فقال عبد الله بن
 أبي: أتظنون الروم وفارس كبعض القرى التي غلبتم عليها، والله إنهم لأكثر عدداً وأشدّ بطشاً من أن تظنوا فيهم ذلك،
 فنزلت.

لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُولَئِكَ
كُتِبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانُ وَأُيِدُوا بِرُوحِ اللَّهِ فِي قُلُوبِهِمْ لِيُحِبُّوا
مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ سَيَرْحَمُهُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَنِ
مَنْ يَشَاءُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴿١١٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَخَّ اللَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١١٣﴾ هُوَ
الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأُولَى
الْأَشْهُرِ مَا ظَنَنْتُمْ أَنْ يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُمْ مَانِعَتُهُمْ حُصُونُهُمْ
مِنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ حَبَسُوا وَقَدَّافٍ فِي قُلُوبِهِمْ
أَلَّعَتِ رَعْبًا يَخْرِبُونَ بُيُوتَهُمْ بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِي الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا
يَا أُولِي الْأَبْصَارِ ﴿١١٤﴾ وَلَوْلَا أَنْ كَتَبَ اللَّهُ عَلَيْهِمُ الْجَلَآةَ
لَعَذَّبَهُمْ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابُ النَّارِ ﴿١١٥﴾

٢٢- لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر يحبون ويوالون من عادى الله ورسوله وخالف أحكامه، أي لا ينبغي لهم ذلك، ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو أقرباءهم، أي ولو كان المحادون لله ورسوله آباء المودين. الخ فالإيمان يمنع ذلك، أولئك المؤمنون الذين لا يوادون المحادين، أثبت الله الإيمان في قلوبهم، وقواهم بنور يقذفه في قلوبهم، ويدخلهم جنات تجري من تحت بساطينها الأنهار، ماكتن فيها إلى الأبد، رضي الله عنهم بطاعته، وقبل منهم، ورضوا عنه بشوابه الذي وعدمه به، أولئك جند الله وأنصار دينه، ألا إن هؤلاء الأنصار هم الفائزون بخيري الدارين. قال عبد الله بن شوذب: نزلت هذه الآية في أبي عبيدة بن الجراح حين قتل أباه يوم بدر: ﴿لا تجد قوماً...﴾

سورة الحشر

فضلها: أخرج أحمد والترمذي عن معقل ابن يسار قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يصبح ثلاث مرات: أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، وقرأ ثلاث آيات من آخر سورة الحشر، وكَلَّ اللهُ بِهِ

سبعين ألف ملك يصلون عليه حتى يُمسي، وإن مات في يومه، مات شهيداً، ومن قرأها حين يُمسي فكذلك» قال الترمذي: حديث حسن غريب.

١- نزه الله تعالى عن كل ما لا يليق به - ولا م ﴿الله﴾ مزيدة - كل ما في السموات والأرض، وهو القوي الغالب في ملكه، الحكيم في صنعه وتديبه. أخرج البخاري عن ابن عباس قال: سورة الأنفال نزلت في بدر، وسورة الحشر نزلت في بني النضير.

٢- الله سبحانه هو الذي أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب وهم يهود بني النضير الذين كانوا مع طوائف اليهود الثلاثة يقيمون في المدينة، من مساكنهم حول المدينة في الحشر أو الجمع الأول للإخراج من المدينة إلى خيبر، وآخر الحشر: إخراج اليهود من خيبر وإجلائهم في زمن عمر رضي الله عنه من جزيرة العرب إلى الشام؛ لأنهم غدروا بالنبي ﷺ بعد أن عاهدوه، وتآمروا عليه مع المشركين، فحاصروهم رسول الله ﷺ حتى رضوا بالجللاء، ما ظننتم أيها المؤمنون أن يخرجوا من ديارهم، لشدة بأسهم ومنعتهم، واعتقدوا أن حصونهم تمنعهم من بأس الله وعذابه - والحصون: القلاع المشيدة - فجاءهم عذاب الله وأمره بالجللاء، من حيث لم يخطر لهم ببال، لثقتهم بأنفسهم، وألقى بقوة في قلوبهم الخوف، وملاها رعباً، يخربون بيوتهم من الداخل بأيديهم لثلا يسكنها المسلمون، وبأيدي المؤمنين من الخارج لتصفية آثارهم، فاتعظوا أيها المؤمنون بحالهم يا أولي العقول البصيرة. والحشر: إخراج جمع من مكان إلى آخر، وأضيف (أول) إليه كإضافة (جميل) للصبر، أي الصبر الجميل، والحشر الأول. والبصيرة: نور القلب.

٣- ولولا أن قضى الله على يهود بني النضير بالجللاء: الطرد من الديار، لعذبهم في الدنيا بالقتل والسبي، كما فعل ببني قريظة، ولهم في الآخرة عذاب جهنم.

٤ - ذلك الإجماع بسبب معاداتهم الله ورسوله بمخالفة الأوامر، ومحاولة قتل النبي ﷺ ومن كان يعادي الله ويعصيه، فإن الله شديد العقاب لمن عاداه.

٥ - ما قطعتم أيها المؤمنون في المعارك لضرورات حربية من شجر نخيل، أو تركتموها قائمة على جذوعها، فبإرادة الله ومشيتته، وليذل الخارجين عن طاعته، المنحرفين عن شريعته. أخرج الشيخان عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حرق بني النضير - أي أشجارهم - وقطع ودي - صغار النخل - البويرة، فأنزل الله: ﴿ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ .. ﴾.

٦ - ما جعله الله فينا للرسول ﷺ كأموال النضير - والقيء: ما أخذ من أموال الكفار الأعداء من غير قتال - فما أسرعتم فيه لقتال عدوكم بركوب خيل ولا ركائب إيل، ولم تتعرضوا فيه للمشاق والشدائد، ولكن الله يسלט رسله على من يشاء من عباده، بإلقاء الرعب والاستسلام بلا قتال، والله تام القدرة على كل شيء.

٧ - ما أعاد ورد - أي صير - الله على رسوله من غنائم أهل البلاد الكافرة، فله الأمر فيه كما يشاء، ورسوله يتفق منه على أهله ونفسه، ولأقربائه من بني هاشم وبني المطلب الذين لا تحل لهم الصدقة، حفظاً لرفعتهم ورقبيتهم، ولليتامى الذين فقدوا آباءهم، ولذوي الحاجة من الفقراء والمساكين، ولابن السبيل: المنقطع أثناء سفره عن الوصول لبلده، لئلا يكون مال الفيء متداولاً بين الأغنياء فقط، وما أعطاكم الرسول فخذوه، وما منعكم عنه فاتتهوا عنه، واتقوا الله بالتمسك بأوامره واجتناب نواهيه، إن الله شديد العقاب لمن عصاه وخالفه.

٨ - يعطى الفيء لذوي الحاجة المهاجرين الذين طردوا من ديارهم في مكة، وأخرجوا من أموالهم يطلبون أن يوسع الله عليهم من فضله وإحسانه، ويلتمسون رضا الله عنهم، ويناصرون دين الله ورسوله بالجهاد بالنفس والمال، أولئك هم الصادقون في إيمانهم وجهادهم.

٩ - ويعطى من الفيء الذين سكنوا المدينة وهم الأنصار، ولزموا الإيمان ورضوه وأخلصوا العمل لله، من قبل هجرة المهاجرين، يحبون المؤمنين الذين هاجروا إليهم، ولا يجدون في صدورهم مرضاً نفسياً كالحسد والغيظ، فلا يحسدون المهاجرين على ما خصوا به من أموال الفيء، ويُقدِّمون ويفضلون إخوانهم المؤمنين على أنفسهم، ولو كان بهم فقر وحاجة، ومن كان يمنع ويحرم من بخل نفسه، وهو حب المال وبغض الإنفاق، فأولئك هم الفاترون بالثواب العاجل والآجل وبالسعادة الحقيقية. أخرج ابن المنذر عن زيد الأصم: أن الأنصار قالوا: يا رسول الله، أقم بيننا وبين إخواننا المهاجرين الأرض نصفين، قال: لا، ولكن تكفونهم المؤنة، وتقاسمونهم الثمرة، والأرض أرضكم، قالوا: رضينا، فأنزل الله: ﴿ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ .. ﴾.

ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِ اللَّهَ فَكَانَ اللَّهُ شَدِيدَ الْعِقَابِ ﴿٤﴾ مَا قَطَعْتُمْ مِنْ لِينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَى أَصُولِهَا فَإِذْ نِ اللَّهُ وَلِيحْرَمِي الْمُنَافِقِينَ ﴿٥﴾ وَمَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْهُمْ فَمَا أُوتِجَشْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَا كُنَّ اللَّهُ يَسْلُطُ رُسُلَهُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ مَا آفَاءَ اللَّهِ عَلَى رَسُولِهِ مِنْ أَهْلِ الْقُرَى فَلِلَّهِ وَالرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسْكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ كَيْ لَا يَكُونَ دُولَةَ بَيْنِ الْأَغْنِيَاءِ مِنْكُمْ وَمَا أَتَاكُمْ مِنَ الرَّسُولِ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٧﴾ لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ﴿٨﴾ وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْتُونَ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾

وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا
الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ
آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَؤُوفٌ رَحِيمٌ ﴿١٠﴾ أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ
نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ
لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نَطِيعُكُمْ أَحَدًا أَبَدًا
وَإِنْ قُوتِينَا لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ
﴿١١﴾ لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ
وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُولَيَنَّ الْأَدْبَارَ لَنَنْصُرَنَّهُمْ ﴿١٢﴾ لَأَنتُمْ
أَشَدُّ رَهَبَةً فِي صُدُورِهِمْ مِنَ اللَّهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ
لَا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ لَا يَتَّبِعُونَكُمْ كَمَا جِئْتُمُ بِالْآيِ فَرَى الْمُحْسِنَةُ
أَوْ مِنْ وِزَاءِ حُدُودِ بَأْسِهِمْ بِئِنَّهُمْ لَشَدِيدٌ تَحِبُّهُمْ جَمِيعًا
وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ كَشَلِّ
الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذُقُوا إِلَىٰ آثَرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ
أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ كَشَلِّ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ
قَالَ إِنِّي كَسِرْتِي إِنَّكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾

١٠ - ويعطى من الفيء الذين جاؤوا من بعد المهاجرين إلى المدينة والأنصار، وهم التابعون لهم بإحسان إلى يوم القيامة، يقولون: ربنا اغفر لنا وإخواننا السابقين بالإيمان، ولا تجعل في قلوبنا حقدًا وحسدًا لجميع المؤمنين، ربنا إنك الرؤوف بخلقك، تزيل أسباب البلاء والشقاء، واسع الرحمة بهم تجزول الإحسان والعطاء لهم.

١١ - ألم تنظر أيها النبي إلى المنافقين الذين أظهروا الإسلام وأبطنوا الكفر، كعبد الله بن أبي وصحبه يقولون لإخوانهم الكفرة من اليهود كبنى النضير وغيرهم: والله لئن أخرجتم من دياركم لنخرجن معكم، ولا نطيع أبدأ أحدًا من المسلمين في قتالكم وخذلانكم، وإن قاتلكم المسلمون لنعاوننكم على عدوكم، والله يشهد إنهم لكاذبون فيما يقولون، لعلمه بأنهم لا يفعلون ذلك. قال السُّدي: أسلم ناس من أهل قريظة، وكان فيهم منافقون، وكانوا يقولون لأهل النضير: ﴿لئن أخرجتم...﴾ فنزلت هذه الآية: ﴿ألم تر...﴾.

١٢ - والله لئن أخرجوا من الديار لا يخرجون

معهم، وإن قوتلوا لا يساعدونهم ولا يؤازرونهم، وإن جاؤوا لنصرتهم على سبيل الفرض مضطرين، ليفرن هارين منهزمين، ثم لا يجدون نصرًا من الله بعدئذ، بل نخذلهم، ولا ينفعهم نصره المنافقين.

١٣ - لأنتم أيها المؤمنون أشد خوفًا ومرهوبة في صدور المنافقين واليهود من الخوف من الله، ذلك بسبب أنهم قوم لا يعلمون عظمة الله حتى يخشوه.

١٤ - لا يقاتلونكم أي اليهود مجتمعين إلا ضمن قرى محصنة بالحصون والخنادق أو من خلف الحيطان، لفرط رهبتهم، عداوة بعض اليهود والمنافقين لبعض شديدة؛ لأن اليهود لهم دين، والمنافقون مشركون، تظنهم مجتمعين متفقين، وقلوبهم متفرقة لافتراق عقائدهم، وتغاير مقاصدهم، بسبب أنهم لا يدركون الحق وما فيه صلاحهم.

١٥ - مثل اليهود والمنافقين كمن تقدمهم من المشركين الذين قتلوا وعذبوا في زمان قريب في معركة بدر قبل إجلائهم بستة أشهر، ذاقوا سوء عاقبة كفرهم في الدنيا من القتل وغيره، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة. والوبال: الثقل والشدة، ومنه مطر وبيبل، أي ثقيل القطر، والمراد هنا: أنه مؤذٍ.

١٦ - مثل المنافقين في إغراء اليهود على القتال كمثل الشيطان حين أغرى الإنسان فقال له: اكفر، وزينه له، فلما كفر بربه، قال الشيطان: إني بريء منك، إني أخشى الله رب العالمين.



١٧- فكان عاقبة الشيطان الغاوي والإنسان المغوي أنهما في النار، حال كونهما ماكثين أبداً فيها، وذلك الخلود في النار جزاء الكافرين الذين ظلموا أنفسهم.

١٨- يا أيها المؤمنون اتقوا الله بفعل أوامره وترك نواهيه، ولتنظر كل نفس أي عمل صالح قدمت له يوم القيامة، واتقوا الله: للتأكيد، إن الله خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء، وهو مجازيكم عليها.

١٩- ولا تكونوا معشر المؤمنين كالذين تركوا أوامر الله وحقوقه، فلم يطيعوه وشغلتهم الدنيا، فعاقبهم الله بأن أنساهم حق أنفسهم، فلم يقدموا لها خيراً ينفعها في الآخرة، أولئك هم الخارجون تماماً عن طاعة الله تعالى.

٢٠- لا يتساوى عند الله يوم القيامة أهل النار الذين قصروا في العمل وأهل الجنة الذين أدوا ما يجب عليهم، أهل الجنة هم الفائزون بالنعيم المقيم وراضوان الله، الناجون من عذابه.

٢١- لو أنزلنا هذا القرآن على جبل، وجعلناه

يدرك ما فيه من عظمة ووعظ وشان، لرأيتُه خاضعاً متشققاً من خوف الله، تعظيماً وخوفاً من عقابه، وتلك الأمثال المذكورة في القرآن نضربها للناس ليتفكروا ويتعظوا ويتوبوا. والمراد بالكلام: التمثيل لقساوة قلب الإنسان، وترك الخشوع عند سماع القرآن الكريم.

٢٢- هو الله الذي لا إله يستحق العبادة سواه، ولا رب بحق غيره، العالم بكل ما غاب عن الحس والمشاهدة، وبالماديات والمريثات المحسوسة، أي يستوي في علمه ما غاب وما حضر، الواسع الرحمة بجميع العباد، والدائم الرحمة.

٢٣- هو الله الذي لا إله معبود بحق غيره، المالك كل شيء والمتصرف فيه، المنزه عن كل نقص، الطاهر من كل عيب، السالم من كل نقص وعيب، المسلم من جميع المخاطر، مانح الأمان لعباده من الظلم أو المصدق رسله فيما بلغوه عنه، صاحب السلطان الرقيب على عباده، القوي الغالب، صاحب العظمة أو الجبروت، الذي يخضع له كل شيء، البليغ الكبرياء والاستعلاء المترفع عن كل نقص، تنزه الله عما يصفه به المشركون من الصاحبة والولد والشريك.

٢٤- هو الله المقدر للأشياء على مقتضى حكمته وإرادته، وهذا هو المراد هنا، ويطلق الخالق أيضاً على المنشى الموجد للشيء من العدم، الباري، أي المنشى من العدم وهو معنى الخالق بالمعنى الثاني، الموجد للأشياء بالصورة التي قدرها له، له الأسماء الدالة على معانٍ في منتهى الحسن، ينزه الله جميع المخلوقات في السموات والأرض، وهو القوي الغالب الذي لا يُغلب، الذي يقضي بالحكمة في جميع أموره.

فَكَانَ عَاقِبَتُهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدِينَ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ ﴿١٧﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلَنْظُرْ نَفْسًا مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الفٰلسِفُونَ ﴿١٩﴾ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الفٰسِقُونَ ﴿٢٠﴾ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ السَّلْوةُ وَهُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْمَلِكُ الْقَدِيمُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيَّبُ الْمُعْزِزُ الْجَبَّارُ الْمُنْكَرُ سُجْنُ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾



سورة الممتحنة

١- يا أيها المؤمنون لا تتخذوا عدوي وعدوكم : وهو الكافر أو المشرك الذي لم يؤمن بما أنزل الله في كتبه أصدقاء وأنصاراً - والعدو يطلق على الواحد والجمع - توادونهم بإطلاعهم على أخبار النبي والمؤمنين ، أي تلقون إليهم بأسرار المؤمنين بسبب المودة بينكم وبينهم ، وهم قد كفروا بما جاءكم من الحق ، أي دين الإسلام والقرآن ، يخرجون الرسول وإياكم من مكة ، لأجل إيمانكم بالله ورسوله ، فلا تتخذوا عدوي أنصاراً إن كنتم خرجتم من دياركم للجهاد في سبيلي ، ومن أجل طلب رضائي ، تلبغونهم بالأخبار سرأسبب المودة ، وأنا أعلم من كل أحد بما أضمرتم وما أظهرتم ، وهذا تخويف بأنه تعالى يعلم كل شيء ، ومن يتخذهم أولياء أو أنصاراً ، فقد أخطأ طريق الحق الذي هو الطريق المستوي . نزلت في حاطب بن أبي بلتعة حين كتب إلى مشركي قريش يخبرهم بمسير النبي ﷺ إليهم في غزوة الفتح سنة ثمان هجرية .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ تُلْقُونَ
إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَقَدْ كَفَرُوا بِمَا جَاءَكُمْ مِنَ الْحَقِّ يُخْرِجُونَ الرَّسُولَ
وَإِيَّاكُمْ أَنْ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ رَبِّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ حَرَجْتُمْ جِهَادًا فِي سَبِيلِي
وَأَيْتَاءَ مَرْضِيَائِي فَسُرُونِ إِلَيْهِم بِالْمُودَةِ وَأَنَا أَعْلَمُ بِمَا أَخْفَيْتُمْ
وَمَا أَعْلَمْتُمْ وَمَنْ يَفْعَلْهُ مِنْكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَاءَ السَّبِيلِ ۝ إِنْ
يَقْفُوكُمْ يَكْفُوكُمْ أَعدَاءُ وَيَسْطُورُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَسْنَانُهُمْ
بِالسُّوءِ وَيُؤَدُّوهُمُ إِلَى كَهْرَبُونِ ۝ لَنْ نَنْفَعَكُمْ أَرْحَامَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْضَلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ قَدْ
كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا
لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآئَةٌ مِنْكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ كُفْرًا كَرِيمًا وَبَدَأَ
بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ الْبَدِيحَةَ تَتَّبِعُوا اللَّهَ وَجِدْهُ يَأْتِيكُم
قَوْلُ إِبْرَاهِيمَ لِأبيه لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَا أَمَّاكَ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ۝
رَبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنبَأْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ۝ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا
فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاعْفُ رُبَّنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ أَعْرَبُ الرَّحِيمِ ۝

٢- إن يظفروا بكم وهم المشركون ، يظهروا لكم العداوة المتمكنة في قلوبهم ، ويمدوا إليكم أيديهم بالقتل والأسر ، وأستهتهم بالسب والشتم ، وتمنوا كفركم ورجوعكم عن دينكم .

٣- لن تنفعكم أيها المؤمنون قراباتكم ولا أولادكم الذين توالون المشركين لأجلهم ، في يوم القيامة ، يُفَرِّقُ اللهُ بينكم وبينهم ، فيدخل الطائعين الجنة والعصاة النار ، والله مطلع على أعمالكم يرى كل شيء ، ولا يخفى عليه شيء .

٤- قد كانت لكم قدوة حميدة في إبراهيم الخليل قولاً وفعلاً ، وفي الذين آمنوا معه من المؤمنين ، حين قالوا لقومهم المشركين : إنا بريئون منكم ، ومن آلهتكم المعبودة من غير الله وهي الأصنام ، كفرنا بما أمّتم به من الأوثان ، وظهر بيننا وبينكم العداوة والبغض والكرهية إلى أن تركوا ما أنتم عليه من الشرك ، لكن استثناء من القدوة الحسنة قول إبراهيم لأبيه أزر : لأستغفرن لك الله ، فلا تتأسوا به ، فتستغفروا للمشركين ، ولست أملك لك من الله شيئاً ، ولا أدفع عنك عذاباً ، ربنا فوضنا أمرنا إليك ، ورجعنا وتبنا ، وإليك المرجع والمآب .

٥- ربنا لا تجعلنا مفتونين في ديننا بأن تسلط الأعداء الكفار علينا ، فيعذبونا بعذاب لا نتحملة ، واغفر لنا خطايانا وذنوبنا ، إنك أنت القوي الغالب الذي لا يقهر ، الحكيم في تدبيرك وصنعك ، حكمة بالغة .



٦- لقد كان لكم أيها المؤمنون في إبراهيم والذين آمنوا معه قدوة حسنة لمن كان منكم يرجو أو يطمع في ثواب الله وفي فضل الآخرة والنجاة من العذاب، ومن يعرض عن ذلك، فإن الله هو الغني عن خلقه، المستحق الحمد في جميع أفعاله.

٧- لعل الله يجعل بينكم أيها المؤمنون وبين أعدائكم المشركين محبة ومودة، بأن يُسلموا، فيصبحوا إخواناً لكم في الإيمان، والله قادر على تأليف القلوب والهداية إلى الإيمان، والله واسع المغفرة لمن تاب، رحيم بمن أناب من المؤمنين. لما نزلت الآية المتقدمة عادى المؤمنون أقرباءهم المشركين في الله، فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿عسى الله...﴾ ثم فعل ذلك بأن أسلم كثير منهم، وصاروا لهم أولياء وإخواناً، وخالطوهم.

٨- لا ينهاكم الله عن برِّ وإكرام الذين لم يقاتلوكم من أجل دينكم ولم يظردوكم من دياركم، كصلة الرحم، ومودة الجار، والضيافة، ولا ينهاكم أن تعاملوهم بالعدل، إن الله يحب العادلين المنصفين. والمراد لا ينهى الله عن موادة المعاهدين وعن معاملتهم بالعدل.

٩- إنما ينهاكم الله معشر المؤمنين عن برِّ المقاتلين لكم في الدين والذين أبعدوكم عن دياركم، وهم زعماء

الكفر من قريش، وعاونوا الذين قاتلوكم على إخراجكم من دياركم، وهم سائر المكين ومعاهدتهم، ينهاكم عن اتخاذهم أنصاراً وحلفاء، ومن يتخذهم أنصاراً، فأولئك هم الظالمون لأنفسهم، لعداوتهم الله ورسوله وقرآنه.

١٠- يا أيها المؤمنون إذا جاءكم اللواتي آمن حديثاً مهاجرات من مكة إلى المدينة بعد صلح الحديبية الذي يتضمن شرط رد الرجال المسلمين لا النساء، فاختيروهن، للتأكد من صدق رغبتهن في الإسلام، الله أعلم بإيمان هؤلاء النساء المهاجرات، فإن علمتموهن بعد الامتحان مؤمنات، فلا تردوهن إلى أزواجهن الكفار، لأنه لا تحل المؤمنات للكفار، ولا يحل للكفار التزوج من المسلمات، وأعطوا أزواج هؤلاء المهاجرات ما أنفقوا عليهن من المهور، ولا إثم عليكم أن تزوجوهن بعد إسلامهن إذا دفعتم إليهن مهورهن، ولا تتسكوا بعقود الزواج من المشركات، لاختلاف الدين، واطلبوا ما أنفقتم من مهور أزواجكم اللاتي ارتددن ولحقن بالكفار، وليطلب الأزواج الكفار ما أنفقوا من مهور نسائهم المهاجرات إليكم، ذلك إرجاع المهر من الجانيين هو حكم الله مع المشركين بعد صلح الحديبية، بخلاف من لا عهد لهم، يحكم الله بينكم بالعدل، والله واسع العلم بأمر عباده، لا يشرع لهم إلا ما فيه الحكمة قولاً وفعلًا. أخرج البخاري ومسلم عن المسور ومروان بن الحكم أن رسول الله ﷺ لما عاهد كفار قريش يوم الحديبية، جاءه نساء من المؤمنات، فأنزل الله هذه الآية.

١١- وإن انفلتت منكم امرأة ولحقت بالكفار مرتدة، فكانت لكم مغنم القتال بعد الحرب، فأعطوا الذين ذهبوا أزواجهم من الغنيمة مهور أزواجهم، بدل الفاتت عليهم من جهة الكفار حيث لم يردوا المهور، وخافوا الله الذي أمتم به، فلا تخالفوا أوامره. قال الحسن: نزلت في أم الحكم بنت أبي سفيان ارتدت، فتزوجها رجل ثقيفي، ولم تردت امرأة من قريش غيرها. وعاقبتهم: أصبتم الكفار بعقوبة، أي هزيمة في حرب وغنيمة.

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ
وَمَن تَوَلَّىٰ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ ﴿١٠﴾ عَسَىٰ اللَّهُ أَن يَجْعَلَ
بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١١﴾
لَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم
مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿١٢﴾
إِنَّمَا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُم فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن
دِيَارِكُمْ وَظَهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَوَلَّيْنَاكَ
هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ
مُهَاجِرَاتٌ فَامْتَحِنُوهُنَّ اللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِهِنَّ فَإِن عَلِمْتُمُوهُنَّ مُؤْمِنَاتٍ
فَلَا تَرْجِعُوهُنَّ إِلَى الْكُفَّارِ لَأَهُنَّ عَلَيكُمْ وَإِلَّهَا يُتَوَكَّلُونَ وَمَا تَلُوهُنَّ
مَّا أَنفَقُوا وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ أَن تَنْكِحُوهُنَّ إِذَا آتَيْنَهُنَّ أَجْرَهُنَّ
وَلَا تَعْسَاوُا فِيهِم بِالْكَافِرِ وَسْئَلُوا مَّا أَنفَقْتُمْ وَلَيْسَ لَكُم مَّا أَنفَقُوا
ذَلِكُمْ حُكْمُ اللَّهِ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿١٤﴾ وَإِن فَاتَكُمْ
سُنَّةٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُم إِلَى الْكُفَّارِ فَمَا يَقْتُمُوا فَاتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ
أَزْوَاجُهُمْ مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١٥﴾

يَأْتِيهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعُنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ
بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ
بِهِنَّ بِفَرْسِيٍّ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَنْجُلِهِنَّ وَلَا يُعْصِبَنَّ فِي
مَعْرُوفٍ قَبَائِعَهُنَّ وَأَسْتَغْفِرُ لهنَّ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَفُورٌ رَحِيمٌ
﴿١١﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ فَد
يَسُوا مِنَ الْآخِرَةِ كَمَا يَبِغِ الْكُفَّارُ مِنَ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴿١٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾
يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَتَوَلَّوْا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ
اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَعْمَلُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُبْتَغُونَ
فِي سَبِيلِهِ صَفًا كَأَنَّهُمْ بِنَسْلِ مُرْصُوصٍ ﴿٤﴾ وَإِذْ قَالَ مُوسَى
لِقَوْمِهِ يَتَوَلَّوْا لِقَوْمِي وَقَدْ تَعَلَّمُوا إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَسَا
زَاعُوا أَرَأَيْتُمْ لِقَوْمِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ ﴿٥﴾

١٢ - يا أيها النبي إذا جاءك النساء المؤمنات بقصد البيعة أو المعاهدة على الإسلام، على ترك الشرك بالله، والسرقه، والزنى، وقتل أولادهن خوف الفقر أو العار، والإتيان بشيء كذب بأن يلحقن بأزواجهن أولاداً لقطاه ليسوا منهم. والمعروف: هو كل أمر وافق طاعة الله أو أمر عرف حسنه شرعاً وعقلاً، تنكر النواح وعزيق الثياب وجز الشعر وشق الجيب وغير ذلك من تقاليد الجاهلية، فبايعهن على الإسلام والطاعة، واطلب المغفرة لهن على سالف ذنوبهن، إن الله واسع المغفرة والرحمة. نزلت يوم الفتح، فإنه ﷺ لما فرغ من بيعة الرجال، أخذ في بيعة النساء.

١٣ - يا أيها المؤمنون بالله ورسوله لا تتخذوا أنصاراً قوماً سخط الله عليهم، قد يسوا من نعيم الآخرة وخيرها لكفرهم بها، كما يش الكفار من بعث موتاهم من القبور، أي رجوعهم أحياء إلى الدنيا. والكفار هم المغضوب عليهم، ولما عبر عنهم بالوصف بدل الضمير لبيان سبب الغضب. قال ابن عباس: كان عبد الله بن عمر وزيد بن الحارث يوادان رجلاً من يهود، فأنزل الله هذه الآية: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا...﴾

سورة الصف

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن عبد الله بن سلام قال: تذاكرنا أيكم يأتي رسول الله ﷺ، فيسأله: أي الأعمال أحب إلى الله؟ فلم يبق أحد منا، فأرسل رسول الله ﷺ إلينا رجلاً رجلاً، فقرأ علينا هذه السورة، يعني سورة الصف كلها.

١ - نزه الله عما لا يليق به جميع ما في السموات وما في الأرض من المخلوقات، مما يدل على مشروعية التسبيح في كل وقت، وهو القوي الذي لا يغلب، الحكيم في أقواله وأفعاله.

٢ - يا أيها المؤمنون لماذا تقولون: قد فعلنا شيئاً، مع أنكم لم تفعلوا. والمقصود التائب على الكذب في طلب الجهاد وغيره، أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان ناس من المؤمنين قبل أن يفرض الجهاد يقولون: وددنا لو أن الله دلنا على أحب الأعمال إليه، فنعمل به، فأخبر الله نبيه أن أحب الأعمال إليه إيمان بالله لا شك فيه، وجهاد لأهل معصيته الذين جحدوا الإيمان به، وإقرار برسالة نبيه ﷺ، فلما نزل الجهاد، كره ذلك ناس من المؤمنين، وشق عليهم أمره، فأنزل الله هذه الآية.

٣ - ثم ذم الله هؤلاء المتقولين بأن الله يمقت. والمقت أشد البغض. ذلك مقتاً عظيماً. و ﴿كبر﴾ عظم وبشع، و ﴿مقتاً﴾: عظم كرهاً لكم عند الله قولكم ما لا تفعلون.

٤ - إن الله يرضى عن الذين يقاتلون في سبيله ولإعلاء كلمته، صافين صفاً واحداً، كأنهم ببيان متراص متماسك بعضه ببعض، والمراد كانه قطعة واحدة.

٥ - واذكر أيها النبي حين قال موسى لقومه: أيها القوم، لماذا تؤذونني بالعصيان ومخالفة أوامري بالشرائع المفروضة من الله عليكم، وأنتم تعلمون يقيناً أنني رسول الله إليكم، والرسول يطاع ويحترم، فلما مالوا عن الحق وانحرفوا عن الهدى والصواب، أمال الله قلوبهم عن الحق وزادها بعداً عن الصواب، جزاء بما فعلوا، والله لا يوفق لمرقة الحق القوم الخارجين عن الطاعة.

وَأَذَكَرَ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ بِنِي إِسْرَائِيلَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا
 لِمَا بِيَدِي مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ
 فَلَمَّ جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴿٦﴾ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَى
 عَلَى اللَّهِ الْكُذْبَ وَهُوَ يُدْعَى إِلَى الْإِسْلَامِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ
 ﴿٧﴾ يُرِيدُونَ لِيُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَاللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِ وَلَوْ كَرِهَ
 الْكَافِرُونَ ﴿٨﴾ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ
 عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدْرَكُمْ
 عَلَىٰ نَجْرَةٍ يَحْكُمُ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ تَوَمَّنْ يَا أُنَاسَ اللَّهِ وَالرَّسُولُ لِيُحْجِدَنَّ
 فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ حَرِّ لَوْ كَانَ كَمَا تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾
 يَعْمَلْكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَهَنَّمَ مِنْ خَشْيَةِ الْآلِهَةِ وَسَكَنَ
 طَبَقَةً فِي جَهَنَّمَ ذَلِكَ الْقَوْلُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَى يُحِبُّونَهَا نَصْرَ
 مِنَ اللَّهِ وَفِيقَ قَرِيبٍ وَبَشِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا
 أَنْصَارًا لِلَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِمَنْ آمَنَ مِنْكُمْ إِيَّاكُمْ إِلَى اللَّهِ
 قَالَ أَمْثَارُ ثَوَابٍ يَحْنُ أَنْصَارًا لِلَّهِ فَآمَنْتَ طَائِفَةٌ مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 وَكَرِهَتْ طَائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْحَبُوا ظُهُورَهُمْ ﴿١٤﴾

٦- واذكر أيها الرسول حين قال عيسى ابن مريم : يا بني إسرائيل إني رسول الله إليكم مؤيداً ومصداقاً لما تقدمني من الكتب كالطوراة والزبور، ومبشراً بمجيء رسول يأتي بعدي اسمه أحمد، أي كثير الحمد له، فلما جاءهم عيسى بالمعجزات والأدلة الدالة على صدقه، قالوا: هذا سحر واضح.

٧- ولا أحد أشد ظلماً من افتري على الله الكذب بأن أشرك به، وهو يدعي إلى توحيد الله وطاعته واتباع شرعه، والله لا يوفق للحق والخير القوم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر.

٨- يريد الكفار بتكذيبهم الرسل أن يطولوا شرع الله بأقوالهم المقترة عن القرآن: إنه سحر أو شعر أو كهانة، والله مظهر دينه وناسره في الآفاق، ولو كره الكفار الجاحدون ذلك. قال ابن عباس: إن النبي ﷺ أبطأ عليه الوحي أربعين يوماً، فقال كعب بن الأشرف: يا معشر اليهود، أبشروا، فقد أطفأ الله نور محمد فيما كان ينزل عليه، وما كان ليتم أمره، فحزن رسول الله ﷺ فأنزل الله تعالى هذه الآية، واتصل الوحي بعدها.

٩- الله هو الذي أرسل بالقرآن البالغ النهاية في الهداية، كانه الهدى نفسه، ليعليه على جميع الأديان، ولو كره المشركون ذلك، لما فيه من التوحيد.

١٠- يا أيها المؤمنون المصدقون بالله ورسوله، هل أدلكم على عمل رابح بمنزلة التجارة، يؤدي إلى دخول الجنة والنجاة من النار، ويخلصكم من عذاب مؤلم موجه يوم القيامة؟ وهو الإيمان والجهاد المذكوران في الآية التالية. أخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل؟ فنزلت هذه الآية، ففكرها الجهاد، فنزلت آية: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ السابقة.

١١- تصدقون تصديقاً تاماً بالله ورسوله، من غير أي شك ولا شرك، وتجاهدون في سبيل الله بالأموال والأنفس، ذلك الإيمان والجهاد خير لكم من الدنيا، إن كنتم تعلمون لا تجهلون ذلك، فافعلوا. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت آية ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ [١٠] قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة، لأعطينا فيها الأموال والأهلين، فنزلت: ﴿تؤمنون بالله...﴾

١٢- وهذا ثمن البضاعة التاجر بها، إن تؤمنوا يغفر لكم ذنوبكم التي بدت منكم، ويدخلكم في مساكن طاهرة خالصة ذات بهجة في بساتين إقامة دائمة، وذلك الجزء المذكور من المغفرة والجنة هو الفوز أو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله.

١٣- ولكم عند ربكم ثوبة أخرى تعجبكم: هي نصر من الله لكم، وفتح قريب الحصول يفتح عليكم، وهو فتح مكة، وبشر أيها النبي معشر المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، والجنة في الآخرة.

١٤- يا أيها المؤمنون، كونوا أنصار دين الله بأن تداوموا على اتباع الأوامر واجتتاب النواهي، كما قال عيسى ابن مريم لأصفيائه وخواصه: مَنْ جنودي المتجهون إلى نصره دين الله ودعوته؟ قال الأصفياء الخالص: نحن الذين ينصرون دين الله معك، فآمنت طائفة من بني إسرائيل بدعوة عيسى عليه السلام، وجحدت طائفة أخرى برسالته، فقويت الذين آمنوا بالحجة أو بالحرب على أعدائهم المبطلين، بعد رفع عيسى، فصاروا غاليين لهم بالحجة والبينة. أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله: ﴿كونوا أنصار الله﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، وآروه ونصروه حتى أظهر الله دينه.

١٠- يا أيها المؤمنون المصدقون بالله ورسوله، هل أدلكم على عمل رابح بمنزلة التجارة، يؤدي إلى دخول الجنة والنجاة من النار، ويخلصكم من عذاب مؤلم موجه يوم القيامة؟ وهو الإيمان والجهاد المذكوران في الآية التالية. أخرج ابن جرير عن أبي صالح قال: قالوا: لو كنا نعلم أي الأعمال أحب إلى الله وأفضل؟ فنزلت هذه الآية، ففكرها الجهاد، فنزلت آية: ﴿لم تقولون ما لا تفعلون﴾ السابقة.

١١- تصدقون تصديقاً تاماً بالله ورسوله، من غير أي شك ولا شرك، وتجاهدون في سبيل الله بالأموال والأنفس، ذلك الإيمان والجهاد خير لكم من الدنيا، إن كنتم تعلمون لا تجهلون ذلك، فافعلوا. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبير قال: لما نزلت آية ﴿هل أدلكم على تجارة﴾ [١٠] قال المسلمون: لو علمنا ما هذه التجارة، لأعطينا فيها الأموال والأهلين، فنزلت: ﴿تؤمنون بالله...﴾

١٢- وهذا ثمن البضاعة التاجر بها، إن تؤمنوا يغفر لكم ذنوبكم التي بدت منكم، ويدخلكم في مساكن طاهرة خالصة ذات بهجة في بساتين إقامة دائمة، وذلك الجزء المذكور من المغفرة والجنة هو الفوز أو الظفر العظيم الذي لا فوز مثله.

١٣- ولكم عند ربكم ثوبة أخرى تعجبكم: هي نصر من الله لكم، وفتح قريب الحصول يفتح عليكم، وهو فتح مكة، وبشر أيها النبي معشر المؤمنين بالنصر والفتح في الدنيا، والجنة في الآخرة.

١٤- يا أيها المؤمنون، كونوا أنصار دين الله بأن تداوموا على اتباع الأوامر واجتتاب النواهي، كما قال عيسى ابن مريم لأصفيائه وخواصه: مَنْ جنودي المتجهون إلى نصره دين الله ودعوته؟ قال الأصفياء الخالص: نحن الذين ينصرون دين الله معك، فآمنت طائفة من بني إسرائيل بدعوة عيسى عليه السلام، وجحدت طائفة أخرى برسالته، فقويت الذين آمنوا بالحجة أو بالحرب على أعدائهم المبطلين، بعد رفع عيسى، فصاروا غاليين لهم بالحجة والبينة. أخرج عبد الرزاق وعبد بن حميد عن قتادة في قوله: ﴿كونوا أنصار الله﴾ قال: قد كان ذلك بحمد الله، جاءه سبعون رجلاً، فبايعوه عند العقبة، وآروه ونصروه حتى أظهر الله دينه.

سورة الجمعة



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلَائِكَةُ الْقُدُّوسُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ
 ١ هُوَ الَّذِي يَتَوَكَّلُ فِي الْأَشْيَاءِ رَسُولًا يُنْزِلُهُمْ بِسُورَاتٍ مِنْ رَبِّهِمْ
 وَيُرَكِّبُهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلِ لَيْسَ صَلَّ
 مُبِينٍ ٢ وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْفُتُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣
 ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ٤
 مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَا يُحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا
 بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ
 الظَّالِمِينَ ٥ قُلْ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ
 أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ٦
 وَلَا تَحْسَبُوهُ زَجْرًا مِنْ رَبِّهِمْ إِنَّهُ عَلَيْكُمْ بِالظَّالِمِينَ ٧
 قُلْ إِنْ أَمُوتَ الَّذِي تَقْرَأُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَكٌ مِنْكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ
 إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ٨

فضلها: روى مسلم عن ابن عباس وأبي هريرة رضي الله عنهما: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في صلاة الجمعة بسورة الجمعة والمنافقين.

١- ينزه الله ويمجده جميع ما في السموات وما في الأرض من المخلوقات، صاحب الملك والسلطان، المنزه عما لا يليق به، المتصف بصفات الكمال، القوي الغالب الذي لا يقهر، الحكيم في صنعه وتبدير شؤون خلقه، يضع الأمور في موضعها الصحيح.

٢- هو سبحانه وحده الذي أرسل محمداً رسولاً في العرب الأميين: الذين لا يقرؤون ولا يكتبون، والمراد أكثرهم أمي، رسولاً من جملتهم، عربياً أمياً، يتلو عليهم آيات الله التي أنزلها في القرآن، مع كونه أمياً مثلهم، ويطهرهم من الشرك وخبث العقيدة والعمل، وسوء الأخلاق، ويعلمهم القرآن والسنة وفقه مقاصد الشريعة وأسرارها، وإن كانوا من قبل بعثته لفي خطأ بين واضح بعيد عن الصواب، وهو الشرك وخبثات الجاهلية.

٣- ويذكر أقواماً آخرين منهم وبعثه إليهم، وهم من جاء بعد الصحابة من العرب إلى يوم القيامة، وهو الغالب الذي لا يغلبه أحد، في ملكه وتمكيته من النبوة، الحكيم في صنعه واختياره.

٤- ذلك الفضل المتميز بإرسال هذا النبي عن أقرانه هو فضل الله الذي يؤتیه من يشاء من عباده الذين اصطفاهم، والله صاحب الفضل العظيم الذي لا يساويه فضل على عباده.

٥- صفة اليهود الذين كلفوا العمل بالتوراة، ثم لم يعملوا بموجبها كمثل الحمار يحمل كتباً علمية نافعة، قبح هذا المثل مثل القوم المكذبين بالأدلة والمعجزات وآيات التنزيل الدالة على نبوة محمد ﷺ، والله لا يوفق للحق والخير القوم الظالمين أنفسهم بالكفر والتكذيب.

٦- قل أيها النبي: يا أيها اليهود إن زعمتُمْ أنكم أحببنا الله وأصفياءه من دون الناس، فتمنوا من الله أن يمتنكم لتحصلوا على أمنيته بقاء الله، إن كنتم صادقين في زعمكم أنكم أولياء الله، فالولي يؤثر الآخرة، ومبذوها الموت، فتمنوه.

٧- ولا يقع منهم تمنى الموت بسبب ما قدموا من الأعمال السيئة من الكفر والعصيان، والتحريف، والله عالم بالظالمين أنفسهم الكافرين، ويجازيهم على أعمالهم.

٨- قل أيها النبي لهم: إن الموت الذي تكرهونه، فإنه آت لاحق بكم لا محالة، ثم تردون إلى عالم الغيبات والحسيات المشاهدات، فيخبركم بأعمالكم، ويجازيكم عليها. وهذا تهديد ووعد.



٩- يا أيها المؤمنون إذا أذن للصلاة الأذان الثاني بين يدي الخطيب إذا جلس على المنبر يوم الجمعة، فامشوا إلى الصلاة والخطبة؛ لأنهما يذكر فيهما اسم الله، واتركوا البيع والشراء وكل ما يشغل عن أداء الصلاة، ذلك السعي إلى ذكر الله وترك البيع خير لكم من مشاغل الدنيا ومعاملاتها؛ لما فيها من الثواب العظيم إن كنتم من أهل العلم بالخير والشر الحقيقيين، وإذا علمتم أنه خير فافعلوه.

١٠- فإذا أدت الصلاة وفرغ منها، فتوزعوا في الأرض، واطلبوا الرزق من فضل الله بالسعي، واذكروا الله كثيراً بقلوبكم وأستكم في مجالسكم المختلفة، بالحمد والتسبيح والتكبير والاستغفار ونحو ذلك كي تفوزوا بخير الدارين.

١١- وإذا رأى المصلون صلاة الجمعة تجارة وهي كل أنواع الكسب، أو لهواً كالطبول والمزامير ونحوها، انصرفوا مسرعين إلى التجارة واللهو، وتركوا أيها النبي قائماً على المنبر وأنت تخطب، قل: ما عند الله من الجزء العظيم وهو الجنة خير من اللهو والتجارة اللذين ذهبتم إليهما، والله خير رازق ومعط، فتوكلوا عليه، واطلبوا الرزق منه. أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي عن جابر

بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا أُوذِيَ الصَّلَاةُ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَبِيرَ الْعِلْمِ قُلُّونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا مُغْضِبًا يُغْضَبُونَ ﴿١٢﴾ فَأَمَّا قُلٌّ مَاعِنْدَ اللَّهِ لِرَبِّينَ الْعَالَمِينَ ﴿١٣﴾ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١٤﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ رَسُولُ اللَّهِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَكَاذِبُونَ ﴿١﴾ اتَّخَذُوا أَيْمَانَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ إِنَّهُمْ سَاءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ذَلِكَ أَنَّهُمْ آمَنُوا بِكُفْرٍ وَأُطْمِئِنُّوا عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِنْ يَقُولُوا تَسْمَعُ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُسْنَدَةٌ يُحَسِبُونَ كُلُّ صَاحِبَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعُدُوَّ وَالْعُدُوَّ قَدْ نَزَّلَهُمُ اللَّهُ أَنْ يَزُفُوا كُونَ ﴿٤﴾



قال: كان النبي ﷺ يخطب يوم الجمعة إذ أقبلت عير (إبل محملة طعاماً) قد قدمت، فخرجوا إليها حتى لم يبق معه إلا اثنا عشر رجلاً، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

سورة المنافقون

- ١- إذا جاءك أيها النبي المنافقون قالوا: نحلف بالله إنك رسول الله، لحماية أنفسهم وأموالهم، والله يعلم إنك لرسوله حقاً، وهذه جملة معترضة لإظهار العناية بحفظ مقام الرسول ﷺ، والله يعلم ويحلف، إن المنافقين كاذبون فيما ادعوه من الإيمان. والمنافق: من يظهر الإسلام ويبطن الكفر.
- ٢- اتخذوا أيمانهم الكاذبة وقاية ومستراً لهم من القتل والأسر وأخذ المال، فمنعوا الناس عن الدخول في الإسلام، إنهم قبيح ما كانوا يعملون من الكفر والفساد، والنفاق والصد.
- ٣- ذلك أي سوء أعمالهم بسبب أنهم آمنوا نفاقاً باللسان، ثم كفروا بالقلب وعادوا لكفرهم في الباطن، فختم على قلوبهم بسبب كفرهم- والختم: كناية عن عدم استعدادهم لقبول الإيمان- فهم لا يفقهون حقيقة الإيمان.
- ٤- وإذا رأيت أولئك المنافقين تعجبك أجسامهم لضخامتها، وهيئاتهم لحمالها، وإن يتكلموا تنصت لقولهم وطلاوة أساليبهم لفصاحتهم وذلاتهم، كأنهم في مقام ومجالس الرسول ﷺ أخشاب منصوبة مسندة إلى الجدار، لخلوهم من الفهم والعلم النافع، يظنون أن كل صوت واقع بهم لجسبتهم واهلهم، هم الأعداء لك أيها النبي وللمؤمنين- والعدو يطلق على الجمع والمفرد- لعنتهم الله وطردهم من رحمته، كيف يصرفون عن الحق والإيمان بعد قيام البرهان؟!

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا اسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّازَهُ وَسُوءَ مَا لَهُمْ
بِصُدُّونَ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ سِوَاءَ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ
أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَيَعْبَرَنَّ اللَّهُ فِيمَا أَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ
﴿٦﴾ هُمُ الَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تَنْفِقُوا عَلَىٰ مَا رَزَقْنَا مِنْهُ
اللَّهُ حَتَّىٰ يَنْفُسُوا بِرِزْقِ اللَّهِ وَالرِّزْقِ الَّذِي كُنَّ
الْمُتَّقِينَ يُنْفِقُونَ ﴿٧﴾ يَقُولُونَ لَيْسَ عَلَيْنَا فِي الْمَدِينَةِ لَيْزَجٌ
الْأَعْرَابُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَلَهُ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ
وَلَكِنَّ الْمُتَّقِينَ لَابْعَلُونَ ﴿٨﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَهْلِكُوا
أَمْوَالَكُمْ وَلَا أَوْلَادَكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ
فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴿٩﴾ وَأَنْفِقُوا مِنْ مَّا رَزَقَكُمْ
مِنْ قَبْلُ لَنْ يُبَاقِيَ أَحَدٌ مَالَهُمْ فَيَقُولَ رَبِّي لَوْلَا إِخْرَجْتَنِي إِلَىٰ
أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقْتُ وَأَكُنُ مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١٠﴾ وَلَنْ يُؤَخِّرَ
اللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَاءَ أَجَلُهَا وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾



٥- وإذا قيل للمنافقين: تعالوا يستغفر لكم رسول الله عما أصبتم من ذنوب، صرفوا وجوههم عن التكلم استكباراً، ورأيهم يعرضون عن القائل وعما دعوا إليه من الاستغفار، وهم مستكبرون عن التوبة. أخرج ابن جرير عن قتادة قال: قيل لعبد الله بن أبي: لو أتيت النبي ﷺ فاستغفر لك، فجعل يلوي رأسه، فنزلت فيه هذه الآية.

٦- سواء على هؤلاء المنافقين الاستغفار لهم أم عدم الاستغفار، فلا ينفعهم ذلك، لإصرارهم على الكفر والنفاق، إن الله لا يوفق للحق والإيمان القوم الخارجين عن طاعة الله ورسوله. أخرج ابن جرير عن عروة قال: لما نزلت: ﴿استغفر لهم أو لا تستغفر لهم﴾ [التوبة ٩/ ٨٠] قال النبي ﷺ: لأزيدن على السبعين، فأنزل الله هذه الآية.

٧- هم أي زعماء المنافقين الذين يقولون لأصحابهم الأنصار في المدينة: لا تنفقوا على من عند رسول الله من فقراء المهاجرين، حتى يتصرفوا عنه حين لا يجدون قوتهم، ويبد الله مفاتيح الرزق، فهو الرزاق لهؤلاء المهاجرين، ولكن المنافقين لا يعلمون أن خزائن الأرزاق بيد الله، لجهلهم بالله تعالى.

٨- يقول المنافقون: لئن عُدنا إلى المدينة من غزوة بني المصطلق ليخرجن الأعز- يعنون أنفسهم وهم المنافقون-

من المدينة الأذل وهم في زعمهم المؤمنون، وله العزة ولرسوله وللمؤمنين لاغيرهم، أي القوة والغلبة لله وحده ولمن منحها من المؤمنين، ولكن المنافقين لا يعلمون أن العزة لله ولأصفيائه، لفرط جهلهم وغرورهم. أخرج الترمذي عن زيد بن أرقم: أن أعرابياً نازح أنصارياً في بعض الغزوات على ماء، فضرب الأعرابي رأسه بخشبة فشجته، فشكا إلى ابن أبي، فقال: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفصوا، وإذا رجعنا إلى المدينة، فليخرج الأعز الأذل، عنى بالأعز نفسه، وبالأذل: رسول الله ﷺ.

٩- يا أيها المؤمنون بالله ورسوله، لا تلهكم الأموال وفتنتها والأولاد ومحبتهم عن تذكركم الله وهو أداء الفرائض أو العبادات الإسلامية، ومن يفعل ذلك وهو اللهو والانشغال بملهي الدنيا، فأولئك هم الخاسرون في تجارتهم يوم القيامة، لأنهم باعوا الشيء العظيم الباقي بالحقير الفاني.

١٠- وأنفقوا أيها المؤمنون بعض أموالكم التي رزقناكم إياها في سبيل الخير، من قبل إتيان علامات الموت ودلائله، فيقول: يا رب هلاً أخرت موتي إلى مدة قريبة غير بعيدة، فأصدق بمالي بالزكاة وغيرها، وأكن من العاملين الصالحين الذين يعملون بما يرضيك كالحج وغيره.

١١- ولن يؤخر الله نفساً عن الموت إذا حضر أجلها المكتوب وآخر العمر، والله مطلع على ما تعملون، لا يخفى عليه شيء، فيجازيكم بأعمالكم. أخرج الترمذي وابن جرير عن ابن عباس قال: «قال رسول الله ﷺ: من كان له مال يبلغه حج بيت الله، أو تجب عليه فيه الزكاة، فلم يفعل، فمات، فماتت روحه عند الموت، فقال له رجل: يا ابن عباس اتق الله، فإنما يسأل الرجعة الكافر، فقال: سأتلو عليكم بذلك قرآناً: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم﴾ [٩] إلى آخر السورة».

سورة التغابن

١- ينزه الله تعالى عن كل نقص ويمجده جميع المخلوقات في السموات والأرض، بطريقة لا ندرِكها، له الملك والتصرف المطلق، وله الشكر الجزيل على نعمه الكثيرة، وهو القادر على كل شيء إيجادا وإعداماً لا يعجزه شيء.

٢- هو الله وحده الذي أوجدكم أيها الناس، فمنكم كافر جاحد بالله، ومنكم مصدق بالله، والله بصير عالم بأعمالكم كلها، لا يخفى عليه شيء، ومجازيكم عليها.

٣- أوجد السموات والأرض بما يتفق مع الغرض الصحيح والحكمة البالغة، أي خلقاً مقترناً بالحق والحكمة، لا لهواً ولا لعباً، وجعل أشكالكم الأدمية بأحسن صورة، أي أنقنها وأحكمها، بنحو لا مثيل له في الهيئته والمنظر والعقل، وإليه المرجع يوم القيامة.

٤- يعلم الله تعالى جميع ما في السموات والأرض، فلا تخفى عليه خافية، ويعلم ما تخفونه وما تظهرونه من أقوال وأفعال، والله عليم بما تخفيه الضمائر من أسرار وخطرات.

٥- ألم يأتكم أيها الكفار - والاستفهام للتعجب من أمرهم - خبر الكفار السابقين، كقوم نوح وعاد وثمود، فذاقوا في الدنيا عقوبة كفرهم - والويل: الثقل والشدة الناتجة من أمرهم - وأمرهم: كفرهم، ولهم عذاب مؤلم في الآخرة، وهو عذاب النار.

٦- ذلك المذكور وهو عذاب الدنيا بسبب أنه كانت تأتيهم الرسل بالمعجزات والدلائل الظاهرة على الإيمان، فقالوا: كيف يهدينا البشر؟ أنكروا كون الرسل بشراً، فكفروا بالرسل، وأعرضوا عن الإيمان، واستغنى الله عن إيمانهم وطاعتهم، والله محمود من كل مخلوق على أفعاله.

٧- زعم الكافرون بالله - والزعم: ادعاء العلم وأكثر ما يكون في الباطل - أن لا بعث بعد الموت يوم القيامة، قل لهم أيها النبي: بلى تبعثون والله ربي - ويلي: كلمة جواب تقع بعد النفي للإثبات - ثم لتخبرن بأعمالكم، وذلك البعث والجزاء يسير على الله لقدرته التامة.

٨- فصدقوا بالله ورسوله النبي محمد ﷺ والقرآن الذي أنزلناه عليه، فهو نور يهتدى به في الظلمات، والله خبير بأعمالكم لا يخفى عليه شيء، فهو مجازيكم عليها.

٩- اذكر أيها النبي وكل مخاطب يوم يجمعكم الله ليوم القيامة الذي تجمع فيه الخلاق كلها من ملائكة وإنس وجن للحساب والجزاء، ذلك يوم التناسي والذهول من شدة الهول، ويوم الندم والغبن حيث يظهر فيه غبن الكافر بتركه الإيمان، وغبن المؤمن بتقصيره في الإحسان، ومن يؤمن بالله واليوم الآخر، ويعمل عملاً صالحاً وهو ما أمر الله به، يمح الله عنه ذنوبه، ويدخله جنات تجري الأنهار من تحت غرفها وبساتينها، ماكثين فيها إلى الأبد، ذلك الظفر بالجنان هو الظفر الذي لا يساويه شيء.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يُسَبِّحُ اللَّهَ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحُكْمُ
وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْكُمْ
كَافِرًا وَمِنْكُمْ مُؤْمِنٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُورَكُمْ وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿٣﴾
يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ
عَلِيمٌ بَدَاتِ لَصُدُورِكُمْ ﴿٤﴾ أَتُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلَ كَذِبًا مِنْ قَبْلُ
فَأَقْوَامًا وَآلَ أُمَّرْتُمْ وَهَـؤُلَاءِ آيَةٌ لِلَّذِينَ كَانَتْ
تَأْتِيهِمْ رُسُلُهُمْ يَا بَنِي آدَمَ اسْبِرُوا بُسْرُهُمْ نَسَاءً فَكُفِّرُوا وَتَوَلَّوْا
وَاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ جَمِيدٌ ﴿٥﴾ زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُعْمَرُوا قُلْ بَلَى
وَرَبِّي يُبْعَثُ نَبِيًّا لَمْ يَكُنْ لَكُمْ نَبِيٌّ قَبْلَهُ وَذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٦﴾ فَأَمَّا اللَّهُ
وَرَسُولُهُ وَالنُّورُ الَّذِي أَنْزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٧﴾ يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ
لِيُؤْتِيَ لِكُلِّكُمْ ذِكْرَ يَوْمِ التَّفَابُنِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا
يَكْفُرْ عَنْهُ سَيِّئَاتِهِ وَيُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا
الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ لِقَوْلِ الْعَطَّيْبِ ﴿٨﴾

وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ
 هَٰؤُلَاءِ فِيهَا يُرْسِلُ الْمُصِدِّرُ ۖ مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ
 اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ۝١٠
 وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ ۚ فَإِنْ تَوَلَّيْتُمْ
 فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِكَ الْبَلَاغُ الْمُبِينُ ۝١١ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَىٰ
 اللَّهِ قَلْبُ الْمُنْزِلِ ۝١٢ بَشَائِرُ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ مِنْ
 أَرْوَاحِكُمْ وَأَوْلَادِكُمْ عِدَّةً لَكُمْ فَاحْذَرُوا هُمًّا وَإِنْ
 تَعَفَّوْا وَنَصَحُوا وَتَقَفَّرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝١٣
 إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَاللَّهُ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۝١٤
 فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَأَسْمِعُوا وَأَطِيعُوا وَأَنْفِقُوا خَيْرًا
 لِأَنْفُسِكُمْ وَمَنْ يُوقِ شَعْنَهُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِكَرِيمٍ ۝١٥
 إِنْ تَقَرَّضُوا لِلَّهِ قَرْضًا حَسَنًا فَمَا يَضَعُهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ
 وَاللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ۝١٦ عِلْمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةُ الْعَزِيمُ الْحَكِيمُ ۝١٧



١٠- والذين جحدوا وأنكروا وجود الله وتوحيده، وكذبوا بآياتنا وهي القرآن، أولئك أصحاب النار ماكين فيها إلى الأبد، وبس المرجع مرجعهم في الآخرة.

١١- ما أصاب أحدًا من مصيبة: وهي كل ما يتعرض له من خير أو شر في نفس أو مال إلا يعلم الله ومشيئته وقضائه وقدره، ومن يصدق بالله حقًا، يهد قلبه للخير والصبر والرضا عند المصيبة، فيعلم أنها من الله، والله عالم بكل شيء، لا يخفى عليه خافية، حتى بالضمائر وأحوال القلوب.

١٢- وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول أيها المؤمنون وغيركم، فإن أعرضتم عن الطاعة، فلإنما على رسولنا التبليغ الواضح، وليس عليه شيء آخر سواه، وعلينا الحساب والجزاء في الآخرة.

١٣- الله لا إله في الوجود سواه، ولا معبود غيره، فوحدوه، وعلى الله فليترك أهل الإيمان، وليفوضوا الأمر كله إليه.

١٤- يا أيها المؤمنون إن بعض أرواحكم أعداء لكم يشغلونكم عن طاعة الله وعمل الخير، بسبب حبيكم لهم، فاحذروا موافقتكم لهم في ذلك،

وإن تعفوا عن ذنوبهم بترك العقاب، وتصفحوا عنهم بالإعراض وترك اللوم وستر الذنب، فإن الله واسع المغفرة والرحمة، يعاملكم بمثل ما عملتم.

١٥- إنما أموالكم وأولادكم بلاء واختبار لكم، قد يشغلكم حبيهم عن الطاعة وقد يحملونكم على كسب الحرام، ومنع حقوق الله كالزكاة، والله عنده ثواب عظيم لمن أثر محبة الله وطاعته على محبة الأولاد والأموال.

١٦- فاتقوا الله بامثال أوامره واجتناب نواهيه بقدر جهدكم وطاقتكم، واسمعوا ما تؤمرون به، وأطيعوا الأوامر، وأنفقوا من أموالكم في سبيل الخير، يكن ذلك خيرًا لأنفسكم، ومن يحفظ من البخل مع الحرص، فأولئك هم الفائزون بخيري الدنيا والآخرة. [آل عمران ٣ / ١٠٢] اشتد على القوم العمل، فقاموا حتى ورمت عراقيبهم، وتفرحت جباههم، فأنزل الله تخفيفاً على المسلمين: ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾.

١٧- إن تنفقوا في وجوه الخير التي يرضى الله عنها، طيبة بذلك الإنفاق نفوسكم، يضاعف لكم الثواب أضعافاً كثيرة، ويستر لكم ذنوبكم، والله شكور يعطي على الطاعة أجراً عظيماً، يمنح الكثير لفاعل القليل، لا يعاجل بالعقوبة على المعصية.

١٨- يعلم سبحانه كل ما غاب عن الخلق والمشاهد لهم، أو ما غاب وما حضر، القوي الغالب القاهر، ذو الحكمة في صنعه وتدبيره.

سورة الطلاق

١- ﴿يا أيها النبي﴾ - والمراد به أمته؛ لأنه إمام الأمة - إذا أردتم تطليق النساء، فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، أي في طهر لا جماع فيه، واضبطوا العدة واحفظوا وقتها، بأن تكملوها ثلاثة قروء، أي حيضات أو أطهار - والخطاب للأزواج - وأطيعوا الله ربكم في أمره ونهيه، لا تخرجوهن من البيوت التي كن فيها وقت الفراق حتى تنقضي عدتهن، ولا يخرجن من تلك البيوت ما دمن في العدة إلا لأمر ضروري، إلا إذا ارتكبن فاحشة الزنى، أو السرقة مثلاً، فلنكن إخراجهن لإقامة الحد عليهن، أو للتخلص من بداهتهن وتطاولهن على الزوج أو أسرته، وتلك الأحكام المذكورة هي أحكام الله وشرائعه لعباده، ومن يتجاوز أحكام الله، فقد ظلم نفسه، بأن أضر بها إذ عرّضها للعقاب، لا تدري أيها المطلق لعل الله يحدث بعد الطلاق أمراً جديداً، وهو الندم والرغبة في مراجعتها بعد الطلاق ما دامت في العدة، أو استئناف عقد جديد بعد انتهاء العدة أو الطلاق البائن. وفي هذا تحريض على إيقاع طلقة واحدة. أخرج ابن أبي حاتم وابن جرير وابن المنذر عن أنس قال: طلق رسول الله ﷺ حفصة، فأتت أهلها، فأنزل الله تعالى: ﴿يا أيها النبي إذا طلقتم النساء..﴾ فقبل له: واجمعها

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِقُوهُنَّ مِنْ بَيْتِهِنَّ وَأَحْضُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تَخْرُجُوهُنَّ مِنْ بَيْتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَنَّ بَيْتَهُنَّ مَبْرُورًا وَإِنَّكُمْ لَأَنْتُمْ لَعَلَّ اللَّهُ وَمَنْ يَعْصِدْ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهُ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا ۝ فَإِذَا بَلَغَ أَحَقُّهُنَّ مَسْكُوهُنَّ مَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَى عَدْلٍ مِنْكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَلِكَ يُؤْخَذُ بِهِيَ مِنْ كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَنْ بَيَّنَّ اللَّهُ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۝ وَرِزْقَهُ مِنْ مَيْتٍ لَا يَحْتَسِبُ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ۝ إِنْ اللَّهُ بَلَغَ أَمْرًا فَقَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ۝ وَالَّتِي يَسْنَ مِنَ الْحَيْضِ مِنْ نِسَائِكُمْ إِنْ زَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَالَّتِي لَمْ يَحْضُ وَأُولَئِكَ الْأَحْمَالُ أَجَلُهُنَّ أَنْ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مِنْ أَمْرِهِ يُسْرًا ۝ ذَلِكَ أَمْرُ اللَّهِ أَنْزَلَهُ إِلَيْكُمْ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنْ مَتَابِعِهِ وَيَعْطِئَهُ أَجْرًا ۝

فإنها صوامة قوامة، وهي من أزواجك ونسائك في الجنة.

٢- فإذا قاربن انقضاء عدتهن، فراجعوهن بحسن معاشرة من غير إضرار، أو فارقوهن حتى تنقضي عدتهن، وأوفوهن حقوقهن، واتقوا الإضرار بهن بالمراجعة، كأن يراجعها ثم يطلقها، تطويلاً لعدتها، وأشهدوا - وهو للندب - شاهدين عدلين على الطلاق أو الرجعة، بعداً عن الشك، وإنهاء للنزاع، وأدوا أيها الشهود الشهادة خالصة لوجه الله دون تحميص وبلا تجاوز للحق، ذلكم المأمور به من الطلاق أو الرجعة والإشهاد يؤمر به المؤمن بالله واليوم الآخر، لأنه المنتفع بالموعظة، ومن يتق الله بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، يسهل له أموره. أخرج ابن مردويه والخطيب عن ابن عباس: أن الآية نزلت في ابن لعوف بن مالك أسره العدو، فاستكثر والداه من الحوقلة، فتغفل عنه العدو، فاستاق غنمه، وجاء بها إلى أبيه.

٣- ويرزقه بتهيشة أسباب الرزق من وجه لا يخطر بباله، ومن يفرض أمره لله، فهو كافيه، إن الله منفذ حكمه ومراده وقضاه في خلقه، قد جعل الله لكل شيء من رخاء وشدة تقديراً لا يتعداه في مقداره وزمانه.

٤- والنساء اللاتي بلغن سن اليأس لكبر ونحوه، فانقطع حيضهن إن شككن في عدتهن أي جهلتم، والنساء الصغيرات أو المريضات اللاتي انقطع الدم عنهن: عدتهن ثلاثة أشهر في حال الطلاق لا الوفاة، وعدة الحوامل مطلقاً بوضع الحمل، ومن يطع الله يسر له أمره في الدنيا والآخرة، ويوفقه لكل خير. نزلت في الصغار والكبار اللاتي قد انقطع عنهن الحيض، وأولات الأحمال، أي صاحبات الحمل.

٥- ذلك المذكور من الأحكام، ومنها حكم العدة حكم الله أنزله في القرآن إليكم أيها الناس للعمل به، ومن يعمل بطاعة الله، يمح عنه ذنوبه ويستر عيوبه، ويضاعف ثوابه، ويمنحه الجنة.

٦- أسكنوا المطلقات المعتدات بعض مساكنكم بقدر وسعكم وطاقتكم، ولا تؤذوهن في النفقة أو السكنى بالإخراج كرها من مساكنهن، وإن كانت المطلقات حوامل، فأنفقوا عليهن في عدتهن حتى يضعن حملهن، ولا خلاف بين العلماء في إيجاب النفقة والسكنى للحامل المطلقة، فإن أرضعن لكم أولادكم بعد الفراق، فأعطوهن أجورهن على الإرضاع، وتأمروا وتشاوروا بينكم بما هو معروف غير منكر بإحسان المعاملة بإعطاء الأب أجر الرضاعة وعناية الأم بالطفل، وإن ضيق بعضكم على بعض في تقدير أجر الأم بأن طلبت فوق المعتاد، أو امتنع الأب من الأجرة، فيحق للأب استئجار مرضعة أخرى غير أمه المطلقة.

٧- لينفق المورس بقدر يُسره على المطلقات والمرضعات، ومن ضيق عليه رزقه، فصار فقيراً، فلينفق مما أعطاه الله على قدر طاقتة، لا يكلف الله نفساً إلا بقدر ما أعطاه من الرزق قليلاً أو كثيراً، سيبدل الله بالعسر يسراً، عاجلاً أو آجلاً.

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنْتُمْ مِنْ وُجْدِكُمْ وَلَا تَضْرِبُوهُنَّ لِيُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِنْ كُنَّ أُولَىٰ حَمْلٍ فَأَنْفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأَمْرُهُمْ بَيْنَكُمْ بِمَعْرُوفٍ وَإِنْ تَعَاسَرْتُم فَسَرِّضْ لَهُ أُخْرَىٰ ۗ لِيُنْفِقَ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يَكْفِلُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَاءً أَنهَآ سَجِيلاً ۗ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ۗ وَكَانَ مِنْ قَرَابَةٍ عَنَّتْ عَنْ أُمَّرٍ رَبِّهَا وَرَسُولِهِ فَاَسْبَنَهَا حِصَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبَهَا عَذَابًا نَكْرًا ۗ فَذَاقَتْ وَآلَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ۗ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِيَ الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنْزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ۗ رَسُولًا يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مَبِيتٍ يُبْرِجُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنَ النَّاسِ إِلَى النَّوْدِ ۗ وَمَنْ يَوْمَئِذٍ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا يُدْخِلْهُ حَيْثُ يَجْرِي مِنَ النَّجْمِهَا ۗ أَلَا نَهْرٌ جُلُودٍ فِيهَا أَيْدٌ قَدْ أَحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقًا ۗ اللَّهُ الَّذِي جَلَقَ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ۗ

٨- وكثير من أهل القرى عصوا أوامر ربهم ورسولهم، فحاسب الله أهل تلك القرى حساباً شديداً في الدنيا بالاستئصال، وفي الآخرة بالعذاب، وعذبهم عذاباً منكرًا عظيماً وهو عذاب النار.

٩- فلاقت جزاء كفرها وطغيانها، وكان عاقبة أمرها هلاكاً وخسراناً، هلاكاً في الدنيا، وعذاباً في الآخرة.

١٠- أعد الله لهم عذاباً مشدداً في الآخرة، وهو عذاب النار، فاتقوا الله بامتناله أمره واجتتاب نهييه يا أصحاب العقول الراجعة. الذين آمنوا بالله ورسوله محمد ﷺ قد أنزل الله إليكم قرآناً عظيماً.

١١- وأرسل لكم رسولاً هو محمد ﷺ يقرأ عليكم آيات الله، موضحات لكم كل ما تحتاجون من شرائع وأحكام، ليخرج المؤمنين العاملين الصالحات المأمور بها من ظلمات الضلالة إلى نور الهداية، ومن الكفر إلى نور الإيمان، ومن يصدق بالله ويعمل صالحاً باتباع أوامر الله، وترك معاصيه، أي يجمع بين الأمرين، يدخله جنات تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ماكين فيها إلى الأبد، قد وسع الله له الرزق في الجنة.

١٢- الله وحده الذي أوجد سبع سماوات وخلق من الأرض مثلهن في التكوين، أي سبعاً من الأرضين، يجري أمر الله وقضاؤه بينهن، وينفذ حكمه فيهن، كي تعلموا أيها العباد أن الله قادر على كل شيء، وأن الله قد أحاط علمه بكل شيء، فلا يخفى عليه خافية.

سورة التحريم

١- ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ﴾، لم تحرم على نفسك أو تمنعها ما أحل الله لك من الحلال من طعام وغيره، تطلب بالتحريم رضا زوجاتك: عائشة وحفصة فقط، والله واسع المغفرة والرحمة بعباده التائبين وبك حيث لم يواخذك على تحريم ما أحل الله لك، وعاتبك حفاظاً على عصمتك. فالاستفهام للعتاب. الصحيح كما ذكر البخاري ومسلم أن هذه الآية وما بعدها نزلت في تحريم النبي ﷺ العسل على نفسه؛ لأنه كان يشرب العسل عند زينب بنت جحش، فتواطأت عائشة وحفصة أن تقولوا له إذا دخل عليهما: إنا نجد منك ريحاً، فحرم العسل على نفسه.

٢- قد شرع الله لكم تحليل الأيمان بكفارة اليمين في سورة المائدة [٥] في الآية [٨٩] والله متولي أموركم وناصركم، وهو العليم بما يصلحكم، المثقن في أفعاله وأحكامه وتبدير أموركم.

٣- واذكر أيها النبي حين أسرت النبي إلى بعض أزواجه وهي حفصة حديثاً، هو تحريم العسل الذي كان يتناوله عند زينب بنت جحش، فلما أخبرت حفصة به عائشة وأن حيثهما نجحت، وأطلعته الله على إفساء حفصة للسر، عرفت حفصة بعض ما دار من الحديث بينها وبين

عائشة، وما أفشته من السر، وهو قوله: لن أعود إلى شرب العسل، وكتبت بعض الحديث تكراً منه، وامتناعاً من زيادة تخجيلها، قالت: من أخبرك هذا الخبر؟ قال لها: أخبرني به الله العليم بكل شيء من السرائر، الخبير بخفايا الأمور.

٤- إن تنوبا إلى الله، أي يا حفصة وعائشة، ثقيلاً، فقد مالت القلوب عما يجب للنبي ﷺ عليهما من الاحترام والتوقير إلى ما يكره، واتجهت إلى التوبة من النظار على النبي، وإن تتعاوننا عليه بما يكره بسبب الغيرة عليه منكما، فإن الله ناصر، وكذا جبريل عليه السلام، وخيار المؤمنين، والملائكة بعدئذ أعوان له، وهو عطف عام على خاص. والأصل (قلباكما) لكن العرب تكره اجتماع تثنيتين فيما يشبه الكلمة الواحدة متى كان المراد واضحاً.

٥- لعل ربه إن طلق أزواجه، أو بعضهم وذلك على سبيل التغليب، أن يبدله زوجات خيراً منهن منقادات للإسلام والله تماماً، مصدقات بالله ورسوله مخلصات، مطيعات لله ورسوله، تائبات من ذنوبهن، متذللات لله عابدات، صائمات متاملات في ملكوت الله، متزوجات أرامل، وعذارى غير متزوجات سابقاً. أخرج البخاري عن أنس قال: قال عمر: اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت: عسى ربه إن طلقك أن يبدله أزواجاً خيراً منك، فنزلت هذه الآية.

٦- يا أيها الذين صدقوا بالله ورسوله، جنبوا أنفسكم وأهليكم النار بترك المعاصي وفعل الطاعات، تلك النار التي يكون ما توقد به: النامس (الكفار) والحجارة (الأصنام المعبودة) عليها خزنة من الملائكة عدتهم تسعة عشر، غلاظ الحلق والطباع، قساة أقوياء البدن على الشدائد، لا يعصون أمر الله في الماضي، ويفعلون ما يؤمرون به في المستقبل.

٧- يقال للكافرين عند دخول النار: يا أيها الكفار، لا تعتذروا في هذا اليوم-يوم القيامة؛ لأنه لا ينفعكم الاعتذار، إنما تنالون جزاء أعمالكم في الدنيا.

سورة التحريم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْلِغْ مَرْصَاتَ رُؤُوسِكَ وَاللَّهُ عَفُوفٌ
رَحِيمٌ قَدْ فُضِّلَ اللَّهُ لَكُمْ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ مُؤْتِكُمْ وَهُوَ الْعَلِيمُ
الْحَكِيمُ وَإِذْ أَسْرَأْتِنِي إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَاجِهِ حَدِيثًا فَلَمَّا تَبَيَّنَتْ
بِهِ وَأَظْهَرَهُ اللَّهُ عَلَيْهِ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَن بَعْضٍ فَلَمَّا تَبَيَّنَ
بِهَا قَالَتْ مَنْ أَبْتَأْتِكُ هَذَا قَالَ تَبَيَّنَ الْعَلِيمُ الْحَبِيرُ إِنْ تَنُوبَا إِلَى
اللَّهِ فَذُنُوبُهُمْ لَكُمْ رِيحًا وَإِنْ أَظْهَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ وَجِبْرِيلُ
وَصَلَّىٰ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمَلَائِكَةَ بَعْدَ ذَلِكَ ظَهْرًا عَسَىٰ رَبُّهُ إِنْ
طَلَعَكَ إِنْ يُبَدِّلَهُ وَأَزْوَاجًا خَيْرًا مِنْكَ سُبُلَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَبْلَ تَبْيُوتِ
عِبَادَتِ سَبَّحْتَ تَبَيَّنَتْ وَأَجْكَارًا يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ
وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ
لَّا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ يَا أَيُّهَا
الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تَوْبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ
 أَنْ يَكْفُرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي
 مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُجْرَىٰ آلَهُ النَّارِ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ
 نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا
 أَنْتُمْ لَنَا نُورٌ وَأَنْفُسُنَا أَتَمُّ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾
 يَا أَيُّهَا الَّذِينَ جَاهَدُوا الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ
 وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿٩﴾ صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتُ نُوحٍ وَامْرَأَتُ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ
 عَصَايْنِ مِنْ عِبَادِ نَارٍ فَلَمَّا أَتَيْنَا عَنْهُمَا مِنَ
 اللَّهِ سَيِّئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ ﴿١٠﴾
 وَصَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ
 رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَبِخِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ
 وَظَلْمِهِ وَبَخِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ﴿١١﴾ وَمَوَدَّةِ ابْنَنَاتِ
 عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَانَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا
 وَصَدَقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكَلِمَةِ رَجُلِهَا وَأَقْبَلَتِ مِنَ الْأَقْبَابِ ﴿١٢﴾

٨- يا أيها الذين آمنوا بالله ورسوله توبوا إلى الله توبة صادقة خالصة: وهي الندم في القلب على الذنب، والاستغفار باللسان، والإقلاع بالبدن، والعزم على عدم العودة لمثله في المستقبل، ورد الحقوق لأصحابها، لعل ربكم أن يمحو عنكم خطاياكم، ويدخلكم جنات تجري من تحت غرفها ويساتينها الأنهار العذبة، يوم لا يفضح الله النبي في رد شفاعته بمن يشفع بهم، ولا المؤمنين برسالته، نور الإيمان بعد انتهاء الحساب يسمى بهم على الصراط، ويضئ لهم الطريق، يقولون: يا ربنا آدم وأتم لنا نورنا إلى الجنة، واسترنا واغفر لنا خطايانا، إنك قادر على كل شيء. أما المنافقون فيطفى الله نورهم.

٩- يا أيها النبي جاهد الكفار والمنافقين بمختلف الوسائل، بالسيف والحجة أو اللسان، واشتد عليهم في الدعوة والقتال؛ لأنهم مصممون على الفساد، ومكان إيوانهم جهنم، وقبح المرجع مرجعهم.

١٠- جعل الله مثلاً لحال الكفار في أنه لا يغني أحد عن أحد: امرأة نوح وامرأة لوط كانتا زوجتي نبيين صالحين، فخانتهما بالنفاق في أمر الدين، فكانت امرأة نوح تقول لقومها: إنه مجنون، وامرأة لوط تدل قومها على أضيافه، فلم يفيداها شيئاً نوح ووط، ولم ينفعهما كونهما زوجتي نبيين لإنقاذهما من عذاب الله، وقيل لهما عند موتهما: ادخلا النار مع الداخلين فيها من الكافرين، مثل قوم نوح وقوم لوط.

١١- وجعل الله مثلاً لحال المؤمنين في أن بيئة الكفر وصوله الكفار لا تضربهم، وفي ضرورة الثبات على الدين: امرأة فرعون التي آمنت بالله وبرسوله موسى، ولم تخش بأس فرعون، حين قالت: يا رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة، قريباً من رحمتك، وخلصني من طغيان فرعون وتعذيبه وعمله الشنيع، وخلصني من القوم الكافرين الظالمين أنفسهم وهم القبط الوثنيون أتباع فرعون.

١٢- وجعل الله مثلاً آخر لحال المؤمنين في الجمع بين كرامة الدنيا والآخرة مع كونها في بيئة عصاة: مريم ابنة عمران التي حفظت فرجها وصانته عن الفواحش، فنفضنا في فرجها أو في جيب درعها من روح خلقناه بلا توسط أب، فحملت بعيسى عليه السلام، وصدقت بشرائع الله وكتبه التي أنزلها على رسله، والتزمت وأمره واجتنبت نواهيه، وكانت من عداد الطائعين لله تعالى.

سورة المَلِكِ

فضلها: أخرج أحمد وأصحاب السنن الأربعة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: إن سورة في القرآن ثلاثين آية، شفعت لصاحبها، غفر له: ﴿تبارك الذي بيده الملك﴾.

١- تعالي قدره، وتعاضم خيره الذي بيده ملك السموات والأرض، وهو تام القدرة على كل شيء، لا يعجزه أمر من الأمور.

٢- الذي أوجد الموت وقدره أزلاً، وأوجد الحياة وقدرها، ليعاملكم معاملة المختبر لأعمالكم، أيكم أخلص عملاً لله وأطوعه، القوي الغالب الذي لا يغلبه شيء، الكثير المغفرة والستر للثانين.

٣- الذي أوجد سبع سموات متطابقة بعضها فوق بعض، ما تجد في خلق الرحمن من تناقض ولا تباین وتنافر وعدم تناسب، فردد البصر أو الطرف إلى السماء، وتأمل: هل تجد فيها من خلل أو تشقق وتصدع. و﴿من﴾ تفيد عموم نفي ما بعده، و﴿هل﴾ استفهام يراد به الإنكار، أي النفي، أي لا ترى.

٤- ثم أعد النظر إليهما مرة بعد مرة، يرجع إليك

البصر ذليلاً صاغراً عن رؤية عيب أو خلل، والبصر كليل منقطع، لم يدرك المطلوب بعد كثرة المراجعة.

٥- وتالله لقد زينا السماء الدنيا: القريبة من الأرض بكواكب مضيئة، وجعلناها راجمات للشياطين من الجن والإنس، أي مرجوماً بها كالحجارة، وأعدنا وهبانا لهم عذاب النار المستعرة.

٦- وأعدنا للكافرين الجاحدين بربوبية الله عذاب جهنم، وبئس المرجع الذي ينتظروهم وهو جهنم.

٧- إذا طرخوا في جهنم، سمعوا لها صوتاً منكراً شديداً كصوت الحمير عند بدء النهيق، وهي تغلي بهم كغليان الرجل. وقال بعضهم: المراد بالشهيق هنا: الحسيس (الصوت الخفي) المذكور في الآية (١٠٢) من سورة الأنبياء.

٨- تكاد تنقطع من شدة غيظها منهم- وهذا تمثيل لشدة غليانها-، كلما ألقى فيها جماعة من الكفرة، سألهم الملائكة الخزنة، أي الأعوان مالك وجماعته: ألم يأتكم رسول يحذركم من عذاب الله؟ والاستفهام توبيخي.

٩- قالوا في الجواب: بلى لقد أتانا رسول محذّر مخوف من عذاب الله، فكذبنا به، وقلنا: ما أنزل الله عليك شيئاً، ما أنتم أيها الرسل إلا في بُعد شديد عن الحق والصواب. و﴿من﴾ حرف يفيد عموم نفي ما بعده.

١٠- وقالوا أيضاً: لو كنا نسمع سماع تفهم من الرسل، أو ندرک منهم ما دعونا إليه ونتفكر في آيات الكون، ما صرنا الآن في عداد أهل النار ومن جملتهم.

١١- فأقروا بذنوبهم حيث لا فائدة من الإقرار، فبعداً لأهل النار من رحمة الله تعالى.

١٢- إن الذين يخافون عذاب ربهم في خلواتهم لهم مغفرة لذنوبهم وثواب عظيم وهو الجنة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمَلِكُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ
 وَالْحَيَاةَ لِيُبَدِّلَ أَلْوَانَكُمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْمُتَوَكِّلُ ﴿٢﴾ الَّذِي خَلَقَ
 سَبْعَ سَمَاوَاتٍ طِبَاقًا مَا تَرَى فِي خَلْقِ الرَّحْمَنِ مِنْ تَفَوتٍ فَإِذْ جَافَ الْبَصَرُ
 هَلْ تَرَى مِنْ فُطُورٍ ﴿٣﴾ ثُمَّ أَرْجَعُ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ يَنْقَلِبُ إِلَيْكَ الْبَصَرُ
 حَاسِبًا وَهُوَ حَسِيرٌ ﴿٤﴾ وَلَقَدْ زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِمَصْبُحٍ وَجَعَلْنَاهَا
 رُجُومًا لِلشَّيْطَانِ وَأَعَدْنَا لَهُمْ عَذَابَ السَّعِيرِ ﴿٥﴾ وَلِلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ
 عَذَابُ جَهَنَّمَ وَيُسَمَّى الْخَبِيرُ ﴿٦﴾ إِذَا نْفَخَ النُّفُوفَ إِسْمَعُوا لَهَا شَهيقًا وَهِيَ تَنْفُورُ
 ﴿٧﴾ تَكَادُ تَمَيَّرُ مِنَ اللَّعِيطِ كُلُّ أَلْفٍ مِنْهَا يَرْجِعُ سَاطِعًا لَهَا بِرَأْسِهِمْ يَدِيرُ
 ﴿٨﴾ قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ
 أَنْزَلَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ ﴿٩﴾ وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي
 أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿١٠﴾ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ فَتَمَّا لَا أَصْحَابِ السَّعِيرِ
 ﴿١١﴾ إِنَّ الَّذِينَ يُحْسِنُونَ رَبِّهِمْ بِأَلْقَابِ مَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَبِيرٍ ﴿١٢﴾



وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿١٣﴾
 يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ ﴿١٤﴾ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ
 الْأَرْضَ ذُلُولًا فَاسْتَوْفُوا فِي مَنَاجِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ
 ﴿١٥﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُجَسِّفَ بِكُمْ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ
 غُورٌ ﴿١٦﴾ أَمْ أَمِنْتُمْ مَنِ فِي السَّمَاءِ أَنْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا
 فَسَتَعْلَمُونَ كَيْفَ نَذِيرٍ ﴿١٧﴾ وَلَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ
 فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿١٨﴾ أَوْ لَوْ رَدُّوا إِلَى الظَّيْرِ فَوَهِمَهُ صَفْتٍ وَبَقِضْنَ
 مَا يَسْكُنُهُنَّ إِلَّا الرِّجْلُ إِلَيْهِ كُلُّ غَيْرٍ بِبَصِيرٍ ﴿١٩﴾ أَمْ نَحْنُ الَّذِي
 هُوَ جُنْدُكُمْ يَنْصُرُكُمْ مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُوبٍ
 ﴿٢٠﴾ أَمْ نَحْنُ الَّذِي يَرْزُقُكُمْ إِنْ أَمْسَكَ رِزْقَهُ بَلْ لَجُّوا فِي عُتُوٍّ
 وَنُفُورٍ ﴿٢١﴾ أَمْ نَحْنُ الَّذِي يَهْدِيكُمْ عَلَىٰ أَعْيُنِنَا وَأَنْتُمْ تَكْفُرُونَ
 عَلَيَّ صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٢٢﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ
 وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ هُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ
 فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلْ إِنَّمَا الْعِلْمُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴿٢٦﴾

١٣- ويا أيها الناس أخفوا كلامكم أو أعلنوه، إنه تعالى واسع العلم بضمائر وخفايا القلوب. قال ابن عباس: نزلت في المشركين كانوا يبالغون من رسول الله ﷺ، فيخبره جبريل عليه السلام بما قالوا فيه وقالوا منه، فيقول بعضهم لبعض: أسروا قولكم لتلا يسمع إله محمد.

١٤- ألا يعلم السر والجهر من أوجد الأشياء وخلقها، وهو العالم بدقائق الأمور، الخبير المطلع على ظواهر الأشياء وبواطنها؟ و﴿ألا﴾ الهمزة للاستفهام الإنكاري الفسيد للنفي، و﴿لا﴾ للنفي، ونفي النفي إثبات، والمراد أنه يعلم قطعاً.

١٥- الله تعالى هو الذي جعل لكم الأرض مثلثة سهلة العيش عليها والانتفاع بها، فامشوا في جوانبها وطرقها وسافروا في أنحائها، وكلوا مما رزقكم الله في الأرض، وإليه البعث من القبور للحساب والجزاء.

١٦- أأمتم الله الذي له السلطان في السماء- أي يجب ألا تأمنوا- أن يغور بكم الأرض ويفيكم فيها، كما فعل بقارون، فإذا هي تتحرك!؟

١٧- أأمتم الله الذي في السماء والمتصرف فيها أن يرسل عليكم ريحاً شديدة فيها حصابا ترميكم بها وتهلككم، فستعلمون عند معاينة العذاب كيف كان إنذاري بالعذاب أنه حق.

١٨- ولقد كذب كفار سابقون قبل مشركي مكة، فكيف كان إنكاري وغضبي لهم!؟

١٩- أو لم ينظر الكفار إلى الطير تطير فوقهم في الهواء باسقاط أجنحتها في الجو عند طيرانها تارة، وقابضات بضمها تارة أخرى، ما يسكنهن عن الوقوع في الخالتين إلا الرحمن بقدرته، إنه تعالى مبصر كل شيء، يعلم كيف يخلق الغرائب ويدبر العجائب.

٢٠- من هذا الذي هو جند لكم أعوان، ينصركم ويدفع العذاب عنكم من غير الرحمن، أي لا ناصر لكم، ما الكافرون الجاحدون إلا في حال غرور وخداع غرهم الشيطان بأن العذاب لا ينزل بهم. و﴿أمن﴾ أصلها (أم، من) و(أم) هنا بمعنى (بل) الدالة على الانتقال من توبيخ وتهديد على عدم التأمل إلى توبيخ وتهديد آخر.

٢١- من هذا الذي يرزقكم غير الله؟ إن حبس رزقه عنكم، بل عمادوا في تكبر عن قبول الحق، وإعراض عنه.

٢٢- ومثل الكافر والمؤمن مثل من يمشي ووجهه إلى أسفل، غارقاً في الضلالة والمعاصي وهو الكافر، أمو أرشد سيلاً، أم من يمشي معتدلاً منتصب القامة على طريق قويم، وهو المؤمن؟

٢٣- قل أيها النبي لكل من جحد بالله: الله الذي خلقكم، وأوجد لكم السمع الذي تسمعون به، والأبصار التي تبصرون بها، والقلوب التي تفكرون وتعقلون بها، ولا تشكرون ويحكم على هذه النعم إلا شكراً قليلاً.

٢٤- قل أيها الرسول: الله هو الذي خلقكم وكرّمكم في الأرض، وإليه تجمعون بالبعث من القبور للحساب.

٢٥- ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء والتهمك: متى هذا الحشر أو إيقاع العذاب الذي تهددونا به إن كنتم صادقين في قولكم أيها المؤمنون، فأخبرونا به!؟

٢٦- قل أيها الرسول: إنما العلم بوقت حدوث الساعة عند الله، وإنما أنا محذّر موضع غاية الإيضاح.

فَلَمَّا رَأَوْهُ زُلْفَةً سَيِّئَتْ رُبُوعُهُ الَّذِينَ كَفَرُوا وَقِيلَ هَذَا الَّذِي
 كُنتُمْ بِهِ تَدْعُونَ ﴿٢٧﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَمْلَكْنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ
 أَوْ رَحِمْنَا فَمَا نَحْبُرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ قُلْ هُوَ
 الرَّحْمَنُ أَمَّنَّا بِهِ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا فَسْتَعْمَلُونَ مِنْ هُوَ فِي صَلَاتِ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٢٩﴾ قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ ﴿٣٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 ت وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ ﴿١﴾ مَا أَنْتَ بِمُعْجِزٍ لِمَنْ يَحْسَبُونَ ﴿٢﴾ وَإِنَّكَ
 لَأَنْجَزٌ مُبْتَلٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَلْقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾ فَصَبِّرْ وَصَبِرُونَ
 ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا الْمُتَّقُونَ ﴿٦﴾ إِنْ رَبُّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ
 وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٧﴾ فَلَا تَطْعُ الْمُكَذِّبِينَ ﴿٨﴾ وَذُو لُؤْلُؤٍ هُنَّ
 مَبْدُوهُونَ ﴿٩﴾ وَلَا تَطْعُ كُلَّ جَلَّافٍ مَهِينٍ ﴿١٠﴾ هَذَا نَسَاءٌ يَجْمَعْنَ
 ﴿١١﴾ مَتَاعًا لِلْغَيْرِ مَعْتَدِينَ ﴿١٢﴾ عَلَّيْ رَبِّكَ ذَلِكَ نَزِيمٌ ﴿١٣﴾ أَنْ كَانَ ذَا
 مَالٍ وَبَنِينَ ﴿١٤﴾ إِذَا تَنَبَّأَ عَلَيْهِ إِسْتَأْذَنَ قَالَ سَطِيرًا لِأُولَئِكَ ﴿١٥﴾



٢٧- فلما رأوا العذاب الموعود به قريباً، غشيت وجوه الكفار ما يسوؤها واسودت وعلتها الكآبة، وقيل لهم توبيخاً من الخزنة: هذا هو العذاب الذي كنتم تطالبون استهزاء واستنكاراً. وعبر بفعل (رأى) الماضي عن المستقبل لإفادة تحققه كأنه حصل فعلاً. وزلفة: مصدر، ومعناه قريباً.

٢٨- قل أيها الرسول: أخبروني إن أماني الله ومن معي من المؤمنين، أو رحمتنا بتأخير آجالنا، فمن ينجي الكافرين من عذاب مؤلم؟ أي لا ينجيهم أحد. روي أن كفار مكة كانوا يدعون على رسول الله ﷺ وعلى المؤمنين بالهلاك، فنزلت الآية.

٢٩- قل: هو الله الرحمن صدقنا به إلهاً واحداً، لا نشرك به شيئاً، وعليه لا غيره اعتمدنا وفوضنا إليه أمورنا، فستعلمون أيها المشركون من هو في بُعد واضح عن الصواب منا ومنكم.

٣٠- قل: أخبروني إن أصبح ماؤكم غائراً ذاهباً في جوف الأرض، فمن الذي يأتيكم بماء ظاهر جارٍ كثير؟ الله رب العالمين. و «غوراً»: مصدر، أي غائراً.

سورة القلم

فضلها: هذه السورة من أوائل ما نزل من القرآن بمكة، فقد نزلت كما قال ابن عباس: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ ثم هذه، ثم الزمل، ثم المدثر.

١- نون: للتحدي بالإتيان أو بعضه مادام مركباً من أمثال هذا الحرف، وهو مادة لغتهم التي يتفاخرون بأنهم أفصح الناس فيها. أقسم بالقلم الذي يكتبون، يكتب به الناس، والملائكة التي تكتب أعمال الخلق. وهو تعظيم لشأن الكتابة أداة العلم.

٢، ٣- ما أنت أيها الرسول بسبب نعمة ربك عليك بالرسالة والنبوة بمجنون، أي كما زعم المشركون. والمراد: انتفى عنك الجنون. أخرج ابن المنذر عن ابن جريح قال: كانوا يقولون للنبي ﷺ: إنه مجنون، ثم شيطان، فنزلت: ﴿ما أنت بنعمة ربك بمجنون﴾. وإن لك لثواباً غير منقطع.

٤- وإنك أيها الرسول لعلى خلق عظيم أدبك به ربك في القرآن. سئلت عائشة رضي الله عنها- كما ثبت في الصحيح عن خلقه، فقالت: كان خلقه القرآن، ألسنته قرأ القرآن: ﴿قد أفلح المؤمنون﴾ [المؤمنون ١/٢٣] إلى عشر آيات.

٥، ٦- فصبّر أيها الرسول ويصبر الكفار عند تبيين الحق يوم القيامة، بأي منكم الجنون، أبلك أم بهم؟ ٧، ٨- إن ربك أيها الرسول هو أعلم بمن هو الخائف عن دينه، وهو أعلم بالمهتدين إلى طريقه المؤدي إلى السعادة، الفائزين، والمعنى: بل هم الضالون التائهون الزائفون. فلا تطع أيها النبي المكذبين بآيات الله وبرسالتك.

٩- تمنوا أن تلين لهم في تعظيم آلهتهم، فيلينون لك بترك الطعن برسالتك الموافقة. و «لو»: حرف يجعل الفعل بعده في حكم المصدر.

١٠- ولا تطع كل كثير الحلف في الحق والباطل، وهو الوليد بن المغيرة، حقيير الرأي.
 ١١، ١٢- كثير العيب للناس، وكثير المشي بالنعمة للإفساد بين الناس. بخيل بالمال، ظالم، كثير الإثم والذنب.
 ١٣، ١٤- جاف غليظ، دعي في قرش. ألكونه ذا مال وبنين؟
 ١٥- إذا تتلى عليه آيات القرآن، قال: خرافات وأباطيل الأقدمين.

سَسْبِعُ عَلَى الْخُرطوم ﴿١٦﴾ إِنَّا بَوَّأْنَهُمْ كَبُلُوًّا أَحْمَبًا خِرْجَةً إِذْ أَقْبَمُوا
لَصْرُْمُنْهَا مُصْبِحِينَ ﴿١٧﴾ وَلَا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِّنْ
رَّبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ﴿١٩﴾ فَأَصْبَحَتِ كَالْعَصْرِ ﴿٢٠﴾ فَمَا دَوَّ الصُّبْحُ ﴿٢١﴾
أَنَّا عَلَّمْنَا عَلَىٰ حَرْكِكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰرِمِينَ ﴿٢٢﴾ فَأَنظَلْنَاهُمْ وَأَوْهَرَّ مَجْشُونَ ﴿٢٣﴾
أَن لَّا يَدْخُلَهَا الْيَوْمَ عَلَيْكُمْ مَسْكِينٌ ﴿٢٤﴾ وَفَدَّوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَدِيرِينَ ﴿٢٥﴾
فَمَا رَأَوْهَا قَالُوا إِنَّا لَأَصْٰلُونَ ﴿٢٦﴾ لَيْسَ مِحْرَمُونَ ﴿٢٧﴾ نَالُوا وَسْطَهُمْ
أَلَّا قُلْ لَكُمْ وَلَا تَسْتَوُونَ ﴿٢٨﴾ قَالُوا سُبْحٰنَ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ﴿٢٩﴾ فَأَقْبَلَ
بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتْلَمُونَ ﴿٣٠﴾ قَالُوا يٰوَيْلَنَا إِنَّا كَانُوا ظٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ عَسَىٰ
رَبِّنَا أَن يَّبْدِلَنَا حَرْدَ رَبِّنَا إِلَىٰ إِنَّا رَبِّنَا رٰغِبُونَ ﴿٣٢﴾ ذٰلِكَ الْعَذَابُ وَالْعَذَابُ
الْآخِرَةُ أَكْرَهُوا كَمَا يُقُولُونَ ﴿٣٣﴾ إِنَّا لِلَّيْقِينَ عِنْدَ رَبِّهِمْ حَسْبُ الْعَيْبِ
﴿٣٤﴾ أَفَجَعَلَ الْمَسْلُومِينَ الظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ
لَكُمْ كَيْفَ فِيهِ تَتَرَسَّوْنَ ﴿٣٧﴾ إِنَّا لَكُمْ فِيهِ لَمَا خَشَرْتُمْ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَكُمْ أَيْمٰنٌ
عَلَيْنَا بَلِّغُوا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيٰمَةِ إِنَّا لَكُمْ لَمَّا تَحْكُمُونَ ﴿٣٩﴾ سَلَّمْتُمْ أَنفُسَكُمْ
بِذٰلِكَ زَعِيمًا ﴿٤٠﴾ أَمْ لَمْ تُشْرِكُوا فَمَا أَوَّٰسُوا شُرَكَاءَهُمْ إِن كَانُوا صٰدِقِينَ ﴿٤١﴾
يَوْمَ كُفِّتْ عَنْ سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ ﴿٤٢﴾

١٦ - سنجعل له سمة، أي علامة على أنه يميز بها ما عاش، فحطم أنف الوليد بن المغيرة بالسيف يوم بدر.
١٧ - إنا امتحننا أهل مكة بالقيظ والجوع وغيرهما من ألوان البلاء والآفات، كما امتحننا أصحاب البستان حين حلقوا ليقطعن ثمرة بستانهم وقت الصباح، كيلا يشعروا بهم المساكين، فلا يعطونهم شيئا، كما كان يفعل أبوهم.
١٨ - ولا يتنون استثناء شيء من حق المساكين، أو لا يقولون في بينهم: إن شاء الله.
١٩ - فأحاط أو أصاب البستان بلاء محيط بها من عذاب ربك، وهو نار أحرقتها، وهم نيام ليلا.
٢٠، ٢١ - فأصبح البستان (الجنة) محترقا أسود كالليل، وتلف ثمرة. فنادى بعضهم بعضاً في الصباح.
٢٢ - أن اخرجوا مبكرين في الصباح إلى الثمار والزروع، إن كنتم مريدين الصرم، أي الحصاد وقطع الثمار واغدوا: اذهبوا وقت الغدوة: وهو وقت الصباح الباكر. والحرت: ما تنتجه الأرض من ثمار الأشجار والزروع.
٢٣ - فانطلقوا إلى بستانهم، وهم يتسارون فيما بينهم ويتناجون حتى لا يسمعه أحد.
٢٤ - أن لا يدخل الجنة (البستان) اليوم عليكم مسكين أو فقير. و (أن) مقسرة لما به التخافت.
٢٥ - وساروا غدوة (ما بين صلاة الغداة إلى طلوع الشمس) على تصميم، قادرين على الصرم في ظنهم.
٢٦ - فلما رأوا الجنة سوداء محترقة، قالوا: إنا نتائهن، فليست هذه جنتنا.
٢٧ - ثم قالوا: لسا بتائهن، بل نحن ممنوعون ثمرتها لعزما على منع المساكين حقهم. و ﴿بل﴾ للرجوع عما قبله، والاعتراف بما بعده.
٢٨ - قال أعدلهم وخيرهم عقلاً وديناً: ألم أقل لكم: هلا تذكرون الله وتستغفرونه من فعلكم، فلا تفعلوا ما يفضبه.
٢٩ - قالوا: تنزه ربنا عن أن يكون ظالماً لنا، فذلك بسبب ذنبا، إنا كنا ظالمين أنفسنا بمنع الفقراء حقهم.
٣٠ - فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل واحد منهم الآخر على قصلهم السعي.
٣١ - قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا متجاوزين حدود الله في منعا حقوق المساكين.
٣٢ - لعل ربنا أن يبدلنا خيراً من جنتنا ببركة التوبة والاعتراف بالخطية، إنا إلى ربنا طالوبون منه العفو والخير.
٣٣ - مثل ذلك العذاب لهؤلاء أصحاب الجنة عذاب الدنيا، ولعذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون نوع العذاب الآخري، لاحتزروا عن موجب العذاب.
٣٤، ٣٥ - إن للمتقين عند ربهم في الآخرة جنات يتعمون فيها على الدوام. أفجعل المسلمين مثل الكافرين في المنزلة والجزاء!؟
٣٦، ٣٧ - أي خيل أصابكم، كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد: وهو التسوية بين الطائعين والعصاة؟ ﴿كيف﴾ اسم استفهام يراد به التعجب. أم لكم كتاب منزل من عند الله فيه تفرؤون وتجدون الطبع كالعاصي؟. و ﴿أم﴾ أي بل ألكم؟
٣٨ - إن لكم في ذلك الكتاب ما تختارونه وتشتهونه من الأحكام وخيري الدنيا والآخرة.
٣٩ - أم لكم عهد مؤكدة فيها التوثق من دخول الجنة، تحمكون به لأنفسكم!؟
٤٠ - سلمهم أيها الرسول توييخاً وتقريباً أيهم كقبل لهم بذلك الحكم وهو تحصيل ثواب الآخرة كالمسلمين.
٤١ - بل ألهم شركاءه بزعيمهم قادرين على تسويتهم بالمسلمين، فليأتوا بشركائهم الكافلين إن كانوا صادقين في دعواهم.
٤٢ - يوم شدة الهول وهو يوم القيامة، فالكشف عن الساق كناية عن يوم الشدة، ويطلب منهم السجود توييخاً على تركهم السجود في الدنيا، فلا يستطيعون ذلك لذهاب الوقت وزوال القدرة عليه.

٢٧ - ثم قالوا: لسا بتائهن، بل نحن ممنوعون ثمرتها لعزما على منع المساكين حقهم. و ﴿بل﴾ للرجوع عما قبله، والاعتراف بما بعده.
٢٨ - قال أعدلهم وخيرهم عقلاً وديناً: ألم أقل لكم: هلا تذكرون الله وتستغفرونه من فعلكم، فلا تفعلوا ما يفضبه.
٢٩ - قالوا: تنزه ربنا عن أن يكون ظالماً لنا، فذلك بسبب ذنبا، إنا كنا ظالمين أنفسنا بمنع الفقراء حقهم.
٣٠ - فأقبل بعضهم على بعض، يلوم كل واحد منهم الآخر على قصلهم السعي.
٣١ - قالوا: يا هلاكنا، إنا كنا متجاوزين حدود الله في منعا حقوق المساكين.
٣٢ - لعل ربنا أن يبدلنا خيراً من جنتنا ببركة التوبة والاعتراف بالخطية، إنا إلى ربنا طالوبون منه العفو والخير.
٣٣ - مثل ذلك العذاب لهؤلاء أصحاب الجنة عذاب الدنيا، ولعذاب الآخرة أعظم من عذاب الدنيا، لو كانوا يعلمون نوع العذاب الآخري، لاحتزروا عن موجب العذاب.
٣٤، ٣٥ - إن للمتقين عند ربهم في الآخرة جنات يتعمون فيها على الدوام. أفجعل المسلمين مثل الكافرين في المنزلة والجزاء!؟
٣٦، ٣٧ - أي خيل أصابكم، كيف تحكمون هذا الحكم الفاسد: وهو التسوية بين الطائعين والعصاة؟ ﴿كيف﴾ اسم استفهام يراد به التعجب. أم لكم كتاب منزل من عند الله فيه تفرؤون وتجدون الطبع كالعاصي؟. و ﴿أم﴾ أي بل ألكم؟
٣٨ - إن لكم في ذلك الكتاب ما تختارونه وتشتهونه من الأحكام وخيري الدنيا والآخرة.
٣٩ - أم لكم عهد مؤكدة فيها التوثق من دخول الجنة، تحمكون به لأنفسكم!؟
٤٠ - سلمهم أيها الرسول توييخاً وتقريباً أيهم كقبل لهم بذلك الحكم وهو تحصيل ثواب الآخرة كالمسلمين.
٤١ - بل ألهم شركاءه بزعيمهم قادرين على تسويتهم بالمسلمين، فليأتوا بشركائهم الكافلين إن كانوا صادقين في دعواهم.
٤٢ - يوم شدة الهول وهو يوم القيامة، فالكشف عن الساق كناية عن يوم الشدة، ويطلب منهم السجود توييخاً على تركهم السجود في الدنيا، فلا يستطيعون ذلك لذهاب الوقت وزوال القدرة عليه.

خَسِفَةٌ أَبْصَرُ مِنْهُمْ هُزْلَةٌ وَقَدْ كَانُوا يَدْعُونَ إِلَى الْبُحُورِ وَهُمْ سَائِمُونَ
 ﴿٣٦﴾ فَذَرْنِي وَمَنْ كَذَّبَ بِهَذَا الْحَدِيثِ سَسُدَّ رِجْمُهُمْ مِنْ حَيْثُ
 لَا يَبْلُغُونَ ﴿٣٧﴾ وَأَمَّا لِمِثْلِهِ الْقِيَمَةُ ﴿٣٨﴾ أَمْ سَأَلْتَهُمُ أَجْرًا فَهُمْ
 مِنْ مَعْرُوفٍ مُنْقَلُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ عِنْدَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكِيدُونَ ﴿٤٠﴾ فَأَصْدِرْ
 لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُنْ كَصَاحِبِ الْحُوتِ إِذْ نَادَى وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤١﴾ لَوْلَا
 أَنْ نَذِّكَرُهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَشَدَّ الْقَلْبُ وَهُوَ ذَمُّهُ ﴿٤٢﴾ فَأَجِبْهُ رَبِّيْ يُجِيبُهُ
 مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿٤٣﴾ وَإِنْ كَادَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُفْلِتُوا بِأَبْصَارِهِمْ لَمَّا
 سَمِعُوا الْقُرْآنَ وَقِيلَ لَهُمْ لَنْ يَحْجُونَ ﴿٤٤﴾ وَمَا هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٤٥﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 الْحَاقَّةُ ﴿١﴾ مَا الْحَاقَّةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَدْرَاكَ الْحَاقَّةُ ﴿٣﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِعَادٍ
 بِالْقَارِعَةِ ﴿٤﴾ فَأَمَّا ثَمُودُ فَأَهْلِكُوا ﴿٥﴾ وَالْقَارِعَةُ ﴿٦﴾ وَأَمَّا عَادُ فَأَهْلِكُوا بِيْرِحٍ
 صَرَصَرٍ عَالِيَةٍ ﴿٧﴾ سَمِعُوا عَالِيَةً سَبْعَ لَيَالٍ وَغَمَّاهُمْ حُسُومًا فَفَرَى الْقَوْمُ
 فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَجْمَارٌ مِّنْ نَّخْلِ فَاطَمَ ﴿٨﴾ فَهَلْ رَأَى لَهِدْرًا مِّنْ بَاقِيَةٍ ﴿٩﴾



٤٣- ذليلة أبصارهم متكسرة لا يرفعون طرفهم،
 تغشاهم وتلحقهم ذلة شديدة وحسرة، وقد كانوا
 يدعون في الدنيا إلى أداء السجود، وهم أصحاب
 متكئون.
 ٤٤- فدعني أيها النبي واترك لي أمر عقاب هؤلاء
 المكذبين بهذا القرآن، سنأخذهم بالعذاب تدريجياً، وهم
 في غفلة من حيث لا يعلمون أن ذلك استدراج؛ لأنهم
 يظنونهم إنعاماً.
 ٤٥- وأمهلهم وأطيل لهم المدة، فلا أعاجلهم
 بالعقوبة، إن تدريبي وعذابي شديد لا يطاق.
 ٤٦- بل أسألهم أيها الرسول على تبليغ الرسالة أجرة
 أو مقابلاً لدعوتهم إلى الإيمان، فهم من عُرم وتقل ذلك
 الأجر محمولون أنقلاً، فيعرضون عنك، ولا يؤمنون
 برسالتك؟!
 ٤٧- بل أعندهم علم الغيب أو اللوح المحفوظ الذي
 فيه الغيب، فهم يكتبون منه ما يقولون، ويحكمون بما
 يريدون؟!
 ٤٨- فاصبر أيها النبي لقضاء ربك، ولا تكن كيونس
 عليه السلام الذي ابتلعه الحوت في الضجر والعجلة،
 حين دعا ربه، وهو مملوء غيظاً وغماً.
 ٤٩- لولا أن أدركت يونس عليه السلام رحمة من
 الله؛ وهي توفيقه للتوبة وقبولها، لطرحت من بطن الحوت

في الأرض الخالية من الشجر والزرع، وهو مملوم غير مكرم.
 ٥٠- فاختره ربه للنبوة مرة ثانية، فجعله من الأنبياء الكاملين في الصلاح حين رده إلى قومه الذين آمنوا.
 ٥١- ويقرب الكفار بنظراتهم إليك حين قراءة القرآن أن ينظروا إليك نظرة مليئة بالعداوة والبغضاء والغيظ حين سمعوا
 القرآن يتلى، ويقولون حسداً وعداوة: إن محمداً لمجنون في ادعائه نزول قرآن عليه من السماء.
 ٥٢- وما هذا القرآن إلا تذكير نافع وموعظة شافية لجميع العالمين من الإنس والجن، فلا يحدث بسببه جنون.

سورة الحاقة

- ١، ٢- الحاقة: هي القيامة الثابتة المحيية، مثل الواقعة والطامة، والغاشية، والصاخة، والقارعة، من حق الشيء: وجب وثبت، وهي واجبة الحصول. أي شيء هي الحاقة في أوصافها؟ المراد تهويل الشيء المتحدث عنه.
- ٣- وأي شيء أعلمك ما هي القيامة؟ أي لا سبيل لك إلى معرفة وقتها وإدراك كنهها.
- ٤- كذبت قبيلة ثمود قوم صالح، وقبيلة عاد قوم هود بالقيامة التي تقرع الناس بأهوالها.
- ٥- فأما قبيلة ثمود فأهلكوا بالواقعة التي جاوزت الحد في الشدة والقوة، وهي الصيحة أو الرجفة (الصاعقة).
- ٦- وأما قبيلة عاد فأهلكوا بريح شديدة الصوت والبرد والسرعة، شديدة القوة في التدمير.
- ٧، ٨- سلطها الله عليهم بقدرته طوال مدة سبع ليالٍ وثمانية أيام متتابعة، تحمسهم أي تفنهم، فترى القوم فيها هلكى موتى مطروحين، كأنهم أصول نخل ساقطة فارغة. فهل تجد لهم من نفس باقية؟! لقد ماتوا جميعاً.

٩- وجاء فرعون طاغية مصر ومن تقدمه من الأمم الكافرة، والموتفكات: أهل قري قوم لوط بالفعلة الخاطئة وهي الشرك والفاحشة وغيرها من المعاصي.
 ١٠- فعصى كل قوم رسول ربهم، فلم يؤمنوا بدعوته، فأخذهم الله أخذة زائدة في الشدة.
 ١١- إننا لما ارتفع الماء وعلا كل شيء من الجبال وغيرها زمن الطوفان في عهد نوح عليه السلام، حملنا أصولكم في السفينة التي تجري فوق الماء، وهي سفينة نوح.
 ١٢- لنجعل لكم تلك الفعلة بإنحاء المؤمنين وإهلاك الكافرين عظة، ونحفظها أذن حافظه.
 ١٣- فلماذا نفخ إسرائيل في الصور (البوق) النفخة الأولى لخراب العالم، وبدء القيامة.
 ١٤- ورفعت الأرض والجبال من أماكنها، فدفنا أو كسرنا كسرة واحدة، فصارت أرضاً مستوية.
 ١٥، ١٦- فيومئذ قامت القيامة. وتشفقت السماء وتفرقت أجزاءها، فهي يومئذ ضعيفة.
 ١٧- والملائكة على جوانب السماء وأطرافها، ويحمل عرش ربك فوق رؤوسهم يوم القيامة ثمانية أملاك.
 ١٨- يومئذ تعرضون على الله للحساب، لا يخفى شيء من سائركم وأعمالكم على الله تعالى.
 ١٩- فأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بيمينه، فيقول سروراً: خذوا اقروا كتابي، فقد نجوت. وهاء «كتابه» و «ماليه» و «سلطانيه» هاء السكت، وهي حروف يلحقها العرب بالكلمة إذا أرادوا السكوت بعدها.
 ٢٠- إني علمت وتيقنت في الدنيا أنني أحاسب في الآخرة، ومعين حسابي.
 ٢١- فهو في عيشة مرضية، يرضى بها أصحابها.
 ٢٢، ٢٣- في جنة مرتفعة المكان والدرجات. ثمارها قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.
 ٢٤- يقال لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً لا تنغيص فيه بسبب ما قدمتم في الدنيا من الأعمال الصالحة.
 ٢٥- وأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بشماله، فيقول حزناً وأسفاً: يا ليتني لم أعط كتابي.
 ٢٦- ولم أعلم أي شيء من حسابي.
 ٢٧- يا ليت الموتة التي متتها في الدنيا كانت القاطعة لأمري وحياتي، فلم أبعث بعدها.
 ٢٨- ما أفادني مالي شيئاً في دفع عذاب الله تعالى.
 ٢٩- هلكت عني حجتي، وضلت عني، أو زال عني ملكي وسلطاني على الناس.
 ٣٠- يقال لخزنة جهنم: خذوه فأدخلوه النار مشدوداً في الأغلال، بجمع يده إلى عنقه.
 ٣١- ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها ويحترق بها.
 ٣٢- ثم اربطوه وأدخلوه جهنم في سلسلة طولها سبعون ذراعاً بذرّاع المملك، والمراد أنها سلسلة طويلة.
 ٣٣- إنه كان لا يصدق بوجود الله العظيم ويوحده.
 ٣٤- ولا يبحث الناس على إطعام المحتاج من فقير أو مسكين.

وجاء فرعون ومن قبله والمؤمنات بالخطاة ﴿١﴾ فصوّرنا رسول ربهم فأخذهم أخذة زائلة ﴿٢﴾ إنما أطفا الماء حملناكم في الجارية ﴿٣﴾ ليصعها لكم تذكرة وتعيها أذن وعبرة ﴿٤﴾ فإذا نفخ في الصور نفخة واحدة ﴿٥﴾ وحملت الأرض والجبال فدكا دكة واحدة ﴿٦﴾ فيومئذ وقعت الواقعة ﴿٧﴾ وانشقت السماء فهي يومئذ واهية ﴿٨﴾ والملك على أرجائها ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثمانية ﴿٩﴾ يومئذ تعرضون لا تخفى منكم حسابية ﴿١٠﴾ فأما من أوفى كتابه بيمينه فيقول هاؤم أوفوا وكيبية ﴿١١﴾ إني ظننت أني ملني حسابية ﴿١٢﴾ فهو في عيشة راضية ﴿١٣﴾ ورجة عالية ﴿١٤﴾ فطوفها زائلة ﴿١٥﴾ كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية ﴿١٦﴾ وأما من أوفى كتابه بشماله فيقول ليتني لو أوتيت كتابية ﴿١٧﴾ ولو أدر ما حسابية ﴿١٨﴾ ليتها كانت ناقصة ﴿١٩﴾ ما أغنى عني ماليه ﴿٢٠﴾ هالك عني سلطانية ﴿٢١﴾ خذوه فعلاؤه ﴿٢٢﴾ ثم ليحجم صلاؤه ﴿٢٣﴾ ثم في سلسلة دزرها سبعون ذراعاً فأسلكوه ﴿٢٤﴾ إنو كان لا يؤمن بالله العظيم ﴿٢٥﴾ ولا يحص على طعام المسكين ﴿٢٦﴾

١٩- فأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بيمينه، فيقول سروراً: خذوا اقروا كتابي، فقد نجوت. وهاء «كتابه» و «ماليه» و «سلطانيه» هاء السكت، وهي حروف يلحقها العرب بالكلمة إذا أرادوا السكوت بعدها.
 ٢٠- إني علمت وتيقنت في الدنيا أنني أحاسب في الآخرة، ومعين حسابي.
 ٢١- فهو في عيشة مرضية، يرضى بها أصحابها.
 ٢٢، ٢٣- في جنة مرتفعة المكان والدرجات. ثمارها قريبة، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.
 ٢٤- يقال لهم: كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً لا تنغيص فيه بسبب ما قدمتم في الدنيا من الأعمال الصالحة.
 ٢٥- وأما من أعطي كتابه (صحيفة أعماله) بشماله، فيقول حزناً وأسفاً: يا ليتني لم أعط كتابي.
 ٢٦- ولم أعلم أي شيء من حسابي.
 ٢٧- يا ليت الموتة التي متتها في الدنيا كانت القاطعة لأمري وحياتي، فلم أبعث بعدها.
 ٢٨- ما أفادني مالي شيئاً في دفع عذاب الله تعالى.
 ٢٩- هلكت عني حجتي، وضلت عني، أو زال عني ملكي وسلطاني على الناس.
 ٣٠- يقال لخزنة جهنم: خذوه فأدخلوه النار مشدوداً في الأغلال، بجمع يده إلى عنقه.
 ٣١- ثم أدخلوه الجحيم ليقاسي حرها ويحترق بها.
 ٣٢- ثم اربطوه وأدخلوه جهنم في سلسلة طولها سبعون ذراعاً بذرّاع المملك، والمراد أنها سلسلة طويلة.
 ٣٣- إنه كان لا يصدق بوجود الله العظيم ويوحده.
 ٣٤- ولا يبحث الناس على إطعام المحتاج من فقير أو مسكين.



٣٥، ٣٦- فليس له اليوم ما هنا قريب مشفق يحميه أو صديق يتفجع به. وليس له طعام إلا من صديد أهل النار وما يسيل منهم من فيح أو دم.
٣٧- لا يأكله إلا الكافرون أصحاب الخطايا.
٣٨، ٣٩- أقسم بكل شيء تشاهدونه، وما لا تشاهدونه من الموجودات.

٤٠- إن هذا القرآن لقول وتلاوة رسول كريم عند الله مبلغاً عن ربه، وهو جبريل أو محمد عليهما السلام. قال مقاتل في سبب نزول الآيات [٣٨- ٤٠]: إن الوليد بن المغيرة قال: إن محمداً ساحر، وقال أبو جهل: شاعر، وقال عقبه: كاهن، فقال الله عز وجل: ﴿فلا أقسم..﴾ أي أقسم.

٤١- وليس هو بقول شاعر؛ لأن الرسول ﷺ ليس بشاعر، تؤمنون أيها المشركون إيماناً قليلاً.

٤٢- وليس هو بقول كاهن؛ وهو الذي يدعي علم الغيب، قليلاً ما تتعظرون وتأملون بهذا القرآن.

٤٣- إنه- أي القرآن- تنزيل من الله رب العالمين.

٤٤- ولو تقول أي افتري محمد بعض الأقوال المكذوبة أو الباطلة من عند نفسه ونسبها إلينا.

٤٥، ٤٦- لعاقبناه وانتقمنا منه بقوة، أو لأخذنا بيده اليمنى يباهنا بالغة. ثم لقطعنا منه العرق المتصل بقلبه أي أمته، وهذا تصوير لإهلاكه بأشنع صورة.

٤٧- فليس أحد منكم عنه مانعين أو دافعين، يمنعنا من عقابه، أو ينقذه منا، فكيف يكذب على الله؟

٤٨- وإن هذا القرآن لعظة لمن يلتزمون أوامر الله ويخافون عقابه ويجتنبون معاصيه، وخص أهل التقوى؛

فَلَيْسَ لَهُ يَوْمَ مَهْتَابٍ ﴿٣٥﴾ وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غَشَايِنَ ﴿٣٦﴾ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴿٣٧﴾ فَلَا أَقْسَمُ بِمَا تُبْصِرُونَ ﴿٣٨﴾ وَمَا الْأَبْصُرُونَ ﴿٣٩﴾ إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ﴿٤٠﴾ وَهُوَ يُقُولُ سَاعِرٌ قَلِيلًا مَا تَأْمِنُونَ ﴿٤١﴾ وَلَا يَقُولُ كَاهِنٌ قَلِيلًا مَا تُدْرِكُونَ ﴿٤٢﴾ نَزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٣﴾ وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضُ الْأَقَاوِيلِ ﴿٤٤﴾ لَأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٥﴾ ثُمَّ لَقَطَفْنَا مِنْهُ الْآوِينَ ﴿٤٦﴾ فَمَا تَنْكَبُونَ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِرِينَ ﴿٤٧﴾ وَاللَّهُ لَتَدْرِكُهُ بِالْيَمِينِ ﴿٤٨﴾ وَأَنَّا لَنَعْلَمُ أَنَّ مِنْكُم مَّكَذِبِينَ ﴿٤٩﴾ وَأَنَّهُ لَحُسْرَةٌ عَلَى الْكَافِرِينَ ﴿٥٠﴾ وَاللَّهُ يَخْتِمْ الْقَلَمِينَ ﴿٥١﴾ فَسَمِعْ بِأَتْمِ رَبِّكَ الْعُتْمِ ﴿٥٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سَأَلَ سَائِلٌ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ﴿١﴾ لِّلَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ بَأْسٌ ﴿٢﴾ مِن نَّوَالِدِ الْمَعَارِجِ ﴿٣﴾ تَرْجِعُ الْمَلَكُةَ أَرْوَاهُ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ جِمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾ فَاصْبِرْ صَبْرًا جِجَالًا ﴿٥﴾ إِنَّهُمْ يَرْتَدَّوْنَ بِعِيدٍ ﴿٦﴾ لَّيْلًا نُّورِيًّا ﴿٧﴾ يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْعِجَالِ الْمُهْلَمِ ﴿٨﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ ﴿٩﴾ وَلَا يَسْأَلُ حَرِيمٌ جِيمًا ﴿١٠﴾

لأنهم المتضمنون بالتذكرة.

٤٩- ولئنا لنعلم أن منكم أو بعضهم أيها الناس يكذب بهذا القرآن، فنحن مجازيه.

٥٠- وإن هذا القرآن يكون سبب حسرة وندامة لهم يوم القيامة إذا رأوا ثواب المؤمنين.

٥١- وإن هذا القرآن لهو اليقين الحق الثابت الذي لا ريب فيه، وهو ما يدرك بالحواس أو الوجدان.

٥٢- فتره الله تعالى عن كل ما لا يليق به أيها النبي وكل من آمن بك، والعظيم: الذي يتضاءل أمام عظمته كل شيء، و﴿باسم﴾ أي ذات الله، والباء زائفة.

سورة المعارج

- ١- طلب استهزاء طالب من صناديد الكفر بمكة إزال عذاب واقع مما حذر منه محمد بن عبد الله ﷺ.
- ٢- واقع كائن للكافرين لا يدفعه ولا يمنه أحد. أخرج النسائي وابن أبي حاتم عن ابن عباس أنه قال: هو النضر بن الحارث، قال: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فأمطر علينا حجارة من السماء﴾ [الأنفال / ٨ / ٣٢].
- ٣- واقع من الله صاحب المصاعد، أي الدرجات التي تصعد فيها الملائكة.
- ٤- تصعد إلى الله الملائكة وجبريل عليه السلام في يوم القيامة، مقداره لغير الملائكة خمسون ألف سنة من سنوات الدنيا، لو صعد فيها غير الملك، إشعاراً بشدة أهواله.
- ٥- فاصبر أيها النبي على تكذيبهم لك صبراً لا يخالطه شجر ولا شكوى لمخلوق.
- ٦، ٧- إن هؤلاء المشركين يظنون ذلك اليوم بعيد الحصول، محالاً. ونراه قريباً من الوقوع؛ لأن كل ما هو آت قريب.
- ٨- يوم تكون السماء كالمدن الأحمر اللذاب من النحاس والرصاص والفضة ونحوها.
- ٩، ١٠- وتكون الجبال كالصوف المنفوش. ولا يسأل قريب قريبه عن شأنه، لاشتغال كل واحد بحاله.

١١- يُعْرَفُ كل حميم بحميمه، أي من الله سبحانه، فلا يلتفت إليه لشدة الهول، يحب الكافر ويتمنى اقتداء نفسه من عذاب القيامة الذي نزل به وأبوالاده. و (لو) حرف يجعل الفعل بعده في قوة المصدر أي اقتداء نفسه.

١٢، ١٣- يشتديه أيضاً بزوجته وأخيه. وهؤلاء أعز الناس لديه. وعشيرته التي تضمه ويأوي إليها عند الشنائد.

١٤- ويود لو يفتدي نفسه بجمع من في الأرض من الثقلين: الجن والإنس، ثم لو ينجيه الاقتداء من العذاب. و ﴿ثم﴾ للاستبعاد.

١٥، ١٦- ﴿كلا﴾: ردع للمجرم وزجر عما قبله، أي لا ينجيه من العذاب شيء، إن جهنم تلتهب على الكفار. تتزع جلدة الرأس بشدة، ثم تعود إلى ما كانت عليه.

١٧- تجذب جهنم وتحضر من أدبر (أعرض ظهره للحق) عن الإيمان والحق، وأعرض عن الطاعة.

١٨- وجمع المال، فجعله في وعاء، وكنزه ولم يود حق الله فيه. والمراد: حبس المال عن وجوه الخير، لشدة حرصه على الدنيا.

١٩- إن الإنسان خلق شديد الجزع عند المكروه، وشديد المنع عند الخير، والهلوع: أشد الحرص.

٢٠- إذا أصابه الفقر أو المرض ونحوه من الآفات لم يصبر ولم يحسب أجره عند ربه.

٢١- وإذا أصابه الغنى من خصب وسعة أو من زراعة وغيرها، كان كثير المنع والشح. وهذه الخصال الثلاث (الهلوع والجزع والمنع) طبائع إنسانية.

يَبْصُرُونَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لَوْ أَنَّ مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُ ١١
وَصَلْبِهِ وَأَخِيهِ ١٢ وَصَلْبَاتِهِ الَّتِي نَفَسَ ١٣ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ
جَمِيعًا ثُمَّ نَحْبِهِ ١٤ كَلَّا إِنَّا لَأَطَّلُ ١٥ تَرَاغُةَ الشَّوْطِ ١٦ نَدْعُوا
عَنْ أَدْرَئِئِنَّا ١٧ وَجَمْعَ فَأَوْعَى ١٨ إِنَّا الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا ١٩
إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جُرُوعًا ٢٠ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ٢١ إِلَّا
الْمُصَلِّينَ ٢٢ الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ ٢٣ وَالَّذِينَ فِي
أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ ٢٤ لِلضَّالِّينَ وَالْمَهْرُومِ ٢٥ وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ
بِيَوْمِ الْبَيْتِ ٢٦ وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ ٢٧ إِنَّ عَذَابَ
رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ ٢٨ وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ٢٩ إِلَّا عَلَى
أَرْجُلِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ ٣٠ فَمَنِ اتَّقَى وَأَرَادَ
ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ ٣١ وَالَّذِينَ هُمْ لِأَنْفُسِهِمْ وَعَشِيرَتِهِمْ
رَاحُونَ ٣٢ وَالَّذِينَ هُمْ بِشَهَادَتِهِمْ دَائِمُونَ ٣٣ وَالَّذِينَ هُمْ بِحَافِظُونَ
أُولَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُكْرَمِينَ ٣٤ فَالَّذِينَ هُمْ أَقْبَلُكُمْ طَعِينَ ٣٥
عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ ٣٦ أَيْطَعُ كُلُّ امْرِئٍ مَنَّهُ
أَنْ يَدَّخُرَ حَصَنَةً يُعْسِرُ ٣٧ كَلَّا إِنَّا لَحَافِظُهُمْ عَمَّا يَتْلُونَ ٣٨

٢٢- إلا المؤمنين المقيمي الصلاة، ليسوا على هذه الصفات الثلاث، تائرأ بإيمانهم ودين الحق.

٢٣- الذين هم على صلاتهم مواظبون، لا يفرطون بشيء منها.

٢٤- والذين في أموالهم نصيب معين واجب وهي الزكاة المفروضة.

٢٥- للسائل الفقير الذي يستجدي، والفقير المتعفف عن السؤال، فيظن أنه غني، فيحرم.

٢٦- والذين يصدقون بيوم الجزاء، وهو يوم القيامة تصديقاً قليلاً وعملياً.

٢٧- والذين هم حافتون على أنفسهم من عذاب ربهم، مع قيامهم بالطاعات.

٢٨، ٢٩- إن عذاب ربهم لا يأمنه أحد، فهو واقع لا محالة. والذين هم حافظون لفروجهم من الحرام كالزنى ونحوه.

٣٠- إلا فيما هو حلال من التمتع بزوجاتهم أو بإيمانهم المملوكات، فهم غير مؤاخذين في ممارسة المباح.

٣١- فمن طلب غير ذلك، فأولئك هم المتجاوزون حدود الله تعالى.

٣٢- والذين هم لما اتتمنوا عليه من أمور الدين والدنيا، ولما عاهدوا عليه غيرهم: حافظون لا يخونون، ولا يغدرون.

٣٣- والذين هم يتحمل شهادتهم وأدائها قائمون على الوجه الأكمل، من غير نقص ولا زيادة.

٣٤، ٣٥- والذين هم يحافظون على صلاتهم بأوقاتها وأركانها وشرائطها، من غير مشغلة عنها. وتكرار ذكرها للتأكيد والدلالة على فضلها. وأولئك المذكورون في جنات مكرمون بثواب الله ومستقرون فيها.

٣٦- فما للذين كفروا تحرك وحولك مسرعين إلى التكذيب والاستهزاء بك وما يسمعونك منك.

٣٧، ٣٨- عن يمينك أيها الرسول وعن شمالك جماعات جماعات متفرقة. أيطمع كل امرئ من هؤلاء الكفار دخول جنة نعيم كالمسلمين؟ كان المشركون يقولون: لئن دخل هؤلاء الجنة، لندخلنها قبلهم، فأنزل الله هذه الآية.

٣٩- ﴿كلا﴾: للردع والزجر عن الطمع في الجنة، لا يدخلونها، إنا خلقناهم وغيرهم بما يعلمون من نطق مهينة، فلا ينبغي لهم هذا التكبر.



٤٠- فأقسم برب المشارق والمغرب للشمس والقمر والنجوم إننا لقادرون على كل شيء .

٤١- قادرون على أن نهلكهم ونأتي بخلق أمثل منهم أو بدلهم أطوع لله، وما نحن بمخلوبين أو عاجزين عن ذلك .

٤٢- فاترك المشركين يتحدثوا في باطلهم، ويلعبوا في دنياهم، حتى يلاقوا اليوم الذي يوعدون فيه العذاب، وهو يوم القيامة .

٤٣- يوم يخرجون من القبور مسرعين إلى المحشر، كأنهم يسرعون أو يتسابقون إلى شيء منصوب: علم أو راية، كإسراع من ضل الطريق إذا رأى علامة تهديه .

٤٤- ذليلة منكسرة أبصارهم لما يتوقعونه من العذاب، تغشاهم ذلة شديدة، ذلك يوم القيامة الذي كانوا يوعدون به في الدنيا .

سورة نوح

١- إنا أرسلنا نوحاً إلى قومه أن حذر قومك من العذاب إذا خالفوا أمر الله، من قبل مجيء عذاب شديد الألم، وهو عذاب النار، إن لم يؤمنوا .

٢- قال نوح: يا قوم، إني لكم محذّر مخوف من عقاب الله، واضح الإنذار، ببيان رسالة الله تعالى .

٣- بأن اعبدوا الله وحده لا شريك له، وامثلوا أوامره، وخافوا ما يوقعكم في العذاب، وأطيعوني فيما أمر به، وأنهى عنه .

٤- يغفر لكم بعض ذنوبكم وهي المتعلقة بحقوق الله لا بحقوق العباد، ويؤخر أعماركم إلى أمد معين عند الله، لا يتجاوزها؛ لأن الأمة المطيعة المستقيمة تطول أعمارها، إن الأجل الذي قدره الله لكم إذا بقيتم على الكفر لا يؤخر عن ميعاده، بل يقع لا محالة، لو كنتم تعلمون ذلك لبادرتكم إلى الإيمان . والمراد كأنهم لا تشغلهم في حب الحياة الدنيوية شاكون في الموت .

٥- قال نوح: رب إني دعوت قومي إلى الإيمان دائماً متصلاً بغير تقصير في الليل والنهار .

٦- فلم تزدهم دعوتي لهم للإيمان والتوحيد إلا فراراً وبعداً من الإيمان والطاعة .

٧- وإني كلما دعوتهم إلى الإيمان والطاعة لتغفر لهم خطاياهم، سلّوا مسامعهم عن استماع الدعوة، وغطّوا بشياهم وجوههم لتلا يروني ويسمعوا قولتي، وأصرّوا على الكفر، وتكبّروا عن اتباعي وقبول دعوة الحق والإيمان، تكبراً شديداً . وفي هذا التصرف منتهى الكراهة والإباء عن الإيمان .

٨- ثم إني دعوتهم للإيمان بك يا الله مجاهرة بأعلى صوتي .

٩- ثم إني أعلنت لهم دعوتي بصوتي، وأسررت الكلام لهم إسراراً بيني وبينهم، مرة بعد أخرى .

١٠- فقلت لهم: اطلبوا المغفرة من الله على الكفر أو الشرك، إن الله كثير المغفرة للذنوب التائبين .

فَلَا أَسْأَلُ رَبِّي الْمَشْرِقَ وَالْمَغْرِبَ أَنَا الْعَالِدُونَ ﴿١﴾ عَلَّانٌ تَبْدَأُ خَبْرَاتِهِمْ
وَمُخْتَصِرٌ بِسُورَتَيْنِ ﴿١١﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ جُحُودًا وَلَعَبُوا حَتَّى يَلْقَاوَهُمْ يَوْمَهُمُ الَّذِي
يُوعَدُونَ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يُخْرِجُونَ مِنَ الْأَعْدَادِ سِرَاعًا كَأَنَّهُمْ إِلَى نُصُبٍ يُوفِصُونَ
خَشِعَةً أَبْصَارُهُمْ رَهْمُكُمْ ذَلَّةَ ذَلِكَ الْيَوْمِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ ﴿١٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِذْ أَنْذَرَهُمْ قَوْمَكُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١﴾
فَالَ يَتَوَارِكُ لِي كَيْدُ الرَّسُولِ ﴿٢﴾ أَنَا عَبْدُ اللَّهِ وَقُوَّةُ وَأَطِيعُونَ
يَغْفِرُ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجُكُم إِلَىٰ أَحْسَلِ سَمِيٍّ إِنَّا أَحْلَبَ اللَّهُ
إِنَّا جَاءَ لَا يُؤَخِّرُ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا
وَنَهَارًا ﴿٤﴾ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَاؤِي إِلَّا فِرَارًا ﴿٥﴾ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ
لَهُمْ جَاءُوا أَصْحَابُهُمْ فِيءَ إِذَانِهِمْ وَأَسْمَعُوا إِنِّي أَنبَأُهُمْ فَأَصْرُوا وَأَسْكَبُوا
أَسْبَاجًا ﴿٦﴾ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جَهَارًا ﴿٧﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنْتُ لَهُمْ
وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٨﴾ فَفَقُلْتُ اسْعَفُوا رَبِّي إِذْ كَانَ عَفَا رًا ﴿٩﴾

يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكَ مِدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُرْدُّكَ بِأَمْوَالٍ رَيْنٍ وَيَجْعَلُ
لَكَ حَبَابٌ وَيَجْعَلُ لَكَ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ مَا لَمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾
وَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْيَوْمَ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ
طَبَاقًا ﴿١٥﴾ وَجَعَلَ الْقَمَرُ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴿١٦﴾
وَاللَّهُ أَنْبَتَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ نَبَاتًا ﴿١٧﴾ ثُمَّ يُعِيدُكُمْ فِيهَا وَيُخْرِجُكُمْ
إِحْرَاقًا ﴿١٨﴾ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ بِسَاطًا ﴿١٩﴾ لَتَسْكُنُوا مِنْهَا
سُبُلًا مَجَالِمًا ﴿٢٠﴾ قَالَ نُوحٌ رَبِّ إِنِّي عَصَوْتُكَ وَأَتَّبَعْتُ مَن تَزِيدُهُ
مَالَهُ وَوَلَدَهُ إِلَّا خَشَاكَ ﴿٢١﴾ وَتَكَرَّرْتُ بِكَ كِبَارًا ﴿٢٢﴾ وَقَالَ لَوْ
لَا تَذَرُنَا الْهَيْكَلُ وَلَا تَذَرُنْ دِيَارًا وَلَا سُرَابًا وَلَا يَفُوتُ وَيَعُوقُ
وَسُرَابًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا ﴿٢٤﴾
فَمَا خَطْبُكُمْ أَفْرُقُوا فَأَدْجَلُوا أَتَاكَ فَتَمَجَّدُوا لَهُمْ مَن رَّبُّونَ لِلَّهِ
أَنْصَارًا ﴿٢٥﴾ وَقَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ
دِيَارًا ﴿٢٦﴾ إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا أَفْسَادًا
كَفَارًا ﴿٢٧﴾ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدِي وَلِمَن دَخَلَ بَيْتِي مُؤْمِنًا
وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالَّذِينَ ظَلَمُوا فِي الْأَنْبَارِ ﴿٢٨﴾

١١- يرسل المطر عليكم كثير الدور مرتباً.
١٢- ويمدكم كثيراً بالأموال والبين، أي يكثر أموالكم وأولادكم، ويجعل لكم بساتين وأنهاراً.
١٣- ما لكم أيها القوم لا تقدرُونَ الله حقاً، ولا تخشون عظمته وجلاله؟ والوقار: العظمة. والمراد: ما لكم لا تكونون على حال تأملون فيها الخير والثواب.
١٤- وقد خلقكم الله طوراً بعد طور في أدوار مختلفة في النمو والخلقة: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة إلى تمام الخلق.
١٥- ألم تنظروا كيف خلق الله سبع سموات متطابقة، بعضها فوق بعض؟!
١٦- وجعل القمر في السماء الدنيا منوراً لأهل الأرض، وجعل الشمس كالمصباح المضيء لهم.
١٧- والله أنشأكم من عناصر الأرض إنشأه كإيجاد النبات، إذ خلق أبائكم آدم منها، وجعل فيها ثمراتكم وغذاءكم.
١٨- ثم يعيدكم في الأرض بالموت، ويخرجكم إخراجاً بالبعث والحشر يوم القيامة.
١٩- والله جعل لكم الأرض مهيأة منبسطة، لتستقروا عليها وتقبلوا فيها كالتحرك على البسط.
٢٠- لتسيروا فيها متخذين منها طرقاً مسيجة واسعة، والفتجاج: جمع فح وهو المسلك بين الجبلين.
٢١- قال نوح: رب، إن قومي عصوني فيما أمرتهم به من الإيمان ولم يجيبوا دعوتي، وأتبع الأصاغر منهم رؤساءهم وأثرياءهم الذين لم تردهم كثرة المال والولد إلا ضلالاً في الدنيا، وخسارة في الآخرة.
٢٢- ومكر الرؤساء مكرًا عظيماً جداً، وهو تحريض السفلة على قتل نوح.
٢٣- وقال الرؤساء للاتباع: لا تترك عبادة آلهتكم وهي الأصنام، ولا تتركوا عبادة وُدِّ (صنم لكلب) وسُوع (صنم لهذيل) ولا يعوث (صنم لثعيط عند سبأ أو المذحج) ولا يعوق (صنم لهمدان) ونسر (صنم لحمير آل ذي الكلاع) فهي أصنام آبائهم، خصصوها بالذكر بعد العموم.
٢٤- وقد أضلُّ الرؤساء أتباعهم إضلالاً كبيراً بأن أمرهم بعبادة الأصنام أو بعبادتهم، ولا تزِدُ المشركين بتلك العبادة إلا حيرةً وبعداً عن الحق وخسراً.
٢٥- من أجل ذنوبهم الكثيرة أفرقوا في الدنيا بالطوفان، فأدخلوا نار جهنم في الآخرة، فلم يجدوا لهم من غير الله أنصاراً يدفعون عنهم عذاب الله تعالى.
٢٦- وقال نوح بعد يأسه من إيمان قومه والإيحاء إليه: يا رب لا تترك على الأرض أحداً حياً من الكفار والديار: نازل الدار، أي أحد.
٢٧- إنك يا الله إن تترك الكفار أحياء يضلُّوا عبادك عن طريق الحق والإيمان بوحديتكَ، ولا يلدوا من ذرياتهم إلا فاسقاً غير طائع، شديد الكفر بوجودك وتوحيديك ونعمتك.
٢٨- رب اغفر لي خطاياي، واغفر لوالدي المؤمنين، ولن دخل منزلي أو مسجدي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة، ولا تزِدُ الظالمين أنفسهم بالكفر إلا هلاكاً.

٢٠- لتسيروا فيها متخذين منها طرقاً مسيجة واسعة، والفتجاج: جمع فح وهو المسلك بين الجبلين.
٢١- قال نوح: رب، إن قومي عصوني فيما أمرتهم به من الإيمان ولم يجيبوا دعوتي، وأتبع الأصاغر منهم رؤساءهم وأثرياءهم الذين لم تردهم كثرة المال والولد إلا ضلالاً في الدنيا، وخسارة في الآخرة.
٢٢- ومكر الرؤساء مكرًا عظيماً جداً، وهو تحريض السفلة على قتل نوح.
٢٣- وقال الرؤساء للاتباع: لا تترك عبادة آلهتكم وهي الأصنام، ولا تتركوا عبادة وُدِّ (صنم لكلب) وسُوع (صنم لهذيل) ولا يعوث (صنم لثعيط عند سبأ أو المذحج) ولا يعوق (صنم لهمدان) ونسر (صنم لحمير آل ذي الكلاع) فهي أصنام آبائهم، خصصوها بالذكر بعد العموم.
٢٤- وقد أضلُّ الرؤساء أتباعهم إضلالاً كبيراً بأن أمرهم بعبادة الأصنام أو بعبادتهم، ولا تزِدُ المشركين بتلك العبادة إلا حيرةً وبعداً عن الحق وخسراً.
٢٥- من أجل ذنوبهم الكثيرة أفرقوا في الدنيا بالطوفان، فأدخلوا نار جهنم في الآخرة، فلم يجدوا لهم من غير الله أنصاراً يدفعون عنهم عذاب الله تعالى.
٢٦- وقال نوح بعد يأسه من إيمان قومه والإيحاء إليه: يا رب لا تترك على الأرض أحداً حياً من الكفار والديار: نازل الدار، أي أحد.
٢٧- إنك يا الله إن تترك الكفار أحياء يضلُّوا عبادك عن طريق الحق والإيمان بوحديتكَ، ولا يلدوا من ذرياتهم إلا فاسقاً غير طائع، شديد الكفر بوجودك وتوحيديك ونعمتك.
٢٨- رب اغفر لي خطاياي، واغفر لوالدي المؤمنين، ولن دخل منزلي أو مسجدي مؤمناً وللمؤمنين والمؤمنات إلى يوم القيامة، ولا تزِدُ الظالمين أنفسهم بالكفر إلا هلاكاً.

سورة الجن



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قُلْ لَوْ كَانَ أَهْلُ الْأَرْضِ مُشْرِكِينَ مَا نُرْسِلُكُمْ فَتَمَنَّوْا بِهِمْ وَلَنْ نُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۗ وَأَنْتُمْ عَلَىٰ جُدٍ
رَبَّنَا مَا آخَذْنَا حَبْصَةً وَلَا لُؤْلُؤًا ۗ وَأَنْتُمْ كَأَنَّكُمْ بَقُولِ سَفِينًا عَلَىٰ اللَّهِ
شَطَطًا ۗ وَأَنَا ظَنَنْتُ أَنْ لَنْ تَقُولَ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا
ۗ وَأَنْتُمْ كَأَنَّ رِجَالَ مَنْ لَا إِيْسَ يَمْوَدُونُ بِرِجَالِ مَنْ لَمْ يَرُدُّوهُ
رَمَقًا ۗ وَأَنْتُمْ ظَنُّوْا كَمَا ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ نَبْعَثَ اللَّهُ أَحَدًا ۗ وَأَنَا
مَسْنَا السَّمَاءِ فَوَجَدْتُهُمْ كِرْسًا سِدِيدًا وَسُهْبًا ۗ وَأَنَا كُنَّا
نَقْعُدُ مِنْهَا مَقْعِدَ الْطَّمْرِ ۗ فَمَنْ يَسْمَعُ الْآنَ يَحْذَرُ لَكُمْ شَهَابًا رَصَدًا
ۗ وَأَنَا لَا نَدْرِي أَشْرُؤُ رَيْدِ بِنِّ فِي الْأَرْضِ أَمْ أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ
رَيْدًا ۗ وَأَنَا مَسَا الصَّلْوَانَ وَمِنَ دُونِ ذَلِكَ كَمَا طَرَفَاقٍ وَقَدَا
ۗ وَأَنَا ظَنَنْتُ أَنْ لَنْ تُخْرِجَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ تُخْرِجُوهُرَا ۗ وَأَنَا لَمَّا
سَمِعْنَا الْهَمَّكَ أَمَّا بِنِّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ فَلَإِيْحَافُ نَحْسًا وَلَا رَهْمًا ۗ

١- قل أيها النبي لأمتك: استمع لقراءتي القرآن عدد من الجن-والنفر: ما بين الثلاثة إلى العشر- فقالوا لقومهم: إنا سمعنا قرآنًا عجيباً في فصاحته وبلاغته ومعانيه، لم نسمع له نظيراً من قبل. والجن: عنصر من المخلوقات، خلقوا من نار، والملائكة من نور. قال ابن عباس في رواية البخاري ومسلم والترمذي: استمع نفر من الجن القرآن حينما كان النبي ﷺ بنخلة يصلي بأصحابه صلاة الفجر.

٢- يدل ويرشد هذا القرآن إلى الحق ومعرفة الله، فصدقنا بالقرآن أنه من عند الله، ولن نشرك بعبادة ربنا أحداً من خلقه.

٣- وأنه تعظم وارتفع جلال وعظمة ربنا عن اتخاذ صاحبة: زوجة، أو ولد، كما يقول الكفار المقترون. والجذ: العظمة.

٤- وأنه كان يقول جاهلنا والطائش منا على الله غلواً في الكفر والكذب وتجاوز الحد بنسبة الصاحبة والولد إليه. والسفه هنا: القول البعيد عن الصواب.

٥- وأنا اعتقدنا أو حسبنا أن لن تقول الإنس والجن

قولاً مكذوباً على الله بنسبة الشريك والصاحبة والولد إليه.

٦- وأنه كان رجال من الإنس يستجيرون برجال من الجن في السفر، فزاد رجال الجن المستعيز بهم طغياناً وكبراً وطيشاً وإثمًا. كان العرب إذا نزل الرجل بواد قال: أعوذ بسيد هذا الوادي من شر سفهاء قومه، فبييت في جواره حتى يصبح. نزلت في راعي غنم استجار بعامر الوادي حينما أخذ الذئب حملاً من الغنم.

٧- وأن الإنس ظنوا كما ظنتم أيها الجن أنه لن يبعث الله أحداً، فلا بعث وجزاء.

٨- وأنا توجهنا إلى السماء لاستماع أخبارها، فوجدناها ملئت حرساً قوياً وهم ملائكة يحرسونها من استراق السمع، ونجوماً محرقة.

٩- وأنا كنا نقعد من بعض نواحي السماء قبل ذلك مقاعد لاستماع أخبارها، أي نحاول الاستماع والترصد، فمن يرد الاستماع الآن بعد بعثة خاتم الرسل، يجد له شهاب نار أرضه ليُرْمى به، أي مرصوداً معداً لطرده التسمع.

١٠- وأنا لا ندري أشر أريد بأهل الأرض بسبب حراسة السماء، أم أراد بهم ربهم خيراً وصلاحاً؟
١١- وأنا منا الكاملون في الصلاح، ومنا الأقل درجة في الصلاح، كنا أصحاب طرق مختلفة، مسلمين وكفاراً.
١٢- وأنا علمنا أن لن نفلت من الله تعالى بالدخول في الأرض أو الهرب في السماء، فالله يدركنا أينما ذهبنا.
١٣- وأنا لما سمعنا القرآن صدقنا بأنه من عند الله، فمن يصدق بالله ربه إلهاً واحداً، فلا يخاف نقصاً من حسناته، ولا ظلماً بالزيادة في حسناته. والبخس: التقصان، والرهق: الطغيان والتجاوز.

وَأَمَّا الْمُسْلِمُونَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ وَالْمَسْكُونَاتُ فَمَا أَخْتَارُوا عَلَىٰ ذٰلِكَ
 فَتَعَرَّضُوا لِلْقَذٰلَةِ وَأَلْقَوْا مَا قَالُوا لِقَابِ رَبِّهِمْ وَأَلْقَوْا كَوٰثِبًا
 وَأَلْوًا أَسْقَمُوا عَلَىٰ الطَّرِيقَةِ لَأَسْقِيَهُمْ مَّاءً عَذَقًا ۝١٤ لَقَسِبَهُمْ
 فِيهِ وَمِنْ بَعْضِ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكُهُ عَذَابًا صَعَدًا ۝١٥ وَأَنَّ
 الْمَسْجِدَ لِلَّهِ فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا ۝١٦ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ
 يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا ۝١٧ قُلْ إِنَّمَا أَدْعُوا رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ
 بِهِ أَحَدًا ۝١٨ قُلْ إِنِّي لَا أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلَا رَشَدًا ۝١٩ قُلْ إِنِّي
 لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَجًا ۝٢٠ إِلَّا بَلَّغْنَا
 مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ مَن يَبْعَثُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ فَإِنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ
 خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ۝٢١ حَتَّىٰ إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ فَيَسْمَعُونَ مَن
 أَضَعَفَ نَاصِرًا وَأَقَلَّ عَدَدًا ۝٢٢ قُلْ إِن أَدْرِي أَقْرَبُ مَنَؤُوعَدُونَ
 أَمْ يَجْعَلُ لِرَبِّي أَمَدًا ۝٢٣ عَذَابُ الْعَقِيبِ فَلَا يَظْهَرُ عَلَىٰ غَيْبِهِ
 أَحَدًا ۝٢٤ الْإِنَّمَن أَرْضَىٰ مِنْ رَسُولٍ فَكَأَنَّهُ يَسْلُكُ
 مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ رَصَدًا ۝٢٥ لَيَعْلَمَنَّ أَن قَدْ أَبْلَغُوا
 رِسَالَتِ رَبِّهِمْ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَّبُّوهُمُ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًا ۝٢٦

١٤ - وأنا منا المسلمون المقادون لأمر الله، ومنا الجاثرون الظالمون الذين حادوا عن طريق الحق وهو الإيمان والطاعة، فمن أسلم وانتقاد لله فأولئك قصدوا طريق الحق والهداية.

١٥ - وأما الكافرون الجاثرون فكانوا وقوداً لنار جهنم في الآخرة.

١٦ - وأن لو استقاموا على طريق الإسلام وأمنوا لأسقيناهم ماء كثيراً، أي وسعنا عليهم في الرزق؛ لأن الماء سبب كل خير. قال مقاتل: نزلت في كفار قريش حين مُنِعوا المطر سبع سنين.

١٧ - لنعاملهم معاملة المختبر، ومن يعرض عن القرآن يدخله عذاباً شاقاً يعلوه.

١٨ - وأن المساجد (أماكن الصلاة) مختصة بعبادة الله، فلا تعبدوا فيها غيره. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال: قالت الجن: يا رسول الله، ائذن لنا، فنشهد معك الصلوات في مسجدك، فأنزل الله هذه الآية.

١٩ - وأنه لما قام محمد ﷺ بعبادته بطن نخلة، كاد الجن يكونون على الرسول جماعات متراكمين، حرصاً على سماع القرآن.

٢٠ - قل أيها الرسول: إنما أعبد ربي، ولا أشرك به أحداً من خلقه، نزلت حينما قال كفار قريش للنبي ﷺ:

إنيك جئت بامر عظيم، وقد عادت الناس كلهم، فارجع عن هذا، فنحن نجريك.

٢١ - قل أيها النبي لقومك: لا أستطيع أن أدفع عنكم ضرراً، ولا أجلب لكم خيراً، أي ضللاً وهداية.

٢٢ - قل: إني لن ينفعني ويدفع عني شيئاً من عذاب الله إن عصيته، فنزل بي، ولن أجِد من غيره ملجأ. أخرج ابن جرير عن حزمي أنه ذكر أن جنياً من الجن من أشرافهم ذابَّ قال: إنما يريد محمد أن يجيره الله، وأنا أجيره، فأنزل الله هذه الآية.

٢٣ - لا أملك لكم إلا تبليغاً من الله لرسالاته التي كلفتي بها، وأوحى بها إلي على لسان جبريل، لبيان مجمل القرآن من صلاة وزكاة وحج، ومن يخالف أوامر الله ورسوله في توحيد الله وشرعته، فله نار جهنم، ماكين فيها إلى الأبد.

٢٤ - حتى إذا رأى الكفار ما يوعدون من العذاب، فسيعلمون وقتئذ من أضعف أعراناً وأقل أعداداً، المؤمنون أم هم؟ قال مقاتل: لما سمع المشركون هذه الآية، قال النضر بن الحارث: متى يكون هذا اليوم الذي توعدنا به؟ فأنزل الله الآية التالية.

٢٥، ٢٦ - قل أيها الرسول للمشركين: ما أدري أقرب العذاب الذي توعدون به أم يجعل له ربي غاية وأجلاً لا يعلمه إلا هو. والأمد: الزمن البعيد. الله تعالى هو عالم ما غاب عن العباد، فلا يُطَّلَع على غيبه أحداً من خلقه.

٢٧ - لا يُطَّلَع أحداً على بعض الغيب إلا من اختاره للرسالة، فإنه يجعل ويرسل من أمامه ومن خلفه حراساً من الملائكة يحفظونه من تعرض الشياطين، حتى يبلغ الرسالة ويؤدي الوحي للناس.

٢٨ - ليظهر معلوم الله بالمشاهدة أن رسله بلغوا الرسالات، وأحاط تعالى علمه بما عند الرسل من أحوال، وأحصى عدد كل شيء.

سورة المزمل

- ١- يا أيها النبي المتزمل المتلفف بشيابه، والمراد هنا: المعتكف حزناً عما يقول المشركون.
- ٢- قم الليل للصلاة إلا قليلاً منه للراحة والنوم. أخرج الحاكم عن عائشة قالت: لما أنزلت ﴿يا أيها المزمل قم الليل إلا قليلاً﴾ قاموا سنة حتى ورمت أقداسهم، فأنزلت: ﴿فاقرؤوا ما تيسر منه﴾ [٢٠].
- ٣- وبيان القليل: هو نصف الليل أو انقاص من النصف قليلاً إلى الثلث. وهذا للتخير.
- ٤- أورد على هذا النصف حتى يكون أكثر من النصف دون الثلثين، وأقرأ القرآن بتؤدة وتثبت، ليسهل فهمه وإدراك معانيه. والترتيل: بيان جميع الحروف وإيفاء حقها من الإشباع.
- ٥- إنا سنلقي عليك أيها النبي قرآناً مهيباً شاقاً، لما فيه من التكاليف الشاقة على النفوس.
- ٦- إن العبادة التي تنشأ بالليل أشد ثباتاً ورسوخاً في النفس من عبادة النهار، وأشدّ مقالاً لأن السكون يساعد على استحضار المعاني.
- ٧- إن لك أيها النبي في النهار قلباً في مهامك، وتصرفاً في حوائجك لمدة طويلة، فصل قيام الليل.

سورة المزمل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الْمَزْمَلُ ١ فُمُ اللَّيْلِ إِذَا يَلَيْلًا ٢ نَصَفَهُ وَأَنْقَضَ مِنْهُ قَلِيلًا ٣
 أَوْ رَدَّ عَلَيْهِ وَرَدَّ الْقُرْآنَ رَبِّيلاً ٤ إِنَّا سَأَلْنَا فِي عَلَيْكَ هُوَ لَا يَبْيَلًا ٥
 إِنَّا شِئْنَا لَتُرَاهُ أَشَدَّ وَطَأً وَأَقْوَمَ قِيلًا ٦ إِنَّكَ فِي النَّهَارِ
 سَبْحًا طَوِيلًا ٧ وَأَذْكُرُ اسْمَ رَبِّكَ رَسُولًا إِلَيْهِ بَيْلًا ٨ رَبُّ الْمَشْرِفِ
 وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا ٩ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَهُجْرَهُمْ
 هَجْرًا حِيلًا ١٠ وَذَرِنِ وَاللَّكْدِ بَيْنَ أُولَى النَّعْمَةِ وَهَهَاهُمْ قَلِيلًا ١١
 إِنَّا لَنَبِيٍّ لَأَنكَا لَأَرْحَمِيَّا ١٢ وَطَعَامًا نَاعَصَهُ وَعَدَا بِهَا إِلِيَّا ١٣
 يَوْمَ نَزَجْنَا لَأَرْضٍ وَالْجِبَالِ وَكَانَتْ الْجِبَالُ كَيْبًا مَهِيلاً ١٤
 إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا سَاهِدًا عَلَيكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا ١٥
 فَكَيْفَ فَرَعُونَ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلاً ١٦ فَكَيْفَ تَقُونُ
 إِنْ هُنَّ أُمَّةٌ يَوْمَئِذٍ لَوْلَدَانِ شَيْبًا ١٧ السَّمَاءُ سَقَطَتْ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ
 مَفْعُولًا ١٨ إِنَّ هَذِهِ يَذْكُرُهُ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا ١٩

- ٨- وداوم على ذكر الله بالتسبيح والتحميد والتهليل والدعاء، وتفرغ لعبادة الله ومراقبته بقلبك.
- ٩- الله رب المشرق والمغرب وما بينهما، أي رب العالم كله، لا إله يستحق العبادة سواه، فاتخذته وكيلاً عنك، أي قائماً بأمرك، مفروضاً إليه شأنك.
- ١٠- واصبر على ما يقول كفار مكة من الأذى والاستهزاء، ولا تتعرض لهم ودارهم، والهجر الجميل: هو ما لا عتاب معه.
- ١١- واتركني والمكذبين برسالتك، فإني قادر عليهم، وأكفيك أمرهم، أصحاب التمتع بالأموال والأولاد، واتركهم زماناً قليلاً برفق وعدم مبالاة. نزلت في صنديد قريش ورؤساء مكة من المستهزئين.
- ١٢- إن عندنا قيوداً ثقيلة، وناراً محرقة شديدة التوقد.
- ١٣- وطعاماً يغيص به أكله وعذاباً مؤلماً يوم القيامة إذا استمروا في كفرهم.
- ١٤- يوم تضطرب وتتزلزل الأرض والجبال عند النفخة الأولى، وتصير الجبال ملاماً متجمعاً، ورخواً تغوص به الأقدام.
- ١٥- إنا أرسلنا إليكم يا أهل مكة رسولاً هو محمد ﷺ يشهد عليكم يوم القيامة بأعمالكم، أنكم عصيتموه، كما أرسلنا إلى فرعون رسولاً هو موسى عليه السلام.
- ١٦- فكذب فرعون الرسول موسى ولم يؤمن برسالته، فأخذناه أخذاً ثقيلاً شديداً.
- ١٧، ١٨- فكيف تقون أنفسكم إن أصبرتم على الكفر عذاب يوم يشيب الولدان لشدة هوله. السماء تصبح متشقة لهول ذلك اليوم- وإنما جاء ﴿منظر﴾ مذكراً؛ لأن السماء تذكر باعتبارها سقفاً، كان وعده تعالى كائناً لا محالة.
- ١٩- إن آيات القرآن المخوفة المتقدمة هذه تذكير وموعظة، فمن شاء الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ طريقاً إلى ربه بالإيمان

٢٠- إن ربك يعلم أيها الرسول تعلم أنك تقوم للتهجد ليلاً أقل من ثلثي الليل أحياناً، ونصفه أحياناً، وثلثه أحياناً، وتقوم ذلك القدر معك طائفة من أصحابك، والله يعلم مقادير ساعات الليل والنهار ويحصيها بدقة، علم أن لن تتمكنوا ضبط مقادير الليل والنهار بدقة، ولا تطيقوا قيام الليل، فحفظت عنكم بأن تفعلوا اليسير لكم، فصلوا قارئ القرآن ما تيسر لكم من صلاة الليل- عبر بالقراءة عن الصلاة- وهذه الآية نسخت وجوب قيام الليل عن الأمة، علم الله أن سيكون منكم مرضى لا يطيقون قيام الليل، وآخرون يسافرون في الأرض للتجارة وغيرها يطلبون العطاء من رزق الله، وآخرون يجاهدون في سبيل إعلاء دين الله والحق، فصلوا قارئ القرآن ما تيسر منه- ذكر ثانياً مراعاة لأسباب أخرى وهي السفر والمرض والجهاد- وأقيموا الصلاة المفروضة تامة الأركان في أوقاتها، وادفعوا الزكاة الواجبة لمستحقيها، وأنفقوا في سبيل الخيرات زيادة على الزكاة- وعبر بالقرض الحسن لله للترغيب في الإنفاق التطوعي- وما تقدموا أيها المؤمنون لأنفسكم من فعل الخير، تجدهم مدخراً لكم عند الله، أفضل مما أنفقتم، وأجزل ثواباً، واطلبوا المغفرة من الله على ذنوبكم، إن الله كثير المغفرة للمستغفرين، كثير الرحمة للمسترحمين.

﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَىٰ مِن ثُلُثِي اللَّيْلِ وَنُصْفَهُ وَنُلُوكَ وَطَائِفَةَ مِمَّا أَلَيْسَ بِكَ وَاللَّهُ بِعَدْرِ الْإَيْلِ وَالنَّهَارِ عَلِيمٌ أَنْ لَوْ كَانَ مِنْكُمْ مَرْضَىٰ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَنبُغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَأُخَرُونَ يَقْتَلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَأَقْرَعُ وَأُمَّا يَسْتَرْسِعُونَ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيْرٍ نَحْنُ جَاهِدُ عِنْدَ اللَّهِ حُجُومًا وَعَظْمًا فَجَاؤُوا اللَّهَ تَائِبِينَ وَإِنَّ اللَّهَ لَعَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ﴿١﴾ قُوا ذُرِّيَّتَكُمْ ﴿٢﴾ وَرَبَّكَ كَبِيرًا ﴿٣﴾ وَسَبَّحْتَ طَهْرًا ﴿٤﴾ وَالزُّبُرَ ﴿٥﴾ فَآخِرًا ﴿٦﴾ وَلَا تَحْنُ أَهْنًا ﴿٧﴾ وَرَبَّكَ فَاصِدًا ﴿٨﴾ فَادْنُ فِي الْأُفُقِ ﴿٩﴾ فَذَلِكَ يَوْمٌ مَّيْمِدُ يُومَعِيرُ ﴿١٠﴾ عَلَى الْكُهْرِ غَيْرِ بَسِيرٍ ﴿١١﴾ ذُرِّيٌّ وَمَنْ خَلَقَتْ وَجَدًا ﴿١٢﴾ وَجَعَلَتْ لَوْ مَا لَا مَمْدَادَ ﴿١٣﴾ وَسِينَ سَهْوًا ﴿١٤﴾ وَهَدَتْ لَهُ نَهْجَهَا ﴿١٥﴾ وَطَمَعُ أَنْ يُزِيدَ ﴿١٦﴾ كَلَّا لَئِنْ كَانَ لِآيَاتِنَا عِيبًا ﴿١٧﴾ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿١٨﴾

سورة المدثر

- فضلها: أخرج البخاري عن جابر أنه كان يقول: أول شيء نزل من القرآن: ﴿يا أيها المدثر﴾. وخالفه الجمهور، فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولاً قوله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك﴾ [العلق ١/٩٦].
- ١- يا أيها النبي المدثر التلطف بشيابه بعد نزول الوحي عليه.
 - ٢- انهض وحذر من عذاب الله من لا يؤمن برسالتك. أخرج البخاري ومسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: (جاورت بحراء شهراً، فلما قضيت جوارى، نزلت، فاستنبت الوادي، فنوديت، فرفعت رأسي، فإذا الملك الذي جاءني بحراء، فرجعت، فقلت: ذنوبي، فأنزل الله: ﴿يا أيها المدثر، قم فأنذر﴾.
 - ٣- وعظّم ربك مصلح أمورك، بالتكبير، فإنه واحد لا شريك له.
 - ٤- وطهر ثيابك من النجاسات المادية، وباطنك من العيوب.
 - ٥- واترك وسوسة الشيطان، والأوثان، والمآثم أسباب العذاب، فلا تعبدها.
 - ٦- ولا تعط شيئاً، فتطلب أكثر منه، بل أعطه لوجه الله تعالى.
 - ٧- واصبر على تحمل أمر ربك، ولا تعباً بأذى المشركين.
 - ٨- فإذا نفخ في الصور وهو الصور وهو القرن النفخة الثانية لبعث الناس من القبور.
 - ٩، ١٠- فذلك يومئذ يوم التقى يوم شديد صعب على الكفار، غير سهل عليهم.
 - ١١- دعني وأتركني وحدي وهذا الذي خلقته مفرداً بلا مال له ولا ولد، وهو الوليد بن المغيرة.
 - ١٢، ١٣- وجعلت له مالاً كثيراً، وبين حضوراً معه في محافل مكة يتمتع بهم، دون حاجة بهم للسفر، كانوا عشرة.
 - ١٤، ١٥- وبسطت له في العيش والجاه العريض بسطاً. ثم يطعم في الزيادة بالمال والولد على ما أوتيته.
 - ١٦، ١٧- كلا، زجرأ له عن هذا الطمع، إنه كان معانداً ومكابراً لأياتنا، مكذباً بها. سأكلفه وأحملة عذاباً شاقاً صعباً.

١٨، ١٩- إنه تأمل في القرآن، وقدر في نفسه ما يمكن أن يكون طعناً فيه، فلنن كيف فكر وتوصل إلى ما تريده قريش.

٢٠، ٢١- ثم لئن كيف قدر، وكرر الدعاء عليه للمبالغة وتأکید الذم وتضيح ما فكر به، ثم نظر فيما يقدم به في القرآن ويرد الحق.

٢٢، ٢٣- ثم قطب جبهته بين الحاجبين، وكبح وجهه وتغير، ثم أعرض عن الإيمان وعن اتباع النبي.

٢٤، ٢٥- فقال: ما هذا القرآن إلا سحر يروى ويتعلم، ما هذا إلا قول البشر، وليس حياً وكلاماً من الله، كالتأكيد لما سبق.

٢٦، ٢٧- سأدخله جهنم، وما أعلمك أي ناري هي؟

٢٨، ٢٩- لا تبقي على شيء حي يلقى فيها حتى تهلكه وتحرقه، ولا تتركه يخرج منها، ويتجدد جسمه ويعاد، تظهر للناس من مسافات بعيدة، أو مسودة للجسم.

٣٠- عليها تسعة عشر من الملائكة الأشداء هم خزنتها. نزلت بعد سؤال رهط من اليهود رجلاً من الصحابة عن خزنة جهنم.

٣١- وما جعلنا خزنة النار الذين يتولون التعذيب إلا ملائكة غلاظاً شداداً، فلا يمكن مقاومتهم، وما جعلنا عددهم تسعة عشر إلا اختصاراً للكافرين لتظهر به

أَبُو فِكَرٍ وَقَدَّرَ ١٨ فَتَلَّكَ كَيْفَ قَدَّرَ ١٩ ثُمَّ قُلَّ كَيْفَ قَدَّرَ ٢٠ ثُمَّ نَظَرَ ٢١
 ذُرْبِ عَسْرٍ دَسْرٍ ٢٢ ثُمَّ أَذْبَرَ وَأَسْتَكْبَرَ ٢٣ فَهَذَا هَذَا الْأَسْحَرُ ٢٤
 يُورَثُ ٢٥ إِنَّ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ ٢٦ سَأَصِيدُ سَقْرَ ٢٧ وَمَا أَذْرَاكَ ٢٨
 مَا سَقَرٌ ٢٩ لَا تَبْقَى وَلَا تَذَرُ ٣٠ أَوْ أَحَدَةٌ لِلْبَشَرِ ٣١ عَلَيْهَا تِسْعَةُ عَشْرَ ٣٢
 وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا الْمَلَائِكَةَ وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا الْإِنْفَةَ ٣٣
 لِلَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبَشَرِ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْفَ ٣٤ وَيَزِدُّوا الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا ٣٥
 وَلَا تَرَىٰ أَبَآءَ الَّذِينَ أَوْفُوا الْكَيْفَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَيُلْقُونَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَمَضٌ ٣٦
 وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي ٣٧
 مَن يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ خُجُوعَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْبَشَرِ ٣٨ كَلَّا ٣٩
 وَالْقَمَرِ ٤٠ وَاللَّيْلِ إِذَا أَدْبَرَ ٤١ وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ ٤٢ إِنَّهَا لَإِحْدَى ٤٣
 الْكُتُبِ ٤٤ نَذِيرٌ لِلْبَشَرِ ٤٥ لِمَن شَاءَ مِنْكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ ٤٦ كُلُّ ٤٧
 نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهينَةٌ ٤٨ إِلَّا أَصْحَابَ الْإِيمَانِ ٤٩ فِي حَتِّ نِسَاءِ لَوْ ٥٠
 ٥١ عَنِ الْخَيْرِ مِثْلَ ٥٢ مَا سَأَلَكُمْ فِي سَقَرٍ ٥٣ فَالْوَالِمُ نَكٌ مِّنَ ٥٤
 الْمُصَلِّينَ ٥٥ وَلَوْ نَكَّ نَطْمٌ أَسْكِينِ ٥٦ وَكَأَنَّمَا نُحُوسُ مَعَ ٥٧
 الْفَاطِضِينَ ٥٨ وَكَأَنَّمَا كَذِبٌ يَوْمَ الَّذِينَ ٥٩ حَتَّىٰ أَتَيْنَا النَّبِيَّ ٦٠

طبيعتهم، بأن يقولوا: لِمَ كانوا تسعة عشر، ليتين أهل الكتاب (اليهود والنصارى) صدق القرآن، وصدق نبوة محمد ﷺ لموافقته لما في كتابهم، ويزداد المؤمنون إيماناً، ولا يشك بعد الإيمان الكتابيون والمؤمنون في الدين وعدد خزنة جهنم، وليقول الذين في قلوبهم نفاق أو شك، وهم منافقو المدينة، والكفار مشركو قريش: ماذا أراد الله بهذا العدد حكمة وغرابة كالتل؟ مثل ذلك الإضلال للمنافقين والمشركين، يضل الله من يشاء بإبعاده عن الهدى لعناده، ويرشد من يشاء للحق لاستعداده الطيب، ولا يعلم قوة خزنة النار وأعوان هؤلاء التسعة عشر من الملائكة إلا الله تعالى، وما وصف سقر (النار) إلا تذكرة وموعظة للناس. قال ابن إسحاق وقتادة: قال أبو جهل يوماً: يا معشر قريش، يزعم محمد أن جنود الله الذين يعذبونكم في النار تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عدداً، أفيعجز مئة رجل منكم عن رجل منهم، فأنزل الله: ﴿وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة﴾.

٣٢، ٣٣- كلا، للردع والزجر لمن قال: يمكنه مقاومة خزنة النار، أقسم بالقمر المنير، والليل المظلم إذا مضى وولى.

٣٤، ٣٥- والصبح إذا أضاء وظهر، إن سقر (جهنم) لإحدى الدواهي أو البلايا العظام.

٣٦، ٣٧- النار إنذار للناس، لمن أراد أن يتقدم للخير والإيمان، أو يتأخر للشر والكفر.

٣٨، ٣٩- كل نفس مرتبهة محبوسة عند الله بعملها، إما نجاة وإما هلاكاً إلا أهل الإيمان الذين أعطوا كتبهم بأيانهم، وهم المؤمنون، فلا يرتنون بذنوبهم، فإنهم تجوا أنفسهم بما أحسنوا من أعمالهم.

٤٠، ٤١- هم في جنات نساء لئن بهم، عن أحوال المجرمين.

٤٢، ٤٣- ما الذي أدخلكم جهنم؟ قالوا لهم: لم تكن في الدنيا من المصلين الصلاة المفروضة لله تعالى.

٤٤، ٤٥- ولم تكن نطم المحتاج، وكنا ندخل مع أهل الباطل في باطلهم، ونقع في الغواية مثلهم.

٤٦، ٤٧- وكنا نكذب بيوم الجزاء يوم القيامة، حتى أتانا الموت.

٤٨، ٤٩ - فما تفعمهم شفاعة الشافعين من الملائكة والأنبياء والصالحين، فما لهم عن التذکر والاعتاظ بالقرآن معرضين؟
٥٠، ٥١ - مثل الحمير الوحشية، الشاردة الهاربة بقوة، هربت من أسد مدعورة خائفة.

٥٢ - بل يريد كل امرئ من المشركين أن يعطى كتاباً مفتوحاً خاصاً به من الله يثبت أنك رسول الله. قال السدي: قالوا لئن كان محمد صادقاً، فليصح تحت رأس كل رجل منا صحيفة فيها براعته وأمنه من النار فنزلت.

٥٣ - ﴿كلا﴾: للزجر والردع عن اقتراح ما يريدون من الآيات أو المعجزات تعنتاً، بل (للانتقال من تعنتهم إلى بيان سببه) وهو إنكار الآخرة.

٥٤ - ﴿كلا﴾: زجر لهم عن إنكار الآخرة، إن القرآن وعبره عظة كافية للناس.

٥٥ - فمن شاء الاعتاظ به انظر، وقرأه.

٥٦ - وما يتعظون بالقرآن إلا بمشيئة الله الذي هو أهل لأن يتقى بطاعته وترك معصيته، والحقيق بأن يغفر للمؤمنين التائبين ذنوبهم.

سورة القيامة

- ١ - ﴿لا أقسم﴾: لا زائدة، أي أقسم بيوم القيامة، والقسم به تعظيم وتخصيم له. والمراد تأكيد تحقق البعث.
- ٢ - وأقسم بالنفس التي تلوم صاحبها دائماً على تقصيره في الطاعة، فهي يقظة دائماً لنفسها.

٣ - أيظن الإنسان الكافر المنكر للبعث أن لن يجمع عظامه مرة أخرى بعد صيرورتها رفاتاً بالية.

٤ - بل يجمعها حال كوننا قادرين على جمع ما دق منها، وإعادة أصابعه وبصماتها وعظامها كما كانت. قال عدي بن ربيعة لرسول الله ﷺ: يا محمد حدثني عن يوم القيامة متى يكون امره، فأخبره الرسول، فقال: لو عاينت ذلك اليوم لم أصدقك ولم أومن به، أو يجمع الله هذه العظام بعد بلاها؟ فنزلت هذه الآية وما قبلها.

٥ - بل يريد الإنسان أن يدوم على فجره في مستقبل الزمان، ويكذب بالبعث في الآخرة.

٦ - يسأل استهزاءً متى يكون يوم القيامة؟

٧، ٨ - فإذا أهش وتغير وزاغ البصر لما رأى ما كان يكذبه. وأظلم القمر وذهب ضوؤه.

٩ - وذهب ضوء الشمس والقمر معاً يوم القيامة، فلا يتعاقب الليل والنهار.

١٠ - يقول الإنسان الكافر المكذب بالبعث: أين الفرار؟

١١، ١٢ - ﴿كلا﴾: للردع عن طلب الفرار، لا ملجأ يتحصن به، إلى ريك يوم القيامة المرجع والمصير الدائم.

١٣ - يُخبر الإنسان يوم القيامة بما قدم من عمل حسن أو سيء، وبما ترك من أثر يعمل به بعد موته.

١٤، ١٥ - بل الإنسان شاهد على نفسه، يعرف حقيقة ما هو عليه من إيمان وكفر، وطاعة ومعصية. وبصيرة: حجة واضحة ناطقة بعمله. ولو جاء بكل ما يعتذر به؛ لأنه كاذب.

١٦ - لا تحرك أيها النبي بالقرآن لسانك قبل أن يتم وحيه، لتعجل بحفظه مخافة أن يذهب من ذاكرته. أخرج البخاري ومسلم وأحمد عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ إذا أنزل الوحي، يحرك به لسانه، يريد أن يحفظه، فأنزل الله هذه الآية.

١٧ - إن علينا حفظه في صدرك أيها النبي وإقذارك على قراءته متى شئت. والقرآن هنا بمعنى القراءة.

١٨ - فإذا قرأناه عليك بلسان جبريل، فاستمع قراءته على الوجه السليم غير المتسرع في ملاحظته.

١٩ - ثم إن علينا بيان ما أشكل فيه من المعاني والأحكام، والحلال والحرام.

فَأَنفَعُهُمْ سَعَةَ السَّعِينِ ﴿٤٨﴾ فَأَلَمَ عَنِ التَّنْذِيرِ مَعْزُومِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ
حُمُرٌ مُسْتَنزَعَةٌ ﴿٥٠﴾ قَوَّتْ مِنْ قَسْوَدَةٍ ﴿٥١﴾ بَلْ يَرُدُّكُلَّ آتْرِي مُتَهَمُونَ بِوَيْصِفَانَا
مُنْشَرَّةٌ ﴿٥٢﴾ كَلَامُ الْإِنْفَانِ الْآخِرَةِ ﴿٥٣﴾ كَلَّا إِنَّهُ تَذَكَّرٌ ﴿٥٤﴾ فَمَنْ شَاءَ ذَكَّرْهُ
﴿٥٥﴾ وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ الْقُوَى وَأَهْلُ الْمَعْرِفَةِ ﴿٥٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ ﴿١﴾ وَلَا أَقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ ﴿٢﴾ أَيَسْبُ
الْإِنْسَانَ لَنْ يَجْمَعُ عِظَامَهُ ﴿٣﴾ بَلَى فَعَلَيْنَ عَلَىٰ نَسْوَىٰ بِنَانِهِ ﴿٤﴾ بَلْ
يُرِيدُ الْإِنْسَانَ لِيَفْجُرْ أَمَامَهُ ﴿٥﴾ يَسْأَلُ أَتَىٰ أَنْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴿٦﴾ فَإِذَا بَرَأَ الْبَصَرَ ﴿٧﴾
وَحَسَفَ الْقَمَرَ ﴿٨﴾ وَجَمَعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرَ ﴿٩﴾ يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ
أَيُّ الْقَمَرِ ﴿١٠﴾ كَلَّا لَا وَدَّ ﴿١١﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ ﴿١٢﴾ يَبْتَغِي الْإِنْسَانُ
يَوْمَئِذٍ مَأْقَمَهُ وَآخِرَ ﴿١٣﴾ بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَىٰ نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ ﴿١٤﴾ وَلَوْ أَلْقَىٰ
مَعَادِيرَهُمُ ﴿١٥﴾ لَأَخْرَجَ بِهِ لِسَانُكَ لِنَجْلِ يَوْمِ ﴿١٦﴾ إِنْ عَلَيْنَا جُمُوعُهُمْ
وَوُءَانَهُمْ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقَائِعَ قَرَأَهُ اللهُ ﴿١٨﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيِّنَاتِهِ ﴿١٩﴾





كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ﴿٢٠﴾ وَتَذُودُونَ الْآخِرَةَ ﴿٢١﴾ وَجوهٌ يومئذٍ ناضرةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴿٢٣﴾ وَجوهٌ يومئذٍ باسرةٌ ﴿٢٤﴾ نَظَرُ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاتَةٌ ﴿٢٥﴾ كَلَّا إِنَّا لَنَلْقَىٰ التَّالِقَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْ تَالِقٌ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ لَمِيعٌ ﴿٢٨﴾ وَالنَّفْيَ سَاقٍ ﴿٢٩﴾ وَالسَّاقِ بِالسَّاقِ ﴿٣٠﴾ فَلَا سَدَقَ وَلَا صَلَىٰ ﴿٣١﴾ وَلَكِنْ كَذَّبَ وَقَتَلَىٰ ﴿٣٢﴾ فَرُدَّ بِنَا إِلَىٰ أَهْلِهِ بِطَغَىٰ ﴿٣٣﴾ أُولَٰئِكَ فَاؤَلَىٰ ﴿٣٤﴾ ذَاؤَلَىٰ كَ فَاؤَلَىٰ ﴿٣٥﴾ اتَّخَذَ الْإِنْسَانُ أَنْ يَبْرُكَ سَعَىٰ ﴿٣٦﴾ أَلَمْ يَكُنْ لَطْفَةً مِنْ رَبِّي غِي ﴿٣٧﴾ وَكَانَ عَاقِبَةُ فَلَقٍ مُسَوًى ﴿٣٨﴾ فَبَطَّلَ بِنَةِ الْأَرْسِيِّ الذِّكْرَ وَالْأُنثَىٰ ﴿٣٩﴾ التَّبْرَ لَكَ بِعَدْلٍ عَلَّ أَنْ يَجِيءَ التَّوَلَّىٰ ﴿٤٠﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً ﴿١﴾ إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعاً بَصِيراً ﴿٢﴾ إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِنَّمَا شَكَرَ وَإِنَّمَا كَفَرَ ﴿٣﴾ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلًا وَأَغْلَلََّا وَسِيْرًا ﴿٤﴾ إِنَّا الْأَبْرَارَ يُشْرَبُونَ مِنْ دَائِمٍ كَأَنَّ مِرَاجِعَهُمْ كَافُورًا ﴿٥﴾

٢٠- ﴿كَلَّا﴾: لردع الإنسان عن الاغترار بالدنيا، بل تحبون أيها الكفار وتختارون الدنيا ومتاعها الفاني.
٢١- وتتركون العمل للآخرة والاستعداد لها.
٢٢- وجوه المؤمنين يوم القيامة مضئبة مشرقة سروراً، متهللة بشراً بالنعيم.
٢٣- ناطرة رائية عياناً إلى ربها بلا حجاب ولا حصر وإحاطة، تواترت بذلك الأحاديث الصحيحة.
٢٤، ٢٥- ووجوه يوم القيامة قبيحة المنظر، شديدة العيوس، كشيبة. توقن أن يفعل بها داهية عظيمة تكسر الفقرات.
٢٦، ٢٧- ﴿كَلَّا﴾: لزرع الكافر عن تفضيل الدنيا على الآخرة، إذا بلغت الروح العظام المحيطة بالبحر في العنق. وقيل لمن حضر حوله: من يرقبه وينجيه ليشفي؟
٢٨- وتيقن المحتضر أنها ساعة الفراق من الدنيا.
٢٩- والتوت إحدى ساقيه على الأخرى عند الموت، فيعجز عن تحريكها، والمراد عند وضعه في كفته.
٣٠- إلى حكم ربك يوم القيامة المرجع.
٣١، ٣٢- فلا صدق الإنسان بما يجب عليه التصديق به، ولم يود صلاته المقروضة. ولكن كذب بالقرآن والرسول وأعرض عنهما.
٣٣- ثم ذهب إلى أهله يتبختر ويختال في مشيته إعجاباً وافتخاراً بذلك.
٣٤، ٣٥- الويل والهلاك لك، ثم الويل والهلاك، وهذا تأكيد للحملة الأولى، وهو دعاء عليه للتحذير من فعله،

والجملة الثانية تفيد تكرار ذلك عليك مرة بعد مرة. قال أبو جهل: بأي شيء تهددني؟ لا تستطيع أنت ولا ربك أن تفعلوا بي شيئاً، وإني لأعز أهل هذا الوادي. فلما كان يوم بدر قتل. ٣٦، ٣٧- أبطن الإنسان أن يترك مهملًا لا يكلف بالشرائع ولا يحاسب! ألم يكن نطفة من مني يراق في الرحم؟ ٣٨- ثم صار قطعة دم جامد، فأوجد الله منه بشراً كامل التركيب، فعدله الله وأكمل نشأته وتسوية أعضائه.
٣٩، ٤٠- فجعل من الإنسان المكتمل المذكور الصنفين: الرجل والمرأة. أليس ذلك الفعال لهذه الأشياء، المنشئ لها بقادر على إحياء الموتى من بعد مماتهم؟ فإن الإعادة أهون من الابتداء (بلى إنه على كل شيء قدير) وهذا القول مطلوب في السنة النبوية.

سورة الإنسان

١- قد أتى على الإنسان (جنس الأدمي) وقت من الزمن لم يكن شيئاً مذكوراً، حيث كان نطفة، فعلقه، فمضغه، ثم نفض فيه الروح، فصار إنساناً سوياً. و ﴿هل﴾ حرف بمعنى (قد) لتحقيق ثبوت ما بعدها.
٢- إنا خلقنا الإنسان (ابن آدم) من نطفة وهي المنى، أخلاط، يختلط فيها مني الرجل ومني المرأة، نخبره بالتكليف، أي خلقناه مرادين ابتلاءه بالتكليف والخير والشر، فجعلناه سميعاً مبصراً أيسأل عن أعماله يوم القيامة بعد مشاهدة الأدلة واستماع الآيات.
٣- إنا بيننا له طريق الخير وطريق الشر وعرقناه المنافع والمضار، إما مؤمناً بالله شاكرًا نعمه، وإما كافراً جاحداً بالله تعالى.
٤- إنا أعدنا للكافرين قيوداً في الأرجل، يسحبون بها إلى النار، وأطواقاً في الأيدي التي تجمعهم إلى أعناقهم، وجهنم تتقد بهم.
٥- إن أهل الطاعة والإخلاص وهم المؤمنون الصادقو الإيمان يشربون في الجنة من كأس (إناء فيه شراب) كان ما نزع به كافوراً: وهو طيب معروف، له رائحة جميلة.

٦- يشربون من خمر ممزوجة بكافور، وبماء عين يشرب منها عباد الله الصالحون الفاترون بالجنة، ويجرونها ويصرفونها كما يريدون بسهولة، ويستغنون بها.

٧- يوفون ما أوجبوه على أنفسهم من الطاعات، والتلذذ: التزام قربة لله تعالى لم تستعين، من صلاة أو صوم أو ذبح أو صدقة ونحوها، ويخشون يوماً هو يوم القيامة كان عذابه فاشياً متشراً.

٨- ويطعمهم هؤلاء الأبرار الطعام، مع حبهم له وحرصهم عليه محتاجاً لفقره أو مسكته وعجزه عن الكسب، ومحتاجاً له من لا أب له، ومن كان أسيراً أيد الأعداء أو سجيناً ونحوه. قال ابن جرير: نزلت في أسارى أهل الشرك، كانوا يأسرونهم في العذاب، فنزلت فيهم، فكان النبي ﷺ يأمرهم بالإصلاح إليهم.

٩- يقول المطعمون في أنفسهم: إنما نظمكم ابتغاء رضوان الله وطلب ثوابه، لا نريد منكم مكافأة ولا شكراً.

١٠- إننا نخاف من ربنا عذاب يوم تعبس فيه الوجوه لهوله وشده، صعب مظلم شديد في العبوس.

١١- فلدغ الله عنهم بسبب خوفهم منه شر ذلك اليوم العبوس، وأعطاهم بدل العبوس الخميم على الكفار حسناً وبهجة وبهاء في الوجوه، وسروراً في القلوب. والنضرة: النقاء والبياض بسبب النعمة.

١٢- وكافأهم وأثبهم بسبب صبرهم على أداء الواجب واجتناب الحرام جنة (بستاناً) يعيشون فيها، وحريراً يليسونه.

١٣- لهم جنة حالة كونهم جمالسين فيها يتمكنون راحة على الأسرة الفاخرة المجللة بأغطية (أستار) لا يجدون فيها حرّاً ولا برداً شديداً.

عَيْنَا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادَ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا ﴿٦﴾ يُوفُونَ بِالْآثَارِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٧﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿٨﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿٩﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿١٠﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿١١﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿١٢﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿١٣﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿١٤﴾ وَإِنَّمَا كُنَّا نَعْبُدُهُمْ إِذْ كَانُوا أَكْثَرًا مِنَّا قِوَامًا لَّئِن لَّمْ يَظْهَرِ عَلَيْنَا جَزَاءُ أَعْمَالِنَا لَلْأُولَىٰ سَعْدٌ مِّمَّا نَحْنُ بِمُتَّبِعِيهَا ﴿١٥﴾

١٤- وقربة منهم ظلال أشجارها زيادة في نعيمهم وإن كان لا شمس في الجنة، وسخرت وسهكت ثمارها لتتناولها في أيديهم تسخيراً وتسهيلاً واضحاً، يتناولها القائم والقاعد والمضطجع.

١٥- ويदार عليهم في الجنة بوساطة الخدم بأواني طعام وأواني شراب فضية، كانت رقيقة كالزجاج، ففيها صفتا بياض الفضة، وصفاء الزجاج. والأكواب: أقدمح بلا عرى.

١٦- أصل القوارير في الجنة من فضة ولكنها كالزجاج، قدرها السقاة لهم في الشكل تقديراً دقيقاً على قدر حاجتهم، دون زيادة ولا نقص.

١٧- ويسقى الأبرار في الجنة خمرًا ممزوجة بالزنجبيل في الطعام: وهو نبات يوضع مع البهارات، والكأس: إناء الخمر.

١٨- وممزوجة أيضاً من ماء عين تسمى السلسبيل لسلاسة اتحدارها في الخلق. والسلسبيل: ماء في غاية السلاسة.

١٩- ويطوف على أهل الجنة أولاد شباب لا يهرمون ولا يموتون، إذا رأيتهم ظننتهم لحسنهم وصفاء ألوانهم لولؤهم متشراً في الجنة.

٢٠- وإذا نظرت أيها النبي أو الناظر هناك في الجنة، نظرت نعيماً لا يوصف وملكاً واسعاً. نزلت حينما رأى عمر النبي ﷺ على حصير من جريد، أثر في جنبه.

٢١- حالة كون من «يطوف عليهم» [١٩] لا يبين معلوم ثياب من حرير رقيق خضر، وثياب من حرير غليظ، وزينهم بهم بأساور فضية، وسقاهم بهم شراباً نقياً من الشوائب بالغ الطهارة.

٢٢- ويقال لهم: إن ما أعد لكم من الثواب جزاء أعمالكم الصالحة، وكان عملكم مجازي عليه غير مضيع مقبولاً عند الله تعالى.

٢٣- إننا نحن نزلنا عليك القرآن تنزيلاً متفرقاً مفصلاً لحكمة جليلة، لا جملة واحدة.

٢٤- فداوم على تبليغ رسالة ربك، واصبر على أذى قومك حتى يأتيك النصر والإذن بالقتال والدفاع، ولا تطع من الكفار مجاهراً بالمعاصي، مغالياً في كفره. قال قتادة: بلغني أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمداً يصلي لأطان على عنقه، فانزل الله هذه الآية.

٢٥- وداوم على ذكر الله أول النهار وآخره، في صلاة الصبح، والظهر والعصر.



٢٦- ومن بعض الليل فصل أيها النبي وأمتك صلاة المغرب والعشاء، وتهجد له طائفة طويلة (جزءاً كبيراً) من الليل وهي صلاة التهجد.

٢٧- إن هؤلاء الكفار يحبون الدنيا، ويتركون أمامهم يوماً شديداً لما فيه من الأهوال، وهو يوم القيامة، فلا يستمدون به بالإيمان والعمل الصالح.

٢٨- نحن خلقنا هؤلاء الكفار والمشركين وقبونا أعضائهم ومفصلهم وشدنا بعضها إلى بعض بالعروق والأعصاب، وإذا شئنا أهلكتهم وبدلنا أمثالهم في الحلقة وجننا بأخرين غيرهم.

٢٩- إن هذه السورة والآيات القرآنية المتقدمة موعظة وتذكير، فمن شاء النجاة في الآخرة من العذاب اتخذ طريقاً يتقرب به إلى ربه بالصالح.

٣٠- وما تشاءون أيها البشر اتخاذ سبيل بالطاعة إلا وقت مشيئة الله، فالأمر لله لا لكم، إن الله كان وما يزال واسع العلم بأحوال خلقه وما يستحقه كل واحد، حكيماً في فعله وتقديره.

٣١- يُدخل من يريد من عباده المؤمنين في جنته، بعد الهداية والتوفيق للطاعة، وهياً للكافرين في الآخرة عذاباً مؤلماً.

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ وَإِن تَوَلَّوْا فَسُجِّدُوا لِلْحَيُّوتِ بِمَا لَبَسُوا ۗ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالرُّسُلَ عُرْفًا ۚ فَأَلْقَمَتْ عَصَاً ۚ وَالشَّارِبَ نَشْرًا ۚ
فَالْفَرْقَ فَرَقًا ۚ فَالْمَلِيكَ ذِكْرًا ۚ عُدَاؤُا وَذُرًّا ۚ إِنَّمَا
تُوْعَدُونَ لَوَقْعٍ ۚ فَإِذَا الْتَجْمِرُ مُطَسِّتٍ ۚ وَإِذَا السَّمَاءُ فُرْجَاتٍ
ۚ وَإِذَا الْجِبَالُ سُفَّتْ ۚ وَإِذَا الرَّسُلُ أَنْفَتْ ۚ لِأَيِّ يَوْمٍ
أُتِيتَ ۚ لَيَوْمٍ الْفُضْلِ ۚ وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمَ الْفُضْلِ ۚ وَبِئْسَ
يَوْمِيذٍ لِلْكَافِرِينَ ۚ أَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَاتٍ ۚ ثُمَّ تَتَّبِعُهُمُ الْآخِرِينَ
ۚ كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ ۚ وَبِئْسَ يَوْمِيذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۚ

سورة المرسلات

فضلها: أخرج أحمد عن ابن عباس عن أمه (أم الفضل): أنها سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفاً. وفي رواية مالك والشيخين: إنها لأخر ما سمعت من رسول الله ﷺ يقرأ بها في المغرب.

- ١، ٢- أقسم بالرياح متابعات يتبع بعضها بعضاً. فالرياح القوية الشديدة الهبوب التي لها صوت شديد.
- ٣- والرياح التي تنشر (توزع) المطر أو السحاب في آفاق السماء، أو الملائكة الموكلين بالسحب ينشرونها.
- ٤، ٥- فالملائكة التي تنزل بالوحي لتفرق بين الحق والباطل، والحلال والحرام. فالملائكة التي تنزل بالوحي.
- ٦- للإعذار من الله للعباد حتى لا يحتجوا بشيء عند الله، وللتخويف من الله تعالى بالعذاب إن لم يؤمن الناس.
- ٧، ٨- إن الذي توعدون به أيها الناس من مجيء القيامة والبعث والجزاء لكائن لا محالة. فإذا انجمت محقت وذهب نورها.
- ٩، ١٠- وإذا السماء فتحت وانشقت. وإذا الجبال قلعت من أماكنها، وصارت هباءً متناثراً.
- ١١- وإذا الرسل عُيِّن لها وقت تحضر فيه للشهادة على الأمم بالتبليغ.
- ١٢- لأي يوم عظيم أُخِّرت الرسل للشهادة على الأمم، وفي هذا تخويف وتهديد.
- ١٣- ليوم الفصل الذي يفصل فيه بين الخلاق بأعمالهم، إما إلى الجنة، وإما إلى النار.
- ١٤- وما أعلمكم ما يوم الفصل لهوله وشدته؟ وفي هذا تهويل لشأنه.
- ١٥- ألا هلاك وعذاب يوم القيامة. والويل: تهديد بالهلاك، للمكذبين بيوم القيامة وغيره.
- ١٦- ألم نهلك كفار الأمم الماضية حين كذبوا الرسل؟ كقوم نوح وعاد وثمود.
- ١٧- ثم نلحق بهم الكفار الآخرين أمثالهم، مثل مشركي مكة وقوم لوط وشعيب وموسى.
- ١٨- مثل ذلك الفعل فعل بكل من أجرم، أي كفر أو أشرك، في الدنيا أو الآخرة.
- ١٩- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بآيات الله وأنبيائه وبالبعث.

أَرَأَيْتُمْ كَيْفَ مَنَعْنَا مِائِمَةً مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٠﴾ فَعَلَّمَهُ فِي قَارِعَتَيْنِ ﴿٢١﴾ الْيَهُودَ
 مَعْلُومًا ﴿٢٢﴾ فَهَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ ﴿٢٣﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٤﴾
 أَلَرَأَيْتُمُ اللَّاحِقَ فِي الْأَرْضِ كَيْفَ آتَاهَا ﴿٢٥﴾ أَحْيَاءٌ وَأَمْوَالُهُمْ ﴿٢٦﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا رِوَادِيَّ
 شَجَرَاتٍ وَأَسْفَلَ تَمِيمًا ﴿٢٧﴾ وَأَمَّا قَوْمٌ فَآتَاهَا ﴿٢٨﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٩﴾
 أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ مَا كُنتُمْ بِهِ تَكِيدُونَ ﴿٣٠﴾ أَنْطَلِقُوا إِلَىٰ الظِّلِّ ذِي الثَّلَاثِ
 شُعْبٍ ﴿٣١﴾ لِأَطْلَلِ وَلَا يَبْقَىٰ مِنَ اللَّهَبِ ﴿٣٢﴾ إِنَّهَا تَرْمِي بِسَرَرٍ
 كَالْقَصْرِ ﴿٣٣﴾ كَأَنَّهُ جَلَّتْ صُفْرًا ﴿٣٤﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٥﴾
 هَذَا يَوْمٌ لَا يَظُنُّونَ ﴿٣٦﴾ وَلَا يُؤْذِنُ لَهُمْ قَعْدَرُونَ ﴿٣٧﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٣٨﴾ هَذَا يَوْمٌ أَلْفَصَلَّ جَمَعْتُمْ كَمَا لَا تَأْتِيَانِ ﴿٣٩﴾ فَإِن كَانَ
 لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُوا ﴿٤٠﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤١﴾ إِنَّا الْمُنْفِقِينَ فِي
 الظِّلِّ وَغُيُوبٍ ﴿٤٢﴾ وَفَوَكَّهُ مَا بُشِقُونَ ﴿٤٣﴾ كَلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا
 بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٤﴾ إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿٤٥﴾ وَيَلَّيْلُ يَوْمَئِذٍ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٦﴾ كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا مِّنْ عَمَلِهِمْ نَجْزِي الْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٧﴾ وَيَلَّيْلُ
 لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٤٨﴾ وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا اللَّهَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٤٩﴾ وَيَلَّيْلُ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ ﴿٥٠﴾ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾

٢٠- ألم نخلقكم أيها الناس من نقطة مستقلة في نظر
 الناس، ضعيفة ذليلة.
 ٢١، ٢٢- فجعلنا ماء النبي في مقر حصين، وهو
 الرحم. إلى زمان معلوم هو وقت الولادة.
 ٢٣- فقدرنا على تصويره وخلق، فنعلم القادرون نحن.
 وقدر وقدر التقدير المحكم بمعنى واحد.
 ٢٤- هلاك وعذاب للمكذبين بقدرتنا على الخلق أو
 على البعث والإعادة.
 ٢٥- ألم نجعل الأرض وعاء وكافتة جامعة لهم،
 وكفات: مصدر أريد به اسم الفاعل.
 ٢٦- تضم الأحياء على ظهرها، والأموات في بطنها.
 ٢٧- وجعلنا في الأرض جبلاً مرتفعة، وأسفيناكم ماء
 عذبا. وهذا كله أعجب من البعث.
 ٢٨- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بالنعم.
 ٢٩- تقول حزنة جهنم لهم: سيروا أيها الناس إلى ما
 كذبتم به في الدنيا من العذاب.
 ٣٠- سيروا إلى ظل دخان جهنم ذي ثلاث فِرَق أو
 فروع، فإنه تشعب لعظمتها.
 ٣١- لا وقاية فيه من حر ذلك اليوم، ولا يدفع شيئا من
 لهب جهنم. وهو تهكم بهم.
 ٣٢- إن النار التي يخرج منها الدخان يطير منها شرر
 عظيم كالبناء العظيم في ارتفاعه وعظمتها.
 ٣٣، ٣٤- كان الشرر المتطاير كالجمال الصفراء في الهيئة
 واللون. ويطلق العرب الصُّرَّ على ما يخالط صفاره سواد. هلاك وعذاب للمكذبين بهذا اليوم وأمواله ووعيد الله تعالى.

٣٥- هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه الكفار المكذبون بحجة نافعة بعد الحساب.

٣٦- ولا يسمح لهم بالاعتذار، فيعتذرون عن جرائمهم في الدنيا من كفر وعصيان.

٣٧- هلاك وعذاب للمكذبين بأحداث هذا اليوم.

٣٨، ٣٩- هذا يوم الفصل الحاسم في القضاء بين الحق والمبطل، جمعناكم فيه أيها المكذبون من هذه الأمة، مع المكذبين
 السابقين قبلكم. فإن كان لكم حيلة في دفع العذاب والخلاص منه، فافعلوا وانفذوا أنفسكم منه.

٤٠- هلاك وعذاب يوم القيامة لمن كذب بالله ورسله وكتبه واليوم الآخر، إذ لا حيلة لهم في الخلاص من العذاب.

٤١- إن المؤمنين المتقين الشرك والمعاصي هم يعيشون في ظلال الأشجار، ويتمتعون بعيون الماء الجارية في الجنة.

٤٢- ويتمتعون بفواكه متنوعة من كل ما تشبهه أنفسهم.

٤٣- ويقال لهم: كَلُوا وَاشْرَبُوا متهئين بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة.

٤٤- إننا كما جزينا المتقين نجزي المحسنين أعمالهم.

٤٥- هلاك وعذاب يوم القيامة لهؤلاء المكذبين بهذا النعيم للمؤمنين، وبالبعث والحساب.

٤٦- ويقال للكفار المكذبين في الدنيا تهديدا لهم: كَلُوا وَتَمَتَّعُوا قليلاً بمتع الدنيا، إنكم مشركون بالله تعالى.

٤٧، ٤٨- هلاك وعذاب لهؤلاء المكذبين، كرر ذلك عشر مرات لزيادة التوبيخ والتقريع. وإذا قيل للكفار: صلوا واخضعوا

لأوامر الله، لا يصلون استكباراً وعناداً. قال مجاهد: نزلت في ثقيف، امتنعوا من الصلاة، فنزل ذلك فيهم.

٤٩- هلاك وعذاب يوم القيامة لمن كذب بالقرآن وأحكامه من أوامر ونواه.

٥٠- أي فبأي كتاب بعد القرآن المعجز الواصل يصدقون إن لم يؤمنوا بهذا القرآن!؟

سورة النبأ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ ١ عَنِ النَّبَاِ الْعَظِيمِ ٢ الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ
 ٣ كَلَّا سَمِعْتُمُونَ ٤ ثُمَّ كَلَّا سَمِعْتُمُونَ ٥ أَنْزَجَلْنَا الْأَرْضَ
 مَهْدًا ٦ وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا ٧ وَطَوَّعْنَا أَرْضَكُمْ ٨ وَجَعَلْنَا
 نَوْمَكُمْ سُبَاتًا ٩ وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ إِيَّاسًا ١٠ وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا
 ١١ وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَمَاوَاتٍ مُّتَشَابِهَاتٍ ١٢ وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَقَدْحًا ١٣
 وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً بَارِكًا ١٤ لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا ١٥ وَجَبْنِ
 الْأَفْئَانَ ١٦ إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا ١٧ يَوْمَ يُنْفَخُ الْأَشْوَاقُ فَأَثْوَرُ
 أَقْلَابًا ١٨ وَطُفِيَ النَّارُ فَكَانَتْ نُورًا ١٩ وَسُيِّرَ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا
 ٢٠ إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَاتًا ٢١ لِلظَّالِمِينَ تَأَابًا ٢٢ لَيْسَ فِيهَا أَحْقَابًا
 ٢٣ لَأَبْدُورُونَ فِيهَا زُرَادًا ٢٤ وَالْأَشْرَارَ ٢٥ الْأَجْمِعَ وَعَسَافًا ٢٦ جِرَاءَ وَفَاءًا
 ٢٧ إِنَّهُمْ كَانُوا لِارْجُونَ حِسَابًا ٢٨ وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَابًا ٢٩ وَكُلَّ
 شَيْءٍ وَأَخْصِيئَةً كِتَابًا ٣٠ فَذُقُوا فَلَنْ تَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا ٣١

- ١- عن أي شيء يسأل بعض المشركين بعضاً؟ والاستفهام تفخيم شأن ما يتساءلون عنه. أخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن الحسن البصري قال: لما بعث النبي ﷺ جعلوا يتساءلون بينهم، فنزلت: ﴿عم يتساءلون...﴾.
- ٢- والجواب: إنهم يتساءلون عن الخير الهائل المهم، وهو يوم البعث والنشور.
- ٣- الذي هم يترددون فيه بين الإقرار والإنكار، بين صدق ومكذب به.
- ٤- ﴿كلا﴾: للردع لهم والزجر عن التساؤل، إنهم سيعلمون ما يحل بهم من البعث والحساب، فهو حق.
- ٥- ثم كلا، سيعلمون بعد الموت صدق ذلك، كرر ذلك للتأكيد والمبالغة في الوعيد، فلا ينبغي أن يختلفوا في شأن البعث والقرآن الذي أخبر به، فهو حق.
- ٦- ثم أورد الله تعالى أدلة من خلقه تسعة أشياء في غاية الإقناع على قدرته على البعث، أولها: ألم يجعل الأرض بساطاً مهاداً كالفرش أو مهد الصبي.
- ٧، ٨- وجعلنا الجبال كالأوتاد في حفظ توازنها، ولعلا تتحرك. وخلقناكم زوجين ذكراً وإناثاً.
- ٩- وجعلنا نومكم قطعاً لأعمالكم وراحة لأبدانكم.
- ١٠- وجعلنا الليل كاللباس في الستر والتغطية.
- ١١- وجعلنا النهار سبباً للحياة والمعاش، ووقت عمل

وجد، أي تحصيل ما به الحياة.

- ١٢، ١٣- وبينا فوقكم سبع سموات قوية محكمة البنيان. وجعلنا الشمس في السماء كالسراج (المصباح).
- ١٤، ١٥- وأنزلنا من السحب والغيوم إذا حان وقت عصرها أي نزول مائها ماءً غزيراً كثير الهطول. فالمعصرات: السحب الملتصقة ماء. لنخرج بالماء حباً مقناتاً للإنسان كالخططة والشعير ونحوهما، ونباتاً تأكله الدواب من حشيش ونحوه.
- ١٦- وبساتين ملتفة أغصانها على بعض، لجودتها.
- ١٧- إن يوم الفصل وهو يوم القيامة الذي يفصل فيه بحكم الله بين الخلائق، كان في حكم الله وقتاً محدداً للثواب والعقاب.
- ١٨- يوم ينفخ في البوق النفخة الثانية للبعث من القبور، فتأتون من قبوركم جماعات مختلفة أو طوائف.
- ١٩- وشققت وصدعت السماء، فصارت ذات أبواب كثيرة.
- ٢٠- وأزيلت الجبال عن أماكنها، قبل النفخة الثانية، فصارت هباء منبهاً، مثل السراب ترى بصورة الجبال وليست جبالاً.
- ٢١، ٢٢- إن جهنم كانت موضعاً للرصد والشرق، يرصد فيه خزنة النار الكفار. للطغاة الكافرين، بمخالفة أوامر الله، مرجعاً.
- ٢٣- ماكين في جهنم دهوراً لا نهاية لها. والأحقاب: جمع حقب، وهي جمع حقب: مدة من الزمن غير محددة.
- ٢٤- لا يدوقون في جهنم برداً لطفاء الحر، ولا شراباً لإرواء العطش. والبرد: هواء رطب يخفف الحر.
- ٢٥، ٢٦- إلا ماء حاراً شديد الغليان، وسائلاً متناً من جلود المعذنين. جوزوا بذلك جزاء موافقاً لأعمالهم وكفرهم.
- ٢٧- إن هؤلاء الكفار أهل جهنم كانوا لا يتوقعون حساباً على أعمالهم، ولا يخافون محاسبة.
- ٢٨- وكذبوا بآيات الله في القرآن تكذيباً شديداً معانداً.
- ٢٩- وكل شيء من الأعمال سجلناه في كتاب هو صحيفة أعمالهم، أو هو اللوح المحفوظ.
- ٣٠- يقال لهم في الآخرة عند التعذيب: فذوقوا جزاءكم، فلن تزيدكم إلا عذاباً فوق عذابكم.

٣١- إن للمتقين بالتزام الأوامر واجتناب النواهي فوزاً ونجاة من النار أو مكان فوز بالتعميم.
 ٣٢- بساتين شجرة ومشجرة، وحقول العنب.
 ٣٣- ولهم فتيات عذارى في مستقبل العمر، متساويات في السن، والكواعب جمع كاعب: وهي الفتاة التي استدار نديها ولم يتهدل.
 ٣٤- وإناء من الخمر التي لا تسكر مملوءاً، والمراد بالكأس: الخمر المائلة الأوعية.
 ٣٥- لا يسمعون في الجنة باطلاً من القول، ولا تكذيب بعضهم لبعض.

٣٦- جزاهم الله جزاء (ثواباً) بمقتضى وعده على صلاحهم، وأعطاهم عطاء كافياً فضلاً منه.
 ٣٧- رب السموات والأرض وما بينهما، الشامل الرحمة لكل شيء، لا يقدر على سؤال الله شيئاً كالشفاعة إلا بإذنه.

٣٨- يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفين صفوفاً، لا يتكلم واحد منهم بطلب زيادة ثواب أو إنقاص عقاب إلا من أذن له الرحمن بالشفاعة، ونطق بالصواب، أي بالحق والصدق، بأن يكون المشفوع له موحداً الله تعالى.

٣٩- ذلك اليوم الثابت وقوعه، وهو يوم القيامة، فمن شاء اتخذ إلى ربه مرجعاً بالإيمان.

٤٠- إنا حلزناكم أيها الناس عذاباً قريب الوقوع في يوم القيامة، يوم يرى المرء كل ما قدمه من خير أو شر، ويقول الكافر: يا ليتني أعود تواباً، فلا أعذب هذا العذاب.

إِنَّ الْمُتَّقِينَ مَعَالِ ٣١ حَقَائِقٍ وَأَعْتَابٍ ٣٢ وَكَوَاعِبِ أَزْوَاجٍ ٣٣ وَأَنْسَاءٍ ٣٤ دِهَانًا ٣٥ لَا يَسْمُونَ فِيهَا الْقَوْلَ وَلَا كَيْدًا ٣٦ جَزَاءً مِمَّنْ رَبُّكَ عَطَاءً حِسَابًا ٣٧ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنَ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا ٣٨ يَوْمَ يُبْعَثُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أُذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا ٣٩ ذَلِكَ الْيَوْمَ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذْ إِلَىٰ رَبِّهِ مَنَابًا ٤٠ إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمُرءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنتُ تَرَابًا ٤١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالرَّزَقِ عَرَفًا ١ وَالشَّيْطِ نَسْطًا ٢ وَالسَّيِّئِ سَمًا ٣ فَالْتَفَيْتُ سَبْعًا ٤ فَالْمُبْدِرِ أَمْرًا ٥ يَوْمَ رَجَعُ الرَّاحَةُ ٦ نَبْعَهَا الرَّادَةُ ٧ قُلُوبٌ يُوسِدُ لِجَنَّةٍ ٨ أَبْصَارُهَا خَشْفَةٌ ٩ يَقُولُونَ يَا لَمْ نُدْرِكُوا فِي الْعَاقِرَةِ ١٠ أَوْ ذَاكَ عِطَابِ الْخَمْرَةِ ١١ قَالُوا لَيْتَ إِيَّاكُمْ خَاسِرَةٌ ١٢ فإِنَّمَا هِيَ تَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ١٣ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ ١٤

سورة النازعات

- ١- أقسم بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزاعاً شديداً مؤلماً، إغراقاً في النزاع من أجزاء الجسد.
- ٢- والملائكة التي تخرج أرواح المؤمنين برفق وسهولة.
- ٣- والملائكة التي تسبح (تنزل) من السماء مسرعة بأمر الله تعالى.
- ٤، ٥- والملائكة التي تسبق بالأرواح إلى مستقرها سبقاً فاتحاً. فالملائكة التي تنزل بتدبير ما أمرت به في الدنيا.
- ٦- يوم تضطرب الأرض والجبال وتتحرك، عند النفخة الأولى لموت جميع الخلق. والراجفة: الأرض عند زلزلتها.
- ٧- تملق بها السماء والكواكب في الاضطراب والتشقق. وقيل: الراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الثانية.
- ٨- هناك قلوب يوم القيامة خائفة شديدة الاضطراب والانزعاج بسبب أهوال القيامة.
- ٩- أبصار أهلها ذليلة خاضعة عند معاناة الأهوال. وهم غير المؤمنين.
- ١٠، ١١- يقول الكفار منكرو البعث: أئرد بعد الموت إلى الحياة؟ أئذا صرنا عظاماً بالية سنرد ونبعث؟! قال منكرو البعث: تلك الرجعة إلى الدنيا تعد إذن رجعة خاسرة خائبة.
- ١٣- فإنما هي صيحة واحدة تنفخ في القرن، وهي النفخة الثانية لبعث الناس من القبور.
- ١٤- فإذا كل الخلائق أحياء بأرض بيضاء، بعد أن كانوا أمواتاً فيها. وقيل: الساهرة أرض بالشام.

١٥- هل بلغك أيها النبي خبر أو قصة موسى؟ والمراد التسرية عنه بسبب تكذيب قومه.
 ١٦- حين ناداه ربه بالوادي المبارك المطهر، وهو واد بأسفل جبل طور سيناء.
 ١٧- وقال له: اذهب إلى فرعون مصر، إنه تجاوز الحد في الكفر بالله والتكبر والفساد.
 ١٨- فقل له بلطف: هل لك رغبة أو ميل إلى أن تطهر من الكفر والمعاصي بتوحيد الله؟
 ١٩- وأرشدك إلى معرفة ربك والإيمان به، فتخاف عقابه بأداء الواجبات وترك المنكرات.
 ٢٠، ٢١- فذهب، فأرى موسى فرعون المعجزة الكبرى الدالة على صدق نبوته: وهي انقلاب العصا حية. فكذب فرعون بموسى، وعصى أمر ربه.
 ٢٢- ثم أعرض عن موسى والإيمان به، يسعى في الأرض بالفساد، وفي إبطال أمر موسى ورسالته.
 ٢٣- فجمع الناس، فأعلن منادياً في الجمع.
 ٢٤- فقال لهم: أنا ربكم الأعلى في ولاية أمركم، لا رب فوقي.
 ٢٥- فعاقبه الله للتكبر به والتعذيب وجعله عبرة لغيره بالإغراق في الدنيا، والإحراق بالنار.
 ٢٦- إن في ذلك العقاب لعظة لمن يخاف الله.
 ٢٧- أأنتم في تقديركم أصعب إيجاداً وأشق، أم خلق السماء أشد، إنه بناها بإحكام؟ والاستفهام توبيخ لمنكري البعث.

هَلْ أُنَبِّئُكَ حَدِيثَ مُوسَى ۖ إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى ۗ
 ۝١٦ أَذْهَبَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ۗ فَذُرْنَاهُ لَكَ إِلَىٰ أَنْ تَرَكَهُ ۗ
 وَأَهْدِيكَ إِلَىٰ رِبِّكَ فَخَشِيَ ۗ ۝١٧ فَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكُرْسِيُّ فَكَذَّبَ وَعَصَىٰ ۗ ۝١٨ ثُمَّ أَذْبَرَ نَجِيئَهُ ۗ ففَرَّقْنَا دِيَارَهُ ۗ فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَىٰ ۗ
 ۝١٩ فَأَحْذَرَهُ اللَّهُ حَتَّىٰ كَالَأَخِذَةِ وَالْأُولَىٰ ۗ ۝٢٠ إِنْ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةٌ لِّمَن يَخْشَىٰ اللَّهَ ۗ ۝٢١ اللَّهُ أَشَدُّ حَقًّا مَّا أَلْتَمَأْتُمُوهَا ۗ ۝٢٢ وَأَعْرَضَ لِبَلَدِهَا وَأُخْرِجَ مِنْهَا ۗ وَالْأَرْضُ بِمَدِّ ذِكِّهَا وَحَتَّىٰ ۗ
 ۝٢٣ أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا ۗ وَالْجِبَالُ أَوَّلُهَا ۗ ۝٢٤ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلَا تَمْلِكُمْ ۗ ۝٢٥ فَإِذَا جَاءَتْ سَاطِئَةُ الْكُرْبِيِّ ۗ ۝٢٦ يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَىٰ ۗ ۝٢٧ وَيُرِيدُ بِالْجَحِيمِ لِمَنْ يَرَىٰ ۗ ۝٢٨ فَأَمَّا مَنْ طَغَىٰ ۗ ۝٢٩ وَهَ أَنزَلَ آنجُورَهُ الدُّنْيَا ۗ ۝٣٠ فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ۝٣١ وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۗ ۝٣٢ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ ۗ ۝٣٣ يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِلُهَا ۗ ۝٣٤ فَسِمْ أَنْتَ مِنْ ذِكْرِهَا ۗ ۝٣٥ إِلَىٰ رَبِّكَ مُنْتَهَىٰ ۗ ۝٣٦ إِنَّمَا أَنْتَ مُنذِرٌ مِّمَّنْ يُنذِرُنَّهَا ۗ ۝٣٧ كَ أَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَسُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ صُحْحًا ۗ ۝٣٨

٢٨- جعلها عالية مرتفعة، أي مقدار ارتفاعها من الأرض وسماكتها باتجاه العلو رفيعاً، فجعلها مستوية الخلق معدلة.
 ٢٩- وجعل ليلها مظلماً، وأبرز نهارها بضوء الشمس. والضحى: النهار. وفي الأصل: أول النهار.
 ٣٠- والأرض بعد إحكام السماء بسطها ومهدتها للإنسان، مع أنها كروية، ليصلح العيش عليها.
 ٣١- أخرج من الأرض ماءها بتضجير العيون والأنهار، وأنبت نباتها الذي يرمى.
 ٣٢- والجبال نبثها في الأرض كالأوتاد، لتلا تتحرك.
 ٣٣- خلق الله كل ذلك متعة ومنفعة لكم ولأنعامكم: جميع دوابكم ومواشيكم: وهي الإبل والبقر والغنم.
 ٣٤، ٣٥- فإذا جاءت الداهية العظمى وهي القيامة. يوم يتذكر الإنسان ما عمل في دنياه من خير أو شر.
 ٣٦- وأظهرت النار المحرقة لكل راء إظهارها لا يخفى على أحد.
 ٣٧، ٣٨- فأما من تكبر وتجاوز الحد، حتى كفر، وفضل الدنيا على الآخرة، بترك الاستعداد لها.
 ٣٩- فإن نار جهنم هي المستقر له، والمكان الذي يأوي إليه.
 ٤٠، ٤١- وأما من خاف الذات الأقدس وهو الله، وشدة الموقف بين يديه يوم القيامة، وكف النفس عن هواها واتباع شهواتها. فإن الجنة هي مكان إيوانه، لا مأوى له سواها. والمراد أن المعاصي في النار، والطائع في الجنة.
 ٤٢، ٤٣- يسألونك، أي كفار مكة أيها النبي عن القيامة متى وقوعها وقيامها، ومتى يوجد الله؟ وسؤالهم استهزاء. أخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس: أن مشركي مكة سألو النبي ﷺ، فقالوا: متى تقوم الساعة؟ استهزاء منهم، فأنزل الله هذه الآية. في أي شيء أنت يا محمد من ذكرها لهم؟ أي ليس عندك علمها حتى تذكرها لهم.
 ٤٤- إلى ربك منتهى علمها، لا يعلم وقتها غيره.
 ٤٥- إنما ينفع تحذيرك من يخافها ويخشى أهوالها، أي إنما بعثت للإنذار بذلك.
 ٤٦- كان هؤلاء المنكرين للقيامة يوم يشاهدونها لم يكتفوا في الدنيا إلا بمقدار عشية يوم أوصحاه.

سورة عبس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
سورة عبس (٨٠)
سورة عبس (٨٠)

عَبَسَ وَتَوَلَّى ۝١ أَن جَاءَهُ الْأَعْمَى ۝٢ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهِ بُرَىٰ ۝٣
أَو يَذَّكَّرُ فَتَنْقَعَهُ الْذِكْرَىٰ ۝٤ أَتَأْتِنَا نِسْتَعْنِي ۝٥ فَآتَ
لَهُ نُصْدَىٰ ۝٦ وَمَا عَلَيْكَ الْأَمْرُ ۝٧ وَأَتَيْنَا جَاءَهُ لِنَسْمَعِ
۝٨ وَهُوَ جُنْحِي ۝٩ فَآتَ عَنْهُ نَلْمَىٰ ۝١٠ كَلَّا إِنَّمَا تَذَكَّرُ ۝١١ فَ
شَاءَ ذَكَرُ ۝١٢ وَصُحُفٍ مُّكْرَمَةٍ ۝١٣ مَرْفُوعَةٍ مُّطَهَّرَةٍ ۝١٤
بِأَيْدِي سَفَرَةٍ ۝١٥ كِرَامٍ بَرَرَةٍ ۝١٦ قُلِ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرُ ۝١٧
مِنَ أَيِّ شَيْءٍ حَلَفَهُ ۝١٨ مِنْ طَعْمَةِ حَلْفِهِ فَذَكَرَهُ ۝١٩ ثُمَّ السَّبِيلَ
يَسْمُرُهُ ۝٢٠ ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ ۝٢١ ثُمَّ إِنَّمَا شَاءَ أُنشِرُهُ ۝٢٢ كَلَّا
لَمَا يُفْضِرُ أَمْرُهُ ۝٢٣ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ۝٢٤ أَنَّا صَبَّأْنَا
الْمَاءَ صَبًّا ۝٢٥ ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا ۝٢٦ فَأَبْنَيْنَا فِيهَا جَبًّا ۝٢٧
وَعَيْنًا وَقَضْبًا ۝٢٨ وَرَزَقْنَا رِزْقًا ۝٢٩ وَصَلَّيْنَا عُلْبَانًا ۝٣٠ وَلَكِنَّ
رَأْيًا ۝٣١ سَمًّا لَّكُمْ وَلَا نَعْمَكُمْ ۝٣٢ فَإِذَا جَاءَتْ لَصَاعَةٌ ۝٣٣

١- قطب النبي ﷺ وجهه لانشغاله بهداية كبار قومه.
أخرج الترمذي والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: أنزل الله ﷻ عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى، أتى رسول الله ﷺ، فجعل يقول: يا رسول الله أوشدني، وعند رسول الله ﷺ رجل من عظماء المشركين، فجعل رسول الله ﷺ يعرض عنه، ويقبل على الآخر، فيقول له: أتري بما أقول بأساً؟ فيقول: لا، فنزلت: عبس وتولى... ﷻ.

٢- لأجل أن جاءه الأعمى: ابن أم مكتوم.

٣- وما يعلمك أيها النبي لعل الأعمى يتطهر من الذنوب بما يسمع منك، فيزداد إيماناً وعملاً صالحاً.

٤- أو تعظ بقولك، فتفتحه المرعظة.

٥- أما من استغنى بثروته وماله وجاهه عن سماع القرآن وما جئت به من الخير.

٦، ٧- فانت له تعرض وتقبل عليه أملاً في إسلامه. وليس عليك بأس في ألا يتزكى بالإسلام، حتى تحمض عليه، وتعرض عمن أسلم.

٨- وأما من جاءك مسرعاً لطلب العلم والمرعظة.

٩، ١٠- وهو يخاف عقاب الله، وهو الأعمى، فانت

تلهي وتشاغل عنه وتعرض.

١١- كلا، لا تفعل مثل ذلك، أيها النبي، إن هذه الآيات

عظة تستحق العمل بها.

١٢- فمن أراد تعظ بالقرآن.

١٣، ١٤- إن هذه التذكرة مثبتة في صحف مكرومة شريفة عند الله، رفيعة القدر عنده، منزهة لا يمسه إلا المطهرون.

١٥- منسوخة بأيدي كتبة من الملائكة ينسخونها من اللوح المحفوظ، ويسفرون بالوحي بين الله ورسوله.

١٦- ملائكة مكرمين أعزاه على الله تعالى، اتقياء مطيعين لله تعالى.

١٧- لئن الإنسان الكافر ما أشد كفره؟ دعاه عليه بأشنع الدعوات.

١٨- من أي شيء خلق الله هذا الكافر؟ بيان لما أنعم عليه، والاستهتام للتحقير.

١٩- خلقه من ماء مهين ضئيل، وأنشأه مقدراً وجوده في أطوار مختلفة، وقدر له أعضاء لمصلحة نفسه.

٢٠، ٢١- ثم سهل ولادته، ويسر له طريق الخير والشر ليختار أحدهما. ثم أماته بأجله، فجعله في قبر يستره تكريماً له.

٢٢- ثم إذا أراد، بعثه بعد الموت للحساب والجزاء. والإنشاز: الإحياء بعد الموت في الوقت المراد له.

٢٣- كلا، لردع الإنسان عن الكفر، لم يفعل الإنسان ما أمر الله به من العبادة والشكر بنحو كامل إلا القليل.

٢٤- فليتنظر الإنسان نظرة تأمل وتفكر كيف أوجد الله له مطعمه الذي هو سبب حياته؟

٢٥، ٢٦- أننا أنزلنا المطر إنزالاً سخياً كثيراً. ثم شققنا الأرض بالنبات شقاً محكماً لائقاً بما يخرج منه صغيراً أم كبيراً.

٢٧، ٢٨- فأبنتنا في الأرض حباً كالخطة والشعير، وأعناها، وكل ما يقطع أخضر طرياً، ومنه برسيم الدواب.

٢٩، ٣٠- وأشجار زيتون ونخيل، ويسنين ضخمة كثيرة الأشجار.

٣١، ٣٢- وفاكهة مختلفة الألوان والأنواع، وعشباً للدواب، خلقها الله منفعة لكم ولجميع حيواناتكم.

٣٣- أي إذا جاءت القيامة أو صحبته التي تصغح الأذن، أي تصمها فلا تسمع.

٣٤-٣٦: يوم يفر (يهرب) المرء من أخيه؛ لأنه يستنصر به عادة، وأمه وأبيه، وزوجته، وأولاده الذكور؛ وهم أقرب القرابة، وأولاهم بالشفقة، ولكن الفرار منهم لهول أشد وأعظم.

٣٧- لكل امرئ منهم حال يشغله ويصرفه عن الأقارب، فلا يفكر إلا في نفسه.

٣٨، ٣٩- وجوه المؤمنين يوم القيامة مضيئة متهللة، ضاحكة مستبشرة بما تراه من النعيم.

٤٠، ٤١- وجوه الكافرين يومئذ عليها غبار وكدورة، تغشاها ظلمة وذلة، لما تراه من العذاب.

٤٢- أولئك هم المتصفون بالكفر والفسق؛ وهو العصيان والخروج عن حدود الله تعالى.

سورة التكويد

فضلها: أخرج الإمام أحمد والترمذي والحاكم عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «من سره أن ينظر إلى يوم القيامة، كأنه رأي عين، فليقرأ: ﴿إذا الشمس كورت﴾ [التكويد ٨١/١] و﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق ٨٢/١] و﴿إذا السماء انشقت﴾ [الانشقاق ٨٤/١].

١- إذا الشمس لُتت وطويت وأزير ضوءها

ونورها. هذه الأحداث الـ (١٢) هنا تحدث من أول زمن النسخة الأولى إلى انقضاء الحساب وإعلان الجزاء، ومنها يكون بعد النسخة الثانية.

٢، ٣- وإذا النجوم تساقطت وتهاوت على الأرض. وإذا الجبال قلعت من أماكنها بزلزلة الأرض.

٤- وإذا أهملت النوق الحوامل التي مضى على حملها عشرة أشهر، وبقي على وضعها شهران فقط، وهي من أنفس أموال العرب، والعشار: جمع عُشراء. وهذا كناية عن انشغال الإنسان بنفسه.

٥- وإذا الوحوش جمعت بعد البعث ليقطن من بعضها لبعض، ثم تصير تراباً.

٦، ٧- وإذا البحار أوقدت، فصارت ناراً تَحترق بالبركان والزلازل. وإذا النفوس قرنت فيها الأرواح بالأجساد.

٨، ٩- وإذا البنت المدفونة حية خوف العار أو الحاجة سئلت: بأي ذنب قتلت؟ وهذا سؤال توبيخ لقاتلها بغير ذنب.

١٠، ١١- وإذا صحف الأعمال فتحت وبسطت. وإذا السماء قلعت كما يقلع السقف.

١٢، ١٣- وإذا النار أجمت وأوقدت إيقاداً شديداً. وإذا الجنة قرئت وأذيت لأهلها المتقين لدخولها.

١٤، ١٥- علمت نفس ما قدمت من خير أو شر. أقسم- ولا زائدة لتأكيد الخبر- بالكواكب التي تظهر في الليل وتختفي في النهار تحت ضوء الشمس، وهي رُحُل والمشتري والزهرة وعطارد.

١٦- الكواكب السيارة التي تجري مع الشمس في النهار، وتستتر في ضوء الشمس.

١٧، ١٨- وأقسم بالليل إذا أقبل بظلامه، أو أدبر، فهو من الفاظ الأضداد. والصبح إذا أقبل وأضاء بنوره.

١٩- إن هذا القرآن لقول أجراه الله على لسان رسول مكرم عند الله هو جبريل عليه السلام، لكونه نزل به من جهة الله تعالى على رسوله محمد ﷺ.

٢٠- على لسان رسول ذي قدرة كبيرة، وحافظة فائقة، وذو منزلة رفيعة عالية عند الله سبحانه.

يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ ۝ وَأُمِّهِ وَأَسِيهِ ۝ وَصَلِيئِهِ وَبَنِيهِ ۝
لِكُلِّ أقرى مَنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ ۝ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ
سُفْرَةٌ ۝ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْسِرَةٌ ۝ وَوَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا
عَبْرَةٌ ۝ نَزَّهَتَهَا أَقْرَبُ ۝ وَأُولَئِكَ هُمُ الْكَافِرَةُ الْفَجِرَةُ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ
سُوِّرَتْ ۝ وَإِذَا الْمَسَارِعُ غُطَّتْ ۝ وَإِذَا الْوُحُوشُ حُشِرَتْ ۝
وَإِذَا الْبِحَارُ سُجِّرَتْ ۝ وَإِذَا النُّفُوسُ زُوِّجَتْ ۝ وَإِذَا
الْمُؤَدَّهٗ سِيلَتْ ۝ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتِلَتْ ۝ وَإِذَا الصُّحُفُ نُشِرَتْ ۝
وَإِذَا السَّمَاءُ كُشِطَتْ ۝ وَإِذَا الْجِبَالُ سُعِّرَتْ ۝ وَإِذَا
الْجِبَّةُ أُلْفِتْ ۝ عَلِمَتْ نَفْسٌ مَّا حَصُرَتْ ۝ فَلَا أَمْرَ إِلَّا خُسْرٌ ۝
أَجْوَادَ الْكُنُوسِ ۝ وَاللَّيْلُ إِذَا عَمَسَتْ ۝ وَالصُّبْحُ إِذَا انْفَسَتْ ۝
إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ ۝ ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ ۝

نُطْعَاحَ تَمَّ أَمِينٌ ﴿٢١﴾ وَمَا صَاحِبُكُمْ بِمَجْنُونٍ ﴿٢٢﴾ وَقَدْ رَدَّ لَوْ بِالِأُنْفِ
الْمِينِ ﴿٢٣﴾ وَمَا هُوَ عَلَى الْغَيْبِ بِضَلِيلٍ ﴿٢٤﴾ وَمَا هُوَ بِقَوْلِ شَيْطَانٍ
رَّجِيمٍ ﴿٢٥﴾ فَإِنَّ نَظْمَهُمْ ﴿٢٦﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِلْعَالَمِينَ ﴿٢٧﴾ لِمَنْ شَاءَ
مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقِيمَ ﴿٢٨﴾ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا الْكَوَاكِبُ سُتِّرَتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْجِبَالُ سُوقَتْ ﴿٣﴾
وَإِذَا الْعُيُودُ بُعِذَتْ ﴿٤﴾ وَجَلَّتْ نَفْسٌ وَوَدَّعَتْ وَأُخِّرَتْ ﴿٥﴾
يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا عَرَبَكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ ﴿٦﴾ الَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾
فِي أَحْسَنِ صُورَةٍ مَا شَاءَ رَكَّبَكَ ﴿٨﴾ كَلَّا بَلْ كَذَّبْتُم بِالدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنْ
عَلَيْكُمْ لِحِطْبٌ ﴿١٠﴾ كَرُمًا كَسِبْتُمْ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَعْمَلُونَ ﴿١٢﴾ إِنَّ الْإِنْسَانَ
لِرَبِّهِمْ كَرِيمٌ ﴿١٣﴾ وَإِنَّ الْفِجَارَ لَكَبِيرَةٌ ﴿١٤﴾ جِئْتُم بِأَيُّومِ الدِّينِ ﴿١٥﴾ وَمَا هُمْ
عَنْهَا بِعَاقِبِينَ ﴿١٦﴾ وَمَا أَذْنُكَ مَا يُؤْمِرُ الدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَا أَذْنُكَ مَا يُؤْمِرُ
الدِّينِ ﴿١٨﴾ بَوَّءَ لَأَنْفِكَ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا وَالْآخِرُ يَوْمَئِذٍ لِلَّهِ ﴿١٩﴾

٢١- تطييعه الملائكة في السماء في الملا الأعلى، أمين على الوحي والرسالة.

٢٢- وما صاحبكم محمد ﷺ يا مشركي مكة بمجنون، كما زعمتم، فأنتم عالمون بأمره وعقله وحكمته فهو صاحبكم.

٢٣- ولقد رأى النبي ﷺ جبريل عليه السلام على صورته الحقيقية، وهو في مطلع الشمس الأعلى، له ست مئة جناح.

٢٤- وما محمد ﷺ على الوحي وخبر السماء الغيبي ببخيل مقصر بالتعليم والتبليغ.

٢٥- وما هذا القرآن بقول شيطان مسترق السمع، مرجوم مطرود من رحمة الله تعالى.

٢٦- فأي طريق تسلكون بعد إنكاركم القرآن؟

٢٧- ما هذا القرآن إلا تذكير وعظة للعالمين.

٢٨- لمن أراد منكم أن يستقيم على الطريق الواضح باتباع الحق والإيمان بالإسلام.

٢٩- وما تشاؤون الاستقامة على الحق إلا وقت أن يشاء الله لكم ذلك، هو مالك الخلق كلهم.

سورة الانفطار

فضلها: أخرج الإمام أحمد والترمذي - كما تقدم -

عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ قال: «من سره أن ينظر إلى القيامة رأي العين، فليقرأ: ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير ١/٨١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ﴾ [الانفطار ٨٢/١] و﴿إِذَا السَّمَاءُ انشقت﴾ [الانشقاق ٨٤/١].

١، ٢- إذا السماء تشققت، وإذا الكواكب تسافطت متفرقة.

٣، ٤- وإذا البحار شققت جوانبها وزالت الحواجز بينها، فصارت بحراً واحداً، وإذا القبور قلب ترابها على موتاها، وبعث من كان في جوفها من الأموات.

٥- علمت نفس يوم القيامة ما قدمت من أعمال، وأخرت منها فلم تعمل بها بسبب الكسل.

٦، ٧- يا أيها الإنسان (المراد جنس الإنسان) ما الذي خدعك وجراك على عصيان ربك. أخرج ابن أبي حاتم قال: نزلت في أبي بن خلف. الذي أوجلك، فجعل أعضائك سوية سالمة نافعة، وجعلك معتدل القامة متناسب الخلق.

٨- ربك وكوثك في أي صورة من أعجب الصور وأحكمها دون أن تختار صورة لنفسك.

٩- كلا: للردع عن الاعتزاز بكرم الله تعالى، بل: للانتقال من موضوع لآخر، تكذبون بالحساب والجزاء الأخرى على الأعمال.

١٠- وإن عليكم لملائكة حافظين أعمالكم، يسجلون كل شيء ويكتبونه في صحائفكم.

١١، ١٢- مكرمين عند الله، كاتنين لكل صغيرة وكبيرة. يعلمون جميع الأفعال.

١٣، ١٤- إن المؤمنين الصادقين في إيمانهم لفي نعيم الجنة. وإن الكفار التاركين لشرع الله لفي نار محرقة.

١٥، ١٦- يدخلونها ويقاسون حرها يوم الجزاء في الآخرة. وما هم عن النار بخارجين منها، لخلودهم فيها.

١٧، ١٨- وما أعلمك ما حقيقة يوم الجزاء والحساب، ثم ما أدراك ما ذلك، وكرر الجملة للتضخيم وشدة الهول.

١٩- يوم لا تملك نفس شيئاً من المنفعة لنفس أخرى، والأمر كله يوم القيامة لله وحده، لا أمر لغيره فيه.



سورة المطففين



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ ﴿١﴾ الَّذِينَ إِذَا كَانُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ ﴿٢﴾
وَأَذَا كَانُوا لَهُمْ أَوْزَارُهُمْ يَخْسِرُونَ ﴿٣﴾ أَلَا يَأْخُذُكَ أَلَيْسَ إِنَّهُمْ
مُجْرِمُونَ ﴿٤﴾ لِيَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٥﴾ يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ رَبًّا مُبِينًا ﴿٦﴾ كَلَّا
إِنَّ كِتَابَ الْغَبَارِ لَفِي نَجْمٍ ﴿٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا نَجْمٌ ﴿٨﴾ كَذَّبْتُمْ
وَلَمْ تَوَسَّدُوا لَكُذِبِينَ ﴿٩﴾ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِوَعْدِ اللَّهِ ﴿١٠﴾ وَمَا يَكْتُوبُ بِهِ
إِلَّا الْكُفْرَانُ ﴿١١﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا عَلِيَّةٌ أَلَيْسَ أَلْأَسْطِيرُ الْأُولَىٰ ﴿١٢﴾ كَلَّا لَئِنْ
رَأَىٰ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٣﴾ كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ مَنجُوبُونَ ﴿١٤﴾
وَمَا يَكْتُمُونَ لِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ﴿١٥﴾ أَلَمْ يَكْفُرُوا بِالْحَبْلِ الَّذِي كَانُوا
يَكْفُرُونَ ﴿١٦﴾ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَقْرَارِ لَفِي عِلْمٍ ﴿١٧﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلْمٌ ﴿١٨﴾
كُتِبَ مُتْقِنِينَ ﴿١٩﴾ بِهَذِهِ الْقُرْآنِ ﴿٢٠﴾ إِنْ أَنْتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢١﴾ عَلَى
الْأَذْيَاقِ يَنْظُرُونَ ﴿٢٢﴾ تَرَفُّفٌ فِي حُجُوبِهِمْ ضَمْرَةُ النَّعِيمِ ﴿٢٣﴾ يَسْقُونَ مِنْ
رَجْوٍ مَحْمُورٍ ﴿٢٤﴾ حَتَّىٰ مَسَّكَ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَبَّهْ مِنَ الْمُنْذَرُونَ ﴿٢٥﴾

- ١- هلاك وعذاب للأخذين بالكيل أو الوزن شيئاً طفيفاً، أي قليلاً، إما بالنقصان إن كانوا، أو بالزيادة إن اكتالوا. أخرج النسائي وابن ماجه بسند صحيح عن ابن عباس قال: لما قدم النبي ﷺ المدينة، كانوا من أبخس الناس كيلاً، فأنزل الله: ﴿ويل للمطففين﴾ فأحسنا الكيل بعد ذلك.
- ٢- الذين إذا أخذوا من غيرهم حقوقهم، أخذوا الكيل وافيًا كاملاً.
- ٣- وإذا كالتوا لغيرهم أو وزنوا نقصوا الوزن.
- ٤- ألا يخطر ببال هؤلاء المطففين أنهم مبعوثون، فيحاسبون على أعمالهم، فهلا تدبروا عاقبة أمرهم؟
- ٥، ٦- أنهم مبعوثون في يوم عظيم خطره وهوله وهو يوم القيامة، يوم يقوم الناس من قبورهم أمام ربهم للحساب والجزاء.
- ٧- كلاً: حرف لتنبية السامع لأهمية ما بعده، إن كتاب (المكتوب) الكفار في سجل أهل النار.
- ٨- وما أعلمك ما كتاب مسجين؟ سجل أهل النار.
- ٩- كتاب مسطور بين، أو معلم، دوت فيه أسماء الفجار، يعلم من يراه أن ما فيه شر كله.
- ١٠- هلاك وعذاب يوم القيامة للمكذبين بالحق من القرآن والبعث.

- ١١- الذين يكذبون بوقوع يوم الحساب والجزاء.
- ١٢- وما يكذب بيوم القيامة إلا كل متجاوز الحدود في الكفر، كثير الآثام والمعاصي.
- ١٣- إذا تتلى على هذا المكذب آيات القرآن، قال عنها: حكايات وأكاذيب وأباطيل وخرافات القدماء.
- ١٤- كلاً: للردع والزجر عن هذا القول، ليس القرآن أساطير الأولين، بل غطى على قلوبهم حجاب منع عنهم أسباب الهداية، وهو ما كسبه من الذنوب والسيئات.
- ١٥- كلاً: حرف تنبيه لما بعده، إن الكفار محجوبون ممنوعون عن ربهم يوم القيامة، لا ينظرون إليه كالمؤمنين.
- ١٦- ثم إن الكفار لدخلوا النار المحرقة وملازموها.
- ١٧- ثم تقول لهم خزنة جهنم: هذا هو العذاب الذي كتتم به تكذبون في الدنيا.
- ١٨- كلاً: للتنبيه كما تقدم، إن مكتوب أو صحيفة المؤمنين الصادقين لمبت في ديوان الخير وسجل البررة.
- ١٩، ٢٠- وما أعلمك ما كتاب عليين؟ وهذا للتعظيم، إنه كتاب البررة، إنه كتاب مسطور بين الكتابة أو معلم بعلامة.
- ٢١- يشهد كتابة ذلك الكتاب ويحضره الملائكة المقربون، الذين لهم عند ربهم منزلة خاصة.
- ٢٢، ٢٣- إن أهل الإيمان والطاعة لفي نعيم الجنة الخالد. على الأسرة المفروشة ينظرون إلى ما أعطوا من النعيم والتكريم.
- ٢٤- تعرف في وجوه البررة بهجة التمتع وحسنه ويريقه ورونقه.
- ٢٥- يسقون من شراب خالص لا غش فيه ولا فساد: وهو الخمر غير المسكرة، ختم إناءه ومنع من مساس الأيدي.
- ٢٦- غطاؤه تفوح منه رائحة المسك، وفي ذلك فليترغب الراغبون، ويتسابق المتسابقون بالمبادرة إلى طاعة الله تعالى.

وَمَرَّاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ ﴿٣٧﴾ عِنَّا اشْرَبْ بِهَا الْمُرْبُوبُونَ ﴿٣٨﴾ إِنَّ الَّذِينَ
 أَجْرَمُوا كَانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ ﴿٣٩﴾ وَإِذَا نَادَىٰ لَهُمْ
 يُنَادِرُونَ ﴿٤٠﴾ وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ لَمَقَّبُوا أَكْهَبِينَ ﴿٤١﴾ وَإِذَا
 رَأَوْهُمُ قَالُوا إِنَّ هَؤُلَاءِ لَأَصْأَلُونَ ﴿٤٢﴾ وَمَا أُرْسِلُوا عَلَيْهِمْ
 حَافِظِينَ ﴿٤٣﴾ فَالْيَوْمَ الَّذِينَ آمَنُوا مِنَ الْكُفَّارِ يَضْحَكُونَ ﴿٤٤﴾ عَلَى
 الْأَرَائِكِ يَنْظُرُونَ ﴿٤٥﴾ هَلْ يُؤِيبُ الْكَفَّارُ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٤٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِذَا السَّمَاءُ انشَقَّتْ ﴿١﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ﴿٢﴾ وَإِذَا الْأَرْضُ مُدَّتْ
 ﴿٣﴾ وَأَلْقَتْ مَا فِيهَا وَتَخَلَّتْ ﴿٤﴾ وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُفَّتْ ﴿٥﴾ يَا أَيُّهَا
 الْإِنْسَانُ إِنَّكَ كَادِحٌ إِلَىٰ رَبِّكَ كَدْحًا فَمُلِئْهُ ﴿٦﴾ فَمَا تَمَنَّيْتَ أَوْفَىٰ
 كَيْلِهِ بِبَيْتِهِ ﴿٧﴾ فَسَوْفَ نَحْأَسِبُ حِسَابًا كَسِيرًا ﴿٨﴾ وَيَقْلِبُ إِلَىٰ
 أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿٩﴾ وَأَمَّا مَنْ أَوْفَىٰ كَيْلَهُ وَرَأَىٰ ظَهْرَهُ ﴿١٠﴾ فَسَوْفَ يَدْعُوا
 بُرُورًا ﴿١١﴾ وَيَصِلُ أَسْعِدِيًّا ﴿١٢﴾ إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا ﴿١٣﴾

٢٧- وما يمزج به ويخلط الرحيق من ماء ينصب عليهم من مكان مرتفع.

٢٨- والتسنييم: عين ماء يشرب منها الأبرار.

٢٩- إن الذين كفروا من كبراء مكة وأشرفها ونحوهم كانوا من المؤمنين يستهزئون في الدنيا. نزلت في أكابر المشركين كأبي جهل والوليد بن المغيرة والعاص بن وائل السهمي، كانوا يضحكون من عمار وصهيب وبلال وغيرهم من فقراء المسلمين ويستهزئون بهم.

٣٠- وإذا مر المؤمنون بالكفار، يغمز بعضهم بعضاً بأعينهم استهزاء. والغمز: إرخاء الجفن والحاجب استهزاء.

٣١- وإذا رجع المجرمون إلى منازل أهلهم، رجعوا متلذذين باستهزائهم بالمؤمنين.

٣٢- وإذا رأى الكفار المؤمنين قالوا: إن هؤلاء لفي ضلال وبعد عن الصواب لإيمانهم بمحمد ﷺ.

٣٣- ولم يرسل الكفار على المؤمنين حافظين لأعمالهم، رقباء يهيمنون على أعمالهم.

٣٤- ففي يوم القيامة، المؤمنون يضحكون من الكفار حين يرونهم أذلاء معذبين.

٣٥- على الأسرة المفروشة ينظرون من منازلهم إلى الكفار، وهم يعذبون في النار.

٣٦- هل كوفي، أو جوزي الكفار على أعمالهم التي

فعلوها في الدنيا من الاستهزاء والسخرية؟ والتثويب معناه المجازاة، واشتهر في المجازاة بالخير، فكان استعماله هنا تهكماً بالكفار.

سورة الانشقاق

فضلها: تقدم في حديث سابق في مطلع سورتي التكوير والانفطار، وأخرج مسلم والنسائي: أن أبا هريرة قرأ بهم: **﴿إذا السماء انشقت﴾** فسجد فيها، فلما انصرف أخبرهم أن رسول الله ﷺ سجد فيها.

- ١- إذا السماء تشققت وتصدعت.
- ٢- وانقادت لأمر ربها واستمعت، أي حصل ما أَرَادَهُ اللهُ مِنْهَا مِنَ الانشقاق، وَحُقَّ لَهَا أَنْ تَسْمَعَ وَتَمْتَلِ.
- ٣- وإذا الأرض بسطت ومدت كما تمد الجلد بزوال جبالها وقذف جميع ما فيها.
- ٤- وألقت ما فيها من الموتى والكنوز إلى ظاهرها، وخلت خلواً تماماً عما كان في جوفها.
- ٥- وانقادت لأمر ربها واستمعت، وحُقَّ لها ذلك.
- ٦- يا أيها الإنسان إنك مجاهد وجاد في عملك إلى لقاء ربك، فملاق عملك من خير أو شر يوم القيامة.
- ٧، ٨- فأما من أعطي كتاب أعماله يمينته، وهو المؤمن. فسوف يحاسب في الآخرة حساباً سهلاً لا نقاش فيه.
- ٩- ويرجع إلى أهله الذين في الجنة من الزوجة والأولاد وعشيرته المؤمنين فرحاً بحسابه اليسير.
- ١٠- وأما من أعطي كتاب أعماله بشماله على كره منه من وراء ظهره، وهو الكافر.
- ١١- فسوف يدعو على نفسه بالهلاك قائلاً: يا ثبوراه ليستربح. والثبور: الهلاك.
- ١٢، ١٣- ويدخل ناراً مستعرة. إنه كان بين أهله وعشيرته في الدنيا فرحاً بطراً باتباعه الهوى.

١٤- إنه اعتقد أن لن يرجع إلى ربه للحساب الأخرى .
 ١٥- بلى إنه يرجع إليه، إن ربه كان به وبأعماله عالماً خبيراً، فلا يهمله ويعيده. وبلى: لإبطال ما قبله وإثبات ما بعده، أي لا بد من رجوعه .
 ١٦- ١٨: أقسم بالشفق، أي الحمرة التي تروى في الأفق الغربي بعد غروب الشمس، وتمتد إلى وقت العشاء . وبالليل وما ضم وجمع ما دخل عليه في ظلامه . وبالقمر إذا تم نوره في ليال ثلاث من كل شهر وهي ١٣، ١٤، ١٥ .

١٩- لتلائم أيها الكفار أحوالاً من شدائد القيامة، بعضها فوق بعض وهي الموت ثم البعث، ثم السوق إلى المحشر . ثم الوقوف للحساب .

٢٠، ٢١- فما لهؤلاء الكفار أو المشركين لا يؤمنون بالله واليوم الآخر؟ وقد أقيمت لهم البراهين على ذلك . وإذا تلي عليهم القرآن لا يخضعون لأمر الله، بأن يؤمنوا بالقرآن لإعجازه .

٢٢، ٢٣- بل الكفار يكذبون بالقرآن والبعث والحساب . والله أعلم بما يضمرون في صدورهم من الشرك أو الكفر وعداوة الإسلام .

٢٤- فأخبرهم محلاً لهم بعذاب مؤلم، والمراد بالبخارة الإخبار تهكماً واستهزاء بهم .

٢٥- لكن الذين آمنوا بالله ورسوله وبالقيامة، وعملوا بما أمر الله واجتنبوا المعاصي، لهم ثواب غير مقصود ولا مقطوع ولا يمن به عليهم .

أَلَمْ نَرَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِن رَّبَّكَ كَانَ بِعَصِيانِكَ عَلِيمًا ۝ فَالْقَوْمِ بِاللَّعْنَةِ ۝ وَالْقَوْمِ إِذَا تَنَسَّقُوا ۝ لَتَكُنَّ بَطْنًا عَنِ طَبَقِ ۝ فَمَا لَمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ وَإِذَا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرْآنُ لَا يَسْمَعُونَ ۝ بَل لَّذِينَ كَفَرُوا يُكَذِّبُونَ ۝ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعُوا ۝ فَسْتَرْهُمْ بِعَذَابِ أَلِيمٍ ۝ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنَجْعَلَنَّهُمْ أَجْرًا عَرِيضًا ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالسَّمَاءِ ذَاتِ الْبُرُوجِ ۝ وَالْيَوْمِ الْمَوْعُودِ ۝ وَسَاءَ لِهَؤُلاءِ السَّعِيرِ ۝ قُلْ أَصْحَابُ الْأُئْتَانِ ۝ أَلَنْ يَرَأَوْا الْقُودُ ۝ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ۝ وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُعُوبٌ ۝ وَمَا تَقْوَاهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ ۝ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۝ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ قَتَلُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ كَفَرُوا فَهُمْ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ ۝ وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ فِي عَذَابٍ مُّهِينٍ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ۝

سورة البروج

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ في العشاء الآخرة بـ ﴿ذات البروج﴾ وهو السماء والطارق ﴿الطارق﴾ ٨٦ / ٤١ .

- ١- أقسم بالسماء ذات الكواكب، وهي اثنا عشر برجاً لاثنى عشر كوكباً، منها الشمس .
- ٢- وأقسم باليوم الذي وعد الله به عباده للحساب والجزاء، وهو يوم القيامة .
- ٣- ويكل شاهد على غيره في ذلك اليوم، ومشهود عليه بالأفعال التي ارتكبها، ويشمل الرسل والأمم .
- ٤- لئن أصحاب الشق المستطيل المحفور في الأرض، وهم قوم كفار أحرقوا جماعة من المؤمنين في أخدود باليمن، وهم نصارى بجران، الذين كانوا على دين التوحيد .
- ٥، ٦- النار ذات اللهب الشديد بما توقد به، حين كانوا قاعدين على حافة أخدود النار .
- ٧- وهم حضور على ما يفعلون بتعذيب المؤمنين بالله، بالإلقاء بالنار .
- ٨- وما أنكروا وعبأوا عليهم إلا أنهم يؤمنون بالله وحده .
- ٩- مالك السموات والأرض، فهو حقيق بالإيمان به وتوحيده، والله شاهد عالم مطلع على ما فعلوه ومجازيهم .
- ١٠- إن الذين ابتلوا واختبروا المؤمنين والمؤمنات بالأذى والإحراق لردهم عن دينهم، ثم لم يتوبوا من قبح فعلهم، لهم يوم القيامة عذاب جهنم بكفرهم وإحراقهم المؤمنين، ولهم عذاب جهنم المحرق أو العذاب شديد الإحراق، وهذا بيان لما سبق .
- ١١- إن الذين آمنوا بالله ورسوله واليوم الآخر، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، لهم يوم القيامة جنات تجري من تحتها فيها أنهار، ذلك هو النجاح الأكبر الذي لا يعادله نجاح آخر .

إِنْ بَطَسَ رَبِّكَ لَشَدِيدٍ ﴿١٦﴾ إِنَّهُ هُوَ سَيِّدُنَا وَبِعْدُ ﴿١٧﴾ وَهُوَ الْعَمُورُ
 الْوُدُودُ ﴿١٨﴾ ذُو الْعَرْشِ الْحَمِيدُ ﴿١٩﴾ فَعَالِمٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿٢٠﴾ هَلْ أُنْتَبِهُ إِذْ
 أَسْجُدُ ﴿٢١﴾ وَعَوْنٌ وَمُعْتَدٌ ﴿٢٢﴾ بِلِذَّةِ الرَّزْقِ أَفَىٰ تَكْدِيبِ ﴿٢٣﴾ وَاللَّهُ مِنْ
 وَرَاءِهِمْ مُحِيطٌ ﴿٢٤﴾ بَلْ هُوَ قَوْلٌ بَلَّغٌ لِّمَن يَخْتِصِمُ ﴿٢٥﴾ فِي لَوْحٍ مَّخْطُومٍ ﴿٢٦﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾
 إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِنْ
 مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يُخْرَجُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَالصَّالِبِ وَالنَّازِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ
 لَقَادِرٌ ﴿٨﴾ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَابُ ﴿٩﴾ فَأَلَمْ يَنْزِلْ مِنْ قُوَّةٍ وَلَا يَمُوتُ ﴿١٠﴾ وَالسَّمَاءُ ذَاتِ
 الرَّجَبِ ﴿١١﴾ وَالْأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ ﴿١٢﴾ أَلَمْ يَقُولْ مُسَلَّمٌ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِالْمُرْسَلِ
 ﴿١٤﴾ إِنَّمْ يَكِيدُونَ كَيْدًا ﴿١٥﴾ وَأَكِيدُ كَيْدًا ﴿١٦﴾ فَمَهَلِكِ الَّذِينَ سَمِعُوا بِرُؤْيَا
 ﴿١٧﴾



١٢- إن أخذ ربك بشدة وعنف لبالغ الشدة، والمراد أنه تعالى مضاعف تعذيبه بالكفار.
 ١٣- إن الله ينشئ الخلق في البدء، ثم يعيدهم أحياء بعد الموت يوم القيامة.
 ١٤، ١٥- وهو سبحانه الكثير المغفرة للتائبين، المحب لهم. إنه تعالى خالق العرش ومالكه وصاحبه، العظيم الجليل في ذاته وصفاته.
 ١٦- أي كثير الفعل، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، لا معقب لحكمه.
 ١٧- هل يبلغك أيها الرسول خبر الأقوم الذين حاربوا الرسل الكرام وقتلواهم؟
 ١٨- أولئك الجنود المجندة لمحاربة الرسل هم جنود فرعون وأتباعه في مصر، وقبيلة ثمود قوم صالح، والمراد: ما وقع منهم من الكفر والعناد، وتعذيبهم في النهاية.
 ١٩- بل هؤلاء الكفار العرب في تكذيب شديد لك أيها الرسول وللقرآن، ولم يتعظوا بمن قبلهم من الكفار. و ﴿بل﴾ لإبطال أسباب تكذيبهم وإثبات الحق، أي إن حال كفار قريش أعجب من السابقين.
 ٢٠- والله محيط بهم قادر عليهم لا يفوتونه، فهم في قبضته وسلطانه، سيعلبهم كما عذب من قبلهم.
 ٢١- بل إن هذا القرآن قرآن شريف عظيم معظم، وليس كما زعموا أنه شعر أو كهانة أو سحر.
 ٢٢- مكتوب في لوح مصون عن الشياطين من الزيادة والنقص، وهو أم الكتاب أو اللوح المحفوظ.

سورة الطارق

- فضلها: أخرج النسائي عن جابر بن عبد الله قال: صلى معاذ المغرب، فقرأ البقرة والنساء، فقال النبي ﷺ: أفان يا معاذ! ما كان يفتيك أن تقرأ ب ﴿والسما والطارق﴾ و ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس ١/٩١] ونحوها!؟
- ١- أقسم بالسما والشمس والكوكب الطالع ليلا. وسمي بالطارق لأنه يأتي ليلا ويخفى بالنهار.
 - ٢، ٣- وما أعلمك أيها النبي ما الطارق؟ في التساؤل تعظيم لشأن الطارق. النجم المضيئ الثاقب بضوئه ظلمة الليل.
 - ٤- ما كل نفس إلا عليها حافظ من ربه، موكل بحراستها، وإحصاء أعمالها، وهم الملائكة الحفظة.
 - ٥- فلينظر الإنسان نظرة تأمل واعتبار من أي شيء خلقه ربه!؟ أخرج ابن أبي حاتم عن عكرمة في قوله: ﴿فلينظر الإنسان مم خلق﴾ قال: نزلت في أبي الأشد بن كلدة الجمحي، كان يقوم على الأديم (الجلد) فيقول: يا معشر قريش، من أزالني عنه فله كذا، ويقول: إن محمداً يزعم أن خزنة جهنم تسعة عشر، فأنا أكفيكم وحدي عشرة، واكفوني أنتم تسعة.
 - ٦- خلق من ماء (مني) مصبوب في الرحم. ودافق: بمعنى مدفوق، كالحافرة: المدفوق.
 - ٧- يخرج هذا الماء من بين ظهر الرجل وعظام صدر المرأة. والترائب: مواضع القلادة من الصدر، جمع تريبة.
 - ٨- إن الله على إعادة الإنسان بالبعث بعد الموت لقادر.
 - ٩- يعيده يوم تختبر السرائر وتعرف، أي تظهر، والسرائر: مكونات القلوب من العقائد والنيات وغيرها.
 - ١٠- فما لمنكر البعث وهو الكافر من قوة يتمتع بها عن عذاب الله، ولا ناصر يتقده مما نزل به.
 - ١١، ١٢- وأقسم بالسما ذات المطر الذي يرجع إليها بالتبخر من الأرض، وبالأرض التي تصدع أو تشقق عند خروج النبات فيها.
 - ١٣، ١٤- إن القرآن لقول يفصل بين الحق والباطل، كأنه الفصل نفسه، وليس هو باللهو ولم ينزل باللعب.
 - ١٥- إن الكفار يدبرون المكائد (التدابير الخفية) لمحاربة الإسلام والنبي ﷺ، ومحاولة إبطال ما جاء به.
 - ١٦- وأقابل تدبيرهم بتدبير أقوى منه يطلعه، ثم أجازيهم بما يستحقون.
 - ١٧- فأختر أيها النبي الكفار ولا تستعجل هلاكهم، وأنظرهم قليلاً.

سورة الأعلى

فضلها: ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال لما ذُكر له صليت به ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى ٨٧/١] ﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس ٩١/١] ﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل ٩٢/١].

- ١- نزه إليها النبي اسم ربك البالغ النهاية في العلو عن كل ما لا يليق به، بقولك: (سبحان ربي الأعلى).
- ٢- الذي خلق الإنسان وغيره، فجعله معتدل القامة، متناسب الأجزاء، مهياً لما خلق له.
- ٣- والذي قدر كل شيء ومنه الرزق بمقادير معينة، فعرفه وجه الانتفاع بما خلق له.
- ٤- والذي أنبت العشب والنبات والشجر والزرع، ومراعي الأنعام والدواب.
- ٥- فجعله باسماً، مائلاً للسواد بعد اخضراراه.

- ٦- مستقرتك أيها الرسول القرآن على لسان جبريل عليه السلام، فلا تنسى ما تقرؤه. قال مجاهد والكلبي: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه جبريل بالوحي، لم يفرغ جبريل من آخر الآية، حتى يتكلم النبي ﷺ بأولها، مخافة أن ينساها، فنزلت ﴿سَبَّحْتَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ بعد ذلك شيئاً، فقد كفيته.
- ٧- إلا ما شاء الله أن تنساه، ينسخ تلاوته وحكمه، إنه تعالى يعلم ما ظهر من الأحوال وما بطن.
- ٨- ونوفقت للشرعة السمحة التي لا عسر فيها في كل أمر من أمور الدين والدنيا.
- ٩، ١٠- فقط أيها النبي الناس بالقرآن وأرشدهم لسبل الخير، حين يضع التذكير، سبتذكر ويتعظ من بقي الله ويخافه.
- ١١، ١٢- ويهمل الذكرى ويتركها جانباً المغرق في الشقاء

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ١ الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى ٢ وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى ٣
وَالَّذِي أَرْخَسَ الرِّجَى ٤ فَجَعَلَ غَمَّهُ أُخْرَى ٥ وَسُبَّحْتَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ٦
الَّذِي شَاءَ اللَّهُ أَنَّهُ يَكْفُرَ بِمَنْ يَكْفُرُ ٧ وَيُسَبِّحُ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى ٨
إِنْ تَعَبْتَ الذِّكْرَى ٩ سَبِّحْ مَنْ يَشْفَى ١٠ وَيَجْبِئُ الْأَسْفَى ١١ الَّذِي
بَصَّلَ النَّارَ الْكُورَى ١٢ وَلَا كُوفَتْ فِيهَا الْوَيْسَى ١٣ فَدَلَّغَ مِنْ رَبِّكَ ١٤
وَوَدَّكَ اسْمَ رَبِّهِ فَصَلِّ ١٥ بِأَنْ تُوْرَى ١٦ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ١٧ وَالْآخِرَةَ خَيْرٌ
وَأَقْبَى ١٨ إِنَّ هَذَا لَأَمْرٌ الْخَبِيرُ ١٩ صُحُفٌ إِبْرَاهِيمَ ٢٠ وَنُوحَى ٢١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ الْعَرَبِيَّةِ ١ وَجُوهٌ وَمِنْ خَيْبَةَ ٢ عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ ٣
تَصَلُّوْنَ أَرَاغَابِيَّةً ٤ تَسْقَى مِنْ عَيْنٍ آيَاتِي ٥ تَسِينُ طَعَامُ الْإِلَى ٦
مِنْ صَرِيحٍ ٧ لَا يَبِينُ وَلَا يَمِينُ مِنْ جُوعٍ ٨ وَجُوهٌ يَوْمَ ذُنَائِمِهِ ٩
أَسْمِعْهَا رَاضِيَةً ١٠ فِي حِنَّةٍ عَالِيَةٍ ١١ لَأَسْمِعُ فِيهَا الْعَبِيَّةَ ١٢

- وهو الكافر، الذي يدخل نار جهنم العظمى وهي أسفل الدرجات.
- ١٣- ثم إنه لا يموت في النار فيستريح، ولا يحيا حياة طيبة، فيسعد.
 - ١٤- قد فاز ونجا من تطهر من الكفر والمعصية، فأمن بالله ووحده وعمل بشريعته.
 - ١٥- وتذكر اسم ربه بلسانه، ولاحظ صفاته العليا بقلبه، فصلى الصلوات المفروضة.
 - ١٦- بل تفضلون أيها البشر الحياة الدنيا ولذاتها المعالجة الفانية على الآخرة الباقية.
 - ١٧- وثواب الآخرة خير من الدنيا، وهي باشتغالها على الجنة أفضل وأدوم من الدنيا.
 - ١٨- إن هذا المذكور من فلاح من تزكى وصلّى وكون الآخرة خيراً من الدنيا موجود في الكتب الأولى المنزلة قبل القرآن.
 - ١٩- وهي عشر صحف إبراهيم، وعشر صحف موسى غير التوراة.

سورة الغاشية

فضلها: أخرج مسلم وأصحاب السنن عن النعمان بن بشير: أن رسول الله ﷺ كان يقرأ به ﴿سَبَّحَ اسْمَ رَبِّكَ الْأَعْلَى﴾ [الأعلى ٨٧/١] والغاشية في الجمعة والعيدين.

- ١- هل جاتك أيها النبي خبير القيامة التي تغشى الناس بشدائنها وأهلها؟ والغاشية: الداهية.
- ٢- وجوه يوم القيامة ذليلة خاضعة، لإدراكها بطلان عملها الدنيوي، وتعرضها للعذاب.
- ٣- عاملة في النار عملاً متعباً، تعب، بجر السلاسل والأغلال وخوضها في النيران. والنصب: التعب.
- ٤، ٥- تدخل ناراً شديدة الحر، تسقى من عين ماء شديدة الحرارة. والماء الآتي: المنتهي في الحر.
- ٦- لا طعام لهم إلا طعام ردي، شديد المرارة. والضرع: نوع من الشوك اليابس المرتعاه الإبل إذا لم تجد غيره، ولكنه لا يفيد. فإذا كان رطباً سمي الشبرق.
- ٧- لا يسمن أكله، ولا يفيد، ولا يحقق شيئاً من جوع.
- ٨، ٩- وجوه يوم القيامة متمتعة ذات بهجة وحسن، راضية في الآخرة بعملها الصالح في الدنيا، وهو الطاعة.
- ١٠، ١١- يدخل أصحابها في جنة رفيعة المكان والقدرة؛ لأن الجنة درجات، لا تسمع في الجنة لغواً من القول، ساقطاً باطلاً.



فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ ﴿١٣﴾ فِيهَا سُرُورٌ مُرْفُوعَةٌ ﴿١٤﴾ وَأَكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ ﴿١٥﴾
وَنَارٌ مَصْفُوفَةٌ ﴿١٦﴾ وَوَلَدٌ مَسْئُومَةٌ ﴿١٧﴾ أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ
حُلِقَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى النَّعْمِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ
﴿٢٠﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢١﴾ فَذُكِّرُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكَّرٌ ﴿٢٢﴾ أَنْتَ
عَلَيْهِمْ بِصُطْبِئِي ﴿٢٣﴾ وَالْأَمْنُ نَوْمٌ وَكَفَرٌ ﴿٢٤﴾ فَعِذْبُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ
الْأَكْبَرُ ﴿٢٥﴾ إِنْ إِنِّي آيَاتٍ بَعْثُهُمْ ﴿٢٦﴾ ثُمَّ إِنْ عَلَيْنَا حِسَابُهُمْ ﴿٢٧﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
وَالْفَجْرِ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا أَنَسَ ﴿٢﴾ وَالنَّجْمِ إِذَا تَوَاسَّ ﴿٣﴾
هَلْ فِي ذَلِكَ قَسَمٌ لِذِي حُجْرٍ ﴿٤﴾ أَلَمْ نُزَكِّكْ فَهَلْ تَرَىٰ كَيْفَ بَعَادَ ﴿٥﴾ إِزْدَادَ
الْعِبَادِ ﴿٦﴾ أَلَمْ نَجْعَلْ لَكَ مِثْلَهَا فِي الْبَلَدِ ﴿٧﴾ وَنَعُوذُ الَّذِينَ جَاءُوا
الْفَصْحَىٰ لَوَادِ ﴿٨﴾ وَبِشْرَعُونَ ذِي الْأَرْسَادِ ﴿٩﴾ الَّذِينَ
طَفَّوْا فِي الْبَلَدِ ﴿١٠﴾ فَأَكْفَرُوا فِيهَا النَّسَادَ ﴿١١﴾ فَصَبَّ
عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوَاطِرَ عَذَابٍ ﴿١٢﴾ إِنَّ رَبَّكَ لَبِالْمُرْصَادِ ﴿١٣﴾

١٢، ١٣ - في الجنة عين جارية متدفقة بشراب لذيد، وفيها أسرة رفيعة ذاتاً وقدرًا ومحلًا.

١٤، ١٥ - وفيها آنية لا عرى لها، موضوعة بين أيديهم، لتسهيل تناولها، ووسائد صُفِّ بعضها بجانب بعض. والنمارق جمع ثمرقة.

١٦ - وفيها بسط فاخرة، وطنافس لها خمل، مبسوطة مفرقة في اللجالس، والزرايبي جمع زُرْبِيَّة.

١٧ - أفلا ينظر كفار مكة وأمثالهم نظرة اعتبار وتأمل إلى الجمال والنوق كيف خلقها الله تعالى خلقًا بديعًا. أخرج ابن جرير وغيره عن قتادة قال: لما نعت الله ما في الجنة، عجب من ذلك أهل الضلالة، فانزل الله: «أفلا ينظرون إلى الإبل...».

١٨ - وينظرون إلى السماء كيف رفعها الله فوق الأرض بلا عمد، وأمسكها بكواكبها.

١٩ - وينظرون إلى الجبال كيف جعلت قائمة.

٢٠ - وينظرون إلى الأرض كيف بسطت، حتى صارت مهددة صالحة للعيش عليها.

٢١ - فذكر أيها النبي وخوف آياتي الكونية والقرآنية وينعمي وأدلة توحدي، إنما أنت مذكر.

٢٢ - لست عليهم بمسلط لإجبارهم على ما تريد.

٢٣، ٢٤ - لكن من أعرض عن القرآن وكفر به، فيعذبه

الله يوم القيامة العذاب الأشد وهو عذاب جهنم.

٢٥، ٢٦ - إن علينا رجوعهم بعد الموت، ثم إن علينا حسابهم في المحشر، فنجازي كل إنسان بما قدم.

سورة الفجر

فضلها: روى النسائي - كما تقدم - عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل، فصلى معه، فطوَّك، فصلى في ناحية المسجد، ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذًا، فقال: مناقق، فذكر ذلك لرسول الله ﷺ، فسأل الفتى، فقال: يا رسول الله، جئت أصلي معه، فطوَّك علي، فانصرفت وصليت في ناحية المسجد، فعلقت ناقتي، فقال رسول الله ﷺ: «أفتان يا معاذ؟ أين أنت من ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى ١/٨٧] و﴿والشمس وضحاها﴾ [الشمس ١/٩١] و﴿والفجر﴾ [الفجر ١/٨٩] و﴿والليل إذا يغشى﴾ [الليل ١/٩٢].»

١، ٢ - أقسم بالفجر: فجر كل يوم؛ لأنه وقت انفجار الظلام عن الليل، وبالليالي العشر من ذي الحجة.

٣، ٤ - والزوج والفرد، من كل الأشياء، والليل إذا يمضي أو يذهب، وجواب القسم محذوف مقدر: أي ليعذبني الكافر.

٥ - هل فيما أقسمت به من هذه الأشياء قسم كاف لذي عقل يعلم أن ما أقسم الله به حقيق أن يقسم به؟!

٦ - ألم تعلم أيها النبي كيف فعل ربك بعاد الأولى قوم هود الذين عذبوا بالصيحة؟ أي سأنتقم من قومك كما فعلت بهؤلاء.

٧ - وعاد سبط إرم، وهو اسم آخر لعاد الأولى، ذات البناء الرفيع، سكان الخيام العالية. وهذا كناية عن الغنى وبسطة العيش. كانت منازلهم بالرمال في الأحقاف بين عمان وحضرموت.

٨ - التي لم يوجد في البلاد مثلها في البطش والقوة والطول، فقالوا: من أشد مناقرة؟!

٩، ١٠ - وتمدود قبيلة عربية باندة قوم صالح، سكنوا بالحجر بين الشام والحجاز، الذين قطعوا الصخر ونحتوا منه بيوتًا، بالحجر أو بوادي القرى، على طريق الشام من المدينة المنورة. وفرعون صاحب المباني العظيمة التي تشبه الجبال في الثبات.

١١ - هؤلاء (عاد وتمدود وفرعون) الذين تمردوا وعتوا في بلادهم، وتجاوزوا الحد في الظلم.

١٢ - فأكثروا في البلاد الفساد بالكفر والمعاصي من قتل وتعذيب وظلم الناس.

١٣ - فانزل بأولئك الأقوام نوعًا من العذاب المناسب لهم.

١٤ - إن ربك أيها الرسول يرصد ويرقب أعمال العباد، فيجازيهم عليها خيرًا أو شرًا.

فَأَمَّا الْإِنْسَانُ إِذَا مَا ابْتَلَاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَبَعَثَهُ يَقُولُ رَبِّ أكرمِنِ
 (١٥) وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ يَقُولُ رَبِّ أَهْلِنِ
 (١٦) كَلَّا لَئِنْ لَمْ نَكُرمِمْوهُمُ الْيَتِيمَ (١٧) وَلَا نَحْصُونَ عَلَىٰ عِلْمَاءِ
 الْمَسْكِينِ (١٨) وَإِنَّا لَكُونُ الذُّرَّكَ أَكْلًا لَمَّا (١٩) وَيُحْسِنُ الْمَالَ جِبَا حُمَّا
 (٢٠) كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًا (٢١) وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا
 صَفًّا (٢٢) وَجَاءَتْهُ يَوْمَئِذٍ بِحَمْمٍ يُومِئِدُ بِهَا الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى
 (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي (٢٤) فَيَوْمَئِذٍ لَأَرَدُّبْ عَذَابَهُ أَحَدًا
 (٢٥) وَلَا يُرِيقُ رَأْفَةً وَأَحَدًا (٢٦) يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنِّةُ ارْجِعِي إِلَىٰ
 رَبِّكِ رَاضِيَةً مَرْضِيَّةً (٢٧) فَادْخُلِي فِي عِبَادِي (٢٨) وَأَدْخِلِي جَنَّتِي (٢٩)



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لَا أَسْمُ هَذَا الْبَلَدِ (١) وَأَنْتِ حَلٌّ بِهَذَا الْبَلَدِ (٢) وَالْوَالِدُ وَمَا وَلَدٌ
 (٣) لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ (٤) أَحْسَبُ أَنْ لَنْ يُقَدِرَ عَلَيْهِ أَحَدٌ
 (٥) يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا لَبَإُ (٦) أَحْسَبُ أَنْ لَوْ رُءِيَ أَحَدٌ (٧)

١٥ - فاما الإنسان إذا ما اختبرته وامتحنته ربه بالغنى والبسر، فأكرمه ونعمه بالجاه والمال، فيقول: ربي فضّلني بما أعطاني، وصيرني مكرماً أهلاً لذلك، والمراد أنه يغتر فينسى شكر الله تعالى. والمقصود بالابتلاء: معاملتهم معاملة للمختبر بالخير والشر.

١٦ - واما إذا ما عامله معاملة المختبر بالفقر والتقتير، فضيق عليه رزقه، فيقول: ربي اذلني وبادرنني بالإهانة بالفقر.

١٧، ١٨ - ﴿كلا﴾: للزجر عن هذا الزعم المخطئ، بل: للانتقال من قبيح إلى أقبح، لا تحسبون إلى اليتيم مع غناكم. ولا تحسبون على إطعام المسكين.

١٩ - وتأكلون الميراث أكلاً شديداً جامعاً كل شيء من حلال أو من حرام، كماخذ حق النساء والأطفال. واللمم في الأصل: الجمع بين الأشياء المتفرقة.

٢٠، ٢١ - وتحسبون المال حسباً كثيراً. ﴿كلا﴾: ارتدعوا عن هذا، إذا دكّت الأرض دكاً متتابعاً، أي رُزلت حتى يتهدم كل بناء عليها، فتصير مستوية.

٢٢ - وجاء أمر ربك وقضاؤه المبرم، ومعه الملائكة مصطفين صفوفاً أو ذوي صفوف بحسب منازلهم.

٢٣ - وأحضرت وأظهرت جهنم، يومئذ يتذكر الإنسان تفریطه ومعاصيه في الدنيا، ومن أين له فائدة التذكر، وقد فات الأوان؟! وهو استفهام بمعنى النفي، أي لا يفضعه التذكر والتوبة حيتل.

٢٤ - يقول هذا المقصر: يا ليتني قدمت في الدنيا حياتي هذه أي لأجلها الخير والإيمان. ويا: للتهيئة.

٢٥ - فيومئذ لا يتولى أحد عذاب الكافر إلا الله، ولا يفعل مثل عذابه في الشدة.

٢٦ - ولا يوتق أحد مثل إيشاقه وتقييده أو ربطه بالسلاسل والأغلال. وضمير ﴿عذابه﴾ و ﴿وإشاقه﴾ يعود للكافر. والوثاق: الرباط، أو الإيشاق بمعنى الربط، والثاني هو المراد هنا.

٢٧ - ويقال للنفس عند الموت: يا أيها النفس المتيقنة بالله، المطمئنة بسبب ذكر الله، والرضا بقضائه.

٢٨ - ارجعي إلى ثواب ربك وتكريمه، راضية بالثواب، مرضية عند الله بعملك الصالح.

٢٩ - فادخلي في زمرة عبادي المقربين.

٣٠ - وادخلي جنتي الواسعة معهم. أخرج ابن أبي حاتم عن بريدة في قوله: ﴿يا أيها النفس...﴾ [٢٧] قال: نزلت في حمزة.

وقال ابن عباس: نزلت في عثمان حين اشترى بئر رومة لسقاية للمسلمين.

سورة البلد

١، ٢ - أقسم بالبلد الحرام وهو مكة المكرمة. وأنت أيها النبي حلال بهذا البلد، استحل مشركو مكة إيداعك، ففي الكلام تفریع لهم، أو وحالك مقیم فيه، إظهاراً لمزيد فضله، وإشعاراً بأن شرف المكان يشرف أهله.

٣ - وأقسم بكل والد وكل مولود من الموجودات المتولدة؛ لأن بالتولد بقاء النوع، والدلالة على قدرة الله وحكمته.

٤ - لقد خلقنا جنس الإنسان مغموراً في مكابدة المشاق والشدائد، والتعب والمعاناة حتى يموت.

٥، ٦ - أيظن أن لن يستطيع أحد الانتقام منه؟ بلى، فإله قادر عليه قاهر له. نزلت في أبي الأشهد بن كلدة الجمحي، الذي كان مغترباً بقوته البدنية. يقول: أنفقت مالا كثيراً، إظهاراً للتفاخر بكثرة المال والتفاخرة بالغنى. قال ابن عباس: كان أبو الأشهد يقول: أنفقت في عداوة محمد مالا كثيراً، وهو في ذلك كاذب.

٧ - أيظن أن لم يره أحد فيما أنفقه، فيعلم بقدره، والله عالم بقدره ومجازيه؟!



الرَّجُلَ الْوَعِيْنَ ﴿١٠﴾ ولساناً وسفتين ﴿١١﴾ وهديته الجدين ﴿١٢﴾
 فلا فخر العقبه ﴿١٣﴾ وما أدراك ما العقبه ﴿١٤﴾ فك ربة ﴿١٥﴾
 أو أطعم في يوم ذي سغبة ﴿١٦﴾ يوماً ذامراً ﴿١٧﴾ أو مشكياً
 ذامراً ﴿١٨﴾ ثم كان من الذين ءأسوا وتواصوا بالصبر وتواصوا
 بالمرحمة ﴿١٩﴾ أولئك أصحاب الميثمة ﴿٢٠﴾ والذين كفروا
 بك آياتنا هم أصحاب الشجرة ﴿٢١﴾ عليهم نار مؤصدة ﴿٢٢﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالْقُرْآنِ وَاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذَا جَاءَهُمْ
 إِذَا نَسُوا ﴿١﴾ وَالسَّمَاءِ وَمَا بَيْنَهُمَا ﴿٢﴾ وَالْأَرْضِ وَمَا طَفَحَتْهَا ﴿٣﴾ وَنَسُوا وَمَا
 سَوَّاهَا ﴿٤﴾ فَأَلَمَتْهَا فُجُورُهُمْ وَتَقْوَاهَا ﴿٥﴾ فَذَلَعَتْ مِنْ دُونِهَا ﴿٦﴾ وَقَدْ عَابَ
 مِنْ سَنَاهَا ﴿٧﴾ كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَاهَا ﴿٨﴾ إِذِ انبَعَثَ أَشْقَاهَا ﴿٩﴾ فَقَالَ
 لَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا ﴿١٠﴾ فَكَذَّبُوهُ فَفَقَهُ وَهِيَ قَدَمٌ مَدْرَمٌ
 عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذُنُوبِهِمْ فَسَوَّاهَا ﴿١١﴾ وَلَا يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴿١٢﴾

٨- ألم نجعل للإنسان عيتين ليصر بهما ؟
 ٩- ولساناً يتلق به ، وسفتين يستر بهما فاه ، ويستعين
 بهما على النطق والأكل والشرب ونحوها .
 ١٠- وبيننا له طريق الخير والشرب ، وعرفناه بعاقبة كل
 منهما ليختار أحدهما ؟
 ١١- فهلا اجتاز أو تخطى الطريق الصعب ، أي التكاليف
 الشرعية لفعل الخير وترك الشر .
 ١٢- وما أعلمك ما اقتحام العقبه ؟
 ١٣- إنها عتق ربة أو تحريرها من الرق .
 ١٤- أو إطعام أحد في يوم ذي مجاعة .
 ١٥- أن أطعم يتيمًا صغيراً قريباً فقد أباه . واليتيم : الصغير
 الذي لا أب له .

١٦- أو أطعم مسكيناً معلماً لا شيء له ، كأنه الصق يده
 بالتراب ، كناية عن شدة فقره .
 ١٧- ثم كان من الذين آمنوا بالله ورسوله ، وأوصى
 بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعة وعن المعصية ، وبالرحمة
 على الناس أو التراحم فيما بينهم و ﴿ثم﴾ للترقي في ذكر
 الرب ، أي ثم كان قبل كل ما ذكر مؤمناً ، حتى تقبل أعماله .
 ١٨- أولئك الموصوفون بهذه الصفات أصحاب اليمين
 الذين يأخذون صحابتهم بأيانهم يوم القيامة ، ويظفرون
 بالجنة .
 ١٩ ، ٢٠- والذين جحدوا آياتنا القرآنية والكونية هم
 أصحاب الشمال الذين يأخذون كتبهم بشمالهم ، ويدخلون
 النار . عليهم نار مطبقة مغلقة عليهم .

سورة الشمس

١ ، ٢- أقسم بالشمس وضوئها أول النهار ، والقمر إذا تبعها مباشرة في الطلوع عند الغروب .
 ٣ ، ٤- والنهار إذا جلى الشمس وأظهرها ساطعة ، والليل إذا غطى ضوء الشمس بظلامه .
 ٥ ، ٦- والسماء ومن بناها وهو الله تعالى ، فذلك دليل على وجوده ، والأرض ومن بسطها وجعلها صالحة للمقام عليها .
 ٧ ، ٨- وبالنفس الإنسانية ومن أحكم خلقتها وتعديل أعضائها ، فعرّفها طريق الفجور وحذرنا منه ، وطريق الخير والتقوى
 ورغبنا فيه . قال ابن عباس : بين لها الخير والشر ، والطاعة والمعصية ، وعرّفها ماتاتى وماتتى . قال المفسرون : أقسم سبحانه
 بسبعة أشياء إظهاراً لعظمة قدرته وانفراده بالألوهية .
 ٩ ، ١٠- قد فاز من طهر نفسه من الذنوب وأتمها بالطاعة والتقوى ، وقد خسر من أهمل تهذيب نفسه ، وأغواها ، وهذا
 جواب القسم . والتدسية : النقص والإخفاء ، وهي ضد التزكية .
 ١١- كذبت قبيلة ثمود قوم صالح عليه السلام بسبب طغيانها : وهو تجاوز الحد المعتاد . وغيرها كعاد وقوم لوط وفرعون .
 ١٢ ، ١٣- حين اندفع وزهب لعقر الناقة أشقى ثمود ، وهو قمدار بن سالف . فقال لهم رسول الله صالح عليه السلام : ذروا
 واحذروا عقر ناقة الله والتعرض لها ، واتركوا لها شربها الخاص بها في يومها ، فلا تدودوها عنها .
 ١٤ ، ١٥- فكذبوا صالحاً عليه السلام وخالفوه فيما حذرهم منه ، فقتلوا الناقة ، لأن ذلك عمّ باتفاقهم ورضاهم ، فأطبق عليهم
 العذاب من ربهم بسبب ذنبهم ، أي فعمهم العذاب وأهلكهم جميعاً ، أو سوى القبيلة بالأرض ، فأصبحوا لا وجود لهم على
 ظهرها . ولا يخشى الله عاقبة الإهلاك أو تبعة الدمدمة ؛ لأنه المهيمن القادر على كل شيء .

سورة الليل

فضلها: تقدم حديث جابر في الصحيحين: أن النبي ﷺ قال لمعاذ: «فهلا صليت بـ ﴿سبح اسم ربك الأعلى﴾ [الأعلى 1/87] و﴿الشمس وضحاها﴾ [الشمس 1/91] و﴿والليل إذا يفتشى﴾ [الليل 1/92].

٢، ١- أقسم بالليل حين يغطي كل شيء بظلامه، والنهار متى ظهر وانكشف لزوال ظلمة الليل.

٣، ٤- والقادر الذي خلق الذكر والأنثى من كل شيء في الإنسان والحيوان والنبات. إن علمكم أو مسعاكم أيها الناس لمختلف متفرق، فتمت عمل صالح للجنة، ومنه عمل سيء للنار، وهذا جواب القسم.

٥- فإما من بذل المال وأدى فريضة الزكاة، والتزم الأوامر واجتنب النواهي وللحارم. نزلت في أبي بكر الذي كان يعتق العجائز والنساء إذا أسلمن، فقال له أبوه: أراك تعتق أناساً ضعفاء، فقال: إنما أريد ما عند الله، فنزلت هذه الآيات فيه.

٦- وصدق بالكلمة الحسنی، وهي عقيدة توحيد الله وتصديق رسله ووعده الله بالثواب على الطاعة.

٧- فسهل له ونهيته سلوك الطريقة السهلة، ونرشده لأسباب الخير وطاعة الله تعالى.

٨- وأما من يخل بإنفاق ماله في طرق الخير، واستغنى عن ثواب الله بشهوات الدنيا وترك طاعة الله تعالى. قال ابن عباس: نزلت في أمية بن خلف.

٩- وكذب عموعد الله بإثابة المؤمنين في الآخرة.

١٠- فنهيته ونوجهه للطريقة العسرى السيئة، ونسهلها له،



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَاللَّيْلِ إِذَا يَأْتِي ١ وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى ٢ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنثَى ٣

٤ إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى ٥ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَى وَاتَّقَى ٦ وَصَدَّقَ الْحَسَنَى ٧

٨ فَسَيَّرَهُ الْقَرْنَى ٩ وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ١٠ وَكَذَّبَ

بِالْحَسَنَى ١١ فَسَيَّرَهُ الْقَرْنَى ١٢ وَمَا يَخُنُّ عَنْهُ مَالٌ إِذَا نَزَدَى ١٣

١٤ إِنْ عَلِمَ الْهَلَكَى ١٥ وَإِن لَنَا الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ١٦ فَأَنْذَرْنَاهُمْ نَارَ النَّارِ

١٧ لِأَصْلَافِهَا إِلَّا الْآسَفَى ١٨ الَّذِي كَذَّبَ وَتَوَلَّى ١٩ وَسَخَّطَهَا

الْأَنْفَى ٢٠ الَّذِي بَوَّعَ مَالَهُ يَتَزَكَّى ٢١ وَمَا لأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ

يُجْزَى ٢٢ إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى ٢٣ وَلَسَوْفَ يَرْضَى ٢٤



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالضُّحَى ١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى ٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ٣

فلا يعمل إلا شراً مؤدياً به إلى النار.

١١- ولا يفيد ماله وغناه إذا هلك وسقط في النار.

١٢- إن واجبتنا الذي أوجبناه على نفسنا بعدلنا وحكمتنا أن نبين طريق الهدى من طريق الضلال.

١٣- وإن لنا جميع ما في الدنيا والآخرة تنصرف به بمشيتنا، فمن طلبهما من غيرنا فقد أخطأ.

١٤، ١٥- فحذرتكم وخوفتكم مخالفة أمرى أيها الناس بنار جهنم التي تتوقد وتلتهب. لا يدخلها ولا يحترق بنارها إلى الأبد إلا الشقي الكافر كأبي جهل وأميه بن خلف. أما الفاسق وإن دخلها فلا يستمر فيها.

١٦- الأشقى الذي كذب بالقرآن وأعرض عن الإيمان بربه ورسله، وطاعته.

١٧- وسبيعد عن النار النقي الذي اتقى الكفر والمعاصي وخاف من الله تعالى. أخرج ابن أبي حاتم عن عروة: أن أبا بكر الصديق لعق سبعة، كلهم يعبذ في الله، وفيه نزلت هذه الآية وما بعدها.

١٨- الذي يعطي ماله في سبيل الله، يظهر بإخراجه لله تعالى، من غير رياء ولا سمعة، ويظهر نفسه من الشح.

١٩- وليس لأحد عنده معروف يكافئه ويجازيه عليه.

٢٠، ٢١- لكن فعل ذلك طلباً لرضاه ربه فقط، والظفر بثوابه وقضله. لسوف يرضى بما يعطاه من الثواب في الجنة.

سورة الضحى

فضلها: يسن التكبير عند الإمام الشافعي رحمه الله، بأن يقول: (الله أكبر) عقب سورة ﴿والضحى﴾ وخاتمة كل سورة بعدها.

٢، ١- أقسم بوقت ارتشاع الشمس أول النهار. أخرج سعيد بن منصور والقرطبي عن جندب قال: أبطأ جبريل على النبي ﷺ، فقال للمشركون: قد وُدع محمد، فنزلت. وبالليل إذا سكن الناس فيه للراحة، وغطى بظلامه الأشياء.

٣- ما ترك ربك ولا قطعك ولا أهملك، وما أبغضك. وهو جواب القسم.

٤- والأخرة الباقية الخالدة وما فيها من الجنة والكرامات أفضل من الدنيا الفانية المشوية بالمضار. أخرج الطبراني في الأوسط عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ: «عرض علي ما هو مفتوح لأمتي بعدي، فسرني» أنزل الله: ﴿وللآخرة خير لك من الأولى﴾ وإسناده حسن.

٥- وسوف يعطيك ربك في الآخرة من الخيرات عطاء جزيلاً، فترضى به تماماً كالثواب والشفاة لأمته في الآخرة، والحوض. أخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل والطبراني وغيرهم عن ابن عباس قال: عرض علي رسول الله ﷺ ما هو مفتوح على أمته كقراً - أي قرية قرية - فسر به، فانزل الله: ﴿ولسوف يعطيك ربك فترضى﴾.

٦- لقد وجلك ربك يتيماً لفقديك أبيك، فأواك وضمك إلى من يحنك وهو عمك أبو طالب. والاستفهام «ألم يحنك» تقرير يفيد طلب الإقرار بما بعده، أي وجلك بمعنى علمك.

٧- ووجلك مسخطاً في معرفة أحكام الشرائع والقرآن، فهلك إلى مناهجها وكيفيةاتها.

٨- ووجلك فقيراً ذا عيال، فأغناك من فضله من الاتجار بمال خديجة، وغنائم الفتوحات.

٩، ١٠- وبما أن الله أنعم عليك بهذه النعم، فيوصيك بالوصايا التالية: فأما اليتيم فلا تستنذله وتستضعفه بأخذ ماله أو بتسخيره ونحو ذلك، بل أعطه حقه متذكراً يتمك. وأما السائل عن مال أو علم فأعطه أو علمه، ولا تزجره لفقره، فقد كنت فقيراً، فأطعمه أو رده رداً جميلاً.

١١- وأما بنعمة ربك عليك بالنبوة وغيرها، فأخبر بها الناس، واشكر الله عليها، والتحدث بنعمة الله شكر.

وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لَّكَ مِنَ الْأُولَى ۝ وَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى ۝
 ۞ أَلَمْ يَجْعَلْ لَّيْسَانَكَ تِلْكَ ۝ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۝
 وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ ۝ فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلَا تَهْجُرْ ۝
 وَأَمَّا السَّائِلَ فَلَا تَنْهَرْ ۝ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ يَجْعَلْ لَكَ صَدْرَكَ ۝ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ۝
 ۞ الَّذِي أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ۝ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ۝ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ۝ فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۝ وَإِلَىٰ رَبِّكَ أَرْجَبْ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ ۝ وَطُورِ سِينِينَ ۝ وَهَٰذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ ۝ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ۝ فَرُدِّدْنَاهُ فَمَا كَانَ يُبْغِينِ ۝

سورة الشرح

- ١- ألم تُفسح ونوسع لك يا محمد قلبك لقبول النبوة والهدى والإيمان، وملأناه علماً وحكمة. وهو كتابة عن السرور.
- ٢، ٣- وحططنا وأزلنا عنك حملك التجيل الذي أثقلتك وهو اهتمامك الشديد بهداية قومك وحمايتك من إيذائهم.
- ٤- ورفعنا لك سمعتك بالنبوة وغيرها في الدنيا والآخرة، ومنها اقتران اسمك باسم الله في التشهد والأذان والإقامة وغيرها.
- ٥، ٦- فإن مع كل شدة فرجاً بسعة، مثل مقاساة النبي ﷺ مضايقات المشركين، ثم تحقيق اليسر والنصر عليهم. نزلت لما عبور المشركون المسلمين بالفقر. ولما نزلت هذه الآية قال النبي ﷺ: فيما أخرجه ابن جرير عن الحسن البصري: «أبشروا أتاكم اليسر، لن يغلب عسر يسرين». إن مع كل عسر وشدة يسراً آخر، ففي مواجهة كل عسر يسران.
- ٧- فإذا فرغت أيها الرسول من أداء الرسالة وتبليغ الناس بها، فاتعب في الدعاء والعبادة، وثابر عليها.
- ٨- وإلى ربك وحده توجه بالدعاء والتضرع، ولا توجه رغبتك إلى غير ربك، فهو القادر للمجيب.

سورة التين

فضلها: أخرج الجماعة (مالك وأصحاب الكتب الستة) عن البراء بن عازب: «كان النبي ﷺ يقرأ في سفره في إحدى الركعتين بالتين والزيتون، فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه».

- ١- أقسم بشجر التين والزيتون، لأنهما مباركان، الأول يأكله الناس، والثاني يأكلونه ويمصرون منه الزيت.
- ٢- وبالجيل الذي كلم الله تعالى موسى عنده، وناجى فيه ربه. وسينين وسيناء: اسمان للموضع الذي فيه هذا الجبل.
- ٣- وبمكة المكرمة التي كرمها الله بالكعبة وجعلها حراماً آمناً للناس.
- ٤، ٥- لقد خلقنا جنس الإنسان في أحسن تعديل لصورته وشكله. ثم رددنا بعض أفراد الإنسان وهو الكافر، وجعلناه في النار. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: نزلت في نفر ردوا إلى أرذل العمر.



إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿١﴾
فَمَا يَكْفُرُكَ بَعْدَ الْإِيمَانِ ﴿٢﴾ أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ الْمُكْفِرِينَ ﴿٣﴾



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَوَّلَ اسْمِكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾
أَوَّلَ وَرَثِكَ الْأَكْرَمِ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ
مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿٥﴾ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَّاظٍ ﴿٦﴾
إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ الرُّجُوعَ ﴿٧﴾ أَوَلَيْتَ الَّذِي يُنْفِقُ ﴿٨﴾ عَبْدًا
إِذَا صَلَّى ﴿٩﴾ أَوَلَيْتَ إِنْ كَانَ عَلَى الْمَسْجِدِ ﴿١٠﴾ وَأَمْرٌ بِالْقُورَىٰ ﴿١١﴾
أَوَلَيْتَ إِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٢﴾ أَوَلَيْتَ بَانَ اللَّهُ يَرَىٰ ﴿١٣﴾ كَلَّا لَئِنْ لَمْ
نَنْهَ لَنَسْفَعًا بِالنَّاصِيَةِ ﴿١٤﴾ نَاصِيَةٍ كَذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٥﴾ فليدع ناديه ﴿١٦﴾
سَنَدَعُ الرِّيَابِيَةَ ﴿١٧﴾ كَلَّا لَا تُطْعَمُهُ وَاَسْجِدْ وَاقْرَأْ ﴿١٨﴾



٦- لكن الذين آمنوا بالله ورسله وعملوا بما أمر الله به، فلهم ثواب أخروي دائم غير مقطوع عنهم.
٧- فأي شيء يجعلك أيها الإنسان بعد هذه الأدلة الواضحة على قدرة الله على البعث تكذب بيوم القيامة؟ والمراد: ما يجعلك مكذبا بالبعث من غير موجب لهذا التكذيب؟
٨- أليس الله بأحكم الحكام قضاء وعدلاً وتنبيراً؟ أخرج الترمذي عن أبي هريرة مرفوعاً: «فإذا قرأ أحدكم: ﴿والتين والزيتون﴾ فأتى على آخرها: ﴿أليس الله بأحكم الحاكمين﴾ فليقل: بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين».

سورة العلق

فضلها: نزل صدر هذه السورة أول ما نزل من القرآن الكريم، أما بقية السورة فهو متأخر النزول، بعد انتشار دعوته ﷺ بين قريش، وتحرشهم به وإيذاهم له.
١، ٢- ابتدئ يا محمد قراءة القرآن مبتدئاً باسم ربك، أو مستعنياً به، الخالق كل شيء، والخلق أول النعم. خلق الإنسان من علقه: وهي الدم الجامد.
٣- اقرأ: تأكيداً للأول، وأنت واثق معتقد أن ربك أكرم الكرماء، ومن كرمه: تمكينك من القراءة وأنت أمي.
٤، ٥- الذي علّم الإنسان الكتابة بالقلم، وهو نعمة عظيمة من الله تعالى. علّم الله الإنسان، أي جنس الإنسان بالقلم ما لم يكن يعلم به.

٦- كلا: هنا أي حقاً، إن الإنسان كثيراً ما يتجاوز الحد في

العصيان. نزلت في أبي جهل الذي قال: لئن رأيت محمداً يفعل - أي يصلي - لأطأن على رقبته، ولأعفرن وجهه في التراب، فأنزل الله هذه الآية وما بعدها.

٧- لأجل أن رأى نفسه غنياً، اغتنى بالمال وغيره من أنواع القوى.

٨- إن إلى ربك الرجوع يوم القيامة للحساب والجزاء. والرجعي مصدر بمعنى الرجوع.

٩- أخبرني أيها السامع عن الذي ينهى وهو أبو جهل. أخرج ابن جرير عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فنهاه، فأنزل الله: ﴿أرايت الذي ينهى...﴾ إلى قوله: ﴿كاذبة خاطئة﴾ [١٦].

١٠- ينهى عبداً إذا صلى، وهو النبي محمد ﷺ، والمراد: هل هو محق في هذا النهي، وهل أمن على نفسه العقوبة؟

١١- أخبرني أيها السامع عن حال هذا الرجل، أهو على طريق الهدى والرشاد؟

١٢- أو هو أمر بتقوى الله والخوف من عقابه، حينما أمر غيره بترك طاعة الله؟ والمراد أنه لا على هدى ولا على تقوى.

١٣- أخبرني أيها النبي عن حال هذا الرجل حين كذب برسالتك وأعرض عن الإيمان، أبظن أنه ناج من عقابنا؟ كلا.

١٤- ألم يعلم هذا المكذب المعرض بأن الله يعلم ما يفعله، أي يجب أن يعلم أن الله مطلع على أعماله وأحواله.

١٥، ١٦- ﴿كلا﴾: ردع الناهي، فعليه أن يتزجر، والله إن لم ينته عن إيذاء رسولنا محمد ﷺ لتقبضن بناصيته، ونرميه في النار والناصية: مقدم شعر الرأس. ناصية شخص كاذب خاطئ أي أثم مغنّب.

١٧- فليطلب أبو جهل أهل ناديه ومجلسه. والنادي: مكان الاجتماع، أو القوم المجتمعون فيه، وهذا هو المراد هنا. والمقصود أن

يجمعهم عنده ليحارب المؤمنين. أخرج أحمد والترمذي وغيرهما عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ يصلي، فجاءه أبو جهل، فقال: ألم أنك عن هذا؟ فزجره النبي ﷺ فقال أبو جهل: إنك لتعلم ما بها ناد أكثر مني، فأنزل الله: ﴿فليدع ناديه...﴾.

١٨- سندعو الملائكة الغلاظ الشداد. وحذفت الواو من ﴿سندع﴾ تخفيفاً.

١٩- ﴿كلا﴾: ردع الناهي أيضاً، لا تطعمه يا محمد في ترك الصلاة، بل داوم على سجودك، وصل لله، وتقرب إليه.



سورة القدر

١- إنا أنزلنا القرآن، أي ابتداء إنزاله في ليلة العظمة والشرف من ليالي شهر رمضان.

٢- وما أعلمك أيها النبي ما هذه الليلة وما فضلها؟ والاستفهام لتعظيم شأنها.

٣- ليلة القدر هذه، العمل الصالح فيها خير منه في ألف شهر ليس فيها ليلة القدر. أخرج ابن جرير عن مجاهد قال: كان في بني إسرائيل رجل يقوم الليل حتى يصبح، ثم يجاهد العدو بالنهار حتى يمسي، فعمل ذلك ألف شهر، فأنزل الله: ﴿ليلة القدر خير من ألف شهر﴾ عملها ذلك الرجل.

٤- تنزل تبعاً للملائكة وجبريل الأمين إلى الأرض في هذه الليلة بأمر ربهم من كل أمر قضاء الله فيها للجنة التالية، ويكل خير للطائعين من التسليم عليهم والاستغفار والدعاء لهم.

٥- هي سلامة وخير كلها من أولها إلى طلوع فجر ليلتها.

سورة البينة

فضلها: أخرج أحمد والبخاري ومسلم والترمذي والنسائي عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ

لأبي بن كعب: «إن الله أمرني أن أقرأ عليك: ﴿لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب﴾ [البينة ١/٩٨] قال: وسماني لك؟ قال: نعم، فيكي».

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ ۝ وَمَا أَدْرَاكَ مَا لَيْلَةُ الْقَدْرِ ۝ لَيْلَةُ الْقَدْرِ قَدْرٌ مِّنْ أَلْفِ شَهْرٍ ۝ تَنَزَّلُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ۝ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ تَطْلُعَ الْفَجْرُ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

تَرْكِبُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ حَتَّىٰ نَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ رَسُولٌ مِّنْ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝ فِيهَا كُتِبَ بِمِثْقَلِ ذَرَّةٍ مَّا وُضِعَتْ ۝ وَمَا تَرَوْا الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمُ الْبَيِّنَةُ ۝ وَمَا أُرْسِلُوا إِلَّا لِيُعْبَدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حَقَّ حَقَّهُ وَيُسَبِّحُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ ۝ إِنْ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ فَارِجْتُمُ حَالِدِينَ فِيهَا ۝ أُولَٰئِكَ مُمْسِكُورَةٌ ۝ إِنَّ الَّذِينَ آسَأُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ هُمْ خَيْرُ الْبَرِيَّةِ ۝ جَزَاءُ مَنْ عَدَّىٰ رَيْبَهُمْ حَيْثُ عَدَّىٰ عَجْرِيٍّ مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ حَالِدِينَ فِيهَا ۝ يَا أَيُّهَا الرَّسُولُ بَرِّءٌ مِّنْ أُولَٰئِكَ لَنْ حَسْبِيَ رَبِّي ۝

١- لم يكن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئين، والمشركين: عبدة الأوثان والأصنام متبهين عن كفرهم، متروكين بدون إرشاد للحق، حتى تأتيهم الحججة الواضحة التي تبين الحق، والمراد هنا القرآن أو الرسول محمد ﷺ. والمعنى: لا تركهم إلا بعد بيان الحججة لهم منعاً من الاعتذار يوم القيامة. و﴿من﴾ في قوله: ﴿من أهل﴾ للبيان. وتلك البينة رسول مبعوث من الله وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم قرآناً مكتوباً في صحف منزّهة عن الباطل والتحريف.

٢- لم يكن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى والصابئين، والمشركين: عبدة الأوثان والأصنام متبهين عن كفرهم، متروكين بدون إرشاد للحق، حتى تأتيهم الحججة الواضحة التي تبين الحق، والمراد هنا القرآن أو الرسول محمد ﷺ. والمعنى: لا تركهم إلا بعد بيان الحججة لهم منعاً من الاعتذار يوم القيامة. و﴿من﴾ في قوله: ﴿من أهل﴾ للبيان. وتلك البينة رسول مبعوث من الله وهو محمد ﷺ يقرأ عليهم قرآناً مكتوباً في صحف منزّهة عن الباطل والتحريف.

٣- في الصحف آيات مكتوبات وأحكام تشريعية مستقيمة محكمة لا عوج فيها، بل فيها الصلاح والرشاد.

٤، ٥- وما اختلف الكتائبون وانقسموا فرقا في شأن النبي محمد ﷺ إلا بعد مجيء الدليل الواضح الدال على الحق، فبعضهم آمن به، وبعضهم كفر. وما أمر أهل الكتاب في كتبهم كالتوراة والإنجيل إلا أن يعبدوا الله وحده لا شريك له، ومخلصين له العبادة، مائلين عن الشرك، مبتعدين عن الباطل إلى الحق، ويؤدوا الصلاة المفروضة كاملة في أوقاتها، ويُعطوا الزكاة لمستحقها، وذلك دين الملة المستقيمة على طريق الحق.

٦- إن كفار أهل الكتاب من اليهود والنصارى، وعبدة الأوثان والأصنام، مآلهم يوم القيامة في نار جهنم، ماكتن فيها على الدوام، أولئك هم شر الخليقة حالاً، لتركهم الحق حسداً وبغياً.

٧- إن الذين صدقوا بالله ورسوله، وعملوا بما أمر الله من صالح الأعمال أولئك أفضل الخلق حالاً ومآلاً.

٨- ثوابهم على الإيمان والعمل الصالح عند ربهم يوم القيامة جنات إقامة، ثم استعمل ﴿عدن﴾ اسماً من أسماء الجنة، لخلود الإقامة فيها، تجري من تحت غرفها وبساتينها الأنهار، ماكتن فيها إلى الأبد، رضي الله عنهم، فأحسن ثوابهم؛ لأنهم أطاعوا أمره، ورضوا عن جزائه لهم وسرّوا به، ذلك الجزاء الحسن المتقدم لمن خاف مقام ربه عند كل عمل.

سورة الزلزلة

فضلها: أخرج الترمذي وأبو داود والنسائي عن عبد الله بن عمرو في حديث فيه: أن رجلاً قال: أقرنتي يا رسول الله سورة جامعة، فأقره ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة ١/٩٩] حتى إذا فرغ منها، قال الرجل: والذي بعثك بالحق نبياً، لا أزيد عليها أبداً، فقال الرسول ﷺ: أفلع الرويجل، أفلع الرويجل. وأخرج الترمذي أيضاً عن أنس بن مالك أن رسول الله ﷺ قال: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ﴾ ربع القرآن.

١، ٢. إذا اضطربت الأرض وتحركت يوم القيامة حركة عينية عند النسخة الأولى أو بعدها، بزلزال مخصوص بها. وأخرجت الأرض ما في جوفها من الأموات والدفائن والكنوز وغيرها.

٣، ٤. وقال الإنسان الكافر الذي يفتاح بما كان ينكره: أي شيء حصل للأرض بهذه الزلزلة، وهو تعجب من الهول. في ذلك اليوم تخبر الأرض بأخبارها، وتنطق بلسان الحال أو المقال بإنطاق الله تعالى بكل ما عمل عليها من خير أو شر.

٥. تحدث بذلك بسبب إحياء الله لها، أي أمره لها بإخراج أقالها والتحدث بأخبارها.

٦، ٧. يومئذ يخرج الناس من القبور إلى موقف الحساب متفرقين ليربهم الله جزاء أعمالهم من الجنة أو النار. فمن يحمل وزن ذرة من خير في الدنيا يجد ثوابه في الآخرة. أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ سمي هذه الآية الفأذة الجامعة.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا ۝ وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ نَقْلًا ۝
 وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا ۝ يَوْمَئِذٍ تُصَدِّقُ النَّاسَ شَهَادَاتِهِمْ وَأَتْلُوهَا ۝ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
 وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا ۝ فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا ۝ فَالْمُعِيرَاتِ حُبْحًا ۝
 فَأَنْزِلْنِي بِمِثْقَالِ ذَرَّةٍ ۝ فَوَسِّطْنِي فِي جَمْعًا ۝ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۝
 وَاللَّهُ عَلَىٰ ذَلِكَ شَهِيدٌ ۝ وَإِنِّي لَلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ۝
 أَفَلَا يَعْلَمُ إِنَّا نُعَذِّبُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۝ وَنُصَلِّبُهُمْ
 فِي الصُّورِ ۝ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ عَلِيمٌ ۝



٨. ومن يعمل وزن ذرة من شر في الدنيا يجد جزاءه في الآخرة. أخرج ابن أبي حاتم عن سعيد بن جبيرة قال: لما نزلت ﴿وَيَطْعَمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حَبِّهِ..﴾ [الإنسان ٨/٧٦]، كان للمسلمون يرون أنهم لا يؤجرون على الشيء القليل إذا أعطوه، وكان آخرون يرون أنهم لا يلامون على الذنب اليسير: الكلبة، والنظرة، والغيبة، وأشبه ذلك، ويقولون: إنما وعد الله النار على الكبائر، فأنزل الله الآيتين [٨، ٧].

سورة العاديات

١. أقسم بخيل المجاهدين التي تجري وتعدو (والخيل الجارية) المصدرة صوتاً هو أنفاس الخيل عند جريها. والعاديات: من العدو وهو الجري. والضح: صوت النفس. أخرج البزار والحاكم وغيرهما عن ابن عباس قال: بعث رسول الله ﷺ خيلاً، ولبثت شهراً، لا يأتيه منها خبر، فنزلت ﴿والعاديات﴾.

٢، ٣. فالخيل الضاربات على حجارة الأرض، فتخرج شرر النار بحوافرها، كالقدح بالزناد. والموريات جمع موربة، من الإرياء: إخراج النار من الحجر بالزناد مثلاً. والقدح: هو الضرب على الحجر لإخراج النار. وضبحاً وقدحاً: حال كونها ضابحات فادحات. فالخيل المغيرات التي تغير أو تهجم على العدو وقت الصباح. وصبحاً: وقت الصبح، وهو ظرف.

٤، ٥. فأثارت الخيول أثناء جريها غباراً في وجه العدو. فتوسط يبدون في أو وقت الصبح وسط الأعداء.

٦. إن الإنسان لكفور جحود نعمة الله عليه. والمراد جنس الإنسان المتحدث عنه.

٧، ٨. وإنه على كونه (جحوده) لشاهد يشهد على نفسه بصنعه، لظهور أثر ذلك عليه، أي أن أعماله تشهد عليه بجحوده، فهي شهادة بلسان الحال. وإنه لحب المال الكثير لشديد الحب له، فيحبل به، أو لقرى مجد في طلبه وتحصيله.

٩، ١١. أفلا يدري إذا نشر وأخرج ما في القبور من الموتى، أي يغشوا. وأبرز وجمع ما في الصدور مما تخفيه من خير أو شر، أو نية حسنة وسيئة. إن رب المبعوثين لعالم بهم، لا تخفى منهم خافية، ويجازيهم في ذلك اليوم على أعمالهم.

سورة القارعة

١- القارعة: القيامة، سميت بذلك لأنها تفرع القلوب والأسماع بأهوالها وأزاعها الشديدة.
٢، ٣- أي شيء هي القارعة؟ والاستفهام لتفخيم شأنها وتعظيمه. وما أعلمك أيها الإنسان ما شأن القارعة؟ فانت لا تعرفها ولا يتصورها خيالك.
٤- يوم يخرج الناس من القبور يوم القيامة، هائمين على وجوههم كالفراس (الطير الصغير الذي يتجمع ليلاً على نور السراج أو الضوء) المنتشر المتفرق. يضرب بالفراس المثل في الحيرة وجهل العاقبة.

٥- وتصير الجبال كالصوف المتدوف في خفته وسرعة تطايره. وفي كل ذلك تخويف وتحذير.
٦، ٧- فأما من رجحت حسناته على سيئاته، فهو في الجنة في عيشة مرضية سارة.

٨، ٩- وأما من رجحت سيئاته على حسناته، فمسكرته أو مرجعه وماواه جهنم. وسميت أمه؛ لأنه يأوي إليها كما يأوي الطفل إلى أمه، وهذا من قبيل التهمك.

١٠، ١١- وما أعلمك أيها الإنسان ما هذه الهاوية المهلكة؟ وسميت جهنم هاوية؛ لأنه يهوي فيها مع عمق قصرها. وأصل الهاوية: المكان المنخفض جداً.

والاستفهام للتحويل. وهاء «هيه» هاء السكت، تزداد في آخر الكلمة عادة للسكوت، ثم أثبتت مع الوصل. إن الهاوية هي نار جهنم الشديدة الحرارة.

سورة التكاثر

١- شغلتم أيها الناس التسابق في جمع المال، والتفاخر بكمرة الأموال والأولاد، أخرج أحمد ومسلم والترمذي والنسائي عن عبد الله بن الشَّخِير قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ وهو يقول: «أهاكم التكاثر» يقول ابن آدم: مالي مالي، وهل لك من مالك إلا ما أكلت فأفنت، أو لبست فأبليت، أو تصدقت فأبقيت.

٢، ٣- حتى متم ودفنتم في القبور، والمراد: شغلتم ملاذ الدنيا. كلا: للردع والزجر عما تقدم من التكاثر، ليس الأمر كما تريدون، سوف تعلمون بعد الموت ويوم القيامة سوء عاقبة تفاخركم، وأن السعادة ليست بذلك.

٤- ثم كلا سوف تعلمون، كرر الله تعالى ذلك للتأكيد والتحذير من الحرص على المال، وترك طاعة الله تعالى.

٥، ٦- «كلا»: ردع آخر، لو علمتم علماً يقينياً عاقبة التفاخر ما اشتغلتم به. وجواب «لو» مقدر، أي لتركتم التفاخر وعملتكم بما يحقق السعادة الخالدة. والله لترونها بأبصاركم بعد الموت المحجيم بارزة ظاهرة غير بعيدة، وهي النار المستعرة.

٧- ثم لترونها بأعينكم بعد ذلك عياناً وهي اليقين نفسه، بدخولكم فيها، وهو تأكيد لما سبق.

٨- ثم لتسألن يوم الحساب عن نعم الدنيا الذي شغلتم عن العمل للأخرة. و«ثم» للترتيب الإخباري؛ لأن السؤال في موقف الحساب قبل رؤية الجحيم.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

القَارِعَةُ ١
مَا الْقَارِعَةُ ٢
وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْقَارِعَةُ ٣
يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْتُوثِ ٤
وَيَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنْفُوشِ ٥
فَأَمَّا مَنْ نَعَلَ مَوَازِينَهُ ٦
فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ٧
وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ٨
فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ ٩
وَمَا أَدْرَاكَ مَا هَاوِيَةٌ ١٠
مَا تُرَاوِمُهَا ١١



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْمَلِكِ التَّكَاثُرِ ١
حَتَّى زِدْتُمُ الْمَاءَ مَلْحًا ٢
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٣
كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ٤
كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ٥
لَتَرَوُنَّ الْجَحِيمَ ٦
وَلَتَأْتِيَنَّهَا عَيْنُ الْيَقِينِ ٧
وَلَتَكُنَّ لِيَوْمِئِذٍ الْغَنِيمَ ٨



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ١
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ٢
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ٣
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ٤
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ٥
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ٦
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ٧
الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىكَ الْكِتَابَ ٨

سورة العصر

فضلها: أخرج الطبراني عن عبيد الله بن حفص قال: كان الرجلان من أصحاب رسول الله ﷺ إذا اتقيا لم يفترقا، إلا أن يقرأ أحدهما على الآخر سورة العصر، إلى آخرها، ثم يسلم أحدهما على الآخر. وأخرجه البيهقي عن أبي حذيفة.

٢، ١. أقسم بالعصر، وهو الدهر، لما فيه من العبر والأعاجيب. إن الإنسان (جنس الإنسان المكلف) لفي خسران عظيم في تجارته مع الشيطان وإيثار الدنيا، ولو تاجر مع الله تعالى، لكان له الربح الخالد، إذا أطاع الله وأثر الآخرة. وهذا جواب القسم.

٣. الإنسان خاسر إلا الذين آمنوا بالله ورسوله، وعملوا صالح الأعمال التي أمر الله بها، وأوصى بعضهم بعضاً بما هو حق: وهو العمل بشرع الله، من الإيمان به وتوحيده، وفعل أوامره، وترك نواهيه، وهذا يشمل كل خير وفضيلة، وأن يوصي الناس بعضهم بعضاً بالصبر على الطاعة وعن المعصية وعلى المصائب. وهذا من قبيل عطف الخاص على العام، لأن الصبر من خصال الحق.

سورة الهمزة

١. هلاك وخزي وعذاب شديد لكل همتاز (كثير الهمز) وهو المغتاب الطعان في أعراض الناس وكراماتهم، ولما كان كثير

اللمز) وهو العيب الذي يطعن بالناس خفية باللسان أو العين أو اليد أو الرأس ونحوها تحقيراً لهم وترفعاً عليهم.

٢. الذي يجمع الأموال، ويعددها مرة بعد أخرى تلذذاً بإحصائها. وهذا سبب الهزء بالناس وتحقيرهم.

٣. يظن أن ماله يجعله حياً خالداً لا يموت، والمراد: أنه يعمل عمل من لا يفكر بالموت.

٤. «كلا»: للزجر له عن هذا الفعل، والله ليطرحن ويرمين بإهانة وتحقير في نار جهنم كثيرة التحطيم والتكسير لكل ما يلقى فيها.

«لينذن»: جواب قسم محذوف كما قدرنا.

٥. وما أعلمك ما الخطمة: نار جهنم؟ وهذا للتزهيل، أي أي شيء هي؟ كأنها غريبة عن العقول.

٦. نار الله الملتهبة التهاباً شديداً، والتي لا تخمد أبداً.

٧. التي تعلق أوساط القلوب أو تصل إلى أعماقها، وتحيط بها، وخصت القلوب؛ لأنها محل العقائد الزائفة.

٨، ٩. إنها (النار) على أهلها مغلفة مطبقة. في أعمدة طويلة ممدودة، وهذا إشعار بالياس من التخلص أو الخروج منها.

سورة الفيل

١، ٢. ألم تعلم أيها النبي كيف فعل ربك بأصحاب الفيل العظيم: قوم من الجيش النصارى حكموا اليمن، جاؤوا بقيادة أبرهة لهدم

الكعبة المشرفة، بقصد تحويل العرب إلى تعظيم كنيسة بنوها في صنعاء، حدث ذلك قبل بعثة النبي ﷺ بأربعين عاماً. والاستفهام للتقرير.

ألم يجعل الله تدبيرهم السوء بتخريب الكعبة وفكرهم الخبيث، في إيصال وتضييع. والضللال في الأصل: ضياع العمل عبثاً.

٣، ٤. وأرسل الله عليهم مجموعات كثيرة متفرقة من الطيور. والظير: كل ما طار في الهواء، صغيراً أو كبيراً، فيشمل الذباب والبعوض.

ترميمهم بحجارة من طين متحجر، فتهلكهم. وعبر بالمضارع «ترميمهم» عن الماضي لاستحضار الصورة العجيبة.

٥. أي فجعلهم كورق الشجر الذي عصفت به الريح، وأكلته الدواب ثم رائته، فأهلكهم جميعاً.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَأَعْرَضَ ۚ إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُورٌ ۚ
إِلَّا الْذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَّصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَّصَوْا بِالصَّبْرِ ۚ



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاهِنُونَ
يَبْتَغُونَ رِزْقًا مِمَّنْ سِوَى اللَّهِ فَأَكْثَرُ صَبْرًا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاهِنُونَ
يَبْتَغُونَ رِزْقًا مِمَّنْ سِوَى اللَّهِ فَأَكْثَرُ صَبْرًا
وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آلِهَتِهِمْ كَاهِنُونَ
يَبْتَغُونَ رِزْقًا مِمَّنْ سِوَى اللَّهِ فَأَكْثَرُ صَبْرًا



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ ۚ
أَلَمْ تَرَ كَيْفَ جَعَلَهُمْ فِي سَبِيلِ
فِي تَضَلِيلٍ ۚ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۚ
تَرْمِيهِمْ
بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۚ جَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۚ

سورة قريش

(وتسمى سورة الإيلاف)

فضلها: روى البيهقي في الخلافيات عن أم هانئ بنت أبي طالب: أن رسول الله ﷺ قال: «فضل الله قريشاً بسبع خلال.. ذكر منها: أن الله أنزل فيهم سورة من القرآن، ثم تلا رسول الله ﷺ هذه السورة».

١- اعجبوا الإيلاف قريش: وهي أعظم القبائل العربية المتفرعة من النضرين كنانة، وهي قبيلة النبي ﷺ. والإيلاف: مصدر الف، أي عكف عليه مع الأنس به. أخرج الحاكم وغيره حديث أم هانئ للتقدم لبيان سبب النزول.

٢- إيلافهم بأمان واطمئنان رحلة الشتاء إلى اليمن؛ لأنها بلاد حارة، ورحلة الصيف إلى الشام؛ لأنها بلاد باردة، من أجل التجارة التي جعلت لقريش نفوذاً وشهرة بين القبائل. وإيلافهم: بدل من «إيلاف» في الآية الأولى، وإنما جيء به أولاً مطلقاً لتشويق النفوس للقييد المذكور في الآية الأولى.

٣- ومن أجل نعمة الإيلاف هذه، فليعبد القرشيون رب الكعبة، التي تشرفوا بها على سائر العرب، وعاشوا بجوار البيت الحرام في أمان.

٤- الذي وسع عليهم في الرزق وأطعمهم بسبب هاتين الرحلتين، فتخلصوا من جوع شديد، كانوا فيه قبل الرحلتين، وجعلهم يعيشون في أمان لكان الحرم، فلا تغير العرب عليهم، كما أنهم من هجوم الحبيشة مع القبيل.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِلَافٍ قُرَيْشٍ ۝ إِمْلَهُمْ رَحَلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ۝ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ ۝ الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
أَوَيْتَ الَّذِي كَذَّبَ الَّذِينَ ۝ فَذَلِكَ الَّذِي بَدَعَ الْبَيْتَ ۝ وَلَا يَحِضُّ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ ۝ قَوْلِ الْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُرِّعْنَ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ ۝ الَّذِينَ هُرِّعُوا ۝ وَيَمْنَعُونَ الْمَاعُونَ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ۝ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ ۝ إِنَّ سَانَكَ هُوَ الْأَبْدَرُ ۝

سورة الماعون

١- أعرفت وأبصرت أيها النبي المكذَّب بالحساب والجزاء في الآخرة، وبالعقائد والشرائع في هذا الدين؟ اليس مستحقاً عذاب الله؟ والاستفهام لحمل المخاطب على التعجب من فعل هذا المكذَّب.

٢، ٣- فذلك الكذِّب هو الذي يدفع التيميم ويطرده عن حقه دفعاً شديداً، يعنف وخشونة. ومن المعلوم أن عرب الجاهلية كانوا لا يورثون النساء والصغار. ولا يحث نفسه وأهله وغيرهم من الناس على إطعام المحتاج، ليخله وحرصه.

٤- فهلاك وخزي وعذاب يوم القيامة للمصليين الناقلين. أخرج ابن المنذر عن ابن عباس في قوله: ﴿قَوْلِ الْمُصَلِّينَ﴾ قال: نزلت في المنافقين كانوا يراؤون المؤمنين بصلاتهم إذا حضروا، ويتركونها إذا غابوا، ويمنعونهم العبادة، أي الشيء، للمستعار.

٥- الذين هم غافلون عن أداء الصلاة في أوقاتها يخشوع واعتقاد، فلا يرجون ثواباً منها، ولا يخشون عقاباً بتركها.

٦، ٧- الذين يراؤون في الصلاة وغيرها، طلباً للمدح والثناء فقط على أعمالهم. ويمنعون عن الناس كل وسائل العمون والمساعدة والانتفاع، كالماء والملح والإناء والفأس والقِدْر ونحو ذلك، كما يمنعون الزكاة.

سورة الكوثر

فضلها: أخرج الإمام أحمد عن أنس بن مالك: أن النبي ﷺ أفضى إغفاءة، ثم تبسم، لتزول هذه السورة عليه. وفسر الكوثر: بقوله: هو نهر أعطانيه ربي عز وجل في الجنة، عليه خير كثير، ترد عليه أمي يوم القيامة، أي هو الحوض المورود.

١، ٢- إنا أعطيناك أيها الرسول الكوثر: وهو الخير البالغ النهاية في الكثرة، ومنه نهر في الجنة، كما روى أحمد ومسلم وغيرهما. فداوم على الصلاة المفروضة الخالصة لوجه الله، وكذا صلاة العيد، شكراً لإتمام الله، وانحر ذبيحتك لله، وباسمه وحده، خلافاً لما كان عليه عرب الجاهلية من الصلاة لغير الله، والتحر لغير الله.

٣- إن مبغضك أيها الرسول هو الملقطع عن الخير النبوي والأخروي، ومنه الذكر الحسن والثناء الجميل، بل يلازمهم الذكر السيئ، فهو خالد معهم حتى في جهنم. وأما أنت أيها النبي فيبقى ذكرك الحسن وصيتك الطيب إلى يوم القيامة، وفي الآخرة.

سورة الكافرون

فضلها: أخرج مسلم عن جابر أن رسول الله ﷺ قرأ بهذه السورة ود ﴿قل: هو الله أحد﴾ [الإخلاص ١/١٢] في ركعتي الطواف، وأخرج أيضاً عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قرأ بها في ركعتي الفجر. وثبت أنه قرأ بها في ركعتي المغرب، وأوتر بها ود ﴿مسبح﴾ [الأعلى ١/٨٧] و ﴿قل هو الله أحد﴾ [الإخلاص ١/١٢].

١. قل أيها النبي للمشركين: يا أيها الكافرون بالله ورسوله. نزلت هذه السورة حينما طلب الكفار من رسول الله ﷺ أن يعبد آلهتهم سنة، ويعبدوا إلهه سنة، فأمره الله بهذه السورة.
٢. لا أعبد ما تعبدون من الأصنام والأوثان، أي في المستقبل. و ﴿ما﴾ بمعنى الذي، أي الإله الذي تعبدونه.
٣. ولا تعبدون أتم في المستقبل ما أعبد في الحال، وهو الإله الحق، ويعبر عن الله سبحانه مرة بـ ﴿من﴾ مثل ﴿أنتم من في السماء﴾ [الملك ١٦/٦٧] أو بـ ﴿ما﴾ مثل المذكور هنا، ومثل ﴿ما تعبدون من بعدي﴾ [البقرة ١٣٣/٢] ومثل ﴿نفس وما سواها﴾ [الشمس ٧/٩١].

٤. ولست أنا عابداً في الحال أو في الماضي شيئاً مما عبدقوه فيما سلف، أو لا أعبد عبادتكم الباطلة، يجعل ﴿ما﴾ هنا مصدرية، تجعل ما بعدها في معنى المصدر.
٥. ولستم أتم عابدين في وقت ما أنا عابده. أو لا أتم عابدون عبادتي الصحيحة.
٦. لكم دينكم وهو الشرك الذي أتم عليه، ولي ديني وهو التوحيد والإسلام الذي أنا عليه، لا أرفضه.
والخلاصة: ليس بمعبودنا واحداً، ولا عبادتنا واحدة، فلكم دينكم أتم مسؤولون عنه، ولي ديني أسأل عنه.

سورة النصر

(وتسمى سورة التوديع)

فضلها: جاء في حديث الترمذي عن أنس بن مالك أنها تعدل ربع القرآن، و ﴿إذا زلزلت﴾ [الزلزلة ١/٩٩] تعدل ربع القرآن. وعند النسائي أنها آخر سورة من القرآن نزلت. وعند البزار والبيهقي أنها نزلت أوسط أيام التشريق، فعرف أنه الوداع. وعند أحمد وابن جرير عن ابن عباس: لما نزلت قال رسول الله ﷺ: «فصحت إلي نفسي».

١. إذا تحقق نصر الله لك أيها النبي مع المؤمنين على أعدائك من قريش، وفتح مكة. أخرج البخاري وغيره عن ابن عباس أنه فسّر هذه السورة لعمر والصحابه بأنها أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، قال: ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾ فذلك علامة أجلك.
٢. وأبصرت الناس من العرب وغيرهم يدخلون في الإسلام جماعات كثيرة، كأهل مكة والطائف واليمن والهوازن وسائر قبائل العرب.
٣. فتزده الله ووصل له، حامداً ريك على نعمه، وأسأله المغفرة لك تواضعاً له، ولن تبعك من المؤمنين، إنه سبحانه كان وما يزال كثير القبول لتوبة عباده.

سورة المسد

١. هلك وخسر أبو لهب (عبد العزى بن عبد المطلب، عم النبي ﷺ، ولكنه كان أشد الناس عداً له) وقد خسر، وهذا خبر عنه. وأبو لهب: كنية له لشدة احمرار وجهه، ذكر بذلك تهكماً به. والجملة الأولى: دعاء دائم على أبي لهب إلى يوم القيامة. ثبت في الصحيحين وغيرهما: أن النبي ﷺ لما دعا قومه على جبل الصفا إلى الإسلام، قال أبو لهب: تبا لك، أما جمعنا إلا لهذا؟! فنزلت هذه السورة.
٢. ما أفاده ولا نفعه ولا دفع عنه عذاب الله ما جمعه من المال، وما كسبه من العمل السيئ في محاربة النبي ﷺ بل فشل.
٣. سوف يدخل نار جهنم ذات الاشتعال والترقد وشدة الحرارة. والتعبير بذات لهب مناسب لكتيبته بأبي لهب.
٤، ٥. وكذلك امرأته أم جميل أخت أبي سفيان استدخل معه جهنم، التي كانت تحمل الشوك والحسك، فتطرحه في طريق رسول الله ﷺ لإيذائه. وحمامة: منصوب بفعل مقدر، أي أريد أو آدم. في عتقها جبل مقتول من ليف قتلاً شديداً، تعذب به في النار.



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ يَا كَافِرُونَ ١ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَا أُرْعَدُونَ مَا تُرْعَدُونَ ٣ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مُّأْتَدُونَ ٤ وَلَا أُرْعَدُونَ مَا تُرْعَدُونَ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ ٦



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ ١ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا ٢ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْ لَهُ إِنَّكَ كَانْتَ تَوَّابًا ٣



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
بَلَّ بَدَأُ أَبِي لَهَبٍ وَرَبِّ ١ مَا أَعْنَى عَنْهُ مَالُهُ وَتَأَكَّبُ ٢ سَيْضَلَى ٣ تَأَذَاتُ لَهَبٍ ٤ وَرَأَى لَهَبَ جَمَلًا لَطَبُ ٥ فُجِعًا عَاسِلًا ٦ تَزِيدُ ٧

سورة الإخلاص

فضلها: أخرج أحمد والبخاري عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ لأصحابه: «أيمجز أحدكم أن يقرأ تلك القرآن في ليلة؟ فشق ذلك عليهم، وقالوا: أبنا يطيق ذلك يا رسول الله؟ فقال: الله الواحد الصمد ثلث القرآن».

١- قل أيها النبي: الله واحد في ذاته، لا هو مادة ولا غير مادة، هو واحد لا شريك له. فنزل حينما قال للمشركون: يا محمد انسب لنا ربك، أي اذكر لنا نسبه، فنزلت هذه السورة.
٢- الله السيد المقصود في جميع الخواص على الدوام.
٣، ٤- لم يلد أحداً ولم يولد من أحد؛ لأنه قديم أزلي غير محدث. ولم يكن له على الإطلاق مكافئ ومماثل في ذاته وصفاته وأفعاله، فلا يساويه أحد ولا يشاركه في شيء.

سورة الفلق

فضل للمعوذتين: أخرج مسلم وأحمد والترمذي والنسائي عن عتبة بن عامر قال: قال رسول الله ﷺ: «ألم تر آيات أنزلت هذه الليلة لم ير مثلهن قط: ﴿قل: أعوذ برب الفلق﴾ [الفلق ١/١١٣] و﴿قل: أعوذ برب الناس﴾ [الناس ١/١١٤].
وأخرج الترمذي وحسنه والبيهقي عن أبي سعيد الخدري، قال: كان رسول الله ﷺ يتعوذ من عين الجن ومن عين الإنس، فلما نزلت سورتا المعوذتين، أخذ بهما وترك ما سوى ذلك.
١- قل أيها النبي: الجأ وأستجير برب الصبح الذي يفلق ضوءه ظلمة الليل، فينشق الليل عن الصبح.
٢- أعوذ بالله من شر مخلوقات الله تعالى.

٣، ٤- وأعوذ بالله من شر الليل إذا أقبلت بظلمته في الكون والغاسق: ليل اشتد ظلامه وكلمة ﴿رب﴾ دخل ظلامه بتمعن. وأعوذ بالله من شر السواحر من النفوس للإفساد بالسحر بين الناس. والفتائن جمع فتاة، والفتن: النفع الخفيف. والمعقد: جمع عقدة وهي ما يعقد بالخيوط أو الحبل ونحوهما. جاء في الصحيحين عن عائشة: أن لبيد بن الأعمس اليهودي سحر النبي ﷺ، فأنزلت عليه للمعوذتان، فجعل كلما قرأ آية انحلت عقدة، حتى انحلت العقدة الأخيرة، وجعل جبريل يرقى رسول الله ﷺ فيقول: «باسم الله أرقبك، من كل شيء يؤذيك، من شر حاسد وعين، والله يشفيك». وانتصر تأثير هذا السحر بالنبي على مجرد كونه قد صار في بعض أمور الدنيا. لا فيما يتعلق بالوحي. في حالة صداع خفيف، وهو معنى التخيل في الحديث، وقد يحدث تخيل في اليقظة كالنمام.
٥- وأعوذ بالله من شر حاسد: وهو الذي يتمنى زوال نعمة المحسود، إذا نفذ حسده بالسعي في إزالة نعمة المحسود. ولا يضر السحر والعين والحسد ونحو ذلك بذاته، وإنما يفعل الله وتأثيره، وينسب الأمر إلى هذه الأشياء في الظاهر فقط.

سورة الناس

١- قل أيها النبي: الجأ واعتصم (أو احتصم) بالله خالق الناس ومربيهم ومدبر أمورهم.
٢- مالك الناس ملكاً تاماً وحاكمهم، والمتصرف في أمورهم.
٣- معبود الناس بحق، واسم الإله خاص بالله تعالى لا يشاركه فيه أحد، فهذه صفات ثلاث لله: الربوبية، والملك، والألوهية.
٤، ٥- أعوذ بالله تعالى من شر الذي يوسوس كثيراً، بأن يلقي في النفوس خواطر الشر والسوء، والذي من عادته أن يخس، أي يخفي ويرجع كلما رأى مانعاً فذكر الله تعالى. الذي يلقي في قلوب الناس ما يضلهم ويضرهم.
٦- الموسوس من الجن: وهم خلق مستتر لا يعلم به أحد إلا الله تعالى، فشيطان الجن وهو الجن الشرير، يوسوس في صدور الناس. ومن الناس الذين يوسوسون بالسوء، فشيطان الإنس: أن يرى نفسه كالتناصح، ثم يلمس في كلامه السوء. و﴿من﴾ بيانية بيان للموسوس: وهو كل ما لا تراه العيون.

والحمد لله تعالى الذي بنعمته وتوفيقه تتم الصالحات

تم ذلك في أثناء العشاء ليلة الجمعة مساء الخميس الواقع في ٢ من جمادى الآخرة سنة ١٤١٣ هـ الموافق ١١/٢٦/١٩٩٢ م



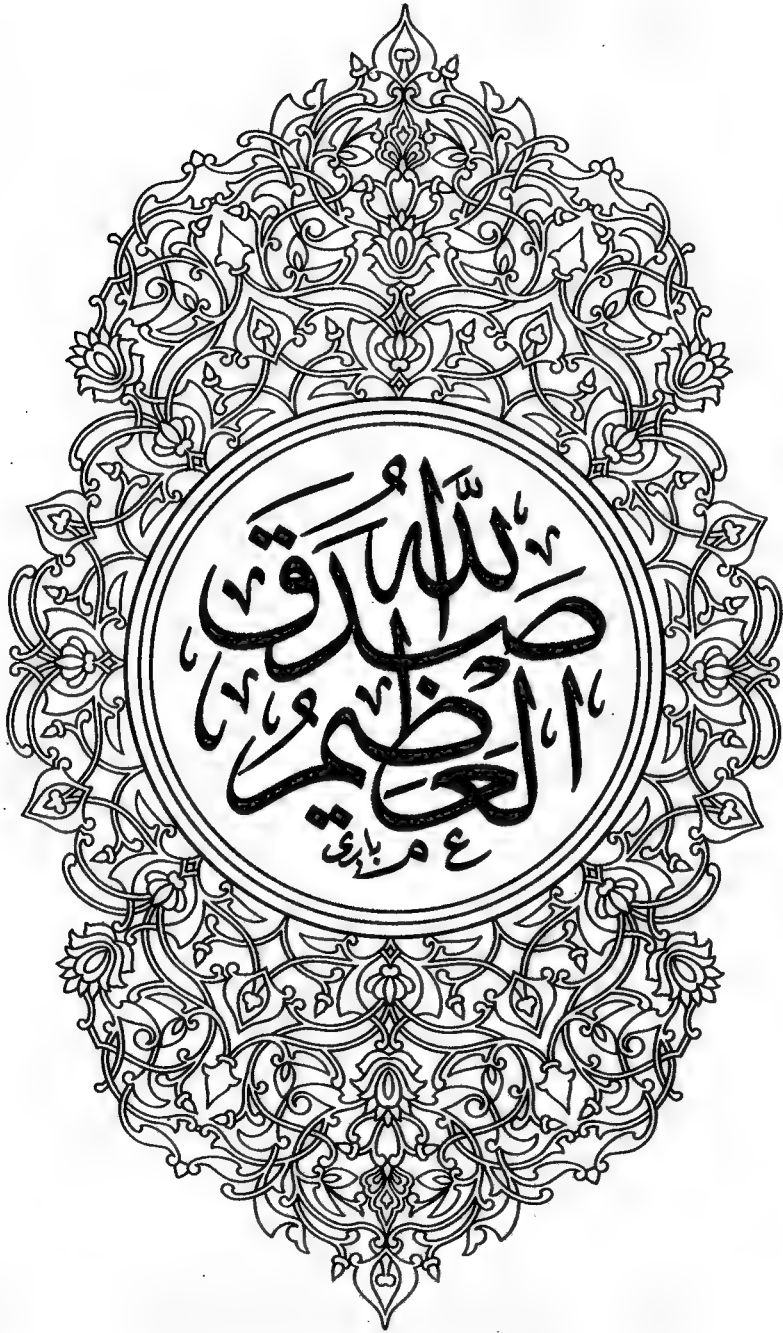
بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ صَمَدٌ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝ وَمِنْ شَرِّ مَا أُسِرَ ۝ وَإِنْ شَرَّ عَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝ مَلِكِ النَّاسِ ۝ إِلَهِ النَّاسِ ۝ مِنْ شَرِّ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ۝ الَّذِي يُّوسِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ۝ مِنَ الْغَيْثِ وَالنَّاسِ ۝



دَعَاءُ خَيْرِ الْقَرَاتِ

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله

اللهم ارحمني بالقرآن ، واجعله لي إماماً ونوراً ، وهدني ورحمته ، اللهم ذكرني منه ما نسيت ، وعلمني منه ما جهلت ، وآرزقني تلاوته آنا الليل وأطراف النهار ، واجعله لي حجة يارب العالمين ، اللهم اني أسألك رضاك والجنة ، وأعوذ بك من سخطك والنار ، وآرزقني شفاعته نبيك محمد صلى الله عليه وآله وسلم وسعادة الدنيا والآخرة ، اللهم حبب إلي الإيمان ، وزين في قلبي وكره إلي الكفر والفسوق والعصيان ، واجعلني من الراشدين ، اللهم اجعل لي من كل هم فرجاً ، ومن كل ضيق مخرجاً ، وآرزقني من حيث لا أحسب ، اللهم نور بالقرآن عتلي وسمعي وبصري وحواصي قلبي ، وآرزقني الإخلاص في القول والعمل ، وأحسن عاقبتني في الأمور كلها ، وأجرني من خزي الدنيا وعذاب الآخرة ، واغفر لي ولذريتي واخواني ومشائخي وأهل الإيمان والتوحيد أجمعين ، ووحدهم قلوب عبادك المؤمنين لرفع راية الإسلام . اللهم اجعلني للحق داعياً ، وبالحق عزيزاً وقويماً وإقامة الحق والقرآن عاطلاً ، ومن أجل الحق والإيمان وحب القرآن والنبى وآله مجاهداً ، وأمنني رشدي للعمل بكل ما أنزلت في كتابك ، واجعل هواي في هواك ، وقصدي رضاك ، وخلصني من أهوار النفس والدنيا ، واجعل آخري خيراً من دنياي ، وأمنخي العون من ذاك العلية للقيام بكل ما تجبه وترضاه .

والحمد لله في البدر والنجوم ، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً ، الفاتحة

المصطلحات

بلاغات الوقف

تفيد بيان الوصل أولًا مع جواز الوقف	ص
تفيد بيان الوقف أولًا مع جواز الوصل	ط
تفيد عدم جواز الوقف عليهما والبدء بما بعدها	لا
تفيد جواز الوقف وجواز الوصل دون ترجيح	ج
تفيد لزوم الوقف	م
تفيد جواز الوقف بأحد الموضعين وليس في كليهما	هـ

اصطلاحات التصط

فوق الألف للدلالة على زيادته وعدم التعلق به حين الوصل	٥
فوق حرف العلة للدلالة على زيادته وعدم التعلق به مطلقًا	٥
للدلالة على مسكون الحرف وإظهاره	٦
للدلالة على وجود الألف	٢
للدلالة على إظهار التنوين	هـ
للدلالة على الإذعام والإخفاء	هـ
للدلالة على وجوب التعلق بالأحرف المشروكة	ا و ن
للدلالة على أن التعلق بالسين أشهر من الصاد	س
وإذا وضعت بالألف كان التعلق بالصاد أشهر	س
فوق آخر الآية للدلالة على مسكنة لطيفة يُشار لها بزخرفة	س
للدلالة على لزوم التثنية	١
للدلالة على موجب التجدة	—
للدلالة على موضع الشجود	
للدلالة على بداية الأجزاء والأحزاب وأنصافها وأزبائها	
للدلالة على انتهاء الآية الكريمة ووقفها	
علامة الإيماء والإشارة	٥
علامة التسهيل	٥

تعريف بهذا المصحف الشريف

كُتِبَ هذا المصحفُ وضُبطَ على ما وافق رواية حفص بن سليمان بن المغيرة الأسدي الكوفي لقراءة عاصم بن أبي النجود الكوفي التابعي عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلميّ عن عثمان بن عفان وعلي بن أبي طالب وزيد بن ثابت وأبي بن كعب عن النبي ﷺ .

وأخذ هجاؤه مما رواه علماء الرسم عن المصاحف التي بعث بها الخليفة الراشد عثمان بن عفان رضي الله عنه إلى البصرة والكوفة والشام ومكة، والمصحف الذي جعله لأهل المدينة، والمصحف الذي اختص به نفسه، وعن المصاحف المتسخة منها. وقد روعي في ذلك ما نقله الشيخان أبو عمرو الداني وأبو داود سليمان بن نجاح مع ترجيح الثاني عند الاختلاف. هذا وكل حرف من حروف هذا المصحف موافق لنظيره في المصاحف العثمانية الستة السابق ذكرها.

وأخذت طريقة ضبطه مما قرره علماء الضبط على حسب ماورد في كتاب (الطراز على ضبط الخراز) للإمام التنسي مع الأخذ بعلامات الخليل بن أحمد واتباعه من المشاركة، بدلاً من علامات الأندلسيين والمغاربة.

وأتبعت في عد آياته طريقة الكوفيين عن أبي عبد الرحمن عبد الله بن حبيب السلميّ عن علي ابن أبي طالب رضي الله عنه على حسب ماورد في كتاب (ناظمة الزهر) للإمام الشاطبي، وغيرها من الكتب المدونة في علم الفواصل، وآي القرآن على طريقتهم ٦٢٣٦ آية. وأخذ بيان أوائل أجزائه الثلاثين وأحزابه الستين وأرباعها من كتاب (غيث النفع) للعلامة السقاقي. و(ناظمة الزهر) للإمام الشاطبي وشرحها. و(تحقيق البيان) للشيخ محمد المتولي، و(إرشاد القراء والكاتبين) لأبي عيد رضوان المخللاتي.

وأخذ بيان مكيته ومدنيته وترتيب سوره حسب النزول في الجدول الملحق بأخر المصحف من كتاب أبي القاسم عمر بن محمد بن عبد الكافي وكتب القراءات والتفسير على خلاف يسير في بعضها.

وأخذ بيان وقوفه وعلاماتها مما قرره عدد من اللجان والقراء حسب أقوال أئمة التفسير وعلماء الوقف والابتداء.

وأخذ بيان مواضع السكتات عند حفص من (الشاطبية) وشرّاحها وتعرف كيفيتها بالتلقي من أفواه المشايخ.

وأخذ بيان السجّادات ومواضعها من كتب الفقه والحديث.

توضيحات ينبغي مراعاتها

للقارئ برواية حفص عن عاصم من الشاطبية

- ١- في قوله تعالى: ﴿مَجْرِبَهَا﴾ في الآية ٤١ من سورة هود إمالة للألف الواقعة بعد الراء، وذلك بتقريب الألف نحو الياء، ويلزم منه ترقيق الراء.
- ٢- في قوله تعالى: ﴿تَأْمَنَّا﴾ في الآية ١١ من سورة يوسف وجهان:
الاختلاس: ويعبر عنه بالروم، وذلك بفك الإدغام والنطق بنونين مع إخفاء ضمة النون الأولى أي النطق بمعظمها. والإشمام: وذلك بضم الشفتين على هيئة من ينطق بالواو دون صوت قبيل النطق بالنون المشددة. والوجه الأول مقدم أداء.
- ٣- في قوله تعالى: ﴿ءَأَعْجَمِي﴾ في الآية ٤٤ من سورة فصلت تسهل الهزمة الثانية بين أي بين الهمزة والألف.
- ٤- في قوله تعالى: ﴿يَرْضَهُ﴾ في الآية ٧ من سورة الزمر تضم الهاء دون صلة وفي لفظ ﴿أَرْجَهُ﴾ في الآية ١١١ من سورة الأعراف، وفي الآية ٣٦ من سورة الشعراء تسكن الهاء، وفي لفظ ﴿فَالْقَه﴾ في الآية ٢٨ من سورة النمل تسكن الهاء أيضاً، وفي لفظ ﴿فِيهِ﴾ في الآية ٦٩ من سورة الفرقان توصل الهاء وتمد بمقدار حركتين.
- ٥- في لفظ ﴿ضَعْفٌ﴾ و ﴿ضَعْفٌ﴾ من قوله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ مَثَلًا لِيُنذِرَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ في الآية ٥٤ من سورة الروم يجوز فتح الضاد في المواضع الثلاثة، ويجوز ضمها، والفتح هو المقدم أداءً.
- ٦- في قوله تعالى: ﴿ءَاتَتْ﴾ في الآية ٣٦ من سورة النمل وجهان وقفاً: إثبات الياء ساكنة، وحذفها أي بالوقف على النون، والأول هو المقدم أداءً، أما حال الوصل فتثبت الياء مفتوحة.
- ٧- في قوله تعالى: ﴿سَلَسَلًا﴾ في الآية ٤ من سورة الإنسان وجهان وقفاً حذف الألف، وإثباتها والأول هو المقدم أداءً، أما في حال الوصل فتحذف الألف.
- ٨- في قوله تعالى: ﴿وَيَبْصُطُ﴾ في الآية ٢٤٥ من سورة البقرة، وقوله تعالى: ﴿بَصْطَةً﴾ في الآية ٦٩ من سورة الأعراف يقرآن بالسین، أما في قوله تعالى: ﴿الْمُصْطَبُونَ﴾ في الآية ٣٧ من سورة الطور فيقرأ بالصاد وبالسين، ووجه الصاد هو المقدم أداءً.
- ٩- في قوله تعالى: ﴿مَالِيَةَ هَلَكٌ﴾ في الآيتين ٢٨ و ٢٩ من سورة الحاقة يجوز حال الوصل وجهان: الإظهار مع السكت، والإدغام، والوجه الأول هو المقدم أداءً. أما في قوله تعالى: ﴿عَوْجًا﴾ في الآية الأولى من سورة الكهف، و﴿مَرْقَدْنَا﴾ في الآية ٥٢ من سورة المطففين، فيتعين السكت وصلًا.
- ١٠- في قوله تعالى: ﴿ءَالله﴾ في الآية ٥٩ من سورة يونس، وفي الآية ٥٩ من سورة النمل، وقوله ﴿ءَأَلْتَن﴾ في الآيتين ٥١ و ٩١ من سورة يونس، وقوله ﴿ءَالذَّكْرَيْن﴾ في الآيتين ١٣٤ و ١٤٤ من سورة الأنعام وجهان إبدال الهزمة الثانية الغاومئذها مدماً مشبعاً للساكن بعدها، وتسهيل الهزمة الثانية بين أي بين الهمزة والألف، والوجه الأول هو المقدم أداءً.

ولا يتم ضبط هذه الأوجه إلا بالتلقي والمشاهدة.

كتبه

د. أحمد شكري

١٩٩٣ / ١٢ / ١٩

قواعد التجويد أو الترتيل

مقدمة

إن الهدف المقصود من إنزال القرآن الكريم هو العمل بأدابه وأخلاقه، وتشريعاته، وأحكامه، والانعاز بمواعظه، وقصصه، بحيث يكون دستوراً أعلى للفرد في سلوكه وحياته، وللمجتمع في نظامه وتحديد غاياته ومقاصده. ويتطلب العمل بالقرآن المجيد فهمه وتدبر معانيه، وذلك عن طريق التفسير أو التأويل السابق، وهو بنحو موجز، يعد الحد الأدنى الواجب على كل مسلم ومسلمة معرفته وتعلمه، وهناك تفاسير مطولة مثل كتابي (التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج) يحسن بالمسلم أن يترقى في درجة تعلمه، فينتقل من الحد الأدنى إلى الحد الأعلى في استيعاب أحكام القرآن وعلومه. قال الله تعالى: ﴿الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، أولئك الذين هداهم الله، وأولئك هم أولو الألباب﴾ [الزمر/٣٩].

ومن أهم الواجبات المساعدة على فهم القرآن العظيم: ترتيله وتجويده على وفق ضوابط معينة قررها العلماء المتخصصون في فن التلاوة، يجب على كل مسلم ومسلمة وجوباً عينياً تعلمها، لقوله تعالى: ﴿الذين آتيناهم الكتاب يتلونه حق تلاوته﴾ [البقرة/٢] وقوله سبحانه: ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [الزلزل/٧٣]. وقال رسول الله ﷺ فيما رواه أبو يعلى عن عائشة رضي الله عنها: «من لم يتغن بالقرآن فليس منا» والمقصود بالتغني: الترتيل، لا التمطيط ومراعاة الأنغام فذلك مكروه كراهة شديدة. وأخرج البخاري والترمذي وأبو داود عن عثمان بن عفان رضي الله عنه: أن النبي ﷺ قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه». وأخرج أبو داود عن سعد بن عباد رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «ما من امرئ يقرأ القرآن، ثم ينساه إلا لقي الله عز وجل يوم القيامة أجذم».

ولتلاوة القرآن ثواب عظيم، والنظر إلى القرآن عبادة، أخرج الترمذي عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من قرأ حرفاً من كتاب الله فله به حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: ﴿الم﴾ حرف، ولكن ألف: حرف، ولام: حرف، وميم: حرف». وأخرج البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه، وهو عليه شاق، له أجران».

ومن آداب التلاوة الواجبة شرعاً: إخلاص النية والطهارة من الحدين الأصغر والأكبر بأن يكون متوضئاً إذا لمس القرآن، وغير جنب إذا تلاه أو لمسه، والقراءة بتؤدة وترسل وترتيل، دون إسراع ولا تمطيط مخل بأصول التلاوة، والقراءة بوعي وتدبر وفهم لمعاني آيات القرآن الكريم حتى ينتقل من العبادة إلى العمل والفائدة والامتثال الذي هو الهدف الجوهرى من إنزال القرآن. ويستحسن استقبال القبلة والاستياف والجلوس كجلسة التشهد في الصلاة.

الاستعاذة والبسملة:

يبتدئ قارئ القرآن في الصلاة وغيرها بالاستعاذة والبسملة لقوله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ [النحل/١٦/٩٨]. وقال الله سبحانه في بدء إنزال القرآن على النبي المصطفى محمد ﷺ: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم. اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾ [العلق/١/٩٦].

١- وتكون الاستعاذة مطلوبة وحدها إذا كان البدء بالقراءة من غير أول السورة، أي عند تلاوة بعض الآيات من السورة القرآنية أو أثناء القراءة.

٢- وتقرأ الاستعاذة والبسملة معاً إذا كان البدء بالقراءة من أول السورة.

٣- وتكفي البسملة عند انتقال القارئ من سورة إلى سورة أخرى، سواء أتم القارئ السورة الأولى أم لم يتمها.

٤- ولا حاجة إلى الاستعاذة والبسملة عند الانتقال من سورة إلى بعض آيات من سورة أخرى ليس من أولها.

٥- يأتي القارئ بالبسملة ويتبعها بما بعدها ولو بكلمة واحدة إذا وصل سورة بأخر سورة قبلها، حتى لا يظن أن البسملة من السورة المتقدمة. ويعيد البسملة إذا وقف عليها لضرورة انقطاع النَّس في هذه الحالة. فإن وصل سورة بما قبلها، وقطع التسمية عما بعدها، كانت البسملة غير جائزة، لثلاثي توهم أنها من السورة التي قبلها.

٦- لا تبدأ سورة التوبة (براءة) بالبسملة؛ لأن البراءة من المشركين وغضب الله عليهم لا يتناسب مع ذكر صفات الرحمة لله عز وجل، ولأن هذه السورة نزلت بمناسبة القتال في السنة التاسعة من الهجرة. روى ابن مردويه عن ابن عباس رضي الله عنهما عن علي كرم الله وجهه: أن البسملة أمان، وبراءة نزلت بالسيف.

ويسن في حق القارئ أن يكبر عند ختم كل سورة، فيبتدئ بالتكبير من آخر سورة الضحى، ويستحب إذا ختم القرآن أن يفتح بالفاتحة ويقرأ من البقرة [٢] إلى ﴿وأولئك هم المفلحون﴾ [٥] ثم يدعو الله عز وجل دعاء ختم القرآن.

تعريف علم التجويد وحكمه:

التجويد لغة: التحسين والإجادة، واصطلاحاً: إعطاء الحروف حقوقها من المخارج والصفات من الإدغام والإظهار والإخفاء، والغن والمد، والترقيق والتفخيم، والقلقلة، والهمس، ومعرفة الوقف والابتداء، وغير ذلك من الأحكام.

وحكمه : وجوب تعلمه لقوله تعالى : ﴿ورتل القرآن ترتيلاً﴾ [المزمل ٧٣ / ٤] .

وفائده أو غايته : صون اللسان عن الخطأ في تلاوة كتاب الله تعالى . وله فائدة أخرى هي إجادة النطق في التكلم بغير القرآن الكريم . لكن لا بد في هذا العلم من التلقي والسماع في التطبيق من رجل عالم متقن القراءة وأحكامها ، وقد تلقاها بالمشافهة عن أهل القرآن ، ولا يكفي مجرد حفظ هذه الأحكام من الكتب .

وثمرته : الفوز برضاء الله تعالى .

والكلام في التجويد يتناول : المدود ، وأحكام النون والميم الساكنة والتنوين ، ومخارج الحروف وصفاتها . ومنها أحكام الهمزة ، والألف ، واللام ، والراء ، والقلقة ، والسكت ، والوقف والابتداء .

المدود

المد : إطالة الصوت بحرف من حروف المد .

حروف المد : هي ثلاثة : الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، والياء الساكنة المكسور ما قبلها ، والألف الساكنة المفتوح ما قبلها ، المجموعة في قوله : ﴿نوحياً﴾ . مثل ﴿بيوتاً تستخفونها﴾ وفيها واوان . ﴿سراييل تقيم﴾ وفيها ياءان ﴿ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها﴾ وفيها ستة ألفات .

عدد المدود : المدود عشرة : طبيعي ، وبدل ، وعوض ، وصلة ، وتمكين ، ومتصل ، ومنفصل ، ولازم ، وعارض لسكون ، ولين .

١ - المد الطبيعي وحركته :

المد الطبيعي : هو الذي لا تقوم ذات الحرف إلا به ، ولا يتوقف على سبب من همز أو سكن ، وأحرفه : أحرف المد المتقدمة المجتمعة في قوله تعالى : ﴿نوحياً﴾ ويمد بمقدار حركتين ، مثل : قالوا ، سافروا . وسمي مداً طبيعياً ؛ لأن صاحب الطبع السليم لا ينقصه عن حده ، ولا يزيد عليه .

مقدار الحركة : هي بمقدار ما يقبض الإنسان أصبعه أو يبسطها بحالة وسطى . ويلحق بالمد الطبيعي أربعة مدود : مد البدل ، ومد العوض ، ومد الصلة الصغرى ، ومد التمكين .

٢ - مد البدل وحركته :

مد البدل : هو أن يأتي همز وبعده همز ساكن في كلمة واحدة ، وقد يأتي في أول الكلمة ، مثاله : آمنوا ، أوتوا ، إيماناً . وقد يأتي في وسطها مثل : ﴿الموءودة﴾ ، ﴿فأوى﴾ .

ويمد بمقدار حركتين كالمد الطبيعي . وسمي بدلاً لإبدال الهمزة الثانية الساكنة مداً من جنس الحركة التي قبلها . فأصل ﴿آمنوا﴾ آمنوا ، وأصل ﴿أوتوا﴾ أوتوا ، وأصل ﴿إيماناً﴾ إيماناً ، فأبدلت

الهمزة الثانية الساكنة بحرف مناسب لحركة الهمزة الأولى، فصارت في المثال الأول ألفاً ساكنة، وفي الثاني واواً ساكنة، وفي الثالث ياء ساكنة.

٣ - مد العوض :

هو مد في حالة الوقف، عوض عن فتحتين في حالة الوصل، مثاله: ﴿غفوراً رحيماً﴾ ﴿عليماً حكيماً﴾ فتقرأ هكذا عند الوقف: ﴿غفوراً﴾، ﴿رحيماً﴾، ﴿عليماً﴾، ﴿حكيماً﴾. فقد آل التنوين بالنصب إلى ألف ساكنة قبلها مفتوح.

ويمد بمقدار حركتين كالمال الطبيعي. وسمي عوضاً لأنه عوض عن التنوين.

٤ - مد الصلة الصغرى وحركته :

هو مد هاء الضمير المفرد المذكر الغائب إذا وقعت الهاء بين حرفين متحركين، أي يكون ما قبلها متحركاً، وما بعدها متحركاً. مثل ﴿إنه هو﴾، ﴿ماله يتزكى﴾ فإشباع الضمة على الهاء يجعلها واواً ساكنة، ومثل ﴿به بصيراً﴾، ﴿إلى أهله مسروراً﴾ فإشباع الكسرة على الهاء يجعلها ياء ساكنة. ويمد بمقدار حركتين كالمال الطبيعي.

أما إذا كان قبل هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد مثل ﴿منه﴾، ﴿إليه﴾ إلا في قوله تعالى: ﴿فيه مهاناً﴾ فإنه يمد مد الصلة حركتين.

وأما لو كان بعد هاء الضمير حرف ساكن فلا تمد كذلك مثل ﴿كما علمه الله﴾.

ويستثنى من مد الصلة قوله تعالى: ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾ فلا تمد الهاء مع أنها واقعة بين متحركين، ويكتفى فيها بالقصر، فتقرأ كما تكتب: ﴿يَرْضَهُ لَكُمْ﴾.

وإن أتى بعد هاء الضمير همز تمد كمد المنفصل، ويسمى صلة كبرى مثاله: ﴿ماله أخلده﴾، ﴿ومن آياته أن﴾. وتختلف الصلة الصغرى عن الكبرى من ناحيتين: مقدار المد، فالأولى تمد حركتين، والثانية خمس حركات. ثم إن الحرف المتحرك بعد هاء الضمير لا يشترط في الصغرى أن يكون همزاً، بينما يشترط ذلك في الصلة الكبرى.

٥ - مد التمكين وحركته :

هو المد الذي يكون عند اجتماع ياء بين أولهما ساكنة، والثانية مكسورة. مثل ﴿حييتم﴾ ﴿النبیین﴾ ﴿الأميين﴾. ويمد بمقدار حركتين كالمال الطبيعي. وسمي كذلك لأن الشدة الحاصلة من اجتماع الياء بين مكنته.

٦ - المد المتصل وحركته :

هو أن يجتمع حرف المد وبعده الهمز في كلمة واحدة، مثل: ﴿أولئك﴾ ﴿جاء﴾ ﴿النسيء﴾

﴿تبوأ﴾ . ويمد باتفاق القراء بمقدار خمس حركات وجوباً في حال الوصل، ويجوز عند بعضهم أربع حركات . وفي حال الوقف تجوز الزيادة إلى ست حركات لعروض السكون بالوقف . وسمي مداً متصلاً لاتصال الهمزة مع المد في كلمة واحدة .

٧ - المد المنفصل وحركته :

هو أن يأتي حرف المد في آخر كلمة، وبعده الهمز في أول كلمة أخرى، مثاله : ﴿بمأ أنزل﴾ ﴿إنأ أعطيناك﴾ ﴿بأ أيها﴾ . ويمد بمقدار خمس حركات جوازاً، لجواز فصل الطبيعي عن الهمز . وإنما كان مده جوازاً لا واجباً، لعدم اتفاق القراء على وجوب مده، فبعضهم أجاز مده حركتين، وبعضهم أربعاً، وبعضهم خمساً .

٨ - المد العارض للسكون وحركته :

هو أن يأتي بعد حرف المد حرف متحرك يوقف عليه بالسكون، مثاله : ﴿نستعين﴾ ﴿الدين﴾ ﴿ممنون﴾ ﴿الحساب﴾ . ويجوز في مده ثلاثة أوجه : الطول : ست حركات، والتوسط : أربع حركات، والقصر : حركتان .

٩ - مد اللين وحركته :

هو إطالة الصوت بالواو والياء الساكتين، المفتوح ما قبلهما، الساكن ما بعدهما سكوناً عارضاً في حالة الوقف، ولا يمد في حالة الوصل أبداً، مثاله : ﴿خوف﴾ ﴿بيت﴾ ﴿يوم﴾ ﴿خير﴾ . ويجوز في مده ثلاثة أوجه كالعارض للسكون المتقدمة : الطول، والتوسط، والقصر . وبناء عليه ألحقه العلماء بالعارض للسكون .

١٠ - المد اللازم وحركته وتقسيمه :

المد اللازم : هو أن يكون بعد حرف المد حرف ساكن سكوناً أصلياً، سواء في حالة الوصل أو الوقف، مثاله : ﴿أتمأجوني﴾ ﴿والصآقات﴾ ﴿الحآقة﴾ ﴿الطآمة﴾ ﴿ق﴾، ﴿ن﴾، ﴿الم﴾ . فقد جاء بعد حرف المد سكون لازم في كل من ﴿الحآقة﴾ و ﴿الطآمة﴾ لأن الحرف المشدد اجتمع فيه حرفان من جنس واحد، أولهما ساكن، والثاني متحرك، فالحآقة هي (الحآققة) والطآمة هي (الطآمة) . وحروف أوائل السور تقرأ هكذا : «قاف، نون، لام ميم» .

ويمد اللازم بمقدار ست حركات وجوباً، من غير زيادة ولا نقص باتفاق القراء .

أقسام المد اللازم : ينقسم المد اللازم إلى قسمين :

أولاً - مد لازم كلي : وهو المد الواقع في كلمة، مثل : ﴿الطآمة﴾، ﴿الحآقة﴾، ﴿الصآخة﴾ . وهو نوعان :

أ - مد لازم كلمي مثقل : وهو حين يأتي في الكلمة حرف مد، بعده حرف مشدد : مثل ﴿الطَّامَّة﴾، و ﴿الحَاقَّة﴾، و ﴿الصَّاخَّة﴾، و ﴿الضَّالِّين﴾.

ب - ومد لازم كلمي مخفف : وهو حين يأتي في الكلمة حرف مد، بعده حرف ساكن سكوناً لازماً غير مشدد . مثاله : ﴿الآن﴾ . ولا يوجد في القرآن على قراءة حفص إلا في آيتين من سورة يونس ، وهما : ﴿الآن وقد كنتم﴾ ﴿الآن وقد عصيت﴾ .

ثانياً - مد لازم حرفي : وهو الذي يقع في حرف من أوائل السورة، وهو نوعان :

أ - مد لازم حرفي مثقل : وهو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ بعده مشدد، مثل ﴿الم﴾ فالمد على اللام مد لازم حرفي مثقل ؛ لأنه أتى بعد حرف المد وهو الألف حرف مشدد؛ لأن الألف تقرأ هكذا (ألف لا ميم) .

ب - ومد لازم حرفي مخفف : وهو أن يأتي في حرف من أوائل السور حرف مدّ، بعده حرف ساكن سكوناً لازماً، مثل : ﴿ق﴾ ﴿ن﴾ وحرف الميم من ﴿الم﴾ فالمد هنا مد لازم حرفي مخفف، لمجيء حرف المد فيها وبعده حرف ساكن سكوناً لازماً؛ لأنها تقرأ هكذا : (قاف، نون، ميم) .

وضابط المد اللازم الحرفي بنوعيه : أن يكون على ثلاثة أحرف أو سطرها حرف مد، ولا يوجد إلا في أوائل السور المجموعة بقولك : (نقص عسلكم) ويستثنى العين في قوله تعالى : ﴿كهيعص﴾، ﴿حمعسق﴾ فإنها تمد مداً لازماً طويلاً وهو ست حركات، ويجوز أن يكون متوسطاً أربع حركات . وهناك أحرف من فواتح السور تمد مداً طبيعياً هي أحرف (حي طهر) مثاله ﴿طه﴾ .
والخلاصة : المد اللازم إما واقع في كلمة، وإما واقع في حرف، وكل من الكلمتي والحرفي إما مثقل وإما مخفف .

أقسام المد من حيث الصفة :

ينقسم المد من حيث الصفة إلى قسمين : أصلي وفرعي .

المد الأصلي : هو المد الطبيعي المتقدم، ويلحق به العوض والصلة الصغرى ومد البدل ومد التمكين .

والمد الفرعي : هو الذي يتوقف على سبب الهمز أو السكون، فإن أتى بعد حرف المد همز أو سكون، زيد المد فيه على مقدار حركتين بسبب ذلك، مثل : ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ﴾، ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ .

والمد الذي يتوقف على سبب الهمز ثلاثة أنواع : متصل مثل ﴿جَاءَ﴾، ومنفصل، ويلحق به الصلة الكبرى، والبدل مثل : ﴿آدم﴾ .

والمد الذي يتوقف على سبب السكون: هو ثلاثة أنواع أيضاً: لازم، وعارض للسكون، ولين.

أحكام النون الساكنة والتنوين

النون الساكنة: هي النون المجزومة التي لا حركة لها مثل: ﴿إِنْ﴾، ﴿مِنْ﴾، ﴿كُنْتُ﴾، ﴿بَيْنَهُمْ﴾.

والتنوين: هو نون ساكنة تتبع آخر الاسم لفظاً، وتفارقه خطأ ووقفاً، مثل: ﴿عَلِيماً﴾، ﴿عَلِيمٌ﴾، ﴿عَلِيمٍ﴾. فهو الفتحان، أو الضمتان، أو الكسرتان اللتان نشبتهما في كتابة الأسماء. أما عند الوقف عليها بالنطق، ففي حالة النصب نقف عليها بألف ساكنة، فنقول ﴿عَلِيماً﴾ وفي حالتي الرفع والجر نقف عليها بساكن، فنقول في حالتي الرفع والجر ﴿عَلِيمٌ﴾.

وللنون الساكنة والتنوين بالنسبة لما يقع بعدهما من حروف الهجاء الثمانية والعشرين أربعة أحكام: هي الإظهار، والإدغام، والإقلاب، والإخفاء.

١- الإظهار وحروفه:

الإظهار لغة: البيان، واصطلاحاً: النطق بكل حرف على حدة من مخرجه بغير غنة، عندما يقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الحلق الستة، وهي حروف الإظهار: الهمةز والهاء، والعين والحاء، والغين والخاء.

وأمثلته: الهمةز: ﴿مِنْ أَمِنْ﴾، ﴿عَذَابِ أَلِيمٍ﴾، ﴿يَنْتُونُ﴾.

والهاء: ﴿إِنْ هَذَا﴾، ﴿قَوْمِ هَادٍ﴾، ﴿يَنْهَوْنَ عَنْهُ﴾.

والعين: ﴿مَنْ عَمِلَ﴾، ﴿أَجْرَ عَظِيمٍ﴾، ﴿الْأَنْعَامِ﴾.

والحاء: ﴿مَنْ حَكِيمٍ﴾، ﴿غَفُورٍ حَلِيمٍ﴾، ﴿وَتَنْحِتُونَ﴾.

والغين: ﴿مَنْ غَلَّ﴾، ﴿لَعَفُوْهُ غَفُورٍ﴾، ﴿فَسَيَنْغَضُونَ﴾.

والخاء: ﴿مَنْ خَيْرٍ﴾، ﴿لَطِيفٌ خَيْرٍ﴾، ﴿وَالْمُنْحَنِقَةُ﴾.

وسميت حروفه حروف الحلق؛ لأن مخرجها من الحلق، لهذا يسمى حكمها: إظهاراً حلقياً.

٢- الإدغام وحروفه:

الإدغام لغة: إدخال الشيء في الشيء، واصطلاحاً: هو إدخال حرف ساكن بحرف متحرك، بحيث يصيران حرفاً واحداً مشدداً، وذلك إذا وقع بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروفه، وحروفه ستة مجموعة في لفظ (يرملون).

فهذه الحروف الستة إذا وقع أحدها بعد النون الساكنة أو التنوين، تدغم النون أو التنوين بها،

أي بحرف الإدغام، بحيث يصيران حرفاً واحداً كالثاني مشدداً، مثل: ﴿فمن يعمل﴾ ﴿رحيم ودود﴾ ﴿من ماء مهين﴾ ﴿من نذير﴾ ﴿من لدنا﴾ ﴿غفوراً رحيماً﴾ .

أقسام الإدغام: ينقسم الإدغام إلى قسمين: إدغام بغنة، وإدغام بلا غنة.

الأول - الإدغام بغنة: وهو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف (يومن) أو (ينمو) مثل ﴿من يعمل﴾ ﴿صراطاً مستقيماً﴾ . والأمثلة المنفردة هي:

مثال الباء: ﴿من يشاء﴾ ﴿وجوه يومئذ﴾ .

مثال الواو: ﴿من واق﴾ ﴿هدى ورحمة﴾ .

مثال الميم: ﴿من محيص﴾ ﴿قول معروف﴾ .

مثال النون: ﴿يومئذ ناعمة﴾ ﴿توبة نصوحاً﴾ .

والغنة: صوت رخيم يخرج من الخيشوم، لا عمل للسان فيه، يمد بمقدار حركتين. وتكون كاملة، والإدغام كاملاً في الميم والنون المشددين، مثل: ﴿عم﴾ ، ﴿إن﴾ . وفي الواو والياء يكون الإدغام ناقصاً، مثل: ﴿كنفس واحدة﴾ ﴿في كل واد يهيمون﴾ .

ولا يقع الإدغام إلا في كلمتين، بحيث تكون النون الساكنة أو التنوين في آخر كلمة، ويكون حرف الإدغام في أول كلمة تليها.

أما إذا وقع الإدغام في كلمة واحدة فهو إظهار شاذ بدون غنة، مثاله: ﴿دنيا﴾ ﴿صنوان﴾ ﴿قنوان﴾ ويسمى هذا الحكم إظهاراً مطلقاً من كلمة. كما أن النون الساكنة التي قبل الواو في لفظ ﴿يس﴾ ، والقرآن الحكيم ﴿وفي﴾ ، والقلم ﴿لا تدغم﴾ ، بل يجب إظهارها بدون غنة، ويسمى هذا الحكم إظهاراً مطلقاً من كلمتين.

الثاني - الإدغام بلا غنة: وهو أن يكون بعد النون الساكنة أو التنوين (لام أو راء) وهما (لر) مثاله: ﴿من ربهم﴾ ﴿هدى للمتقين﴾ . والأمثلة المنفردة هي:

مثال اللام: ﴿من لدنا﴾ ﴿لئن لم﴾ ﴿همزة لمزة﴾ .

ومثال الراء: ﴿من ربكم﴾ ﴿رءوف رحيم﴾ .

٣ - الإقلاب وحرفه:

الإقلاب: هو قلب النون الساكنة أو التنوين ميماً مع الغنة عند الباء، وحرفه هو الباء فقط، نحو: ﴿من بعد﴾ ﴿سميع بصير﴾ . وبعبارة أخرى: الإقلاب: هو وجوب قلب النون الساكنة والتنوين ميماً خالصة بغنة عندما يتلوها (باء).

٤ - الإخفاء وحروفه:

الإخفاء لغة: الستر، واصطلاحاً: هو حالة بين الإظهار والإدغام من غير تشديد مع بقاء الغنة،

وذلك إذا أتى بعد النون الساكنة أو التنوين حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر، المجموعة في أوائل هذا البيت:

صف ذا ثنا، جود شخص، قد سما كريماً، ضع ظالماً، زد تقى، دم طالباً، فترى

أمثله: ﴿ينفقون﴾، ﴿أنتم﴾، ﴿أنثى﴾، ﴿الإنسان﴾، ﴿ينصركم﴾، ﴿ينطق﴾، ﴿انظر﴾، ﴿أنزلناه﴾، ﴿منشوراً﴾، ﴿منقلباً﴾، ﴿منضود﴾، ﴿أنفسكم﴾. وهذا في كلمة واحدة.

﴿حلية تلبسونها﴾، ﴿يوماً ثقيلاً﴾، ﴿من جاء﴾، ﴿فصبر جميل﴾، ﴿من دابة﴾، ﴿وكأساً دهاقاً﴾، ﴿من ذا الذي﴾، ﴿باسطٌ ذراعيه﴾، ﴿نفساً زكية﴾، ﴿بقرات سمان﴾، ﴿بأس شديد﴾، ﴿ريحاً صرصراً﴾، ﴿قوماً ضالين﴾، ﴿حياة طيبة﴾، ﴿ظلاً ظليلاً﴾، ﴿ماءً فراتاً﴾، ﴿سميع قريب﴾، ﴿أفمن كان﴾، ﴿قولاً كريماً﴾. وهذا في كلمتين.

ففي هذه الأمثلة يكون النطق بالنون الساكنة والتنوين بصفة ما بين الإظهار والإدغام بلا تشديد، بحيث يخفى ويذهب معظم لفظهما، ويكون مكانهما غنة كاملة، ولا يكون للسان عمل في حالة إخفائهما، ففي الإظهار والإدغام يخرجان من طرف اللسان عند التصاقه بسقف الفك العلوي. وفي حالة الإخفاء يبقى اللسان معلقاً بين الفكين، وتكون الغنة التي تخرج من الخيشوم عوضاً عن النون الساكنة أو التنوين.

فالإخفاء: هو وجوب تحقيق الغنة وإخفاء معظم لفظ النون الساكنة والتنوين، عندما يتلوها حرف من حروف الإخفاء الخمسة عشر المتقدمة.

أحكام الميم الساكنة

أحوال الميم الساكنة:

للميم الساكنة أحوال ثلاثة: تدغم في مثلها مع الغنة، ويسمى (إدغاماً متمائلاً) بغنة، نحو ﴿لكم ما كسبتم﴾ وتخفى عند الباء ويسمى (إخفاءً شفويًا) نحو ﴿ترميهم بحجارة﴾ وتظهر عند باقي الحروف الهجائية ويسمى (إظهاراً شفويًا) نحو ﴿أم حسبتم﴾ غير أنها تكون أشد إظهاراً عند (الواو والفاء) مثل: ﴿عليهم ولا﴾ ﴿لكم فيها﴾ لتقارب مخرجيهما من الميم.

١ - الإخفاء الشفوي:

الإخفاء: هو أن تكون الميم الساكنة مخفاة بغنة عندما يقع بعدها حرف (ب) مثل ﴿ومن يعتصم بالله﴾، ﴿منامكم بالليل﴾.

ويكون هذا الإخفاء بنطق الميم الساكنة التي أتى بعدها باء، من الخيشوم، مع وجوب الغنة، ويسمى هذا إخفاءً شفويًا، ويتحقق المطلوب بعدم إطباق الشفتين عند النطق بالميم.

٢ - الإظهار الشفوي :

الإظهار : هو أن يكون النطق بالميم الساكنة ظاهراً من غير غنة، عندما يقع بعدها أحد حروف الهجاء ما عدا الميم المتحركة والباء، مثل ﴿ألم تر﴾ ﴿أم لهم﴾ ﴿وهم فيها﴾ ﴿تمسون﴾ ﴿عمنون﴾ ﴿يمشي﴾ .

ويكون هذا الإظهار بأن تكون الميم الساكنة ظاهرة وواضحة بدون غنة، عندما يأتي بعدها أحد حروف الهجاء، غير الميم المتحركة والباء .

غير أن الميم الساكنة تكون - كما تقدم - أشد إظهاراً عند الواو والفاء، لثلا يختفي لفظها بسبب قرب مخرجها من مخرجهما، مثل ﴿عليهم ولا﴾ ﴿لكم فيها﴾ .

٣ - الإدغام بحسب الذات :

ينقسم الإدغام بحسب الذات بعد الميم الساكنة إلى ثلاثة أقسام : إدغام متمائل، وإدغام متجانس، وإدغام متقارب، فإن اتفق الحرفان في المخرج دخل تحتها المتجانس والمتمائل، وإن اختلفا فهو المتقارب .

النوع الأول - الإدغام المتمائل :

هو أن يتحد الحرفان في المخرج والصفة، ويأتي أحدهما الآخر، كما إذا وقع بعد الميم الساكنة ميم متحركة . فتدغم الميم الأولى بالميم الثانية بغنة، وتصيران ميماً واحدة مشددة بغنة مثل ﴿ولكم ما﴾ ﴿كسبتم﴾ ﴿والله يعدكم مغفرة﴾ ﴿لهم موعد﴾ .

أو يقع بعد الحرف حرف آخر مثله، نحو ﴿فما ريحت تجارتهم﴾ ﴿أن اضرب بعصاك﴾ ﴿أووا ونصروا﴾ ﴿عصوا وكانوا﴾ .

النوع الثاني - الإدغام المتجانس :

هو أن يتحد الحرفان في المخرج، ويختلفا في بعض الصفات، ويأتي أحدهما الآخر كطاء وتاء، نحو : ﴿لئن بسطت﴾ ﴿أو تاء وطاء، نحو : ﴿قالت طائفة﴾ ﴿أو تاء ودال نحو : ﴿أنقلت دعوا الله﴾ ﴿أو دال وتاء، نحو : ﴿وجدتم﴾ ﴿أو تاء وذال نحو : ﴿يلهث ذلك﴾ ﴿أو باء وميم، نحو : ﴿اركب معنا﴾ .

النوع الثالث - الإدغام المتقارب :

هو أن يتقارب الحرفان في المخرج والصفة، ويأتي أحدهما الآخر، كاللام مع الراء، نحو : ﴿بل رفعه﴾ ﴿وكالقام مع الكاف نحو : ﴿ألم نخلقكم﴾ .

حكم الميم والنون المشددتين

- الروم والإشمام -

إذا اجتمعت الميم والنون المشددتان، كل واحدة مع مثيلتها، كان حكمهما وجوب الغنة حركتين، مثل ﴿لَمَّا﴾ ﴿الجنَّة﴾ .

أما نون ﴿تَأْمَنَّا﴾ [يوسف ١٢/١١] ففيها مع الغنة الإشمام: وهو ضم الشفتين عند سكون النون، كمن يريد أن ينطق بضمة، دون أن يظهر أثر ذلك في النطق. والإشمام لا يدركه الأعمى. ويجوز إخفاء ضمة النون، ويعبر عنه بالرؤم: وهو الإتيان ببعض حركة النون المرفوعة، وتحكمه المشافهة بالسمع، أي أنه الإتيان ببعض الحركة على النون الأولى في ﴿تَأْمَنَّا﴾ ولا يسمعه إلا القريب المصغي.

ويلاحظ أن الإمام حفص انفرد في قراءته بضم الهاء في قوله تعالى: ﴿وَمَا أَنْسَانِيَهُ﴾ في سورة الكهف، وفي قوله تعالى: ﴿وَعَلَيْهِ اللَّهُ﴾ في سورة الفتح.

مخارج الحروف

أنواع المخارج: المخارج في الجملة خمسة: هي الجوف، والحلق، واللسان، والشفتان، والخيشوم، وتفصيلاً هي على القول المختار سبعة عشر مخرجاً. وإذا أردت معرفة مخرج فسكنته وأدخل عليه همزة الوصل، وأصغ إليه، فحيث انقطع الصوت في الفم، فذلك مخرجه.

المخرج الأول - الجوف: وهو خلاء الفم والحلق، ويخرج منه الألف الساكنة المفتوح ما قبلها، والواو الساكنة المضموم ما قبلها، والياء الساكنة المكسور ما قبلها، وحروف الجوف هي حروف المد واللين.

المخرج الثاني - أقصى الحلق: ويخرج منه الهمزة والهاء.

المخرج الثالث - وسط الحلق: ويخرج منه العين والحاء.

المخرج الرابع - أدنى الحلق: أي أقربه إلى الفم، ويخرج منه الغين والحاء المعجمتان. وأحرف الحلق الستة من هذه المخارج الثلاثة في الحلق تسمى الحروف الحلقية، نسبة إلى الحلق.

المخرج الخامس - أقصى اللسان مما يلي الحلق مع ما فوقه من الحنك الأعلى، ويخرج منه القاف.

المخرج السادس - أقصى اللسان مع ما يليه من الحنك من أسفل مخرج القاف قليلاً، ويخرج منه الكاف. ويقال لكل من القاف والكاف حرف لهوي: نسبة إلى اللهاة وهي اللحمية المشرفة على الحلق.

المخرج السابع - وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك، ويخرج منه الجيم والشين والياء غير المدية، وتسمى بالحروف الشجرية: نسبة إلى شجر الفم أي منفتحه.

المخرج الثامن - من أول حافة اللسان مع ما يليه من الأضراس من الجانب الأيسر عند الأكثر، ومن الأيمن عند الأقل، ويخرج منه الضاد.

المخرج التاسع - من أدنى حافة اللسان إلى منتهى طرفه وما بينهما وبين ما يليها من الحنك مما فوق الضاحك والأنياب والرابعة والثانيا، ويخرج منه اللام.

المخرج العاشر - من بين طرف اللسان وبين ما فوق الثنايا أسفل اللام قليلاً، ويخرج منه النون المتحركة والساكنة المظهرة.

المخرج الحادي عشر - من طرف اللسان بينه وبين ما فوق الثنايا العليا تحت مخرج النون قليلاً، غير أنها أدخل في ظهر اللسان، ويخرج منه الراء، وتسمى النون واللام والراء ذَلْقِيَّةً، لخروجها من طرف اللسان.

المخرج الثاني عشر - طرف اللسان وأصول الثنايا العليا، مصعداً إلى جهة الحنك، ويخرج منه الطاء والذال والياء، وتسمى هذه الحروف نَطْعِيَّةً إلى نِطْعِ الغار الأعلى، وهو سقفه.

المخرج الثالث عشر - من بين طرف اللسان ومن بين الثنايا السفلى والعليا، ويخرج منه حروف الصفير الثلاثة: الصاد والسين والزاي، وهي الحروف الأَسْلِيَّةُ، نسبة إلى أسلة اللسان، أي طرفه.

المخرج الرابع عشر - من بين طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الطاء والذال والياء، وهذه هي الأحرف اللتوية، نسبة إلى اللثة، وهو اللحم المركب فيه الأسنان.

المخرج الخامس عشر - من بطن الشفة السفلى وأطراف الثنايا العليا، ويخرج منه الفاء.

المخرج السادس عشر - مما بين الشفتين، ويخرج منه الواو غير المدية، أي المتحركة، والباء والميم المظهرة مع انفتاح الشفتين في الواو، وانطباقهما في الباء والميم، وحروف هذا المخرج والذي قبله تسمى بالحروف الشفهية أو الشفوية، نسبة إلى الشفة.

المخرج السابع عشر - الخيشوم: وهو أقصى الأنف، ويخرج منه أحرف الغنة، وهي النون الساكنة والتنوين والميم الساكنة، حالة إدغامها بغنة، أو إخفائها، أو إقلابها، فتتحول من مخرجها الأصلي إلى الخيشوم، وكذلك غنة النون والميم المشدَّتين^(١).

والخلاصة:

مخرج القاف والكاف: من أقصى اللسان مع ما فوقه من الحنك الأعلى، لكن الكاف أسفل منه بقليل.

ومخرج الجيم والشين والياء: من وسط اللسان مع ما يحاذيه من وسط الحنك الأعلى.

ومخرج الضاد: من حافة اللسان الأيسر، وهو كثير، أو الأيمن وهو قليل، أو منهما، وهو أقل مستطيلة إلى ما يلي الأضراس.

ومخرج اللام والنون والراء: من أول حافة اللسان مع ما يليه من الحنك الأعلى، لكن المعتمد في اللام أن مخرجها أدنى من الضاد والنون تحت اللام بقليل، والراء تقارب النون.

ومخرج الطاء والذال والطاء: من طرف اللسان من فوق، ومن بين الثنايا العليا.

ومخرج الصاد والزاي والسين: من طرف اللسان ومن بين الثنايا السفلى والعليا.

ومخرج الظاء والذال والطاء: من طرف اللسان مع أطراف الثنايا العليا.

ومخرج الفاء: من بطن الشفة مع أطراف الثنايا العليا.

ومخرج الواو والباء والميم: من بين الشفتين، لكن بانفتاحهما في الواو، وانطباقهما في الباء والميم، ومخرج الغنة تقدم في تعريف الغنة.

صفات الحروف

للحروف سبع عشرة صفة، عشر منها لها ضد، وسبع لا ضد لها^(٢).

الصفات التي لها ضد:

وهي عشر صفات:

- ١، ٢ - الجهر: وهو منع جريان النَّفَس مع الحرف، لقوة الاعتماد عليه في مخرجه، وضده الهمس: وهو جريان النَّفَس مع الحرف لضعف الاعتماد عليه في مخرجه، وحروف الهمس عشرة، مجموعة في جملة: (فحْتُهُ شخص، سَكَّت) وبقية الحروف هي المجهورة.
- ٣، ٤ - الشدة: وهي امتناع جريان الصوت مع الحرف، والحروف الشديدة مجموعة في (أجذ، قط، بكت) وضده الرخاوة والتوسط، والرخاوة: جريان الصوت مع الحرف لضعفه، والحروف المتوسطة بين الرخوة والشديدة مجموعة في (لنْ عُمِر) وباقي الحروف هي الرخوة.
- ٥، ٦ - الاستفال: وضده الاستعلاء، والاستعلاء: من صفات الحروف، وحروفه سبعة: (نُصَّ صَغَطَ قَطَّ) وفيما يرتفع أقصى اللسان إلى الحنك الأعلى، وهي حروف التفخيم، وباقي الحروف هي المستفلة، وترقق دائماً عدا الراء واللام والألف في بعض الأحوال.
- ٧، ٨ - الانفتاح: وضده الانطباق، والحروف المنطبقة هي الصاد والضاد والطاء والظاء، وفيها ينطبق اللسان على ما يقابله من الحنك الأعلى، وهي أقوى حروف الاستعلاء، وباقي الحروف هي المنفتحة.

٩، ١٠ - الإذلاق: وهو سرعة النطق بالحرف وحروفه: (فَرَّ من لُبِّ) وسميت بذلك لاعتمادها على ذلق اللسان أو الشفة، أي طرفيهما، وضده الإصمات في باقي الحروف، ومعناه أن يمتنع تركيب كلمة، أصولها أربعة أو خمسة أحرف من الحروف المصمتة وحدها إلا إذا كانت أعجمية.

الصفات التي لا ضد لها:

وهي سبع صفات:

١ - الصفيير: وهو صوت زائد يصاحب أحرفه الثلاثة التي هي الصاد والسين والزاي، سميت بذلك لخروج صوت عند النطق بها يشبه صفيير الطائر.

٢ - القلقلة: وهي إظهار نبرة للصوت حال النطق بحرفها إذا سكن، أو هي شدة الصوت وتحريك مخرج الحرف الساكن حتى يسمع له نبرة أقرب إلى الفتح، وحروفها خمسة جمعت في لفظ (قطب جد).

وتنقسم القلقلة إلى قسمين: صغرى وكبرى، فالصغرى: هي التي تكون في أثناء الكلمة مثل ﴿يجعلون﴾. والكبرى: هي التي تكون في آخر الكلمة نحو: ﴿لقد﴾ ﴿قريب﴾.

٣ - اللين: وحروفه الواو والياء الساكتان بعد فتح، مثل ﴿خوف﴾ ﴿البيت﴾ ومعناه: إخراج الحرف في لين وعدم كلفة.

٤ - الانحراف: حروفه اللام والراء، لانحرافهما عن مخرجهما إلى مخرج غيرهما، فاللام: تميل إلى مخرج النون، والراء: تميل إلى ظهر اللسان.

٥ - التكرير: هو ارتعاد طرف اللسان، وهو للراء لقبولها له، وهذه الصفة يجب اجتنابها في الراء.

٦ - التنفسي: وهو انتشار الريح في الفم عند النطق بالسين.

٧ - الاستطالة: في الضاد؛ لأنه استطال في الفم عند النطق به، حتى اتصل بمخرج اللام.

والخلاصة:

حروف الاستعلاء: هي حروف (خصّ ضغظ قظ) وتسمى الحروف المفخمة.

حروف الصفيير: هي ثلاثة: الصاد والزاي والسين، بشرط إسكانها، مثل: ﴿صبر﴾، ﴿مستقيم﴾.

حروف الهمس: هي عشرة يجمعها قولك: (فحثة شخص سكت).

الحروف اللثوية: هي ثلاثة: الثاء، والذال، والطاء.

همزة الوصل وهمزة القطع

همزة الوصل : هي التي تثبت في الابتداء وتسقط في الدرّج أي الوصل .

وتكون في الأفعال نحو : ﴿ ادعوا ربكم ﴾ وفي الأسماء نحو ﴿ بغلام اسمه يحيى ﴾ وفي حرف (أل) فقط .

ويبدأ فيها بالضم إذا كان ثالث كلمة الفعل مضموماً بضمّة أصلية ، أي ضمناً لازماً ، مثل : ﴿ اعبدوا ربكم ﴾ ، ﴿ اسجدوا ﴾ ، ﴿ ادخلوا ﴾ . أما إذا كان ثالث الفعل مضموماً ضمناً عارضاً ، فيبدأ بكسرها نظراً لأصله ، مثل فعل : (امشوا ، واقضوا ، وارموا ، وابنوا) فإن الضم في ثالث حرف منها عارض غير أصلي ، فأصل (امشوا) أمشيوا ، و (اقضوا) اقضيوا ، و (ارموا) ارميوا ، و (ابنوا) ابنيوا . أي أن ثالث حرف منها مكسور ، بديل الثنية فيها ، فتقول : امشياً ، واقضياً ، وارمياً ، وابنياً . وتفتح همزة الوصل في حرف (أل) فقط عند الابتداء في الاسم المعرف بالألف واللام ، نحو : ﴿ الرجل ﴾ ﴿ الحمد ﴾ ﴿ الرزق ﴾ ﴿ الرحيم ﴾ ﴿ العرش ﴾ ﴿ العقاب ﴾ .

ويبدأ بهمزة الوصل بالكسر في عشرة أسماء منكرة سماعاً وهي : اسم ، واست ، وابن ، وابنم ، وابنة ، وامرئ ، وامرأة ، واثنان ، واثنتان ، وإين . وفي غير هذه الأسماء قياساً تعلم من كتب الصرف .

وتكسر إذا كان الحرف الثالث في كلمة الفعل مكسوراً أو مفتوحاً ، نحو : اقرأ ، اذهب ، ارجع ، اهبط ، اضرب ، استغفروا ، ارجعوا .

وهمزة القطع : هي التي تثبت في الابتداء والدرّج ، أي الوصل نحو : ﴿ الهاكم ﴾ ، ﴿ استبرق ﴾ ، ﴿ أجيت ﴾ .

الألفات السبع

يجب إثبات الألف في حالة الوقف ، وحذفها في حالة الوصل في سبعة مواضع هي :

- ١- ألف ضمير المتكلم (أنا) في كل موضع في القرآن الكريم .
- ٢- ألف ﴿ لكنا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ لكنا هو الله ربي ﴾ في سورة الكهف .
- ٣- ألف ﴿ الظنونا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وتظنون بالله الظنونا ﴾ في سورة الأحزاب .
- ٤- ألف ﴿ الرسولا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ وأطعنا الرسولا ﴾ في سورة الأحزاب .
- ٥- ألف ﴿ السبيلا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ فأضلونا السبيلا ﴾ في سورة الأحزاب .
- ٦- ألف ﴿ قواريرا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ كانت قواريرا ﴾ في سورة الدهر .
- ٧- ألف ﴿ سلاسلا ﴾ في قوله تعالى : ﴿ إنا أعتدنا للكافرين سلاسلًا ﴾ في سورة الإنسان .

ويجوز في هذه الكلمة وجهان في حالة الوقف عليها: إما بالألف بعد اللام، أو على اللام ساكنة من غير ألف ﴿سلاسل﴾.

أحكام لام المعرفة

للام المعرفة أربعة أحكام: التفخيم، والترقيق، والإدغام، والإظهار.

تفخيم اللام وترقيقها:

تفخم اللام من لفظ الجلالة (الله) إن ضمَّ ما قبلها أو فتح، نحو: ﴿إني عبد الله﴾، ﴿سيؤتينا الله من فضله﴾. وترقق فيما عدا ذلك.

إدغام اللام وإظهارها:

تدغم اللام المعرفة إذا وليها حرف من أربعة عشر حرفاً مجموعة في أوائل هذا البيت:

طب ثم صل رحماً تفض ضف ذا نعم دع سوء ظن، زر شريفساً للكرم

وتسمى لاماً شمسية، نحو (الطاعة) (الثواب) وسميت لاماً شمسية لأنها مثل لام (الشمس).

وتظهر اللام إذا وليها حرف من حروف (ابغ حجك وخف عقيمة) وتسمى لاماً قمرية، نحو

(الخالق) (البارئ) (الجبال). وسميت لاماً قمرية لأنها مثل لام (القمر).

والحاصل أنه إذا أتى بعد اللام المعرفة مشدد، فهي الشمسية، كالشمس، وإلا فهي القمرية،

كالقمر. ونظم بعضهم الحروف القمرية في أوائل ما يأتي:

قمر جلا، بدر وفي هلا حسبت كماله

عذب اللّمي، فرد غلى خل، مسح، ياله

لام الفعل: لا توصف لام الفعل بكونها شمسية ولا قمرية؛ لأنها من بنية الكلمة، كما في قوله

تعالى: ﴿التقنا﴾، ﴿التقى﴾، ﴿أهاكم﴾. وكذلك لام الاسم الموصول لا يوصف بهذه الصفة.

التفخيم والترقيق

الحروف من حيث الترقيق والتفخيم ثلاثة أقسام:

القسم الأول: ما يفخم في جميع أحواله، وهي حروف الاستعلاء: (خص ضغط قظ)

وأقوى هذه الحروف حروف الإطباق: وهي الصاد والضاد والطاء والظاء، مثل ﴿الضالّين﴾

﴿القلوب﴾.

القسم الثاني: وهي الحروف المستقلة: وترقق دائماً فيما عدا الألف واللام والراء.

القسم الثالث : حروف ترقق أو تفخم بحسب الأحوال وهي الألف واللام والراء .

أما الألف : فتفخم إن كان قبلها حرف مفخم مثل ﴿الصَّآخَةِ﴾ وإلا فترقق نحو : ﴿الباطل﴾ .

وأما اللام : فتفخم من لفظ الجلالة إذا سبقها مفتوح أو مضموم كما تقدم ، نحو ﴿فالله﴾

﴿نسوا الله﴾ . وترقق إذا سبقها مكسور نحو ﴿بالله﴾ ﴿بسم الله﴾ أما غير لفظ الجلالة فترقق اللام دائماً نحو ﴿الضَّالِّونَ﴾ ﴿اللطيف﴾ .

وأما الراء : فترقق حال الوصل إذا كانت مكسورة ، نحو ﴿يريد﴾ أو ساكنة بعد كسر من أصل

الكلمة نحو : ﴿فرعون﴾ ﴿واستغفره﴾ . وذلك ما لم يكن بعدها حرف استعلاء متصل بها ، فتفخم نحو : ﴿فرقة﴾ ، ﴿قرطاس﴾ .

وفي كلمة ﴿فرق﴾ وجهان والتفخيم أرجح ، وفيما عدا هذه الأحوال فتفخم في الوصل نحو :

﴿ضرب﴾ ﴿يأترون﴾ ﴿من ارتضى﴾ .

أما في الوقف : فترقق الراء إن كان قبلها كسر نحو : ﴿قُدِّر﴾ أو كان قبلها ياء ساكنة عند

الوقف ، مثل ﴿قديراً﴾ ﴿غيراً﴾ . وفيما عدا هذه الأحوال في الوقف ، فتفخم ، مثل الوقف على ﴿غفور﴾ ﴿النذر﴾ ﴿الكفر﴾ .

ويجوز التفخيم والترقيق إن سكنت الراء قبل ياء محذوفة تخفيفاً ، مثل ﴿ونذراً﴾ ﴿يسيراً﴾ إذ

أصلها : نذري ، ويسري ، والترقيق أرجح لدلالته على الياء المحذوفة .

والتفخيم أرجح في راء ﴿مِصْرَ﴾ . والترقيق أرجح في راء ﴿عين القطر﴾ عند الوقف .

خلاصة أحكام الراء :

للراء ثلاثة أحكام : التفخيم ، والترقيق ، وجواز الوجهين .

وتفخم الراء في خمسة مواضع : إن ضمت أو فتحت نحو ﴿عرباً أثرباً﴾ أو سكنت وكان قبلها

ضم أو فتح ، مثل ﴿القرآن﴾ و ﴿العرش﴾ أو سكنت وكان قبلها كسر عارض نحو ﴿لمن ارتضى﴾ أو

سكنت وكان قبلها كسر أصلي وبعدها حرف استعلاء غير مكسور ، مثل ﴿قرطاس﴾ و ﴿مرصاد﴾ أو

سكنت وقفاً وكان قبلها ساكن ، وقبل الساكن ضم أو فتح نحو ﴿والعصر﴾ والشكر .

وترقق الراء في أربعة مواضع : إن كسرت نحو ﴿رجال﴾ أو سكنت وكان قبلها كسر أصلي ،

ولم يكن بعدها حرف استعلاء نحو ﴿فرعون﴾ ﴿مرية﴾ أو سكنت وكان قبلها ياء ساكنة نحو

﴿قديراً﴾ ﴿خير﴾ أو سكنت وكان قبلها ساكن ، وقبل الساكن كسر نحو : ﴿السحر﴾ .

ويجوز التفخيم والترقيق للراء في موضعين: فيما إذا سكنت وكان قبلها كسر أصلي، وبعدها حرف استعلاء مكسور نحو ﴿فَرَقٌ﴾ أو سكنت وكان قبلها حرف استعلاء ساكن، وقبل حرف الاستعلاء مكسور، نحو ﴿قَطْرٌ﴾، و﴿مَصْرٌ﴾، لكن في ﴿قَطْرٌ﴾ جواز الوجهين والترقيق مقدم، وفي ﴿مَصْرٌ﴾ جواز الوجهين والتفخيم مقدم.

وكان شيخنا المرحوم الشيخ أحمد السماق يقول لنا: الراء المتحركة أميرة نفسها، إن ضمت أو فتحت فحُتت، وإن كسرت رُققت.

السكتة اللطيفة

يجب أن يسكت القارئ على رواية حفص سكتة لطيفة في أربعة مواضع:

أحدها - في سورة الكهف، عند قوله تعالى: ﴿عِوَجًا﴾ فيسكت القارئ سكتة لطيفة مقدار حركتين بدون تنفس، ثم يقول: ﴿فِيمَا﴾.

والثاني - في سورة يس، عند قوله تعالى: ﴿مَنْ مَرَقَدْنَا﴾ ثم يقول: ﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ﴾.

والثالث - في سورة القيامة، عند قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ: مَنْ﴾ ثم يقول القارئ بعد سكتة لطيفة ﴿رَأَى﴾.

والرابع - في سورة المطففين، عند قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ﴾ ثم يقول القارئ بعد سكتة لطيفة: ﴿رَأَى﴾ فيقف على ما قبل هذه الكلمات من غير أن يتنفس، ثم يقرأ الكلمة التي بعدها.

ويجوز السكت في موضعين:

الأول - في سورة الحاقة عند قوله تعالى: ﴿مَالِيهِ، هَلْكَ﴾.

والثاني - بين آخر سورة الأنفال وأول التوبة، إذا أحب القارئ أن يصل بين السورتين، فيقرأ: ﴿إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ ويسكت عند كلمة ﴿عَلِيمٌ﴾ مع تسكين الميم، ثم يقول: ﴿بِرَاءةٍ مِنْ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾.

الوقف والابتداء

يسن الوقوف في آخر كل الآيات لقوله تعالى: ﴿وَرَتَّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا﴾ ولما روى أحمد وأبو داود والترمذي عن أم سلمة رضي الله عنها: «أن النبي ﷺ كان إذا قرأ، قطع آية آية، يقول: ﴿بِسْمِ اللَّهِ

الرحمن الرحيم ﴿، ثم يقف، ثم يقول: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿الرحمن الرحيم﴾، ثم يقف، ثم يقول: ﴿مالك يوم الدين﴾، ثم يقف».

والمراد بالوقف: السكوت على آخر الكلمة زمنًا يتنفس في أثناءه بحكم العادة، والوقف أربعة أقسام: تام، وكافي، وحسن، وقبيح.

أما الوقف التام: فهو الوقف على آخر كلمة يتم بها المعنى مع ما قبلها، دون تعلق بما بعدها لفظاً أو معنى.

والتعلق اللفظي: التعلق من جهة الإعراب، كأن يكون صفة أو معطوفاً أو مضافاً إليه، فيكون الوقف على الموصوف والمعطوف عليه والمضاف وفقاً غير تام، مثل قوله تعالى: ﴿يتلو صحفاً مطهرة﴾ لا يوقف على كلمة ﴿صحفاً﴾ لأن ﴿مطهرة﴾ صفة لما قبلها.

والتعلق المعنوي: التعلق من جهة المعنى، كالإخبار عن حال المؤمنين أو الكافرين ونحو ذلك، مثل الوقوف على قوله تعالى: ﴿خالدين فيها﴾ في آية: ﴿إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين في نار جهنم خالدين فيها، أولئك هم شر البرية﴾ والجملة الأخيرة من تمام الخبر عن حال الكافرين.

والوقف التام في الغالب يكون في أواخر الآيات، وأواخر السور، ونهاية القصة.

والابتداء التام في الغالب في بدء رؤوس الآيات، وأوائل السور، وعند الابتداء ببياء النداء، والاستفهام، ولام القسم، والشرط ونحو ذلك.

ويحسن الوقوف عند الوقف التام، والابتداء بما بعده.

والوقف الكافي: هو الوقف على كلمة لم يتعلق بها ما بعدها، ولا ما بما قبلها لفظاً، وتعلق ما بعدها بما قبلها معنى، كالوقف على كلمة ﴿يؤمنون﴾ في آية ﴿إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم لا يؤمنون﴾ لأن ما بعدها وهو ﴿ختم الله على قلوبهم﴾ متعلق بحال الكافرين تعلقاً معنوياً.

ويحسن الوقوف عنده، والابتداء بما بعده.

والوقف الحسن: هو الوقف على كلمة تمّ بها المعنى، لكن تعلق ما بعدها بها لفظاً

وفي الوقف على ﴿آتاني﴾ في قوله تعالى: ﴿فما آتاني الله﴾ في سورة النمل في قراءة حفص وجهان: إثبات وحذف.

ويحسن التزام علامات الوقف على بعض الأحرف التي اصطلح عليها العلماء في رسم المصحف، من واجب مثل ﴿وما يعلم تأويله إلا الله﴾ [آل عمران ٧/٣] وجائز مثل ﴿وينشر رحمتك﴾ [الشورى ٢٨/٤٢] وممنوع مثل ﴿طيبين لا﴾ [النحل ٣٢/١٦] وكون الوصل أولى مثل: ﴿فاصبر إن وعد الله حق صلى﴾ [الروم ٦٠/٣٠] وكون الوقف أولى مثل ﴿له مقاليد السموات والأرض صلى﴾ [الزمر ٦٣/٣٩] وأنه إذا وقف على موضع لا يقف على الآخر، مثل ﴿لا ريب﴾ و﴿فيه﴾ [البقرة ٢/٢].

ثمانى كلمات لها قراءة خاصة

- ١- ﴿بسم الله مجزئها﴾ سورة هود آية ٤١ - وضعت هذه العلامة (◇) تحت الراء لإمالة فتحه الراء إلى الكسرة وإمالة الألف التالية إلى الياء.
- ٢- ﴿مالك لا تأمنا﴾ سورة يوسف آية ١١ - وضعت هذه العلامة (◇) للدلالة على إشمام الميم وهو ضم الشفتين كمن يريد النطق بضمه من غير أن يظهر لذلك أثر في النطق.
- ٣- ﴿أأعجمي وعربي﴾ سورة فصلت آية ٤٤ - وضعت هذه النقطة السوداء (•) فوق الألف الثانية للدلالة على تسهيلها بين الهمزة والألف.
- ٤، ٥- ﴿بيصط﴾ سورة البقرة آية ٢٤٥ و﴿بيصطة﴾ سورة الأعراف آية ٦٩ - وضعت (س) صغيرة فوق الصاد للدلالة على أن الأشهر قراءتها (ببسط) و(بسطة) وإن كان من الجائز قراءتهما (بيصط وبيصطة).
- ٦، ٧- ﴿المبصيطرون﴾ سورة الطور آية ٣٧ و﴿بمبصيطر﴾ سورة الغاشية آية ٢٢ - وضعت (س) صغيرة تحت الصاد للدلالة على أن الأشهر قراءتهما (المبصيطرون و بمبصيطر) وإن كان الجائز قراءتهما (المبسطرون و بمبسطر).
- ٨- ﴿ننجي﴾ سورة الأنبياء آية ٨٨ - وضعت (ن) صغيرة بجوار الأخرى للدلالة على أنها تقرأ (ننجي).

اسماء السور وفوتسبتياتها بالاصحاح الشريف

الجزء	ترتیب سورہ	اسم السورة	ترتیب سورہ	الجزء	ترتیب سورہ	اسم السورة	ترتیب سورہ
۱	۱	سورة الفاتحة	۲	۲۰	۲۰	سورة طه	۳۱۳
۲	۲	سورة البقرة	۳	۱۷	۲۱	سورة الانبياء	۳۲۳
۳	۴	سورة العنكبوت	۵۱	۲۲	۲۲	سورة الحج	۳۲۳
۴	۵	سورة النساء	۷۸	۱۸	۲۳	سورة المؤمنون	۳۴۳
۵	۷	سورة المائدة	۱۰۷	۲۴	۲۴	سورة التور	۳۵۱
۶	۸	سورة الانعام	۱۲۹	۲۵	۲۵	سورة الفرقان	۳۶۰
۷	۹	سورة الاحزاب	۱۵۲	۱۹	۲۶	سورة الشعراء	۳۶۸
۸	۱۰	سورة الانفال	۱۷۸	۲۷	۲۷	سورة التمدد	۳۷۸
۹	۱۱	سورة التوبة	۱۸۸	۲۰	۲۸	سورة القصص	۳۸۶
۱۰		سورة يونس	۲۰۹	۲۰	۲۹	سورة الجن	۳۹۷
۱۱	۱۲	سورة هود	۲۲۲	۲۱	۳۰	سورة الروم	۴۰۵
۱۲	۱۳	سورة يوسف	۲۳۶	۳۱	۳۱	سورة لقمان	۴۱۲
۱۳		سورة الرعد	۲۵۰	۳۲	۳۲	سورة السجدة	۴۱۶
۱۴		سورة ابراهيم	۲۵۶	۳۳	۳۳	سورة الاحزاب	۴۱۹
۱۵	۱۴	سورة الحج	۲۶۳	۲۲	۳۴	سورة سبأ	۴۲۹
۱۶		سورة البقرة	۲۶۸	۳۵	۳۵	سورة قاطر	۴۳۵
۱۷	۱۵	سورة الاسراء	۲۸۳	۳۶	۳۶	سورة يس	۴۴۱
۱۸	۱۶	سورة الكهف	۲۹۴	۲۳	۳۷	سورة الصافات	۴۴۷
۱۹		سورة مريم	۳۰۶	۳۸	۳۸	سورة ص	۴۵۴

أَسْمَاءُ السُّورِ وَفَوْقَ تَبَيُّنَاتِهَا بِأَصْحَافِ السُّورِ

الجزء	تَمَّ السُّورَةُ	أَسْمَاءُ السُّورَةِ	تَمَّ صَفْحَةُ	الجزء	تَمَّ السُّورَةُ	أَسْمَاءُ السُّورَةِ	تَمَّ صَفْحَةُ
	٣٩	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٤٥٩	٢٨	٥٨	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥٤٣
٢٤	٤٠	سُورَةُ عَنٰفِ	٤٦٨		٥٩	سُورَةُ الْحٰسِرِ	٥٤٦
	٤١	سُورَةُ فَضَلٰتِ	٤٧٨		٦٠	سُورَةُ الْمُتَجَنِّنِ	٥٥٠
٢٥	٤٢	سُورَةُ الشُّوْرٰى	٤٨٤		٦١	سُورَةُ الصَّفٰتِ	٥٥٢
	٤٣	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٤٩٠		٦٢	سُورَةُ الْجَمْعِ	٥٥٤
	٤٤	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٤٩٧		٦٣	سُورَةُ الْبٰنٰثِقُوْنِ	٥٥٥
	٤٥	سُورَةُ الْحٰجٰتِ	٥٠٠		٦٤	سُورَةُ التَّغٰثِبِ	٥٥٧
٢٦	٤٦	سُورَةُ الْاِحْقَافِ	٥٠٣		٦٥	سُورَةُ الطَّلَاقِ	٥٥٩
	٤٧	سُورَةُ مُحَمَّدٍ	٥٠٨		٦٦	سُورَةُ التَّجْوِيْدِ	٥٦١
	٤٨	سُورَةُ الْفَتْحِ	٥١٢	٢٩	٦٧	سُورَةُ الْمَلِكِ	٥٦٣
	٤٩	سُورَةُ الْحٰجِرٰتِ	٥١٦		٦٨	سُورَةُ الْقٰتِلٰتِ	٥٦٥
	٥٠	سُورَةُ قٰ	٥١٩		٦٩	سُورَةُ الْحَاقَّةِ	٥٦٧
٢٧	٥١	سُورَةُ الْاٰرَافِ	٥٢١		٧٠	سُورَةُ الْمَعٰرِجِ	٥٦٩
	٥٢	سُورَةُ الطُّوْرِ	٥٢٤		٧١	سُورَةُ نُوْحٍ	٥٧١
	٥٣	سُورَةُ التَّجْوِيْدِ	٥٢٧		٧٢	سُورَةُ الْحٰجِرٰتِ	٥٧٣
	٥٤	سُورَةُ الْاٰمِرِ	٥٢٩		٧٣	سُورَةُ الْمُرَمِّمِ	٥٧٥
	٥٥	سُورَةُ الرَّحْمٰنِ	٥٣٢		٧٤	سُورَةُ الْمَدٰثِرِ	٥٧٦
	٥٦	سُورَةُ الْاٰرَافِ	٥٣٥		٧٥	سُورَةُ الْقِيَامَةِ	٥٧٨
	٥٧	سُورَةُ الْحٰزِنِ	٥٣٨		٧٦	سُورَةُ الْاِنشٰكِ	٥٧٩

اسماء السور وقولها المصحف الشريف

الجزء	رقم سورة	اسم السورة	الجزء	رقم سورة	اسم السورة	الجزء	رقم سورة
	٥٩٩	سُورَةُ الْجُلُودِ		٥٨١	سُورَةُ الْمُرْسَلَاتِ		٧٧
	٦٠٠	سُورَةُ الْقَلَمِ		٥٨٣	سُورَةُ النَّبَاِ	٢.	٧٨
	٦٠٠	سُورَةُ الْبَيِّنَاتِ		٥٨٤	سُورَةُ النَّازِعَاتِ		٧٩
	٦٠١	سُورَةُ الزُّمَرِ		٥٨٦	سُورَةُ عَبَسَ		٨٠
	٦٠١	سُورَةُ الْحَاجِّاتِ		٥٨٧	سُورَةُ الْكَافِرِ		٨١
	٦٠٢	سُورَةُ الْفَاتِحَةِ		٥٨٨	سُورَةُ الْاِنْفِطَارِ		٨٢
	٦٠٢	سُورَةُ التَّكْوِيْنِ		٥٨٩	سُورَةُ الْمُطَفِّفِيْنَ		٨٣
	٦٠٣	سُورَةُ الْحَضَرَةِ		٥٩٠	سُورَةُ الْاِنْشِقَاقِ		٨٤
	٦٠٣	سُورَةُ الْاٰهِنَةِ		٥٩١	سُورَةُ الْبُرُوجِ		٨٥
	٦٠٣	سُورَةُ الْفِيْلِكَ		٥٩٢	سُورَةُ الطَّارِقِ		٨٦
	٦٠٤	سُورَةُ قُرَيْشٍ		٥٩٣	سُورَةُ الْاَعْلٰى		٨٧
	٦٠٤	سُورَةُ الْمَاعُونِ		٥٩٣	سُورَةُ الْغَاشِيَةِ		٨٨
	٦٠٤	سُورَةُ الْكُوْنِ		٥٩٤	سُورَةُ الْفَجْرِ		٨٩
	٦٠٥	سُورَةُ الْكَافِرِيْنَ		٥٩٥	سُورَةُ الْبَلَدِ		٩٠
	٦٠٥	سُورَةُ الْبَصِيْرِ		٥٩٦	سُورَةُ الشَّمْسِ		٩١
	٦٠٥	سُورَةُ الْمَسِيْدِ		٥٩٧	سُورَةُ الْاَلْيَسِّ		٩٢
	٦٠٦	سُورَةُ الْاٰخِرٰتِ		٥٩٧	سُورَةُ الْاٰصْحٰجِ		٩٣
	٦٠٦	سُورَةُ الْاٰقَافِ		٥٩٨	سُورَةُ الْبُرْجِ		٩٤
	٦٠٦	سُورَةُ الْاَسٰفِ		٥٩٨	سُورَةُ الْاٰتِيْنِ		٩٥

اسماء السور وتحتها الأرقام

ترتيب	اسم السورة	آيات	ترتيب	اسم السورة	آيات	ترتيب	اسم السورة	آيات
٥٢٩	سورة القمر	٥٤	ق	٤٣	سورة الزخرف	٥١	سورة آل عمران	٣
٥٧٨	سورة القيامة	٧٥		٩٩	سورة الزلزلة	٢٥٦	سورة إبراهيم	١٤
٦٠٥	سورة الكافرون	١٠٩	ك	٣٩	سورة الزمر	٤١٩	سورة الأحزاب	٣٣
٢٩٤	سورة الكهف	١٨		٢٤	سورة سبأ	٥٠٣	سورة الأحقاف	٤٦
٦٠٤	سورة الكوثر	١٠٨	ل	٤١٦	سورة السجدة	٦٠٦	سورة الإخلاص	١١٢
٤١٢	سورة لقمان	٣١		٩٤	سورة الشرح	٢٨٣	سورة الإسراء	١٧
٥٩٧	سورة الليل	٩٢	ل	٢٦	سورة الشعراء	١٥٢	سورة الأعراف	٧
١٠٧	سورة المائة	٥		٩١	سورة الشمس	٥٩٣	سورة الأطلح	٨٧
٦٠٤	سورة الماعون	١٠٧	م	٤٢	سورة الشورى	٢٢٣	سورة الأنبياء	٢١
٢٤٣	سورة المؤمنون	٢٢		٣٨	سورة ص	٥٧٩	سورة الإنسان	٧٦
٥٤٣	سورة المجادلة	٥٨		٢٧	سورة الصافات	٥٩٠	سورة الانشقاق	٨٤
٥٠٨	سورة محمد	٤٧		٦١	سورة الصف	١٢٩	سورة الأقسام	٦
٥٧٦	سورة المذثر	٧٤		٩٣	سورة الضحى	٧٨	سورة الأفعال	٨
٥٨١	سورة المرسلات	٧٧		٨٦	سورة الضحى	٥٨٨	سورة الانتظار	٨٢
٢٠٦	سورة مريم	١٩	م	٦٥	سورة الطارق	٥٩١	سورة البورج	٨٥
٥٧٥	سورة المزمل	٧٢		٢٠	سورة الطلاق	٣	سورة البقرة	٢
٦٠٥	سورة المسد	١١١		٥٢	سورة طه	٥٩٥	سورة البقرة	٩٠
٥٨٩	سورة المطففين	٨٣		١٠٠	سورة الطور	٦٠٠	سورة البقرة	٩٨
٥٦٩	سورة المقارج	٧٠		٨٠	سورة العاديات	٥٦١	سورة التوبة	٦٦
٥١٢	سورة الملك	٦٧		١٠٣	سورة عبس	٥٥٧	سورة التوبة	٦٤
٥٥٠	سورة المنتحة	٦٠		٩٦	سورة الضحى	٦٠٢	سورة التوبة	١٠٢
٥٥٥	سورة المنافقون	٦٢		٢٩	سورة الضحى	٥٨٧	سورة التوبة	٨١
٥٨٤	سورة النازعات	٧٩		٨٨	سورة الضحى	١٨٨	سورة التوبة	٩
٦٠٦	سورة الناس	١١٤		٤٠	سورة غافر	٥٩٨	سورة التوبة	٩٥
٥٨٣	سورة النحل	٧٨		١	سورة الفاتحة	٥٠٠	سورة الجاثية	٤٥
٥٢٧	سورة التجم	٥٣		٣٥	سورة فاطر	٥٥٤	سورة الجمعة	٦٢
٢٦٨	سورة التخل	١٦		٤٨	سورة الفتح	٥٧٣	سورة الجت	٧٢
٧٨	سورة النساء	٤	ن	٨٩	سورة الفجر	٥٦٧	سورة الحاقة	٦٩
٦٠٥	سورة النصر	١١٠		٢٥	سورة الفرقان	٣٣٣	سورة الحج	٢٢
٣٧٨	سورة النحل	٢٧		٤١	سورة فصلت	٢٦٢	سورة الحجر	١٥
٥٧١	سورة نوح	٧١		١١٣	سورة الضحى	٥١٦	سورة المحجرات	٤٩
٢٥١	سورة النور	٢٤		١٠٥	سورة الضحى	٥٢٨	سورة الحديد	٥٧
٦٠٣	سورة الضحى	١٠٤		٥٠	سورة ق	٥٤٦	سورة الحشر	٥٩
٦٠٢	سورة الضحى	١١	هـ	١٠١	سورة القارعة	٤٩٧	سورة الذخان	٤٤
٥٢٥	سورة الواقعة	٥٦	و	٩٧	سورة القدر	٥٢١	سورة الذاريات	٥١
٤٤١	سورة يس	٢٦		١٠٦	سورة قريش	٥٢٢	سورة الزمخار	٥٥
٢٢١	سورة يوسف	١٢	ي	٢٨	سورة القصص	٢٥٠	سورة الزمخار	١٣
٢٠٩	سورة يوسف	١٠		٦٨	سورة القدر	٤٠٥	سورة الروم	٢٠

الفهرس العام للمحتويات

٦٠٦ - ١	القرآن العظيم مع تفسيره الوجيز
٦٠٨	دعاء ختم القرآن
٦٠٩	المصطلحات
٦١٠	تعريف بهذا المصحف الشريف
٦١١	توضيحات ينبغي مراعاتها
٦١٢	قواعد التجويد أو الترتيل
٦٢٢	فهرس أسماء السور وفق تسلسلها في المصحف الشريف
٦٣٥	فهرس أسماء السور وفق حروفها الأولى
٦٣٦	الفهرس العام